اهل السنة

المجلد الاول من تفسير غرائب القرآن

مؤلفه حسن بن محمد القمي [illegible] نظام الدين نيسابوري

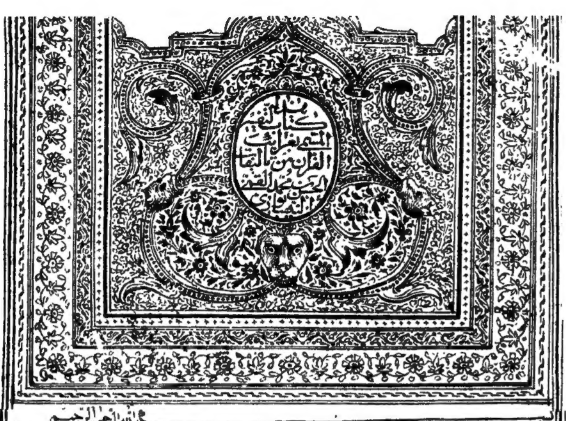

بسم الله الرحمن الرحيم

الى الكريم ارغب في ابداع غرائب القرآن وبفضله العميم ما اقتبس من بدائع رغائب الفرقان فاليه منتهى الامل والنوال وهذا حين افتتح فاقول الحمد لله الذي
جعلنا ممن شرح صدره للاسلام فهو على نور من ربه وجبلنا على الفطرة ابتداء وحمله عليه لا نكاد ننساه الا بذكر حبه اعان سعادة الامور
واتحاف الموهبات الموجبات للثبوت وامنا عن خوف الدنيا ودرجها واكرمنا بالقرآن نجوم حول مخرجها وموجها في التقدم حملتها تحمل ارسلت
سرسلت فدعت فقد عنت في الاولى لله السلف الشريف العيون الى الامالي الفاخرة الغائبة والاضاليل الملهية عن السعادات الباقية فاقت
قلوبهم الى الكرامات الدائمات فاشتاقت ارواحهم الى اللذات الحقيقيات وامتثلت هممهم في مبادي عظمة الملك والملكوت وتلاشت سرائرهم في
لماء ربوبية العزة والجبروت فتخلصوا من الناسوت ووصلوا الى اللاهوت فهو شهوده وبقوا بوجوده ورضي كل منهم بعضا معبوده فجلت
لهم الذات وانمحت عندهم الخلقيات فطابت لهم الغدوات والعشيات ولم تطمح اعينهم الا الى تحصيل ما يقرب الى الله زلفى وما جرت السنتهم
الا بذكر الحق طوبى لهم وبشرى فنسألك اللهم في قلوبه ما اوليتنا التوفيق لشكر ما اسبغت علي من عطائك ونعمت من نعمائك واعوذ بك ان ازل او اضل
بعد الى وان اذل وان اركن الى الذين ظلموا فتمسني النار يوم العرض الاكبر ثبت اقدام املائي على الصدق ولا تفيض ان ينطق في بكلام سوى الحق واجعلني بفضلك
ممن لا ينظر الا اليك ولا يرغب فيما لديك بزيادة من عبرها بقلبه علم من عبرها يوجب ذلك عليك فان اخطأت فيما انصت على قدر
واما بجهد بالي حدث وان استغفرت فيما اسرفت على نفسي وقد قلت ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما
فيا من لا يوجد في جوده مشوب غرض ولا علة شرفني في الاخرة بالعزة واحرسني في دنياي من الذلة ولا تؤاخذني بالنقصان الامكاني ولا تعاقبني
بالذنب الانساني حتى يكون الفضل في الاخرة والاولى والثناء في البداءة والحمد في العقبى وهو دعاء البائس الفقير المستعين من تضرع الى
بابك تضرع الذليل المهين المستكين المتأملين بك ولا الآيس والكلية عن سواه فاسمع فانك سميع الدعاء واجب فانك قادر على ما تشاء والصلوة
والسلام على عبيدك المخصوصين بتاييدك المنزهين عن الادناس الجسمية المطهرين عن الانجاس النفسية الفائزين باشرف مراتب الانس الواصلين
الى اعلى مدارج الانس الصائرين في ارفق معارج القدس لاسيما محمد الذي اشرق في سماء النبوة بدرا واشرف على بساط الرسالة التصدر وسيد الثقلين
وسند الخافقين امام المتقين ورسول رب العالمين الكائن نبيا وادم بين الماء والطين المعمر لاجله الامكان المشرف بلولاك لما خلقت
الافلاك ثم على آله مفاتيح الجنة واصحابه مصابيح الدجنة وسلم تسليما كثيرا وبعد فان المفتقر الى عفو ربه الكريم الحسن بن محمد القمي المشتهر بنظام النيسابوري
نظم الله احواله في اولاه واخراه يقول من المعلوم عند ذوي الافهام ان كلام الملوك ملوك الكلام وبقدر البون بين الواجب لذاته والممكن لذاته يوجد
التفاوت بين كلام الله تعالى وكلام المخلوقات لاسيما اذا وقع في معرض التحدي الذي يظهر التمييز هنالك من المتنبي ومن ذا شان القرآن العظيم
والفرقان الكريم الذي خرس بشقاشق المناطيق فصحاء بتقسيمهم واوقر مسامع المصاقع فما من احد منهم خواطرهم وافى المعارضة بالسبق
على المعارضة بالحروف والمقاتلة على المعاولة بالاسنة على المقاولة بالالسنة الكاملة فالهاهم عن تقليل زمام الاقران على الاتيان باقصر سورة من
القرآن قال الله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله وقال ام يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور
مثله مفتريات ثم قال وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله ثم درج لهم الامر فاوقع التحدي على القرآن جملة ثم على سورة
فاضطرهم التحير الى ان الاصعب على الاسهل فتبين ان الاسهل في النظر هو الاصعب في نفس الامر وذلك من ادل الدلائل على حقية المنزل وصدق

المنزل

انزل عليه كيف لا وفيه نبأ الاولين وخبر الآخرين وحكم ما بين الخلائق اجمعين قال عليه السلام في صفته هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله هو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه هو الذي لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به من قال به صدق ومن عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم ولقد انفسح مجال فكر جمع كثير من الصحابة والتابعين الراسخين والفضلاء والمحققين والائمة المتقنين في كل عصر وحين للخوض في تيار بحاره والكشف عن استاره واسراره والفحص عن غرائبه والاطلاع على رغائبه نقلا وعقلا واخذا واجتهادا واقتباسا بحسب مطامح هممهم وتفاوت سوابغ نياتهم وتشعب مسالك اقدامهم وتشتت مساقط اقلامهم فمن بين وجيز ووجيز ومطنب مملول ومن مقتصر على حل الالفاظ ومن ملاحظ مع ذلك حظ المعاني والبيان فهم الحفاظ شكر الله تعالى مساعيهم وصان عن ازراء القوادح مغانيهم ومنهم من اعرض عن التفسير واقبل على التاويل وهو عندكم كون الى الاباطيل ويسكنون على شفا جرف الا باطل الامر عنهم وانه لقليل ومنهم من مرج البحرين وجمع بين الامرين فلله در الطالب باخذ العذب الفرات وترك الملح الاجاج يلتقط الدر الثمين ويسقط النبع والزجاج اذ وفقني الله تعالى لتحريك القلم في اكثر الفنون المنقولة والمعقولة كما اشتهر بحمد الله تعالى ومنه فيما بين اهل الزمان وكان علم التفسير من العلوم بمنزلة الانسان من العين والعين من الانسان وكان قد رزقني الله تعالى في ابان الصبى وعنفوان الشباب حفظ لفظ القرآن وفهم معنى الفرقان وطالما طالبني بعض اجلة الاخوان واعزة الخلان الاخدان ممن كنت مشارا اليه عندهم بالبنان في البيان والله المنان يجازيهم عن حسن ظنونهم ويوفقنا لاسعاف سؤلهم وانجاح مطلوبهم ان اجمع كتابا في علم التفسير مشتملا على المهمات مبنيا على ما وقع الينا من نقل الاثبات واقوال الثقات من الصحابة والتابعين ثم من العلماء الراسخين والفضلاء المحققين المتقدمين والمتاخرين جعل الله تعالى سعيهم مشكورا وعلمهم مبرورا استعفيت بالعجز والقصور وشرعت في القصور معترفا بالعجز والقصور في هذا الفن وفي سائر الفنون لا كمن يابى في شعره مفنون كيف وقد قال عز من قائل وما اوتيتم من العلم الا قليلا ومن اصدق من الله قيلا وكفى بالله وليا وكفى بالله وكيلا ولما كان التفسير الكبير المنسوب الى الامام الافضل والهمام الامثل الحبر النحرير والبحر الغزير الجامع بين المعقول والمنقول الفائق في الفروع والاصول افضل المتاخرين فخر الملة والحق والدين محمد بن عمر بن الحسين الخطيب الرازي تغمده الله برضوانه واسكنه بحبوحة جنانه اسمه مطابق لمسماه وفيه من اللطائف والبحوث ما لا يحصى ومن الزوائد والفتوى ما لا يخفى فانه قد بذل مجهوده ونثل موجوده حتى عسر كتبه على الطالبين واعوز تحصيله على الراغبين ساقني سياق مرامه ووجدت حاصل كلامه وتبويب مسائله قد اقتطعت عقود نظامه من غير اخلال بشيء من الفوائد واهمال لما يعد من اللطائف والعوائد وضممت اليها ما وجدت في الكشاف وفي سائر التفاسير من اللطائف المهمة وما رزقني الله تعالى من البضاعة المزجاة واثبت القراءات العشر والوقوف المعللة ثم التفسير المشتمل على المباحث اللفظيات والمعنويات مع اصلاح ما يجب اصلاحه واتمام ما ينبغي اتمامه من المسائل او في التفسير الكبير والاعتراضات مع كل ما يوجد في الكشاف من المواضع المعضلات سوى الابيات المعقدات فان ذلك يورد ما من طول التصحيح القرائة وغرائب القرآن انما يكون بالامثال والمستشهدات كلا فان القرآن حجة على غيره وليس غيره حجة عليه فلا علينا ان نقتصر في غرائب القرآن على تفسير ما بالالفاظ المشتهرة ثم نطير بعض المجانسات التي تعرف منها اصول الاشتقاقات ونذكر طرفا من الاشارات المقنعات والتاويلات الممكنات والحكايات المبكيات والمواعظ الرادعة عن المنهيات الباعثة على اداء الواجبات والتزمت ايراد لفظ القرآن الكريم اولا مع ترجمة على وجه بديع وطريق منيع يشتمل على ابراز المقدرات واظهار المضمرات وتاويل المتشابهات وتصريح الكنايات وتحقيق المجازات والاستعارات فان هذا النوع من الترجمة مما تتكفله العربية وقد فرق المترجمون مسالك التعرب وقلما يتفطن له الناشئ او يقف على متن اللغة العربية فضلا عن الدخيل القاصر في العلوم الادبية واجتهدت في تسهيل سبيل الرشاد وتمهيد سبل الاجتهاد ووضعت الجميع على طرف الثمام ليكون الكتاب كالبدر في التمام وكالشمس في افادة الخاص والعام من غير تطويل يورث الملال ولا تقصير يوقع في مسالك الضلال بيد نظام الكلام خير الكلام ما قل ودل وحسبك من الزاد ما بلغك المحل والتكلان في الجميع على الرحمن المستعان والتوفيق مسئول من بيده مفاتيح الفضل والاحسان وخزائن البر والامتنان وهذا اوان الشروع في تفسير القرآن ولنقدم امام ذلك مقدمات

المقدمة الاولى

في فضل القراءة والقارئ وآداب القراءة وجواز اختلاف القراءات وذكر القراء المشهورين المعتبرين عن علي بن ابي طالب امير المؤمنين عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن فاستظهره واحل حلاله وحرم حرامه ادخله الله الجنة وشفعه في عشرة من اهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار وعنه ان النبي قال خيركم من تعلم القرآن وعلمه وعن ابن عباس قال قال رجل يا رسول الله اي الاعمال احب الى الله قال الحال المرتحل قال وما الحال المرتحل قال صاحب القرآن يضرب من اول القرآن الى آخره كلما حل ارتحل وفي الصحيحين عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماهر في القرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له اجران وعن ابي هريرة ان رسول الله قال ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله عز وجل ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده وعن سهل بن معاذ الجهني ان رسول الله قال من قرأ القرآن وعمل بما فيه البس والداه تاجا يوم القيامة ضوؤه احسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذي عمل بهذا وفي الصحيحين عن عثمان ان رسول الله قال انما مثل صاحب القرآن

مثل الابل المعقلة ان عاهد عليها امسكها وان اطلقها ذهبت وفيهما عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما اذن الله لشيء ما اذن لنبي يتغنى بالقرآن
وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله قال يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلك عند آخر آية تقرؤها وفي الصحاح
كليهما عن عمر بن الخطاب قال سمعت هشام بن الحكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حيوة رسول الله فاستمعت لقرائته فاذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها
رسول الله فكدت اساوره في الصلوة فتربصت حتى سلم فلببته بردائه فقلت من اقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأها قال اقرأنيها
رسول الله فقلت كذبت فان رسول الله قد اقرأنيها على غير ما قرأت فانطلقت به اقوده الى رسول الله فقلت يا رسول الله اني سمعت هذا
يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها فقال رسول الله ارسله اقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ فقال رسول الله هكذا انزلت
ثم قال النبي اقرأ يا عمر فقرأت القراءة التي اقرأني فقال رسول الله هكذا انزلت ان القرآن انزل على سبعة احرف فاقرؤا ما تيسر منه اذا تقرر ذلك
نذكر في الكتاب من القراءات السبع المنسوبة الى القراء السبعة والاربع المنسوبة الى الائمة المختارين ونريد ان نفصل ههنا اساميهم واسامي رواتهم
ليتبين ما نسب في اثناء التفسير الى كل منهم والله ولي التوفيق ذكر القراء السبعة ونميز نقلتهم من الرواة وطرقهم من الثقات ابو عمرو زبان بن العلاء
البصري قرأ على مجاهد بن جبير وسعيد بن جبير عن ابن عباس عن ابي بن كعب عن رسول الله وتوفي سنة اربع وخمسين ومائة وروايته ثلثة ابو محمد يحيى
بن المبارك اليزيدي روى عنه ابو عمر وحفص بن عمر بن عبد العزيز الدوري طريق ابي الزعراء عبد الرحمن بن عبدوس وابو الفتح عامر بن صالح الموصلي
المقرئ باو ... وطريق ابي قبيصة حاتم بن اسحق الموصلي وابو شعيب صالح بن زياد السوسي طريق ابي الحرث محمد بن احمد الرقي وابو اسحق ابراهيم بن حماد
طريق ابي عيسى موسى بن عبد الله الهاشمي وابو نعيم شجاع بن ابي نصر الخراساني روى عنه ابو جعفر محمد بن غالب طريق ابي علي الحسين بن الحسين
الصواف عباس بن فضل الانصاري روى عنه ابو عمرو محمد بن عمر روى طريق ابي اسحق ابراهيم بن كعب الموصلي وطريق شنبانة بن خليفة
مولى الاصمعي وابو ... طريق ابي اسحق ... عن ابي عمرو ابن كثير وهو ابو محمد عبد الله بن كثير المكي قرأ على مجاهد بن جبير عن ابن عباس عن ابي بن
كعب عن رسول الله وتوفي سنة عشرين ومائة وروايته ابو الحسن احمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن ابي بزة البزي وبينه وبين ابن
كثير رجالان روى عن عكرمة بن سليمان بن كثير عن شبل بن عباد واسمعيل بن عبد الله بن قسطنطين عن ابن كثير وروى عن البزي ابو ربيعة
محمد بن اسحق بن ابراهيم الربعي طريق الزينبي وهو الهاشمي وطريق ابي بكر احمد بن محمد الطرسوسي وطريق ابي القاسم الزينبي وطريق ابي الحسن علي بن ...
القزاز وطريق ابي بكر محمد بن عيسى بن بندار الجصاص وابو علي الحسين بن محمد الحداد طريق الهاشمي عن البزي وعبد الله بن فليح عن رجاله
عن ابن كثير ورجاله عثمان سبعون وداود بن شبل عن اسمعيل عن ابن كثير وعن ابن فليح ابو علي الحداد طريق النقاش وطريق ...
وطريق الخزاعي وطريق ابن شنبوذ وابو الحسن محمد بن عون القواس وبينه وبين ابن كثير اربعة رجال لانه روى عن ابي الاخريط وهب بن واضح
عن اسمعيل بن عبد الله ومعروف بن مشكان وشبل بن عباد عن ابن كثير وعن القواس قنبل طريق الزينبي طريق ابي ربيعة طريق ابن
صالح طريق ابي عون القاضي طريق ابن شنبوذ وطريق ابي القاسم الزينبي نافع ابن نعيم المدني قرأ على ابي جعفر القارئ وعلى سبعين من
التابعين عن ابن عباس وابي هريرة على ابي بن كعب على النبي وتوفي سنة تسع وستين ومائة ورواته ثلثة ... بن صالح عن ابن كثير طريق
عبد الله بن سعود وطريق شعيب بن ... اسمعيل بن جعفر بن كثير الانصاري روى عنه ابو الزعراء وابو بكر بن الحسن علي بن بشار النحوي وابو
جعفر احمد بن فرج الضرير ... عثمان بن سعيد المصري روى عنه محمد بن الرحيم الاصفهاني طريق ابي الحسن محمد بن احمد المروزي
قالون واسمه عيسى بن ميناء النحوي روى عنه ابو علي الحسن بن العباس الرازي طريق ابي بكر احمد بن حماد المقرئ وابو ابراهيم مصعب بن ابراهيم
الزبيري طريق ابي بكر محمد بن عبد الله بن فليح وابو نشيط محمد بن هرون المروزي طريق ابي حسان محمد بن احمد بن الاشعث الجبري وطريق ابي القسم
هبة الله بن جعفر بن محمد بن الهيثم وابو عبد الله محمد بن اسحق البخاري طريق الاسد احمد بن ابراهيم الفقيه وطريق ابي بكر محمد بن احمد بن مرثد
... وابو الحسن احمد بن يزيد الحلواني طريق حسن بن العباس الرازي وطريق ابي عون القاضي عبد الله عامر اليحصبي الشامي قرأ على المغيرة
بن شهاب المخزومي على عثمان بن عفان على رسول الله وتوفي سنة ثمان عشر ومائة وله راويان روى عنه من رجاله ابو محمد عبد الله بن
احمد بن بشير بن ذكوان الدمشقي ورجاله ايوب بن تميم عن يحيى بن الحرث عن ابن عامر روى عنه احمد بن موسى بن العباس بن مجاهد طريق ابي الحسن بن علام
المقرئ وابو بكر محمد بن الحسن النقاش الموصلي المفسر طريق الحسن بن عبد الله ... وابو الحسن محمد بن النضر بن مر بن الحر الربعي المعروف بابن ...
على الاخفش عن ابن ذكوان هشام بن عمار عن رجاله عن ابن عامر ورجاله ايوب بن تميم وسويد بن عبد العزيز عن يحيى بن الحرث روى عنه
... عن الحلواني عن هشام عن طريق احمد بن الحسين بن مهران وابو الحسين احمد بن يزيد الحلواني الصفار طريق ابي الحسن علي بن حماد
الازرق وابو اسحق بن ابراهيم بن يونس الرازي عاصم هو ابن ابي النجود قرأ عاصم على زر بن حبيش على عبد الله بن مسعود على رسول الله
وقرأ ايضا على عبد الرحمن السلمي معلم الحسن والحسين على علي على رسول الله وتوفي سنة ثمان وعشرين ومائة ورواته ... ابو عمرو حفص
بن سليمان بن المغيرة البزاز الاسدي وكان ربيب ابي بكر ... روى عنه ابو محمد هبيرة بن محمد التمار طريق الحسنون بن الهيثم وطريق احمد بن علي الخزاز
وابي حفص عمرو بن الصالح طريق عبد الصمد بن محمد ابو بكر شعبة بن عياش روى عنه عبد الحميد بن صالح البرجمي طريق جعفر بن غالب الشكري

الطواسني

احمد بن محمد

العمري

بصري وابو يوسف يعقوب بن خليفة بن سعد الاعشى وله روايتان روى عنه محمد بن غالب محمد بن حبيب الشموني وحماد بن ابي زياد طريق يحيى بن
محمد العليمي الانصاري ومن المفضل الضبي وروى عنه جبلة بن مالك البكري طريق ابي زيد عمر بن شبة ابو زيد سعيد بن اوس الانصاري طريق محمد بن يحيى
القطعي حمزة بن حبيب الزيات العجلي قرا على سليمان بن مهران الاعمش على يحيى بن وثاب على زر بن حبيش على علي بن ابي طالب وعثمان وابن مسعود على
النبي وتوفي سنة ست وخمسين ومائة وراوياه خلف وخلاد ابو اسحق ابرهيم زاذان طريق ابي المستنير جابر بن عيسى بن سياه الجوهري عبد الرحمن فلوفاه طريق
ابي المستنير ايضا ابو محمد عبد الله بن صالح العجلي طريق ابي اسحق حمدان الطيب بن اسمعيل طريق ابي اسحق ابرهيم بن عبد العزيز المقرى روى نصير عن عبد الله
الاحمر وسليم بن عيسى الحنفي وروى عنه خلاد بن خالد الصيرفي طريق محمد بن شاذان الجوهري وطريق القسم بن يزيد الوزان وابو محمد خلف بن
هشام بن البزاز طريق ابي الحسين ادريس بن عبد الكريم الحداد وابو جعفر محمد بن سعدان النحوي طريق محمد بن سليمان طريق ابي واصل احمد بن واصل
وابو عمر الدوري طريق ابي الزعراء علي بن حمزة الكسائي قرا على حمزة بن حبيب وعلى يحيى وثاب على زر بن حبيش على عثمان وعلي وابن مسعود على النبي
توفي سنة تسع وثمانين ومائة وله ستة رواة ابو عبد الرحمن قتيبة بن مهران الازاذاني روى عنه ابو الفرج محمد بن ابرهيم المقرى طريق ابي الفضل العباس بن
الوليد بن مرداس وابو بكر احمد بن الحسين بن مهران طريق حمدان ابو المنذر نصير بن يوسف النحوي وروى عنه محمد بن ادريس الاشعري المعروف بابي بكر
طريق ابي علي الحسين بن علي بن حماد الازرق ابو عبد الله محمد بن عيسى الاصفهاني طريق ابي علي الحسن بن العباس الرازي وابو جعفر احمد بن رستم
طريق بكار بن احمد المقرى ابو جعفر علي بن ابي نصر النحوي طريق الازرق المذكور وابو الحارث الليث بن خالد طريق ابي عبد الله محمد بن يحيى الكسائي وعن
ابن ميمون الزجاج طريق ابي العباس احمد بن يعقوب ابو حمدان الطيب بن اسمعيل طريق ابي علي الحسن بن الحسين الصواف ابو عمر حفص بن عمر
بن عبد العزيز الدوري روى عنه ابو بكر الحسن علي بن بشار النحوي طريق ابي الفرج محمد بن احمد بن ابرهيم وابو الزعراء طريق ابي بكر بن مجاهد ابو الحسن علي بن
سليم طريق ابي القسم هبة الله بن جعفر وطريق ابرهيم بن احمد الخرقي ابو جعفر احمد بن فرح الضرير طريق ابي بكر النقاش الموصلي ذكر الائمة العشرة وراوتهم
ابو جعفر يزيد بن القعقاع القارى المدني وقار موضع من المدينة وله راويان ابو موسى عيسى بن وردان الحذاء طريق قالون ابن بنت الحلواني
ابو سلم سليمان بن مسلم الجماز الزهري طريق ابي عبد الرحمن قتيبة بن مهران ابو محمد يعقوب بن اسحق الحضرمي توفي في ذي الحجة سنة خمس ومائتين وقرا على ابي
المنذر سلام بن سليمان الطويل على عاصم ابي بكر وعمرو رواته ثلثة روح بن عبد المؤمن طريق احمد بن يحيى العدل ابو بكر محمد بن المتوكل اللؤلؤي الملقب
برويس طريق ابي بكر محمد بن هرون وطريق ابي الحسن محمد بن يعقوب بن مقسم ابو محمد زيد بن احمد بن اسحق طريق المعدل وطريق محمد بن هرون
ابو محمد خلف بن هشام بن طالب بن غراب البزاز طريق ابي الحسن ادريس بن عبد الكريم ونقله ابو بكر محمد بن يعقوب بن مقسم العطار وقرا خلف على سليم على حمزة
ابو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني طريق ابي علي الحسن بن تميم وطريق ابي بكر محمد بن الحسين دريد طريق مسيح بن حاتم وقرا سهل على يعقوب بن ابي يوب بن المتوكل
فهذا هو المعول عليه من القراآت واما الشواذ فلا نتعرض منها الا لما فيه نكتة او غرابة وذلك في اثناء التفسير في خلال القراآت والله اعلم بالصواب المقدمة الثانية في

الاستعاذة المندوب اليها في قوله عز من قائل فاذا قرات القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم قرا ابو عمرو ويعقوب وابن كثير غير الهاشمي وعاصم غير
هبيرة اعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم قرا ابو جعفر ونافع وابن عامر وحمزة وعلي الكسائي وخلف اعوذ بالله من الشيطان الرجيم
ان الله هو السميع العليم وقد يروى عن حمزة استعيذ بالله ونستعيذ بالله وعن اويس وعن سهل اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بسم الله
الرحمن الرحيم ومنشا هذه الاختلافات انه جاء في سورة النحل فاذا قرات القرآن الاية وفي حم السجدة فاستعذ بالله انه هو السميع العليم وروى جبير بن
مطعم ان النبي حين افتتح الصلوة قال الله اكبر كبيرا ثلث مرات والحمد لله كثيرا ثلث مرات وسبحان الله بكرة واصيلا ثلث مرات ثم قال اعوذ بالله من الشيطان
الرجيم من همزه ونفخه ونفثه وروى البيهقي في كتاب السنن عن ابي سعيد الخدري انه قال كان رسول الله اذا قام من الليل كبر ثلثا وقال اعوذ بالله السميع
العليم من الشيطان الرجيم وروى الضحاك عن ابن عباس ان اول ما نزل جبرئيل على محمد قال قل يا محمد استعيذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قال قل
بسم الله الرحمن الرحيم اقرا باسم ربك الذي خلق ثم في المقدمة مسائل الاولى الاكثرون على ان وقت الاستعاذة قبل القراءة والمراد من قوله فاذا
قرات اذا اردت قراءة القرآن كما في قوله اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا المراد اذا اردتم القيام الى الصلوة والاخبار المذكورة ايضا تؤيد ذلك وعن النخعي
وقد يروى عن حمزة وابن سيرين ايضا ان وقتها بعد القراءة نظرا الى ظاهر اللفظ ولانه قد يدخل المرء اعجاب بسبب القراءة من حيث انها طاعة موجبة للثواب
فيناسب ان يستعيذ من ذلك الثانية الاكثرون على ان الاستعاذة مندوبة لان النبي لم يعلم الاعرابي الاستعاذة في جملة اعمال الصلوة وقد تقرر ان الخبر
مشتمل على بيان جملة واجبات الصلوة فلا يلزم من عدم ذكر الاستعاذة فيه عدم وجوبها وعن عطاء ان الاستعاذة واجبة في كل قراءة في الصلوة وغيرها
لان النبي واظب عليها وقال الله فاتبعوه ولان الامر في فاستعذ للوجوب فانما تجب عند كل قراءة لانه قال فاذا قرات فاستعذ ذكر الحكم عقيب الوصف
المناسب يدل على التعليل والحكم يتكرر بتكرر العلة ولان الاستعاذة لدفع شر الشيطان ودفعه واجب والا يتم الواجب الا به فهو واجب وعن ابن سيرين وجوبها
في العمر مرة واحدة وعن مالك انه لا يتعوذ في المكتوبة الا في قيام رمضان ثم المستحب فيها الاسرار في الصلوة وان كانت جهرية الحاقا لها بما قبلها من الذكر
وهو دعاء الاستفتاح ولان الجهر كيفية وجودية والاخفاء عبارة عن عدم تلك الكيفية والاصل هو العدم واما انه تجب في كل ركعة لما مر من ان الحكم
يتكرر بتكرر العلة ولكنها الركعة الاولى اكد واعلم ان الكلام في معنى قول القائل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم يتعلق بخمسة اركان الاستعاذة والمستعيذ والمستعاذ

المقدمة الثانية

السميع العليم

بيان المستعاذ منه وما لاجله الاستعاذة فههنا اربعة ابحاث البحث الاول معنى العوذ الالتجاء او الالتصاق قال ابو بكر الطيب اللحم عوذة وهو ما التصق من العظام اي التجئ الى رحمة الله والتصق بفضله والباء في بالله للالتصاق كانه من الشيطان للالتجاء لانه ابتداء بالتبري من الشيطان والتصق برحمة الله تعالى واعانته والاستعاذة لا تتم الا بان يعلم العبد كونه عاجزا عن جلب المنافع الدينية والدنيا وعن دفع المضار العاجلة والآجلة وان الله تعالى قادر على ايصال المنافع ودفع المضار ولا قدرة على ذلك لاحد سواه فحينئذ يتولد عن هذا العلم في القلب حالة هي انكسار وخضوع ويحصل منها في القلب ان يصير العبد مريدا لان يصونه الله تعالى من الآفات ويفيض عليه الخيرات ثم يصير بلسانه طالبا لذلك فيقول اعوذ بالله فالركن الاعظم في الاستعاذة هو ان يعلم العبد ان الله تعالى عالم بكل المعلومات والا جاز ان لا يعلم حاله فيضيع الاستعاذة عبثا وان يعلم انه قادر على جميع الممكنات والا فربما كان عاجزا عن تحصيل مراد العبد وان يعلم انه جواد مطلق والا جاز ان يبخل بمقصوده وان يعلم انه لا يقدر احد سوى الله على تحصيل مراده والا لم يكن صادق الرغبة في الاستعاذة والحاصل ان العبد ما لم يعرف عزة الربوبية وذلة العبودية لا يصح منه الاستعاذة ومما يدل على ان الانسان عاجز ان بعض الاكياس ربما يتوقف في شبهة واحدة طول عمره ولا ينكشف له الا انه يجيء بعده من يحلها ولهذا وقع الاختلاف في الاديان والمذاهب ولولا اعانة الله تعالى وارشاده لم يتخلص سفينة فكره من امواج الضلالات وان فيه كل احد يريد ان يحصل له الدين الحق ولا يرضى لنفسه الجهل والكفر وكم من ضل مبتلا في الدنيا فلا خلاص من ظلمات الشبهات الا باعانته ولا يقع الحد الاوسط للمطالب في الذهن الا بهداية من بيده مفاتيح الخزائن وايضا البدن يشبه الجحيم وعليها تسعة عشر من الزبانية وهي الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة والقوى الطبيعية السبع والشهوة والغضب فان تدبر في كل منها بحسب الشخص للعدد ويحصل من كل منها اثر في القلب يجره من اوج عالم الروحانيات الى حضيض الجسمانيات فلا خلاص للقلب عن هذه الظلمات الا بنور الله تعالى وايضا كما انه لا نهاية لمراتب الكمالات فلا نهاية لدرجات الحرص على اللذات الحسيات والخيالات وكما انه لا يمكن تحصيل الكمالات التي لا نهاية لها كذلك لا يمكن ازالة مرض الحرص على اللذات فيجب الرجوع الى واهب السعادات الحقيقيات وفي بعض الكتب الالهية قال الله تعالى وعزتي وجلالي لاقطعن امل من يؤمل غيري باليأس ولالبسنه ثوب المذلة عند الناس ولاجنبنه من قربي ولابعدنه من وصلي ولاجعلنه متفكرا حيران يؤمل غيري في الشدائد والشدائد بيدي وانا الحي القيوم ويطرق بالفكر ابواب غيري وبيدي مفاتيح الابواب وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني ثم الكلام في صحة الاستعاذة كالكلام في سائر العبادات التي جعلها الله تعالى سببا وواسطة لحصول الكمالات العاجلة والآجلة للعبد وذلك لانه تعالى فعال لما يريد فله ان يفعل ما يشاء ولا اعتراض لاحد من خلقه عليه في افعاله وعلى النظام الذي اخترعه الكل منه وبه واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه فاذا امرنا بالاستعاذة فاستعذ لانه جعلها سببا لدفع الوساوس والهواجس كما انه جعل الاكل والشرب سببا لدفع الجوع والعطش فانت تأكل وتشرب ولا تقول ما الفائدة في الاكل والشرب ان كان الاشباع والارواء من الله تعالى وان كان بقدرة الله تعالى وبهذا التحقيق يسقط الاعتراضات المشهورة للجبرية والمعتزلة لانها تحوم حول ما اشرنا اليه ولا ينبئك على سر الاستعاذة مثل قوله صلى الله عليه وسلم اعوذ برضاك من سخطك واعوذ بمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك

البحث الثاني المستعيذ ليس شخصا معينا بل كل مخلوق مفتقر الى الاستعاذة قال نوح رب اني اعوذ بك ان اسألك ما ليس لي به علم فاعطى السلام والبركات في قوله يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وقال يوسف معاذ الله انه ربي احسن مثواي فعصم عن السوء والفحشاء وقال موسى اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب فغرق الله تعالى عدوه واورثهم ديارهم واموالهم وقالت امرأة عمران اني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وقد امر نبينا وقال تعالى قل اعوذ برب الناس قل اعوذ من شر النفاثات في العقد من شر الوسواس الخناس البحث الثالث المستعاذ به اما هو الله او كلمات الله كما جاء في الاخبار اعوذ بكلمات الله التامة اما البحث عن اسم الله فيجيء في تفسير البسملة واما كلمات الله فالمراد بها الصفات الصادرة منه تعالى بلا كون من غير مادة ومدة وكان الارواح البشرية تستعيذ وتستعين بالارواح العلوية المقدسة في دفع شرور الارواح الخبيثة فالمراد من الاستعاذة بالكلمات اذا كان مقتصرا في نظره الى الالتفات الى ما سوى الله تعالى واما اذا تفاصل في بحر التوحيد لم يستعذ الا بالله كما قال اعوذ بك منك اذ افنى عن نفسه وعن ابيهم عرفان نفسه قال انت كما اثنيت على نفسك

البحث الرابع المستعاذ منه الشيطان وما لاجله الاستعاذة دفع شره فنقول ما اشتقاقه من شطن ويقال شطن الدار اي بعدت والشيطان بعيد عن السداد والرشاد وقد سمي كل متمرد من انس او دابة شيطانا قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن وركب عمر برذونا فطفق يتبختر به فجعل يضربه ولا يزداد الا تبخترا فنزل عنه فقال ما حملتموني الا على شيطان هذا الحد قول سيبويه وجعل النون اصلية ووزنه فيعال وعند سيبويه في موضع اخر النون زائدة وجعل فعلان من شاط يشيط اذا بطل لما كان كل متمرد كالباطل في نفسه لانه مبطل لوجوه مصالح نفسه سمي شيطانا والرجيم معناه المرجوم كاللعين بمعنى الملعون والمعنى المرجوم اما الملعون من قبل الله تعالى واما لانه تقام الملائكة ترمي الشياطين بالشهب الثواقب ثم وصف بذلك كل شرير متمرد واما من ضم الى الاستعاذة قوله انه هو السميع العليم فيحتج بذلك بعد الاقتداء بما ورد في القرآن ان العبد كانه يقول يا من يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم انت تسمع وسوسة الشيطان وتعلم غرضه منها وانت القادر على دفعها عني فادفعها عني بفضلك ثم للتكلم في الجن والشياطين نقول من الناس من انكرهم لوجوه الاول لو كان موجودا فان كان جسما كثيفا لوجب ان يراه كل من كان سليم الحس لكنا لا نراه وان كان لطيفا لزم ان يتمزق ويتفرق عند هبوب الرياح العاصفة ولزم ايضا ان لا يقدر على الاعمال الشاقة التي ينسبها اليه المثبتون وايضا انه لا يجوز ان يكون جرم

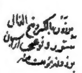

بجر او بتقدير ان يكون جسما كثيفا فلم لا يجوز ان يصرف الله تعالى عنا ابصار الانسان لحكمة في ذلك كما قال عز من قائل انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم وعلى تقدير كونه جسما لطيفا فلم لا يجوز ان يكون تركيبه محكما كالافلاك الوجه الثاني قالوا الظاهر الغالب انهم لو كانوا في العالم لخالطوا الناس ولحصل منهم العداوة والصداقة وليس كذلك واهل التنجيم اذا تابوا من صنعتهم يكذبون انفسهم فيما ينسبون الى الجن الجواب ان في هذا الوجه لا يخفى ثبوت الاختلاط والعداوة ومنهم بالنسبة الى كثير قال عز من قائل واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن ثم يعمل بين يديه يا معشر الجن والانس وقال ان بالمدينة جنا قد اسلموا ان الشيطان قد يجري من ابن ادم مجرى الدم ما منكم احد الا وله شيطان قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان الله اعانني عليه فاسلم الوجه الثالث قالوا ان اخبار الانبياء عنهم لا يفيد اثباتهم اذ على تقدير ثبوتهم يجوز ان يقال كل ما اتى به الانبياء فانما حصل باعانة الجن فمن الجائز ان حنين الجذع كان بسبب نفوذ الجن في الجذع وكل فرع ادى الى ابطال الاصل فهو باطل والجواب ان الدليل الدال على صحة نبوة الانبياء كما يجيء يدل على صدق اخبارهم ومن جملة ما اخبروا عنه وجود الجن والشياطين فصح وجودهم واعلم ان كثيرا من الناس اثبتوا موجودات لا متحيزة ولا حالة في المتحيز وزعموا انها مجردات عن شوائب الجسمانيات وهم الملائكة المقربون الذين لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون ويليها مرتبة الارواح المتعلقة بتدبير الاجسام واشرفها حملة العرش ثم الحافون من حول العرش ثم ملائكة الكرسي ثم ملائكة السموات طبقة طبقة ثم ملائكة كرة الاثير ثم ملائكة كرة النسيم ثم ملائكة كرة الزمهرير ثم الملائكة المسلطة على الجبال ثم مرتبة الارواح السفلية المتصرفة في هذه الاجسام النباتية والحيوانية وهذه الارواح قد يكون مشرقة خيرة وهم من قبيل الملائكة وقد يكون مظلمة شريرة وهم شياطين الانس والجن ولفظ الجن ماخوذ من الاستتار عن العيون ومنه المجنون لاستتار عقله والجنة لكونها ساترة للانسان وطوائف المكلفين اربعة الملائكة والانس والجن والشياطين والاختلاف بين الجن والشياطين قيل بالذات كما بين الانسان والفرس وقيل بالعوارض فالجن خيارهم والشياطين اشرارهم والمشهور ان الجن لهم قدرة على النفوذ في بواطن البشر لانهم لو كانوا مجردين فلا استبعاد في كونهم متصرفين في باطن الانسان وان كانوا اجساما لطيفة فكذلك لا يبعد نفوذهم في باطن الادمي كيف وقد ورد في القران لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس وفي الحديث ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم ولا خلاف في ان الملائكة لا ياكلون ولا يشربون ولا ينكحون يسبحون الليل والنهار لا يفترون واما الجن والشياطين فخلاف في ذلك قال عليه السلام في العظم انه زاد اخوانكم من الجن وفي القران افتتخذونه وذريته اولياء من دوني واما كيفية الوسوسة فيروى ان عيسى عليه السلام دعا ربه ان يريه موضع الشيطان من بني ادم فاراه ذلك فاذا راسه مثل راس الحية واضع راسه على ثمرة القلب فاذا ذكر العبد ربه خنس واذا لم يذكره وضع راسه على حبة قلبه قال عليه السلام لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني ادم لنظروا الى ملكوت السموات وقال ايضا ان للشيطان لمة بابن ادم وللملك لمة فاما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق واما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرا الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والاية ومن الخواطر ما هو الاصل للسعادة ومنها ما هو اصل الشقاوة وسبب تشتيت محض الخواطر وصولها الى العبد بعد اشياء اما ضعف اليقين او قلة العلم بصفات النفس واخلاقها او متابعة الهوى بخرم قواعد التقوى او محبة الدنيا وجاهها ومالها فمن عصم من هذه الاربعة يفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ومن ابتلي بها فلا و اتفق المحققون على ان من كان اكله من الحرام لا يفرق بين الالهام والوسوسة وفرق ما بين هواجس النفس ووسوسة الشيطان بان النفس تطالب وتلح فلا تزال كذلك حتى تصل الى مرادها والشيطان اذا دعا الى زلة ولم يجب يوسوس باخرى اذ لا مراد له الا الاغواء كيف امكن وحقيقة الوسوسة راجعة الى ان الانسان بينا هو ذاهل عن الشيء اذ تذكر الشيطان ذلك فيحدث شوقا وميلا يترتب الفعل على حصول ذلك الميل فكان الداعي الى الشيطان من خارج ليس الا ذلك التذكر واليه الاشارة في القران حكاية عن ابليس وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي ولا يبعد ان يلقى هذا التذكير وانما يقدم الشيطان على ذلك لعلمه بما فيه من وقوع ... الا والحكمة فيه الله تعالى والمقصود من الاستعاذة لا ينحصر في دفع وسوسة الشيطان الا ان ذلك معظم المقاصد فلذا خص بالذكر في القران ولو نوى المستعيذ دفع جميع المضار الدنيوية والاخروية فلا ضير نكتة في الاستعاذة الاولى اعوذ بالله عروج من الخلق الى الحق ومن الممكن الى الواجب الثابت وبالله اشارة الى المعبود القادر على تحصيل كل الخيرات ودفع كل الافات فمن عرف نفسه بالنقصان عرف ان الله سبحانه قادر على كل مقدور ومن عرف نفسه باختلال الحال عرف ربه بالجلال والكمال ومن عرف نفسه بالامكان عرف ربه بالوجوب الثانية سر الالتجاء الى الله ليدفع عنك الافات وقراءة القران من اعظم الطاعات فلذلك جاء من شغله قراءة القران عن مسئلتي اعطيته فضل ما اعطي السائلين فلهذا خصت الاستعاذة بالقراءة الثالثة عند القراءة يفر من العدو ويقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وبعد الاستقرار في حضرة الملك الجبار يقول بسم الله الرحمن الرحيم الرابعة الاستعاذة تطهير اللسان عما يجري عليه من ذكر غير الله واذا حصل الطهور استعد للصلوة الحقيقية وهي ذكر الله فيقول بسم الله الخامسة الخلق مامور بمحاربة العدو الظاهر قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ومحاربة العدو الباطن ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فاذا حارب العدو الظاهر كان مدده الملك يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين واذا حارب العدو الباطن كان مدده الملك ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ومحاربة العدو الباطن اولى لان العدو الظاهر ... الدين واليقين كما جودين وان غلب العدو الباطن كنا مفتونين ومن قتله العدو الظاهر كان شهيدا ومن قتله العدو الباطن كان طريدا فلا خلاص من شره الا بان يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم

الثاني عشر قول الله تعالى يا عبدي قلبك بستاني وجنتي بستانك فلما لم تبخل علي ببستانك بل انزلت معرفتي فيه لم ابخل عليك ببستاني وانزلتك فيها
فيها الطيبة وهي ان الله تعالى كأنه يقول للعبد انت الذي انزلت سلطان المعرفة في حجرة قلبك ومن اراد ان ينزل سلطانا في حجرة نفسه يجب عليه كنس الحجرة
وتنظيفها فنظف حجرة قلبك من لوث الوسوسة بقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم السابع عشر قسم في حق ابويك انه لمن الناصحين فدلّيهما بغرور
واقسم في حقك لاغوينهم اجمعين فما ظنك بعاقبة معاملته معك فقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم الثامن عشر انما اختص اسم الله للاستعاذة من بين
سائر الاسماء لان العبد كلما كان اشد احتياجا كان اكثر والاسم الجامع لجميع الصفات الكاملة انما هو الله وكان العبد قال اعوذ بالقادر العالم الحكيم
الذي يجب ان ينجي من المكروهات من الشيطان الرجيم التاسع عشر الشيطان اسم والرجيم صفة له ثم انه تعالى لم يقتصر على الاسم بل ذكر صفته تنبيها للعبد ان
الشيطان بقي في الخدمة الوفا من السنين ثم لم يبق على ضررنا ومع ذلك رجمناه وطردناه وانت لو صاحبت الشيطان لحظة ان تحل الخلد
في النار فكيف لا تشتغل بطرده فقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم العشرون يقول الله تعالى عبدي انه يراك وانت لا تراه فينفذ كيده فيك فتمسك
بمن يرى الشيطان ولا يراه الشيطان وقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم الحادي والعشرون الالف واللام في الشيطان للجنس لتفيد الاستعاذة من فرد المعنى
مطلق الجنس من جنيا او غير مرئي او لو جعل للعهد لجاز ويدخل فيه ذريته وقبيلته الثاني والعشرون الشيطان بعيد وانت قريب ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وكما
ان الشيطان لا يجعله الله قريبا لقوله تعالى ولن تجد لسنته تبديلا فاعرف انه لا يجعلك الله تعالى بعيدا حيث جعلك قريبا الثالث والعشرون
الشيطان رجيم وان الله رحمن رحيم فاحذر من الشيطان الرجيم لتصل الى الرحمن الرحيم الرابع والعشرون الشيطان عدو وغائب انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم
والله تعالى حبيب غائب والله غالب على امره فاذا قصد العدو الغائب فافزع الى الحبيب الغالب المقدمة الثالثة في مسائل منها المسألة الاولى القراءات
السبع متواترة لا بمعنى ان سبب تواترها اطباق القراء السبعة عليها بل بمعنى ان سبب التواتر القسمة الحاصلة المتفق على غيرهم كثبوتها بالنسبة الى كل من يختلف
في قراءته ولا مدخل للقارئ في ذلك الا من حيث ان مباشرته لقراءته اكثر من مباشرته لغيرها فخصت نسبتها اليه وانما قلنا ان القراءات متواترة لانه لو لم يكن كذلك
لكان بعض القرآن غير متواتر كملك ومالك ونحوهما اذ لا سبيل الى كون كليهما غير متواتر فان احدهما قرآن بالاتفاق وتخصيص احدهما انه
متواتر دون الاخر تحكم باطل لاستوائهما في النقل فلا اولوية فكلاهما متواتر وانما يثبت التواتر فيما ليس من قبيل الاداء كالمد والامالة وتخفيف
الهمزة ونحوها الثانية اتفقوا على انه لا يجوز القراءة في الصلوة بالوجوه الشاذة لان الدليل ينفي جواز القراءة بها مطلقا لانها لو كانت من القرآن
لبلغت في الشهرة الى حد المتواتر عدلنا عن الدليل في جواز القراءة خارج الصلوة للاحتمال فوجب ان يبقى قراءتها في الصلوة على اصل المنع
الثالثة السبعة الاحرف التي نزل بها القرآن في قوله ان هذا القرآن انزل على سبعة احرف لكل اية منها ظهر وبطن ولكل حد مطلع عند اكثر العلماء
انها سبع لغات من لغات قريش لا يختلف ولا يتضاد بل هي متفقة المعنى وغير جائز عندهم ان يكون في القرآن لغة لا يعرفها قريش لقوله تعالى وما
ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم وذلك ان قريشا جاوروا البيت وكان احياء العرب يأتون اليهم للحج ويسمعون لغاتهم ويختارون من كل
لغة احسنها واصفاه كلامهم واجتمع لهم مع ذلك العلم بلغة غيرهم ومما يدل على ان سبعة الاحرف هي سبع لغات متفقة المعنى ما روي عن ابن سيرين ان ابن
مسعود قال انزل القرآن على سبعة احرف وهو كقول احدكم هلم وتعال واقبل وقال بعضهم انها سبع قبائل من العرب في بني قيس وتميم وهذيل واسد
وخزاعة وكنانة لمجاورتهم قريشا وقيل سبع لغات من اي لغة كانت من لغات العرب مختلفة الالفاظ متفقة المعاني لقوله انه قد سمع ان اقرأ
كل قوم بلغتهم وقيل معناه ان يقول في صفات الرب تبارك وتعالى مكان قوله غفورا رحيما عزيزا حكيما سميعا بصيرا لما روي انه قال اقرؤا
القرآن على سبعة احرف ما لم يختم مغفرة بعذاب او عذابا بمغفرة او جنة بنار او نارا بجنة وقيل ان لفظ السبعة في الخبر جاء على جهة التمثيل لا انه
في كلمة اكثر من سبع قراءات جاز ان يقرأ بها وعن مالك بن انس انه كان يذهب في معنى السبعة الاحرف الى انها كالجمع والتوحيد في مثل وتمت كلمت ربك
وكالتذكير والتانيث في مثل لا يقبل ولا تقبل وكوجوه الاعراب في مثل هل من خالق غير الله وغير الله وكوجوه التصريف في مثل يعرشون ويعرشون وكاختلاف
الادوات في مثل ولكن الشياطين ولكن الشياطين بالتشديد ونصب ما بعدها وبالتخفيف والرفع وكاختلاف اللفظ في الحروف نحو تعلمون بالتاء والياء وننشرها بالراء
والزاء وكالتخفيف والتفخيم والامالة والمد والقصر والهمز وتركه والاظهار والادغام ونحوها وذهب جماعة الى حملها على المعاني والاحكام التي ينتظمها القرآن
دون الالفاظ من حلال وحرام ووعد ووعيد وامر ونهي ومواعظ وامثال واحتجاج وغير ذلك واستبعده المحققون من قبل ان الاخبار الواردة في
خاصة الشفاه في القراءة تدل على ان الاختلاف كان في اللفظ دون المعنى قال بعض العلماء ان تدبرت الوجوه التي منها لغات العرب وجدتها
على سبعة انحاء لا يزيد ولا ينقص وبجميع ذلك نزل القرآن الوجه الاول ابدال لفظ بلفظ كالحوت بالسمك وبالعكس وكالعهن المنفوش قرأها
ابن مسعود كالصوف المنفوش الثاني ابدال حرف بحرف كالتابوت والتابوه الثالث تقديم وتأخير اما في الكلمة نحو سلب زيد ثوبه وسلب ثوب زيد واما
في الحروف نحو افلم يايئس الذين وافلم يأيس الرابع زيادة حرف او نقصانه نحو ماليه وسلطانيه فلا تك في مرية الخامس اختلاف حركات البناء نحو تحسبن
بفتح السين وكسرها السادس اختلاف الاعراب نحو ما هذا بشرا وقرأ ابن مسعود بالرفع السابع التفخيم والامالة وهذا اختلاف في اللحن والتزيين
لا في نفس اللغة والتفخيم اعلى واشهر عند فصحاء العرب فهذه الوجوه السبعة التي بها اختلفت لغات العرب قد انزل الله باختلافها القرآن
متفرقا فيه ليعلم بذلك ان من زل عن ظاهر التلاوة بمثله او من تعذر عليه ترك عادة فخرج الى نحو مما قد نزل به فليس بملوم ولا معاقب عليه وكل

المقدمة الثالثة

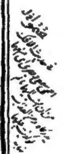

هذا

هذا فيما اذا لم يختلف فيه المعنى فان قيل فما قولكم في القراءات التي يختلف بها المعنى قلنا انها صحيحة منزلة من عند الله لكنها خارجة من هذه السبعة الاحرف ليس يجوز ان يكون فيما انزل الله من الالفاظ الذي يختلف معانيها ما يجري اختلافها مجرى التضاد والتناقض لكن مجرى التغاير الذي لا تضاد فيه ثم انها تنقسم على وجوه فمنها ان يختلف بها الحكم الشرعي على المبادلة بمنزلة قوله وارجلكم بالجر والنصب جميعا واحدى القراءتين تقتضي فرض المسح والاخرى فرض الغسل وقد بينهما رسول الله فجعل المسح للابس الخف وقته والغسل للحاسر الرجل وهذا القسم هو الذي لا يجوز القراءة الا بما تواتر نقله وثبت من الشارع بيانه ليس بعذر من لم في مثله عما هو المنزل حتى يرجع الى الصواب ويرجع الى الاستغفار وقد يكون ما يختلف الحكم فيه على غير المبادلة لكن على الجمع بين الامرين بمنزلة ولا تقربوهن حتى يطهرن مشددا ومخففا من التطهير فان القراءتين ههنا تقتضيان حكمين مختلفين يلزم الجمع بينهما وذلك ان الحائض لا يقربها زوجها حتى تطهر بانقطاع حيضها وحتى تطهر بالاغتسال ولا يجوز القراءة في مثل هذا الا بالنقل الظاهر ومن لم في مثله الى ما يقتضي امرا وقد علم ثبوته ولم يقرأ به يلزم فيه حرج كقوله تعالى ولا تقربوا الزنا لو صحف احد فقرأ والربا بالراء والباء من الربا في المال فانه منهي عنه كالزنا فان كان عمدا له عن التلاوة على سبيل التعمد فهو ملوم على ذلك واما التضاد والتناقض فغير موجود في كتاب الله والنسخ ليس من هذا القبيل لان اتحاد الزمان شرط التناقض وعند ورود الناسخ ينتهي المنسوخ ويتبين ان في علم الله حكم المنسوخ كان مؤجلا الى ورود الناسخ والله اعلم وقوله لكل اية ظهر وبطن اي ظاهر وباطن فالظاهر ما يعرفه العلماء والباطن ما يخفى عليهم فمقول في ذلك كما امرنا ونكل علمه الى الله تعالى وقيل الظهر هو ان يؤمن بها ظاهرا كما يؤمن بها باطنا وقوله ولكل حد مطلع اي لكل طرف من حدود الله التي يوقف عندها التلاوة لا يتعداها وذكر من امر او نهي او وعد او وعيد مصعد موضع يطلع منه يفهم كما هو ومقدار من الثواب والعقاب يعاينه في الاخرة ويطلع عليه كما قال عمر لو ان لي ما في الارض من صفراء وبيضاء لافتديت به من هول المطلع يعني ما يشرف عليه من امر الله بعد الموت

المقدمة الرابعة في كيفية جمع القرآن روي عن زيد بن ثابت انه قال ارسل الي ابو بكر مقتل اهل اليمامة واذا عنده عمر فقال ابو بكر ان عمر اتاني فقال ان القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن واني اخشى ان يستحر القتل بالقراء في المواطن كلها فيذهب قرآن كثير واني ارى ان تامر بجمع القرآن قال فقلت كيف افعل شيئا لم يفعله رسول الله فقال هو والله خير فلم يزل عمر يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدري ورايت فيه الذي راى عمر قال زيد بن ثابت قال ابو بكر انك رجل شاب عاقل لا نتهمك قد كنت تكتب الوحي لرسول الله فتتبع القرآن فاجمعه فتتبعت القرآن اجمعه من الرقاع والعسب واللخاف ومن صدور الرجال وكانت الصحف عند ابي بكر حتى مات ثم كانت عند عمر حتى مات ثم كانت عند حفصة ثم ارسل عثمان الى حفصة ان ارسلي الينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها اليك فارسلت الى عثمان فارسل عثمان الى زيد بن ثابت والى عبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فامرهم ان ينسخوا الصحف في المصاحف ثم قال للرهط القرشيين الثلاثة ما اختلفتم فيه انتم وزيد فاكتبوه بلسان قريش فانه نزل بلسانهم قال ففعلوا حتى اذا نسخوا الصحف في المصاحف بعث عثمان في كل افق بمصحف من تلك المصاحف وامر بما سوى ذلك من القرآن ان يحرق او يخرق قال زيد بن ثابت فرايت اصحاب محمد يقولون احسن والله عثمان احسن والله عثمان وقال علي لو وليت لعملت في المصاحف الذي عمل عثمان الا ان عبد الله بن مسعود كره ان ولي زيد بن ثابت نسخ المصاحف فقال يا معشر المسلمين اعزل عن نسخ كتاب الله ويتولاها رجل والله لقد اسلمت وانه لفي صلب رجل كافر يريد زيدا فكان اول من امر بجمع القرآن في المصحف ابو بكر مخافة ان يضيع منه شيء غير انه لم يجمع الناس عليه لان الناس يقرؤون بقراءات مختلفة على سبيل ما اقرأهم رسول الله واضحا الى وقت عثمان ثم ان عثمان جمع الناس على مصحف واحد على حرف واحد ولذلك نسب المصحف اليه وجعل ذلك اماما واعلموا ان القرآن كان مجموعا على عهد رسول الله فانه ما انزلت اية الا وقد امر رسول الله من كان يكتب له ان يضعها في موضع كذا من سورة كذا ولا نزلت سورة الا وقد امر رسول الله الكاتب ان يضعها بجنب سورة كذا روي عن ابن عباس قال كان رسول الله اذا انزلت عليه سورة دعا بعض من يكتب فقال ضعوا هذه السورة في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا وعن انس قال جمع القرآن على عهد رسول الله اربعة من الانصار ابي بن كعب ومعاذ بن جبل وابو زيد وزيد قيل لانس من ابو زيد قال احد عمومتي غير انهم لم يكونوا قد جمعوا الايات فيما بين الدفتين ولم يلزموا القراءة توالي سورها وذلك ان الواحد منهم اذا حفظ سورة انزلت على رسول الله او كتبها ثم خرج في سرية ثم نزلت في وقت مغيبه سورة فانه كان اذا رجع ياخذ في حفظ ما ينزل بعد رجوعه وكتابته ويتتبع ما فاته على حسب ما يتسهل له فيقع فيما يكتبه تقديم وتاخير من هذا الوجه وقد كان منهم من يعتمد على حفظه فلا يكتبه على ما كان من عادة العرب في حفظ انسابها واشعارها من غير كتابة ومنهم من كان يكتبها في مواضع مختلفة من قرطاس وكتف وعسيب ثقة منهم بما كانوا يعهدونه من جد المسلمين في حفظ القرآن فلا يرون باكثرهم حاجة الى مصحف ينظر فيه فلما ان مضى رسول الله لسبيله وتجند المهاجرون والانصار للجهاد وتفرقوا في اقطار الدنيا واستحر القتل في بعضهم كان يخشى حينئذ ان يتطرق اليه الضياع فامروا بجمعه في المصحف

المقدمة الخامسة في معاني المصحف والكتاب والقرآن والسورة والاية والكلمة والحروف وغير ذلك المصحف مفعل من اصحف اي جمع فيه الصحف والصحيفة قطعة من جلد او ورق يكتب فيه وقد سمي مصحفا لكونه مجموعا وروي ان ابا بكر الصديق استشار الناس بعد جمع القرآن في اسمه فسماه مصحفا والكتاب معناه ضم الحروف الدالة على معنى بعضها الى بعض لانه مصدر كتب اي جمع قال الله تعالى اولئك كتب في قلوبهم الايمان اي جمع حتى امنوا بجميع ما يجب عليهم فالكتاب فعل الكاتب ولكنه قد يسمى الشيء باسم الفاعل نحو هذا الدرهم ضرب الامير وهذا خلق الله والقرآن اسم للكتاب المنزل على نبينا محمد كما ان التوراة اسم للكتاب المنزل على موسى والانجيل المنزل

المقدمة الرابعة

ذكر في حاشية: ...

المقدمة الخامسة

على عيسى والزبور المنزل على داود عم والقرآن بهمزة ولا همزة وهو الاكثر وزنه فعلان مثل قربان والتركيب يدل على الجمع والضم ومنه القرء
للطهر والحيض لاجتماع الدم في ذلك الوقت ومنه قولهم قرأت الماء في الحوض فالقرآن نزل شيئا بعد شيء فلما جمع بعضه الى بعض سمي قرآنا وقيل سمي
قرآنا لانه جمع السور وضمها قال تعالى ان علينا جمعه وقرآنه اي تأليفه وضم بعضه الى بعض وقولك قرأت معناه جمعت الحروف بعضها الى بعض
ويعلم منه القرآن وهو قراءة اهل مكة فاما على تخفيف الهمزة واصله كما مر واما انه نون فقال من قرنت والنون لام الكلمة سمي بذلك لانه قرن
السور وما فيها بعضها الى بعض وقيل ان القرآن اسم موضوع على فعال من غير اشتقاق كالتورية والانجيل ويسمى القرآن فرقانا لانه يفرق بين الحق
والباطل والمؤمن والكافر والحلال والحرام واما السورة من القرآن فانها تهمز ولا تهمز والاكثر عليه لغة القراءة والسورة اسم لآي جمعت وقرنت
بعضها الى بعض حتى تمت وكملت بلغت في الطول المقدار الذي اراده الله تعالى ثم فصل بينها وبين سورة اخرى ببسم الله الرحمن الرحيم ولا تكون
السورة الا معروفة المبتدأ معلومة المنتهى وقيل اشتقاقها من سور البناء والمدينة لان السور يوضع بعضه فوق بعض حتى ينتهي
الى الارتفاع الذي يراد فالقرآن بعضه يوضع الى جنب بعض حتى يحصل السورة في عدد الآي الذي بلغ الذي اراده الله تعالى وقيل سميت سورة لانها
وضعت العلو والرفعة كما ان سور المدينة سمي سورا لارتفاعه قال النابغة الم تر ان الله اعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب اي
شرفا ورفعة وقيل سميت سورة لاحاطتها بما فيها من الآيات كما ان سور المدينة يحيط بساكنيها وابنيتها وجمع سورة القرآن سور بفتح الواو
مثل جلة وجلل وجمع سورة البناء سور بالسكون مثل صوفة وصوف ومن همز سورة جعلها من اسأرت في الاناء سؤرا اي فضلت منه بقية
سور القرآن كلها قطعة من القرآن على حدة واما الآية فقد قال جمع من العلماء انها في القرآن عبارة عن كلام متصل الى انقطاعه انقطاع
معناه فصلا فصلا ولا يخفى توقف الآية على التوقيف وقيل معناها العلامة لانها علامة على نفسها بانفصالها عن الآية المتقدمة عليها والمتأخرة
عنها وقيل معناها جماعة حروف من قولهم خرج القوم بآيتهم اي بجماعتهم ولم يدعوا وراءهم شيئا وقيل معناها العجيبة لانها عجيبة لبيانها كلام
المخلوقين من قولهم فلان آية من الآيات واختلفت النحاة في وزنها فقال الفراء وزنها فعلة بسكون العين واصلها أيّة فاستثقلوا التشديد فابدلوا
النقطة التي قبله وقال الخليل واصحابه وزنها فعلة بالفتح والاصل أيية قلبت الياء الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها وقال الكسائي اصلها آيية على فاعلة
وكان يلزم ما الياءين الادغام على نحو دابة وخاصة فيكون مستثقلا فحذفوا احد الياءين واما الكلم فان تركيبه يدل على تفيد القوة والشدة وتقاليب
هذه الحروف الثلاثة بحسب الاشتقاق الكبير ستة واحد مهمل والبواقي معتبرة منها الكلم فمنه الكلام لانه يقرع السمع يؤثر فيه وانه يؤثر في الذهن
بواسطة افادة المعنى ومنه الكلم للجرح وفيه شدة ومنها الكمل لان الكامل اقوى من الناقص ومنها الكمه ومعوانه اشد من الكمه ومنها اللكم
منه مكولة اذا قل ماؤها واذا كان كذلك كان ورودها مكروها فيحصل نوع شدة عند ورودها وايضا مما دل على شدة منابعها ومنها
ملك المعجين اذا اشتد عجنه ومنه ملك الانسان لانه نوع قوة ولفظ الكلمة قد يستعمل في اللفظ الواحد وقد يراد بها الكلام الكثير المرتبط
بعضه ببعض ومنه قولهم للقصيدة كلمة ومنه كلمة الشهادة والكلمة الطيبة صدقة ولان المجاز خير من الاشتراك فاطلاق الكلمة على الكلام المركب مجاز
اما من باب اطلاق الجزء على الكل واما من باب المشابهة لان الكلام المرتبط يشبه المفرد في الوحدة وقال الله تعالى كلا انها الانه حدث بقول كن
او لانه حدث في زمان قليل كما يحدث الكلمة كذلك عند النحويين الكلمة لفظ وضع لمعنى مفرد وفائدة القيود مذكورة في ذلك العلم والكلام ما تضمن
كلمتين بالاسناد ومنكر الكلام النفسي اتفقوا على ان الكلام اسم لهذه الالفاظ والكلمات والاشاعرة يثبتون الكلام النفسي ويقولون ان الكلام
لفي الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا وقد يسمى الكلمات العبارات احاديث لان كل واحدة منها تحدث عقيب صاحبتها فانه تعلقا بما تحدثه
مثله وجمع الكلمة كلم والتاء في الكلمة ليست للوحدة كالنبقة والنبق والرطبة والرطب لان الرطب واللبن مذكرا والكلم مؤنث وتصغيره كليم
وتصغير كلمة كليمات الى كلمة ثم جمعوا بالالف والتاء وقد يكون الكلام مصدرا بمعنى التكليم كالسلام بمعنى التسليم قال تحيته معي كلام الله [illegible]
[illegible] ابن عباس تكليم الله موسى وقت المناجاة واما الحرف فهو الواحد من حروف المعجم سمي حرفا لانه [illegible] وكذلك يقال حرف الشيء لطرفه لانه طرف
والقليل منه والحرف ايضا القراءة كالكلمة والقصيدة وبما ذكرنا في الحرف ايضا احد اقسام الكلمة وذلك ان الكلمة ان احتاجت في الدلالة على معناها الافرادي
الى ضميمة يحصل معناها فهو حرف والا فان دلت باصل الوضع بهيئتها التصريفية على احد الازمنة الثلاثة الماضي والحال والاستقبال فهو فعل
والا فهو اسم نحو الفرس كالانسان فان معناه لا يقترن بالزمان اصلا ومثل اليوم والساعة والزمان فان الزمان كل معناه ومثل الصبوح والغبوق
لان الزمان جزء معناه ومثل علم وجهل فان [illegible] معناه يدل على الزمان عقلا لا بحسب الهيئة ومثل ضارب ومضروب فانه وان سلم ان معناه
يدل على الزمان بحسب الهيئة اذ لكل منها هيئة مخصوصة لكن عرض لا اثنا ولا الفعل المستقبل لكون معناه مقترنا بزمان من الحال والاستقبال لان
قولنا الاسد لا زمنه تخلت لكنها ليست باصل الوضع لا يخرج من حد الفعل نحو عسى لانه يدل على زمان لان تجرده عن الزمان عرض لعرض لا اثنا
ولا الفعل المستقبل لكون معناه مقترنا بزمان من الحال والاستقبال لان قولنا الاسد لا زمنه [illegible] الاقتران ولو سلم [illegible]
فقط فذلك باصل الوضع لا مانع من اقترانه بمعلقة بزمان الى محاز المقدمة السادسة في ان السبع الطول والمثاني والمئين والطواسيم والحواميم
والمفصل [illegible] وغير ذلك السبع الطول بضم الطاء مفتوحة الواو جمع الطولى كالفضل والفضلى البقرة وال عمران والنساء والمائدة والانعام

المقدمة السادسة

والاعراف

والاعراف في الانفال مع التوبة لانهما نزلتا جميعا في مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانتا تدعيان القرينتين ولذلك لم يفصل بينهما بالبسملة وقال بعضهم السابعة من السبع سورة يونس لا الانفال مع التوبة واما المثاني فسبع سور تتلوا السبع الطول واولها سورة يونس وآخرها سورة النحل لانها تثنى الطول اي تليها واحدها مثنى مثل معنى ومعان وقد يكون المثاني سور القرآن كلها طوالها وقصارها من قوله تعالى كتابا متشابها مثاني وقوله ولقد آتيناك سبعا من المثاني وقيل المثاني في هذه الآية آيات الفاتحة لانها نزلت مرتين او لانها تثنى في كل صلوة واما المائون فهي سبع واولها سورة بني اسرائيل وآخرها سورة المؤمنون لان كل سورة منها نحو من مائة آية وقيل المئون ما ولي السبع الطول ثم المثاني بعدها وقيل ان ما بعد السبع الطول من المائون الى الحواميم ثم بعد الحواميم المفصل واما الطواسيم فان شئت قلت هكذا وان شئت قلت الطواسين قال الراجز وبالطواسين اللواتي ثلثت وفي الحديث اعطيت طه والطواسيم من الواح موسى واعطيت فاتحة الكتاب واما الحواميم فان شئت قلت هكذا وان شئت قلت آل حم قال ابن عباس ان لكل شيء لبابا وان لباب القرآن آل حم وقال الحواميم فكان من قال آل حم نسب السور كلها الى حم وهو من اسماء الله تعالى بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ان بيتم الليلة فقولوا حم لا ينصرون وتسمى الحواميم عرائس القرآن عن عاصم عن زر بن حبيش الاسدي قال قرأت القرآن على علي بن ابي طالب رضي الله عنه القرآن في المسجد الجامع بالكوفة فلما بلغت عرائس القرآن فلما بلغت راس العشرين من حم عسق والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير بكى حتى ارتفع نحيبه ثم رفع راسه الى السماء وقال يا زر امن على دعائي ثم قال اللهم اني اسألك اخبات المخبتين واخلاص الموقنين ومرافقة الابرار واستحقاق حقائق الايمان والغنيمة من كل بر والسلامة من كل اثم ووجوب رحمتك وعزائم مغفرتك والفوز بالجنة والخلاص من النار يا زر اذا ختمت القرآن فادع بهؤلاء الدعوات فان حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم امرني ان ادعو بهن عند ختم القرآن واما المفصل فما بعد الحواميم من قصار السور الى آخر القرآن لكثرة الفصول فيها بالبسملة واما المسبحات فسورة الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والاعلى لان في فواتحهن ما يدل على التسبيح في الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأ المسبحات ويقول ان فيها آية كالف آية وافضل المسبحات سبح اسم ربك الاعلى فقد كان العلماء يعرفون هذه السورة في الجنة يعرفون بركتها واما المقشقشتان فسورة الكافرون والاخلاص لانهما تبريان من النفاق والشرك يقال تقشقش اي تبرأ وقشقش المريض من علته اذا افاق منها وبرأ واما المعوذتان فالفلق والناس وقد يضم اليهما الاخلاص فيقال المعوذات

المقدمة السابعة في ذكر الحروف التي كتب بعضها على خلاف بعض في المصحف وهي في الاصل واحد فنقول لم يكتب بالالف انما حذفت من ما بسم الله فقط لانها الغت حصل بها قطع من اللفظ كثيرا لكثرة استعمال الناس اياها في صدور الكتب وفواتح السور وعند كل مريد امر فامنوا ان يجهل القارئ معناها وكتب فيما موصولا في كل القرآن الا في البقرة فيما فعلن في انفسهن بالمعروف فيها فيما فعلن في انفسهن من معروف وفي الانعام فيما اوحي الي محرما وفيها ليبلوكم في ما آتيكم وفي الانفال لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم وفي الانبياء وهم في ما اشتهت انفسهم وفي النور في ما افضتم وفي الشعراء في ما ههنا آمنين وفي الروم في ما رزقناكم وفي الزمر فيما هم فيه يختلفون وفيها فيما كانوا فيه يختلفون وفي الواقعة فيما لا تعلمون فذلك اثنا عشر حرفا مقطوع وما سوى ذلك موصول وكتب مما موصولا كل القرآن الا ثلثة مواضع في النساء من ما ملكت ايمانكم وفي المنافقين من ما رزقناكم وكتب انما موصولا كل القرآن الا في الحج وان ما يدعون من دونه هو الباطل وفي لقمان وان ما يدعون من دونه الباطل وفيها ولو ان ما في الارض وكتب انما موصولا كل القرآن الا في الانعام ان ما توعدون لآت وكتب لكيلا مقطوعا في كل القرآن الا ثلثة مواضع في الحج لكيلا يعلم وفي الاحزاب لكيلا يكون عليك حرج وفي الحديد لكيلا تاسوا وكتب بئسما مقطوعا حيث كان الا ثلثة مواضع في البقرة بئسما يأمركم به ايمانكم وفيها ولبئسما شروا به انفسهم وفي الاعراف بئسما خلفتموني وكتب اينما مقطوعا في جميع القرآن الا اربعة مواضع في البقرة فاينما تولوا وفي النحل اينما يوجهه وفي الشعراء اينما كنتم وفي الاحزاب اينما ثقفوا وكتب الا موصولا كل القرآن الا عشرة مواضع في الاعراف ان لا اقول على الله الا الحق وفيها ان لا يقولوا على الله الا الحق وفي التوبة ان لا ملجأ من الله الا اليه وفي هود ان لا تعبدوا الا الله وفيها ان لا اله الا هو وفي الحج ان لا تشرك بي شيئا وفي يس ان لا تعبدوا الشيطان وفي الدخان وان لا تعلوا على الله وفي الممتحنة ان لا يشركن بالله شيئا وفي ن ان لا يدخلنها اليوم واختلف في يوسف ان لا تعبدوا الا اياه وما سوى ذلك فهو الادغام بغير نون وكتب الن باسقاط النون كل القرآن من غير استثناء مثل الا تفعلوه والا تغفر لي وكتب لم موصولا في كل القرآن الا في الانعام ان لم يكن ربك مهلك وفي البلد ان لم يره احد وكتب في هود فالم يستجيبوا لكم موصولا وفي القصص فان لم يستجيبوا لك مقطوعا وكتب امن موصولا كل القرآن الا اربعة مواضع في سورة النساء ام من يكون عليهم وكيلا وفي التوبة ام من اسس بنيانه وفي الصافات ام من خلقنا وفي حم السجدة ام من ياتي آمنا وكتب اما موصولا الا في الرعد وان ما نرينك وكتب عما موصولا الا في الاعراف عن ما نهوا عنه وكتب الن مقطوعا الا ثلثة مواضع في الكهف الن نجعل لكم موعدا وفي المزمل الن تحصوه وفي القيمة الن نجمع عظامه وكتب كلما موصولا الا خمسة مواضع في النساء كل ما ردوا الى الفتنة اركسوا وفي الاعراف كل ما دخلت امة لعنت اختها وفي الملك كلما القي فيها وفي نوح كلما دعوتهم وكتب يومهم موصولا الا في المؤمن يوم هم بارزون وفي الذاريات يوم هم على النار يفتنون وكتب الرحمة في جميع القرآن بالهاء الا سبعة مواضع في البقرة اولئك يرجون رحمت الله وفي الاعراف ان رحمت الله قريب وفي هود رحمت الله وبركاته وفي مريم ذكر رحمت ربك وفي الروم الى آثار رحمت الله وفي الزخرف اهم يقسمون رحمت ربك وفيها رحمت ربك خير مما يجمعون وكتبت النعمة بالهاء الا احد عشر موضعا في البقرة

واذكروا نعمت الله عليكم وفي آل عمران واذكروا نعمت الله عليكم وفي المائدة واذكروا نعمت الله عليكم اذ هم وفي ابرهيم بدلوا نعمت الله كفرا وفيها
وان تعدوا نعمت الله وفي النحل وبنعمت الله هم يكفرون وفيها يعرفون نعمت الله وفيها واشكروا نعمت الله وفي لقمن في البحر بنعمت الله وفي
الملائكة اذكروا نعمت الله وفي الطور بنعمت ربك بكاهن وكتب امرأة بالهاء الا سبعة مواضع في آل عمران اذ قالت امرأت عمران وفي يوسف
امرأت العزيز تراود فتيها وفيها امرأت العزيز الآن وفي القصص وقالت امرأت فرعون وفي التحريم امرأت نوح وامرأت لوط وامرأت فرعون
وكتب سنة بالهاء كل القرآن الا خمسة مواضع في الانفال مضت سنت الاولين وفي فاطر الا سنت الاولين ولن تجد لسنت الله تحويلا
وفي المؤمن سنت الله التي قد خلت وكتب معصية بالهاء حيث كانت الا موضعين في المجادلة ومعصيت الرسول بالتاء وكتب لعنة بالهاء
كل القرآن الا في آل عمران فنجعل لعنت الله وفي النور ان لعنت الله وكتب جنة بالهاء الا في الواقعة وجنت نعيم وكتب شجرة بالهاء الا في الدخان
ان شجرت الزقوم وكتب قرة بالهاء الا في القصص قرت عين لي ولك وكتب بقية بالهاء الا في هود بقيت الله وكتب من ثمرة بالهاء الا في حم السجدة
من ثمرت من اكمامها وكتب كلمة بالهاء الا اربعة مواضع في الانعام وتمت كلمت ربك وفي يونس حقت كلمت ربك وفي المؤمن حقت كلمت ربك وكتب
غيابت الجب بالتاء فهم على بينت منه بالتاء وكتب كل ما في القرآن من ذكر الآية بالهاء الا في العنكبوت لولا انزل عليه آيت فانها بالتاء وكتب
فطرت [illegible] ولات حين مناص وذات بهجة وهيهات [illegible] مريم ابنت عمران ومرضات كلها بالتاء وكتب الملاء بالالف الا
اربعة مواضع في المؤمنون فقال الملؤا الذين كفروا وفي النمل يا ايها الملؤا اني وفي يا ايها الملؤا افتوني يا ايها الملؤا ايكم ياتيني فانها كتب بالواو
وكتب في البقرة ويبصط بالصاد وما سواه بالسين كتب في البقرة بسطة بالسين وفي الاعراف بالصاد وكتب في آل عمران منهم تقية بالياء وحق تقاته
بالالف وكتب في اول يوسف والزخرف قرانا عربيا بغير الف وسائر القرآن قرانا بالالف (واو في يونس بكل سحر عليم بغير الف وفي الشعراء
سحار عليم بعد الحاء وكتب في الذاريات ساحر او مجنون بالالف وسواء بغير الف وكتب في يونس لننظر كيف تعملون بنون واحدة واختلف في قوله
انا لننصر رسلنا في المؤمن وكتب في يونس ننج المؤمنين بنونين وحذف الياء وفي آخر يوسف فنجي من نشاء بنون واحدة وفي الانبياء وكذلك
نجي المؤمنين بالياء ونون واحدة وكتب جميع ما في القرآن من ذكر الايدي بياء واحدة الا في الذاريات والسماء بنيناها بايد فانها كتبت بياءين على
الاصل كتب [illegible] بياء واحدة وكتب الن بغير الف كل القرآن الا في الجن فمن يستمع الآن فانه بالالف كتب في حم السجدة سموات بالالف وما سوى
كتب سموات بغير الف كتب في اول سبا عالم الغيب بغير الف وكتب في البقرة خطيكم بحرف واحد بين الطاء والكاف وفي الاعراف خطيئتكم بحرفين بينهما
وكتب [illegible] بغير ياء كل القرآن الا في النجم لقد راى من آيات ربه الكبرى ما كذب الفؤاد ما راى كتب في يونس وما تغني الآيات بالياء على الاصل وفي
القمر فما تغن النذر بغير ياء على اللفظ وكتب في البقرة يؤت الحكمة بالياء وفي النساء وسوف يؤت الله بغير ياء وكتب في ويمح الله الباطل بغير واو ويدعو
بالتاء بالواو والالف وكتب الداع بغير ياء حيث كان الا قوله اجيب دعوة الداع كتب ثمودا بالالف في حال النصب في اربعة مواضع في هود والفرقان
والعنكبوت والنجم وكتب ثمود الناقة بغير الف كتب في النمل فما آتان الله بالياء وفي الروم بهاد بغير ياء والاصل فيهما الياء وكتب في الحج [illegible]
بالف وفي فاطر بغير الف كتب في الاعراف قال ابن ام بالالف مقطوعا وفي طه يا ابنؤم بالواو موصولا وكتب في الحجر وق اصحاب الايكة بالالف
وفي الشعراء وص ليكة بغير الف وكتب في يوسف لذو علم لما علمناه وفي المؤمن ذو العرش وفي السجدة لذو مغفرة وذو عقاب اليم وفي الجمعة ذو الفضل
العظيم وفي البروج ذو العرش بغير الف في هذه المواضع وما سواها ذوا بالالف وكتب الربوا بواو بعدها الف كل القرآن الا قوله وما آتيتم من
ربا فانه بغير واو وكتب لدي الباب لدي الحناجر بالياء وكتب ولا اوضعوا خلالكم ولا اذبحنه بزيادة الف في مصاحف الشام ولامة مؤمنة بزيادة
الف ايضا وكتب ايه المؤمنون وايه الساحر وايه الثقلان بغير الف وما سواها فبالالف كتب في الاحزاب الظنونا والرسولا والسبيلا
بالالف وفي الفرقان ام هم ضلوا السبيل وفي الاحزاب [illegible] السبيل [illegible] وكتب في الانسان قوارير بالالف قوارير من فضة بغير
الف كتب في الانعام ائنكم لتشهدون وفي الاعراف ائنكم لتاتون الرجال وفي العنكبوت ائنكم لتاتون الرجال وفي حم السجدة ائنكم لتكفرون بالياء
وما سواها بغير ياء وكتب في الاعراف ائن لنا لاجرا بالياء وكتب في النمل ائنا لمخرجون بالياء وكذلك في الصافات ائنا لتاركوا وما سواها
فهو انا بغير ياء وكتب في الواقعة اذا متنا بالياء وفي سائر القرآن اذا بغير ياء وكتب في هود في اموالنا ما نشاء بالالف بعد الواو ومثله في الانعام
ياتيهم انبؤا وفيها [illegible] شركؤا وفي حم عسق الهم شركؤا وفي الروم من شركائهم شفعؤا وفي ابرهيم فقال الضعفؤا وفي الشعراء [illegible]
وفيها ايضا [illegible] وفي فاطر من عباده العلمؤا وفي الصافات لهو البلؤا وفي حم المؤمن وما دعؤا الكافرين وفي الدخان ما فيه بلؤا [illegible]
الممتحنة انا برءؤا وكتب جزاء بالواو الا في الكهف فله جزاء الحسنى وكتب ان امرؤا هلك يتفيؤا ظلاله يعبؤا بكم ولتوكؤا عليها وتفتؤا تذكر
ويتبؤا منها ونبؤا الذين ونبؤا الخصم ينشؤا في الحلية ولا تظمؤا فيها ويبدؤا الخلق وما اشبهها بواو والف [illegible] الهمزة المضمومة او
لغة من لا يهمز ولو كتب كلها بالواو [illegible] وبالالف [illegible] الجار [illegible] وكتب في الانعام من نباي المرسلين بياء بعد الهمزة وكذلك في يونس من
تلقاي نفسي وفي النحل وايتاي ذي القربى وفي طه ومن اناي الليل وفي حم عسق ومن وراي حجاب كتب كل ما في القرآن من [illegible] بالواو بالالف مثل
دعا وعفا وتلا الا ضحيها وتليها وطحيها وسجى [illegible] مثل [illegible] قضى [illegible] مثل الاولين وجنا

فلن تجد لسنت الله تبديلا

بغير واو وفي الشعراء [illegible] بالياء

وان وطغا الماء واقصا المدينة واحيا الناس كلما ثمن اجتمعنا في كل مثل الدنيا والعليا جعلت الاخيرة العاكرهة لجمع بين اليائين الا في قوله تعالى يحيي ما فانه ليجوز في بعض المصاحف وكتب الزكوة والحيوة ومنوة ومشكوة والغداة بالواو وكتب الصلوة بالواو الا في الانعام وهم على صلاتهم يحافظون وصلاتي ونسكي وفي الانفال وما كان صلاتهم وفي اول المؤمنين في صلاتهم خاشعون وفي الواقع على صلاتهم ومنها على صلاتهم يحافظون وفي ارايت عن صلاتهم ساهون وكتب فاذا لا يؤتون الناس نقيرا وليكونا من الصاغرين ولنسفعا بالناصية بالالف الوقف عليها بالالف وكتب في البقرة ولاتم واخشوني ولاتم بالياء وفي المائدة ولا تخشوا الناس واخشون اليوم واخشون لا بغير ياء وكتب في يوسف ومن اتبعني وسبحان الله بالياء وفي آل عمران ومن اتبعن وقل بغير ياء وكتب في سبحان الذي لئن اخرتن بغير ياء وفي المنافقون لولا اخرتني بالياء وكتب في يوسف ما نبغي بالياء وفي الكهف ما كنا نبغ بغير ياء وفي هود يوم يأت لا تكلم بغير ياء وفي النحل يوم تأتي كل نفس بالياء وفي الدخان يوم تأتي السماء بالياء وفي الا وقد هدان بغير ياء وفي هداني بالياء وفي الاعراف ثم كيدون بغير ياء وفي هود فكيدوني جميعا بالياء وفي هود فلا تسئلن بغير ياء وفي الكهف فلا تسئلني بالياء وفي الكهف ان يهدين ربي بغير ياء وفي القصص ان يهديني سواء السبيل بالياء وفي طه فاتبعوني واطيعوا امري بالياء وفي الزخرف واتبعون هذا بغير ياء وكذلك في المؤمن وفي الاعراف فهو المهتدي بالياء وفي سبحان الذي وسورة الكهف فهو المهتد بغير ياء وفي ابراهيم قل لعبادي الذين امنوا بالياء وفي الزمر فبشر عباد الذين بغير ياء وكتب الذي والذين بلام واحدة واللذان واللذين بلامين وكتب جزاء بغير واو وهزوا وكفوا بالواو وكتب بين المرء وجزء مقسوم ويخرج الخبء وملء الارض حذف باسقاط الهمزة ومن غرائب المجاهد ونوادره ما كتب في الفرقان وعتوا عتوا كبيرا بغير الف وفي سبا والذين سعوا بغير الف وفي الحشر والذين تبوؤ الدار بواو بغير الف وفي العمران كنتم ترابا بغير الف وفي القلم بايكم المفتون بيائين وفي آل عمران افائن مات بالياء وفي الانبياء افائن مت بغير ياء وكتب ثانا قلتم ونحوها بالالف وكتب فا لذا رئتم لليس بين الدال والراء ولا بين الراء والتاء الف في جميع المصحف وكتب في آلحاقه لبيان الحركة كتابيه وحسابيه ماليه وسلطانيه وفي القارعة ماهيه باثبات الهاء واختلف في لم يتسنه فهو بعضهم اتقدره ان الهاء فيها ليبين الحركة والخبيثة كتب في سورة النساء فمال هؤلاء القوم وفي الكهف مال هذا الكتاب وفي الفرقان مال هذا الرسول وفي الواقع فمال الذين كفروا باللام مع ما مقطوعة عما بعده ولو علمت ان هجاء المصحف كثير وقد ذكرنا منها ما هو انفع للمبتدي واكثر فائدة واما الحركات كلها فقد اعينا بها الا ما شاء الله في كتابه من القران من هذا الكتاب كلها بالقياس من تقدمنا من السلف الصالحين والعلماء المتقين ودونا مهم وجدنا في الامام كذلك سترها في مواضعها ان شاء الله وانما كتب هذه الحروف بعضها على خلاف بعض في الاصل واحد لان الكتابة بالوجهين كانت جائزة عندهم فكتبوا بعضها على وجه وبعضها على وجه آخر جمعا بين اللغتين على انهم كتبوا اكثرها على الاصل وكل ما كتب في المصحف على اصل لا يقاس عليه غيره من الكلام لان القران يلزم لكثرة الاستعمال ما لا يلزم غيره واتباع المصحف في هجائه واجب من طعن في شيء من هجائه فهو كالطاعن في تلاوته لانه بالهجاء يتبين والفائدة للقارئ في معرفته ان يكون على يقين ان الذي يقرأ هو القران الذي انزله الله على نبيه محمد بلا خطأ فيه من جهة من الجهات فعلى الخاص من الائمة ان الواجب على القراء والعلماء واهل الكتاب ان يتبعوا هذا الرسم في خط المصحف فانه رسم زيد بن ثابت وكان امين رسول الله وكاتب وحيه وعلم من هذا العلم بدعوة النبي ما لم يعلم غيره فما كتب شيئا من ذلك الا لعلة لطيفة وحكمة بليغة وان قصر عنها رأينا الا ترى انه لو كتب على صلوتهم وان صلوتك بالالف بعد الواو وعيد الالف من غيره لما دل ذلك الا على وجه واحد وقراءة واحدة وكذلك وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار كتب وسيعلم الكفر بغير الف قبل الفاء ولا بعده فالبدل على القراءتين والله اعلم

المقدمة الثامنة في اقسام الوقف وهو قطع الكلمة اسما او فعلا او حرفا عما بعدها او فرضا وهو عند اكثر الائمة خمس لازم ومطلق وجائز ومجوز لوجه ومرخص ضرورة فاللازم من الوقف ما لو وصل طرفاه غير المرام وشنع الكلام كقوله تعالى وما هم بمؤمنين فلو وصل بقوله يخادعون الله توهم ان الجملة صفة للمؤمنين فانتفى الخداع عنهم وتقرر الايمان خالصا عن الخداع كما تقول ما هو بمؤمن مخادع ومراد الله سبحانه نفي الايمان واثبات الخداع وفي نظائر ذلك كثير يوصل الموت بها الى المعنى يعلمها المطلق ما يحسن الابتداء بما بعده كالاسم المبتدأ به نحو الله يجتبي اليه من يشاء وكالفعل المستأنف مع السين نحو سيقول السفهاء وسيجعل الله بعد عسر يسرا نحو تبغون عرض الحيوة الدنيا ولا يشرك ربه شيئا الى غير ذلك من النظائر والجائز ما يجاز فيه طرفا الوقف مثاله وما انزل من قبلك لان واو الوصل تقتضي العطف وتقديم المفعول على الفعل يقطع النظر فان التقدير ويوقنون بالآخرة والمجوز لوجه مثاله اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة لان الفاء في قوله فلا يخفف تقتضي التعقيب متضمن معنى الجواب والجزاء وذلك يوجب الوصل الا ان نظم الفعل على الاستيناف يرى للفصل وجها والمرخص ضرورة ما لا يستغني ما بعده عما قبله لكن يرخص الوقف ضرورة انقطاع النفس لطول الكلام ولا يلزم الوصل بالعود لان ما بعده جملة مفهومة كقوله والسماء بناء لان قوله وانزل لا يستغني عن سياق الكلام فان فاعله ضمير يعود الى الصريح المذكور قبله غير ان الجملة مفهومة لكون الضمير مستكنا وان كان لا يبرز الى النطق واما ما لا يجوز الوقف عليه فهو واجب مواقعه كثيرة وسيدل عليها مواضع الفصل والوصل في جميع القران مع علل ذلك مفصلا ان شاء الله تعالى وبعضهم قسم مراتب الوقوف الى ثلث التام والكافي والحسن كما سنذكره الا بعد غاية الوقوف يكون علامة اللازم م والمطلق ط والجائز ج والمجوز ز وما لا وقف عليه فعلامته لا وعلامة الابتداء دائرة صغيرة هكذا ٥ وانما الزمنا ايراد هذه الوقوف لدقة مسلكها وبلوغها في الغموض الى حيث حصر البلاغة على معرفة الفصل والوصل الا ان ذلك بحسب الصناعة وكل منها ما يكون تفا

المقدمة الثامنة

وبغير الستين ثم

والمرخص

المقدمة التاسعة

المعنى بالمغير وانفصال الجزء بالكل وبالبعض وسيتلى عليك تفاصيلها وبالله التوفيق المقدمة التاسعة في تقسيمها يعرف منها اصطلاحات مهمة اللفظ
اما ان يعتبر دلالته على تمام ما وضع له او على جزء منه او على لازمه الذهني فالاولى المطابقة كدلالة البيت على مجموع الحائط والسقف والثاني دلالة
التضمن كدلالة البيت على السقف او الحائط والثالث دلالة الالتزام كدلالة السقف على الحائط ودلالة الاولى وضعية صرفة والاخيرتان بمشاركة
من الوضع العقل تقسيم آخر اللفظ اما ان يقصد بجزء منه الدلالة على جزء معناه وهو المركب كعبد الله علما اولا يقصد وهو المفرد ويشمل الاجزاء
التي لا دلالة لها اصلا مثل ق من قلم وما كان له جزء ولكن لا يدل على معنى اصلا نحو زيد وما كان له جزء دال على معنى لكن لا في ذلك المعنى نحو عبد الله علما للشخص
الانساني وما له جزء دال على معنى في ذلك المعنى لكنه لم يقصد مثل عبد الله علما له تقسيم آخر اللفظ المفرد باعتبار وحدة مدلوله وتعدده على اربعة
اقسام الاول اللفظ واحد والمعنى واحد الثاني مقابله اى اللفظ كثير والمعنى كثير الثالث اللفظ واحد والمعنى كثير الرابع عكسه المعنى واحد واللفظ
كثير فالاول ان اشترك في مفهومه كثيرون بحسب الوضع من خارج فهو الكلي ويقال له اسم الجنس وهو اقسام ستة لانه اما موجود او معدوم والموجود
اما واحد او كثير والواحد اما ان يكون مثله ممكنا كالشمس او غير ممكن كالاله والكثير اما متناه كالكواكب او غير متناه كالعدد والمعدوم اما ممكن الوجود
في الخارج كجبل من ذهب او غير ممكن كشريك الاله فان تفاوت وقوعه على افراده بان يكون لبعضها اولى او اولى واشد كالوجود للخالق
والمخلوق فان وقوعه على الخالق اولى واشد وكالابيض ظاهر على الثلج والعاج فان وقوعه على الثلج اشد فاللفظ مشكك لانه يشكك الناظر في
انه متواطئ نظرا الى الاشتراك الكلي في اصل المعنى او مشترك نظرا الى الاختلاف فيها وان لم يكن في وقوعه تفاوت فمتواطئ كالانسان بالنسبة
الى افراده فان كلها متوافقة في الانسانية ومستوية فيها وان لم يشترك في مفهومه كثيرون فهو الجزئي علم ان استقل في الدلالة بحيث لا يحتاج الى انضمام
اليه من ضم قرينة الخطاب او التكلم وتقدم الذكر او لام العهد او الاشارة فمضمر ان احتاج الى احد القرائن الثلث الاول والمبهم ان احتاج الى الشيء من الباقيتين
والعلم اما اسم كابراهيم وموسى عليهما السلام او لقب وهو ان يكون اشعار بالمسمى مدحا او ذما كاسرائيل او كنية وهو ما في اوله الاب او الام او البنت والابن
نحو ابو طالب وام القرى وبنت عمران وابن مريم وقد يكون العلم علما للجنس بحيث لا يكون بعض افراده الخارجية اولى به من بعض لكونه للحقيقة
الخارجية [illegible] على فرد من افراده الخارجية نحو هذا اسامة مقبلا فليس ذلك بالوضع بل بالمطابقة فهذه تمام الاقسام القسم الثاني
وهو ان اللفظ واحد والمعنى واحد الثاني من الاربعة متباينة كالانسان والفرس الثالث ان كان اللفظ حقيقة بالنقل من مدلوله بان كان
موضوعا للمعنى فمشترك والا فمنقول نقل من الموضوع له الى معنى آخر لمناسبة واشتهر فيه عرفي ان كان الناقل هو العرف العام واصطلاحي ان
العرف الخاص شرعي والا فبالنسبة الى المنقول عنه حقيقة وبالنسبة الى المنقول اليه مجاز ان لم يتنقل من الملزوم الى اللازم وكناية ان
كان العكس بان نقل لعلاقة فقد يحصل الرابع من الاقسام مترادفة كالليث والاسد لا يخفى ان القسمين الاولين والقسم الرابع ثلثها نصوص في
معناها اما الاول فلاتحاد المعنى الموجب لعدم احتمال الغير فهو محض النص واما المتكثرة اللفظ والمعنى فلانه يكون لكل معنى لفظ فلا يحتمل اللفظ
غيرها واما الرابع فلاشتراط الاتحاد في المعنى واما القسم الثالث وهو ان اللفظ واحد والمعنى كثير فينقسم الى محكم وظاهر ومأول لان اللفظ بالنسبة
الى ذلك المعنى ان كان متساوي الدلالة فهو المجمل والا فهو المبين وان كانت متفاوتة فالراجح هو الظاهر والمرجوح هو المأول فالاول كقوله تعالى
ثلثة قروء فان دلالة القرء بالنسبة الى الطهر والحيض على السواء والثاني نحو اقيموا الصلوة فان الامر يحتمل الوجوب كما يحتمل الاركان ويحتمل
الدعاء الا ان الامر بالنسبة الى الوجوب راجح والصلوة بالنسبة الى الهيئات المخصوصة راجحة والثالث نحو يد الله فوق ايديهم فان اليد تحتمل
القدرة والجارحة لكنها بالنسبة الى القدرة مرجوحة فالرجحان مشترك بين النص والظاهر ويسمى بالمحكم وعدم الرجحان مشترك بين المجمل والمأول ويسمى
المتشابه والنص يتميز عن الظاهر بانه لا يحتمل الغير والظاهر يحتمله احتمالا مرجوحا والمجمل يتميز بكونه غير مرجوح والمأول مرجوح والتاويل تفعيل
من الاول اى الرجوع وفي الاصطلاح كناية عن حمل الظاهر على المحمل المرجوح فيشمل التاويل الفاسد والتاويل الصحيح فان اريد التاويل الصحيح فقد
في الرسم بدليل يصيره راجحا اى بحيث يغلب الدليل ان كان مرجحا بحسب مفهوم اللفظ ضعيفا او مرجوحا كما قلنا في اليد بمعنى القدرة واذا عرفت
الاقسام الاربعة باسرها فنقول كل منها قد يكون مشتقا ان وجد له اصل يرجع اليه كالموجود والضارب بالاضافة الى الوجود والضرب فان معنى
الاشتقاق ان يجد بين اللفظين تناسبا في المعنى والتركيب فترد احدهما الى الاخرى وقد يكون غير مشتق ان فقد له اصل كالوجود والانسان وغير
المشتق صفة ان دل على معنى قائم بالذات كالعالم والكاتب وغير صفة ان لم يدل كالجسم مثلا تنبيه العلاقة المعتبرة في المجاز انما يقع بحكم الاستقراء
على نيف وعشرين وجها منها الاشتراك في صفة ظاهرة كالاسد على الرجل الشجاع لا على الابخر لخفاء ذلك وهذا معظم انواع المجاز لانه اطلاق
اسم الملزوم على اللازم واكثر المجازات بل جميعها يرجع الى ذلك ومنها الاشتراك في الشكل كالانسان المصور المنقوش ومنها كونه آئلا الى ذلك كالخمر
للعصير كما سماه عليه كالعبد على من عتق ومنها المجاورة مثل جرى الميزاب فان الجاري في الحقيقة هو الماء لا الميزاب لمجاورته ومنها اطلاق اسم الحال على المحل
مثل فاما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون اى في الجنة لانها محل الرحمة ومنها عكسه كقوله لا يفضض الله فاك اى اسنانك
اذ الفم محل الاسنان ومنها اطلاق اسم السبب على المسبب كقوله صلى الله عليه وسلم بلوا ارحامكم ولو بالسلام اى صلوها فانهم لما راوا بعض الاشياء يتصل بالندى
استعاروا البل للوصل ومنها عكس ذلك كقولهم [illegible] لكون الاثم مسببا عنها ومنها اطلاق الكل على الجزء نحو يجعلون اصابعهم في آذانهم اى انامل

ومنها العكس نحو كل شيء هالك الا وجهه اي ذاته ومنها اسم المطلق على المقيد كقوله فيا ليت كل اثنين بينهما هوى من الناس قبل اليوم يلتقيان
اي قبل يوم القيامة ومنها العكس كقول شريح اصبحت نصف الخلق علي غضبان يريد المحكوم عليهم لا انهم ليسوا النصف سواء ومنها اسم الخاص على العام
كقوله سبحانه وحسن اولئك رفيقا اي رفقاء لا ترتعهم ومنها العكس كقوله سبحانه حكاية عن محمد وانا اول المسلمين لان الانبياء قبله كانوا كذلك
ومنها كون المضاف محذوفا نحو واسأل القرية ومنها كون المضاف اليه محذوفا كقوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا اي ابن رجل جلا ومنها اطلاق
اسم آلة الشيء عليه مثل واجعل لي لسان صدق اي ذكرا حسنا لان اللسان آلة الذكر ومنها اطلاق اسم الشيء على بدله كما يقال فلان اكل الدم اي الدية
يا اكلن كل ليلة اكافا اي ثمن اكاف ومنها اطلاق النكرة للعموم كقوله عز من قائل علمت نفس ما احضرت اي كل نفس ومنها اطلاق اسم احد الضدين
على الآخر نحو ومثل جزاء سيئة سيئة مثلها اذ جزاء السيئة حسنة ومنه قولهم قاتله الله ما احسن ما قال يريدون الدعاء ومنها اطلاق
المعرف باللام وارادة واحد منكر كقوله تعالى ادخلوا الباب سجدا اي بابا من ابوابها وسيجيء ومنها الحذف نحو يبين الله لكم ان تضلوا اي لئلا تضلوا
او كراهة ان تضلوا ومنها الزيادة نحو ليس كمثله شيء واعلم ان المجاز بالحقيقة فرع من فروع التشبيه فانك اذا قلت زيد اسد فكانك قلت زيد كانه
قلت زيد كالاسد في الجرأة فيفيد هو مشبها ومشبها به ووجه الشبه بينهما والمشبه والمشبه به قد يكونان حسيين كقولك خده كالورد او عقليين كالعلم
اذا شبه بالحياة او احدهما محسوسا والآخر معقولا كالعطر اذا شبه بخلق كريم او كالعدل اذا شبه بالقسطاس وفي الخياليات كالشقيق اذا شبه باعلام
ياقوت منشرة ملزوزة في قرون الجبال والوهميات نحو قولك نطقت الحال بشيء موهما شبيه باللسان فانه صورة وهمية محضة وكذا الوجدانيات
كاللذة والالم والشبع والجوع ملحقة بالعقليات ووجه التشبيه اما ان يكون امرا واحدا او لا وعلى الاول اما ان لا يكون في حكم الواحد كما اذا شبهت انسانا
بالشمس في حسن الطلعة ونباهة الشان وعلو الرتبة او يكون وذلك لكونه اما حقيقة ملتئمة او اوصافا كسقط الزند شبه بعين الديك في
الهيئة الحاصلة من الحمرة والشكل الكروي والمقدار المخصوص واما اوصافا فمقصودا من مجموعها الى هيئة واحدة كقول الشاعر كأن مثار النقع
فوق رؤوسنا واسيافنا ليل تهاوى كواكبه فليس المراد تشبيه النقع بالليل ثم تشبيه السيوف بالكواكب بل المراد تشبيه الهيئة الحاصلة من
النقع الاسود والسيوف البيض حال كون السيوف متفرقات فيه بالهيئة الحاصلة من الليل المظلم والكواكب المشرقة في جوانبه ويسمى هذا
تشبيه المركب بالمركب متى كان وجه التشبيه وصفا غير حقيقي وكان منتزعا من عدة امور يخص باسم التمثيل كما في قوله عز من قائل مثلهم كمثل الذي
استوقد نارا الآية وسيجيء تفسيرها ثم ان التشبيه التمثيلي اذا استعمل على سبيل الاستعارة لا غير يسمى مثلا كقولك للمتردد في امر انك تقدم
رجلا وتؤخر اخرى وفي ذلك الاستعارة وهي ان تذكر احد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به دالا على ذلك
باثباتك للمشبه ما يخص المشبه به كما تقول في الحمام اسد وانت تريد به الشجاع مدعيا انه من جنس الاسد فتثبت للشجاع ما يخص المشبه به وهو اسم جنسه مع
الاسد مع سد طريق التشبيه بافراده في الذكر لان التشبيه لا بد له من طرفين مشبه ومشبه به فاذا افردت بالذكر احدهما فكانك قد سددت طريق التشبيه
فاذن الاستعارة نوع من المجاز لان المستعار له هو زيد مثلا في قولك رأيت اسدا يرمي غير موضع المستعار منه وهو الاسد نظرا الى انه هو هذا
شأن العارية وانما اجراه على ادعاء انه داخل فيه من الاشتراك في اللازم وهو الشجاعة والاستعارة في نحو عندي اسد ان لم يقترن بصفات ملائمة
كلام لا يكون مجردة ولا مرشحة بصفة موضوع التجريد والترشيح انما يلائمها التجريد والترشيح مرشحة نحو شاورت اسدا وافي البراثن ولد
قد يعني من الاصطلاحات قولهم هذا عام وخاص ومطلق ومقيد فالعام ما دل على مسميات باعتبار امر اشتركت فيه مطلقا ضربة فقولنا ما دل
ليشمل العموم باللفظ والمعنى جميعا فان العموم من عوارض المعاني ايضا حقيقة كقولهم عم المطر والخصب كان المعنى الكلي كالانسان والعموم لجزئيات
الى تحتها وقولنا على مسميات ليخرج المثنى وليدخل فيه المعدوم والمستحيل اذ لو قلنا على اشياء لخرجا بناء على انهما ليسا بشيء وقولنا باعتبار امر
اشتركت تلك المسميات فيه ليخرج نحو عشرة وغيرها من اسماء العدد النكرة فانها وان دلت على مسميات لكنها لا باعتبار امر اشتركت هي فيه بل
باعتبار وضع اسم العدد للمجموع وكذا الكلام في كل ذي اجزاء حسية وعقلية وقولنا مطلقا ليخرج الرجال المعهودون فانما يقع شمولها بقرينة العهد ولا
من نحو رجل فانه وان دل على مسميات باعتبار كون كل منها ذكرا من بني آدم مطلقا لكن لا دفعة بل على سبيل البدل وبهذا يخرج نحو رجال اذا اطلقت فهذا حد
العام والخاص بخلافه فهو ما دل لا على مسميات الى آخره ومن صيغ العموم اسماء الشرط والاستفهام مثل من وما ومتى والموصولات نحو الذي والنفي والجموع المعرفة
تعريف جنس كالرجال المسلمات والجموع المضافة نحو عبيدي واسم الجنس المضاف وتعريف المعرف الجنس مثل غلامي والعلام والنكرة في سياق النفي نحو ما
نحو ما في الدار احد التخصيص قصر العام على بعض مسمياته وقد يطلق التخصيص على قصر اللفظ على بعض ما يتناوله وان لم يكن ذلك اللفظ عاما
كما يطلق عليه بنا انه عام لتعدده وتكثره وان لم يكن من صيغ العموم كعشرة والمسلمين المعهودين وكضمائر الجمع لا يستقيم تخصيص الا فيما يستقيم توكيده
بكل لكونه ذا اجزاء يصح افتراقها حسا او حكما لا النكرة مثل قوله تعالى تلك عشرة كاملة ونحو جاء في رجال كرهاء والمخصص هو جنسه اشياء الاول
الاستثناء بالا ونحوها والثاني الشرط وهو ما يتوقف تاثير المؤثر عليه لا وجوده كالاحصان فانه يتوقف عليه قضاء الرجم لا وجود الزنى
الثالث الصفة مثل فتحرير رقبة مؤمنة والرابع الغاية نحو ثم اتموا الصيام الى الليل هذا هو التخصيص بالمتصل وقد يخص بالمنفصل وذلك بالعقل
كقوله تعالى انه خالق كل شيء واما الحس نحو واوتيت من كل شيء واما الدليل السمعي كقوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء ويخصص

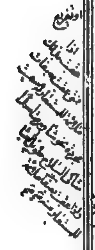

الاية الاخرى ولولا ان الاحتمال الجلي من ان يختص جاهلين ويوصيكم الله في أولادكم خصصه قوله عليه السلام القاتل لا يرث والمطلق هو اللفظ الدال على
الماهية من حيث هي هي ويلزم منه تمكن المأمور من الاتيان بفرد منها اي فرد كان لانه لا يمكن الاتيان بالماهية الا باتيان فرد منها ويصح الاطلاق
في معرض الخبر المتعلق بالماضي مثل رايت رجلا ضرورة تعيينه باسناد الرؤية اليه والمقيد بخلاف المطلق وهو لفظ دال على مدلول غير شايع في جنسه
فيدخل فيه الدال على المتعين مطلقا نحو زيد وهذا الرجل ونحوهما والدال على الشايع لا في جنسه بل في افراده كالعام فهو مقيد لغة لا اصطلاحا
ويطلق المقيد على ما اخرج من شايع بوجه من الوجوه كلفظ دال على الماهية بوصف زايد عليها كرقبة مؤمنة فانها وان كانت مطلقة في جنسها
من حيث هي رقبة مؤمنة الا انها مقيدة بالنسبة الى مطلق الرقبة فهي مطلقة من وجه وتقييد المطلق شبيه بتخصيص العام فيجوز التقييد بالمتصل
استثناء كان او صفة او شرطا او غاية او بدل بعض وبالمنفصل عقلا كان او نقلا كتابا او سنة وتقسيم آخر التركيب المفيد اعني الكلام قسمان احدهما
الذي يحتمل ان يقال لقائله صدقت او كذبت من حيث ذلك التركيب لا من امر خارج عن ذات التركيب يقال له الخبر واذا بلغ رواة الخبر مبلغا احال
العقل تواطؤهم على الكذب فهو متواتر والا فخبر واحد والثاني ما لا يحتمل ذلك يقال له الطلب الاول باعتبار محل الجمل الاربع الاسمية والفعلية
والشرطية والظرفية والثاني نوعان نوع لا يستدعي مطلوبا امكان الحصول وهو التمني ونوع يستدعي مطلوبا ممكن الحصول ثم ان كان طلب فعل فامر وان
كان طلب ترك فنهي وان كان طلب فهم فاستفهام وان كان طلب اقبال فنداء ويمتنع اجراء هذه الابواب على الاصل تولد منها ما ناسب المقام كالا
والالتماس والتعجب والتوبيخ ونحو ذلك تقسيم آخر الحكم خطاب الله او من اذن له الله متعلقا بافعال المكلفين بالاقتضاء او التخيير او الوضع اما
التخيير فهو الاباحة واما الاقتضاء فاما اقتضاء فعل مع امتناع الترك وهو الوجوب او مع جواز الترك وهو الندب واما اقتضاء ترك مع امتناع
الفعل وهو الحظر والحرمة او مع جوازه وهو الكراهة واما الوضع فالمراد به ما جعله الشارع بوضعه دليلا على شيء كدلوك الشمس على وجوب الصلوة
او سببا كالزنا لوجوب الحد او شرطا كالوضوء لصحة الصلوة واما الصحة والبطلان والحكم بهما امر عقلي لا حكم شرعي لان صحة العبادات ما كون
الفعل مسقطا للقضاء كما عند الفقهاء او ما هو موافقة امر شرعي كما عند المتكلمين ولا شك ان العبادة اذا اشتملت على اركانها وشرائطها حكم العقل بصحتها بكل
تفسير سواء حكم الشارع بها اولا والصحة في المعاملات ليس الا حكما عقليا لانها يعني كون العقد بحيث يترتب عليه اثره واذا كان البيع مشتملا على الاسباب
والشرائط وانتفاء الموانع حكم العقل بترتب اثره عليه سواء حكم الشرع بها او لم يحكم وقس البطلان والفساد على ما ذكرنا والحكم ثابت على خلاف
الدليل لعذر هو رخصة كحل الميتة للمضطر والقصر والفطر للمسافر واجبا ومندوبا ومباحا والا فعزيمة واذا عرفت ما ذكرنا من التقسيم لا يخفى عليك
المقصود من ايرادها الا ان معظم كتاب الله تعالى منها محكم ومتشابه ومنها مجمل ومبين ومنها الناسخ والمنسوخ والناسخ باعتبار ان النسخ بيان انتهاء مدة
الحكم الشرعي ومنها مطلق ومقيد ومنها امر ونهي ومنها ظاهر ومؤول ومنها حقيقة ومجاز ومنها التشبيه تمثيل ومنها كناية وتعريض ومنها الكلي
والجزئي ومنها الخبر والطلب بجميع انواعها ومنها الاحكام باقسامها فلا بد ان يعرف هذه الاصطلاحات فذكرها في علم التفسير مهم والله اعلم

المقدمة العاشرة في ان كلام الله تعالى قديم ولا ذكر قوم من ائمة الامة ان كلام الله تعالى قديم بعد ان اتفقوا على ان هذه الحروف المنتظمة المسموعة اما
كلام الله تعالى او هو هذه الحروف قوله تعالى وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله فهو معلوم ان المسموع ليس الا من هذه الحروف واما
انها محدثة فلان الكلام صفة الله تعالى ومن المحال قيام الحادث بالقديم فيكون كل حادث متغيرا والتغير في ذات الله تعالى وصفاته محال وزعم قوم ان الكلام
المؤلف من الاصوات يمتنع ان يكون قديما بالبديهة وكيف لا وانها اصوات تحدث شيئا فشيئا بعد شيء وقلنا انها عين كلام الله تعالى
مابين الصفة الواحدة بعينها قائمة بذات الله تعالى وحالة في لسان الانسان وهذا معلوم الفساد وجمع قوم بين المذهبين فقالوا الشيء وجود في الاعيان
ووجود في الاذهان ووجود في العبارة ووجود في الكتابة فالقرآن وجود عيني هو القائم بذات الله تعالى وانه قديم تعالى الله لا يتطرق اليه شيء من سمات النقص
ووجود ذهني كحفاظ القرآن ووجود في العبارة وهو على لسان القارئ ووجود كتابي وهو المثبت في المصاحف ولا ريب ان القرآن من حيثيات
هذه الوجوه حادث بل القرآن انما يطلق على المنظوم والمتلو والمكتوب بالمجاز من حيث انها دال على الكلام القائم بذات الله تعالى واعلم انه لا برهان على
ان كل صوت فانه يقوم بجسم ولا ان كل حرف فانما يقدر عليه بجارحة بل العلم ان الشاهد يقتضي فالكلام للقديم كما انه قديم نطق وسمع وبصر
الله ولا جارحة كما انه يدرك وعلم من غير قوة وعضو من لم يدرك ادراكا لا ينطق بلطق من الانفسه كان كمكاتب كتابه صواب في قوله فصل
وبكمة الحق ومطلق ووجوده يشهد وحياته بيان والكفر بها سواء ايمان لكل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام المقدمة الحادية
عشرة في كيفية استنباط المسائل الكثيرة من الالفاظ القليلة اذا شرعنا في تفسير قول القائل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فمنها
مباحث لفظية ومباحث معنوية واما اللفظية فمنها ما يتعلق بالقراءة ومنها ما يتعلق باللغة ومنها ما يتعلق بعلم الاشتقاق ومنها
ما يتعلق بعلم الصرف ومنها ما يتعلق بالنحو ومنها ما يتعلق بعلم البديع اعني المحسنات اللفظية واما المعنوية فمنها ما يتعلق بالمعاني ومنها ما يتعلق
بالبيان ومنها ما يتعلق بالاسئلة والاجوبة ومنها ما يتعلق باصول الدين ومنها ما يتعلق باصول الفقه ومنها ما يتعلق بعلم الاحوال اما القراءة فكما مر
واما اللغة فان قلنا اعوذ معناه كذا والاسم لله معناه كذا والشيطان كذا والرجيم كذا والباء واللام ومن معانيها مختلفة كذا فكل واحد منها
مسئلة واما الاشتقاق فان اعتبر الاشتقاق الكبير قلنا ان التراكيب الستة الممكنة من ع و ذ مثلا مستعملة او مهملة وكذا كل من تراكيب

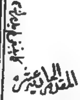

الى شرط ان او شي ط ومن تراكيب تبتج مر واذا كانت مستعملة فاصل المعنى في كل من المشتقات لا كيف يعتبر فيحصل مسائل كثيرة وان اعتبر الاشتقاق
الصغير فهل للعوذ معنى اخر غير الالتجاء وان كان فما به الاشتراك بينهما اى شئ هو فيحصل مسائل واما التصريف فكان نقول اعوذ فعل مضارع متكلم
واصله اعوذ مثل اطلب نقلت الضمة من الواو الى ما قبلها تخفيفا والله لا اله كالناس اصله الاناس فاله بمعنى مفعول نقلت الكسرة من الهمزة
الى اللام وحذفت الهمزة للتخفيف فاجتمعت لامان فاسكنت الاولى وادغمت في الثانية وقالوا يا الله في النداء خاصة بالقطع لانها كالعوض من
المحذوف فكانك قلت يا اله لا اله وقيل اصله لاه الحقوا بها الالف واللام وانشد والحلفة من ابى رباح يسمعها لاهه الكبار ولو عد هذه المسائل
من اللغة جاز لانها غير قياسية والشيطان فعلان او فيعال والرجيم فعيل بمعنى مفعول كلاهما اللباب الغر فهذه مسائل واما النحو فاعوذ فعل فاعله
ضمير المتكلم المستتر فيه وهو انا والمجموع جملة فعلية وبالله متعلق به وكذا من الشيطان الرجيم نحو سرت من البصرة الى الكوفة والرجيم صفة الشيطان معرف
مثله وشيطان منصرف لانه اسم جنس لا علم فهذه مسائل واما البديع فان نقول انما اختير الرجيم دون اللعين والمرجوم مثلا ليوافق الفاصلة الاخرى
وهو الرحيم اذا ابتدأ القارى بعد الاستعاذة بالبسملة وهو الاكثر مع ان اول القران ايضا البسملة واعتبار الاستعاذة ههنا اولى ولكون تجنيسا
خطيا وتوجيها واما المعاني فان نقول انما اختير المضارع على الماضي ليدل على الاستمرار والدوام اى شانى انى اعوذ كقولك يشرب الخطيب انما لم يقل
انا اعوذ وانا عائذ وان كانت الجملة الاسمية تدل على الثبات لان المراد انى على تجدد وهذا القول منى لحظة فلحظة ثابت مستمر لا ان عوذى مستمر
انما لم يقل بالله اعوذ ليفيد الحصر كما في قوله تعالى بسم الله مجريها لان الاستعاذة ههنا اهم مثل الالتجاء ولانه لا يعوذ الا بالانقطاع عن الغير والتبرى عن سوى
الحق جل ذكره فلا حاجة الى التخصيص لانه موافق لما ورد في القران فاستعذ بالله انما اختير اسم الله لانه كالعلم والمقام مقام احضاره في ذهن السامع
بعينه ليكون ادل على الانقطاع عما سواه وانما ذكر الشيطان معرفا باللام الجنسى ليدل على هذه الحقيقة التى هى مادة كل شر ويشمل كل فرد منها ضرورة
وجود الحقيقة في اى فرد فرد ولو اريد العهد ايضا جاز كما مر ولو نكر بان قلت من شيطان رجيم لم يفد العموم وان قلت من كل شيطان لطال
والمقام مقام اختصار وانما وصف بالرجيم لان المقام مقام تاكيد ذم ولا ذم ابلغ من البعد عن حضرة من هو منشأ كل كمال ومصدر كل خير واما البيان
فان اعوذ معناه التجأ ولا ريب ان الالتصاق بالله محال لان ذلك من شان الاجسام والمراد التحصن برحمة الله وفضله فهو اذن مجاز لغوى وفي
نفس الالتصاق ايضا بعد تقدير الرحمة تجوز بعيد على ما لا يخفى ولو اريد بالشيطان شيطان الانس ايضا وبيتكون اللفظ موضوعا لشيطان
الجن فقط كان استعارة واذا قدرنا الاستعاذة من شر الشيطان كما مر كان مجازا بالنقصان ايضا واما ما يتعلق بالاستدلال فاما من جهة التصور
واما من جهة التصديق اما الاول فنحو كيفية اقتناص التصورات الواقعة في التركيب من مفهوم اعوذ ومفهوم اسم الله ومفهوم الشيطان ومفهوم الرجيم
وان كلا منها كيف يعرف بالحد او الرسم فان عرف بالحد فكيف يترتب جنسه وفصله وان عرف بالرسم فكيف يركب لوازمه واما معرفة الجنس والفصل
واللوازم انفسها لكل منها فمن الامور العامة واما الثانى فان قولنا اعوذ لفظه خبر ومعناه انشاء دعاء اى اللهم اعذنى واما الانشاء نحو بعت واشتريت
واذا كان كذلك فلا يتطرق اليه احتمال الصدق والكذب فلا يحتاج الى البرهان على احدهما واستعمال الخبر في معنى الطلب من مسائل علم المعاني ايضا واما
ما يتعلق باصول الدين فان يستدل بذات الله تعالى وصفاته من انه قادر مختار عليم الى غير ذلك من الصفات التى بها يتمكن المستعاذ به من دفع المضار
والشرور عن المستعيذ بحيث لا يمنعه مانع ولا يغلبه مانع ويتصور الشيطان ولوازمه وكيفية وسوسته بنحو ما سبق في المقدمة الثانية واما ما
يتعلق باصول الفقه فان يعرف ان الاستعاذة الواردة في الكتاب والسنة واجبة ام لا بل مندوبة وان كانت واجبة فيتكرر بتكرر القراءة ام لا
وانها يقتضى الفور او يحتمل التراخى واما ما يتعلق بالفقه فانها يستحب في الصلوة ام لا وان استحب فيجوز في المكتوبة ام لا وان جازت ففى كل ركعة ام في
الاولى وحدها ويسر بها ام يجهر واما ما يتعلق بعلم الاحوال فكالنكت التى ذكرنا في المقدمة الثانية وانها لا تكاد تنحصر فهكذا يجب ان يستنبط المسائل
من كل كلام يراد تفسيره من غير ان يتخطى شيء من ذلك الى ما ليس من العلم كان نقول في كل قراءة الاستعاذة والقراءات المشهورة سبع كذا وكذا وروى
كل قراءة من هم مثلا كل قراءة وفي اللغات واضعها من هو وكيف تساوت اللغات وما معنى الاشتقاق وما فائدته وفي الصرف انه معرفة احوال
الكلم التى ليست باعراب من جملة الاحوال صيغة المضارع وما معناها وما اصل الفعل والكلمة الى غير ذلك من قواعد الصرف بل ما فوق ذلك من مباحث
الحروف والصوت بانه من مقولة الكيف وفي النحو ان التركيب مشتمل على الاسم والفعل والحرف والاسم معرب منصرف وغير منصرف وغير منصرف مبنى
وما سبب كل من مراتب البناء والصرف ومنع الصرف وانواع الاعراب بكم هو وكل منها يختص باى شئ من الفاعل والمفعول والمضاف اليه بل يخص بكل صنف
ما يختص من اصناف الفعل كم هى واصناف الحرف كم هى لا سيما حروف الجر وما معنى كل منها الى غير ذلك وبالجملة فمن كل علم يوجد نكتة مخصوصة بهذه
المادة يلزمنا ايرادها فقط اذ لو تعدينا الى ما فوق ذلك من القواعد القوانين لزم ايراد كل العلوم او اكثرها في تفسير كلام واحد لانه محال شنيع اذ
يلزم تداخل العلوم واضطراب القوانين وايضا لو فسر الشيطان الرجيم بما يلزمه من انواع الضلالات والجهالات والعقائد الفاسدة والمذاهب
الباطلة في الملة الاسلامية وغيرها ودفعها بما هو مباين عنه كانواع الامانات واصناف المخافات حتى يلزم تكثير المسائل لم يخل عن التعسف الا
ومن ارتكب شيئا من ذلك فقد خطئ بالخلف وزاغ عن الجادة وانحرف عن سواء السبيل نعم لو اورد طرفا من الاصطلاحات والمسائل على
سبيل التصدير من غير اشارة الى انها من الاصلية بعد لانها الكلية لا افادة لها فلا ريب انه بعد الضرورة وبمقدار الواجب لا شرف انها في

المقدمات وقد بقي مما يمكن ان يعد من المقدمات ذكر ابتداء الوحي وكيفية نزول القرآن شيئا بعد شيء وبيان كيفية اعجاز القرآن ونحن قد ابنا الاتيو بها الى ايرادها في مواضعها اذا افضت النوبة اليها فلنشرع الآن في المقصود وهو التفسير المسمى بغرائب القرآن ورغائب الفرقان والله المستعان وعليه التكلان

سورة الفاتحة وهي سبع آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين القراآت مالك بالالف سهل ويعقوب وعاصم وعلي وخلف الباقون ملك الرحيم ملك مدغما ابو عمرو وكذلك يدغم كل حرفين التقيا من كلمتين اذا كانا من جنس واحد مثل فيه هدى او من مخرج واحد مثل قالت طائفة او قريبي المخرج مثل خلقكم ولقد جاءكم سواء كان الحرف المدغم ساكنا مثل انبتت سبع سنابل ويسمى بالادغام الصغير او متحركا فاسكن للادغام مثل قيل لهم ولذهب بسمعهم ويسمى بالادغام الكبير الا ان يكون مضاعفا نحو تم الحكم ومس سقر او منقوصا مثل يا ليتني كنت ترابا ونعني بالمنقوص الاجوف المحذوف العين او مفتوحا قبله ساكن مثل البحر لتاكلوا والحمير لتركبوها الا في مواضع اربعة كاد تزيغ وقال رب كل القرآن والصلوة طرفي النهار وبعد توكيدها او يكون الاظهار اخف من الادغام نحو افانت تسمع فانت تهدي افانت تنقذ وعن يعقوب ادغام المتجانسين في جميع القرآن اذا التقيا من كلمتين الصراط بالاشمام الزاي الصاد حمزة في جميع القرآن وعن يعقوب بالسين كل القرآن وعن الكسائي باشمام السين كل القرآن والباقون بالصاد عليهم واليهم ولديهم بضم الهاءات كل القرآن حمزة وسهل ويعقوب بضم كل ميم جمع يزيد وابن كثير وقالون مخير والاصح عن قالون ضم الميم عند الالف المقطع فقط نحو انذرتهم ام الوقوف العالمين لا لاتصال الصفة بالموصوف الرحيم لا لذلك الدين ط لعدول عن الغائب الى الخاطب نستعين ط لابتداء الدعاء المستقيم لا لاتصال البدل بالمبدل انعمت عليهم لا لاتصال البدل او الصفة الضالين التفسير يروى عن جندب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في كتاب الله عز وجل برأيه فاصاب فقد اخطأ وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار فذكر العلماء ان النهي عن تفسير القرآن بالرأي لا يخلو اما ان يكون المراد به الاقتصار على النقل والمسموع وترك الاستنباط او المراد به امرا آخر وباطل ان يكون المراد به ان لا يتكلم احد في القرآن الا بما سمعه فان الصحابة رضي الله عنهم قد فسروا القرآن واختلفوا في تفسيره على وجوه وليس كل ما قالوه سمعوه كيف وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فان كان التأويل مسموعا كالتنزيل فما فائدة تخصيصه بذلك فانما النهي يحمل على وجهين احدهما ان يكون له في الشيء رأي واليه ميل من طبعه وهواه فيتأول القرآن على وفق هواه ليحتج على تصحيح غرضه ولو لم يكن له ذلك الرأي والهوى لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى وهذا قد يكون مع العلم بان المراد من الآية ليس ذلك ولكن يلبس على خصمه وقد يكون مع الجهل وذلك اذا كانت الآية محتملة فيميل فهمه الى الوجه الذي يوافق غرضه ويترجح ذلك الجانب برأيه وهواه ولولا رأيه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه وقد يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلا من القرآن ويستدل عليه بما يعلم انه ما اريد به كمن يدعو الى مجاهدة القلب القاسي فيقول المراد بفرعون في قوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى هو النفس الوجه الثاني ان يتسارع الى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيه من الالفاظ المبهمة والاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتأخير فالنقل والسماع لا بد منه في ظاهر التفسير اولا ليتقي به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع التفهم والاستنباط والغرائب التي لا تفهم الا بالسماع كثيرة كقوله تعالى وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها معناه آية مبصرة فظلموا انفسهم بقتلها فالناظر الى ظاهر العربية يظن ان المراد ان الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء وما يدري بماذا ظلموا وانهم ظلموا غيرهم او انفسهم فما عدا هذين الوجهين فلا يتطرق النهي اليه ما دام على قوانين العلوم العربية والقواعد الاصلية والفرعية واما كلام المتصوفة في القرآن فقيل انه ليس بتفسير وعن الامام الواحدي انه قال صنف ابو عبد الرحمن السلمي حقائق التفسير فان كان قد اعتقد ان ذلك تفسير فقد كفر وقال بعضهم ان كان ... [illegible] ... ان لا يأول المسلم شيئا من القرآن والحديث بالمعاني بحيث يبطل الاعيان التي فسرها النبي صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح مثل الجنة والنار والصراط والميزان والحور والقصور والانهار والاشجار والثمار وغيرها ولكن يجب ان يثبت تلك الاعيان كما جاءت ثم ان فهم منها حقائق اخرى ورموزا ولطائف بحسب ما يكوشف فلا بأس فان الله تعالى ما خلق شيئا في عالم الصورة الا وله نظير في عالم المعنى وما خلق شيئا في عالم المعنى وهو الآخرة الا وله حقيقة في عالم الحق وهو غيب الغيب وما خلق في العالمين شيئا الا وله انموذج في عالم الانسان والله تعالى اعلم والتفسير اصله الكشف والاظهار وكذلك سائر تصاريفه من ذلك سفرت المرأة كشفت عن وجهها والفجر كأنه يكشف عن وجه الحوائج ومنه السفر كأنه يكشف عن حال الرجل والفسر كأنه يكشف عن عضو وانكشاف حال المقيد في سفاته واضح وفن التفسير ما يتعلق باللغة منه ما يتعلق بالصرف والنحو والمعاني والبيان الى غير ذلك من العلوم كما اشرنا الى ذلك في المقدمة العاشرة ومنه اسباب النزول وذكر القصص والاخبار وقد يراد بحمله على بيان نزول نظم القرآن مع الترجمة والقراءة ثم الوقوف ثم اسباب النزول ثم التفسير الشامل لجميع ذلك ثم التأويل ان كان ولم نذكره في التفسير فنذكر منه ما هو اقرب الى الامكان والله المستعان في تفسير الفاتحة فنقول في البسملة مسائل الاولى الجار والمجرور لا بد له من متعلق وليس بمذكور فيكون مقدرا وانه يكون فعلا او اسما فيه ذلك الفعل وعلى التقديرين فاما ان يقدر مقدما او مؤخرا نحو ابدأ باسم الله او بسم الله ابدأ وابتدائي بسم الله او بسم الله ابتدائي وجعل صاحب الكشاف الابتداء وتقدير الفعل اولى من تقدير الاسم لان كل فاعل يبدأ في فعله ببسم الله يكون مضمرا ما جعل التسمية مبدأ له فيكون المراد ان ذلك انما هو على اسم الله فيقدر كذلك بسم الله اقرأ او اتلو او ابدأ لان الذي يتلو التسمية مقروء ومبدوء به كما ان المسافر اذا حل او ارتحل فقال بسم الله

مرجو كتبه

والبركات كان المعنى بسم الله احل وارتحل كما يقال للذابح ونظيره في حذف متعلق الجار قولهم في الدعاء للعرس بالرفاء والبنين اي بالرفاء اعرست
وتقدير المحذوف متأخرا اولى على نحو قوله تعالى بسم الله مجريها ومرساها لان تقديم ذكر الله ادخل في التعظيم ولان ما هو السابق في الوجود يستحق
السبق في الذكر ولهذا قال المحققون ما رأيت شيئا الا ورأيت الله قبله ولانهم كانوا يبدؤن باسماء الهتهم فيقولون باسم اللات باسم العزى
فوجب ان يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله عز وجل بالابتداء وذلك بتقديمه وتأخير الفعل وانما قدم الفعل في اقرأ هناك اوقع لانها اول سورة نزلت فكان
الامر بالقراءة اهم قال صاحب المفتاح العنوان يقال معنى اقرأ اوجد القراءة ثم يكون باسم ربك متعلقا باقرأ الثاني وذكر في معنى تعلق اسم الله
بالقراءة وجهان احدهما تعلق الكتبة بالقلم في قولك كتبت بالقلم كان فعله لا يجيء معتدا به شرعا الا مبتدأ به مصدرا بذكره وقال عليه السلام كل امر ذي بال لم يبدأ فيه
ببسم الله فهو ابتر والثاني تعلق الدهن بالانبات في قوله تنبت بالدهن اي متبركا باسم الله قرأ كما في قوله بالرفاء والبنين اي اعرست متلبسا
بالرفاء وهذا اعرب واحسن اما كونه ادخل في العربية فلانه لا يعرفه الا من له دربة بفنون الاستعمالات بخلاف الاول فانه مبتذل واما كونه
احسن فلان جعل اسم الله كالالة خروج عن الادب لان الالة من حيث هي الة غير مقصودة بالذات واسم الله تعالى عند الموحد اهم شيء واقدم
وانه مقول على السنة العباد تعليما لهم كيف يتبركون باسمه وكيف يعظمونه وكذلك الحمد لله رب العالمين الى آخر السورة ثم استحسنوا تفخيم اللام
تغليظها من لفظ الله بعد الفتحة والضمة دون الكسرة اما الاول فللفرق بينه وبين لفظ اللات في الذكر ولان التفخيم مشعر بالتعظيم ولان اللام الرقيقة
تذكر بطرف اللسان والغليظة تذكر بكل اللسان فكان العمل فيه ادخل في الثواب وهذا كما جاء في التوراة احبب ربك بكل قلبك واما الثاني فلان النقل من
الكسرة الى اللام الغليظة ثقيل على اللسان لكونه كالصعود بعد الانحدار وانما جعلت اللام الغليظة حرفا آخر كما صار للعجز والظاء حرفا آخر مع ان نسبة
الرقيقة الى الغليظة كنسبة الدال الى الظاء بطرف اللسان فان الدال والظاء بكل اللسان لاطراد استعمال الغليظة مكان كل رقيقة منها لم يسوغ في الكسرة وعدم اطراد
الظاء مكان كل دال الثالثة طولوا الباء من بسم الله ما الدلالة على همزة الوصل المحذوفة ولما لانهم ارادوا ان لا يستفتحوا كتاب الله الا بحرف معظم
وكان يقول عمر بن عبد العزيز لكتابه طولوا الباء واظهروا السين ودوروا الميم تعظيما لكتاب الله وقال اهل الاشارة الباء حرف منخفض في الصورة
فلما اتصل بكتبة لفظ الله ارتفعت واستعلت فلا يبعد ان القلب اذا اتصل بحضرة الله يرتفع حاله ويعلو شأنه والرابعة ابقاء لام التعريف في
الخط على اصله في لفظ الله كما في سائر اسماء المعرفة واما حذف الالف قبل الهاء فلكراهتهم اجتماع الحروف المتشابهة في الصورة في الكتابة ولانه
يشبه اللات في الكتابة قال اهل الاشارة الاصل في قولنا الله الاله وهي ستة احرف يبقى بعد التصرف اربعة في اللفظ الف ولامان وهاء فالالف
من اقصى الحلق واللام من طرف اللسان والهاء من اقصى الحلق وهذا حال العبد يبتدئ من النكرة والجهالة ويترقى قليلا قليلا في مقامات العبودية
حتى اذا وصل الى آخر مراتب الوسع والطاقة ودخل في عالم المكاشفات والانوار اخذ يرجع قليلا قليلا حتى ينتهي الى الفناء في بحر التوحيد كما قيل
النهاية رجوع الى البداية واما حذف الالف قبل النون من لفظ الرحمن فهو جائز في الخط ولو كتب كان احسن الخامسة الاسم احد الاسماء العشرة التي
بنوا اوائلها على السكون وهو عند البصريين في الاصل سمو بدليل تكسيره على اسماء وتصغيره على سمي وتصريفه على سميت نحو واشتقاقه
من السمو العلو وهو مناسب لان التسمية تنويه بالمسمى واشادة بذكره وقيل لان اللفظ معرف للمعنى والمعرف متقدم على المعرف في المعلومية
فهو عال عليه حذف عجزه كما في يد ودم فبقي حرفان ولما سكن اولهما تحرك الثاني بعد ما كان ساكنا لاجل الاعراب سكن المتحرك للاعتدال فاحتيج الى همزة
الوصل اذ كان دابهم ان يبتدؤا بالمتحرك ويقفوا على الساكن حذرا من اللكنة والبشاعة ومنهم من لم يزد الهمزة وابقى السين بحاله فيقول سم كما قال
باسم الذي في كل سورة سمه وقد يضم السين فيقال سم كان الاصل عنده سمو وعند الكوفيين اشتقاق الاسم من الوسم السمة لان الاسم كالعلامة
المعرفة وزيف بانه لو كان كذلك لكان تصغيره وسيما وجمعه اوساما السادسة قال بعض المتكلمين منهم الاشعري ان الاسم عين المسمى وغير التسمية
وهو حق لان الاسم قد يكون موجودا والمسمى معدوما كلفظ المعدوم والمنفي ومع ذلك قد يكون بالعكس كالحقائق التي لم توضع لها اسماء ولان
الاسماء قد تكون كثيرة مع كون المسمى واحدا كالاسماء المترادفة وكاسماء الله التسعة والتسعين وبالعكس كالاسماء المشتركة ولان كون الاسم
اسما للمسمى وكون المسمى مسمى له من باب الاضافة كالمالكية والمملوكية والمتضايفان متغايران لاستحالة ولا يشكل بتضايف الشيء بنفسه
لانهما متغايران اعتبارا ولان الاسم اصوات مقطعة وحروف مؤلفة اعراض غير باقية والمسمى قد يكون باقيا بل واجب الوجود لذاته ولانه يلزم من التلفظ بالعسل
وجود الحلاوة في اللسان ومن التلفظ بالنار وجود الحرارة وقالت المعتزلة الاسم نفس المسمى لقوله تعالى تبارك اسم ربك فكان تبارك ربك
والجواب انه كما يجب علينا تنزيه ذات الله تعالى من النقائص يجب تنزيه اسمه عما لا ينبغي او يقحم لفظ الاسم مجازا كقوله الى الحول ثم اسم السلام
عليكما قالوا اذا قال الرجل زينب طالق وكان له زوجة مسماة بزينب طلقت شرعا فلولا ان الاسم هو الذات التي يعبر عنها بهذا اللفظ طالق فلما
وقع الطلاق عليها والتسمية ايضا مغايرة للمسمى وللاسم لانها عبارة عن تعيين اللفظ المعين لتعريف الذات المعينة وذلك التعيين معناه
قصد الواضع وارادته والاسم عبارة عن ذلك اللفظ المعين فافترقا السابعة وضع الاسماء والافعال سابق على وضع الحروف لان الحروف
روابط بينهما والظاهر ان وضع الاسماء سابق على وضع الافعال لان الاسم لفظ دال على الماهية والفعل لفظ دال على حصول الماهية لشيء من
الاشياء في زمان معين فكان الاسم مفردا والفعل مركبا والمفرد سابق على المركب طبعا فيكون سابقا عليه وضعا وايضا الفعل مفتقر الى

الفاعل والفاعل لا يفتقر الى الفعل فاذن الاسم مستقل في الافادة عن الفعل دون العكس فلا جرم ان اسماء الماهيات سابقة بالرتبة على اسماء
المشتقات لان الاولى مفردة والثانية مركبة وثبت بهذا ان يكون اسماء الصفات سابقة بالرتبة على اسماء الذوات القائمة بانفسها لانا لا نعرف
الذوات الا بتوسط الصفات القائمة بها والمعرف معلوم قبل المعرف فناسب تقديمه في الذكر الثامنة تسلم الاسماء الواقعة على المسميات
تسعة اولها الاسم الواقع عليه بحسب صفاته على الذات ثانيها الاسم الواقع على الشيء بحسب جزء من اجزائه كالحيوان على الانسان ثالثها الواقع
عليه بحسب صفة حقيقية قائمة بذاته كالاسود والحار ورابعها الواقع عليه بحسب صفة اضافية كقولنا للشيء انه معلوم ومفهوم ومالك ومملوك
خامسها الواقع عليه بحسب صفة سلبية كالاعمى والفقير سادسها الواقع عليه بحسب صفة حقيقية لها اضافة كالعالم والقادر عند القائل بان العلم
صفة حقيقية ولها اضافة الى المعلومات وكذا القدرة سابعها صفة حقيقية مع صفة سلبية كالمفهوم من مجموع قولنا قادر لا يعجز عن شيء
وعالم لا يجهل شيئا ثامنها صفة اضافية مع صفة سلبية كالاول فان معناه سابق غير مسبوق تاسعها صفة حقيقية اضافية وصفة سلبية
فهذه اقسام الاسماء لا تكاد تجد اسما خارجا عنها سوى كان لله تعالى او للمخلوقات الثانية هل لله تعالى بحسب ذاته المخصوصة اسم ام لا ذكر بعضهم ان
حقيقته تعالى لما كانت غير معلومة للبشر فكيف يوضع الاسم المخصوص بذاته وما الفائدة في ذلك اقول لا ريب ان الادراك التام عبارة عن الاحاطة التامة
والاحاطة لا يمكن ان يحيط بحيطة ابدا وانه تعالى بكل شيء محيط فلا يدركه شيء مما دونه كما ينبغي الا ان وضع الاسم للذات لا ينافي عدم ادراكه كما ينبغي وانما
ينافي عدم ادراكه مطلقا فيجوز ان يقال الشيء الذي تلك منه هذه الاثار واللوازم يسمى بهذا اللفظ وايضا اذا كان الواضع هو الله تعالى وهو يدرك
ذاته على ما هو عليه فله ان يضع لذاته تعالى اسما مخصوصا للايثار كونه غير حقيقته اذا كان وضع الاسم لتلك الحقيقة المخصوصة ممكنا فينبغي ان يكون ذلك
الاسم اعظم الاسماء وذلك لان الذكر يشرف بشرف الذكر فكما لا يشرف العلم الا بشرف المعلوم والذكر بشرف المذكور فلا اتفق لعبد من عبيده المقربين الوقوف على ذلك
الاسم حال ما يكون قد تجلى معناه لو سعدان يتناول عوالم الجسمانيات والروحانيات ثم القائلون بان الاسم الاعظم موجود اختلفوا فيه
على وجوه منهم من قال هو ذو الجلال والاكرام لقوله الظوا بياذا الجلال والاكرام ورد بان الجلال من الصفات السلبية والاكرام من الاضافية
ومن البين ان حقيقته المخصوصة مغايرة للسلوب والاضافات ومنهم من قال انه الحي القيوم لقوله عليه السلام لابي بن كعب حين قال له ما اعظم اية في كتاب الله فقال
الله لا اله الا هو الحي القيوم فقال عليه السلام ليهنك العلم يا ابا المنذر ورد بان الحي هو الدراك الفعال وهذا ليس فيه عظمة لانه صفة واما القيوم
فمعناه كونه قائما بنفسه مقوما لغيره والاول مفهوم سلبي هو استغناؤه عن غيره والثاني اضافي ومنهم من قال ان اسماء الله تعالى كلها
عظيمة لا ينبغي ان يتفاوت بينها ورد بما مر من ان اسم الذات اشرف من اسم الصفة ومنهم من قال ان الاسم الاعظم هو الله وهذا اقرب لانا
سنقيم الدلالة على ان هذا الاسم يجري مجرى اسم العلم في حقه سبحانه واذا كان كذلك كان دالا على ذاته المخصوصة ويؤيده ما روت اسماء بنت يزيد ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسم الله الاعظم في هاتين الايتين والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم وفاتحة سورة آل عمران الم الله لا اله الا هو الحي القيوم
وعن بريدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول اللهم اني اسألك باني اشهد انك انت الله لا اله الا انت الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن
له كفوا احد فقال والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الاعظم الذي اذا دعي به اجاب واذا سئل به اعطى ولا شك ان اسم الله في الاية والحديث
اصل والصفات مرتبة عليه واما الاسم الدال على المسمى بحسب جزء من اجزائه فمحال في حق الله تعالى لان ذاته تعالى منزه عن شائبة التركيب بوجه من
الوجوه واما الاسم الدال بحسب صفة حقيقية قائمة بذاته المخصوصة فتلك الصفة اما ان تكون هي الوجود واما ان تكون كيفية من كيفيات الوجود
واما ان تكون صفة اخرى مغايرة للوجود فهذه ثلثة اقسام القسم الاول الاسماء الدالة على الوجود منها الشيء ويجوز اطلاقه على الله تعالى عند
الاكثرين لقوله تعالى قل اي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم كل شيء هالك الا وجهه اي ذاته وفي الخبر كان الله ولم يكن شيء غيره
ولان الشيء عبارة عما يصح ان يعلم ويخبر عنه وذاته تعالى كذلك حجة المخالف قوله تعالى الله خالق كل شيء فلو كان الله تعالى شيئا لزم ان يكون خالق نفسه
ومثله وهو على كل شيء قدير قلنا خص بدليل العقل والثاني من صفات المدح قلنا نعم هو خير من كل شيء وان كان سائر الاشياء يشترك
معه في ذلك كالموجود والكريم والحليم فان كلا منها مدح بالنسبة الى من لا وجود له ولا كرم ولا حلم بل الشيء بالحقيقة هو وباقي الاشياء شيئيتها
مستعارة كوجودها ومنها الموجود واطبق المسلمون على جواز اطلاقه عليه تعالى وكيف لا ومعنى قول الموحد لا اله الا الله اي لا اله في الوجود الا الله
ومنها الذات ولا شك في جواز اطلاقه عليه فهو صادق على كل حقيقة اما دون الصفات او مع الصفات القائمة بها ويؤيد ذلك ما روي عن
ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ابراهيم لم يكذب الا في ثلث ثنتين في ذات الله اي في طلب مرضاته ومنها النفس قال الله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم
ما في نفسك وقال عليه السلام انت كما اثنيت على نفسك اي على ذاتك وحقيقتك ومنها الشخص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا شخص اغير من الله تعالى ومن اجل غيرته حرم الفواحش ما ظهر منها
وما بطن ولا شخص احب اليه العذر من الله من اجل ذلك بعث المرسلين مبشرين ومنذرين ولا شخص احب اليه المدحة من الله والمراد بالشخص
الحقيقة المتعينة الممتازة عما عداها ومنها النور قال عز من قائل الله نور السموات والارض وليس المراد انه الظاهر في نفسه المظهر لغيره واذ لا وجود
والظهار فانه واجب الوجود لذاته ازلا وابدا ومخرج جميع الممكنات من العدم الى الوجود فانه هو نور الانوار [illegible] تمام
التحقيق اذا وصلنا الى سورة النور وهو يبقى مما يتعلق بالامور الوجودية [illegible] ومنها الصورة وقد ورد في الحديث ان الله خلق آدم على

ولكيفية الوجود منه

المراد ما يشبه الكيفية المبصرة واما نعم

[illegible] الظهار [illegible]

صورته وقيل معناه خلق آدم على صورته التي كان عليها يعني ما تولد من نطفة ودم وما كان جنينا ورضيعا بل خلقه الله تعالى رجلا كاملا دفعة واحدة
وقيل في حديث آخر لا تقبحوا الوجه فإن الله تعالى خلق آدم على صورة الرحمن المراد من الصورة الصفة كما يقال صورة هذه المسألة كذا أي خلقه
على صفته في أرضه متصرفا في جميع الأجسام الأرضية كما أنه تعالى نافذ القدرة في جميع العالم ويمكن أن يقال الصورة إشارة إلى جهة المناسبة
التي ينبغي أن يكون بين كل علة ومعلولها فإن الظلمة لا تصدر عن النور بالعكس كما قررنا في رسالة ومنها الجوهر وإنه لا يطلق عليه بمعنى
موجود لا في موضوع أي إذا وجد كان وجوده بحيث لا يحتاج إلى محل يقوم به يستغني المحل عنه لأن ذلك ينبئ عن كون وجوده زائدا على ماهيته
وإنما يمكن أن يطلق عليه بمعنى آخر وهو كونه قائما بذاته غير مفتقر إلى شيء في شيء أصلا لكن الإذن الشرعي حيث لم يرد بذلك وجب الامتناع عنه
ومنها الجسم فلا يطلقه عليه إلا المجسمة فإن أرادوا الجوهر القابل للأبعاد الثلاثة فمحال للزوم التركيب والتجزي وإن أرادوا معنى يليق بذاته من كونه
موجودا قائما بالنفس غنيا عن المحل فالإذن الشرعي لم يرد به فلزم الامتناع ومنها الماهية والإنية أي الحقيقة التي يسأل عنها بما هي وثبوته
الدال عليه لفظ أنا ولا بأس بإطلاقهما عليه فإن المراد بهما الحقيقة والذات المخصوصة إلا من حيث الشرع ومنها الحق فإنه تعالى أحق الأشياء بهذا الاسم
أما بحسب ذاته فلأنه الموجود الذي يمتنع عدمه وزواله والحق يقابل الباطل والباطل يقال للعدم قال لبيد ألا كل شيء ما خلا الله باطل وأما بحسب
ما يقال إن هذا الخبر حق وصدق فهذا الخبر أحق صدقا مما يجب أن يقال هذا الاعتقاد حق فلأن اعتقاد وجوده ووجوبه أصوب الاعتقادات
المطابقة القسم الثاني في الأسماء الدالة على كيفية الوجود منها القديم وهو في اللغة يفيد طول المدة وفي الشرع يراد به الأزلي ويراد بهما ما لا أول
له في الطرف الماضي كما أن الأبدي في الطرف المستقبل وكذا السرمد واشتقاقه من السرد وهو التوالي والتعاقب بدخل الميم للمبالغة ونعني بالنسبة في هذه الألفاظ
أنه منسوب إلى عدم البداية والنهاية في كلا طرفي الامتداد الوهمي المسمى بالزمان ومنها الممتد المستمر ونعني به ما تلاحق الأجزاء وتعاقب الأبعاض وكل
أن أمثال هذه الألفاظ إنما يصح إطلاقها بالحقيقة على الزمان والزمانيات وأما في حق الله جل ذكره فلا يصح إلا بالمجاز بعد التوقيف ومنها الباقي قال
تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك وإنه تعالى أحق الأشياء بهذا الاسم ومنها الدائم وهو كالباقي ومنها واجب الوجود لذاته فإنه أحق وجوده
بما بالذات لا ينفك عنه أبدا فهو يمتنع الفناء والعدم أزلا وأبدا ولهذا قيل هذا معناه ومنها الكائن قال تعالى وكان
الله عليما حكيما وفي بعض الأدعية المأثورة من النبوة يا كائنا قبل كل كون ويا حاضرا مع كل كون ويا باقيا بعد انقضاء كل كون واعلم أن لفظ كان
يفيد الحصول والثبوت والوجود إلا أن هذا قسمان منه ما يفيد حصول الشيء في نفسه ومنه ما يفيد حصول موصوفية شيء بشيء والأول يتم
بإسناده إلى ذلك الشيء وهي التامة والثاني لا يتم إلا بذكر شيئين وهي الناقصة نحو كان زيد عالما أي حصل موصوفية زيد بالعلم
وكلا القسمين يجوز إطلاقه عليه تعالى القسم الثالث في الصفات الحقيقية المغايرة للوجود والكيفيات الوجود قالت الفلاسفة والمعتزلة أنكروا قيام مثل
هذه الصفات بذات الله تعالى أشد إنكار لأن واجب الوجود لذاته يجب أن يكون واحدا من جميع جهاته ولأن تلك الصفة لو كانت واجبة الوجود
لزم شريك الباري مع أن الجمع بين الوجوب لذاته وبين كونه صفة للغير محال لأن الصفة مفتقرة إلى الموصوف وإن كانت ممكنة الوجود فلها علة
موجدة ويحال أن يكون سوى الله تعالى لأنه قابل لها فلا يكون فاعلا لها ولأن ذاته لو كانت كافية في تحصيل تلك الصفة فيكون ذاته بدون الصفة
كاملة في العلية وهو المطلوب وإن لم يكن كافيا لزم النقص لنا في الوجوب الوجودي حجة المثبتين أن إله العالم يجب أن يكون عالما قادرا حيا ثم
إنا ندرك التفرقة بين قولنا ذات الله تعالى وبين قولنا ذاته عالم قادر وذلك يدل على المغايرة بين الذات وهذه الصفات وإذا قلنا ما أثبتنا
الصفات الحقيقية فقول العلم صفة يلزمها كونه متعلقا بالمعلوم والقدرة صفة يلزمها صفة تعلقها بإيجاد المقدور والصفة الحقيقية
الغائبة من النسب والإضافات في حقه تعالى ليست إلا صفة الحياة إن لم يقل إنها عبارة عن الدراكية والفعالية بل يقال إنها صفة باعتبارها
يصح أن يكون عالما وقادرا والتحقيق أن الحياة عبارة عن كون الشيء بحيث يصدر عنه ما من شأنه أن يصدر عنه كما ينبغي أن يصدر عنه ولا ريب
واجب الوجود تعالى أحق الأشياء بهذا الاسم لأن وجوب الوجود يقتضي اتصافه بجميع الصفات الكمالية وصدور الأشياء الممكنة عنه على النحو
الأفضل ولهذا امتدح الله تعالى نفسه فقال الله لا إله إلا هو الحي القيوم وعنت الوجوه للحي القيوم وأما الأسماء الدالة على الصفات الإضافية
فمنها التكوين وهو عند المعتزلة والأشعري نفس المكون وقال غيرهم إنه غيره حجة الأولين أن الصفة المسماة بالتكوين إما أن يؤثر على سبيل
القصد وهي القدرة لا غير أو على سبيل الوجوب يلزم كونه موجبا بالذات لا فاعلا بالاختيار وأيضا إن كانت قديمة لزم قدم الآثار وإن كان
حادثة افتقرت إلى تكوين آخر وتسلسل الآخرون قالوا كونه خالقا رازقا ليس عبارة عن الصفة الإضافية فقط بل هو عبارة عن صفة حقيقية
موصوفة بصفة إضافية لأن المفهوم من كونه موجدا مغاير للمفهوم من كونه قادرا فإن القادر على الفعل قد يوجد وقد لا يوجد منها كونه تعالى
معلوما مذكورا مسبحا ممجدا فيقال إنه المسبح بكل لسان وإنه الممدوح عند كل إنسان وإنه المرجوع إليه في كل حين وأوان ولما كان هذا
النوع من الإضافات غير متناه كانت الأسماء الممكنة لله بحسب هذا النوع من الصفات غير متناهية ومنها ألفاظ متقاربة تدل على مجرد كونه موجدا
مثل الموجد معناه المؤثر في الوجود المحدث وهو عبارة عن الذي جعله موجودا بعد العدم والمكون وهو كالموجد المنشئ ومعناه الموجد على
التدريج والمبدع والمخترع ويفهم منهما الإيجاد الدفعي وكذا الفاطر مثل الصانع ويفهم منه تكلف ما الخالق وهو التقدير وإنه في حق الله تعالى يرجع

كونه خليفته

الى العلم واما البارى فهو الذى يحدثه على الوجه الموافق للمصلحة يقال برء الله الخلق اذا اصلحه وجعله موافقا للغرض معين ومنها الفاظ تدل على ايجاده
بعينه وانها كذا تكون غير متناهية ومنها الفاظ تدل على ايجاد النوع الفلانى لاجل الحكمة الفلانية فاذا خلق المنافع سمى نافعا واذا خلق الالم
سمى ضارا واذا خلق الحيوة سمى محييا واذا خلق الموت سمى مميتا واذا اختصهم بالاكرام سمى لطيفا واذا اختصهم بالقهر سمى قهارا جبارا واذا افاض العطا
سمى وهابا واذا اكثر سمى باسطا واذا جازى الذنوب بالعقاب سمى منتقما واذا ترك ذلك الجزاء سمى عفوا غفورا رحمانا رحيما واذا المنع والامساك
المال سمى قابضا باسطا واذا حصل فى الجاه والحشمة سمى خافضا رافعا واما الصفات السلبية فمنها ما تعود الى الذات كقولنا انه ليس جوهرا ولا
جسما ولا مكانيا ولا زمانيا ولا حالا ولا محلا ولا مفتقرا الى شيء غيره تعالى فانه توقف صفاته واسمائه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ومنها ما يعود
الى الصفات ولا يخفى ان كل صفة من صفات النقص يجب تنزيهه تعالى عنها وذلك اما راجع الى ضد العلم كنفى النوم لا تاخذه سنة ولا نوم
وكنفى النسيان وما كان ربك نسيا وكنفى الجهل لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض وكان لا يمنعه العلم ببعض المعلومات عن العلم ببعض
لا يشغله شان عن شان واما راجع الى ضد القدرة ككونه منزها فى افعاله عن التعب لنصب وما مسنا من لغوب وانه لا يحتاج فى فعله الى الالات
وتقديم المادة والمدة انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وانه لا يتفاوت فى قدرته القليل والكثير وما امر الساعة الا كلمح البصر
او هو اقرب وانه لا ينتهى قدرته ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز واما راجع الى صفة الوحدة كنفى الانداد و
الاضداد ليس كمثله شيء ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله او الى صفة الاستغناء وهو يطعم ولا يطعم وهو يجير ولا يجار عليه ومنها
ما يعود الى الافعال لا يخلق الباطل وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا لا يخلق للعبث ما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين
لا يخلق العبث افحسبتم انما خلقناكم عبثا لا يرضى بالكفر لا يريد الظلم لا يحب الفساد لا يؤذى من غير سابقة جرم ما يفعل الله بعذابكم ان
شكرتم وامنتم لا ينتفع بطاعات المطيعين لا يتضرر بمعاصى المذنبين ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها فليس لاحد ان يعترض
عليه فى افعاله واحكامه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون لا يخلف الله الميعاد ومن اسماء السلوب القدوس والسلام لانه منزه وسالم من نقائص
الامكان ومنها العزيز وهو الذى لا يوجد له نظير او لا يغلبه شيء والحليم الذى لا يعاجل بالعقوبة ولا يمنع من ايصال الرحمة والصبور الذى لا يعاقب
المسيء مع القدرة عليه واما الاسماء الدالة على الصفات الحقيقية مع الاضافية فمنها القادر والقدير والمقتدر والمالك والملك ومالك الملك
المليك والقوى ذو القوة ومعانيها ترجع الى القدرة ومنها ما يرجع الى العلم ولا يحيطون بشيء من علمه عالم الغيب والشهادة وهو بكل شيء
عليم علام الغيوب الله اعلم حيث يجعل رسالته علم الله انكم كنتم تختانون والله يعلم ما تسرون وما تعلنون وعلم ادم الاسماء ولم يرد
علاما وان كان يفيد المبالغة لان ذلك بنا وبالمة او جاعة والخبير يقرب من العلم وكذا الشهيد اذا فسر بكونه مشاهدا لها اما اذا اخذ من الشهادة
كان من صفة الكلام والحكيم يشارك العلم من حيث انه يدرك حقايق الاشياء كما هى ويباينه بانه ايضا صنعة الاشياء على ما ينبغى واللطيف
قد يراد به ايصال المنافع الى الغير بطرق خفية محسنة والحقيق بانه الذى ينفذ تصرفه فى جميع الاشياء ومنها ما يرجع الى الكلام وكلم الله موسى تكليما
وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا واذ قال ... يك ما يبدل القول لدى ومن اصدق من الله قيلا انما امره ان الله يامركم وعد الله حقا
فاوحى الى عبده ما اوحى وكان الله شاكرا عليما كان سعيكم مشكورا وذلك انه اثنى على عبده بمثل قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار
هم يستغفرون وهذا صورة الشكر ومنها ما يرجع الى الارادة يريد الله بكم اليسر رضى الله عنهم اى صار مريدا لافعالهم يحبهم ويحبونه والله
يحب المطهرين يريد به ايصال الخير اليهم كما ان المكان سببه عند ... يكرهها الاشعرية الكراهية عبارة عن ارادة عدم الفعل المعتزلة
صفة اخرى غير الارادة ومنها ما يرجع الى السمع والبصر انني معكما اسمع وارى انه هو السميع البصير لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار
واما الصفات الاضافية مع السلبية فكالاول لانه مركب من معنيين احدهما انه سابق على غيره والثانى لا يسبق عليه غيره وكالاخر فانه الذى يبقى
بعد غيره ولا يبقى بعده غيره وكالقيوم فانه الذى يفتقر اليه غيره ولا يفتقر هو الى غيره والظاهر اضافة محضة وكذا الباطن اى انه ظاهر بحسب الدلائل ...
بحسب الماهية واما الاسم الدال على مجموع الذات والصفات الحقيقية والاضافية والسلبية فالاله ولا يجوز اطلاق هذا اللفظ فى الاسلام على
غير الله واما الله فيما قيل انه اسم علم وقد بقى منها اسماء يطلقها عليه تعالى اهل التشبيه لكونه متحيزا او حالا فى المتحيز استبعادا منهم ان يكون
موجودا خاليا عن كلا الوصفين وهو عند اهل التقديس محال للزوم الافتقار اللهم الا ان يقال استعمل لمكان لا يستلزم الافتقار الى
المكان ومنها العظيم والكبير فهما مستفادان بقوله تعالى فى موضع وهو العلى العظيم وفى اخر وهو العلى الكبير وقد يفرق بينهما بانه ورد الكبرياء
ردائى والعظمة ازارى والرداء ارفع من الازار ولهذا اختص تحريم الصلوة بالله اكبر دون الله اعظم ولا ريب ان اطلاق العظيم والكبير على الله تعالى
بحسب الجثة والمقدار كالاجسام محال للزوم التبعيض والتجزية ومنها العلى والمتعالى فان العلو بالمعنى المستلزم للتمكن محال على الله فاما
ان يراد بمثل هذه الالفاظ مزيد الرتبة والشرف على الممكنات واما ان يقال انا نطلق هذه الاسماء للاذن الشرعى ونكل معانيها الى مراد
الله تعالى واما ان نستعمله كما ادركها بضرب من الكشف والعيان فى الاسماء المضمرة قال عز من قائل انني انا الله لا اله الا انا ولا يصح لغيره
لغيره هذا الذكر الا حكاية ومنه ما من قول بعض اهل الكمال انا من اهوى ومن اهوى انا اشارة الى كمال المحبة وغاية ارادة الاتصاف بصفة المحبوب وفنائه

اراد تمنى ادنه وقال لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين ولا يصح هذا الامر العبد بشرط الحضور والمشاهدة وقال لا اله الا هو
وانما يصح هذا من الغائبين واعلم ان درجات الحضور مختلفة بالقرب والبعد وكمال التجلي ونقصانه فكل حاضر غائب بالنسبة الى ما فوق ذلك
الدرجة وكل غائب حاضر كما قيل يا غائبا حاضرا في الفؤاد سلام على الغائب الحاضر وفي لفظة هو اسرار عجيبة منها ان العبد اذا قال يا هو
فكانه يقول ما للتراب ورب الارباب ما المناسبة بين المتولد من النطفة والدم وبين الموصوف بالازلية والقدم فلهذا ينادي نداء الغائبين
ويقول يا هو ومنها انه اذا قال يا هو فقد حكم على ان كل ما سوى الله تعالى نفي محض لانه لو حصل في الوجود شيئان لكان قوله هو صالحا لهما
جميعا فلا يتعين النداء ومنها انه اذا قال يا رحمن فكانه يتذكر رحمته ويطلب جنته وكذا اذا قال يا كريم وغيره من الصفات فاما اذا قال يا هو
فكانه استغرق في بحر العرفان ونفى ما سوى الذات ومنها انه اذا قال يا هو فكانه يقول جل حضرتك لان امدحك فاثني عليك بسلب نقائص
المخلوقات عنك في صفات الجلال ككونه لا جسم ولا جوهر ولا عرض ولا في المحل او باسناد كمالات الممكنات اليك في صفات الاكرام لكونه ربا
للموجودات على الوجه الاكمل بل لا امدحك ولا اثني عليك الا بهويتك من حيث هي ومنها ان هذا الذكر يفيد ان المذكور بسيط محض لا طريق الى تصوره
الا بالاشارة العقلية ومنها ان العبد كانه دهش وذهل عن كل ما يوصف به فما تكلم الا بهذه الاشارة ولاختصاص هذا الذكر بهذه الاسرار
ذكر الغزالي لا اله الا الله توحيد للعوام ولا هو الا هو توحيد الخواص وذلك لان قوله لا هو معناه كل شيء هالك الا هو الا وجهه ومن جملة
الاذكار الشريفة يا هو يا من لا هو الا هو يا ازلي يا ابدي يا دهر يا ديهور يا من هو الحي الذي لا يموت ولقد لقنني بعض المشايخ من الذكر يا هو يا من هو يا من لا هو الا هو يا
من لا هو الا هو فالاول فناء عما سوى الله الثاني فناء في الله والثالث فناء عن صفة الذات والرابع فناء عن الفناء عما سوى الذات يا في بقيته
مباحث الاسماء اختلفوا في ان اسماء الله تعالى توقيفية ام لا قال بعضهم الى التوقيف لا نصف الله تعالى بكونه عالما ولا نصفه بكونه طبيبا
وفقيها ومستفتيا فلولا ان اسماءه توقيفية لوصف بمثلها وان كان على سبيل التجوز فالقائلون بعدم التوقيف احتجوا بان اسماء الله تعالى
وصفاته مذكورة بالفارسية والتركية وان شيئا منها لم يرد في القرآن ولا في الاخبار مع ان المسلمين اجمعوا على جواز اطلاقها والجواب ان
التوقيف في غير اللغة العربية لا يوجب عدمه في العربية وبان الله تعالى قال ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وكل اسم دل على صفات الكمال و
نعوت الجلال كان حسنا ويجوز اطلاقه والجواب انه يجوز ولكن بعد التوقيف لم قلتم انه ليس كذلك ثم الفرق بين اسم الذات وبين اسماء الصفة
فمنع الاول وجوز الثاني واعلم انه قد ورد في القرآن الفاظ دالة على معان لا يمكن اثباتها بالحقيقة في حق الله تعالى منها الاستهزاء الله يستهزئ
بهم والاستهزاء مذموم لكونه جهلا قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين ومنها المكر ومكروا ومكر الله ومنها التعجب
بل عجبت ويسخرون فيمن قرأ بضم التاء والتعجب حالة للقلب تعرض عند الجهل بسبب الشيء ومنها التكبر الجبار المتكبر ومنها الحياء ان الله لا يستحيي
ان يضرب مثلا والحياء تغير يعرض للقلب او الوجه عند فعل شيء قبيح والقانون في تصحيح هذه الالفاظ ان يقال لكل واحد من هذه الاحوال
امور توجد معها في البداية وآثار توجد منها في النهاية مثاله الغضب حالة تحصل في القلب عند غليان دم القلب وسخونة مزاجه والاثر الحاصل منها
الى المغضوب عليه فالغضب في حقه تعالى محمول على الاثر الحاصل في النهاية لا الامر الكائن في البداية وقس على هذا واعلم ان لله تعالى بعدد الالف اسم
منها في القرآن والاخبار والالف في التوراة والالف في الانجيل والالف في الزبور ويقال الف في اللوح المحفوظ ولم يصل ذلك الى البشر وهذا
غير مستبعد فان اقسام صفات الله تعالى بحسب السلوب والاضافات لا تكاد تنحصر وكل من كان اطلاعه على آثار حكمة الله تعالى في تدبير العالم العلوي
والعالم السفلي اكثر كان اطلاعه على اسماء الله اكثر وانا نعلم ان لكل مخلوق اسما وكذا لكل خاصية ومنفعة فيه كمنافع الاعضاء والحيوان والنبات
ولا يجوز خروج الاسماء عن حد العد لا الاحصاء كما قال عز من قائل وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فان قلت انا نرى في كتب العزائم اذكارا غير
معلومة وقد يكون غير مفهومة وقد يكون كتابتها بآية غير معلومة فما بال تلك الاذكار وهل هي حق قلت لا شك ان تلك الكلمات ان لم تدل على شيء اصلا لا تفيد
وان دلت فلعلها احوال تلك الكلمات ان تكون شيئا من هذه الادعية ولا يبعد ان الاذكار المعلومة اذا دخلها الناس من قراءة تلك المجهولات الان
اكثر الناس اذا قرأوا هذه الاذكار المعلومة لم يكن لهم نفوس مشرقة منجذبة الى عالم القدس فلا يلوح عليهم آثار الغيبيات ولم يظهر عليهم شروق انوار
ولهذا قد يحصل رب تال للقرآن والقرآن يلعنه فنعوذ بالله من هذه الحالة اما اذا قرأوا تلك الالفاظ المجهولة ولم يفهموا منها شيئا وحصل عندهم
اوهام انها كلمات عالية استولى الفزع والرعب على قلوبهم فيحصل لهم بهذا السبب نوع تجرد عن الجسمانيات وتوجه الى الروحانيات فلذا تنفعهم
ويؤثر هذا الوجه مناسب في قراءة الرقى المجهولة واعلم ان بين الخلق وبين اسماء الله تعالى مناسبات عجيبة والنفوس مختلفة والجنسية علة الضم فكل
اسم يغلب معناه على بعض النفوس فاذا واظب على ذلك الاسم كان انتفاعه به اسرع والله الموفق حكي ان الشيخ ابا النجيب البغدادي كان يأمر المريد
بالاربعين مرة بعد تصفية ظاهره وباطنه ثم يقرأ عليه الاسماء التسعة والتسعين وكان ينظر الى وجهه فان رأى عدم التأثر عند قراءتها عليه قال
له اخرج الى السوق واشتغل بمهمات الدنيا فانك ما خلقت لهذا الطريق وان رأى تأثره عند سماع اسم خاص امره بالمواظبة على ذلك الذكر وقال
ان ابواب المكاشفات ستفتح عليك من هذا الطريق وذلك لان الرياضة والمجاهدة لا تقلب النفوس عن احوالها الفطرية ولكنها تضعف بحيث
لا تستولي على الانسان ولهذا قال النبي الناس معادن كمعادن الذهب والفضة الارواح جنود مجندة اعملوا فكل ميسر لما خلق له فهذا تمام البحث

يعذبون فيها فلما انصرف من حاجته ومر بالقبر فراى ملائكة الرحمة معهم اطباق من نور فتعجب من ذلك ودعا الله من بهذا فاوحى الله تعالى اليه انه
كان هذا العبد عاصيا وكان امرأته حبلى فولدت وربيته له حتى كبر فسلمته الى الكتاب فلقنه المعلم بسم الله الرحمن الرحيم فاستحييت من عبدي ان اعذبه
بناري في بطن الارض وولده يذكر اسمي على ظهر الارض الثانية عشرة كتب عارف بسم الله الرحمن الرحيم واوصى ان يجعل في كفنه فقيل له في ذلك فقال
اقول يوم القيمة الهي بعثت كتابا وجعلت عنوانه بسم الله الرحمن الرحيم فعاملني بعنوان كتابك الثالثة عشرة بسم الله الرحمن الرحيم تسعة عشر حرفا
والزبانية تسعة عشر فالله تعالى يدفع بلبهم بهذه الحروف التسعة عشر الرابعة عشرة اليوم بليلة اربع وعشرون ساعة فرض خمس صلوات
في خمس ساعات فبقي تسعة عشر ساعة لا يستغرق بذكر اسمه وهذه التسعة عشر حرفا تقع كفارات الذنوب الواقعة في تلك التسع عشرة
الخامسة عشرة لما كانت سورة التوبة مشتملة على القتال والبراءة لم يكتب في اولها بسم الله الرحمن الرحيم وايضا السنة ان يقال عند الذبح بسم الله والله اكبر
ولا يقال بسم الله الرحمن الرحيم فلما وفقك الله لذكر هذه الكلمات كل يوم سبع عشرة مرة في الصلوة المفروضة دل ذلك على انه ما خلقك للقتل و
العذاب وانما خلقك للرحمة والثواب السادسة عشرة قال صلى الله عليه وسلم من يرفع قرطاسا من الارض فيه بسم الله الرحمن الرحيم اجلالا لله تعالى كتب عند الله
من الصديقين وخفف عن والديه وان كانا من المشركين وعن علي رضي الله عنه لما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول ما انزلت
هذه الاية على ادم فقال امن ذريتي من العذاب ما داموا على قراءتها ثم رفعت فانزلت على ابراهيم فتلاها وهو في كفة المنجنيق فجعل الله عليه النار
بردا وسلاما ثم رفعت بعده فما انزلت الا على سليمان وعندها قالت الملائكة الان والله تم ملكك ثم رفعت فانزلها الله تعالى علي ثم ياتي امتي يوم
القيمة وهم يقولون بسم الله الرحمن الرحيم فاذا وضعت اعمالهم في الميزان ترجحت حسناتهم وعن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال يا ابا هريرة اذا توضأت
فقل بسم الله الرحمن الرحيم فان حفظتك لا تستريحون ان يكتبوا لك الحسنات حتى تفرغ واذا غشيت اهلك فقل بسم الله فان حفظتك
يكتبون لك الحسنات حتى تغتسل من الجنابة فان حصل من تلك الواقعة ولد كتب لك من الحسنات بعدد نفس ذلك الولد وبعدد انفاس اعقابهم
ان كان له عقب حتى لا يبقى منهم احد يا ابا هريرة اذا ركبت دابة فقل بسم الله والحمد لله يكتب لك الحسنات بعدد كل خطوة واذا ركبت سفينة
فقل بسم الله والحمد لله يكتب لك الحسنات حتى تخرج منها وعن انس انه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ستر ما بين اعين الجن وعورات بني ادم اذا نزعوا ثيابهم
ان يقولوا بسم الله الرحمن الرحيم وفي الاشارة يقول اذا صار هذا الاسم حجابا بينك وبين عدوك من الجن في الدنيا افلا يصير حجابا بينك وبين
الزبانية في العقبى شعر كانت لنفسي اهواء مفرقة فاستجمعت مذ راتك العين اهوائي فصار يحسدني من كنت احسده وصرت مولى الورى
مذ صرت مولائي تركت للناس دنياهم ودينهم شغلا بذكرك يا ديني ودنيائي هذا تمام الكلام في تفسير البسملة واما تفسير الفاتحة ففيه ابحاث
مسائل الاولى في اسماء هذه السورة وهي كثيرة وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى فالاول فاتحة الكتاب سميت بذلك لانه يفتتح بها في المصاحف
وفي التعليم وفي القراءة في الصلوة ولان الحمد فاتحة كل كلام او لانها فاتحة القرآن وقيل لانها اول سورة نزلت من السماء والثاني سورة الحمد لان
اولها الحمد الثالث ام الكتاب وام القرآن لانها اصل القرآن واصل كل كتاب منزل لاشتمالها على الالهيات والمعاد ومسائل القضاء والقدر
والنبوات ولان فيها ما اصل جميع كتب السماوية وهو الثناء على الله والاشتغال بالخدمة والطاعة وطلب المكاشفات والمشاهدات
او لان المقصود من جميع العلوم معرفة عزة الربوبية وذلة العبودية او لانها افضل سور القرآن كما ان مكة وهي ام القرى اشرف البلدان و
اصل لجميع البلدان حيث دحيت من تحتها او كان الحي بحيث لم … لانهم جعلوها معظم الاوجاع للدماغ الرابع السبع المثاني لانها سبع
ايات ولانها تثنى في كل صلوة او لان نصفها ثناء العبد للرب ونصفها عطاء الرب للعبد او لانها مستثناة لهذه الامة والذي نفسي
بيده ما انزلت في التوراة والانجيل ولا في الزبور مثل هذه السورة وانها السبع المثاني والقرآن العظيم او لانها اثنية مدايح لله تعالى الخامس
الوافية لانها يجب قراءتها كلها ولا يجزي بعضها في الصلوة السادس الكافية قال الامام القرآن عوض عن غيرها وليس غيرها عوضا عنها السابع الشفاء
والشافية لقوله صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب شفاء من كل سقم الثامن الاساس لانها اول سور القرآن فهو كالاساس او لانها تشتمل على اساس العبادات
والمطالب قال الشعبي سمعت عبد الله بن عباس يقول اساس الكتب القرآن واساس القرآن فاتحة الكتاب واساس الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم
فاذا اعتللت واشتكيت فعليك بالفاتحة بالاساس تشف باذن الله تعالى التاسع الصلوة قال النبي صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى قسمت الصلوة بيني وبين
عبدي نصفين يعني الفاتحة وهو من باب تسمية الشيء بمعظم اركانه ومنه يعلم وجوب قراءة الفاتحة في الصلوة العاشر سورة تعليم المسألة
لان الله تعالى علم عباده فيها ادب السؤال لانه قال فبدأ بالثناء ثم بالاخلاص ثم بالدعاء الحادي عشر سورة الكنز لما روي عن علي بن ابي طالب
انه قال نزلت فاتحة الكتاب بمكة من كنز تحت العرش وحكي قال الاكثر من العلماء انها مكية وخطاؤا مجاهدا في قوله انها مدنية وكيف لا وقد صح عن النبي
في حديث ابي بن كعب انها من اول ما نزل بالقرآن وانها السبع المثاني وسورة الحجر مكية بلا خلاف وفيها قوله ولقد اتيناك سبعا من المثاني
ولا يصح القول بان رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث بضع عشرة سنة بلا فاتحة الكتاب ثم جمع طائفة من العلماء بين القولين فقالوا انها نزلت بمكة
مرة وبالمدينة اخرى وعلى هذا فانما لم تثبت في المصحف مرتين لانه لم يقع التواتر على نزولها مرتين ومن فضائل هذه السورة انه لم يوجد
فيها الثاء وهو الثبور لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا والجيم وهو جهنم وان جهنم لموعدهم اجمعين والخاء وهو الخزي يوم

الرحمن الرحيم

لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه والزاء وهو الزفير والزقوم والشين وهو الشهيق لهم فيها زفير وشهيق والظاء وهو اللظى كلا انها لظى والفاء
وهو الفراق ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فلما اسقط الله تعالى من الفاتحة هذه الحروف الدالة على العذاب التي هي بعدد ابواب جهنم لقوله
تعالى لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم غلب على الظن ان من قرأ الفاتحة نجى من جهنم ودخول ابوابها وتخلص من دركات
النار وعذابها الثاني في المباحث اللفظية الحمد مبتدأ ولله خبره اي الحمد ثابت لله واصله النصب الذي هو قراءة بعضهم باضمار فعله كقولهم
شكرا وعجبا وسبحانك ومعاذ الله فعدل الى الرفع للدلالة على ثبات المعنى واستقراره نحو قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام ولهذا كانت تحية
ابرهيم عم احسن من تحيتهم كلما واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها ومما يدل على ان اصله النصب قوله اياك نعبد واياك نستعين لان الحمد
وكانه قيل كيف تحمدون فقيل اياك نعبد والاصل توافق الجملتين واللام في الحمد للتعريف الجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد من
ان الحمد ما هو والاستغراق وهم لانه لو سلم كون اللام للاستغراق في الحمد لوجب مثلا لا يدخل فيه … نحو الحمد لله لا يفهم منه الا حقيقة
الحمد من حيث هي فكذا ما ناب منابه وهو الحمد لله وقرأ بعضهم بكسر الدال اتباعا وبعضهم بضم اللام اتباعا للدال رب يربه فهو رب مصدر وصف
به للمبالغة كالعدل وهو مطلقا مختص بالله تعالى ومضافا يجوز اطلاقه على غيره نحو رب الدار ارجع الى ربك وقرئ بالنصب على المدح او بتقدير نحمد
والعالم اسم موضوع للجمع كالانام والرهط وهو ما يعقل من الملائكة والثقلين قاله ابن عباس والاكثرون وقيل كل ما علم به الخالق من الجواهر
والاعراض كقوله تعالى قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما فعلى الاول مشتق من العلم وخصوا بالذكر للتغليب
وعلى الثاني من العلامة وجمع ليشمل كل جنس مما سمي به وجمع بالواو والنون تغليبا لما فيه من صفات العقلاء مالك يوم الدين اليوم هو المدة
من طلوع نصف جرم الشمس الى غروب نصف جرمها او من ابتداء طلوعها الى غروب كلها او من طلوع الفجر الثاني الى غروبها وهذا في عرف الشرع
ويراد به الاية الوقت لعدم الشمس ثمه والدين الجزاء … كما تدين تدان واضافة اسم الفاعل الى الظرف للاتساع واجراء للظرف مجرى المفعول
به مثل يا سارق الليلة اهل الدار وانما افادت التعريف حتى جاز وقوعه صفة للمعرفة لانه اما بمعنى الماضي نحو ونادى اصحاب الاعراف او بمعنى
الذين اتقوا او بمعنى الاستمرار نحو زيد مالك العبيد فيكون بمعنى من يملك المفيد للاستمرار نحو فلان يعطي ويمنع … فيكون الاضافة
حقيقية وقرئ بنصب الكاف … مدحا وبسكون اللام مخفف … اللام وبجعله فعلا ماضيا ونصب يوم ومليك … ونصبا
وجرا اياك ضمير منصوب منفصل ولا محل للكاف للخطاب نحو ذلك هو مذهب الاخفش والمحققين … حكاية الخليل اذا بلغ الرجل الستين فاياه واياه
الشواب شاذ والاصل نعبدك ونستعينك فلما قدم الضمير المتصل للاختصاص صار منفصلا وقرئ اياك بتخفيف الياء واياك بفتح الهمزة
والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء قال الطفيل فهياك والامر الذي ان ترحبت موارده ضاقت عليك مصادره فان قيل لم عدل عن الغيبة
الى الخطاب قلنا هذا يسمى التفاتا في علم البيان وذلك على عادة افتنانهم في الكلام والنقل من اسلوب الى اسلوب تطرية لنشاط السامع وقد
يختص مواقعه بفوائد … فائدته في هذا الموضع والعبادة اقصى غاية الخضوع طريق معبد اي مذلل وثوب ذو عبدة …
الصفاقة وقوة النسج … يتعدى باللام وبالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم وانك لتهدي الى صراط مستقيم … اختار في
قوله واختار موسى قومه والاصل … ومنه انا هدنا اليك … الى
اي امل قلوبنا الى الحق … والصراط الجادة واصله السين من سرط الشيء ابتلعه …
… والصراط يذكر ويؤنث كالطريق والسبيل صراط الذين انعمت عليهم بدل الكل من الصراط المستقيم وفائدته التوكيد كقولك هل
ادلك على اكرم الناس وافضلهم فلان ويكون ذلك ابلغ في وصفه بالكرم والفضل من قولك هل ادلك على فلان الاكرم الافضل لانك بينت ذكره
مجملا اولا ومفصلا ثانيا وقراءة ابن مسعود صراط من انعمت عليهم غير المغضوب بدل من الذين او صفة وانما جاز وقوعه صفة للمعرفة
لان تعريف الذين كلا تعريف ولقد امر على اللئيم يسبني او لان المغضوب عليهم والضالين خلاف المنعم عليهم فهو كقولك عليك بالحركة
غير السكون ويجوز ان يكون بدلا وان كان من معرفة لان النعت للافادة والفرق بين عليهم الاولى والثانية ان الاولى محلها النصب على
المفعولية والثانية محلها الرفع على انها مفعول اقيم مقام الفاعل واصل النعمة المبالغة والزيادة …
في نعمه وكل ما في القرآن من ذكر النعمة بكسر النون فهي المنة والعطية والنعمة بفتح النون التنعم وسعة العيش ونعمة كانوا فيها فاكهين والغضب
لغة الشدة وقد عرفت معناه بحسب اطلاقه على المخلوق وعلى الخالق واصل الضلال الغيبوبة ضل الماء في اللبن اذا غاب فيه وضل الكافر
غاب عن الحق قال ءاذا ضللنا في الارض … بمعنى غير … الاخر فتقول انا زيد غير ضارب كما تقول انا زيد لا
ضارب … وغير الضالين وقرأ ايوب السختياني ولا الضألين بالهمزة كما قرأ عمرو بن عبيد ولا جأن وآمين مدا وقصرا معناه استجب
… عن ابن عباس عن رسول الله … معناه افعل الثالث في المباحث الفقهية البحث الاول اجمع الاكثرون ومنهم الشافعي على
ان قراءة الفاتحة واجبة في الصلوة ومن ترك منها حرفا واحدا وهو يحسن … بطلت صلوته وعند ابي حنيفة قراءتها غير واجبة …
… في الصلوة فيجب علينا القول … اقيموا الصلوة … الرسول … كان يقرأ الفاتحة

بيانا فخصت بالنية وثبت ذلك بالاخبار كثيرة مثل لا صلوة الا بفاتحة الكتاب كل صلوة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج وروى رفاعة بن مالك ان
رجلا دخل المسجد وصلى فلما فرغ من صلوته وذكر الخبر الى ان قال الرجل علمني الصلوة يا رسول الله ﷺ اذا توجهت الى القبلة فكبر واقرأ بفاتحة الكتاب وظاهر
الامر للوجوب لا سيما في معرض التعليم وايضا الخلفاء الراشدون واظبوا على قراءتها طول العمر وقال ﷺ عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي
المواظبة على قراءة الفاتحة يوجب تعينها لان سائر السور وذلك غير جائز ان لم تكن واجبة حجة ابي حنيفة فاقرؤا ما تيسر من القرآن
قلنا الفاتحة هي المتيسرة المحفوظة على جميع الالسنة ثم قال اذا قرأ آية واحدة كفت مثل الم او حم والطور ومدهامتان ابو يوسف ومحمد لا بد من
قراءة ثلث آيات او آية واحدة طويلة مثل آية الدين البحث الثاني قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على ان التسمية ليست باية من الفاتحة
ولا من غيرها من السور وانما كتبت للفصل والتبرك وهو مذهب ابي حنيفة ومن تابعه ولذلك لا يجهرون بها عندهم في الصلوة وقراء مكة والكوفة
وفقهاؤهما على انها آية من كل سورة وعليه الشافعي واصحابه لنا ما روي عن ام سلمة انها قالت قرأ رسول الله ﷺ فاتحة الكتاب فقال بسم الله
الرحمن الرحيم آية الحمد لله رب العالمين آية الرحمن الرحيم آية مالك يوم الدين آية اياك نعبد واياك نستعين آية اهدنا الصراط المستقيم
آية صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آية وعن سعيد المقبري عن ابيه عن ابي هريرة ان رسول الله ﷺ قال فاتحة الكتاب
سبع آيات اولاهن بسم الله الرحمن الرحيم وروى الثعلبي في تفسيره باسناده عن ابي بريدة عن ابيه قال قال رسول الله ﷺ الا اخبرك باية لم تنزل
على احد بعد سليمان بن داود غيري فقلت بلى فقال باي شيء تفتتح القرآن اذا افتتحت الصلوة قلت بسم الله الرحمن الرحيم قال هي هي وباسناده
عن جعفر بن محمد عن ابيه عن جابر ان النبي ﷺ قال له كيف تقول اذا قمت الى الصلوة قال اقول الحمد لله قال قل بسم الله الرحمن الرحيم وباسناده
عن علي بن ابي طالب انه كان اذا افتتح السورة في الصلوة يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم وكان يقول من ترك قراءتها فقد نقص صلوته
وباسناده عن ابن عباس في قوله ولقد آتيناك سبعا من المثاني قال فاتحة الكتاب فقيل لابن عباس فاين السابعة فقال بسم الله الرحمن الرحيم
وعن ابي هريرة ان النبي ﷺ قال يقول الله سبحانه قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين فاذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم قال الله مجدني عبدي واذا
قال الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم قال الله اثنى علي عبدي واذا قال مالك يوم الدين قال الله فوض الي عبدي واذا
قال اياك نعبد واياك نستعين قال الله هذا بيني وبين عبدي واذا قال اهدنا الصراط المستقيم قال الله هذا لعبدي ولعبدي ما سأل الى غير ذلك
من الاخبار وايضا التسمية مكتوبة بخط القرآن في مصاحف السلف مع توصيتهم بتجريد القرآن عما ليس منه ولذلك لم يثبتوا آمين
وايضا قال ﷺ لابي بن كعب ما اعظم آية في كتاب الله قال بسم الله الرحمن الرحيم فصدقه النبي ﷺ ومعلوم انها ليست بتمامها في قوله انه من سليمن وانه
بسم الله الرحمن الرحيم فيكون آية في غير هذا الموضع وايضا ان اكثر الانبياء اوجبوا على انفسهم الابتداء بذكر الله قال نوح عند ركوب السفينة
بسم الله مجريها ومرسيها وكتب سليمان الى بلقيس بسم الله الرحمن الرحيم وقوله انه من سليمان من قول بلقيس قبل فتح الكتاب فلما فتحت
الكتاب قرأت التسمية فقالت انه بسم الله الرحمن الرحيم ولما ثبت الابتداء بالتسمية في حقهم ثبت في حق نبينا ايضا اولئك الذين هدى
الله فبهداهم اقتده وعن عبد الله بن مسعود قال كنا لا نعلم فصل ما بين السورتين حتى نزل بسم الله الرحمن الرحيم وعن ابن عمر قال نزلت بسم الله
الرحمن الرحيم في كل سورة وايضا البسملة من القرآن في النمل ثم انا نراه مكررا بخط القرآن فوجب ان نعتقد كونه من القرآن مثل فبأي آلاء ربكما
وويل يومئذ للمكذبين حجة المخالف خبر ابي هريرة ايضا في رواية اخرى قال يقول الله قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين فاذا قال العبد
الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي الى آخره قال لم يذكر التسمية ولو كانت آية من الفاتحة لذكرها قلنا اذا تعارضت الروايتان فا
لترجيح للمثبت لا للنافي قالوا التنصيف انما يحصل اذا لم تعد التسمية آية حتى يحصل للرب ثلث آيات ونصف وللعبد ثلث ونصف من اياك
نستعين الى آخر السورة اما اذا قلنا التسمية آية صار العدد للاول اربع آيات ونصفا ولا يتحقق التنصيف قلنا نحن نعد التسمية آية ولا نعد انعمت
عليهم هذا اولى غاية لتشابه المقاطع ولان غير صفة او بدل ولا يختل الكلام بجعله منقطعا عما قبله لان طلب هدى صراط المنعم عليهم
يجوز لا بشرط كون المنعم عليه غير المغضوب عليه ولا ضالا الا بدليل قوله تعالى الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا فهذا المجموع كلام واحد وهذا
بخلاف الرحمن الرحيم فانا لو قطعنا النظر عن الصفة كان الكلام مع الموصوف غير مختل النظام قالوا روت عائشة ان النبي ﷺ كان يفتتح الصلوة بالتكبير
والقراءة بالحمد لله رب العالمين قلنا قال الشافعي لعل عائشة جعلت الحمد لله رب العالمين اسما لهذه السورة كما يقال قرأ فلان الحمد لله الذي
خلق السموات والارض قالوا لو كانت من الفاتحة لزم التكرار في الرحمن الرحيم قلنا التكرار للتأكيد غير عزيز في القرآن فان قيل اذا عد التسمية
آية من كل سورة على ما يروى عن ابن عباس من تركها فقد ترك مائة واربع عشرة آية من كتاب الله تعالى وعن ابي هريرة ان النبي ﷺ قال
في سورة الملك انها ثلاثون آية وفي الكوثر انها ثلث آيات مع ان العدد حاصل بدون التسمية قلنا اما ان يعد التسمية مع ما بعدها آية وذلك
غير بعيد الا ترى ان قوله الحمد لله رب العالمين آية تامة وفي قوله وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين بعض آية واما ان يراد ما هو خاص
الكوثر ثلث آيات فان التسمية كالشيء المشترك فيه بين السور البحث الثالث عن احمد بن حنبل ان التسمية آية من الفاتحة ويسر بها في كل
ركعة ابو حنيفة ليست بآية ويسر بها مالك لا ينبغي ان يقرأها في المكتوبة لا سرا ولا جهرا الشافعي آية ويجهر بها لانها لما ثبت كونها من

الفاتحة والقرآن لا يفصل فرق بينها وبين باقي الفاتحة حتى يسر بها ويجهر بذلك آية انه ثناء على الله وذكر له فوجب ان يكون الاعلان به مشروعا
لقوله عز من قائل فاذكروا الله كذكركم اباءكم او اشد ذكرا وايضا الاخفاء والسر مما يليق بما فيه نقيصة ومثلبة لا بما فيه مفخرة وفضيلة قال طوبى
لمن مات ولسانه رطب من ذكر الله وكان علي بن ابي طالب رض يقول يا من ذكره شرف للذاكرين وكان مذهبه الجهر بها في جميع الصلوات وقد ثبت
هذا منه تواترا ومن اقتدى في دينه بعلي فقد اهتدى لقوله ع اللهم ادر الحق معه حيث دار وروى البيهقي في السنن الكبير عن ابي هريرة قال كان رسول الله صلعم يجهر في الصلوة
ببسم الله الرحمن الرحيم عن عمر وابنه وابن عباس وابن الزبير مثل ذلك روى عن الشافعي باسناده ان معوية قدم المدينة فصلى بهم ولم يقرأ بسم الله
الرحمن الرحيم ولم يكبر عند الخفض الى الركوع والسجود فلما سلم ناداه المهاجرون والانصار يا معوية سرقت من الصلوة اين بسم الله الرحمن الرحيم اين
التكبير عند الركوع والسجود ثم انه اعاد الصلوة مع التسمية والتكبير قال وكان معوية شديد الشكيمة ذا شوكة فلولا ان الجهر بالتسمية كان متقررا عند
كل الصحابة لما جسروا على ذلك حجة المخالف ما روى البخاري في صحيحه عن انس قال صليت خلف رسول الله صلعم وخلف ابي بكر وعمر وعثمان فكانوا
يستفتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين وفي رواية ولم اسمع احدا منهم قال بسم الله الرحمن الرحيم وفي رواية لم يجهر احد منهم ببسم الله الرحمن
الرحيم وعن عبد الله بن المغفل انه قال سمعني ابي وانا اقول بسم الله الرحمن الرحيم فقال اي بني اياك والحدث في الاسلام فقد صليت خلف ابي بكر فقال
الحمد لله رب العالمين وصليت خلف عثمان فقال الحمد لله رب العالمين فاذا صليت فقل الحمد لله رب العالمين والجواب ان حديث انس معارض

وصليت خلف عمر فقال الحمد لله رب العالمين

بما روى عنه ايضا ان معوية لما ترك التسمية في الصلوة انكر عليه المهاجرون والانصار وروى عنه ايضا ابو قلابة عن انس ان رسول الله صلعم وابا بكر و
عمر كانوا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم وروى عنه ايضا انه سئل عن الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم والاسرار به فقال لا ادري هذه المسئلة
واذا اضطربت الروايات عنه وجب الرجوع الى سائر الدلائل وايضا فيها تهمة اخرى وهي ان عليا كان يبالغ في الجهر بالتسمية فلما كان زمن بني امية
بالغوا في المنع من الجهر سعيا في ابطال آثار علي بن ابي طالب فلعل انسا خاف منهم فلهذا اضطربت اقواله وايضا من المعلوم ان النبي كان يقدم
اولي الاحلام والنهى والاكابر والعلماء على غيرهم ولا شك ان عليا وابن عباس وابن عمر كانوا احق بذلك من انس وابن المغفل واقرب موقفا وانه
ما كان يبالغ في الجهر لقوله تع ولا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا فلهذا لم يسمعا ورواية المثبت اولى من النافي والدلائل
العقلية معنا ويؤيدها عمل علي بن ابي طالب كرم البحث الرابع تقديم التسمية على الوضوء سنة عند العلماء وليست بواجبة خلافا لبعض اهل
الظاهر حيث قالوا لو تركها عمدا او سهوا لم يصح صلوته لنا قوله تع توضأ كما امرك الله والتسمية غير مذكورة في آية الوضوء والصحيح عندنا ان الجنب
والحائض لا تقولها بقصد القراءة والتسمية عند الذبح وعند ارسال الصيد عند ارسال الكلب مستحب فلو تركها عامدا او ناسيا لم تحرم
الذبيحة عند الشافعي ولكن تركها عمدا مكروه وعند ابي حنيفة ان ترك التسمية عمدا لم يحل وان نسي حل والعلماء اجمعوا على انه يستحب الا يشرع في عمل
من الاعمال الا ان يقول بسم الله فاذا نام قال بسم الله واذا قام من المقام قال بسم الله واذا كتب سطرا قال بسم الله واذا اصبح واخذ قال بسم الله و
يستحب للقابلة اذا اخذت الولد من الام ان تقول بسم الله وهذا اول احواله من الدنيا واذا مات وادخل القبر قيل بسم الله وهذا اخر احواله
من الدنيا واذا قام من القبر قال بسم الله واذا حضر الموقف قال بسم الله فلا جرم يدخل الجنة ببركة اسم الله البحث الخامس قال الشافعي ترجمة القرآن لا
يكفي في صحة الصلوة لا في حق من يحسن القراءة ولا في حق من لا يحسنها وقال ابو حنيفة انها كافية في حق القادر والعاجز وقال ابو يوسف ومحمد كافية
في حق العاجز لا القادر لنا انه ع والخلفاء من بعده وجميع الصحابة ما قرؤا في الصلوة الا هذا القرآن العربي فوجب علينا اتباعهم وكيف يجوز
قيام الترجمة باي لغة كانت فهو كلام البشر مقام كلام خالق القوى والقدر احتجوا بما روي عن عبد الله بن مسعود انه كان يعلم رجلا ان شجرة الزقوم
طعام الاثيم والرجل لا يحسنه فقال قل طعام الفاجر ثم قال عبد الله ليس الخطأ في القرآن ان يقرأ مكان العليم الحكيم بل ان تضع اية الرحمة مكان اية
العذاب قلنا الظن بابن مسعود غير ذلك والدليل قوله تعالى ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى ولا ريب ان القرآن بهذا اللفظ
ما كان في زبر الاولين لكن بالعبرانية والسريانية قلنا ان القصص والمواعظ موجودة فيها لا باللفظ بل بالمعنى ولا يلزم من ذلك ان يكون الموجود فيها
قرآنا فان النظم المعجز جزء من ماهية القرآن والكل ينتفي بانتفاء الجزء البحث السادس قال الشافعي في القول الجديد يجب قراءة الفاتحة على المقتدي
سواء اسر الامام بالقراءة او جهر بها وفي القديم يجب اذا اسر الامام ولا يجب اذا جهر وهو قول مالك واحمد وابو حنيفة يكره القراءة خلف الامام بكل
حال لنا قوله تع فاقرؤا ما تيسر من القرآن وقوله لا صلوة الا بفاتحة الكتاب يشمل المنفرد والمقتدي وايضا روى الترمذي في جامعه باسناده
عن عبادة بن الصامت ان النبي صلى الصبح فثقلت عليه القراءة فلما انصرف قال اني اراكم تقرؤن خلف امامكم قلنا اي والله قال لا تفعلوا
الا بام القرآن فانه لا صلوة لمن لم يقرأ بها قال وهذا حديث حسن ابو حنيفة قراءتها لا تبطل الصلوة عندهم ولكن يجوزون تركها وعدم القراءة
عندنا فالاحوط قراءتها حجة المخالف بقوله تع واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا واخبار بين ضعفها البيهقي في كتابه نحن نقول انما
القرآن مخصوص بغير الفاتحة عملا بما ذكرنا من الاخبار وبهذا الحكم الا ان الترجيح معنا لان الاشتغال بقراءة القرآن من اعظم الطاعات ولانه
احوط البحث السابع مذهب الشافعي ان الفاتحة واجبة في كل ركعة فان تركها في ركعة بطلت صلوته وبه قال ابو بكر وعمر وعلي وابن مسعود ومعظم
الصحابة لانه ع كان يقرأها في كل ركعة ولانه قال للاعرابي الذي علمه الصلوة وكذلك فاصنع في كل ركعة وعن ابي سعيد الخدري انه قال امرنا

ان نقرأ فاتحة الكتاب في كل فريضة كانت او نافلة وايضا القراءة في كل ركعة احوط فيجب المصير اليها وقيل غيرها واجب وقيل تجب في كل صلاة
ركعة واحدة فقط وبه يحصل امتثال قوله لا صلوة الا بفاتحة الكتاب وعند ابي حنيفة القراءة تجب في الركعتين الاوليين لقول عائشة فرضت
الصلوة في الاصل ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر فهما اصل والزوائد تبع قلنا ما ذكرنا احوط وقيل تجب الفاتحة في الاوليين وتكره
في الاخريين وعند مالك يجب في اكثر الركعات ففي الثنائية فيهما وفي الثلاثية في اثنتين وفي الرباعية في ثلاث البحث الثامن اذا ثبت ان
القراءة شرط في الصلوة فلو تركها او حرفا من حروفها عمدا بطلت صلوته وكذا سهوا على الجديد لما روي ان عمر بن الخطاب صلى المغرب
فترك القراءة فقيل له تركت القراءة فقال كيف كان الركوع والسجود قالوا حسنا قال فلا بأس معارض بما روى الشعبي عنه انه اعاد الصلوة ونقول
لعله ترك الجهر بالقراءة لا نفس القراءة البحث التاسع يجب رعاية الترتيب في اجزاء الفاتحة وما وقع غير مرتب فغير محسوب البحث العاشر ان
لم يحفظ شيئا من الفاتحة قرأ بعضها من غيرها من القرآن ثم ذكر من الاذكار ثم علم ثم وقف بقدرها فان لم يعلم قراءة ما لم يفرغ منه البحث الحادي
عشر ما نقل عن ابن مسعود انه كان ينكر ان يكون الفاتحة والمعوذتان من جملة القرآن الظن به ان هذا النقل عنه كاذب لانه مجمع على تواتره كيف
يليق بجلالته الرابع فيما يختص بتفسير الحمد لله من فوائد الفائدة الاولى في الفرق بين الحمد والمدح والشكر المدح للحي ولغير الحي كاللؤلؤة والياقوتة
الثمينة والحمد للحي فقط والمدح قد يكون قبل الاحسان وقد يكون بعده والحمد انما يكون بعد الاحسان والمدح قد يكون منهيا عنه قال
احثوا التراب في وجوه المداحين والحمد مأمور به مطلقا قال عليه السلام من لم يحمد الناس لم يحمد الله والمدح عبارة عن القول الدال على انه مختص بنوع
من انواع الفضائل باختياره وبغير اختياره والحمد قول دال على انه مختص بفضيلة اختيارية معينة وهي فضيلة الانعام اليك او الى غيرك ولابد
ان يكون على جهة التفضيل لا على سبيل التهكم والاستهزاء والشكر على النعمة الواصلة اليك خاصة وهو باللسان وقد يكون بالقلب
والجوارح قال الشاعر افادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا والحمد باللسان وحده فهو احد شعب الشكر ومنه قوله الحمد رأس الشكر
ما شكر الله عبد لم يحمده وانما جعله رأس الشكر لان ذكر النعمة باللسان والثناء على موليها اشيع لها وادل على مكانها من الاعتقاد وآداب الجوارح
لخفاء عمل القلب وما في عمل الجوارح من الاحتمال بخلاف عمل اللسان وهو النطق الذي يفصح عن كل خفي والحمد نقيضه الذم ولهذا قيل اشهر
بوكل وبذم والمدح نقيضه الهجاء والشكر نقيضه الكفران اذا عرفت ذلك فنقول لو قال المدح لله لم يدل ذلك على كونه تعالى فاعلا مختارا لان
المدح قد يكون لغير المختار ولو قال الشكر لله كان ثناء بسبب انعام وصل الى ذلك القائل واذا قال الحمد لله فكأنه يقول سواء اعطيتني او لم
تعطني فانعامك واصل الى كل العالمين وانت مستحق للحمد العظيم وكان هذا اولى وقيل الحمد لله على ما دفع من البلاء والشكر لله على
ما اعطى من النعماء والنعمة في الاعطاء اكثر من النعمة في دفع البلاء فكأنه يقول انا شاكر لادنى النعمتين فكيف باعلاهما ويمكن ان يقال ان المنع غير
متناه والاعطاء متناه والابتداء بشكر دفع البلاء الذي لا نهاية له اولى وايضا دفع الضرر اهم من جلب النفع فتقديمه احرى الثانية لو قال
احمد الله افاد كون ذلك القائل على حمده واذا قال الحمد لله افاد انه كان محمودا قبل حمد الحامدين وقبل شكر الشاكرين وايضا الحمد والثناء
لله معناه ان مطلق الحمد والثناء حق لله وملكه كما ينبئ عنه اللام الجنسية واللام الجارة وذلك بسبب كثرة آلائه وانواع آلائه على عبيده
وامائه ولا يخفى ان هذا اولى من ان يحمد شخص حمدا فقط ولهذا لو سئلت هل حصل لفلان عليك نعمة فان قلت نعم فقد حمدته ولكن
حمدا ضعيفا ولو قلت في الجواب بل نعمه على كل الخلائق كان كاملا فان قيل اليس ان المنعم يستحق الحمد من المنعم عليه فالاستاد يستحق الحمد من التلميذ
والسلطان العادل يستحق الحمد من الرعية وقال عليه السلام من لم يحمد الناس لم يحمد الله قلنا المنعم في الحقيقة هو الله لانه خلق تلك الداعية في ذلك
المنعم بعد ان خلق تلك النعمة وسلط المنعم عليها ومكن المنعم عليه من الانتفاع ولهذا قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله وايضا كل مخلوق ينعم على غيره
فانه يطلب بذلك الانعام عوضا اما ثوابا او ثناء او تحصيل خلق او تخلصا من رذيلة البخل وطالب العوض لا يكون منعما ولا مستحقا للحمد
في الحقيقة اما الله سبحانه فانه كامل لذاته والكامل لذاته لا يطلب الكمال لان تحصيل الحاصل محال فكان عطاؤه جودا محضا فثبت ان لا مستحق
للحمد الا الله تعالى الثالثة انما لم يقل احمد الله لان الانسان عاجز عن الاتيان بحمد الله وشكره فلم يحسن ان يكلف فوق ما في طاقته فان
نعم الله على العباد غير محصورة وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها واذا امتنع الوقوف عليها امتنع اقتداره على الشكر والثناء اللائق بها وايضا انما يمكنه
القيام بحمد الله وشكره اذا اقدره الله على ذلك الحمد والشكر وخلق في قلبه داعية ذلك وازال عنه العوائق والصوارف فكل ذلك انعام من الله
فيتسلسل وايضا الاشتغال بالحمد والشكر معناه ان المنعم عليه يقابل انعام المنعم بشكر نفسه ومن اعتقد ان حمده وشكره يساوي نعم الله فقد
اشرك وهذا معنى قول الواسطي الشكر شرك اما اذا قال الحمد لله فالمعنى ان كمال الحمد حقه وملكه سواء قدر الخلق على الاتيان به او لم يقدروا
ونقل ان داود عليه السلام قال يا رب كيف اشكرك وشكري لك لا يتم الا بانعامك علي وهو ان توفقني لذلك الشكر فقال يا داود لما علمت عجزك عن شكري
فقد شكرتني بحسب قدرتك وطاقتك الرابعة عن النبي اذا انعم الله على عبد فيقول الحمد لله يقول الله تعالى انظروا الى عبدي اعطيته ما لا قدر له
فاعطاني ما لا قيمة له ومعناه انه اذا انعم الله على العبد شيء واحد اذا قال الحمد لله فمعناه المحامد التي اتى بها الاولون والآخرون من الملائكة والثقلين
لله تعالى وكذا المحامد التي سيذكرونها الى الجنة لقوله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين

ولا الى الابد الآبدين ودهر الداهرين فالنعم به متناهية والحمد غير متناه واذا اسقط المتناهي من غير المتناهي بقي غير المتناهي فالذي بقي للعبد المؤبد طاعة
غير متناهية فلا بد من مقابلتها بنعم غير متناهية فلهذا يستحق العبد الثواب الابدي والخير السرمدي التاسعة لا شك ان الوجود خير من العدم وان
وجود كل ما سوى الله فانه حصل بايجاد الله وجوده فانعام الله تعالى واصل الى كل من سواه فاذا قال العبد الحمد لله فكانه قال الحمد لله على كل مخلوق خلقه
وعلى كل محدث احدثه من نور وظلمة وسكون وحركة وعرش وكرسي وجني وانسي وذات وصفة وجسم وعرض من ازل الآزال الى ابد الآباد وانا
اشهد انها باسرها ملكك لا شريك لاحد فيها معك العاشرة التسبيح مقدم على التحميد لانه يقال سبحان الله والحمد لله فما السبب في وقوع البداءة بالتحميد
والجواب ان التسبيح داخل في التحميد دون العكس فان التسبيح يدل على كونه مبرءا في ذاته وصفاته عن النقائص والتحميد يدل على كونه محسنا الى العباد ولا يكون
محسنا اليهم الا اذا كان عالما بجميع المعلومات ليعلم مواضع الحاجات والا اذا كان قادرا على المقدورات ليقدر على تحصيل ما يحتاجون اليه والا اذا كان
غنيا في ذاته والا اشغله حاجة نفسه عن حاجة غيره فثبت ان كونه محسنا لا يتم الا بعد كونه منزها عن النقائص والآفات الحادية عشرة الحمد لله يتعلق
بالماضي وهو نوع شكر على النعم السابقة ويتعلق بالمستقبل وهو اقتضاء تجدد النعم لقوله لئن شكرتم لازيدنكم فبالاول يغلق عنك
ابواب النيران وبالثاني يفتح لك ابواب الجنان فان الحمد لله ثمانية حروف بعدد ابواب الجنة الثامنة الحمد لله كلمة جليلة لكنه يجب ان يذكر في موضعها
ليحصل المقصود قال السري منذ ثلثين سنة استغفر الله لقولي مرة واحدة الحمد لله وذلك انه وقع الحريق في بغداد واحرقت دكاكين
الناس فاخبرني واحد ان دكاني لم يحترق فقلت الحمد لله وكان من حق الدين والمروءة ان لا افرح بذلك فانا في الاستغفار منذ ثلثين سنة
فالحمد على نعم الدين افضل من الحمد على نعم الدنيا والحمد على اعمال الجوارح والحمد على النعم من حيث انها عطية المنعم اولى من الحمد عليها من حيث
هي نعم فهذه مقامات يجب اعتبارها حتى يقع الحمد في موضعه اللائق به التاسعة اول ما بلغ الروح الى سرة آدم عطس فقال الحمد لله رب
العالمين وآخر دعوى اهل الجنة الحمد لله رب العالمين ففاتحة العالم مبنية على الحمد وخاتمته مبنية على الحمد فاجتهد ان يكون اول اعمالك
وآخرها مقرونا بكلمة الحمد العاشرة لا يحسن عندنا ان يقال قولوا الحمد لله لان الاضمار خلاف القياس ولان الوالد اذا قال لولده
اعمل كذا وكذا فلم يمتثل كان عاقا فالاولى ان يقول الامر الفلاني ينبغي ان يفعل ثم ان كان الولد بارا فانه يجيبه ويطيعه وان كان عاقا كان اثمه
اقل فكذلك اذا قال الحمد لله فمن كان مطيعا حمده ومن كان عاصيا كان اثمه اقل بخلاف ما لو قال قولوا الحمد لله الحادية عشرة شنعت الجبرية
على المعتزلة ومن يجري مجراهم بانكم تثبتون للعبد فعلا واختيارا واستحقاق الحمد انما يكون على اشرف النعم وهو الايمان فلو كان الايمان
بفعل العبد لكان المستحق للحمد هو العبد والجواب ان الايمان باختيار العبد لكن الاختيار انه مستند الى الله تعالى فالمستحق للحمد لذلك و
شنعت المعتزلة على الجبرية بان قوله الحمد لله لا يتم الا على مذهبنا لان المستحق للحمد على الاطلاق هو الذي لا قبح في فعله ولا جور في قضيته وعندكم
لا قبح الا وهو فعله ولا جور الا وهو حكمه والجواب ان القبح والجور انما يثبتان لو امكن تصور الفعل المخصوص في القابل المخصوص احسن واتم
مما صدر لكنه محال فانه تعالى حكيم وكل ما يصدر عن الحكيم كان على افضل ما يمكن بالنسبة الى المحل المخصوص الثانية عشرة اختلفوا في ان شكر
المنعم واجب عقلا او شرعا فمنهم من قال عقلا ومن جملة ادلتهم قوله الحمد لله فانه يدل على ثبوت الاستحقاق على الاطلاق واتبعه بقوله
رب العالمين وترتيب الحكم على الوصف المناسب يدل على كون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف فدل ذلك على ان استحقاق الحمد ثابت لكونه
ربا للعالمين قبل مجيء الشرع وبعده والجواب ان استحقاقه لمثل هذا الحمد عرفناه من قبل الشرع واعلم ان الحمد سبيله سبيل سائر الاذكار
والعبادات في انها انما يؤتى بها لا لان الله تعالى متكمل بها ولا لانه تعالى يتجازى بها ولكنها تحقيق لنسبة العبودية واضافة الامكان الى الله سبحانه
في فوائد قوله رب العالمين الاولى الموجود اما واجب لذاته وهو الله سبحانه وتعالى فقط واما ممكن لذاته وهو كل ما سواه ويسمى العالم لكونه
وذلك اما متحيز او صفة للمتحيز ولا هذا ولا ذاك القسم الاول ان كان قابلا للقسمة فهو الجسم والا فالجوهر الفرد فالجسم اما علوي او سفلي والعلوي
كالسموات ويندرج فيها العرش والكرسي وسدرة المنتهى واللوح والقلم والجنة والكواكب والسفلي اما بسيط وهو العناصر الاربعة الارض
بما عليها وفيها والماء وهو البحر المحيط وما يتشعب منه في القدر المكشوف من الارض والهواء ومنه كرة البخار وكرة النسيم ومنه الهواء
والنار واما مركب وهو المعادن والنبات والحيوان على تباين انواعها واصنافها القسم الثاني الاعراض باجناسها وانواعها القسم الثالث
الارواح جنسين وهي اما سفلية خيرة او شريرة كالشياطين والجن واما علوية متعلقة بالاجسام كالملائكة الموكلة بما في السموات موضع
شبر الا وفيه ملك قائم او قاعد او غير متعلقة وهي الملائكة المقربون وما يعلم جنود ربك الا هو ولان كل موجود سوى الواجب يحتاج الى
الواجب في الوجود وفي البقاء ايضا فهو العالم من حيث نبه بها على المستقل بها فكل من كان اكثر احاطة باحوال الموجودات انه تعالى
كان اكثر وقوفا على تفسير قوله رب العالمين الثانية المربي قسمان احدهما ان يربي ليربح عليهم الثاني ان يربي ليربحوا عليه والاول شأن المخلوقين الذين
غرضهم من التربية ما ثواب او ثناء او تعصب الحمية والثاني دأب الحق سبحانه وتعالى كما قال خلقتكم لتربحوا علي لا لاربح عليكم وكيف لا
يربحون عليه وهو تعالى الغني عن الاستكمال المنزه عن ان يحدث في ذاته شيء بسبب التربية والارادة ولا فضا اختلاف بين الملحدين في الاعدام والانعام
في الخلق كيف يشاء بكونه منزها عن العلة ويعني كونه عن السؤال وسع كل شيء رحمة وعلما وحكمة كل حي كرما وعلما ولقد خلقنا الانسان من

سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا
العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فا
نبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وابا متاعا لكم ولانعامكم الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا
وخلقناكم ازواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا
وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات الفافا الثالثة انه لما كان الله اسما معقبها باكمل الصفات وهو العالمين ايضا
ان وجود ما سواه فائض عن تربيته الحاصلة بوجوده ولطفه فالاول يدل على التمام والثاني على انه فوق التمام الرابعة رب العالمين ثم اردفه بلى
كانه يقول يا عبدي سواك وهو الله الواحد الاحد الصمد الذي انت تعبد من كان لك ربا غيره فانصف ايها الانسان قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن
خلقت العبادة للرب فلا تهدم حقيقتك بمعصية الرب لانه يعني بنيان الرب ملعون من هدم بنيان الرب الخامسة في فوائد قوله الرحمن الرحيم الاولى
الرحمن بما لا يتصور صدوره من العباد والرحيم بما يقدر عليه العباد انا الرحمن لانك تسلم الى نطفة مذرة فاسلمها اليك صورة حسنة انا الرحيم
لانك تسلم الى طاعة ناقصة فاسلم اليك جنة خالصة الثانية ذهب بعضهم الى ملك فقال جئتك لمهم يسير فقال الملك اطلب المهم اليسير من الرجل اليسير فكان
الله تعالى يقول لو اقتصرت على الرحمن لاحتشمت مني ولتعذر عليك سؤال الامور اليسيرة فانا الرحمن لتطلب مني الامور العظيمة وانا الرحيم لتطلب مني
شراك نعلك وملح قدرك الثالثة الوالدة اذا اهملت حال ولدها ولم تؤدبه ظن ان ذلك رحمة وهو في الحقيقة عذاب ومن لم يؤدبه الابوان ادبه الملوان
وعكسه حال من يقطع يده تنبيها لاكلة فيها ويضرب لتعليم حرفة او للتأديب بخصلة شريفة فكل ما في العالم رحمة وبلية فهو في الحقيقة رحمة
ونعمة عسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وقصة موسى مع الخضر كما يجيء في موضعها تؤيد ما ذكرناه والحكيم المحقق
هو الذي يبني الامور على الحقائق لا على الظواهر فان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير الرابعة عظيم رحمة عليها رحمة ويجعله اية للناس ورحمة
منا فصار رحمة بسبب النباتها من توبيخ الكفار والفجار واعطاه رحمة وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فكيف لا يتخلص به من عذاب النار الحاسم
وصف النبي بالرحمة وكان من حاله انه لما كسر سنه قال اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون وانه يوم القيمة يقول امتي امتي فلما وصف نفسه بكونه رحمانا
رحيما ايضا فكانه يقول الرحمة الواحدة لا تكفي لاصلاح المخلوقات فذرني وعبيدك فاني انا الرحمن الرحيم رحمتي غير متناهية ومعصيتهم متناهية
والمتناهي لا يدرك غير المتناهي فيستغرق معصيتهم في بحار رحمتي ولسوف يعطيك ربك فترضى السادسة حكي عن ابراهيم بن ادهم انه قال كنت
ضيفا لبعض القوم فقدم المائدة فنزل غراب وسلب رغيفا فاتبعته تعجبا فنزل في بعض التلال فاذا هو برجل مقيد مشدود اليدين فالقى الغراب
ذلك الرغيف على وجهه وعن ذي النون انه قال كنت في البيت اذ وقعت ولولة في قلبي فدعاني ان اخرج من البيت فانتهيت الى شط النيل فرأيت عقربا قويا
يعدو فلما وصل الى النيل فاذا هو بضفدع على طرف النهر فقفز العقرب عليه فاخذ الضفدع يسبح وركبت السفينة فاتبعته حتى اذا وصل الضفدع
الى الطرف الآخر نزل العقرب عن ظهره واخذ يعدو فتبعته فرأيت شابا نائما تحت شجرة وعنده افعى يقصده فلما قربت الافعى من الشاب وصل
العقرب الى الافعى فلدغها والافعى ايضا لدغتها وماتتا معا وفي دعوات العرب يا رزاق النعاب في عشه حكايته ان ولد الغراب كما يخرج من البيض
يكون كانه قطعة لحم فيهجره امه تنفرا عنه الى ان يخرج عليه ريشه عادت اليه فيبعث الله تعالى اليه في تلك المدة ذبابا يتغذى به وروي ان فتى قرب موته
واعتقل لسانه عن شهادة ان لا اله الا الله فاتوا النبي واخبروه فقام فدخل عليه وكان يعرض عليه الشهادة ولا يعمل لسانه فقال عليه السلام اما كان يصلي
اما كان يزكي اما كان يصوم فقالوا بلى فقال فهل عق والديه قالوا نعم فقال هاتوا بامه فجاءت عجوزة عوراء فقال النبي هلا عفوت عنه فقالت لا اعفو
لانه لطمني ففقأ عيني فقال عليه السلام هاتوا بالحطب والنار فقالت وما تصنع بالنار فقال عليه السلام احرقه بالنار بين يديك جزاء بما عمل فقالت عفوت
عفوت اللنار حملته تسعة اشهر اللنار ارضعته سنتين فاين رحمة الام فعند ذلك انطلق لسانه وذكر اشهد ان لا اله الا الله والنكتة انها كانت
رحيمة فقط ولم تجوز الاحراق فالرحمن الرحيم كيف يجوز احراق عبد واظب على ذكر الرحمن الرحيم سبعين سنة قال عليه السلام ان الله تعالى مائة رحمة
انزل منها رحمة واحدة بين الانس والجن والطير والبهائم والهوام فيها يتعاطفون ويتراحمون واخر تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيمة
ولعل هذا على سبيل التفهيم والتمثيل والا فكرمه بلا غاية ورحمته بلا نهاية السابعة في فوائد قوله مالك يوم الدين الاولى ان قضية العدل لله
الفرق بين المحسن والمسيء والمطيع والعاصي والموافق والمخالف ولا يظهر ذلك الا في يوم الجزاء ان الساعة آتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس
بما تسعى يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وروي انه يجاء برجل
يوم القيمة وينظر في احوال نفسه فلا يرى لنفسه حسنة البتة فيأتيه النداء يا فلان ادخل الجنة بعملك فيقول الهي ماذا عملت فيقول الله
الست لما كنت نائما تقلبت من جنب الى جنب ليلة كذا فقلت في خلال ذلك الله ثم غلبك النوم في الحال فنسيت ما انا فلا تأخذني سنة ولا
نوم فما نسيت ذلك ويجاء برجل توزن حسناته فتخف فيأتيه بطاقة فتثقل ميزانه فاذا فيها شهادة ان لا اله الا الله فلا يثقل مع ذكر الله غيره واعلم
ان حقوق الله تعالى مبنية على المسامحة لانه غني عن العالمين واما حقوق العباد فهي اولى بالاحتراز عنها وعن ابي هريرة انه قال قال رسول الله
اتدرون ما المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال ان المفلس من امتي يأتي يوم القيمة بصلوة وزكوة وصيام ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا واكل

مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم
فطرحت عليه ثم طرح في النار. الثانية من قرأ مالك احتج بوجوه: الأول أن فيه حرفا زائدا فيكون ثوابه أكثر. الثاني أنه في القيامة يكون ولا مالك
إلا الله. الثالث أن المالكية سبب لإطلاق التصرف والملكية ليست كذلك. الرابع العبد لا يخرج عن الرق فيكون القهر في المالكية أكثر منه في الملكية.
الخامس الرعية يمكنهم إخراج أنفسهم عن كونهم رعية لذلك الملك بالاختيار بخلاف المملوك. السادس الملك يجب عليه رعاية حال الرعية
كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، ولا يجب على الرعية خدمة الملك، أما المملوك فيجب عليه خدمة المالك وأن لا يستقل في الأمر إلا بإذنه حتى إنه لا
يصح منه القضاء والإمامة والشهادة ويصح صيامه إذا نوى مولاه السفر وقصرها إذا نوى الإقامة. حجة من قرأ ملك أن كل واحد من أهل البلد يكون
مالكا والملك لا يكون إلا أعلاهم شأنا. الثاني قل أعوذ برب الناس ملك الناس لم يقرأ فيه غير ملك فتعين. والثالث الملك تصرف والمالك يلزم منه تطويل الأمل
فإنه يمكن أن يدركه الموت قبل تمام التلفظ به. وأجيب بأن العزم يقوم مقام الفعل لو مات قبل الإتمام كالوتري بعد غروب الشمس صوم يوم يجب
صومه بعد الزوال فنوى في النهار عن الغد. ثم يتفرع على كل من القراءتين أحكام لطائفة المتفرعة على الأولى فمن قرأ مالك رجي من قراءة المالك أن يقضي
ما يرجى من الملك العدل من الإنصاف فإن يجوز للإنسان منه استيفاء الحق لما المالك يطلب العبد منه الكسوة والطعام والتربية والإنعام يا عبادي
كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم والمالك يطمع فيه المالك أنت تطمع فيه الملك لا يختار
من العسكر إلا كل قوي صحيح ويترك من كان مريضا عاجزا والمالك يرحم عبده العاجز أن خضعنا فإن الملك له هيبة وسياسة والمالك له رأفة ورحمة
واحتياجنا إلى الرأفة والرحمة أشد من احتياجنا إلى الهيبة والسياسة. وأما المتفرعة على الثانية فإنه في الدنيا ملك الملوك قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك
من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وفي الآخرة لا ملك إلا هو لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وملكه لا يشبه ملك المخلوقين لأنهم إذا بذلوا قلت خزائنهم
ونفدت ذخائرهم وأنه سبحانه كلما كان أكثر عطاء كان أوسع ملكا فإن أعطاك عشرا أعيدوا من لوازم ملكه كما لا حد له فقوله ملك يوم الدين
قوله رب العالمين الرحمن الرحيم مثله الملك يومئذ الحق للرحمن قل أعوذ برب الناس ملك الناس فمن يتصف بهذه الصفة من ملوك الدنيا صدق عليه
ظل الله في الأرض الكفر بسبب كثرة ذنب الفاجر تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا والطاعة يتقيها صلاح
المعاش والمعاد ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون فعلى الناس أن يطيعوا ملوكهم
وعلى الملوك أن يطيعوا مالك الملك حتى ينتظم أمور معاشهم ومعادهم. لما وصف نفسه بأنه مالك يوم الدين أظهر للعالمين كمال عدله بنفي
الظلم وما ربك بظلام للعبيد وبثبوت العدل ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا جرم يليق بالملك أن ينصف ويرحم وأتم وأعم من أن يكون
عادلا ومن سعادة البركة في العالم ويرتفع إن كان السلطان عادلا أو جائرا يحكى أن أنوشروان خرج يوما إلى الصيد وانقطع عن عسكره واستولى
عليه العطش فرأى بستانا فدخل فقال للصبي أعطني رمانة فأعطاه فخرج منها ماء كثير فشربه وأعجبه ذلك فعزم على أن يأخذ ذلك
البستان من مالكه ثم قال للصبي أعطني رمانة أخرى فأعطاه فخرج منها ماء قليل فشربه فوجده عفصا فقال أيها الصبي لم صار
هكذا فقال الصبي لعل ملك البلد عزم على الظلم فلشؤم ظلمه صار هكذا فتاب أنوشروان في قلبه عن الظلم فقال للصبي أعطني أخرى فعصرها فوجدها
أطيب من الأولى فقال للصبي لم بدلت هذه الحالة فقال لعل الملك تاب عن ظلمه فلما وجد أنوشروان مقالة الصبي مطابقة لما في قلبه تاب بالكلية
فكان من يمنه حتى جعل يقرن اسمه بالعدل ولد في زمن الملك العادل. الثالثة كونه مالكا وملكا معناه أنه قادر على ترجيح جانب وجود الممكنات
على عدمها وأنه قادر على نقلها من صفة إلى صفة كما يشاء من غير مانع ولا منازع وعلى قضية الحكمة والعدالة وهو الملك الحق وأنه مالك يوم الدين
أيضا لأن القدرة على الحياة والخلق بعد الممات والعلم بتلك الأجزاء المتفرقة من أبدان الناس لا يختص بأحد غيره فإذا كان الحشر والنشر لا يتأتى
إلا بعلم متعلق بجميع المعلومات وقدرة تنفذ في كل الممكنات فلا مالك ليوم الدين إلا هو فإن قيل لا يكون مالكا إلا إذا كان المملوك موجودا والقيامة
غير موجودة فينبغي أن يقال مالك يوم الدين بالتنوين بدليل قولهم فلان قاتل زيد إذا كان قتله ولو قال قاتل زيد لكان تهديدا قلنا
لما كان قيام القيامة أمرا لا يجوز الإخلال به في حكمته جعل وجوده كالشيء القائم في الحال ولو قيل من أن نقص خاصة قيمته. السؤال
الرابع قالت المعتزلة إن كان الكل من الله فثواب الرجل على ما لم يفعله ظلم فيبطل كونه مالكا ليوم الدين قلنا
خلق الجنة وخلق لها أهلا وخلق النار وخلق لها أهلا وذلك لأن لصفة لطفه وصفة قهره لا ينبغي لكل صفة مظهرا ولا يسئل عما يفعل لأن كل
سؤال يتطلب فهو باطل. الخامسة في هذه السورة من أسمائه خمسة الله الرب الرحمن الرحيم المالك كأنه يقول خلقتك أولا فأنا الله ثم ربيتك
بأصناف النعم فأنا الرب ثم عصيت فسترت عليك فأنا الرحمن ثم تبت فغفرت لك فأنا الرحيم ثم لا بد من إيصال الجزاء إليك فأنا مالك يوم الدين وذكر
الرحمن الرحيم مرة في التسمية ومرة في السورة دليل على أن العناية بالرحمة أكثر منها بسائر الأوصاف ومع ذلك عقبها بقوله مالك يوم الدين
كيلا يغتر بها ونظيره غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب. السادسة استحقاق المدح والتعظيم فيما بين الناس إنما يكون لكونه كاملا في ذاته
وإن لم يكن له إحسان إليك أو لكونه محسنا إليك إما رجاء وطمعا في المستقبل وإما خوفا ورهبة فكأنه سبحانه يقول إن كنتم تعظمون للكمال
الذاتي فاحمدوني فإني أنا الله وإن كنتم تعظمون للإحسان السالف فأنا رب العالمين وإن كنتم تعظمون للإحسان المترقب فأنا الرحمن الرحيم وإن

مالك الناس

لعل

كنتم تعظون وهي عين الفضائل فاما مالك يوم الدين التاسع في فوائد قوله اياك نعبد الاولى لا شك ان تقديم المفعول مفيد للاختصاص اي لا نعبد احدا
سواك والخالي عنه النطق السليم واستحقاق هذا الاختصاص به تعالى ظاهر لان العبادة عبارة عن نهاية التعظيم فلا يليق الا لمن صدر منه غاية الانعام
وهو الله تعالى وذلك ان للعبد احوالا ثلاثة الماضي والحاضر والمستقبل اما الماضي فقد كان معدوما فاوجده وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا و
كان ميتا فاحياه وكنتم امواتا فاحياكم وكان جاهلا فاخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا ثم اعطاه السمع والبصر والعقل وجعل لكم السمع والابصار
والافئدة فهو اله بهذه المعاني واما الحاضر فحاجاته كثيرة ووجوه افتقاره غير محصورة من اول عمره الى اخره مع انفتاح ابواب المعصية وانخلاع
ربقة الطاعة وهو رب رحمن رحيم من هذه الوجوه واما المستقبل فاموره المتعلقة بما بعد الموت وانه مالك يوم الدين بهذه الحيثية فلا مفزع
للعبد في شيء من احواله الا اليه فلا يستحق عبادة العبد الا هو وايضا ثبت بالدلائل القاطعة وجوب كونه تعالى عالما قادرا جوادا غنيا حكيما الى غير ذلك
من الصفات الكمالية واما كون غيره من الفلكيات والطبائع والنفوس كذلك فمشكوك فيه وان لم نجزم بامتناع تأثيرها فوجب طرح المشكوك والاخذ
باليقين فلا معبود بالحق الا الله سبحانه وايضا العبودية مذلة ومهانة فكلما كان المولى اشرف كانت العبودية اهنا وامرا ولما كان الله تعالى اشرف
الموجودات واعلاها واولاها بالصفات العلى فعبوديته اولى وايضا كل ما سوى الواجب الغني ممكن فقير والفقير مشغول بحاجة نفسه فلا يمكنه افادة
غيره فدافع الحاجات هو الله فلا يستحق العبادة الا هو وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه الثانية تقديم ذكر الله تعالى يورث الخشية والمهابة حتى
لا يلتفت في العبادة يمينا وشمالا بخلاف العكس يحكى ان واحدا من النظار عن الاستاذ بن مدارع بعض منهم وقد ولا يهمه فصرع
الاستاذ فانصرع في الحال فما ذاك الا الاحتشام بمعبوده فانه تقديم ذكره اولا ثم يورث العبد قوة يسهل بها عليه ثقل العبودية فوجب تقديمه
كان من ادخل ثقيلا يقدم عليه دواء او غذاء يعينه على ذلك كما ان العاشق يسهل عليه جميع الالام عند حضور معشوقه وايضا ان الذين اتقوا
اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فالنفس اذا مسها طائف الشيطان من الكسل والغفلة والبطالة طلع لجلال الله
من مشرق اياك نعبد فصير مبصرا مستعدا لاداء العبودية وايضا ان بدأ بالعبادة فقد لا يبقى قلبه ان المعبود من هو فيلقي في نفسه وساوس
اما اذا غير هذا الترتيب قال اياك نعبد كان بعيدا عن احتمال الشرك وايضا الواجب لذاته متقدم في الوجود فناسب ان يكون مقدما في الذكر
وايضا المحققون نظرهم على المعبود لا على العبادة وعلى المنعم لا على النعمة ولهذا قيل ليس الى بل اذكروا ونسي وكلامه بهذا ذكر وقد ذكر المحبوب
اولى من ذكر العبادة الثالثة النون في نعبد فيه وجوه من الحكمة منها انه تشريف من الله تعالى للعبد حيث لقنه لفظا ينبئ عن التعظيم والتكريم كقوله حكاية
من نفسه نحن نقص عليك احسن القصص كانه قال لما اظهرت عبوديتي عبدا لي جعلناك امة ان ابراهيم كان امة ومنها انه لو قال اياك اعبد
كان اخبارا عن كونه عبدا فقط ولما قال اياك نعبد صار معناه اني واحد من عبيدك وهذا الثاني ادخل في الادب والتواضع ومنها
ان يكون تنبيها على ان الصلوة بالجماعة اولى فان التكبيرة الاولى في صلوة خير من الدنيا وما فيها ومنها انه علم ان الانسان اذا اكل
الثوم او البصل فليس له ان يحضر الجماعة كيلا يتأذى منه جاره واذا كان ثواب الجماعة لا يفي بهذا القدر من الايذاء فكيف يفي بما هو اكثر
من ذلك ايذاء المسلمين من الغيبة والنميمة والسعاية وسائر انواع الظلم ومنها ان يكون المراد اعبدك والملائكة معي والحاضرون
بل جميع عبادك الصالحين ومنها ان المؤمنين اخوة فكانه تعالى قال لما اثنيت علي بقولك الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين
ارتفع منزلتك عندي فلا تقتصر على اصلاح حالك بل عليك السعي في اصلاح حال جميع اخوانك فقل اياك نعبد واياك نستعين ومنها
ان العبد يقول الهي ما بلغت عبادتي حد الكمال والتقصير فلي خلطتها بعبادة جميع العابدين فلا يليق بكرمك ان تميز بين العبادات ولا ان ترد الكل
ومنها عبادة الانبياء والاولياء بل الملائكة المقربين ومثاله ان الرجل اذا باع من غيره عشرة اعبد فالمشتري اما ان يقبل الكل او يرد
الكل وليس له ان يقبل البعض ويرد البعض فان الصفقة الرابعة من عرفني ما الحكمة في العبادة قال له الاشتغال بها ثقل عليه الاشتغال بغيرها
لان الكمال محبوب لذاته واكمل احوال الانسان اشتغاله بخدمة مولاه فانه يستنير قلبه بنوره ويشرق عليه من جلاله ولهذا قد ورد من
كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار وايضا التكليف امانة انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها
الانسان واداء الامانة واجب عقلا وشرعا ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واداء الامانات من احد الجانبين سبب لاداء ما
من الجانب الاخر قال بعض الصحابة ان اعرابيا دخل باب المسجد فنزل عن ناقته وتركها ودخل المسجد وصلى بالسكينة والوقار ودعا بما شاء فتعجبنا
فلما خرج لم يجد الناقة فقال الهي اديت امانتك فاين امانتي قال الراوي فزدنا تعجبا فلم يمكث حتى جاء رجل على ناقته وقد قطع يده و
سلم الناقة اليه وقال لابن عباس يا غلام احفظ الله في الخلوات يحفظك في الفلوات وايضا الاشتغال بالعبادة انتقال من عالم
الغرور الى دار السرور وكون من الخلق الى حضرة الحق وذلك يوجب كمال اللذة والبهجة يحكى عن ابي حنيفة انه وقعت حية سقطت من السقف وتفرق
الناس وهو في الصلوة فلم يشعر به وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه حين يشرع في الصلوة كانوا يسمعون من صدره ازيزا كازيز المرجل ومن ابي سعيد
فليعز ثم قال فلما رأينه اكبرنه وقطعن ايديهن اذا كان جمال البشر مثل هذا التأثير فكيف جلال الله وعظمته اذا تجلى على قلب الوحيد العابد
وقد يجد خالية والدهش عنده فقد بعض السالكين فكيف كان الوقوف بين يدي رب العالمين واعلم ان العبادة لها ثلث درجات

لا نزاع ان يعبد الله رغبة في ثوابه او رهبة من عقابه ويخص باسم الزاهد حيث يعرض عن متاع الدنيا وطيباتها طمعاً فيما هو اشرف منها
وادوم وهذه مرتبة نازلة عند المحققين واما ان يعبد الله تشرفاً بعبادته او بقبول تكاليفه او بالانتساب اليه وهذه مرتبة متوسطة
وتسمى بالعبودية واما ان يعبد لكونه الهاً ولكونه عبداً له والالهية توجب العزة والهيبة والعبودية تقتضي الخضوع والذلة وهذه
اعلى الدرجات وتسمى بالعبودة واليها الاشارة بقول المصلي اصلي لله فانه لو قال اصلي لثواب الله او هرباً من عقابه فسدت صلوته حكي
ان عابداً في بني اسرائيل اعتزل يعبد الله تعالى سبعين سنة فارسل الله اليه ملكاً فقال عبادتك غير مقبولة فلا تتعب في نفسك فكان
يجاهد فاجاب العابد بان الذي عليّ هو العبودية واني لا ازال افعل ما عليّ واما القبول وعدم القبول فموكول الى الحق فرجع الملك فقال
الله بم اجاب العابد فقال انت اعلم يا رب انه قال كذا وكذا فقال الله تعالى انه يقول قبلنا طاعته بسبب ثباته ونيته والتحقيق ان اثبات
نسبة الامكان هو قصارى جهد العابدين وهذه نهاية مطامح انظار العارفين وفي العبادة انشراح صدور المؤمنين ولهذا عالج حال النبي
قال عز من قائل ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك اليقين و
العبودية اشرف المقامات مدح الله تعالى بها نبيه في قوله سبحان الذي اسرى بعبده ليلاً وافتخر عليه السلام بذلك ولما نطق قال اني عبد الله
وكان علي يقول كفى لي فخراً ان اكون لك عبداً وكفى لي شرفاً ان تكون لي رباً اللهم اني وجدتك الهاً كما اردت ومنهم من قال العبودية اشرف
من الرسالة فبالعبودية اشرف من الرسالة لان بالعبودية ينصرف من الخلق الى الحق وبالرسالة ينصرف من الحق الى الخلق وبالعبودية ينعزل عن
التصرفات وبالرسالة يقبل على التصرفات ولهذا قال شرفاً التقدم في قول الموحد اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمداً
عبده ورسوله لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون التاسع في فوائد قوله واياك نستعين الاولى لا شك ان للعبد قدرة
بها يتمكن من الفعل والترك وانما يحصل الرجحان بمرجح ولو كان المرجح من عند العبد عاد التقسيم فلابد ان ينتهي الى الله تعالى وايضاً كل الخلائق يطلبون
طريق الحق مع استوائهم في القدرة والعقل والجد في الطلب لا يفوز به الا بعضهم فليس ذلك الا باعانة الحق وايضاً قد يطلب الانسان حاجة من
غيره ويلح في الخصومة مدة ثم يقضي حاجته فالقاء تلك الداعية في القلب ليس الا من الله فثبت انه لا حول عن معصية الله الا بعصمة الله ولا
قوة على طاعة الله الا بتوفيق الله ويظهر فائدة الاستعانة في انه انما جعل الله تعالى ذلك واسطة الى نيل المطلوب كالشبع الحاصل عقيب اكل
الطعام ونحوه فيسقط اعتراض الجبرية والقدرية الثانية لقائل ان يقول شرعت في العبادة فلتستعين فان الاستعانة على العمل انما تجوز
قبل الشروع فيه لا بعده فهلا قدمت الاستعانة على ذكر العبادة فاستعين بك لاتمام ما احدثت لا يمنعوا مانع ولا يعارض صارف فان قلب
المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن وايضاً ان قبل الاستعانة مطلقة بينا ولكل مستعان فيه فذكر العبادة كالوسيلة الى طلب الاعانة
على الحوائج وتقديم الوسيلة مناسب الثالثة لا اريد بالاعانة غيرك اقتداء بالخليل حيث قيد نمرود يديه ورجليه ورماه الى النار فجاءه
جبرئيل فقال هل لك حاجة فقال اما اليك فلا فقال فاسئل الله قال حسبي من سؤالي علمه بحالي وههنا نكتة وهي ان المؤمن في الصلوة مقبل بجملته
من الشيء وبدنه من الخشوع ولسانه عن القراءة والذكر فكان اشتغال بنار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم فكذلك يقول لنار جهنم جزيا مؤمن
فقد اطفأ نورك لهبي الرابعة لا استعين غيرك لان الغير لا يمكنه اعانتي الا اذا اعنته فاما اقطع الواسطة ولا انظر الا الى اعانتك الخامسة اياك
نعبد يفوت العجب بالعبادة فاردفه بقوله واياك نستعين لازالة ذلك السادسة ههنا مقامان معرفة الربوبية ومعرفة العبودية وعند
اجتماعهما يحصل الربط المذكور في قوله اوفوا بعهدي اوف بعهدكم اما معرفة الربوبية فكمالها مذكور في قوله الحمد لله رب العالمين الرحمن
الرحيم مالك يوم الدين فانتقال العبد من الغيبة السابق الى الحضور يدل على كونه لما وصل الى غاية العبد خالف وجوده يدل على كونه
رباً رحيماً ناوياً وطولاً مقتدراً يدل على نعم مالك يوم الدين واما معرفة العبودية فبدلها اياك نعبد واياك نستعين في جميع المطالب فاذا
تم الوفاء بالعهدين ترتب عليه الثمرة وهو قوله اهدنا الصراط الى آخر وهذا ترتيب لا يتصور احسن منه السابعة في النكات الواردة في السورة وجوه منها ان
المصلي كان اجنبياً عند الشروع في الصلوة فلاجرم اثنى على الله تعالى بالالفاظ الغائبة الى قوله مالك يوم الدين ثم انه تعالى كانه يقول حمدتني واقررت
بانني اله رب العالمين رحمن رحيم مالك يوم الدين فنعم العبد انت رفعنا الحجاب وابدلنا البعد بالقرب فتكلم بالخطاب وقل اياك نعبد ومنها
انه لما ذكر الحقيق بالحمد واجرى عليه تلك الصفات العظام من كونه رباً لا يخرج شيء من ملكوته ومنعماً على الخلق بانواع النعم جلائلها ودقائقها
مالكاً للامر كله في العاقبة يتعلق العلم بمعلوم عظيم الشان حقيق بغاية الخضوع والاستعانة في المهام فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات
فقيل اياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة فيكون الخطاب ادل على ان العبادة لذلك المتميز الذي لا تحق العبادة الا به ومنها
ان الدعاء ينبغي ان يكون بالحضور وكان الثناء في الغيبة اولى وايضاً هكذا افضل الادعية ربنا ظلمنا انفسنا رب هب لي حكماً رب نجني رب ارني
ربكم منذ يجن عنه ولست معين الوارثين ومنها ان العبد اذا شرع في الصلوة نوى القربة فاثنى على الله بما هو اهله فاستجاب له دعاءه فحصل
تلك القربة فنقله الى مقام الحضور من مقام الغيبة الثامنة اعلم ان المشركين طوائف منهم من اتخذ الهه من الاجسام المعدنية كالحجر والذهب
والفضة والنحاس ومنهم من اتخذه من النبات كالشجر المعين ومنهم من اتخذه من الانسان كعبدة المسيح وعزير ومنهم من اتخذه الاجسام البسيطة

ارجح

ذالله

والفاء

والجواب كما مر تعو الشرعية في العبادة

اما السفلية كعبدة النار وهم المجوس واما العلوية كعبدة الشمس والقمر وسائر الكواكب ومنهم من قال مدبر العالم نور وظلمة وهم الثنوية ومنهم من قال الملائكة عبارة عن الارواح الفلكية ولكل اقليم روح من الارواح الفلكية يدبره وكذا لكل نوع من انواع العالم فيتخذون لتلك الارواح صورا وتماثيل ويعبدونها وهم عبدة الملائكة ومنهم من قال للعالم الهان احدهما خير وهو الله والآخر شرير وهو ابليس اذا عرفت ذلك فنقول قد ان الحمد لله يقتضي التسبيح له وسائر الصفات منبئة عن سبب اثبات جميع انواع الحمد له واياك نعبد يدل على التوحيد المحض والبراءة من كل ما يعبد من دون الله وان الله اكبر من جميع المعبودين فيقوم مقام قوله لا اله الا الله والله اكبر واياك نستعين يدل على قوله لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فثبت ان سورة الفاتحة مشتملة على الذكر المشهور سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم الفائدة العاشرة في قوله اهدنا الصراط المستقيم الاولى سئل انه طلب الهداية من المؤمن وهو مهتد تحصيل الحاصل والجواب ان المراد منه صراط الاولين في تحمل المشقة على كان تحمل المشاق العظيم لاجل مرضات الله تعالى يحكى ان نوحا كان يضرب كل يوم مرات بحيث يغشى عليه وكان يقول اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون وثانيها ان في كل خلق من الاخلاق طرفي افراط وتفريط فهما مذمومان والحق هو الوسط والصواب فالمؤمن بعد ان عرف الله بالدليل صار مهتديا لكنه لابد مع ذلك من حصول الملكات والاخلاق الفاضلة التي هي وسط بين الطرفين ومستقيم بين المنحرفين ففي القوة الشهوية طرف الافراط فجور وطرف التفريط خمود وهما مذمومان والوسط وهو استعمالها في مواضعها على قضية العدالة والشريعة محمود وهو عفة وكذا في القوة الغضبية طرفا التهور والجبن مذموم والوسط هو الشجاعة محمود وفي القوة النفسانية الجربزة والبله مذمومان والوسط هو الحكمة محمود وبالجملة فانه يحصل من توسط استعمال القوة الشهوية الحياء والرفق والصبر والقناعة والورع والحرية والسخاء ومن توابع السخاء الكرم والايثار والعفو والمروءة والمسامحة ويحصل من توسط استعمال القوة الغضبية كبر النفس وعلو الهمة والثبات والحلم والتواضع والحمية والرقة ومن توسط استعمال القوة النطقية الذكاء وسرعة الفهم وصفاء الذهن وسهولة التعلم وحسن التعقل والحفظ والتذكر ويحصل من كمال التوسط في القوى الثلث كمال العدالة ويتبعها الصداقة والالفة والوفاء والشفقة وصلة الرحم والمكافاة وحسن الشركة والتسليم والتوكل وتعظيم المعبود الحق وملائكته وانبيائه واولي الامر وانقياد اوامرهم ونواهيهم والنفوس تكمل بهذه المعاني وتتبهها ولان القوة النطقية ذاتية للانسان والشهوية والغضبية حصلتا له بواسطة التعلق البدني فكمال التوسط في النطقية ان يستعملها بحيث لا يمكن ان يزيد عليها وكمال التوسط في الاخريين ان يستعملهما بحيث لا يمكن اخلال فرائضها ليحصل بحصول سعادة الدارين اما العلم النظري فيقبل الزيادة بمعنى توصل وفاء توصله التغيرات وبمعنى زيادة الادلة فليس من علم بدليل كمن علم بادلة فلا موجود من اقسام الممكنات الا وفيه اثر على وجود الله وعلمه وقدرته وجوده ورحمته وحكمته وعباد ربين الاسلام بالدليل الواحد ويبقى غافلا عن سائر الدلائل فكانه يقول عرفنا ما في كل شيء من كيفية دلالته على ذاتك وصفاتك وافعالك وقد يراد بالصراط المستقيم الاقتداء بالانبياء وهو ان يكون الانسان مع ما امر الله مقبلا بكليته على الله عليه شكره وذكره على اسحق لو امر بذبح ولده اطاع كالخليل ولو امر ان ينقاد انقاد كاسمعيل ولو امر بالقاء نفسه في البحر مثل يونس ولو امر بتلمذ من هو اعلم منه بعد بلوغه اعلى منصب النبوة كموسى مع الخضر وعن خباب قال شكونا الى الرسول ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا الا تستنصر لنا الا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الارض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على راسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه فما يصده ذلك عن دينه وايضا كان السيد يقول للاحباب بحيث لا طريق والاعداء الى طريق الان والشيطان الى ثالث وكذا القول في الشهوة والغضب والاعتقادات والارادة والعقل ضعيف والتوفيق عزيز فاهدنا الصراط المستقيم هذا الطريق السوي الذي لا تنبع به حكي عن ابرهيم بن ادهم انه كان يسير الى بيت الله فاذا اعرابي على ناقة فقال يا شيخ الى اين فقال الى بيت الله قال كانك مجنون لا ارى لك مركبا ولا زادا والسفر طويل فقال ابرهيم ان لي مراكب كثيرة ولكنك لا تراها قال وما هي قال اذا نزلت علي بلية ركبت مركب الصبر واذا نزلت علي نعمة ركبت مركب الشكر واذا نزل بي القضاء ركبت مركب الرضا واذا دعتني النفس الى شيء علمت ان ما بقي من العمر اقل مما مضى فقال الاعرابي سر باذن الله فانت الراكب وانا الراجل وقيل الصراط القرآن او الاسلام ولكن فيه نظر لانه يصير المعنى اهدنا الصراط المتقدم من قبلهم لم يكن لهم قرآن ولا اسلام اللهم الا ان يراد اصول هذه الشريعة قال فبهداهم اقتده وعن علي كرم الله وجهه ثبتنا على الهداية كقوله ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا فكم من عالم يزله تهيد بعيد في اختيار لفظ الصراط دون الطريق والسبيل تذكير بالصراط الذي هو الجسر الممدود على متن جهنم سهل الله علينا عبوره انما قيل اهدنا بلفظ الجمع لان الدعاء مهما كان اعم كان الى الاجابة اقرب ولهذا قال بعض العلماء في تلبيته اذا قلت قبل القراءة رضي الله عنك وعن جماعة المسلمين فان كان الله تعالى رد دعائك من جماعة المسلمين فلن يرد عنك من قولك رضي الله عنك لان هذا تخصيص بالدعاء ويجوز ان لا يقبل فاما قولك وعن المسلمين فلا بد وان يكون في المسلمين من يستحق الاجابة واذا اجاب الله دعاءه في البعض فهو اكرم من ان يرده في الباقي ومن ثم وردت السنة ان يصلى على النبي ﷺ قبل كل دعاء وبعده لان الدعاء في الطرفين مستجاب البتة لانه في حق النبي ﷺ فيستجاب الوسط ببركته وكذلك لا تحاكي الرواية ادعوا الله بالسنة ما عصيتموه بها قال يا رسول الله من لنا بتلك

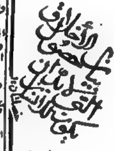

النظرية

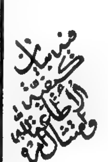

البتة قال يدعو بعضكم لبعض لانك ما عصيت بلسانه وهو ما عصى بلسانك وفيه الحمد لله شامل لحمد جميع الحامدين واياك نعبد لعبادة
الجميع واياك نستعين لاستعانة الكل فلا جرم لما طلب الهداية طلبها للكل كما طلب الاقتداء بالصالحين جميعا في قوله صراط الذين انعمت
عليهم والفرار من الطالحين جميعا في قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين واذا كان كذلك في الدنيا يرجى ان يكون كذلك في الآخرة
ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا
الثالثة الخط المستقيم اقرب خط يصل بين النقطتين والعبد عاجز فلا يليق بضعفه الا الطريق المستقيم وايضا المستقيم واحد وما سواه معوج
بعضها يشبه بعضا في الاعوجاج فكان ابعد من الخوف واقرب الى الخلاص وايضا ميل الطباع الى الاستقامة اكثر فلهذه الاسباب سئل الصراط
المستقيم الحادي عشر من فوائد قوله صراط الذين انعمت عليهم الاول حد النعمة انها المنفعة المفعولة على جهة الاحسان الى الغير لانه لو قصد
الفاعل منفعة نفسه او لا على جهة الاحسان لم يكن نعمة فلا يستحق الشكر ثم نقول كل ما يصل الى الخلق من نفع او دفع ضر فهو من الله تعالى لقوله وما
بكم من نعمة فمن الله ولان الواصل من جهة غير الله سبحانه ينتهي اليه لانه الخالق لتلك النعمة ولذلك المنعم ولداعية ذلك الانعام فيه والنعم
الواصلة الينا بطاعاتنا فهي ايضا من الله تعالى لانه بتوفيقه واعانته بان اتاح الاسباب وازاح الاعذار واول نعمة من الله تعالى على عبيده
نعمة الحيوة التي بها يمكن الانتفاع بالمنافع والاحتراز عن المضار قال تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم عقب ذلك بقوله هو
الذي خلق لكم ما في الارض جميعا الثانية هل لله تعالى على الكافر نعمة ام لا انكره بعض اصحابنا لوجوه منها قوله صراط الذين انعمت عليهم
فانه لو كان لله على الكفار نعمة لزم طلب صراط الكفار ولان المبدل منه هو الصراط المستقيم في حكم المنحى والجواب ان قوله غير المغضوب عليهم ولا
الضالين يدفع ذلك ومنها قوله ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما والجواب انه لا يلزم من ان لا يكون
الاملاء خيرا او نعمة لهم ان لا يكون اصل الحيوة وسائر اسباب الانتفاع نعمة فان الاملاء تاخير النقمة بعد ثبوت استحقاقها فاقبل هذه الحالة
لا يكون كذلك على ان نفس الاملاء ايضا نعمة في حالة قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وليس هذا الا كمن جعل السم في الحلوا
على ما قيل وانما هو كمن ناول شخصا حلوا لذيذة غير مسمومة ولكن ذلك الشخص لفساد مزاجه لا يستعمل الحلواء الا كما لا ينبغي فسد مزاج الحلواء
ايضا وصيره كالسم القاتل بالنسبة اليه فهذا قال نعم المال الصالح للرجل الصالح وكيف لا يعم نعم الله تعالى وقد قال على العموم يا ايها الناس اعبدوا
ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء وقال وكنتم
امواتا فاحياكم كل ذلك في معرض الامتنان وشرح النعم وقال وقليل من عبادي الشكور ولا تجد اكثرهم شاكرين والشكر لا يكون الا بعد
النعمة الثالثة ما المراد بالنعمة المذكورة في قوله انعمت عليهم قلنا يتناول كل من كان لله عليه نعمة دينية ودنيوية ثم اخرج بقوله غير المغضوب
عليهم ولا الضالين كل من عليه نعمة دنيوية فقط وبقي الذين انعم الله عليهم في الدنيا والآخرة من النبيين والصديقين والشهداء و
الصالحين وكما ان اصل النعم الدنيوية هو الحيوة المستتبعة لكل المنافع فكذلك اصل النعم الدينية هو الايمان المستلزم لجميع الخيرات
وكما ان كمال البدن بالحيوة فكمال النفس بالايمان والنفس الميتة فاقدة انك لا تسمع الموتى وما انت بمسمع من في القبور وكما ان حيوة البدن من الله
فكذا الايمان منه ومن توفيقه واضافة الايمان الى العبد اضافة الاثر الى القابل بحسب ذلك القبول وفيه اصل الثواب للمؤمن لا يبقى مخلدا
في النار وان من شرف الله تعالى ما عظم الانعام لم يقيده بالاجر من الانعام الا بالانعام قيل لو كان رعاية الاصلح على الله واجبا لم يكن
ذلك انعاما لان اداء الواجب لا يسمى انعاما قلنا النزاع لفظي لان الاصلح لا بد ان يصل عنده كما يليق بحكمته وكان الخلاف في انه هل ما شئت
فسمه الثاني عشر من فوائد قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين الاولى من المغضوب عليهم ومن الضالون قلت المغضوب عليهم هم المائلون في
كل خلق واعتقاد الى طرف التفريط ومنهم اليهود والضالون هم المائلون الى طرف الافراط ومنهم النصارى وانما خص الاولون بالغضب عليهم لان
الغضب لزمه البعد والطرد والمفرط في شيء هو المعرض عنه غير مقبل عليه بالكلية فهو بعيد عن ذلك واما المفرط فقد اقبل عليه وجاوز حد الاعتدال فضل
عن المقصود ومني بالحرمان كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران له فاليهود فرطوا في شان نبي الله ولم يطيعوه واذوه ومني قالوا بعد ان
نجاهم الله من عدوهم يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولهذا قال عز من قائل يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كا
لذين اذوا موسى فبرأه الله مما قالوا والنصارى افرطوا فقالوا المسيح ابن الله ان الله ثالث ثلاثة يروى عن عدي بن حاتم ان رسول الله قال الغير
المغضوب عليهم اليهود والضالون النصارى ويصدق ذلك من كتاب الله حيث قال في اليهود وباءوا بغضب من الله وفي النصارى قد ضلوا عن
سواء السبيل هذا شان الفريقين واما المؤمنون فطلبوا الوسط من الطرفين وذلك من لطف الله تعالى بهم وفضله عليهم وكذلك جعلناكم
امة وسطا كنتم خير امة اخرجت للناس خير الامور اوسطها الثانية لا تستدل على ان احدا من الملائكة والانبياء ما اقدم على عمل او اعتقاد
يخالف الحق لانه لو كان منهم لما قال تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال ولم يصلح للاقتداء به والاهتداء بطريقه الثالثة ما الفائدة في ان عدل عن ان
يقول اهدنا الصراط الذي انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين الى ما عدل قلت لان الايمان انما يكمل بالرجاء و
الخوف كما قال لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا فقوله صراط الذين انعمت عليهم يدل على الرجاء وما في الاية يدل على الخوف فيكمل

الايمان بطرفيه وركنيه الثالث عشر في تفسير السورة مجموعة وفيه مناهج المنهج الاول للسبعة عالم الغيب الى عالم الشهادة نسبة الاصل الى الفرع والنور الى الظل فكل شاهد فله في الغائب اصل والا كان كسراب بقيعة وخيال باطل وكل غائب فله في الشاهد مثال والا كان كشجرة بلا ثمرة ومدلول بلا دليل وكل شريف فهو بالنسبة الى ما دونه مطاع كما قال عز من قائل ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين ولكل مطاع في عالم الروحانيات مطاع في عالم الجسمانيات فالمطاع في عالم الارواح هو المصدر والمطاع في عالم الاجسام هو المظهر ولا بد من ان يكون بينهما معالات ومجانسة ولما تم سعادة الدارين لا تتم الا بالدعوة الى الله بالرسالة فحاصل الدعوة امور سبعة يشتمل عليها خواتيم سورة البقرة اربعة منها يتعلق بالمبدأ وهي معرفة الربوبية اعني معرفة الله ثم وملائكته وكتبه ورسله آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله واثنان منها يتعلق بالوسط احدهما مبدأ العبودية وقالوا سمعنا واطعنا والثاني كمال العبودية وهو الالتجاء الى الله وطلب المغفرة منه غفرانك ربنا وواحد يتعلق بالمعاد وهو الذهاب الى حضرة الملك الوهاب واليك المصير ويتفرع على هذه المراتب سبع مراتب الدعاء والتضرع اولها ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا فصدر النسيان هو الذكر واذكر ربك اذا نسيت وهذا الذكر انما يحصل بقوله بسم الله الرحمن الرحيم وثانيها ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ودفع الاصر والثقل يوجب الحمد المذكور في قوله الحمد لله رب العالمين وثالثها ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ذلك اشارة الى كمال رحمته الرحمن الرحيم ورابعها واعف عنا واغفر لنا انك انت المالك للقضاء والحكومة في يوم الدين وخامسها واغفر لنا لانا التجأنا بكليتنا اليك وتوكلنا في جميع الامور عليك اياك نعبد واياك نستعين وسادسها وارحمنا لانا طلبنا الهداية منك اهدنا الصراط المستقيم وسابعها انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين فهذه المراتب ذكرها محمد في عالم الروحانيات عند صعوده الى المعراج فلما نزل من المعراج فاض اثر المصدر على المظهر فوقع التعبير عنها بسورة الفاتحة فمن قرأها في صلوته صعدت منه الانوار من المظهر الى المصدر كما نزلت في عهد الرسول من المصدر الى المظهر فلهذا السبب قال الصلوة معراج المؤمن

المنهج الثاني المداخل التي تأتي الشيطان من قبلها في الاصل ثلاثة الشهوة والغضب والهوى فالشهوة بهيمية والغضب سبعية والهوى شيطانية ولهذا قال فالشهوة آفة لكن الغضب اعظم منها والغضب آفة لكن الهوى اعظم منه قال ان الله ينهى عن الفحشاء اي الشهوة والمنكر الغضب والبغي الهوى فبالشهوة يصير الانسان ظالما لنفسه وبالغضب ظالما لغيره وبالهوى تتعدى ظلمه الى حضرة الله ولهذا قال الظلم ثلاثة فظلم لا يغفر وظلم لا يترك وظلم عسى الله ان يتركه فالظلم الذي لا يغفر هو الشرك بالله والظلم الذي لا يترك هو ظلم العباد بعضهم بعضا والظلم الذي عسى الله ان يتركه هو ظلم الانسان نفسه فنتيجة الشهوة الحرص والبخل ونتيجة الغضب العجب والكبر ونتيجة الهوى الكفر والبدعة ويحصل من اجتماع هذه الست في بني آدم خصلة سابعة هي الحسد وهو نهاية الاخلاق الذميمة كما ان الشيطان هو النهاية في الاشخاص المذمومة ولهذا السبب ختم الله مجامع الشرور الانسانية بالحسد في قوله ومن شر حاسد اذا حسد كما ختم جوامع الخبائث الشيطانية بالوسوسة في قوله يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس وروي ان ابليس اتى باب فرعون وقرع الباب فقال فرعون من هذا فقال ابليس لو كنت الها ما جهلت فلما دخل فقال فرعون اتعرف في الارض شرا مني ومنك قال نعم الحاسد وبالحسد وقعت في هذه المحنة ثم نقول الاصول الثلاثة في التشبيه واضعف الاخلاق الثلاثة الاصلية والآيات السبع التي هي الفاتحة دافعة للاخلاق السبعة بيان ذلك من عرف الله تباعد عنه شيطان الهوى افرأيت من اتخذ الهه هواه وموسى قال انه هواك فاني ما خلقت خلقا ما زعني في ملكي الا هواك ومن عرف انه رحمن لم يغضب لان منشأ الغضب طلب الولاية والولاية للرحمن الملك يومئذ الحق للرحمن ومن عرف انه رحيم صحح نسبته اليه فلا يظلم نفسه ولا يلطخها بالافعال البهيمية واما الفاتحة فاذا قال الحمد لله فقد شكر الله واكتفى بالحاصل فزالت شهوته ومن عرف انه رب العالمين زال حرصه فيما لم يجد وبخله فيما وجده ومن عرف انه مالك يوم الدين بعد ان عرف انه الرحمن الرحيم زال غضبه ومن قال اياك نعبد واياك نستعين زال كبره بالاول وعجبه بالثاني واذا قال اهدنا الصراط المستقيم اندفع عنه شيطان الهوى واذا قال صراط الذين انعمت عليهم زال كفره واذا قال غير المغضوب عليهم ولا الضالين اندفعت بدعته واذا زالت عنه الاخلاق الستة اندفع عنه الحسد ثم ان جملة القرآن كالنتائج والشعب عن الفاتحة وكذا جميع الاخلاق الذميمة كالنتائج والشعب من تلك السبعة فلا جرم القرآن كله كالعلاج لجميع الاخلاق الذميمة وههنا دقيقة وهي تعلق بالرب والملك والاله بها ختم القرآن عليها كانه قيل ان اتاك الشيطان من قبل الشهوة قل اعوذ برب الناس وان اتاك من قبل الغضب فقل ملك الناس وان اتاك من قبل الهوى فقل اله الناس

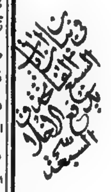

المنهج الثالث في ان سورة الفاتحة جامعة لكل ما يفتقر اليه الانسان في معرفة المبدأ والوسط والمعاد الحمد لله اشارة الى اثبات الصانع المختار العليم الحكيم المستحق للحمد والثناء والتعظيم رب العالمين يدل على ان ذلك الاله واحد وان كل العالمين ملكه وملكه وليس في العالم اله سواه واعلى ما جاء في القرآن الاستدلال بالخلق كثيرا قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت الذي خلقني فهو يهدين ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى ربكم ورب آبائكم الاولين اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق وهذه الدلائل كما انها في نفسها

دليل على وجود الرب فكذلك الحمد في نفسها انعام عظيم وذلك ان تولد الاعضاء المختلفة الطبايع والصور من النطفة المتشابهة الاجزاء لا يمكن
الا اذا قصد الخالق ايجاد تلك الاعضاء على تلك الصور والطبايع وكل منها مطابق للمطلوب موافق للغرض كما يشهد به تشريح الابدان
فلا جرم الحق بالحمد الثناء من هذا المنعم المنان الكريم الرحمن الرحيم الذي شمل احسانه قبل الموت وعند الموت وبعد الموت مالك يوم الدين
يدل على ان من لوازم حكمته ورحمته ان يحصل بعد هذا اليوم يوما اخر يظهر فيه تميز المحسن من المسيء والمظلوم من الظالم وههنا تمت
معرفة الربوبية ثم ان قوله اياك نعبد اشارة الى الامور التي لا بد من معرفتها في تقرير العبودية وهي نوعان الاعمال والاثار المتفرعة على
الاعمال اما الاعمال فلها ركنان احدهما الاتيان بالعبادة وهو قوله اياك نعبد والثاني علمه بانه لا يمكنه ذلك الا باعانة الله وهو قوله واياك
نستعين واما الاثار المتفرعة على الاعمال فهي حصول الهداية والتحلي بالاخلاق الفاضلة المتوسطة بين الطرفين المستقيمة بين المعوجين اهدنا
الصراط المستقيم الخ وفي قوله صراط الذين انعمت عليهم دليل على ان الاستضاءة بانوار ارباب الكمال لاحقة بعبودية وسنة مرضية بين
القوم لا يشقى بهم جليسهم قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وفي قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين اشارة الى ان التجنب
عن مرافقة اصحاب البدع والاهواء واجب شعر عن المرء لا تسئل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي والجمر يوضع في الرماد فيخمد المنهج

الرابع قال الله تعالى حكاية عن الله عز وجل قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين فاذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم يقول الله ذكرني عبدي واذا
قال الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم يقول الله عظمني عبدي واذا قال مالك يوم الدين يقول الله مجدني
عبدي وفي رواية فوض الي عبدي فاذا قال اياك نعبد يقول الله عبدني عبدي واذا قال واياك نستعين يقول الله توكل علي عبدي وفي رواية
واذا قال اياك نعبد واياك نستعين يقول هذا بيني وبين عبدي واذا قال اهدنا الصراط المستقيم يقول هذا لعبدي ولعبدي ما سئل فقوله
قسمت الصلوة بيني وبين عبدي اشارة الى ان اهم مهمات العبد ان يستنير قلبه بمعرفة الربوبية ثم بمعرفة العبودية لانه انما خلق لرعاية هذا العهد وما
خلقت الجن والانس الا ليعبدون واوفوا بعهدي اوف بعهدكم فلا جرم انزل الله هذه السورة جامعة لكل ما يحتاج اليه العبد في الوفاء
بذلك العهد فقوله اذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم يقول الله ذكرني عبدي مناسب لقوله تعالى فاذكروني اذكركم انا جليس من ذكرني فان
ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه والذكر مقام عال شريف كرره الله تعالى في القران كثيرا يا ايها الذين امنوا
اذكروا الله ذكرا كثيرا واذكر ربك في نفسك تذكروا فاذا هم مبصرون الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ولهذا وقع الابتداء به
وقوله ذكرني عبدي يدل على ان ذلك الخصوص متعارف مذكور بقوله بسم الله الرحمن الرحيم وهذا يدل على ان التسمية منها وقوله اذا قال الحمد لله رب
العالمين يقول الله حمدني عبدي يدل على ان مقام الحمد اعلى من مقام الذكر لان اول الكلام في اول خلق العالم حيث قالت الملائكة ونحن نسبح بحمدك
ونقدس لك واخر كلام في الجنة واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين ولان الفكر في ذات الله تعالى غير ممكن فتفكروا في الاء الله ولا تتفكروا في الله وكل
من تفكر في مخلوقات الله ومصنوعاته كان وقوفه على رحمته وفضله واحسانه اكثر فيحمد الله تعالى اكثر فقوله حمدني عبدي شهادة من الله تعالى
على وقوف العبد بعقله وفكره على وجوه فضله وانعامه في ترتيب العالم وتربية العالمين انه اقر بقلبه ولسانه بكرمه واحسانه وقوله واذا قال الرحمن الرحيم
يقول الله عظمني عبدي يدل على ان الاله الكامل الكمال المنزه عن شوائب النظير والمثل والند والضد هو في غاية الرحمة والفضل والكرم مع عباده ولا
شك ان غاية ما يصل العقل والفهم والوهم اليه من تصور معنى الكمال والجلال ليس الا هذا المقام وهو التعظيم فهو قوله واذا قال مالك يوم الدين
يقول الله مجدني عبدي اي نزهني وقدسني عن الظلم ومن شبهة الظلم حيث عين ميعادا يحشر فيه العباد ويقضي فيه بين الظالم والمظلوم ولولا
ذلك لضاع حق الضعيف من الظالم في الكرة العاجلة بل لم يوعد لمن لم يجد من ينصره مولاه وقوله فاذا قال العبد اياك نعبد واياك نستعين ما
بيني وبين عبدي معناه ان اياك نعبد يدل على اقدام العبد غير مستقل بالاتيان بذلك العمل فهو المراد من قوله واياك نستعين وقوله واذا
قال اهدنا الصراط المستقيم يقول الله هذا لعبدي ولعبدي ما سئل فيه ان اهل العالم مختلفون بالنفي والاثبات في جميع المسائل الالهية
او في المعاد والنبوات وغيرها مع استواء الكل في العقل والنظر فالاهتداء الى ما هو الحق في الامر نفسه ليس الا بهداية الله تعالى واشار
كما قالت الملائكة سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا وقال ابراهيم لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين وقال موسى رب اشرح
لي صدري ويسر لي امري المنهج الخامس ان الفاتحة سبع والاعمال المحسوسة في الصلوة ايضا سبعة القيام والركوع والانتصاب منه
والسجود الاول والانتصاب منه والسجود الثاني والقعدة فهذه الاعمال كالشخص والفاتحة لها كالروح وانما يحصل الكمال عند اتصال الروح
بالجسد فقوله بسم الله الرحمن الرحيم بازاء القيام الا ترى ان الباء في بسم الله متصل باسم الله حصل قائما مرتفعا لاجل التسمية لتلك
الامور كل امر ذي بال لم يبدأ باسم الله فهو ابتر والقيام ايضا اول الاعمال وقوله الحمد لله رب العالمين بازاء الركوع لان الحمد في مقام التوحيد نظر
الى الحق والى الخلق المنعم والنعمة لان الثناء على المحسن بسبب انعامه فهو حالة متوسطة بين الاعراض والاستغراق كما ان
الركوع متوسط بين القيام والسجود ولما كان ذكر النعمة كثيرة يتمثل الشكر فيخفى قوله الرحمن الرحيم مناسبا للانتصاب لان العبد لما تضرع الى الله
بالركوع فاللائق بجوده ان يرده الى الانتصاب ولهذا قال اذا قال العبد سمع الله لمن حمده نظر الله اليه بالرحمة وقوله مالك يوم الدين مناسب

علم

المنهج الرابع

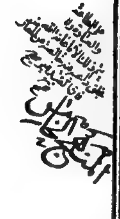

العزيز

السجدة الاولى لانه تنبيه على كمال القهر والجلال والكبرياء وذلك يوجب الخوف الشديد المستتبع لغاية الخضوع وقوله اياك نعبد واياك نستعين ممّا
للقعدة بين السجدتين لان اياك نعبد اخبار عن السجدة الاولى منه واياك نستعين استعانة بالله فى ان يوفقه للسجدة الثانية وقوله
اهدنا الصراط المستقيم سؤال لاهم الاشياء فيليق به السجدة الثانية ليدل على غاية الخشوع وقوله صراط الذين انعمت عليهم الى آخرها
للقعود لان العبد لما اتى بغاية التواضع قابله الله بالاكرام والقعود بين يديه بروح تقرأ التحيات كما ان محمدا عليه السلام قرأها فى معراجه فالصلوة
معراج المؤمن المنهج السادس آيات الفاتحة سبع واعمال الصلوة المحسوسة سبع كما تقدم ومراتب خلق الانسان سبع ولقد خلقنا الانسان
من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا
العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين فنور آيات الفاتحة يسرى الى الاعمال السبعة ونور الاعمال السبعة يسرى
الى هذه المراتب فيحصل فى القلب نور على نور ثم ينعكس الى الوجه ولهذا من كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار المنهج السابع انه كان
لرسول الله معراجان من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ومنه الى عالم الملكوت هذا فى عالم الجسم واما فى عالم الارواح فمن الشهادة الى الغيب ثم من الغيب الى
غيب الغيب وهذا بمنزلة قوسين متلاصقين فتخطاهما محمد فكان قاب قوسين وقوله او ادنى اشارة الى فنائه فى نفسه والمراد بعالم
الشهادة كل ما يتعلق بالجسم والجسمانيات وبعالم الارواح ما فوق ذلك من الارواح السفلية ثم المتعلقة بالسماء سماء الى الملائكة الحافين
من حول العرش ثم الى حملة العرش ومن ثمة الى ممن عند الله الذين طعامهم ذكر الله وشرابهم محبته وانسهم بالثناء عليه لانهم فى خدمته لا يستكبرون
عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون فكذا يتصاعد الى ان ينتهى الى نور الانوار وروح الارواح ولا يعلم تفاصيلها
الا الله ومن ارتضاه والمقصود ان نبينا لما عرج واراد ان يرجع قال رب العزة المسافر اذا عاد الى وطنه احتف اصحابه بتحفة فتحفة امتك الصلوة
الجامعة بين المعراجين الجسمانى بالافعال والروحانى بالاذكار فليكن المصلى ثوبه طاهرا وبدنه طاهرا لانه بالواد المقدس طوى وايضا
عنده ملك وشيطان ودين ودنيا وعقل وهوى وخير وشر وصدق وكذب وحق وباطل وحلم وطيش وقناعة وحرص وسائر الاخلاق
المتضادة والصفات المتنافية فلينظر ايهما يختار ومنه اذا استحكمت المرافقة تعذرت المفارقة فاختار الصدق ليصحبه مصاحبة فلا يفارقه فى الدنيا وفى
القبر ويكون معه فى القيامة وفى الجنة وصحب كلب اصحاب الكهف فلزمهم فى الدنيا والآخرة قال تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع
الصادقين ثم اذا تطهر فليرفع يديه اشارة الى توديع الدنيا والآخرة وليوجه قلبه ووجهه وسره الى الله ثم ليقل الله اكبر اى من كل الموجودات
بل هو اكبر من ان يقاس اليه غيره وانه اكبر منه ثم ليقل سبحانك اللهم وبحمدك وفى هذا المقام ينكشف له نور سبحات الجلال ثم ليقل تبارك اسمك
اشارة الى الدوام المنزه عن الافناء والاعدام ليطالع حقيقة الازل فى القدم وحقيقة الابد فى البقاء فيتجلى له نور الازل والابد ثم ليقل وتعالى
جدك اشارة الى انه اعلى واعظم من ان يكون صفات جلاله ونعوت كماله محصورة فى القدر المذكور ثم ليقل ولا اله غيرك اشارة الى
ان صفات الجلال وسمات الكمال له تعالى لا لغيره فهو الكامل الذى لا كامل الا هو وفى الحقيقة لا هو الا هو وههنا يكل اللسان ويدهش
الالباب ثم عند ذلك يقول المصلى ان نفسك قل وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض فقوله سبحانك اللهم وبحمدك معراج الملائكة
المقربين حيث قالوا ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك وهو ايضا معراج محمد لان معراجه مفتتح بقوله سبحانك اللهم وبحمدك وقوله وجهت
وجهى معراج الخليل وقوله ان صلوتى ونسكى ومحياى ومماتى معراج الحبيب محمد فقد جمع المصلى بين معراج الملائكة المقربين ومعراج عظماء
الانبياء والمرسلين ثم اذا فرغت من هذه الحالة فقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ليدفع العجب عن نفسك ففى هذا المقام يفتح لك احد ابواب
الجنة وهو باب المعرفة وبقولك بسم الله الرحمن الرحيم يفتح باب الذكر وبقولك الحمد لله رب العالمين يفتح باب الشكر وبقولك الرحمن الرحيم يفتح باب
الرجاء وبقولك مالك يوم الدين يفتح باب الخوف وبقولك اياك نعبد واياك نستعين يفتح باب الاخلاص المتولد من معرفة العبودية ومعرفة الربوبية
وبقولك اهدنا الصراط المستقيم يفتح باب الدعاء والتضرع ادعونى استجب لكم وبقولك صراط الذين انعمت الى آخره يفتح باب الاقتداء بالارواح
الطيبة والاهتداء بانوارهم فبهذه المعارف الربانية تفتحت لك ابواب الجنة الثمانية بهذه المقاليد الروحانية فهذا بيان المعراج الروحانى فى الصلوة
واما الجسمانى فاولى المراتب ان يقوم بين يدى الله كقيام اصحاب الكهف اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض بل كقيام اهل القيامة يوم يقوم
الناس لرب العالمين ثم اقرأ سبحانك اللهم وبحمدك ثم وجهت وجهى ثم الفاتحة وبعدها ما تيسر لك من القرآن واجتهد فى ان تنظر من الله
الى عبادتك حتى تستحقرها واياك ان تنظر من عبادتك الى الله فانك ان فعلت ذلك صرت من الهالكين وهذا سر قوله اياك نعبد واياك نستعين
واعلم ان نفسك الى الان تجرى مجرى خشبة عرضتها على نار خوف الجلال فلا تجعلها منحنية بالركوع حتى ثم اتركها المستقيم مرة اخرى فان هذا
الدين متين فاوغل فيه بالرفق ولا تبغض طاعة الله الى نفسك فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى فاذا عادت الى استقامتها فانحدر الى الارض
بنهاية التعلق وقل سبحان ربى الاعلى فاذا سجدت ثانية فقد حصل لك ثلاثة انواع من الطاعة ركوع واحد وسجدتان فبالركوع تنجو من عقبة الشهوة
الداعية الى كل الضلالات فاذا تجاوزت هذه الصفات وتخلصت عن هذه الدركات وصلت الى الدرجات العاليات وملكت الباقيات
الصالحات فانتهيت الى عتبة جلال مدبر الارض والسموات فقل عند ذلك التحيات المباركات باللسان والصلوات بالاركان والطيبات

بالجنان وقوة الايمان بالله فيصعد نور روحه حتى يترك نور روحه بحضرة فيتلاقى الروحان ويحصل هنالك الروح والريحان فحصل السلام
ايها النبي ورحمة الله وبركاته فعند ذلك يقول محمد السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فكانه قيل له بم نلت هذه الكرامات فقال بقولي
اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا رسول الله فقيل ان محمد الذي هداك اى شيء هديته فقال اللهم صل على
محمد وآل محمد فقيل له ان ابرهيم هو الذي قال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فما جزاؤه فقال كما صليت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم في العالمين
فيقال لك هذه الخيرات من محمد او ابرهيم او من الله فقال بل من الحميد المجيد انك حميد مجيد ثم ان العبد اذا ذكر الله ثم بهذه الاثنية والمدائح
ذكره الله ثم في محافل الملائكة اذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملائه فاذا سمع الملائكة ذلك اشتاقوا الى العبد فقال الله ان
الملائكة اشتاقوا الى زيارتك فهذا اوك زائرين فابدأ بالسلام عليهم لتكون من السابقين فقل عن اليمين وعن الشمال السلام عليكم ورحمة
الله وبركاته فلا جرم اذا دخل المصلون الجنة فالملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار المنهج الثامن في عظم
العلو من جلالة ومهابة المكان والزمان فالمكان فضاء لا نهاية له وخلاء لا غاية له والزمان امتداد وهمي شبيه بنهر خرج من قعر جبل الازل
فامتد فدخل في قعر جبل الابد فلا يعرف لانفجاره مبدأ ولا لاستقراره منزل فالاول والاخر صفة الزمان والظاهر والباطن صفة المكان وكمال
هذه الاربعة الرحمن الرحيم فالحق سبحانه وسع المكان ظاهرا وباطنا ووسع الزمان اولا واخرا وهو منزه عن الافتقار الى المكان والزمان فانه
كان ولا مكان ولا زمان فعقد المكان بالكرسي وسع كرسيه السموات والارض وعقد الزمان بالعرش وكان عرشه على الماء لان جري الزمان
يشبه جري الماء فالعلو صفة الكرسي وسع كرسيه والعظمة صفة العرش العظيم وكمال العلو والعظمة لله ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم
والعلو والعظمة درجتان من درجات الكمال الا ان العظمة اقوى وفوق الكل درجة الكبرياء ردائي والعظمة ازاري ولا يخفى ان الرداء اعظم من
الازار وفوق جميع الصفات صفة الجلال فهي تقدس هويته المخصوصة من مناسبة الممكنات وبها استحق الالهية [illegible]
الجلال والاكرام وفي التنزيل ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام فالمصلي يثني وجه لله والداخل على السلطان يجب ان يتطهر من الادناس
والارجاس وفي المراتب التطهر من الذنوب بتوبة الى الله توبة نصوحا ثم من الدنيا حلالها وحرامها وهو الزهد ثم من الكونين الدنيا
والاخرة وهو مقام المعرفة ثم من الالتفات الى الطاعة وهو مقام الاخلاص ثم من الالتفات الى عدم الالتفات وهو مقام المحسنين ثم من الالتفات
الى كل ما سوى الله وهو مقام الصديقين ثم قم قائما واقم وجهك للدين حنيفا واستحضر في نفسك جميع اقسام العالم من الروحانيات والجسمانيات
فقل الله اكبر من الكل كاملا ومن ان لا يراني ولا يسمع كلامي كما قال النبي الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك
او اكبر من ان يصل اليه عقول الخلق وافهامهم كما قال علي بن ابي طالب التوحيد ان لا تتوهمه او اكبر من ان يقدر الخلق على قضاء حق عبوديته
فاذا قلت الله اكبر فاجعل طرف عقلك في ميادين جلال الله وقل سبحانك اللهم وبحمدك ثم قل وجهت وجهي ثم انتقل الى عالم الامر والتكليف
واجعل سورة الفاتحة مرآة لكي تبصر فيها عجائب الدنيا والاخرة وتطلع منها على انوار اسماء الله الحسنى وصفاته العليا والاديان السالفة
والكتب الالهية والشرائع النبوية فمنها الى الشريعة ومنها الى الطريقة ومنها الى الحقيقة وتشاهد درجات الكاملين ودركات الناقصين فاذا قلت
بسم الله الرحمن الرحيم ابصرت به الدنيا فباسمه قامت السموات والارضون واذا قلت الحمد لله رب العالمين ابصرت به الاخرة فبالحمد
قامت الاخرة واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين ابصرت به عالم الجمال المشتمل على اصول النعم وفروعها واذا قلت مالك يوم الدين
ابصرت به عالم الجلال وما يحصل هنالك من الاحوال والاهوال واذا قلت اياك نعبد ابصرت به عالم الشريعة واذا قلت واياك نستعين
ابصرت به عالم الطريقة واذا قلت صراط الذين انعمت عليهم ابصرت به درجات ارباب السعادات واصحاب الكرامات واذا قلت غير
المغضوب عليهم ولا الضالين لاحظت دركات اهل التفريط والافراط فاذا انكشفت لك هذه المقامات فلا تظنن انك قد بلغت

الغايات بل عد الى الاقرار بالعجز والكبرياء ولنفسك بالهوان وقل الله اكبر ثم انزل من صفة الكبرياء الى العظمة وقل سبحان ربي العظيم ثم انتصب قائما
وادع لمن وقف موقفك وحمد حمدك وقل سمع الله لمن حمده فاذا استلذها القلب ووجدها النفس فقال الله هو الذي ما دام العبد في صورة
المسلم ولا تكبير في هذا المقام لان التكبير من الكبرياء والهيبة والخوف وهذا مقام الشفاعة ثم عد الى التكبير وانحط الى غاية العلو وقل سبحان
ربي الاعلى لان السجود اكثر تواضعا روي ان لله ملكا تحت العرش اسمه حزقيل فاوحى اليه ايها الملك طر فطار ثلثين الف سنة ثم ثلثين سنة
فلم يبلغ من احد طرفي العرش الى الثاني فاوحى الله اليه لو طرت الى نفخ الصور لم تبلغ الى طرف الثاني من العرش فقال الملك عند ذلك سبحان
ربي الاعلى ومن فوائد السجدتين ان الاولى الازل والثانية الابد والقعدة بينهما هي الدنيا فتعرف بما لابتنائه لا اول له فتحقق وما بين اثنه
اخر له فتسجد له ثانيا وايضا الاولى فناء الدنيا في الاخرة والثانية فناء الاخرة في جلال الله ثم وايضا الاولى فناء الكل في انفسها والثانية
بقاؤها بابقاء ثبوتها وايضا الاولى انقياد عالم الشهادة لقدرته تعالى والثانية انقياد عالم الارواح لعزته الا له الخلق والامر وايضا الاولى بحسب الشكر لما
اعطانا من معرفة ذاته وصفاته والثانية بحسب الخوف مما فاتنا من اداء حقوق كبريائه وايضا صلوة القاعد على النصف من صلوة القائم فقوا
السجدتين بازاء تواضع ركوع واحد فلا يتم لنكون شاهدين للعبد على اداء العبادة وايضا لينا سب لوجود الاخذ من الوحدة الى الكثرة

ومن الفرد به الى الزوجية والثنية الانتصاب صفة الانسان والانحناء صفة الانعام والجثوم صفة النبات ففي الركوع هضم للنفس مرتبة واحدة وفي السجود مرتبتين ولعل ما فاتنا من الفوائد اكثر مما ادركنا المنهج التاسع في اللطايف عن النبي ان ابرهيم ع سئل به فقال ما جزاء من حمدك فقال تعالى الحمد لله فاتحة الشكر وخاتمته فقال اهل التحقيق من ثمه ما جعلها الله فاتحة كتابه وخاتمة كلام اهل الجنة وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين وعن علي ع ان اول ما خلق الله العقل من نوره المكنون ثم قيل له تكلم فقال الحمد لله فقال الرب عزتي وجلالي ما خلقت خلقا اعز علي منك ونقل عن آدم ع لما عطس قال الحمد لله فاول كلام لفاتحة الحدثات الحمد واول كلام لخاتمة المحدثات الحمد فلاجرم جعلها الله تعالى فاتحة كتابه واتبعها كلام الله الحمد لله واخر انبيائه محمد رسول الله ص وبين الاول والاخر مناسبة فجعل الحمد لله اول آية من كتاب محمد رسول الله ولما كان تكن لك ففي الحمد رسول الله من كلمة الحمد اشتق اسمان محمد واحمد عنده هذه الحالة اما في السماء احمد وفي الحمد فاهل السماء في حمد الله ورسوله احمد واهل الارض في حمد اهل الارض كما قال فاولئك كان سعيهم مشكورا ورسوله محمد لا يحصل لهذا الفوز محمد بالرحمة والنعمة فلما كان الحمد اول الكلمات وجب ان يكون النعم الرحمة اول الافعال فلهذا سبقت رحمتي غضبي ه لطيفة اخرى ان رسول الله ص اسمه احمد اي اكثر حامدية حمد او جب ان يكون رحمة الله في حقه اكثر فلهذا جاء رحمة للعالمين ه لطيفة اخرى ليس من اسماء رسول الله سوى ثلثة محمد واحمد والحامد والمحمود على ما في الروايات وكلها تدل على الرحمة لان الحمد يتضمن النعمة فقال تعالى نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم فقوله نبئ الى محمد وقيل الساداة الياء في قوله عبادي ضمير الله سبحانه وكذا في اني وانا والغفور والرحيم صفة الله فالعبد يمشي يوم القيمة وقدامه الرسول ثم مع هذا انه ما زيد على الرحمة وخلقه حسنة الفاظ من اسماء الله ثم تدل على الرحمة ورحمة الرسول كثيرة وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ورحمة الله غير متناهية ورحمتي وسعت كل شيء فكيف يضيع المذنب ما بين هذه الاصناف من الرحمة ه اخرى في الفاتحة عشرة اشياء خمسة من صفات الربوبية الله الرب الرحمن الرحيم المالك وخمسة من صفات العبودية العبادة الاستعانة طلب الهداية طلب الاستقامة طلب النعمة في قوله انعمت عليهم كانه قيل اياك نعبد لانك انت الله واياك نستعين يا رب اهدنا يا رحمن وارزقنا الاستقامة يا رحيم افض علينا سبحانك انعم علينا يا مالك ه لطيفة اخرى الانسان مركب من خمسة اشياء بدن ونفس شيطانية ونفس سبعية ونفس بهيمية وجوهر ملكي فعقل تجلى باسم الله لجوهر الملكي فاطمأن اليه الا بذكر الله تطمئن القلوب وتجلى للنفس الشيطانية باسم الرب فلان وانقاد لطاعة الديان وتبعوه وقد يبلغ من جهات الشياطين وتجلى للنفس السبعية باسم الرحمن وهو مركب من القهر واللطف الملك يومئذ الحق للرحمن فترك الخصومة والعدوان وتجلى للنفس البهيمية باسم الرحيم احل لكم الطيبات فتركت العصيان وتجلى للابدان القهرية بالملك لان البدن غليظ كثيف محتاج الى قهر شديد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فلما كان هذه التجليات انغلقت ابواب النيران وفتحت عليه ابواب الجنان ورجع القهقرى كلما فلطاعة الابدان قال اياك نعبد ولطاعة النفس البهيمية قال اياك نستعين على ترك اللذات وارتكاب المنكرات ولطاعة النفس السبعية قال اهدنا وارشدنا وعلى دينك ثبتنا ولطاعة النفس الشيطانية طلب الاستقامة فقال اهدنا الصراط المستقيم ولجوهر العقل الملكي طلب مرافقة الارواح المقدسة المطهرة فقال صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ه لطيفة بني الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة وصوم رمضان وحج البيت فشهادة ان لا اله الا الله واقام الصلوة تجلى نور اسم الله ومن تجلى نور اسم الرب لان الرب من التربية العبد يدل ما زيد به الصلوة وايتاء الزكوة من تجلى اسم الرحمن لان الزكوة سببها الرحمة على الفقراء وصوم رمضان من تجلى الرحيم لان الصائم اذا جاع يذكر جوع الفقراء فيطعمهم لا يشبع قال الخلق انا اشبع فانوا الجياع وايضا الصائم يرحم نفسه لانه اذا جاع حصل له فطام عن الالذات المحسوسة الموت يسهل عليه مفارقتها ووجوب الحج من تجلى اسم مالك يوم الدين لان الحج يوجب هجرة الوطن ومفارقة الاهل والولد والتذكرات تشبه سفر القيمة الحاج يكون حافيا حاسرا ومونسته احوال العقبة ه لطيفة اخرى الحواس خمس ولكل ادب فادب البصر ما زاغ البصر وما طغى فاعتبروا يا اولي الابصار وادب السمع الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وادب الذوق يا ايها الرسل كلوا من الطيبات وادب الشم اني لاجد ريح يوسف وادب اللمس الذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فاستعن بانوار الاسماء الحسنى الله الرب الرحمن الرحيم المالك على تاديب هذه الحواس الخمس ه لطيفة الشطر الاول من الفاتحة مشتمل على الاسماء الحسنى لله فيفيض انوارها الى الاسرار والشطر الثاني مشتمل على الصفات الحسنى للعبد فيصعد منها اسرار الى تلك الانوار ويحصل للعبد معراج في قراءته وتقربه للاسرار ان حاجة العبد اما الى دفع شر او جلب خير وكل منهما اما في الدنيا واما في الاخرة فهذه اربعة وهمة لاشرف الاقبال على طاعة الله وعبوديته لا لاجل رغبة او رهبة فان شاهدت نور اسم الله لم تطلب منها شيئا سوى الله وان طالعت نور الرب طلبت منه خيرات الجنة وان طالعت نور الرحمن طلبت منه خيرات الدنيا وان طالعت نور الرحيم طلبت منه العصمة عن مضار الاخرة وان طالعت نور مالك يوم الدين طلبت منه الصون عن آفات الدنيا الموقعة في عذاب الاخرة امالنا الله ه لطيفة اخرى الخلق ثلث مراتب تجلى الذات قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وهذا القطاء الانبياء والملائكة المقربين وهذه

نهاية الاحوال ويدل عليها اسم الله وتجلي الصفات وهو في اواسط الاحوال يكون للاولياء واولى الالباب الذين يتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا ويدل عليه اسم الرحمن وتجلي الافعال والايات وهو في بداية الاحوال يكون لعامة العباد الذي جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وانزل من السماء ماء فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى كلوا وارعوا انعامكم ان في ذلك لايات لاولي النهى ويدل عليه لفظ الرحيم ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما ٥ اخرى في الفاتحة كلمتان مضافتان الى اسم الله بسم الله والحمد لله فبسم الله لبداية الامور والحمد لله لخواتم الامور فبسم الله ذكر والحمد لله شكر فبسم الله استحق الرحمة رحمن الدنيا وبالحمد لله استحق رحمة اخرى رحيم الاخرة وكلمتان اضيف اليهما اسمان لله رب العالمين مالك يوم الدين فالربوبية لبداية حالهم الست بربكم قالوا بلى والملك لنهاية حالهم لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وبينهما اسمان مطلقان لوسط حالهم الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء المنهج الفاشر للخلق خمس احوال اولها الايجاد والتكوين والابداع ويدل عليه اسم الله وثانيها التربية في مصالح الدنيا ويدل عليه اسم الرب ثالثها التربية في معرفة المبدأ ويدل عليه اسم الرحمن ورابعها في معرفة المعاد ويدل عليه اسم الرحيم كي يقدم على ما ينبغي ويحجم عما لا ينبغي وخامسها نقل الارواح من عالم الاجساد الى المعاد ويدل عليه اسم مالك يوم الدين ثم ان العبد اذا انتفع بهذه الاسماء صار من اهل المشاهدة فقال اياك نعبد لانك انت الله الخالق واياك نستعين لانك الرب الرزاق اياك نعبد لانك الرحمن واياك نستعين لانك الرحيم اياك نعبد لانك الملك اياك نستعين لانك المالك نعبد لانا ننتقل من دار الشرور الى دار السرور ولا بد من زاد وخير الزاد العبادة واياك نستعين لان الذي نكتسب بقوتنا وقدرتنا لا يكفينا فان السفر طويل والزاد قليل ثم اذا حصل الزاد ما عانتك فالشقة شاسعة والطرق كثيرة فلا طريق الا ان يطلب الطريق ممن هو بارشاد السالكين حقيق اهدنا الصراط المستقيم ثم انه لا بد لسالك الطريق الطويل من رفيق ودليل صراط الذين انعمت عليهم فالانبياء ادلاء والصديقون والشهداء والصالحون رفقاء غير المغضوب عليهم ولا الضالين لان الحجب قسمان مادية وهي الدنيا بما فيها ونورية وهي ما سواها اللهم ارفع عنا كل ما يحجب بيننا وبينك انك رب العالمين ومالك يوم الدين

سورة البقرة مدنية مائتان وست وثمانون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون

القراءة لا ريب بالمد خلف والعجلي عن حمزة وخلف لنفسه كذلك فوكرته لاجرم لا جرم هاء كناية في جميع القران هدى للمتقين مدغما من غير غنة حمزة وعلي وخلف ويزيد وورش من طريق النجاري والهاشمي عن ابن كثير وكذلك فيدغمون النون الساكنة والتنوين في الراء حيث وقعتا ابو عمرو بالوجهين ادغام الغنة واظهارها الباقون باظهار الغنة واسقاطها وهي صوت من الخيشوم يؤمنون غير مهموز ابو عمرو ويزيد وورش والاعشى وحمزة في الوقف وكذلك ما اشبهها من الافعال ولذ احرف يسيرة تذكر في مواضعها الباقون بالهمز باب في المد بما انزل اليك وما انزل من قبلك بالمد عاصم وحمزة وخلف وابن ذكوان فلا يفرقون بين مد الكلمة والكلمتين وكذلك روى ورش عن نافع والباقون يفرقون فيمدون الكلمة ولا يمدون الكلمتين فاطول الناس مدا ورش عن نافع وحمزة وخلف في اختياره والاعشى ومدهم بمنزلة ربع الفات واوسطهم مدا علي وابن ذكوان وعاصم غير الاعشى واقصرهم مدا ابن كثير وابو جعفر ونافع غير ورش وابو عمرو وسهل ويعقوب وهشام واصل المد الف ساكنة على قدر مصحة فيلحقها فاما وبالاخرة بترك الهمزة ونقلها الى الساكن الذي قبلها حيث كان ورش وكذلك حمزة في الوقف فان مذهبه ان يقف على كل كلمة مهموزة بغير همزة باب السكتة غير روي عن حمزة وحماد انهم يسكتون على حرف ساكن بعده همزة سكتة لطيفة نحو الارض والانهار وقالوا امنا واشباه ذلك والسبب فيه التمكين والمبالغة في تحقيقها لان الهمزة بعد السكتة كالمبتدأ بها والاختيار في الكلمة الواحدة ان لا تسكت على ساكن غير لام التعريف لجواز عن قطع الكلمة الوقف الاختلاف لا ريب على حذف خبر لا تقديره لا ريب فيه ثم تبتدأ فيه هدى ومن وصل جعل فيه خبر لا او وصف ريب حال خبر لا تقديره لا ريب فيه عند المؤمنين والوقف على التقديرين على فيه وهدى خبر مبتدأ مضمر اي هو هدى ومن جعل هدى حالا للكتاب بالعامل معنى الاشارة وذلك على تقدير اشير اليه الكتاب هاديا لم يقف قبل هدى للمتقين لان الذين صفتهم ينفقون للعطف لبدل عبد الله بن سلام واصحابه في المتقين فان القران لهم هدى كبدخل الصحابة المؤمنون بالغيب في ثناء الهدى وعد الفلاح ولو ابتدأ والذين

كان أولئك على هدى خبرهم مختصاً بهم ولخص هدى القرآن واسم المتقين بالذين يؤمنون بالغيب من قبلك لاختلاف النظم بتقديم المفعول
يوقنون ط لأن أولئك مبتدأ وليس بخبر عما قبله وكذلك على كل آية وقعت بها الأ ما أعلم بعلامة لا المفلحون ○ التفسير فيه أبحاث البحث
الأول في الم اعلم أن الألفاظ التي يتهجى بها في قولهم ألف با تا ثا أسماء مسمياتها الحروف المبسوطة التي منها ركبت الكلم لأن الضاد مثلاً لفظ
مفرد دال بالتواطؤ على معنى مستقل بنفسه غير مقترن بأحد الأزمنة وذلك المعنى هو الحرف الأول من ضرب مثلاً فيكون لفظ الضاد
اسماً ولهذا قد يتصرف في بعضها بالإمالة نحو با تا وبالتفخيم نحو يا تا وبالتعريف والتنكير والجمع والتصغير والوصف والإسناد إليه والإضافة
وقولهم با تا ثا منتهياً ومقصورة نحو لا وقولهم كتبت با وباء بالمد نحو كتبت كافاً لا يدل على أنها حروف مثل لا فإنهم إنما قالوا كذلك في التهجي
لكثرة الاستعمال فاستدعاها التخفيف الذي رواه ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول
الم حرف بل ألف حرف ولام حرف وميم حرف فعليكم ما وقع في عبارات المتقدمين أنها حروف التهجي فلعلهم أرادوا أن يصرف إلى التسامح والتجوز
لأنه اسم الحرف وهما متلازمان ولأن الحروف قد يطلق على الكلمة تسمية للجنس باسم النوع ويحكى عن الخليل أنه سأل أصحابه كيف تنطقون
بالكاف التي في لك والباء التي في ضرب فقالوا نقول با كاف فقال إنما جئتم بالاسم لا بالحرف وقال أقول ب ك ثم إنهم راعوا في هذه التسمية
لطيفة وهي أنهم جعلوا المسمى صدر كل اسم منها إلا الألف فإنهم استعاروا الهمزة مكان مسماها لأنه لا يكون إلا ساكناً ومما يضاهيها في إيداع
اللفظ دلالة على المعنى البسملة والحمدلة والتهليل ونحوها وحكم هذه الأسماء سكون الأعجاز ما لم تلها العوامل فيقال ألف لام ميم موقوفة
عليها العضد مقتضي الإعراب نحو واحد اثنان ثلاثة دار ثوب جار بيت فإذا وليتها العوامل أدركها الإعراب نحو هذه ألف وكتبت ألفاً ونظرت
إلى ألف والدليل على أن سكونها وقف ليس ببناء أنها لو بنيت لحذف لها حذو كيف وأين وهؤلاء ولم يقل صاد قاف نون مجموعاً فيها
بين الساكنين ولما سكن في الم وما يجري مجراه في فواتح السور قولان أحدهما أن هذا علم مستور وسر محجوب استأثر الله به فالمخاطب بالحروف
المفردة سنة الأحباب في سنن الخطاب فهو سر الحبيب مع الحبيب بحيث لا يطلع عليه الرقيب شعر بين المحبين سر ليس يفشيه قول ولا قلم للخلق يحكيه
عن أبي بكر في كل كتاب سر وسره في القرآن أوائل السور وعن علي كرم الله وجهه إن لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي
قال بعض العارفين العلم كالبحر أجري منه واد ثم أجري من الوادي نهر ثم أجري من النهر جدول ثم أجري من الجدول ساقية فالوادي لا يحتمل البحر
والنهر لا يحتمل الوادي وإليه الإشارة بقوله أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فبحر العلم عند الله تعالى فأعطى الرسل منها أودية
ثم أعطى الرسل من أوديتهم أنهاراً إلى العلماء ثم أعطى العلماء إلى العامة جداول صغاراً على قدر طاقتهم ثم أجرت العامة سواقي إلى أهاليهم

بقدر طاقتهم وهذا مأخوذ مما روي في الخبر للعلماء سر وللأنبياء سر وللملائكة سر ولله من بعد ذلك كله سر فلو اطلع الجهال على سر العلماء لأبادوهم ولو
اطلع العلماء على سر الخلفاء لنابذوهم ولو اطلع الخلفاء على سر الأنبياء لخالفوهم ولو اطلع الأنبياء على سر الملائكة لاتهموهم ولو اطلع الملائكة
على سر الله لطاحوا حائرين وبادوا بائدين والسبب في ذلك أن العقول الضعيفة لا تحتمل الأسرار القوية كما لا يحتمل نور الشمس أبصار الخفافيش
وسئل الشعبي عن هذه الحروف فقال سر الله فلا تطلبوه وعن ابن عباس أنه قال عجزت العلماء عن إدراكها وقيل هو من المتشابه وتعقب
هذا القول بنحو قوله تعالى أفلا يتدبرون القرآن تبياناً لكل شيء هدى للمتقين وإنما يمكن التدبر ويكون تبياناً وهدى إذا كان مفهوماً
وبقوله إني تركت فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتي فكيف يمكن التمسك به وهو غير معلوم وبأنه لا يخاطب المكلف
بما لا يفهم كما لا يخاطب العربي بالعجمي ولا يجوز التحدي بما لا يكون معلوماً وعورض بقوله تعالى وما يعلم تأويله إلا الله والوقف هنا لأن
الراسخين لو كانوا عالمين به لم يكن لإيمانهم به مزيد مدح ولا يكون في قوله كل من عند
ربنا فائدة على أن الأولى بقوله أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وقد روينا عن كبار الصحابة ما رويناه وأيضاً الأفعال التي كلفنا
بها منها ما يظهر وجه الحكمة فيه كالصلوة فإن فيها تواضعاً للمعبود والصوم ففيه كسر الشهوة والزكوة ففيها سد خلة المساكين ومنها ما
لا يظهر فيه الحكمة لكثير من أفعال الحج ويحسن من الله تعالى الأمر بالنوعين لظهور الامتثال بل كمال الانقياد في النوع الثاني أظهر وأكثر
فلم لا يجوز أن يكون في الأقوال أيضاً مثل ذلك مع أن فيه فائدة أخرى هي اشتغال السر بذكره والتفكر في كلامه القول الثاني أن المراد
من هذه الفواتح معلوم ثم اختلفوا على وجوه الأول أنها أسماء وهو قول أكثر المتكلمين واختيار الخليل وسيبويه كما سموا بلام والد حارثة
لام الطائي وكقولهم للنحاس صاد وللسحاب عين وللجبل قاف وللحوت نون وسيجيء تمام الكلام في هذا القول الثاني أنها أسماء الله
روي عن علي أنه كان يقول يا كهيعص يا حم عسق ويقرب منه ما روي عن سعيد بن جبير أنها أبعاض أسماء الله تعالى فإن الر حم ن مجموعها
اسم الرحمن لكنا لا نقدر على كيفية تركيبها في البقية الثالث أسماء القرآن وهو قول الكلبي والسدي وقتادة الرابع كل واحد من الحروف

دال على اسم من أسماء الله تعالى وصفة من صفاته فالألف إشارة إلى أنه أحد أول آخر أزلي أبدي واللام إشارة إلى أنه لطيف والميم إلى أنه
مجيد ملك منان وفي كهيعص الكاف كاف وكاف والهاء هاد والياء من الحكيم والعين عالم والصاد صادق والكاف محمول على الكبير
الكريم والياء على أنه مجير والعين على العزيز والعدل ويروى هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما في الم أنا الله أعلم وفي المص أنا الله أعلم وأفصل

وفي الر انا الله ارى الخامس انها صفات الافعال الالف الاؤه واللام لطفه والميم مجده قاله محمد بن كعب القرظي السادس الالف من الله واللام من جبرئيل والميم من محمد اى انزل الله الكتاب بواسطة جبرئيل على محمد السابع الالف انا واللام الى والميم مني قاله بعض الصوفية الثامن انه وردها مسرودة هكذا على نمط التعديد كالايقاظ وقرع العصا لمن تحدى بالقرآن اى ان هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن اخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم فلولا انه كلام خالق القدر لم يعجز معشر البشر عن الاتيان بمثل الكوثر قاله المبرد وجمع غفير التاسع كانه يقول اسمعوها مقطعة حتى اذا وردت عليكم مؤلفة كنتم قد عرفتموها قبل ذلك هذا على طريقة تعليم الصبيان قاله عبد العزيز بن يحيى العاشر ان الكفار لما قالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه انزل الله تعالى هذه الاحرف فتعجبوا منها فاسمعهم فيهم عليهم القرآن من حيث لا يشعرون قاله ابو روق وقطرب الحادي عشر قول ابى العالية انه حساب على ما روى ابن عباس انه مر ابو ياسر بن اخطب برسول الله وهو يتلو سورة البقرة الم ذلك الكتاب ثم اتى اخوه حيي بن اخطب كعب بن الاشرف فسألوا عن الم وقالوا ننشدك الله الذي لا اله الا هو حق انها اتتك من السماء فقال نعم كذلك نزلت فقال حيي ان كنت صادقا انى لأعلم اجل هذه الامة من السنين ثم قال كيف ندخل في دين رجل دلت هذه الحروف بحساب الجمل على ان منتهى اجل امته احد وسبعون سنة فضحك رسول الله فقال حيي فهل غير ذلك فقال نعم المص فقال حيي هذه احد وستون ومائة فهل غيرها فقال نعم الر فقال حيي نشهد ان كنت صادقا ما ملكت امتك الا مائتين واحدى وثلثين سنة فهل غيرها فقال نعم المر فقال حيي لا ندري باي اقوالك ناخذ فقال ابو ياسر اما انا فاشهد ان انبياءنا قد اخبروا عن ملك هذه الامة ولم يبينوا انها كم تكون فان كان محمد صادقا فيما يقول انى لأراه سيجتمع له هذا كله فقام اليهود وقالوا اشتبه علينا امرك فانزل الله تعالى هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ الثاني عشر انها علامة انقطاع كلام واستيناف كلام اخر الثالث عشر قول الاخفش ان الله تعالى اقسم بهذه الحروف لشرفها من حيث انها اصول اللغات بها يتعارفون ويذكرون الله ويوحدونه واقتصر على البعض والمراد الكل كما تقول قرأت الحمد تريد السورة كلها اقسم الله بها ان هذا الكتاب هو المثبت في اللوح المحفوظ الرابع عشر ان النطق بالحروف انفسها كانت العرب فيه مستوية الاقدام الاميون واهل الخط الكتاب بخلاف النطق باسامي الحروف فانه كان مختصا بمن خط وقرأ فلما اخبر الرسول عنها من غير تعلم خط وقراءة كان ذلك دليلا على انه استفاد ذلك من قبل الوحي الخامس عشر قال القاضي الماوردي معناه الم يكن ذلك الكتاب اى نزل هذا الكتاب في كل فاتحة السادس عشر الالف اشارة الى ما لا بد منه من الاستقامة على الشريعة في اول الامر ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا واللام اشارة الى الحاصل عند المجاهدات وهو رعاية الطريقة والذين جاهدوا فينا والميم اشارة الى صيرورة العبد في مقام المحبة كالدائرة التي يكون نهايتها عين بدايتها وهو مقام الفناء في الله بالكلية وهو الحقيقة قل الله ثم ذرهم السابع عشر من اقصى الحلق واللام من طرف اللسان وهو وسط المخارج والميم من الشفة وهو اخر المخارج اى اول ذكر العبد ووسطه واخره لا ينبغي الا لله الثامن عشر سمعت بعض الشيوخ يقول هذه الفواتح اذا حذف منها المكررات بقي ما يمكن ان تركب منه على صراط حق نمسكه وهذا غريب مع انه تكلف ظاهر اورده ثم اعلم ان الباقية من الفواتح بعد حذف المكرر اربعة عشر نصف عدد حروف المعجم بعد الكسر وقد اوردها الله الفواتح في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم وهذه الباقية تشتمل على انصاف اجناس الحروف من المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين والحاء ومن المجهورة نصفها الالف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والياء والنون ومن الشديدة نصفها الكاف والطاء والقاف والالف ومن الرخوة نصفها المربعة عشر ومن المطبقة نصفها ص ط ومن المنفتحة نصفها الركهو س ح ق ي ع ن ومن المستعلية نصفها ق ص ط ومن المنخفضة نصفها ا م ر ل س ه ي ع ح ن ومن حروف القلقلة نصفها ق ط واكثر الفاظ القرآن من هذه الحروف وهذا دليل على ان الله تعالى تحدى العرب بالالفاظ التي منها تراكيب كلامهم تبكيتا لهم واظهارا لعجزهم كما مر في الوجه الثامن ويؤيد ذلك ان الالف واللام لما تكاثر وقوعهما جاءتا في معظم هذه الفواتح مكررتين والله اعلم التاسع عشر قيل معناه الست بربكم الالف الالف واللام من بلى والميم من اخره اى اخذت منكم كتاب العهد يوم الميثاق والمختار من هذه الاقوال عند الاكثرين القول بانها اسماء السور ثم انه عورض بوجوه الاول انا نجد سورا كثيرة اتفقت في التسمية بالم وحم والمقصود من العلم رفع الاشتباه الثاني لو كانت اسماء لاشتهرت وتواترت لان الكلام العرب لم يتجاوزوا ما سموا بمجموع اسمين نحو معدى كرب وبعلبك ولم يسم احد منهم بمجموع ثلثة اسماء وازيد وحينئذ فالقول بانها اسماء السور خروج عن لغتهم الرابع لو كانت اسماء لاشتهرت السورة بها لكنها اشتهرت بغيرها نحو سورة البقرة وآل عمران الخامس هذه الالفاظ داخلة في السور وجزؤها وجزء الشيء متقدم على الشيء بالرتبة واسم الشيء متأخر عن الشيء فلزم ان يكون متقدما متأخرا معا وهو محال لا يقال هذا كتسميتهم صاد بالحرف الاول منه فان هذه التسمية المفرد بالمؤلف فلا يلزم الا تأخر المركب عن المفرد بوجهين وهذه التسمية للمؤلف بالمفرد ويلزم المحال المذكور واجيب عن الاول بما يجاب عن الاعلام المشتركة من ان الالتباس بوضع واحد مع امر بعيد ان يجعل مشتركا حتى يتميز كل واحد عن الاخر بعلامة اخرى لحكمة خفية وعن الثاني بان تسمية السورة بلفظة بلفظة معينة ليست من الامور التي يتوفر الدواعي على نقلها وعن الثالث بان التسمية بثلث اسماء خروج عن كلام العرب

في تفسير الم

في حروف المهموسة

في حروف مجهورة

في حروف المستعلية

في حروف ...

ولكن جعلت اسماً واحداً لا اسماً منثورة نثر اسماء عدد فلا اشكال لانها من باب التسمية بالجملة ان تحكى حكاية نحو برق نحره وكالوسمي ببيت شعر
وطائفة من اسماء حروف المعجم وعن الرابع انه لا يبعد ان يصير اللقب اشهر من الاسم وعن الخامس ان تأخرها هو متقدم باعتبار اخر
غير مخيل وفي لسان الصوفية ان مباني الصلوة ثلث القيام والركوع والسجود فالالف اشارة الى القيام واللام الى الركوع والميم الى السجود
اي من قرء فاتحة الكتاب في الصلوة التي هي معراج المؤمن شرفها الله بالهداية في قوله هدى للمتقين وعلى هذا فيكون ذلك الكتاب اشارة
الى الفاتحة لانها ام الكتاب ثم ان هذه الاسماء ضربان احدهما لا يتأتى فيه الاعراب نحو كهيعص والمر وثانيهما ما يتأتى فيه الاعراب لكونه اسما
فرداً كصاد وقاف ونون او اسماء عدة مجموعها على زنة مفرد كحم وطس ويس فانها موازنة لقابيل وهابيل وكطسم اذ فتح نونها فصارت
كدارابجرد فالنوع الاول محكي ليس الا والثاني فيه امران الاعراب والحكاية فيتخالف العرب يمنع الصرف للعلمية والتانيث قال شريح بن اوفى يذكرني حاميم والرمح
شاجر * فهلا تلا حاميم قبل التقدم * والحكاية ان تجيء بالقول بعد نقله على استبقاء صورته نحو قولك بدأت بالحمد لله قال ذو الرمة شعر
سمعت الناس ينتجعون غيثاً * فقلت لصيدح انتجعي بلالا * واما من قرأ صاد وقاف ونون مفتوحات فيحتمل وجهين احدهما ان يكون حركت لالتقاء
الساكنين واستكره جعلها مقسماً بها على طريق قولهم نعم الله لافعلن على حذف حرف الجر واعمال فعل القسم لان القرآن والقلم بعدها
محلوف بهما واستكره الجمع بين قسمين على مقسم واحد ولهذا قال الخليل الواو الثانية في قوله عز من قائل والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى
واو العطف لا القسم نحو قولك بزيد ثم حقوق لافعلن ولو كان لاقتضى قسماً اولاً على شيء لجاز ان تستعمل كلاماً اخر نحو بالله لافعلن تالله لاخرجن
ولا سبيل فيما نحن بصدده الى جعل الواو للعطف لمخالفة الثاني الاول في الاعراب اللهم الا ان يقدر مجروراً باضمار الباء القسمية لا بحذفها فقد
جاء عنهم الله لافعلن مجروراً واعرابها مفتوحة في موضع الجر لكونها غير منصرفة واما من قرأ صاد وقاف بالكسر فلالتقاء الساكنين وهذه
الفواتح جاءت في المصحف مكتوبة على صور الحروف انفسها لا على صور اساميها لان المألوف اذا قيل للكاتب اكتب صاد مثلاً فانه يكتب صورتها
على انها اشتهر امرها بان المراد بها الاسامي كالتسمية المسموع وقوع اللبس فيها وايضاً فخطان لا يقاسان خط المصحف لانه سنة وخط العروض
لان المتبع هناك الملفوظ ومن لم يجعل هذه الفواتح اسماء السور فلا محل لها عنده كالجمل المبتداة والمفردات المعددة ومن جعلها
اسماء السور فسنخبرك عن تأليفها مع ما بعدها ان شاء الله تعالى البحث الثاني في قوله ذلك الكتاب وفيه مسائل الاولى انما صحت الاشارة بذلك
الى ما ليس ببعيد لانه وقعت الاشارة بذلك الى الم بعد ما سبق التكلم به والمنقضي في حكم المتباعد ولهذا يجمع الحاسب ثم يقول فذلك كذا او
لانه لما وصل من المرسل الى المرسل اليه وقع في حد البعد كما تقول لصاحبك وقد اعطيته شيئاً احتفظ بذلك او لانه وان كان حاضراً
نظراً الى ذاته لكنه غائب نظراً الى اسراره وحقائقه او لانه على مقتضى الوضع اللغوي كما مر او لانه اشارة الى ما نزلت بمكة قبل سورة البقرة
وقد يسمى بعض القرآن قرآناً او لانه اشارة الى ما وعد به الرسول عند مبعثه انا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً او لانه اشارة الى ما اخبر به الانبياء عليهم السلام
ان تنزيله على النبي المبعوث من ولد اسمعيل او المراد ان هذا المنزل هو ذلك المثبت في اللوح المحفوظ كقوله وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم
الثانية انما ذكر اسم الاشارة والمشار اليه مؤنث هو السورة في بعض الوجوه نظراً الى الصفة وهو الكتاب كقولك هند ذلك الانسان
قال الذبياني نبئت نعمى على الهجران عاتبة سقياً ورعياً لذاك العاتب الزاري وان جعلت الكتاب خبراً فقد قالوا ان ذلك في معناه ومسماه
فجاز اجراء حكمه عليه في التذكير كما اجري عليه في التانيث في قولهم من كانت امك الثالثة للقرآن اسماء كثيرة منها الكتاب والقرآن وقد تقدم
ومنها الفرقان تبارك الذي نزل الفرقان لانه نزل متفرقاً في نيف وعشرين سنة ولانه يفرق بين الحق والباطل ومنها التذكرة والذكر
والذكرى وانه لتذكرة للمتقين وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وانه لذكر لك ولقومك اي ذكر من الله تعالى ذكر به عباده فعرفهم تكاليفه او
شرف وفخر ومنها التنزيل وانه لتنزيل رب العالمين ومنها الحديث الله نزل احسن الحديث شبهه بما يتحدث به فان الله تعالى خاطب به
المكلفين ومنها الموعظة قد جاءتكم موعظة من ربكم ومنها الحكم والحكمة والحكيم والمحكم وكذلك انزلناه حكماً عربياً حكمة بالغة
تلك آيات القرآن الحكيم كتاب احكمت آياته ومنها الشفاء والرحمة وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ومنها الهدى
والهادي هدى للمتقين ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ومنها الصراط المستقيم وان هذا صراطي مستقيماً ومنها الحبل واعتصموا
بحبل الله جميعاً ومنها الروح وكذلك اوحينا اليك روحاً من امرنا لانه سبب لحيوة الارواح ومنها القصص ان هذا لهو القصص
الحق ومنها البيان والتبيان والمبين هذا بيان للناس تبياناً لكل شيء تلك آيات الكتاب المبين ومنها البصائر هذا بصائر من ربكم
ومنها الفصل انه لقول فصل ومنها النجوم فلا اقسم بمواقع النجوم لانه نزل نجوماً ومنها المثاني مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون
ربهم لانه يثنى فيه القصص والاخبار ومنها النعمة واما بنعمة ربك فحدث قال ابن عباس اي القرآن ومنها البرهان قد جاءكم برهان
من ربكم ومنها البشير والنذير قرآناً عربياً لقوم يعلمون بشيراً ونذيراً ومنها القيم قيماً لينذر بأساً شديداً ومنها المهيمن مصدقاً لما
بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه ومنها النور واتبعوا النور الذي انزل معه ومنها الحق وانه لحق اليقين ومنها العزيز وانه لكتاب عزيز
ومنها الكريم انه لقرآن كريم ومنها العظيم ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم ومنها المبارك كتاب انزلناه اليك مبارك فهذه

الرابع

جملة الاستفهام ويجيء تفاسيرها في مواضعها الرابع في تأليف ذلك الكتاب مع الم ان جعلت الم اسما للسورة ففي التأليف وجوه ان يكون الم مبتدأ وذلك مبتدأ ثانيا والكتاب خبره والجملة خبر المبتدأ الاول اي هو الكتاب الكامل الذي يستأهل ان يسمى كتابا كما تقول هو الرجل اي الكامل في الرجولية وكقوله شعر هم القوم كل القوم يا ام خالد وان يكون الكتاب صفة ومعناه هو ذلك الكتاب الموعود وان يكون الم خبر مبتدأ محذوف اي هذه الم ويكون ذلك خبرا ثانيا او بدلا على ان الكتاب صفة وان يكون هذه الم وذلك الكتاب جملة اخرى وفقد العاطف لان الثانية بيان للاولى وان جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدأ خبره الكتاب اي ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل او الكتاب صفة والخبر ما بعده او قدر مبتدأ محذوف اي هو يعني المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب وفي قراءة عبد الله بن مسعود الم تنزيل الكتاب البحث الثالث في قوله لا ريب فيه مصدر رابني حقيقته قلق النفس وفي الحسن بن علي عن النبي دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمأنينة اي كون الامر مشكوكا فيه مما تقلق له النفس وكونه صحيحا صادقا مما تطمئن له ومنه ريب الزمان لنوائبه المقلقة وفي الحديث ان النبي مر بظبي حاقف اي معوج مضطجع وهم محرمون فقال لا يريبه احد بشيء اي لا يتعرض له والحاصل ان الريب شك مع زيادة ظن سوء فان قلت كيف نفى الريب على سبيل الاستغراق وكم من شقي مرتاب فيه قلت ما نفى ان احدا لا يرتاب فيه وانما المنفي كونه متعلقا للريب ومظنة له لانه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب ان يقع فيه ومثله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله لم يقل واذ كنتم مع وقوع الشك منهم في الواقع دلالة على ان الشك فيه مما لا ينبغي ان يوجد الا على سبيل الفرض والتقدير او لو فرض فوجه ازالته ان يجربوا انفسهم ويبرزوا قواهم في البلاغة هل تتم المعارضة ام تتضاءل دونها فان قلت فهلا قدم الظرف على الريب كما قدم على الغول في قوله لا فيها غول قلنا لان المقصود منها ليس الا نفي الريب عنه واثبات انه حق ولو عكس لافاد ذلك مع ما ليس بمراد ولا هو بصادق في نفس الامر وهو التعريض بان ريبا في غيره من الكتب كما ان في قوله لا فيها غول تعريضا بان خمور الدنيا تغتال العقول وقرأ ابو الشعثاء لا ريب فيه بالرفع قيل والفرق بينها وبين المشهورة توجب الاستغراق وهذه تجوزه ويمكن ان يقال كلاهما يوجب الاستغراق الا ان الاول بطريق نفي الماهية والثاني لان قوله لا ريب جواب قول القائل هل ريب فيه وهذا يفيد ثبوت فرد واحد فنقيضه يكون سلب جميع الافراد البحث الرابع في قوله هدى للمتقين وفيه مسائل الاولى في حقيقة الهدى هو مصدر على فعل كالسرى وهو على الاصح عبارة عن الدلالة وقيل بشرط كونها موصلة الى البغية بدليل وقوعه في مقابلة الضلالة في اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ولانه يقال مهدي في معرض المدح فلو احتمل ان يقال هدى فلم يهتد لم يكن مدحا ولان مطاوعه اهتدى فيلزمه اجيب بان مقابل الضلالة الاهتداء لا الهدى وبان قولنا مهدي انما افاد المدح لانه من المعلوم ان الوسيلة اذا لم تفض الى المقصود كانت كالعدم وبالمنع من ان اهتدى لازم هدى لزوما كليا اذ يصح في العرف ان يقال هديته فلم يهتد قال عز من قائل واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى قال بعضهم الهدى الاهتداء فان زعم انه حقيقة الوقوع صفة للقرآن وان زعم حينا فصحيح او توقعه مقابلة الضلالة الثانية المتقي اسم فاعل من وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهذه الدابة تقي من وجاها اذا اصابها ظلع من غلظ الارض ورقة الحافر فهو يقي حافره ان يصيبه ادنى شيء وهو في الشرع المؤمن الذي يقي نفسه عن الخلق والاختلاف في الصغائر انه اذا لم يتقها هل يستحق هذا الاسم وروي عنه انه لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا مما به بأس وحقيقة التقوى الخشية يا ايها الناس اتقوا ربكم وقد يراد بها الايمان والزمهم كلمة التقوى اي التوحيد وقد يراد بها التوبة ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا اي تابوا وقد يراد بها الطاعة ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون وقد يراد بها ترك المعصية واتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله وقد يراد بها الاخلاص فانها من تقوى القلوب اي من اخلاصها والتقوى مقام شريف ان الله مع الذين اتقوا وتزودوا فان خير الزاد التقوى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وعن ابن عباس عن النبي قال من احب ان يكون اكرم الناس فليتق الله ومن احب ان يكون اقوى الناس فليكن بما في يد الله اوثق منه بما في يده وقال علي التقوى ترك الاصرار على المعصية وترك الاغترار بالطاعة وعن ابراهيم بن ادهم ان لا يجد الخلق في لسانك عيبا ولا الملائكة المقربون في افعالك عيبا ولا ملك العرش في سرك عيبا والواقدي ان تزين سرك للحق كما زينت ظاهرك للخلق ويقال التقوى ان لا يراك مولاك حيث نهاك ولله در القائل خل الذنوب صغيرها وكبيرها فهو التقى :: كن مثل ماش في طريق الشوك يحذر ما يرى :: لا تحقرن صغيرة ان الجبال من الحصى ووقع قوله هدى للمتقين موقع اي شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس لدلالة على ان الناس هم المتقون والباقون كالانعام بل هم اضل الثالثة لم خص كون القرآن هدى بالمتقين والمتقي مهتد فكيف يهدى ثانيا والجواب ان المتقين لما كانوا هم المنتفعين بالهداية خصوا كقوله انما انت منذر من يخشاها انما تنذر من اتبع الذكر مع انه منذر كل الناس وثانيها قوله هدى للمتقين كقولك للعزيز المكرم اعزك الله واكرمك تريد طلب الزيادة واستدامة ما هو ثابت فيه ونحوه … لا كتساب التقوى … فيه مجاز من باب تسمية الشيء بما يؤول اليه … هدى للصائرين الى التقوى بعد الضلال … فان تصدير السورة

من اهل الزمر اوبين وسنام القرآن واول المثاني بذكر اولياء الله والمرتضين من عباده هو اللائق بالمقام فاختص الكلام باجرائه على الطريقة
الذي ذكرنا فان قلت كيف وصف القرآن بانه كله هدى وفيه مجمل ومتشابه لا يهتدى فيه الى المقصود الا بحكم العقل فيكون الهدى
في ذلك للعقل لا للقرآن ومما يؤكد هذا ما نقل عن علي رضي الله عنه انه قال لابن عباس حين بعثه رسولا الى الخوارج لا تحتج عليهم بالقرآن فانه خصم
ذو وجهين ولهذا كان فرق الاسلام المحق منهم والمبطل يحتجون به قلنا المتشابه والمجمل لما لم ينفك عما يبين المراد منه من التعيين عقلا
او سمعا صار كله هدى فان قيل كل ما يتوقف صحة كون القرآن هدى على صحته كمعرفة الله تعالى وصفاته وكمعرفة النبوة فالقرآن ليس
هدى فيه فكيف جعل جميعه هدى على الاطلاق قلنا المراد كونه هدى في تعريف الشرائع والمطلق لا يقتضي العموم او كونه هدى تأكيد لما في
العقول لتيقظ فيهم الرابعة محل هدى للمتقين الرفع لانه خبر مبتدأ محذوف او خبر مع لا ريب فيه لذلك او مبتدأ اذا جعل الظرف المقدم خبرا
عنه ويجوز ان ينتصب على الحال والعامل فيه معنى الاشارة او الظرف والذي هو ارسخ عرقا في البلاغة ان يقال الم جملة برأسها او طائفة
من حروف المعجم مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة وفقد العاطف بينها لمجيئها متآخية
آخذا بعضها بحجزة بعض لانه نبه اولا على انه الكلام المتحدى به ثم اشير اليه بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة التحدي ثم نفى
عنه ان يتشبث بطرف من الريب فكان شهادة بكماله لانه لا كمال اكمل مما للحق واليقين ثم اخبر عنه بانه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا
لا يحوم الشك حوله ثم في كل من الجمل نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى الغرض بالطف وجه وارشقه كما مر في الوجه الثامن وفي
الثانية ما في التعريف من الفخامة اي الكتاب الذي يستاهل ان يقال له الكتاب وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف وفي الرابعة
الحذف ووضع المصدر الذي هو هدى موضع هاد وايراده منكرا والايجاز في ذكر المتقين البحث الخامس في قوله تعالى الذين يؤمنون الآية
وفيه مسائل الاولى الذين يؤمنون اما موصول بالمتقين صفة او نصب على المدح او رفع كذلك بتقدير اعني الذين او هم
الذين او مرفوع بالابتداء مخبر عنه باولئك على هدى الثانية الذين يؤمنون على تقدير كونه صفة فيكون اما واردة بيانا و
ومدحا اذا فسر المتقي بانه الذي يفعل الحسنات ويجتنب السيئات لان الايمان اساس الحسنات والصلوة ام العبادات البدنية
قال صلى الله عليه وسلم الصلوة عماد الدين وبين العبد وبين الكفر ترك الصلوة والزكوة افضل العبادات المالية قال صلى الله عليه وسلم الزكوة قنطرة الاسلام فاختصر
الكلام اختصارا بذكر ما هو كالعنوان لسائر الطاعات وكالاصول الجامعة للحسنات ويندرج فيها اجتناب الفواحش والمنكرات لقوله
عز من قائل ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر واما سردها مع المتقين مفيدة غير فائدتها وذلك اذا فسر المتقي بالمجتنب عن
المعاصي فقط ثم انه يكون في وصفه بالايمان وهو فعل القلب ثم باداء الصلوة والزكوة وهما من افعال الجوارح وهذا ترتيب حسن
لان لوح القلب يجب تخليته عن النقوش الفاسدة اولا ثم تحليته بالعقائد الحقة والاخلاق الحميدة واما معدودة مدحا على سبيل
المدح والثناء وذلك ان الموصوف المتقي موسوما بهذه الصفات مشهورا بهذه الصفات غير محتاج لذلك الى البيان والايضاح كصفات
الله الجارية عليه تمجيدا وتعظيما الثالثة الايمان افعال من الامن يقال امنته وآمنته غيري ثم يقال آمنه اذا صدقه وحقيقته
آمنه التكذيب والمخالفة والتعدية بالباء لتضمين معنى اقر واعترف او وثق به قال في التفسير الكبير اختلف اهل القبلة في مسمى الايمان
على اربعة اقوال الاول قول المعتزلة والخوارج والزيدية واهل الحديث انه اسم لافعال القلوب واللسان والجوارح لكن المعتزلة قالوا
الايمان اذا عدي بالباء فمعناه التصديق وهو يتضمن الاقرار او الوثوق كما مر من حيث اللغة واما اذا ذكر مطلقا فمنقول الى معنى آخر وهو
ان يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه ويصدقه بعمله فمن اخل بالاعتقاد وان شهد وعمل فهو فاسق ثم اختلفوا فبعضهم كواصل بن
عطاء والقاضي عبد الجبار قالوا الايمان عبارة عن فعل كل الطاعات سواء كانت واجبة او مندوبة او من باب الاقوال او الافعال او
الاعتقادات وبعضهم كابي علي وابي هاشم انه عبارة عن فعل الواجبات فقط دون النوافل وبعضهم كالنظام انه عبارة عن اجتناب كل
ما جاء فيه الوعيد ثم يحتمل ان يكون من الكبائر ما لم يرد فيه من الوعيد فالمؤمن عند الله من اجتنب كل الكبائر والمؤمن عندنا من اجتنب
كل ما ورد فيه الوعيد والخوارج قالوا الايمان بالله يتناول المعرفة بالله وبكل ما وضع الله عليه دليلا عقليا او نقليا من الكتاب و
السنة ويتناول طاعة الله في جميع ما امر به من الافعال والتروك صغيرا كان او كبيرا فمجموع هذه الاشياء هو الايمان وترك خصلة
من هذه الخصال كفر واهل الحديث ذكروا وجهين الاول ان المعرفة ايمان كامل وهو الاصل ثم بعد ذلك كل طاعة ايمان على حدة
وهذه الطاعات لا يكون شيء منها ايمانا الا اذا كانت مرتبة على الاصل الذي هو المعرفة وزعموا ان الجحود وانكار القلب كفر ثم كل
معصية بعده كفر على حدة ولم يجعلوا شيئا من الطاعات ايمانا ما لم توجد المعرفة والاقرار ولا شيئا من المعاصي كفرا ما لم يوجد الجحود والانكار
الثاني ان الايمان اسم للطاعات كلها فرضها ونفلها الا انه اذا ترك فريضة انتقص ايمانه وان ترك نافلة لم ينتقص ومنهم من
قال الايمان اسم للفرائض دون النوافل القول الثاني قول من قال الايمان بالقلب واللسان معا ثم اختلفوا على مذاهب الاول ان الايمان
اقرار باللسان ومعرفة بالجنان وهو مذهب ابي حنيفة وعامة الفقهاء ثم اختلفوا في موضعين احدهما في حقيقة هذه المعرفة فمنهم

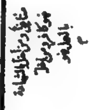

من فسر

من قال هو الاعتقاد الجازم سواء كان اعتقادا تقليديا او علما صادرا عن الدليل وهم الاكثرون الذين يحكمون بان المقلد مسلم ومنهم
من فسرها بالعلم الصادر عن الاستدلال وثانيهما في ان العلم المعتبر في تحقق الايمان علم بماذا قال بعض المتكلمين هو العلم بالله وبصفاته
على سبيل التمام والكمال ثم انه لما كثر اختلاف الخلق في صفات الله تعالى فلا جرم اقدم كل طائفة على تكفير من عداه من الطوائف وقال
ان المعتبر هو العلم بكل ما علم بالضرورة كونه من دين محمد صلى الله عليه وسلم فعلى هذا العلم بكونه تعالى عالما بالعلم او بذاته وبكونه مرئيا او غير مرئي
لا يكون داخلا في مسمى الايمان المذهب الثاني ان الايمان هو التصديق بالقلب واللسان معا وهو مذهب ابي الحسن الاشعري و
بشر المريسي والمراد من التصديق الكلام القائم بالنفس المذهب الثالث كلام بعض الصوفية الايمان اقرار باللسان واخلاص
بالقلب القول الثالث قول من قال الايمان عبارة عن عمل القلب فقط فمن هؤلاء من قال الايمان معرفة الله بالقلب حتى ان
من عرف الله بقلبه ثم جحد بلسانه ومات قبل ان يقر به فهو مؤمن كامل الايمان وهو قول جهم بن صفوان وزعم ان معرفة
الكتب والرسل واليوم الآخر غير داخلة في حقيقة الايمان وحكى الكعبي عنه ان الايمان معرفة الله مع معرفة كل ما علم بالضرورة كونه
من دين محمد صلى الله عليه وسلم ومنهم من قال الايمان مجرد التصديق بالقلب القول الرابع قول من قال الايمان هو الاقرار باللسان فقط ثم منهم
من قال شرط كونه ايمانا حصول المعرفة في القلب ومنهم من قال لا حاجة بنا الى هذا الشرط بل المنافق مؤمن الظاهر كافر السريرة له حكم المؤمن
في الدنيا وحكم الكافرين في الآخرة وهذا قول الكرامية ثم قال الامام رحمه الله عندي ان الايمان عبارة عن التصديق بكل ما عرف بالضرورة
كونه من دين محمد صلى الله عليه وسلم مع الاعتقاد فههنا قيود الاول ان الايمان عبارة عن التصديق وذلك لان الايمان كان من الالفاظ المعدودة على السنة
المسلمين فلو صار منقولا الى غير مسماه الاصلي لتوفرت الدواعي على نقله ولتواتر وليس كذلك الثاني ان الايمان المعدى بالباء على صلة
اتفاقا فاعتبر المعدى ايضا يكون كذلك الثالث كلما ذكر الله تعالى الايمان في القرآن اضافه الى القلب وقلبه مطمئن بالايمان كتب في قلوبهم
الايمان ولما يدخل الايمان في قلوبكم وايضا قرن الايمان بالعمل الصالح ولو كان العمل داخلا في الايمان لزم التكرار وايضا قرن الايمان
بالمعاصي الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والذين آمنوا ولم يهاجروا مع عظم الوعيد في
ترك الهجرة قال ابن عباس رضي في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص انما يجب القصاص على القاتل المتعمد مع ذلك ناداه
في الخطاب ثم قال فمن عفي له من اخيه شيء وهذه الاخوة ليست الا اخوة الايمان انما المؤمنون اخوة ثم قال ذلك تخفيف من ربكم ورحمة
يعني مؤمنين القيد الثالث ليس عبارة عن مطلق التصديق لان من صدق بالجبت والطاغوت لا يسمى مؤمنا القيد الرابع لا يشترط التصديق
بجميع صفات الله تعالى لقوله صلى الله عليه وسلم اعتقها فانها مؤمنة بعد قولها ان الله في السماء موهم بما ذكرنا ان من عرف الله بالدليل
وكان تام المعرفة ومات ووجد من الوقت ما امكنه التلفظ بكلمة الشهادة لكنه لم يتلفظ بها كان مؤمنا وكان الامتناع عن النطق جاريا
مجرى المعاصي التي يؤتى بها مع الايمان وبهذا حكم الغزالي رحمه قلت وبالله التوفيق التحقيق في المقام ان للايمان وجودا في الاعيان ووجودا
في العبارة ولا ريب ان الوجود العيني لكل شيء هو الاصل وباقي الوجودات فرع وتابع فالوجود العيني للايمان هو النور الحاصل للقلب
بسبب ارتفاع الحجاب بينه وبين الحق جل ذكره الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وهذا النور قابل للقوة والضعف
والاشتداد والنقص كسائر الانوار واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا فكلما ارتفع حجاب ازداد نوره فيتقوى الايمان ويتكامل الى
ان ينبسط نوره فينشرح الصدر ويطلع على حقائق الاشياء ويتجلى له الغيوب ويعرف كل شيء في موضعه فيظهر له
صدق الانبياء ولا سيما محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين في جميع ما اخبر واعلن اجمالا او تفصيلا على حسب نوره وبقدر انشراح صدره
ينبعث من قلبه داعية العمل بكل ما امر والاجتناب عن كل ما نهي فينضاف الى نور معرفته انوار الاخلاق الفاضلة والملكات الحميدة
نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء واما الوجود الذهني فيحمله المؤمن بهذا النور ومطابقا
له ولو عقلا واما الوجود اللفظي فخلاصته ما اصطلح عليه الشارع شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يخفى ان مجرد
التلفظ بقولنا لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عدم النور المذكور لا يفيد للسعادة الا ان التلفظ لما كان لا يمكن الا لان التعبير عما في الضمير
لما لم يتيسر الا بواسطة النطق الفصيح عن كل خفي والمعرب عن كل مشتبه كان للتلفظ بكلمة الشهادة وعدم التلفظ بها مدخل عظيم في الحكم بايمان
المرء وكفره فصح جعل ذلك علما يندرج في سلكه من العلامات كعدم لبس الغيار وشد الزنار دليلا عليهما وتفويض امر الباطن الى عالم
الخفيات المطلع على السرائر والنيات ولهذا قال صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم
الا بحقها وحسابهم على الله الرابعة يجوز ان يكون بالغيب صلة للايمان اي يعترفون او يثقون به وعلى هذا يكون الغيب بمعنى الغائب اما تسمية
بالمصدر كما سمي الشاهد بالشهادة قال الله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الارض غيبا واما ان يكون مخفف فيعل والمراد
به الخفي الذي لا ينفذ فيه ابتداء الا علم اللطيف الخبير وانما نعلم منه نحن ما اعلمناه او نصب لنا دليلا عليه ولهذا لا يجوز ان يطلق فيقال فلان
يعلم الغيب وفي ذلك نحو الصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها والبعث والنشور والحساب والوعد والوعيد وغير ذلك ويجوز ان بالغيب

حالا والغيب بمعنى الغيبة والخفاء اي يؤمنون غائبين عن المؤمن به وحقيقته متلبسين بالغيب نحو الذين يخشون ربهم بالغيب ليعلم اني
لم اخنه بالغيب وفيه تعريض بالمنافقين حيث ان ايمانهم يخالف ظاهرهم وغيبتهم مباين حضورهم واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا
واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم وقال بعض الشيعة المراد بالغيب المهدي المنتظر الذي وعد الله في القرآن وورد في الخبر وعد الله
الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج رجل
من امتي يواطي اسمه اسمي وكنيته كنيتي يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما الخامسة معنى اقامة الصلوة احد ثلثة اشياء اما
تعديل اركانها وحفظها عن ان يقع في فرائضها وسننها وآدابها من اقام العود اذا قومه واما الدوام عليها والمحافظة والذين هم على صلوتهم
دائمون والذين هم على صلوتهم يحافظون من قامت السوق اذا نفقت واقمتها في الاسك شعر اقامت غزالة سوق الضراب لاهل
العراقين حولا قميطا . غزالة اسم امرأة شبيب الخارجي قتله الحجاج فحاربته سنة تامة والضراب القتال والعراقان الكوفة والبصرة وقميطا
اي كاملا لانها اذا حوفظ عليها كانت كالشيء النافق الذي تتوجه اليه الرغبات واما التجلد والتشمر لادائها وان لا يكون في مؤديها فتور عنها
ولا توان من قولهم قام في الامر خلاف قعد عنه فيعبر عن الاداء بالاقامة لان القيام بعض اركانها كما عبر عنه بالقنوت والقنوت
القيام وبالركوع والسجود وبالتسبيح يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي فلولا انه كان من المسبحين ولا يخفى ان اقامة الصلوة بجميع
هذه المعاني تستحق المدح والثناء السادسة الصلوة في عرف الشرع عبارة عن الهيئات والافعال المخصوصة التي مفتتحها التحريم ومختتمها
التسليم فرضا كانت او نفلا الا انه يحتمل ان يقال المراد بها في الآية الفرض لان الفلاح قد نيط بها في قوله للاعرابي افلح والله ان صدق
بعد قول الاعرابي والله لا ازيد على هذا ولا انقص اي على الصلوة المفروضة واشتقاقها في اللغة اما من الصلوة بمعنى الدعاء قال الاعشى
وقابلها الريح في دنها وصلى على دنها وارتسم اي وضع عليها الرسم وهو الخاتم واما من قولهم صليت العصا بالنار اذا لينتها وقومتها
قال شعر فلا تعجل بامرك واستدمه فما صلى عصاك كمستديم والمصلي يسعى في تعديل ظاهره وتقويم باطنه كالخشب الذي يعرض على النار
واما من قولهم صلى الفرس اذا جاء مصليا اي ملازما للسابق لان راسه عند صلوه والصلوان عرقان من الذنب شمالا ويمينا والمصلي ملازم لفعله من
حين شروعه الى اوان فراغه والصلوة اسم وضع موضع المصدر يقال صليت صلوة ولا يقال تصلية قال في الكشاف الصلوة فعلة
من صلى كالزكوة من زكى وكتبتها بالواو على لفظ المفخم وحقيقة صلى حرك الصلوين لان المصلي يفعل ذلك في ركوعه وسجوده ولا يخفى ما فيه من
التعسف السابعة الرزق لغة هو ما ينتفع به فيشمل الحلال والحرام الماكول خبزه والملبوس وغيره والمعتزلة ومن يجري مجراهم زادوا قيدا
آخر هو ان لا يكون ممنوعا عن الانتفاع به فعلى هذا لا يكون الحرام عندهم رزقا قال في الكشاف اسناد الرزق الى نفسه للاعلام بانهم ينفقون
الحلال المطلق الذي يستاهل ان يضاف الى الله ويسمى رزقا منه وادخل من التبعيضية صيانة لهم وكفا عن الاسراف والتبذير المنهي عنه
وقدم مفعول الفعل دلالة على كونه اهم كانه قال ويخصون بعض المال الحلال بالتصدق به واعلم ان التمكين والانتفاع بالمرزوق مسند
الى الله تعالى على الاطلاق اذ كل بقدرته نعم الا ان مذهب المعتزلة الى الادب اقرب لا سيما في هذا المقام ليستحق المدح بالانفاق منه الثامنة
انفق الشيء وانفده اخوان وكل ما فاؤه نون وعينه فاء يدل على معنى الخروج والذهاب وقد يدخل في هذا الانفاق الواجب
من الزكوة التي هي اخت الصلوة وشقيقتها ومن الانفاق على النفس وعلى من يجب نفقته ومن الانفاق في الجهاد ويمكن ان يتناول
كل منفق في سبيل الخير للاطلاق قال تعالى وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي احدكم الموت والمراد به الصدقة لقوله فاصدق واكن
من الصالحين البحث السادس في قوله تعالى والذين يؤمنون الآية وفيه مسائل الاولى يحتمل ان يراد بهؤلاء مؤمنو اهل الكتاب
كعبد الله بن سلام واضرابه الذين اشتمل ايمانهم على كل وحي نزل من عند الله سالف في سبيله سبيل السالف لكونه معطوفا
بعضه ببعض مربوطا ايقانهم بالآخرة ايقانا زال معه ما كانوا عليه من انه لا يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
وان النار لن تمسهم الا اياما معدودات وان اهل الجنة لا يتلذذون الا بالنسيم والارواح العبقة والسماع اللذيذ ونحو ذلك فيكون
المعطوف غير المعطوف عليه مغايرة المباينة وذلك ذو ابتداء الاولين كل من امن ابتداء بمحمد من غير ايمان قبل ذلك بموسى
وعيسى واما مغايرة الخاص للعام وذلك ذو ابتداء الاولين كل من امن بمحمد سواء كان قبل ذلك مؤمنا بموسى وعيسى ام لم يكن
ويكون السبب في ذكر هذا الخاص بعد العام اثبات شرفهم وترغيبا لامثالهم في الدين ويحتمل ان يراد بهؤلاء الاولون ووسط
العاطف على معنى انهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه كقوله شعر الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم
يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب الثانية قال في التفسير الكبير المراد من انزال الوحي ان جبرئيل سمع في السماء كلام
الله تعالى فنزل على الرسول كما يقال نزلت رسالة الامير من القصر والرسالة لا تنزل لكن المستمع يسمع الرسالة في علو فينزل فيؤدي
في سفل وقول الامير لا يفارق ذاته ولكن السامع يسمع فينزل ويؤدي بلفظ نفسه فان قيل كيف سمع جبرئيل كلام الله و
كلامه ليس من الحروف والاصوات عندكم قلنا يحتمل ان يخلق الله له سمعا لكلامه ثم اقدره على عبارة يعبر بها عن ذلك الكلام القديم ويجوز

ان يكون مخلوق الله في اللوح المحفوظ مكتوبا بهذا النظم المخصوص فقرأه جبرئيل فحفظه ويجوز ان يخلق اصواتا مقطعة بهذا النظم المخصوص
في جسم مخصوص فيتلقفه جبرئيل ويخلق له علما ضروريا بانه هو العبارة المؤدية لذلك الكلام واقول لك اذا تاملت ما اشرت اليه في
المقدمة العاشرة من مقدمات الكتاب انكشف لك الغطاء عن هذه المسئلة الثالثة الايمان بجميع الكتب المتقدمة وبرعاية المقصد بوجوبها
واجب لان الفلاح منوط بذلك ويجب تحصيل العلم بما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم على سبيل التفصيل ليقوم بواجبها وعملا لكنه فرض كفاية لقوله
تعالى وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ الآية واما المنزل على الانبياء المتقدمين
فالايمان به واجب على الجملة لان الله تعالى ما تعبدنا الآن به حتى يلزمنا معرفته مفصلة لكنا ان عرفنا شيئا من تفاصيله فهناك يجب
علينا الايمان بتلك التفاصيل الرابعة الآخرة صفة الدار تلك الدار الآخرة وهي من الصفات الغالبة تانيث الآخر نقيض الاول وكذلك
الدنيا تانيث الادنى لانها اقرب اليقين هو العلم بالشيء ضرورة او استدلالا بعد ان كان صاحبه شاكا فيه ولذلك لا يوصف الله
تعالى بانه متيقن ولا يقال تيقنت ان السماء فوقي واني موجود وفي تقديم الآخرة وبناء يوقنون على هم تعريض باهل الكتاب بما كانوا
عليه من اثبات امر الآخرة على خلاف حقيقته ومن غير ايقان وان اليقين ما عليه من آمن بما انزل على محمد وعلى غيره من الانبياء
وهذا في معرض المدح ومعلوم انه لا يمكن تيقن وجود الآخرة فقط بل به وبما يتبعه من الحساب والسؤال وادخال المؤمنين الجنة
والكافرين النار عن النبي صلى الله عليه وسلم يا عجبا كل العجب من الشاك في الله وهو يرى خلقه وعجبا ممن يعرف النشأة الاولى ثم ينكر النشأة الآخرة
وعجبا ممن ينكر البعث والنشور وهو كل يوم يموت ويحيى يعني النوم واليقظة وعجبا ممن يؤمن بالجنة وما فيها من النعيم ثم يسعى لدار
الغرور وعجبا من المتكبر الفخور وهو يعلم ان اوله نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة البحث السابع في قوله تعالى أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ
الآية وفيه مسائل الاولى كيفية تعلق هذه الآية بما قبلها وجوه احدها ان ينوي الابتداء بالذين يؤمنون بالغيب على سبيل الاستئناف
وأولئك على هدى الجملة خبره كانه لما قيل هدى للمتقين يختص المتقون بان الكتاب لهم هدى اتجه لسائل ان يسئل فيقول ما بال المتقين
مخصوصين بذلك فاجيب بان الذين هؤلاء عقائدهم واعمالهم احقاء بان يهديهم الله ويعطيهم الفلاح وهذا النوع من الاستئناف
يجيء تارة باعادة اسم من استؤنف عنه الحديث نحو قد احسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان وتارة باعادة صفته مثل احسنت الى زيد
صديقك القديم اهل لذلك منك فيكون الاستئناف باعادة الصفة كما في الآية احسن وابلغ لانطوائها على بيان الموجب وتلخيصه وثانيها
ان يجعل الذين والذين تابعا للمتقين ويقع الاستئناف على أولئك كانه قيل ما للمستقلين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى فقيل أولئك
الموصوفون غير مستبعد ان يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا وثالثها ان يجعل الموصول الاول صفة المتقين و
يرفع الثاني على الابتداء وأولئك خبره ويكون اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا باهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهم ظانون انهم على الهدى وطامعون في انهم سيفلحون عند الله تعالى والفصل من هذه الوجوه اولها لان الكلام المبني على السؤال والجواب
اكثر فائدة ولان الاستئناف باعادة الصفة ابلغ ولان السؤال على الوجه الاخير كالضائع لان موجب اختصاصهم بالهدى قد علم
ايضا من يجعل الموصولين تابعا والوجه الاول يجعل الموصول الاول كما من الكلام الثانية الاستعلاء في قوله على هدى مثل لتمكنهم من الهدى
كقولهم هو على الحق وفلان على الباطل وقد صرح بذلك فيقال جعل الغواية مركبا وامتطى الحق واقتعد غارب الهوى ومعنى هدى
من ربهم اي منحوه من عنده واوتوه من قبله وهو اللطف والتوفيق الذي اعتضدوا به على اعمال الخير والترقي من الافضل واما
الارشاد الى الدليل الموجب للثبات على ما اعتقدوه والدوام على ما علموه ونكر هدى ليفيد ضربا من المبالغة اي هدى لا يبلغ كنهه
قال الهذلي شعر فلا وابي الطير المربة بالضحى ✽ على خالد لقد وقعت على لحم ✽ اي لحم واي لحم واجب بالمكان اذا قام به والاسم
للاستعظام اذ الكنى انما يكون للاشراف كما ان الاقسام بالطير ثم للاستعظام من لو توقع من على لحم عظيم وعن بعضهم الهدى من الله كثير
ولا يبصره الا بصير ولا يعمل به الا يسير الا ترى ان نجوم السماء يبصرها البصراء ولا يهتدي بها الا العلماء الثالثة في تكرير أولئك تنبيه على
انهم كما ثبتت لهم الاختصاص بالهدى ثبت لهم الاختصاص بالفلاح فتميزوا عن غيرهم بهذين الاختصاصين ووسط العاطف بينهما لاختلاف خبريهما بخلاف قوله
أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ فان التسجيل عليهم بالغفلة وعدهم من جملة الانعام شيء واحد الرابعة هم فصل وفائدته
الدلالة على ان الوارد بعده خبر لا صفة والتوكيد وايجاب ان فائدة المسند ثابتة للمسند اليه دون غيره ويحتمل ان يكون هم مبتدأ والمفلحون
خبره والجملة خبر أولئك الخامسة المفلح الفائز بالبغية والمفلج بالجيم مثله كانه الذي انفتحت له وجوه الظفر وكذلك اخواته في الفاء والعين
يدل على معنى الشق والفتح نحو فلق وفلذ ومنه سمي الزارع فلاحا ومعنى التعريف في المفلحون اما العهد اي المتقون هم الناس الذين بلغك
انهم المفلحون في الآخرة او الجنس على انهم الذين ان حصلت صفة المفلحين فهم هم لا يعدون تلك الحقيقة كما تقول لصاحبك هل عرفت
الاسد وما جبل عليه من فرط الاقدام ان زيدا هو هو فانظر كيف كرر الله عز وجل التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد على
طرق شتى وهي ذكر اسم الاشارة فان في ذكره ايذانا بان ما يرد عقيبه فالمذكور قبله اهل لاكتسابه من اجل الخصال التي عددت

المستقلين

الافضل

لهم وتكرير اسم الاشارة وتعريف المفلحين وتوسيط الفصل لاظهار مزيد اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد من العالمين وفي الخبر يحشر الناس يوم القيمة ثم يقول الله عز وجل لهم طالما كنتم تتكلمون وانا ساكت فاسكتوا اليوم حتى اتكلم اني رفعت نسبا وابيتم الا انسابكم قلت ان اكرمكم عند الله اتقيكم وابيتم انتم فقلتم لا بل فلان بن فلان ورفعتم انسابكم ووضعتم نسبي فاليوم ارفع نسبي واضع انسابكم فسيعلم اهل الجمع من اصحاب الكرم اين المتقون فلما اخذ العاقل بمجامع الله تعم وهو منوط الثواب بتعليق بالعمل الصالح والسبب الا بما هو غير مضبوط من عفو من بعض المذنبين ورده طاعة بعض المطيعين كان حكمنا اقتضت ترتب الشبع والري على الاكل والشرب لم يحسن الاتكال على ما يمكن ان يقع بالنسبة الى قدرته من اشباع شخص وارواء من غير تناول للطعام والشراب ما العكس وهذه نكتة شريفة ينبغي ان ينتبه لها

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ

القراءة أأنذرتهم بهمزتين عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن ذكوان وروى حلواني عن هشام آأنذرتهم بينهما مدة الباقون يحققون الاولى ويلينون الثانية والتليين جعل الهمزة بين بين اي بين الهمزة وبين الحرف الذي منه حركة الهمزة وعلى ابصارهم ممالة ابو عمرو وعلي غير ليث وابن حمدون وحمدويه وحمزة في رواية ابن سعدان والنجاري كذلك قوله عز وجل بقنطار وبالاسحار وكالفخار والنار ومن انصار واشعارها واشباه ذلك حيث كان يعني اذا كان قبل الالف حرف مانع وبعدها راء مكسورة في موضع اللام لان الراء المكسورة تغلب الحروف المستعلية غشاوة المفضل وقرا حمزة في رواية خلف وابن سعدان وخلف لنفسه وابو اسحق ابرهيم بن احمد عن الحرث عن علي وورش من طريق النجاري مدغمة النون والتنوين في الواو وفي جميع القران عظيم بالاشمام في الوقف وكذا اذا كانت الكلمة مكسورة حمزة وعلي وخلف وهو الاختيار عندنا الوقوف لا يؤمنون على سمعهم ط لانقطاع الواو للاستيناف غشاوة ز لان الجملتين وان اتفقتا نظما فالاولى بيان وصف موجود والثانية اثبات عذاب موعود عظيم التفسير فيه مسائل الاولى فيما يتعلق بان اما عمله من نصب الاسم ورفع الخبر فمعلوم من علم النحو واما فائدته فما ذكره المبرد في جواب الكندي من ان قولهم عبد الله قائم اخبار عن قيامه وقولهم ان عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل وقولهم ان عبد الله لقائم جواب عن انكار منكر لقيامه وقد يضاف اليه القسم نحو والله ان عبد الله لقائم قال ابو نواس شعر عليك باليأس من الناس ان غنى نفسك في اليأس حسن موقع ان لان الغالب على الناس خلاف هذا الظن وقد يجيء اذا ظن المتكلم في الذي وجد امرا انه لا يوجد كقولك لشيء كان من احسان فعلته بالشيء وكانك ترد على نفسك ظنك الذي ظننته تبين الخطأ فيما توهمت كقوله تعالى حكاية عن ام مريم قالت رب اني وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وكذلك قول نوح رب ان قومي كذبون الثانية لما قدم ذكر اوليائه وخالصة عباده بصفاتهم الموجبة لاهتداءهم ونجاحهم وذكر ذلك عقبه باضدادهم المردة من الكفار الذين لا ينجع فيهم الهدى وسواء عليهم الانذار وعدمه وانما فصل العاطف بين القصتين خلاف ما في نحو قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لتباين الحالين ههنا في الغرض والاسلوب لان الاولى مسوقة لذكر الكتاب وانه هدى للمتقين والثانية لان الكفار من صفتهم كيت وكيت وكذلك اذا جعلت الذين يؤمنون مبتدأ واولئك خبره لان الكلام المبتدأ على سبيل الاستيناف مبني على تقدير سؤال وذلك ادراج له في حكم المتقين وتصيير تبعا له في المعنى فحكمه حكم الاولى وكذا اذا جعلت الموصول الثاني مبتدأ واولئك خبره لان الجملة برأسها من مستتبعات ذكر المتقين فلا تناسب بينهما من حيث المعنى الثالثة التعريف في الذين اما ان يراد به ناس معهودون باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واضرابهم واما ان يراد به الجنس متناولا كل من صمم على كفره تصميما لا يرعوي بعده فقط دون من عداهم من الكفار الذين اسلموا ابدليل الحديث عنهم باستواء الانذار وتركه عليهم الرابعة الكفر نقيض الايمان فيختلف تعريفه باختلاف الايمان وقد تقدم واصل الكفر الستر والتغطية ومنه الكافر لانه يستر نعمة الله بجحوده والزارع كافر لانه يستر الحب والليل المظلم كافر لانه بظلمته يستر كل شيء والكافر الذي كفر درعه بثوب اي غطى ولبسه فوقه قال في التفسير الكبير كفروا اخبار عن كفرهم بصيغة الماضي فيقتضي كون المخبر عنه متقدما على ذلك الاخبار فللمعتزلة ان يحتجوا بهذا على ان كلام الله محدث فان القديم يستحيل ان يكون مسبوقا بالغير قلت التحقيق في هذا وامثاله ان كلام الله الازلي كان حكمة في باب التفهيم والتعليم اقتضت ان يكون كلامه على حسب وصوله الى السامعين ضرورة كونهم مترتبين فكل ما هو متقدم على زمان الوصول وقع الاخبار عنه بلفظ الماضي وكل ما هو متأخر عن زمان الوصول وقع الاخبار عنه بلفظ المستقبل نحو لتدخلن المسجد الحرام سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب والا اختل نظام التفاهم والتخاطب ومن هذا يعلم ان قوله سنلقي ليس كونه مستقبلا بالنظر الى الازل مقصودا بالنسبة الى المخاطبين انما المقصود استقباله بالنظر الى زمان نزول الاية الخامسة سواء اسم بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر قال تعالى الى كلمة سواء بيننا وبينكم في اربعة ايام سواء للسائلين بمعنى مستوية وارتفاعه على انه خبر ان وأأنذرتهم ام لم تنذرهم في موضع الفاعل اي مستو عليهم انذارك وعدمه بمعنى ان يدانيهم

واخو هو ابن عمه ويحتمل ان يكون انذرتهم ام لم تنذرهم في موضع الابتداء وسواء خبر مقدم والجملة خبر ان وانما صح وقوع الفعل مخبرا عنه
مع انه ابدا خبر نظرا الى المعنى كقولهم لا تأكل السمك وتشرب اللبن معناه لا يكن منك اكل السمك وشرب اللبن وان كان نظم اللفظ على ما
يصح من عطف الاسم فان ان مع الفعل في تقدير المصدر على الفعل هو النهي وقد جردت الهمزة وام لمعنى الاستواء وسلخ عنهما معنى
الاستفهام راسا قال سيبويه هذا مثل قولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة يعني ان هذا جرى على صورة الاستفهام ولا استفهام
كما ان ذلك جرى على صورة النداء ولا نداء ومعنى الاستواء في الداخل عليهما الهمزة وام استواؤهما في علم المستفهم لانه قد علم ان احد الامرين
كائن لكن لا بعينه وكلاهما معلوم بعلم غير معين والحاصل ان الاستفهام يلزمه معنيان احدهما استواء طرفي الحكم في ذهن المستفهم
والثاني طلب معرفة احدهما فجرد هذا التركيب لمعنى الاستواء وسلخ عنه الطلب فائدة العدول عن العبارة الاصلية وهي سواء عليهم
الانذار وعدمه ان يعلم ان قطع الرجاء وحصول الياس عليهم انما حصل بعد اصرارهم وكانوا قبل ذلك مرجوا عنهم الايمان لا في علم الله
ثم بل في علمنا فنزلت الاية بحسب ما يليق بحالنا في باب التقرير والتصوير او يقول فائدته ان يعلم ان استواء الطرفين بلغ مبلغا يصح
ان يستفهم عنه لكونه خاليا عن شوب التخمين وترجيح احد الطرفين بوجه فان قول القائل الانذار وعدمه مستويان عليهم يمكن
ان يحمل على التقريب لا التحقيق بخلاف الواجب عن الامرين بطريق الهمزة وام فالهمزة فافهم والانذار التخويف من عقاب الله بالزجر عن
المعاصي وانما ذكر الانذار دون البشارة لان المقام مقام المبالغة وتاثير الانذار في الفعل والترك اقوى لان دفع الضرر اهم من جلب النفع
وقوله لا يؤمنون اما جملة مؤكدة للتي قبلها او اعتراض السادسة الختم والكتم اخوان لان في الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه كتما
له وتغطية لئلا يتوصل اليه ولا يطلع عليه والغشاوة الغطاء فعالة من غشاه اذا غطاه وهذا البناء لما يشتمل عليه كالعصابة والعمامة والقلب يراد
تارة اللحم الصنوبري المودع في التجويف الايسر من الصدر وهو محل الروح الحيواني الذي هو منشأ الحس والحركة وينبعث منه الى سائر الاعضاء
بتوسط الاوردة والشرايين ويراد به تارة اللطيفة الربانية التي بها يكون الانسان انسانا وبها يستعد لامتثال الاوامر والنواهي
والقيام بموجب التكاليف ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وهي من عالم الامر الذي لا يتوقف وجوده على مادة ومدة بعد ارادة موجده
انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فكان البدن بل اللحم الصنوبري من عالم الخلق الذي هو بقضية ذلك الا له الخلق والامر
وقد يعبر عنها بالنفس الناطقة ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها وبالروح قل الروح من امر ربي ونفخت فيه من روحي
السمع قوة مرتبة في العصب المتفرق في سطح الصماخ تدرك صورة ما يتادى اليه بتموج الهواء المنضغط بين قارع ومقروع مقاوم له
انضغاطا بعنف يحدث منه تموج فاعل للصوت فيتادى الى الهواء المحصور الراكد في تجويف الصماخ ويموجه بشكل نفسه ويماس امواج
تلك الحركة تلك العصبة فتسمع قاله ابن سينا ولعل هذا في الشاهد فقط واما البصر فقال ابن سينا هي قوة مرتبة في العصبة المجوفة
تدرك صورة ما ينطبع في الرطوبة الجليدية من اشباح الاجسام ذوات اللون المتادية في الاجسام الشفافة بالفعل الى سطوح الاجسام
الصيقلية وزعم غيره ان البصر يخرج منه شيء فيلاقي المبصر ياخذ صورته من خارج ويكون من ذلك ابصار وفي الاكثر يسمون
ذلك الخارج شعاعا والحق عندي ان نسبة البصر الى العين نسبة البصيرة الى القلب لكل من العين والقلب نورا اما نور العين فمنطبع
فيها لانه من عالم الخلق فهو نور جزئي مدرك جزئي واما نور القلب فمفارق لانه من عالم الامر فهو نور كلي مدرك كلي والادراك لكل منهما عبارة
عن وقوع مدركه في ذلك النور ولكل منهما بل لكل فرد من كل منهما حد ينتهي اليه بحسب شدته وضعفه متدرج في الضعف بحسب ما عدا
المرتبة حتى لا يدركه او يدركه اصغر مما هو عليه ولا يلزم من قولنا ان للبصر نورا ان يشتد النور اذا اجتمع بصراء كثيرة في موضع واحد قياسا
على انوار الكواكب والسرج فان ذلك لانضمام من حوامل الانوار المحسوسة الملزومات المختلفة لا يستدعي الاشتراك في اللوازم وهذا
القدر من التحقيق في تفسير القلب والسمع والبصر كاف بحسب المقام ثم اللفظ يحتمل ان تكون الاسماع داخلة في حكم الختم وفي حكم التغشية الا ان
الاولى دخولها في حكم الختم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولهذا يوقف على سمعهم دون قلوبهم وفي تكرير الجار
ايذان باستقلال الختم على كل من القلب والسمع وانما وحد السمع لوجوه منها امن اللبس كما في قوله شعر كلوا في بعض بطنكم تعفوا فان
زمانكم زمن خميص ۞ اذ لا ملبس لكل واحد بطنا ولهذا اذا لم يؤمن يجوز سمعهم ثوبهم والمراد الجمع فتنوه ومنها ان السمع في الاصل مصدر
والمصادر لا تجمع فلمح الاصل ولهذا جمع الاذن في قوله وفي اذاننا وقر ومنها ان يقدر مضاف محذوف اي على حواس سمعهم ومنها الاستدلال
بما قبله وما بعده على ان المراد به الجمع مثل عن اليمين والشمائل يخرجهم من الظلمات الى النور السابعة بعض الناس من قال السمع افضل من البصر
لتقديمه في اللفظ ولانه شرط النبوة فما بعث رسول اصم بخلاف البصر فمن الانبياء من كان مبتلى بالعمى ولان السمع سبب حصول المعارف
الصوت الى الفهم والبصر سبب حصول المحسوسات ولان السمع يتصرف في الجهات الست دون البصر ولان فاقد السمع في الاصل فاقد النطق
بخلاف فاقد البصر ومنهم من فضل البصر لان متعلق الابصار النور ومتعلق الاسماع الريح والبصر يدرك من بعيد دون السمع ولان عجائب الله
في تخليق العين اكثر منها في تخليق السمع وقد اسمع الله كلامه موسى من غير سبق سؤال ثم ... في الرؤية وفي المثل ليس وراء العيان بيان و

العين بجمال الوجه دون السمع في الحواس من فقد حسا فقد فقد علما وهو الموقوف على ان الحرف لا ريب ان معظم العلوم يتوقف تحصيلها على البصر
والارشاد والتعليم على الاطلاق يتوقف على السمع فكل من الحواس في موضعه ضروري وتفضيل البعض على البعض تطويل بلا طائل سبحان
من رتب في كل مصنوع حكمته واحسن كل شيء خلقه التاسعة الاولى منهما الاخبار بان الذين كفروا لا يؤمنون والانذار وعدمه سيان عليهم
والاية الثانية منهما بيان السبب الذي لاجله لم يؤمنوا وهو الختم والتغشية فاحتج اهل السنة بالايتين ونظائرهما على تكليف ما لا يطاق
وعلى ان الله تعالى هو الذي خلق فيهم الداعية الموجبة للكفر وختم على قلوبهم وسمعهم عن قبول الحق والصدق وكل بقضائه ولا يسأل عما يفعل
واما المعتزلة وامثالهم فيقولون كيف يخلق فيهم الكفر ثم يقول لم تكفرون ويخلق فيهم ما به لبس الحق بالباطل ثم يقول لم تلبسون الحق بالباطل
ونحو ذلك من الايات الدالة على ان الكفر باختيار العبد وقدرته فتاولوا الاية على انها جارية مجرى قولهم فلان مجبول على كذا او مفطور عليه
يريدون انه بليغ في الثبات عليه وعلى انها تمثيل لحال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافي عن الحق بحال قلوب ختم الله عليها حتى تخلو في سرة
الانعام لا تعي شيئا ولا تفقه كقولهم سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا اطال الغيبة ليس للوادي ولا للعنقاء عمل في هلاكه
ولا في طول غيبته وانما هو تمثيل مثلت حاله في هلاكه بحال من سال به الوادي وفي طول غيبته بحال من طارت به العنقاء والشيطان هو الخاتم في
الحقيقة او الكافر الا ان الله تعالى لما كان هو الذي اقدره ومكنه اسند اليه الختم كما يسند الفعل الى المسبب في قولهم بنى الامير المدينة او انهم
لما ترامى امرهم في التصميم على الكفر الى حد لا يتناهون عنه الا بالقسر والالجاء ثم لم يقسرهم الله ولم يلجئهم لئلا ينتقض الغرض في التكليف عبر عن
القسر والالجاء بالختم او يكون حكاية لما كانوا يقولونه تهكما بهم من قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك
حجاب ويحكى ان الامام ابا القاسم الانصاري سئل عن تكفير المعتزلة في هذه المسئلة فقال لا لانهم نزهوه عما يشبه الظلم والقبيح لا يليق
بالحكمة وسئل عن اهل الجبر فقال لا لانهم عظموه حتى لا يكون لغيره قدرة وتاثير وايجاد وزعم الامام فخر الدين ان اثبات الاله يلجئ الى
القول بالجبر لان الفاعلية لو لم تتوقف على الداعية لزم وقوع الممكن من غير مرجح وهو نفي الصانع واثبات الرسول يلجئ الى القول بالقدر
لانه لو لم يقدر العبد على الفعل فاي فائدة في بعثة الرسول وانزال الكتب ونقول لما رجعنا الى الفطرة السليمة وجدنا ان ما استوى الوجود
والعدم بالنسبة اليه لا يترجح احدهما على الاخر الا لمرجح وهذا يقتضي الجبر ونجد تفرقة ضرورية بين حركات الانسان وسكناته وبين
حركات الجمادات والحركات الاضطرارية وذلك يقتضي مذهب الاعتزال فلذلك بقيت هذه المسئلة في حيز الاشكال قلت وبالله
تعالى التوفيق عندي ان المسئلة في غاية الاستنارة والسطوع اذا روعيت المبادي ورتبت المقدمات فان مبدأ الكل لو لم يكن
قادرا على كل الممكنات وخرج شيء من الاشياء عن علمه وقدرته وتاثيره وايجاده بواسطة او بغير واسطة لم يصلح لمبدئية الكل فالهداية
والضلالة والايمان والكفر والخير والشر والنفع والضر وسائر المتقابلات كلها مستندة ومنتهية الى قدرته وتاثيره وعلمه وارادته
والايات الناطقة بصحة هذه القضية كقوله تعالى ولو شاء لهداكم اجمعين ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها قل كل من عند الله
كثيرة وكذا الاحاديث اعملوا فكل ميسر لما خلق له كل شيء بقدر حتى العجز والكيس احتج ادم موسى الحديث فهذه القضية مطابقة للعقل
والنقل يبقى الجواب عن اعتراضات المخالف اما حكاية التنزيه عن الظلم والقبائح فاقول لا ريب انه تعالى منزه عن جميع القبائح ولكن لا بالوجه
الذي يذكره المخالف فيلزم منه النقص من جهة اخرى هو الخلل في مبدئيته للكل وفي كونه مالك الملك بل الوجه ان يقال ان لله تعالى
صفتي لطف وقهر ومن الواجب في الحكمة ان يكون الملك لا سيما ملك الملوك كذلك اذ كل منهما من اوصاف الكمال ولا يقوم احدهما مقام
الاخر ومن منع ذلك كابر وعاند ثم لا بد لكل من الوصفين من مظهر فالملائكة ومن ضاهاهم من الاخيار مظاهر اللطف والشياطين
ومردة الامم من الاشرار مظاهر القهر ومظاهر اللطف هم اهل الجنة والاعمال المستتبعة لها ومظاهر القهر هم اهل النار والافعال
المعقبة اياها وههنا سر وهو ان اللطف والقهر والجنة والنار انما يصح وجود كل من كل منهما بوجود الاخر فلولا القهر لم يتحقق اللطف
ولولا النار لم تثبت الجنة كما انه لولا الالام لم يتبين اللذة ولولا الجوع والعطش لم يتبين الشبع والري ولله در القائل وبضدها تتبين
الاشياء فخلق الله تعالى للجنة خلقا يعملون بعمل اهل الجنة وللنار خلقا يعملون بعمل اهل النار ولا اعتراض لاحد عليه في تخصيص كل
من الفريقين بما خصصوا به فانه لو عكس الامر لكان الاعتراض بحاله وههنا يظهر حقيقة الشقاوة والسعادة فمنهم شقي وسعيد
وقال صلى الله عليه وسلم ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا
باربع كلمات فيكتب عمله واجله ورزقه وشقي او سعيد الحديث واذا تؤمل فيما قلت ظهر ان لا وجه بعد ذلك لاسناد الظلم والقبائح
اليه تعالى لان هذا الترتيب والتمييز من لوازم الوجود والايجاد كما يشهد به العقل الصريح ولا سيما عند المخالف القائل بالتحسين والتقبيح
العقليين ليت شعري لم لا ينسب الظلم الى الملك المجازي حيث يجعل بعض من تحت تصرفه وزيرا مقربا وبعضهم كناسا بعيدا لان كلا
منهما من ضروريات المملكة وينسب الظلم اليه تعالى في تخصيص كل من عبيده بما خصص مع ان كلا منهم ضروري في مقامه فهذا القائل
يهدم بناء حكمته تعالى ويدعي انه يحفظه فافسد من حيث اصلح واما قوله اي فائدة في بعثة الرسل وانزال الكتب فهي غاية التهافت لانهما لما

بينا انه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فكيف يبقى للمعترض ان يقول لم جعل الله تعالى الشيء الفلاني كذا وليس لاحد ان يقول مثلا لم جعل القمر
سببا لانارة الارض غاية ما في الباب ان يقول اذا علم الله تعالى ان الكافر لا يؤمن فلم امره بالايمان وبعث اليه النبي فاقول فائدة
بعث الانبياء وانزال الكتب بالحقيقة يرجع الى المؤمنين الذين جعل الله بعثهم وانزالها سببا وواسطة لاهتدائهم ايمانا ان منعه
من يحبها كما ان فائدة نور الشمس يعود الى اصحاب العيون الصحاح اما فائدة ذلك بالنسبة الى المختوم على قلوبهم فكفائدة نور الشمس
بالنسبة الى الاكمه واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون غاية ذلك الزام الحجة واقامة البينة
عليهم ظاهرا لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا
وهو بالحقيقة النعي عليهم بانهم في اصل الخلقة ناقصون اشقياء وهذا النعي مما لا يظهر لهم لغاية نقصانهم كما ان الاكمه لا يعرف
البصراء ولا يعرف ان النقصان فيه وان سائر الناس اطلعوا على نقصانه كالمرائي وظهور النقص موجودة وانما يعرف نقصانهم ارباب
الابصار واما حديث التفرقة الضرورية بين الحركات الاختيارية والحركات الاضطرارية كالرعشة مثلا فاقول لا ريب ان للانسان
ارادات وقوى بها يتم حصول الملائم واجتناب المنافي الا ان تلك الارادات والقوى مستندة الى الله تعالى فكانه الاختيارية والتفرقة التي
سببها في الارتعاش نقصت واسطة هي الداعية وفي الحركة المبنية على الاختيار زادت واسطة فافهم هذه الحقائق والاشارات وا
بها في بها اثر ما يقرع سمعك من هذا القبيل فلعلنا لا نكررها في كل موضع حذرا من التطويل ومن لم يستضئ بمصباح لم يستفد
والله يقول الحق وهو يهدي السبيل التاسعة العذاب مثل النكال بناء ومعنى لانك تقول عذب عن الشيء اذا امسك عنه كما تقول نكل
عنه ومنه العذب لانه يقمع العطش ويردعه بخلاف الملح فانه يزيده ثم اتسع فيه فسمي كل الم فادح عذابا وان لم يكن نكالا اي عقابا يرتدع به
الجاني عن المعاودة والفرق بين العظيم والكبير ان العظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فيستعملان في المعاني والاعيان جميعا تقول رجل
عظيم وكبير تريد جثته او خطره ومعنى التنكير ان على ابصارهم نوعا من الاغطية غير ما يتعارفه الناس ولهم من بين الالام العظام نوع عظيم
لا يعلم كنهه الا الله نعوذ بالله منه العاشرة اتفق المسلمون على انه يحسن من الله تعالى تعذيب الكفار وقال بعضهم لا يحسن وفسروا قوله
ولهم عذاب عظيم بانهم يستحقون ذلك لكن كرمه يوجب العفو وذكروا ادلة عقلية مبنية على الحسن
والقبح كقولهم التعذيب ضرر خال عن النفع لان الله تعالى منزه عن ذلك والعبد يتضرر به ولو سلم انه ينتفع به فالله قادر على ايصال النفع اليه
من غير توسط ذلك العذاب والضرر الخالي عن المنافع قبيح بالبديهة وكقولهم علم ان الكافر لا يظهر منه الا العصيان فتكليفه امر متى لم يفعل
ترتب عليه العذاب فما كان مستعقبا للضرر بعينه غير نافع كان قبيحا فلم يبق الا ان يقال لم يوجد هذا التكليف وجعلناه لكنه لا يستعقب العقاب
وكقولهم انه سبحانه هو الخالق للداعية الى المعصية فيقبح ان يعاقب عليها وكقولهم ان العبد لو ظل على الكفر طول عمره فاذا تاب ثم مات عفى الله
عنه اترى هذا الكريم العظيم ما بقي في الاخرة او سلبه عقول المعذبين فلا يتوبون عن معاصيهم واذا تابوا فلم لا يقبل الله منهم توبتهم
ولم كانت الدنيا بحيث قال ادعوني استجب لكم وفي الاخرة بحيث لا يجيب دعاءهم الا بقوله اخسئوا فيها ولا تكلمون واجيب بان تعذيب من نقل الينا
بالتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا مصير الى انكاره والشبه التي تمسكوا بها تنهدم بانهدام قاعدة الحسن والقبح واقول قد ثبت بالبرهان في المسئلة
الثامنة ان وقوع فريق في طريق القهر ضروري في حكمته تعالى وكل ما يقتضيه حكمته وكماله كان حسنا والمعترض من ظن انه قبيح كان يخلل في عقله
قصور وفي فهمه فلا قبيح في النظر الا وهو حسن من جهات اخرى لا يعلمها الا منشئها وموجدها وهل يستقبح احد وقوع بعض الاحجار والحديد تحت
بعضها المنقوش حجرا او وقوع بعض من الحديد سيفا يتقلده الناس وبعضه نعلا يطأها الافراس حيث يرى كلا منهما في مصالح الوجود
ضروريا ثم العذاب هو بالحقيقة البعد من الله تعالى لازم للكفر والعصيان والملزوم لا ينفك عن اللازم واما سبب عدم انتفاع الكافر والعاصي
بالايمان والتوبة بعد المفارقة فذلك ان محل الكسب هو الدنيا والتكليف بامتثال الاوامر والنواهي انما وقع فيها فليس لاحد ان يؤخر الامتثال
الى الاخرة الا ترى انه لو قال الطبيب الحاذق لمريض ان يشرب الدواء الفلاني في اليوم الفلاني فقصر حتى اذا مضى وقته واشرف على الهلاك قال اني اشرب
الان لم ينفعه شرب الدواء ولا يسعه الا الهلاك وكذا لو قال ملك الواحد لعل الامر الفلاني في هذا الوقت فعمله في وقت اخر لم يعد ممتثلا وكا
ينفعهم الايمان الا ان تعرض الامتثال قد فات ولا سيما اذا فعل بعد ان يرى امارات الغضب وعلامات العذاب فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا
سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون صدق الله العظيم ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر وما هم

و از مردمان كسی است كه میگوید گرویدیم بخدا و بروز واپسین و نیستند ایشان

بمؤمنين يخادعون الله والذين امنوا وما يخادعون الا انفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم الله

بگرویدگان فریب میدهند خدا را و آنان كه گرویدند و فریب نمیدهند مگر نفسهای خود را و درك نمیكنند در دلهای ایشان ناخوشی است پس

مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون الا انهم هم

ناخوشی و مر ایشانراست عذابی دردناك بسبب آنكه تكذیب میكردند و چون گفته شود مر ایشانرا فساد مكنید در زمین گویند جز این نیست كه ما اصلاح كنندگانیم بدانكه ایشان

الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن

فساد کنندگان اند ولکن نمیدانند وچون گفته شود ایشانرا بگروید چنانکه گرویدند مردمان گفتند آیا بگرویم چنانکه گرویدند بیخردان آگاه باش که ایشان ایشانند بیخردان ولیکن

لَّا يَعْلَمُونَ ۝ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ۝ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ

نمیدانند وچون رسیدند بآنانکه گرویدند گفتند که گرویدیم وچون تنها شدند با دوستان خود گفتند که با شمائیم جز این نیست که ما استهزا کنندگانیم خدا استهزا کند

بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ

بایشان و بگذارد ایشانرا در گمراهی شان سرگشتگان آن گروه آنانند که خریدند گمراهی را براستی پس سود نبخشید سوداگری ایشان و نبودند راه یافتگان

القراءة ومن الناس بامالة النون قتيبة ونصير وكل القرآن ما كان مكسورا ومن يقول مدغمة النون والتنوين في الياء حيث وقع حمزة وعلي وخلف ودوري من طريق النجاري بمؤمنين غير مهموز ابو عمرو وغير شجاع ويزيد والاعشى وورش وحمزة في الوقف وكذلك ما اشبهها من الاسماء وما يخادعون ابو عمرو وابن كثير ونافع فزادهم الله وبابه مما كان ماضيا بالامالة حمزة ونصير وابن ذكوان من طريق ابن مجاهد والنقاش عن ابن الاخرم ههنا بالامالة فقط يكذبون مخففا عاصم وحمزة وعلي وخلف قيل وغيض وجيء بالاشمام علي وهشام ورويس السفهاء الا بهمزتين عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر السفهاء ولا بقلب الثانية واوا ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير وابو جعفر ونافع السفهاء الا بقلب الاولى واوا رواه الخزاعي وابن شنبوذ عن اهل مكة وكذلك ما اشبههما مما اختلفت الهمزتان فيهما الا ان تكون الاولى منهما مفتوحة مثل شهداء اذ ائمة واشباه ذلك مستهزؤن بترك الهمزة في الحالين يزيد ونحو حمزة في الوقف وكذلك ما اشبهها ومن حمزة في الوقف وجهان الحذف والتليين شبه الياء والواو طغيانهم حيث كان قتيبة ونصير بالهدى وما اشبهها من الاسماء والافعال من ذوات الياء بالامالة حمزة وعلي وخلف وقرأ اهل المدينة بين الفتح والكسر والى الفتح اقرب وكذلك كل كلمة يجوز الامالة فيها وذلك طبعهم وعادتهم الوقوف بمؤمنين لما مر في المقدمة آمنوا للعطف الجملتين المتفقتين مع ابتداء النفي يشعرون للاية وانقطاع النظم والمعنى فان تعلق الجار بما بعده مرض لان الفاء للجزاء وكان تأكيدا لما في قلوبهم مرضا لعطف الجملتين المختلفتين يكذبون في الارض لا لان قالوا جواب اذا مصلحون لا يشعرون كما آمن السفهاء للابتداء بكلمة التنبيه ومن وصل فلتعجيل رد السفه عليهم لا يعلمون آمنا ج لاتحاد الكلام معنى مع ان الوصل اولى لبيان حاليهم المتناقضين وهو المقصود شياطينهم لا لان قالوا جواب اذا معكم لا تحرزا عن قول ما لا يقوله مسلم وان جاز الابتداء بما مستهزؤن يعمهون بالهدى لا لانقطاع النفس ولا يلزم الوقف لان ما بعده بيان ما قبله مهتدين التفسير فيه مباحث البحث الاول قوله تعالى ومن الناس من يقول الاية وفيه مسائل الاولى عن مجاهد قال اربع آيات من اول هذه السورة نزلت في المؤمنين وآيتان بعدها نزلتا في الكافرين وثلاث عشرة بعدها نزلت في المنافقين فاقول احوال القلب اربع الاعتقاد المطابق عن الدليل وهو العلم والاعتقاد المطابق لا عن الدليل وهو اعتقاد المقلد والاعتقاد غير المطابق وهو الجهل وخلو القلب عن كل ذلك واحوال اللسان ثلث الاقرار والانكار والسكوت كل منها اما بالاختيار او بالاضطرار فيحصل من التراكيب بعد (?) اربعة وعشرون قسما فلنتكلم في الاحوال القلبية ونجعل البواقي تبعا لها في الذكر النوع الاول العرفان القلبي ان انضم اليه الاقرار باللسان اختيارا فصاحبه مؤمن حقا بالاتفاق واضطرارا فهو منافق لانه لولا الخوف لما اقر فهو بقلبه منكر مكذب بوجوب الاقرار وان انضم اليه الانكار اضطرارا فهو مسلم لقوله تعالى الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان واختيارا فهو كافر معاند وان انضم اليه السكوت اضطرارا فمسلم حقا ان خاف (?) كما عرف من نجاة (?) فيكون معذورا واختيارا فمسلم ايضا عند الغزالي وعند كثير من الامة لقوله صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان النوع الثاني الاعتقاد التقليدي ان وجد معه الاقرار اختيارا فهو على ما مر من ان المقلد مؤمن ام لا والاكثرون على ايمانه واضطرارا فمنافق بالطريق الاولى كما مر في النوع الاول وان وجد معه الانكار اختيارا فلا شك في كفره واضطرارا فمسلم عند من يحكم بايمان المقلد وان وجد معه السكوت اضطرارا فمسلم بناء على اسلام المقلد واختيارا فكافر معاند النوع الثالث الانكار القلبي مع الاقرار اللساني اضطرارا نفاق وكذا اختيارا لانه اظهر خلاف ما اضمر ومع الانكار اللساني كفر كيف كان وكذا مع السكوت النوع الرابع القلب الخالي عن جميع الاعتقادات مع الاقرار اللساني ان كان اختيارا فان كان صاحبه في مهلة النظر لم يلزمه الكفر لكنه فعل ما لا يجوز حيث اخبر عما لا يدري انه هل هو صادق فيه ام لا وان كان لا في مهلة النظر ففيه نظر واما اذا كان اضطرارا فلا يكفر صاحبه ان توقف اذا كان في مهلة النظر وكان يخاف على نفسه من ترك الاقرار لم يكن بعيدا والقلب الخالي مع الانكار اللساني كيف كان نفاق والقلب الخالي مع اللسان الخالي ان كان في مهلة النظر فذلك هو الواجب وان كان خارجا عن مهلة النظر وجب تكفيره ولا نفاق فظهر من هذا التقسيم ان المنافق هو الذي لا يطابق ظاهره باطنه سواء كان في باطنه ما يضاد ظاهره او كان باطنه خاليا عما يشعر به ظاهره ومنه النافقاء احد جحرة اليربوع يكتمها ويظهر غيرها فاذا اتى من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانتفق اي خرج الثانية زعم قوم ان الكفر الاصلي اقبح من النفاق لان الكافر جاهل بالقلب كاذب باللسان والمنافق جاهل بالقلب صادق باللسان وقال الاخرون المنافق ايضا كاذب باللسان لانه يخبر عن كونه على ذلك الاعتقاد مع انه ليس عليه قال عز من قائل والله يشهد ان المنافقين لكاذبون وانهم انه قصد التلبيس والكافر

الاصلي لا يقصد ذلك وايضا الكافر الاصلي على طبع الرجال والمنافق على طبيعة الخناثى وايضا الكافر ما رضي لنفسه بالكذب بل استنكف منه
والمنافق رضي بالكذب وايضا المنافق ضم الى الاستهزاء والخداع دون الكافر الاصلي ولهذا غلظ كفر المنافقين في الدرك الاسفل من النار وصف
حال الكفار في ايتين وحال المنافقين في ثلث عشرة اية نعى عليهم فيها خبثهم ومكرهم وفضحهم وسفههم واستجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بفعلهم
وسجل بطغيانهم وعمههم ودعاهم صما بكما عميا وضرب لهم الامثال الشنيعة التي اشرت قصة المنافقين عن اخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما
تعطف الجملة على الجملة واصل ناس اناس كما قيل انسان وانس واناسي حذفت الهمزة تخفيفا وحذفها مع لام التعريف كاللازم وقوله شعر ان المنايا يطلعن
على الاناس الامنينا قليل ونويس من المصغر الآتي على خلاف مكبره كانيسيان سموا بذلك لظهورهم وانهم يؤنسون اي يبصرون كما
سمي الجن لاجتنانهم ووزن ناس فعال لان الزنة على الاصول لا يقال وزن ق فعل وهو اسم الجمع كرخال للانثى من اولاد الضان وامانه
مفرده رخل بكسر الخاء وسكونها ومن في من يقول موصوفة ان جعلت اللام في الناس للجنس كقوله من المؤمنين رجال اذ يكون معنى الكلام
ان في جنس الانس طائفة كيت وكيت فيعود فائدة الكلام الى الوصف وان لم يكن مفيدا من حيث الحمل لان الطائفة الموصوفة تكون لا محالة
من الناس ولا يجوز ان يكون من موصولة ح لان الصلة تكون جملة معلومة الانتساب الى الموصول فيبطل فائدة الوصف فيه فيبقى الكلام
غير مفيد راسا وان جعلت اللام للعهد فمن يكون موصولة نحو ومنهم الذين يؤذون النبي ويكون اللام اشارة الى الذين كفروا المار
ذكرهم ولا يجوز ان يكون موصوفة اذ ذاك لان فائدة الكلام تعود الى الوصف ايضا ولكن لا يجاوب نظم الكلام اذ يصير المعنى ان من المختوم
على قلوبهم طائفة يقولون كيت وكيت وما هم بمؤمنين ومن البين ان مدلول قوله وما هم بمؤمنين معلوم من حال المطبوع على قلوبهم
فيقع ذكره ضائعا والضمير العائد الى من يكون موحدا تارة باعتبار اللفظ نحو ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم اكنة ويجمع
اخرى باعتبار المعنى مثل ومنهم من يستمعون اليك وقد اجتمع الاعتباران في الاية في يقول وهما وانما اختص بالذكر الايمان بالله و
الايمان باليوم الاخر لانهما قطرا الايمان ومن احاط بهما فقد حاز الايمان بحذافيره وفي تكرير الباء ايذان بانهم ادعوا كل واحد من الايمانين
على صفة الصحة والاستحكام فان قلت ان كان هؤلاء المنافقون من المشركين فظاهر عدم ايمانهم بالله واليوم الاخر وان كانوا من اليهود فكيف يصح
ذلك قلت ايمان اليهود بالله ليس بايمان لقولهم عزير ابن الله وكذلك ايمانهم باليوم الاخر لانهم يعتقدونه على خلاف صفته فقولهم امنا
لو صدر عنهم لا على وجه النفاق وعقيدتهم فهو كفر لا ايمان فاذا قالوه على وجه النفاق خديعة واستهزاء وتخييلا للمسلمين انهم مثلهم في الايمان
الحقيقي كان خبثا وكفرا الى كفر والمراد باليوم الاخر ما طرفه الابد الذي لا ينقطع لانه متاخر عن الاوقات المنقضية او الوقت المحدود من النشور الى
ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه اخر الاوقات المحدودة التي لا حد للوقت بعده فان قلت كيف طابق قوله وما هم بمؤمنين قولهم
امنا والاول في ذكر شان الفعل لا الفاعل والثاني بالعكس قلت انما رد قولهم بالجملة الفعلية ليكون معناها احدثنا الدخول في الايمان لترويج
دعواهم الكاذبة بالجملة الاسمية ليفيد نفي ما انتحلوا اثباته لانفسهم على سبيل البت والقطع وانهم ليس لهم استيهال ان يكونوا طائفة
من طوائف المؤمنين وكان هذا اوكد وابلغ من ان يقال انهم لم يؤمنوا ونظيره الاية قوله تعالى يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين
منها ثم ان قوله وما هم بمؤمنين يحتمل ان يكون مقيدا وترك لدلالة التقييد في امنا ويحتمل الاطلاق اي انهم ليسوا من الايمان في شيء قط لا
من الايمان بالله وباليوم الاخر ولا من الايمان بغيرهما البحث الثاني في قوله يخادعون الله الى قوله يكذبون اعلم ان الله ذكر من قبائح افعال
المنافقين اربعة اشياء احدها المخادعة واصلها الاخفاء ومنه سمي الخزانة المخدع والاخدعان عرقان في العنق خفيان وخدع الضب خدعا
اذا توارى في جحره فلم يظهر الا قليلا والخداع بمعناه هو منه لانه اظهار ما يوهم السلامة والسداد وابطان ما يقتضي الاضرار بالغير والتخلص منه فهي
بمنزلة النفاق في الكفر والرياء في الافعال الحسنة فان قيل مخادعة الله والمؤمنين لا تصح لان العالم الذي لا يخفى عليه خافية لا يخدع والحكيم
الذي لا يفعل القبيح لا يخدع والمؤمنون وان جاز ان يخدعوا كما قال فوالله شعر تلك الفتاة التي علقتها عرضا ان الحليم وذو الاسلام يختلب
لم يجز ان يخدعوا قلنا كانت صورة صنعهم مع الله حيث يتظاهرون بالايمان وهم كافرون صورة صنع الخادعين وصورة صنع الله معهم حيث
امر باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده اهل الدرك الاسفل من النار صورة صنع الخادع وكذلك صورة صنع المؤمنين معهم حيث امتثلوا
امر الله فيهم فاجروا احكامهم عليهم ويحتمل ان يكون ذلك ترجمة عن معتقدهم وظنهم ان الله ممن يصح خداعه لان من كان ادعاؤه الايمان بالله
نفاقا لم يكن عارفا بالله ولا بصفاته فلم يبعد من مثله تجويز ان يكون الله مخدوعا ومصابا بالمكروه من وجه خفي وتجويز ان يدلس على عباده
ويخدعهم ويحتمل ان يذكر الله ويراد الرسول لانه خليفته والناطق باوامره ونواهيه مع عباده ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ويحتمل
ان يكون من قولهم اعجبني زيد وكرمه فيكون المعنى يخادعون الذين امنوا بالله وفائدة هذه الطريقة قوة الاختصاص فلما كان المؤمنون من
الله بمكان سلك بهم هذا المسلك ومثله والله ورسوله احق ان يرضوه ان الذين يؤذون الله ورسوله وقولهم علمت زيدا فاضلا الغرض
ذكر الاحاطة بفضل زيد لان زيدا كان معلوما لك قديما كانه قيل علمت فضل زيد لكن ذكره توطئة وتمهيد ووجه الاقتصار بخادعت على
ان يقال عنيت فعلت الا انه اخرج في زنة فاعلت لان الزنة في اصلها للمغالبة والمباراة والفعل متى غولب فيه فاعله جاء ابلغ واحكم منه اذا زاوله

وحده من غير مخالطة ولا مباشرة لزيادة قوة الداعي اليه ويخادعون بيانا ليقولون ويجوز ان يكون مستأنفا كأنه قيل لم يدعون الايمان كاذبين
فقيل يخادعون وكان غرضهم من الخداع الدفع عن انفسهم احكام الكفار من القتل والنهب وتعظيم المسلمين اياهم واعطائهم الحظوظ من المغانم
واطلاعهم على اسرار المسلمين لاختلاطهم بهم والسؤال الذي ذكره هنا من انه تعالى لم ابقى المنافق على حاله من النفاق ولم يظهر امره حتى لا يصل من
اغراض الخداع اليه وصل وارد على استبقاء الكفار وسائر اعداء الدين بل على استبقاء ابليس وذريته وتنحل العقدة في الجميع بما سلف لنا
من الحقائق ولا سيما في تفسير قوله تعالى ختم الله على قلوبهم وقراءة من قرأ وما يخادعون الا انفسهم اي وما يعاملون تلك المعاملة
المعاملة المخادعين الا انفسهم لان مكرها يحيق بهم ووبالها عائد عليهم لان الله تعالى يدفع ضرر الخداع عن المؤمنين ويصرفه اليهم كقوله
ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ويحتمل ان يراد حقيقة المخادعة لانهم يخدعون انفسهم حيث يمنونها الاباطيل وانفسهم ايضا
تمنيهم وتحدثهم بالاكاذيب وان يراد وما يخدعون فيجيء به على لفظ يفاعلون للمبالغة والنفس ذات الشيء وحقيقته ولا يختص بالاجسام لقوله تعالى
تعلم ما في نفسي والشعور علم الشيء علم حس من مشاعر الانسان حواسه المعنى ان لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس ولكنهم لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له
والمرض حالة توجب وقوع الخلل في الافعال الصادرة عن موضوعها واستعمال المرض في القلب يجوز ان يكون حقيقة بان يراد الالم كما تقول في جوفي
مرض ومجازا بان يستعار لبعض اعراض القلب كسوء الاعتقاد والغل والحسد والميل الى المعاصي فان صدورهم كانت تغلي على الرسول صلعم غلا وحنقا
واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ وناهيك بما كان من ابن ابي وقوله لسعد بن عبادة لرسول الله صلعم اعف عنه يا رسول
الله واصفح فوالله لقد اعطاك الله الذي اعطاك ولقد اصطلح اهل هذه البحيرة ان يعصبوه بالعصابة وذلك شيء منظوم بالجواهر شبه التاج
اي يجعلوه ملكا عليها ورده الله بالحق الذي اعطاك شرق بذلك ويراد ما بهم من الضعف والخور لانهم كانوا يطمعون ان
ريح الاسلام تهب حينا ثم تركد فكانت تقوى قلوبهم بذلك الطمع فلما شاهدوا شوكة المسلمين واعلاء كلمة الحق وقذف الله في قلوبهم
من الرعب ضعفت جبنا وخورا ومعنى زيادة الله اياهم مرضا انه كلما انزل على رسوله الوحي فكفروا به ازدادوا كفرا الى كفرهم فاسند الفعل
الى المسبب كما اسند الى السورة في قوله فزادتهم رجسا الى رجسهم وهذا كما قال الحكيم ابو الطيب المتنبي كلما عاد زيد زيد تدبرا وكلما ازداد
ضرورة وتبسطا ازداد والحسد وبغضا ويحتمل ان يراد بزيادة المرض الطبع ويحتمل ان يقال الغل والحسد قد يغير مزاج القلب يؤدي الى التلف
صلعم كقوله شعرا اصبر على مضض الحسود فان صبرك قاتله النار تأكل بعضها ان لم تجد ما تأكله فافضا صاحبه الى الهلاك هو المعنى
بالزيادة والاليم الوجيع ووصف العذاب به على طريقة قولهم جد جده والالم بالحقيقة للمؤلم كما ان الجد للجاد والمراد بكذبهم قولهم آمنا بالله
وباليوم الآخر وفي ترتب الوعيد على الكذب دليل على قبح الكذب وما روي عن ابراهيم عم انه كذب ثلث كذبات احدها قوله اني سقيم
وثانيها قوله لسارة وحين اراد ان يغصبها ظالم انها اختي وثالثها قوله بل فعله كبيرهم هذا فالمراد التعريض ولكن في المعاريض لمندوحة عن الكذب
ولكن لما كانت صورته صورة الكذب سمي به والكذب الاخبار بالشيء على خلاف ما هو به وقد يعتبر فيه علم المخبر بكون الخبر على خلاف المخبر
والصدق نقيضه قراءة من قرأ يكذبون بالتشديد اما من كذب بالذي هو نقيض صدق واما من كذب الذي هو مبالغة في كذب كما بولغ
في صدق فقيل صدق نحو بان الشيء وبين ومنه قولهم بين الصبح لذي عينين او بمعنى الكثرة نحو موتت البهائم او من قولهم كذب الوحشي
اذا جرى شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه لان المنافق متوقف متردد في امره مذبذب بين ذلك قال عم مثل المنافق كمثل الشاة العائرة
بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة وما في قوله بما كانوا مصدرية اي بكذبهم وكان مقحمة ليفيد الثبوت والدوام اي بسبب ان
هذا شانهم والبحث الثالث في قوله تعالى واذا قيل لهم لا تفسدوا الى قوله ولكن لا يشعرون هذا هو النوع الثاني من قبائح افعال
المنافقين فقوله واذا قيل لهم معطوف على كانوا يكذبون اي ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون وبما كانوا اذا قيل لهم كذا قالوا كذا
اما على يقول اي ومن الناس من اذا قيل لهم ويحتمل ان يقال الواو للاستيناف واسناد قيل الى لا تفسدوا او آمنوا ليس من اسناد الفعل
الى الفعل فانه لا يصح لكنه اسناد الى لفظ الفعل اي واذا قيل لهم هذا القول نحو زعموا مطية الكذب والقائل لهم اما النبي اذا بلغه عنهم النفاق
ولم يقطع بذلك فنصحهم فاجابوا بما يحقق ايمانهم وانهم في الصلاح واما بعض من كانوا يلقون اليه النفاق كان لا يقبل منهم وبعضهم
واما بعض المؤمنين ولا يجوز ان يكون القائل ممن لا يختص بالدين لان الفساد خروج الشيء عن ان يكون منتفعا به ونقيضه الصلاح
وهو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة عن ابن عباس والحسن وقتادة والسدي ان المراد بالافساد المنهي عنه اظهار معصية الله تعالى فان الشرائع
سنن موضوعة بين العباد فاذا تمسك الخلق بها زال العدوان ولزم كل احد شانه فحقنت الدماء وضبطت الاموال وحفظت الفروج
وكان ذلك صلاح الارض واهلها اما اذا اهملت الشريعة واقدم كل واحد على ما يهواه اشتعلت نوائر الفتن من كل جانب وحدث الفساد
وقيل هو مداراة المنافقين الكافرين ومخالطتهم اياهم لانهم اذا مالوا الى الكفار مع انهم في الظاهر مؤمنون اوهم ذلك ضعف امر النبي
والصحابة فيصير سببا لطمع الكفار في المؤمنين فيهيج الفتن والحروب وقيل كانوا يدعون في السر الى تكذيبه ويلقون الشبه ويفشون اسرار المؤمنين
ولما نهوا عن الافساد في الارض كان قولهم انما نحن مصلحون كالمقابل له وفيه احتمالات احدها انهم اعتقدوا في دينهم انه هو الصواب

سعيهم لاجل تقويتهم ذلك الذين زعموا انهم مصلحون وثانيها اذا قيل لا تفسدوا لاتهام الكافرين ان يكون مرادهم ان الفرح من تلك الموالاة
هو الاصلاح بين المسلمين كقولهم فيما حكى الله سبحانه ان اردنا الا احسانا وتوفيقا وثالثها ان يكون المراد انكار اذاعة اسرار المسلمين
ونسبتهم انفسهم الى الاستقامة وتجيء بانما لقصر الادعاء على ان صفة المصلحين خلصت لهم وتمحضت اي شأننا مقصور على الاصلاح لا يتعداه
الى غيره والا مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي لتفيد التنبيه على تحقق ما بعدها كقوله تعالى أليس ذلك بقادر ولافادتها التحقيق لا يكاد
تقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم واختها التي هي اما من مقدمات اليمين وطلائعها قال اما والذي ابكى واضحك والذي
امات واحيا والذي امره الامر ردّ الله ما ادعوه من الانتظام في زمرة المصلحين ابلغ رد من جهة الاستيناف فان ادعاءهم ذلك مع
توغلهم في الفساد مما يشوق السامع ان يعرف ما حكمهم فرد الله عليهم وكان وروده بدون الواو وهو المطابق ومن جهة ما في الا وان من
التاكيد ومن قبيل تعريف الخبر وتوسيط الفصل وقوله لا يشعرون البحث الرابع في قوله واذا قيل لهم آمنوا الآية هذا هو النوع الثالث
من قبائح افعال المنافقين وذلك ان المؤمنين اتوهم في النصيحة من وجهين احدهما تقبيح ما كانوا عليه مما يجر الى الفساد والفتنة والثاني دعوتهم
الى الطريقة المثلى من اتباع ذوي الاحلام وبعبارة اخرى امروهم اولا بالتخلية عما لا ينبغي وثانيا بالتحلية بما ينبغي لان كمال حال الانسان
فيهما تين وكان من جوابهم فيما بينهم او للقائل انهم سفهوهم وفي هذا تسلية للعالم اذا لم يعرف حقه الجاهل شعر واذا اتتك مذمتي من
ناقص، فهي الشهادة لي باني كامل، وما في كما يجوز ان تكون كافة تصحح دخول الجار على الفعل وتفيد تشبيه مضمون الجملة بالجملة كقولك
يكتب زيد كما يكتب عمرو ورب صديق لك كما عرافي ويجوز ان تكون مصدرية مثلها في بما رحبت واللام في الناس للعهد اي كما آمن الرسول صلى الله عليه وسلم
ومن معه وهم ناس معهودون اي ليكن ايمانكم ثابتا كما ان ايمان هؤلاء ثابت ولتحصيل ايمانكم كما حصل ايمان هؤلاء وآمنوا كما آمن عبد الله
بن سلام واتباعه لانهم من اجلائهم اي كما آمن اصحابكم ويحتمل ان يكون للجنس اي كما آمن الكاملون في الانسانية من الاقرار اللساني الناشي
عن الاعتقاد القلبي وجعل المؤمنون كانهم الناس ومن عداهم كالنسناس في عدم التمييز بين الحق والباطل والاستفهام في انؤمن في معنى
الانكار واللام في السفهاء للعهد اشارة بها الى الناس كقولك لصاحبك ان زيدا قد سعى بك فيقول او قد فعل السفيه او للجنس وينطوي تحته
الجاري ذكرهم على زعمهم لانهم عندهم اعرق الناس في السفه وهو ضد الحلم واصله الخفة والحركة يقال تسفهت الريح الشجر اذا مالت به قال
ذو الرمة جرين كما اهتزت رماح تسفهت، اعاليها مر الرياح النواسم، وانما سفهوا المؤمنين مع رجحان عقول اهل الايمان لانهم لجهلهم
واخلالهم بالنظر الصحيح اعتقدوا ان ما هم فيه هو الحق ولانهم كانوا في رياسة وثروة وكان اكثر المؤمنين فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال
وخباب فدعوهم سفهاء تحقيرا لشانهم كما قال قوم نوح وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا او ارادوا عبد الله بن سلام واشياعه لما غاظهم من
اسلامهم وفت في اعضادهم على انه سمع عبد الله بن سلام بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في ارض يخترف فاتى النبي فقال اني سائلك عن ثلاث
لا يعلمهن الا نبي فما اول اشراط الساعة وما اول طعام اهل الجنة وما ينزع الولد الى ابيه او الى امه قال اخبرني بهن جبرئيل آنفا اما اول اشراط
الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب واما اول طعام ياكله اهل الجنة فزيادة كبد حوت واذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد
واذا سبق ماء المرأة نزعت قال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وانهم ان يعلموا باسلامي قبل ان
تسألهم بهتوني فجاءت اليهود فقال اي رجل عبد الله فيكم قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا قال ارأيتم ان اسلم عبد الله بن سلام
قالوا اعاذه الله من ذلك فخرج عبد الله فقال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا فانتقصوه قال هذا الذي
كنت اخاف يا رسول الله ثم ان الله تعالى اجاب عنهم بهذا القصر مقرونا بالمؤكدات التي تقدمت في قوله الا انهم هم المفسدون وذلك ان من اعرض
عن الدليل ثم نسب المتمسك به الى السفه فهو السفيه وكذا من باع آخرته بدنياه قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت وايّ من السفه
معاداة محمد صلى الله عليه وسلم والجهود يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم كالطوى يجيء بطحنة الاوعال انما فصلت هذه الآية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون لان
الوقوف على ان المؤمنين على الحق وهم على الباطل امر عقلي نظري واما النفاق وما يؤول اليه من الفساد في الارض فامر دنيوي مبني على العادات
وخصوصا عند العرب في جاهليتهم وما كان قائما بينهم من التحارب والتغاوز فهو كالمحسوس المشاهد ولانه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر
العلم معه احسن طباقا له البحث الخامس في قوله واذا لقوا الذين آمنوا الآية هذا هو النوع الرابع من قبائح افعالهم والفرق بين هذه الآية وبين قوله
ومن الناس من يقول آمنا ان تلك في بيان مذهبهم والترجمة عن نفاقهم وهذه في بيان معاملتهم مع المؤمنين من التكذيب لهم والاستهزاء
بهم عن ابن عباس نزلت هذه الآية في عبد الله بن ابي واصحابه وذلك انهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله
انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فذهب فاخذ بيد ابي بكر فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله
في الغار الباذل نفسه وماله ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي بن كعب الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم
اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله ثم افترقوا فقال عبد الله لاصحابه كيف رأيتموني فعلت فاذا
رأيتموهم فافعلوا كما فعلت فاثنوا عليه خيرا فرجع المسلمون الى النبي واخبروه بذلك فنزلت وقوله لقيته اذا استقبلته قريبا منه ولاقيته

بفلان واذا انفردت معه ويجوز ان يكون من خلا بمعنى مضى ومنه خلاك ذم اى عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية ومن خلوت به اذا سخرت
منه وهو من قولك خلا فلان بعرض فلان يعبث به ومعناه اذا انهوا السخرية بالمؤمنين الى شياطينهم وحدثوهم بها كما تقول احمد اليك
فلانا واذم اليك اى انهي اليك حمده وذمه وعن ابن عباس رضي الله عنهما الى احد الكم عسل الاحبل اى علمكم اذا امر محمود وشياطينهم رؤساؤهم
واكابرهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم وهم اما الكابر المنافقين فالقائلون انا معكم اى مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم اصاغرهم واما
اكابر الكافرين فالقائلون يحتمل ان يكون جميع المنافقين وانما فسرنا بالرؤساء لانهم هم القادرون على الافساد في الارض وانما خاطبوا
المؤمنين بالجملة الفعلية وشياطينهم بالاسمية المحققة بان لانهم في ادعاء حدوث الايمان الناشئ عن
صميم القلب منهم لا في ادعاء انهم اوحديون في الايمان كاملون اما لان انفسهم لا تساعدهم عليه اذ ليس كل قول لم يصدر عن صدق
رغبة وباعث نفس واما لانه لا يروج عنهم لو قالوه على وجه التوكيد لهم بين ظهراني المهاجرين والانصار القائلين ربنا اننا آمنا واما مخاطبة
اخوانهم فعن صدق وفور نشاط ورغبة وفي حيز القبول والرواج فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد وانما فقد العاطف بين قوله انا معكم وبين
قوله انما نحن مستهزؤن لان الاول معناه الثبات على الكفر والثاني رد للاسلام لان المستهزئ بالشيء مستكبر له دافع ودفع نقيض الشيء
اثبات له وتأكيد للشيء او لان الثاني بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او لانه قيل لهم لما قالوا انا معكم ان صح انكم معنا فما بالكم توافقون اهل الاسلام
فقالوا انما نحن مستهزؤن والاستهزاء السخرية والاستخفاف واصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع ثم ان الله تعالى اجابهم باشباه
اسدها قوله الله يستهزئ بهم وهو استيناف في غاية الجزالة والفخامة كانه سئل ما مصيرهم وعقوبة حالهم فقيل الله يستهزئ بهم وفي
الالتفات من الحكاية الى الخطاب ان الله عز وجل هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الابلغ الذي استهزاؤهم بالنسبة اليه كالعدم وفي تخصيص
اسمه بالذكر مع قرينة ان المؤمنين الذين استهزئ بهم دلالة على ان الله هو الذي يتولى الاستهزاء بهم انتقاما للمؤمنين ولا يحوج المؤمنين
ان يعارضوهم باستهزاء مثله فان قيل الاستهزاء جهالة قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين فما معنى استهزاء
الله بهم قلنا معناه انزال الهوان والحقارة بهم وهو المقصد الاقصى للمستهزئ او سمي جزاء الاستهزاء استهزاء مثل فاعتدوا عليه
بمثل ما اعتدى عليكم او عاملهم الله معاملة المستهزئ في الدنيا لانه كان يطلع الرسول على اسرارهم مع كونهم مبالغين في اخفائها وفي
الآخرة على ما روي عن ابن عباس اذا دخل المؤمنون الجنة والكافرون النار فتح الله من الجنة بابا على الجحيم في الموضع الذي هو مسكن المنافقين
فاذا رأى المنافقون الباب مفتوحا اخذوا يخرجون من الجحيم ويتوجهون الى الجنة واهل الجنة ينظرون اليهم فاذا وصلوا الى باب الجنة فهناك
يغلق دونهم الباب فذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون فهذا هو الاستهزاء وانما لم يقل الله
مستهزئ ليكون طبقا لقوله انما نحن مستهزؤن لان المراد تجدد الاستهزاء بهم وقتا بعد وقت وهكذا كانت نكايات الله فيهم ونزول الآيات
في شأنهم اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا
ان الله مخرج ما تحذرون وثانيها قوله ويمدهم في طغيانهم هو من مد الجيش وامده اذا زاده والحق به ما يقويه كذلك مد الدواة وامدها
زادها ما يصلحها ولما قلنا انه من المدد لا من المد في العمر والامهال لقراءة ابن كثير في موضع آخر واخوانهم يمدونهم في الغي على ان الذي بمعنى
امهله انما هو مد له مع اللام كاملى له قاله في الكشاف وهو مخالف لنقل الجوهري مده في غيه اى امهله والطغيان الغلو في الكفر ومجاوزة الحد
في العتو وهو معنى مد الله تعالى اياهم في الطغيان يعرف في تفسير ختم الله على قلوبهم وقد يوجه بانه لما منعهم الطافه التي يمنحها المؤمنين بسبب
قلوبهم وبقي لهم الريب الظلمة فهي تزايد الانشراح والنور في صدور المؤمنين فسمى ذلك التزايد مددا اى بانهم ينورونها وبانه اسند فعل
الى الله تعالى لانه بتمكينه واقداره ولا يخفى ما في هذا الوجه من التكلف لان انتهاء الكل الى مسبب الاسباب من هذا القبيل كما قيل ان النكتة
في اضافة الطغيان اليهم هي ان يعلم ان التمادي في الضلالة انما اقترفته انفسهم وان الله بريء منه فان الانتهاء الى الله تعالى لما كان ضروريا
تكيف من ذلك يعمهون في موضع الحال والعمه كالعمى الا ان العمى في البصر وفي الرأي والعمه في الرأي خاصة وهو التحير والتردد لا يدري اين يتوجه
وثالثها قوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى اي اختاروها واستبدلوها به واصله استعارة لان الاشتراء فيه اعطاء بدل واخذ
آخر قال ابو النجم شعر اخذت بالجمة رأسا ازعرا ❊ وبالثنايا الواضحات الدردرا ❊ وبالطويل العمر عمرا جيدرا ❊ كما اشترى المسلم اذ تنصرا
ومن وجب على الله تعالى بما يعيب بمن اسر اليه بعقبهم لغيره الذين يجعلون لغيرها ويبتاعون الدنيا بالآخرة فجعلوا التمكن من الهدى
بحسب الفطرة الانسانية السليمة كانه في ايديهم فتركوه واستبدلوا به الضلالة وهو الجنوح عن القصد فقد الاهتداء ثم مثل
ذلك بصنيع المشترين على جهة الغاية والدخل من ذلك الفادة ويحو بالمعنى بل يصيح ايضا فاستعير الضلالة الذهاب عن الصواب في الدين والربح الفضل
على رأس المال والتجارة صناعة التجار واسند الخسران اليها وهو لصاحبها اسنادا مجازيا للملابسة التجارة بالمشترين وقد يقال ربح عبدك
وخسرت تجارتك مجازا اذا ربحت او خسرت لما ذكر الله سبحانه شراء الضلالة بالهدى اتبعه ما يشاكله ويواخيه من الربح والتجارة
ليكون الاستعارة مرشحة كقوله ولما رأيت النسر عز ابن داية ❊ وعشش في وكريه جاش له صدري ❊ لما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب

اتبعه ذكر التمثيل والتوكيد وما كانوا مهتدين لطرق التجارة لان مطلوب التاجر في متصرفاته شيئان سلامة راس المال والربح وهؤلاء قد
اضاعوا الطلبتين معا لان راس مالهم كان هو الهدى فلم يبق لهم مع الضلالة ولما اعتاضوا الضلالة فلا عوض ولا معوض فلا ربح ولا راس المال
وهكذا حال من يدعي الارادة ولا يخرج من العادة ويريد الجمع بين مقاصد الدنيا ومصالح الدين كالمنافق اراد الجمع بين عشرة الكفار
وصحبة المسلمين والمكاتب عبد ما بقي عليه درهم واذا اقبل الليل من ههنا وادبر النهار من ههنا نعوذ بالله من الغواية ونسأله ان يعصمنا
من الضلالة بعد الهداية ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ
مثل ایشان چون مثل کسی است که برافروزد آتشی پس چون روشن گردانید آتش گرداگرد او را ببرد خدا روشنی ایشان را و واگذارد ایشان را
فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ۝ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَ
در تاریکیها که نتوانند دید کران و گنگان و کوران پس ایشان باز نگردند یا چون ابری از آسمان که در وی تاریکیهاست و
رَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ
رعد و برق میکنند انگشتهای خود را در گوشهای خود از صاعقها از ترس مرگ و خدا احاطه کننده است بکافران
يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ
نزدیکست که برق ببرد چشمهای ایشان را هرچند که روشنی دهد مر ایشان را بروند در آن و چون تاریک شود بر ایشان بایستند و اگر خدا خواهد هر آینه ببرد
بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ القراءة اذانهم ونحوه بالامالة نصير وابو عمرو الكافرين وما اشبهها مما كان في
گوش ایشان را و چشم ایشان را هر آینه خدا بر هر چیز تواناست الخفض بالامالة ابو عمرو وقتيبة ونصير وابو عمرو ويعقوب غير روح شاء الله حيث كان بالامالة
حمزة وعلي وخلف وابن ذكوان والوقوف نارا لان جواب لما منطوقا فيها معنى الشرط مع دخول فاء التعقيب فيها لا يبصرون ه لا يرجعون ه للعطف
باو وهو للتخيير ومعنى التخيير لا ينافي الفصل ومن جعل او بمعنى الواو جاز وقف لعطف الجملتين مع انها اسمية وقد اعترضت بينهما
بنية على تقدير ومثلهم كصيب وبرق لان قوله يجعلون يحتمل ان يكون خبر المحذوف اي هم يجعلون او حالا عاملها معنى التشبيه في الكاف و
ذو الحال المحذوف اي كاصحاب صيب الموت ط بالكافرين ه ابصارهم ط لان كلما استئناف فيه لان تمام المقصود بيان الحال المضاد للحال الاول
قاموا وابصارهم ط قدير ه التفسير لما جاء بحقيقة صفة المنافقين عقبها بضرب المثل زيادة للبيان وضرب الامثال شان ليس بالخفي في رفع الاستار
عن الحقائق حتى يبرز المتخيل في معرض اليقين والغائب كانه مشاهد وفيه تبكيت الخصم الالد ولامر ما اكثر الله تعالى في كتبه امثاله وتلك الامثال نضربها
للناس وفشت في كلام رسول الله صلعم مثل الدنيا مثل ظلك ان طلبته تباعد وان تركته تتابع مثل الجليس الصالح كمثل الداري وامثال العرب
اكثر من ان تحصى حتى صنف فيها كتب مشهورة والمثل في اصل كلامهم بمعنى المثل وهو النظير ثم قيل للقول السائر المشبه مضربه بمورده
مثل ولا يخلو من غرابة ومن ثم حوفظ عن التغيير ثم استعير المثل للحال والصفة او القصة التي فيها غرابة ولما شان شبهت حالهم العجيبة
الشان من حيث انهم اوتوا ضربا من الهدى بحسب الفطرة ولما نطقت به السنتهم من كلمة الاسلام فحقنوا دماءهم واموالهم عاجلا ثم لم يتوسلوا
بذلك الى النعيم الابد بما استبطنوه من الكفر فيؤول حالهم الى انواع الحسرات واصناف العقوبات بحال الذي استوقد نارا وادى توجه الطمع الى شيء
مطلوب بسبب مباشرة اسبابه القريبة مع تعقب الحرمان والخيبة لانقلاب الاسباب المراد بالذي استوقد نارا جمع كقوله وخضتم كالذي
خاضوا وحذف النون لاستطالته بصلته او قصد جنس المستوقدين او اريد الجمع او الفوج الذي استوقد نارا ولولا عود الضمير الى الذي
مجموعا في قوله بنورهم وتركهم لم يحتج الى التكلفات المذكورة على انه يمكن ان يشبه قصة جماعة بقصة شخص واحد نحو مثل الذين حملوا التوراة
ثم لم يحملوها كمثل الحمار وقود النار سطوعها وارتفاع لهبها واوقدتها انا واستوقدتها ايضا والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق و
النور ضوءها وضوء كل نير واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا والاضاءة فرط الانارة جعل الشمس ضياء والقمر نورا
وهي في الاية متعدية ويحتمل ان يكون غير متعدية مسندة الى ما حوله والتانيث للحمل على المعنى لان ما حول المستوقد اماكن واشياء او
يستتر في الفعل اللازم ضمير النار ويجعل اشراق ضوء النار حوله بمنزلة اشراق النار نفسها على ان ما مزيدة او موصولة في معنى الامكنة وحوله
نصب على الظرف وتاليف الحول للدوران والاطافة والعام حول لانه يدور وجواب لما ذهب الله بنورهم فالضمير يعود الى الذي استوقد نظرا
الى المعنى كما ان الضمير في حوله راجع اليه من حيث اللفظ وقيل الاولى ان يقال الجواب محذوف مثل فلما انعموا بمتابعته من الوجازة مع الا
عن الصفة التي حصل عليها المستوقد بما هو ابلغ من الذكر في اداء المعنى كانه قيل فلما اضاءت ما حوله كان ما كان من حصول لهم خابطين
في ظلام متحيرين خائبين بعد الكدح في احياء النار ثم انه استانف كانه قيل ما بالهم قد اشبهت حالهم حال هذا المستوقد فقيل له ذهب
الله بنورهم اي بنور المنافقين وعلى هذا يحتمل ان يكون الذي مفردا ويمكن ان يكون بدلا من جملة التمثيل على سبيل البيان اي مثلهم
كمثل الذي استوقد ذهب الله بنورهم ومعنى اسناد الفعل الى الله انه اذا طفئت النار بسبب سماوي كريح او مطر فقد اطفاها الله وذهب
بنور المستوقد او يكون المستوقد مستوقد نار لا يرضاها الله ثم اما ان يكون نارا مجازية كنار الفتنة والعداوة للاسلام وتلك النار متقاصرة

مدة اشتعالها واضائتها مناضها الدنيوية قليلة البقاء والباطل صولة ثم تضمحل ولريح الضلالة عصفة ثم تخفت ونار العرفج مثل النوع
كل طماح كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله واما نارا حقيقية اوقدها الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة بها الى بعض المعاصي ويهتدوا
بها في طرق العبث فاطفاها الله وخيب آمالهم وانما لم يقل اذهب الله بضوءهم على سياق فلما اضاءت لان ذكر النور ابلغ في الغرض وهو
ازالة النور عنهم راسا وطمسه اصلا فان الضوء شدة النور وزيادة فيه وذهاب الاصل يوجب زوال الزيادة عليه دون العكس والفرق بين
اذهبه وذهب به ان معنى اذهبه ازاله وجعله ذاهبا ويقال ذهب به اذا استصحبه ومضى به معه وذهب السلطان بماله اخذه وامسكه وما
يمسك الله فلا مرسل له فهو ابلغ من الاذهاب وترك بمعنى طرح وخلى اذا علق بواحد واذا علق بشيئين كان مضمنا معنى صير فيجري مجرى افعال
القلوب كقول عنترة شعر فتركته جزر السباع ينشنه ومنه قوله تعالى وتركهم في ظلمات والظلمة عدم النور عما من شانه ان يستنير
وقيل عرض ينافي النور واشتقاقها من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك لانها تسد الرؤية وتمنع وفي جمع الظلمة وتنكيرها
واتباعها ما يدل على انها ظلمة لا يتراءى فيها شبحان وهو قوله لا يبصرون دلالة على ان الظلمة بلغت مبلغا بهت معها الواصفون وكذا
في اسقاط مفعول لا يبصرون وجعله من قبيل المتروك المطرح الذي لا يلتفت الى اخطاره بالبال لا من قبيل المقدر المنوي كان الفعل غير
متعد ليسوا من اهل الابصار عن سعيد اصل الكلام لا يبصرون ما حر صفة لظلمات اي لا يبصرون فيها شيئا واما نصب مفعولا
ثانيا او حالا منهم مثل ونذرهم في طغيانهم يعمهون اي هالكون لبسوا من اهل الابصار عن سعيد بن جبير نزلت في اليهود وانتظارهم
لخروج النبي واستفتاحهم به على مشركي العرب فلما خرج كفروا به وكان انتظارهم له كايقاد النار وكفرهم به بعد ظهوره كزوال ذلك
النور ثم انه كان من المعلوم من حالهم انهم يسمعون وينطقون ويبصرون لكنهم شبهوا بمن ايفت مشاعرهم وقيل لهم صم بكم عمي حيث
سدوا عن الاصاخة الى الحق مسامعهم وابوا ان ينطقوا به السنتهم وان ينظروا او يستبصروا باعينهم وانما قلنا ان ما في الاية تشبيه لا
استعارة مع ان المشبه مطوي ذكره كما هو حق الاستعارة لان ذلك في حكم المنطوق به لا ابتي الخبر بلا مبتدا ومعنى لا يرجعون لا يعودون
الى الهدى بعد ان باعوه وعن الضلالة بعد ان اشتروها تسجيلا عليهم بالطبع او ارادوا انهم بمنزلة المتحيرين الذين لا يدرون ايتقدمون
ام يتاخرون والى حيث ابتداوا منه كيف يرجعون شعر وقفت الهوى بي حيث انت فليس لي ؛ متاخر عنه ولا متقدم ؛ ومثله حال مريد
طريقة الذي له بداية ولازم خلوته وصحبة حتى شرقت له من صفات القلب شوارق الشوق وبرقت له من انوار الروح بوارق الذوق
ظهرت المواجيد فانجمته الوساوس فرجع قهقرى الى ما كان من حضيض عالم الطبيعة فغابت شمسه واظلمت نفسه فضل يوما اصم ثم ان الله
ضرب المنافقين مثلا اخر ليكون كشفا لحالهم بعد كشف ايضاحا عقيب ايضاح لان المقام مقام تفصيل واشباع فيكون تقدير الكلام مثل المنافقين
كمثل المستوقدين او كمثل ذوي صيب معنى ان قصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين فانهما سواء في صحة التشبيه بهما فانت مخير في
التشبيه بايهما شئت نحو جالس الحسن او ابن سيرين والتمثيلان جميعا من جملة التمثيلات المركبة دون المفردة لا يتكلف لواحد واحد
شيء يقدر شبهه به بل يراعى الكيفية المنتزعة من مجموع الكلام وحالهم في مقام الطمع في حصول المطالب ونجح المآرب لا يحظون الا بضد المطلوب
فيه من مجرد مقاساة الاهوال وشدائد الاحوال ولا يخفى ان التمثيل الثاني ابلغ لانه ادل على فرط الحيرة وشدة الامر وفظاعته ولذلك
اخر وهم يتدرجون بها من الاهون الى الاغلظ وانما قدرنا المضاف المحذوف حيث قلنا او كمثل ذوي صيب مع انه لا يلزم في التشبيه المركب ان يلي حرف
التشبيه مفردا ينافي المشبه به الا ترى الى قوله انما مثل الحيوة كما انزلناه من السماء والكاف ذا التشبيه مركب لان الضمير في يجعلون لابد له من
راجع هذا هو التحقيق وقد يقال شبه دين الاسلام بالصيب لان القلوب تحيى به حيوة الارض بالمطر وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات
وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيب الكفرة من الافزاع والبلايا والفتن من جهة اهل الاسلام بالصواعق وعلى هذا
يكون تقدير المضاف ضروريا ليصح تشبيه المنافقين بهم ويكون المعنى مثلهم كمثل قوم اخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا
ويكون ذكر المشبهات مطويا على سنن الاستعارة والصيب المطر الذي يصوب اي ينزل ويقع ويقال للسحاب صيب ايضا وتنكير صيب لانه اريد
انه نوع من المطر شديد هائل كما نكرت النار في التمثيل الاول واما السماء فمعنى المظلة والفائدة في ذكره والصيب لا يكون الا من السماء
انه جاء من السماء معرفة فنفى ان يتصوب من سماء اي من افق واحد من بين سائر الافاق لكنه عام مطبق اخذ بآفاق السماء وكما جاء
وبينهما الغمام من جهة التركيب من ضعف البناء على فيعل والتنكير هذه تلك بان جعله مطبقا واعلم انه اذا وقعت القوى الفلكية على العناصر
العناصر باذن الله تعالى تحركها وخلطها لحصل من اختلاطها موجودات شتى فاذا هيج الفلك بالسخانة الحارة تخرج من الاجسام المائية
دخن من الاجسام الارضية واثار يشبهها البخار والدخان من الاجسام المائية والارضية اما الدخان فانه قد يتعدى صعوده
حيز الهوى الى ان يوافي تخوم النار فيشتعل وربما يسعى فيه الاشتعال فيرى كان كوكبا يتقذف به وربما لم يشتعل بل يحترق ويثبت فيه
الاحتراق فترى العلامات الهائلة الحمر والسود واما البخار الصاعد فمنه ما يلطف ويرتفع جدا فيتراكم ويكثر مدة في اقصى الهوى عند
منقطع الشعاع فيبرد فيكثف فيقطر فيكون المتكاثف سحابا والقاطر مطرا ومنه ما يقصر لثقله عن الارتفاع بل يبرد سريعا فينزل

كانوا فيه برد الليل قبل ان يتراكم سحابا وهذا هو الطل وربما وجد البخار المتراكم في الاعالي اعني السحاب فنزل ان كان قليلا وربما جمد البخار الغير
المتراكم في الاعالي اعني مادة الطل فنزل ان كان صقيعا وهو ما يسقط بالليل من السماء شبيها بالثلج وربما جمد البخار بعد ما استحال قطرات
ماء فكان بردا وانما يكون جموده لشدة وقد تفارق السحاب في الربيع وهو داخل السحاب فذلك اذا سخن خارجه وفطنت البرودة الى داخله
فتكاثف داخله واستحال ماء واجمدته شدة البرودة وربما تكاثف الهواء بنفسه لشدة البرد فاستحال سحابا فاستحال مطرا واما الهواء من البخار
والدخانية المركبة من مادتي الرطوبة واليبوسة فمنها ما يتخلص من الارض فيكون منها الرياح واذا تصعدت تمتزج البخار من الدخان انعقد البخار
سحابا وبرد فتغلغل فيه الدخان لطلب النفوذ الى العلو فحصل من تغلغله فيه ضرب من الرعد وهو صوت ريح عاصفة في سحاب كثيف وربما
امتد ذلك التغلغل لكثرة وصول المواد ويكون اعالي السحاب اكثف لان البرد هناك اشد او يكون هناك ريح مقاومة تعوقها عن النفوذ فيندفع
الى اسفل وقد اشتعلت للحاكة والحركة نارا فبرق فتنشق السحاب شعلة كجمر يطفى فيسمع من ذلك ضرب من الرعد ان كان قويا شديدا غليظ
المادة كان صاعقة وربما وجد منفذا فيه سهل الانشقاق فخرج بلا رعد واشتعال لهذا القدر من الحقائق في هذا المقام لا مرية في
معرفتها بعد ان يعتقد انتهاء اسبابها الى مدبر الكل سبحانه وتعالى ولنرجع الى ما كنا فيه فنقول رتفع ظلمات بالظرف على الاتفاق من سيبويه
والاخفش لاعتماده على موصوف والصيب ان كان سحابا فظلماته سحمته وتطبيقه مضمومة اليها ظلمة الليل وان كان مطرا فظلماته تكاثفه
وانسكابه بتتابع القطر وظلمة اظلال الغمام مع ظلمة الليل ثم ان كان الصيب سحابا فكونه مكانا للرعد والبرق ظاهر وان كان مطرا فكونهما
متلبسين في الجملة سوغ ذلك وانما لم يجمع الرعد والبرق كما قال البحتري: يا عارضا متلفعا ببروده * يختال بين بروقه ورعوده
وكما قيل ظلمات لانهما في الاصل مصدران فروعي حكم الاصل ويمكن ان يراد بهما الحدث كانه قيل ارعاد وابراق ونكرت هذه الاشياء
لان المراد انواع منها كانه قيل فيه ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف وجاز رجوع الضمير في يجعلون الى اصحاب الصيب لانه في حكم
المذكور قال حسان: يسقون من ورد البريص عليهم * بردى يصفق بالرحيق السلسل اي يسقون لان المعنى ماء بردى وهو واد بدمشق
والبريص نهر من انهارها ويصفق اي يمزج والرحيق الخمر ولا محل لقوله يجعلون لكونه مستأنفا كانه قيل فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد
فقيل يجعلون اصابعهم ثم سئل فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق فاجيب يكاد البرق يخطف ابصارهم وانما لم يقل اناملهم مع انها هي
التي تجعل في الاذن لان في ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الانامل ولان اسم الكل قد يطلق على البعض نحو فاقطعوا ايديهما والمراد
الرسغ وليس بعض الاصابع كالمسبحة مثلا بجعلها في الاذن اولى من بعض حتى يطالب بذكر العام والمراد الخاص وقوله من الصواعق اي من
اجل الصواعق نحو سقيته من الغيمة وقد تحصل مما ذكرنا ان الصاعقة قصيفة رعد تنقض معها شقة من نار تنقدح من السحاب اذا
اصطكت اجرامه هي نار لطيفة حديدة لا تمر بشيء الا اتت عليه الا انها مع حدتها سريعة الخمود يحكى انها سقطت على نخلة فاحرقت نحو النصف
ثم طفئت ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته فصعق اي مات اما بشدة الصوت واما بالاحراق وبناؤها اما ان يكون صفة لقصفة
الرعد وللرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية او مصدر كالعافية والكاذبة وحذر الموت مفعول له كقوله: واغفر عوراء الكريم ادخاره
واعرض عن شتم اللئيم تكرما والموت فساد بنية الحيوان وقيل عرض يعاقب الحيوة لا يصح معه احساس والله محيط بالكافرين مجاز اي هو كالا
يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط به حقيقة والجملة معترضة لا محل لها يكاد من افعال المقاربة كاد يفعل كذا يكاد كودا وكودة ومكادة و
المقاربة الشيء فعل العلم بفعل وجوده يبنى عن نفي الفعل مقرونا بالجحد يبنى عن وقوع الفعل وخبر كاد فعل مضارع بغير ان وهو هنا
يخطف البرق ابصارهم والخطف الاخذ بسرعة كلما اضاء لهم استئناف ثالث كانه قيل كيف يصنعون في حالتي خفوق البرق وخفوته و اضاء
اما متعد بمعنى كلما نور لهم ممشى ومسلكا اخذوه والمفعول محذوف واما غير متعد بمعنى كلما لمع لهم في مطرح نوره والمشي جنس
الحركة المخصوصة وهو فوق السعي دونه العدو واظلم اما لازم وهو الظاهر واما متعد منقول من ظلم الليل اي اظلم البرق الطريق عليهم بان فتر
لمعانه ومعنى قاموا وقفوا وثبتوا في مكانهم من قام الماء جمد وانما قيل مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا لانهم حراص على وجود ما
همهم به معقود من امكان المشي وتأتيه فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها فخطوا خطوات يسيرة وليس كذلك التوقف والصبر ولو شاء
الله لزاد في قصيف الرعد فاصمهم او في ضوء البرق فاعماهم ومفعول شاء محذوف لان الجواب يدل عليه المعنى ولو شاء الله ان يذهب بسمعهم
وابصارهم لذهب بها وهذا الحذف في شاء واراد كثير لا يكادون يبرزون المفعول الا في الشيء المستغرب كقوله: فلو شئت ان ابكي دما
لبكيته * عليه ولكن ساحة الصبر اوسع * قال عز من قائل لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه وكلمة لو تفيد انتفاء الثاني لانتفاء الاول وقد
يجيء للمبالغة كقوله نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه المراد ان عدم العصيان ثابت على كل حال لانه على تقدير عدم الخوف ثابت فعلى تقدير
الخوف اولى والشيء اعم العام كان اسما خص الخاص يجري على الجوهر والعرض والقديم والحادث بل على المعدوم والمحال وهذا العام مخصوص بدليل
العقل لان من الاشياء ما لا تعلق به للقادر كالمستحيل والواجب وجوده لذاته واما الممكن فابقاؤه على العدم وكذا ايجاده وابقاؤه على وجوده
لان جميع ذلك بقدرة القادر فلا ينبغي ان يأمن الامان ان يخطر من الخطرات عن تأثير القادر فيه وقدرة كل قادر على مقدار قوته واستطا

ع ٣

ونقيضها العجز فلا قادر بالحق الا هو سبحانه ثم ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي
ای مردمان بپرستید پروردگار تان را آنکه آفرید شما را و آنها را که پیش از شما بودند تا شما بپرهیزید آنکه
جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾
گردانید از جهت شما زمین را مانند بساط گسترده و آسمان را چون خانه و فرو فرستاد از آسمان آبی پس بیرون آورد بدان از میوها گونه گونه روزی شما پس مگردانید برای خدا همتایان و شما میدانید

القراءة خلقكم مدغماً ابو عمرو وكذلك كل ما كان قبلها متحرك وقال عباس كل ما كان قبلها ساكن مثل ما خلقكم وصديقكم وبورقكم وما
اشبه ذلك قال ابن مجاهد يدغمها باظهار صوت القاف وقال غيره وهو ابن مهران لا يظهر وذلك كل صواب الوقوف تتقون لا لان الذي
صفة الرب بناء ص لعطف الجملتين المتفقتين لكم ج لانقطاع النظم مع فاء التعقيب تعلمون التفسير لما قدم الله تعالى احكام فرق المكلفين من
المؤمنين والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم ومجاري امورهم علماً وعملاً اقبل عليهم بالخطاب وهو من جملة الالتفات الذي يورث الكلام
رونقاً وبهاء ومزيد السامع هزة ونشاطاً ومن لطائف هذا المقام انه تعالى كانه يقول جعلت الرسول واسطة بيني وبينك اولاً والآن ازيد
في اكرامك وتقريبك فاخاطبك من غير واسطة ليحصل لك مع التنبيه على الادلة شرف المخاطبة والمكالمة وفيه اشعار بان العبد مهما اشتغل
بالعبودية ازداد قرباً وحضوراً وايضاً الامور المتقدمة حكايات احوالهم وهذا امر وتكليف وفيه كلفة ومشقة فلا بد من راحة وهي ان يرفع ملك
الملوك الواسطة من البين يخاطبهم بذاته ففيه تطييب بالتكليف ليسهل عليهم هذا وقد صح الاسناد عن علقمة ان كل شيء نزل فيه يا ايها
الناس فهو مكي ويا ايها الذين آمنوا فهو مدني فقوله ﴿يا ايها الناس اعبدوا ربكم﴾ خطاب لمشركي مكة بحسب هذا النقل وان كان من الجائز
ان يخاطب المؤمنون باسم جنسهم ويؤمروا بالاستمرار على العبادة والازدياد منها ويا حرف وضع لاجل التخفيف مقام انادي لانشاء
لا الاخبار به وههنا نكتة وهي ان اقوى المراتب الاسم واضعفها الحرف فظن قوم انه لا يأتلف الاسم بالحرف فكذا اقوى الموجودات هو
الحق سبحانه وخلق الانسان ضعيفاً فقالت الملائكة ما للتراب ورب الارباب اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فقيل لهم قد يأتلف
الاسم مع الحرف في حال النداء فكذا البشر يصلح لحضرة الرب في حال التضرع والدعاء ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب﴾
﴿فاذكروني أذكركم﴾ ويا وضع في اصله لنداء ما ليس بقريب حقيقة او تقديراً لكونه ساهياً او غافلاً او نائماً او لتبعيد المنادي عن ساحة عزة
المنادى هضماً واستقصاراً كقول الداعي في جواره يا رب يا الله مع انه اقرب اليه من ﴿حبل الوريد﴾ لتحقق الاجابة بمقتضى قوله انا عند المنكسرة
قلوبهم وقد ينادى القريب المفاطن في غير هذه الصورة بها ويكون المراد به ان الخطاب الذي يتلوه معني به جداً نحو ﴿يا ايها الذين
آمنوا﴾ ﴿يا عبادي﴾ ﴿يا ايها النبي﴾ لما يعقبها امور عظام وخطوب جسام من الاوامر والنواهي والعظات عليهم ان يتيقظوا لها ويميلوا
بقلوبهم وبصائرهم اليها واي وصلة الى نداء ما فيه الالف واللام وهو اسم مبهم يوصف باسم جنس ليتضح المقصود بالنداء مع ضرب
من التأكيد المستفاد من الابهام ثم التوضيح وحرف التنبيه المقحم فائدته معاضدة حرف النداء بتأكيد معناه ووقوعها عوضاً
مما يستحقه اي من الاضافة ثم ان قلنا ان الخطاب عام لجميع المكلفين لان الجمع المعرف باللام يفيد العموم بدليل صحة تأكيده بكل
واجمعون في مثل قوله ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون﴾ وبدليل صحة الاستثناء الا انه لا يتناول الذين سيوجدون بدليل منفصل
ما عرف بالتواتر من دين محمد ان حكم الموجودين في عصره حكم من سيوجد الى قيام الساعة وان قلنا ان الخطاب لمشركي مكة فيدخل
سائر الناس بالتبعية على قياس ما قلنا في قول العبد ﴿إياك نعبد﴾ من نسبة العبادة وذلك بان يعرف نفسه بالامكان ليعرف ربه
بالوجوب ويعرف نفسه بالذلة والمسكنة ويعرف نفسه بالمقهورية والافتقار ليعرف ربه بالقاهرية والقادرية ويعرف نفسه بالمأمورية
بالمملوكية ليعرف ربه
والذلة ليعرف ربه بالآمرية والعزة فلا يتجاوز حده ولا يعكس هذه القضايا فلا يرى لنفسه تصرفاً بوجه من الوجوه ولا قدرة
بنوع من الانواع وانما يكون عبداً ذليلاً مثلاً بين يدي مولاه مطاوعاً له يمتثل ما يأمره وينهاه لا من اذا تصور يكون سعيداً فلا بد
ان يطلب لنفسه سيداً واذا وجد السيد فلا محالة يوطن نفسه لطاعته وانقياده ولا يرى مخالفته في شيء اصلاً ﴿إذ قال له ربه أسلم
قال أسلمت لرب العالمين﴾ ولا ريب في نسبة عبودية عن الاصمعي انه رأى غلاماً يشتريه فقال له ما اسمك قال ما تسميني قال اي شيء
تأكل قال ما تطعمني قال ما تشرب قال ما تسقيني قال تريد ان اشتريك قال العبد لا يكون له ارادة والامر بالعبادة بهذا المعنى يشمل
الكافر والمؤمن وكل من له اهلية الخطاب فيتدرج فيها المبادي والنهايات والاصول والفروع ثم انه تعالى لما علم العقول البشرية في ضعف قوام
الفطرية والفكرية ارشدهم اليه ونبههم عليه بقوله ﴿ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم﴾ واعلم ان الطريق الى معرفة الواجب سبحانه
وتم بعد ما قلنا من الرجوع الى النفس في العبودية اما الامكان او الحدوث ومجموعهما وكل منهما اما في الجواهر وفي الاعراض
اما الاستدلال بامكان الذوات فاليه الاشارة بقوله تعالى ﴿والله الغني وأنتم الفقراء﴾ ﴿وأن إلى ربك المنتهى﴾ واما الاستدلال بامكان
الصفات ﴿خلق الله السماوات والأرض﴾ ﴿جعل لكم الأرض فراشاً﴾ وبحدوث الاجسام قول ابراهيم ﴿لا أحب الآفلين﴾ وبحدوث
الاعراض دلائل الانفس ودلائل الآفاق فان كل احد يعلم بالضرورة انه كان معدوماً قبل ذلك الوقت وان الموجود بعد العدم له موجد

ليس هو نفسه كالابوان ولا سائر الناس لجر الكل ولا طبائع الفصول والافلاك الا فلاك في افق الامكان فهو شيء غير متسم بسمة الحدوث
والنقصان وهذا الطريق هو اقرب الطرق الى الافهام فلهذا اورده الله تعالى فاتحة كتابه لينتفع به الخاص والعام مع ان فيه تذكير
النعم السابقة وبعثه وعطيته السابقة عليهم وعلى آبائهم وتذكير النعم مما يوجب المحبة والميل الى الانصاف وترك الجدال واما قوله
لعلكم تتقون ففيه بحثان الاول كلمة لعل للترجي والاشفاق ولا يحصلان الا عند الجهل بالعاقبة وهو على الله تعالى محال والجواب ان
الترجي راجع الى العباد لا الى الله تعالى كقوله لعله يتذكر او يخشى اي اذهبا انتما على رجائكما وطمعكما في ايمانه ثم الله عالم بما يؤول اليه امره وايضا
فمن ديدن الملوك ان يقتصروا في مواعيدهم التي يوطنون انفسهم لانجازها على ان يقولوا عسى ولعل ونحوهما ولا يبقى لطالب ما عندهم شك
في الفوز والنجاح بالمطلوب فجاء على طريق الاطماع دون التحقيق لئلا يتكل العباد مثل توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر
عنكم سيئاتكم او وقع لعل موقع المجاز لا الحقيقة لان الله عز وجل خلق عباده ليتعبدهم بالتكليف وركب فيهم العقول والشهوات و
ازاح العلة في اقدارهم وتمكينهم وهداهم النجدين واراد منهم الخير والتقوى فهم في صورة المرجو منهم ان يتقوا ليترجح امرهم وهم مختارون
بين الطاعة والعصيان كما ترجحت حال المرتجي بين ان يفعل وبين ان لا يفعل ونظيره ليبلوكم ايكم احسن عملا وهذا الجواب مبني على
ان قوله لعلكم متعلق بخلقكم مثل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون لا باعبدوا وقيل لعل بمعنى كي وحسنها انها للاطماع والكريم الرحيم اذا
اطمع فعل تجري الاطماع مجرى وعده المضمون فلهذا قيل انها بمعنى كي قال القفال لعل معنى التكرير والتاكيد اذ اللام للابتداء نحو لقد
وكقولهم عليك ان تفعل كذا وعل يفيد التكرير ومنه العلل بعد النهل يقول القائل افعل كذا لعلك تظفر بحاجتك معناه افعله فان
فعلك له يؤكد طلبك له ويقويك عليه البحث الثاني اذا كانت العبادة تقوى فقوله لعلكم تتقون جار مجرى قوله اعبدوا ربكم لعلكم
تعبدون والجواب المنع من اتحاد مفهوميهما وخصوصا على ما فسرنا اذ المعنى يعود الى قولنا صححوا نسبة العبودية لتتصفوا بصفة التقوى
وهي الاجتناب عن المعاصي فقط او هو مع الاتيان بالاوامر واما ان يكون رفعا على المدح اي هو الذي وكلمة الذي موضوعة للاشارة
الى مفرد عند محاولة تعريفه بقضية معلومة فقوله جعل لكم الارض فراشا قضية معلومة فادخل عليها الذي ليتنبهوا للجاعل و
يعرفوا به والحاصل انه تعالى عدد في هذا المقام عليهم بعض نعمه اثنين من الانفس هما خلقهم وخلق اصولهم وثلاثة من الآفاق جعل الارض
فراشا والسماء بناء والامور الحاصلة من مجموعهما وهي انزال الماء من السماء واخراج الثمرات بسببه وفي هذا الترتيب ظاهر لان اقرب
الاشياء الى الانسان نفسه ثم ما منه منشاؤه واصله ثم الارض التي هي مكانه ومستقره يقعدون عليها وينامون ويتقلبون كما يتقلب
احدهم على فراشه ثم السماء التي هي كالقبة المضروبة والخيمة المبنية على هذا القرار ثم ما يحصل من شبه الازدواج بين المقلة والمظلة من
انزال الماء عليها والاخراج به من بطنها اشباه النسل من الحيوان من الوان الغذاء وانواع الثمار رزقا لبني آدم وايضا خلق المكلفين
احياء قادرين اصل لجميع النعم واما خلق الارض والسماء فذاك انما ينتفع به بشرط حصول الخلق والحيوة والقدرة والشهوة وذكر الاصل
مقدم على ذكر الفروع وايضا كل ما في السماء والارض من الدلائل على وجود الصانع فهو حاصل في الانسان بزيادة الحيوة والقدرة
والشهوة والعقل ولما كانت وجوه الدلائل فيه اتم كان تقديمه في الذكر اهم ويتعلق بها مسائل الاولى في منافع الارض الفراش اسم لما يفرش
كالمهاد لما يمهد والبساط لما يبسط وليس من ضرورات الافتراش ان يكون سطحا مستويا كالفراش على ما ظن فسواء كانت كذا او على
شكل الكرة فالافتراش غير مستنكر ولا مدفوع لعظم جرمها وتباعد اطرافها ولكنه لا يتم الافتراش عليها ما لم تكن ساكنة في حيزها الطبيعي
وهو وسط الافلاك لان الاثقال بالطبع تميل الى التحت كما ان الخفاف بالطبع تميل الى الفوق والفوق من جميع الجوانب ما يلي السماء والتحت ما يلي المركز
فكما انه لا يستبعد صعود الارض فيما يلينا الى جهة السماء فلا يستبعد هبوطها في مقابلة ذلك لان ذلك الهبوط صعود ايضا الى السماء فاذن
لا حاجة في سكون الارض وقرارها في حيزها الى علاقة من فوقها ولا الى دعامة من تحتها بل يكفي في ذلك ما اعطاها خالقها وركز فيها
من الميل الطبيعي الى الوسط الحقيقي بقدرته واختياره ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ومما انعم به على عباده في خلق
الارض انه لم يجعلها في غاية الصلابة كالحجر ولا في غاية اللين والانغمار كالماء ليسهل النوم والمشي عليها وامكنت الزراعة واتخاذ الابنية
منها ومنها الحفر للآبار واجراء الانهار ومنها ان لم تخلق في نهاية اللطافة والشفيف ليستقر الانوار عليها وتتسخن منها فيمكن جوارها و
منها انه جعلت بارزة بعضها من الماء مع ان طبعها الغوص فيه لتصلح لتعيش الحيوانات البرية عليها وسبب انكشاف ما برز منها وهو قدر
من ربعها ان لم تخلق صحيحة الاستدارة بل خلقت على كيفية بحيث اذا انجذب الماء بطبعه الى المواضع الغائرة والمنخفضة منها بقي شيء منها
مكشوفا وصار مجموع الارض والماء بمنزلة كرة واحدة يدل على ذلك فيما بين الخافقين تقدم طلوع الكواكب وغروبها للمشرقيين على طلوعها
وغروبها للمغربيين وفيما بين الشمال والجنوب ازدياد ارتفاع القطب الظاهر وانحطاط الخفي للواغلين في الشمال وبالعكس للواغلين في الجنوب
وتركب الاختلافين لمن يسير على سمت بين السمتين الى غير ذلك من الاعراض الخاصة بالاستدارة يستوي في ذلك راكب البر وراكب البحر
ونتوء الجبال وان شمخت لا يخرجها عن اصل الاستدارة لانها بمنزلة الخشونة القادحة في ملامسة الكرة لا في استدارتها ومنها الاشياء المتولدة

فيها من المعادن والنبات والحيوان والآثار العلوية والسفلية ولا يعلم تفاصيلها الا موجدها ومنها ان يتحرك بطبعه فيحصل التماسك بين
ابدان المركبات ومنها اختلاف بقاعها في الرخاوة والصلابة والدماثة والوعورة بحسب اختلاف الاغراض والحاجات وفي الارض
قطع متجاورات ومنها اختلاف الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ومنها انصداعها بالنبات والارض
ذات الصدع ومنها جذبها للماء المنزل من السماء وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض ومنها العيون والانهار والعظام
التي فيها والارض مددناها ومنها انها كالطبع الكريم والسماحة تأخذ واحدة وترد سبعمائة كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة
مائة حبة ومنها حيوتها وموتها وآية لهم الارض الميتة احييناها ومنها الدواب المختلفة وبث فيها من كل دابة ومنها النبات
المتنوعة وانبتنا فيها من كل زوج بهيج مختلف الوانها والاثمار المختلفة طعومها والوانها واختلاف روائحها والاشياء فيها قوت البشر
ومنها قوت البهائم كلوا وارعوا انعامكم ومنها الطعام والادام ومنها الدواء ومنها الفواكه ومنها كسوة البشر نباتية كالقطن والكتان
وحيوانية كالشعر والصوف والابريسم والجلود ومنها الاحجار المختلفة بعضها للزينة وبعضها للابنية فانظر الى الحجر الذي يستخرج منه النار
مع كثرته وانظر الى الياقوت الاحمر مع عزته وانظر الى كثرة النفع بذاك الحقير وقلة النفع بهذا الخطير ومنها ما اودع الله تعالى فيها من المعادن
الشريفة كالذهب والفضة ثم تأمل ان البشر استنبطوا الحرف الدقيقة والصنائع الجليلة واستخرجوا السمك من قعر البحر واستنزلوا الطير
من اوج الهواء لكن عجزوا عن اتخاذ الذهب والفضة والسبب فيه ان معظم فائدتهما ترجع الى الثمنية وهذه الفائدة لا تحصل الا عند العزة و
القدرة على اتخاذهما تبطل هذه الحكمة فلذلك ضرب الله دونهما بابا مسدودا ومن هنا اشتهر في الالسنة من طلب المال بالكيميا
افلس ومنها ما يوجد على الجبال والاراضي من الاشجار الصالحة للبناء والسقف والحطب وما اشد الحاجة اليه في الخبز والطبخ ولعل ما تركنا
من المنافع اكثر مما عددناه فاذا تأمل العاقل هذه الغرائب والعجائب عرف ان لها مدبرا حكيما ومقدرا عليما ان كان ممن يسمع ويعي ويبصر ويعتبر
الثانية في منافع السماء البناء مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء وابنية العرب اخبيتهم ومنه بنى على امرأته لانهم كانوا اذا تزوجوا
ضربوا عليها خباء جديدا ثم ان الله تعالى زين السماء بالمصابيح ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وبالقمر وجعل القمر فيهن نورا و
جعل الشمس سراجا وبالعرش رب العرش العظيم وبالكرسي وسع كرسيه السموات والارض وباللوح في لوح محفوظ وبالقلم ن
والقلم وبين انها سقفا محفوظا وسبعا شدادا وذكر انه خلقها مشتملة على حكم بليغة وغايات صحيحة ربنا ما خلقت هذا
باطلا وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا وجعلها مصعد الاعمال ومهبط الانوار وقبلة الدعاء و
محل الضياء والصفاء وجعل لونها انفع الالوان وهو المستنير وشكلها افضل الاشكال وهو المستدير وجعل نجومها رجوما للشياطين و
علامات يهتدى بها في ظلمات البر والبحر وخص الشمس بطلوعها ليتمهل معه التقلب لقضاء الاوطار في الاطراف وغروبها ليصلح معه الهدوء
والقرار في الاكناف لتحصيل الراحة وانبعاث القوة الهاضمة وتنفيذ الغذاء الى الاعضاء ولولا الطلوع لانجمد الماء وغلبت البرودة
والكثافة وافضت الى خمود الحرارة الغريزية ولولا الغروب لحميت الارض حتى يحترق كل من عليها من حيوان ونبات فهي بمنزلة
سراج يوضع لاهل بيت بمقدار حاجتهم ثم ترفع عنهم ليستقروا ويستريحوا فصار النور والظلمة على تضادهما متظاهرين على ما فيه صلاح
قطان الارض ومنها انه كان الله تعالى يقول لو وقفت الشمس في جانب من السماء فالغني يرتفع بها مشتغلا وكونها للفقير ربما لا يصل النور
الى الفقير لكني ادير الفلك واسيرها حتى يجد الفقير نصيبه كما وجد الغني نصيبه ثم ارتفاع الشمس وانحطاطها فقد جعله الله سببا لاقامة الفصول
الاربعة ففي الشتاء تغور الحرارة في الشجر والنبات فيتولد منه مواد الثمار ويتلطف الهواء فيكثر السحاب والمطر ويقوى ابدان الحيوان
بسبب احتقان الحرارة الغريزية في البواطن وفي الربيع يتحرك الطبائع وتظهر المواد المتولدة في الشتاء ويتور الشجر ويهيج الحيوان للسفاد وفي
الصيف يحتدم الهواء فينضج الثمار ويتحلل فضول الابدان ويجف وجه الارض ويتهيأ للعمارة والزراعة وفي الخريف يظهر البرد واليبس
فيدرك الثمار ويستعد الابدان قليلا قليلا للشتاء واما القمر فهو تلو الشمس خليفتها وبه يعلم عدد السنين والحساب وضبط المواقيت
الشرعية ومنه تحصيل النماء والرواء وقد جعل الله تعالى في طلوعه مصلحة وفي غيبته مصلحة يحكى ان اعرابيا نام عن جمله ليلا ففقده
فلما طلع القمر وجده فنظر الى القمر فقال ان الله صورك ونورك وعلى البروج دورك فاذا شاء نورك واذا شاء كورك فلا اعلم مزيدا
اسئله لك ان اهديت الي سرورا فقد اهدى الله اليك نورا ثم انشأ يقول شعرا ماذا اقول وقولي فيك ذو قصر وقد كفيتني التفصيل
والجملا ان قلت لا زلت مرفوعا فانت كذا او قلت زانك ربي فهو قد فعلا وقد كان في اعراب من بني تميم القمر يقول القمر يهتك
الهارب ويهلك العاسق ويبلي الكتان ومن عجائب شأنه ما يتعلق بكر الاحقاب يقرب البعيد ويبلي الجديد ويأتي بالحين وكيفية ارتباط القمر وسائر
الكواكب بالشمس وكيفية حركتها وبيان اختلافاتها واوضاعها وعلل كل منها فن برأسه لا يحتمل ايراده ههنا قال الجاحظ اذا تأملت
في هذا العالم وجدته كالبيت المعد فيه كل ما يحتاج اليه فالسماء مرفوعة كالسقف والارض ممدودة كالبساط والنجوم منضودة في
مصابيحه كالمصابيح والانسان كمالك البيت المتصرف فيه وضروب النبات مهيآت لمنافعه وصنوف الحيوان مصروفة في مصالحه

الدنيا

فهذه جملة واضحة الدلالة على ان العالم مخلوق بتدبير كامل وتقدير شامل وحكمة بالغة وقدرة غير متناهية المسئلة في ان السماء افضل ام الارض
قال بعضهم السماء افضل لانها متعبد الملائكة وما فيها بقعة عصى الله فيها ولما اتى آدم عم بتلك المعصية اهبط من الجنة وقال الله تعالى
لا يسكن في جواري من عصاني وقال تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقال تبارك الذي جعل في السماء بروجا وورد في الاكثر
ذكر السماء مقدما على ذكر الارض والسموات مؤثرة والارضيات متأثرة والمؤثر اشرف من المتأثر وقال آخرون بل الارض افضل لانه
تعالى وصف بقاعا من الارض بالبركة ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا في البقعة المباركة الى المسجد الاقصى الذي باركنا
حوله مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها يعني ارض الشام ووصف جملة الارض بالبركة وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في
اربعة ايام فان قيل واي بركة في المفاوز المهلكة قلنا انها مساكن الوحوش ومرعاها ومساكن الناس اذا احتاجوا اليها ومساكن خلق
لا يعلمهم الا الله تعالى فلهذه البركات قال تعالى وفي الارض آيات للموقنين تشريفا لهم لانهم المنتفعون بها كما قال هدى للمتقين وخلق الانبياء
من الارض منها خلقناكم واودعهم فيها وفيها نعيدكم واكرم نبيه المصطفى فجعل الارض كلها له مسجدا وطهورا ولما خلق الله الارض
وكانت كالصدفة والدرة المودعة فيها آدم عم واولاده ثم علم الله اصناف حاجاتهم قال يا آدم لا احوجك الى شيء غير هذه الارض التي
هي لك كالام فقال انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم يا عبدي
ان اعز الاشياء عندك الذهب والفضة ولو اني خلقت الارض منهما هل كان يحصل منها هذه المنافع ثم جعلت هذه الاشياء في الدنيا
مع انها سجن لك فكيف الحال في الجنة فالحاصل ان الارض ام بل اشفق من الام لان الام تسقيك نوعا واحدا من اللبن والارض تطعمك
الوانا من الاطعمة ثم قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم معناه يردكم الى هذه الام وهذا ليس بوعيد لان المرء لا يتوعد بامه وذلك لان مقامك
من الام التي ولدتك مقام يوم ومقامك من الارض ثم انك كنت في بطن الام تسعة اشهر فما مسك جوع ولا عطش فكيف اذا دخلت بطن الام
الكبرى ولكن الشرط ان تدخل بطن الام الكبرى كما كنت في بطن الام الصغرى ما كانت لك زلة فضلا من ان يكون لك كبيرة بل كنت مطيعا
لله بحيث عالة مرة بالخروج الى الدنيا خرجت اليها بالرأس طاعة منك لربك اليوم يدعوك سبعين مرة الى الصلوة فلا تجيبه برجلك
ثم بعدمعنى اخراج الثمرات بالماء وانما خرجت بقدرته ومشيته بانه جعل الماء سببا في خروجها ومادة لها كالنطفة في خلق الولد
وهو قادر على انشاء الاشياء بلا اسباب ومواد كما انشأ نفوس الاسباب والمواد ولكن له في هذا التدريج والتسبب حكم يتبصر بها من يتبصر
ويتعظ بها من يتعظ ومن في من الثمرات للتبعيض لانه قصد بتنكير ماء ورزقا معنى البعضية لانه قيل وانزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهذا معنى صحيح لانه لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر جميع
الثمرات ولا جعل الرزق كله من الثمرات فيكون كل الثمر بعض الرزق فضلا عن بعضها ويجوز ان تكون للبيان كقولك انفقت من الدراهم
الفا ثم ان كانت من للتبعيض كان انتصاب رزقا بانه مفعول له وان كانت للبيان كان مفعولا لاخرج ولكم صفة جارية على الرزق ان اريد به
العين وان جعل مصدرا فهو مفعول به كانه قيل رزقا اياكم وانما قيل الثمرات على لفظ القلة وان كان الثمر المخرج بماء السماء جما كثيرا لانه
قصد بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك فلان ادركت ثمرة بستانه تريد ثماره كقولهم للقصيدة كلمة وللقرية مدرة ولان القلة
وضعت موضع الكثرة نحو ثلثة قروء او تنبيها على قلة ثمار الدنيا في جنب ثمار الآخرة التي لا تتناهى قوله فلا تجعلوا اما ان يتعلق بالامر
اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له اندادا لان اصل العبادة واساسها التوحيد لان لا يجعل لله ندا ولا شريك وبلعل فنصب تجعلوا بعده
مثل لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع في رواية حفص عن عاصم او بالذي جعل لكم اذا رفعته على الابتداء اي هو الذي
نصب لكم هذه الادلة القاطعة والآيات الساطعة بالوحدانية فلا تتخذوا له شركاء والند المثل ولا يقال الا للمثل المخالف المناوي
من نادت الرجل خالفته ونافرته وند ندودا اذا نفر ومعنى قول الموحد ليس لله ند لا ضد نفي ما يسد مسده ونفي ما ينافيه قوله وانتم تعلمون
متروك المفعول معناه وانتم من اهل العلم والمعرفة بدقائق الامور وغوامض الاحوال وهكذا كانت العرب خصوصا قطان الحرم من قريش
وكنانة لا يشق غبارهم في الدهاء والفطنة والتوبيخ فيه اكد اي انتم العارفون المميزون ثم ما انتم عليه في امر دياناتكم من جعل الاصنام لله
اندادا هو غاية الجهل ونهاية سخافة العقل ويجوز ان يقدر وانتم تعلمون انه لا يماثل وانتم تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت وانتم تعلمون
انها لا تفعلون مثل افعاله كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء واعلم انه ليس في العالم احد يثبت لله شريكا يساويه في
الوجوب والعلم والقدرة والحكمة ولكن الثنوية يثبتون الهين حكيم يفعل الخير وسفيه يفعل الشر اما اتخاذ معبود سوى الله ففي الذاهبين
اليه كثرة الفريق الاول عبدة الكواكب وهم الصابئة فانهم يقولون ان الله تعالى فوض تدبير هذه العالم الى الكواكب فهي المدبرات فيجب علينا ان
نعبد الكواكب والكواكب تعبد الله تعالى والفريق الثاني عبدة المسيح عم والفريق الثالث عبدة الاوثان ونقول لا دين اقدم من دين عبدة
الاوثان لان اقدم الانبياء الذي نقل الينا تاريخهم هو نوح عم وهو انما جاء بالرد عليهم وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا
سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ودينهم باق الى الآن والدين الذي هذا شانه يستحيل ان يعرف فساده بالضرورة ولكن العلم بان هذا

النجم المنحوس في هذه الساعة ليس هو الذي خلقني وخلق السماء والارض فيمتنع اطباق الجمع العظيم عليه فوجب ان يكون لهم غرض آخر سوى ذلك
والعلماء ذكروا فيه وجوها احدها ما ذكره ابو معشر جعفر بن محمد المنجم البلخي ان كثيرا من اهل الصين والهند كانوا يقولون بالله وملائكته
ويعتقدون انه تعالى جسم وذو صورة كاحسن ما يكون من الصور وكذا الملائكة وانهم كلهم قد احتجبوا عنا بالسماء وان الواجب عليهم ان يصوغوا
تماثيل انيقة المنظر على الهيئة التي كانوا يعتقدونها من صور الاله والملائكة فيعكفون على عبادتها قاصدين به طلب الزلفى الى الله تعالى و
ملائكته فعلى هذا السبب في عبادة الاوثان هو اعتقاد التشبيه ثانيها ما ذكره اكثر العلماء وهو ان الناس لما رأوا تغيرات احوال هذا العالم
مربوطة بتغيرات احوال الكواكب واعتقدوا ان السعادة والنحوسة في الدنيا بكيفية وقوعها في طوالع الناس بالغوا في تعظيمها فمنهم من اعتقد
انها واجبة الوجود لذواتها وهي التي خلقت هذه العوالم ومنهم من اعتقد انها مخلوقة لله الاكبر لكنها خالقة لهذا العالم وانها الوسائط بين الله
والبشر فلا جرم اشتغلوا بعبادتها والخضوع لها ثم لما رأوا الكواكب مستترة في اكثر الاوقات عن الابصار اتخذوا لها اصناما واقبلوا على عبادتها
قاصدين بتلك العبادة تلك الاجرام العالية ومتقربين الى اشباحها الغائبة ولما طالت المدة تركوا ذكر الكواكب بتجرد والعبادة تلك التماثيل
فهؤلاء بالحقيقة عبدة الكواكب ثالثها ان اصحاب الاحكام كانوا يعينون اوقاتا في السنين المتطاولة نحو الالف والالفين ويزعمون
ان من اتخذ طلسما في ذلك الوقت على وجه خاص فانه ينتفع به في احوال مخصوصة نحو السعادة والخصب ودفع الآفات فكانوا اذا اتخذوا ذلك
الطلسم عظموه لاعتقادهم انهم ينتفعون به فلما بالغوا في ذلك التعظيم صار ذلك كالعبادة ثم نسوا مبدأ الامر بطول المدة واشتغلوا بعبادتها
في ذلك التعظيم ورابعها انه متى مات منهم رجل كبير يعتقدون فيه انه مستجاب الدعوة مقبول الشفاعة عند الله تعالى اتخذوا صنما على صورته
وعبدوها على اعتقاد ان ذلك الانسان يكون شفيعا لهم يوم القيمة عند الله تعالى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وخامسها لعلهم
اتخذوها قبلة لصلواتهم وطاعاتهم ويسجدون اليها لا لها كما انا نسجد الى القبلة لا للقبلة ولما استمرت هذه الحالة ظن جهال القوم انه يجب عبادتها
وسادسها لعلهم كانوا من المجسمة فاعتقدوا جواز حلول الرب فيها فعبدوها على هذا التأويل فهذه هي الوجوه التي يمكن حمل مذهبهم عليها
حتى لا يصير بحيث يعلم بطلانه بالضرورة فان قيل لما رجع حاصل مذهب عبدة الاوثان الى الوجوه التي ذكرت فما وجه المنع عنها قلنا لما
تقربوا اليها وعظموها وسموها آلهة اشبهت حالهم حال من يعتقد انها آلهة مثله قادرة على نحو الضر والمضادة فقيل لهم ذلك على سبيل
التهكم وكأنه تهكم بهم بلفظ الند شنع عليهم واستفظع شأنهم بان جعلوا اندادا كثيرة لمن لا يصح ان يكون له ند قط ولا يفيد في طريق عبادته
الا الحنيفية والاخلاص ورفع الوسائط من البين واعلم ان اليونانيين كانوا قبل خروج الاسكندر عمدوا الى بناء هياكل لهم معروفة باسماء
القوى الروحانية والاجرام النيرة واتخذوها معبودة لهم على حدة وقد كان هيكل العلة الاولى وهو عندهم الامر الالهي وهيكل العقل الصريح
وهيكل السياسة المطلقة وهيكل النفس والصورة مدورات كلها وكان هيكل زحل مسدسا وهيكل المشتري مثلثا وهيكل المريخ مستطيلا
وهيكل الشمس مربعا وهيكل الزهرة مثلثا في جوفه مربع وهيكل عطارد مثلثا في جوفه مستطيل وهيكل القمر مثمنا وزعم اصحاب
التاريخ ان عمرو بن لحي لما ساد قومه وترأس على طبقاتهم وولي امر البيت الحرام اتفقت له سفرة الى البلقاء فرأى قوما يعبدون الاصنام فسألهم
عنها فقالوا هذه ارباب نستنصرها فتنصرنا ونستسقي بها فنسقى فالتمس منهم ان يكرموه بواحد منها فاعطوه الصنم المعروف بهبل فسار
به الى مكة ووضعه في الكعبة ودعا الناس الى تعظيمه وذلك في اول ملك شابور ذي الاكتاف ومن بيوت الاصنام المشهورة غمدان الذي
بناه الضحاك على اسم الزهرة بمدينة صنعاء وخربه عثمان بن عفان ومنها نوبهار الذي بناه سلطان منوجهر الملك على اسم القمر ثم كان
لقبائل العرب اوثان معروفة مثل ود بدومة الجندل لكلب وسواع لبني هذيل ويغوث لمذحج ويعوق لهمدان ونسر بارض حمير لذي الكلاع واللات
بالطائف لثقيف ومناة بيثرب للخزرج والعزى لكنانة بنواحي مكة واساف ونائلة على الصفا والمروة وكان قصي جد رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهاهم عن
عبادتها ويدعوهم الى عبادة الله سبحانه وتعالى وكذلك زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق قومه وهو الذي يقول شعر اربا واحدا ام
الف رب ادين اذا تقسمت الامور تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل البصير ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا
عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا
النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾

و اگر باشید در شک از آنچه فرستادیم بر بنده خود پس بیارید یک سوره مانند آن و بخوانید گواهان خود را اگر هستید راستگویان پس اگر نکنید و هرگز نخواهید کرد پس بترسید از آتشی که هیزم آن مردم اند و سنگهای کبریت آماده کرده شده است برای کافران

القراءة ما يميلون ... منهم الجمع من امالة الناس بجر حمزة الوقوف من
مثله صادقين ج الحجارة ج على تقدير هي اعدت للكافرين والوصل اجود لان قوله اعدت بدل الجملة الاولى كونها صلة للتي للكافرين ه
التفسير لما بين في الآيتين السابقتين على طريق الاعتراف بوجود الصانع ووحدانيته اعقبهما بما يدل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وحجته التي
عليه وما ذكر في كون القرآن معجزا طريقان الاول انه اما ان يكون مساويا لكلام سائر الفصحاء او زائدا عليه بما لا ينقض العادة
او بما ينقضها والاولان باطلان لانهم وهم رؤساء وملوك الكلام تحدوا بسورة منه مجتمعين او منفردين ثم لم يأتوا بها مع انهم كانوا اشد

في ابطال امره حتى بذلوا النفوس والاموال وارتكبوا المخاوف والمحن كانوا في الحمية والانفة الى حد لا يقبلون الحق كيف الباطل فثبت القسم الثاني
الطريق الثاني ان يقال ان بلغت السورة المتحدى بها في الفصاحة الى حد الاعجاز فقد حصل المقصود والا فامتناعهم من المعارضة مع
شدة دواعيهم الى توهين امره معجز فعلى التقديرين يحصل الاعجاز فان قيل فما يدريك انه لن يعارض في مستأنف الزمان وان لم يعارض
الى الآن قلت لانه لا احتياج الى المعارضة اشد مما في وقت التحدي الا انه لزم تقرير المبطل المشبه بالحق وحيث لم تقع المعارضة وقت التحدي علم
ان لا معارضة والى هذا اشار سبحانه بقوله ولن تفعلوا كما يجيء واعلم ان شأن الاعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة
الوزن تدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحة ومدرك الاعجاز هو الذوق ومن الاعجاز ما هو صرف الله تعالى البشر عن معارضته او بانه هو
كون اسلوبه مخالفا لاساليب الكلام او بانه هو كونه مبرأ عن التناقض او بكونه مشتملا على الاخبار بالغيوب مما ينخرط في سلك هذه
الآراء فقد كذب ابن اخت خالته فانا نقطع ان الاستغراب من سماع القرآن انما هو من اسلوبه ونظمه المؤثر في القلوب تأثيرا لا يمكن
انكاره لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد لا من صرف الله تعالى البشر عن الاتيان بمثله كما لو قال العبد معجزتي ان اضع الساعة يدي على
راسي ويتعذر ذلك عليكم وكان كما قال لجاء الاستغراب من التعذر لا من نفس الفعل ولزم تسمية كل اسلوب غريب معجزا بالمثل وكذا التسمية
كل كلام مبرأ عن التناقض او مشتمل على الغيب ككلام الكهان ونحوهم فان قيل كيف نعتقد اعجاز القرآن بحيث يعجز عنه الثقلان فقط
والزائد عليه غير معلوم الحال او بحيث يعجز عنه المخلوقات باسرها قلنا لا ريب ان الحق هو القسم الثاني الا ان التحدي لم يقع الا بالقدر الاول وبه
يثبت صحة النبوة لكن النبي صادق وقد اخبر بانه كلام الله تعالى ونحن نعلم ان كلام صفته يجب ان يكون في غاية الكمال ونهاية الجلال فالقرآن اذن
في غاية البلاغة ونهاية الفصاحة والبلاغة بلوغ المتكلم حدا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها وايراد انواع التشبيه والمجاز والكناية
على وجهها وهي فيما كانها مبنية الجامعية حاصلة من معرفة قوانين علم المعاني والبيان والفصاحة اما معنوية وهي خلوص الكلام عن التعقيد
والتعقيد ان يعثر صاحبك فكرك في متصرفه ويشك طريقك الى المعنى ويوعر مذهبك نحوه حتى يقسم فكرك ويشعب ظنك فلا تدري
من اين توصل واي طريق معناه يتحصل واما لفظية وهي ان تكون الكلمة عربية اصلية وعلامة ذلك ان تكون على السنة الفصحاء من
العرب الموثوق بعربيتهم ادور واستعمالهم لها اكثر وان تكون اجرى على قوانين اللغة العربية وان تكون سليمة عن التنافر عذبة على العذبة
سلسة على الاسلات والحاكم في ذلك هو الذوق السليم والطبع المستقيم فقلما يجمع هنالك الا ذلك ثم انه قد اجتمع في القرآن وجوه كثيرة
تقتضي نقصان الفصاحة ومع ذلك فانه بلغ في الفصاحة النهاية التي لا غاية وراءها فدل ذلك على كونه معجزا منها ان فصاحة العرب اكثرها
في وصف المشاهدات كبعير وفرس وجارية وملك وضربة او طعنة او وصف حرب او وصف غارة وليس في القرآن من هذه الاشياء مقدار كثير
ومنها انه تعالى راعى طريق الصدق وتبرأ عن الكذب وقد قيل احسن الشعر اكذبه ولهذا كان لبيد بن ربيعة وحسان بن ثابت لما اسلما وتركا سلوك
سبيل الكذب والتخييل ركت شعرهما ومنها ان الكلام الفصيح والشعر الفصيح انما يتفق في بيت وبيتين من قصيدة والقرآن كله فصيح بكل جزء
منه ومنها ان الشاعر الفصيح اذا كرر كلامه لم يكن الثاني في الفصاحة بمنزلة الاول وكل مكرر في القرآن فهو في نهاية الفصاحة وغاية الملاحة
شعر: اعد ذكر نعمان لنا ان ذكره : هو المسك ما كررته يتضوع : ومنها انه اقتصر على ايجاب العبادات وتحريم المنكرات والحث على مكارم
الاخلاق والزهد في الدنيا والاقبال على الآخرة ولا يخفى ضيق عطن البلاغة في هذه المواد ومنها انهم قالوا ان شعر امرئ القيس يحسن
في النساء وصفة الخيل وشعر النابغة عند الحرب وشعر الاعشى عند الطرب ووصف الخمر وشعر زهير عند الرغبة والرجاء والقرآن جاء فصيحا
في كل فن من فنون الكلام فانظر في الترغيب الى قوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وفي الترهيب وخاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم
ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت وفي الزجر فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا
عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من اغرقنا وفي الوعظ افرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم
ما كانوا يمتعون وفي الالهيات الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير
المتعال ومنها ان القرآن اصل العلوم كلها كعلم الكلام وعلم اصول الفقه وعلم الفقه واللغة والنحو والصرف والنجوم والمعاني والبيان وعلم
الاحوال وعلم الاخلاق وما شئت ومن يطيق وصف القرآن وبلاغته فلما كان الاتيان باقصر سورة منه فوق حد البشر فوصفه كما هو فوق
طاقة البشر شعر فدع عنك بحرا ضل فيه السوابح : وانما قيل وان كنتم دون اذ كنتم لما عرفت وتنكير ريب فيه وانما قيل نزلنا على لفظ التنزيل
دون الانزال لان المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من مجازه فلكان التحدي ذلك انهم كانوا يقولون لو انزله الله لانزله جملة واحدة
وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة اي على خلاف ما نرى عليه اهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقا شيئا
فشيئا حينا فحينا حسب ما يعن لهم من الاحوال المتجددة والحاجات النازلة فقيل لهم ان ارتبتم في هذا الذي وقع انزاله هكذا على مهل وتدريج فهاتوا
انتم نوبة واحدة من نوبه وهلم نجما من نجومه اصغر سورة وهي الكوثر ومعنى السورة مذكور في المقدمة الخامسة وانما قيل على عبدنا دون
ان يقال على محمد كقوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد تشريفا له وتنبيها على انه ممن صح نسبته العبودية المأمور بها

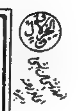

في قوله يا ايها الناس اعبدوا واضافة العبد الى الضمير تنويه وتنبيه وذلك كقوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وفيه ان السعادة كل السعادة
في نسبة العبدية التي توصل الى العندية في مقعد صدق عند مليك مقتدر وانا عند المنكسرة قلوبهم لاجلي وكمال العندية في كمال الحرية
عما سوى الله واما فائدة تفصيل القران وتقطيعه سورا فمن ذلك ان الجنس اذا انطوت تحته انواع واشتمل الانواع على الاصناف كان افراد
كل صنف احسن ولهذا وضع المصنفون كتبهم على الابواب والفصول ونحوها ومنها ان القارئ اذا ختم سورة او بابا من الكتاب ثم اخذ في اخر كان
انشط له كالمسافر اذا قطع ميلا او طوى فرسخا ومن ثم جزءوا القران اسباعا واجزاء وعشورا واخماسا ومنها ان الحاذق اذا حذق السورة اعتقد
انه اخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها فيجل في نفسه ومنه حديث انس كان الرجل اذا قرأ البقرة وال عمران جد فينا ولهذا كانت القراءة
في الصلوة بسورة تامة افضل ومن مثله متعلق بصفة اي بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا او لعبدنا ويجوز ان يتعلق بقوله فأتوا
والضمير للعبد معناه فاتوا بسورة مما هو على صفته في البيان الغريب والنظم الانيق او فاتوا ممن هو على حاله من كونه بشرا عربيا او اميا لم
يقرأ الكتب ولم يقصد الى مثل ونظير معين ولكنه كقول من قال للحجاج وقد توعده بقوله لاحملنك على الادهم مثل الامير حمل على الادهم والاشهب
اراد من كان على صفة الامير من السلطان والقدرة وبسط اليد ولم يقصد احدا يجعله مثل الحجاج ورد الضمير على المنزل اوجه وعليه المحققون
ويروى عن عمر وابن مسعود وابن عباس والحسن لان ذلك يطابق الايات الاخر فاتوا بسورة مثله فاتوا بعشر سور مثله ولان البحث انما وقع
في المنزل عليه لا المنفي وان ارتبتم ان القران منزل من عند الله فهاتوا انتم شيئا مما يماثله ولو كان الضمير مردودا الى الرسول لاقتضى الترتيب
ان يقال وان ارتبتم في ان محمدا منزل عليه فاتوا بسورة ممن يماثله ولانه لو كان عائدا الى القران اقتضى ان يكونوا عاجزين عن الاتيان بمثله
مجتمعين ومتفرقين اميين او قارئين ولو عاد الى النبي اقتضى ان يكون الشخص الواحد الامي الذي هو مثله عاجزا ولا شك ان الاعجاز على
الوجه الاول اقوى ولاسيما فانه يلزم من الوجه الثاني تقرير نقص للنبي وايهام ان الاتيان بالقران ممن يكون قارئا ممكن وايضا الاول
هو الملائم لقوله وادعوا شهداءكم اذ لو كان المراد فليأت واحد اخر بنحو ما اتى به هذا الواحد لم يحتج ان يستظهر بالشهداء وهي جمع
بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة والمراد بها اما الصنم كانه قيل ان كان الامر كما تقولون من انها تستحق العبادة لما انها تنفع وتضر فقد وقعتم
في منازعة محمد ومخالفة شديدة فتحلوا الاستعانة بها والا فاعلموا انكم مبطلون فيكون في الكلام محاجة من جهتين من جهة ابطال كونها الهة
ما انكروه من اعجاز القران واما اكابرهم ورؤساؤهم اي ادعوهم ليعينوكم على المعارضة او ليحكموا لكم وعليكم ومعنى دون ادنى مكان من الشيء
ومنه الشيء الدون وهو الحقير ووزن الكتب ادلجها بتقليل الشامة بينهما ويقال هذا دون ذلك اذا كان احط منه قليلا ودونك هذا اي
خذه من دونك اي من ادنى مكان منك فاختصر واستعير للتفاوت في الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو في الشرف والعلم ومنه قول من قال
لعدوه وقد كان ثنى عليه انا دون هذا وفوق ما في نفسك ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطي حكم الى حكم قال الله تعالى
لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين اي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين ومن دون الله متعلق بشهداءكم
او بادعوا وعلى الاول يحتمل ثلثة معان ادعوا الذين اتخذتموهم الهة من دون الله وزعمتم انهم يشهدون لكم يوم القيمة انكم على الحق وادعوا
الذين زعمتم انهم يشهدون لكم بين يدي الله من قول الاعشى شعر تريك القذى من دونها وهي دونه اي تريك القذى قدام الزجاجة
والحال انها قدام القذى لرقتها وصفائها وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد الذي لا ينطق في معارضة القران المعجز بفصاحته غاية التهكم
بهم او ادعوا شهداءكم من دون الله اي من دون اولياءه ومن غير المؤمنين ليشهدوا لكم انكم اتيتم بمثله وهذا من المساهلة وارخاء العنان
والاشعار بان شهداءهم وهم فرسان البلاغة تأبى عليهم الطباع وتجحدهم الانسانية والانفة ان يرضوا لانفسهم الشهادة بصحة الفاسد و
على الثاني يحتمل معنيين ادعوا من دون الله شهداءكم يعني لا تستشهدوا بالله ولا تقولوا الله يشهد انما ندعيه حق كما يقوله
العاجز عن اقامة البينة على صحة دعواه وادعوا الشهداء من الناس الذين شهادتهم ظاهرة يصحح بها الدعاوى عند الحكام وهذا تعجيز لهم و
بيان لانقطاعهم وانخزالهم وان الحجة قد بهرتهم ولم تبق لهم متشبثا غير قولهم الله يشهد انا لصادقون سئل بعض العرب عن نسبه فقال قرشي
والحمد لله فقيل له قولك الحمد لله في هذا المقام ريبة او المراد بالشهداء الله تعالى وكل من له اهلية الحضور من الجن والانس كانه قيل ادعوا غير الله
من الجن والانس من دونهم كقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن الاية وانما استثنى الله لانه القادر وحده على ان ياتي بمثل دون كل شاهد وعلم
ان التحقيق في العبد وان النبي يقول اني مخصوص من الله تعالى بمزيد الكرامة والنور وجعلني واسطة بينكم وبين هدايتكم فاتبعوا اهدكم
سبيل الخير والرشاد وان كنتم في ريب مما اقول فانظروا الى هذا الذي قد جعله بالطافه الله تعالى ابا علي فانكم لا تقدرون عليه لعدم
اقداره لتعرفوا اني خصصت بمزيد فضل من عنده واني صادق فيما اقول فان انصفوا من انفسهم بمشيئة الله تعالى وتوفيقه اتبعوني
واهتدوا والا بقوا في الضلال متلاشين كل هذا من غرائب الاساليب التي يعتبر بها الوقائع والحوادث حسب الزمان ولا يلزم من هذا ان يكون العبد
قدوة مستقلة يقع الاتكال عليها بل الله يهدي من يشاء وكل يعلمه وقوله ان كنتم صادقين قيل متعلق بقوله فاتوا او بقوله وادعوا لان قوله فاتوا معقد
بقوله وان كنتم وجواب الشرط الثاني محذوف لدلالة ما قبله عليه وهو مثله على التقدير وان كنتم في ريب فاتوا وان كنتم صادقين في انه من كلامكم

تعنتكم او فى ان القران غير معجز فادعوا شهداءكم وانما قلنا الجواب محذوف لان الجزاء لا يتقدم على الشرط فان للشرط صدر الكلام كالاستفهام
ولهذا لم يلزم الفاء فى قولك انت مكرم ان جئتنى وانما تقدم ما يدل عليه ومثله فى القران كثير فاعتبره فى كل موضع واما قوله فان لم تفعلوا ولن
الاية فاقول لا شك انها تدل على اعجاز القران وصحة نبوة محمد ﷺ من وجوه احدها انا نعلم بالتواتر ان العرب كانوا ابعاد وغرة اشد المعادات
وبتها الكون فى ابطال امره وفراق الاوطان والعشيرة وبذل النفوس والمهج من اقوى ما يدل على ذلك فاذا انضاف اليه مثل هذا التقريع و
قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فلو امكنهم الاتيان بمثله لاتوا به وحيث لم ياتوا به ظهر كونه معجزا وثانيها انه ﷺ ان كان متهما عندهم
فيما يتعلق بالنبوة فقد كان معلوم الحال فى وفور العقل فلو خاف عاقبة امره لتهمة غيره حاشاه عن ذلك لم يبالغ فى التحدى الى هذه
الغاية وثالثها انه لو لم يكن قاطعا بنبوته لكان يجوز خلافه وبتقدير وقوع خلافه يظهر كذبه فالمبطل المزور لا يقطع فى الكلام قطعا
وحيث جزم دل على صدقه ورابعها ان قوله ولن تفعلوا ولن تاكيد بليغ فى نفى المستقبل الى يوم الدين اخبار بالغيب وقد وقع كما قاله لان احدا
لو عارضه لم يمتنع ان يتواضعه الناس ويتناقلوه عادة لاسيما والطاعنون فيه اكثف عددا من الذابين عنه واذا لم يقع المعارضة
الى الان غلب على الظن بل حصل الجزم انها لا يقع ابدا لاستقرار الاسلام وقلة شوكة الطاعنين وانما جئ بان الذى للشك دون اذا الذى
للوجوب فى القطع مع ان انتفاء اتيانهم بالسورة واجب بناء على حسبانهم وطمعهم فانهم كانوا بعد غير جازمين بالعجز عن المعارضة لاتكالهم
على بلاغتهم وايضا فيه تهكم كما يقول الموصوف بالقوة الواثق من نفسه بالغلبة على من يقاويه ان غلبتك لم ابق عليك وههنا الخبر قوله فان
لم تفعلوا ولن تفعلوا على قوله فان لم تاتوا بسورة من مثله ولن تاتوا بسورة من مثله طلبا للوجازة فان الاتيان فعل من الافعال
وحذف مفعول فعل كثير دون مفعول اتى فهو جار مجرى الكناية التى تعطيك اختصارا يغنيك عن طول المكنى عنه كما لو قلت اتيت فلانا
واعطيته درهما فيقال لك نعم ما فعلت فقوله ولن تفعلوا جملة معترضة لا محل لها وليس الواو للحال وانما هو للاستيناف والمعترضة تجئ
بالواو وبدون الواو وقد اجتمعا فى قوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم وانما لم يقل فان لم تفعلوا فاتركوا العناد كما هو الظاهر لان اتقاء
النار لصيقه وضميمه ترك العناد فوضع موضعه من حيث انه من نتائجه لان من اتقى النار ترك المعاندة ونظيره قول الملك لحشمه ان
اردتم الكرامة عندى فاحذروا سخطى يريد فاتبعونى وافعلوا ما هو نتيجة حذر السخط فهو من باب الكناية وفائدته الايجاز الذى هو من
حلية القران وتهويل شان العناد بانه الموجب للنار ولهذا اشنع بتفظيع امرها والوقود ما يرفع به النار واما المصدر فمضموم وقد جاء
فيه الفتح فان قلت صلة الذى والتى يجب ان تكون قصة معلومة للمخاطب فكيف علم اولئك ان نار الاخرة توقد بالناس والحجارة قلنا لا يمتنع
ان يتقدم لهم بذلك سماع من اهل الكتاب او سمعوه من رسول الله او يكون اشارة الى ما نزلت بمكة قبل نزول هذه بالمدينة وذلك
فى سورة التحريم قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة ولهذا عرفت ههنا مشارا بها الى ما عرفوه ثمة اولا والمعنى اتقوا
نارا ممتازة عن غيرها من النيران بانها لا تتقد الا بالناس والحجارة او بانها توقد بنفس ما يراد احراقه والحجارة او بانها لافراط حرها اذا
اتصلت بما لا يشتعل به نار اشتعلت وارتفع لهبها ولعل لكفار الجن وشياطينهم نارا وقودها الشياطين جزاء لكل جنس بما يشاكله من العذاب
والحجارة قيل هى حجارة الكبريت وقيل هى ما نحتوها اصناما انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لانهم لما اعتقدوا فيها انها شفعاؤهم
عند الله وانهم ينتفعون بها ويدفعون المضار عن انفسهم جعلها الله عذابهم ابلغ فى ايلامهم وتورث النقيض مطلوبهم ونحوه ما يفعل
بالذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله ويمنعون حقوقها حيث يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم والتاء
فى الحجارة لتاكيد التانيث فى الجماعة نحو صقورة وقد يتبين الحال من هذه الاية ومن قوله ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة
ومن قوله نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة ان المراد بالحجارة هى الافئدة اى وقودها الناس فى ظاهرهم وتخصيص القلب بالذكر لانه اشرف
الاعضاء واولى بالاحراق ان كان مقصرا فى درك ما خلق الانسان لاجله ومعنى اعدت هيئت جعلت عدة لعذابهم وانما فقد العاطف
لانها بدل من الصلة او استيناف كانه قيل لمن اعدت هذه النار فقيل اعدت للكافرين **وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**
أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ
مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ
الوقوف الانهار ط رزقا لا لان قالوا جواب كلما متشابها ط خالدون ه
التفسير انه سبحانه لما ذكر دلائل التوحيد والنبوة وانجر الكلام الى ذكر عقاب الكافرين شفع ذلك بذكر ثواب المؤمنين جريا على سنته
المعهودة من ذكر الترغيب مع الترهيب وضم البشارة الى الانذار والجمع بين الوعد والوعيد بالجنة والنار وههنا مسائل الاولى ان الجنة والنار مخلوقتان الان لظاهر الاية ومن نحو
قوله اعدت للمتقين اعدت للكافرين والاحاديث كقوله ﷺ فى حديث صلوة الخسوف انى رايت الجنة فتناولت منها عنقودا ورايت النار
فلم ار كاليوم منظرا قط يدل على وجودهما وكذا اسكن ادم وحواء الجنة وقد جمع الله فى الاية جوامع اللذات من المسكن وهو الجنات ومن المطعم

هو الثمرات ومن المنكح وهو الازواج المطهرة ازال عنهم نقص الزوال بقوله وهم فيها خالدون تماما للنعمة والحبور وتكميلا للبهجة والسرور والبشارة الاخبار بما يظهر سرور المخبر به ومن ثم قال العلماء اذا قال لعبيده ايكم بشرني بقدوم فلان فهو حر فبشروه فرادى عتق اولهم لانه هو الذي اظهر سروره بخبره ولو قال مكان بشرني اخبرني عتقوا جميعا لانهم اخبروه جميعا ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من اوائل ضوئه فاما قوله فبشرهم بعذاب اليم فمن باب التهكم والاستهزاء فان قيل علام عطف هذا الامر ولم يسبق امر ولا نهي يصح عطفه عليه قلنا ليس الذي اعتمد بالعطف هو الامر حتى يطلب له مشاكل من امر او نهي انما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين على جملة وصف عقاب الكافرين كما تقول زيد يعاقب بالقيد والارهاق وبشر عمرا بالعفو والاطلاق ولك ان تقول معطوف على فاتقوا كقولك يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان بني اسد باحساني اليهم قال بعض المحققين انه معطوف على قل مقدرا قبل يا ايها الناس فان تقدير القول في القرآن مع وجود القرينة غير عزيز كقوله واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا اي يقولان ربنا ثم المأمور في قوله وبشر اما الرسول او كل من له اهلية ان يبشر والصالحة نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم قال الحطيئة شعر كيف الهجاء وما تنفك صالحة * من آل لام بظهر الغيب تأتيني * واللام للجنس والمراد بالصالحات جملة الاعمال الصحيحة المستقيمة في الدين على حسب حال المؤمن في مواجب التكليف واستدل بهذه الاية من قال ان الاعمال غير داخلة في مسمى الايمان والا لزم التكرار ولمن زعم ان الايمان هو المجموع ان يقول عطف بعض الاجزاء على الكل جائز لغرض من الاغراض كقوله وملائكته ورسله وجبريل وميكال ثم ههنا مذاهب منهم من قال العبد لا يستحق على الطاعة ثوابا ولا على المعصية عقابا استحقاقا عقليا واجبا وهو قول اهل السنة ولا يرد عليه اشكال ومنهم من زعم انه يستحق الثواب بالايمان والعمل الصالح بشرط ان لا يحبطهما المكلف بالكفر والاقدام على الكبائر وبالندم على ما وجد منه من الطاعة وترك المعصية بدليل نحو قوله لئن اشركت ليحبطن عملك وانما طوى ذكر هذا الشرط في الاية للعلم به فانه قد ذكر في العقول انه انما يستحق فاعله عليه المثوبة والثناء اذا لم يتعقبه ما يفسده ويذهب بحسنه وهذا قول المعتزلة ومن يجري مجراهم ومنهم من احال القول بالاحباط لان من امن وعمل صالحا استحق الثواب الدائم فلو فرض احباطه بكفره لاستحق العقاب الدائم والجمع بينهما محال ولا يخفى ضعف هذا المذهب لان الامور بخواتيمها قال عليه السلام ان العبد ليعمل عمل اهل النار وانه من اهل الجنة و يعمل عمل اهل الجنة وانه من اهل النار وانما الاعمال بالخواتيم والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه والتركيب دائر على معنى الستر كانها فعلة من جنه اذا ستره وسميت دار الثواب كلها جنة لما فيها من الجنان على حسب استحقاقات العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان فلهذا انكرت والنهر المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر يقال لبردى نهر دمشق وللنيل نهر مصر واللغة العالية النهر بفتح الهاء ومدار التركيب على السعة واسناد الجري الى الانهار من الاسناد المجازي لان الجاري هو الماء وكذا من تحتها اي من تحت اشجارها وانزه البساتين واكرمها منظرا ما كانت اشجارها مظللة والانهار في خلالها مطردة ولولاها كانت كتماثيل لا روح فيها وصور لا حياة لها وانما عرف الانهار لان المراد بها الجنس كما تقول لفلان بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب والوان الفواكه تشير الى الاجناس التي في علم المخاطب او يراد انهارها فعوض التعريف باللام من تعريف الاضافة مثل واشتعل الرأس شيبا او يشار باللام الى الانهار المذكورة في قوله فيها انهار من ماء غير آسن الاية كلما رزقوا اما ثانية صفة لجنات او خبر مبتدأ محذوف اي هم كلما رزقوا او جملة مستأنفة لانه لما قيل ان لهم جنات لم يخل خلد السامع ان يقع فيه اثمار تلك الجنات اشباه ثمار جنات الدنيا ام اجناس اخر لا تشابه هذه الاجناس فقيل ان ثمارها اشباه ثمار جنات الدنيا اي اجناسها وان تفاوتت الى غاية لا يعلمها الا الله ومن في منها ومن ثمرة لابتداء الغاية كما لو قلت رزقني فلان فيقال من اين فتقول من بستانه فيقال من اي ثمرة فتقول من الرمان فالرزق قد ابتدئ من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدئ من ثمرة وليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة والرمانة الفذة على هذا التفسير وانما المراد النوع من انواع الثمار وجاز وهو ان يكون من ثمرة بيانا على منهاج قولك رأيت منك اسدا تريد انت اسد وعلى هذا يصح ان يراد بالثمرة النوع من الثمار والجناة الواحدة لان التفاحة الواحدة مثلا يصدق عليها انها رزق كما ان نوع التفاح يصدق عليه ذلك بخلاف ابتداء الرزق من الجنات فان ذلك انما يكون بنوع التفاح ولا وجه لذلك بشخص ما منها والغرض ان التشخص امر زائد على حقيقة الشيء فاعلم وانتصاب رزقا على انه مفعول ثان لرزقوا ومعنى هذا الذي اي هذا مثل الذي رزقنا من قبل نحو ابو يوسف ابو حنيفة لان ذات الذي رزقوه في الجنة لا يكون هو ذات الذي رزقوه في الدنيا والضمير في قوله واتوا به يرجع الى المرزوق في الدنيا والاخرة جميعا لان قوله هذا الذي رزقنا من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه في الدارين والغرض في تشابه ثمر الدنيا وثمر الاخرة ان الانسان بالمألوف آنس والى المعهود اميل ولانه اذا ظفر بشيء من جنس ما سلف له به عهد ورأى فيه مزية ظاهرة وفضيلة بينة تبين كنه النعمة فيه فاذا ابصر الرمانة في الدنيا وحجمها ثم ابصر رمانة الجنة تشبع السكن والنبقة كقلال هجر كما يروى والشجر يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعه كان ذلك ابين للفضل وازيد في التعجب من ان يفاجئوا ذلك الرمان وتلك النبق من غير عهد سابق بجنسها وترديدهم هذا القول ونطقهم به عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهي الامر في ظهور المزية وكمال الاستغراب في كل وان عن مسروق نخل الجنة نضيد من اصلها الى فرعها وثمرها امثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها اخرى وانهارها تجري في غير اخدود والعنقود اثنا عشر ذراعا ويجوز ان يرجع الضمير في اتوا به الى الرزق

القدس

الطهرة

والاشار آير

كان هذا اشارة اليه ويكون المعنى انه لما رزقوا من ثمرات الجنة اتاهم مجانسا في نفسه ما لقوا في الدنيا وثوابهم في كل الاوقات في الغد والدرجة
لا يزيد ولا ينقص ما لان الانسان اذا التذ بشئ واعجبه لا يتعلق نفسه الا بمثله فاذا جاءه بما يشبه الاول من كل الوجوه كان ذلك نهاية
اللذة وعن الحسن الاشتباه في اللون فقط قال يؤتى احدهم بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بالاخرى فيقول هذا الذي رزقنا من
قبل فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف وعن النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي
بواصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فاذا ابصروها والهيئة هيئة الاولى قالوا ذلك ويحتمل ان يقال ان كمال السعادة ليس الا في معرفة
ذات الله تعالى وصفاته وافعاله من الملائكة الكروبية والملائكة الروحانية وطبقات الارواح وعالم السموات بحيث يصير روح الانسان
كالمرآة المحاذية لعالم القدس ثم ان هذه المعارف تحصل في الدنيا ولكن لا يحصل بها كمال الالتذاذ والابتهاج لمكان العلائق فبعد الموت
وشاهد تلك المعارف فان هذه هي التي كانت حاصلة لي في الدنيا ووجد كمال اللذة والسرور فقال اهل التحقيق الجنة جنة الوصول والشجر
هي الملكات الحميدة والاخلاق الفاضلة والثمرات ثمرات المكاشفات والمشاهدات والاسرار والاشراقات والالهامات وغيرها من
المواهب انهم يشاهدون احوال الاشياء في صورة واحدة من ثمرات مجاهداتهم كما يقول بعض المتوسطين منهم ان هذا المشاهد هو الذي شاهدناه من
قبل هذا فيكون الصورة تلك الصورة ولكن المعنى حقيقة اخرى كما ان موسى عليه السلام شاهد نور الهداية في صورة نار فيكون تارة نار الفتنة
صفة غضبية كما كان لموسى اذ اشتد غضبه اشتعلت قلنسوته نارا وتارة يكون نار المحبة يقع في محبوبات النفس فتحرقها وتارة تكون
نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة فتحرق عليهم بيت وجودهم فافهم وايضا كل شئ له صورة في الدنيا فله في الآخرة معنى آخر كقوله
في دماء الشهداء اللون لون الدم والريح ريح المسك فاعلم قوله وأتوا به متشابها جملة معترضة تفيد زيادة التقرير كقولك فلان احسن
الى فلان ونعم ما فعل والمراد بتطهير الازواج تطهيرهن من الاقذار والادناس لا سيما التي تختص بالنساء وكذا من الاخلاق الذميمة وعادات
السوء ومساوي العادات فيحتمل ان النساء فعلت وهن فاعلة والمعنى وهم جماعة ازواج مطهرة وفي مطهرة فخامة لصفتهن ليست في او قيل
طاهرة وهي الاشعار بان مطهرا طهرهن وليس ذلك الا الله عز وجل المريد لعباده ان يخولهم كل مزية فيما اعد لهم ومما تمسك به على ان المراد الطهارة
ان الله تعالى منع من مباشرتها قال فاعتزلوا النساء في المحيض مع انها معذورة في حيضها فاذا كانت اللوثة في الجنة مطهرة فلان يمنعك عنهم
وانت نجسا بالمعاصي مع انك غير معذور فيها كان اولى وايضا من قضى شهوته من الحلال فانه يمنع من الدخول في المسجد الذي يدخل فيه كل
بر وفاجر فمن قضى شهوته من الحرام كيف يمكن من دخول الجنة التي لا يسكنها الا المطهرون وكفى دليلا على ذلك اخراج آدم منها بسبب الزلة الصادرة
عنه وايضا من كان على ثوبه ذرة من النجاسة لا يجوز صلوته او يستكره فكيف بمن صلى وعلى قلبه جبال من نجاسات الذنوب والمعاصي والخلد
عند المعتزلة الثبات الدائم والبقاء اللازم الذي لا ينقطع بدليل قوله وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد فنفى الخلد عن البشر مع تعمير بعضهم ومنهم
من يرد الى ارذل العمر وعند الاشاعرة الخلد هو الثبات الطويل دام او لم يدم ولو كان التأبيد داخلا في مفهوم الخلد كان قوله خالدين فيها ابدا
تكرارا ويقال في العرف حبسه حبسا مخلدا او وقف وقفا مخلدا والخوف من الانقطاع ينغص النعم وذلك لا يليق باكرم الاكرمين

إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ

بدرستيكه خدا شرم نميدارد كه بزند مثلى را به پشه وپس از آن بر ترسيدن آنها كه كرويده اند پس ميدانند كه آن حق است از پروردگار ايشان واما آنانكه

كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ

كه كافر شدند پس ميگويند كه چه خواسته است خدا باين مثل كه گمراه ميكند باين بسيارى را وراه مى نمايد باين بسيارى را وگمراه نميشود به بجز فاسقان

الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ

آنانكه ميشكنند پيمان خداوندى را پس از محكم كردن وميبرند آنچه را كه فرموده است خدا كه پيوند كنند وفساد ميكنند در زمين آن گروه ايشانند زيانكاران

الوقوف فما فوقها ط من ربهم ج لان الجملتين وان اتفقتا فكلتاهما للتفصيل بين الجمل مثلا لا انه لو وصل صار ما بعده صفة له وليس بصفة انما
هو ابتداء اخبار من الله عز وجل جوابا لهم ويهدي به كثيرا ط الفاسقين لا لان الذين صفتهم ميثاقه ص لعطف المتفقتين في الارض ط الخاسرون
التفسير لما بين كون القرآن معجزا اورد شبهة اوردها الكفار قدحا في ذلك واجاب عنها عن ابن عباس لما ضرب الله سبحانه هذين المثلين للمنافقين
يعني قوله مثلهم كمثل الذي استوقد نارا وقوله او كصيب قالوا الله اجل واعلى من ان يضرب الامثال فانزل الله هذه الآية وعن الحسن وقتادة
لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فنزلت والعجب منهم كيف انكروا
ذلك وما زال الناس يضربون الامثال بالبهائم والطيور واخناس الارض وهذه امثال العرب بين ايديهم مسيرة في حواضرهم وبواديهم
قد تمثلوا فيها باحقر الاشياء فقالوا اجرأ من الذباب واضعف من بعوضة وكلفني مخ البعوض ولقد ضربت الامثال في الانجيل بالاشياء
المحقرة كالزوان حبة طالبية وكحبة خردل والنحل والحصاة والارضة والدود والزنابير قال مثل ملكوت السماء كمثل زارع في قريته حنطة
جيدة نقية فلما نام الناس جاء عدوه فزرع الزوان بين الحنطة فلما نبت الزرع واشتد غلب عليه الزوان فقال عبيد الزارع يا سيدنا

البر حنطة جيدة نقية وزرعت في تربتك فقال بلى قال وافترض من هذا الزوان قال لعلكم ان نهيتم ان تقلعوا الزوان تقلعوا معه حنطة دعوه
حتى يبلغان جميعا حتى الحصاد فامر الحصادين ان يلتقطوا الزوان من الحنطة وان يربطوه حزما ثم يحرق بالنار ويجمعوا الحنطة الى الجرين وافسر لكم
ذلك الرجل الذي زرع الحنطة الجيدة هو ابو البشر والقرية هي العالم والحنطة الجيدة النقية هو ابناء الملكوت الذين يعملون بطاعة الله و
العدو الذي يزرع الزوان هو ابليس والزوان المعاصي التي يزرعها ابليس واصحابه والحصادون هم الملائكة يتركون الناس حتى تدنو آجالهم
فيحصدون اهل الخير الى ملكوت الله واهل الشر الى الهاوية وكما ان الزوان يلتقط ويحرق بالنار فكذلك رسل الله وملائكته يلتقطون
من ملكوته المتكاسلين وجميع عمال الاثم فيلقونهم في اتون الهاوية فيكون هنالك البكاء وصريف الاسنان ويكون الابرار هنالك
في ملكوت ربهم من كانت له اذن تسمع فليستمع واضرب لكم مثلا آخر يشبه ملكوت السماء رجلا اخذ حبة الخردل وهي اصغر الحبوب وزرعها
في قريته فلما نبتت عظمت حتى صارت كاعظم شجرة من البقول وجاء طير السماء تعشش في فروعها فكذلك الهدى من دعا اليه ضاعف الله اجره وعظمه
ورفع ذكره ونجا به من اهتدى به قال لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الطيب ويمسك النخالة كذلك انتم تخرج الحكمة من افواهكم ويبقون الغل في
صدوركم وقال قلوبكم كالحصاة التي لا ينضجها النار ولا يلينها الماء ولا ينسفها الرياح وقال لا تدخروا ذخائركم عباد الله تستغفر فتجدوا
عليها الباسها وهنالك رزقها وهن لا يغزلن ولا ينسجن منهن ما هو في جوف الحجر الاصم ومنهن في جوف العود من ياتيهن بلباسهن و
رزقهن الا الله افلا تعقلون وقال لا تكنزوا الكنوز فتلقيه عليكم كذلك لا تخاطبوا السفهاء فيشتموكم وفي هذا كله بيان ان الانسان يذكر معنى
فلا يلوح كما ينبغي فاذا ذكر المثال اتضح وانكشف وذلك لانه من طبع الخيال حب المحاكاة فاذا ذكر المعنى وحده ادركه العقل ولكن مع منازعة الخيال
واذا ذكر التشبيه معه ادركه العقل مع معاونة الخيال ولا شك ان الثاني يكون اكمل واذا كان التمثيل يفيد زيادة البيان والوضوح وجب ذكره
في الكتاب الذي نزل تبيانا لكل شيء ثم ان الله تعالى هو الذي خلق الكبير والصغير وحكمته في كل ما خلق وبرأ عامة بالغة وليس الصغير اخف عليه
من الكبير ولا الكبير اصعب عليه من الصغير والمعتبر اذن ما يليق بالقصة فاذا كان اللائق بها الذباب والعنكبوت يحسن ضرب المثل به وهذه فكيف
يضرب بالفيل وبني مستحكم النسج والصفاقة وهذا مما لا يخفى على من به ادنى مسكة ولكن ديدن المحجوج المبهوت دفع الواضح وانكار المستقيم
وكم من عائب قولا صحيحا ، وآفته من الفهم السقيم ، والحياء تغير وانكسار يعتري الانسان من تخوف ما يعاب به ويذم واشتقاقه من الحيوة يقال
حيي الرجل كما يقال نسي وحشي اذا اشتكى النسا والحشا وكان الحي صار منتقص القوة منتكس الحيوة وقد عرفت في الاسماء الحسنى ان امثال هذه
الصفات انما يجوز ان يطلق على الله تعالى بعد الاذن الشرعي باعتبار النهايات لا باعتبار المبادي وفي حديث سلمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حيي
كريم يستحيي اذا رفع اليه العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا انما جاء على سبيل التمثيل لانه مثل تركه تخييب العبد بترك من يترك رد المحتاج حياء منه
ومعنى قوله ان الله لا يستحيي ان يضرب لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يمثل بها لحقارتها ويجوز ان يقع هذه العبارة في كلام
الكفرة فقالوا اما يستحيي رب محمد ان يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة والطباق وهو فن بديع قال ابو تمام شعر من
مبلغ افناء يعرب كلها ، اني بنيت الجار قبل المنزل ، فلولا بناء الدار لم يصح بناء الجار وقد استعير الحياء فيما لا يصح فيه شعر اذا ما استحين
الماء يعرض نفسه كرعن بسبت في اناء من الورد فيصف كثرة مياه الامطار في طريقه وانه ايما ذهب راى الماء وكانه يعرض نفسه على النوق
تستحيي فتكرع فيه مشافرها السبت هو الجلد المدبوغ بالقرظ وشبه الارض وفيها الماء وحواليها الازهار باناء من الورد وفيه لغتان استحيت
واستحيت وبهما استعملتان منها وضرب المثل اعتماده وصنعه من ضرب اللبن ضرب الخاتم وفي الحديث ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما من ذهب وما
هذه ابهامية اذا اقترنت باسم نكرة زادته شيا وعموما كقولك اعطني كتابا ما تريد اي كتاب كان وصلة للتاكيد كالتي في قوله فبما نقضهم اي
شد الخفا وامر البتة وانتصب بعوضة بانها عطف بيان لمثلا او ذلك ما يضرب به المثل قد يسمى مثلا كما يقال الحاتم مثل في الجود ومفعول ليضرب
ومثلا حال عن النكرة مقدمة عليها او انتصبا مفعولين لجري ضرب مجرى جعل والبعوض في الاصل صفة على فعول من البعض القطع فغلبت
ومنه بعض الشيء لانه قطعة منه وهي في معناه البضع والعضب ومن غرائب خلقته انه مع صغره اعطي كل ما اعطي الفيل مع كبره وفيه اشارة الى ان
خلق احدهما ليس اصعب من خلق الاخر واشارة الى حالة الانسان وكمال استعداده كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته اي على صفته ما اعطاه
على صغره من كل صفة من صفات جلاله وجماله النمو جالتها فكمراته نفس جمال صفاته ثم من العجائب انه مع غاية الصغر ومع ذلك
مجوف ومع فرط صغره وكونه مجوفا يغوص خرطومه في جلد الجاموس والفيل على ثخانته كما يضرب الرجل اصبعه في الخبيص وذلك لما ركب الله تعالى في راس خرطومه من
السم قوله فما فوقها اي فالذي هو اعظم منها في الجثة كالذباب والعنكبوت والحمار والكلب فان القوم انكروا تمثيل الله بكل هذه الاشياء او اراد
فما فوقها في الصغر كجناح البعوضة حيث ضربه صلى الله عليه وسلم مثلا للدنيا وهذا اولى لان الاية نزلت في بيان ان الله تعالى لا يمتنع من التمثيل بالشيء
الحقير فيجب ان يكون المذكور ثانيا احقر من الاول ولان الفاء ههنا يفيد الترتيب الذكر انه يذكر في هذا المقام الاخس فالاخس كقوله اذا رميته بالقبا
قال ابتدك لانه يذكر في تعريفها الامكنة الاخص لا الاعم فكان العليا موضع يشتمل على مواضع منها السند اما حرف فيه معنى الشرط ولذلك يجاب
بالفاء وفائدته التوكيد تقول زيد ذاهب فاذا قصدت التوكيد ان الذهاب منه عزيمة قلت اما زيد فذاهب ولذلك قال سيبويه في تفسيرها مهما

بكل من شيء فزيد ذاهب ليس مراده من هذا التفسير ان ما بمعنى شيء كيف وقد عرفت انها اسم بل قصده الى المعنى الحاصل اي يكن في الدنيا شيء له
بوجه ما فهو ثابت بمعنى الجزم بوقوع نفاستها لانك جعلت حصول نفاسة اكبر ما يتصور اي شيء في الدنيا وما دامت الدنيا باقية فلا بد من حصول
شيء فيها فهو ابدا لجملتين مصدرتين بها وان لم يقل فاما الذين آمنوا فيعلمون والذين كفروا فيقولون لما في تعظيم الامر للمؤمنين واعتدادا بعلمهم
انه الحق ونعي على الكافرين بمبهم بالكلمة الحمقاء الحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره قوله لا مرتبة موجبة للضمير في انه الحق المثل ولكن يضرب فيها
ذا فيه وجهان ان يكون ذا اسما موصولا بمعنى الذي فيكون كلمتين ما مبتدأ وخبره مع صلته وان يكون ذا مركبة معها مجعولتين اسما
واحدا فيكون منصوب المحل في حكم ما وحده لو قلت ما اراد الله والاجود ان يكون على الاول مرفوع وعلى الثاني منصوب وقد يجيء على العكس كما تقول
في جواب من قال ماذا رأيت خير اي المرئي خير وفي جواب الذي قال ما يستحل اي ما يستحل الارادة نقيض الكراهة قال الامام الرازي الارادة
ماهية يجدها العاقل من نفسه ويدرك التفرقة البديهية بينها وبين علمه وقدرته والمه ولذته لكنا نقول انها صفة تقتضي رجحان احد طرفي
الجائز على الآخر لا في الوقوع بل في الايقاع واحترز بهذا القيد الاخير عن القدرة ثم اختلفوا في كونه تعالى مريدا مع اتفاق المسلمين على اطلاق
هذا اللفظ على الله تعالى فزعم النجار انه معنى سلبي ومعناه انه غير ساه ولا مكره ومنهم من قال انه ثبوتي ثم اختلفوا فالجاحظ والكعبي وابو الحسن
البصري معناه علمه تعالى باشتمال الفعل على المصلحة او المفسدة ويسمون هذا العلم بالداعي واصحابنا الاشاعرة وابو علي وابو هاشم واتباعهما
اتصفه بالارادة على العلم ثم القسم في تلك الصفة انها اما ان تكون ذاتية وهو القول الآخر للنجار واما ان تكون معنوية وذلك المعنى اما
ان يكون قديما وهو قول الاشعري او محدثا وذلك المحدث اما ان يكون قائما بالله تعالى وهو قول الكرامية او قائما بجسم وهو لم يقل احد
او موجودا لا في محل وهو قول ابي علي وابي هاشم واتباعهما وفي قولهم ماذا اراد الله بهذا مثلا استرذال واستحقار كما قالت عائشة في عبد الله
عمرو بن العاص حين افتى بنقض [illegible] يا عجبا لابن عمرو هذا احتقارا له ومثلا نصب على التمييز كقولك لمن اجاب بجواب غث
ماذا اردت بهذا جوابا ولمن حمل سلاحا رديا كيف تنتفع بهذا سلاحا او على الحال كقوله هذه ناقة الله لكم آية قوله يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا
جار مجرى التفسير والبيان للجملتين المصدرتين باما واهل الهدى كثير في انفسهم [illegible] وحيث يوصفون بالقلة وقليل من عبادي
الشكور وقليل ما هم انما يوصفون بها بالقياس الى اهل الضلال [illegible] فان المهديين كثير في الحقيقة وان قلوا في الصورة ان الكرام
كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا واسناد الاضلال الى الله تعالى اسناد الفعل الى السبب لانه لما ضرب المثل فازداد به المؤمنون
نورا الى نورهم فنسب لهديهم وازداد الكفرة رجسا الى رجسهم فنسب لاضلالهم عن الحق والفسق الخروج عن القصد قال رؤبة فواسقا
عن قصدها جوائرا يهوين في نجد وغور غائرا والفاسق في الشرع الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة وهو عند اهل السنة من اهل الايمان
الا انهماك فيه عند الخوارج كافر وعند المعتزلة نازل بين المنزلتين لانه حكمه حكم المؤمن في انه يناكح ويوارث ويغسل ويصلى عليه ويدفن
في مقابر المسلمين وهو كالكافر في الذم واللعن والبراءة منه واعتقاد عداوته وانه لا يقبل له شهادة ومذهب مالك بن انس والزيدية ان الصلاة
لا تجزئ خلفه ويقال للخلفاء المردة من الكفار الفسقة وقد جاء الاستعمالان في كتاب الله تعالى بئس الاسم الفسوق بعد الايمان يعني اللمز
والتنابز ان المنافقين هم الفاسقون والنقض الفسخ وفك التركيب وانما ساغ استعمال النقض في ابطال العهد من حيث تسميتهم العهد
بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين وهذا كقولك شجاع يفترس اقرانه [illegible] فتنبيها على العلم
بانه يجري [illegible] عن المستعار له رمز للشيء [illegible] والعهد الموثق عهد اليه بكذا اذا وصاه به ووثقه عليه والمراد بالناقضين ما كل
من ضل وكفر لانهم نقضوا عهد الله [illegible] ما ركزه في عقولهم من الحجة الدالة على الصانع وعلى حقيته شرائعه
بعدما [illegible] وما انزل [illegible] ما اخذ عليهم العهد والميثاق في الكتب المنزلة على انبيائهم بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم و
بين لهم امره [illegible] فنقضوا ذلك واعرضوا عنه وجحدوا نبوته وقيل عهد الله الى خلقه ثلاثة عهود العهد الذي اخذه على جميع ذرية آدم
واذ اخذ ربك [illegible] وعهد خص به النبيين ان يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
وعهد خص به العلماء واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه والضمير في ميثاقه للعهد والميثاق اما
بمعنى التوثقة كالميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة واما اسم لما وثقوا به عهد الله من قبول الاوامر [illegible] ويجوز ان يرجع الضمير الى الله اي من بعد
توثقته عليهم او من بعد ما وثق الله تعالى به عهده من انزال [illegible] كتبه ورسله ومعنى قطعهم ما امر الله به ان يوصل ما قطعهم ما بينهم وبين
رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرابة والرحم وقطعهم موالاة المؤمنين الى موالاة الكافرين وقطعهم ما بين الانبياء من الوصلة والاتحاد والاجتماع
على الحق في ايمانهم ببعض وكفرهم ببعض والامر طلب الفعل ممن هو دونك وبعثه عليه وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور لان الداعي الذي يدعو
اليه من يتولاه شبه بامر يأمر به فقيل له امر تسمية للمفعول به بالمصدر كانه مأمور به الامر حرف واحد هو اللام الجازم نحو ليفعل
وصيغ مخصوصة للمخاطب نحو انزل [illegible] وقد يستعمل في الدعاء والالتماس بمعونة القرينة وظاهره للوجوب وغيره من الندب والاباحة
يتوقف على القرينة وقوله ان يوصل بدل الاشتمال من الضمير المجرور والباء الذي ينبغي ان يعاد معه وتقديره بان يوصل اي يوصله والا

في الارض اما الظاهرة فالمعاصي واما الباطنة فالشرائع واثارة الفتن أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ط لانهم استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل والافساد بالاصلاح وعقابها بثوابها ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية

كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي

چگونه کافر میشوید بخدا و بودید مردگان پس زنده کرد شما را پس بمیراند شما را پس زنده کند شما را پس بسوی وی برگردانیده شوید اوست که آفرید برای شما آنچه در

الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ القراءة فاحياكم وبابه بالامالة ترجعون

زمین همه را پس قصد کرد بجانب آسمان پس راست کرد آنها را هفت آسمان و او بهر چیزی داناست بفتح التاء وكسر الجيم كل القرآن يعقوب

وهو وبابه بسكون الهاء ابو جعفر ونافع غير ورش وعلى وابو عمرو الوقوف فاحياكم للعدول اى ثم هو يميتكم مع اتحاد مقصود الكلام ترجعون ط سموات ط عليم التفسير هذه الآية مسوقة لبيان التعجب من حال الكفرة وذلك ان الاستفهام من علام الغيوب يمتنع اجراؤه على اصله فيتولد بمعونة قرائن الاحوال ما ذكرناه وجه هو ان الكفار حين صدر الكفر منهم لابد ان يكونوا على احد الحالين اما عالمين بالله واما جاهلين به فلا ثالث فاذا قيل لهم كيف تكفرون بالله ومن المعلوم ان كيف للسؤال عن الحال وللكفر مزيد اختصاص من بين سائر الاحوال الكافر بالعلم بالصانع والجهل به لانه لا يمكن تصور كفر الكافر بالصانع مع الذهول عن كونه عالما بالله او جاهلا به بخلاف سائر احواله المتقابلة كالقعود والقيام والسكون والحركة فانه يمكن تصور كفره مع الذهول عنها وان كان لا ينفك الكافر في الوجود عنها كما لا ينفك من العلم بالصانع او الجهل به في الوجود توجه الاستفهام الى ذلك الذي له مزيد اختصاص فافاد الاستفهام أفي حال العلم بالله تكفرون ام في حال الجهل لكن الجهل بعيد عن العاقل لان الحال حال علم بهذه القصة وهي ان كانوا امواتا فصاروا احياء وسيكون كذا والحال كذا من الاماتة ثم الاحياء ثم الرجع اليه فتعين ان يكون الحال حال العلم بالصانع الموجب للصرف عن الكفر فصدور الفعل عنهم على صورة اختيار في الترك مع الصارف القوي مظنة تعجب وتعجيب وانكار وتوبيخ فكانه قيل ما اعجب كفركم والحال انكم عالمون بهذه القصة وهي ان كنتم امواتا نطفا في اصلاب آبائكم فجعلكم احياء ثُمَّ يُمِيتُكُمْ بعد هذه الحيوة وهذه مما لا ارتياب فيها لانها من المشاهدات ثُمَّ يُحْيِيكُمْ حين ينفخ في الصور او حين تسئلون في القبور ثُمَّ إِلَيْهِ اى الى حكمه تُرْجَعُونَ اى بعد الحشر للثواب والعقاب فمن قبوركم وهذه القضايا الثلاثة لا ارتياب فيها لنصب الادلة وازاحة العلة والاموات جمع ميت كالاقوال جمع قيل وقد يطلق الميت على الجماد كقوله بلدة ميتا ويجوز ان يكون استعارة لاجتماعهما في ان لا روح ولا احساس ويحتمل ان يقال المراد به خمول الذكر كقوله هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا قال ابو نخيلة السعدي واحييت لي ذكري وما كنت خاملا ÷ ولكن بعض الذكر انبه من بعض ÷ ولا يخفى ان الآية بالنسبة الى العامة فاما بعض الناس فقد اماتهم ثلث مرات فاماته الله مائة عام ثم بعثه وقال لهم الله موتوا ثم احياهم ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ وآتيناه اهله ومثلهم معهم واعلم ان هذه الآية دالة على امور منها اشتمالها على وجود ما يدل على الصانع القادر العالم الحي السميع البصير الغني عما سواه ومنها الدلالة على انه لا قدرة على الاحياء والاماتة الا لله فيبطل قول الدهرية وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ومنها الدلالة على صحة الحشر والنشر مع التنبيه على الدليل العقلي الدال عليه لان الاعادة اهون من الابداء ومنها الدلالة على التكليف والترغيب والترهيب ومنها الدلالة على وجوب الزهد في الدنيا لانه قال فاحياكم اى بعقب كونكم نطفا من غير تخلل حالة اخرى بينهما ثم يميتكم بعد انقضاء مهلة الحيوة ثم بين انه لا يترك على هذا الموت بل لابد من حيوة ثانية للسؤال والحشر ثم من الرجوع اليه للثواب والعقاب فبين سبحانه انه بعد ما كان نطفة فانه احياه وصوره واحسن صورته وجعله بشرا سويا واكمل عقله وبصره بانواع المضار والمنافع وملكه الاموال والاولاد والدور والقصور ثم انه يزيل كل ذلك عنه بانه يميته ويصيره بحيث لا يملك شيئا ولا يبقى منه في الدنيا اثر ولا عين ويبقى مدة مديدة في اللحد وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ينادي فلا يجيب ويستنطق فلا يتكلم ثم لا يزوره الاقربون بل ينساه الاهل والبنون ثم اقاربي يجذبه مضجعي كأن اقاربي لم يعرفوني ايوم الحشر وقد قامو من ثرى الاجداث مغبرة رؤسنا شاحبة وجوهنا جائعة بطوننا مثقلة من حمل الاوزار ظهورنا بادية للاهل القيمة سوأتنا فلا تضعف مصائبنا باعراضك عنا يا واسع المغفرة ويا باسط اليدين بالرحمة ولما ذكر الله نعم في الآية الاولى الحاصل جميع النعم وهو الاحياء الذي من حقه ان يشكر ولا يكفر عقبها بذكر ما هو كالاصل لسائر النعم وهو خلق الارض بما فيها وخلق السماء ومعنى لكم لاجلكم ولانتفاعكم في دنياكم ودينكم وذلك ظاهر وفي دينكم من النظر في عجائب الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم ومن التذكير للآخرة وثوابها وعقابها لاشتمالها على اسباب الانس واللذة من فنون المطاعم والمشارب والفواكه والمناكح والمراكب والمناظر الحسنة البهية وعلى اسباب الوحشة والالم من النيران والصواعق والسباع والاحناش والسموم والغموم والمخاوف فظاهر الآية لا تدل الا على خلق ما في الارض لا جلها دون الارض فان اريد بالارض الجهات السفلية دون الغبراء كما يذكر السماء ويراد به الجهات العلوية جاز ان يراد خلق لكم الارض وما فيها وجميعا نصب على الحال من الموصول الثاني وهو ما اى مجموعة والمجموع الذي جمع من هنا وهنا وان لم يجعل كالشيء الواحد ويندرج فيها جميع البسائط من الماء والهواء والنار وجميع المواليد من المعادن والنبات والحيوان وجميع الصنائع والحرف واستدل بعضهم

البقرة

بهذا على ان الاصل في الاشياء الاباحة عقلا لكل احد ان ينتفع بها ويستنفع بها ويمكن ان يقال بل هذه الاية ولا كان تصرفا في ملك الغير
من غير اذنه ولا يلزم من انه تعالى خلق ما في الارض لاجل المكلفين ان يكون فعله معللا بالغرض وان كان لا يخلو من فائدة وغاية والا كان
عبثا لانه لا يلزم من استتباع الفعل الغاية ان يكون تلك الغاية علة لعلية فاعله لان هذا انما اذا كانت فاعليته ناقصة تستكمل بتلك الغاية
اما اذا كانت فاعليته تامة فانه يوجد الشيء ذا الغاية من غير ان تكون تلك الغاية حاملة له على ذلك وهذا فرق دقيق ينبه له من يسر عليه فقيل انه
تعالى خلق الكل للكل فلا يكون لاحد اختصاص بشيء اصلا قلنا ما بل الكل للكل فيقتضي مقابلة الفرد بالفرد والتعيين يستفاد من دليل منفصل
والاستواء بمعنى الانتصاب ضد الاعوجاج من صفات الاجسام وانه تعالى منزه عن ذلك وايضا ثم يقتضي التراخي فلو كان المراد بهذا الاستواء
العلو بالمكان لكان ذلك العلو حاصلا اولا ولم يكن متاخرا عن خلق ما في الارض فيجب التاويل وتقريره انه يقال استوى العود اذا اعتدل
ثم قيل استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء ومنه استعير قوله ثم استوى الى السماء اي قصد اليها
بارادته ومشيئته بعد خلق ما في الارض من غير ان يريد فيما بين ذلك خلق شيء اخر والمراد بالسماء جهات العلو كانه قيل ثم استوى الى فوق
وهذا كقولك لاخر اعمل هذا الثوب بما معه لها على انها كانت خاما ثم سواهن سبع سموات وثم ههنا اما للتراخي في الوقت والمراد انه حين
قصد الى السماء لم يحدث فيما بين ذلك اي في تضاعيف القصد اليها خلقا اخر كما قلنا او للتفاوت بين الخلقين وفضل خلق السموات على
خلق الارض كقوله فكسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا اخر وكقوله ثم كان من الذين امنوا وتشبه هذه الاية في قوله قل أئنكم لتكفرون
بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها
في اربعة ايام سواء للسائلين يعني تقدير الارض في يومين كما يقول القائل من الكوفة الى المدينة عشرون والى مكة ثلثون يريد ان جميع ذلك
هذا القدر ثم استوى الى السماء في يومين ومجموع ذلك ستة ايام فان قيل ما يناقض هذا قوله والارض بعد ذلك دحيها قلنا لا حاجة في الكتاب
الا ان جرم الارض تقدم خلقه خلق السماء واما دحوها فمتاخر وعن الحسن خلق الله الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق
بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعه وبسط منه الارض فذلك قوله كانتا رتقا وهو الالتزاق وذهب بان الارض
جسم عظيم يمتنع انفكاك خلقها عن التدحية وابقة قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء يدل ان خلق الارض وخلق
ما فيها مقدم على خلق السماء لكن خلق الاشياء في الارض لا يمكن الا اذا كانت مدحوة وقال بعض العلماء في دفع التناقض قوله والارض
بعد ذلك دحيها يقتضي تقدم خلق السماء على الارض ولا يقتضي ان يكون تسوية السماء مقدمة على خلق الارض وذهب بعضهم بان قوله أانتم اشد
خلقا ام السماء بناها رفع سمكها فسويها واغطش ليلها واخرج ضحيها والارض بعد ذلك دحيها يقتضي ان يكون خلق السماء وتسويتها
مقدما على تدحية الارض على خلقها لانهما متلازمان فح يعود التناقض والمعتمد عند بعضهم في دفعه ان يقال ثم ليس للترتيب ههنا وانما
هو على جهة تعديد النعم مثاله ان تقول لغيرك الست قد اعطيتك نعما عظيمة ثم دفعت عنك الخصوم ولعل بعض ما اخرته في الذكر مقدم في الوقوع
قلت هذا صحيح معقول من حيث ابتداء الوجود من الاشرف فالاشرف والالطف فالالطف اشار عده النقل والاول احاله في انه تعالى خلق الارض
اولا في غاية الصغر وجعل فيها اصول الجبال ووضع فيها البركة وقدر الاقوات ثم استوى الى السماء فسويهن سبعا ثم دحا الارض بان جعلها
اعظم مما كانت عليه كهيئتها الان والله تعالى اعلم والضمير في سويهن ضمير مبهم وسبع سموات تفسيره نحو ربه رجلا وفائدة الابهام اولا ثم البيان ثانيا
ان الكلام هكذا اوقع في النفس لان المحصول بعد الطلب اعز من المساق بلا تعب وقيل الضمير راجع الى السماء والسماء في معنى الجنس وقيل جمع سماءة
والوجه العربي هو الاول ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمه واخلاؤه من العوج والفطور واتمام خلقهن وهو بكل شيء عليم فمن ثم خلقهن
خلقا مستويا محكما من غير تفاوت مع خلق ما في الارض على حسب الحاجات وكفاء المصالح ومقتضى الحكمة والاية دليل عام لم يدخله التخصيص
قط وبه يهدم بناء من زعم انه غير عالم بالجزئيات لانه تعالى لو لم يعرف تفاصيلها لم يكن مخلوقاته على الاتقان والاحكام فيجيء انه خبير يعلم الذي
في الاجوافات الدقيقة في الاصداف القطرة في البحر والخطرة في الخرق هذا به نظام العالم وبه يحصل قوام ما يحتاج بنو ادم ثم ان العقل قد يدل على
وجود سبع سموات وتخصيص عدده بالذكر لا يدل على نفي الزائد فاثبت اهل الارصاد تسعة افلاك على ما استقر عليه رايهم اولها من الجانب الاعلى
الحركة اليومية لان هذه الحركة تشمل جميع الاجرام فيجب ان يكون فلكها محيطا بالكل وثانيها الثوابت حيث يجد الادنى الذي تحجبات لاتحاد
الحركات وان كان كونها على افلاك شتى جائزا والسبعة الباقية للسيارات السبعة جميع ذلك بوجود اختلاف المنظر وعدمه وعلى ترتيب
بعضها بعضا ولها مما يليها للقمر فوقه للعطارد ثم للزهرة ثم للشمس ثم للمريخ ثم للمشتري ثم لزحل وزعم بعض الناس زيادة الفلكين
الثامن والتاسع فقال من المحتمل ان يتصل بفلك مجموع السبعة فلكها محركها حركة الكل ثم يكون لكل منها نفس على حدة تحركه حركة خاصة ويكون
على حدة ممثل حامل مثلا وبالجملة لم يتبين لاحد من الاوائل والاواخر كمية اعداد السموات على ما هي عليه لا عقلا ولا سمعا وما يعلم جنود ربك
الا هو وما هي الا ذكرى للبشر وَاِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ اِنِّیْ جَاعِلٌ فِی الْاَرْضِ خَلِیْفَةً قَالُوْٓا اَتَجْعَلُ فِیْهَا مَنْ
صدق الله العلي العظيم — وچون گفت پروردگار تو مر فرشتگان را که من قرار دهنده ام در زمین جانشینی گفتند آیا قرار دهی در زمین کسی

وتقدير الاقوات في يومين

ع

مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ القراءة خليفة
کسی را که فساد کند در آن و بریزد خونها را وحال آنکه ما تسبیح میگوییم ستایش تو و تقدیس کنیم از برای تو گفت که من میدانم آنچه را که شما نمیدانید بالامالة عند الوقف
ابو عمرو وحمزة وعلي والاعشى والبرجمي الا ان يكون قبلها من الحروف الموانع السبع وهي الصاد والضاد والطاء والظاء والغين والخاء والقاف
نحو خاصة ونهضة وحطة وغلظة وصبغة وساخة وشفقة واما العين والحاء والراء فعلى الاختلاف عن اهل المدينة وشددهم امالة
حمزة وعلي فاما ابو عمرو والاعشى والبرجمي فانهم يميلون بين الفتح والكسر والى الفتح اقرب اني اعلم بفتح الياء ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو
الوقوف خليفة ط بناء على ان عامل اذ محذوف اي اذكر ومن جعل قالوا عامل اذ وصل الدماء ج لان انتهاء الاستفهام على قوله ويسفك الدماء
يقتضي الفصل واحتمال الواو لمعنى الحال في قوله ونحن نسبح بحمدك يقتضي الوصل ونقدس لك ط ما لا تعلمون التفسير هذا ابتداء الاخبار عن
كيفية خلق آدم ع وعن كيفية تعظيمه اياه منخرط في سلك ما تقدم من النعم فان النعمة على الآباء نعمة على الابناء واذ ههنا مجرد لمعنى الظرف
اي اذكر وقت قول ربك كقوله واذكر اخا عاد اذ انذر اي وقت انذاره على انه بدل من اخا عاد لان الذكر في ذلك الوقت ممتنع والخطاب
للنبي ع او لكل واحد من بني آدم ويجوز ان ينتصب بقالوا فيكون للمجازاة والملائكة جمع ملأك واصله مألك بتقديم الهمزة من الألوكة
وهي الرسالة ثم قلبت وقدمت اللام فقيل ملأك ثم جمع على فعائل مثل شمائل ثم تركت همزة المفرد لكثرة الاستعمال والقيت حركتها
على اللام والحاق التاء لتأنيث الجمع نحو جمالة وعقد الكلام واعلم ان الملك قبل النبي بالشرف والعلية وان كان بعده في عقولنا واذهاننا
وقد جعله الله واسطة بينه وبين رسله في تبليغ الوحي والشريعة وقدم الايمان بالملائكة على ذكر الايمان بالانبياء والمؤمنون
كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ولا خلاف بين العقلاء في ان شرف العالم العلوي بالملائكة كما ان شرف العالم السفلي بوجود الانبياء
فيه وللناس في حقيقة الملائكة مذاهب فمنهم من يزعم انها اجسام لطيفة هوائية تقدر على التشكل باشكال مختلفة مسكنها السموات وهو قول
اكثر المسلمين ومنهم عبدة الاوثان القائلون ان الملائكة هي هذه الكواكب الموصوفة بالاسعاد والانحاس فانها احياء ناطقة فالمسعدات
ملائكة الرحمة والمنحسات ملائكة العذاب ومنهم معظم المجوس والثنوية القائلون بالنور والظلمة فانهما عندهم جوهران حساسان مختاران
قادران متضادا النفس والصورة مختلفا الفعل والتدبير فجوهر النور فاضل خير نقي طيب الريح كريم النفس يسر ولا يضر وينفع ولا يمنع ويحيي ولا
يبلي وجوهر الظلمة ضد ذلك فالنور يولد الاولياء وهم الملائكة لا على سبيل التناكح بل كتولد الحكمة عن الحكيم والضوء من المضيء
وجوهر الظلمة يولد الاعداء وهم الشياطين كتولد السفه من السفيه ومنهم القائلون بانها جواهر غير متحيزة ثم اختلفوا فقال بعضهم وهم
طوائف من النصارى انها هي الانفس الناطقة المفارقة لابدانها فان كانت صافية خيرة فالملائكة وان كانت خبيثة كثيفة فالشياطين
وقال آخرون وهم الفلاسفة انها مخالفة لنوع النفوس الناطقة البشرية وانها اكمل قوة واكثر علما ونسبتها الى النفوس البشرية كنسبة الشمس
الى الاضواء فمنها نفوس ناطقة فلكية ومنها عقول مجردة ومنهم من اثبت نوعا آخر من الملائكة وهي الارضية المدبرة لاحوال العالم السفلي
خيرها الملائكة وشريرها الشياطين ولكل من الفرق دلائل على ما ذهب اليه يطول ذكرها ههنا وقد يستدل عليها اصحاب المجاهدات من جهة
المكاشفة واصحاب الحاجات في الضرورات من جهة مشاهدة الآثار العجيبة والهداية الى المعالجات النادرة الغريبة والتراكيب المعجونات و
استخراج صنعة الترياقات كما يحكى انه كان لجالينوس وجع في الكبد فرأى في المنام كان آمرا امره ان يفصد الشريان الذي على ظهر كف اليمين
بين السبابة والابهام ففعل فعوفي ومما يدل على ذلك حال الرؤيا الصادقة ولا نزاع البتة بين الانبياء ع في اثبات الملائكة وذلك كالامر
المجمع عليه بينهم واما شرح كثرتهم فقد قال ع اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك ساجد او راكع وروي ان بني
آدم عشر الجن والجن وبنو آدم عشر حيوانات البر وهؤلاء كلهم عشر الطيور وهؤلاء كلهم عشر حيوانات البحر وهؤلاء كلهم عشر ملائكة الارض
الموكلين وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الدنيا وكل هؤلاء عشر ملائكة الثانية وعلى هذا الترتيب الى ملائكة السماء السابعة ثم الكل في
ملائكة الكرسي نزر قليل ثم كل هؤلاء عشر ملائكة السرادق الواحد من سرادقات العرش التي عددها ستمائة الف طول كل سرادق وعرضه
وسمكه اذا قوبلت به السموات والارض وما فيها فانها كلها يكون شيئا يسيرا وقدرا قليلا وما مقدار موضع قدم الا وفيه ملك ساجد
او راكع او قائم لهم زجل بالتسبيح والتقديس ثم كل هؤلاء في مقابلة الملائكة الذين يحومون حول العرش كالقطرة في البحر ولا يعرف عددهم
الا الله ثم مع هؤلاء ملائكة اللوح الذين هم اشياع اسرافيل ع والملائكة الذين هم جنود جبرئيل ع وهم كلهم سامعون مطيعون لا يستكبرون
عن عبادته ولا يسأمون واما اصنافهم فمنهم حملة العرش ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ومنهم اكابر الملائكة جبرئيل صاحب
الوحي والعلم وميكائيل صاحب الرزق والغذاء واسرافيل صاحب الصور وعزرائيل ملك الموت ومنهم ملائكة الجنة وملائكة يدخلون
يدخلون عليهم من كل باب ومنهم ملائكة النار عليها تسعة عشر ومنهم الموكلون ببني آدم عن اليمين وعن الشمال قعيد ومنهم الموكلون باحوال هذا
العالم والصافات صفا واما اوصافهم فكما قال امير المؤمنين علي ع منهم سجود لا يركعون وركوع لا ينتصبون وصافون لا يتزايلون و
مسبحون لا يغشاهم نوم العيون ولا سهو العقول ولا فترة الابدان ولا غفلة النسيان ومنهم امناء على وحيه والسنة الى رسله ومختلفون بقضا

اطت السماء اي صوتت من ثقل حملها

عليهم

وامره

والمرجع ومنهم الحفظة لعباده وفي السدنة لابواب جنانه ومنهم الثابتة في الارضين السفلى اقدامهم المارقة من السماء العليا اعناقهم والخارجة عن
الاقطار اركانهم والمناسبة لقوائم العرش اكتافهم ناكسة دونه ابصارهم متلفعون تحته باجنحتهم مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزة
واستار القدرة لا يتوهمون ربهم بالتصوير ولا يجرون عليه صفات المصنوعين ولا يحدونه بالاماكن ولا يشيرون اليه بالنظائر ثم اختلف في
الضحاك عن ابن عباس انه سبحانه انما قال هذا القول للملائكة الذين كانوا محاربين مع ابليس لان الله تعالى لما اسكن الجن الارض فافسدوا
فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضا بعث الله ابليس في جند من الملائكة فاخرجوهم من الارض والحقوهم بجزائر البحر فقال الله لهم اني جاعل
في الارض خليفة وقال الاكثرون من الصحابة والتابعين انه تعالى قال ذلك لجماعة الملائكة من غير تخصيص لان لفظ الملائكة يفيد العموم والتخصيص
خلاف الاصل وجاعل من جعل الذي له مفعولان معناه مصير في الارض خليفة وقيل الذي بمعنى خالق كما قال اني خالق بشرا من طين لانه باعتبار
الخلافة من عالم الامر لا من عالم الخلق والظاهر ان الارض يراد بها ما بين الخافقين وقد روي عن النبي ان الارض ههنا ارض مكة لان الدحو
الارض من تحتها والخليفة من يخلف غيره ويقوم مقامه والخليفة اسم يصلح للواحد والجمع المذكر والمؤنث وجمعه خلائف مثل كريمة وكرائم
وخلفاء لانهم جمعوه على سقط الخلفاء مثل ظريف وظرفاء والمراد به ادم لانه صار خليفة لاولئك الجن الذين تقدموه ويروى
ذلك عن ابن عباس او لانه يخلف الله في الحكم بين خلقه كقوله يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق وهو
المروي عن ابن مسعود والسدي وعن الحسن المراد بالخليفة ابناء ادم لانه يخلف بعضهم بعضا ويؤيده قوله هو الذي جعلكم خلائف الارض
وانما وحد بتاويل من يخلف او خلفا يخلف وبالحقيقة الانسان يخلف جميع المكونات من الروحانيات والجسمانيات في السماوات والارضين
ولا يخلفه شيء منها اذ يجتمع فيه ما تفرق منها ما الجمع فيه ليس للعالم المصباح يضيء بنار نور الله فيظهر انوار صفاته خلافة عنه الا مصباح
الانسان لانه اعطي مصباح السر في زجاجة القلب والزجاجة في مشكاة الجسد في زجاجة القلب فتيلة الروح يكاد زيتها اي صفاء العقل يضيء ولو لم تمسسه
نار نور وفي مصباح السر فتيلة الخفي فاذا استنار مصباحه بنار نور الله كان خليفة الله في ارضه فيظهر انوار صفاته في هذا العالم بالعدل
والاحسان والرافة والرحمة واللطف والقهر ولا يظهر هذه الصفات لا على الحيوان ولا على الملك فاعلم والفائدة في اخباره الملائكة بذلك اما
تعليم العباد المشاورة في امورهم وان كان هو بحكمته البالغة غنيا عن ذلك واما ان يسئلوا ذلك السؤال ويجابوا بما اجيبوا واعلم ان الجمهور
من علماء الدين على ان الملائكة كلهم معصومون عن جميع الذنوب لقوله يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون فلا شيء
من المامورات الا وهم فاعلون ولا شيء من المنهيات الا وهم تاركون والا لم يخالفه بدليل صحة الاستثناء ولقوله بل عباد مكرمون لا يسبقونه
بالقول وهم بامره يعملون يسبحون الليل والنهار لا يفترون الى غير ذلك من الايات وطعن فيهم بعض الحشوية بانهم قالوا اتجعل فيها الاية اعتراضا
على الله وهو من اعظم الذنوب وايضا نسبوا بني ادم الى القتل والفساد وهذا غيبة وهي من الكبائر وايضا مدحوا انفسهم بقولهم ونحن نسبح بحمدك
وهو عجب وايضا قولهم لا علم لنا الا ما علمتنا اعتذار والعذر دليل الذنب وايضا قوله تعالى ان كنتم صادقين يدل على انهم كانوا كاذبين فيما
قالوه وايضا قوله الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض يدل على انهم كانوا مرتابين في انه تعالى عالم بكل المعلومات وايضا علمهم بان الانسان
يسفك الدماء اما بالوحي وهو بعيد لانه لم يكن لاعادة الكلام فائدة واما بالاستنباط والظن وهو منهي عنه لا تقف ما ليس لك به علم
وايضا قصة هاروت وماروت وان ابليس كان من الملائكة المقربين ثم عصى الله وكفر والجواب عن اعتراضهم على الله ان غرضهم من ذلك
السؤال لم يكن هو الانكار ولا تنبيه الله على شيء لا يعلمه فان هذا الاعتقاد كفر وانما المقصود من ذلك امور منها ان الانسان اذا كان قاطعا
بحكمة غيره ثم رآه يفعل فعلا لا يهتدي الانسان الى وجه الحكمة فيه استفهم عن ذلك متعجبا فكانهم قالوا اعطاء هذه النعم العظام من
يفسد ويسفك لا تفعله الا لوجه دقيق وسر غامض في العلم حكمتك ومنها ان ايراد الاشكال طلبا للجواب غير محذور فكانهم قالوا انت الحكيم
الذي لا يفعل السفه البتة وتمكين السفيه من السفه قبيح من الحكيم فكيف يمكن الجمع بين الامرين وهذا جواب المعتزلة واستدلوا على ان
الملائكة لم يجوزوا اسناد القبيح من الله تعالى فكانوا على مذهب اهل العدل قالوا ومما يؤكد ذلك انهم اضافوا الفساد وسفك الدماء
الى المخلوقين لا الى الخالق وايضا قالوا ونحن نسبح بحمدك والتسبيح تنزيه ذاته عن صفة الاجسام ونقدس لك والتقديس تنزيه افعاله عن صفة الذم
ونعت السفه ومنها ان الخيرات في هذا العالم غالبة على شرورها وترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير فالملائكة نظروا الى الشرور فاجابهم
الله تعالى بقوله اني اعلم ما لا تعلمون اي من الخيرات الكثيرة التي لا يتركها الحكيم لاجل الشرور القليلة وهذا جواب الحكيم ومنها ان سؤالهم كان
على وجه المبالغة في اعظام الله تعالى فان العبد المخلص لشدة حبه لمولاه يكره ان يكون له عبد يعصيه ومنها انهم طلبوا مسألة منهم ان يجعل
الارض او بعضها لهم ان كان ذلك صلاحا نحو قول موسى اتهلكنا بما فعل السفهاء اي لا تهلكنا فقال تعالى اني اعلم ما لا تعلمون من صلاحكم
وصلاح هؤلاء فبين ان الاختيار لهم السماء ولهؤلاء الارض ليرضى كل فريق بما اختار الله له ومنها ان هذا الاستفهام خارج مخرج
الايجاب كقول جرير الستم خير من ركب المطايا * اي انتم كذلك والا لم يكن مدحا فكانهم قالوا انك تفعل ذلك ونحن مع هذا نسبح بحمدك
لانا نعلم في الجملة انك لا تفعل الا الصواب والحكمة فقال تعالى اني اعلم ما لا تعلمون فانتم علمتم ظاهرهم وما في باطنهم من الاسرار الخفية التي تقتضي

ايجادهم وفيه ان استحقاق تلك الخلافة ليس بكثرة الطاعة ولكنه بسابق العناية وانه تعالى غني عن طاعة المطيعين كما انه لا يضره معصية المذنبين الجواب
عن الغيبة ان من اراد ايراد السؤال وجب ان يتعرض لمحل الاشكال فلذلك ذكروا الفساد والسفك لا للغيبة وعن العجب ان مدح النفس غير ممنوع
منه مطلقا واما بنعمة ربك فحدث فكانهم قالوا ما سألناك للقدح في حكمتك يا ربنا فانا نعترف لك بالالهية والحكمة بل لطلب وجه الحكمة
وعن الاعتذار انه لم يكن للذنب بل لان ترك السؤال كان اولى وروي عن الحسن وقتادة ان الله تعالى لما اخذ في خلق آدم همست الملائكة
فيما بينهم وقالوا ليخلق ربنا ما شاء ان يخلق فلن يخلق خلقا الا كنا اعظم منه واكرم عليه فلما خلق آدم عليه السلام وفضله عليهم وعلمه الاسماء
كلها قال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين في انه لا يخلق خلقا الا وانتم افضل منه ففزعوا الى التوبة وقالوا سبحانك لا علم لنا الا
ما علمتنا ثم ان العلماء ذكروا في اخبار الملائكة عن الفساد والسفك وجوها منها انهم قالوا ذلك ظنا اما لانهم قاسوهم على حال الجن
الذين كانوا قبل آدم عليه السلام في الارض وهو مروي عن ابن عباس والكلبي واما لانهم عرفوا خلقته وعلموا انه مركب من الاركان المتخالفة والاخلاط
المتنافية الموجبة للشهوة التي منها الفساد وللغضب الذي منه سفك الدماء ومنها انهم قالوا ذلك عن اليقين ويروى عن ابن مسعود
وناس من الصحابة وذلك انه تعالى لما قال للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا ربنا وما يكون الخليفة قال يكون له ذرية يفسدون في
الارض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا فعند ذلك قالوا ربنا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء او انه تعالى كان قد اعلم الملائكة انه
اذا كان في الارض خلق عظيم افسدوا فيها وسفكوا الدماء او لانه لما كتب القلم في اللوح ما هو كائن الى يوم القيمة فلعلهم طالعوا اللوح فعرفوا
ذلك ولان معنى الخليفة اذا كان النائب لله في الحكم والقضاء والاحتياج الى الحاكم انما يكون عند التنازع والتظالم كان الاخبار عن وجود
الخليفة اخبارا عن وقوع الفساد والشر بطريق الالتزام وقيل لما خلق الله النار خافت الملائكة خوفا شديدا فقالوا لم خلقت هذه النار قال
لمن عصاني من خلقي ولم يكن يومئذ لله خلق الا الملائكة ولم يكن في الارض الخلق البتة فلما قال اني جاعل في الارض خليفة عرفوا ان المعصية
منهم تظهر وفي ما قصة ابليس وهاروت وماروت فسيجيء الكلام فيها واختلف الناس في ان الملائكة لهم قدرة على المعاصي والشر ام لا فالفلاسفة
وكثير من اهل الجبر قالوا انهم خير محض ولا قدرة لهم على الشر والمعتزلة اثبتوا لهم قدرة على الامرين لان قولهم اتجعل اما معصية او ترك الاولى
وعلى التقديرين فالمقصود حاصل وايضا قال تعالى ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم وهذا يقتضي كونهم مكلفين وقال لا
يستكبرون عن عبادته والمدح بترك الاستكبار انما يحسن لو كان قادرا على الاستكبار ويمكن الزامهم بان الثواب عندهم واجب على الله تعالى
فيمتنع عليه تركه مع انه يستحق المدح على الثواب قالوا ونحن نسبح الحال كقولك احسن الى فلان وانا احق بالاحسان والتسبيح تبعيد الله
من السوء وكذا التقديس من سبح في الماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد التبعيد عن السوء اما في الذات ويحصل بنفي الامكان المستلزم
لنفي الجسمية والعرضية والضد والند واما في الصفات فبان يكون مبرأ عن العجز والجهل والتغير محيطا بكل المعلومات قادرا على كل المقدورات
واما في الافعال فبان لا يكون افعاله لجلب المنافع ودفع المضار يقول الله تعالى انا المنزه عن قول الظالمين سبحان ربك رب العزة عما يصفون
انا الغني عن الكل سبحانه هو الغني انا الذي كل شيء سواي فهو تحت قهري وتسخيري فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء انا المنزه عن الصاحبة
والولد سبحانه ان يكون له ولد انا الذي خلق الولد من غير اب سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون انا الذي سخرت الانعام القوية
للبشر الضعيف سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين انا الذي علم لا بتعليم المعلمين ولا بارشاد المرشدين سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا
انا الذي اغفر معصية سبعين سنة بتوبة ساعة فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس فان اردت رضوان الله فسبح ومن آناء الليل فسبح و
اطراف النهار لعلك ترضى وان اردت الخلاص عن النار فسبح سبحانك فقنا عذاب النار وان اردت الفرج عن البلاء فسبح لا اله الا
انت سبحانك اني كنت من الظالمين ايها العبد واظب على التسبيح وسبحوه بكرة واصيلا والا فالضرر يعود اليك فان استكبروا فالذين
عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون يسبح لي الحجر والمدر والرمال والجبال والشجر والدواب والليل والنهار والظلمات والانوار
والجنة والنار والزمان والمكان والعناصر والاركان والارواح والاجسام سبح لله ما في السموات والارض وان من شيء الا يسبح بحمده
ايها العبد انا الغني عن تسبيح هذه الاشياء وهذه الاشياء ليست من الاحياء فلا حاجة بها الى ثواب هذا التسبيح ولا اضيع ثواب
هذه التسبيحات فان ذلك لا يليق بي وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا لكني اوصل ثواب هذه الاشياء اليك لتعرف ان من اجتهد
في خدمتي اجعل كل العالم في خدمته وان العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الارض والحيتان في جوف الماء البحر ايها العبد اذكرني بالعبودية
لتنتفع به لا انا سبحان ربك رب العزة فانك اذا ذكرتني في الخلوات ذكرتك في الفلوات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا
عظيما اقرضني وان كنت انا الغني حولت الواحد عليك عشرة ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم لا حاجة لي الى العسكر ولو يشاء الله
لانتصر منهم ولكن اذا نصرتني نصرتك ان تنصروا الله ينصركم واخدمني يا ايها الناس اعبدوا ربكم لا لاني احتاج الى خدمتك فاني انا الملك
ولله ملك السموات والارض لكن امرتك بخدمتي لاعز تقصير الثنا ب ملكا كبيرا واجرا كثيرا وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من
تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر ذلك الفوز العظيم قوله بحمدك في موضع الحال اي

نسبحك متلبسين بحمدك فانا لولا انعامك علينا بالتوفيق لم نتمكن من ذلك وسئل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اى الكلام افضل فقال ما اصطفاه الله لملائكته سبحان الله وبحمده ويروى ان اهل السماء الدنيا سجود الى يوم القيمة يقولون سبحان ذى الملك والملكوت واهل السماء الثانية قيام الى يوم القيمة يقولون سبحان ذى العزة والجبروت واهل السماء الثالثة ركوع الى يوم القيمة يقولون سبحان الحى الذى لا ينام ولا يموت وعن ابن عباس وابن مسعود نسبح اى نصلى والتسبيح الصلوات وعن مجاهد ونقدس لك نطهر انفسنا من ذنوبنا وخطايانا ابتغاء مرضاتك وقيل نطهر قلوبنا عن الالتفات الى غيرك حتى تصير مستغرقة فى انوار معرفتك انى اعلم ما لا تعلمون معناه لا تعجبوا ولا تغتموا بان فيهم من يفسد ويسفك فانى اعلم ان فيهم من لو اقسم على الله لابره واعلم ان معكم ابليس وفى قلبه من الحسد والكبر والنفاق ما فيه وانكم لما وصفتم انفسكم بهذه المدائح فانتم تسبحون انفسكم لا انى تسبحونى احسن ولعى اخلق البشر فيكون فيهم من يعبد ثم يخشون ويؤدون حق العبادات ثم لا يتكلون على تلك الطاعات انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والذين هم من خشية ربهم مشفقون والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين واعلم من المصالح فى ذلك ما هو خفى عليكم ولكم فى هذا الاجمال ما يغنيكم عن التفصيل فان افعالى كلها حكمة ومصلحة وان خفى لكم وجه كل واحد واحد على التفصيل ثم بين لهم بعض ذلك فى قوله **وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ**

(و آموخت بادم نامها را همه پس عرضه کرد دانندگان را بر فرشتگان پس گفت که خبر دهید مرا بنامهای ایشان اگر باشید راستگویان ... گفتند پاکی ترا ... نیست دانشی ما را مگر آنچه آموختی ما را بدرستیکه توئی دانای ... گفت ای آدم خبر ده ایشان را بنامهای ایشان پس چون خبر داد ایشان را بنامهای ایشان گفت آیا نگفتم شما را ... میدانم پنهانی آسمانها و زمین را و میدانم آنچه آشکار کنید و آنچه پنهان میکردید)

القراءة انبئونى وكذلك خاطئون وخاسئين وصابئون ويستهزئون والمنشئون وليطفئوا وليواطئوا ومتكئين ومتكاء وليستنبئونك وبابه برءا وبرءون ونابه كهيئة واشباه ذلك ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو وهؤلاء ان كنتم بتيسير الهمزة الاولى بالمد ويزيد ويعقوب وقتيبة ومصعب عن قالون قال ابو اسحق هما كلتان لا يمد وبمد هؤلاء من يهمزتين عاصم وحمزة وعلى وخلف وابن عامر وقرأ ابو عمرو والبزى من طريق الهاشمى بترك الهمزة الاولى واثبات الثانية وكذلك المضمومتين واما فى المفتوحتين فكابى عمرو انبئهم عن ابن عامر روايتان مهموزة مكسورة الهاء وغير مهموزة مكسورة الهاء والباقون مهموزة مضمومة الهاء الوقوف صادقين علمتنا الحكيم انبئهم باسمائهم ج لان الفاء للتعقيب باسمائهم لان فى جواب فلما تكتمون التفسير فيه ابحاث الاول الاشعرى والجبائى والكعبى على ان اللغات كلها توقيفية بمعنى ان الله تعالى خلق علما ضروريا بتلك الالفاظ وتلك المعانى وبان تلك الالفاظ موضوعة لتلك المعانى بدليل قوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها لا علم لنا الا ما علمتنا وهذا يدل على ان الملائكة وآدم لا يعلمون الا بتعليم الله تعالى اياهم وخالفهم اصحاب ابى هاشم الذاهبين الى ان اللغات اصطلاحية وضعها البشر واحد وجماعة وحصل التعريف للباقين بالاشارة والقرائن كالاطفال فقالوا المراد بالتعليم بعث داعية على الوضع مثل وعلمناه صنعة لبوس لكم اى الهمناه او المراد تعليمه ما سبق من اصطلاحات قوم كانوا قبل آدم واجيب بان الاصل عدم العدول عن الظاهر قالوا ثم عرضهم يدل على ان المراد بالاسماء اسماء المسميات فان قلنا المسميات غير معقول فاذن المراد اسماء المسميات وعوض اللام عن المضاف اليه كما فى قوله واشتعل الرأس شيبا اى علمه اسماء كل ما خلق من اجناس المحدثات من جميع اللغات المختلفة التى يتكلم بها ولده اليوم من العربية والفارسية والرومية وغيرها وكان ولد آدم يتكلمون بهذه اللغات فلما مات وتفرق ولده فى نواحى العالم تكلم كل واحد منهم بلغة واحدة معينة من تلك اللغات فلما طالت المدة ومضت القرون تنوسى سائر اللغات ثم لا يبعد بل ينبغى ان يكون الله تعالى قد علمه مع ذلك صفات الاشياء ونعوتها وخواصها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية لان اشتقاق الاسم اما من السمة او من السمو فالاسم هو العلامة وصفات الاشياء وخواصها دالة على ماهياتها وعلامة عليها وان كان من السمو فدليل الشىء كالمرتفع على ذلك الشىء فان العلم بالمدلول انما قلنا ينبغى ذلك لان الفضيلة فى معرفة حقائق الاشياء اكثر من الفضيلة فى معرفة اسمائها ثم من الحقائق ما يتوقف ادراكها على الة مدركة بها كالمبصرات والمسموعات وغيرها فاذا كان لآدم تلك الآلات قد عرفها ولم يكن للملائكة ذلك لزم عجزهم وايضا العربى لا يحسن منه ان يقول لغيره تكلم بلغتك لان العقل لا طريق له الى معرفة اللغات بل انما يحصل التعليم حصل العلم بها والا فلا اما العلم بحقائق الاشياء فالعقل يتمكن من تحصيله فصح وقوع التحدى به وايضا قيل ثم عرضهم بلفظ المذكر لان فى جملة المسميات الملائكة والثقلين وهم العقلاء فغلب الكامل على الناقص والتذكير على التأنيث ومن الناس من يتمسك بقوله انبئونى باسماء هؤلاء على جواز تكليف ما لا يطاق وهو ضعيف لانه انما استنبأهم مع علمه بعجزهم تبكيتا لهم بدليل قوله ان كنتم صادقين اى فى انى لا اخلق خلقا الا كنتم اعلم منهم وقيل اى فى قولكم انه لا شىء مما يتعبد به الخلق الا وانتم تصلحون له تقومون به وهو قول ابن عباس وابن مسعود وقيل اعلمونى باسماء هؤلاء ان علمتم انكم تكونون صادقين

في ذلك الاعلام وقيل اخبروني فيه لا تقولون الا حقا وصدقا فيكون الغرض منه التوبيخ لما وقع عليه من القصص ولانه متى تمكن في انفسهم العلم بانهم
ان اخبروا لم يكونوا صادقين ولا لهم اليه سبيل لانهم عجزوا عن الجواب ثم ان الذين اعتقدوا معصية الملائكة في قولهم اتجعل قالوا انهم لما عرفوا خطأهم
تابوا واعتذروا بقولهم سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا والذين انكروا معصيتهم قالوا قالوا ذلك على وجه الاعتراف بالعجز والتسليم كانهم
قالوا لا نعلم الا ما علمتنا فلذلك فكيف نعلمه وانهم لما قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها لان الله تعالى اعلمهم ذلك فكانهم قالوا انك علمتنا انهم
يفسدون في الارض فقلنا اتجعل واما هذه الاسماء فانك ما علمتنا فكيف نعلمها ومعنى سبحانك تنزيها اي نزهناك تنزيها وهو مصدر
غير متصرف اي لا يستعمل الا محذوف الفعل منصوبا على المصدر فاذا استعمل غير مضاف كان سبحان علما للتسبيح فان العلمية كما تجري
في الاعيان تجري في المعاني قالت المعتزلة ههنا المراد انه لا علم لنا الا من جهتك اما بالتعليم واما بنصب الدلالة وقالت الاشاعرة بل الجميع بالتعليم
لان المؤثر في وجود العلم ليس هو ذات الدليل بل النظر في الدليل وانه يستند الى توفيق الله تعالى وتسهيله ثم احتج اهل الاسلام بالآية على انه لا
سبيل الى معرفة المغيبات الا بتعليم الله تعالى وانه لا يمكن التوصل اليها بعلم النجوم والكهانة وللمنجم ان يقول للمعتزلي اذا فسرت التعليم بوضع الدليل
فعندي حركات النجوم دلائل خلقها الله تعالى على احوال هذا العالم فيكون من جملة ما علمه الله تعالى انك انت العليم بكل المعلومات فامكنك
تعليم آدم الحكيم في هذا الفعل المصيب فيه وعن ابن عباس ان مراد الملائكة من الحكيم انه هو الذي حكم بجعل آدم خليفة في الارض وقوله
الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض مستقصى في قوله تعالى اني اعلم ما لا تعلمون والا انه تعالى جاء به على وجه ابسط واشرح فبين
فيه علمه باحوال آدم قبل ان خلقه وفيه دليل على انه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها فيبطل مذهب هشام بن الحكم انه لا يعلم الاشياء الا عند
وقوعها وقد روى الشعبي عن ابن عباس وابن مسعود انه يريد بقوله ما تبدون قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها وبقوله ما كنتم تكتمون
ما اسر ابليس في نفسه من الكفر والكبر ان لا يسجد وقيل لما خلق آدم رأت الملائكة خلقا عجيبا فقالوا ليكن ما شاء فلن يخلق ربنا خلقا
الا كنا اكرم عليه منه فهذا هو الذي كتموه ويجوز ان يكون هذا القول سرا اسروه بينهم فابداه بعضهم لبعض واسروه عن غيرهم فكان في
هذا الفعل الواحد ابداء وكتمان والظاهر انه عام كقوله انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون انه يعلم الجهر وما يخفى البحث الثاني
قالت المعتزلة ان ما ظهر من آدم معجز دل على نبوته في ذلك الوقت فكان مبعوثا الى حواء او الى من توجه التحدي اليهم لانهم وان كانوا رسلا
فقد يجوز الارسال الى الرسل كبعثة ابرهيم الى لوط واحتجوا بان حصول ذلك العلم له ناقض للعادة ومنع بان حصول العلم بالاسماء لمن علمه
الله وعدم حصوله لمن لم يعلمه ليس بناقض للعادة وايضا انهم علموا ان تلك الاسماء موضوعة لتلك المسميات اولا فان علموا فقد قدروا
على المعارضة والا فكيف عرفوا ان آدم اصاب فيما ذكر اللهم الا ان يقال ان لكل صنف منهم لغة من تلك اللغات ثم ان جميع الاصناف حضروا
وان آدم عرض عليهم جميع تلك اللغات فكان معجزا او يقال انه تعالى عرفهم قبل ان سمعوا من آدم تلك الاسماء فاستدلوا به على صدق آدم
والظاهر انهم قد عرفوا صدقه بتصديق الله تعالى اياه ولئن سلم انه ظهر منه فعل خارق للعادة فلم لا يجوز ان يكون ذلك من باب الكرامات
او من باب الارهاص وهما عندنا جائزان لنا القطع بانه ما كان نبيا في ذلك الوقت قالوا صدرت الكبيرة منه بعد ذلك والاقدام عليها يوجب
الطرد والتحقير فوجب ان يكون النبوة متأخرة عنها كيف وقد قال عز من قائل ثم اجتباه ربه والرسالة هي الاجتباء فيكون بعد الزلة وايضا لو
لو كان رسولا فان لم يكن مبعوثا الى احد فلا فائدة وان كان مبعوثا فاما الى الملائكة وهم افضل من البشر عند المعتزلة ولا يجوز جعل الادون
رسولا الى الاشرف لان المرء الى قبول القول ممن هو من جنسه اسكن ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا واما الى الانس فلا انسان الا حواء
وانها عرفت التكليف لا بواسطة آدم بدليل ولا تقربا هذه الشجرة واما الى الجن وما كان في السماء احد من الجن البحث الثالث في فضل العلم
لو كان في الامكان شيء اشرف من العلم لاظهر الله تعالى فضل آدم بذلك الشيء ومما يدل على فضيلته الكتاب والسنة والمعقول اما الكتاب فمن ذلك
ما يروى عن مقاتل ان الحكمة في القرآن على اربعة اوجه احدها مواعظ القرآن وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به وثانيها الحكمة
بمعنى الفهم والعلم وآتيناه الحكم صبيا ولقد آتينا لقمان الحكمة وثالثها الحكمة بمعنى النبوة ولقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة ورابعها القرآن
يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وجميع هذه الوجوه عند التحقيق ترجع الى العلم ومن ذلك انه تعالى فرق بين
سبعة نفر في كتابه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون قل لا يستوي الخبيث والطيب لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة
وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات فاذا تاملت وجدت كل ذلك
ماخوذا من الفرق بين العالم والجاهل ومن ذلك قوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم اي العلماء في اصح الاقوال لان الملوك
يجب عليهم طاعة العلماء ولا ينعكس شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم جعلهم في الآيتين في المرتبة الثالثة ثم زاد في الاكرام
فجعلهم في المرتبة الثانية وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ومن ذلك
قوله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات ومن ذلك وصفهم بالايمان والراسخون في العلم يقولون آمنا به و
بشهادة التوحيد شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم بالبكاء والسجود والخشوع ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى

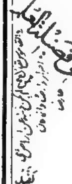

عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا وباية
انما يخشى الله من عباده العلماء واما الاخبار فمنها ما رواه انس عن النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان ينظر الى عتقاء الله من النار فلينظر الى المتعلم
فوالذي نفسي بيده ما من متعلم يختلف الى باب العالم الا كتب الله بكل قدم عبادة سنة وبنى بكل قدم مدينة في الجنة ويمشي على الارض
والارض تستغفر له ويمسي ويصبح مغفورا له وشهدت الملائكة بانهم عتقاء الله من النار وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من طلب العلم لغير
الله لم يخرج من الدنيا حتى ياتي عليه العلم فيكون لله ومن طلب العلم لله فهو كالصائم نهاره والقائم ليله وان بابا من العلم يتعلمه
الرجل خير له من ان يكون ابو قبيس ذهبا فانفقه في سبيل الله وعن الحسن مرفوعا من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الاسلام كان
بينه وبين الانبياء درجة في الجنة وعنه رحمة الله على خلفائي قيل يا رسول الله ومن خلفاؤك قال الذين يحيون سنتي ويعلمونها
عباد الله وعن ابي موسى الاشعري مرفوعا يبعث الله العباد يوم القيمة ثم يميز العلماء فيقول يا معشر العلماء اني لم اضع نوري فيكم الا
لعلمي بكم ولا اضع علمي فيكم لاعذبكم انطلقوا فقد غفرت لكم وقال معلم الخير اذا مات بكى عليه طير السماء ودواب الارض وحيتان البحر
عن ابي هريرة مرفوعا من صلى خلف عالم من العلماء فكانما صلى خلف نبي من الانبياء وعن ابن عمر مرفوعا فضل العالم على العابد بسبعين
درجة بين كل درجتين حضر الفرس سبعين عاما وذلك ان الشيطان يضع البدعة للناس فيبصرها العالم ويزيلها والعابد يقبل على عبادته
لا يتوجه اليها ولا يتعرف لها وقال صلى الله عليه وسلم لعلي حين بعثه الى اليمن لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس وفي ترغيب عن معاذ
مرفوعا من طلب العلم ليحدث به الناس ابتغاء وجه الله اعطاه الله اجر سبعين نبيا وعن عمار الجهني مرفوعا يوتى بمداد العلماء ودم الشهداء
يوم القيمة لا يفضل احدهما على الاخر وفي رواية فيترجح مداد العلماء وعن ابي واقد الليثي ان النبي صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس والناس معه اذ اقبل ثلثة نفر
فاما احدهم فراى فرجة في الحلقة فجلس اليها واما الاخر فجلس خلفهم واما الثالث فادبر ذاهبا فلما فرغ صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم عن النفر
الثلثة فاما الاول فاوى الى الله فاواه الله واما الثاني فاستحيى من الناس فاستحيى الله منه واما الثالث فاعرض فاعرض الله عنه وعنه يشفع يوم
القيمة ثلثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء قال الراوي فاعظم بمرتبة هي الواسطة بين النبوة والشهادة وعن ابي هريرة مرفوعا اذا مات الانسان
انقطع عمله الا من ثلثة صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له بالخير وعن النبي اذا سالتم الحوائج فاسئلوها الناس قيل يا رسول الله
ومن الناس قال اهل القران قيل ثم من قال صباح الوجوه قال الراوي المراد باهل القران من يحفظ معانيه قال كن عالما او متعلما
او مستمعا او محبا ولا تكن الخامس فتهلك قال الراوي وجه التوفيق بين هذه الرواية وبين الرواية الاخرى الناس رجلان عالم ومتعلم وسائر الناس
همج لا خير فيه ان المستمع والمحب بمنزلة المتعلم وما احسن قول بعض الاعراب لولده كن سبعا خالسا او ذئبا او كلبا حارسا واياك ان تكون
انسانا ناقصا وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يحدث انسانا فاوحى الله اليه انه لم يبق من عمر هذا الرجل الذي تحدثه الا ساعة وكان هذا وقت العصر
فاخبره الرسول بذلك فاضطرب الرجل وقال يا رسول الله دلني على اوثق عمل في هذه الساعة قال اشتغل بالتعلم فاشتغل بالتعلم فقبض قبل
المغرب قال الراوي ولو كان شيء افضل من العلم لامره النبي صلى الله عليه وسلم به في ذلك الوقت واما الاثار فقال مصعب بن الزبير لابنه تعلم العلم فان يك لك مال كان
لك جمالا وان لم يكن لك مال كان لك مالا وقال علي بن ابي طالب لا خير في الصمت عن العلم كما لا خير في الكلام عن الجهل وقيل مثل العالم بالله
وبامر الله كمثل الشمس لا يزيد ولا ينقص وهو الجالس على الحد المشترك بين عالم المعقولات وعالم المحسوسات فهو تارة مع الله بالحب له
وتارة مع الخلق بالشفقة والرحمة فاذا رجع من ربه الى الخلق صار كواحد منهم واذا خلا بربه مشتغلا بذكره وخدمته فكانه لا يعرف الخلق فهذا
سبيل المرسلين والصديقين ومثل العالم بالله فقط كمثل القمر يكمل تارة وينقص اخرى وهو المستغرق في المعارف الالهية غير متفرغ لتعلم
علم الاحكام الا ما لا بد منه ومثل العالم بامر الله فقط وهو العارف بالحلال والحرام دون اسرار جلال الله كمثل السراج يحرق نفسه ويضيء
غيره وقال سفيان الناس يقومون من مجلسي على ثلثة اصناف سمعت ذلك من تفسير القران فاقول عن الله وعن الرسول فمن لا يصدق فهو كافر
محض ومن ضاق قلبه منه فهو منافق ومن ندم على ما صنع وعزم ان لا يعود كان مؤمنا مخلصا وقال ايضا ثلثة من النوم يبغضها الله
وثلثة من الضحك النوم بعد صلوة الفجر وقبل صلوة العتمة والنوم في الصلوة والنوم عند مجلس الذكر والضحك خلف الجنازة والضحك
في المقابر والضحك في مجلس الذكر وقيل العالم ارأف بالتلميذ من الاب والام لان الاباء والامهات يحفظونهم من نار الدنيا وانهم
من نار الاخرة وشدائدها وقيل لابن مسعود بم وجدت هذا العلم قال بلسان سؤول وقلب عقول قال بعضهم سل مسئلة الحمقى واحفظ
حفظ الاكياس وقيل الدنيا بستان تزينت بخمسة اشياء علم العلماء وعدل الامراء وعبادة العباد وامانة التجار ونصيحة المحترفين فجاء
ابليس بخمسة اعلام واقامها بجنب هذه الخمسة فجاء بالحسد فركزه في جنب العلم وجاء بالجور فركزه بجنب العدل وجاء بالرياء فركزه بجنب العبادة
وجاء بالخيانة فركزه بجنب الامانة وجاء بالغش فركزه بجنب النصيحة وقال علي بن ابي طالب العلم افضل من المال بسبعة وجوه العلم ميراث الانبياء
والمال ميراث الفراعنة العلم لا ينقص بالنفقة والمال ينقص المال يحتاج الى الحافظ والعلم يحفظ اذا مات الرجل خلف ماله والعلم يدخل معه قبره
المال يحصل للمؤمن والكافر والعلم لا يحصل الا للمؤمن جميع الناس يحتاجون الى العالم في دينهم ولا يحتاجون الى صاحب المال العلم يقوي الرجل

عند المرء على الصراط والمال لا ينفعه منه قال الفقيه ابو الليث من جلس عند العالم ولا يقدر ان يحفظ من ذلك العلم شيئا فله سبع كرامات ينال فضل المتعلمين وكان محبوسا من الذنوب ما دام جالسا عنده واذا خرج من منزله طلبا للعلم نزلت الرحمة عليه واذا جلس فى حلقة العلم فنزلت الرحمة عليهم حصل له نصيب منها ما دام يكون فى الاستماع يكتب له طاعة واذا استمع ولم يفهم ضاق قلبه لحرمانه فيكون فى زمرة المنكسرة قلوبهم لاجلى واذا راى اعزاز المسلمين للعالم واذلالهم للفساق ينفر عن الفسوق ومال الى طلب العلم وقيل اربع لا ينبغى للشريف ان يانف منهن وان كان اميرا قيامه من مجلسه لابيه وخدمته للعالم الذى يتعلم منه والسؤال عما لا يعلم ممن هو اعلم منه واعلم ان الله تعالى علم سبعة نفر سبعة اشياء علم آدم الاسماء كلها وعلم الخضر علم الفراسة وعلمناه من لدنا علما وعلم يوسف التعبير وعلمتنى من تأويل الاحاديث وعلم داود صنعة الدرع وعلمناه صنعة لبوس لكم وعلم سليمان منطق الطير علمنا منطق الطير وعلم عيسى عليه السلام علم التوراة والانجيل ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل وعلم محمد عليه السلام علم الشرع والتوحيد وعلمك ما لم تكن تعلم فعلم آدم كان سببا لحصول السجدة والتحية وعلم الخضر كان سببا لوجود تلميذ مثل موسى ويوشع وعلم يوسف لوجود الاهل والمملكة وعلم سليمان لوجدان بلقيس الغلبة وعلم داود للرياسة والملك وعلم عيسى لزوال التهمة عن امه وعلم محمد لوجدان الشفاعة فمن علم اسماء المخلوقات وجد آدم تحية الملائكة فمن علم ذات الخالق وصفاته اما يجد تحية الملائكة سلام قولا من رب رحيم والخضر وجد بعلم الفراسة صحبة موسى فامة محمد بعلم الحقيقة لا يجدون صحبة محمد تعالى فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين ويوسف بتأويل الرؤيا نجا من حبس الدنيا فمن كان عالما بتأويل كتاب الله لا ينجو من حبس الشبهات ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم واعلم ان يوسف عليه السلام ذكر منة الله على نفسه حيث قال وعلمتنى من تأويل الاحاديث فانت ايها العالم اذكر نعمة الله على نفسك حيث جعلك مفسر الكلام وسماك الفقيه ووارث النبى وداعيا الخلق وواعظ العباد وسراجا لاهل البلاد وقائد الخلق الى الجنة وثوابها وزاجرا لهم عن ناره وعقابه كما جاء فى الحديث العلماء سادة والفقهاء قادة ومجالستهم زيادة وان سليمان لم يحتج الى الهدهد الا لعلمه بالماء روى عن نافع بن الازرق قال لابن عباس كيف اختار سليمان الهدهد لطلب الماء قال لان الارض له كالزجاجة يرى باطنها من ظاهرها فقال نافع انه يغطى له الفخ باصبع من التراب فلا يراه فيقع فيه فقال ابن عباس اذا جاء القضاء عمى البصر وقال لولده يا بنى عليك بالادب فانه دليل على المروءة وانس فى الوحدة وصاحب فى الغربة وقرين فى الحضر وصدر فى المجلس ووسيلة عند انقضاء الوسائل وغنى عند العدم ورفعة للخسيس وكمال للشريف وجلال للملك وقال سقراط من فضيلة العلم انك لا تقدر على ان يخدمك فيه احد كما تجد من يخدمك فى سائر الاشياء بل تخدمه بنفسك ولا يقدر احد على سلبه عنك قيل لبعض الحكماء لا تنظر فغمض عينيه قيل له لا تسمع فسد اذنيه قيل له لا تتكلم فوضع يده على فيه وقيل له لا تعلم فقال لا اقدر عليه وعن بعض الحكماء عظم العلم فى ذاتك وصغر الدنيا فى عينك وكن ضعيفا عند الهزل قويا عند الجد ولا تلم احدا على فعل يمكن ان يعتذر منه ولا ترفع شكايتك الا الى من ترى نفعه عنده فتكون حكيما فاضلا ولبعضهم آفة الزعماء ضعف السياسة وآفة العلماء حب الرياسة واما النكث فالعصمة عند الجهل لا يرجى ولهذا انظر الى آدم لما امر بعلمه استغفر والشيطان عصى وبقى فى الطرد الى الابد لان ذلك كان بسبب الجهل وان يوسف لما صار ملكا احتاج الى وزير فسأل جبرائيل عن ذلك فقال ان ربك يقول لا تختر الا فلانا فرآه فى اسوء الاحوال فقال لجبرائيل كيف يصلح لهذا العمل مع سوء حاله فقال جبرائيل ان ربه عينه لذلك لانه ذب عنك حيث قال ان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين والنكتة ان من ذب عن يوسف استحق الشركة فى مملكته فمن ذب عن الدين القويم بالبرهان المستقيم فكيف لا يستحق من الله الخير والاحسان وقيل اراد واحد خدمة ملك فقال الملك اذهب فتعلم حتى تصلح لخدمتى فلما شرع فى التعلم وذاق لذة العلم بعث الملك اليه فقال اترك التعلم فقد صرت اهلا لخدمتى فقال كنت اهلا لخدمتك حين لم ترنى اهلا لخدمتك وحين رأيتنى اهلا لخدمتك رأيت نفسى اهلا لخدمة الله وذلك انى كنت اظن ان الباب باب الملك لجهلى والآن علمت ان الباب باب الرب قال حكيم القلب ميت وحياته بالعلم والعلم ميت وحياته بالطلب والطلب ضعيف وقوته بالمدارسة فاذا قوى بالمدارسة فهو محتجب واظهاره بالمناظرة فهو عقيم ونتاجه بالعمل فاذا زوج العلم بالعمل توالد وتناسل ملكا ابديا لا آخر له وان نملة واحدة نالت الرياسة بمسألة واحدة علمتها وذلك قولها وهم لا يشعرون كان فيها اشارة الى تنزيه الانبياء عن المعصية وايذاء البرئ من غير جرم فقالت لو حطمكم فانما يصدر ذلك منه على سبيل السهو فمن علم حقائق الاشياء من الموجودات والمعدومات كيف لا يستحق الرياسة فى الدين والدنيا وان الكلب المعلم يكون صيده طاهرا ببركة العلم مع انه نجس فى الاصل فالنفس الطاهرة فى الفطرة اذا تلوثت باوزار المعصية كيف لا تطهر ببركة العلم بالله وبصفاته واذا كان السارق عالما لا تقطع يده لانه يقول كان المال وديعة لى كذا اشار بقوله حسبته حلالا وكذا الزانى يقول تزوجتها فانه لا يحد ومن الحكايات انه اجتمع عند الرشيد وكان بحضرته فقهاء منهم ابو يوسف فاتى برجل فادعى عليه انه اخذ من بيتى مالا بالليل ثم اقر الآخذ بذلك فى المجلس فاتفق الفقهاء على انه يقطع يده فقال ابو يوسف لا قطع عليه لانه اقر بالاخذ وانه لا يوجب القطع بل لا بد من الاعتراف بالسرقة فصدقه الكل فى ذلك ثم قالوا للآخذ اسرقتها فقال نعم فاجمعوا على القطع لانه اقر بالسرقة فقال ابو يوسف لا قطع عليه لانه اقر بالسرقة لكن بعد ما اوجب الضمان عليه باقراره بالاخذ فاذا اقر بالسرقة بعد ذلك فهو بهذا الاقرار يسقط الضمان عن نفسه فلا يسمع اقراره فتعجب الكل وعن الشعبى كنت عند الحجاج فاتى بيحيى بن يعمر فقيه خراسان من بلخ مكبلا فى الحديد فقال الحجاج انت زعمت ان

الحسن والحسين من ذرية الرسول فقال بلى فقال الحجاج لتاتيني بها من كتاب الله واضحة بينة او لاقطعنك عضوا عضوا فقال آتيك بها بينة واضحة
من كتاب الله يا حجاج قال فتعجب من جرأته بقوله يا حجاج قال له ولا تأتني بهذه الآية ندع ابناءنا وابناءكم فقال آتيك بها واضحة من كتاب
الله فقال ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان الى قوله وزكريا ويحيى وعيسى فمن ابو عيسى فقد الحق بذرية
نوح قال فاطرق مليا ثم رفع راسه فقال كاني لم اقرأ هذه الآية من كتاب الله حلوا وثاقه واعطوه من المال ويحكى ان جماعة من اهل
المدينة جاؤا الى ابي حنيفة ليناظروه في القراءة خلف الامام ويبكتوه ويشنعوا عليه فقال لهم لا يمكنني مناظرة الجميع ففوضوا امر المناظرة
الى اعلمكم لاناظره فاشاروا الى واحد فقال هذا اعلمكم قالوا نعم قال والمناظرة معه كالمناظرة معكم قالوا نعم قال والالزام عليه كالالزام عليكم قالوا
نعم قال ان ناظرته والزمته الحجة فقد لزمتكم الحجة قالوا نعم قال وكيف قالوا لانا رضينا به اماما فكان قوله قولا لنا قال ابو حنيفة فنحن لما
اخترنا الامام في الصلوة فقراءته قراءة لنا وهو ينوب عنا فاقروا له بالعلم ويحكى ان المنصور دعا ابا حنيفة يوما فقال الربيع و
هو يعادي ابا حنيفة يا امير المؤمنين هذا يخالف جدك كان يقول الاستثناء المنفصل جائز وابو حنيفة ينكره فقال ابو حنيفة هذا الربيع يقول ليس لك
بيعة في رقبة الناس فقال كيف قال انهم يعقدون البيعة لك ثم يرجعون الى منازلهم فيستثنون فيبطل بيعتهم فضحك المنصور وقال اياك
يا ربيع وابا حنيفة فلما خرج الربيع قال سعيت في دمي قال كنت البادي ويحكى انه دخل اللصوص على رجل واخذوا متاعه واستحلفوه بالطلاق
ثلاثا ان لا يعلم احدا فاصبح الرجل وهو يرى اللصوص يبيعون متاعه وليس يقدر ان يتكلم من اجل يمينه فجاء الرجل يشاور ابا حنيفة فقال
احضر لي امام مسجدك واهل محلتك فادخلهم جميعا في دار واحدة واخرج واحدا واحدا فقال للرجل ان لم يكن لصك فقل لا وان كان فاسكت
فلما سكت قبض على اللص ورد الله عليه جميع ما سرق منه ويحكى انه كان في جوار ابي حنيفة فتى يغشى مجلس ابي حنيفة فقال يوما لابي حنيفة اني اريد
التزوج من آل فلان وقد خطبتها اليهم فطلبوا مني من المهر فوق طاقتي قال استقرض وادخل عليها فان الله يسهل الامر عليك بعد ذلك ثم
اقرضه ابو حنيفة ذلك القدر ثم قال له بعد الدخول اظهر انك تريد الخروج من هذا البلد الى بلد بعيد وانك تسافر باهلك معك فاظهر الرجل
ذلك فاشتد على اهل المراة وجاؤا الى ابي حنيفة يشكونه ويستفتونه فقال لهم ذلك الطريق له ان ترضوه بان تردوا عليه ما اخذتموه فاجابوا
اليه فقال الزوج اني اريد شيئا آخر فوق ذلك فقال له ابو حنيفة ترضى بهذا والا اقررت لرجل بدين فلا يمكنك المسافرة بها حتى تقضي ما عليك
فقال الرجل الله الله لا يسمعوا بهذا فرضي بذلك فحصل ببركة علم ابي حنيفة فرج كل واحد من الخصمين سئل ابو حنيفة رضي الله عنه
عن رجل حلف ليقربن امرأته في نهار رمضان فلم يعرف احد الجواب فقال يسافر بامرأته فيطؤها نهارا في رمضان وقال الشافعي لبشر المريسي
كيف تدعي انعقاد الاجماع مع تفرق اهل المشرق والمغرب على شيء واحد وكان هذه المناظرة عند الرشيد فقال الشافعي هل تعرف اجماع الناس على
خلاف هذا المجلس فخرس بشر وانقطع ويحكى ان اعرابيا سأل الحسين بن علي حاجة وقال سمعت جدك يقول اذا سألتم حاجة فاسألوها
من اربعة اما عربيا شريفا او مولى كريما او حامل القرآن او صاحب الوجه الصبيح فاما العرب فشرفت بجدك واما الكرم فدأبكم وسيرتكم
واما القرآن ففي بيوتكم نزل واما الوجه الصبيح فاني سمعت رسول الله يقول اذا اردتم ان تنظروا الي فانظروا الى الحسن والحسين فقال الحسين
ما حاجتك فكتبها على الارض فقال الحسين سمعت ابي عليا يقول قيمة كل امرئ ما يحسنه وسمعت جدي يقول المعروف بقدر المعرفة
فاسألك عن ثلث مسائل ان احسنت في جواب واحدة فلك ثلث ما عندي وان اجبت عن اثنتين فلك ثلثا ما عندي وان اجبت عن الثلث
فلك كل ما عندي وقد حمل الى الحسين صرة مختومة من العراق فقال سل ولا قوة الا بالله فقال اي الاعمال افضل قال الاعرابي الايمان بالله
قال فما نجاة العبد من الهلكة قال الثقة بالله قال فما يزين المرء قال علم معه حلم قال فان اخطأه ذلك قال فمال معه كرم قال فان اخطأه
ذلك قال ففقر معه صبر قال فان اخطأه ذلك قال فصاعقة تنزل من السماء فتحرقه فضحك الحسين ورمى بالصرة اليه اما الوجوه العقلية
فمنها ان الامور اربعة اقسام قسم يرضاه العقل ولا ترضاه الشهوة كمكاره الدنيا وقسم عكس ذلك كالمعاصي وقسم يرضاه الشهوة والعقل وهو
العلم والجنة وقسم لا يرضاه الشهوة والعقل وهو الجهل والنار فمن رضي بالجهل فقد رضي بنار حاضرة ومن اشتغل بالعلم فقد خاض في جنة
حاضرة وكما يعيش يموت يبعث ومنها ان اللذة ادراك المحبوب فكلما كان الادراك اكمل والمدرك اشرف كانت اللذة اكمل واتم ومدرك العقل هو الله
وجميع مخلوقاته من الملائكة والافلاك والعناصر والمواليد بجميع احكامها واي معلوم اشرف من ذلك فلا كمال ولا لذة فوق كمال
العلم ولذته ولا الم ولا نقصان مثل الم الجهل ونقصانه ولهذا قال عز من قائل اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ
وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ كانه قال كنت في اول حالك علقة وهي في غاية الخساسة ثم صرت في آخر حالك في
غاية الشرف فانه ترتيب الحكم على الوصف مشعر بالعلية وهذا يدل على انه انما استحق الاكرمية لانه اعطى العلم فالعلم اشرف عطية واعظم
موهبة ومنها انه تعالى قال إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ فالعلماء من اهل الخشية واهل الخشية اهل الجنة لقوله جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ
جَنَّاتُ عَدْنٍ الى قوله ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ فالعلماء من اهل الجنة بل ليس اهل الجنة الا العلماء وذلك لكلمة انما المفيدة للحصر لاجل الامر الا
في قوله لمن خشي والسبب ان العلماء هم اهل الخشية من الحكم بعلة ذلك فيما سبق مقتضى ان يكون منافيا منه ثم ان العلم بالذات لا يكفي في الخوف بل

حكاية
حكاية
حكاية
الوجوه العقلية في فضيلة العلم

معه من العلم بامور ثلثة احدها العلم بالنفقة لان الملك عالم بالاطلاع رعيته على افعاله القبيحة لكنه لا يخافهم لعلمه بانهم لا يقدرون على دفعه و
ثانيها العلم بكونه عالما لان السارق من مال السلطان يعلم قدرته لكنه يعلم انه غير عالم بسرقته فلا يخاف منه وثالثها العلم بكونه حكيما فان المسخرة عند
السلطان عالم بكون السلطان قادرا على منعه عالما بقبائح افعاله لكنه يعلم انه قد رضي بما لا ينبغي فلا يحصل الخوف فثبت ان خوف العبد
من الله لا يحصل الا اذا علم كونه تعالى عالما بجميع المعلومات قادرا على كل المقدورات غير راض بالمنكرات والمحرمات فاذن الخوف من لوازم
العلم بالله وبهذا يعرف نباهة قدر العلم ومن هنا امر حبيبه بالازدياد منه حيث قال تعالى قل رب زدني علما ولم يكتف نبي الله موسى ع
بما علم بل قال للخضر هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا ولم يفخر سليمان بالمملكة العظيمة بل فخر بالعلم علمنا منطق الطير ولولا شرف
ولولا شرف العلم لم يكن للهدهد مع ضعفه ان يتكلم بحضرة سليمان بقوله احطت بما لم تحط به وهكذا الرجل الساقط اذا تعلم العلم صار نافذ
القول على السلاطين وما ذاك الا ببركة العلم ومنها انه ص قال تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة وذلك لان التفكر يوصلك الى الله والعبادة
يوصلك الى ثواب الله وايضا التفكر عمل القلب والعبادة عمل الجوارح ومنها ان سائر كتب الله ناطقة بفضل العلم اما التورية فقال لموسى عظم الحكمة
فاني لا اجعل الحكمة في قلب عبد الا واردت ان اغفر له فتعلمها ثم اعمل بها ثم ابذلها كي تنال بذلك كرامتي في الدنيا والاخرة واما الزبور فقال
سبحانه قل لاحبار بني اسرائيل ورهبانهم حادثوا من الناس الاتقياء فان لم تجدوا فيهم تقيا فحادثوا العلماء فان لم تجدوا عالما فحادثوا
العقلاء فان التقى والعلم والعقل ثلث مراتب ما جعلت واحدة منهن في احد من خلقي وانا اريد هلاكه وانما قدم سبحانه التقى على العلم لان
التقى لا يوجد بدون العلم كما بينا من ان الخشية لا تحصل الا مع العلم والموصوف بالامرين اشرف من الموصوف بامر واحد ولهذا السر ايضا
قدم العالم على العاقل لان العالم لا بد ان يكون عاقلا واما العاقل فقد لا يكون عالما فالعقل كالبذر والعلم كالشجر والتقوى كالثمر واما
الانجيل فقد قال عز من قائل في السورة السابعة عشر منه ويل لمن سمع العلم فلم يطلبه كيف يحشر مع الجهال الى النار اطلبوا العلم وتعلموه
فان العلم ان لم يسعدكم لم يشقكم وان لم يرفعكم لم يضعكم وان لم يغنكم لم يفقركم وان لم ينفعكم لم يضركم ولا تقولوا نخاف ان نعلم فلا نعمل ولكن
قولوا نرجوا ان نعلم فنعمل والعلم شفيع لصاحبه وحق على الله ان لا يخزيه ان الله تعالى يقول يوم القيمة يا معشر العلماء ما ظنكم بربكم فيقولون
ظننا ان ترحمنا وتغفر لنا فيقول فاني قد فعلت اني استودعتكم حكمتي لا لشر اردته بكم بل لخير اردته بكم فادخلوا في صالحي عبادي الى
جنتي برحمتي وبالجملة فكون العلم صفة شرف وكمال وكون الجهل صفة نقصان امر معلوم للعقلاء بالضرورة ولذلك لو قيل لل
العالم يا جاهل تأذى بذلك وان كان يعلم انه كاذب ولو قيل للرجل الجاهل يا عالم فرح بذلك وان كان يعلم انه ليس كذلك والعلم انما وجد
كان صاحبه محترما معظما حتى ان غير الانسان من الحيوان اذا راى الانسان احتشمه بعض الاحتشام وانزجر به بعض الانزجار وان كان
ذلك الحيوان اقوى بكثير من الانسان والعلماء اذا لم يعاندوا كانوا رؤساء بالطبع على من دونهم في العلم وان كثيرا ممن كانوا يعاندون الرسول
ويريدون قتله كانوا اذا وقع بصرهم عليه القى الله في قلوبهم الرعب منه فهابوه وانقادوا له ولو لم يكن فيه ايات صدقه كانت بداهته تغنيك
عن خبره وما فضل الانسان على سائر الحيوان الا لاختصاصه بالمزية النورانية واللطيفة الربانية التي لاجلها صار مستعدا لادراك حقائق
الاشياء والاشتغال بعبادة الله تعالى والجاهل كانه في ظلمة شديدة اذا اخرج يده لم يكد يراها والعالم كانه يطير في اقطار الملكوت ويسبح
في بحار المعقولات فيطالع الموجودات والمعدوم والواجب والممكن والمحال ثم يعرف انقسام الممكن الى الجوهر والعرض والجوهر الى البسيط و
المركب ويبالغ في تقسيم كل منها الى انواعها وانواع انواعها واجزائها واجزاء اجزائها والجزء الذي به يشارك غيره والجزء الذي به يمتاز عن غيره
ويعرف اثر كل شيء ومؤثره ومعلوله وعلته ولازمه وملزومه وكليه وجزئيه فيصير كالنسخة التي ثبت فيها جميع المعلومات بتفاصيلها واقسامها
وانه في عالم الارواح كالشمس في عالم الاجسام كاملا ومكملا وواسطة بين الله وعباده ولامر ما لم يجعل الله سبحانه سائر صفات الجلال من
القدرة والارادة والسمع والبصر والوجوب والقدم والاستغناء عن المكان والحيز جوابا للملائكة وموجبا لسكوتهم وانما جعل صفة
العلم جوابا لهم حيث قال اني اعلم ما لا تعلمون وهكذا اظهر فضيلة ادم بالعلم بعد افتخارهم بالتسبيح والتقديس ان ابرهيم اشتغل اولا بالعلم
بطلب العلم منتقلا بفكره من الكوكب الى القمر ومن القمر الى الشمس الى ان وصل بالدليل الباهر والبرهان الظاهر الى المقصود وهو الملة
الحنيفية وان الله تعالى سمى العلم تارة بالحيوة اومن كان ميتا فاحييناه وتارة بالروح وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وتارة بالنور
[illegible] وضرب المثل في العلم بالماء انزل من السماء ماء فعلم التوحيد كماء العين لا يجوز تحريكه لئلا يتكدر كذلك ينبغي
كيف الله كيلا يفضي الى الكفر وعلم الفقه كماء القناة يزداد بالاستنباط والحفر وعلم الزهد كماء المطر ينزل صافيا ويتكدر بغبار الهواء كذلك
علم الزاهد صاف ويتكدر بالطمع وعلم البدع كماء السيل يهلك الاحياء ويفسد الخلق واما الاخبار والاثار الدالة على وعيد من لم يعمل بعلمه
او طلب العلم لغير ذات الله فمنها انه ص قال لا تجالسوا العلماء الا الذين يدعونكم من خمس الى خمس من الشك الى اليقين ومن الكبر الى التواضع ومن
العداوة الى النصيحة ومن الرياء الى الاخلاص ومن الرغبة الى الزهد قال الناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا المخلصون
والمخلصون على خطر عظيم عن عدي بن حاتم ان النبي ص قال يؤتى بناس يوم القيمة فيؤمر بهم الى الجنة حتى اذا دنوا منها ووجدوا رائحتها ونظروا

نظم

بيان فضل الانسان على الحيوان

الى قصورها اولئك اعداء الله لاهلها نودوا ان اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون عنها بحسرة ما رجع احد بمثلها ويقولون يا ربنا لو ادخلتنا النار قبل ان تريناما اريتنا من ثوابك ما اعددت فيها لاوليائك كان اهون علينا فنودوا ذلك اردت بكم كنتم اذا خلوتم بي بارزتموني بالعظائم واذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراؤن الناس بخلاف ما تضمرون عليه قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني واجللتم الناس ولم تجلوني تركتم المعاصي لهم ولم تتركوها لي كنت اهون الناظرين عليكم فاليوم اذيقكم اليم عذابي مع ما حرمتكم من النعيم وقيل اطلب من الموضع السلامة ومن الصاحب الزيادة ومن المال الفراغة ومن العلم المنفعة فاذا لم تجد من الموضع السلامة فالسجن خير منه واذا لم تجد من الصاحب الزيادة فالكلب خير منه واذا لم تجد من المال الفراغة فالمدر خير منه واذا لم تجد من العلم المنفعة فالموت خير منه وقيل لا يتم اربعة اشياء الا باربعة اشياء لا يتم الدين الا بالتقوى ولا يتم القول الا بالفعل ولا يتم المروءة الا بالتواضع ولا يتم العلم الا بالعمل فالدين بلا تقوى على الخطر والقول بلا فعل كالهدر والمروءة بلا تواضع كالشجر بلا ثمر والعلم بلا عمل كالغيم بلا مطر قال علي بن ابي طالب لجابر بن عبد الله الانصاري قوام الدنيا بعالم يعمل بعلمه وجاهل لا يستنكف عن تعلمه وغني لا يبخل بماله وفقير لا يبيع آخرته بدنياه فاذا لم يعمل العالم بعلمه استنكف الجاهل من تعلمه واذا بخل الغني بمعروفه باع الفقير آخرته بدنياه فالويل لهم والثبور سبعين مرة وقيل اذا وضعت على سواد عينك جزءا من الدنيا لا ترى شيئا فاذا وضعت على سويداء قلبك كل الدنيا كيف ترى بقلبك شيئا

البحث الرابع في حد العلم الاشعري العلم ما يعلم به وربما قال ما يصير الذات به عالما القاضي العلم معرفة المعلوم على ما هو عليه القفال اثبات المعلوم على ما هو به الكل المعتزلة هو الاعتقاد المقتضي لسكون النفس الفلاسفة صورة حاصلة في النفس مطابقة للمعلوم ولا يخفى خروج علم الله تعالى عنها فانه لا يطلق عليه النفس وفيه مفاسد اخر يطول ذكرها ههنا وعند كثير من المحققين هو بديهي وقيل اصح الحدود صفة توجب تمييزا لا يحتمل النقيض والحق في هذا المقام هو ان نسبة البصيرة الى مدركاتها كنسبة البصر الى مدركاته فكما ان للبصر نورا كل ما يقع في ذلك النور فهو مدرك له فكذا للبصيرة نور كل ما يقع فيه فهو مدرك لها ولا يدرك حقيقة هذا النور الا من له نور ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور وهكذا ادركت جميع الانوار حتى نور الانوار وكلما ازداد النفس نورانية وشرحا ازداد انبساطا فيقع فيه المعلومات اكثر وهكذا يكون الحال في كل مستكمل ما اذا كان العالم بحيث يكون كل الامور الممكنة له موجودة معه بالفعل فلا يزداد نورانيته ولا يتجاوز من قلبه في العلم وما منا الا له مقام معلوم ثم ان كان الكامل في النور بحيث لا يمكن اكمل منه في النور كان جميع الاشياء واقعة في نوره بل يكون نوره نافذا في الكل متصرفا فيها محيطا بها ازلا وابدا ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء وههنا اسرار اخر لا يجوز التعبير عنها لعزها يفطن ببعضها من دقق النظر في امثالها

البحث الخامس في الفاظ تقرب من العلم الاول الادراك وهو الوصول لان القوة العاقلة تصل الى حقيقة المعقول الثاني الشعور وهو ادراك بغير استثبات وهو اول مراتب وصول المعقول الى القوة العاقلة ولهذا لا يوصف به الله تعالى الثالث التصور مشتق من الصورة فكان حقيقة المعقول حلت في العاقلة حلول الشكل في المادة الرابع الحفظ وذلك اذا استحكمت الصورة في العاقلة بحيث لو زالت لتمكنت من استرجاعها الخامس التذكر وهو محاولة استرجاع الصورة المحفوظة وانه بالحقيقة التفات النفس الى عالمها السادس الذكر وهو وجدان الصورة بعد محاولة استرجاعها ولا محالة يكون مسبوقا بالزوال قال الله تعالى [illegible] ذكره وكيف ذكره اذ ليس انساه ويوصف القول بانه ذكر لانه سبب حصول المعنى في النفس قال الله عز من قائل انا نحن نزلنا الذكر السابع المعرفة وقد اختلفوا في تفسيرها فمن قائل انها ادراك الجزئيات والعلم ادراك الكليات ومن قائل انها التصور والعلم هو التصديق وجعل العرفان اشرف من العلم لان تصديقنا باستناد هذه المحسوسات الى موجود واجب الوجود امر معلوم بالضرورة واما تصور حقيقته فامر وراء الطاقة البشرية وقال بعضهم من ادرك شيئا وانحفظ اثره في نفسه ثم ادرك ذلك الشيء ثانيا وعرف ان هذا المدرك الذي ادركه ثانيا هو الذي قد ادركه اولا فهذا هو المعرفة والنفس قبل البدن كانت معرفة بالربوبية الا انها في ظلمة العلاقة البدنية قد نسيت مولاها فاذا تخلصت من قيد العلائق عرفت بها وعرفت انها عارفة الثامن الفهم وهو تصور الشيء من لفظ المخاطب والافهام هو ايصال المعنى باللفظ الى فهم السامع التاسع الفقه وهو العلم بغرض المخاطب من خطابه قال تعالى لا يكادون يفقهون حديثا اي لا يقفون على الغرض والاصل من التكاليف العاشر العقل وهو العلم بصفات الاشياء من حسنها وقبحها وكمالها ونقصانها ونفعها وضرها وهو حجر بصير ما ضاع من الفضل مرة ومن اخرى يجري ذلك مجرى عقال الناقة ومن هنا قيل هو العلم بخير الخيرين وشر الشرين العاقل من عقل عن الله امره ونهيه الحادي عشر الدراية وهي المعرفة الحاصلة بضرب من الحيلة وهي ترتيب المقدمات ما لا يصح اطلاقها عليه تعالى الثاني عشر الحكمة وهو اسم لكل علم حسن وعمل صالح وهو بالعلم العملي اخص منه بالعلم النظري وفي العمل اكثر استعمالا منه في العلم وقيل هي الاقتداء بالخالق سبحانه بقدر القوة البشرية وذلك ان يجتهد بان ينزه علمه عن الجهل وعمله عن الجور وجوده عن البخل وحلمه عن السفه الثالث عشر علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فعلم اليقين ما كان من طريق النظر والاستدلال وعين اليقين ما كان من طريق الكشوف والنوال وحق اليقين ما كان متحققا بالاتصال عن الوثاق الانفصال بوروده وانما الوصال الرابع عشر الذهن وهو قوة النفس على اكتساب الحدود والآراء الخامس عشر الفكر وهو انتقال

النفس من التصديقات لخاضرة الى التصديقات المحصمرة وقيل انه يجري مجرى التفرع الى الصنعة في استنزال العلم من عنده السادس عشر الحدس وهو قوة للنفس بها تهتدي بسرعة الى الحد الاوسط في كل قياس السابع عشر الذكاء وهو شدة هذا الحدس وبلوغه الغاية القصوى من كث النار اشتعلت الثامن عشر الفطنة وهي التنبه لشيء قصد تعريضه كالاحاجي والرموز التاسع عشر الخاطر وهو حركة النفس نحو تحصيل حق وحظ العشرون الوهم وهو الاعتقاد المرجوح وقد يقال انه الحكم بامور جزئية غير محسوسة لاشخاص جزئية كحكم السخلة بصداقة الام وعداوة الذئب الحادي والعشرون الظن وهو الاعتقاد الراجح فان كان عن امارة قوية قبل ومدح وعليه مدار اكثر احوال العالم وان كان عن امارة ضعيفة ذم ان بعض الظن اثم الثاني والعشرون الخيال وهو عبارة عن الصورة الباقية عن المحسوس بعد غيبته وما كان من ذلك في النوم قد يخص باسم الطيف الثالث والعشرون البديهة وهي المعرفة الحاصلة للنفس ابتداء لا بتوسط الفكر مثل الكل اعظم من الجزء وقد يقال لها الاوليات الرابع والعشرون الروية وهي ما كان من المعارف بعد فكر كثير الخامس والعشرون الكياسة وهي تمكن النفس من استنباط ما هو انفع ولهذا قال عليه السلام الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت السادس والعشرون الخبر وهو معرفة تحصل بطريق التجربة وحدث الناس اخبر تقله السابع والعشرون الرأي وهو اجالة الخاطر في المقدمات التي يرجى منها انتاج المطلوب وقد يقال للقضية المستنتجة من الرأي رأي والرأي للفكر كالآلة للصانع ولهذا قيل اياك والرأي الفطير الثامن والعشرون الفراسة وهي اختلاس المعارف من فرص الغيب وهي ضربان ضرب منها يحصل للانسان من خاطر ولا يعرف له سبب لاصفاء جوهر الروح وهو شبه الالهام واياه عنى النبي صلعم بقوله ان في امتي لمحدثين وان عمر منهم وقد يسمى النفث في الروع وضرب يحصل بالاستدلال من الاشكال الظاهرة على الاخلاق الباطنة وقيل افمن كان على بينة من ربه اشارة الى الاول ويتلوه شاهد منه الى الثاني والله اعلم التاويل عن النبي صلعم ان الله خلق ادم فتجلى فيه فالتجلي علة الخلق والخلافة والاتصاف بصفاته وهذا هو سر الخلافة والحقيقة لان المراة تكون خليفة المتجلي فيه انبئوني باسماء هؤلاء المخلوقات دون اسماء الله وصفاته ان كنتم صادقين في دعوى الفضيلة فان الفضيلة ليست بمجرد الطاعة فان ذرات الموجودات مسبحات لله بحمده وانما الافضلية بالعلم لان الطاعة من صفات المخلوق والعلم من صفات الخالق والفضل لمن له صفة الحق والخلق جميعا فخليفة الحق بصفاته وعن الخلق وانما قال انبئهم ولم يقل علمهم كقوله وعلم ادم لان للملائكة ليس لهم الترقي في الدرجات والملكوتيات لم شهادة كالجسمانيات لنا ولا يتجاوز ما فوق سدرة المنتهى كما قال جبرئيل لو دنوت انملة لاحترقت والجسمانيات من تبدد دون مرتبتهم فيمكن انبائهم بها لان الجسمانيات لهم كالحيوانيات بالنسبة الينا واما الالهيات فليس لهم استعداد الترقي اليها فلهذا لم يقل انبئهم باسمائهم كلها كما قال وعلم ادم الاسماء كلها لئلا يكون تكليفا بما لا يطاق وانما كان ادم مخصوصا بعلم الاسماء واحتاجت الملائكة اليه في انباء اسمائهم واسماء غيرهم لانه كان خلاصة العالم ولهذا خلق شخصه بعد تمام العالم بمادته كخلق الثمرة بعد تمام الشجرة فكما ان الثمرة تعبر على اجزاء الشجرة كلها حتى تظهر على اعلى الشجرة كذلك ادم عبر على اجزاء شجرة الوجود وكان في كل جزء من اجزائها له منفعة ومضرة ومصلحة ومفسدة فحصل له من كل من ذلك اسم بل استحق ان اسماء الله تعالى جاءت على وفقه فضلا عن غيرها بماء غيره وذلك انه لما كان مخلوقا كان الله خالقا ولما كان مرزوقا كان رازقا ولما كان عبدا كان معبودا ولما كان معيوبا كان ستارا ولما كان مذنبا كان غفارا ولما كان تائبا كان توابا ولما كان منتفعا ومتضررا كان نافعا وضارا ولما كان ظالما كان عادلا ولما كان عليه السلام ظلوما كان منتقما وعلى هذا فقس

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۝ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ۝ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۝ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝

ع

القراءة للملائكة اسجدوا برفع التاء للاتباع يزيد وقتيبة روى ابن مهران عنهما اشمام الكسر برفع التاء وروى

الجزاء وابن شنبوذ عن اهل مكة الملائكة بغير همز وكذلك كل كلمة في وسطها همزة مكسورة الا قوله السائلين السائل والبائس فانها
بالهمز شتان وبابه بغير همز ابو عمرو ويزيد والاعشى وورش وعن طريق الاصفهاني وحمزة في الوقف فتلقى آدم بنصب كلمات
رفع ابن كثير فلا خوف عليهم بالفتح حيث كان يعقوب هداي ومحياي ومثواي بالامالة كل القرآن على غير ليث الكافرين بالامالة كل
القرآن وكذلك كل كلمة في آخرها راء مكسورة بعد الالف في موضع اللام من الكلمة قرأها على غير ليث وابي حمدون وحمدويه و
النجاري عن ورش وحمزة في رواية ابن سعدان وابو عمرو الا انه لا يميل الجار والغار في بعض الروايات وروى ابراهيم بن حماد عن الزيدي
الجار بالامالة وروى ابن مجاهد عن الزيدي الغار بالامالة وسائر الروايات عنهما التفخيم لقلة دورهما واختلفوا في وقف ابي عمرو
في مثل النار واشباه ذلك فروى ابن مجاهد والحسن بن عبد الله عن النقاش وكثير من اهل العراق انه يقف كما يصل وروى سلمة
عاصم انه يقف بالتفخيم والاول اكثر الوقوف بليس لانه معرفة والجملة بعدها لا يكون صفة له الا بواسطة الذي لا عامل يجعل الجملة حالا
الكافرين شيئا مر لاتفاق الجملتين الظالمين ه كالذي فيه من الجملتين المتفقتين عطفا لاختلاف الجملتين حين فتاب عليه ط الرحيم ه جميعا
لابتداء الشرط مع فاء التعقيب يحزنون ه النار ج لان ما بعدها مبتداء وخبر وقيل الجملة خبر بعد خبر لا ولذلك لان تمام المقصود بوعيد
هو الخلود مثل ما ان حلو حامض خالدون التفسير لما خصص الله تعالى آدم بالخلافة ثم علمه من العلوم ما ظهر بذلك مزيته على
جميع الملائكة اقتضت حكمته البالغة ان جعله مسجودا لهم وهذا مقتضى السجود هاهنا ظاهرا لا نقوله فقعوا في موضع آخر فاذا سويته ونفخت
فيه من روحي فقعوا له ساجدين يقتضي ان يكون الامر بالسجود قبل تسوية خلقه وانه كان ابتلاء وحيلا لمسجوديتهم وتعليم الاسماء و
مناظرته مع الملائكة في ذلك حصل بعد سجدتهم والله اعلم بذلك ثم ان المسلمين اجمعوا على ان ذلك السجود لم يكن للعبادة لانه تعالى لا يامر بالكفر
والعبادة لغيره كفر فزعم بعضهم ان السجود كان لله تعالى وآدم كالقبلة فقوله اسجدوا لآدم مثل قولك صل للقبلة قال حسان بن ثابت
شعر ما كنت اعرف ان الامر منصرف * عن هاشم ثم منها عن ابي حسن * اليس اول من صلى لقبلتكم * واعرف الناس بالقرآن والسنن
وهو ضعيف لان المقصود من هذه القصة شرح تعظيم آدم وجعله مجرد القبلة لا يفيد كونه اعظم من الساجد وزعم آخرون ان المراد
بالسجود الانقياد والخضوع كما هو مقتضى اصل اللغة مثل والنجم والشجر يسجدان وزيف بانه في عرف الشرع عبارة عن وضع الجبهة على
الارض فوجب ان يكون في اصل اللغة كذلك لان الاصل عدم التغيير واصح الاقوال ان السجود كان بمعنى وضع الجبهة ولكن لا عبادة بل تكرمة وتحية
كالسلام منهم عليه وقد كانت الامم السالفة تفعل ذلك بدل التسليم قال قتادة في قوله وخروا له سجدا كان تحية الناس يومئذ سجود
بعضهم لبعض ويجوز ان يختلف الرسوم والعادات باختلاف الازمنة والاوقات واختلف المليون في ان ابليس من الملائكة ام لا فقال
اكثر المتكلمين ولا سيما المعتزلة انه لم يكن منهم وقال كثير من الفقهاء انه كان منهم حجة الاولين انه من الجن لقوله تعالى في الكهف الا ابليس كان
من الجن فلا يكون من الملائكة وايضا قال ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا
من دونهم بل كانوا يعبدون الجن ورد الاول بان الجن قد يطلق على الملك لاستتاره عن العيون وبانه كان يحتمل ان يكون بمعنى صار
والثاني بانه لا يلزم من كون الجن في هذه الاية نوعا مغايرا للملائكة ان يكون في الاية الاولى كذلك مغايرا لاحتمال كونه على مقتضى اصل
اللغة وهو الاستتار وقالوا ان ابليس له ذرية لقوله تعالى افتتخذونه وذريته اولياء من دوني والملائكة لا ذرية لهم لانها لا تحصل الا من الذكر
والانثى ولا اناث فيهم لقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا انكر عليهم وايضا الملائكة معصومون لما سلف وابليس لم يكن
كذلك وايضا انه من النار خلقتني من نار والملائكة من نور لقوله خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار رواه الزهري عن عروة عن
عائشة ومن المشهور الذي لا يدفع ان الملائكة روحانيون فقيل سموا بذلك لانهم من الريح او من الروح وايضا الملائكة رسل جاعل الملائكة رسلا
ورسل الله معصومون الله اعلم حيث يجعل رسالته حجة الآخرين انه استثناه من الملائكة وحمله على المنفصل ولان تخصيص العموم في كتاب الله
اكثر من الاستثناء المنقطع قيل انه جني واحد مغمور بين الوف من الملائكة فغلبوا عليه وهذا لا ينافي كون الاستثناء متصلا واجيب بان
التغليب انما يصار اليه اذا كان المغلوب ساقطا من درجة الاعتبار اما اذا كان معظم الحديث فيه فلا يصار الى التغليب وايضا لو لم يكن من الملائكة
لم يتناوله الخطاب باسجدوا ولو لم يتناوله لم يعص بترك السجود ولا يمكن ان يقال انه امر ثم السجود بامر آخر فتناوله الامر لما بين في اصول الفقه ان
خطاب الذكور لا يتناول الاناث وبالعكس مع شدة المخالطة بين الصنفين ولا ان يقال انه وان لم يدخل في هذا الامر الا انه تعالى امره بلفظ
آخر ما حكاه في القرآن بدليل قوله ما منعك الا تسجد اذ امرتك لان قوله ابى واستكبر عقيب قوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا اشعر بان المخالفة
بسبب هذا الامر هذا ما قيل عن الجانبين وعلينا ان نسب تفسير الاية الكلام في ان الانبياء افضل من الملائكة ام بالعكس قال اكثر اهل السنة بالاول
وقالت المعتزلة والشيعة الى الثاني واختاره الباقلاني وابو عبد الله الحليمي من اهل السنة المعتزلة احتجوا بامور احدها قوله ومن عنده لا يستكبرون
وليس المراد بعندية المكان والجهة بل عندية القرب والشرف وعورض بانه حكى عنه سبحانه انا عند المنكسرة قلوبهم لاجلي بل هذا ابلغ لان كون الله تعالى عند
العبد ادخل في التعظيم من كون العبد عنده قالوا الاية تدل على انه تعالى يقول الملائكة مع شدة قوتهم واستيلائهم على اجرام السموات والارض وامنهم من

النادر

العظ

في معنى السجود وان ابليس من الجن

المرد والمرض والآفات لا يتركون العبودية لحظة واحدة فالبشر مع غاية ضعفهم وقصورهم اولى بذلك اجيب بانه لا نزاع في ذلك وانما النزاع في الافضلية بمعنى كثرة الثواب الثانية عباداتهم اشق من عبادات البشر فيكون ثوابهم اكثر لقوله عليه السلام افضل العبادات احمزها اي اشقها واما بيان ان عباداتهم اشق فمن وجهين احدهما انهم سكان السموات وهي جنات ومنتزهات وهم مع ذلك لا يلتفتون الى نعيمها ويقبلون على طاعاتهم خائفين وجلين كانه لا يفيد احد من بني آدم ان يبقى كذلك يوما واحدا فضلا عن تلك الاعصار المتطاولة ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى ويؤكده قصة آدم فانه اطلق له في الجنة جميعها الا شجرة واحدة ومع ذلك فلم يملك نفسه الثاني ان انتقال المكلف من نوع عبادة الى نوع آخر كالانتقال من طعام الى طعام والاقامة على نوع واحد يورث المشقة وهذا شأن الملائكة وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون ومنهم ركوع ومنهم سجود منذ خلقوا وعورض من الوجه الاول بان اسباب البلاء مختص على البشر ثم انهم راضون بقضاء الله مواظبون على تكاليفهم ولذلك فان العبيد والخدم يطيب قلوبهم بالخدمة حال الرفاهية ولا يصبر احد منهم على مشقة الخدمة الا من كان في نهاية الاخلاص الثاني بان العادة طبيعة خامسة ولهذا قال عليه السلام افضل الصوم صوم داود كان يصوم يوما ويفطر يوما الثالثة عباداتهم ادوم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وخير الاعمال ادومها مع ان اعمارهم اكثر وعلى الاية سؤال روي عن عبد الله بن الحرث بن نوفل قال قلت لكعب ارأيت قوله تعالى عز وجل لا يفترون ثم قال جاعل الملائكة رسلا واولئك عليهم لعنة الله والملائكة افلا يكون الرسالة واللعن مانعين عن التسبيح فاجاب بان التنفس لا يمنعنا من الاشتغال بشيء آخر فكذلك التسبيح لهم وزيف بان آلة النفس مغايرة لآلة الكلام واما اللعن والتسبيح فهما من جنس الكلام فاجتماعهما في آلة واحدة محال واجيب بانه لا يمتنع ان يكون لهم السنة كثيرة يسبحون الله تعالى ببعضها ويلعنون اعداءه ببعض آخر وان شاء الله يستلزم تبعيد من يعتقد في الله ما لا ينبغي والمراد لا يفترون عن العزم على ادائه في اوقاته اللائقة به كما يقال فلان يواظب على الجماعات يعني انه مواظب على ادائها في اوقاتها ونوقضت الحجة بان الطاعة القليلة من الانسان قد تقع على وجه يستحق بها ثوابا اكثر من ثواب طاعاتهم الرابعة انهم اسبق السابقين في كل العبادات السابقون السابقون اولئك المقربون من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الخامسة الملائكة رسل الله الى الانبياء علمه شديد القوى نزل به الروح الامين والرسول افضل من الامة قياسا على الانبياء ومنع بان هذا اذا كان الرسول حاكما على المرسل اليهم متوليا لامورهم كالانبياء المبعوثين الى اممهم اما في مطلق الرسل فلم قلتم انه كذلك كما لو ارسل الملك عبدا من عبيده الى وزيره والى صاحب خراجه السادسة انهم اتقى من البشر لدوام خوفهم يخافون ربهم من فوقهم مع وجود شهوة النزع والرياسة فيهم لهذا قالوا اتجعل فيها وان لم يكن لهم شهوة الوقاع فوجب ان يكونوا افضل ان اكرمكم عند الله اتقاكم وورد بان تقوى الانسان اكمل فان لهم مع شهوة الرياسة شهوة البطن والفرج ايضا السابعة لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون خرج الثاني مخرج التأكيد للاول ومثل هذا انما يكون بذكر الافضل بعد الفاضل كقولك هذا العالم لا يستنكف من خدمة الوزير ولا الملك فيفيد افضلية الملائكة المقربين في المقام المعبر للعبودية من نهاية الخضوع والخشوع وما يناسبهما مع شدة بطشهم وقوة حالهم وعورض بانه قد يقال هذا العالم لا يستنكف عن خدمة القاضي ولا السلطان ولا يفيد الا ان السلطان اكمل من القاضي في بعض الامور كالقوة والقدرة ولا يدل على كونه اكمل من القاضي في سائر الدرجات كالعلم والزهد فلم قلتم انهم افضل من المسيح فقط دون غيره والحجة الثامنة ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين وهذا وان كان حكاية قول ابليس الا ان آدم وحواء لو لم يعتقدا افضلية الملك لم يغترا بذلك واعتقادهما حجة وورد بان آدم لعله اخطأ في ذلك الاعتقاد مثلا لان الزلة جائزة على الانبياء او لانه ما كان نبيا في ذلك الوقت فيصح ان يقال لعله قبل الزلة لم يكن نبيا فلا يلزم من مفضوليته قبل النبوة وان سلم مفضوليته بنوته وقت النبوة فلم لا يجوز ان ذلك في باب الثواب بل في باب القدرة والقوة والحسن والجمال ونحو ذلك فانهم خلقوا من الانوار وآدم مخلوق من التراب على ان بعضهم قال ليس المراد من هذه الآية وليس الغرض ان يكون المراد الا ان تقلبا ملكين فصح استدلالكم وان يكون المراد ان النهي مختص بالملائكة الخالدين دونكما كما تقول لغيرك ما نهيت انت عن كذا الا ان تكون فلانا ويكون المعنى ان المنهي عنه هو فلان دونك فكان غرض ابليس ايهام انهما لم ينهيا واعلم ان غاية ما في الباب ان الآية تدل على مفضولية جميع الانبياء الحجة التاسعة ولا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول اني ملك اي لا ادعي القدرة على كل المقدورات والعلم بكل المعلومات ولا ادعي قدرة مثل قدرة الملك ولا علما مثل علمهم وذلك لا يتم بمجرد نفي الصورة لانه لا يفيد الغرض وانما نفى ان يكون له مثل ما لهم من الصفات الجسمية والقوى العظيمة وورد بانه لا يلزم من عدم الاستواء في كل الصفات حصول الاختلاف في جميعها العاشرة ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم ولا يخفى ان التشبيه في السيرة من غض البصر وقمع النفس عن المحرمات بدلالة وصفه بالكرم لا في الصورة وورد بان قولها فذلكن الذي لمتنني فيه كالتصريح بان مراد النساء تعظيم حال يوسف في الحسن والجمال حتى لا يظهر عذرها في عشقها ولئن سلمنا ان التشبيه في الاخلاق المرضية فذلك لا يوجب مفضوليته من جميع الجهات على ان قول النساء لا يصلح لان يكون حجة الحادية عشرة وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ودل ذلك ان المخلوقات اما عبارة عن المكلفين الانسان افضل منهم واما المكلفون فهم الملائكة والانس والجن والشياطين ولا ريب ان الانس افضل من الجن والشياطين فلو كانوا افضل من الملك ايضا لزم كون البشر افضل من كل المخلوقات فينبغي ان يقال وفضلناهم على جميع من خلقنا وورد بان كونهم افضل من كثير لا يدل على انه ليس بافضل من الباقي الا بدليل الخطاب وهو غير حجة وايضا ان جنس الملائكة

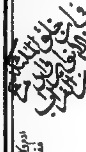

افضل من جنس

افضل من جنس بني آدم ولكن لا يلزم من كون احد المجموعين افضل من المجموع الآخر ان يكون كل واحد من افراد المجموع الاول افضل من افراد
المجموع الثاني وايضا الكلام في التفضيل الحاصل بسبب الكرامة المذكورة في اول الآية ولقد كرمنا بني آدم ولا يلزم من كون الملك افضل من البشر
في تلك الكرامات وهو حسن الصورة والطهارة واستخراج الاعمال العجيبة ان يكونوا افضل منهم في الاشياء الموجبة للثواب الثانية عشر
الانبياء ما استغفروا الا بدأوا بانفسهم قال نوح رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وقال ابراهيم رب هب لي حكما والحقني بالصالحين
ثم قال واغفر لابي وقال لمحمد استغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والملائكة لم يستغفروا لانفسهم لكن طلبوا المغفرة للمؤمنين فاغفر
للذين تابوا واتبعوا سبيلك ورد بان هذا لا يدل الا على صدور الزلة من البشر وعدم صدورها عنهم وهذا لا يوجب فضيلتهم في العز
والثواب على الاطلاق ومن الناس من قال استغفارهم للبشر كالعذر عما طعنوا فيهم بقولهم أتجعل فيها الثالثة عشر وان عليكم لحافظين وهذا يعم
الانبياء وغيرهم والحافظ للمكلف عن المعصية افضل من المحفوظ وايضا جعل كتابتهم حجة للبشر وعليهم فيكونون افضل ورد بان الحافظ
والشاهد قد يكون ادون حالا من المحفوظ والمشهود الرابعة عشر يوم يقوم الروح والملائكة صفا والمقصود بيان عظمة الله وجلاله
ورد بان هذا يفيد قوتهم وبطشهم فقط كما يقال ان السلطان لما جلس وقف حول سريره ملوك الاطراف لا يدل على انهم اكرم عند السلطان
من اهل بلده الخامسة عشر والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والتقديم في الذكر يدل على التقديم في الدرجة ولهذا قال الشاعر
عميرة ودع ان تجهزت غاديا كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا: قال عمر بن الخطاب لو قدمت الاسلام لاجزتك ولما كتبوا كتاب الصلح بين رسول الله والمشركين وقع النزاع
في تقديم الاسم كذا في كتاب الصلح بين علي ومعاوية ومنع من ان الواو لا يفيد الترتيب وعورض بتقديم ثبت على الاخلاص السادسة عشر ان الله
وملائكته يصلون على النبي جعل صلوات الملائكة كالتشريف للنبي وعورض بقوله يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه ولا تشريف بل لتشرف
الامة بذلك السابعة عشر ان جبرئيل افضل من محمد لان الله تعالى وصف جبرئيل بست من صفات الكمال انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش
مكين مطاع ثم امين ثم وصف محمدا بقوله وما صاحبكم بمجنون وشتان بين الوصفين ورد بانه وان وصفه ههنا بهذا القدر لاقتضاء
المقام ذلك فقط فقد وصفه في مواضع اخر بما يليق به يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا
منيرا الثامنة عشر ان جبرئيل كان معلما للنبي ولغيره من الانبياء لان العلوم التي لا يتوصل اليها الا بالعقل كالعلم بذات الله تعالى بل في العلم
بكيفية صلواته وما فيها من العجائب العلم باحوال العرش والكرسي والجنة والنار وطباق السموات واصناف الموجودات واحوال الامم
الخالية والقرون الماضية والعلم افضل قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ومنع من كون الملائكة اعلم بدليل قصة آدم
ولان تعليم جبرئيل كان بالحقيقة تعليم الله تعالى ولم يكن جبرئيل الا واسطة ولئن سلم مزيد علمهم منع كثرة ثوابهم التاسعة عشر ومن يقل منهم
اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم وهذه تدل على انهم بلغوا في الترفع الى حيث لو خطر القول الا في دعاء الالهية ورد بان مزيد قدرتهم لا يوجب
مزيد ثوابهم العشرون قال حكاية عن الرب تعالى اذا ذكرني عبدي في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملائه وهذا يدل على ان الملأ الاعلى اشرف ورد بعد قبول
خبر الواحد انه لا يلزم منه الا ان الملأ الاعلى خير من ملأ عوام البشر ولا يلزم من ذلك كونهم افضل من الانبياء واعلم ان الفلاسفة اتفقوا على ان
الارواح السماوية المسماة بالملائكة عندهم افضل من الارواح الناطقة البشرية لوجوه الاول ان الملائكة ذواتها بسيطة مجردة عن الكثرة والبشر مركب
من النفس والبدن ولكل منهما قوى واجزاء والبسيط خير من المركب لان اسباب العدم للمركب اكثر منها للبسيط وعورض بان المتجمع للروحاني والجسماني
ينبغي ان يكون افضل مما لا حظ له الا الروحاني فقط ولهذا جعل ابو البشر مسجود الملائكة وبان الملائكة ليس لها الا الاستغراق في مقاماتها والنفوس
والنفوس البشرية قواها وافية بكلا الطرفين ومحيطة بضبط احوال العالمين فيكون افضل الثاني الجواهر الروحانية برية عن الشهوة
والغضب المستلزمين للفساد وسفك الدماء بخلاف البشرية ورد بان الخدمة مع كثرة العلائق ادل على الاخلاص وايضا من البين ان درجتهم
قالوا لا علم لنا الا ما علمتنا اعلى منها حين قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها وما ذاك الا بسبب الانكسار الحاصل من الزلة وهذا في البشر اكثر
ولهذا قال تعالى حاكيا عن ربه انا عند المنكسرة قلوبهم الثالث انها برية من طبيعة القوة فان كل ما كان ممكنا لها بحسب انواعها
في اشخاصها فقد خرج الى الفعل والانبياء ليسوا كذلك فلهذا قال انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة ولا خفاء ان ما بالفعل
التام اشرف مما بالقوة وعورض بان بعض الامور فيها ما بالقوة ولهذا قيل ان تحريكاتها للافلاك لاجل استخراج التعلقات من القوة الى الفعل كما
التحريكات لنا رصدا لارواحنا الكاملة القوى الفكر والتخيل الا ان هذا المنع لا يجري في الملائكة المقربين المسماة عندهم بالعقول المجردة وانما يجري
في النفوس الفلكية الرابع الروحانيات ابدية الوجود مبرأة عن التغير والفناء والنفوس الناطقة البشرية ليست كذلك ورد بانه لا قديم في الوجود
الا الله ولئن سلم ان دوامها كالارواح ممكنة الوجود لذاتها وهي واجبة الوجود بمبادئها وعورض بما عليه كثير ان النفوس البشرية ازلية بمبادئها وكانت
كالظلال تحت العرش يسبحون بحمد ربهم الا ان المبدأ الاول اهبطها بالنزول الى عالم الاجساد والتكاثف المواد فلما تعلقت بهذه الاجسام عشقتها
واستحكم الفها بها فبعث من تلك الظلال اشرفها واكملها لتخليص تلك الارواح عن تلك الشبكات وهذا هو المراد من باب الحمامة المطوقة المذكورة
في كتاب كليلة ودمنة الخامس الروحانيات نورانية علوية لطيفة والجسمانيات ظلمانية سفلية كثيفة فاين احدهما من الاخر ورد بان الشرف

من المحققين

عندنا ليس الا باذنه وانما هو بالانقياد لرب العالمين السادس الارواح السماوية تفضل الارضية بقوى العلم والعمل اما الاول فبالاتفاق على
احاطة الارواح السماوية بالمغيبات ولان علومهم فعلية فطرية كلية دائمة تامة وعلوم البشر بالضد من ذلك واما العمل فلقوله يسبحون الليل
والنهار لا يفترون واعترض بان المواظب على تناول الاغذية اللطيفة لا يلتذ بها كما يلتذ المبتلى بالجوع فلا يكون لذة الملائكة من العلم والعمل
كلذة البشر بعروض الفترات لهم في اكثر الاوقات بسبب العلائق الجسمانية والحجب الظلمانية فهذه المزية من اللذة انما يختص بها البشر ولعل هذا هو المراد
من قوله انا عرضنا الامانة الاية ولذلك قالت الاطباء ان الحرارة في حمى الدق اشد منها في حمى الغب لكن الحرارة في الدق لما دامت واستقرت
بطل الشعور بها فهذه الحالة ليست للملائكة لاجل الاستقرار ولا لغير الانسان لعدم الاستعداد فكان الانسان لها بالمرصاد السابع الروحانيات لها
قوة على تقليب الاجسام وتصريف الاجرام وقواهم ليست من جنس القوى المزاجية حتى يعرض لها كلال ولغوب فانك ترى الحاسة اللطيفة تشق الصخرة الصما
وما ذاك الا لقوة نباتية فاضت عليها من الجواهر العلوية فما ظنك بتلك الجواهر بعينها والارواح السفلية ليست كذلك وما يحكى من قوة الشياطين
على الامور الصعاب ممنوع وان سلم فالارواح العلوية امدّ على ان ذلك مع انهم يصرفون قواها الى منازل العالم السفلي انما هو شرهم واعترض
بانه لا مانع من ان يتقوى نفس طاهرة بشرية كاملة مستعلية على الاجرام العنصرية بالتقليب والتصريف الثامن الملائكة لهم اختيارات فانتشر
من انوار جلال الله متوجهة الى الخيرات واختيارات البشر مترددة بين جهتي العلو والسفل والخير والشر وانما يتوجه الى الخير باعانة الملك على ما ورد
في الاخبار من ان لكل انسان ملكا يسدده ويهديه فيحتمل ان يقال فيكون اذن اعمالهم اشق فيكون ثوابهم اكثر التاسع الافلاك كالابدان
والكواكب كالقلوب والملائكة كالارواح فنسبة الارواح الى الارواح كنسبة الابدان الى الابدان وكما ان اختلافات احوال الافلاك مبادي
لحصول الاختلافات في هذا العالم العلوي يجب ان يكون مستولية على ارواح العالم السفلي بل يكون عللا ومبادي لها فهذه هي الاثار وهنا البد
المنابع المعادن فكيف يليق بالعقل ادعاء المساواة فضلا عن الزيادة واجيب بانه لا مؤثر عندنا الا الله تعالى العاشر الروحانيات الفلكية مبادي
لروحانيات هذا العالم ومعاد لها منها نزلت فتوسخت باوضار الجسمانيات ثم تطهرت بالاخلاق الزكية فصعدت الى عالمها ومصعد
الشيء ومصعده اشرف منه المبدأ واليه المنتهى واعترض بان هذا مبني على عدم حشر الاجساد دون ذلك خرط القتاد الحادي عشر ليس ان
الانبياء لا يعلمون الا عن الوحي وليس الا ان الملائكة يعينونهم في المضائق ويهدونهم الى المصالح كما في قصة لوط ويوم بدر وحنين وكما في قصة
نوح من نجر السفينة فمن اين لكم تفضيل الانبياء مع افتقارهم الى الملائكة في كل الامور واجيب بان اول الفكر آخر العمل ولا يلزم من كون
الشيء واسطة افضليته الثاني عشر القسمة العقلية بان الاحياء اما خير محض وهم الملائكة او شر محض وهم الشياطين او خير من وجه
وشر من وجه وهم البشر يحكم بافضلية الملك وكذا التقسيم بالناطق المائت هو الانسان والناطق غير المائت هو الملك والمائت غير الناطق هي
البهائم يرشد الى ان الانسان متوسط الرتبة بين الكمال والنقصان فالقول بانه افضل قلب للقسمة العقلية ونزاع في ترتيب الوجود واما
لما مر من ان النزاع في كثرة الثواب حجة القائلين بفضل الانبياء على الملائكة الاول ان الله تعالى امر الملائكة بالسجود لادم وثبت ان
ادم لم يكن كالقبلة وامر الاشرف بنهاية التواضع للادون مستقبح والجواب التبع العقلي فيه ثابت الثاني جعله خليفة له خلافة الولاية
كامر وخلق الدنيا منبعثة لبقائه والاخرة مملكة ولبنيه ولعن ابليس للتكبر عليه وجعل الملائكة حفظة لاولاده ومنزلين لارزاقهم ومستغفرين
لزلاتهم ومع جميع هذه المناصب يقول لكم الدنيا مزيد فاذن لا غاية لهذا الشرف الثالث انه كان اعلم لقوله انبئهم باسمائهم
والاعلم افضل الرابع ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابراهيم وال عمران على العالمين والعالم كل ما سوى الله تعالى فيلزم اصطفاؤهم على الملائكة ولا يشكل
هذا بقوله يا بني اسرائيل الى قوله فضلتكم على العالمين لان ذلك لا يدخلها التخصيص لا يسلم انهم غير مفضلين على الملائكة وههنا
لا دليل فوجب اجراؤه على الظاهر من العموم الخامس وما ارسلناك الا رحمة للعالمين والتقريب ظاهر السادس عبادة البشر اشق لان الادمي
له شهوة تدعوه الى المعصية بخلاف الملائكة ولان الادمي مأمور بالاستنباط والقياس فاعتبروا يا اولي الابصار ولا يخفى ما فيه من خطر
التشبه والملائكة لا يعلمون الا بالنص لا علم لنا الا ما علمتنا ولما يعرض للادمي من الشبهات ككون الافلاك والانجم اسبابا للحوادث اليومية
فيحتاجون الى دفعها والملائكة حيث انهم يشاهدون عالم الملكوت سالمون من ذلك ولان الشيطان مسلط على الادمي دون الملك واذا
كانت طاعتهم اشق فيكون ثوابهم اكثر السابع خلق الملائكة عقولا بلا شهوة والبهائم شهوة بلا عقل وجمع الامرين للادمي ثم اذا غلب
هواه عقله صار ادون من البهيمة اولئك كالانعام بل هم اضل فاذا غلب عقله هواه وجب ان يصير اشرف من الملك اعتبارا لاحد الطرفين
بالاخر الثامن الملائكة حفظة بني ادم والمحفوظ اعز من الحافظ التاسع روي ان جبرئيل عليه السلام اخذ بركاب محمد صلى الله عليه وسلم حتى اركبه على البراق ليلة المعراج
ولما وصل محمد صلى الله عليه وسلم الى بعض المقامات تخلف عنه جبرئيل وقال لو دنوت انملة لاحترقت العاشر قوله صلى الله عليه وسلم ان لي وزيرين في السماء ووزيرين
في الارض اما اللذان في السماء فجبرئيل وميكائيل واما اللذان في الارض فابو بكر وعمر فدل على ان محمدا صلى الله عليه وسلم كالملك وجبرئيل وميكائيل وزيران
له هذا تمام الكلام في حجج الفريقين وعليك الاختيار بعقلك دون هواك ثم انه تعالى استثنى ابليس من الساجدين وكان من الجائز
ان يظن ان به عذرا بين انه غير ذي عذر بقوله ابى لان الاباء هو الامتناع مع الاختيار ولهذا افتقر العاطف نحو قولك بشرتها سرا بعض يعني

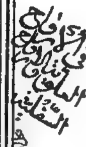

وال ابراهيم

والملائكة من العالمين

تحتج لا تقول فغيي لانها بيان ثم انه جاز ان لا يكون الا اباء مع الكبر فعطف الخبر عليه استكبر ليعرف ان الاباء منضم الى الاستكبار وكان من الجائز ان يظن ان كبره لم يوجب الكفر فازيل الظن بقوله وكان من الكافرين وللعقلاء ههنا قولان احدهما ان ابليس حين اشتغاله بالعبودية كان منافقا كافرا اما عندنا فمن تتبع الاحوال فلا حجة لما كان على الكفر علم انه ما كان مؤمنا قط واما عند غيرهم فلما حكاه الشهرستاني في اول الملل فهو شارح الاناجيل الاربعة شبه مناظرة بين ابليس والملائكة بعد الامر بالسجود قال ابليس لعنه الله اني سلمت ان الباري تعالى الهي واله الخلق عالم قادر حكيم الا اني لي على مسائل في حكمته اسئلة الاول انه قد علم قبل خلقي اي شيء يصدر عني فلم خلقني وما الحكمة في خلقه اياي الثاني اذ خلقني على مقتضى ارادته ومشيئته فلم كلفني بمعرفته وطاعته وما الحكمة في التكليف مع انه لا ينتفع بطاعة ولا يتضرر بمعصية وكل ما يعود الى المكلفين فهو قادر على تحصيله لهم من غير واسطة التكليف الثالث اذ خلقني وكلفني فالتزمت تكليفه بالمعرفة والطاعة فاطعت وعرفت فلم كلفني بطاعة آدم والسجود له وما الحكمة في هذا التكليف على الخصوص بعد ان لا يزيد ذلك في معرفتي وطاعتي الرابع انه خلقني وكلفني بهذا التكليف على الخصوص فاذا لم اسجد فلم لعنني واخرجني من الجنة وما الحكمة فيه بعد ما لم ارتكب قبيحا الا قولي لا اسجد الا لك الخامس انه لما فعل ذلك فلم مكنني من الدخول الى الجنة حتى وسوست لآدم بعد ان لو منعني من دخول الجنة استراح مني آدم وبقي خالدا في الجنة والسادس انه خلقني وكلفني عموما وخصوصا ولعنني ثم طرقني الى الجنة وكانت الخصومة بيني وبين آدم فلم سلطني على اولاده حتى اراهم من حيث لا يروني وتؤثر فيهم وسوستي ولا يؤثر في حولهم وقوتهم وما الحكمة في ذلك بعد ان لو خلقهم على الفطرة وابقاهم على ذلك فيعيشوا طاهرين سامعين مطيعين كان احرى بالحكمة والسابع سلمت هذا كله فلم اذا استمهلته امهلني وما الحكمة في ذلك بعد ان لو اهلكني في الحال استراح الخلق مني وما بقي شر في العالم على نظام الخير خير من امتزاجه بالشر قال شارح الاناجيل فاوحى الله تعالى الى الملائكة قولوا له انك في تسليمك الاول اني الهك واله الخلق غير صادق ولا مخلص اذ لو صدقت اني اله العالمين ما احتكمت علي بلم وانا الله الذي لا اله الا انا لا اسأل عما افعل والخلق مسئولون هذا مذكور في التوراة ومسطور في الانجيل وهذه الشبهات بالنسبة الى انواع الضلالات كالبذور وما لبس بعده عمانه عرف الزيغ والكفر وان اختلفت العبارات وتباينت الطرق فيرجع جملتها الى انكار الامر بعد الاعتراف بالحق والى الجنوح الى الهوى في مقابلة النص ولا جواب عنها بالتحقيق الا الذي ذكره الله تعالى للملائكة لان من حكم العقل على من لا يحتكم عليه العقل لزمه ان يجري حكم الخالق في الخلق او حكم الخلق في الخالق فالاول غلو كالحلولية وكالغلاة من الشيعة والثاني تقصير كالمشبهة وصفوا الخالق بصفات الاجسام وكالخوارج نفوا تحكيم الرجال وقالوا لا حكم الا لله كقوله أأسجد لبشر خلقته من صلصال لا اسجد الا لك فالشبهات كلها ناشئة من اللعين وتلك في الاول مصدرها وهذه في الآخر مظهرها ولهذا قال تعالى ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين وشبه النبي صلى الله عليه وسلم كل فرقة ضالة من هذه الامة بامة ضالة من الامم السالفة فقال القدرية مجوس هذه الامة والمشبهة يهود هذه الامة والرافضة نصاراها وقال جملة لتسلكن سبيل الامم قبلكم حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه القول الثاني ان ابليس كان مؤمنا ثم كفر بعد ذلك ثم اختلفوا فمن قائل معناه وكان من الكافرين في علم الله اي كان الله عالما في الازل بانه سيكفر فصيغة كان متعلقة بالعلم لا بالمعلوم ومن قائل انه كان بمعنى صار وقيل الى الكفر في وقت معين بعد ان كان مؤمنا بعد لحظة يصدق عليه انه كان من الكافرين وانما حكم بكفره على هذا القول الثاني لاستكباره واعتقاده كونه محقا في ذلك التمرد بدليل قوله انا خير منه والا فمجرد المعصية لا يوجب الكفر عندنا وان كانت كبيرة وكذا عند المعتزلة لانه وان خرج عن الايمان لم يدخل في الكفر نعم عند الخوارج الكبيرة موجبة للكفر على الاطلاق ثم ان قوله من الكافرين هل يدل على وجود جمع من الكفرة قبله حتى يكون هو واحدا منهم قال قوم انه يدل على ذلك لان كلمة من للتبعيض وانما يذكر البعض الموجود بالاضافة الى كل موجود لا الى كل سيوجد ومما يؤكد ذلك ما روي عن ابن بريدة انه قال ان الله تعالى خلق خلقا من الملائكة ثم قال لهم اني خالق بشرا من طين قالوا لا نفعل ذلك الكفر فبعث الله نارا فاحرقتهم وكان ابليس من اولئك قال الآخرون معنى الآية انه صار من الذين وافقوه في الكفر بعد ذلك لان الكفر كان ظاهرا عند نزول الآية ولان الافراد الذهنية تكفي في صحة الجمع فان الحيوان المخلوق اولا يصح ان يقال انه فرد من افراد هذا الحيوان اي من افراد هذه الماهية وعلى هذا يكون ابليس اول من سن الكفر وهو قول الاكثرين واعلم ان الملائكة المامورين بالسجود هم كل الملائكة عند اكثر الائمة لان الجمع المعرف للعموم ويؤكده قوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون وايضا استثناء الشخص الواحد يدل على ان ما عداه داخل في ذلك الحكم ومن الناس من انكر ذلك قال هم ملائكة الارض استعظموا ان يكون اكابر الملائكة مامورين بذلك واما الحكماء فانهم يحملون الملائكة على الجواهر الروحانية واستطالوا انقياد الارواح السماوية للنفوس الناطقة وقالوا المامورون بالسجود القوى الجسمانية المطيعة للنفس الناطقة قوله تعالى وقلنا يا آدم اسكن الآية الاصح ان هذا الامر يشتمل على ما هو اباحة لانه كان مباحا له التبوؤ في جميع الجنة وعلى ما هو تكليف وتعبد فان النهي عنه كان حاصلا روي عن قتادة انه قال ان الله ابتلى آدم باسكان الجنة كما ابتلى الملائكة بالسجود وذلك انه كلفه ان يكون في الجنة ياكل منها حيث يشاء ونهاه عن شجرة واحدة ان ياكل منها فما زال به البلاء حتى وقع فيما نهي عنه فاسكانه موضعا يحصل فيه ما يكون مشتهى له مع منعه عن تناوله من اشد التكاليف واعلم ان الجنة المذكورة هنا هل هي جنة الخلد او جنة من جنان الارض فكان اسكانه

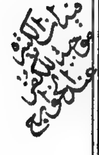

الجنة كالتقدمة لذلك فلو قال يحمل الغير واسكنتك ثم لا يبصر الذي دلكما اجمعوا على ان المراد بالزوجة حواء وان لم يتقدم ذكرها في
هذه السورة ففي سائر القرآن ما يدل على ذلك انها مخلوقة خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وقال صلى الله عليه وسلم ان المرأة خلقت من ضلع لن
تستقيم لك على طريقة فان استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج وان ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها وذكر السدي عن ابن عباس وابن مسعود
وناس من الصحابة رضي الله عنهم لما اخرج ابليس من الجنة واسكن آدم الجنة جعل فيها وحده وما كان معه من يستأنس به فالقى الله تعالى عليه النوم
ثم اخذ ضلعا من اضلاعه من شقه الايسر ووضع مكانه لحما وخلق حواء منه فلما استيقظ وجد عند رأسه امرأة قاعدة فسألها من انت قالت
امرأة قال ولم خلقت قالت لتسكن الي فقالت له الملائكة امتحانا لعلمه ما اسمها فقال حواء قالوا ولم قال لانها خلقت من شيء حي فقيل له يا
آدم مد يدك اليها فمنعته الملائكة وقالوا امهرها قال فما صداقها قالوا ان تصلي على محمد قال ومن محمد قالوا من اولادك خاتم النبيين
ولولاه لما خلقت وعن ابن عباس قال بعث الله جندا من الملائكة فحملوا آدم وحواء على سرير من ذهب كما يحمل الملوك ولباسهما النور على
كل واحد منهما اكليل من ذهب مكلل بالياقوت واللؤلؤ وعلى آدم منطقة مكللة بالدر والياقوت حتى ادخل الجنة فهذا الخبر يدل على
ان حواء خلقت قبل دخول الجنة والخبر الاول يدل على انها خلقت في الجنة والله اعلم بحقيقة الحال ثم هذه الجنة كانت في الارض او في السماء
وعلى تقدير كونها في السماء هي دار الثواب ام جنة اخرى فقال ابو القاسم البلخي وابو مسلم الاصفهاني هي في الارض وحملا الهبوط على الانتقال
من بقعة الى بقعة كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا قالا لان دار الثواب دار الخلد ولو كان في جنة الخلد لما لحقه الغرور من ابليس بقوله هل ادلك
على شجرة الخلد وملك لا يبلى ولان من دخل هذه الجنة لا يخرج منها لقوله تعالى وما هم منها بمخرجين ولان ابليس بعد ان غضب الله عليه
كيف يقدر ان يصل الى جنة الخلد ولان دار الجزاء لا يحصل التكليف فيها بعد العمل لا عمل لآدم وقتئذ ولانه تعالى خلقه في الارض ولم يذكر
نقله الى السماء ولو كان قد نقله لكان ذكره اولى لان ذلك النقل من اعظم النعم وقال الجبائي هي في السماء السابعة اهبط منها الى السماء الدنيا
ثم منها الى الارض وقال الجمهور هي دار الثواب والدليل عليه ان اللام في الجنة ليست للعموم لان السكنى في جميع الجنان محال فهي للعهد ولا معهود بين
المسلمين الا دار الثواب فوجب صرف اللفظ اليها واسكن امر من السكنى والسكنى من السكون لانها نوع من اللبث والاستقرار وانت
تأكيد للمستكن في اسكن ليصح العطف عليه رغدا وصف للمصدر اي اكلا رغدا واسعا رافها وحيث للمكان المبهم اي مكان من الجنة او اي
زمان شئتما فان حيث قد يعبر بها عن زمان مبهم وانما قيل ههنا وكلا بالواو وفي الاعراف فكلا لان كل فعل عطف على شيء وكان بينهما
رابطة السببية يعطف الثاني على الاول بالفاء والا فبالواو كقوله تعالى في البقرة واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا بالفاء لان الدخول
سبب الوصول الى الاكل فكانه قال ان دخلتموها اكلتم وفي الاعراف واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا بالواو لان السكنى وهي
طول اللبث لا يختص وجوده بوجود الاكل لان المجتاز قد ياكل ايضا فلهذا لم يعطف ههنا بالفاء اذ المراد اسكن من السكنى واما في الاعراف
فالمراد اسكن بمعنى ادخل ثم السكون فصح العطف بالفاء والنهي في لا تقربا للتنزيه او للتحريم الاصح الاول لان الصيغة وردت في كليهما
والاصل عدم الاشتراك فيجعل حقيقة في القدر المشترك بينهما وهو ترجيح جانب الترك على الفعل من غير دلالة على المنع من الفعل والجواز
ثابت بحكم الاصل فان الاصل في الاشياء الاباحة فاذا ضممنا هذا الاصل الى مدلول اللفظ صار المجموع دليلا على التنزيه وهذا اولى لان
حاصل معصيته الى ترك الاولى فيكون اقرب الى عصمة الانبياء وقيل النهي للتحريم قياسا على قوله ولا تقربوا مال اليتيم ولقوله فتكونا من
الظالمين ولانه استحق الاخراج من الجنة والرجوع الى التوبة والجواب ان التحريم في لا تقربوا من دليل منفصل والظلم قد يراد به ترك الاولى والاخراج
لم يكن بهذا السبب بل لما سيأتي ان شاء الله تعالى ثم النهي عن القرب يفيد النهي عن الاكل بطريق الكناية فان القرب اليها من اسباب الاكل منها ولهذا
يدل على النهي عن الاكل صريحا قوله فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وروي عن ابن عباس ان الشجرة هي السنبلة وفي رواية عنه وعن ابن مسعود
انها الكرم وعن مجاهد وقتادة انها التين وعن الربيع بن انس كانت شجرة من اكل منها احدث ولا ينبغي ان يكون في الجنة حدث قال المبرد واحسب ان
كل ما له اغصان وعيدان فالعرب تسميه شجرا وقد لا يختص بالساق قال تعالى وانبتنا عليه شجرة من يقطين واصل هذا انه اسم لكل ما شجر اي اخذ بعضه
ببعض والتشاجر الاختلاف واعلم انه ليس في الظاهر ما يدل على التعيين ولا حاجة ايضا الى بيانه فليس المقصود تعريف الشجرة وما لم يكن مقصودا قد
لا يجب على الحكيم بل يكون عبثا كما لو اراد احد ان يقيم عذر متخلف فقال اشتغلت بضرب غلمان لا استتم الادب كان هذا القدر احسن من ان
يذكر عين الغلام واسمه وصفاته فلا يظن احد انه مما تقصير في البيان فتكونا جزم عطفا على تقربا او نصب جوابا للنهي من الظالمين من الذين
ظلموا انفسهم بمعصية الله قوله فازلهما الشيطان الآية تحقيقه فاصدر الشيطان زلتهما عنها ولفظة عن في هذه الآية كهي في قوله وما فعلته عن
امري فالضمير للشجرة وقيل اذهبهما وابعدهما كما تقول زل عن مرتبته وزل عنه ذاك اذا ذهب عنه فالضمير للجنة ومن قرأ فازالهما فهو من الزوال عن المكارم بما
كانا فيه اي من النعيم والكرامة او من المكان الذي هو الجنة ان كان هو الضمير في عنها للشجرة واعلم ان الناس اختلفوا في عصمة الانبياء وهو النزاع اما
في باب الاعتقاد او في باب التبليغ او في باب الاحكام والفتيا او في افعالهم وسيرتهم اما اعتقادهم الكفر والضلال فغير جائز عند اكثر الامة الا
الفضيلية انه قد وقع منهم ذنوب والذنب عندهم كفر وشرك فلا جرم قالوا بوقوع الكفر منهم واجازت الامامية عليهم اظهار الكفر على سبيل التقية

ما يتعلق بالتبليغ فاجمعت الامة على عصمتهم عن الكذب والتحريف في ذلك لا عمدا ولا سهوا والا ارتفع الوثوق ومنهم من جوز ذلك سهوا لان الاحتراز
غير ممكن واما المتعلق بالفتيا فاجمعوا على انه لا يجوز الخطاء فيه عمدا واما السهو فجوزه بعضهم واباه الاخرون واما المتعلق بافعالهم فالحشوية جوزوا
الكبائر عنهم عمدا واكثر المعتزلة جوزوا الصغائر عنهم عمدا الا ما ينفر كالكذب والتطفيف والجبائي لا يجوز صغيرة ولا كبيرة على جهة العمد بل على التاويل
وقيل لا يقع الذنب منهم الا على جهة السهو والخطاء ولكنهم يؤاخذون به وان كان ذلك موضوعا عن امتهم لان معرفتهم اقوى فهم على التحفظ اقدر والشيعة
لا يجوزون صغيرة ولا كبيرة منهم لا عمدا ولا سهوا ولا على سبيل التاويل والخطاء وفي وقت عصمتهم ثلثة اقوال فمذهب الشيعة انهم معصومون من وقت
مولدهم والمعتزلة من وقت بلوغهم ولم يجوزوا الكفر والكبيرة منهم قبل النبوة وبعضهم وهو قول اكثر اصحابنا على تجويز ذلك قبل النبوة والمختار انهم لم
يصدر عنهم الذنب حال النبوة لا الكبيرة ولا الصغيرة لوجوه الاول لو صدر الذنب عنهم لكانوا اقل درجة من عصاة الامة مصداقه قوله عز من
قائل يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وشعر صغائر الرجل الكبير كبائر ولا يجوز ان يكون
النبي اقل حالا من الامة بالاجماع ومتقدمه الثاني لو اقدم على الفسق لا يكون مقبول الشهادة لقوله ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا لكنه شاهد عدل من
الله بانه شرع الدين وكذا يوم القيمة ويكون الرسول عليكم شهيدا الثالث ومتقدمه لو اقدم على الكبيرة يجب زجره وايذاؤه لكنه محرم ان الذين
يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة الرابع انه لو اتى بمعصية لوجب علينا الاقتداء به لقوله فاتبعوه والجمع بين الوجوب
والحرمة محال الخامس نعلم بالبداهة انه قبيح لا يليق من نبي رفع الله درجته وجعله خليفة في عباده وبلاده ثم انه يقدم على ما نهاه عنه ترجيحا
لهواه حتى يستحق اللعن والعذاب السادس اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم يكون متناولا له وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه
السابع انهم كانوا يسارعون في الخيرات واللفظ للعموم فيشمل فعل ما ينبغي وترك ما لا ينبغي الثامن قوله وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار والله
يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس والوصف بالاصطفاء ينافي الذنب التاسع انه حكى عن ابليس لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين والانبياء
من المخلصين لقوله في حق يوسف انه من عبادنا المخلصين وفي حق موسى انه كان مخلصا فلا يغويهم العاشر ولقد صدق عليهم ابليس ظنه
فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين ولا يخفى وجوب كون الانبياء منهم والا كان غير النبي افضل من النبي الحادي عشر الخلق قسمان حزب الله الا ان
حزب الله هم المفلحون وحزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون والعصاة حزب الشيطان فلا يجوز ان يكون النبي عاصيا الثاني عشر النبي
افضل من الملك كما مر والملائكة لا يعصون الله ما امرهم فالنبي اولى الثالث عشر اني جاعلك للناس اماما والامام من يؤتم به والمذنب لا يجوز
الاقتداء به في ذنبه الرابع عشر لا ينال عهدي الظالمين فان كان عهد النبوة ثبت المطلوب وان كان عهد الامامة فالنبي اولى به روي ان خزيمة
بن ثابت شهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم على وفق دعواه فقال صلى الله عليه وسلم كيف شهدت لي فقال يا رسول الله اني صدقتك على الوحي النازل عليك من فوق سبع
سموات افلا اصدقك في هذا القدر فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وسماه بذي الشهادتين ولو كانت المعصية جائزة على الانبياء لما جازت تلك
الشهادة المخالف تمسك في باب الاعتقاد بقوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة الى قوله جعلا له شركاء وهذا يقتضي صدور الشرك عنهما والجواب
ما سيجيء في الاعراف ان شاء الله تعالى من ان الخطاب لقريش والمعنى خلقكم من نفس قصي وجعل من جنسها زوجة عربية ليسكن اليها فلما اتاهما
ما طلبا من الولد الصالح سميا اولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد الدار وعبد قصي قالوا ان ابرهيم لم يكن عالما بالله ولا باليوم
الاخر لقوله هذا ربي وبقوله ولكن ليطمئن قلبي والجواب هذا استفهام على طريق الانكار وقوله ليطمئن قلبي اراد به ان يؤكد علم اليقين
بعين اليقين فليس الخبر كالمعاينة قالوا فان كنت في شك فلا تكونن من الممترين يدل على انه كان شاكا في الوحي قلنا الخطاب له والمراد مثل
يا ايها النبي اذا طلقتم قالوا في باب التبليغ سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله هذا الاستثناء يدل على النسيان والجواب عنه ان هذا
النسيان نوع من النسخ كما يجيء في تفسير قوله تعالى ما ننسخ من اية او ننسها قالوا وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى
القى الشيطان في امنيته والجواب سوف يجيء في سورة الحج ان شاء الله تعالى قالوا عالم الغيب فلا يظهر الى قوله ليعلم ان قد ابلغوا رسالات
ربهم ولولا الخوف من وقوع التخبيط في الوحي لم يستظهر بالرصد قلنا هذا عليكم لا لكم لانه يدل على كونهم محفوظين عن التخبط قالوا في الافعال وداود
وسليمان اذ يحكمان في الحرث ما كان لنبي ان يكون له اسرى عفا الله عنك لم اذنت لهم قلنا الجميع محمول على ترك الاولى وسوف يجيء
قصة كل في موضعها على ما نقول شعر يا سائلي عن رسول الله كيف سها والسهو من كل قلب غافل لاهي قد غاب عن كل شيء سره
فسها عما سوى الله فالتعظيم لله قالوا في الافعال وعصى آدم ربه فغوى والعصيان يوجب الوعيد ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم
والغي ضد الرشد قد تبين الرشد من الغي ثم انه تاب والتوبة تدل على الذنب وانه ظالم لقوله فتكونا من الظالمين والظالم ملعون الا
لعنة الله على الظالمين وانه اخرج من الجنة وكل هذه دليل ارتكاب الكبيرة والجواب المنع من ان هذه الامور كانت بعد النبوة ثم لئن سلم
انه صدر ذلك الفعل عن آدم بعد النبوة فاقدم عليه اما ان يكون في حال كونه ناسيا او في حال كونه ذاكرا فالذاهبون الى الاول وهم طائفة
من المتكلمين احتجوا بقوله فنسي ولم نجد له عزما ومثلوه بالصائم يشتغل عن صومه فياكل في اثناء ذلك السهو عن قصد قيل عليه ان قوله ما
نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين وقوله وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين يدل على انه ما نسي وروي عن ابن عباس انهما لما

والثاني

الشيطان

ضالة

حطاه

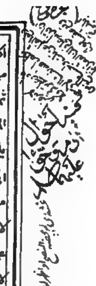

اكلا منها وبدت لهما سوآتهما خرج آدم فتعلقت به شجرة من شجر الجنة فحبسته فناداه الله تعالى افرارا مني فقال بل حياء منك فقال له اما كان فيما
منحتك من الجنة مندوحة عما حرمت عليك قال بلى يا رب ولكن وعزتك ما كنت ارى احدا يحلف بك كاذبا فقال وعزتي لاهبطنك منها
ثم لا تنال العيش الا نكدا وايضا لو كان ناسيا لما عوتب عليه لانه كان عالما بتمرد ابليس عن سجوده وكونه عدوا له ولزوجه لانهما الموصوفان ملكا
المعصية في نفسه يقدر اعظم من اكل الشجرة لانه لقي اليهما وسوسة الظن بالله سبحانه انه ناصح والرغبة فيما روي عن ابن عباس فنقول هذا باب الآحاد ولا
يلزم من رفع النسيان عن هذه الامة رفعه عن غيرهم بل لا يلزم من رفعه عن النبي اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل
اني اوعك كما يوعك الرجلان منكم وقيل ان حواء سقته الخمر فسكر ثم اقدم على ذلك الفعل وهذا انما يصح اذا حملت الشجرة على غير الكرم حتى يكون
مأذونا في تناول غيرها الا انه يرد عليه ان خمر الجنة لا تسكر لانها قول الذاهبون الى انه فعله عامدا اربع فرق منهم من قال النهي نهي تنزيه
لا تحريم وقد سبق ومنهم من قال كان عمدا من آدم وكان كبيرة مع ان آدم في ذلك الوقت كان نبيا وقد عرفت فساده ومنهم من قال فعله
عمدا لكن كان معه من اعمال القلب من الاخلاص والوجل والاشفاق ما صيره صغيرة وزيف بان المقدم على ترك الواجب او فعل المنهي عمدا
لا يعذر بدعوى الخوف فلا يصح وصف الانبياء بذلك منهم وهو اختيار اكثر المعتزلة من قال انه اقدم على الاكل بسبب اجتهاد اخطأ فيه وذلك
لا يقتضي كون الذنب كبيرة وبيان الاجتهاد انه لما قيل له ولا تقربا هذه الشجرة فلفظ هذه قد يشار بها الى الشخص وقد يشار الى النوع كما روي
انه اخذ حريرا وذهبا بيده وقال هذان حرامان على ذكور امتي وتوضأ ثم قال هذا وضوء لا يقبل الله الصلوة الا به واراد نوع الحرير
والذهب ونوع الوضوء فاراد الله تعالى من كلمة هذه ذلك النوع لا الشخص وكان آدم ظن ان النهي قد ورد على الشجرة المعينة فتركها وتناول من
شجرة اخرى من ذلك النوع واعترض بان هذا في اصل اللغة للاشارة الشخصية واذا حمل آدم اللفظ على موضوعه فكيف يعد مخطئا واجيب
بان لفظ هذا متردد بين الشخص والنوع فان كان مع قرينة الاشارة النوعية وقد قصر في معرفتها فيكون مذنبا وان عرفها ومع
ذلك قدم على التناول فكذلك وان لم يكن فيه قرينة فلا يعد مخطئا وايضا الانبياء لا يجوز لهم الاجتهاد لانهم قادرون على تحصيل اليقين
بالوحي فالاقدام على الاجتهاد عين المعصية وايضا هذه المسئلة ان كانت قطعية فالخطاء فيها كبيرة وان كانت من الظنيات فان قلنا
كل مجتهد مصيب فلا خطاء وان قلنا المصيب واحد فالمخطئ منها معذور بالاتفاق واجيب بان لفظ هذا يستعمل في الاشارة النوعية ايضا
كما مر وبان آدم لعله قصر في معرفة القرينة او عرفها ثم نسي لطول المدة فلهذا عوتب وبان المسئلة القطعية لما اشتبهت صار النسيان عذرا
لا يصير الذنب كبيرا وقد يكون ظنية الا ان التشديد بالانسان على الخطاء فيها لان النبي قد يؤاخذ بما لا يؤاخذ به غيره الامة وقيل يحمل الخطأ في الاجتهاد
من جهة ان آدم ظن ان النهي في قوله ولا تقربا انما وقع لهما معا فيجوز لكل واحد على الانفراد اكله فان قيل كيف تمكن ابليس من وسوسة آدم
مع ان ابليس كان خارج الجنة وآدم فيها قلت اما انه دخل في الجنة خافيا عن الخزنة ولهذا سقطت قوائم الحية عقوبة لها على ما يروى
وان كان بعيدا عن ابي هريرة انه قال ما سالمناهم منذ حاربناهم ومن ترك منهم شيئا خيفة فليس منا يعني الحيات واما انه دخل
في صورة دابة واما انهما كانا يخرجان الى باب الجنة وابليس كان يقرب من الباب ويوسوس واما انه كان يدنو من السماء فيكلمهما وقيل وسوس
لهما على لسان بعض اتباعه لانهما كانا يعرفان ما عنده من الحسد والبغضاء فيستحيل ان يقبلا قوله عادة واسناد الازلال والاخراج الى
الشيطان لانه حصل بسببه وعن بعض المعتزلة ان زلة آدم هب انها كانت بوسوسة ابليس فمعصية ابليس بوسوسة من ولا بد من الانتهاء
الى الذي لا يسئل عما يفعل فان قيل كيف كانت الوسوسة قلنا هي ما حكاه الله تعالى ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين
فلما لم يقبلا عدل الى اليمين وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين ولكم من شياطين الانس يوسوسون اليك على هذا الترتيب عاذنا
الله منهم ثم بعد ذلك يحتمل انه لم يصدقاه فعدل الى شغلهما باللذات المباحة حتى استغرقا فيها ونسيا النهي فوقعا فيما وقعا والله اعلم
بحقائق الامور اهبطوا خطاب لآدم وحواء وابليس لما في قصة احمد بناء على ان ابليس قد عاد الى الجنة لاجل الوسوسة واما آدم
وحواء في وقت قبل ذلك وقيل خطاب لهما وللحية وقيل الصحيح ان الخطاب لهما ولذريتهما لانهما لما كانا اصل الانس جعلا
كانهما الناس كلهم والدليل عليه ما جاء في طه اهبطا منها وقوله فاما ياتينكم وما هو الا حكم يعم الناس كلهم اهبطوا امرا واباحة الاشبه
الاول لان مفارقة ما كانا فيه من النعيم الى دار الهوان اشق التكاليف وانما قيل انه تكليف لا عقوبة لما ترتب عليه من الثواب العظيم ويمكن ان
يقال نفس الاهباط عقوبة ولا ثواب عليه وانما الثواب على حسب العمل بعد ذلك ومعنى بعضكم لبعض عدو ما عليه الناس من التعادي والتباغي وتضليل
بعضهم لبعض وليست هذه هي العداوة المامور بها في قوله ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فلا يدخل تحت الامر بل المراد اهبطوا
وسيكون منكم كذا لانه عالم التضاد والتنافي ليس كعالم الانوار الذي لا تعاند فيه ولا تمانع مستقر استقرارا او موضع استقرار يعني الى
الحيوة والموت ومتاع تمتع بالعيش الى حين هو يوم القيمة وحين انقضاء آجالكم والحين المدة طويلة او قصيرة ولهذا لو قال لامرأته انت طالق
الى حين فعندنا تطلق في قصة آدم وما جرى عليه عبرة وعظة بليغة ليست كافية في اجتناب الخطايا واتقاء المآثم ولله در
القائل شعر يا ناظرا يرنو بعيني راقد ومشاهدا للامر غير مشاهد تصل الذنوب الى الذنوب وترتجي درك الجنان ونيل فوز العابد

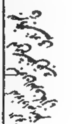

أنبينا أن الله أخرج آدم منها إلى الدنيا بذنب واحد وعن فتح الموصلي كنا قوما من أهل الجنة فسبانا إبليس إلى الدنيا فليس لنا إلا الهم والحزن حتى نرد إلى الدار التي أخرجنا منها شعر: تطلب الجنة في دار إنما خلقت من يطلب شيئا لا يكون. قوله فتلقى الآية أصل التلقي التعرض للقاء ثم وضع موضع الاستقبال للشيء الجائي ثم يوضع موضع القبول والأخذ وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم أي تلقنه ثم بعض الأفعال قد يشترك فاعله ومفعوله في صلاحيته وصف كل منهما بالفعل فيتعاوضان عملهما تقول بلغني ذلك وبلغته وأصاب خيرا وأصابني خير و أصبته ونلته وتلقى آدم من ربه كلمات أي أخذها ووعاها واستقبلها بالقبول ﴿تلقى آدم كلمات﴾ أي جاءته واتصلت به ولا يجوز أن يكون معنى التلقي من الرب أن الله تعالى عرفه حقيقة التوبة لأن المكلف لا بد أن يعرف ماهية التوبة ويتمكن بفعلها من تدارك الذنوب فضلا عن الأنبياء فإذن المراد أنه نبهه على المعصية على وجه آل أمره إلى التوبة أو عرفه وجوب التوبة وكونها مقبولة أو ذكره نعمه العظيمة عليه حتى صار من الدواعي القوية إلى التوبة أو علمه كلمات لو حصلت التوبة معهن كان كمالها ومن قوله تعالى ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا﴾ الآية وفي رواية ابن عباس أن آدم قال يا رب ألم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب ألم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال يا رب ألم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال ألم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب إن تبت وأصلحت أراجعي أنت إلى الجنة قال نعم وقال النخعي أتيت ابن عباس فقلت ما الكلمات التي تلقى آدم من ربه قال علم الله آدم وحواء أمر الحج فحجا فهي الكلمات التي يقال في الحج فلما فرغا من الحج أوحى الله تعالى إليهما أني قبلت توبتكما وعن ابن مسعود أحب الكلام إلى الله ما قاله أبونا حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت وقالت عائشة لما أراد الله تعالى أن يتوب على آدم طاف بالبيت سبعا والبيت يومئذ ربوة حمراء فلما صلى الركعتين استقبل البيت قال اللهم إنك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فأعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي اللهم إني أسألك إيمانا يباشر قلبي ويقينا صادقا حتى أعلم أنه لن يصيبني إلا ما كتبت لي وأرضني بما قسمت لي فأوحى الله تعالى إلى آدم يا آدم قد غفرت لك ذنبك ولن يأتيني أحد من ذريتك فيدعوني بمثل الذي دعوتني به إلا غفرت ذنبه وكشفت همومه وغمومه ونزعت الفقر من بين عينيه وجاءته الدنيا وهو لا يريدها وفي كلام الغزالي أن التوبة تتحقق من ثلاثة أمور مرتبة أولها علم وثانيها حال وثالثها عمل العلم هو معرفة ما في الذنب من الضرر وكونه حجابا بين العبد وبين الرب فإذا استحكمت هذه المعرفة تألم القلب بسبب فوات محبوبه وتأسف على الفعل الذي كان سببا لذلك الفوات ويسمى ذلك التأسف ندما وهذه الحالة لها تعلق بالماضي وهو تلافي ما فات بالجبر والقضاء إن كان قابلا للجبر وتعلق بالحال وهو ترك الذنب الذي كان ملابسا وتعلق بالمستقبل وهو العزم على أن لا يعود إليه أبدا وكثيرا ما يطلق اسم التوبة على معنى الندم وحده ويجعل العلم السابق كالمقدمة والترك اللاحق كالثمرة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الندم توبة وجميع هذه الأمور بتوفيق الله ولطفه إنه هو التواب الرحيم والتوبة لغة الرجوع فيشترك فيه الرب والعبد فإذا وصف بها العبد فالمعنى رجع إلى ربه لأن كل عاص هارب عن ربه وقد يفارق الرجل خدمة سيده فيقطع السيد معروفه عنه فإذا عاد إلى السيد عاد السيد عليه بإحسانه ومعروفه وهذا معنى قبول التوبة من الله غفر ذنوب العباد التائب من الذنب كمن لا ذنب له ومعنى المبالغة في التواب أن واحدا من ملوك الدنيا إذا عصاه إنسان ثم تاب قبل توبته ثم إذا عاد إلى المعصية وإلى الاعتذار ربما لم يقبل عذره لأن طبعه يمنعه من قبول العذر والله تعالى بخلاف ذلك لأنه إنما يقبل التوبة لا لأمر يرجع إلى رقة طبع أو جلب نفع أو دفع ضر بل لمحض الإحسان واللطف والرحمة والجود فإن فيضه لا ينقطع ولا يقصر إلا من القابل فكلما ارتفع المانع من قبل القابل حصل الفيض لأنه لا نهاية له ويستحق المبالغة من جهة أخرى وهي كثرة عدد المذنبين المسلمين لكثرة التائبين المستتبعة لكثرة قبول التوبة ووصفه بالرحمة وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لو جمع بكاء أهل الدنيا إلى بكاء داود لكان بكاء داود أكثر ولو جمع بكاء أهل الدنيا وبكاء داود إلى بكاء نوح لكان بكاء نوح أكثر ولو جمع بكاء أهل الدنيا وبكاء داود وبكاء نوح إلى بكاء آدم على خطيئته لكان بكاء آدم أكثر وإذا آل حال أبينا إلى هذا بخطيئة واحدة فمن أحاطت به خطاياه أحق بالبكاء واقتفاء أثره وقال نبينا صلى الله عليه وسلم إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله اليوم سبعين مرة فنحن أحق بالاستغفار فإن الغين يكاد يكون بالنسبة إلينا رينا وذلك أن الغين شيء يغشى القلب ويغطيه بعض التغطية كالغيم الرقيق لا يحجب الشمس ولكن يمنع كمال ضوئها والرين ما استحكم من ذلك حتى صار القلب ممتنعا بالكلية عن قبول الحق وذلك صفة الكفار ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ قيل في تأويل الحديث أن الله تعالى أطلع نبيه على ما سيكون في أمته من الخلاف والشقاق وكان إذا ذكر ذلك وجد غينا في قلبه فاستغفر لأمته وقيل كان ينتقل من حالة إلى حالة أرفع من الأولى فيستغفر مما كان وقيل الغين عبارة عن السكر الذي كان يلحقه في طريق المحبة حتى يصير فانيا عن نفسه بالكلية فإذا عاد إلى الصحو استغفر من ذلك المحو وهذا تأويل أرباب الحقيقة وقال أهل الظاهر إن القلب لا ينفك عن الخطرات والشهوات وأنواع الإرادات فكان يستعين بالرب تعالى في دفع تلك الخواطر وعن ثابت البناني بلغنا أن إبليس قال يا رب إنك خلقت آدم وجعلت بيني وبينه عداوة فسلطني عليه فقال جعلت صدورهم مساكن لك فقال رب زدني فقال لا يولد لآدم ولد إلا ولد لك عشرة قال رب زدني قال تجري منه مجرى الدم قال رب زدني قال ﴿أجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد﴾ قال فشكا آدم إلى ربه فقال يا رب إنك خلقت إبليس وجعلت بيني وبينه عداوة وبغضاء وسلطته علي وأنا

مطلب التوبة تتحقق من ثلاثة أمور

حيث كان يزيد وحمزة في الوقف يقفون كذلك ما بعدها ساكنة الياء ابو زيد عن المفضل فارهبون فاتقون بالياء في الحالين يعقوب
وكذلك كل ياء محذوفة في الخط عند راس الاية وروى صبيح بن نشام وابن بدر عن سهل وعباس بالياء في الوصل اول كافر به الا
قتيبة واحمد بن فرج الوقوف فارهبون ربع الجزء كافر به لاتفاق الجملتين وعلى قليلا اجوز لاختلاف النظم بتقديم المفعول فاتقون تعلمون
الراكعين الكتاب تعقلون الصلوة الخاشعين لان الذين صفتهم راجعون التفسير لما قام دلائل التوحيد والنبوة والمعاد ثم ذكر الانعامات
العامة للبشر ومن جملتها خلق ادم الى تمام قصته اردفها الانعامات الخاصة على اسلاف اليهود لان اتركيبهم واستمالة قلوبهم وتنبيها على
نبوة محمد من حيث كونه اخبارا بالغيب رجاء في مطاوي ذلك ما يرشد الى اصول الاديان ومكارم الاخلاق اسرائيل هو يعقوب بن
اسحق بن ابراهيم عبرانيّ غير منصرف للعلمية والعجمة المعتبرة لقبه ومعناه صفوة الله وقيل عبد الله لان اسر بالعبرانية هو العبد وايل الله وقوله
يا بني اسرائيل خطاب مع جماعة اليهود الذين كانوا بالمدينة من ولد يعقوب في ايام محمد وحد النعمة وما يتعلق بها قد سبق في تفسير الفاتحة
والعائد من الصلة محذوف اي انعمتها عليكم قال بعض العارفين عبيد النعم كثيرون وعبيد المنعم قليلون فان الله تعالى ذكر بني اسرائيل نعمه عليهم ولما
آل الامر الى امة محمد ذكرهم المنعم فقال اذكروني اذكركم عن ابن عباس انه قال من نعمه تعالى على بني اسرائيل ان نجاهم من آل فرعون وظلل
عليهم في التيه الغمام وانزل عليهم المن والسلوى واعطاهم الحجر الذي كان يسقيهم ما شاؤا واعطاهم عمودا من النور ليضيء لهم بالليل
وكان رؤسهم لا تتشعث وثيابهم لا تبلى وفي تذكير هذه النعم فوائد منها ان فيها ما يشهد بصدق محمد وهو التورية والانجيل والزبور
ومنها ان كثرة النعم توجب عظم المعصية فذكرهم اياها ليحذروا مخالفة ما دعوا اليه من الايمان بمحمد والقرآن ومنها ان تذكر النعم الكثيرة
يوجب الحياء من اظهار المخالفة ومنها ان كثرة النعم يفيد ان المنعم خصهم بها من بين سائر الناس ومن خص احدا بنعم كثيرة فالظاهر انه لا يزيلها
عنهم كما قيل اتمام المعروف خير من ابتدائه فتذكير النعم السالفة مطمع في النعم الآتية وذلك الطمع يمنع من اظهار المخالفة والمخاصمة والنعمة على الآباء
نعمة على الابناء اذ لولاها لما بقي نسلهم ولان الانتساب الى آباء خصهم الله تعالى بنعم الدين والدنيا نعمة عظيمة في حق الاولاد ولانهم اذا علموا
ان آباءهم انما خصوا بهذه النعم لمكان طاعتهم والاعراض عن الكفر والجحود رغبوا في هذه الطريقة لان الابن مجبول على اتباع الاب ومن اشبه
اباه فما ظلم والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد جميعا يقال اوفيت بعهدك اي بما عاهدت عليه ووفيت بعهدك اي بما عاهدتك عليه والمعنى
اوفوا بما عاهدتموني عليه من الايمان بي والطاعة لي اوف بعهدكم اي ارض عنكم وادخلكم الجنة حكاه الضحاك عن ابن عباس وتحقيقه في قوله تعالى
ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التورية و
الانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله وقيل المراد من هذا العهد ما اثبته في الكتب المتقدمة من صفة محمد وانه سيبعثه والى هذا الاشارة
في قوله ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا الى قوله ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار وفي الاعراف فساكتبها
للذين يتقون الاية وفي آل عمران واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم وفي الصف واذ قال عيسى بن مريم وعن ابن عباس ان الله كان عهد
الى بني اسرائيل في التورية اني باعث من بني اسمعيل نبيا اميا فمن تبعه وصدق بالنور الذي يأتي به اي بالقرآن غفرت له ذنبه وادخلته الجنة
وجعلت له اجرين اجرا باتباع ما جاء به موسى وجاءت به سائر انبياء بني اسرائيل واجرا باتباع ما جاء به محمد النبي الامي الذي من ولد اسمعيل
ويصدق هذا القرآن يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته وعن ابي موسى الاشعري مرفوعة ثلثة يؤتون
اجرهم مرتين رجل من اهل الكتاب آمن بعيسى ثم آمن بمحمد فله اجران ورجل ادب امته فاحسن تأديبها وعلمها فاحسن تعليمها ثم اعتقها و
تزوجها فله اجران ورجل اطاع الله واطاع سيده فله اجران فان قيل لو كان الامر كما قلتم فكيف يجوز من جماعتهم جحوده قلنا اما لان هذا
العلم كان حاصلا عند العلماء بكتبهم ولم يكن لهم عدد كثير فجاز منهم كتمانه واما لان ذلك النص كان نصا خفيا لا يعلم بتعيين الزمان و
المكان بحيث يعرفه كل احد فجاز وقوع الشكوك والشبهات فيه وجاء في الفصل التاسع من السفر الاول من التورية ان هاجر لما غضبت
عليها سارة تراءى لها ملك الله تعالى فقال لها يا هاجر اين تريدين قالت اهرب من سيدتي سارة فقال ارجعي الى سيدتك واخضعي لها سيدتك فقال لها
فان الله سيكثر زرعك وذريتك حتى تحبلين وتلدين ابنا وتسميه اسمعيل من اجل ان الله سمع خشوعك وهو يكون بين الناس ويكون يده فوق
الجميع مبسوطة اليه بالخضوع قيل هذا الكلام خرج مخرج البشارة لانهم كانوا قبل الاسلام محصورين في البادية لا يتجاسرون على الدخول
في اوائل العراق واوائل الشام الا على اتم خوف فلما جاء الاسلام استولوا على الخافقين بالاسلام ومازجوا الامم ووطئوا بلادهم ومازجهم
الامم وحجوا بيتهم ودخلوا باديتهم بسبب مجاورة الكعبة واياي فارهبون فلا تنقضوا عهدي وهو من قولك زيدا رهبته اي زيدا رهبت
رهبته بتقديم المفعول للاختصاص فتقديره واياي ارهبوا فارهبون وهو اوكد في افادة الاختصاص من اياك نعبد لمكان الفاء المؤذنة
بتلازم ما قبلها وما بعدها اي ان كنتم راهبين شيئا فارهبون ومن قبيل التكرير لاجل الاختصار والتفسير الرهبة هي الخوف والخوف اما
من العقاب وهو نصيب اهل الظاهر واما من الجلال وهو وظيفة ارباب القلوب والاول يزول والثاني لا يزول من كان خوفه في الدنيا اشد
كان امنه يوم القيمة اكثر وبالعكس يروى انه ينادي مناد يوم القيمة وعزتي وجلالي اني لا اجمع على عبدي خوفين ولا امنين من امنني في الدنيا

وتعريف الخوف من العقاب والخوف من الجلال

خوفه يوم القيمة ومن خاف في الدنيا امنه يوم القيمة وقوله وآمنوا معطوف على اذكروا والمراد بما انزلت القرآن ومصدقا حال مؤكدة من
الراجع المحذوف وفيه تفسيران احدهما ان في القرآن ان موسى وعيسى حق والتوراة والانجيل حق والتوراة انزل على موسى والانجيل على عيسى
فكان الايمان بالقرآن مؤكدا للايمان بالتوراة والانجيل والثاني انه حصلت البشارة بمحمد وبالقرآن في التوراة والانجيل فكان الايمان
بمحمد والقرآن تصديقا للتوراة والانجيل والتكذيب بمحمد والقرآن تكذيبا لهما وفي هذا التفسير دلالة على نبوة محمد من جهة ان شهادة
كتب الانبياء لا تكون الا حقا ومن جهة انه اخبر عن كتبهم ولم يكن له معرفة بذلك الا من قبل الوحي ولا تكونوا اول كافر به اي اول من كفر به او
اول فريق او فوج كافر به او ولا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقوله كسانا حلة اي كل واحد منا وههنا سؤال ان الاول كيف جعلوا اول
من كفر به وقد سبقهم الى الكفر به مشركو العرب في الجواب وجوه الاول انه تعريض بانه كان يجب ان يكونوا اول من يؤمن به لمعرفتهم بصفته و
ولانهم كانوا المبشرين بزمان محمد والمستفتحين به على الذين كفروا وكانوا يعدون اتباعه اول الناس كلهم فلما بعث كان امرهم على العكس فلما
جاءهم ما عرفوا كفروا به الثاني ولا تكونوا مثل اول كافر به يعني من اشرك به من اهل مكة اي ولا تكونوا وانتم تعرفونه موصوفا في التوراة
مثل من لم يعرفه لانه لا كتاب له الثالث اول كافر به من اهل الكتاب لان هؤلاء كانوا اول من كفر بالقرآن من بني اسرائيل الرابع ولا تكونوا اول
كافر به يعني بكتابكم يقول ذلك لعلمائهم لان تكذيبكم بمحمد يوجب تكذيبكم الخامس المراد بيان تغليظ كفرهم وذلك ان السابق الى الكفر كفره غليظ
من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها والكافر عن تبديل معرفته بما يوجب الايمان كفره اغلظ ممن كفر ولا دليل له على الايمان فاشتركا من هذا
الوجه فصح اطلاق احدهما على الآخر السادس ولا تكونوا اول من جحد مع المعرفة السابع اول فريق كفر من اليهود لان النبي قدم المدينة بها قريظة
والنضير فكفروا ثم تابعت سائر اليهود على ذلك الكفر الثامن ولا تكونوا اول الكافرين عند سماعكم بذكره بل تثبتوا وراجعوا عقولكم فيه وسؤال
الثاني كأنه يجوز لهم الكفر اذا لم يكونوا اول والجواب لتخصيص ذكر الشيء لا يدل على ان ما عداه بخلافه والتعميم في قوله وآمنوا دلالة على ان كفرهم اولا واخرا
محظور وايضا قوله ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا لا يدل على اباحة ذلك بالثمن الكثير وقوله رفع السماء بغير عمد ترونها لا يدل على وجود عمد
لا ترونها فكذلك ههنا قال المبرد هذا الكلام خطاب لقوم خوطبوا به قبل غيرهم فقيل لهم لا تكفروا بمحمد فانه سيكون بعدكم كفار فلا تكونوا انتم
اول الكفار فانه يكون عليكم وزر من كفر الى يوم القيامة والاشتراء استعارة للاستبدال كما قلنا في اشتروا الضلالة بالهدى اي لا تستبدلوا بآياتي
ثمنا قليلا والا فالثمن هو المشترى به والثمن القليل هو الرياسة التي كانت لهم في قومهم خافوا عليها الفوات لو تبعوا دين الاسلام وقيل الثمن هو
الرشوة التي يأخذها علماؤهم على تحريف الكلم عن مواضعه وتسهيلهم لهم ما صعب عليهم من الشرائع واياي فاتقون مثل واياي فارهبون وقيل
الاتقاء انما يكون عند الجزم بحصول ما يتقى عنه فكأنه امرهم بالرهبة لاجل ان جواز العقاب قائم ثم امرهم بالتقوى على ان يقين العقاب قائم ثم قوله
ولا تلبسوا امر بترك الاغواء والاضلال كما ان قوله آمنوا امر بترك الكفر والضلال لان الاضلال لا يخلو اما ان كان سمع الدلائل فاضلاله بتشويشها
عليه وان لم يسمعها فاضلاله بكتمانها ومنعه من الوصول اليها فقوله ولا تلبسوا اشارة الى القسم الاول وقوله وتكتموا الحق مجزوم بلا المضمرة للنهي
عطفا على النهي قبله اشارة الى القسم الثاني والباء في بالباطل للوصل نحو قولك لبست الشيء بالشيء خلطته به فكان المعنى ولا تلبسوا
في التوراة ما ليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم حتى لا يميز بينهما واما للاستعانة كقولك كتبت بالقلم فالمعنى ولا تجعلوا الحق
ملتبسا بباطلكم وهو الشبهات التي توردونها على السامعين وذلك ان النصوص الواردة في التوراة والانجيل في امر محمد كانت نصوصا
خفية يحتاج في معرفتها الى الاستدلال ثم انهم كانوا يجادلون فيها ويشوشون وجه الدلالة على المتأملين كقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا
به الحق قيل ويجوز ان يكون وتكتموا منصوبا باضمار ان والواو بمعنى الجمع اي لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمان الحق نحو لا تأكل السمك وتشرب
اللبن قلت هذا التقدير يوهم ان يكون المحظور هو الجمع بين الامرين كالجمع بين اكل السمك وشرب اللبن حتى لو اتى بكل منهما منفردا عن الآخر
جاز اللهم الا ان يحال ذلك على القرينة كما في قوله ولا تطع منهم آثما او كفورا اذ لا يجوز ان يراد اطع احدهما والقرينة الاثم والكفر وانتم تعلمون
ما في اضلال الخلق من الضرر العظيم العائد عليكم يوم القيمة من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها والنهي عن اللبس والكتمان
وان قيد بالعلم لم يدل على جوازهما حال عدم العلم لان السبب في ذكره ان الاقدام على الفعل الضار مع العلم بكونه ضارا افحش من الاقدام عليه
عند الجهل بكونه ضارا والنهي وان كان خاصا لكنه عام فكل عالم بالحق يجب عليه اظهاره ويحرم عليه كتمانه ثم لما امرهم بذكر نعمته والايمان
برسوله وكتابه ونهاهم عن اللبس والكتمان بين لهم ما لزمهم من اصول الشرائع فقال اقيموا الصلوة اي التي عرفتموها بوصف النبي بناء على
انه لا يجوز تأخير بيان المجمل عن وقت الخطاب واما القائلون بجواز التأخير فقد جوزوا ورود الامر بالصلوة وان لم يعرف حقيقتها ويكون
المقصود ان يوطن السامع نفسه على الامتثال وان كان لا يعلم ان المأمور به ما هو كما لو قال السيد لعبده اني مرسلك غدا الى شيء فلا بد ان تفعله
ويكون الغرض ان يعزم العبد في الحال على ان يأتي في الوقت الثاني ومعنى الصلوة لغة وشرعا قد تقدم في اول البقرة واما الزكوة فهي في اللغة الزكاء
والنماء وفي الشرع القدر المخرج من النصاب لانها تزيد في بركة المخرج عنه ويمكن ان يقال مأخوذة من التطهير من زكى نفسه تزكية اذا مدحها و
طهرها من العيوب قال تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها فان المخرج يطهر ما بقي من المال فالزكوة عليك بالصدقة فان فيها

ولا تكونوا اول كافر به

ولا

ست خصال ثلث في الدنيا وثلث في الاخرة فاما التي في الدنيا فزيادة في الرزق وتكثير المال وعمارة الدار واما التي في الاخرة فستر العورة وتيسير
الظل فوق الراس وتكون سترا من النار وفي هذا الخطاب مع اليهود دلالة على ان الكفار مخاطبون بفروع الشرائع وفي قوله واركعوا مع الراكعين
وجوه احدها ان اليهود لا ركوع في صلوتهم فخص الركوع بالذكر تحريضا لهم على الاتيان بصلوة المسلمين وثانيها صلوا مع المصلين فلا تكرار
لان الاول امر باقامتها والثاني امر بالجماعة وثالثها الركوع والخضوع لغة سواء فيكون نهيا عن الاستكبار المذموم وامرا بالتذلل للمؤمنين
ثم انه سبحانه لما امر بالايمان والشرائع بناء على ما خصهم من النعم رغبهم في ذلك بناء على مأخذ اخر وهو ان التغافل عن اعمال البر مع حث الناس
عليها مستقبح في العقول والهمزة في اتأمرون للتقرير مع التوبيخ والتعجيب من حالهم والبر اسم جامع لاعمال الخير ومنه بر الوالدين وهو طاعتهما
وعمل مبرور مرضي واختلف في البر هاهنا فقال السدي انهم كانوا يامرون الناس بطاعة الله ثم يتركونها وينهونهم عن معصية الله ثم يرتكبونها وقال
ابن جريج يامرون الناس بالصلوة والزكوة ويتركونها ابو مسلم كانوا قبل مبعث النبي يخبرون مشركي العرب ان رسولا سيظهر منكم ويدعو
الى الحق ويرغبونهم في اتباعه فلما بعث الله محمدا حسدوه واعرضوا عنه الزجاج يامرون الناس بالصدقة ويشحون بها وقيل يامرون
من نصحوه في السر من اقاربهم وغيرهم باتباع محمد ولا يتبعونه وقيل يامرون غيرهم باتباع التورية وانهم خالفوه لانهم وجدوا فيها ما يدل
على صدق محمد ثم ما امنوا به وقيل لعل المنافقين من اليهود كانوا يامرون باتباعه في الظاهر وينكرونه في الباطن فوبخهم الله على ذلك و
النسيان هو السهو الحادث بعد حصول العلم والناسي غير مكلف فكيف يتوجه الذم على ما صدر عنه فاذن المراد وتغفلون عن حق انفسكم
وتفعلون فعل الناسي من النعم وانتم تتلون الكتاب اي التورية وتدرسونها وتعلمون ما فيها من اعمال البر ومن نعت محمد ومن الوعيد على
ترك البر ومخالفة القول العمل افلا تعقلون وهو تعجيب للعقلاء من افعالهم وكثيرا ما يحذف الفعل بعد همزة الاستفهام للعلم به والتقدير أتعلمون
ذلك فلا تعقلون وقس على هذا نظائره في القرآن فانها كثيرة وللتعجيب وجوه منها ان المقصود من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ارشاد الغير
الى المصالح وتحذيره عن المفاسد وارشاد النفس اليها وتحذيرها منها اهم بشواهد العقل والنقل فمن وعظ ولم يتعظ فكانه اتى بما لا يقبله العقل
الصحيح ومنها ان مثل هذا الوعظ يصير سببا للمعصية لان الناس يقولون لولا ان هذا الواعظ مطلع على انه لا اصل لهذه التخويفات والا
لما اقدم على المعاصي فيكون داعيا لهم الى التهاون بالدين والجراءة على المعاصي وهذا مناف للغرض من الوعظ فلا يليق بالعقلاء ومنها ان غرض
الواعظ ترويج كلامه وتنفيذ مرامه فلو خالف الى ما نهى عنه صار كلامه بمعزل عن القبول وهذا خلاف المعقول قال بعضهم ليس للعاصي ان يأمر
بالمعروف وينهى عن المنكر استدلالا بهذه الاية وبقوله لم تقولون ما لا تفعلون وبان الزاني بامراة يقبح منه ان ينكر عليها واجيب بان
المكلف مامور بشيئين ترك المعصية ومنع الغير عنها والاخلال باحد التكليفين لا يقتضي الاخلال بالاخر والذم في الاية مترتب على
الشق الثاني وهو نسيان النفس لا على مجموع الامرين قالوا وحديث القبح ممنوع قلت الحق انه مكابرة فعن انس ان النبي صلعم قال مررت
ليلة اسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من النار فقلت يا اخي جبريل من هؤلاء فقال هؤلاء خطباء من اهل الدنيا كانوا يامرون الناس
بالبر وينسون انفسهم وقال صلعم ان في النار رجلا يتاذى اهل النار بريحه فقيل من هو يا رسول الله قال عالم لا ينتفع بعلمه وقال صلعم مثل
الذي يعلم الناس الخير ولا يعمل به كالسراج يضيء للناس ويحرق نفسه وعن الشعبي يطلع قوم من اهل الجنة على قوم من اهل النار فيقولون
لم دخلتم النار وانما دخلنا الجنة بفضل تعليمكم فقالوا انا كنا نامر بالخير ولا نفعله وقيل من وعظ بالقول ضاع كلامه ومن وعظ بفعله
نفذت سهامه وقيل عمل رجل في الف رجل ابلغ من قول الف رجل في رجل وحكي ان يزيد بن هرون مات وكان واعظا زاهدا فرأي
في المنام فقيل ما فعل الله بك فقال غفر لي واول ما ساءلني منكر ونكير فقالا من ربك فقلت اما تستحيان من شيخ دعا الناس الى الله
كذا وكذا سنة فتقولان له من ربك وقيل للشبلي عند النزع قل لا اله الا الله فقال شعر ان بيتا انت ساكنه غير محتاج الى السرج [illegible]
تعالى لما امر الله بني اسرائيل بالايمان وترك الاضلال وبالتزام الشرائع وموافقة القول للفعل وكان ذلك شاقا عليهم لما فيه من ترك الرياسة
والاعراض عن المال والجاه عالج الله تعالى هذا المرض بقوله واستعينوا بالصبر والصلوة فكانه قيل استعينوا على ترك ما تحبون من الدنيا
والدخول فيما يستثقله طباعكم من قبول دين محمد بالصبر اي حبس النفس عن اللذات فانكم اذا كلفتم انفسكم ذلك مرنت عليه وخفت
عليها ثم اذا ضممتم الصلوة الى ذلك كمل الامر لان المشتغل بالصلوة مشتغل بذكر لطفه وقهره فاذا تذكر لطفه مال الى الطاعة واذا تذكر قهره
انتهى عن المعصية وقيل الصبر الصوم لانه من المفطرات حبس ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر ومن حبس نفسه عن قضاء شهوة البطن والفرج
زالت عنه كدورات حب الدنيا فاذا انضاف اليه الصلوة استنار القلب بانوار معرفة الله وانما قدم الصوم على الصلوة لان تاثير الصوم في ازالة
ما لا ينبغي وتاثير الصلوة في حصول ما ينبغي والنفي مقدم على الاثبات ويجوز ان يراد بالصلوة الدعاء اي استعينوا على البلاء بالصبر
والالتجاء الى الدعاء والابتهال الى الله في دفعه والاظهر ان الخطاب وان كان خاصا ببني اسرائيل لئلا يلزم تفكك النظم لكن المعنى على
العموم فعلى كل مكلف ان يستعين على التوجه الى الله بالصلوة والصبر على تكاليفها رعاية في ذلك ما يجب من الاخلاص وحسن الادب واستحضار
العلم بانها انتصاب بين يدي الجبار العالم بالعلويات والاسرار ومنه قوله وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها ومن خواص الصلوة اندفاع

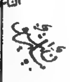

البلاء او انكشاف الغمة والرزايا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلوة وانها اى الصلوة او الاستعانة او جميع المامورات والمنهيات
فى هذه الآيات لكبيرة لشاقة ثقيلة كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الا على الخاشعين الذين يظنون يعلمون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون الى
حكمه [illegible] فيصدر عنهم الاعمال من طيب نفس وانشراح صدر وهذا بخلاف حال المنافقين الذين اذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى يراؤن
الناس ولا يذكرون الله الا قليلا فالحاصل ان من لم يعتقد فى فعلها منفعة لا يؤاتيه طبعه فى الاشتغال بها وان كان نزرا يسيرا استثقل عليه ومن
اعتقد فى فعلها اعظم المنافع وهو الفوز بالنعيم المقيم والخلاص من العذاب الاليم هونت عليه تزجية الاوقات بوظائف العبادات وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصلى حتى تورمت قدماه ومع ذلك يقول يا بلال روحنا وجعلت قرة عينى فى الصلوة والخشوع والخضوع اخوان ومنها التطامن والتواضع
ومنه الخشعة للاكمة المتواضعة وفى الحديث كانت الارض خشعة على الماء ثم دحيت وللظن ههنا تفسيران احدهما انه بمعنى العلم يجوز لان الظن
هو الاعتقاد الذى يقارنه تجويز النقيض ومجوز نقيض لقاء الرب اى البعث شاك كافر فكيف يمدح به وسبب هذا التجوز انهما اشتركا
فى رجحان الاعتقاد وان افترقا بتجويز النقيض وعدمه فصح اطلاق احدهما على الآخر ولا سيما اذا كان الظن عن امارة قوية تقربه من العلم
وثانيهما ان الظن بمعناه الحقيقى والمراد بملاقاة الرب اما لقاء ثوابه وذلك مظنون لا معلوم واما الموت الذى هو سبب اللقاء ووقته
غير معلوم الا انه متوقع كل لحظة وقوعا راجحا عند المؤمن لانه قطع امله ولا يستبعد لقاءه ومن ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا
الموت ويحتمل ان يقال معناه على هذا التفسير الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم بذنوبهم فان الانسان الخاشع قد يسىء ظنه بنفسه
باعمالها فيغلب على ظنه انه يلقى الله بذنوبه فعند ذلك يسارع الى التوبة وذلك من صفات المدح وبقى ههنا بحثان الاول استدل اهل السنة
بالآية على جواز رؤية الله تعالى وانكرها المعتزلة قالوا اللقاء لا يفيد الرؤية لقوله تعالى فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه والمنافق
لا يرى ربه ولقوله واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه ويتناول الكافر والمؤمن وقال صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين ليقطع بها مال امرئ مسلم لقى الله
وهو عليه غضبان واجيب بان اللقاء فى اللغة وصول احد الجسمين الى الآخر بحيث يماس سطحه سطحه وهذا اللقاء سبب الادراك فحيث يمتنع
حمله على اصله وجب حمله على الادراك لان اطلاق اسم السبب على المسبب من اقوى وجوه المجاز فان منع من ذلك مانع خص به ذلك فان الاضمار
خلاف الاصل لا يصار اليه الا لمانع وفى قوله الى يوم يلقونه دعت الضرورة الى اضمار الجزاء ونحوه وفى الآية لا ضرورة فنحمله على الادراك
البحث الثانى المراد من الرجوع الى الله الرجوع الى حكمه حيث لا مالك لهم سواه لمن الملك اليوم لله الواحد القهار كما كانوا كذلك فى اول الخلق
ايام حياتهم فى الدنيا فانه قد يملك الحكم عليهم ظاهرا غير الله تعالى قال المجسمة الرجوع الى غير الجسم محال فدل ذلك على كونه تعالى جسما وقال اهل التناسخ
الرجوع الى الشىء مسبوق بالكون عنده فدلت الآية على كون الارواح قديمة ولا يخفى جوابهما والله اعلم يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى
التى انعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ
منها عدل ولا هم ينصرون القراءة ولا تقبل بالتاء الفوقانية ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الوقوف العالمين ينصرون التفسير انما اعاد سبحانه هذا الكلام مرة اخرى توكيدا للحجة وتحذيرا من ترك اتباع محمد
كانه قال اذكروا نعمتى لاجل سوالف نعمى عليكم فاطيعوا للخوف من عقابى فى المستقبل والمراد بالعالمين ههنا الجم الغفير من الناس كقوله
باركنا فيها للعالمين ويقال رأيت عالما من الناس يراد الكثرة بقرينة العلم بانه لم ير كل الناس ويمكن ان يكون المراد فضلتكم على عالمى زمانكم
لان الشخص الذى سيوجد بعد ذلك لا يكون من جملة العالمين ويحتمل ان يكون لفظ العالمين عاما للموجودين ولمن سيوجد لكنه مطلق
فى الفضل والمطلق يكفى فى صدقه صورة واحدة فالآية تدل على انهم فضلوا على كل العالمين فى امر ما وهذا لا يقتضى ان يكونوا افضل من كل
العالمين فى كل الامور فلعل غيرهم يكونون افضل منهم فى اكثرها وقيل الخطاب لمؤمنى بنى اسرائيل لان عصاتهم مسخوا قردة وخنازير وفى جميع
ما يخاطب الله تعالى به بنى اسرائيل تنبيه للعرب لان الفضيلة بالنبى قد لحقتهم وجميع اقاصيص الانبياء تنبيه وارشاد لقد كان فى قصصهم
عبرة لاولى الالباب يحكى عن قتادة قال ذكر لنا ان عمر بن الخطاب كان يقول قد مضى والله بنو اسرائيل وما يعنى بما تسمعون غيركم
اتقاء اليوم هو اتقاء ما يحصل فى ذلك اليوم من الشدائد والاهوال لان نفس اليوم لا يتقى وقوله لا تجزى الى آخر الآية جمل منصوبة
المحل صفات متعاقبة لليوم والراجع منها الى الموصوف محذوف تقديره لا تجزى فيه فمنهم من يقول اتسع فيه فاجرى مجرى المفعول فحذف
الجار وهو فى فبقى لا تجزيه ثم حذف الضمير كما حذف فى قوله ام مال اصابوا قال الشاعر فما ادرى اغيرهم تناء ... وطول العهد ام مال اصابوا
اى اصابوه ولا يخفى ان هذا التكلف لا يمشى فى سائر الجمل بل يتعين تقدير الجار والمجرور العائد ومعنى لا تجزى لا تقضى عنها شيئا من
الحقوق ومنه الحديث فى الجذعة اى تجزى عنك ولا تجزى عن احد بعدك وشيئا مفعول به ويجوز ان يكون فى
تقدير مصدر اى قليلا من الجزاء مثل ولا تظلمون شيئا ومعنى تنكير النفس ان نفسا من الانفس لا تجزى عن نفس منها شيئا من الاشياء وهو
الاقناط الكلى القاطع للمطامع وكذلك قوله ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اى فدية لانها معادلة للمفدى وفى الحديث لا يقبل

ای بنی اسرائیل یاد آورید نعمت ... از ان شفاعت کرفته نشود و عوض از ان دیگری و نه ایشان یاری کرده شوند

صرف ولا عدل اى توبة لانها تصرف من الحال الذميمة الى الحال الحميدة ولا فداء والضمير في ولا يقبل منها يرجع الى النفس الثانية العاصية غير
المجزي عنها وهي التي لا يؤخذ منها عدل ومعنى لا تقبل منها شفاعة انها ان جاءت بشفاعة شفيع لم يقبل منها ويجوز ان يرجع الى النفس
الاولى على انها لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها كما لا تجزي عنها شيئا ولو اعطت عدلا عنها لم يؤخذ منها ولا هم ينصرون الضمير عائد الى ما
دلت عليه النفس المنكرة من النفوس الكثيرة والتذكير بمعنى العباد والاناسي مثل ثلاثة انفس وفي وصف اليوم بهذه الصفات تهويل عظيم وتنبيه
على ان الخطب شديد لانه اذا وقع حد لكريم وطولبت عزته فاع ذلك عنه بدائث بما في نفوسها الابية من مقتضى الحمية فحمل عنه ما يلزمه او تذب
كما يذب الوالد عن ولده بغاية قوته وكفاية بطشه فان رأى من لا طاقة له بما نعته عاد بوجوه الضراعة وصنوف الشفاعة وبذل المال والمنال الخالي
بالملاينة ما قصر عنه بالمخاشنة فان لم يغن هذه الامور تعلل بما يوصل امكنه من نصر الاخوان ومدد الاخدان فاخبر الله تعالى ان شيئا من هذه لا يدفع
يومئذ عن عذابه وفي هذا تحذير عن المعاصي وترغيب في تلافي ما فات بالتوبة لانه اذا تصور انه ليس بعد الموت استدراك ولا شفاعة ولا نصرة ولا
فدية علم انه لا ينفعه الا الطاعة وتلافي الفوائد فالاية وان كانت في بني اسرائيل الا انها تعم كل من يحضر ذلك اليوم فان قيل قدم في هذه الاية قبول
الشفاعة على اخذ الفدية وفي موضع اخر من هذه السورة عكس التقدير فما الحكمة في ذلك قلنا من الناس من ميله الى حب المال اشد من ميله الى علو
النفس فيتمسك اولا بالشفيع ثم يترجح الى بذل المال ومنهم من على العكس فيقدم الفدية على الشفاعة فتغيير الترتيب اشارة الى الصنفين والله اعلم
واعلم ان الشفاعة هي ان يستوهب احد لاحد شيئا ويطلب له حاجة من الشفع ضد الوتر كان صاحب الحاجة كان فردا فصار بالشفيع شفعا ثم ان الامة
اجمعت على ان لمحمد صلى الله عليه وسلم رتبة الشفاعة في الاخرة وعليه حمل قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ولسوف يعطيك ربك فترضى واجمعوا على انه
لا شفاعة للكفار وبقي الخلاف فيمن عداهم فاهل السنة اثبتوا الشفاعة لغير الكفار والمعتزلة على ان صاحب الكبيرة اذا لم يتب بقي خالدا في النار
ولا شفاعة له ولسائر الناس لهم الشفاعة قالوا ان هذه الاية تدل على نفي الشفاعة مطلقا والايات والاحاديث الدالة على وجوب الشفاعة
كثيرة فعرفنا ان الاية ليست على عمومها لكن الايات الواردة في وعيد صاحب الكبيرة كثيرة كقوله ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم
خالدين فيها ابدا فتخرج عنها صاحب الكبيرة وبعثت الاية تخص الكفار دون صاحب الكبيرة وزعم اهل السنة ان اليهود كانوا يزعمون ان اباءهم
الانبياء يشفعون لهم فايسوا من ذلك واجيب بان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وسوف يجيء سائر حجج الفريقين في الايات المناسبة
ان شاء الله تعالى وقالت الفلاسفة في تحقيق الشفاعة ان واجب الوجود عام الفيض والنقصان من القابل فجاز ان لا يكون الشيء مستعدا لقبول الفيض
من واجب الوجود الا انه يكون مستعدا لقبول ذلك الفيض من شيء قبله عن واجب الوجود فيكون ذلك الشيء متوسطا بين الواجب وذلك الشيء
مثاله المحسوس ان الشمس فانها لا تضيء الا القابل المقابل والسقف لما لم يكن مستعدا لقبول النور منها لكنه لو وضع طست مملوء من الماء الصافي
انعكس منه الضوء الى السقف فارواح الانبياء كالوسائط بين واجب الوجود وبين ارواح عوام الخلق كالماء بين الشمس وبين السقف هذا يدل
على انه لا واسطة بين الله تعالى وبين عباده اشرف من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حيث انه لا شفاعة الا له واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء
العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم — وچون رهانيديم شما را از آل فرعون که ميچشانيدند شما را بدترين
عذاب که ميکشتند فرزندان شما را و زنده ميداشتند زنان شما را و در اين آزمايش بود از پروردگار شما — عظيم واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم واغرقنا
آل فرعون وانتم تنظرون واذ واعدنا موسى اربعين ليلة ثم اتخذتم — بزرگ وچون شکافتيم بجهة شما دريا را پس رهانيديم شما را وغرق کرديم
آل فرعون را وشما مينگريستيد وچون وعده کرديم موسى را تورية را در چهل شبانه روز پس گرفتيد — العجل من بعده وانتم ظالمون ثم عفونا عنكم
من بعد ذلك لعلكم تشكرون واذ اتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون — گوساله را پس از آن وشما ستمكاران بوديد پس درگذشتيم از شما
پس از اين شايد که شما سپاس کنيد وچون داديم موسى را تورية و فرقان شايد که راه يابيد — القراءة سوء العذاب وسوء الحساب بغير همز حيث وقعتا مفتوحتين
الاصفهاني عن ورش وعدنا حيث كان ابو عمرو وسهل ويعقوب ويزيد موسى بالامالة المفرطة كل القرآن حمزة وعلي وخلف عن ابي عمرو ووجهان
ان جعلته فعلى فبالامالة بين الفتح والكسر وان جعلته على فعل فبالفتح لا غير ثم اتخذتم وبابه بالاظهار ابن كثير وحفص والمفضل والاعشى
والبرجمي والقرظاني لعلكم مدغما عباس كذلك يدغم اذا كان قبل النون حرف من حروف المد واللين وهي الواو المضموم ما قبلها مثل ... وتكون
كالياء المكسورة ما قبلها مثل ميثاق النبيين ... والالف المفتوح ما قبلها مثل كان المؤمن وما اشبه ذلك الوقوف نساءكم ط عظيم
تنظرون ظالمون تشكرون تهتدون التفسير انه سبحانه لما قدم ذكر النعم على بني اسرائيل اجمالا اخذ في تفصيلها واحدة فواحدة ليكون
ابلغ في التذكير واعظم في الحجة كانه قال اذكروا نعمتي واذكروا اذ نجيناكم واذ فرقنا وانه كان كذا وكذا وفي جميع هذه القصص معنى اذكروا الوقت مفعول
به لا ذكروا واصل الانجاء والتنجية التخليص ومنه النجوة للمكان العالي لان من صار اليه نجا اي تخلص من ان يعلوه سيل ولان الموضع تخلص مما
انحط عنه واصل آل اهل بدليل اهيل واما انه تصغيره وتكبيره على الاعرف فابدلت الهاء الفا على خلاف القياس ثم الى الهمزة جوبا فالالف فيه بدل عن
همزة بدل عن هاء ولا يستعمل الآل الا فيمن له خطر يقال آل النبي وآل الملك ولا يقال آل الحائك بل يقال اهله وهكذا لا يقال آل البلد
والعلم وانما يقال اهلها وعند الكسائي اصله اول بدليل تصغيره على اويل كانهم يؤلون الى اصل قلبت الواو الفا على القياس وفرعون علم

يقال خطر فلان اى قدره

لمن ملك العمالقة اولاد عمليق بن لاود بن ارم بن سام بن نوح كقيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس وخاقان للترك وتبع لليمن اختلف في اسمه فابن
جريج ان اسمه مصعب بن ريان وابن اسحق انه الوليد بن مصعب بن ريان لم يكن من الفراعنة اغلظ واقسى قلبا منه وعن وهب بن منبه ان اهل
الكتابين قالوا ان اسمه قابوس كان من القبط وقيل ان فرعون يوسف هو فرعون موسى وضعف اذ كان بين دخول يوسف مصر وبين
دخول موسى اكثر من اربعمائة سنة وقال محمد بن اسحق هو غير فرعون يوسف فان اسم فرعون يوسف الريان بن الوليد والمراد بآل
فرعون اتباعه واهل دينه الذين عزموا على اهلاك بني اسرائيل بامره وبعتو الفراعنة اشتقوا تفرعن فلان اذا عتا وتجبر يسومونكم
من سامه خسفا اذا اولاه ظلما قال عمرو بن كلثوم شعر اذا ما الملك سام الناس خسفا ؛ ابينا ان نقر الخسف فينا ؛ واصله من سام
السلعة اذا طلبها كانها بمعنى يبغونكم سوء العذاب ويريدونكم عليه والسوء مصدر السيء يقال اعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد
قبحهما ومعنى سوء العذاب والعذاب كله سيء اشده وافظعه كانه قبيح بالاضافة الى سائره او المراد عذاب من غير استحقاق لان العذاب
بالاستحقاق حسن واختلف في سوء العذاب فابن اسحق انه جعلهم خدما وخولا وصنفهم في اعمالهم فصنف يبنون وصنف يحرثون ويزرعون ومن لم يكن
ذا عمل وضع عليه جزية يؤديها والسكان يجعلهم في الاعمال القذرة ككنس الكنيف ونحوه ولا ريب ان كون الانسان تحت تصرف الغير كيف شاء لا
سيما اذا استعمله في الاعمال الشاقة القذرة من غير ان يأخذ بهم رأفة واشفاق من اشد العذاب حتى ان من هذه حاله ربما يتمنى الموت سئل عن حكيم
اي شيء اصعب من الموت فقال ما يتمنى فيه الموت فبين تعالى عظم نعمته عليهم بان نجاهم من ذلك ثم اتبع ذلك نعمة اخرى فقال يذبحون ابناءكم
ومعناه يقتلون الذكور من الاولاد دون الاناث والذي دعاهم الى ذلك امور منها ان ذبح الابناء يقتضي فناء الرجال وانقطاع النسل بالآخرة و
منها ان هلاك الرجال يقتضي فساد معيشة النساء حتى يتمنين الموت من النكد والفقر ومنها ان قتل الولد عقيب حمله الكد والرجاء القوي في
الانتفاع بالمولود من عظم العذاب ومنها ان الابناء احب الى الوالدين من البنات ولهذا قيل شعر ان مالها ام لمحبوة البنين موت البنات لقول
النبي دفن البنات من المكرمات ومنها ان بقاء النسوان بدون الذكران يوجب صيرورتهن مستفرشات للاعداء وذلك نهاية الذل والهوان
قال بعضهم المراد بالابناء الرجال والخطاب للنساء اذ النساء اسم للبالغات وهو جمع المرأة من غير لفظها قالوا انما كان يأمر بقتل الرجال الذين يخاف
منهم الخروج عليه والتجمع لافساد امره والاكثرون على ان المراد بالابناء الاطفال لظاهر اللفظ ولانه كان يتعذر قتل جميع الرجال على كثرتهم ولانهم
كانوا محتاجين اليهم في الاعمال الشاقة ولانه لو كان كذلك لم يكن لالقاء موسى في اليم معنى ولما قابل البنات في مقابلة الابناء لانهن لما
لم يقتلن كن بعد ان يبلغن نساء لاطلاق اسم النساء عليهن مثل ان ترى ابن عمر خمرا عن ابن عباس انه وقع الى فرعون وطبقته ما كان الله
وعد ابراهيم ان يجعل في ذريته انبياء وملوكا فخافوا ذلك فاتفقت كلمتهم على اعداد رجال معهم الشفار يطوفون في بني اسرائيل فلا يجدون مولودا
ذكرا الا ذبحوه فلما رأوا الكبار منهم يموتون والصغار يذبحون خافوا الفناء وان لا يجدوا من يباشر الاعمال الشاقة فصاروا يقتلون عاما دون
عام وعن السدي ان فرعون رأى نارا اقبلت من بيت المقدس حتى استولت على بيوت مصر فاحرقت القبط وتركت بني اسرائيل فخاف فرعون
الكهنة وسألهم عن ذلك فقالوا يخرج من بيت المقدس من يكون هلاك القبط على يده وقيل ان المنجمين اخبروا فرعون بذلك وعينوا له السنة
فلهذا كان يقتل ابناءهم في تلك السنة قيل والاقرب هو الاول لان الذي يستفاد من علم النجوم والتعبير لا يكون امرا مفصلا والا لدخل ذلك في كون الاخبار
عن الغيب معجزا بل يكون امرا مجملا والظاهر من حال العاقل انه لا يقدم على مثل هذا الامر العظيم بسببه قلت كون فرعون عاقلا ممنوع فان من شك في اجلى
البديهيات وهو انه يمكن الوجود ضده من العقلاء لا يكون من العقلاء ثم قال ذلك القائل لعل فرعون كان عارفا بالله وبصدق الانبياء الا انه
كان كافرا كفر الجحود والعناد ويقال انه كان شاكا متحيرا في دينه وكان يجوز صدق ابراهيم فاقدم على ذلك الفعل احتياطا قلت اذا اخبر الله
تعالى عنه بانه قال انا ربكم الاعلى وما علمت لكم من اله غيري فلا ضرورة بنا الى تجويز كونه عارفا بالله وبصدق الانبياء وجعل كفره كفر
جحود ومن اصدق من الله قيلا ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور فان قلت لم ذكر يذبحون ههنا بلا واو وفي سورة ابراهيم بواو
قالوا وجهه انه اذا جعل يسومونكم سوء العذاب مفسرا بقوله يذبحون فلا حاجة الى الواو واذا جعل يسومونكم مفسرا بسائر التكاليف الشاقة سوى
الذبح وجعل الذبح شيئا آخر احتيج الى الواو وانما جاء ههنا وفي الاعراف يقتلون بغير واو لانهما من كلام الله فلم يرد تعداد المحن عليهم والذي
في ابراهيم من كلام موسى فعدد المحن عليهم وكان مأمورا بذلك في قوله وذكرهم بايام الله وقال بعضهم معنى يستحيون يفتشون حياء المرأة اي فرجها
هل بها حمل ام لا وفيه تعسف وفي ذلكم البلاء المحنة ان اشير بذلكم الى صنيع فرعون والنعمة ان اشير الى الانجاء والحمل على النعمة اولى لانها هي التي يحسن
اضافتها الى الربية ولان موضع الحجة على اليهود انعام الله تعالى على اسلافهم حيث غلبوا اهلاك من حاول اهلاكهم واذلال من بالغ في اذلالهم و
ههنا نكتة وهي انهم كانوا في نهاية الذل وخصمهم في غاية الاستيلاء والغلبة الا انهم كانوا محقين وخصومهم مبطلين فانقلب المحق غالبا و
المبطل مغلوبا فكانه قيل لا تغتروا بفقر محقة وقلة انصاره في الحال فانه سينقلب الامر الى جانبه والذل الى جانب عدائه وفيه تنبيه على ان
الملك بيد الله يؤتيه من يشاء فليس للانسان ان يغتر بعز الدنيا ويغفل عن الآخرة فالاصل الاشارة النفس الامارة وهي صفاتها الذميمة و
اخلاقها الرديئة نتوب الروح الشريف فيذبح ابناء الصفات الروحانية الحميدة ويستحيي بعض الصفات القلبية لاستخدامهن في الاعمال لقد

الحيوانية ولا ينجيه من ذلك الا الله تعالى قوله وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ اى فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم على عدد الاسباط
وكانوا اثنى عشر ومعنى بكم انكم كنتم تسلكونه ويتفرق الماء عند سلوككم فكانما فرق بكم كما يفرق بين الشيئين بما يوسط بينهما او يراد فرقناه بسببكم وبسبب انجائكم او يكون حالا
اى فلقناه ملتبسا بكم روى انه تعالى لما اراد اغراق فرعون والقبط وبلغ بهم الحال فى معلوم الله تعالى انه لا يؤمن احد منهم امر موسى بنى اسرائيل ان يستعيروا
حلى القبط ليخرجوا خلفهم لاجل المال اما لتبقى اموالهم فى ايديهم ثم نزل جبريل فقال اخرج ليلا كما قال تعالى وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا
وكانوا ستمائة الف وكل سبط خمسون الفا فلما خرجوا وبلغ الخبر فرعون قال لا تتبعوهم حتى يصيح الديك قال الراوى فوالله ما صاح الليلة
ديك فلما اصبحوا دعا فرعون بشاة فذبحت ثم قال لا افرغ من تناول كبدها حتى يجتمع الى ستمائة الف من القبط قال قتادة فاجتمع اليه
الف الف وسبعمائة الف فكان كل واحد منهم على فرس حصان فتبعوهم نهارا وهو قوله فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ اى بعد طلوع الشمس فلما صار بهم موسى
الى البحر قال له يوشع بن نون اين امر ربك فقال له موسى الى امامك واشار الى البحر فاقتحم يوشع فرسه البحر وكان يمشى فى الماء حتى بلغ الغمر فسبح الفرس و
هو عليه ثم رجع وقال له يا موسى اين امر ربك فقال البحر فقال والله ما كذبت وما كذبت ففعل ذلك ثلث مرات فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب
بعصاك البحر فانشق البحر اثنا عشر طريقا فقال لهم ادخلوا وكان فيه وحل فهب الصبا فجف البحر حتى صار طريقا يابسا فاخذ كل سبط منهم طريقا و
دخلوا فيه فقالوا لنبيهم ان اصحابنا لا نراهم فقال موسى سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم قالوا لا نرضى حتى نراهم فقال اللهم اعنى على
اخلاقهم السيئة فاوحى اليه ان قل بعصاك هكذا فقال بها على حيطان الماء فصارت فيها كوى فتراءوا وتسامعوا كلامهم ثم اتبعهم فرعون
فلما بلغ شاطئ البحر راى ابليس واقفا فنهاه عن الدخول فهم بان لا يدخل البحر فجاء جبريل على رمكة فتقدم وهو كان على فحل فتبعه فرس فرعون
ودخل البحر وصاح ميكائيل بهم الحقوا آخركم باولكم فلما دخلوا البحر بالكلية امر الله تعالى الماء حتى نزل عليهم فذلك قوله تعالى وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ
قبل ذلك اليوم كان يوم عاشوراء فصام موسى ذلك اليوم شكرا لله تعالى ومعنى قوله وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ انكم ترون التطام امواج البحر بفرعون
وقومه وقيل ان قوم موسى سألوا ان يريهم الله تعالى حالهم فسأل موسى ربه فلفظهم البحر الف الف ومائة الف نفس فنظروا اليهم وقيل المراد
وانتم بالقرب منهم قال الفراء وهو مثل قولك لقد ضربت واهلك ينظرون اليك فما اغاثوك تقول ذلك اذا قرب اهله منه وان كانوا
لا يرونه ومعناه راجع الى العلم قال اهل الاشارة البحر هو الدنيا وماؤه شهواتها ولذاتها وموسى هو القلب وقومه صفات القلب وفرعون
النفس الامارة وقومه صفاتها والعصا هو الذكر فينفلق بحر الدنيا بتفليق لا اله الا الله ويتشكل ماء شهواتها يمينا وشمالا وبه يرسل الله تعالى
ريح العناية وشمس الهداية على قعر بحر الدنيا فيصير يابسا من ماء الشهوات فيخوض موسى القلب بصفاته فيعبرونه وينجيهم عناية الله الى
ساحل وادى المنتهى ويغرق فرعون النفس وقومه والله تعالى اعلم ولما دخل بنو اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون
اليه وعد الله موسى ونسبه موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم ان ينزل عليه التوراة وضرب له
ميقاتا ذا القعدة وعشر ذى الحجة وانما قيل اربعين ليلة لان الشهور غررها بالليالى قال البقلى لان الليلة وقت العبادة والخلوة بالذكر فخصت
لشرفها وتعدد الاربعين خاصية لن ينكرها اهل الذوق لهذا جاء فى الحديث من اخلص لله اربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه
على لسانه والجنين يتقلب فى الاطوار فى الاربعينات قال ابو العالية وبلغنا انه لم يحدث حدثا فى الاربعين ليلة حتى هبط من الطور ولابد
من تقدير مضاف اى تمام اربعين كقولك اليوم اربعون يوما منذ خرج فلان اى تمام الاربعين ومن قرأ واعدنا من المواعدة فمعناه
ان الله تعالى وعده الوحى ووعد هو المجئ للميقات الى الطور وذكر الاربعين هنا اجمال تفصيله فى الاعراف كقوله ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ
إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ فصل ولا تم اجمال بمعنى ثم فى قوله ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ استبعاد مضمون ما بعدها عن مضمون ما قبلها وعدم
مناسبته له لانه تعالى لما وعد موسى حضور الميقات لانزال التوراة عليه بحضرة السبعين تنبيها للحاضرين وتعريفا للغائبين واظهارا
لدرجة موسى وسائر بنى اسرائيل اتوا بعقيب ذلك بما هو اشنع انواع الجهل والكفر كان ذلك فى محل التعجب كما تقول انى احسنت اليك وفعلت
كذا وكذا ثم انك تقصدنى بالسوء والايذاء والاتخاذ افتعال من الاخذ الا انه ادغم بعد تليين الهمزة وابدال التاء ثم لما كثر استعماله على لفظ
الافتعال توهموا ان التاء اصلية فبنوا منه فعل يفعل قالوا تخذ يتخذ وقد اجرى تخذ مجرى الافعال القلبية فى الدخول على المبتدأ والخبر
نحو جعل وصير والمفعول الثانى محذوف اى اتخذتم العجل الها الا انه حذف الثانى للعلم به لذكره فى مواضع اخر منها فى طه فقالوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى وقوله مِنْ بَعْدِهِ
من بعد مضيه الى الطور قال اهل السير لما ذهب موسى الى الطور وكان قد بقى مع بنى اسرائيل الثياب والحلى الذى استعاروه من القبط قال لهم
هرون ان هذه الثياب والحلى لا يحل لكم فاحرقوها فجمعوها واحرقوها وكان السامرى فى مسيره مع موسى فى البحر نظر الى حافر دابة جبريل حين
تقدم فى البحر فقبض قبضة من تراب حافر تلك الدابة ثم ان السامرى اخذ ما كان معه من الذهب فصور منه عجلا والقى فيه ذلك التراب فخرج منه
صوت كانه الخوار فقال هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فاتخذه القوم الها لانفسهم ولهذا وصفهم الله تعالى بالظلم فى قوله وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ كما قال
إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ وذلك لان الظلم وضع الشئ فى غير موضعه والمشرك وضع اخس الاشياء مكان اشرف الموجودات والواو فى وانتم اما
للحال واما للاعتراض اى وانتم قوم من عادتكم الظلم وقال اهل التحقيق ان لكل قوم عجلا يعبدونه قال صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدرهم تعس عبد الدنيا و

عبد الخيصة قال ما عبد اله ابغض الى الله من الهوى وفيه تقريع لليهود الذين جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعادوه كانه قال هؤلاء انما يفتخرون باسلافهم
ثم ان اسلافهم كانوا في البلادة والجهالة والعناد وتسلية للنبي صلى الله عليه وسلم مما كان يشاهد من مشركي العرب واليهود والنصارى من الخلاف والشقاق
فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وتحذير العقلاء من الجهل والتقليد ما اقطع شان الجهالة والتقليد ما افظع شان الجهل والتقليد
رضوا بان يكون العجل الها وما رضوا بان يكون البشر نبيا وقد تحمل بعضهم التعجب واقعة عبدة العجل حيث يستبعد توغلهم مع انهم شاهدوا
تلك المعجزات الباهرة تكاد تكون قريبة من حد الالجاء في الدلالة على الصانع وصدق النبي ان السامري القى الى القوم ان موسى انما قدر
على ما اتى به لانه كان يتخذ طلسمات على قوى فلكية فقال للقوم انا اتخذ لكم طلسما مثل طلسمه فروج عليهم ذلك بان جعله بحيث يخرج منه صوت
عجيب فاطمعهم في ان يصيروا مثل موسى في اتيان الخوارق او لعل القوم كانوا مجسمة وحلولية يجوزون حلول الاله في الاجسام فوقعوا في تلك الشبهة
الركيكة ومن هنا يظهر التفاوت بين امة موسى وامة محمد صلى الله عليه وسلم فانهم بعد مشاهدة الآيات العظام القريبة من الافهام عبدوا الاصنام بل الانعام
وامة محمد صلى الله عليه وسلم مع ان معجزتهم القرآن الذي لا يعرف اعجازه الا بالنظر الدقيق والبحث العميق يجاهدون بين يديه طرفة عين رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله لا يرتعون عن سواء السبيل ولا يميلون الى معتقدات اهل الاباطيل مثلهم في التوراة ومثلهم
في الانجيل قوله تعالى ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم اي حين تبتم بان قتلتم انفسكم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ الامر العظيم الذي ارتكبتموه من اتخاذ العجل لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ نعمة
العفو ومعنى الترجي في كلام الله تعالى مذكور في قوله لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ يعني الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق و
الباطل يعني التوراة نحو رايت الغيث والليث يريد الرجل الجامع بين الجود والجراءة او التوراة والبرهان الفارق بين الكفر والايمان من العصا
واليد وغيرهما من الآيات او الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان انفراق البحر ولا يلزم التكرار لانه لم يبين هناك ان ذلك لاجل
موسى وفي هذه الآية بين ذلك التخصيص على سبيل التنصيص وقيل النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى يَوْمَ الْفُرْقَانِ يعني يوم بدر
وقيل آتينا موسى التوراة ومحمدا الفرقان لكي تهتدوا به يا اهل الكتاب وفيه تعسف وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم
بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ وَإِذْ
قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ

(ترجمه فارسی میان سطور:) و چون گفت موسی مر قوم خود را ای قوم شما ستم کردید بر خود بگرفتن شما گوساله را پس بازگردید بسوی آفریننده خود پس بکشید نفسهای خود را این بهتر است برای شما نزد خدا پس قبول کرد توبه شما را ... و چون گفتید ای موسی نگرویم از برای تو تا که ببینیم خدا را آشکارا پس گرفت شما را صاعقه و شما نظر میکردید پس برانگیختیم شما را از پس مردن شما تا شاید که سپاس گزارید و سایبان کردیم بر شما ابر را و فرستادیم بر شما من و سلوی را بخورید از پاکیزه‌های آنچه روزی کردیم و ستم نکردند ما را و لیکن بودند که خود را ستم میکردند

القراآت بارئكم بالامالة قتيبة ونصير وابو عمرو وطريق ابي الزعراء وعبد الرحمن بن عبدوس ...
قرأ ابو عمرو بالاختلاس لانه هو مد عمارة وعباس وكذلك كل ما كان بينهما ياء او واو ملفوظة مثل من دونه هو وانه هو واشباه ذلك حتى
حيث كان بالامالة نصير والعجل نرى الله مكسورة الراء روى عن ابن عباس وابو شعيب عن اليزيدي وكذلك كل راء بعدها ياء
استقبلها الف ولام مثل لو يرى الذين والنصارى المسيح جهرة مفتوحة الهاء قتيبة السلوى بالامالة الشديدة حمزة وعلي وخلف وقرأ
ابو عمرو بالامالة اللطيفة وكذلك كل كلمة على مثال فعلى الوقوف فاقتلوا انفسكم ط عند بارئكم ط لان التقدير ففعلتم فتاب عليكم ط
الرحيم ه تنظرون ه تشكرون ه السلوى ط ما رزقناكم ط يظلمون ه التفسير انه سبحانه نبههم على عظم ذنبهم ثم على ما به يتخلصون منه وذلك
من اعظم النعم في الدين وايضا لما امرهم بالقتل ورفع ذلك الامر عنهم قبل فنائهم بالكلية كان ذلك نعمة في حق اولئك الباقين وفي اعقابهم
الى زمن محمد صلى الله عليه وسلم وايضا لما بين ان توبة اولئك ما تمت الا بالقتل ظهر ان بعثة محمد صلى الله عليه وسلم لهم نعمة ورحمة لانه لا يامرهم بشيء من ذلك ومتى رجعوا
عن كفرهم وفيه ترغيب لامة محمد في التوبة فان امة موسى لما رضوا في تلك التوبة مع نهاية مشقتها على النفس فلان يرغب احد في مجرد
الندم كان اولى هذا وقد مر ان الظلم وضع الشيء في غير موضعه الا انه لا بد فيه من تعدي ضرر بغير فههنا ان الضرر انما يعود الى انفسهم
فبذلك استحقوا الابدي والفرق بين الفاآت الثلث في الآية ان الاولى للتسبب لا غير لان الظلم سبب للتوبة والثانية للتعقيب اما لان
المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا انفسكم على ان التوبة مفسرة بقتل النفس في شرعهم لا بالندم واما لان القتل تمام توبة المرتد في شرعهم
والمعنى فتوبوا فاتبعوا التوبة القتل تتمة لتوبتكم كما ان القاتل عمدا في شرعنا توبته في شرعنا الا بتسليم النفس حتى يرضى اولياء المقتول او يقتلونه
ومعنى الى بارئكم النهي عن الرياء في التوبة كانه قيل لو ظهرتم التوبة لا عن القلب فانتم ما تبتم الى الله وانما تبتم الى الناس وقوله ذلكم اي القتل
خير لكم عند بارئكم جملة معترضة يفيد التنبيه على ان ضرر الدنيا اهون من عذاب الآخرة اذ لا نسبة للمتناهي الى غير المتناهي والموت لا بد
واقع فلا ينبغي ان يتحمل القتل الا التقديم والتاخير والثالثة هي الفاء الفصيحة المفصحة عن محذوف تقديره فامتثلتم فتاب عليكم فعلى هذا يكون
الكلام خطابا من الله تعالى لهم على طريقة الالتفات ويمكن ان يقال انه جعله شرطا منتظما في جملة قول موسى كانه قال لهم فان فعلتم فقد

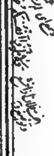

عليكم وانما اختص هذا الموضع بذكر البارئ لان معناه كما مر في الاسماء الذي خلق الخلق على الوجوه الموافقة للمصالح والاغراض وفيه تقريع لما كان
منهم في ترك العبادة العليم الحكيم الذي برأهم بلطف حكمته على الاشكال المختلفة برآء من التنافر والتفاوت المتبرئ من الحكم والمقاصد الى عبادة العجل الذي هو مثل في
البلادة والغباوة فلا جرم كان جزاؤهم تفكيك ما ركب من خلقتهم وتبديد ما نظم من اشكالهم حين لم يشكروا النعمة في ذلك وعظموا ما لا يقدر
على شيء منها والمراد بقتل الانفس اما ما يقتضيه ظاهر اللفظ وهو ان يقتل كل واحد نفسه فالقتل اسم للفعل المؤدي الى زهوق الروح
في الحال وفي المآل واما قتل بعضهم بعضا وعليه المفسرون لقوله ولا تقتلوا انفسكم فسلموا على انفسكم وذلك ان المؤمنين كنفس واحدة ثم اختلفوا
فقيل امر من لم يعبد العجل من السبعين المختارين لحضور الميقات ان يقتل من عبد العجل منهم وقيل لما امرهم موسى بالقتل اجابوا فاخذ
عليهم المواثيق ليصبرن على القتل فاصبحوا مجتمعين كل قبيلة على حدة واتاهم هرون بالاثني عشر الفا الذين ما عبدوا العجل وبايديهم السيوف
فقال ان هؤلاء اخوانكم قد اتوكم شاهرين السيوف فاحتبوا بافنية بيوتكم واتقوا الله واصبروا فلعن الله رجلا قام من مجلسه او مد طرفه اليهم او اتقاهم
بيد او رجل فيقولون آمين فوجدت الرجل كان يبصر ولده ووالده وجاره وقريبه فلم يمكنه المضي لامر الله فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء
لا يتباصرون تحتها فجعلوا يقتلونهم الى المساء وقام موسى وهرون يدعوان الله ويقولان اهلكت بنو اسرائيل البقية البقية فكشفت الضبابة
والسحابة ونزل الوحي ان الله قد غفر لمن قتل وتاب على من لم يقتل قالوا وكانت القتلى سبعين الفا وقيل كانوا اقساما منهم من عبد العجل ومنهم
من لم يعبد لكن لم ينكر على من عبده فامر من لم يشتغل بالانكار بقتل من اشتغل بالعبادة والقائلون بان العجل عجل الهوى قالوا معنى قتل
الانفس قمع الهوى لان الهوى حياة النفس قوله واذ قلتم يا موسى ذهب بعض المفسرين الى ان هذه الواقعة كانت قبل ان كلف الله عبدة العجل
القتل قال محمد بن اسحق لما رجع موسى من الطور الى قومه فرأى ما هم عليه من عبادة العجل وقال لاخيه وللسامري ما قال واحرق العجل
ونسفه في اليم اختار سبعين رجلا من خيارهم فلما خرجوا الى الطور قالوا لموسى سل ربك حتى نسمع كلامه فسأل موسى ربه فاجابه الله اليه
فلما دنا من الجبل وقع عليه عمود من الغمام وتغشى الجبل كله ودنا موسى من ذلك الغمام حتى دخل فيه فقال للقوم ادنوا وكان موسى متى
كلمه ربه وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع احد من بني اسرائيل النظر اليه وسمع القوم كلام الله مع موسى يقول افعل ولا تفعل ومن جملة الكلام
اني انا الله لا اله الا انا ذو بكة اخرجتكم من ارض مصر فاعبدوني ولا تعبدوا غيري فلما تم الكلام انكشف عن موسى الغمام الذي دخل
فيه فقال القوم بعد ذلك لن نؤمن لك اي لن نصدقك ولن نقر بنبوتك حتى نرى الله جهرة عيانا وهي مصدر قولك جهر بالقراءة
والدعاء كأن الذي يرى بالعين جاهر بالرؤية والذي يرى بالقلب مخافت بها وانتصابها على نحو انتصاب قعد القرفصاء لان هذه نوع
من الرؤية كما ان تلك نوع من القعود ويحتمل ان يكون نصبها على الحال بمعنى ذوي جهرة ومن قرأ جهرة بفتح الهاء فاما لانه مصدر جمع
جاهر وانما اكدوا بهذا لئلا يتوهم ان المراد بالرؤية العلم او التخيل على ما يراه النائم فاخذتكم الصاعقة وهي ما صعقهم اي اماتهم قيل
نار وقعت من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة جاءت من السماء وقيل ارسل الله جنودا سمعوا بحسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة
وصعقة موسى في قوله وخر موسى صعقا لم تكن موتا ولكن غشية بدليل فلما افاق والظاهر انه اصابهم ما ينظرون اليه لقوله وانتم
تنظرون فرفع موسى يديه الى السماء يدعو ويقول الهي اخترت من بني اسرائيل سبعين رجلا ليكونوا شهودي بقبول توبتهم فارجع
اليهم وليس معي منهم احد فما الذي يقولون في فلم يزل يدعو حتى رد الله اليهم ارواحهم وذلك قوله ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون
نعمة البعث بعد الموت او نعمة الله بعد ما كفرتموها طلب توبة بني اسرائيل من عبادة العجل فقال لا الا ان يقتلوا انفسهم وقيل ان
الواقعة كانت بعد القتل قال السدي لما تاب بنو اسرائيل عن عبادة العجل بان قتلوا انفسهم امر الله ان يأتيه موسى في ناس من بني اسرائيل
يعتذرون اليه من عبادتهم العجل فاختار موسى سبعين رجلا فلما اتوا الطور قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة
وماتوا فقام موسى يبكي ويقول يا رب ماذا اقول لبني اسرائيل فاني امرتهم بالقتل ثم اخترت من بينهم هؤلاء فاذا رجعت اليهم ولا
يكون معي احد منهم فماذا اقول لهم فاوحى الله الى موسى ان هؤلاء السبعين ممن اتخذ العجل الها فقال موسى ان هي الا فتنتك فاحياهم الله
ثم قاموا ونظر كل واحد الى الآخر كيف يحييه الله ثم قالوا يا موسى انك لا تسأل الله شيئا الا اعطاك فادعه يجعلنا انبياء فدعا
بذلك فاجاب الله دعوته هذا ما قاله المفسرون وليس في الآية ما يدل على ترجيح احد القولين على الآخر ولا على ان الذين سألوا الرؤية
عبدة العجل ام لا والصحيح ان موسى لم يكن من جملة الصعقين في هذه الواقعة لان الخطاب مشافهة ولانه لو تناوله لوجب تخصيصه بقوله
في حق موسى فلما افاق مع ان لفظة الافاقة لا تستعمل في الموت ثم في الآية فوائد منها التحذير لمن كان في زمان نبينا من فعل ما يستحق بسببه
ان يفعل به ما فعل باولئك ومنها التشبيه بجحودهم معجزات النبي بجحود اسلافهم نبوة موسى مع مشاهدتهم لعظم تلك الآيات ليتنبهوا انه
انما لا يظهر على النبي مثلها لعلمه بانهم لو اظهرها لجحدوها ولو جحدوها لاستحقوا العقاب كما استحقه اسلافهم ومنها التسلية للنبي و
تثبيت الفؤاد كي يصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ومنها ازالة شبهة من يقول ان نبوة محمد لو صحت لكان اولى الناس بالايمان به اهل الكتاب
حيث انهم عرفوا خبره وصفته فنقول بين ان اسلافهم بعد مشاهدة تلك الآيات كانوا يرتدون في كل وقت ويتحكمون عليه فكيف يعجب

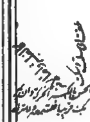

من مخالفيهم محمداً وان وجدوا في كتبهم اخبار نبوته ومنها ان الخبر محمداً عن هذه القصة مع كونه اميا تبين ان ذلك من الوحي بقي ههنا بحث هو ان المعتزلة استدلوا بالآية على امتناع رؤية الله تعالى لانها لو كانت امراً جائز الوقوع لم ينزل بهم العقوبة كما لم ينزل بهم حين المنوا النقل من قوت الى قوت في قولهم لن نصبر على طعام واحد واجيب بان امتناع رؤيته في الدنيا لا يستلزم امتناع رؤيته في الآخرة الذي هو محل النزاع فلعل رؤيته يقتضي زوال التكليف عن العبد والدنيا مقام التكليف وانه اقتراح دليل انه على صدق المدعي بعد ثبوته تعنت وانه لا يمتنع ان الله تعالى علم فيه مفسدة كما علم في انزال الكتاب من السماء يسئلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فلهذا جاز الاستنكار لان مطالبة الرؤية جهرة مطالعة الذات غفلة وفيه من سوء الادب ترك الحرمة ما لا يستحسنه قضية العزة والحشمة قوله تعالى وظللنا اي جعلنا الغمام يظلكم وذلك في التيه كما سيجيء في المائدة سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يظلهم من الشمس وانطاق ضوء ثان وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى اذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله كما كان لآدم قبل الزلة وانزلنا عليهم المن وهو الترنجبين مثل الثلج من طلوع الشمس الى طلوع الشمس لكل انسان صاع لا اريد يبعث الله الجنوب فتحشر عليهم السلوى وهي السماني فيذبح الرجل منها ما يكفيه لا اريد بها عدد المن بجمع حلو وهو التمنجبين السعيد الزجاج هو ما من الله تعالى به عليهم وهذا كما يروى مرفوعاً الكمأة من المن ومنها شفاء العين وقيل السلوى العسل وقيل طائر احمر كلوا على ارادة القول اي قلنا لهم كلوا من طيبات من حلالات ما رزقناكم وهذا للاباحة وما ظلمونا بعض ظلموا بان كفروا هذه النعم وجعلوا موضع الشكر كفراً وما ظلمونا فاختصر الكلام بحذفه لدلالة وما ظلمونا عليه ولكن كانوا انفسهم يظلمون لان وبال الظلم عائد عليهم لا الى غيرهم ولا الى الله تعالى وانما قال ههنا وفي الاعراف والتوبة والروم بزيادة لفظة كانوا لانها اخبار عن قوم ماتوا وانقرضوا خلاف قوله في آل عمران ولكن انفسهم يظلمون لانه مثل والله اعلم وَاِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَاَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ القراءة يغفر لكم بضم الياء التحتانية وفتح الفاء ابو جعفر ونافع وحيلة تغفر بضم التاء الفوقانية وفتح الفاء ابن عامر وابو زيد عن المفضل الباقون نغفر بالنون وكسر الفاء يغفر لكم مدغماً كل القراء ابو عمرو خطاياكم وبابه بالامالة على قول حمزة بالاخفاء ابن يزيد ابو نشيط عن قالون وكذلك يخفيان النون والتنوين عند الخاء والغين سواء وسط الكلمة او اولها الوقوف خطاياكم المحسنين يفسقون التفسير القرية مجمع الناس من قريت الماء في الحوض اي جمعت وبهذا الاعتبار كثيراً ما يطلق القرية على البلدة والجمع القرى على غير قياس وانما قياسه من المعتل اللام فعال نحو ركوة وركاء وظبية وظباء والنسبة اليها قروي وهو على القياس عند يونس حيث قال ظبوي في النسبة الى ظبية وعلى خلاف القياس عند الخليل وسيبويه النسبة اليها قرئي وهو على القياس عند يونس حيث قال ظبوي في النسبة الى ظبية وعلى خلاف القياس عند الخليل وسيبويه حيث يقولان ظبئ على مثال الصحيح والمراد بيت المقدس وقيل اريحاء من قرى الشام امروا بدخولها بعد التيه والباب باب القرية وقيل باب القبة التي كانوا يصلون اليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى امروا بالسجود عند الانتهاء الى الباب تواضعاً وشكراً لله تعالى وقيل السجود ان ينحنوا ويتطامنوا داخلين ليكون دخولهم باخبات وخشوع وقيل طوطى لهم الباب ليخفضوا رؤسهم فدخلوا متزحفين على اوراكهم من الزحف وهو المشي على الاوراك وحطة فعلة من الحط كالجلسة خبر مبتدأ محذوف اي مسئلتنا حطة وامرك واصله النصب معناه اللهم حط عنا ذنوبنا حطة فرفعت لافادة الثبوت كقوله شعر شكا الى جملي طول السرى ؛ يا جملي ليس الى المشتكى صبر جميل فكلانا مبتلى ؛ الاصل صبراً اي اصبر صبراً كان الامر القوم امروا ان يدخلوا الباب على وجه الخضوع وان يذكروا بلسانهم التماس حط الذنوب حتى يكونوا جامعين بين ندم القلب وخضوع الجوارح والاستغفار باللسان وذلك لان التوبة صفة القلب فلا يطلع الغير عليها فاذا اشتهر واحد بالذنب ثم تاب بعده لزمه ان يحكي توبته لمن شاهد منه الذنب لا لان التوبة لا تتم الا به اذ الاخرس يصح توبته وان لم يوجد منه الكلام بل لاجل تعريف الغير عدوله عن الذنب الى التوبة ولازالة التهمة عن نفسه وكذا من عرف بمذهب خطاء ثم تبين له الحق فانه يلزمه ان يعرف اخوانه الذين عرفوه بالخطأ عدوله عنه لتزول التهمة عنه في الثبات على الباطل وليعودوا الى موالاته بعد معاداته ويجتنبوا الظن به وعن ابي مسلم الاصفهاني ان معناه امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية ونستقر فيها واصل الغفر الستر والتغطية ومعنى الغفران في نغفر لكم واصله لان الخطيئة اذا غفرها الله فقد غفرت فانما يغفرها الله والفعل اذا تقدم الاسم المؤنث وحال بينه وبين الفاعل حائل جاز التذكير والتانيث والخطاء الذنب قال تعالى انه كان خطأً كبيراً تقول منه خطئ يخطأ خطأً وخطاءً على فعلة والاسم الخطيئة على فعيلة وجمعها خطايا واصله خطائئ بياء ثم همزة ابدلت الهمزة الفاً فتحت الياء لاجلها وسنزيد المحسنين المفعول الثاني محذوف للعلم به ولمكان الفاصلة اي سنزيدهم احساناً

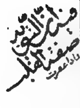

ازددنا بالوسعة وذلك ان المراد من المحسنين اما من هو محسن بالطاعة في هذا التكليف واما من هو محسن بطاعات اخرى في سائر التكاليف
وعلى الاول فالزيادة الموجودة اما منفعة دنيوية فالمعنى ان المحسن بهذه الطاعة نزيده سعة في الدنيا ونفتح عليه قرى غير هذه القرية
واما منفعة دينية اى المحسن بهذا نزيده على غفران الذنوب غفران ثوابا جزيلا وعلى الثانى فالمعنى انا نجعل دخولكم الباب سجدا وقولكم
حطة مؤثرا في غفران الذنوب ثم ان اتيتم بعد ذلك بطاعات اخرى زدناكم ثوابا ويحتمل ان يكون المراد انهم صنفان فمن خطئ يصير الكلمة
سببا لغفرانه ومن محسن يصير سببا لزيادة ثوابه قوله تعالى فبدل الذين ظلموا قال ابو البقاء التقدير فبدلوا بالذى قيل لهم قولا غير الذى
قيل لهم فبدل يتعدى الى مفعولين واحد بنفسه والاخر بالباء والذى مع الباء يكون هو المتروك والذى بغيرها هو الموجود ويجوز
ان يكون بدل بمعنى قال لان تبديل القول يكون بقول فالمعنى انهم امروا بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه الى قول ليس معناه
معنى ما امروا به ولم يمتثلوا امر الله وليس الغرض انهم امروا بلفظ معين هو لفظ حطة فجاؤا بلفظ اخر لانهم لو جاؤا بلفظ اخر مستقل بمعنى
ما امروا به لم يؤاخذوا به كما لو قالوا مكان حطة نستغفرك ونتوب اليك واللهم اعف عنا ونحو ذلك قيل قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا
بالنبطية والنبط قوم ينزلون بالبطائح بين العراقين حطه سمقاثا اى حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا عن طلب ما عند الله الى
طلب ما يشتهون وفي الصحيحين عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيل لبنى اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم فبدلوا
فدخلوا الباب يزحفون على استاههم وقالوا حبة فى شعرة وفي تكرير الذين ظلموا ووضع المظهر موضع المضمر زيادة في تقبيح امرهم
وايذان بان انزال الرجز عليهم لظلمهم هو انهم وضعوا غير ما امروا به مكان ما امروا به والرجز العذاب عن ابن عباس مات بالفجاءة
منهم اربعة وعشرون الفا في ساعة واحدة وقال ابن زيد بعث الله عليهم الطاعون حتى ماتوا من الغداة الى العشى عشرون الفا وقيل
سبعون الفا ومعنى من السماء يحتمل ان يكون شيئا نازلا من جهة العلو كبرد ونحوه ويحتمل ان يراد من قبل الامر النازل من عند الله تفظيعا
لشان العذاب والفسق هو الخروج عن طاعة الله الى معصيته بارتكاب الكبيرة فالمراد بما كانوا يفسقون اما الظلم المذكور وفائدة التكرار
التأكيد واما ان يراد انهم استحقوا اسم الظلم بسبب ذلك التبديل ونزول الرجز عليهم من السماء بالفسق الذى كانوا يفعلون قبل ذلك
التبديل مستمرا اليه او ان هذا الظلم وهذا الفسق لزوال التكرير ولان لفظة كانوا مبنى عن خصلة مستمرة والخصلة الواحدة المعينة
لا يتصور فيها الاستمرار فلو كان المراد التعليل بما فسقوا او بما ظلموا احتج اصحاب الشافعى بقوله تعالى فبدل الذين ظلموا انه لا يجوز تحريم الصلوة
بلفظ التعظيم والتسبيح ولا يجوز القراءة بالفارسية وكذا لا يجوز تبديل ما ورد به التوقيف من الاذكار بغيرها واجيب بانهم
انما استحقوا الذم لتبديلهم القول الى قول اخر يضاد معناه معنى الاول فلا جرم استوجبوا الذم فاما من غير اللفظ مع بقاء المعنى فليس كذلك
ورد بان ظاهر الاية يتناول كل من بدل قولا بقول اخر اتفق القولان في المعنى او لم يتفقا سواء اسئلة لم قال في البقرة واذ قلنا وفي الاعراف
واذ قيل لانه صرح بالفاعل في اول القرآن ازالة للابهام ولان الكلام مرتب على قوله اذكروا نعمتى وفي الاعراف لم يبق الابهام ولم
قال ههنا ادخلوا وهنالك اسكنوا لان الدخول مقدم على السكون والبقرة مقدمة في الذكر على الاعراف لم قال في البقرة فكلوا وفي
وكلوا بالواو لما بينا في قوله فكلا منها رغدا وفي الاعراف فكلا ولم قال في البقرة خطاياكم وفي الاعراف قرئ خطيئاتكم لان الخطايا
جمع الكثرة والخطيئات جمع السلامة للقلة وقد اضاف القول ههنا الى نفسه كان اللائق ان يكرمه بغفران الذنوب الكثيرة وهنالك لم يذكر
الفاعل فلم يكن ذكر اللفظ الدال على الكثرة واجبا ولمثل هذا الجواب ذكر ههنا رغدا الدال على الانعام الاتم ولم يذكر في الاعراف ولم قال ههنا
وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة وفي الاعراف بالعكس لان الواو للجمع المطلق ولان المخاطبين صنفان محسن ومذنب واللائق بالمحسن
تقديم العبادة والخضوع ثم ذكر التوبة على سبيل هضم النفس وازالة العجب واللائق بالمسئ عكس ذلك لانه ذكر في هذه السورة ادخلوا
هذه القرية فقدم كيفية الدخول ولم قال في البقرة وسنزيد وفي الاعراف سنزيد لانه في الاعراف ذكر امرين قول الحطة
وهو اشارة الى التوبة ودخول الباب وهو اشارة الى العبادة ثم ذكر جزائين احدهما الغفران والاخر الزيادة
فترك الواو ليفيد توزيع الجزائين على الشرطين وفي البقرة وقع مجموع المغفرة والزيادة جزاء لمجموع الفعلين اعنى دخول الباب
وقول الحطة فاحتيج الى الواو وايضا الاتصال اللفظى حاصل في هذه السورة بين قوله واذ قلنا وقوله وسنزيد بخلاف الاعراف
لان اللائق بنظم التفسير ان يحذف الواو ليكون استينافا للكلام وما الفائدة في زيادة كلمة منهم في الاعراف لان اول القصة مبنى
على التخصيص من قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون فذكر ان منهم من يفعل ذلك ثم عدد صنوف انعامه واوامره عليهم
فلما انتهت القصة قال فبدل الذين ظلموا منهم فهنالك ذكر امة عادلة وههنا لم يذكر امة جائرة فصار اخر الكلام مطابقا لاوله واما
في البقرة فلم يذكر في اول الايات تمييزا وتخصيصا حتى يلزم في اخر القصة مثل ذلك لم قال في البقرة فانزلنا وفي الاعراف فارسلنا
لان الانزال يفيد حدوثه في اول الامر والارسال يفيد تسلطه عليهم واستيصالهم بالكلية وذلك انما يحدث بالاخرة وقيل لان
لفظ الارسال في الاعراف اكثر فروعى التناسب لم قال في البقرة بما كانوا يفسقون وفي الاعراف يظلمون لانه لما بين في البقرة كون الظلم

فيها الكفى بذلك البيان في الأعراف وايضا انهم ظلموا انفسهم وخرجوا عن طاعة الله تعالى فوصفهم بالامرين في موضعين والله اعلم

وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا

وچون خواهش آب کرد موسی از برای قوم خود پس گفتیم که بزن بعصای خود آن سنگ پس روان گردید از ان دوازده چشمه که دانست هر کسی محل آب نوشیدن خود را بخورید

مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا

از روزی خدا و جنبش مکنید در زمین فساد کنندگان و چون گفتید که ای موسی شکیبائی نیاوریم بر یک خوردنی پس بخوان از جهة ما پروردگار خود را که برآرد از آنچه

تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا

میرویاند زمین از سبزی آن و خیار آن و سیر آن و عدس آن و پیاز آن گفت که آیا بدل میکنید از آن پست با آنکه آن بهتر است فرود آیید در شهری

فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ

پس هر آینه مر شما راست آنچه خواستید و زده شد بر ایشان خواری و بینوائی و برگشتند بغضب خدا این بجهت آن که بودند کافران بآیات خدا و میکشتند

النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ۝ القراءة علامة القراء اثنتا عشرة بسكون الشين للتخفيف عليهم الذلة بضم

پیغمبران را بدون حق این بجهة نافرمانی است که بودند که در گذرندگان الهاء والميم حمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب وكذلك كل ما كان قبل الهاء

ياء ساكنة ووافق سهل اذا كان قبل الياء مخففا وقرأ ابو عمرو بكسر الهاء والميم والباقون بكسر الهاء وضم الميم النبيين والنبيون والنبوة بالهمزة نافع

الا في موضعين في الاحزاب ان وهبت نفسها للنبي بيوت النبي الا فروى اسمعيل وقالون عنه بغير همزة الوقوف الحجر ط لحق المحذوف اي

فضربه فانفجرت عينا ط مشربهم ط مفسدين وبصلها ط هو خير ط ما سألتم ط لان قوله وضربت ابتداء اخبار عما يؤول اليه حالهم من الله ط بغير

الحق ط يعتدون ه التفسير جمهور المفسرين سوى ابي مسلم على ان هذا الاستسقاء كان في التيه عطشوا فدعا لهم موسى بالسقيا فقيل له اضرب

بعصاك الحجر اما العصا فقال الحسن كانت عصا اخذها من بعض الاشجار وقيل كانت من الجنة طولها عشرة اذرع على طول موسى ولها شعبتان

تتقدان في الظلمة واما الحجر فاللام اما للعهد للاشارة الى حجر معلوم فقد روي انه حجر طوري حمله معه وكان حجرا مربعا له اربعة اوجه كانت تنبع

من كل وجه ثلاثة اعين لكل سبط عين تسيل في جدول الى السبط الذي امر ان يسقيهم وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا وقيل

اهبطه آدم من الجنة فتوارثوه حتى وقع الى شعيب فدفعه اليه مع العصا وقيل هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل فرماه بنو اسرائيل

بالادرة ففر به فقال له جبرئيل يقول الله تعالى ارفع هذا الحجر فان فيه قدرة ولك فيه معجزة فحمله في مخلاته واما الجنس اي اضرب الشيء الذي يقال

له الحجر وعن الحسن لم يأمره ان يضرب حجرا بعينه قال وهذا اظهر في الحجة وابين في القدرة ثم قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض ليست فيها

حجارة فحمل حجرا في مخلاته فحيثما نزلوا القاه واما الصفة والشكل فقيل كان من رخام وكان ذراعا في ذراع وقيل مثل رأس الانسان وقيل

له اربعة اوجه كما مر وهذا اذا ارتحلوا العصا فالى موسى عصاه

له اربعة اوجه كما مر وهذا اذا الرحيل العوقال لي موسى واما الضرب فقيل كان يضربه بعصاه فينفجر ويضربه بها فييبس فقالوا ان فقد موسى

عصاه متنا عطشا فاوحى الله تعالى اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون والفاء في قوله فانفجرت فاء فصيحة كما سبق في فتاب

عليكم وفي هذا الحذف دلالة على ان موسى لم يتوقف عن اتباع الامر وانه من انتفاء الشك عنه بحيث لا حاجة الى الافصاح به والانفجار والانبجاس

واحد معناه خروج الماء بسعة وكثرة واصل الفجر الشق ومنه الفاجر لانه يشق عصا المسلمين بخروجه اليهم وقيل الانبجاس خروج الماء قليلا

ووجه بان الانفجار الاصل هو الشق والبجس الشق الضيق فلا يتناقضان كما لا يتناقض المطلق والمقيد والعام والخاص ولعله انبجس اولا

ثم انفجر ثانيا وكذا العيون تظهر الماء قليلا ثم يكثر لدوام خروجه ولعل حاجتهم تشتد تارة فينفجر وتضعف اخرى فينبجس قد علم كل اناس

اي كل سبط مشربهم كانه امر كل سبط ان لا يشرب الا من جدول معين حسما لمادة التشاجر فان العادة في الرهط الواحد ان لا يقع بينهم من

التنازع مثل ما يقع بين المختلفين وهذا ايضا من تمام النعمة عليهم انما فصل العاطف لان قوله قد علم بيان وتفصيل للاجمال في قوله اثنتا

عشرة كانه قيل هذا المجموع مشاع بينهم او مقسوم فقيل قد علم كلوا على ارادة القول اي وقلنا او قال لهم موسى كلوا من المن والسلوى الذي

رزقنا كم بلا تعب ولا نصب واشربوا من هذا الماء وقيل ان الاغذية لا تنبت الا بالماء فلما اعطاهم الماء فكانما اعطاهم المأكول والمشروب

والعثو اشد الفساد ومفسدين قيل نصب على الحال المؤكدة وهو ضعيف فان من شرطها ان تكون مقررة بمضمون جملة اسمية وقيل حال منتقلة

ومعناه النهي عن التمادي في حالة الافساد اما مطلقا او مقيدا بان وقع التنازع بسبب تلك المياه فلا تنبعثوا في التنازع ويرد على هذا القول

ان الافساد منهي عنه مطلقا وهذا التفسير يقتضي ان يكون المنهي عنه هو التمادي في الافساد لا نفس الافساد والصحيح ان يقال ان المنصوبات في نحو قوله

عز من قائل ولا تعثوا في الارض مفسدين ثم وليتم مدبرين وفي نحو قولهم تقلبا شيئا وتمهلا قائما من الصفات القائمة مقام المصدر نحو اقعد

وقد سار الركب وفي الاية بحث وهو انه كيف يعقل خروج المياه الكثيرة من الحجر الصغير والجواب على القول بالفاعل المختار ظاهر فانه

له ان يحدث ما يشاء فعل خارق شاء من غير ان يطلب له سبب وواسطة واما عند طالب الاسباب والوسائط فان العناصر الاربعة لها هيولى مشتركة عندهم

وجوزوا انقلاب صور بعضها الى بعض فجاز استحالة الماء الكائن في الحجر من الهواء المجاور وله شواهد مثل هذا ما رواه انس انه اتى النبي باناء من الوَرِق فيه

نوضع يده في الاناء فجعل الماء ينبع من بين اصابعه فتوضأ القوم قال قتادة قلت لانس كم كنتم قال ثلثمائة او زهاء ثلثمائة بل معجزة نبينا
اقوى لان نبوع الماء من الحجر معهود في الجملة اما نبوعه من بين الاصابع فغير معتاد قال اهل الاشارة الروح الانساني وصفاته في عالم الغا[ئب]
بمثابة موسى وقومه انه يستسقي ربه لاروائها من ماء الحكمة والمعرفة فضرب بعصاه لا اله الا الله ولها شعبتان من النفي والاثبات
تنقدان نورا عند استيلاء ظلمات النفس على حجر القلب فتنفجر منه اثنتا عشرة عينا من ماء الحكمة بعدد حروف لا اله الا الله قد علم كل سبط من اسباط
الانسان وهي خمس حواس ظاهرة وخمس باطنة مع القلب والنفس مشربهم فيستوفي حظه بحسب مشربه قوله سبحانه واذ قلتم يا موسى لن نصبر زعم
بعض المفسرين ان هذا السؤال منهم كان معصية فان الانتقال بحال المكلف الصريح على ما سأل الله تعالى الى غيره خصوصا اذا كان نعمة وصنوا وسلو
ولا سيما اذا كان المسؤل ادون واحقر ولهذا انكره موسى عليهم فقال اتستبدلون وقال الاخرون غير معصية لان قوله كلوا واشربوا
عند انزال المن والسلوى وانفجار الماء امر اباحة لا ايجاب ثم انهم كانوا اهل فلاحة فرغبوا الى ما الفوه وعودتهم وطبيعة الانسان في العادة اصل
التربية وان كان خسيسا فوق رغبته فيما لا يعتاده وان كان شريفا ولعلهم سئموا من التيه فسألوا هذه الاطعمة التي لا توجد الا في البلاد
وغرضهم البلاد وايضا المواظبة على الطعام الواحد سبب لنقص الشهوة وتضعف المعدة فيصح ان يكون التبديل مطلوبا للعقلاء ولهذا اجابهم الله تعالى
الى ما سألوا ولو كان معصية لم يجبهم الى ذلك الكلام الا ان يكون من قبيل ومكر بهم ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب وانما
وانما صح اطلاق الطعام الواحد على المن والسلوى لانهم ارادوا بالوحدة نفي التبدل والاختلاف ولو كان على مائدة الرجل الوان عدة
يداوم عليها وياكلها كل يوم لا يبدلها قيل لا ياكل فلان الا طعاما واحدا ويجوز ان يريدوا بها ضرب واحد لانهما معا من طعام اهل التلذذ
والترف ونحن اهل زراعة ما نريد الا ما الفناه ومعنى يخرج لنا يوجد ويظهر والبقل ما انبتته الارض من الخضر كالنعناع والكرفس والكراث
وغير ذلك مما يطيب الطعام التي يأكلها الناس عادة والقثاء الخيار والفوم الثوم ويدل عليه قراءة عبد الله وثومها وهو العدس والبصل
او نحو ذلك قال بعضهم الفوم الحمص لغة شامية ويقال هو الحنطة ومنه قولهم فوموا لنا اي اختبزوا وقال الفراء هي لغة قديمة الذي هو ادنى اي
اقرب منزلة وادون مقدارا والقول به في ضده هو بعيد المحل بعيد الهمة يعنون الرفعة والعلو اهبطوا مصرا اي انحدروا اليه من التيه يقال
هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج وبلاد التيه ما بين بيت المقدس الى قنسرين اثنا عشر فرسخا في ثمانية ومصرا اما مصر فرعون و
التنوين فيه في القراءات المعتبرة مع ان فيه العلمية والتانيث لسكون وسطه كما في نوح ولوط وفيهما العلمية والعجمة واما مصر من الامصار
كانه قيل لهم ادخلوا بلدا اي بلد كان تجدوا فيه هذه الاشياء ولما ذكر الله سبحانه صنوف نعمه على بني اسرائيل اجمالا ثم تفصيلا اراد ان
يبين مآل حالهم ليكون عبرة للنظار وتبصرة لاولي الابصار وتحذيرا للانسان عن الجحود والكفران المستتبعين الخزي والهوان فقال
وضربت عليهم الذلة اي جعلت محيطة بهم مشتملة عليهم كالقبة المضروبة على الشخص والصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين
على الحائط فيلصق به فاليهود صاغرون اذلاء اهل مسكنة ومدقعة اما على الحقيقة واما لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة ان تضاعف عليهم الجزية

وهذا من جملة الاخبار عن الغيب الدالة على كون القرآن وحيا نازلا من السماء على محمد صلى الله عليه وسلم هذا حالهم في الدنيا واما حالهم في العقبى فذلك
قوله وباؤا بغضب من الله من قولك باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به لمساواته له ومكافاته اي صاروا احقاء بغضبه هو ارادة
انتقامه ذلك الذي ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والخلافة بالغضب بسبب كفرهم بآيات الله اي القرآن بل وبالتوراة لان الكفر به مستلزم
للكفر بها وقتلهم الانبياء وقد قتلت اليهود اشعيا وزكريا ويحيى وغيرهم بغير الحق اي من غير ما شبهة عندهم توجب استحقاق القتل
فان الاتي بالباطل قد يكون معتقدا حقا لشبهة عنت له وقد يأتي به مع علمه بكونه باطلا ولا شك ان الثاني اقبح وايضا في التقييد تاكيد

للتاكيد نحو ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به ومحال ان يكون لمدعي الاله الثاني برهان والنبيء بالهمزة فعيل بمعنى فاعل من نبأ
عن الله تعالى قال سيبويه ليس احد من العرب الا ويقول تنبأ مسيلمة بالهمزة غير انهم تركوا الهمز في النبي كما تركوا في الذرية والبرية والخابية الا
اهل مكة فانهم يهمزون هذه الاحرف ولا يهمزون في غيرها ويخالفون العرب في ذلك فيحتمل ان يكون من نبأ من ارض الى ارض اي خرجت منها الى
اخرى وهذا المعنى اراد الاعرابي بقوله يا نبيء الله اي خارجا من مكة الى المدينة فانكر عليه الهمزة وقيل النبي بالادغام من النبوة وهي ما
ارتفع من الارض اي انه شرف على سائر الخلق فعيل بمعنى مفعول والجمع انبياء وعلى الاول النبآء جمع على انبياء لان الهمزة لما ابدلت
والزم الابدال جمع جمع ما اصله حرف العلة ذلك بما عصوا تاكيد بتكرير الشيء بغير اللفظ الاول كقول السيد لعبده وقد احتمل منه

ذنوبا سلفت منه فعاقبه عند آخرها هذا بما عصيتني وخالفت امري هذا بما تجرأت علي واغتررت بحلمي هذا بكذا ويجوز ان يشار به الى الكفر
والقتل على معنى انهم كانوا في العصيان والاعتداء حتى قست قلوبهم فجسروا على جحود الآيات وقتل الانبياء او يكون الباء بمعنى مع اي ذلك
الكفر والقتل مع ما عصوا سائر انواع المعاصي واعتدوا حدود الله في كل شيء وقيل هو اعتداؤهم في السبت والله اعلم انه سبحانه لما ذكر انزال العقوبة بهم
بين سبب ذلك وهو ما اصلوه في حق الله وهو جهلهم وجحدهم لنعمه ثم ثناه بما يليه في العظم وهو قتل الانبياء ثم ثلثه بما يكون منهم من المعاصي
المتعدية الى الغير مثل الاعتداء والظلم وذلك في نهاية الترتيب قيل الاول اشارة الى متقدميهم والثاني اشارة الى من كان في عصر رسول الله

فكانه تنبيه بسبب ما نزل بالفريقين من البلاء عليظهر الحلاثق ان ذلك قانون العدل وقضية الحكمة وان تبدل لم تبدل ههنا ويقتلون النبيين بغير الحق وفي آل عمران ويقتلون النبيين بغير حق منكرا لان الحق المعلوم فيما بين المسلمين الذي يوجب القتل هو في قوله لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلث كفر بعد ايمان وزنى بعد احصان وقتل نفس بغير حق فالحق المعرف اشارة الى هذا واما الحق المنكر فالمراد به تاكيد العموم اي لم يكن هناك حق لا هذا الذي يعرفه المسلمون ولا غيره البتة

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ

بدرستیکه آنان که گرویدند و آنان که جهود شدند و ترسایان و الادین ستاره پرستان کسی که گروید بخدا و روز واپسین و کرد

صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا

شایسته مر ایشانراست مزد ایشان نزد پروردگار ایشان و نیست ترسی بر ایشان و نه اندوهی ۝ و چون گرفتیم پیمان شمارا و بلند کردیم بر بالای شما کوه را بگیرید

مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ

آنچه دادیم شمارا بتوانائی و یاد آورید آنچه در آنست شاید که پرهیزید ۝ پس برگشتید از پس این پس اگر نبودی فضل خدا بر شما و مهربانی او هر آینه بودید

مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ۝ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ

از زیانکاران ۝ و بتحقیق که دانستید آنانرا که درگذشتند از شما در روز شنبه پس گفتیم بایشان که باشید بوزینه راندگان ۝ پس گردانیدیم آنرا عبرت مر پیشینیان

يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ۝ القراءة النصارى بالامالة ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف وورش من طريق البخاري والخراز عن هبيرة

و از بعد آیندگان و پند از برای پرهیزکاران

وكذلك كل راء بعدها الف تانيث وروى قتيبة بكسر الصاد والراء وكذلك قوله سكارى واسارى وبوارى واوادى كلها بالامالة التماثيل الالف الصابئين بغير همز ابو جعفر ونافع وحمزة في الوقف وان شاء لين الهمزة الوقوف عند ربهم نوع عدول عن اثبات الى نفي مع اتفاق الجملتين يحزنون الطور ط لان التقدير قلنا لكم خذوا تتقون من بعد ذلك ج لان لولا للابتداء وقد دخل الفاء فيه الخاسرين خاسئين ج للآية والعطف بالفاء المتقين التفسير لما انجر الكلام في الآي المتقدمة الى وعيد اهل الكتاب من اليهود واقتفوا آثارهم وقرب منها تضمن الوعد بالاجر على عادته تعالى في ذكر الترهيب مع الترغيب فقال ان الذين آمنوا واختلف المفسرون فيها لان قوله في آخر الآية من آمن يدل على ان المراد من قوله آمنوا شيئا آخر كقوله يا ايها الذين آمنوا آمنوا فعن ابن عباس المراد ان الذين آمنوا قبل بعث محمد صلى الله عليه وسلم بعيسى مع البراءة من اباطيل اليهود والنصارى كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وسلمان الفارسي وابي ذر الغفاري كانه قيل ان الذين آمنوا قبل مبعث محمد والذين كانوا على الدين الباطل اليهود والذين كانوا على الدين الباطل النصارى كل من آمن بعد مبعث محمد بالله واليوم الآخر وبمحمد فلهم اجرهم وعن سفيان الثوري ان الذين آمنوا باللسان دون القلب وهم المنافقون والذين هادوا يقال هاد يهود وتهود اذا دخل في اليهودية والنصارى والصابئين كل من اتى منهم بالايمان الحقيقي فلهم كذا وقيل الذين آمنوا هم المؤمنون بمحمد في الحقيقة وهو عائد الى الماضي كانه قيل ان الذين آمنوا في الماضي واليهود والنصارى والصابئين كل من آمن منهم وثبت على ذلك في المستقبل واستمر واشتقاق اليهود قيل من قولهم انا هدنا اليك اي تبنا ورجعنا وعن ابن عباس نسبوا الى يهوذا اكبر ولد يعقوب وقيل لانهم يتهودون اي يتحركون عند قراءة التوراة واشتقاق النصارى قيل من ناصرة قرية كان ينزلها عيسى قاله ابن عباس وقتادة وابن جريج وقيل لتناصرهم فيما بينهم اي لنصرة بعضهم بعضا وقيل لان عيسى قال للحواريين من انصاري الى الله وواحد النصارى نصران ونصرانة والياء في نصراني للمبالغة كالتي في احمري والصابئين بالهمز اشتقاقه من صبأ الرجل يصبؤ اذا خرج من دينه الى دين آخر وكانت العرب يسمون النبي صابئا لانه اظهر دينا على خلاف اديانهم عن مجاهد والحسن هم طائفة من اليهود والمجوس لا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نساؤهم وعن قتادة هم قوم يعبدون الملائكة ويصلون للشمس كل يوم خمس مرات وقيل هو الاقرب انهم قوم يعبدون الكواكب ثم منهم من قال ان الاول ان خالق العالم هو الله سبحانه الا انه امر بتعظيم هذه الاجرام واتخاذها قبلة للصلوة والدعاء والثاني انه سبحانه خلق الافلاك والكواكب وفوض اليها تدبير هذا العالم فيجب على البشر تعظيمها لانها هي الآلهة المدبرة لهذا العالم ثم انها تعبد الله سبحانه وهذا المذهب هو الكلدانيين الذين جاءهم ابراهيم ردا عليهم وبين الله تعالى ان هذه الفرق الاربع اذا آمنوا بالله ويدخل فيه الايمان بكل ما اوجبه كالايمان برسله وآمنوا باليوم الآخر وبما وعد فيه فان اجرهم متيقن جار مجرى الحاصل عند الله تعالى ومحل من آمن رفع على انه مبتدأ خبره فلهم اجرهم والجملة خبر ان او على انه بدل من اسم ان والمعطوفات عليه وخبر ان فلهم اجرهم والفاء لتضمن من او الذين معنى الشرط قال اهل البرهان قدم النصارى على الصابئين لانهم اهل كتاب على عكس الترتيب في الحج لان الصابئين مقدم على النصارى في الزمان وراعى في المائدة المعنيين فقدمهم في اللفظ واخرهم في التقدير لان تقديره والصابئون كذلك قوله سبحانه واذ اخذنا ميثاقكم مخاطبة فيها معاتبة لاشتمالها على تذكير النعم وتقرير النعم والمفسرين في هذا الميثاق اقوال احدها انه ما اودع الله العقول من الدلائل الدالة على وجود الصانع وقدرته وحكمته وعلى صدق انبيائه ورسله وهو اقوى المواثيق والعهود لانه لا يحتمل الخلف والكذب والتبدل بوجه من الوجوه وهو قول الاصم وثانيها ما روي عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم ان موسى لما رجع من عند ربه بالالواح فرأوا ما فيها من الآصار والتكاليف الشاقة كبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبرئيل فقلع

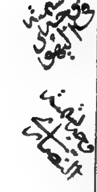

الطور من اصله و رفع فظلله فوقهم وقال لهم موسى ان قبلتم والا القى عليكم فقبلوا واعطوا الميثاق وعن ابن عباس ان الله ميثاقين الاول
حين اخرجهم من صلب آدم واشهدهم على انفسهم والثانى انه الزم الناس متابعة الانبياء والمراد ههنا هو هذا العهد انما قال ميثاقكم ولم
يقل مواثيقكم للعلم بذلك كقوله يخرجكم طفلا اى كل واحد منكم او اخر والواو فى ورفعنا اما واو عطف تجعل الميثاق مقدما على رفع
الجبل كما فى قول الاصم وابن عباس على ما او الحال ان جعل مغاير للرفع كانه قال واذ اخذنا ميثاقكم عند رفعنا الطور فوقكم والطور قيل
الجبل مطلقا وعن ابن عباس انه جبل من جبال فلسطين وقيل جبل معهود والاقرب انه الجبل الذى وقع المناجاة عليه فانه يجوز ان ينقله الله تعالى
حيثهم فيجعله فوقهم وان كان بعيدا منهم فان القادر على ان يمسك الجبل فى الهواء قادر على ان ينقله اليهم من المكان البعيد خذوا على ارادة
القول اى وقلنا خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة غير متكاسلين ولا متثاقلين وقيل بقوة ربانية واذكروا ما فيه احفظوا ما فى
الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه وانما لم يحمل على نفس الذكر الذى هو ضد النسيان لانه من فعل الله فكيف يجوز الامر به لعلكم تتقون
رجاء منكم ان تكونوا متقين او قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا ثم توليتم معطوف على محذوف اى فقبلتم والتزمتم ثم اعرضتم عن الميثاق و
الوفاء به ويمكن ان يقال اخذ الميثاق عبارة عن قبولهم فلا حاجة الى تقدير امر بعد ذلك اى من بعد القبول والالتزام قال القفال قد يعلم
بالجملة انهم بعد قبول التوراة ورفع الطور تولوا عن التوراة بامور كثيرة فحرفوا التوراة وتركوا العمل بها وقتلوا الانبياء وكفروا بهم وعصوا
امرهم ولعل فيها ما اختص به بعضهم دون بعض ومنها ما عمله اوائلهم ومنها ما فعله متأخروهم ولم يزالوا فى التيه مع مشاهدتهم الاعاجيب
ليلا ونهارا يخالفون موسى ويعترضون عليه ويلقونه بكل اذى ويجاهرون بالمعاصى فى عسكره حتى لقد خسف ببعضهم واحرقت النار بعضهم
وعوقبوا بالطاعون وكل هذا مذكور فى تراجم التوراة التى يقرونها ثم فعل متأخروهم ما لا خفاء به حتى عوقبوا بتخريب بيت المقدس وكفروا
بالمسيح وهموا بقتله فغير عجيب انكارهم ما جاء به محمد من الكتاب وجحودهم لحقيقته وحالهم فى كتابهم ونبيهم ما ذكر فلولا فضل الله عليكم ورحمته
بامهالكم وتأخير العذاب عنكم لكنتم من الخاسرين اى من الهالكين الذين باعوا انفسهم بنار جهنم ولكنكم خرجتم من هذا الخسران لان الله
تفضل عليكم بالامهال حتى تبتم فان كلمة لولا تدل على امتناع الثانى لوجود الاول فامتنع الخسران لوجود فضل الله ويحتمل ان يكون الخسران
قد انتهى عند قوله ثم توليتم من بعد ذلك ويكون قوله فلولا فضل الله رجوعا بالكلام الى اوله اى لولا لطف الله بكم برفع الجبل فوقكم لدمتم على
ردكم للكتاب ولكنه تفضل عليكم ورحمكم ولطف بكم بذلك حتى تبتم قوله عز من قائل ولقد علمتم اللام للابتداء ولا يكاد يدخل الماضى
بدون قد لانها لتأكيد مضمون الجملة الاسمية نحو لزيد قائم او لتأكيد المضارع نحو ليضرب زيد لكن قد تقرب الماضى من الحال فيصير الماضى
كالمضارع مع تناسب معنى قد معنى اللام فى التحقيق وعند الكوفيين يقدر القسم قيل عن ابن عباس ان هؤلاء القوم كانوا فى زمن داود
بايلة على ساحل البحر بين المدينة والشام وهو مكان من البحر يجتمع اليه الحيتان من كل ارض فى شهر من السنة حتى لا يرى الماء لكثرتها وفى
غير ذلك الشهر فى كل سبت خاصة فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا اليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم الاحد فذلك
الحبس فى الحياض هو اعتداؤهم ثم انهم اخذوا السمك واستغنوا بذلك وهم خائفون من العقوبة فلما طال العهد استسن الابناء سنة الآباء
واتخذوا الاموال فمشى اليهم طوائف من اهل المدينة الذين كرهوا الصيد فى السبت فنهوهم فلم ينتهوا وقالوا نحن فى هذا العمل منذ زمان
فما زادنا الله به الا خيرا فقيل لهم لا تغتروا بذلك فربما ينزل بكم العذاب والهلاك فاصبح القوم وهم قردة خاسئين فمكثوا ثلاثة ايام ثم ماتوا
قال بعضهم وفى الكلام حذف اى ولقد علمتم اعتداء الذين اعتدوا ليكون المذكور من العقوبة جزاء لذلك والسبت مصدر سبتت
اليهود اذا عظمت يوم السبت الا ان عند بعضهم ما نفس الاصطياد لانهم امروا فيه بالتجرد للعبادة فتجاوزوا وتركوا ما امروا واشتغلوا بالصيد واما
الاصطياد مع استحلاله فقوله كونوا المراد منه سرعة الايجاد واظهار القدرة وان لم يكن هناك قول لقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له
كن فيكون قردة خاسئين خبران اى كونوا جامعين بين القردية والخسوء وهو الصغار والطرد عن مجاهد انه مسخ قلوبهم بمعنى الطبع والختم
لا انه مسخ صورهم وهو مثل قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا او نظيره ان يقول الاستاذ للمتعلم البليد الذى لا ينجع فيه تعليمه كن حمارا واحتج بان
الانسان هو هذا الهيكل المحسوس فاذا ابطله وخلق مكانه تركيب القرد رجع حاصل المسخ الى اعدام الاعراض التى باعتبارها كان ذلك الجسم انسانا
وايجاد اعراض اخر باعتبارها صار قردا وايضا لو جوزنا ذلك لم نأمن فى كل ما نراه قردا او كلبا انه كان انسانا عاقلا وذلك شك فى المشاهدات
واجيب بان الانسان ليس هذا الهيكل لتبدله بالسمن والهزال فهو امر وراء ذلك اما جسمانى سار فى جميع البدن او جزء فى جانب من البدن
كقلب او دماغ او مجرد كما يقوله الفلاسفة وعلى التقادير فلا امتناع فى بقاء ذلك الشىء مع تطرق التغير الى هذا الهيكل وهذا هو المسخ وبهذا
التأويل يجوز ان الملك الذى يكون جثته فى غاية العظم ان يدخل حجرة الرسول ولانهم يتغير منهم الا الخلقة والصورة والعقل والفهم باق
فانهم يعرفون ما نالهم بشؤم المعصية من تغير الخلقة وتقبيح الصورة وعدم القدرة على النطق وسائر الخواص الانسانية فيتألمون بذلك
ويتعذبون ثم اولئك القردة بقوا او افناهم الله وان بقوا فهذه القردة التى فى زماننا من نسلهم ام لا الكل جائز عقلا الا ان الرواية
عن ابن عباس انهم ما مكثوا الا ثلاثة ايام ثم هلكوا فجعلناها اى المسخة او القردية او قرية اصحاب السبت او هذه الامة نكالا عقوبة شديدة

رادعة عن الاقدام على المعصية والنكول عن اليمين الامتناع عنها ولم يقصد به التطيقصد الناس من التشفي واطفاء ثائرة الغيظ وانما جعلنا عبرة لما قبلها ومعها وبعدها من الامم والقرون لان مسخهم ذكر في كتب الاولين فاعتبروا بها وسيبلغ خبرها الى الاخرين فيعتبرون او اريد بما بين يديها ما بحضرتها من القرى والامم او جعلناها عقوبة لجميع ما ارتكبوه قبل هذا الفعل وبعده هكذا قال بعضهم والاولى عندي ان يقال جعلناها عقوبة لاجل ذنوب تقدمت منهم ولاجل ذنوب تاخرت عنها لانهم ان لم يكونوا ممسوخين لم ينتهوا عنها فهم في حكم المرتكبين لها ولا يلزم من ذلك تجويز العقاب على الذنب المفروض او الموهوم لان اعتبار العقوبة في نفسها واحدة ثابتة على ما علم الله تعالى انه لاجل الذنب المتاخر شئ فليس الامر فيه كمن ضرب عبده لاجل الاباق المتقدم ما نزجلته ولاجل الاباق المتاخر لتوبته ان الاخرى ولكنه كمن قيد عبده او حبسه لاجل الاباق المتقدم والاباق المترقب والله اعلم وموعظة للمتقين لان منفعة الاتعاظ تعود اليهم لا الى غيرهم مثل هدى للمتقين او ليعظ المتقون بعضهم بعضا وقيل للمتقين الذين نهوهم عن الاعتداء من صالحي قومهم

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً

و چون گفت موسی ازبرای قوم خود که خدا میفرماید شما را که بکشید گاوی را

قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ

گفتند که آیا گرفته ما را ریشخند گفت پناه میبرم بخدا که بوده باشم از جهلاء آن گفتند که بخوان ازبرای ما خدای خود را که ظاهر کند برای ما که چیست گفت

إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا

خدا میفرماید که آن گاویست نه سالخورده و نه جوان متوسط در میان اینها پس بکنید آنچه فرموده شده گفتند که بخوان ازبرای ما پروردگار خود را که آشکار کند

مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ

چیست رنگ آن گفت که او میگوید که آن گاویست زرد درخشنده که رنگش فرح دهد نگرندگان را گفتند که بخوان خدای خود را که بیان کند که چیست آن

إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا

که گاو مشتبه شد بر ما و ما اگر خدا خواهد هر آینه راه یافتگانیم گفت که او میگوید که آن گاویست نه رام است که شخم کند زمین را و نه

تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا

آب دهد کشت را باشد بی‌عیب که نباشد رنگی دیگر در آن گفتند که حال آوردی حق مطلب پس سر بریدند آن را و نزدیک نبود که بکنند و چون کشتید نفسی را

فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ

پس بیکدیگر بستید او را و خدا بیرون آورنده آنچه را که پنهان میداشتید پس گفتیم که بزنید آن کشته را بپاره‌ای از آن همچنین زنده گرداند خدا مردگان را و بنماید نشانهای خود

لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ

شاید که شما دریابید پس سخت شد دلهای شما پس از این پس آن مانند سنگ است یا سخت‌تر و بدرستیکه بعضی از سنگها هر آینه روان میشود از آن نهرها

وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ القراءة يامركم بالاسكان

و بعضی از آن هر آینه شکافته میشود پس بیرون آید از آن آب و بعضی از آن فرود آید از ترس خدا و نیست خدا بیخبر از آنچه میکنید

ابو عمرو وكذلك كل فعل مستقبل مهموز من ذوات الراء هزؤا ساكنة الزاء مهموز حمزة وخلف وعباس والمفضل واسمعيل وقرا حمزة مبدلة الواو من الهمزة في الوقف لمكان الخط وقرا حفص عن الخزاز مثقلا غير مهموز الباقون مثقلا مهموزا جئت بالآن بغير همز ابو عمرو ويزيد والاعشى وحمزة في الوقف ادارأتم بغير همز ابو عمرو ويزيد والاعشى والاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف عما يعملون بالياء التحتانية ابن كثير الوقوف بقرة ط هزوا ط الجاهلين نصف الجزء ما هي ط ولا بكر ط لان التقدير هي عوان بين ذلك ط على تقدير فقد تبين لكم فافعلوا ما تؤمرون ما لونها ط صفراء لا الى الحر الاية لان الجملة صفة بعد صفة الناظرين ما هي لا لان التقدير فان البقر ولان البقر لاجله لعله تكرار السؤال علينا ط لمهتدون الحرث ج لان قوله مسلمة صفة بقرة وخبر مبتدأ محذوف اي هي مسلمة لا شية فيها ط جئت بالحق ط لان التقدير فطلبوها فوجدوها فذبحوها يفعلون فادارأتم فيها ط تكتمون ج للاية والفاء بعدها ببعضها ط لان التقدير فضربوه فحيي فقيل لهم كذلك يحيي الله الموتى تعقلون قسوة ط الانهار ط الماء ط خشية الله ط للتفصيل لكثر الفائدة تعملون التفسير عن ابن عباس ان رجلا من بني اسرائيل قتل قريبا له لكي يرثه ثم رماه في مجمع الطريق ثم شكا ذلك الى موسى فاجتهد موسى في تعرف القاتل فلما لم يظهر قالوا له سل لنا ربك حتى يبينه فسأله فاوحى اليه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة فتعجبوا من ذلك فشددوا على انفسهم بالاستفهام حالا بعد حال واستقصوا في طلب الوصف فلما تعين لم يجدوها بذلك النعت الا عند يتيم وذلك انه كان في بني اسرائيل شيخ صالح له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر وكان برا بوالديه فشبت وكانت من احسن البقر واسمنها فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير وكانوا طلبوا البقرة اذا لبثت بثمنها وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة اربعين سنة فذبحوها وامر موسى ان ياخذوا عضوا منها فيضربوا به القتيل ففعلوا فصار المقتول حيا وسمى لهم قاتله وهو الذي ابتدأ الشكاية فقتلوه قودا واعلم ان تاخير البيان عن وقت الحاجة ممتنع بالاتفاق الا عند مجوز تكليف ما لا يطاق واما تاخيره الى وقت الحاجة فمختلف فيه فالمجوزون استدلوا

ع

فيه حكاية ذبح البقرة لقتيل من بني اسرائيل

بالاية قالوا امروا بذبح بقرة معينة بدليل تعيينها بسؤالهم عنها وبدليل انه لم يؤمر بتجديد بل المامور به في الثانية هو المامور به في الاولى للاتفاق على تبدل
المطابقة للذبح والمانعون قالوا معناه اذبحوا اية بقرة شئتم بدليل تنكير بقرة وهو ظاهر في ان المراد بقرة غير معينة وبدليل ابن عباس لو ذبحوا
بقرة ما لاجزأهم ولكنهم شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم وبدليل التعنيف في قوله وما كادوا يفعلون ولو كانت معينة لما استحقوا التعنيف على
السؤال اجيب بان ترك الظاهر يجوز لموجب ج وما نقل عن ابن عباس خبر الواحد التعنيف يجوز ان يكون لتفريطهم في الامتثال بعد حصول
البيان التام ويتفرع على قول المانعين ان التكليف يكون متغايرا فكلفوا في الاول اى بقرة كانت وثانيا ان يكون لا فارضا ولا بكرا بل عوانا
فلما لم يفعلوا ذلك كلفوا ان يكون لا ذلولا تثير الارض ولا تسقي الحرث ثم اختلف القائلون بهذا المذهب منهم من قال في التكليف الواقع
اخيرا يجب ان يكون مستوفيا لكل صفة تقدمت حتى تكون البقرة مع الصفة الاخيرة لا فارضا ولا بكرا وصفراء فاقعا لونها ومنهم من يقول
انما يجب كونها بالصفة الاخيرة فقط وهذا اشبه بظاهر الكلام اذا كان تكليفا بعد تكليف وان كان الاول اشبه بالروايات وبطريقة التشديد
عليهم عند ترك الامتثال واذا ثبت ان البيان لا يتأخر وانه تكليف بعد تكليف دل ان الاسهل قد ينسخ بالاشق فان المرء لولده قد يأمره بالسهل
اختيارا فاذا امتنع الولد منه فقد يرى المصلحة ان يأمره بالصعب بل يدل على جواز النسخ قبل الفعل وان لم يجز قبل وقت الفعل وامكانه لادائه
الى البداء ويدل على وقوع النسخ في شرع موسى عم ويدل ايضا على ان الزيادة في الخطاب نسخ له اتتخذنا هزوا استفهام الانكار معناه لا تجعلنا مكان
هزؤ او اهل هزؤ او مهزوا بنا او الهزء نفسه لفرط الاستهزاء كان القوم ظنوا انه يداعبهم لانه من المحتمل ان موسى عم امرهم بذبح البقرة وما
اعلمهم انهم اذا ذبحوا البقرة وضربوا القتيل ببعضها صار حيا فلا جرم وقع هذا القول منهم موقع الهزء ويحتمل انه وان كان قد بين لهم كيفية
الحال الا انهم تعجبوا من ان القتيل كيف يحيا بان يضرب ببعض اجزاء البقرة واختلف العلماء ههنا فمن بعضهم تكفيرهم بهذا القول لانهم
ان شكوا في قدرة الله تعالى على احياء الموتى فقد كفروا وان شكوا في ان الذي امرهم به موسى عم هل هو بامر الله فقد جوزوا الخيانة على موسى عم
في الوحي وذلك ايضا كفر وعن اخرين انه لا يوجب الكفر لان المداعبة على الانبياء جائزة فلعلهم ظنوا انه يداعبهم مداعبة حقة والمراد ما اجبت هذا
الجواب كانك تستهزئ بنا الا انهم حققوا على موسى الاستهزاء من الجاهلين اطلاقا لاسم السبب على المسبب فان الاشتغال بالاستهزاء لا يكون الا بسبب
الجهل ومنصب النبوة يجل عن ذلك كما يقول الرجل عند مثل ذلك اعوذ بالله من عدم العقل وغلبة الهوى واعوذ بالله ان اكون من الجاهلين
لما في الاستهزاء من نقصان الدين والعقاب الشديد وقيل نفس الهزء قد يسمى جهلا فان الجهل ضد الحلم كما انه ضد العلم ثم ان قيل ان
المامور بذبحه بقرة معينة في نفسها غير مبينة التعيين حسن موقع سؤالهم لان المامور به لما كان مجملا حسن الاستفسار والاستعلام اما
على قول القائل انها للعموم فلا بد من بيان انه ما الذي حملهم على هذا الاستفسار فذكروا وجوها احدها انه لما اخبرهم بشان البقرة تعجبوا وظنوا
ان البقرة التي لها مثل هذه الخاصية لا يكون الا بقرة معينة فلا جرم استقصوا في السؤال عن وصفها كعصا موسى المخصوصة من بين سائر العصا
بتلك الخواص الا ان القوم كانوا مخطئين في ذلك لان هذه الاية العجيبة لا يكون خاصية البقرة بل كانت معجزة يظهرها الله على موسى ولعل القوم
ارادوا فعل اى بقرة كانت الا ان القاتل خاف من الفضيحة فالقى شبهة في البين فقال المامور به بقرة معينة لا مطلق البقرة فلما وقعت المنازعة
رجعوا الى موسى والخطاب فافاد العموم الا ان القوم ارادوا الاحتياط فسألوا وامر للبيان وازالة الاحتمال الا ان المصلحة تغيرت واقتضت الامر
بذبح البقرة المعينة فان قيل السؤال بما هو لطلب الحقيقة والحقيقة لا تعلم الا باجزائها ومقوماتها لا باوصافها الخارجية فالجواب بالاوصاف
الخارجية لا يكون مطابقا للسؤال قلنا من البين انه مقصودهم من قولهم ما البقرة ليس طلب ماهيتها النوعية فان ذلك كالمفروغ منه عندهم
وانما وقع السؤال عن المشخصات فالذي يقتضي ان يقال اى بقرة هي فان مطلب اى السؤال عن الصفات الذاتية او الخواص وحسب العدد لا الماهية
الحقيقة النوعية فان الشخص من حيث هو شخص حقيقة اخرى فقد يطلب تصورها واما لانهم تصوروا ان البقرة التي لها هذه الخاصية العجيبة حقيقتها
مغايرة لحقيقة سائر البقرات وان كانت صورتها موافقة لصورها واما لان السؤال عن الجزئيات كزيد وعمرو انما يكون بما اذا كانت لها
للعوارض ههنا الجزئي فبزيد جعل مناسب بقيام ما مقام من الفارض المسنة وقد فرضت فروضا اى فرضت كطالت كانها فرضت سنها اى
قطعتها وبلغت اخرها والبكر الفتية وكان الاظهر انها التي لم تلد كما في الانسان والعوان النصف قال شعر نواعم بين ابكار وعون فان قيل
قالوا انها نصف فان المسن نصيفها الذي مضى وقد عونت وقد يستدل من هذا على جواز الاجتهاد واستعمال غلبة الظن في الاحكام اذ لا يعلم
انها بين الفارض والبكر الا بطريق الاجتهاد وانما جاز دخول بين على لفظ ذلك مع انه لا يدخل الا على متعدد لانه في معنى شيئين حيث وقع مشارا
به الى ما ذكر من الفارض والبكر وانما اشير بذلك الى مؤنثين وهو للاشارة الى الواحد المذكر على تأويل ما ذكر وما تقدم للاختصار في الكلام فافعلوا ما تؤمرون
مثل امرتك الخير فافعل ما امرت به بمعنى ما تؤمرون به او امركم بمعنى مأموركم تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير فيها بين لهم كمال حالها في السن شرع
في تعريف حال اللون والفقوع اشد ما يكون من الصفرة وابلغه في التوكيد اصفر فاقع مثل اسود حالك واحمر قان وارتفع اللون على انه فاعل فاقع
والفرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها ان في الثاني تاكيدا ليس في الاول لان اللون اسم للهيئة وهي الصفرة فكانه قيل شديد
الصفرة صفرتها مثل جد جده وجنونه مجنون وعن وهب اذا نظرت اليها خيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها والسرور لذة نفسانية تعرض عند

اعتقاد او علم او ظن بحصول شئ لذيذ او نافع وعن علي من لبس نعلا صفراء قل همه لقوله تسر الناظرين وعن الحسن البصري صفراء فاقع لونها سوداء شديدة السواد ولعله مستعار من صفة الابل لان سوادها تعلوه صفرة وبه فسر قوله تعالى كانه جمالات صفر ان البقر تشابه علينا لان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير وانا ان شاء الله لمهتدون عن النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لو لم يقولوا ان شاء الله لحيل بينهم وبينها ابدا وفيه دليل على ان الاستثناء مندوب في كل عمل صالح يراد تحصيله ففيه استعانة بالله وتفويض الامر اليه والاعتراف بقدرته ونفاذ مشيئته الازلية وارادته السرمدية ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن والمعنى انا بمشيئة الله نهتدي للبقرة المامور بذبحها عند تحصيلنا اوصافها التي بها تمتاز عما عداها او انا على هدى في استقصاء السؤال اي نرجوا انا لسنا على ضلال فيما نفعله من هذا البحث او انا بمشيئة الله تعريفها ايانا بالزيادة لنا في البيان لمهتدون لها او انا ان شاء الله لمهتدون للقاتل لا ذلول صفة لبقرة بمعنى لا فارض اي بقرة غير ذلول لم تذلل الكراب واثارة الارض ولا هي من النواضح التي يسنى عليها لسقي الحرث لا الاولى للنفي والثانية مزيدة للتوكيد لان المعنى لا ذلول تثير الارض وتسقي على ان الفعلين صفتان لذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وذل ما لكسر اللين ضد الصعوبة ودابة ذلول بينة الذل فعول بمعنى فاعل ولهذا استوى فيه المذكر والمؤنث تقول رجل صبور وامراة صبور مسلمة اي سلمها الله تعالى من العيوب مطلقا او معفاة من العمل وحشية مرسلة عن الحبل او مخلصة اللون لم يشب صفرتها شئ من الالوان وعلى هذا يكون لا شية فيها كالبيان والشية كل لون يخالف معظم لون الفرس وغيره اي لا لون فيها يخالف سائر لونها فهي صفراء كلها حتى قرنها وظلفها وهي في الاصل مصدر وشاه اذا خلط بلونه لون آخر اصلها وشية حذفت فاؤها كما في عدة ودية الآن اسم للوقت الذي انت فيه وهو ظرف غير متمكن وقع معرفة ولم يدخل لا لعهد اللام فيه للتعريف لانه لم يسبق ما اشير به وهو يليه جئت بالحق اي بحقيقة وصف او ما بقي اشكال في امرها وحصلوا البقرة الجامعة لهذه الاوصاف فذبحوها والذبح هو قطع على العنق وهو المستحب في الغنم والبقر والنحر هو قطع اللبة اسفل العنق وهو المستحب في الابل والمرعي في الحالتين قطع الحلقوم والمريء لكن عنق الابل طويل فاذا قطع اعلاه تباطا الزهوق ولا يكره الذبح في الابل والنحر في البقر والغنم وان كان خلاف المستحب وما كادوا يفعلون استبطاء لهم وانهم لكثرة استكشافهم ما كاد ينقطع خيط اسهابهم وما كادوا يذبحونها لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة في ظهور القاتل وقد يستدل بهذا على ان الامر للوجوب بل للفور والا لما ترتب هذا الذم على تثاقلهم واذ قتلتم نفسا خوطب الجماعة لوجود القتل فيهم فادارأتم فيها فاختلفتم واختصمتم في شانها لان المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضا اي يدفعه ويزحمه وينفي كل واحد منكم القتل عن نفسه ويضيفه الى غيره او يدفع بعضكم بعضا عن البراءة والتهمة واصله تدارأتم ادغمت التاء في الدال فاحتيج الى همزة الوصل ويحتمل ان يرجع الضمير فيها الى القتلة المعلومة من قتلتم والله مخرج مظهر لا محالة ما كنتم تكتمون من امر القتل وقد حكى ما كان مستقبلا في وقت التدارؤ كما حكى الحاضر في قوله وكلبهم باسط ذراعيه وهذا مع ما بعده اعني البعل جملة معترضة وفيها دليل على جواز عموم النص الوارد على السبب الخاص لانه يتناول لكل المكتومات وفيها دليل على ان الله تعالى لا يجب البقاء وانه سيجعل الى تزاوله سبيلا واضاليب العبد من خير او شر ودوام ذلك منه فالله سيظهره ويعضده قوله تعالى ان عبدا لو اطاع الله تحت وراء سبعين حجابا لاظهر الله ذلك على السنة الناس وكذلك المعصية والضمير في اضربوه عائد الى النفس والتذكير على تاويل الشخص والانسان ويحتمل ان يعود الى القتيل بدلالة ما كنتم تكتمون واختلف في البعض من البقرة فقيل لسانها وقيل عجبها وقيل العظم الذي يلي الغضروف وهو اصل الاذن وقيل الاذن وقيل البضعة بين الكتفين والظاهر انهم كانوا مخيرين في اي بعض ارادوا وههنا محذوف بدلالة الفاء الفصيحة والمعنى فضربوه فحيي فقلنا كذلك يحيي الله الموتى روي انهم لما ضربوه قام باذن الله واوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان وفلان وهما ابنا عمه ثم سقط ميتا فاخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك ويؤيده قول نبينا ليس للقاتل من الميراث شئ والسر فيه انه استعجل الميراث فناسب ان يعارض بنقيض مقصوده وهو قول الشافعي ولم يفرق بين ان يكون القتل حقا كالعادل اذا قتل الباغي او غير حق عمدا كان او خطاء وعند ابي حنيفة لا يرث في العمد والخطاء الا ان العادل اذا قتل الباغي فانه يرثه وقال مالك لا يرث من ديته ويرث من سائر امواله وهو كذلك نصب على المصدر اي يحيي الله الموتى مثل ذلك الاحياء وهذا الكلام اما مع الذين حضروا حيوة القتيل لانهم وان كانوا مؤمنين بذلك الا انهم لم يؤمنوا به لك من طريق العيان والمشاهدة وشتان بين عين اليقين وعلم اليقين واما ان يكون مع منكري البعث في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى هذا الاحتجاج الى تقدير فقلنا بعد تقديم حضور يوم ويريكم اياته دلائله على انه قادر على كل شئ منها دلالة هذه القصة على وجود الصانع القادر على كل المقدورات العالم بكل المعلومات المختار في الايجاد والاعدام ومنها دلالتها على صدق موسى عليه السلام ومنها دلالتها على براءة ساحة من لم يكن القاتل ومنها دلالتها على حشر الاموات بعينها وان كانت واحدة الا انها في الحقيقة ايات عدة ويمكن ان يراد بالايات غير هذه اي مثل هذه الارادة يريكم سائر الايات كما ان مثل هذه الاحياء يحيي سائر الاموات وفي قوله كذلك دون ان يقال كهذا تعظيم لشان المشار اليه وتبعيده كما قلنا في ذلك الكتاب لعلكم تعقلون تعملون على قضية عقولكم فان من قدر على احياء نفس واحدة قدر على احياء الانفس كلها اذ لا اختصاص في ذلك فان قيل ما الفائدة في ضرب المقتول ببعض البقرة مع انه قادر على احيائه ابتداء قلنا الفائدة فيه كون الحجة اكد وعن الحيلة ابعد كان الملحد ان يتوهم ان موسى انما احياه بضرب من السحر والحيلة بما انه من مس الميت بالميت حصول الحيوة علم انه ليس بحيلة وانه من الله تعالى وهو مسبب الاسباب

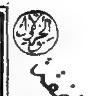

وما في ذبح البقرة من القربان واداء التكليف ولكسب الثواب لاشعارهم بحسن تقديم القربة على طلب الحوائج وما في التشديد عليهم لاجل
تشديدهم من اللطف لهم ولآخرين في ترك التشديد والمسارعة الى امتثال الامر على الفور ونفع اليتيم بالتجارة الرابحة والدلالة على بركة
البر بالابوين والاشفاق على الاولاد وتجهيل المستهزئ بما لا يعلم تأويله من كلام الحكيم وبيان ان من حق المتقرب الى الرب ان يكون من
احسن ما يتقرب به فتيّ السن حسن اللون بريئا من العيوب مثلا فيما انهم واخذ اياكم فانها على الشرط مطابا لكم فان قيل هلا قدم ذكر القتيل
على الامر بذبح البقرة كما هو حق القصة قلنا لانها لو كانت تكون في قصة واحدة ويذهب الغرض في تثنية التقريع بالاستهزاء وترك المبادرة الى الامتثال
اولا وبقتل النفس المحرمة وما تبعه من الآية ثانيا على انه دلت على اتحاد القصتين برجوع الضمير في بعضها الى البقرة وهي مذكورة في الاولى
قوله ثم قست قلوبكم الآية خطاب لليهود الذين كانوا في زمن موسى والذين هم في زمن محمد من بعد ذلك الاحياء او من بعد ذلك
الذي عددنا من جميع الآيات الباهرة المعجزات الظاهرة ومعنى ثم استبعاد القسوة من بعد ما يوجب اللين والرقة ووصف القلوب بالقسوة
والغلظ مثل لنبوها عن الاعتبار والاتعاظ فهي كالحجارة مثلها في القسوة او هي اشد قسوة من الحجارة فمن عرفها شبهها بالحجارة او قال
هي اقسى من الحجارة ويجوز ان يقدر مضاف اي كالحجارة او مثل اشد قسوة فمن عرفها شبهها بالحجارة او بجوهر اقسى من الحجارة كالحديد
مثلا وانما قيل اشد قسوة مع امكان بناء افعل التفضيل من فعل القسوة لكونه ادل على فرط القسوة ولانه لم يقصد معنى الاقسى ولكن قصد
وصف القسوة بالشدة كانه قيل اشتدت قسوة الحجارة وقلوبهم اشد قسوة منها وحذف منه الراجع لعلم الانسان نحو زيد كريم وعمرو
اكرم وكلمة او معناها ليست للشك في كلام الغيوب لكن الشيء وانما هي للتخيير اي ان شئت شبهت فكنت صادقا ولو جمعت بينهما جاز ثم اخذ
في بيان فضل قلوبهم على الحجارة في شدة القسوة فقال وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار اي ان منها الذي فيه خروق واسعة يتدفق
منها الماء الغزير وان منها الذي يشقق انشقاقا طولا او عرضا فينبع منه الماء وذلك بحسب كثرة المادة وقلتها فان الابخرة تجتمع في باطن
الارض فان كان ظاهر الارض رخوا انفشت فانفصلت وان كان صلبا حجريا اجتمعت فصارت مياها ولا تزال تتواتر مددها الى ان تنشق
الارض من مزاحمتها وتسيل انهارا او عيونا واما قلوب هؤلاء فلا تنشرح للحق ولا تتأثر من الوعظ والنصح بعد مشاهدة الآيات و
معاينة الدلائل وقيل يشقق اصله يتشقق فادغم التاء في الشين كقولهم يذكر في يتذكر وان منها لما يهبط الذي يتردى من اعلى الجبل وذلك من خشية الله
اما لانه تعالى خلق فيه الحيوة والعقل والادراك كما يروى من تسبيح الحصى في كف النبي واما لان الخشية مجاز عن انقيادها لامر الله وانها لا
تمتنع عما يريد بها من الاهباط والانفصال عن كلها وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تتأثر وقيل اي تنزل من اجل ان يحصل خشية الله في
قلوب عباده فيفزعون اليه بالتضرع والدعاء وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم يعني انه بالمرصاد لهؤلاء القاسية قلوبهم وحافظ لاعمالهم
فمجازيهم في الدنيا والآخرة كما فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا ووصفه تعالى بانه ليس بغافل لا يوهم جواز الغفلة عليه لان نفي الصفة عن الشيء
لا يستلزم ثبوت صحتها مثل لا تأخذه سنة ولا نوم التأويل في ذبح البقرة اشارة الى ذبح النفس البهيمية فان في ذبحها حيوة القلب الروحاني
وهو الجهاد الاكبر موتوا قبل ان تموتوا شعر اقتلوني يا ثقاتي ان في قتلي حيوتي وحيوتي في مماتي ومماتي في حيوتي من مات بالارادة يحيى بالطبيعة
وقال بعضهم من مات بالطبيعة يحيى بالحقيقة وانما هي بقرة نفس تصلح للذبح بسيف الصدق لا فارض من الشيخوخة فيعجز عن سلوك الطريق
لضعف القوى البدنية كما قيل الصوفي بعد الاربعين بارد ولا بكر في سن شرخ الشباب لشهوتها وسكرها عوان بين ذلك القوة حتى اذا بلغ اشده
وبلغ اربعين سنة بقرة صفراء اشارة الى صفرة وجوه اصحاب الرياضات فاقع لونها يريد انها صفرة زين لا صفرة شين فانها سيماء الصالحين
لا ذلول تثير الارض لا يجعلونه الطمع ولا يثير ماله الحرص من الدنيا لطلب زخارفها او مشتهياتها ولا تسقي حرث الدنيا بماء وجهه
عند الخلق وبماء وجاهته عند الخالق فيذهب ماؤه عند الحق وعند الخلق مسلمة من آفات صفاتها لاشية فيها علامة طلب غير الله وما
كادوا يفعلون بمقتضى الطبيعة لولا فضل الله وحسن توفيقه واذ قتلتم نفسا يعني القلب فادارأتم فاختلفتم انه كان من الشيطان ام من الدنيا
او من النفس الامارة فقلنا اضربوه ببعضها اضرب بلسان بقرة النفس المذبوحة بسكين الصدق على قتيل القلب بمداومة الذكر كذلك يحيي الله
عز وجل فقال ان النفس لامارة بالسوء وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار مراتب القلوب في القسوة مختلفة فالتي يتفجر منها الانهار قلوب
يظهر عليها الغليان انوار الروح بترك اللذات والشهوات بعض الاشياء المشبهة بخوارق العادات كما يكون لبعض الرهابين والهنود والتي
تشقق فيخرج منها الماء هي التي يظهر عليها في بعض الاوقات عند انخراق الحجب البشرية من انوار الروح فيريهم بعض الآيات المعاني المعقولة
كما يكون لبعض الحكماء وان منها لما يهبط من خشية الله وهو ما يكون لبعض اهل الاديان والملل من قبول عكس انوار الروح من وراء الحجب فيقع فيها
الخوف والخشية فهذه المراتب مشتركة بين المسلمين وغيرهم والفرق انها في المسلمين مؤيدة بنور الايمان فيزيد في قربهم وقبولهم ودرجاتهم
ولغيرهم ليست مؤيدة بالايمان فيزيد في غرورهم وعجبهم وبعدهم واستدراجهم والمسلمون مخصوصون بكرامات وفراسات تظهر لهم من تجلي
انوار الحق وتعبير برهانه فان هذه الآيات للخواص سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم ويريكم آياته لعلكم تعقلون لكن آية البرهان لاخص
الخواص كما قال في حق يوسف لولا ان رأى برهان ربه بمثل الحسن منصوص عن البرهان فصال اراد ان يرد على القلوب فتنجر النفوس عن تكذيبها

والله اعلم أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ

آیا پس امید دارید که بگروند شما را حال آنکه بود گروهی از ایشان که می‌شنیدند کلام خدا را پس تغییر میدادند آنرا پس از آنکه دریافته بودند آنرا

يَعْلَمُونَ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ

میدانستند و چون ملاقات کنند مر آنانرا که گرویده‌اند گفتند گرویدیم و چون خلوت کرد بعضی از ایشان با بعضی گفتند آیا حکایت میکنید ایشانرا آنچه گشوده خدا

عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ وَمِنْهُمْ

بر شما تا محاجه کنند با شما بآن نزد پروردگار شما آیا در نمی‌یابید آیا نمیدانند که خدا میداند آنچه را پنهان میکنند و آنچه را آشکار میکنند و از ایشان

أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا

بیسوادانند که نمیدانند کتاب مگر آرزوهای خام و نیستند مگر گمان میبرند پس وای بر آنانکه می‌نویسند کتاب را بدست خود پس میگویند که این

مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ

از نزد خداست تا بخرند بآن بهای اندک پس وای برایشان از آنچه نوشت دستهای ایشان و وای برایشان از آنچه کسب میکنند و گفتند که هرگز نرسد بما آتش

إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ

مگر چند روزی معین بگو آیا گرفته‌اید نزد خدا عهدی پس خلاف نکند خدا عهد خود را یا میگوئید بر خدا آنچه را نمیدانید

بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

آری هر که کسب کرد گناهی و احاطه کرد باو گناه او پس آن گروه یاران آتشند که ایشان در آن جاویدانند و آنانکه گرویدند و کردند

ع

الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ القراءة الأماني حيث كان خفيفا يزيد الا قوله تلك أمانيهم وليس بأمانيكم

شایسته‌ها آن گروه یاران بهشتند که ایشان در آنجا جاویدانند ولا أماني وغرتكم الأماني فأنا ربعهن بالإسكان عنده ما بدأ بهم بضم الهاء

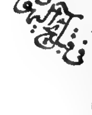

يعقوب وكذلك كل هاء كان قبلها ياء ساكنة خطيئاته بالجمع أبو جعفر ونافع الوقوف يعلمون أمناج والوصل أجوز لبيان حال ثنيها اللتا فسير وهو المقصود عند ربكم ط أفلا تعقلون يعلنون يظنون قليلا ط يكسبون معدودة ط ما لا تعلمون النار ج لان الجملة مبتدأ مع خبرها خالدون الجنة ج خالدون التفسير لما ذكر الله سبحانه وتعالى قبائح أسلاف اليهود وسوء معاملتهم مع نبيهم أردفها قبائح أخلاف المعاصرين لرسول الله فكأنه قيل إذا كان هذا أفعاله فيما بينهم فكيف تطمعون أيها النبي والمؤمنون في أن يؤمنوا أي يحدثوا الإيمان لأجل دعوتكم ويستجيبوا لكم كما فعل لوط وقد كان فريق منهم طائفة ممن سلف منهم يسمعون كلام الله وهو ما يتلونه من التوراة ثم يحرفونه كما حرفوا صفة رسول الله وآية الرجم وقيل هم قوم من الذين حضروا الميقات سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور وما أمر به ونهى عنه ثم قالوا سمعنا الله يقول في آخره إن استطعتم أن تفعلوا هذه الأشياء فافعلوا وإن شئتم فلا تفعلوا فلا بأس من بعد ما عقلوه فهموه وضبطوه بعقولهم من غير ما شبهة وهم يعلمون أنهم مفترون كذابون والمعنى إن كفر هؤلاء وحرفوا فلهم سابقة في ذلك كما تقول للرجل كيف تطمع أن يفلح فلان وأستاذه فلان يأخذ عنه لا عن غيره فهؤلاء المعلمة لا يقبلون إلا قول معلميهم وأحبارهم الذين تعمدوا التحريف عنادا أو لضرب من الأغراض الدنيوية وإذا لقوا أي اليهود قال منافقوهم آمنا بأنكم على الحق ونشهد أن صاحبكم صادق نجد نعته وصفته في كتابنا وإذا خلا بعضهم الذين لم ينافقوا إلى بعض الذين نافقوا قالوا عاتبين عليهم أتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التوراة من نعته وصفته مأخوذ من قولهم قد فتح على فلان في علم كذا أي رزق ذلك وسهل له طلبه وقال المنافقون لغيرهم يرونهم التصلب في دينهم أتحدثونهم إنكارا عليهم أن يفتحوا عليهم شيئا في كتابهم فينافقون المؤمنين وينافقون اليهود ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما أنزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم به وقولهم هو في كتابكم هكذا محاجة عند الله ألا تراك تقول هو في كتاب الله كذا وهو عند الله كذا بمعنى وحكي عن الحسن ليحاجوكم في ربكم لأن المحاجة فيما لزمهم من اتباع الرسل محاجة فيما بين يديه وقال الأصم يحاجوكم يوم القيامة عند المسألة فيكون زيادة في توبيخكم فكان القوم يعتقدون أن ذلك مما يزيد في فضيحتهم في الآخرة وقيل ليحاجوكم به على وجه الديانة والنصيحة لأن من يذكر الحجة على هذا الوجه فقد يقول لصاحبه أرخصت لك عند الله وأقمت عليك الحجة بيني وبين ربي فإن قبلت أحسنت إلى نفسك وإن جحدت كنت الخاسر بهذا الكتاب وقيل المعنى ليحاجوكم بذلك لأنه في حكم الله كما يقال فلان عندي عالم أي في اعتقادي وحكمي وهذا عند الشافعي حلال وعند أبي حنيفة كذا أفلا تعقلون أن ذلك لا يليق بما أنتم عليه أو لكم إذا لم تعقلوا تهموهم بالذي يحاجوكم به ويرجع ما له عليكم أولا يعلمون أن الله يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون ومن ذلك إسرارهم الكفر وإعلانهم الإيمان خوفهم الله تعالى بذلك كأنهم كانوا يرون أن الله يعلم السر والعلانية ومنهم أميون لا يحسنون الكتب فيطالعوا التوراة ويتحققوا ما فيها كأنه منسوب إلى الأم وهو أصل الشيء فالأمي على أصل فطرته لم يكتسب علما وكتابة لا يعلمون الكتاب التوراة إلا أماني واحدها أمنية على أفعولة من منى إذا قدر تقول منه تمنيت الشيء ومنيته غيري تمنية لأن المتمني يقدر في نفسه ويجوز ما يتمناه والأماني أنهم يرون أن الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا يؤاخذهم بخطاياهم وأن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم وما

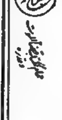

يسمعونها من الاحبار من ان النار لا تمسهم الا اياما معدودة وقيل الاماني الاكاذيب المختلقة التي سمعوها من علمائهم فيقبلوها على التقليد
يقال هذا شيء رويته او تمنيته اي اختلقته وذلك ان المختلق يقدر ان كلمته كذا بعد كذا وفي الصحاح انه مقلوب المين وهو الكذب وقيل
الاماني يقرؤن من قولهم تمنيت الكتاب قرأته قال الشاعر في عثمان شعر تمنى كتاب الله اول ليلة * وآخرها لاقى حمام المقادر * ولما
معه الكلمات كالمختلق وعلى هذا يكون الاستثناء متصلا كانه قيل لا يعلمون الكتاب الا بقدر ما يتلى عليهم فيسمعونه وبقدر ما يذكر
لهم فيقبلونه ثم انهم لا يتمكنون من التدبر والتامل وعلى الاول يكون استثناء منقطعا ومن قرأ اماني بالتخفيف حذف الشدة كما يقال مفاتح و
إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ كالمحقق لما تقدمه من قوله لا يعلمون الكتاب الا اماني ذكر الفرقة الضالة المضلة المحرفة ثم الفرقة المنافقين منهم ثم الفرقة
المجادلة لاهل النفاق ثم العوام المقلدة ونبه على انهم في الضلال سواء لان للعالم عليك ان يعمل بعلمه وعلى العامي ان لا يرضى بالتقليد والظن ان
كان متمكنا من العلم ولا سيما في اصول الدين والويل كلمة يقولها كل مكروب وعن ابن عباس انه العذاب الاليم وعن الثوري صديد اهل الجحيم
وعن رسول الله ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره وقال عطاء بن يسار الويل واد في جهنم لو ارسلت فيه الجبال
لماعت من حره ولا شبهة فيه لانها على غاية الوعيد والتهديد يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ المحرف بِأَيْدِيهِمْ تاكيد كما تقول للمنكر هذا ما كتبته بيمينك حكى
عنهم امرين كتبة الكتاب واسناده الى الله والوعيد مرتب على كل منهما وعلى مجموعهما الا انه على الثاني ابلغ وهذا اجتهم وقوله لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا
قَلِيلًا تنبيه على شقاوتهم فانهم استبدلوا النفع الحقير العاجل الزائل بالاجر العظيم الآجل الدائم فويل لهم مما كتبت ايديهم اي مما اسلفته من
كتبه ما لم يكن بحالهم وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ بذلك بعد من الرشى على التحريف وفي اعادة الويل في الكسب دليل على ان الوعيد كما يلحقهم بسبب
الكتبة واسنادها الى الله فكذلك يلحقهم بسبب اخذ المال عليها ليعلم ان اخذ المال على الباطل محرم وان كان بالتراضي وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا
النَّارُ نوع آخر من قبائح افعالهم وهو جزمهم بان الله تعالى لا يعذبهم إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قليلة وهذا الجزم مما لا سبيل اليه بالعقل البتة ولا
دليل الا سمعيا فلا يجزم به فلذلك الايام المعدودة قالوا اربعون يوما هي ايام عبادة العجل وعن مجاهد قالوا مدة الدنيا سبعة آلاف
سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما لان يوما عند الله الف سنة وايام معدودة ومعدودات كلاهما فصيح مثل الايام مضت
ومضين والعهد ههنا يجري مجرى الوعد والخبر لان خبره سبحانه كالعهد الموكد منا بالقسم والنذر وأَتَّخَذْتُمْ استفهام بطريق الانكار
وانه يدل على ان الدليل السمعي فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ لتنزهه سبحانه عن كل نقيصة وخلاف الخبر نقص النقائص فان قيل هب ان الخلف
في الوعد لوم ونقيصة لكنه في الوعيد كرم ولطف قلنا الخلف من حيث هو كذب قبيح لا يجوزه كامل وللفعل الكريم طريق آخر سوى هذا
فتامل أم اما معادلة بمعنى اي الامرين كائن على سبيل التقرير لان العلم واقع بكون احدهما وهذا من الكلام المنصف نحو وانا او
اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ويجوز ان يكون منقطعة بمعنى بل تقولون كانه اعرض عن الاستفهام الاول واستانف سؤالا
ثانيا فالاستفهام الاول لتقرير النفي والاستفهام الثاني لتقرير الاثبات وفي الآية تنبيه على ان القول بلا دليل باطل وان كل ما جاز
وجوده وعدمه عقلا لم يجز المصير الى الاثبات والى النفي الا بدليل سمعي ولا حجة لمنكري القياس وخبر الواحد فيه لان لما دل الدليل على وجوب
العمل عند حصول الظن المستند الى القياس والى خبر الواحد كان وجوب العمل معلوما فكان القول به قولا بالمعلوم بَلَى اثبات لما بعد حرف
النفي وهو قوله لن تمسنا النار اي بلى تمسكم ابدا بدليل قوله هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ عن ابن عباس وجد اهل الكتاب ما بين طرفي جهنم مسيرة
اربعين سنة فقالوا لن نعذب في النار الا ما وجدنا في التورية واذا كان يوم القيمة اقتحموا في النار فساروا في العذاب حتى انتهوا الى سقر
وفيها شجرة الزقوم الى آخر يوم من ايام المعدودة قال لهم خزنة اهل النار يا اعداء الله زعمتم انكم لن تعذبوا في النار الا اياما معدودة
فقد انقضى العدد وبقي الابد تلت في مثل حالهم ضلال الغلاة الفلاسفة القائلون بان الارواح وان صارت مكدرة بقبائح افعال الا
الا انها بعد المفارقة ورجوع العناصر الى اصلها تصير الى حظائر القدس ولا يزاحمها شيء من نتائج الاعمال الا اياما معدودة بقدر
الارواح عن لبانات التعلقات الحيوانية ثم تتخلص من العذاب ترجع الى حسن الماب ومنهم من زعم ان استيفاء اللذات الحسية يقلل
الدنيوية ويسهل عروج الروح الى عالمه العلوي كل هذا خيال فاسد ومتاع كاسد انه قول من لم يجرب حاله يجد من نفسه انها كيف تتلذذ
وتتكدر بالاخلاق الذميمة البهيمية والسبعية كيف تصفو وتتطهر بالاخلاق الحميدة الروحانية الملكية فهذه تصدأ مرآة القلب بحيث
لا يبقى فيه شيء من الصفاء الفطري كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فلا يجلوها الا مرور الدهور وكرور الاعصار وتقدم
الكفر الى تلك الاخلاق فيبقى خالدا مخلدا في النار فويل طويل عريض ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا وسيئة
اصلها سيوءة من ساء يسوء مساءة فقلبت الواو ياء وادغمت وهي من الصفات الغالبة وقوله سيئة يتناول جميع المعاصي صغيرها وكبيرها
نضم اليها شرط آخر وهو كون السيئة محيطة به فيختص بالكبيرة ولفظ الاحاطة حقيقة في الجسمانيات كاحاطة السور بالبلد والظرف بالمظروف
فنقل الى الخطيئة وهي عرض لعلتين من جهة ان المحيط يستر المحاط به والكبيرة تستر الطاعات ومن جهة ان الكبيرة تحيط الطاعات و
تستولي عليها احاطة العدو بالانسان بحيث لا يتمكن الانسان من الخلاص عنهم والايراد ورد في اليهود فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص

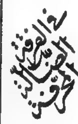

السبب بمثلها فيتمسك المعتزلة في اثبات الوعيد لاصحاب الكبائر اذا ماتوا قبل التوبة وفسر بعضهم الخطيئة المحيطة بالكفر فيه يتحقق الاحاطة التامة واعلم ان في المسئلة خلافا لاهل القبلة منهم من قطع بوعيدهم اما مؤبدا وهو قول جمهور المعتزلة والخوارج واما منقطعا وهو قول بشر المريسي والخالدي ومنهم من قطع بانه لا وعيد لهم وينسب الجمهور الى مقاتل بن سليمان المفسر والذي عليه اكثر الصحابة والتابعين واهل السنة والامامية القطع بانه سبحانه يعفو عن بعض العصاة وانه اذا عذب احدا فلا يعذبه ابدا لكنا نتوقف في حق البعض المعفو عنه والبعض المعذب على التعيين اما المعتزلة فاستدلوا بعمومات وردت في وعيد الفساق كقوله ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وقوله ان الفجار لفي جحيم وقوله ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا ومن شرب الخمر في الدنيا ولم يتب منها لم يشربها في الآخرة ومن قتل نفسا معاهدا لم يرح رائحة الجنة الذي يشرب في آنية الذهب والفضة انما يجرجر في بطنه نار جهنم وعن ابي سعيد الخدري قال والذي نفسي بيده لا يبغضنا اهل البيت رجل الا ادخله النار ولذا استحقوا النار بعضهم فلان يستحقوا النار بقتلهم اولى واجيب بالمنع ان هذه الصيغ للعموم بدليل صحة ادخال الكل والبعض عليها نحو كل من دخل داري فله كذا وبعض من دخل لا يلزم منه تكرير ولا تناقض ولان الاكثر قد يطلق عليه لفظ الكل ولاحتمال المخصصات القاطعون بنفي العقاب عن اهل الكبائر احتجوا بنحو قوله تعالى ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى وبالعمومات الواردة في الوعد مثل والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك الآية حكم بالفلاح على كل من آمن وعورض بعموم الوعيد اما اصحابنا الذين قطعوا بالعفو في حق البعض والتوقف في البعض فقد تمسكوا بنحو قوله عز من قائل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وبان عمومات الوعد والوعيد لما تعارضتا فلا بد من الترجيح لجانب الوعد بصرف التاويل اليه لان العفو عن الوعيد مستحسن في العرف واهمال الوعد بالضد ولان القرآن مملوء من قوله عفو غفور رحيم كريما وكذا الاخبار وهذا المعنى يكاد يبلغ حد التواتر وايضا ان صاحب الكبيرة اتى بما هو افضل الخيرات وهو الايمان ولم يأت بما هو اقبح القبائح وهو الكفر بل بما دونه مما سوى الكفر من المعاصي ولهذا قال يحيى بن معاذ الرازي الهي اذا كان توحيد ساعة يهدم كفر خمسين سنة فتوحيد خمسين سنة كيف لا يهدم معصية ساعة الهي لما كان الكفر لا ينفع معه شيء من الطاعات كان مقتضى العدل ان الايمان لا يضر معه شيء من المعاصي واذا ثبت الايات على الوعد والوعيد فلا بد من التوفيق بينهما فاما ان يصل العبد الى دار الثواب ثم الى دار العقاب وهو باطل بالاجماع او يصل اليه العقاب ثم ينقل الى دار الثواب يبقى هناك ابد الآباد وهو المطلوب واعلم ان مذهب الاصحاب اقرب الى الادب من حيث انهم يصفونه بصفات الجمال كالعفو والمغفرة وبصفات الجلال كالقهر والانتقام ولكن لا يوجبون عليه ثوابا ولا عقابا لانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ومن ثم انهم لا يعينون البعض المستحق للثواب ولا البعض المستحق للعقاب من المسلمين لان فعله مبرأ عن التعليل بلواحق الغايات وسوابق البواعث ومذهب المعتزلة الى الاحتياط اقرب فلعن من خوفك حتى تبلغ الامن خير من امنك حتى تبلغ الخوف

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَآتُوا الزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ثُمَّ أَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ

(ترجمه میان سطور:) و یاد کنید چون گرفتیم پیمان از بنی اسرائیل که نپرستید مگر خدا را و به پدر و مادر نیکوئی کردن و صاحب خویشی و یتیمان و بیچارگان و گوئید مردمان را خوب و بر پای کنید نماز را و بدهید زکوة را پس برگشتید مگر اندکی از شما و شما روی گردانندگانید و چون گرفتیم پیمان شما که نریزید خونهای خود را و بیرون نکنید خود را از خانهای خود پس اقرار کردید و شما گواهی میدهید پس شما ای گروه میکشید خود را و بیرون میکنید گروهی را از خانهاشان پشت میدهید برایشان بگناه و ستم و اگر آیند بشما اسیران فدیه دهید ایشان را و حال آنکه حرام است بر شما بیرون کردن ایشان آیا ایمان میآورید به پارهٔ کتاب و کافر میشوید به پاره پس نیست جزای آنکه میکند این را از شما مگر رسوائی در زندگانی دنیا و روز قیامت برگردانیده شوند بسوی سخت‌ترین عذاب و نیست خدا بیخبر از آنچه میکنید ایشان آنانند که خریدند زندگانی دنیا را بآخرت پس سبک کرده نشود از ایشان عذاب و نه ایشان یاری کرده شوند

القراءة لا يعبدون بالياء للغيبة ابن كثير وحمزة وعلي والمفضل القربى بالامالة المفرطة حمزة وعلي وخلف وقرأ ابو عمرو بالامالة اللطيفة وكذلك كل كلمة على وزن فعلى حسنا بفتحتين يعقوب وحمزة وعلي وخلف والمفضل تظاهرون خفيفا عاصم وحمزة وعلي وخلف وحذف احدى التائين بالتخفيف والباقون بالتشديد وحذفها الى التاء في الظاء اسارى بالامالة تفدوهم ابو عمرو وخلف اسارى مفتحا تفدوهم ابن كثير وابن عامر اسرى بالامالة تفادوهم حمزة اسارى بالامالة تفادوهم علي والبخاري عن ورش والخزاز عن هبيرة والباقون

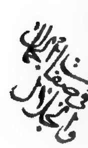

اساري تفادوهم تردون بتاء الخطاب ابو زيد عن المفضل يعملون بياء الغيبة ابن كثير ونافع وخلف ويعقوب وابو بكر وحماد بتاء الخطاب
الكلام على اوله الباقون بالتاء تغليبا للخاطبين على الغيب الوقوف الزكوة ط الا ان ثم لترتيب الاخبار اي ثم مع ذلك توليتم معرضون تشهدون
من ديارهم ز لان تظاهرون يشبه ستينا فا وكونه حالا او جز العدوان ط اخراجهم ط ببعض ج لابتداء الاستفهام او النفي مع فاء التعقيب
الدنيا ج لعطف الجملتين المختلفتين العذاب ط يعملون ط بالاخرة ز لان الفعل مستأنف مع فاء التعقيب الجزاء ينصرون التفسير انه سبحانه
كلفهم باشياء الاول قوله لا تعبدون الا الله بياء الغيبة فلانهم غيب ومن قرأ بتاء الخطاب فلحكاية ما خوطبوا به في اعرابه اقوال احدها

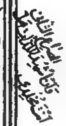

انه اخبار في معنى النهي كقولك تذهب الى فلان تريد الامر ابلغ من صريح الامر والنهي كانه سورع الى الامتثال فهو يخبر عنه ويؤيد هذا القول
عطف قولوا واقيموا عليه ثانيها التقدير ان لا تعبدوا فلما حذفت ان رفعت كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى ويحتمل ان تكون ان مفسرة
وان تكون مع الفعل بدلا من الميثاق كانه قيل اخذنا ميثاق بني اسرائيل توحيدهم وثالثها هو جواب قوله اخذنا ميثاق بني اسرائيل اجراء
له مجرى القسم كانه قيل واذ اقسمنا عليهم لا تعبدون وهذا التكليف بالحقيقة يتضمن جميع ما لا بد منه في الدين لان الامر بعبادته والنهي
عن عبادة غيره مسبوق بالعلم بذاته سبحانه وجميع ما يجب له ويستحيل عليه ومسبوق ايضا بالعلم بكيفية تلك العبادة التي لا سبيل الى معرفتها
الا بالوحي والرسالة التكليف الثاني قوله وبالوالدين احسانا معناه يحسنون بالوالدين احسانا بالياء لا يعبدون او احسنوا بالتاء في قولوا
ويمكن ان يقدر وصيناهم عطفا على اخذنا وهذا انسب لمكان الباء ولا بد من تقدير القول ما قبل لا تعبدوا وما قبل احسنوا وما قبل
قولوا وانما جعل الاحسان الى الوالدين تاليا لعبادته تعالى لوجوه منها انهما سبب وجود الولد كما انهما سبب التربية وغير الوالدين قد يكون سبب التربية
فقط فلا انعام بعد انعام الله تعالى اعظم من انعام الوالدين ومنها ان انعامهما يشبه انعام الله تعالى من حيث انهما لا يطلبان بذلك ثناء ولا ثوابا انما
نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ومنها انه تعالى لا يمل من انعامه على العبد وان اتى باعظم الجرائم فكذا الوالدان لا يقطعان عنه مواد
كرمهما وان كان غير بار بهما ومنها ان الوالد المشفق يتصرف في مال ولده بالاسترباح والغبطة والله سبحانه ياخذ الحبة فيربيها مثل جبل احد ومنها

ان المناسبة والميل الجبلي بين الوالد وولده ذاتية حتى في جميع الحيوان كما ان المناسبة بين الواجب والممكن ذاتية لا عرضية وفيها اسرار قلبنا
ومنها انه لا كمال يمكن للولد الا ويطلبه الوالد لاجله ويرضاه عليه كما ان الله تعالى لا خير يمكن للعبد الا وهو يريده عليه ولهذا ارسل الرسل وانزل الكتب
ونصب الادلة وازاح العلة ومن غاية شفقة الوالدين انهما لا يحسدان ولدهما اذا كان خيرا منهما بل يتمنيان ذلك بخلاف غيرهما فانه لا يرضى
ان يكون غيره خيرا منه وتعظيم الوالدين امر معتبر في جميع الشرائع ومركوز في كل العقول ولهذا روي ان الوالدين وان كانا كافرين وعن النبي
انه نهى حنظلة بن ابي عامر الراهب عن قتل ابيه وكان مشركا ولهذا اطلق الاحسان اليهما في الاية اطلاقا وقد تلطف ابرهيم في دعوة ابيه من
الكفر الى الايمان في قوله يا ابت يا ابت والاحسان اليهما ان يحبهما من صميم القلب ويراعي فيما يتعلق بهما الادب والخدمة والشفقة ويبذل وسعه في رضاهما

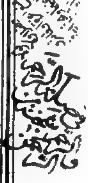

ويذكرهما في صالح دعائه كما ارشد الله تعالى الى جميع ما ذكرنا في قوله فلا تقل لهما اف الى آخر الاية التكليف الثالث الاحسان الى ذي القربى
ويعبر عنه بصلة الرحم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم شجنة من الرحمن فقال الله من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته والشجنة الاشتباك الرحم
مشتقة من الرحمن يعني انها قرابة من الله مشتبكة كاشتباك العروق والسبب العقلي في تاكيد رعاية هذا الحق ان القرابة مظنة الاتحاد الالفة
والرعاية والنصرة ولهذا صار كالتابع لحق الوالدين لان الانسان انما يتصل به اقرباؤه بواسطة اتصالهم بالوالدين قال الشافعي لو اوصى لاقارب
زيد دخل فيه الوارث وغير الوارث والمحرم وغير المحرم والمسلم والكافر والذكر والانثى والغني والفقير والاجداد والاحفاد لا الابوان والولد على
الاظهر لان الوالد والولد لا يعرفان في العرف بالقريب ههنا دقيقة وهي ان العرب يحفظون الاجداد العالية التي تقع نسبتهم فنحن لو رتبنا الى الجد العالي
وحسبنا اولاده كثروا فلهذا قال الشافعي يرتقي الى اقرب جد ينتسب هو اليه ويعرف به وذكروا في مثال ذلك لو اوصى لاقارب الشافعي فانا نصرفه الى اولاد
شافع فانه منسوب اليه ولا يدخل فيها اولاد علي والعباس وان كان شافع وعلي والعباس كلهم اولاد السائب بن عبيد الشافعي هو محمد بن ادريس بن
العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف قال المحققون هذا في زمان الشافعي
واما في زماننا فلا نصرفه الا الى اولاد الشافعي ولا نرتقي الى بني شافع لانه اقرب من يعرف اقاربه في زماننا ولا يدخل الاقارب من الام في
وصية العرب لان قرابة الام لا تعدها العرب قرابة ولا تفتخر بها اما لو اوصى لذي رحم زيد فيدخل فيه قرابة الام في وصية العرب والعجم لان لفظ
الرحم لا يختص بطرف الاب بحال وذهبت طائفة الى ان الاقوى على الجانبين العراقيون وقال اليه ابو حنيفة هو ان اقارب الام يدخل في الوصية
سواء كانت في وصية العرب او وصية العجم وتوجيه الفارق ممنوع لقوله تعالى سعة فعلى فاتحة والاحسان الى الاقارب قريب من الاحسان
الى الوالدين وذلك بان يتعهدهم بما يليق بهم ويقضي حوائجهم وينفق عليهم بالمعروف ان كانوا معسرين وهو موسر التكليف الرابع الاحسان
الى اليتامى واليتيم من الاطفال الذي مات ابوه الى ان يبلغ الحلم فيجب على وليه حفظ ماله واستنماؤه قدر النفقة والزكوة ومؤن الملك بما
امكنه والقيام بمصالحه ورعاية دقائق الغبطة وقضاء حقوق النعمة قال ابن عباس يرفق بهم ويدنيهم ويمسح رأسهم واليتيم في غير الانسان
من قبل الام واليتيم من الدرة التي لا اخت لها وانما جمع يتيم على يتامى لان اليتم لما كان من صفات الابتلاء حمل على الوجع والحبط فكما قالوا في وجع

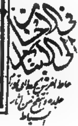

في الاحسان الى المساكين

للنبخ البطن وجاعى وجياع كقولك في يتيم يتامى وفي الكشاف لانه اجرى يتيم مجرى الاسماء نحو صاحب وفارس فقيل يتامى على فعالى كذا في التيمة
الخامس الاحسان الى المساكين واحدها مسكين اخذ من السكون كان الفقر سكنه ولانه دائم السكون الى الناس لانه لاشيء له كالسكن الدائم
السكر وهو اسوء حالا من الفقير عند اكثر اهل اللغة وهو قول ابي حنيفة ومالك احتجوا عليه بقوله تعالى او مسكينا ذا متربة وعند الشافعي واحمد الامر
بالعكس قالوا اشتقاق الفقير من فقار الظهر كان فقاره انكسرت لشدة حاجته والمسكين قد يملك ما يتعلل به قال تعالى اما السفينة فكانت لمساكين
ويظهر اثر الخلاف فيما اذا اوصى للفقراء دون المساكين او بالعكس في الاحسان الى ذوي القربى واليتامى والمساكين ينبغي ان يكون مطلق الزكوة
لان العطف يقتضي التغاير التكليف السادس قوله وقولوا للناس حسنا بالتنوين بمعنى اي قولا حسنا وحسنا على المصدر اي قولا ذا حسن او قولا هو الحسن في
نفسه لافراط حسنه ويحسن في القرآن المخاطبين بذلك هم الذين اخذ ميثاقهم لاتحاد القصة وقيل انه مخصوص بما تخصيص الناس في قوله للمؤمنين
حسنا بدليل اية القتال اشداء على الكفار رحماء بينهم واما تخصيص القول في قولوا للناس حسنا في الدعاء الى الله والامر بالمعروف وقال
اهل الحقيقة انه على العموم وذلك ان كلام الناس مع الناس في الامور الدينية ان كان بالدعوة الى الايمان وجب ان يكون بالرفق واللين
كما قال لموسى فقولا له قولا لينا وقال لمحمد ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وان كان بالدعوة الى الطاعة كالفساق فحسن القول
فيه معتبر ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ادفع بالتي هي احسن واما في الامور الدنيوية فمن المعلوم انه اذا امكن التوصل
الى الغرض باللطيف من القول لم يعدل الى غيره ما دخل الرفق في شيء الا زانه وما دخل الخرق في شيء الا شانه فثبت ان جميع اداب الدين والدنيا
داخل تحت هذا القول وعن الباقر قولوا للناس ما تحبون ان يقال لكم التكليف السابع والثامن قوله واقيموا الصلوة واتوا الزكوة وقد
تقدم تفسيرهما ولا شك في وجوب هذه التكاليف عليهم بدليل اخذ الميثاق ولان مطلق الامر للوجوب ولترتب الذم عليه بتوليهم هذه التكاليف
ايضا واجبة في شرعنا وعن ابن عباس ان الزكوة نسخت كل حق وضعف بان اغاثة المضطر واجبة وان لم يجب علينا الزكوة واعلم ان التكليف اما بدني
او مالي وكل منهما اما عام او خاص فالبدني العام هو العبادة المطلقة وهي ان يكون بكل الجوارح والقوى منقادا مطيعا مؤتمرا لامر الله تعالى بحيث لا
يرى لنفسه شيئا من التصرف والاختيار كالعبد الماثل بين يدي مولاه واليه الاشارة بقوله لا تعبدون الا الله والبدني الخاص هو الصلوة
واشار اليه بقوله واقيموا الصلوة فللصلوة اوقات مخصوصة واركان وشروط معدودة والمالي الخاص هو الزكوة لتخصصها بالاصناف
الزكوية وبالنصاب وبالحول فتعين بذلك ان المالي العام لكونه منوطا بالقدرة والامكان سببه اما النسب ولا النسب اما سابق او مقارن او لاحق
اليتامى لانهم اولاد ودونهم اذا كان الواجد بمنزلة الاولاد ودون ذلك اذا كان الواجد غيره وعند الفقد اما الاحتياج والفقر وهو المساكين او لا
في النوع ولا يمكن الا بالقول الحسن وما يضاهي مسلكه من مكارم الاخلاق الفعلية ويروى انكم لن تسعوا الناس باموالكم ولكن سعوهم باخلاقكم فالقول
الحسن يشمل الاصناف المتقدمة ايضا بهذا الاعتبار وحسن هذا الترتيب بما لا مزيد عليه وقد ذكرنا اكثر هذه المعاني في سورة النساء بضرب
من التاكيد فاكد العبادة بقوله ولا تشركوا به شيئا واكد الاحسان الى ذي القربى وما يتلوه بذكر الجار وهو الناس وبذكر اصناف اخر
وهم الجار وغيره اليهم فكانه كالتفصيل لقوله وقولوا للناس حسنا قوله ثم توليتم قيل الخطاب للمتقدمين من بني اسرائيل على طريقة الالتفات
ووجه ان اول الكلام معهم فكذا اخره الا بدليل يوجب الانصراف عن هذا الظاهر وقيل انه خطاب لمن كان في عصر النبي من اليهود كانه تعالى
بين ان تلك المواثيق كما لزمتهم التمسك بها فكذلك هي لازمة لكم لانكم تعلمون ما في التوراة من نعت محمد وصحة نبوته فيلزمكم من الحجة مثل الذي
لزمهم وانتم مع ذلك توليتم الا قليلا منكم وهم الذين امنوا وانتم معرضون الواو فيه للاعتراض اي وانتم قوم من عادتكم الاعراض عرضتم بعد
ظهور المعجزات كاعراض اسلافكم وقيل ثم توليتم للمتقدمين وانتم معرضون للمتاخرين واما قوله واذ اخذنا ميثاقكم فقيل خطاب لعلماء اليهود
في عصر النبي وقيل المراد اخذنا ميثاق ابائكم الاسلاف خطاب للاسلاف وتقريع للاخلاف وفي قوله لا تسفكون دماءكم اشكال وهو ان الانسان ملجأ
الى ان لا يقتل نفسه فاي فائدة في النهي والجواب ان هذا الالجاء قد يتغير كما ثبت من اهل الهند انهم يعتقدون في قتل النفس التخلص من عالم
الفساد واللحوق بعالم النور وكثيرا من يصعب عليه الزمان والمراد لا يفعل ذلك بعضكم ببعض جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل به اصلا او دينا
او انه اذا قتل غيره فكانما قتل نفسه لانه يقتص منه او لا تتعرضوا لمقاتلة من يقتلكم فتكونوا قد قتلتم انفسكم ولا تخرجون انفسكم لا تفعلوا
ما تستحقون بسببه ان تخرجوا من دياركم والمراد اخراج بعضهم بعضا من ديارهم لان ذلك مما يعظم فيه المحنة حتى يقرب من الهلاك واعراب لا
تسفكون ولا تخرجون على قياس ما تقرر في لا تعبدون ثم اقررتم وانتم تشهدون اي ثم اقررتم بالميثاق واعترفتم على انفسكم بلزومه
وانتم تشهدون عليها كقولك فلان مقر على نفسه بكذا شاهد عليها او اعترفتم بقبوله وشهد بعضكم على بعض بذلك لانه كان شائعا فيما بينهم
مشهورا او وانتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق ثم انتم هؤلاء معنى ثم الاستبعاد لما اسند اليهم من القتل والاجلاء
والعدوان بعد اخذ الميثاق منهم واقرارهم وشهادتهم وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره اي انتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون يعني انكم قوم اخرون
غير اولئك المقرين تنزيلا لتغير الصفة منزلة تغير الذات كما تقول رجعت بغير الوجه الذي خرجت به تقتلون بيان لانتم هؤلاء وقيل هؤلاء
موصول بمعنى الذين وهذا عند الكوفيين فانهم يجوزون كون جميع اسماء الاشارة بمعنى الموصول والتظاهر التعاون ولما كان الاخراج من الديار

وقتل البعض بعضا مما تعظم به الفتنة واجتمع فيه الى الفداء وطلبه بين تقابلهم فعلوه فعلى وجه الاستعانة من تظاهرهم على الظلم والعدوان في
فيه دليل على ان الظلم كما هو محرم فكذا اعانة الظالم على ظلمه محرمة ولا يشكل هذا بتمكين الله تعالى الظالم من الظلم فانه كما مكنه فقد زجره عنه
ونهاه بخلاف معين الظالم فانه يدعوه الى الظلم ويحسنه في عينه مع انه تعالى لا يسئل عما يفعل اسرى جمع اسير كجرحى في جريح واسارى جمع اسرى
كسكرى في سكارى وقيل اسارى من الجموع التي ترك مفردها كانه جمع اسران كعجالى في عجلان وقوله تفادوهم جواب الشرط من حيث انه وصف لهم بما
هو طاعة وهو التخلص من الاسر ببذل المال وعير ابعوده الى كفرهم وهو ضمير الشان ولفظ اخراجهم مبتدأ ومحرم خبره والجملة خبر الضمير ويجوز
ان يكون هو مبتدأ مبهما ومحرم خبره واخراجهم تفسيره افتؤمنون ببعض الكتاب يعني الفداء وتكفرون ببعض اي بالقتال والاجلاء وذلك
ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير كانوا حلفاء الخزرج فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه اذا غلبوا خربوا ديارهم واخرجوهم واذا اسر
رجل من الفريقين جمعوا الحتى يفدوه فعيرهم العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم
ولكنا نستحيي ان نذل حلفاؤنا فذمهم الله تعالى على المناقضة اذ اتوا ببعض الواجب وتركوا البعض ولعلهم صرحوا باعتقاد عدم وجوبه فلهذا
سماه كفرا فقد يكون المناقضة داخلة في الذم وفي ذلك تنبيه على انهم في تصديقهم بنبوة موسى مع التكذيب بمحمد والجحد في امرهما على سواء
يجرون مجرى طريقة السلف منهم في الايمان ببعض والكفر ببعض وكلاهما في الميثاق سواء الخزي الذي لحقوا به خزي في الكبر يجري مجرى اي ذل
وهوان وخزي ايضا يجري مجرى اي يستحيي فهو خزيان فاذا قيل اخزاه الله فالمراد اهانه او اوقعه موقعا يستحيي منه وتنكير خزي يدل على فظاعة
شانه وانه بلغ مبلغا لا يكتنه كنهه لا اظهار انه غير مختص ببعض الوجوه وقيل هو قتل بني قريظة واسرهم واجلاء بني النضير وقبل الجزية
وعلى هذين القولين يختص الخزي بمن في عصر رسول الله منهم وبمن يخلفهم دون اسلافهم فان قيل عذاب منكر الصانع كالدهري يجب ان
يكون اشد فكيف يقال في حق اليهود يردون الى اشد العذاب قلنا اما لان كفر العناد اغلظ واما لان المراد اشد من الخزي لا الاشد مطلقا وقوله
وما الله بغافل وعيد شديد للعاصين وبشارة عظيمة للمطيعين لان الغفلة لما كانت ملازمة عدم الغفلة يدل على وصول الحقوق الى مستحقها
لا محالة اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة استبدلوها بها فلا يخفف عنهم العذاب لا ينقطع ولا يفتر بل يدوم على حاله واحدة
ولا هم ينصرون بدفع هذا العذاب عنهم وفيه تنبيه على ان الجمع بين تحصيل لذات الدنيا اذا كانت على وفق الهوى لا الشرع وبين لذات الآخرة
ممتنع يستتبع وجود احديهما عدم الاخرى التأويل واذ اخذنا ميثاقكم في عهد الست بربكم لا تسفكون دماءكم بامتثال الامر الشيطان
واتباع حظوظ النفس كما قيل شعر الحق مشوق الي : اذ عدوي لي حذوي : ولا تخرجون انفسكم من ديار جودكم التي كنتم فيها في اصل الفطرة
وتخرجون فريقا منكم من ديارهم لا تعاونون على ضلالكم بل يتعاون بعضكم بعضا على الاعراض عن حقوق الله والاقبال على حظوظ
النفس وان ياتوكم اسارى تفادوهم فمن اسره قيد الهوى ما تفادوه بالانوار على الملكوت ومن اسره قيد حب الدنيا فالمعسر كثرة ذكر المولى ومن
اسره حبائل الشكوك والشبهات فبدلوه ارشاده الى اليقين بلوائح البرهان ولوامع البينات ومن اسره حبس جوده فحاجته فيها جل عنه
ونال الكون بوصل المعبود ومن اسره قبضة الحق فليس لاسرائه فداء ولا لقتلائه قود ولا لرهطهم خلاص ولا لقومهم مناص
ولا منهم فرار ولا معهم قرار ولا اليهم بغيهم سبيل ولا لديهم دليل افتؤمنون ببعض الكتاب وهو سمعتم في اول الخطاب الست بربكم
فقلتم بلى وتكفرون ببعض وهو الذي عاهدتم عليه الا تعبدوا غيره من الشيطان والنفس والهوى والله حسبي

لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا
تحقیق که دادیم بموسی توریت را و در پی او فرستادیم رسولان را و دادیم عیسی پسر مریم را انجیل را و قوت دادیم او را بروح القدس آیا هرگاه
جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ۝ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ
که بیاورد شما پیغمبران که میل نداشت نفسهای شما سرکشی کردید پس گروهی را دروغ داشتید و گروهی را میکشید و میگفتند که دلهای ما در پرده است بلکه دور کرد ایشان را خدا
بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ ۝ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى
بسبب کفر ایشان پس بسیار اندک ایمان میآرند و چون آمد بایشان کتابی از نزد خدا تصدیق کننده آن کتابی که با ایشان است و حال آنکه بودند پیش از آن طلب فتح میکردند بر
الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ۝ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا
آنان که کافر شدند پس چون آمد بایشان آنچه شناخته بودند کافر شدند بآن پس لعنت خدا بر کافران است بد چیزیست که فروختند بآن خودهای خود را که کافر شوند بآنچه
أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ۝
فرستاده خدا از روی حسد که چرا میفرستد خدا از فضل خود بر کسی که میخواهد از بندگان خود پس بازگشتند بخشم بر بالای خشم و از برای کافران عذابیست خوار کننده
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ
و چون گفته شد بایشان که بگروید بآنچه فرستاده خدا گفتند میگرویم بآنچه فرستاده شده بر ما و کافر میشوند بآنچه غیر آنست و حال آنکه آن راست تصدیق کننده آنچه با ایشانست بگو پس چرا
تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ القراءة القدس بسكون الدال حيث كان ابن كثير بغيا وما به معبرا ابو عمرو ويزيد الاصفى
میکشتید پیغمبران خدا را پیش ازین اگر هستید گروندگان

وورش وحمزة فى الوقف بين بين تخفيفا ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب بالوقوف القدس ط استكبرتم ج لتناهى الاستفهام مع تعقيب التعقيب
بعده كذبتم للعطف المستقبل على الماضى مع تقديم المفعولين فيهما تقتلون غلف ط لان بل اعراض عن الاول وتحقيق الثانى يؤمنون لما معهم ط
لان الواو للحال كفروا ج لان لما متضمنة للشرط وجوابها منتظر والوصل اجوز لان لما مكرر وجوابها محذوف قوله وكانوا من قبل معترض حال
كفروا به ج لان ما بعده مبتدأ لكن الفاء يقتضى تعجيل ذكر جزائهم الكافرين من عباده ج لطول الكلام مع فاء التعقيب على غضب ط
مهين لما معهم ط مؤمنين التفسير لما ذكر سبحانه فى الآى المتقدمة صنيع اليهود فى مخالفتهم امر ربهم ومناقضة حالهم اكد ذلك فى هذه
بذكر نعم افاضها عليهم ثم انهم قابلوها بالكفران ونقض العهود زيادة فى تبكيتهم اما الكتاب فهو التوراة آتاه الله تعالى اياه جملة واحدة
عن ابن عباس لما نزلت امر الله موسى بحملها فلم يطق ذلك فبعث الله لكل آية منها ملكا فلم يطيقوا حملها فبعث الله لكل حرف منها
ملكا فلم يطيقوا حملها فخففها الله على موسى فحملها القفو الاتباع والتقفية الاتباع وهو من القفا كالذنب من الذنب اى اتبعنا
على اثره رسلا كثيرين وهم يوشع واشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وارميا وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى
وغيرهم ويدعى ان هؤلاء الرسل كانوا على شريعة واحدة الى ايام عيسى فانه جاء بشريعة مجددة ناسخة لاكثر شرع موسى وكان المقصود
من بعثة هؤلاء تنفيذ الشريعة السالفة واحياء بعض ما اندرس منها ومن هنا قال علماء امتى كانبياء بنى اسرائيل ان الله يبعث
لهذه الامة على رأس كل مائة من يجدد لها دينها فقيل عيسى بالسريانية ايشوع اى المبارك ومريم بمعنى الخادم وقيل مريم بالعبرية من النساء
كالزير من الرجال وهو الذى يحب محادثة النساء ومجالستهن سمى بذلك لكثرة زيارته لهن به فسر قوله وفيه شعر قلت لزير لم تصله مريمه
ووزن مريم عند اهل التصريف مفعل لان فعيلا بفتح الفاء لم يثبت فى الابنية كما ثبت نحو عثير للغبار وعليب اسم واد البينات المعجزات الواضحات
كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك ايدناه قويناه من الايد القوة وروح القدس بالروح المقدسة كما يقال حاتم الجود ورجل
صدق اى بجبرئيل سمى بذلك لانه سبب حيوة الدين كما ان الروح سبب حيوة البدن ولانه الغالب عليه الروحانية ولانه لم تضمه اصلاب الفحول
ولا ارحام الامهات وقيل بالانجيل كما قال وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا لان العلم سبب حيوة القلوب وقيل باسم الله الاعظم الذى
كان يحيى الموتى بذكره عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقيل الروح الذى نفخ فيه والقدس هو الله واضافة الروح اليه تشريف
وتعظيم كما يقال بيت الله وناقة الله عن الربيع كون الروح هو جبرئيل اظهر لان اختصاصه بعيسى اكثر لانه الذى بشر مريم بولادته وقد
تولد من نفخة جبرئيل فانه هو الذى رباه فى جميع الاحوال وكان يسير معه حيث سار وكان معه حين صعد الى السماء قوله تعالى افكلما
وسطت الهمزة بين الفاء وما تعلقت به من قوله ولقد آتينا لافادة التوبيخ والتعجيب من شانهم ويجوز ان يكون الفاء للعطف على مقدر
معناه اعرضتم فكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ايها المعتدية او بمعنى مع وذلك انهم كانوا اذا اتاهم رسول بخلاف ما يهوون
كذبوه وان تهيأ لهم قتلوه قتلوه ترفعا وترؤسا على عامتهم واخذا لاموالهم بغير حق يوهمون عوامهم انهم على الحق والنبى على الباطل يحتجون
على ذلك بالتحريف وسوء التأويل ومنهم من كان يستكبر على الانبياء استكبار ابليس على آدم ففريقا كذبتم على التمام وما بقى منه غير
مكذب وفريقا تقتلون اى ما تدبرتم قتله بعد على التمام لانكم حولتم قتل محمد لولا انى اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة
قال عليه السلام ما زالت اكلة خيبر تعاودنى فهذا اوان قطعت ابهرى العداد اهتياج وجع اللديغ بعد كل سنة والابهر عرق يخرج من
القلب اذا انقطع مات صاحبه ويجوز ان يراد الحال الماضية لان الامر فظيع فاريد استحضاره فى النفوس وتصويره فى القلوب كقوله فتثير سحابا
بلد ميت [illegible] وفائدة تقديم المفعول به على الفعلين بعد عناية الفاصلة فى تقتلون بيان غاية عنادهم وفرط عتوهم حيث جعلوا الرسل
فريقين احدهما مخصوص بالتكذيب والآخر بالقتل كان وصف الرسالة عندهم هو الذى يقتضى عندهم احد هذين حتى خص المنعوت به دون سائر
الناس باحد الامرين وهذه نهاية الجهالة حيث استقبلوا اشرف الاصناف لاكرم الاوصاف بغاية الاستخفاف غلف جمع اغلف وهو كل ما فى
غلاف ومنه الاغلف الذى لم يختن اى قلوبنا مغشاة باغطية فلا تتاثر مما يقول لمكان الحائل بينها وقيل غلف مخفف غلف بضمتين
جمع غلاف اى قلوبنا اوعية للعلم والحكمة فنحن مستغنون بها عن غيره لا حاجة بنا الى شرعك بل لعنهم الله رد لقولهم وان يكون قلوبهم مخلوقة
كذلك لانها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكنهم لعنوا اى طردوا عن رحمة الله وابعدوا عن الخيرات بسبب كفرهم الذى احدثوه
بعد نصب الادلة وازاحة العلة وفى هذا لطف للمكلفين ان لا يسترسلوا الى المعاصى لئلا يتوجه مثل هذا العذاب وابتلوا بمثل هذه الحجة ولكن يشمروا
عن ساق الاجتهاد فكل ميسر لما خلق له فقليلا ما يؤمنون اى ايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة وهو ايمانهم ببعض الكتاب او بقليل مما
كلفوا به يؤمنون فانتصب بنزع الخافض وما صفة اى بشئ قليل من الاشياء المكلف بها ويجوز ان يكون القلة بمعنى العدم اى لا يؤمنون
اصلا قليلا ولا كثيرا كما يقال قليلا ما تفعل اى لا تفعل البتة وذلك عن الايمان بمعزل لما جاءهم جوابه محذوف وهو نحو كذبوا به واستهانوا
بمجيئه ويجوز ان يكون جوابه هو جواب لما الثانية المكررة للتاكيد لطول الكلام نحو قوله فلا تحسبنهم بمفازة بعد قوله لا تحسبن واتفقوا
على ان المراد بالكتاب هو القرآن ووجه تصديقه لما معهم ليس هو الموافقة فى اصول الشرائع لان جميع كتب الله كذلك بل المراد ما يختص بنبوة

قيل الروح سبب حيوة البدن

محمد من العلامات والنعوت والصفات والتحقيق ان ذكر الكتاب ههنا كناية عن الرسول لان الرسول يلزمه الكتاب عرفا ويجاز لان الكتاب
مستلزم للرسول لا محالة والدليل على ذلك قوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا وذلك ان اليهود قبل مبعث محمد ونزول القرآن يسئلون الفتح
والنصرة على المشركين اذا قاتلوهم يقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته وصفته في التوراة وكانوا يقولون
لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم
ان نبيا يبعث منهم قد قرب اوانه والسين للمبالغة اي يسئلون انفسهم الفتح عليهم كالسين في استعجب واستسخر او يسئل بعضهم بعضا
ان يفتح عليه فلما جاءهم ما عرفوا من الحق وهو نبوة محمد ويجوز ان يكون ما بمعنى من نحو سبحان ما سخركن لنا اي فلما جاءهم النبي
الذي كانوا يعرفونه كما يعرفون ابناءهم كفروا به اما لانهم كانوا يظنون ان المبعوث يكون من بني اسرائيل لكثرة مجيء الرسل منهم فيرغبون
الناس في دينه ويدعونهم اليه فلما بعث الله محمدا من العرب من نسل اسمعيل عظم ذلك عليهم فاظهروا التكذيب بغيا وحسدا و
عنادا ولددا واما لانهم ظنوا انه مبعوث الى العرب خاصة واما لان اعترافهم بنبوته كان يوجب عليهم زوال رياساتهم ومكاسبهم
فابوا واصروا على الانكار فكفرهم اذن كفر عناد فلعنة الله هي الابعاد عن الخيرات الحقيقية الباقية على الكافرين اي عليهم فوضع الظاهر
موضع المضمر ليدل على ان اللعنة لحقتهم بكفرهم واللام للعهد او للجنس ويدخلون فيه دخولا اوليا فان قيل اليس انه تعالى ذكر وقولوا
للناس حسنا قلنا العام قد يخص على ان لعن من يستحق اللعن حسن ايضا ولذلك بالناس اشبه منهم بالناس اولئك كالانعام بل هم
اضل بئس لانشاء الذم وفاعله قد يكون مظهرا نحو بئس الرجل زيد وقد يكون مضمرا يعود الى معهود ذهني فيفسر بنكرة منصوبة و
بعدهما المخصوص بالذم فما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس اي بئس شيئا اشتروا به انفسهم والمخصوص بالذم ان يكفروا واختلف في اعراب
المخصوص فقيل مبتداء والجملة قبله خبره وقيل خبر مبتداء محذوف اي هو ان يكفروا واشتروا بمعنى باعوا لان الكفر حاصل تعلق نفوسهم
بما بدا انهم كان الثمن حاصل ملك المالك قيل ان المكلف اذا كان يخاف على نفسه من عقاب الله ثم اتى باعمال يظن انها تخلصه من
العقاب فكانه قد اشترى نفسه بتلك الاعمال فهؤلاء اليهود لما اعتقدوا فيما اتوا به انه يخلصهم من العقاب ويوصلهم الى الثواب فقد
ظنوا انهم قد اشتروا انفسهم بها والمراد بما انزل الله القرآن لانهم كانوا مؤمنين بغيره ثم بين الوجه الذي لاجله اختاروا هذا الكفر
فقال بغيا اي حسدا وطلبا لما ليس لهم ولولا هذا البيان لجاز ان يكون الباعث لهم على ذلك الكفر هو الجهل لا البغي ولما كان الباعث
على البغي قد يكون وجوها شتى بين ان الحامل لهم على البغي هو ان ينزل الله من فضله الذي هو الوحي على من يشاء ويقتضي حكمته
ارسال الرسل منه وهو اللائق بما حكينا من انهم ظنوا ان هذا الفضل العظيم يحصل في قومهم فلما وجدوه في العرب حملهم ذلك على البغي و
الحسد على هذا يكون الجار المحذوف هو لام الغرض اي لاجل ان ينزل ويحتمل ان يقال المحذوف على اي حسدوه على ان ينزل فباءوا
بغضب على غضب لابد من اثبات سببي غضبين احدهما تكذيبهم عيسى وما انزل عليه والثاني تكذيبهم محمدا وما انزل عليه فصار
ذلك سببا لسخط بعد سخط وهو قول الحسن والشعبي وعكرمة وابي العالية وقتادة وقيل الاول لعبادتهم العجل والثاني لكتمانهم نعت محمد
وجحدهم نبوته عن السدي وقيل ليس المراد اثبات الغضبين فقط بل المراد اثبات انواع من الغضب مرتبة لاجل امور متوالية صدرت
عنهم كقولهم عزير ابن الله يد الله مغلولة ان الله فقير ونحن اغنياء عن عطاء وعبيد بن عمير وقيل المراد تاكيد الغضب وتكثيره لاجل
ان هذا الكفران كان واحدا الا انه عظيم وهو قول ابي مسلم ومعنى الغضب في حقه تعالى قد عرفت مرارا انه عبارة عن الزجر وهو ارادة الانتقام
واما تزايده وتكثره فيصح فيه ذلك كصحته في العذاب فلا يكون غضبه على من كفر بخصال كثيرة وللكافرين عذاب مهين من وضع الظاهر
مقام المضمر اي لهم عذاب فائدته ما ذكرنا في قوله فلعنة الله على الكافرين ووصف العذاب بالمهين والمهين هو المعذب لان الاهانة
لما حصلت مع العذاب جاز ان يجعل ذلك من صفته لانها بسبب منه ولا يلزم من قران العذاب بالاهانة تكرار فقد يكون العذاب
ولا اهانة كالولد يؤدب اذا قيل لهم امنوا بما انزل الله بكل ما انزل الله من كتاب فهو يشتمل على عمومه قالوا نؤمن بما انزل علينا اي بالتوراة وكتب
سائر الانبياء الذين اتوا بتقرير شرع موسى ويكفرون بما وراءه اي قالوا ذلك والحال انهم يكفرون بما وراء التوراة وهو الانجيل والقرآن و
هو الحق الضمير يعود الى ما وراءه او الى القرآن فقط ومصدقا حال مؤكدة لوجود شرطها وهو كونها مقررة لمضمون جملة اسمية او كون مضمونها لازما
لمضمون الجملة الاسمية فان التصديق لازم حقية القرآن فصار كانه هو والعامل في مصدقا محذوف في هو يبدو او يثبت على الاصح واما الواو
في وهو الحق فيجوز ان يكون معترضة لا محل للجملة ويجوز ان يكون للحال وح اما ان يكون العامل فيها هو العامل في قوله ويكفرون على ان كلاهما
حال الجملة واما ان يكون العامل فيها هو يكفرون على انها حال الا منه حالتان وفي قوله وهو الحق مصدقا لما معهم دلالة على وجوب الايمان
بمحمد لانه لما اثبت نبوته بالمعجزات ثم اخبر ان هذا القرآن منزل من عند الله وانه امر المكلفين بالايمان به كان الايمان به واجبا لا محالة وعند هذا يظهر ان الايمان
ببعض الانبياء وببعض الكتب مع الكفر ببعضهم وببعضها محال الثاني انه لم يتعلم علما ولم يقرأ ولم يخط ثم انه اتى بالقصص والاخبار مطابقا لما في التوراة
فيعلم بالضرورة انه استفادها من قبل الوحي وايضا القرآن يدل على نبوة محمد فلما اخبر الله تعالى انه مصدق التوراة وجب اشتمال التوراة على الاخبار

عن نبوته فدعوى الايمان بالتوراة يجب ان يؤمن بمحمد والا كان كاذبا ثم انه تعالى بين من جهة اخرى كذب دعواهم وهو ان التوراة لا تسوغ قتل الانبياء وانهم
سوغوا ذلك وفيه دليل على ان ايراد المناقضة على الخصم لالزام الحجة جائز والكلام وان كان على وجه الخطاب الا ان المراد اسلافهم بدليل من قبل فتقتلون
حكاية حال ماضية واصل لم لما فادخلت اللام التعليلية على ما الاستفهامية الا الف للتخفيف اي لاي غرض وباي حجة كان اسلافكم يقتلون الانبياء
وفي قوله ان كنتم مؤمنين تشكيك في ايمانهم وقدح في صحة دعواهم الايمان وجواب الشرط محذوف يدل عليه ما تقدم وفيه تنبيه على ان اليهود
المعاصرين خرجوا بتكذيب محمد من الايمان بالتوراة كما ان اسلافهم خرجوا بقتل بعض الانبياء عن الايمان بها والله تعالى اعلم التأويل هذا حال
اكثر البطالين المتشبهين بالطالبين يصغون الى كلمات العلماء الراسخين فما استحلته قبلوه وما استغربته نبذوه وانكروه فيكذبون فريقا
منهم فرارا عن تحمل اعباء الطلب ويشرعون في الفتنة على فريق بالحسد والانكار والفتنة اشد من القتل وقالوا قلوبنا غلف فيه اشارة الى ان الطالب
اذا ابتلى في اثناء الطلب بالوقفة والفترة لم يضره ما دام متمسكا بالارادة فيرجى رجوعه باذن الله وبهمة الاستاذ والشيخ فاما اذا زلت قدمه
عن جادة الارادة واظهر الانكار والاعتراض فلن يرجى فلاحه ولما جاءهم كتاب فيه اشارة الى ان اهل كل زمان يتمنون ان يدركوا احدا من اهل الله
والاولياء المحظوظين بالعلوم الكسبية واللدنية ويتوسلون بهم الى الله ثم عند فتح خواتيمهم في صالح دعائهم ويظهرون محبتهم عند الخلق فلما
وجدوا واحدا منهم ما عرفوا قدره وحسدوه واظهروا عداوته وما انصفوه فباؤا بغضب من ولاية الاولياء على غضب من الله لاوليائه
كما جاء في الحديث من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وانا اغضب لاوليائي كما يغضب الليث لجروه والله اعلم بالصواب ۝ وَاِذْ

اَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ
و چون گرفتیم پیمان شمارا و بلند کردیم بر بالای شما کوه را که بگیرید آنچه را که دادیم شمارا بتوانائی و بشنوید گفتند شنیدیم و فرمان نبردیم و بیامیختند در دلهای ایشان
الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ اِيمَانُكُمْ اِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ قُلْ اِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللّٰهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ
گوساله را بسبب کفر ایشان بگو که بد چیزیست که میفرماید شمارا بدان ایمان شما اگر هستید گرویدگان بگو که اگر بوده باشد برای شما خانه آخرت در نزد خدا تنها سوای از غیر
النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ اِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ اَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ اَيْدِيهِمْ وَاللّٰهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۝ وَلَتَجِدَنَّهُمْ اَحْرَصَ النَّاسِ
مردمان پس آرزو کنید مرگ را اگر بوده باشید راستگویان ۝ و آرزو نکنند مرگ را هرگز بسبب آنچه پیش فرستاده دستهای ایشان و خدا داناست بستمکاران ۝ و هر آینه بیابی ایشان را حریص ترین مردم
عَلَى حَيٰوةٍ وَمِنَ الَّذِينَ اَشْرَكُوا يَوَدُّ اَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ اَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ اَنْ يُعَمَّرَ وَاللّٰهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ
بر زندگانی و از آنان که انباز آوردند دوست دارد هر یکی از ایشان که زندگانی کند هزار سال و نیست او دور کننده او از عذاب اگر بماند و خدا بیناست بآنچه میکنند

القراءة ولقد جاءكم بادغام الدال في الجيم كل القراء ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف وهشام جاءكم وبابه بالامالة حمزة وخلف وابن ذكوان قلوبهم العجل بكسر
الهاء والميم ابو عمرو وسهل ويعقوب بضم الهاء والميم حمزة وعلي وخلف والباقون بكسر الهاء وضم الميم وكذلك كل ما قبل الميم حرف ساكن وقبل الهاء
كسرة بما تعملون بتاء الخطاب يعقوب الوقوف ظالمون ۝ الطور ط لتقدير القول واسمعوا ط بكفرهم ط مؤمنين ۝ صادقين ۝ ايديهم ط بالظالمين ۝ على
حيوة ج على تقدير ومن الذين اشركوا قوم يود احدهم ومن وقف على اشركوا فتقديره احرص الناس على حيوة واحرص من الذين اشركوا يود سنة ج
للبيان وانما لم يجعل من في الناس ودخل في الذين اشركوا لان اليهود من الناس ليسوا من المشركين كقولك الياقوت افضل الحجارة وافضل من
الديباج سنة ط لان ما بعده يصلح مستانفا وحالا ان يعمر ط يعملون ۝ التفسير انه تعالى تكرير قصة اتخاذ العجل هنا القدح بوجه اخر في قولهم نؤمن
بما انزل علينا وبيان وصفهم بالعناد والتكذيب تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيتا له فان قوم موسى بعد ظهور المعجزات الواضحات على يديه اتخذوا
العجل الها ومع ذلك صبر وثبت على الدعاء الى دينه والتمسك بدينه وشرعه وكرر ذكر رفع الطور للتاكيد لما نيط به من زيادة قولهم سمعنا وعصينا
الدالة على نهاية تلجلجهم وذلك انه قال لهم اسمعوا سماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا ولكن لا سماع طاعة وظاهر الاية تدل على انهم قالوا هذا القول اعني
سمعنا وعصينا وعليه الاكثرون وعن ابي مسلم انه يجوز ان يكون المعنى سمعوه وتلقوه بالعصيان فعبر عن ذلك بالقول مثل قالتا اتينا طائعين
واشربوا في قلوبهم العجل اي تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الثوب الصبغ وقوله في قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما ياكلون
في بطونهم نارا وفي هذا الاستعارة لطيفة وهي انه كما ان الشرب مادة لحيوة ما تخرجه الارض فكذا تلك المحبة كانت مادة للقبائح الصادرة عنهم
وفي قوله اشربوا دلالة على ان فاعلا غيرهم فعل ذلك بهم كالسامري او ابليس وشياطين الجن والانس وذلك بسبب كفرهم واعتقادهم التشبيه على الله تعالى
ولا ريب في ان جميع الاسباب ينتهي الى الله وقد عرفت التحقيق فما شانك قل بئسما يأمركم المخصوص بالذم محذوف اي بئس شيئا يأمركم به ايمانكم با
بالتوراة عبادة العجل فليس في التوراة عبادة العجاجيل واضافة الامر الى ايمانهم تهكم كما قال قوم شعيب اصلوتك تأمرك وكذلك اضافة الايمان اليهم
واعلم ان الايمان عرض فلا يصح منه الامر والنهي لكن الداعي الى الفعل قد يشبه بالامر كقوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر قل ان
كانت لكم الدار الآخرة الدار اسم كان وفي الخبر ثلاثة اوجه الاول خالصة وعند ظرف لخالصة او للاستقرار الذي في لكم ويجوز ان يكون عند حالا من
الدار والعامل فيها كان او الاستقرار واما لكم فيكون على هذا متعلقا بكان لانها تعمل في حروف الجر ويجوز ان يكون للتبيين فيكون موضعها
بعد خالصة اي خالصة لكم فيتعلق بنفس خالصة ويجوز ان يكون صفة لخالصة قدمت عليها فيتعلق بمحذوف الثاني ان يكون خبر كان لكم وعند

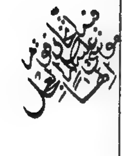

ظرف في الصنعة خالصة والعامل كان او الاستقرار الثالث ان يكون عند الله هو الخبر وفي خالصة حال والعامل فيها اما عند وما يتعلق به او كان او لكم ويسوغ ان يكون عند خبر كان ولكم اذا كان فيه تخصيص وتبيين نحو ولم يكن له كفوا احد وقوله من دون الناس نصب بخالصة لانك تقول خلص كذا من كذا والمراد بالدار الآخرة الجنة لانها هي المطلوبة من الدار الآخرة دون النار والمراد بقوله عند الله الرتبة والمنزلة وحمله على عندية المكان ممكن هاهنا لعلهم كانوا مشبهة ومعنى خالصة لكم اي سالمة خاصة بكم لا حق لاحد فيها سواكم ودون هاهنا يفيد التجاوز والتخطي في المكان كما تقول لمن وهبته منه ملكا هذا لك من دون الناس اي لا يتجاوز منك الى غيرك والناس للجنس وقيل للعهد وهم المسلمون والجنس اولى لقوله وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ولانه لم يوجد هاهنا معهود فان قلت من اين ثبت انهم ادعوا ذلك قلنا الا انه لا يجوز ان يقال انه معرض لا مسئلة على الخصم ان كان كذا وكذا فافعل كذا الا ان الاول مذهب ليصح الزامه بالثاني ولقوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى نحن ابناء الله واحباؤه ولما اعتقدوا في انفسهم انهم هم المحقون لان النسخ غير جائز عندهم ولزعمهم ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم ويوصلونهم الى ثواب الله فلهذه الاسباب عظموا شأن انفسهم وكانوا يفتخرون على العرب وربما جعلوه كالحجة في ان النبي المنتظر في التوراة منهم لا من العرب وكانوا يصرفون الناس بسبب هذه الشبهة عن اتباع محمد فبين الله تعالى فساد معتقدهم بالآية وبان الملازمة ان متاع الدنيا قليل في جنب نعيم الآخرة وذلك القليل كان ايضا منغصا عليهم بظهور محمد ومنازعته معهم بالجدال الى القتال والموت خير لهم لا محالة لانه يوصل الى الخيرات الكثيرة الدائمة الصافية عن النقص لا يفوت الا القليل النكد فالوسيلة وان كانت مكروهة نظرا الى ذاتها لكنها لا بد كما ان العاقل نظر الى غايتها كالفصد لا ينبغي عن تمني الموت في قوله لا يتمنين احدكم الموت لضر نزل به وان كان ولا بد فليقل اللهم احيني ما كانت الحيوة خيرا لي وتوفني ما كانت الوفاة خيرا لي محمول على تمن سببه عدم الصبر على الضر ونكد العيش كما قال قائل شعر الا موت يباع فاشتريه فهذا العيش ما لا خير فيه الا رحم المهيمن نفس حر تصدق بالوفاة على اخيه فان ذلك نوع من عدم الرضاء بالقضاء ويدل على الجزع وضيق العطن ومنافي قضية التوكل والتسليم وعلى تمن سببه الجزم بالوصول الى نعيم الآخرة فان ذلك خارج عن قانون الادب نوع من الاخبار بالغيب لا يليق الا ببعض اولياء الله وروي ان عليا كان يطوف بين الصفين في غلالة وهي شعار يلبس تحت الثوب تحت الدرع ايضا فقال له ابنه الحسن ما هذا بزي المحاربين فقال يا بني لا يبالي ابوك على الموت سقط ام عليه سقط الموت وعن حذيفة انه كان يتمنى الموت فلما احتضر قال حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم اي على التمني وقال عمار بصفين الآن الاقي الاحبة محمدا وحزبه وكان كل واحد من العشرة المبشرة بالجنة يحب الموت ويحن اليه لجزمهم بلقاء السبيل ثم انه بعد ذلك لمكان البشارة فاما احد فما يليق به تمني الموت الا على سبيل الرجاء وحسن الظن بالله انا عند ظن عبدي بي وعن النبي لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي على الارض يهودي وفي البسيط ام يقلبوا السؤال على محمد فيقولوا انك تدعي ان الدار الآخرة خالصة لك لا لامتك ومن سواك فعليك الاسراع وعرض ان تقتلك تقتل منك فما نراك وامتك في الضر الشديد بعد البلاء العظيم وبعد الموت يتخلصون الى دار الكرامة والنعيم لانه بعث لتبليغ الشرائع وتنفيذ الاحكام ولا يتم المقصود الا بحيوته وحيوة امته وله ان يقول لم يحصل هذا الا ومنه الفضل مع ان المؤمن من هذه الامة قلما يخلو من النزاع والشوق الى لقاء ربه فالعبد المطيع يحب الرجوع الى سيده السيما لا بوكره العود الى مولاه وهذا جاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله وبذلوا ارواحهم دون الدين والذب عن الملة الحنيفية رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر عن عبادة بن الصامت ان النبي قال من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقالت عائشة او بعض ازواجه انا لنكره الموت قال ليس ذلك ولكن المؤمن اذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شيء احب اليه مما امامه فاحب لقاء الله واحب الله لقاءه وان الكافر اذا حضره الموت بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء اكره اليه مما امامه فكره لقاء الله وكره الله لقاءه ثم انه تعالى بين انتفاء اللازم بقوله ولن يتمنوه ابدا وبرهن عليه بقوله بما قدمت ايديهم اي بما اسلفوا من موجبات النار كالكفر بمحمد وبالقرآن وكتحريف كتاب الله وسائر قبائح افعالهم وذكر الايدي مجازا لان اكثر الاعمال انما يتم بمباشرة اليد وقوله ولن يتمنوه ابدا من المعجزات لانه اخبار بالغيب وكان كما اخبر به كقوله ولن تفعلوا وذلك ان التمني ليس من افعال القلب حتى يطلع عليه حتى يكون هو قول الانسان بلسانه ليت او ليته كذا ومحال ان يقع التحدي بما في الضمائر والقلوب فلو وجب انهم تمنوا لنقل ذلك كما نقل سائر الحوادث لفظا ولكان ناقلوه من اهل الكتاب وغيرهم من اهل الطاعن اكثر من الذر وينقل لو كان التمني بالقلوب فقالوا قد تمنينا الموت في قلوبنا ولم ينقل انهم قالوا ذلك لهم ولولا انهم ادعى انهم لو تمنوا لم يكن في العقل وحسنه الاقدام على مثل هذا الالزام لانه في غاية السهولة واذا ثبت انتفاء اللازم ثبت انتفاء الملزوم بالضرورة وهو ان لا يكون الدار الآخرة لهم خالصة واما الفاء في قوله لا اشتراك ايضا فيستفاد من الآية الثالثة وفي قوله والله عليم بالظالمين اشارة ايضا الى ذلك لانه كان محيطا بسرهم وعلانيتهم وقد قدموا من القبائح ما قدموا فيجازيهم بما يستحقون وفي وضع الظاهر موضع الضمير وهو بالظالمين مقام المضمر وهو بهم اشارة اخرى الى سوء منقلبهم وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون واللام اما للعهد واما للجنس فيشملهم اولا وغيرهم من الظلمة ثانيا فان قيل ما الفائدة في قوله هاهنا ولن يتمنوه وفي سورة الجمعة ولا يتمنونه قلنا لان الدعوى هاهنا كون الدار الآخرة خالصة لهم وهناك كونهم اولياء الله من دون الناس والاولى مطلوب بالذات والثاني وسيلة اليها فناسب ان ينفي الاول بما هو ابلغ في افادة النفي وهو لن او لان الدعوى

الثانية اخص فانه لا يلزم ان يكون كل من له الدار الآخرة وليا بمعنى انتفاء التمني في الكمال لا الكمال ونفي التمام ابعد من نفي الخاص كما ان اثبات الخاص
في قولك فلان بن فلان موجود ابعد من اثبات العام في قولك لان انسان موجود بحيث كان الدعوى الاولى بعد احتيج الى دافع في باب النفي
ابلغ ثم انه سبحانه لما اخبر عنهم في الآية المتقدمة انهم لا يتمنون الموت اخبر بعد ذلك انهم في غاية الحرص على الحيوة لاحتمال انهما ثالثا وهو ان لا
يتمنوا الحيوة ولا الموت فقال ولتجدنهم احرص الناس مؤكدا باللام والنون والام لام القسم المقدر وهو من وجد بمعنى علم وقوله على حيوة بالتنكير
لانه اراد نوعا من الحيوة مخصوصا وهي الحيوة المتطاولة او حيوة واي حيوة وفي جعلهم احرص من الذين اشركوا توبيخ لان المشركين لا يؤمنون
بمعاد وعاقبة وما يعرفون الا الحيوة الدنيا فهي جنتهم فلا يستبعد حرصهم عليها فاذا حرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان خليقا بالتوبيخ
وسبب زيادة حرصهم هو علمهم بانهم صائرون الى النار لا محالة والمشركون غافلون عن ذلك وقيل اراد بالذين اشركوا المجوس لانهم كانوا
يقولون لملوكهم عش الف نيروز والف مهرجان عن ابن عباس هو قول الاعاجم زه هزار سال بزى ومن الذين اشركوا كلام مبتدأ
اى ومنهم ناس يود على حذف الموصوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم اى ما منا ملك لقوة الدلالة عليه بذكرها اشتمل عليه قبله فكانه مذكور
وعلى هذا يلزم توبيخ اليهود من جهة اخرى وهو ان بعضهم في زمرة المشركين وكونهم بعضا منهم وذلك كقولهم عزير ابن الله وقال ابو مسلم في الآية تقديم
وتأخير اى لتجدنهم من الذين اشركوا احرص الناس على حيوة ثم فسر بقوله يود احدهم اى كل واحد بفرض او بعمر ولو في معنى التمني ولو
يعمر حكاية لودادتهم وكان يجوز لو اعمر على الحكاية الا انه جرى على لفظ الغيبة لقوله يود احدهم مثل حلف بالله ليفعلن وتخصيص الالف بالذكر
بناء على العرف لانه اول عقد يستقل ويقع في عبارتهم في تعداد بني آدم او يبلغه والضمير في قوله وما هو يعود الى احدهم وان يعمر فاعل بمزحزحه اى ما
احدهم بمزحزحه من العذاب تعميره ويجوز ان يكون الضمير لما دل عليه يعمر من مصدره وان يعمر بدل منه كانه قيل وما التعمير بمزحزحه من العذاب
ويجوز ان يكون مبهما وان يعمر موضحه والزحزحة المباعدة والتنحية والله بصير بما يعملون فيه تهديد لاهل البغي والفساد وزجر للعصاة
عن الفساد والبصير قد يراد به العليم فلان بصير بهذا الامر اى عارف به وقد يراد انه على كيفية لو وجدت لبصر لابصرها وكلا الوصفين يصح عليه سبحانه
ما لم يثبت امتناعه فانا قلنا ان من الاعمال ما لا يصح ان يرى بعين تحمل البصر فيه على العلم والله اعلم بالصواب اليه المرجع والمآب

قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ مَنْ كَانَ عَدُوًّا

بگو ای محمد که هر که باشد دشمن جبرئیل پس بدرستیکه فرستاد او را بر دل تو بفرمان خدا تصدیق کننده مر آنرا که پیش از او است و رستی و مژده گان از برای گروندگان هر که باشد دشمن

لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ۝ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا

مر خدا و فرشتگان و پیغمبران و جبرئیل و میکائیل پس بدرستیکه خدا دشمن است کافرانرا و بدرستیکه فرستادیم بسوی تو نشانهای واضح و کافر نگردد بآن

إِلَّا الْفَاسِقُونَ ۝ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ

بجز فاسقان و دیگر اینکه هر چه بستند عهدی را در عقب کرده شکستند انرا بلکه بیشتر ایشان نگروند و چون آمد ایشانرا پیغمبری از نزد خدا تصدیق کننده

لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ القراءة جبريل بفتح الجيم

مر آنرا که با ایشان است انداختند گروهی از آنانکه داده شده اند کتاب را کتاب خدا را در پشت سر خود چنانکه گویا ایشان نمیدانند ۝ مكسورة الراء غير مهموز ابن كثير
وقرأ حمزة وعلي وخلف وعاصم الراء والجيم غير مهموز ميكال ابو عمرو وسهل ويعقوب وحفص وقرأ ابو جعفر ونافع مختلسا مهموزا الباقون ميكائيل
مهموزا مشبعا الوقوف المؤمنين للكافرين بينات ج لان هذه الواو للابتداء او للحال والجملة عاد القصد الفاسقون فريق منهم لان
بل للاعراض عن الاول لا يؤمنون اوتوا الكتاب قد قيل يوقف ليبان ان كتاب الله مفعول نبذ لا بدل ما قبله لا يعلمون قد يجوز الاية والوصل
للعطف على نبذ الامام سوا اخبارهم في النبذة الاتباع التفسير هذا نوع آخر من قبائح افعال اليهود وقال سبحانه روي ان رسول الله لما قدم المدينة اتاه
عبد الله بن صوريا من احبار فدك فقال يا محمد كيف نومك فقد اخبرنا عن نوم النبي الذي يجيء في آخر الزمان فقال تنام عيناي ولا تنام
قلبي قال صدقت يا محمد فاخبرنا عن الولد من الرجل يكون او من المرأة فقال اما العظام والعصب والعروق فمن الرجل واما اللحم والدم والظفر
والشعر فمن المرأة فقال صدقت قال فما بال الولد يشبه اعمامه دون اخواله او يشبه اخواله دون اعمامه فقال ايهما غلب ماؤه ماء صاحبه كان الشبه له قال
صدقت قال اخبرنا اى الطعام حرم اسرائيل على نفسه وفي التوراة ان النبي الامي يخبر عنه فقال انشدكم بالله الذي انزل التوراة على موسى هل
تعلمون ان اسرائيل مرض مرضا شديدا فطال سقمه فنذر لله نذرا ان عافاه الله من سقمه ليحرمن احب الطعام والشراب على نفسه وهو لحمان الابل
والبانها فقالوا اللهم نعم فقال له بقيت خصلة ان قلتها آمنت بك اى ملك يأتيك بما تقول عن الله قال جبرئيل قال انه عدونا ينزل بالقتال
والشدة ورسولنا ميكائيل يأتي بالبشر والرخاء فلو كان هو الذي يأتيك آمنا بك فقال عمر وما مبدأ هذه العداوة فقال ابن صوريا ان الله
انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخرب في زمان رجل يقال له بختنصر ووصفه لنا فطلبناه فلما وجدناه بعثنا رجالا لقتله فدفع عنه جبرئيل
وقال ان سلطكم الله على قتله فهذا ليس هو ذاك وان لم يكن اياه فعلى اى حق تقتلونه ثم انه كبر وقوي سلطانه وغزانا وخرب بيت المقدس فلهذا
نتخذه عدوا واما ميكائيل فانه عدو لجبرئيل فقال عمر فاني اشهد ان من كان عدوا لجبرئيل فهو عدو لميكائيل وهما عدوان لمن عاداهما فكذلك

ع

على عمر بما نزل الله تعالى فيهما ابن الاثير قيل كان لعمر ارض باعلى المدينة وكان ممره على مدارس اليهود وكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد احببناك
وانا لنطمع فيك فقال والله ما آتيكم لحبكم ولا اسألكم لاني شاك في ديني وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة في امر محمد وارى آثاره في كتابكم ثم سألهم فقال
من صاحب صاحبكم فقال هو جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب وان ميكائيل يجيء بالخصب والسلام
فقال لهم وما منزلتهما من الله قالوا اقرب منزلة جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبريل فقال عمر لئن كانا كما تقولون فما هما بعدوين
ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما كان عدوا للآخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لقد وافقك ربك يا عمر قال عمر لقد رأيتني في دين الله بعد ذلك اصلب من الحجر وعن مقاتل زعمت اليهود ان جبريل عدونا امر ان يجعل النبوة فينا فجعلها
في غيرنا والاقرب في سبب عداوتهم اياه انه كان ينزل بالقرآن على محمد صلى الله عليه وسلم قوله فانه نزله اي ان عاداه احد فالسبب في عداوته انه نزل عليك
القرآن مصدقا لكتابهم وموافقا له وهم كارهون للقرآن ولموافقته لكتابهم ولذلك كانوا يحرفونه ويجحدون موافقته له كقولك ان عاداك فلان فقد
آذيته واسأت اليه او ان عادى جبريل احد من اهل الكتاب فلا وجه لعداوته حيث نزل كتابا مصدقا للكتب بين يديه فلو انصفوا لاحبوه وشكروا
له صنيعه في انزاله بما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم ويمكن ان يتوصل الجزاء الى قوله باذن الله اي فهو ان عاداه احد فلا وجه لعداوته لانه لم ينزل القرآن
من تلقاء نفسه واجتهاده وانما انزله باذن الله وامره الذي لا يحيص عنه ولا سبيل الى مخالفته وجاء به مصدقا هاديا مبشرا فهو من حيث انه
مأمور وجب ان يكون معذورا ومن حيث انه آت بالهداية والبشارة يلزم ان يكون مشكورا فعداوته من هذا السبيل عداوة لله ولو انه قام
ميكائيل بذلك كان شأنه لا محالة كذلك فلو لم يكن عداوتهم الاشكال عليه فالوجه في تخصيص جبريل بالعداوة وجبريل يمتنع من الصرف للعلمية والعجمة
نشر فيها وعن ابن عباس عن ابن عمران معنا عبد الله والضمير في نزله للقرآن وان لم يجر له ذكر لانه كالمعلوم مثل قوله ما ترك على ظهرها من
دابة وهذا النوع من الاضمار فيه فخامة لشأن صاحبه حيث جعل لفرط شهرته كانه يدل على نفسه اكتفاء عن اسمه الصريح ومعنى على قلبك ان القرآن انما نزل على محمد لا على
قلبه لكن خص القلب بالذكر لان الذي تمكن منه من الاداء انما هو قلبه فيثبت على قلبك حفظا له وفهما وقيل اي جعل قلبك متصفا باخلاق
القرآن ومتأدبا بآدابه كما في حديث عائشة كان خلقه القرآن وكان حق الكلام ان يقال على قلبي الا انه جاء على حكاية كلام الله كما تكلم به كأنه
قيل قل ما تكلمت به من قولي من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك ومعنى مصدقا لما بين يديه موافقا لما قبله من كتب الانبياء فيما
يرجع الى المبادئ والغايات دون الاوساط التي يتطرق اليها الاختلاف بتبدل الازمان والاوقات ومعنى قوله وهدى وبشرى ان القرآن يشتمل
على امرين احدهما بيان ما وقع التكليف به من اعمال القلوب واعمال الجوارح فهو من هذا الوجه هدى وثانيهما بيان ان الآتي بتلك الاعمال كيف
يكون ثوابه فهو من هذا الوجه بشرى والاول مقدم على الثاني في الوجود فقدم في الذكر ولا ريب ان البشرى يختص بالمؤمنين واما الهدى فلانه
المنتفع به كما مر في هدى للمتقين ومما يجب في الآية المتقدمة ان من كان عدوا لجبريل لاجل انه نزل القرآن على قلب محمد وجب ان يكون عدوا
لله بين في الآية التالية ان من كان عدوا لله وللمخصوصين بكرامته فان الله يعاديهم وينتقم منهم والعداوة بالحقيقة لا تصح الا فيما الا ان العلماء
والحكيم اراد ان المضار فيه فهذا التصوير يحمل على حقيقته من التعامل المتعاطين لا التعامل المتفاوت فمعنى قوله من كان عدوا لله اي ولياء
الله كقوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ان الذين يؤذون الله ورسوله او يراد به بذلك كراهتهم القيام بطاعته وبعدهم عن
التمسك بدينه لان العدو لا يكاد يوافق عدوه ويمتثل لامره قال اهل التحقيق عداوتهم لله وملائكته وعداوة الله لهم ونظر الهم في
الاول مالقوم ولا في الثاني ولا ايالي كان عبد المؤمن لله فيجب ان يحبه ويحب وذلك ان صفات الله تعالى قديمة وصفات الخلق
محدثة والاولى علة الثانية ولعن الملائكة بالذكر لا لاجل فضلهما كانهما من جنس آخر فان التغاير في الوصف قد ينزل منزلة التغاير في الذات
ولان الآية نزلت فيما يتعلق بهما فكأن ينص على اسميهما وتقديم جبريل في الذكر يدل على انه افضل من ميكائيل وايضا فجبريل ينزل بالوحي
والعلم وذلك سبب بقاء الارواح وميكائيل ينزل بالخصب والرزق وهو سبب بقاء الابدان والواو في جبريل وميكائيل بمعنى او لان
عداوة واحد منهم توجب عداوة كلهم يوجب انه يحتمل ان يكون الواو على الاصل ويعرف ما ذكرنا من القرينة وقوله
للكافرين من وضع الظاهر موضع المضمر دلالة ان عداوتهم كفر ولا ينادى ان آيات البينات هي آيات القرآن ولا يبعد ان يشمل سائر معجزاته وان كان
لفظ الانزال مناسبا لبعض النوع مقتضى كون الآية بينة ان العلوم ينقسم الى ما يكون طريق تحصيله الدليل الدال عليه كثرة مقدمات
فيكون الوصول اليه صعبا والى ما يكون قليل المقدمات فيكون الوصول اليه قريبا وهذا هو الآية البينة والكفر بها اما جحود مع العلم بصحتها
واما جحود مع الجهل وترك النظر فيها والاعراض عن تأملها والنهي عن التكبر يتضمن فيدخل الكل فيه والفسق هو خروج الانسان عما حد له
الى الفساد ويقرب منه الفجور لانه مأخوذ من فجور السد الذي يمنع الماء من ان يصير الى الموضع الذي يفسد فيه الحسن اذا استعمل الفسق
في نوع من المعاصي وقع على اعظم ذلك النوع من كفر وغيره ولهذا لا يوصف صاحب الصغيرة بالفسق وان تجاوز عن امر الله تعالى لكن فيه من
النهي فيما يصير الحبال التجبر المضرة قوله الا الفاسقون وجهان احدهما ان كل كافر فاسق ولا ينعكس كأنه ذكر الفاسق لبيان ان حال الكافر
ومعنى الثاني ان المراد وما يكفر بها الا الكافر المتجاوز عن كل حد في كفره وهذه الآيات لما كانت بينة لم يكفر بها الا الكافر الذي بلغ في الكفر النهاية

القصوى في هذا النوع من فضائح اليهود عن ابن عباس انهم كانوا يستفتحون على الاوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فلما بعث من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه فقال لهم معاذ بن جبل يا معشر اليهود اتقوا الله واسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن اهل الشرك وتخبروننا انه مبعوث وتصفون لنا صفته فقال بعضهم ما جاءنا بشيء من البينات وما هو بالذي كنا نذكر لكم فنزلت اللام في الفاسقون للجنس او اشارة الى اهل الكتاب اوكلما الواو للعطف على محذوف معناه اكفروا بالآيات البينات وكلما عاهدوا واليهود موسومون بالغدر ونقض العهود وكم اخذ الله الميثاق منهم ومن آبائهم فنقضوا وكم عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفوا الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وفيه تسلية لرسول الله لان من يجترئ منه هذه الطريقة لا يصعب على النفس مخالفته كصعوبة من لم يجر عادته بذلك النبذ الرمي بالذمام ورفضه وانما قيل فريق منهم لان منهم من لم ينقض بل اكثرهم لا يؤمنون بالتوراة وليسوا من الدين في شيء فلا يعدون نقض المواثيق ذنبا ولما جاءهم رسول اي كتاب الله لانه بدليل فهو القرآن نبذوه بعدما لزمهم تلقيه بالقبول كأنهم لا يعلمون انه كتاب الله يعني ان علمهم بذلك رصين من قبل التوراة ولكن المكابرة حملهم على نبذه وراء ظهورهم مثل لاعراضهم عنه وتركهم العمل به قيل كتاب الله التوراة لانهم بكفرهم برسول الله كانوا نابذين لها وعن سفيان ادرجوه في الديباج والحرير وحلوه بالذهب ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه اللهم ارزقنا العمل بكتابك العظيم **وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ**

ومتابعت كردند آنچه كه ميخواندند ديوان بر مملكت سليمان وكافر نبود سليمان

وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ

ولكن ديوان كافر شدند مياموختند مردمان سحر را وآنچه فرو فرستاده بود بر آن دو فرشته در بابل كه هاروت وماروت اند وهيچكس را نمى آموختند

حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ

تا آنكه ميگفتند كه بيشك ما آزمايشيم پس كافر مشو پس مى آموختند از ايشان آنچه جدائى مى افگندند به آن در ميان مرد وزنش ونيستند ايشان ضرر رسانندگان به آن هيچ كسى را مگر به فرمان خدا

وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا

ومى آموختند آنچه ضرر رساند ايشان را ونفع نبخشد ايشان را وبتحقيق دانستند كه هر كه خريد اين را نيست مراو را در آخرت هيچ بهره وهر آينه بد است آنچه فروختند به آن نفسهاى خود را اگر

يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ القراءة ولكن خففا الشياطين بالرفع ابن عامر وحمزة والكسائي

مى دانستند واگر چنانچه ايشان ايمان مى آوردند و پرهيزگارى مى كردند هر آينه ثواب از نزد خدا بهتر است اگر مى دانستند

وعطف وكذلك قوله تعالى ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى الملكين بكسر اللام ههنا وفي سورة الاعراف فتنبيه على ان انزل عليهما علم السحر كالملكين ببابل الواقعون على ملك سليمان لان الواو قد تصلح حالا اي نزاهة سليمان ورد ما افتروا عليه السحر وقيل على جعل ما نافية لا يصح لما اقتضيه ما في سياق الآية من اثبات السحر بل ما خبرية معطوفة على قوله السحر على انها وان كانت نافية يحتمل كون الواو حالا الاولى تقديره يعلمون الناس السحر غير منزل فلا يفصل وفي الآية عشرها آت احدهما كما في نماذج نكرة منصوب في انما والثانية خبرية ثم نافية ثم خبرية على الخطاب فماروت ط فلا تكفر ط وزوجه ط باذن الله ط ولا ينفعهم ط من خلاق ن يجوز الوقف لابتداء اللام انفسهم ط يعلمون خبر ط يعلمون التفسير من قبائح افعالهم انهم نبذوا كتاب الله واقبلوا على السحر ودعوا الناس اليه وهذا شأن اليهود الذين كانوا في زمن محمد وقيل انهم الذين تقدموا من اليهود وقيل انهم الذين كانوا في زمن سليمان تهمة السحر لان اكثر اليهود ينكرون نبوة سليمان ويعدونه من جملة ملوك الدنيا فالذين كانوا منهم في زمانه لا يمتنع ان يعتقدوا فيه انه انما وجد ذلك الملك العظيم بسبب السحر والاولى ان يقال اللفظ يتناول الكل فان الكل لما جاءهم محمد عارضوه بالتوراة فخاصموه بها فاتفقت التوراة والقرآن فنبذوا التوراة واخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت وماروت ومعنى تتلوا تقرأ او على ملك سليمان اي على عهده وفي زمانه وقيل ما اعطيه كذب القوم لما ادعوا ان سليمان انما وجد تلك الملكة بسبب ذلك العلم كان ذلك الادعاء كالافتراء على سليمان صلى الله عليه وسلم واما الشياطين فالاكثرون على انهم شياطين الجن فانهم كانوا يسترقون السمع ثم يضمون الى ما سمعوا اكاذيب يلفقونها ويلقونها الى الكهنة وقد دونوها في كتب يقرؤونها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في زمان سليمان حتى قالوا ان الجن يعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم لسليمان ملكه الا بهذا العلم وقيل انهم شياطين الانس لما روي ان الجن من سليمان كان يدفن كثيرا من العلوم التي خصه الله تعالى بها تحت سرير ملكه حرصا على انه ان هلك الظاهر منها يبقى ذلك الدفين فلما مضت مدة على ذلك توصل قوم من المنافقين الى ان كتبوا في خلال ذلك اشياء من السحر تناسب تلك الاشياء من بعض الوجوه ثم بعد موته واطلاع الناس على تلك الكتب المدفونة اوهموا الناس انه من عمل سليمان وانه ما وصل الى ما وصل الا بسبب هذه الاشياء ونصوا قول الاكثرين بان شياطين الجن لو قدروا على تغيير كتب الانبياء وشرائعهم بحيث يبقى ذلك التحريف مخفيا بين الناس لارتفع الوثوق عن جميع الشرائع وهذا بخلاف ما يفعله الانسان فانه لا يكاد يخفى على بني نوعه فانما اختلف في سبب اضافتهم السحر الى سليمان فقيل لان زوجه ذلك خاتمه وقيل لانهم ما كانوا مقرين بنبوته وقيل لانه لما خالط الجن فاظهر اسرارا عجيبة غلب على ظنونهم انه استفاد ذلك من الجن وقوله وما كفر سليمان تنزيه له عما نسب القوم اليه من السحر المستلزم للكفر فان كونه نبيا ينافي كونه ساحرا كافرا ثم بين ان الذي برأه منه لاصق بغيره فقال ولكن الشياطين كفروا ثم ذكر ما به كفروا فقد كان من الجائز ان يتوهم انهم كفروا لا بالسحر فقال يعلمون الناس السحر وما انزل اي ويعلمونهم الذي انزل على الملكين هاروت وماروت عطف بيان للملكين علمان لهما ممنوعان من الصرف للعلمية

الآن منهم

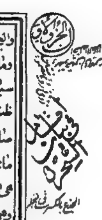

والعجز ولو كانا من الحرث المرتب فهو الكفر كما زعم بعضهم لانهما لو كانا منهما لانصرفا وقيل بدلان منهما ولنذكر هنا حقيقة السحر فنقول هاروت
وماروت اما السحر ففي اللغة عبارة عن كل ما لطف مأخذه وخفي سببه ومنه الساحر العالم وسحره خدعه والسحر الرئة وفي الشرع مختص بكل امر يخفى
سببه ويتخيل على غير حقيقته ويجري مجرى التمويه والخداع ومتى اطلق ولم يقيد افاد ذم فاعله قال تعالى سحروا اعين الناس يعني موهوا عليهم حتى
ظنوا ان حبالهم وعصيهم تسعى وقد يستعمل مقيدا فيما يمدح ويحمد وهو السحر الحلال قال ان من البيان لسحرا سمى بعض البيان سحرا لان
صاحبه يوضح الشيء المشكل ويكشف عن حقيقته بحسن بيانه ولطف عبارته ويقدر على تحسين القبيح وتقبيح الحسن ليحط تارة فيقول اسوء
ما يمكن ويرفع تارة فيقول احسن ما يعلم ثم السحر على اقسام منها سحر الكلدانيين الذين كانوا في قديم الدهر وهم قوم يعبدون الكواكب ويزعمون انها
هي المدبرة لهذا العالم ومنها تصدر الخيرات والشرور والسعادة والنحوسة ويستحدثون الخوارق بواسطة تمزيج القوى السماوية بالقوى الارضية
وهم الذين بعث الله تعالى ابراهيم مبطلا لمقالتهم ورادا عليهم مذهبهم ومنها سحر اصحاب الاوهام والنفوس القوية بدليل ان الجذع الذي يتمكن
الانسان من المشي عليه لو كان موضوعا على الارض لا يمكنه المشي عليه لو كان كالجسر على هاوية وما ذاك الا لان تخيل السقوط متى قوي وجب وقد
اجمعت الاطباء على نهي المرعوف عن النظر الى الاشياء الحمر والمصروع عن النظر الى الاشياء القوية اللمعان والدوران وما ذاك الا لان
النفوس خلقت مطيعة للاوهام وحكى في الشفاء عن ارسطو ان الدجاجة اذا تشبهت كثيرا بالديكة في الصوت وفي الحراب مع الديكة نبت على
ساقها مثل الشيء الثابت على ساق الديك وهذا يدل على ان الاحوال الجسمانية تابعة للاحوال النفسانية واجمعت الامم على ان الدعاء مظنة
الاجابة وان الدعاء باللسان من غير طلب نفساني قليل الاثر ويحكى ان بعض الملوك عرض له فالج فدخل عليه بعض الحذاق من الاطباء على
غفلة منه وشافهه بالشتم والقدح في العرض فاشتد غضب الملك فقفز من مرقده قفزة اضطرارية وزالت تلك العلة المزمنة والاصابة
بالعين مما اتفق عليه العقلاء والتحقيق فيه ان النفس اذا كانت مستعلية على البدن شديدة الانجذاب الى عالم السموات كانت كانها روح
من الارواح السماوية وكانت قوية التاثير في مواد هذا العالم اما اذا كانت ضعيفة شديدة التعلق بهذه اللذات البدنية فحينئذ لا يكون لها التصرف
البتة الا في هذا البدن فاذا اراد ان يتعدى تاثيرها الى بدن اخر يتخذ تمثالا لذلك الغير ويضعه عند الحس فيشتغل الحس به ويتبعه الخيال عليه فيقبل
النفس الناطقة بالكلية على ذلك فتقوى التاثيرات النفسانية والتصرفات الروحانية ويعضده الانقطاع عن المالوفات والمشتهيات
وتقليل الغذاء والاعتزال عن الناس ثم ان كانت النفس مناسبة لهذا الامر بحسب ماهيتها وخاصيتها عظم التاثير واما الرقى فان كانت
بالفاظ معلومة فالامر فيها ظاهر لان الغرض منها ان حس البصر كما اشتغل بالامور المناسبة للغرض فحس السمع ايضا يشتغل بها فان الحواس
متى تطابقت متوجهة الى الغرض الواحد كان توجه النفس اليه اقوى وان كانت بالفاظ غير معلومة حصلت للنفس هناك حالة شبيهة بالحيرة
والدهشة فيحصل لها في ذلك انجذاب وانقطاع عن المحسوسات واقبال على ذلك الفعل فيقوى التاثير النفساني فيحصل الغرض وهكذا القول في الدخن
قالوا فثبت ان هذا القدر من القوة النفسانية مستقل بالتاثير فان انضم اليه الاستعانة بالقسم الاول وهو تاثيرات الكواكب قوي الاثر جدا
الا سيما ان حصل لهذه النفس مدد من النفوس المفارقة المشابهة لها او من الانوار الفائضة من النفوس الفلكية ومنها سحر من يستعين
بالارواح الارضية وهو المسمى بالعزائم وتسخير الجن ومنها التخيلات الاخذة بالعيون وتسمى الشعوذة وذلك ان اغلاط البصر كثيرة فان راكب
السفينة اذا نظر الى الشط راى السفينة واقفة والشط متحركا والقطرة النازلة ترى خطا مستقيما والقبة ترى في الماء كالزجاجة وترى العظيم
من البعيد صغيرا وهذا لان القوة الباصرة تقف على المحسوس وقوفا تاما اذا ادركت المحسوس في زمان صغير جدا اختلط البعض بالبعض ولا
يتميز فان الرحى اذا اخرجت من مركزها الى المحيط خطوطا كثيرة بالوان مختلفة ثم ديرت فان البصر يرى لونا واحدا كانه مركب من كل تلك الالوان
وايضا النفس اذا كانت مشغولة بشيء فربما حضر عند الحس شيء اخر فلا يشعر الحس به البتة كما ان الانسان عند دخوله على السلطان قد يلقاه
انسان ويتكلم معه فلا يعرفه ولا يفهم كلامه لان قلبه مشغول بشيء اخر وكذا الناظر في المراة ربما قصد ان يرى سطح المراة هل هو مستو ام
لا فلا يرى شيئا مما في المراة فالمشعوذ الحاذق يظهر عمل شيء يشغل اذهان الناظرين به ويأخذ عيونهم اليه حتى اذا استفرغهم الشغل بذلك الشيء و
التحديق نحوه عمل شيئا اخر عملا بسرعة فيبقى ذلك العمل خفيا لتفاوت الشيئين اشتغالهم بالاول وعدم تنبههم بالثاني ومنها الاعمال العجيبة
التي تظهر من الالات المركبة على النسب الهندسية ولضرورة الخلاء كفارسين يقتتلان فيقتل احدهما الاخر ومنه الصور التي يصورها
الروم والهند حتى لا يفرق الناظر بينها وبين الانسان وقد يصورونها ضاحكة او باكية وقد يفرق بين ضحك السرور وضحك الخجل ومن هذا
الباب تركيب صندوق الساعات وعلم جر الاثقال وهذا لا يعد من السحر عرفا الا ان لها اسبابا معلومة يقينية ومنها الاستعانة بخواص الادوية
والاحجار ومنها تعليق القلب وهو ان يدعي الساحر انه قد عرف الاسم الاعظم وان الجن يطيعونه في اكثر الامور فاذا اتفق ان كان السامع
ضعيف القلب قليل التمييز اعتقد انه حق وتعلق قلبه بذلك وحصل في قلبه نوع من الرعب والمخافة فتضعف القوى الحساسة فيتمكن الساحر من ان
يفعل فيه ما شاء ومن جرب الامور وعرف احوال الناس علم ان لتعليق القلب اثرا عظيما في تنفيذ الاعمال واخفاء الاسرار ومنها السعي بالنميمة والتضريب
من وجوه خفية لطيفة وذلك شائع في الناس فهذه جملة الكلام في اقسام السحر وعند المسلمين كلها مستندة الى قدرة الله فانه لا يمتنع وقوع هذه

قفز اي وثب

الخوارق باجراء العادة عند سحر السحرة واتفقوا على ان العلم به ليس بقبيح ولا محظور لان العلم لذاته شريف لعموم قوله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون
والذين لا يعلمون ولان الفرق بينه وبين المعجز ممكن به الا ان اجتنابه اقرب الى السلامة كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن ان تجر الى الغواية واما ان الساحر
هل يكفر ام لا فلا نزاع بين الامة في ان من اعتقد ان الكواكب هي المدبرة لهذا العالم وهي الخالقة لما فيه من الحوادث والخيرات والشرور فانه يكون كافرا
على الاطلاق وهذا هو القسم الاول من السحر اما النوع الثاني وهو ان يعتقد انه قد يبلغ روح الانسان في التصفية والقوة الى حيث يقدر على ايجاد الاجسام
واعدامها وتغيير البنية والشكل فالاظهر اجماع الامة ايضا على تكفيره واما ان يعتقد ان الساحر قد يبلغ في التصفية وقراءة الرقى وتدخين بعض الادوية
الى حيث يخلق الله تعالى عقيب فعله على سبيل العادة الاجسام والحيوة والعقل وتغيير البنية والشكل فالمعتزلة اتفقوا على تكفير من يجوز ذلك قالوا
لانه مع هذا الاعتقاد لا يمكنه ان يعرف صدق الانبياء والرسل وزيف بان الانسان لو ادعى النبوة وكان كاذبا في دعواه فانه لا يجوز من الله
تعالى اظهار الخوارق على يديه لئلا يحصل التلبيس اما اذا لم يدع النبوة فظهرت الخوارق على يديه لم يفض ذلك الى التلبيس فان المحق يتميز عن المبطل بما ان
المحق يحصل له هذه الاشياء مع ادعاء النبوة والمبطل لا يحصل له هذه الاشياء مع ادعاء النبوة وان حصلت لم يتم فضولة الباطل كما ذكرنا
واما سائر انواع السحر فلا شك انها ليست بكفر وحكم من كفر بالسحر حكم المرتد فاذا اعترف بما فات فان قال اني سحرته وسحري يقتل غالبا وجب عليه
القود وان قال سحرته وسحري قد يقتل وقد لا يقتل فهو شبه عمد وان قال سحرت غيره فوافق اسمه اسمه فخطأ وعن ابي حنيفة انه قال يقتل الساحر اذا
علم انه ساحر ولا يستتاب ولا يقبل قوله اني اترك السحر واتوب منه فاذا اقر انه ساحر فقد حل دمه وان شهد شاهدان على انه ساحر او وصفوه بصفة يعلم
انه ساحر قتل ولا يستتاب وان اقر اني كنت اسحر مرة وقد تركت ذلك منذ زمان قبل منه ولم يقتل واما قصة هاروت وماروت فقد روي عن ابن عباس

ان الملائكة لما قالت أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فاجابهم الله بقوله اني اعلم ما لا تعلمون وكل عليهم جمعا من الملائكة وهم الكرام
الكاتبون وكانوا يعرجون باعمالهم الخبيثة فعجبت الملائكة منهم ومن تبقية الله مع ما ظهر منهم من القبائح ثم اضافوا اليها عمل السحر فازداد تعجب
الملائكة فاراد الله ان يبتلي الملائكة فقال لهم اختاروا ملكين من اعظم الملائكة علما وزهدا وديانة لانزلهما الى الارض فاختبرهما فاختاروا هاروت
وماروت وركب فيهما شهوة الانس وانزلهما ونهاهما عن الشرك والقتل والزنى والشرب فنزلا فامر الله تعالى الكوكب المسمى بالزهرة والملك الموكل به
فهبطا الى الارض فجعلت الزهرة في صورة امرأة والملك في صورة رجل ثم ان الزهرة اتخذت منزلا وزينت نفسها ودعتهما اليها ونصب الملك
نفسه في منزلها في مثال الصنم فاقبلا عليها وطلبا الفاحشة فابت عليهما وطلبا الفاحشة فابت عليهما الا ان يشربا الخمر فقالا لا نشرب الخمر ثم غلبت
الشهوة عليهما فشربا ثم دعواها الى ذلك فقالت بقيت خصلة لست مكنتكما من نفسي حتى تفعلاها قالا وما هي قالت تسجدان لهذا الصنم فقالا لا
نشرك بالله شيئا ثم غلبت الشهوة عليهما فقالا نفعل ثم نستغفر فسجدا للصنم ثم دخل سائل عليهم فقالت ان اظهر هذا السائل للناس ما رأى منا فسد
امرنا فان اردتما الوصول الي فاقتلا هذا الرجل فامتنعا منه ثم اشتغلا بقتله فلما فرغا من القتل رفعت الزهرة وملكها الى موضعهما من السماء فعرفا
حينئذ انما اصابهما بسبب تعيير بني آدم وفي رواية اخرى ان الزهرة كانت فاجرة من اهل الارض وانهما واقعاها بعد ان شربا الخمر وقتلا النفس وسجدا
للصنم وعلماها الاسم الاعظم الذي كانا يعرجان به الى السماء فتكلمت المرأة بذلك الاسم فعرجت الى السماء فمسخها الله تعالى وصيرها هذا الكوكب ثم ان الله تعالى
خيرهما بين عذاب الآخرة آجلا وبين عذاب الدنيا عاجلا فاختارا عذاب الدنيا فجعلهما ببابل منكوسين في بئر الى يوم القيمة وهما يعلمان الناس
السحر ويدعوان اليه ولا يراهما احد الا من ذهب الى ذلك الموضع لتعلم السحر خاصة وهذه القصة عند المحققين غير مقبولة فليس في كتاب الله ما يدل
عليها ولان الدلائل الدالة على عصمة الملائكة تنافيها ولاستبعاد كونهما معلمين السحر حال العذاب ولان الفاجرة كيف يعقل انها صعدت الى السماء
وجعلها الله كوكبا مضيئا ولان في القصة ان الله تعالى قال لهما لو ابتليتكما بما ابتليت به بني آدم لعصيتماني فقالا لو فعلت بنا يا رب ما عصيناك و
هذا منهم تكذيب لله وتجهيل فاذن السبب في انزالهما ان السحرة كثرت في ذلك الزمان واستنبطوا ابوابا غريبة من السحر وكانوا يدعون النبوة
فبعث الله هذين الملكين ليعلما الناس ابواب السحر حتى يتمكنوا من معارضة اولئك الكذابين ولا شك ان هذا من احسن الاغراض والمقاصد
ايضا تعريف حقيقة السحر ليتميز بينه وبين المعجز حسن وكذا السحر لا يطلع الغرض بين اعداء الله والمؤمنين او لعله ولعل الجن انواعا من السحر
لا يقدر البشر على معارضتها الا باعانة الملك ارشادا ويجوز ان يكون ذلك تشديدا في التكليف من حيث انه اذا علمه ما امكنه ان يتوصل به
الى اللذات العاجلة ثم منع من استعماله كان ذلك في نهاية المشقة فيستوجب مزيد الثواب كما ابتلى قوم طالوت بالنهر فمن شرب منه فليس مني ومن
لم يطعمه فانه مني ويحتمل ان هذه الواقعة كانت في زمان ادريس لانهما اذا كانا ملكين نزلا بصورة البشر لهذا الغرض ولا بد من رسول ليكون
ذلك معجزا له ولا يجوز كونهما رسولين لان رسول الانس يجب ان لا يكون الا منهم قوله تعالى وما يعلمان اي وما يعلم الملكان احدا حتى ينبهاه و
ينصحاه ويقولا له انما نحن فتنة ابتلاء واختبار من الله فلا تكفر بان تتعلم معتقدا انه حق او متوصلا الى شيء من المعاصي والاغراض العاجلة
فيتعلمون الضمير لما دل عليه العموم في من احد فيتعلم الناس من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه اما لانه اذا اعتقد ان السحر حق كفر
فبانت منه امرأته واما لانه يفرق بينهما بالتمويه والاحتيال كالنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده الفرك والنشوز ابتلاء منه لان
السحر له اثر في نفسه بدليل قوله وما هم بضارين به من احد الا باذن الله بارادته وقدرته لانه ان شاء احدث عنده ذلك شيئا من افعاله وان شاء

لم يحدث كان الذي يتعلمون منهما لم يكن مقصوراً على هذه الصورة ولكن يكون الاثر وكونه الى نوع منها كان اشد خصت بالذكر ليدل به
بدل له على ان سائر الصور بمثابة السحر فيهما اولى وقرأ عشرة ما لم يضيا بكسر من احد تجعل الجارح امن الجرد ودموا حدا صاف الى المجموع
وفصل بينهما بالظرف ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم لانه يستعملونه في وجوه المفاسد وقد علم هؤلاء اليهود اللام فيه للابتداء وكذا في لمن اشتراه
استبدل ما تتلوا الشياطين واختياره على كتاب الله ما له في الاخرة من خلاق من نصيب كانه قدر له هذا المقدار وقيل الخلاق الخلاص وقيل
معنى الابتداء الملكين انما قصد اتعليم السحر للاحتراز عنه ليصل بذلك للاحتراز الى منافع الاخرة فلما استعمل السحر الدنيا فكانه اشترى بمنافع
الاخرة منافع الدنيا ولبئس ما شروا به انفسهم اي باعوها والمخصوص محذوف هو السحر او منافع الدنيا وجواب لو محذوف يدل عليه ما قبله اي لو
كانوا يعلمون لعلموا قبح ما شروا ويجوز ان يكون لو للتمني مجازا كما تقدم من الترجي في لعلكم تتقون وح لا يحتاج الى الجواب بقي هنا سؤال وهو انه
كيف اثبت لهم العلم اولا في قوله ولقد علموا على سبيل التوكيد بلام القسم حتما ثم نفاه عنهم في قوله لو كانوا يعلمون فان لو لامتناع الاول لكن الو
كان للتمني فان التمني استدعاء امر هو كالممتنع والجواب ان الذين علموا غير الذين لم يعلموا فالذين علموا هم الذين علموا السحر ودعوا الناس الى
ونبذ كتاب الله وراء ظهورهم والذين لا يعلمون هم الجهال الذين يرغبون في تعلم السحر سلمنا ان القوم واحد ولكنهم علموا شيئا وجهلوا شيئا
اخر علموا انه لا خلاق لهم في الاخرة وجهلوا مقدار ما فاتهم من منافع الاخرة وما حصل لهم من مضارها وعقوباتها سلمنا ان القوم واحد
المعلوم واحد لكنهم نسبوا الى الجهل حيث لم يعملوا بعلمهم ولم ينتفعوا به كما قيل انهم صم بكم عمي حيث لم ينتفعوا بالحواس ولما اوعدهم بقوله ولقد
علموا اتبع ذلك الوعد جامعا بين الترهيب والترغيب ليكون داعيا الى الطاعة والنهي عن المعصية فقال ولو انهم امنوا يعني ما نبذوه من كتاب الله
وهو القرآن او التورية التي يصدقها القرآن او كلاهما واتقوا فعل المنهيات وترك المامورات واتقوا الله فتركوا ما هم عليه من نبذ كتاب الله و
اتباع كتب الشياطين لمثوبة من عند الله الشيء من ثوابه خير ولا بد من تقدير فعل يكون ان مع ما بعده فاعلا له اي لو ثبت انهم امنوا وجواب لو
محذوف ربه يدل عليه هذه الجملة الاسمية المصدرة باللام اي لاثيبوا وانما تركت الفعلية الى هذه ليدل على ثبات المثوبة واستقرارها ويجوز
ان يكون القسم مقدرا وقوله لمثوبة جوابه سادا مسد جواب الشرط مغنيا عنه ودخول اللام الموطئة في الشرط غير واجب في القسم المقدر وان كان
هو الاكثر على دخول اللام الموطئة في لو مستقل فلشبهه بان يكون لا كثر من الواجب ههنا عدم الدخول ويجوز ان يكون لو للتمني مجازا عن ارادة الله
ايمانهم كانه قيل ليتهم امنوا ثم ابتدئ لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير مما هم فيه لامنوا واتقوا وقد علموا لكنه جعلهم
لترك العمل بالعلم ويجوز ان يكون لو بمعنى التمني كما تقرر والله تعالى اعلم التأويل واتبعوا ما تتلوا الشياطين النفوس على ملك سليمان الروح الذي
هو خليفة الله في ارضهما وما كفر سليمان الروح ولكن الشياطين النفس والهوى كفروا يعلمون الناس السحر من تخيلات الهواجس وتمويهات الوساوس
وما انزل تخييلا وجذلا من العلوم الضارة غير النافعة من شبهات الفلاسفة والمبتدعة على ملكي الروح والقلب ببابل الجسد هاروت الروح
وماروت القلب فانهما من العالم العلوي الروحاني اهبطا الى الارض لعالم الجسماني بالخلافة لاقامة الحق وازهاق الباطل فافتتنا بزهرة زهرة
الحيوة الدنيا واتبعا خلالهما او قعا في شبكة الشهوة التي تركبت فيها ابتلاء وامتحانا وشربا خمر الحرص للغفلة التي خمار العقل وزنيا بنتي الدنيا
الدنيا الدنية وعبدا صنم الهوى فعذبا منكسين برؤسهما بالالتفات الى السفليات واعراضهما عن العلويات ومحرمها استماع خطاب الحق
كشف حقائق العلوم النافعة الموجبة للجمعية ومع هذا من خصوصية الملكية الروحانية ما يعلمان احدا من الصفات البهيمية والسبعية و
الشيطانية والقوى البشرية حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء القلب وزوجه الروح

يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم ما يود الذين كفروا من

ای آنجماعت که ایمان آورده اید مگوئید راعنا و بگوئید انظرنا و بشنوید و کافرانرا است عذاب دردناک دوست نمیدارند کافران از صاحبان

أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم

و اهل کتاب و نه مشرکان که فرود آید بر شما خوبی از جانب پروردگار شما و خدا مخصوص کرداند برحمت خود هر کرا میخواهد و خدا صاحب فضل بزرگست

ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير ألم تعلم أن الله له ملك السموات

هر چه منسوخ کنیم از آیتی یا فراموش گردانیم می آریم بهتر از آن یا مانند آن آیا نمیدانی که خدا بر هر چیز تواناست آیا نمیدانی که خدا مراوراست پادشاهی آسمانها

والأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل

و زمین و نیست شما را بجز خدا از دوستی و نه یاوری آیا میخواهید که خواهش کنید از پیغمبر خود چنانکه خواهش کردند قوم موسی از او در زمان پیش

ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل القراءة ما ننسخ بضم النون وكسر السين ابن ذكوان ننسها مهموزا

و هر که بدل کند کفر را از عوض ایمان پس بتحقیق گم راه است از وسط راه

ابن كثير وابو عمرو وغيرهم الباقون ننسها من الانساء نأت

بخيرهم ابو عمرو وغيره ابرهيم بن حماد وبن عبد الاعشى ووش وحمزة في الوقف الباقون وابرهيم بن حماد ما لم يحزم لانه جواب الشرط ومن شرطه
جزم كل ما كان مستقبلا اي عطفا على المجزوم كل القرآن مثل قوله عز وجل ان تصبروا وتتقوا يأتوكم وقوله ومن يرد ثواب الدنيا نؤته

منها واشباه ذلك فقد ضل بالاظهار مجاز كغير قريش وعاصم غير الاعشى لكن الله يظهرون الدال عند الذال الا الطاء حيث وقعا مثل قوله تعالى فقد
ظلم ولقد ذرأنا واشباه ذلك لو وقف وان يصبوا الظم من ربكم كمن يشاء والعظيم ومثلها طائفة ولا ارض ولا نصير بيع الجزء ومن يتبدل
السبيل والقصر لما شرح الله تعالى قبائح افعال السلف من اليهود شرع في قبائح افعال المعاصرين لرسول الله صلعم وجهلهم واجتهادهم في القدح
فيه والطعن في دينه واعلم ان الله تعالى خاطب المؤمنين في ثمانية وثمانين موضعا من القرآن قال ابن عباس وكان يخاطب في التورية يا ايها
المساكين فكانه سبحانه لما خاطبهم اولا بالمساكين اثبت لهم المسكنة آخرا حيث قال وضربت عليهم الذلة والمسكنة وهذا يدل على انه تعالى لما خاطب
هذه الامة بالايمان اولا فانه يعطيهم الامان من العذاب آخرا وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا فان المؤمن اسم من اسمائه
العظام ففيه دليل على انه تعالى يقربهم منه في دار السلام وقيل لما نزل على الغيب نظر الى الظاهر وهو الدين ولو قيل منهم نظر الى الحقيقة جاز من حيث ان الفرق
ثم انه لا يبعد في الكلمتين المترادفتين ان يمنع الله من احديهما ويأذن في الاخرى ومن هنا قال الشافعي لا تصح الصلوة بترجمة الفاتحة عربية كانت
او فارسية فلا يبعد ان يمنع الله من قول راعنا ويأذن في قول انظرنا وان كانا مترادفين ولكن جمهور المفسرين على انه تعالى انما منع من قول
راعنا لاشتماله على مفسدة ثم ذكروا وجوها منها ان المسلمين كانوا يقولون لرسول الله صلعم اذا القى عليهم شيئا من العلم راعنا يا رسول الله صلعم و
اليهود كانت لهم كلمة عبرانية يتسابون بها تشبه هذه الكلمة وهي راعينا ومعناها اسمع لا سمعت كما صرح بذلك في سورة النساء ويقولون سمعنا
وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا فانتهزوا الفرصة كانهما متقاربة فلما سمعوا المسلمين يقولون راعنا افترصوه وخاطبوا به الرسول صلعم يعنون
المسبة فنهي المؤمنون عنها وامروا بلفظة اخرى هي انظرنا روي ان سعد بن معاذ سمعها منهم فقال يا اعداء الله عليكم لعنة الله والذي
نفسي بيده ان سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلعم لاضربن عنقه فقالوا اولستم تقولونها فنزلت منها قال قطرب هذه الكلمة وان كانت
صحيحة المعنى الا ان اهل الحجاز كانوا يقولونها عند الهزء والسخرية فلا جرم نهي الله عنها وقيل ان اليهود كانوا يقولون راعينا اي انت راعي
غنمنا فنهاهم عنه وقيل ان هذه اللفظة لكونها من باب المفاعلة تدل على المساواة بين المخاطبين كانهم قالوا ارعنا سمعك لنرعيك اسماعنا
فنهوا عنه لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وقيل انه خطاب مع الاستعلاء اي راع كلامي ولا تغفل عنه ولا تشتغل بغيره
وليس في انظرنا الا سؤال الانتظار وقيل انها تشبه اسم الفاعل من الرعونة الحمق فيحتمل انهم ارادوا به المصدر كقولهم عائذا بك اي عوذا عياذا
فقولهم راعنا اي فعلت رعونة ويحتمل انهم ارادوا واصرت راعنا اي ذا رعونة فلما كان هذه الوجوه الفاسدة نهى الله عنها وقيل المراد لا تقولوا قولا
راعنا اي رعونة كدارع ولابن ومنه قراءة الحسن راعنا بالتنوين وانظرنا من نظره اذا انتظره انظرونا نقتبس من نوركم امر الله تعالى ان يسلكوا
الامهال ليتعقلوا عنه فلا يحتاجون الى الاستعادة فكانهم قالوا له توقف في كلامك وبيانك مقدار ما يصل الى افهامنا وهذا القدر غير خارج
عن قانون الادب فقد يلتمس المتعلم حرصا منه على ان لا يفوت منه شيء من الفوائد وان كان المعلم غير مهمل فاتوا التفهيم الاستاد من التثبت
والتاني والاعادة ان احتيج اليها ونحو ذلك قيل انظرنا معناه انظر الينا مثل واختار موسى قومه اي من قومه الغرض ان المعلم اذا نظر اليه المتعلم كان
اقامته عليه ظاهرة وقرئ في قراءة ابي انظرنا من النظرة اي امهلنا حتى نحفظ واسمعوا معناه احسنوا سماع كلام نبيكم باذان واعية واذهان حاضرة
حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعاة او اسمعوا سماع قبول وطاعة لا كاليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا او اسمعوا ما امرتم به ولا ترجعوا
الى ما نهيتم عنه من قول راعنا وللكافرين ولليهود الذين تهاونوا برسول الله صلعم وسبوه عذاب اليم قوله ما يود الآية من الاولى للبيان لان الذين
كفروا جنس تحته نوعان اهل الكتاب والمشركون كقوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين ولا مزيدة لتاكيد النفي وقرئ ولا المشركين
والثانية مزيدة لاستغراق الخير فان ينزل في سياق النفي نحو ما يود ان ينزل ويود ان لا ينزل والثالثة لابتداء الغاية والخير الوحي كذلك الرحمة أهم
يقسمون رحمة ربك والمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم وما يحبون ان ينزل عليكم شيء من الوحي ولا اثر لهذا الحسد فان الله
يختص بالنبوة من يشاء ولا يكون الا ما يشاء وما يشاء الا ما يقتضيه الحكمة والله ذو الفضل العظيم الفضل والفضيلة خلاف النقص والنقيصة
والافضال الاحسان وفيه اشعار بان ايتاء النبوة من غاية الاحسان والافضال كقوله لنبيه ان فضله كان عليك كبيرا قوله عز من قائل ما ننسخ
من آية نوع ثان من تقرير مطاعن اليهود خذلهم الله في الاسلام روي انهم قالوا الا ترون الى محمد يأمر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامرهم بخلافه ويقول
اليوم قولا ويرجع عنه غدا فنزلت وفي الآية مسائل الاولى النسخ لغة هو الازالة يقال نسخت الشمس الظل اي ازالته والنقل ايضا ومنه تغيير البلى في صفة
وطلاسم بقاء اثره في نفسه ومنه نسخت الكتاب والمناسخات في المواريث لانتقال التركة من قوم الى قوم فقيل مشترك بينهما وقيل حقيقة في الاول مجاز
في الثاني وقيل بالعكس وفي الاصطلاح هو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر فيخرج المباح بحكم الاصل اذا ورد الشرع بضده رافعا لا باحته فانه
لا يسمى نسخا اذ ليس رفع حكم شرعي ويخرج ايضا الرفع بالنوم والغفلة لان ذلك الرفع ليس بمجرد الدليل الشرعي وهو رفع عن امتي الخطاء والنسيان
ونحوه بل بتغير العقل اليه بخلاف الرفع بنحو دعي الصلوة ايام اقرائك فانه لا مجال للعقل فيه ويخرج الرفع بخصوص الى النهاية فان الى وان اوجب
مخالفة حكم ما بعدها لما قبلها الا انها لا يسمى نسخا لانه ليس متأخرا ويمكن ان يقال التقييد متأخر انما ينبغي ان يذكر لان دليل النسخ لا يكون
الا كذلك ويخرج بخصوص الى كذا وامثاله من انواع التخصيص متصلا كان او منفصلا انما خرج بقيد الرفع لان رفع الحكم انما يكون بعد ارادة حصول

على المكلف والتخصيص ليس كذلك لان صورة التخصيص غير مرادة من اللفظ بل التخصيص يبين ان مراد الشارع من العام ونعني بالحكم ههنا ما يحصل على
المكلف بعد ان لم يكن فان الوجوب المشروط بالعقل الذي هو مناط التكليف لم يكن حاصلا عند انتفاء العقل والموقوف على الحادث حادث واذا
كان المراد بالحكم هذا فلا يرد قول المعتزلة الحكم عندكم قديم فكيف يرتفع وذلك انا عنينا بالحكم تعلق الخطاب بعد ما لم يتعلق وهذا محدث يرتفع
وايضا نقطع بانه اذا ثبت تحريم شيء بعد وجوبه انتفى الوجوب الثابت اولا وهو المعني بالرفع ويحسن ايضا ان يقال النسخ بيان انتهاء حكم شرعي بطريق
شرعي متراخ فيخرج بقولنا شرعي بيان انتهاء حكم عقلي كالبراءة الاصلية وبطريق شرعي يخرج به بيان انتهاء الحكم الشرعي بطريق عقلي كالمنع من
القيام عمن يكسر رجله وبقولنا متراخ يخرج التخصيص بالغاية ومن هذا يعلم تعريف الناسخ والمنسوخ ومعنى بيان انتهاء الحكم ان الخطاب السابق
له غاية في علم الله تعالى فاذا انتهى الى تلك الغاية زال بذاته ثم ورد الخطاب اللاحق مبينا ذلك المسئلة الثانية انعقد الاجماع من اكثر ارباب
الشرائع ومن المسلمين خاصة على جواز النسخ عقلا وعلى الوقوع شرعا وخالفت اليهود في الجواز وابو مسلم الاصفهاني من المسلمين في الوقوع
لنا على الجواز انا نقطع بالجواز ضرورة فان لله تعالى ان يفعل ما يشاء كما يشاء من غير التفات الى حكمة ومصلحة وان اعتبرت المصالح فالقطع ان المصالح
قد تختلف باختلاف الاوقات هذا مما يدل على جواز النسخ وفي التوراة ان الله امر آدم بتزويج بناته من بنيه وقد حرم ذلك في شريعة من بعده بالاتفاق
وهذا مما يدل على وقوعه كيف لا وقد ثبت بالدلائل القاطعة والمعجزات الباهرة نبوة محمد ﷺ وصحة نبوته تستلزم نسخ شرع من قبله ولم يكن لليهود
والنصارى نص صريح جلي متواتر في شرعهم على التعيين حتى يلزم ان يكون شرع نبينا انتهاء غاية لا انتفاء حجة اليهود لو نسخت شريعة موسى لبطل
قول موسى المتواتر هذه شريعة مؤبدة عليكم ما دامت السموات والارض وايضا ان كان الحكم الشرعي لحكمة ظهرت لله تعالى لم تكن ظاهرة
فهو البداء والا فهو العبث وكلاهما محال على الله تعالى اذ البداء عبارة عن الظهور بعد الخفاء والعبث فعل لا يستتبع غاية والجواب عن الاول المنع
من انه قول موسى عليه السلام ويؤكده انه لو كان هذا القول صحيحا عندهم لقضت العادة بقوله لرسولنا ﷺ ولحاجوه بذلك لكن اليهود لم يتمسكوا
به في عهده فدل ذلك على انه من افتراء المتأخرين منهم وعن الثاني بعد تسليم اعتبار المصالح انها تختلف باختلاف الازمان والاحوال كنفعة شرب
دواء في وقت وضرره في آخر بل الزمان الممتد من الازل الى الابد قد تنوع اجزاؤه فيما لم يزل على مجريات الوقائع فيها الصادرة شيئا فشيئا
بحسب وقت لا المصلحة تعود اليه تعالى بل انما هو اصلح بالنسبة الى المزمنات فالظهور والخفاء والسابق واللاحق والاعدام والايجاد كلها
بالنسبة الينا واما بالنسبة الى حضرة الواجب جل ذكره فقد جف القلم بما هو كائن الى يوم الدين والحاصل ان كل حكم فله غاية في علم الله
تعالى ولكن قد يظن المكلف استمراره في الاستقبال عن قرائن الاحوال فاذا ورد ما يبين امده ونص لهم على نهايته فذلك الوارد ناسخ
والاول منسوخ والورود نسخ وكل هذه التعددات بالنسبة الى المكلف واما بالاضافة اليه تعالى فكل من الحكمين موجود في وقته الذي قدر
له فله الظهور متقدما ما قدمه او متأخرا ما اخره وليس هذا في الاحكام فقط وانما ذلك في كل حادث فمن تأمل نسخة الوجود وشاهد نسب الحوادث المتنافية
بعضها الى بعض بالتقدم والتأخر والمعية وجد وجوداتها المترتبة اشبه شيء بكتاب يقرأ القارئ سطرا بعد سطر وكلمة تلو كلمة اذا انقضى مجموع
من تلك تلاه مجموع آخر حسب رتبة الحكيم العليم بمباديه ومقاطعه فالمنقضي في حكم المحو والثاني في حكم الاثبات والهيئة الاجتماعية بعد
اعتبار التلاوة والمستلزمة لانقضاء شيء وظهور ما يعقبه هي ام الكتاب هذا سر قوله عز من قائل يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب
ولك ان تعبر عن المجموع الدفعي بالقضاء وعن ظهوره التدريجي بالقدر وفي هذا القدر كفاية للفطن المستبصر المسئلة الثالثة اتفقوا على
وقوع النسخ في القرآن بوجوه احدها هذه الآية اعني ما ننسخ من آية واجاب ابو مسلم بان المراد بالآيات المنسوخة الشرائع التي في الكتب
القديمة من التوراة والانجيل كالسبت والصلوة الى المشرق والمغرب مما وضعه الله عنا وتعبدنا بغيره فان اليهود والنصارى كانوا يقولون
لا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم فابطل الله ذلك عليهم بهذه الآية وايضا لعل المراد من النسخ نقله من اللوح المحفوظ وتحويله عنه الى سائر الكتب

وايضا انما ههنا يفيد الشرط والجزاء وكما ان قولك من جاءك فاكرمه لا يدل على حصول المجيء بل على انه متى جاء وجب الاكرام فكذا هذه الآية لا تدل
على حصول النسخ بل على انه متى حصل النسخ وجب الاتيان بما هو خير منه وثانيها الاعتداد بالحول في قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا
وصية لازواجهم متاعا الى الحول نسخ باربعة اشهر وعشر في قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر
وعشرا اجاب ابو مسلم بان الاعتداد بالحول ما زال بالكلية لانها لو كانت حاملا ومدة حملها حول كامل لكانت عدتها حولا كاملا واذا
بقي هذا الحكم في بعض الصور كان ذلك تخصيصا لا نسخا ورد بان عدة الحمل تنقضي بوضع الحمل سواء حصل وضع الحمل لسنة او اقل او اكثر
فجعل السنة مدة للعدة يكون زائلا بالكلية وثالثها اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة منسوخ بالاتفاق اجاب بانه زال
لزوال سببه لان سبب التعبد بها ان يمتاز المنافقون عن المؤمنين ورد بانه يلزم منه ان من لم يتصدق كان منافقا وهو باطل لما روي
انه لم يتصدق غير علي كرم الله وجهه ويدل عليه قوله فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم ورابعها امر بثبات الواحد للعشرة في قوله فان يكن منكم عشرون صابرون
يغلبوا مائتين ثم نسخ ذلك بقوله الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وخامسها تحويل
القبلة قال ابو مسلم حكم تلك القبلة ما زال بالكلية لجواز التوجه اليها عند الاشكال ومع العلم اذا كان هناك عذر ورد بان بيت المقدس

الجهات في ذلك سواء وسادسها واذا بدلنا آية مكان آية والتبديل يشتمل على رفع اثبات والمرفوع اما التلاوة واما الحكم وكيف ما كان فهو رفع ونسخ فهذه الدلائل وامثالها يدل على وقوع النسخ في الجملة حجة ابي مسلم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والجواب ان الضمير يعود

وايضا نخصه بالخبر المكلف لا ينافي حقيقته في نفسه فكونه قرآنا المسئلة الرابعة المنسوخ اما ان يكون هو الحكم فقط كالآيات المعدودة

او التلاوة فقط كما يروى عن عمر انه قال كنا نقرأ آية الرجم الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم وروى

لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى اليهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب او الحكم والتلاوة معا كما روي عن

عائشة كان فيما انزل عشر رضعات محرمات ثم نسخن بخمس فالعشر مرفوع التلاوة والحكم جميعا والخمس مرفوع التلاوة باقي الحكم ويروى ان

سورة الاحزاب كانت بمنزلة السبع الطوال او ازيد ثم وقع النقصان ولنرجع الى التفسير الآية انما تنسخ محمول على نسخ الحكم وان الله دون التلاوة و

ننسها على نسخ الحكم والتلاوة جميعا والانساء ان يذهب بحفظها عن القلوب وذلك بان يخرج من جملة ما يتلى ويقرأ في الصلوة او يحتج

فاذا زال حكم التعبد به وطال العهد نسي وان ذكر فعلى طريق ما يذكر خبر الواحد فيصير بهذا الوجه منسيا عن الصدور ويكون ذلك معجزة

له كما روي انهم كانوا يقرؤن السورة فيصبحون وقد نسوها قال عز من قائل سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله وانساخ الآية الاتيان بها

وهو ان يأمر جبرئيل بان يجعلها منسوخة بالاعلام بنسخها وننسها نأخرها وادخالها الا الى بدل وقيل ما ننسخ من آية اي نبدلها اما ان

نبدل حكمها فقط او تلاوتها فقط او نبدلهما او ننسها نتركها كما كانت ولا نبدلها لان النسيان قد يجيء بمعنى الترك وقيل ما ننسخ من آية ما

نرفعها بعد انزالها او ننسها بالهمزة نؤخر انزالها من اللوح المحفوظ او نؤخر نسخها فلا ننسخها في الحال فانا ننزل بدلها ما يقوم مقامها في المصلحة

ولا يخفى ان قوله نأت بخير منها او مثلها لا ينطبق على هذين القولين كما ينبغي ومعنى الآية عند جمهور المفسرين آية القرآن وعند ابي مسلم

التورية والانجيل كما مر وقد عرفت انه يمكن حملها على معنى اعم فكل مجموع من الوجود في كل زمان من الازمنة آية من صحيفة المخلوقات وكل

فرد من ذلك المجموع كلمة من كلمات الله قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي ومعنى نأت بخير منها او مثلها ان حملنا الآية على ما يتضمن حكما على المكلف

ان الثاني اخف واصلح بالنسبة الى وقته كان الاول كان اصلح بالاضافة الى وقته والثاني خير بالنسبة الى وقته مثل الاول بالنسبة الى وقتها

او يراد ان العمل بالثاني اكثر ثوابا من العمل بالاول فصار ولهذا كل منهما فذ يقتضيه الحكمة دون ما هو اقل ثوابا وان حملنا الآية على غير ذلك فمعنى

الاصلح فالعمل الاشارة اوامر النسخ نقل انسان الله وترقيه من حال الى حال اعلى منه فان عصمتنا سنكالهم ابدا نأمره ويجم وصالهم دائما فهم فلا

ينسخ من آثار عبادتهم شيء الا ابدل منها اشياء من انوار العبودية ولا ينسخ شيء من انوار العبودية الا اقيم مكانها اشياء من اقمار الربوبية

واتيهم لهم شاهدين بعض الوقايع الشريفة في الصور اللطيفة كشفتها المتخيلة بحسب صفاء الوقت وعلو المقام فلما ارتقوا الى مقام

آخر شاهدوا من ذلك بتلك المشاهدة فيظن انسان الله العزيز بحسب عن تلك المقام والحال فقيل ما ننسخ من آية من آيات المقامات او ننسها

نمحوها من لوح الخيال نأت بخير من تلك المشاهدة او مثلها ثم الائمة استنبطوا من الآية مسائل الاولى زعم قوم انه لا يجوز نسخ الحكم الا الى

بدل لقوله نأت بخير منها او مثلها والجمهور على خلافه لان الآية لا تدل الا على وجوب الاتيان بآية اخرى اما على وجوب الاتيان بحكم آخر فلا

سلمنا لكنه مخصوص بنسخ تقديم الصدقة بين يدي النجوى وبنسخ وجوب الامساك بعد الفطر من غير بدل سلمنا عدم تخصيصه لكن لم لا

يجوز ان يكون ذلك البدل عدم الحكم الذي يرتفع بالنسخ ويكون نسخا بغير بدل ويكون خيرا للمكلف لمصلحة علمت الثانية زعم قوم ان النسخ

لا يجوز بالاثقل لان الاثقل لا يكون خيرا منه لا مثلا ورد الجمهور عليهم بان المراد كثرة الثواب وذلك لا ينافي كونه اثقل اجرك على قدر نصبك

وايضا قد وقع كنسخ التخيير بين الصوم والفدية بالصوم حتما وصوم عاشورا برمضان والحبس في البيوت للزاني بالجلد اما النسخ الى الاخف فكنسخ

العدة من الحول الى اربعة اشهر وعشر وكنسخ صلوة الليل الى التخيير فيها واما نسخ الشيء الى المثل فكالتحويل من بيت المقدس الى الكعبة الثالثة

عن الشافعي ان الكتاب لا ينسخ بالسنة المتواترة لقوله نأت بخير منها وذلك يدل على ان المأتي من جنسه كما اذا قال الانسان ما اخذ منك من ثوب

آتك بخير منه يفيد انه يأتيه بثوب من جنسه خير منه وجنس القرآن قرآن وايضا نأت يدل على ان الآتي هو الله لا الرسول وايضا المأتي به خير والسنة

لا يكون خيرا من القرآن وايضا قوله الم تعلم ان الله على كل شيء قدير دل على ان الآتي بذلك الخير هو القادر على جميع الخيرات وعلى تصريف

المكلف تحت مشيئته وارادته لا دافع لما اراد ولا مانع لما شاء وذلك هو الله تعالى واجيب بان قوله نأت بخير منها ليس فيه ان ذلك الخير يجب ان

يكون ناسخا بل لا يمتنع ان يكون ذلك الخير شيئا مغايرا للناسخ يحصل بعد حصول النسخ وذلك ان الاتيان بذلك الخير مرتب على نسخ الآية الاولى

فلو كان نسخ تلك الآية مرتبا على الاتيان بذلك الخير لزم الدور وقلت ويمكن دفع الدور بان يقال المراد ما ننسخها من آية نأت بخير منها حتى

ننسخها ثم احتج الجمهور على وقوع نسخ الكتاب بالسنة بان آية الوصية للاقربين منسوخة بقوله لا وصية لوارث وبان آية الجلد صارت منسوخة

بخبر الرجم اجاب الشافعي بان كون الميراث حقا للوارث يمنع من صرفه الى الوصية فثبت ان آية الميراث مانعة من الوصية ولعل الرجم انما ثبت

بقوله الشيخ والشيخة الخ له ملك السموات والارض فهو يدبر الامور ويجريها على حسب المصالح وهو اعلم بما يتعبد المكلفين به من ناسخ

ومنسوخ والخطاب في الم تعلم اما للنبي فيحمل الاستفهام على التقرير والاثبات لظهور آثار قدرته

تحقيق فيه من التأويل

ووضوح آيات ملكه وسلطانه وقيل اشارة الى ان اشاهد لبلة القران بعين اليقين ثم علمها حق اليقين فترقى من رتبة الآيات الى كشف الصفات
ومن كشف الصفات الى عيان الذات ثم تنحى عن الخيال فاثبت في العيان والواصل لعند الله وكل من ولى امره احد فهو وليه فعيل بمعنى فاعل
وكذا النصير والواو في وما لكم يحتمل ان يكون للاعتراض فلا محل للجملة ويحتمل ان يكون للعطف على له ملك السموات فيدخل تحت الاستفهام
ويكون قوله من دون الله من وضع الظاهر موضع الضمير كما يوقف على والارض أم تريدون قيل الخطاب للمسلمين لقوله ومن يتبدل الكفر
بالايمان وهذا لا يصح الا في حق المؤمنين ولان ام للعطف ولا معطوف ظاهرا فالتقدير فقولوا انظرنا واسمعوا فهل تفعلون هذا كما
امرتم أم تريدون أن تسئلوا رسولكم ولعله سئل قوم من المسلمين ان يجعل لهم ذات انواط كما كان للمشركين ذات انواط وهي شجرة كانوا
يعبدونها ويعلقون عليها المأكول والمشروب كما سئلوا موسى ان يجعل لهم الها كما لهم آلهة وهذا قول الاصم والجبائي وابي مسلم وقيل نزلت في
لاهل مكة وهو قول ابن عباس ومجاهد ان عبدالله بن امية المخزومي اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من قريش فقال يا محمد والله ما اؤمن بك حتى
تفجر لنا من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل وعنب او يكون لك بيت من زخرف او ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك بعد ذلك
حتى تنزل علينا كتابا من الله الى عبدالله بن امية ان محمدا رسول الله فاتبعوه وقال له بقية الرهط فان لم تستطع ذلك فأتنا بكتاب من
عند الله جملة واحدة فيه الحلال والحرام والحدود والفرائض كما جاء موسى الى قومه بالالواح من عند الله كما سأل السبعون وعن مجاهد
ان قريشا سألت محمدا صلى الله عليه وسلم ان يجعل لهم الصفا ذهبا فقال نعم هو لكم كالمائدة لبني اسرائيل فابوا ورجعوا وقيل المراد اليهود لان هذه السورة
من اول قوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي حكاية عنهم ومحاجة معهم ولان الآية مدنية ولانه جرى ذكر اليهود وما جرى ذكر غيرهم ولان المؤمن
بالرسول لا يكاد يسئل ما يتبدل كفرا بايمان وليس في ظاهر الآية انهم اتوا بالسؤال فضلا عن كيفية السؤال بل المرجع فيه الى الروايات المذكورة
وههنا بحث وهو ان السؤال الذي ذكروه ان كان طلب المعجزات فمن اين انه كفر ومعلوم ان طلب الدليل على الشيء لا يكون كفرا وان كان ذلك
طلبا لوجه الحكمة التفصيلية في نسخ الاحكام فهذا ايضا لا يكون كفرا فان الملائكة طلبوا الحكمة التفصيلية في خلق البشر ولم يكن ذلك كفرا
فالتكفير اما لانهم طلبوا منه صلى الله عليه وسلم ان يجعل لهم الها كما لهم آلهة واما لانهم طلبوا المعجزات على وجه التعنت واللجاج قلت والاصوب في الآية ان تكون
ام تريدون معطوفا على الم تعلم على انه خطاب لكل مكلف فيكون في معنى الجمع ثم ام اما ان تكون متصلة على معنى اي الامرين كائن فان العلم
واقع يكون احدهما لا الامران لانه اما ان لا يعلم بقوة نطقه وقلة تدبره ان الكل تحت قهره وتسخيره واما ان يعلم فيسأل عن جهة الحكمة في النسخ وغيره على سبيل العناد
وكلا الامرين يوجب التكفير اما الاول فظاهر واما الثاني فلان المعترف بحكمة البالغة وعناية الشاملة ورأفة الكاملة وقدرته الظاهرة من حقه
ان يقتصر على علم اجمالي ولا يتخطى مقام الادب في البحث والتفتيش عن تفاصيل حكمته التي تكاد تحصر يوهم ان السائل في شك مما امر به او نهي عنه
وعلى هذا لا يوقف على نصير واما منقطعة على ان اضرب بمعنى الاستفهام الاول الى استفهام ثان ويحتمل ان لا يكون قوله ومن يتبدل
الكفر بالايمان حكاية تكفيرهم بسبب السؤال بل يكون تنبيها للمكلفين على ان السؤال عما لا يهمهم ربما قد يجر الى الغواية لكثرة عروض الشكوك والشبهات
حتى يبقوا على اعتقاد الحق بالتقليد الصرف فيما لا سبيل الى دركه تفاصيله ولا يهمهم فيها وسواء السبيل وسطه وهو الصراط المستقيم الذي من تغيير

وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ

دوست میدارند بسیاری از اهل کتاب که برگردانند شما را پس از گرویدن تان کافران از جهت حسد پس از آنکه ظاهر شد مر ایشان را حقیقت پس در گذرید و بخشید تا که صادر فرماید خدا فرمان خود

اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

بیشک خدا بر هر چیزی تواناست و بر پای دارید نماز را و بدهید زکوة را و هر چه پیش فرستید از برای خودتان از خوبی می یابید او را نزد خدا بیشک خدا به آنچه میکنید بیناست

وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ

و گفتند که داخل نشود بهشت را مگر کسی که باشد از یهود یا ترسایان چنین است آرزوهای ایشان بگو که بیارید حجت خودتان را اگر هستید راستگویان آری هر که تسلیم کرد

وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ

روی خود را از برای خدا و حال آنکه نیکوکار است پس مر او راست مزد او نزد پروردگار او و نیست ترسی بر ایشان و نه ایشان اندوهگین شوند و گفتند یهود که نیستند ترسایان بر چیزی و گفتند

النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

ترسایان که نیستند یهود بر چیزی و حال آنکه ایشان میخوانند کتاب را همچنین میگویند آنان که نمیدانند مانند گفتار ایشان پس خدا داوری کند میان ایشان روز قیامت

فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ القراءات مقدم سلف الوقوف كفار ج لان حسدا مصدر محذوف اي يحسدونكم حسدا وحال او مفعول له وهو وجه لو

در آنچه بودند که در آن اختلاف میکردند

وصل بصير الحق ج لعطف الجملتين المختلفتين بامره ط قدير ه الزكوة ط لان ما للشرط والشرط مستأنف عند الله ط بصير ه
او نصارى ط امانيهم ط صادقين ه ولا وقف عند بعضهم لعطف الجملتين المتفقتين يحزنون ه النصارى على شيء ص لعطف الجملتين المتفقتين على شيء ص لان
الواو للحال الكتاب ط مثل قولهم ج لان فالله مبتدأ مع فاء التعقيب يختلفون ه التفسير هذا نوع آخر من مكايد اليهود روي ان فنحاص بن عازوراء
وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد الم تروا ما اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا

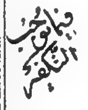

فهو خير لكم ان يصل ونحن احق منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قال بانی عاهدت ان لا اكفر بمحمد ما عشت فقال اليهود اما هذا فقد صبا
وقال حذيفة واما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم اتيا رسول الله
واخبراه فقال اصبتما الخير وافلحتما فنزلت كفارا نصب على الحال ومفعول ثان ليردونكم على انه بمعنى يصيرونكم حسدا من قبح الخصال الذميمة قال ع الحسد
ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب وقال ان لنعم الله اعداء فقيل وما اولئك قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال ستة يدخلون
النار قبل الحساب الامراء بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين بالتكبر والتجار بالخيانة واهل الرستاق بالجهالة والعلماء بالحسد وروى ان موسى
لما ذهب الى ربه راى في ظل العرش رجلا يغبط بمكانه فقال ان هذا لكريم على ربه فسأل ربه ان يخبره باسمه فلم يخبره باسمه فقال احدثك من عمله ثلثا
كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وكان لا يعق والديه ولا يمشي بالنميمة ويحكى ان عبد الله بن عون دخل على الفضل بن المهلب وكان يومئذ
على واسط فقال اني اريد ان اعظك بشيء اياك والكبر فانه اول ذنب عصى الله به ابليس ثم قرأ فسجدوا الا ابليس استكبر واياك والحرص فانه اخرج آدم
من الجنة امكنه الله من جنة عرضها السموات والارض فاكل منها فاخرجه الله ثم تلا اهبطا منها واياك والحسد فانه قتل ابن آدم اخاه حين حسده
ثم قرأ واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق وقال ابن الزبير ما حسدت احدا على شيء من امر الدنيا لانه ان كان من اهل الجنة فكيف احسده على الدنيا و
هي حقيرة في الجنة وان كان من اهل النار فكيف احسده على امر الدنيا وهو يصير الى النار واعلم انه اذا انعم الله على اخيك بنعمة فان اردت زوالها فهذا
هو الحسد المحرم الذي ذم الله تعالى صاحبه في هذه الآية وغيرها ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ان تمسسكم حسنة تسؤهم ليوسف
واخوه احب الى ابينا منا وان اشتهيت لنفسك مثلها فهذا هو الغبطة والمنافسة المشتقة من النفاسة وليست بحرام لقوله تعالى وفي ذلك فليتنافس
المتنافسون سابقوا الى مغفرة من ربكم وقال ع لا حسد الا في اثنين رجل آتاه الله مالا فانفقه في سبيل الله ورجل آتاه الله علما فهو
يعمل به ويعلم الناس وهذا يدل على ان الحسد قد يطلق على المنافسة وقد يكون واجبا اذا كانت النعمة دينية واجبة كالايمان والصلوة والزكوة
وقد يكون مندوبا به في نحو الانفاق في سبيل الله والتشمر للعلم والتعليم وقد يكون مباحا وللحسد مراتب اربع الاولى ان يحب زوال النعمة عنه
وان لم يحصل له وهذه اخبث الثانية ان يحب زوالها عنه اليه كرغبته في داره الحسنة او امرأته او ولايته فالمطلوب بالذات حصولها له فاما زوالها
عن غيره فمطلوب بالعرض الثالثة ان لا يشتهي عينها بل يشتهي لنفسه مثلها فان عجز عن مثلها احب زوالها كيلا يظهر التفاوت بينهما الرابعة
ان يشتهي لنفسه مثلها فان لم يحصل فلا يحب زوالها عنه وهذا الاخير هو المعفو عنه ان كان في الدنيا والمندوب اليه ان كان في الدين والثالثة
منها مذموم وغير مذموم والثانية اخف من الاولى والحث قال تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض فتمنيه لمثل ذلك غير مذموم وتمنيه
لعين ذلك مذموم واسباب الحسد سبعة اولها العداوة والبغضاء فان من آذاه انسان ابغضه قلبه وغضب عليه وتولد منه الحقد المقتضي
للتشفي والانتقام فان عجز المبغض عن ان يتشفى بنفسه احب ان يتشفى منه الزمان كما قال عز من قائل ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم
سيئة يفرحوا بها وربما افضى هذا الحسد الى التنازع والتقاتل وثانيها التعزز فان واحدا من امثاله اذا نال منصبا عاليا يترفع عليه وهو
لا يمكنه تحمل ذلك اراد زوال ذلك المنصب عنه وليس من غرضه ان يتكبر بل غرضه ان يدفع كبره فانه قد رضي بمساواته وثالثها ان يكون في طبعه ان
يستخدم غيره فيريد زوال النعمة من ذلك الغير ليقدر على ذلك الغرض قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم اهؤلاء من الله عليهم
من بيننا كالاستحقار لهم والانفة منهم ورابعها التعجب او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم وخامسها الخوف من فوت المقاصد
وذلك يختص من المتزاحمين على مقصود واحد كتحاسد الضرتين في التزاحم على مقاصد الزوجية وتحاسد الاخوة في التزاحم على نيل المنزلة عند
الابوين وتحاسد الوعاظ المتزاحمين على اهل بلدة وسادسها حب الرياسة كمن يريد ان يكون عديم النظير في فن من الفنون فانه لو سمع بنظير
له في اقصى العالم ساءه ذلك واحب موته فان الكمال محبوب لذاته وضد المحبوب مكروه ومن جملة انواع الكمال التفرد بالكمال لكن هذا يمتنع حصوله
الا لله تعالى ومن تمنى المحال خاب وخسر وسابعها شح النفس بالخير على عباد الله فانك تجد من لا يشتغل برياسة ولا تكبر ولا طلب مال اذا وصف عنده حسن
حال عبد من عباد الله شق عليه ذلك واذا وصف اضطراب امور الناس وادبارهم فرح به فهو ابدا يحب الادبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده
كانهم ياخذون ذلك من ملكه وخزانته وهذا ليس له سبب ظاهر سوى خبث النفس كما قيل البخيل من بخل بمال غيره وقد يجتمع بعض هذه الاسباب
فيعظم الحسد ويقوى بحسبه وقلما يقع التحاسد الا في امور دنيوية لان الدنيا لا تفي بالمتزاحمين اما الاخرة فلا ضيق فيها فلهذا لا يكون تحاسد
بين ارباب الدين واصحاب اليقين وانما يكونون بلقاء اخوانهم مستأنسين وببقاء اقرانهم فرحين ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا
على سرر متقابلين واما علاج الحسد فامران العلم والعمل اما العلم ففيه مقامان اجمالي وهو ان يعلم ان الكل بقضاء الله وقدره وان ما شاء الله
كان وما لم يشأ لم يكن لا يرده كراهية كاره ولا يجره ارادة مريد وتفصيلي وهو ان يعلم بان الحسد قذى في عين الايمان حيث كره حكم الله وقسمته في
عباده وغش للاخوان وعذاب اليم وحزن مقيم ومورث للوسواس ومكدر للحواس لا ضرر على المحسود في دنياه لان النعمة لا تزول عنه بحسدك
ولا في دينه بل ينتفع به لانه مظلوم من جهتك فيثيبه الله على ذلك وقد ينتفع في دنياه ايضا من جهة انك عدوه ولا تزال تزيد غمومك و
احزانك الى ان يفضي بك الى الدنف والتلف شعر اصبر على مضض الحسود فان صبرك قاتله النار تأكل بعضها ان لم تجد ما تأكله وقد يبدله

حكاية

في بيان مراتب الحسد

في بيان علاج الحسد

بحسد

بحسد الحاسد على كونه مخصوصا من الله تعالى بمزيد الفضائل شعر لا مات اعداؤك بل خلدوا حتى يروا منك الذي يكمد لا زلت محسودا على نعمة فانما الكامل
من يحسد . والحاسد مذموم بين الخلق ملعون عند الخالق مشكور في المجلس صديقه ان مدحوه عند الخلق واولياؤه فهل هو الا كمن رمى حجرا الى
عدوه ليصيبه به مقتله فلا يصيبه بل يرجع على حدقته اليمنى فيقلعها فيزداد غضبه فيعود ثانيا فيرميه اشد من الاول فيرجع على عينه الاخرى فيعميه
فيزداد غيظه فيعود ثالثا فيرجع على راسه فيشدخه وعدوه سالم في كل الاحوال وقد عاد عليه الوبال واعداؤه حوله يفرحون ويضحكون
هذا في الدنيا ولعذاب الاخرة اشد وابقى واما العلم فهو ان ياتي بالافعال المضادة لمقتضيات الحسد فان بعثه الحسد على القدح فيه كلف
لسانه المدح له وان حمله على التكبر عليه كلف نفسه التواضع له وان حمله على قطع اسباب الخير سعى في ايصال الخير اليه حتى يصير المحسود محبوبا محبا له فاذا
الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وذلك التكلف يصير بالاخرة طبعا والله الموفق واعلم ان الثمرة القائمة بقلب الحاسد من الحسد
امر غير داخل في وسعه فكيف يعاقب عليه وانما الداخل تحت التكليف رضاه بتلك الثمرة ثم اظهار اثارها من القدح فيه والقصد الى ازالة النعمة
عنه وجر اسباب المحنة اليه ثم انهم كانوا يريدون رجوع المؤمنين من الايمان من بعد ما تبين لهم ان الايمان صواب وحق فالقوا اليهم ضروبا من
الشبهة لعلمهم ان المحق لا يعدل عن الحق الا بالشبهة احدها ما يتصل بالدنيا وهو قولهم قد علمتم ما نزل بكم من اخراجكم من دياركم واموالكم
واستمرار الخوف عليكم فاتركوا ايمانكم الذي انتم عليه والثاني في باب الدين بالقدح في المعجزات وتحريف التورية وقوله من عند انفسهم اما
ان يتعلق بود اي تمنوا ذلك من قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لانهم ودوا ذلك من بعد ما تبين لهم انكم على الحق واما ان يتعلق
بحسدا اي حسدا منبعثا من اصل نفوسهم فاعفوا واصفحوا فاسلكوا سبيل العفو والصفح بترك المقابلة والاعراض عن الجواب لان ذلك اقرب الى
تسكين الثائرة الا داء ما ابلغ حتى ياتي الله بامره عن الحسن انه المجازاة يوم القيمة وقيل قوة الاسلام وكثرة المسلمين والاكثرون على انه الامر بالقتال
فعنده يتعين اما الاسلام واما قبول الجزية وتحمل الذل والصغار والاية منسوخة لان الاية التي علق بها غير معلومة شرعا فليس كقوله ثم اتموا
الصيام الى الليل بل يحمل قوله فاعفوا واصفحوا الى ان ينسخه عنكم عن الباقر انه لم يؤمر رسول الله بقتال حتى نزل جبرئيل بقوله اذن
للذين يقاتلون بانهم ظلموا وقلده سيفا فكان اول قتال قتال اصحاب عبد الله بن جحش ببطن نخل وبعده غزوة بدر فان قيل كيف يعفون
ويصفحون والكفار حينئذ اصحاب قوة وشوكة والصفح لا يكون الا عن قدرة قلنا ان الرجل من المسلمين كان ينال بالاذى فيقدر على بعض
التشفي والاستعانة على بسائر اصحابه فامروا ان لا يهيجوا قتالا وفتنة وايضا القليل منهم كان يقاوم الكثير من المشركين ان يكن منكم عشرون
صابرون يغلبوا مائتين وايضا جعل الصابر له القوة في ليظهره على الدين كله وقيل المراد بالعفو والصفح حسن الاستدعاء واستعمال
ما يلزم فيهم من النصح والاشفاق وترك التشدد وعلى هذا لا يكون الاية منسوخة وكذا لو قيل المراد بامر الله قتل بني قريظة واجلاء بني النضير
واذلالهم بضرب الجزية عليهم ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر على الانتقام منهم واقيموا الصلوة تنبيه على انه كما يلزمهم لحظ حال غيرهم
بالعفو والصفح كذلك يلزمهم لحظ انفسهم باداء الواجبات من خير من حسنة صلوة او صدقة فريضة او تطوع فعمم بعد ما خص تنبيها على
ان الثواب لا يختص بالواجبات بل بها وبغيرها من الطاعات ولا بد من اضمار اي تجدوا ثوابه لان وجدان عين تلك الاشياء غير مطلوب ان الله
بما تعملون بصير لا يخفى عليه شيء من الاعمال ففيه ترغيب للمحسن وترهيب للمسيء وقالوا لن يدخل الجنة نوع اخر من تخليط اهل الكتاب اليهود والنصارى
والضمير في وقالوا لهم والمعنى وقالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخلها الا من كان نصارى فضم بين القولين ثقة
بان السامع يرد الى كل فريق ما قاله لما علم من تكفير كل واحد منهما صاحبه ومثله وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا والهود جمع هائد كبازل وبزل
وعائذ وعوذ والعائذ الحديثة النتاج من النوق والبازل الذي يخرج نابه ووحد اسم كان حملا على لفظ من وجمع خبره حملا على المعنى ومثله
فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم تلك امانيهم على حذف المضاف اي امثال تلك الامنية امانيهم يريد ان امانيهم جميعا في البطلان مثل هذه وهي قولهم لن
يدخل الجنة او اشير بتلك الى ما ودوه من ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم امنية وودهم ان يردوهم كفارا امنية وقولهم لن يدخل الجنة
امنية اي تلك الاماني الباطلة امانيهم وقوله قل هاتوا برهانكم متصل بقوله لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وتلك امانيهم اعتراض
على هذا وهات للشيء اسم فعل معناه اعط وتصرف فيه بحسب المامور هات هاتيا هاتوا هاتي هاتين وقيل الصحيح انه ليس باسم فعل وانما
الهاء فيه مبدلة من الهمزة واصله ائت من الايتاء برهانكم حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم وفيه دليل واضح على
ان المدعي نفيا او اثباتا لا بد له من برهان والا فدعواه باطلة من ادعى شيئا بلا شاهد لا بد ان يبطل دعواه بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة
وقوله من اسلم الى اخره جملة شرطية مستانفة ويجوز ان يكون من اسلم فاعلا لفعل محذوف اي بلى يدخلها من اسلم ويكون قوله فله اجره كلاما
معطوفا على يدخلها من اسلم وفيه اشارة الى ان هؤلاء الداخلين برهانا وهو اسلام النفس لانقيادها لطاعة الله مع الاحسان وفيه ترغيبهم
في الاسلام وبيان لمفارقة حالهم لحال من يدخل الجنة كانه قيل لهم انتم على ما انتم عليه لا تفوزون بالجنة بلى ان غيرتم طريقتكم واسلمتم وجهكم لله واحسنتم
فلكم الجنة وانما خص الوجه بالذكر لانه اشرف الاعضاء من حيث انه معدن الحواس ومنبع الفكر والتخيل فاذا تواضع الاشرف كان غيره اولى ولان
الوجه قد يكنى به عن النفس والذات كل شيء هالك الا وجهه الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولان اعظم العبادات السجدة وهي انما تحصل بالوجه فهذا

الاسلام اخص لان الاسلام المذكور في الحديث الاسلام ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتقيم الصلوة وتؤتي الزكوة وتحج البيت
ان استطعت اليه سبيلا لكن هذا عبارة عن الاذعان الكلي بجميع القوى والجوارح في كل الاحوال والاوقات فهو الاسلام الذي امر به ابرهيم
اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ويؤكد ذلك قوله لله اي خالصا له لا يشوبه شرك فلا يكون عابدا مع الله غيره ولا معلقا رجاءه
بغيره وزاد التاكيد بقوله وهو محسن اي حال كونه محسنا في عمله ومعنى الاحسان هو الذي في حديث الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه
فانه يراك ولا ريب ان العبادة على هذا الوجه لا يتصور الا عمن رق البشرية وصفاء الطوية فان مثول العبد بين يدي مولاه يشغله عن الالتفات
الى ما سواه فلا يقع قصده فيما هو فيه الا لوجه الله فلا يصدر عنه شيء من السيئات واما الطاعات والمباحات فيكون مقتضيا لتزايد الحسنات
ورفع الدرجات في الخبر من تطيب لله جاء يوم القيمة وريحه اطيب من ريح المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيمة وريحه انتن من الجيفة وذلك
ان المتطيب ان كان قصده التنعم واستيفاء اللذات او التودد الى النسوان كان التطيب معصية وان كان قصده اقامة السنة ودفع الروائح
المؤذية عن عباد الله وتعظيم المسجد فهو عين الطاعة وكذا الكلام في المناكح والمطاعم والمشارب والضابط ان كل ما فعلته لداعي الحق فهو العمل الحق
كل ما عملته لغير الله فغايته الحساب وشرها العذاب وروي ان رجلا في بني اسرائيل مر بكثبان من رمل في مجاعة فقال في نفسه لو كان هذا الرمل
طعاما لقسمته بين الناس فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل له ان الله قد صدقك وشكر حسن نيتك واعطاك ثواب ما لو كان طعاما فتصدقت به وليس النية
ان يقول في نفسه او بلسانه عند تدريس او تجارة نويت ان ادرس لله او اتجر لله فهيهات انما ذلك حديث نفس او لسان وما ذلك الا كقول الفارغ نويت
ان اعشق وانما النية انبعاث النفس وميلها الى سلوك طريق الحق في كل فعل فاجتهد في تحصيل ملكة النفس ثم فرق الناس فيما يتقون مراتب
فمنهم من يعمل لباعث الخوف من النار فله ذلك ومنهم من يعمل لباعث الطمع في الجنة وهم اكثر اهل الجنة ممن قصرت هممهم عن طموح ما فوقها من الكمالات
واللذات الحقيقيات اكثر اهل الجنة البله ومنهم من يعمل لله فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ولما جمع الله تعالى اهل الكتابين
في الاية المتقدمة فصل بينهما وبين قول كل فريق في حق الآخر والظاهر حمل اللفظ على اليهود والنصارى على العموم وان كان السبب خاصا لان هذا اعتقاد كل
واحد من كل من الطائفتين في حق الاخرى روي ان وفد نجران لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاهم احبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت
اليهود ما انتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى والانجيل فقالت النصارى لهم نحوه وكفروا بموسى والتورية ومعنى على شيء يصح ويعتد به وفيه مبالغة
عظيمة كقول العرب اقل من لا شيء عن ابن عباس رضي الله عنه صدقوا انك تحزن ان الايمان بالله لا يعتد به اذا كان مؤمنا برسوله ويجحد ما انزله وهم يتلون
الكتاب الواو للحال واللام في الكتاب للجنس اي قالوا ذلك وحالهم انهم من اهل العلم والتلاوة للكتب وحق من حمل التورية او الانجيل وغيرهما من كتب الله ان يؤمن
بالباقي ولا يكفر به لان جميع الكتب السماوية متواردة في تصديق بعضها بعضا كذلك الكاف للتشبيه ذلك اشارة الى المذكور اي قولا مثل ذلك
سمعنا به قال الذين لا يعلمون ومثل قولهم مكرر للتاكيد لطول الكلام بالموصول والصلة والمراد بالذين لا يعلمون الجهلة الذين لا علم عندهم
ولا كتاب كعبدة الاصنام القائلين ان المسلمين ليسوا على شيء وفيه توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم فقالوا
قولا عن التشهي والعصبية مثلهم فالله يحكم بينهم اي بين اليهود والنصارى يوم القيمة عن الحسن يكذبهم جميعا ويدخلهم النار ويجوز ان يرجع الضمير الى
الذين يعلمون والذين لا يعلمون والى المسلمين ويحكم بين المحق والمبطل فيما اختلفوا فيه فينتصف من الظالم المكذب للمظلوم المكذب ويريهم من يدخل الجنة عيانا
ويدخل النار عيانا اعاذنا الله منها **ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها اولئك ما كان**
وکیست ستمکارتر از آنکه واداره مسجدهای خدارا از آنکه ذکر شود دران نام خدا و جهد کند در خرابی آن آن گروه سزاوار نیستند که
لهم ان يدخلوها الا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم ولله المشرق والمغرب فاينما
که درآیند درآنجا مگر ترسان ایشان راست در دنیا رسوائی و مر ایشان راست در آخرت عذابی بزرگ و مر خدایراست مشرق و مغرب پس هرجا
تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والارض كل له قانتون
که روآرید پس آنجاست قبله بدرستی که خدا گشایش است ودانا و گویند که قرار داده است خدا از برای خود فرزند منزه است او بلکه مر او راست هرچه در آسمانها و زمین است هریک مر او را فرمانبردارند
بديع السموات والارض واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله او تاتينا
آفریننده آسمانها و زمین است و چون اراده کرد فرمانی را پس جزین نیست میگوید او را که باش پس میباشد و گویند آنانکه نمیدانند که چرا گفتگو نمیکند با ما خدا و نمیآید ما را
اية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون القراءات قالوا اتخذ الله ولدا
نشانی و همچنین گویند آنان که پیش از ایشان بودند مانند گفتار ایشان مانند هم است دلهای ایشان بتحقیق که ظاهر ساختیم نشانها را از برای گروهی که یقین دارند بلا واو العطف ابن عامر ايضا
لمصاحف اهل الشام كن فيكون بالنصب كل القرآن ابن عامر الا قوله كن فيكون الحق في آل عمران وكن فيكون قوله الحق في الانعام وافقه الكسائي في النحل
ويس الوقوف خرابها ط للفصل بين الاستفهام والخبر خائفين ط لان ما بعده اخبار وعيد مبتدأ لمنتظر عظيم وجه الله ط عليم ولدا لا لتعجيل
للتنزيه سبحانه ط والارض ط لان ما بعده مبتدأ قانتون والارض ط لان اذا الجيب بالفاء وكانت الشرط فيكون آية ط قلوبهم ط لان قد لتوكيد
الاستيناف يوقنون التفسير عن ابن عباس ان ملك النصارى غزا بيت المقدس فخربه والقى فيه الجيف وحاصر اهله وقتلهم وسبى البقية واحرق

النوبة ولم يزل خرابا حتى بناه اهل الاسلام في زمان عمر وقيل نزلت الآية فيهم عن الحسن وقتادة والسدي نزلت في بختنصر حيث خرب بيت المقدس واعانه
على ذلك بعض النصارى ورد بان بختنصر كان قبل مولد المسيح بزمان وقيل نزلت في مشركي العرب الذين منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء الى الله
بمكة والجاؤه الى الهجرة فصاروا مانعين له ولاصحابه ان يذكروا الله في المسجد الحرام وقيل المراد منع المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل المسجد الحرام

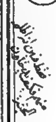

عام الحديبية ووجه اتصال الآية بما قبلها على القولين الاولين هو ان النصارى ادعوا انهم من اهل الجنة وعلى الآخرين هو انه جرى ذكر
مشركي العرب في قوله كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فعقب ذلك بذكر قبائحهم ومن استفهامية لتقرير النفي اي ليس احد اظلم ممن منع وان يذكر ثاني
مفعوليه لانك تقول منعته كذا او بدل من مساجد او حذف حرف الجر مع ان والتقدير كراهة ان يذكر فيكون مفعولا له وهذا حكم عام لجنس
مساجد الله وان مانعها من ذكر الله تعالى مفرط في الظلم ولا مانع ان يجيء الحكم عاما وان كان السبب خاصا كما تقول لمن اذى صالحا واحدا من اظلم ممن اذى
الصالحين مثله وقيل كل همزة لمزة والمنزول فيه الاخنس بن شريق فينبغي ان يراد بمن منع العموم لا الذين منعوا من اولئك النصارى والمشركين
باعيانهم والسعي في خراب المساجد بانقطاع الذكر او بتخريب البنيان قيل ان قوله ومن اظلم الذي هو في قوة ليس احد اظلم ليس على عمومه لان الشرك
الشرك اعظم من هذا الفعل ان الشرك لظلم عظيم وكذا الزنى وقتل النفس قلنا اما استعمال لفظ الظلم في هذا المعنى ففي غاية الحسن لان المسجد موضوع
لذكر الله تعالى فيه فالمانع من ذلك واضع الشيء في غير موضعه واما انه لا اظلم منه فلانه ان كان مشركا فقد جمع مع شركه هذه الخصلة الشنعاء فلا اظلم منه

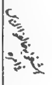

وان كان يدعي الاسلام ففعله مناقض لقوله لان من اعتقد ان له معبودا وجب عبادته له عقلا او شرعا والعبادة تستدعي متعبدا لا محالة
فتخريب المعبد ينبئ عن انكار العبادة وانكار العبادة يستلزم انكار المعبود فهذا الشخص لا يكون في الحقيقة مسلما وانما هو منخرط في سلك اهل النفاق و
المنافق شر من الكافر الاصلي بلا نفاق اولئك ما كان لهم اي ما ينبغي لهم ان يدخلوها في حال من الاحوال الا خائفين على حال التهيب وارتعاد
الفرائص من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق والواجب الا ذلك لولا ظلم الكفرة
وعتوهم وقيل هذه بشارة من الله تعالى للمؤمنين انه سيظهرهم على المسجد الحرام وعلى سائر المساجد وانه يذل المشركين لهم حتى لا يدخلوا المسجد الحرام الا خائفين
من ان يعاقبوا او يقتلوا ان لم يسلموا وقد انجز الله هذا الوعد فمنعهم من دخول المسجد الحرام ونادى فيهم عام حج ابو بكر الا لا يحجن بعد العام مشرك
وامر النبي صلى الله عليه وسلم باخراج اليهود من جزيرة العرب وصار بيت المقدس في ايدي المسلمين وقيل حرم عليهم دخول المسجد الا في امر يتضمن الخوف نحو ان يدخلوا
للمحاكمة والمخاصمة او المحاجة وقيل اللفظ خبر ولكن معناه النهي عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه كقوله وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله
ومن هنا قال مالك لا يجوز للكافر دخول المساجد وخص الشافعي المنع بالمسجد الحرام لجلالة قدره ومزيد شرفه وللتصريح بذلك في قوله انما المشركون
نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وجوز ابو حنيفة دخول المساجد كلها لما روي انه صلى الله عليه وسلم قدم عليه وفد ثقيف فانزلهم المسجد وقيل كان في
اول الاسلام ثم نسخ بالآية وقيل منعهم من المساجد بالجزية في اهل الذمة وبالسيف القتل في حق اهل الحرب بحيث لا يدع لهم عرشا على الكفر وقيل
الخزي فتح مدائنهم قسطنطينية وعمورية ورومية والعذاب العظيم يناسب الظلم العظيم ولنذكر هنا فوائد الاولى في بيان فضل المساجد من ذلك
اضافتها الى الله في الآية وذلك يدل على شرفها وكذا في قوله وان المساجد لله بلام الاختصاص انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر

في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه وقال صلى الله عليه وسلم احب البلاد الى الله مساجدها وابغض البلاد الى الله اسواقها وليس ذلك الا لان المسجد
يذكر الحبيب والسوق يشغل عنه وفي الآية نكتة وهي ان مخرب المساجد لما كان في غاية الظلم والكفر يلزم ان يكون عامر المساجد في غاية العدل والايمان
الثانية في فضل المشي الى المساجد عن ابي هريرة انه قال من تطهر في بيته ثم مشى الى بيت من بيوت الله ليقضي فيه فريضة من فرائض الله كانت خطوتاه احداهما
تحط خطيئة والاخرى ترفع درجة وقال صلى الله عليه وسلم لبني سلمة حين ارادوا ان ينتقلوا الى قرب المسجد دياركم تكتب آثاركم الثالثة في تزيين المساجد عن ابن عباس
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما امرت بتشييد المساجد قال ابن عباس لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى التشييد رفع البناء وتطويله والزخرفة التزيين و
التمويه وامر عمر ببناء مسجد فقال اكن الناس من المطر واياك ان تحمر او تصفر فتفتن الناس الرابعة في تحية المسجد عن ابي قتادة انه قال اذا دخل
احدكم المسجد فليركع ركعتين قبل ان يجلس وتتأدى التحية بالفرض والنفل نواها او لا وهذا مذهب الحسن البصري ومكحول والشافعي واحمد واسحق
وقيل يجلس ولا يصلي واليه ذهب ابن سيرين وعطاء بن ابي رباح والنخعي وقتادة ومالك والثوري واصحاب الرأي الخامسة في الدعاء عند الدخول في

المسجد والخروج عنه روت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ابيها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد صلى على محمد وسلم وقال رب اغفر لي ذنوبي
وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرج صلى على محمد وسلم وقال رب اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب فضلك السادسة في فضيلة القعود فيه لانتظار الصلوة
عن ابي هريرة انه قال الملائكة تصلي على احدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه يقولون اللهم اغفر له ما لم يحدث السابعة في كراهية البيع
والشراء فيه عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن تناشد الاشعار في المساجد وعن البيع والشراء فيها وان يتحلق الناس يوم
الجمعة قبل الصلوة يعني لمذاكرة العلم ونحوه بل يشتغل بالذكر والصلوة والانصات للخطبة ثم لا بأس بالاجتماع والتحلق بعد الصلوة واما طلب
الضالة في المسجد ورفع الصوت بغير الذكر فيكره الثامنة عن ابي هريرة انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سمع رجلا ينشد ضالة في المسجد
فليقل لا اداها الله اليك فان المساجد لم تبن لهذا وقد كره بعض السلف المسألة في المسجد كان بعضهم لا يرى ان يتصدق على السائل المتعرض

في المسجد قال معاذ بن جبل ان المساجد طهرت من خمس من ان يقام فيها الحدود او يقبض فيها الخراج او ينطق فيها بالاشعار او ينشد فيها الضالة او يتخذ
سوقا ولم ير بعضهم بالقضاء في المسجد بأسا لان النبي لاعن بين العجلاني وامرأته في المسجد ولاعن عمر عند منبر النبي وقضى شريح والشعبي ويحيى
بن يعمر في المسجد وكان الحسن وزرارة بن ابي اوفى يقضيان في الرحبة خارجا من المسجد الثالثة عشرة في المسجد عن عباد بن تميم عن عمه انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مستلقيا
في المسجد واضعا احدى رجليه على الاخرى فيه دليل على جواز الاتكاء والاضطجاع وانواع الاستراحة في المسجد مثل جوازها في البيت الا الانبطاح فانه نهي عنه وقال
انها ضجعة يبغضها الله الرابعة عشرة في كراهة البزاق في المسجد عن انس عن النبي قال البزاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها وعنه اذا قام احدكم
الى الصلوة فلا يبصق امامه فانما يناجي الله ما دام في مصلاه ولا عن يمينه فان عن يمينه ملكا ولكن ليبصق عن شماله او تحت رجله فيدفنه الخامسة عشرة
عن جابر ان النبي قال من اكل ثوما او بصلا فليعتزل مسجدنا وعنه من اكل من هذه الشجرة المنتنة فلا يقربن مسجدنا فان الملائكة تتأذى مما يتأذى
منه الانس السادسة عشرة في بناء المساجد في الدور عن عائشة قالت امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناء المساجد في الدور وان تنظف وتطيب وفيه دليل على جواز
تسمية الموضع بالمسجد لا يخرج عن ملك مالكه الا بتسبيله قوله عز من قائل وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ الاية الاكثرون على انها نزلت في امر يختص بالصلوة ومنهم من زعم
اما الفرقة الاولى فاختلفوا على وجوه احدها ان الله تعالى اراد به تحويل المسلمين عن استقبال بيت المقدس الى الكعبة فقال ان المشرق والمغرب جميع الارض
مملوكة له سبحانه ومخلوقة فاينما امركم باستقباله فهو القبلة لان القبلة ليست قبلة لذاتها بل بجعل الله تعالى فكانت الاية مقدمة لما اراد من نسخ القبلة
وثانيها عن ابن عباس لما حولت القبلة عن بيت المقدس انكر اليهود ذلك فنزلت ردا عليهم وثالثها قول ابي مسلم ان كلا من اليهود والنصارى
زعمت ان الجنة لهم وحدهم فرد الله عليهم وذلك ان اليهود انما استقبلوا بيت المقدس لاعتقادهم انه تعالى صعد الى السماء من الصخرة والنصارى استقبلوا
المشرق لان عيسى ولد هناك اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فكل منهما وصف معبوده بالحلول في الاماكن ومن كان هكذا فهو مخلوق لا خالق
فكيف يخلص لهم الجنة وهم لا يفرقون بين المخلوق والخالق ورابعها قول قتادة وابن زيد ان الله تعالى وصف بيت المقدس بالتخيير اي جهة شاء
بهذه الاية وكان للمسلمين ذلك الا ان النبي كان يختار التوجه الى بيت المقدس ثم انه تعالى نسخ ذلك التخيير بتعيين الكعبة وخامسها ان الاية في حق من
يشاهد الكعبة فله الاستقبال من اي جهة شاء وسادسها روي عن عبد الله بن عامر بن ربيعة كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة في ليلة سوداء مظلمة
فلم نعرف القبلة فجعل كل رجل منا مسجده حجارة موضوعة بين يديه ثم صلينا فلما اصبحنا اذا نحن على غير القبلة فذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فانزل الله هذه الاية عذرا لنا في خطأنا وهذا الحديث يدل على انهم قد نقلوا الى الكعبة لان القتال فرض بعد الهجرة بعد نسخ القبلة وسابعها
عن ابن عمر نزلت في المسافر يصلي النوافل حيث توجهت به راحلته وكان صلى الله عليه وسلم اذا رجع من مكة صلى على راحلته تطوعا يومي براسه نحو المدينة فمعنى
الاية فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا وجوهكم لنوافلكم في اسفاركم فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ اي فقد صادفتم رضاه إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ الفضل عَلِيمٌ بمصالحكم فمن ثم رخص لكم كيلا
يلزم ترك النوافل او التخلف عن الرفقة فان النوافل غير محصورة بخلاف الفرائض فانها محصورة فتكليف النزول عن الراحلة لاستقبال القبلة لاجلها يفضي
فيها الى الحرج ولا يخفى ان الاية على الوجه الاول ناسخة وعلى الوجه الرابع منسوخة وعلى سائر الوجوه لا ناسخة ولا منسوخة واما الفرقة الثانية
فاختلفوا ايضا فقيل الخطاب يتناول المانعين والساعين بمعنى انهم ان هربوا فان لي سلطانا في مجيئهم وتدبيرا يسبقهم وعلمي محيط بمكانهم وعن قتادة ان النبي
قال ان اخاكم النجاشي قد مات فصلوا عليه فقالوا نصلي على رجل ليس بمسلم فنزلت وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ الاية فقالوا
انه كان لا يصلي الى القبلة فنزلت هذه الاية اي الجهات التي يصلي اليها اهل كل ملة الى من توجه نحو شيء منها يريد طاعته وجد تعالى ثم فكان في هذا
عذر للنجاشي واصحابه الذين ماتوا على استقبال المشرق كقوله وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ وعن الحسن ومجاهد والضحاك لما نزلت ادْعُونِي أَسْتَجِبْ
لَكُمْ قالوا اين ندعوه فنزلت وعن علي بن عيسى انه خطاب للمسلمين اي لا يمنعكم تخريب من خرب مساجد الله عن ذكره حيثما كنتم من ارض الله فلله بلاد
المشرق والمغرب والجهات كلها فقوله فثم مكان حكم التولية الواجب متمحضا لتبدل قوله فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ فثم الجهة التي امر
بها المرضية وهذا كقوله جعلت لي الارض مسجدا وقيل نزلت في المجتهد في الصلوة وفي غيرها ومثل للمجتهد اي بشرط الاجتهاد راجيا بالتوجيه
ومعنى تولوا اي في جميع الوجوه تستقبلوا بوجوهكم اليها ويقال ولى اليه اذا اقبل وولى عنه اذا ادبر فالتولية من الاضداد ومن جعل الخطاب للمانعين احتمل ان يريد
بالتولية الادبار وثم اشارة الى المكان خاصة وهذه الاية من الايات التي تمسك بها المجسمة تعالى الله عن نعوت الاجسام والجوارح
الا انه لما كان الوجه بحسب مفهومه اللغوي يلزم منه ان يكون محاذيا للمشرق فيستحيل ان يكون محاذيا للمغرب فلا بد من تأويل هو ان
الاضافة للتشريف مثل بيت الله وناقة الله لانه خلقها واوجدها فاي وجه من وجوه العالم وجهاته المضافة اليه بالخلق والتكوين نصبتموه فهو
قبلة او المراد بالوجه القصد والنية مثل وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فثم مرضاة الله مثل إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ فان المتقرب الى
احد شيئا فشيئا كالمتوجه الى شخص ذاهبا اليه شيئا فشيئا وكيف يكون لله تعالى جهة ام كيف يكون بحسب الوجه مكانيا وانه خالق الامكنة والاحياز
والجواهر والاعراض والخالق مقدم على المخلوق تقدما بالذات وبالعلية والشرف فالمراد بالسعة كمال الاستيلاء والقدرة والملك وكثرة العطاء
والنعمة والانعام وانه تعالى قادر على الاطلاق فيوفي ثواب من يقوم بالمأمورات على شرطها ويوفي عقاب من يتكاسل فيها عليم بمواقع نياتهم فيجازيهم
على حسب اعمالهم قوله وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا نوع آخر من قبائح فعال اليهود والنصارى والمشركين جميعا فقد مر ذكرهم في قوله كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ

في القبلة

في النوافل

لا يعلمون مثل قولهم وفي قوله ومن أظلم كأنهم لضعف بصائرهم المتوا اليهم فاليهود قالوا عزير ابن الله والنصارى قالوا المسيح ابن الله والمشركون من العرب
قالوا الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له عن ذلك وتبعيد بل له ما في السموات ملكا وخلقا ابداعا وصنعا ومن جملتهم الملائكة وعزير والمسيح والولد لا بد
ان يكون من جنس الوالد ومن اين المناسبة بين واجب الوجود لذاته وممكن الوجود لذاته اللهم الا في مطلق الوجود وذلك لا يقتضي شركة في الحقيقة
الخاصة بكل منهما وقد يتخذ الولد للحاجة اليه في الكبر ورجاء الانتفاع بمعونته وذلك على الغني المطلق والقيوم الحق محال كل له قانتون التنوين عوض
عن محذوف اي كل ما في السموات والارض والقنوت في الاصل الدوام ثم الطاعة او طول القيام او السكوت فالمعنى دوام الممكنات واستمرارها
جميعا به ولاجله وقيل عن مجاهد وابن عباس مطيعون فسئل ما للكفار فاجاب انهم يطيعون يوم القيامة وقيل هذا للمكلفين وقوله بل له ما في
ما في السموات يعم المكلف وغيره فيصرف الى تفسير آخر فقالوا المراد كونها شاهدة على وجود الخالق بما فيها من آثار القدرة وامارات الحدوث وكونه
في ملكه وتحت قهره لا يمتنع عن تصرفه فيها كيف يشاء وعلى هذا الوجه جمع السلامة في قانتون للتغليب ثم ان كل من الملائكة وعزيرا والمسيح عابد
له مقرون بربوبيته منكرون لما اضافوا اليهم من الولدية وعلى هذا الوجه يحتج على الاصل يحكى ان علي بن ابي طالب قال لبعض النصارى لولا تمرد
عيسى عن عبادة الله تعالى لصرت على دينه فقال النصراني كيف يجوز ان ينسب ذلك الى عيسى مع جده في طاعة الله فقال علي ان كان عيسى الها فالاله
كيف يعبد غيره وانما العبد هو الذي يليق به العبادة فانقطع النصراني وطب بديع خبر مبتدأ محذوف اي هو بديع السموات والارض عم اولا
الملكية والاختصاص ولا يستلزم كون المالك موجدا للمملوك ثم خص ثانيا فقال بديع وابدعه اخترعه لا على مثال وهذا من اضافة الصفة المشبهة
الى فاعلها اي بديع سمواته وارضه وقيل بمعنى المبدع كاليم بمعنى مولم وضعفه انه تم بين كيفية ابداعه فقال واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون
اصل التركيب من ق ض ى يدل على القطع قضى القاضي لهذا اذا فصل الدعوى وانقضى الشيء انقطع وقضى حاجته قطعها عن المحتاج وقضى الامر
اتمه والحكمة لان اتمام العمل قطع له وقضى دينه واداه لانه انقطع كل منهما عن صاحبه وقضى الشيء لانه كان مقطوع الاطراف والامر شان والفعل
منهما ومعنى قضاء امر اتمه او حكم بانه يفعله او احكمه قال الشاعر وعليهما مسرودتان قضاهما داود او صنع السوابغ تبع ومن قرأ فيكون بالرفع على تقدير
فهو يكون فلا اشكال واما من قرأه بالنصب على انه جواب الامر فاورد بعضهم ان جواب الامر لا بد ان يخالف الامر في الفعل وفي الفاعل او فيهما نحو
تنتفع او اذهب ينفعك زيد او اذهب ينفعك زيد اما ان يتفق الفعلان والفاعلان نحو اذهب تذهب فغير جائز لان الشيء لا يكون شرطا لنفسه
قلت لا استبعاد فيه لان الغرض الذي يترتب على الامر قد يكون شيئا مغايرا للفعل الامر وذلك اكثري وقد يكون الغرض الاجر نفس ذلك الفعل فلو
ذلك الفعل فيوقع ذلك الفعل جوابا لنفسه ليعلم ان الغرض منه ليس شيئا آخر مغايرا له وقول القائل اذهب يذهب معناه اعلام
ان الغرض من الامر هو نفس صدور الذهاب عنه لا شيء آخر كان المقصود لا يتم من الامر بالوجود هو نفس الوجود فاوقع كان التامة جوابا
لشبهها لهذا الغرض على انه يمكن ان يشبه الواقع بعد الامر بجواب الامر وان لم يكن جوابا له من حيث المعنى فان قلت ان قوله فيكون لما كان من تتمة المقول
فالصواب ان يكون بناء الخطاب نحو اذهب فتذهب قلت هذا الخاتمة قد ذكر مرتين بلفظ الغيبة في قوله امرا وفي قوله له ومرة على سبيل الخطاب
فغلب جانب الغيبة ويحتمل ان يكون من باب الالتفات تحقيرا لشانه في سهولة تكونه ولان اول الكلام مع المكلفين فرجع الى ذلك فهنا بحث آخر
وهو انه لا يجوز ان يتوقف ايجاد الله تعالى شيئا على صدور هذا اللفظ كن منه لوجوه الاول ان قوله كن اما ان يكون قديما او محدثا لا جائز ان يكون
لان النون لكونه مسبوقا بالكاف يكون محدثا لا محالة والكاف لكونه متقدما على المحدث بزمان مقدر يكون محدثا ايضا ولان اذا للاستقبال
فالقضاء محدث وقوله كن مرتب عليه بفاء التعقيب والمتاخر عن المحدث محدث ولان تكون المخلوق مرتب على كن بفاء التعقيب والمتقدم
على المحدث بزمان يسير محدث ايضا ولا جائز ان يكون كن محدثا والا احتاج الى مثله ويلزم اما الدور واما التسلسل وهذا باطل القسمان
بطل توقف الاشياء على كن الثاني اما ان يخاطب المخلوق بكن قبل دخوله في الوجود وخطاب المعدوم سفه او بعد دخوله في الوجود لا فائدة فيه
الثالث المخلوق قد يكون جمادا وتكليف الجماد لا يليق بالحكمة الرابع اذا فرضنا القادر المريد منفكا عن قوله كن فان تمكن من الايجاد فلا حاجة
الى كن وان لم يتمكن فلا يكون القادر قادرا على الفعل الا عند تكلمه بكن فيلزم عجز القادر بالنظر الى ذاته ويرجع الحاصل الى تسمية القدرة بكن
ولا نزاع في اللفظ الخامس انا نعلم بالضرورة انا اذا تكلمنا بهذه الكلمة لم يحدث اذا تكلم بها غيرنا السادس المؤثر اما المجموع الكاف والنون
ولا وجود لها مجموعين لتعذر مجيء الثاني يقتضي الاول او احدهما وهذا خلاف المفروض فثبت بهذه الوجوه ان حمل الاية على الظاهر غير جائز فلا
من تاويل والاصح ان يقال المراد ان ما قضاه من الامور واراد كونه فانما يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف فشبه حال هذا
المكون بحال المامور المطيع الذي يؤمر فيمتثل لا يتوقف ولا يمتنع ولا يابى وفيه تاكيد لاستبعاد الولادة لان من كان بهذه الصفة من القدرة
كانت حاله مباينة لاحوال الاجسام في توالدها وقيل انه علامة وضعها الله تعالى للملائكة اذا سمعوها علموا انه احدث امرا عن ابي الهذيل
وقيل انه خاص بالموجودين الذين قال لهم كونوا قردة ومن يجري مجراهم من الامم وقيل امر الاحياء بالموت وللموتى بالحياة وقال الذين لا يعلمون
يعني الجهلة من المشركين وقيل من اهل الكتاب ونفي عنهم العلم لانهم لم يعملوا به فالاية الاولى فيها بيان قدحهم في التوحيد وهذه الاية فيها
بيان قدحهم في النبوة ولولا حرف تحضيض اي هلا يكلمنا وتقرير الشبهة ان الحكيم اذا اراد تحصيل شيء اختار اقرب الطرق المؤدية الى المطلوب

انه مثل كلام الملائكة وكلم موسى انت تقول يا محمد لنكلمك فادعو لنا الى عبد ما او حرفا لا يكلف مشافهة ولا نبصر على نبوتك حتى ياتك الا اهتفا
ويزول الشبهة فان لم يفعل ذلك فلم لا ياتي باية معجزة وهذا طعن منهم في كون القران اية ومعجزة فاجابهم الله ثم بقوله كذلك قال الذين
من قبلهم في التعنت كقولنا انواصوا به فكان قوم موسى كانوا ابدا في التعنت واقترحوا الاباطيل لن نصبر على طعام واحد ارنا الله جهرة اجعل
لنا الٰها كما لهم الهة فكذلك هؤلاء المشركون قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا وكذلك
المعاصرون من اليهود والنصارى يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء قد بينا الايات لقوم يوقنون فهم يوقنون انها ايات فلو كان
غرضهم طلب الحق لوقع الاكتفاء بها لكونها ايات ظاهرة هي القران العظيم الذي اخرس شقاشق الفصحاء عن اخرهم ومعجزات باهرة كمجيء الشجرة و
حنين الجذع وتسبيح الحصى واشباع خلق كثير من الطعام القليل وايضا لو كان في معلوم الله تعالى انهم يؤمنون عند انزال ما اقترحوه لفعلها لكنه
علم لجاجهم وعنادهم فلا جرم لم يفعل ذلك وايضا لعل في تلك الايات مفاسد لا يعلمها الا علام الغيوب كافضائها الى حد الالجاء المخل للتكليف و
كايجابها استيصالهم بالكلية اذا استمروا على التكذيب بعد مجيئها او تعجزهم عن الفداء الصالح لالزام الحجة وايضا كثرة الايات وتعاقبها ينافي كونها خوارق
العادة فلا يبقى ايات وكل ما ادى وجوده الى عدمه ففرض وجوده محال فثبت بهذه البيانات ان عدم اسعافهم بما اقترحوه لا يقدح في صحة
النبوة والله اعلم التاويل مساجد الله التي يذكر فيها اسمه عند اهل النظر النفس والقلب والروح والسر والخفي وهو سر السر ذكر كل مسجد منها مناسب
لذلك المسجد فذكر مسجد النفس الطاعات والعبادات ومنع الذكر فيه بترك الحسنات وملازمة السيئات وذكر مسجد القلب التوحيد والمعرفة
ومنع الذكر فيه بالتمسك بالشبهات والتعلق بالشهوات كما اوحى الله الى داود يا داود حذر وانذر اصحابك كل الشهوات فان القلوب المعلقة
بالشهوات عقولها عني محجوبة وذكر مسجد الروح الشوق والمحبة ومنع الذكر فيه بالحظوظ والمسكنات وذكر مسجد السر المراقبة والشهود ومنع الذكر
فيه بالركون الى الكرامات والقربات وذكر مسجد الخفي بذل الوجود وترك الوجود ومنع الذكر فيه بالالتفات الى المشاهدات والمكاشفات
اولئك ما كان لهم ان يدخلوها هذه المساجد بقدم السلوك الا بخطوات خائفين من سوء الحساب والم العقاب لهم في الدنيا خزي حرمان بل الحجاب
ولهم في الاخرة عذاب الحرمان من جوار الله ولله المشرق والمغرب القلوب مشارق شموس المعارف ومغاربها ولله في مشرق كل قلب مغربه شأن
ولطارق طارق القلب من هواجس النفس بلطف وظلمات الوجد عند غلبات الهوى وعزوب نجم الهدى وشارق القلب من دون رواية الروح يشرق بانوار
الفتوح عند غلبات الشوق وطلوع قمر الشهود فيكون القلب واضحة والدلالات لائحة فاذا تجلت شمس صفات الجلال انخسف نجوم صفات البشرية
واذا استولى سلطان الحقيقة على ممالك الخليقة طويت بسطوات الجود سرادقات الوجود فما بقيت الارض ولا السماء ولا الضياء اذ
ليس عند الله صباح ولا مساء وتلاشى العبد بتوكيد العندية ونود وابقاه من عالم البقاء بعد الفناء بعد القبلة هو ما بقي الا الله فاينما تولوا فثم وجه الله
ان الله واسع يوسع قلب من يشاء من عباده ليسعه عليم بتوسيع القلب يحتمل كيف يسعه كما قال لا يسعني ارضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المومن والله اعلم

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ۝ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ
بدرستیکه فرستادیم ترا براستی مژده دهنده و بیم کننده و پرسیده نشوی تو از یاران دوزخ و هرگز خشنود نشوند از تو یهودان و نه ترسایان تا پیروی کنی ملت ایشانرا بگو بدرستیکه
هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ
راه خدا است راه راست و هر آینه اگر پیروی کنی خواهشهای ایشانرا پس از آنکه آمد ترا از دانش نیست ترا از جانب خدا دوستی و نه یاوری آنانکه دادیم ایشانرا کتاب
يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ
که میخوانند آنرا سزاوار خواندنش آن گروه ایمان آورده اند بآن و هر که کافر شود بآن پس آن گروه ایشانند زیانکاران ای بنی اسرائیل یاد آورید نعمت مرا که عطا کردم بر شما
وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ۝ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ
و آنکه من فزونی دادم بر جهانیان و بپرهیزید از روزیکه پاداش نیابد تنی بدل از تنی چیزی را و قبول کرده نشود از آن بدل و سود بخشد او را شفاعتی و نه ایشان
يُنْصَرُونَ القراءة ولا تسأل بجزم اللام نافع ويعقوب والباقون بضم التاء ورفع اللام على الخبر الموصوف ونذيرا اي للعطف اي نذيرا وغير مسئول
یاری کرده شوند الا من قراوا لا تسأل عن النهي لاختلاف الجملتين الجحيم ملتهم ط الهدى ط من العلم لا لان نفي اولا نهي والنصرة يتعلق بشرط اتباع
اهوائهم فكان في الاطلاق خطر نصيرة تلاوته ط لان ما بعدها مبتدأ اخر مع خبره وعندي ان الاصوب عدم الوقف فيكون الجملة اعني يتلونه
حالا من مفعول اتينا او من فاعل مقدرة وقوله اولئك يؤمنون به الجملة خبر الذين لان الاخبار عن الكتاب حكم بانهم يتلونه حق تلاوته
لا يصح الا بتاويل الا ان يحمل الكتاب على القران كما يجيء يؤمنون به ط للابتداء بالشرط الخاسرون العالمين ينصرون التفسير فلما بين غاية اصرارهم على
العناد وتصميمهم على الكفر بعد نزول ما يكفي بعضه للهداية والاهتداء من الايات البينات اراد ان يسلي نبيه عن سوالهم لئلا يضيق صدره
فقال انا ارسلناك يا محمد بالحق والصواب حسب ما يقتضيه الحكمة فلا يكون لك ان تجبرهم على الايمان بل يجاوز حالك عن ان يكون بشيرا لمن
اتبعك بكل خير ونذيرا لمن خالفك بكل سوء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فانك غير مسئول عن اصحاب الجحيم وهو من اسماء النار وكل
نار عظيمة في مهواة فهي جحيم من قوله تعالى قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم والجاحم المكان الشديد الحر وهذا كقوله فانما عليك البلاغ وعلينا

الخطاب اما قراءة النبي فروي عنه انه قال ليت شعري ما فعل ابواي فنهي عن السؤال عن احوال الكفرة والاهتمام باعداء الله وفي هذه الرواية بعد لان سياق
الكلام يأبى عن ذلك لانه مع علمه باحوال الكفار كيف يقول ذلك الاقرب ان معناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من المحن كما اذا سألت عمن
وقع في بلية فيقال لك لا تسأل عنه فكان المسؤول يحرج ان يجري على لسانه ما هو فيه لفظاعته او يرى انك لا تقدر على استماع خبره لانه يورث
الوحشة والضجر وقوله ولن ترضى عنك حكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن سلامهم وان القوم قد بلغوا من التصميم على ما هم فيه الى حد لا يقنعون بالكفاف ولا يرضون
بالسراس بل يريدون منك عكس ما تطلع منهم ولا يرضون الا ان تتبع ملتهم قل ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى بالحق الذي يصح ان يسمى
هدى لانه ناسخ للاديان كلها ولئن اتبعت اهواءهم مشتهياتهم وآراءهم الباطلة المنسوخة بعد الذي جاءك من العلم بان دين الله هو الاسلام لوضوح البراهين
وسطوع ما لك من الله من ولي يلي امرك ويعصمك ولا نصير ينصرك بعد ذلك وفي الآية دليل على بطلان التقليد فيما الى تحقيقه سبيل حجة
لا يكون اتباع الهوى وفيها انه لا يجوز الوعيد الا بعد نصب الادلة على العلم بالمأمور به لقوله بعد ما جاءك من العلم فلانه لا يجوز الوعيد الا بعد العلم
بالمأمور به كان اولى ويبطل القول بتكليف ما لا يطاق وفيها ان الذي علم الله منه انه لا يفعل الشيء يجوز منه ان يتوعده على فعله ونظيره قوله لئن
اشركت ليحبطن عملك وانما يحسن هذا الوعيد لاحتمال ان الصارف له عن ذلك الفعل هذا الوعيد وهو وحده سوابقه ولان فيه زجرا شديدا للامة
لانهم اذا علموا ان حال النبي لو فرض منه اتباع اهوائهم مع ما ورد في حقه ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر لم يبق لهم طمع في الخلاص لو وجد
منهم ذلك الذين آتيناهم الكتاب قيل هم المؤمنون الذين آتاهم القرآن لان الكتاب الذي يمدح على تلاوته هو القرآن والاصح انه لما قدم
ذكر المعاندين من اهل الكتاب اراد ان يذكر مؤمنيهم ومعنى يتلونه حق تلاوته لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتبعون
مقتضاه من غير تكاسل ومنع متمسكين باحكامه من حلال وحرام وغيرهما ويخضعون عند تلاوته ويخشعون او يعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه
اولئك يؤمنون بكتابهم دون من ليس على حالهم ممن لا يتلو الكتاب حق تلاوته كما يحق ان يتلى ومن يكفر به من المحرفين ومن الواضعين
عن حقه فاولئك هم الخاسرون حيث لم ينتفعوا بما يحق ان ينتفع به بعينه ورده فرجعوا منه بخفي حنين وفازوا بكل حين يا بني اسرائيل
الآيتان رجوع الى اول القصة فذكر النعم بعد تعداد مواجب النعم ليتنبه منهم من وفق للتنبه والله المستعان وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ

رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ وَإِذْ جَعَلْنَا
پروردگارش بسخنانی چند پس تمام کرد آنها را گفت من میگردانم ترا از برای مردمان پیشوا گفت و از فرزندان من نیز گفت که نرسد عهد مرا ستمکاران و چون گردانیدیم
الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ
خانه کعبه را جایگاه از برای مردمان و ایمنی و فراگیرید از مقام ابراهیم نمازگاه و فرمودیم بابراهیم و اسمعیل که پاک دارید خانه مرا از برای طواف کنندگان
وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ
و مقیم شوندگان و رکوع و سجود کنندگان و چون گفت ابراهیم که ای پروردگار من بگردان این شهر را ایمن و روزی کن اهل آنرا از میوها هر که بگرود از ایشان
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ القراءة ابراهام بالالف في البقرة
بخدا و روز واپسین فرمود خدا که هر که کافر شود پس بهره دهم او را اندکی پس ناچار کنم او را بسوی عذاب آتش و بد جای بازگشتن والنساء الا قد اتبعا الى

ابراهيم وفي الانعام ملة ابراهام وفي جميع براءة الا وقوم ابراهيم وفي ابراهيم واذ قال ابراهام وفي النحل ومريم والعنكبوت ولما جاءت رسلنا
ابراهام خاصة وفي عسق وجميع المفصل الا قوله في الممتحنة الا قول ابراهيم وفي الاعلى صحف ابراهيم هشام وابن ذكوان وروى ابن مجاهد
في هذه السورة فقط اعلم ان ذكر ابراهيم في القرآن تسعة وستون موضعا منها ثلاثة وثلاثون ابراهام بالالف في قراءة ابن عامر عن ابن ذكوان
وستة وثلاثون ابراهيم بالياء والعلة في ذلك اتباع مصحفهم فما كتب بالالف قرئ بالالف وما كتب بالياء قرئ بالياء والاختيار
عند الائمة ان يقرأ هنا بالالف ليأتي المذهب الموافق بالياء لانه احسن في اللفظ واشهر يوافق سائر الاسماء الاعجمية كاسرائيل
اسرائيل واسمعيل عهدي مرسلة الياء حمزة وحفص اذ جعلنا وبابه مدغمة الذال في الجيم ابو عمرو وهشام بيتي بالفتح ابو جعفر ونافع وحفص و
هشام واتخذوا بفتح الخاء نافع وابن عامر الباقون بالكسر فامتعه خفيفا ابن عامر الباقون بالتشديد الوقوف فاتمهن ط اماما ط ذريتي ط
الظالمين وامنا ط لمن قرأ واتخذوا بالكسر لاعتراض الامر بين ماضيين مصلى ط لكن لمن فتح الخاء لنسق الافعال الثلاثة فلا وقف السجود ه
اليوم الآخر ط عذاب النار ط لان نعم وبئس للمبالغة في المدح والذم فيبتدأ بهما تنبيها على المدح والذم المصير ه التفسير لما استقصى في شرح
نعمه على بني اسرائيل والمشركين ومقابلتهم النعمة بالكفران والعناد شرع في نوع آخر من البيان وهو ذكر قصة ابراهيم لان كلهم معترفون بفضله
وانهم من اولاده ومن بانيي حرمه وخدام بيته وفي قصته امور توجب الاعتراف بدين محمد والانقياد لشرعه منها انه امر ببعض التكاليف ثم
وفى بها فنال منصب الاقتداء به فيعلم ان الخيرات كلها لا تحصل الا بترك التمرد والانقياد لحكم الله والتزام تكاليفه ومنها انه طلب الامامة لذريته
فقيل له لا ينال عهدي الظالمين فيعرف ان طالب الرياسة يجب ان يترك التعصب للباطل ويضع ما فعل الله لينال ما به الدين ومنها ان القبلة
حولت الى الكعبة فشق ذلك على اليهود فيرد ان الامر عظيم بان هذا البيت قبلة ابراهيم الذي يعترفون بتعظيمه الاقتداء به ومنها انه دعا بارسال

بنو من ذريته فهو محله كما يجيء فيجب على من يعرف ما ابرهيم ان يعرف بجهته اما قوله واذ ابتلى فالعامل في اذ اما مضمر نحو واذكر او تكون بمعنى الوقت
فقط او واذ ابتلا كان كيت وكيت واما قال اني جاعلك للناس اماما وعلى هذين التقديرين تكون ظرفا لكان او قال فيه موقع قال على الاول
استيناف كانه قيل فماذا قال له ربه حين اتم الكلمات فاجيب قال اني جاعلك وعلى الثاني جملة معطوفة على ما قبلها من الآيات ولا يخفى ان
الاستيناف اصوب لمناسبة سياق الجملتين الآتيتين لورودهما ايضا على طريقة السؤال المقدر والجواب ليكون على منهاج واذ جعلنا واذ قال
ابرهيم واذ يرفع والابتلاء الاختبار والامتحان عبر عن تكليفه اياه بالبلوى تشبيها للامر بما بين المخلوقين وبناء على العرف بيننا فان كثيرا ما نقف
بامر ليعرف ما يكون من المامور والا فكيف يجوز حقيقة الابتلاء عليه تعالى انه محيط بجميع المعلومات التي لا نهاية لها على سبيل التفصيل من الازل
الى الابد وقيل مجاز عن تمكينه العبد من اختيار احد الامرين ما يريد الله وما يشتهيه هو كانه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك واعلم ان
هشام بن الحكم ومن تابعه زعم انه تعالى كان في الازل عالما بحقائق الاشياء وماهياتها فقط واما حدوث تلك الماهيات ودخولها في الوجود فهو تعالى
لا يعلمها الا عند وقوعها مستدلا بهذه الآية وامثالها المذكور فيها الابتلاء وكلمة لعل والجواب عنها ما مر وقد استدل ايضا على مذهبه بوجوه معقولة
منها انه تعالى لو كان عالما بالاشياء قبل وقوعها لزم نفي القدرة عن الخالق لان ما علم الله وقوعه استحال ان لا يقع وما علم عدم وقوعه استحال ان يقع ولا قدرة على الواجب
وعلى الممتنع بالاتفاق والجواب ان الوجوب بالغير وكذا الامتناع بالغير لا ينافيان قدرة القادر عليه انما المنافي للقدرة عليه كونه واجبا لذاته او ممتنعا
لذاته ومنها انه لو كان عالما بجميع الجزئيات لكان له علوم غير متناهية او كان لعلمه تعلقات غير متناهية فيلزم حصول موجودات غير متناهية دفعة
واحدة وذلك محال لان مجموع تلك الاشياء ازيد من ذلك المجموع بعينه عند نقصان عشرة منها فالناقص متناه وكذا الزائد لو تعين بزيادة الاعداد
التي لا نهاية لها وايضا المجموع عدد والزيادة والنقصان كلاهما من خواص المتناهي فما الذي لا نهاية له ففرض هذه الامور فيه محال ومنها ان هذه المعلومات
التي لا نهاية لها هل يعلم الله عددها مفصلا او لا يعلم فان علم عددها فهي متناهية وان لم يعلم فهو المطلوب والجواب اختيار انه لا يعلم عددها ولا يلزم الجهل
لان الجهل هو ان يكون لها عدد معين ثم ان الله لا يعلم عددها فاما اذا لم يكن لها عدد في نفسها فلا جهل ومنها ان كل معلوم فهو متميز في الذهن عما عداه
وما عداه خارج عنه وكل ما خرج عنه غيره فهو متناه وكل معلوم متناه فما هو غير متناه استحال ان يكون معلوما والجواب انه ليس من شرط
المعلوم تميزه من غيره عند العالم لان العلم بتميزه عن غيره موقوف على العلم بذلك الغير ويلزم منه ان لا يعلم الانسان شيئا الا اذا علم امورا لا نهاية لها
والحق ان نور الانوار لا يتناهى وانه لا يتناهى واحاطة غير المتناهي بغير المتناهي غير بعيد فانه يتعلق علمنا بكثير من الاشياء قبل حصولها فاذا كان علمنا مع
تناهي قوتنا ونورنا هكذا فما ظنك بالعليم الخبير الذي هو نور النور ومدبر الامور وكل عسير عليه يسير ابرهيم بالنصب ربه بالرفع هو المشهور وهذه
الصورة مما يجب فيه تاخير الفاعل واتصال الضمير به عن مركزه الاصلي فانه لو قدم الفاعل وقد اتصل به ضمير المفعول لزم الاضمار قبل الذكر لفظا ومعنى وعن ابن عباس
وابي حنيفة رفع ابرهيم ونصب ربه فالمعنى انه دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه تعالى اليهن ام لا واختلف المفسرون في ان ظاهر لفظ الابتلاء
هل يدل على تلك الكلمات ام لا فقال بعضهم اللفظ يدل عليها وهي الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والدعاء بابتعاث محمد فكل هذه تكاليف
شاقة اما الامامة فلان المراد بها النبوة واعباؤها اكثر من ان تحصى ولهذا فان ثواب النبي اعظم من ثواب غيره واما بناء البيت وتطهيره ورفع قواعده
فمن وقف على ما روي في كيفية بنائه عرف شدة البلوى فيه ثم انه يتضمن اقامة المناسك وقد امتحن الله الخليل بالشيطان في الموقف لرمي الجمار وغيره
واما الاشتغال ببعث نبي في آخر الزمان فيحتاج فيه الى الاخلاص وازالة الحسد عن القلب وذلك في غاية الصعوبة واعترض على هذا القول بان المراد من
الكلمات لو كان هذه لكانت بمذكر قوله فاتمهن بعد تقدم الجميع جاء به اخبر بالابتلاء بكلمات على الاجمال ثم اخبر انه اتمها ثم فصل تلك الامور وهذا
ترتيب في غاية الحسن اذ لو ذكر فاتمهن بعد هذا التفصيل لوقع ضائعا ولانقطع النظم انما نقول بانه الاية لا دلالة فيها على الكلمات وزعم بعضهم
الكلمات التي تكلم بها ابرهيم مع قومه وقت تبليغ الرسالة وزعم بعضهم انها اوامر ونواه فعن ابن عباس هي عشر خصال كانت فريضة في شرعه وهي
عندنا سنة خمس في الراس المضمضة والاستنشاق وفرق الراس وقص الشارب والسواك وخمس في الجسد الختان وحلق العانة ونتف الابط وتقليم
الاظفار والاستنجاء بالماء وقيل ابتلاه الله بثلاثين من شرائع الاسلام عشر في براءة التائبون العابدون الاية وعشر في الاحزاب ان
المسلمين والمسلمات وعشر في المؤمنين وسأل سائل الى قوله والذين هم على صلواتهم يحافظون وقيل هي مناسك الحج كالطواف والسعي والرمي و
الاحرام والوقوف بعرفة وقيل ابتلاه بسبعة اشياء بالكوكب والقمر والشمس والختان على الكبر والنار وذبح الولد والهجرة فوفى بالكل وابرهيم الذي وفى وقيل
ما ذكر في قوله اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين وقيل المناظرات التي جرت بينه وبين ابيه ونمرود وقومه وقيل الصلوة والزكوة والصوم
وقسم الغنائم والضيافة والصبر عليها وجملة القول ان الابتلاء يتناول الزام كل ما فيه كلفة والمشقة والمجموع من هذه الاشياء وكل منها الا
ان الكلام في الرواية ثم قيل ان هذا الابتلاء كان قبل النبوة لانه تعالى نبه على ان اتمامهن كالسبب لان جعله اماما وقيل انه بعد النبوة لانه لا يعلم
كونه مكلفا بتلك التكاليف الا من الوحي والحق ان هذا يختلف باختلاف تفسير التكاليف فمنها ما يعلم بالضرورة وتكون قبل النبوة كمحاجة الكوكب
والشمس والقمر ومنها ما ثبت انه كان بعد النبوة كذبح الولد والهجرة والنار وكذا الختان فانه يروى انه ختن نفسه وكان سنه مائة وعشرين ومنها
ما هو بحسب الاحتمال العقلي يمكن ان يكون الى معرفته سبيل سوى الوحي كالالهام والنصح فاتمهن على القراءة المشهورة لابرهيم بمعنى قام

من حق القيام واداء من احسن التادية من غير تفريط وتوان وفي الاخرى لله تعالى اي فاعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيئا وبعضده ما روى عن مقاتل
انه فسر الكلمات بما سأل ابرهيم ربه في قوله رب اجعل هذا بلدا آمنا واجعلنا مسلمين لك وابعث فيهم رسولا ربنا تقبل منا والامام اسم لمن
يؤتم به فعال بمعنى مفعول كالازار لما يؤتزر به اي ياتمون بك في دينهم والاكثرون على ان الامام ههنا النبي اي نجعلك اماما لكل الناس فلو لم
يكن مستقلا بالشرع كان تابعا لرسول فيبطل العموم ولان اطلاق الامام يدل على انه امام في كل شيء والذي يكون كذلك لا بد ان يكون نبيا ولان
الله تعالى سماه بهذا الاسم في معرض الامتنان فينبغي ان يحمل على اجل مراتب الامامة كقوله وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا الا على من هو دون
من يستحق الاقتداء به في الدين كالخليفة والقاضي والفقيه وامام الصلوة ولقد انجز الله تعالى هذا الوعد حتى عظم في عيون اهل الاديان كلها وقد
اقتدى به من بعده من الانبياء في اصول ملله ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا وكفى به فضلا ان جميع امة محمد يقولون في صلوتهم
اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابرهيم وآل ابرهيم ثم القائلون بان الامام لا يصير اماما الا بالنص تمسكوا بهذه الاية وامثالها من
نحو اني جاعل في الارض خليفة يا داود انا جعلناك خليفة ومنع بان الامام يراد به ههنا النبي سلمنا ان المراد به مطلق الامام لكن الاية تدل
على ان النص طريق الامامة وذلك لا نزاع فيه انما النزاع في انه لا طريق للامامة سوى النص ولا دلالة في الاية على ذلك وفي الاية دليل على انه
على انه كان معصوما عن جميع الذنوب لانه لو صدر عنه معصية لوجب علينا الاقتداء به وذلك يؤدي الى كون الفعل الواحد ممنوعا
منه ومندوبا اليه وذلك محال والذرية نسل الثقلين من ذرأ الله الخلق اي خلقهم الا ان العرب تركت همزها كما في البرية ويحتمل ان يكون منسوبا
الى الذر صغار النمل والنمل من تغيير النسب كالدهري في النسب الى دهر ومن ذريتي عطف على الكاف كانه قال وجاعل بعض ذريتي كما يقال سأكرمك
فتقول وزيدا ولا يخفى ان من التبعيضية تدل على انه طلب الامامة لبعض ذريته لعلمه بان كلهم ممن لا يليق بذلك لان فيهم غير معصومين لا يخلو
من ظالم فيهم غالبا ولعلمه بان بعضهم يليق بها كاسمعيل واسحق وقد حقق الله تعالى امله فجعل في اولاده واحفاده كاسمعيل واسحق ويعقوب ويوسف
وموسى وهرون وداود وسليمان وايوب ويونس وزكريا ويحيى وعيسى والياس ثم محمد عليه السلام افضلهم واشرفهم ولانه انما يطلب الامامة الا للبعض فكان
يكفي في الجواب نعم الا انه لم يكتف بل صرح تصريحا بان ذلك البعض من المؤمنين لا من الظالمين فلو قال ينال عهدي المؤمنين كان غايته ذلك خروج الظالمين
بالمفهوم لا بالنص فلما كان التنصيص على اخراج الظالم قال لا ينال عهدي الظالمين والمراد بالعهد هو الامامة المطلوبة سميت عهدا لاشتمالها
على كل عهد عهده الله تعالى الى عباده اذ لا رتبة اعظم من ذلك كقوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم واذ اخرج الظالم
تعين الصالح للامامة بطريق برهاني ذلك لان دعاءه مستجاب البتة فكل نبي مجاب لانه لو لم يكن الصالح ماما لم يكن لاخراج الظالم وتخصيصه بالذكر
معنى ويحتمل ان يقال انه اراد الامامة لاولاده المؤمنين لا محالة لعلمه بان الكفرة والظلمة لا تصلح لذلك فاجيب بما الجيب سمعا فالطلبة بابلغ
معنى واتمه كما اذا قيل لمن اشرف ومرلا ينبك بشيء فيقول لا يرث مني جنبي اي كل ما يبقى منه فهو لا بني فكيف وصيه بشيء ولا يرد ان يونس قال
عهده مع انه ظالم سبحانك اني كنت من الظالمين لان الظلم فيه محمول على ترك الاولى كما في حق آدم ربنا ظلمنا انفسنا لا على الكفر والفسق وقد
يستدل الامامية على ابطال امامة غير علي رضي الله عنه قالوا انهم كانوا مشركين قبل الاسلام بالاتفاق وكل مشرك ظالم ان الشرك لظلم عظيم وكل ظالم فانه لا ينال عهد
الامامة قالوا لا يقال انهم كانوا ظالمين حال كفرهم فبعده زال لا يبقى هذا الاسم لانا نقول الظالم من ثبت له الظلم وهذا المعنى صادق عليه دائما ولهذا يسمى
النائم مؤمنا لانه ثبت له الايمان وان لم يكن التصديق حاصلا حال النوم وايضا المتكلم والماشي حقيقة في مفهومهما مع ان اجزاء التكلم والمشي لا توجد دفعة
فدل هذا على ان حصول المشتق منه ليس شرطا لكون الاسم المشتق حقيقة وعورض بانه لو حلف لا يسلم على كافر فسلم على انسان مؤمن في الحال الا انه كان
كافرا قبل سنين متطاولة فانه لا يحنث وبان التائب عن المعصية لا يسمى عاصيا فكذا التائب عن الكفر وان قيل ان هذا المانع شرعي هو تعظيم الصحابة
والمانع عرفي فهذا القدر يكفينا على انا بينا ان المراد من الامامة في الاية النبوة فمن كفر بالله طرفة عين فانه لا يصلح للنبوة وكذا الفاسق حال الفسق
لا يجوز عقد الامامة له باتفاق الجمهور من الفقهاء والمتكلمين فان كل عاصي ظالم والعبرة بالعدالة الظاهرة فنحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر
خلافا للشيعة فانهم يقولون بوجوب العصمة ظاهرا وباطنا ومما يدل على بطلان امامة الفاسق ان العهد في كتاب الله تعالى قد يستعمل بمعنى الامر الم
اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان اي الم آمركم لكن المراد في الاية لا يمكن ان يكون ذلك فان اوامره تعالى لا تنال الظالمين كالطعن
فثبت ان المراد كونهم غير مؤتمنين على اوامر الله وغير مقتدى بهم فيها فاذا لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فالفاسق لا ينبغي ان يكون حاكما ولا ينفذ
احكامه اذا ولي الحكم ولا تقبل شهادته ولا خبره اذا اخبر عن النبي ولا فتياه اذا افتى ولا يقدم للصلوة وان كان بحيث لو اقتدى به لم يفسد صلوته قال
ابو بكر الرازي ومن الناس من يظن ان مذهب ابي حنيفة انه يجوز كون الفاسق اماما وخليفة ولا يجوز كون الفاسق قاضيا وهذا خطأ عظيم انه قال
القاضي لو كان عدلا في نفسه فتولى القضاء من امام جائر فان احكامه نافذة والصلوة خلفه جائزة لان الذي ولاه بمنزلة سائر اعوانه وليس من
شرط اعوان القاضي ان يكونوا عدولا الا ترى ان اهل بلد لا سلطان عليهم لو اجتمعوا على الرضا بتولية رجل عدل منهم القضاء حتى يكونوا
اعوانا له على من امتنع من قبول احكامه كان قضاؤه نافذا وان لم يكن له ولاية من جهة امام ولا سلطان قال كيف يجوز ان يدعى ذلك على ابي حنيفة وقد
اكرهه ابن هبيرة في ايام بني امية على القضاء وضربه فامتنع من ذلك فحبس فلج ابن هبيرة وجعل يضربه كل يوم اسواطا فلما خيف عليه قال الفقهاء

ابى الرشيد من عمله اي شيء كان حتى يزول عنك الضرب فتولى لعد احمال اللبن الذي يدخل عليه فخلاه ثم دعاه المنصور الى مثل ذلك حتى عد له اللبن الذي
الذي كان يضرب لسور المدينة وذلك انه كان يقول في المنصور واشياعه لو ارادوا بناء مسجد لا يدخل على عد آجره لما فعلت وقصته في زيد بن علي
مشهورة وحمله المال اليه وفتياه الناس سرا في وجوب نصرته والقتال معه وكذلك امره مع محمد وابراهيم ابني عبد الله بن الحسن وفي الآية ايضا دليل وتخويف
شديد عن وخامة عاقبة الظلم وقبح موقعه فانه محيط ولا عزة لا ينال عهدي الظالمين وثانيا عن رحمة الولاية الا لعنة الله على الظالمين وثالثا
عن تربية المنة بيت الظالم خراب ولو بعد حين وذنبا عن نظر الخلائق جبلت القلوب على حب من احسن اليها وبغض من اساء اليها وخامسا
عن جنب نفسه وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون وسعد القائل شعرا: لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا ۞ فالظلم آخره يأتيك بالندم ۞ تنام عينك
والمظلوم منتبه ۞ يدعو عليك وعين الله لم تنم ۞ وللآخر شعر رب نعم ظلم الورى وبخس ۞ يا صاحب الملك المخوف ۞ لا تظلم الناس فاخش نارا ۞ وقودها
الناس والحجارة ۞ اتحسب الظالم في ظلمه ۞ اهمله القادر ام امهلا ۞ ما اهملوا بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا ۞ اتلعب بالدعاء وتزدريه
وما يدريك ما صنع الدعاء ۞ سهام الليل لا تخطي ولكن ۞ لها امد وللأمد انقضاء ۞ واعلم ان عهد الله الذي اخذه على عباده هو بالحقيقة عهد العبودية
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون والعهد الذي التزمه لعباده هو عهد الربوبية ربكم ورب آبائكم الاولين ثم انه تعالى لا يزال يحفظ عهد
الربوبية فيربيك بربوبيته بعد نعمة الوجود ويعطيك نعم الصحة والمكنة والعافية والسلامة والايمان والامان والاخوان والاخدان وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها وانت لا تنفك عن تقصير وجهل وعدوان وايذاء لملائكة الله بمعصيته وارضاء لحزب الشيطان وجنوده فيا ايها المفرط ما هذا
التقصير فان الى الله المشتكى وما للظالمين من نصير قوله واذ جعلنا البيت تفريع تكليف آخر والبيت اسم غالب للكعبة كالنجم للثريا وهذا من الاسماء
التي كانت في الاصل للجنس ثم كثر استعمالها في واحد من ذلك الجنس لخصلة مختصة به من بين سائر الافراد حتى صار علما له ولا بد ان يكون وقت استعماله
لذلك الواحد قبل العلمية مع لام العهد ليفيد الاختصاص به ويبقى بعد العلم الا اتفاقيا لما لزمت اللام في مثله لانه لم يصر علما الا مع اللام فصارت
كبعض حروفه الا انه تعالى لم يرد بالبيت نفس الكعبة فقط بل جميع الحرم لان حكم الامن يشمل الكل وصح هذا الاطلاق لان الحرمة ثابتة بسبب الكعبة
نفسها ومثله قوله تعالى هديا بالغ الكعبة والمراد الحرم كله لانه لا يذبح في الكعبة ولا في المسجد الحرام وقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا والمراد
والله اعلم منعهم من الحج وحضور مواضع النسك ويحتمل ان يكون المراد بجعلنا البيت سببا لامن من وعلى هذا يكون البيت نفس الكعبة وعلى الاول
يكون معنى امنا موضع امن كقولهم صام امنا والمثابة المباءة والمرجع قيل انه مثاب ومثابة لغتان مثل مقام ومقامة وقيل التاء للمبالغة
كعلامة عن الحسن اي يثوبون اليه كل عام وعن ابن عباس ومجاهد لا ينصرف عنه احد الا وهو يتمنى العود اليه وذلك لدعاء ابراهيم واجعل افئدة
من الناس تهوي اليهم وقيل مثابة اي يحجون فيثابون عليه فكون البيت مثابة انما يكون بجعل الله تعالى بناء على ان فعل العبد مخلوق لله او بان الله
القى تعظيمه في القلوب لتصير داعية لهم الى العود اليه مرة بعد اخرى وذلك لما فيه من منافع دينية ودنيوية قال ﷺ من حج لله فلم يرفث ولم يفسق خرج كيوم ولدته
امه وقال العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة ثم انه مظان للتائبين يجتمعون هناك للتجارات وضروب المكاسب فيعظم
فيه النفع لمن اراد ولا شك ان قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا خبر فان تركناه على ظاهره فنقول الخبر ان يكون حرما امنا يجبى اليه
ثمرات كل شيء لا ان يكون اخبارا عن عدم وقوع القتل فيه اصلا فان الموجود خلافه فقد يقع فيه قتل الحرام وكذا المباح قال تعالى ولا تقاتلوهم
عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم وتارة نصرفه عن ظاهره فنقول انه امر بان يجعلوا ذلك الموضع امنا من الغارة و
القتل قال ﷺ ان الله حرم مكة وانها لم تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي وانما احلت لي ساعة من نهار وقد عادت حرمتها كما كانت فمذهب الشافعي الى ان المعنى انه لم يحل
لاحد ان ينصب الحرب عليها وان ذلك احل لرسول الله ﷺ فاما من جنى خارج البيت ثم التجأ اليه وجب عليه الحد فعند الشافعي ان الامام يأمر بالتضييق
عليه بما يؤدي الى خروجه فاذا خرج اقيم عليه الحد في الحل فان لم يخرج جاز قتله فيه وكذلك من قاتل في الحرم جاز قتاله فيه وعند ابي حنيفة لا يستوفى قصاص
النفس في الحرم الا ان يبتدئ القتال فيه ولكن يضيق الامر عليه لا يكلم ولا يطعم ولا يعامل حتى يخرج فيقتل وسلم انه يستوفي منه قصاص الطرف وعند احمد
لا يستوفى من الملتجئ فيه واحد من القصاصين ولو التجأ الى المسجد الحرام قال الامام او مسجد آخر يخرج منه ويقتل لانه تأخير يسير فيه صيانة المسجد قوله
واتخذوا بفتح الخاء معطوف على جعلنا اي اتخذ الناس من مكان ابراهيم الذي وسم به لاهتمامه به واسكان ذريته عنده قبلة يصلون اليها او
على هذا المراد بالمصلى القبلة واما من قرأ بالكسر على الامر فعلى ارادة القول اي وقلنا اتخذوا منه موضع صلوة تصلون فيه استحبابا لا وجوبا وفي
مقام ابراهيم اقوال فعن الحسن وقتادة والربيع بن انس انه الحجر لما اتى من الشام الى مكة قالت له امرأة اسمعيل انزل حتى تغسل راسك فلم ينزل لان سارة
شرطت عليه ان لا ينزل عندها من هاجر فجاءته بحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق راسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى
غسلت الشق الآخر فبقي اثر قدميه عليه وعن ابن عباس ان ابراهيم كان يبني البيت واسمعيل يناوله الحجارة فلما ارتفع البنيان وضعف ابرهيم
عن نقل الحجارة قام على حجر فغاصت فيه قدماه وقيل انه الحجر الذي قام عليه ابرهيم عند الاذان بالحج قال القفال ويحتمل ان يكون ابرهيم قام على
هذا الحجر في هذه الامور كلها وعن مجاهد مقام ابرهيم الحرم كله فعلى هذا يراد بالمصلى المدعى من الصلوة بمعنى الدعاء وعن عطاء مقام ابرهيم عرفة ومزدلفة
والجمار لانه قام في هذه المواضع ودعا فيها والقول بان مقام ابرهيم الحجر الذي فيه اثر قدميه اولى لان هذا الاسم في العرف مختص بذلك الموضع بمعرفة الكل

وغيره وكان الحجر صار تحت قدميه رطبا من الطين حتى غاصت فيه رجلاه وذلك من اظهر الدلائل على صنع الله تعالى واعجاز ابرهيم وكان اشد اختصاصا من غيره فلا
مقام ابرهيم عليه وذلك لما روي عن النبي انه اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابرهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى
نزلت وعن جابر بن عبد الله ان رسول الله استلم الحجر ورمل ثلثة اشواط ومشى اربعة حتى اذا فرغ عمد الى مقام ابرهيم فصلى خلفه ركعتين
وقرأ واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى ومن هذه تجريدية على نحو رأيت منك اسدا ووهب الله لي منك وليا مشفقا ففيه بيان المتخذ والمرئي و
الموهوب بعينه في ذلك المعنى من غيره ولا ريب ان للصلوة به فضلا على غيره من حيث التيمن والتبرك بموطئ قدم ابرهيم وكذا الطواف خلف المقام
ثم في الحجر ثم في المسجد في اي مسجد كان حيث شاء من شاء ليلا ونهارا وسنة عند الشافعي في اصح قوليه بعد الفراغ من الطواف لقوله للاعرابي حين قال هل
على غيرها قال لا الا ان تطوع وفي قوله الاخر فرض لظاهر قوله واتخذوا والامر للوجوب والرواية عن ابي حنيفة فيه مختلفة وعهدنا المراد بالعهد هنا
الامر اي امرناهما بذلك امرا مؤكدا وقضينا عليهما فيه ان طهرا ان كانت مخففة فالمقدر بان طهرا وان كانت مفسرة فمعناه اي طهرا والمراد التطهير
من كل امر لا يليق بالبيت اما من الانجاس والاقذار فلان موضع البيت حواليه مصلى واما من الشرك ومظانه فلانه مقام العبادة والاخلاص
بكل هذا اما ان لا يكون موجودة هناك اصلا والمراد اقراره على طهارته كقوله لهم فيها ازواج مطهرة فمعلوم انهن لم يطهرن بل خلقن طاهرات واما
ان يكون موجودة فامرا بازالتها وقيل عرفا الناس ان بيتي طهرهما مما حوله للطائفين الى اخره العطف يقتضي مغايرة فالطائف من يقصد البيت
حاجا او معتمرا فيطوف به والعاكف من يقيم هناك ويجاور ولو لم يعتكف والركع السجود جمع راكع وساجد اي من يصلي هناك وعن عطاء اذا كان طائفا
فهو من الطائفين واذا كان جالسا فهو من العاكفين واذا كان مصليا فهو من الركع السجود ويجوز ان يراد بالعاكفين الواقفين يعني القائمين كما قال
للطائفين والقائمين والركع السجود والمعنى للطائفين والمصلين لان القيام والركوع والسجود هيئات المصلي ولعل الوجه الاول ولم يكن الركع السجود
كلاهما فقط بمعنى المصلين ولهذا لم يفصل بينهما بالواو ولما افرد الطائفين بالذكر دلت الاية على ان الطواف للغرباء افضل من الصلوة وكانه تعالى مدح
بذلك ثم روي عن ابن عباس ومجاهد وعطاء ان الطواف لاهل الامصار افضل والصلوة لاهل مكة افضل وفي اطلاق الاية دليل على جواز الصلوة
في البيت فرضا كانت او نفلا خلافا لمالك في الفريضة فان قيل فول وجهك شطر المسجد الحرام ومن كان داخل المسجد لم يكن متوجها الى المسجد بل الى
جزء من اجزائه واجيب بان التوجه الى جزء منه كاف لان المتوجه الواحد لا يكون الا كذلك ان كان خارج المسجد بان الفرق بين الفرض والنفل لا مع قوله
تعالى واذ قال ابرهيم قيل في الاية تقديم وتاخير لان قوله رب اجعل هذا بلدا امنا لا يمكن الا بعد دخول البلد في الوجود فقوله واذ يرفع وان كان متاخرا
في التلاوة فهو متقدم من حيث المعنى قلت في ترتيب القصة فوائد منها انه اجمل القصة في قوله واذ ابتلى ابرهيم ثم فسرها في التفسير قدم الامامة لانه
ولا ريب ذكر جعل ابرهيم اماما ادعى الى التقديم لعموم نفعه للخلائق ولتقدمه في الوجود ثم ذكر جعل البيت مثابة للناس وامنا لانه المقصود من عمارة
البيت ثم حكاية عمارة البيت وقد حصل في ضمن رعاية الامام فوائد اخر منها انه لما كان مبنى القصة على الاجمال والتفسير وقع كل من اجزائها ايضا كذلك
فقوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس كان مثابة مجملا ثم فسر ذلك بان جعله ذا امن كان بسبب دعاء ابرهيم وذكر البيت اولا وقع مجملا ثم فسر بانه كيف بني
منها انه وقع ختم الكلام بادعية ابرهيم ووقع ختم الادعية بذكر خاتم النبيين هذا ترتيب في غاية الحسن ولعلها فاتنا من اسرار هذا الترتيب
اكثر مما احصينا هذا بلدا امنا ذا امن مثل عيشة راضية او امنا من فيه كقولك ليل نائم وانما قيل ههنا بلدا امنا على التنكير وفي سورة ابرهيم هذا البلد
امنا اما لان هذا الدعاء صدر منه قبل جعل المكان بلدا فكانه قال اجعل هذا الوادي بلدا امنا وذلك الدعاء صدر عنه بعد جعله بلدا فكانه قال اجعل
هذا المكان الذي صيرته بلدا ذا امن واما لان الدعوتين هذا البلد امنا فيه طلب الامن نفسه وقيل سئل الامن من القحط لانه اسكن اهله بواد غير
ذي زرع ولا ضرع وقيل من الخسف والمسخ وقيل من القتل كيلا يكون سؤال الرزق بعده تكرارا واجيب بان التوسعة في الرزق مغايرة لطلب الامن من
القحط ثم انه تعالى استجاب دعاءه وجعله امنا من الافات فلم يصل اليه جبار الا قصمه الله كما فعل باصحاب الفيل قيل اليس ان الحجاج حارب ابن الزبير وخرب الكعبة
وقصد اهلها بكل سوء واجيب بانه لم يكن مقصوده تخريب الكعبة لعينها وانما كان غرضه شيئا اخر ومن الثمرات من للابتداء لا للتبعيض بدليل قوله يجبى اليه
ثمرات كل شيء وانما سأل ابرهيم الامن وان يجلب اليه الثمرات فان كان يتعلق بالدنيا لان البلد اذا كان امنا اخصب تفرغ اهله لطاعة الله تعالى ويكون
سببا لاجتماع الناس واجتلابهم اليه من كل صوب امنين وطالبين وطلب الدنيا لاجل الدين من سنن الصالحين نعم المال الصالح للرجل الصالح
واختلف في ان مكة هل كانت امنة محرمة قبل دعوة ابرهيم او بعدها فقيل صارت بذلك مؤكدا بدعائه وقيل لما روي عن النبي ان الله حرم مكة يوم خلق السموات
والارض وقوله عند بيتك المحرم وقيل انما صارت حرما بدعائه وقبلها كانت كسائر البلاد بدليل قوله ان ابرهيم حرم مكة واني حرمت المدينة
وقيل الجمع بينهما ان الله كان محرما قبله ثم تعالى كان في النفوس من التعظيم وصار امنا على لسان الرسل من امن منهم بدل من اهله يعني وارزق المؤمنين
من اهله خاصة كانه قاس الرزق على الامامة حيث منعها الظالمين والكافر فقيل لا ينال عهدي الظالمين فعرفه الفرق بينهما فقيل ومن كفر عطفا
على من امن كانه قيل ومن كفر فارزقه او هو مبتدأ متضمن معنى الشرط جوابه فامتعه وذلك ان الاستخلاف استرعاء يختص بمن ينصح المرعي فيؤدي عن الله
امره ونهيه ولا يليق ذلك بالظالم لانه لا سطوة جابر وظالم ابعد الناس عن النصيحة الظالم ولهذا قيل من استرعى الذئب فقد ظلم واما الرزق
فلا يبعد ان يشمل المؤمن والكافر والصالح والفاجر ولا منعه يكون الا الرزق على انه متاع قليل وامد يسير

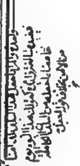

والابد قليلا اي متاعا او تمتيعا قليلا ورزقا قليلا فنعم المؤمنين في العاجل موصول بنعيمهم في الآجل ونعم الكافر منقطع عنهم بعد الموت الى الابد
لا يجدي بطائل افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون ومعنى الاضطرار ان يفعل به ما يلجئه الى النار
كقوله يوم يدعون الى نار جهنم دعا وسيق الذين كفروا الى جهنم او ان يصير الفاعل بالتخويف والتهديد الى ان يفعل ذلك الفعل اختيارا كاضطرار
الى اكل الميتة مثلا وبئس المصير فالمخصوص بالذم محذوف وهو العذاب ومصير مصدر بمعنى الصيرورة يقال صرت الى فلان مصيرا
او اسم موضع وكلاهما شاذ والقياس مصار مثل معاش وكلاهما مستعمل والاصل مصير وَاِذْ يَرْفَعُ اِبْرٰهٖمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَاِسْمٰعِيْلُ رَبَّنَا
تَقَبَّلْ مِنَّا اِنَّكَ اَنْتَ السَّمِيْعُ الْعَلِيْمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَآ اُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَاَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا اِنَّكَ
اَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيْمُ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيْهِمْ رَسُوْلًا مِّنْهُمْ يَتْلُوْا عَلَيْهِمْ اٰيٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيْهِمْ اِنَّكَ اَنْتَ الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُ
وَمَنْ يَّرْغَبُ عَنْ مِّلَّةِ اِبْرٰهٖمَ اِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهٗ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنٰهُ فِي الدُّنْيَا وَاِنَّهٗ فِي الْاٰخِرَةِ لَمِنَ الصّٰلِحِيْنَ اِذْ قَالَ لَهٗ رَبُّهٗ اَسْلِمْ قَالَ اَسْلَمْتُ
لِرَبِّ الْعٰلَمِيْنَ وَوَصّٰى بِهَآ اِبْرٰهٖمُ بَنِيْهِ وَيَعْقُوْبُ يٰبَنِيَّ اِنَّ اللّٰهَ اصْطَفٰى لَكُمُ الدِّيْنَ فَلَا تَمُوْتُنَّ اِلَّا وَاَنْتُمْ مُّسْلِمُوْنَ اَمْ كُنْتُمْ شُهَدَآءَ
اِذْ حَضَرَ يَعْقُوْبَ الْمَوْتُ اِذْ قَالَ لِبَنِيْهِ مَا تَعْبُدُوْنَ مِنْ بَعْدِيْ قَالُوْا نَعْبُدُ اِلٰهَكَ وَاِلٰهَ اٰبَآئِكَ اِبْرٰهٖمَ وَاِسْمٰعِيْلَ وَاِسْحٰقَ اِلٰهًا وَّاحِدًا
وَّنَحْنُ لَهٗ مُسْلِمُوْنَ تِلْكَ اُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُوْنَ عَمَّا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ

(Persian interlinear: و چون برافراشت ابرهیم بناهارا از خانه کعبه و اسمعیل گفتند ای پروردگار ما قبول کن از ما بدرستیکه توئی شنونده دانا — پروردگارا و بگردان ما را منقاد خود و از اولاد ما گروهی منقاد مر ترا و بنما ما را جایهای عبادات ما و رحمت کن بر ما بدرستیکه توئی بسیار قبول کننده توبه مهربان — پروردگارا برانگیز در میان ایشان پیغمبری از خود ایشان که بخواند بر ایشان آیات ترا و بیاموزد کتاب و حکمت را و پاکیزه کند ایشان را بدرستیکه توئی غالب محکم کار — و کیست که روی گرداند از ملت ابرهیم مگر کسیکه بجهل بسپرد نفس خود را و بتحقیق برگزیدیم او را در دنیا و او در آخرت از نیکوکاران چون گفت مر او را پروردگار او گردن نه گفت گردن نهادم پروردگار عالمیان را — و وصیت کرد بان ابرهیم فرزندان خود را و یعقوب ای فرزندان من بدرستیکه خدای برگزید برای شما دین را پس نمیرید مگر در حالی که تسلیم کنندگان باشید آیا بودید حاضر چون در رسید یعقوب را مرگ چون گفت مر فرزندان خود را چه میپرستید پس از من گفتند میپرستیم معبود ترا و معبود پدران ترا ابرهیم و اسمعیل و اسحق معبودی یگانه و ما اورا تسلیم کنندگان — این گروهیست که درگذشت مر ایشانراست آنچه کردند و شما راست آنچه کردید و پرسیده نشوید از آنچه ایشان میکردند)

القراءة ارنا و ما بعده ساكنة الراء ابن كثير و ابو عمرو والاخفش ... وقرأ ابو عمرو بالاختلاس طلبا للخفة وهذا من الاجحاف
ويعلمهم بالاختلاس عباس كذلك كل فعل مستقبل مجموع حيث تتبع دروعن ابن عباس بكلسار وتعدها وكل كلمة تضمنت جمعين من الاسماء بالاختلاس
مثل اعينكم واسلحتكم وامتعتكم وأوصى من الايصاء ابو جعفر ونافع وابن عامر الباقون ووصى بالتشديد شهداء اذ عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر
الباقون شهداء بمد كذلك ما اشبهه كل القرآن الوقوف واسمعيل لاضمار القول اي يقولان وعلى نصب بحال ما لطفا لابتداء بان ويجوز الوصل
وجعل الطيف على تقدير فانك او كانك العليم مسلمة لك لعطف المتفقين علينا ط ونفة الرحيم ويزكيهم ط الحكيم ... للفصل بين الاستفهام والاخبار
في الدنيا ج لعطف الجملتين المختلفتين الصالحين لا سلم ط لان قوله قال غامل اذ والاحسن يقال فقال اذ لا انقطع النظم العالمين ويعقوب لا لارادة القول
على الاصح ومن وصل جعل الوصية في معنى القول مسلمون ط لان ام بمعنى همزة الاستفهام للانكار الموت لا لان اذ بدل من اذ الاولى او اذ الاولى ظرف
شهداء واذ الثانية ظرف حضر ومن قطعها من الاول توقف على الموت وجعل قالوا عاملا لاذ ولم يقف على بعدي لانه وقف تنفيس لان الانكار متوجه على
قولهم ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية لا على ان يعقوب قد مات من بعدي ط لان الاحتياج لعطف الجملتين المختلفتين والوصل اجوز على جعل الواو للحال مسلمون
خلت ج لان ما بعدها تصلح صفة للامة وتصلح استئنافا وهو واضح لعطف ولكم ما كسبتم عليها ولكم ما كسبتم ج لعطف الجملتين المختلفتين يعملون
التفسير وهب بن منبه قال ان آدم لما اهبط الى الارض استوحش منها لما رأى من سعتها ولم ير فيها احدا غيره فقال يارب اما لارضك هذه عامر
يسبحك فيها ويقدس لك غيري فقال الله اني ساجعل فيها من ذريتك من يسبح بحمدي ويقدس لي وساجعل فيها بيوتا ترفع لذكري يسبحني فيها خلقي وسابوئك منها بيتا اختاره
لنفسي واختصه بكرامتي واوثره على بيوت الارض كلها باسمي واسميه بيتي انطقه بعظمتي واحوطه بحرمتي واجعله اصدق البقاع الي اخترت
مكانه يوم خلقت السموات والارض اجعل ذلك البيت لك ولمن بعدك حرما آمنا احرم بحرمته ما فوقه وما تحته وما حوله فمن حرمه بحرمتي فقد عظم
حرمتي ومن احله فقد اباح حرمتي ومن امن اهله استوجب بذلك اماني ومن اخافهم فقد اخافني ومن عظم شأنه فقد عظم في عيني ومن تهاون به فقد
صغر في عيني ... يأتونه اهل السماء والارض يأتونه افواجا شعثا غبرا على
كل ضامر ياتين من كل فج عميق يعجون بالتكبير عجا ويثجون بالتلبية ثجا فمن اعتمره لا يريد غيره فقد زارني وضافني ووفد علي ونزل بي فحق علي ان اتحفه
بكرامتي وحق على الكريم ان يكرم وفده واضيافه ... يا آدم ما كنت حيا ثم يعمره من بعدك الامم والقرون
والانبياء من ولدك امة بعد امة وقرنا بعد قرن ونبيا بعد نبي حتى ينتهي ذلك الى نبي من ولدك يقال له محمد وهو خاتم النبيين فاجعله من عماره وسكانه وحماته
وولاته يكون امينا عليه ما دام حيا فاذا انقلب الي وجدني قد ذخرت له من اجره ما يتمكن به من القربة الي والوسيلة عندي واجعل اسم ذلك البيت وشرفه وذكره
ومجده وسناه ومكرمته لنبي من ولدك يكون قبل هذا النبي وهو ابوه يقال له ابراهيم ارفع له قواعده واقضي على يديه عمارته واعلمه مشاعره ومناسكه
واجعله امة وحده قانتا قائما بامري داعيا الى سبيلي اجتبيه واهديه الى صراط مستقيم ابتليه فيصبر واعافيه فيشكر وآمره فيفعل وينذر لي فيفي واستجيب دعاءه

في ولده وذريته من بعده واستغفر لهم واجعلهم اهل ذلك البيت وخدمته وسقاته وحفظته وخزانه وحجابه حتى يبدلوا ويغيروا واجعل ابرهيم امام
البيت واهل تلك الشريعة يأتم به من حضر تلك المواطن من جميع الخلق من الجن والانس وروى عن ابن عباس ثم انزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من
زمرد شرقي وغربي وقال لآدم اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه آدم من ارض الهند ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم
لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وحج آدم اربعين حجة من ارض الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى ان رفعه الله ايام الطوفان الى السماء الرابعة
فهو البيت المعمور ثم ان الله تعالى امر ابرهيم ببنائه وعرفه جبرئيل مكانه وعن علي البيت المعمور في السماء يقال له الضراح وهو بحيال الكعبة من فوقها حرمته
في السماء كحرمة البيت في الارض يصلي فيه كل يوم سبعون الفا من الملائكة لا يعودون فيه ابدا وعن عبد الله بن عمرو عن النبي قال الركن والمقام ياقوتتان
من يواقيت الجنة طمس الله نورهما ولولا ذلك لاضاءا ما بين المشرق والمغرب طمسهما انجاس الجاهلية ولا سقيم الا شفي وعن ابن عباس انه كان اشد بياضا من الثلج
حتى سودته خطايا اهل الشرك واما قصة اسمعيل كما فصل البخاري عن ابي هريرة ان رسول الله قال لم يكذب ابرهيم قط الا ثلث كذبات ثنتين في ذات الله قوله
اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وواحدة في شان سارة فانه قدم ارض جبار ومعه سارة وكانت احسن الناس فقال لها ان هذا الجبار ان يعلم انك
امرأتي يغلبني عليك فان سألك فاخبريه انك اختي فانك اختي في الاسلام فاني لا اعلم في الارض مسلما غيري وغيرك فلما دخل ارضه رآها بعض اهل الجبار اتاه
فقال لقد قدم ارضك امرأة لا ينبغي لها ان تكون الا لك فارسل اليها فاتي بها فقام ابرهيم الى الصلوة فلما دخلت عليه لم يتمالك ان بسط يده اليها فقبضت
يده قبضة شديدة فقال لها ادعي الله ان يطلق يدي ولا اضرك ففعلت فعاد فقبضت اشد من القبضة الاولى فقال لها مثل ذلك ففعلت فعاد
فقبضت اشد من القبضتين الاوليين فقال ادعي الله ان يطلق يدي فلك الله ان لا اضرك ففعلت فاطلقت يده ودعا الذي جاء بها فقال له انك انما اتيتني
بشيطان ولم تأتني بانسان فاخرجها من ارضي واعطها هاجر قال فاقبلت تمشي فلما رآها ابرهيم انصرف فقال لها مهيم فقالت خيرا كف الله يد الفاجر واخدم خادما
قال ابو هريرة فتلك امكم يا بني ماء السماء قلت وذلك لما ملكها سارة ابرهيم فولدت له اسمعيل ابا العرب ثم تتمة القصة بعد ان غارت سارة على هاجر
حين لم يكن لسارة من ابرهيم ولد فانها ولدت اسحق بعد ولادة هاجر اسمعيل باربع عشرة سنة فقد روى سعيد بن جبير عن ابن عباس اول ما اتخذت النساء
المنطق من قبل ام اسمعيل اتخذت منطقا لتعفي اثرها على سارة ثم جاء بها ابرهيم وبابنها اسمعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق
زمزم في اعلى المسجد وليس بمكة يومئذ احد وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى ابرهيم منطلقا فتبعته ام
اسمعيل فقالت يا ابرهيم اين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه انيس ولا شيء فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت له آلله امرك
بهذا قال نعم قالت اذن لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابرهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع
يديه فقال ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت ام اسمعيل ترضع وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفد ما في
ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا اقرب جبل في الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى احدا
فلم تر احدا فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم اتت المروة فقامت عليها
فنظرت هل ترى احدا فلم تر احدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبي فذلك سعي الناس بينهما فلما اشرفت على المروة سمعت صوتا
فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت ايضا فقالت قد اسمعت ان كان عندك غواث فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه او قال
بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف قال ابن عباس قال النبي يرحم الله
ام اسمعيل لو تركت زمزم او قال لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا قال فشربت وارضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة فان ههنا بيت الله يبنيه
هذا الغلام وابوه وان الله لا يضيع اهله وكان البيت مرتفعا من الارض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى
مرت بهم رفقة من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا في اسفل مكة فرأوا طائرا عائفا فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادي
وما فيه ماء فارسلوا جريا او جريين فاذا هم بالماء فرجعوا فاخبروهم فاقبلوا وام اسمعيل وهي تحب الانس فنزلوا وارسلوا الى اهليهم فنزلوا معهم حتى
اذا كان بها اهل ابيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وانفسهم واعجبهم حين شب فلما ادرك زوجوه امرأة منهم وماتت ام اسمعيل
فجاء ابرهيم بعد ما تزوج اسمعيل يطالع تركته فلم يجد اسمعيل فسأل امرأته عنه فقالت خرج يبتغي لنا ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن
بشر نحن في ضيق وشدة فشكت اليه قال فاذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام وقولي له يغير عتبة بابه فلما جاء اسمعيل كانه آنس شيئا فقال هل جاءكم من احد
قالت نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فاخبرته وسألني كيف عيشنا فاخبرته انا في جهد وشدة قال فهل اوصاك بشيء قالت نعم امرني ان اقرأ عليك
السلام ويقول غير عتبة بابك قال ذاك ابي وقد امرني ان افارقك الحقي باهلك فطلقها وتزوج منهم اخرى فلبث عنهم ابرهيم ما شاء الله ثم اتاهم بعد
فلم يجده فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت خرج يبتغي لنا قال كيف انتم وسألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بخير وسعة واثنت على الله عز وجل قال
فاذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ومريه يثبت عتبة بابه فلما جاء اسمعيل قال هل اتاكم من احد قالت نعم اتانا شيخ حسن الهيئة واثنت عليه فسألني
عنك فاخبرته فسألني كيف عيشنا فاخبرته انا بخير قال فاوصاك بشيء قالت نعم هو يقرأ عليك السلام ويأمرك ان تثبت عتبة بابك قال ذاك ابي وانت العتبة
امرني ان امسكك ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك واسمعيل يبري نبلا له تحت دوحة قريبا من زمزم فلما رآه قام اليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد ثم

يا اسمعيل ان الله امرني بامر قال فاصنع ما امرك قال وتعينني قال واعينك قال فان الله امرني ان ابني بيتا ههنا واشار الى اكمة مرتفعة على ما حولها فعند ذلك رفع القواعد من البيت فجعل اسمعيل يأتي بالحجارة وابرهيم يبني حتى اذا ارتفع البناء جاء ابرهيم بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبني واسمعيل يناوله الحجارة وهما يقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم وعن علي رضي الله عنه انه مر عليه الدهر بعد بناء ابرهيم فانهدم فبنته العمالقة ثم مر عليه الدهر فانهدم فبناه قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ شاب فلما ارادوا ان يرفعوا الحجر الاسود اختصموا فيه فقالوا يحكم بيننا اول رجل يخرج من هذه السكة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اول من خرج عليهم فقضى بينهم ان يجعلوا الحجر في مرط ثم يرفعه جميع القبائل فرفعوه فاخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه قيل كان للبيت اربعة اركان ركنان يمانيان وركنان شاميان وكان لاصقا بالارض وله بابان شرقي وغربي فذكر ان السيل هدمه قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر سنين فاعادت قريش عمارته على الهيئة التي هو عليها اليوم ولم يجدوا من النفقة الحلال والاموال الطيبة ما يفي بالنفقة فتركوا من جانب الحجر بعض البيت فخلفوا الركنين الشاميين عن قواعد ابرهيم وضيقوا عرض الجدار من الاسود الى الشامي الذي يليه فبقي من الاساس شبه الدكان مرتفعا وهو الذي يسمى الشاذروان وروي انه صلى الله عليه وسلم قال لعائشة لولا حدثان قومك بالشرك لهدمت البيت ولبنيته على قواعد ابرهيم فالصقته بالارض وجعلت له بابين شرقيا وغربيا ثم ان ابن الزبير هدمه لما مات ولايته فبناه على قواعد ابرهيم ثم لما استولى عليه الحجاج هدمه واعاده الى الصورة التي هو عليها اليوم وهي بناء قريش ولنعد الى المقصود فنقول يرفع حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس والاصل لما فوقه وهي صفة غالبة معناها الثابتة ورفع الاساس البناء عليها لانها اذا بني عليها نقلت من هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع ويجوز ان يكون المراد بها سافات البناء لان كل ساق قاعدة للذي يبنى عليه ويوضع فوقه فيرتفع كل منها بسبب وضع الاخر عليه ورفع القواعد صريح فيما ذهب اليه الاكثرون من ان القواعد كانت موجودة وان ابرهيم عمرها ورفعها كما في الاحاديث وانما لم يقل قواعد البيت ليكون الكلام مبنيا على الابهام بعد الابهام ففيه تفخيم لشان المبين ثم ان الله تعالى حكى عنهما ثلثة انواع من الدعاء في تلك الحالة الاول قولهما تقبل منا وقبول الله عمل العبد عبارة من كون العمل بحيث يرضاه الله تعالى ويثيب عليه الاول لازم للعبادة فهو من الثاني بسبب الفعل من العبد بالهدية واثابة الله تعالى عليه رضا بالقبول ويحتمل ان يعني بالقبول التقبل فرق التقبل عبارة عن تكلف القبول وذلك حيث يكون العمل ناقصا لا يستحق ان يقبل فاختير لفظ التقبل هضما ونوعا تواضعا واستقصارا وقد يستدل به على ان الفعل المقرون بالاخلاص لا يجب ترتب الثواب عليه والا لم يكن في طلبه فائدة ويحتمل ان يقال الطلب متوجه الى جعله من جملة الاعمال المقرونة بالاخلاص فيكون بطلب القبول عن ذلك ويؤكده قولهما انك انت السميع يعني سماع اجابة العليم بنياتنا النوع الثاني ربنا واجعلنا مسلمين لك فان اريد بالاسلام الدين والاعتقاد توجه الطلب الى الثبات والدوام اي ثبتنا على ذلك الاركان تحصيل الحاصل بالنسبة اليهما وقد نويا ان يريد بالاسلام الخضوع والاذعان الكلي والرضا بكل ما قدر وامر فتوجه الطلب الى هذه الامور انفسها غير عجيب لانها امور خارجة عن الضبط لا يتيسر الا بمجرد تيسير الله وتوفيقه بخلاف اصل الاسلام الذي وقع به التكليف فانه مضبوط وقد يظن ان للعبد اختيارا فيه وان كان اختياره على تقدير ثبوته ينتهي الى مسبب الاسباب قوله واجعلنا اما معطوف على تقبل وقوله انك انت السميع العليم ربنا اعتراض للتأكيد واما معطوف على محذوف اي ربنا افعل هذا واجعلنا ومن ذريتنا للتبعيض كما في قوله ومن ذريتي والامة الجماعة من الناس قيل اراد امة محمد مسلمة يحتمل ههنا اصل الاسلام والزيادة عليه وقيل المسلم مطلقا يفيد الايمان والاعتقاد ومعك باللام معناه الاستسلام والانقياد الكلي وطلب الاسلام لهم بعد ما طلب لهم الامامة اظهارا للشفقة والشفقة بنوا الظن مولع ويحتمل ان يكون الدعاء ببنائنا لما اجل ههنا ويكونان واحدا وتخصيص الذرية بالدعاء من بين الخلايق لانهم احق بالنصيحة ولهذا قوا انفسكم واهليكم نارا ولانهم ائمة بصلاحهم يصلح غيرهم ويفسد بفسادهم من ورائهم استجاب الله دعاءه فلم يزل في ذريتهما من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا ولم يزل الرسل من ذرية ابرهيم وقد كان في الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة ويقال عبد المطلب بن هاشم جد رسول الله صلى الله عليه وسلم على دين الحنيفية يقرون بالابداء والاعادة والثواب والعقاب ويوحدون الله ولا يأكلون الميتة ولا يعبدون الاوثان وارنا ان كان منقولا عن رؤية العلم فمعناه علمنا شرائع حجنا كيف هي اذا امرتنا ببناء البيت لنحجه وندعو الناس الى حجه وان كان منقولا من رؤية البصر فهو الاظهر ولذلك لم يتجاوز مفعولين فظاهر المعنى بصرنا متعبداتنا في الحج قال الحسن ان جبرئيل ارى ابرهيم المناسك كلها حتى بلغ عرفات فقال يا ابرهيم اعرفت ما اريتك من المناسك قال نعم فسميت عرفات فلما كان يوم النحر اراد ان يزور البيت عرض له ابليس يسد عليه الطريق فامره جبرئيل ان يرميه بسبع حصيات ففعل فذهب الشيطان ثم عرض له في اليوم الثاني والثالث والرابع كل ذلك يامره جبرئيل برمي الحصيات وقيل المراد العلم والرؤية معا لان الحج لا يتم الا بامور بعضها يعلم ولا يرى وبعضها لا يتم الغرض منه الا بالرؤية فوجب حمل اللفظ على الامرين جميعا وليس ببعيد فان اللفظ المشترك يصح اطلاقه على معنييه معا ولكن لا يتناوله الحقيقة والمجاز يصح ارادتهما معا من لفظ واحد كالكناية عن النكاح غاية ما في الباب ان يكون هذا الاطلاق مجازا ومن الناس من يحمل المناسك على الذبائح فقد يسمى الذبح للتقرب نسكا وليس لهذا التخصيص وجه لان الذبح انما يسمى نسكا لدخوله تحت اصل معنى النسك وهو التعبد فحمل المناسك على جميع اعمال الحج فاذا قضيتم مناسككم لانا لا نعلم بعد غاية هذا الا ابعد ان يحمل على جميع ما شرع الله لابرهيم اي علمنا كيف نعبدك ومتى واين نعبد

اليك حتى تجدد ملك بين تلك خدمة العبد لمولاه وتب علينا التوبة عنها محو لتمحو علينا عسى ان يكون فرط منا من الصغاير عند من يجوزها على الانبياء
على ترك الاولى ونحو ذلك عند غيرهم ويمكن ان يكون التوبة منهما لتصويرا لانفسهما بصورة النادم العازم على الحزن تشددا في الانصراف عما لا يليق
بهما فان ههنا يا ايها الناس توبوا الى الله فاني اتوب في اليوم مائة مرة او ليتعلم الناس ما بالذرية لعلمهما بان فيهم ظالمين لقوله تعالى لا ينال عهدي الظالمين
وذلك لعله شفقة عليهم وباقي مباحث التوبة تقدم في قصة آدم فليتذكر النوع الثالث ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وفيه امران الاول ان
يبعث في تلك الامة رسولا يبين لهم الشرع القويم ويهديهم الصراط المستقيم والثاني ان يكون ذلك الرسول منهم لا من غيرهم لان الرسول والمرسل
اليهم اذا كانوا جميعا من ذريته كان رتبته اجل لانه اذا كان منهم عرفوه مولده ومنشاه فيقرب الامر عليهم في معرفة صدقه وامانته ولانه
اذا كان منهم كان احرص عليهم واشفق من اجنبي لو ارسل اليهم واما الرسول فهو محمد ﷺ باجماع المفسرين وهو حجة ولقوله تعالى في موضع اخر لقد
من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين
ولقوله ﷺ انا دعوة ابرهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي اما الدعوة فهذه واما البشارة فقوله تعالى في سورة الصف ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه
احمد واما الرؤيا فما رأت امنة وهي حامل انه خرج منها نور اضاء ما بين الخافقين ومنها مكنة دعوة الخليل لما دعا الحبيب بقوله ربنا وابعث
فيهم رسولا فلا جرم فضله الله تعالى حتى جعل الحبيب الخليل بان اجرى ذكره على السنة امته الى يوم القيمة يقولون في صلواتهم اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت
على ابرهيم وآل ابرهيم لهذا الذكر ومناسبات اخر منها ان الخليل دعا لنفسه بقوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين اي ابق لي ثناء حسنا في امة
محمد ﷺ فاجابه الله تعالى وقرن ذكره بذكر حبيبه ومنها ان ابرهيم ابو الملة لقوله ملة ابيكم ابرهيم ومحمد ابو الرحمة بالمؤمنين رؤف رحيم النبي اولى بالمؤمنين
من انفسهم انما انا لكم مثل الوالد لولده بعضهم قرأ وازواجه امهاتهم وهو اب لهم فلما ثبت لكل منهما الابوة قرن بين ذكرهما في التحية ومنها ان ابرهيم منادي الشريعة
واذن في الناس بالحج ومحمد منادي الدين سمعنا مناديا ينادي للايمان ومنها انه كان اول الانبياء بعد الطوفان ومحمد خاتم الانبياء ورسول
آخر الزمان ومنها ان الخليل تبرأ من سائر الاديان اني بريء مما تشركون والحبيب تنزه عن جميع الاكوان ما زاغ البصر وما طغى ثم ان ابرهيم
ذكر لذلك الرسول صفات اولها يتلوا عليهم آياتك فهو القرآن المتلو عليهم وجميع ما بلغه من دلائل التوحيد والنبوة وتلبية القرآن ومثله
معه ثانيها ويعلمهم الكتاب معانيه وحقائقه وذلك ان التلاوة وان كانت مطلوبة لبقاء لفظها على السنة اهل التواتر فيبقى مصونا من
التحريف ولان لفظه ونظمه معجز وفي تلاوته نوع عبادة ولا سيما في الصلوات الا ان الحكمة العظمى والمقصود الاسنى تعليم ما فيه من الدلائل والاحكام
وثالثها قوله والحكمة اي ويعلمهم الحكمة وهي الاصابة في القول والعمل جميعا فلا يسمى حكيما الا وقد اجتمع فيه الامران وقيل وضع
كل شيء موضعه ولهذا اعجبها بعض الحكماء بانها التشبه بالاله بقدر الطاقة البشرية ويناسبه قوله ﷺ تخلقوا باخلاق الله وعن ابن وهب قلت
لمالك ما الحكمة قال معرفة الدين والفقه فيه والاتباع له وعن قتادة والربيع انها السنة سنة رسول الله ﷺ لانه ذكر تلاوة الكتاب ثم تعليمه ثم
عطف عليه الحكمة فيكون شيئا خارجا عنهما وليس ذلك الا السنة الرسول فان الدلائل العقلية الدالة على التوحيد والنبوة وما يتلوها مستقلة
بالفهم فحمل اللفظ على ما لا يستفاد الا من الشرع اولى وقيل الفصل بين الحق والباطل من الحكم وقيل المراد بالكتاب الآيات المحكمات وبالحكمة المتشابهات
وقيل هي ما في احكام الكتاب من المصالح ورابعها ويزكيهم لانه لا يستتم الا بامرين التحلية والتخلية فكما يجب على المعلم التنبيه على نعوت الكمال ليتحلى المتعلم
بها يجب عليه التحذير عن آفات النقصان ليتخلى عنها وذلك يحصل بفعله النبي ﷺ سوى التلاوة وتعليم الكتاب والحكمة من الوعد والايعاد والوعظ
والتذكير والتشبه بامور الدنيا والتقوية لدواعيهم الى الايمان والعمل الصالح ولذلك مدح بانه على خلق عظيم وانه اوفى مكارم الاخلاق وقيل
يزكيهم يطهرهم من الشرك وسائر الارجاس كقوله ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث وقيل يشهد لهم بانهم عدول يوم القيمة ويكون الرسول
عليكم شهيدا وعن ابن عباس التزكية هي الطاعة لله والاخلاص انك انت العزيز القادر الذي لا يغلب الحكيم العالم الذي لا يفعل الا على وفق الحكمة
واذا كان كذلك صح منك اجابة الدعاء وبعثة الرسل وانزال الكتب ومن يرغب الاستفهام فيه للتقرير بمعنى النفي اي لا يرغب احد بملة ابرهيم عن الامر
اذا كرهته ورغب فيه اذا اراده ومن في بصيغة الرفع على البدل من الضمير في يرغب وذلك انه غير موجب مثل هل جاءك احد الا زيد سفه ما معناه
معنى سفه نفسه امتهنها واستخفها واصل السفه الخفة وفي الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمط الناس اي تزدريهم عن ابي عبيدة قال المبرد
ان الذي نفسه متعد بنفسه الى النفس وعن الحسن الا من جهل نفسه فلم يفكر فيها فيستدل بما يجده فيها من آثار الصنع على وحدانية
الله تعالى ... وقيل الاصل في نفسه فحذف الجار فمعناه سفه في نفسه
اي في عقله وقيل نصب على التمييز على مذهب الكوفيين فان التمييز عندهم يجوز ان يكون معرفة وفيه توبيخ لليهود والنصارى
ومشركي العرب وتعجيب لانهم مع ادعائهم الانتماء الى ابرهيم انهم لا يؤمنون بالرسول وهو دعوته ومطلوبه بالتضرع
الى الله فان قيل ملة ابرهيم عين ملة محمد في الاصول والفروع وانما متحدان في الاصول كالتوحيد والنبوة واصول مكارم الاخلاق ولكنهما
مختلفان في فروع الاعمال فلا سبيل الى الاول والا لم يكن شرع محمد ﷺ ناسخا لسائر الشرائع ولا الى الثاني لانه يلزم ان يكون محمد ﷺ تابعا
لملة ابرهيم لان الاعتراف بالاصول لا يقتضي الاعتراف بنبوة محمد ﷺ ... في الاصول فقط لكن نبوة محمد ﷺ من جملة الاصول

في بيان معنى الاصطفاء

فيهما ابرهيم ثم والمراد بملة ابرهيم الاصول التي لا يختلف بها الانبياء وكل اهله فلا يلزم ان يكون محمد تابعا لها في الامر باتباعها ثم اوحينا اليك ان اتبع
ملة ابرهيم حنيفا روى ان عبد الله بن سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجر الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال في التورية اني باعث من ولد
اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن امن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر ان يسلم فنزلت ثم انه تعالى اكد ما سبق من ان الرغبة
عن ملة ابرهيم من السفه بذلك فقال ولقد اصطفيناه في الدنيا اى اخترناه للرسالة من دون الخليقة وعرفناه الملة الجامعة للتوحيد والعدل
والامامة الباقية الى قيام الساعة حتى نال منزلة الخلة وانه في الاخرة لمن الصالحين فيلزم مما يلزمهم من الكرامة وحسن الثواب فليتحقق كل ذي
لب ان الراغب عن سيرة من هو فائز بسعادة الدارين لا راى له والله الموفق ثم بين سبب الاصطفاء فقال اذ قال له ربه اسلم اى اخترناه في ذلك
الوقت ويجوز ان ينتصب باضمار اذكر استشهادا على ما ذكر من حاله كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح الذي لا يرغب عن ملة
مثله واذ قال له ربه من باب الالتفات ولولا ذلك لكان حقه ان يقال اذ قلنا له والاكثرون على ان هذا القول قبل النبوة وقبل البلوغ وذلك
عند استدلاله بالكواكب والقمر والشمس واطلاعه على امارة الحدوث فيها فلما عرف ربه قال له اسلم فانه لا يجوز ان يقول له قبل ان عرف ربه و
يحتمل ان يكون ذلك قبل الاستدلال ولا يكون المراد منه نفس القول بل دلالة الدليل عليه كقولهم نطق الحال قال تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا
فهو يتكلم بما كانوا به يشركون فجعل دلالة البرهان كلاما ويحتمل ان يكون هذا بعد النبوة والمراد استقامة على الاسلام وثباته عليه كقوله
فاستقم كما امرت والمقصود الانقياد للاوامر بسمعه والمسارعة الى تلقيها بالقبول وترك الاعراض بالقلب واللسان وقيل الايمان صفة القلب
والاسلام صفة الجوارح وان ابرهيم كان عارفا بالله ثم بقلبه فكلفه الله ثم بعد ذلك بعمل الجوارح وفي تخصيص لفظ الرب بهذا الموضع
بالذكر قصص ابرهيم اشارة الى ان طريق عرفانه النظر في المربوبات فلا جرم وصل الى الرب ومحمد عكس ذلك الترتيب فلا جرم مدحه الله
فاعلم انه لا اله الا الله والاول طريق من يستدل بالاثر ويحسن سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق لكن الطريق الثاني احسن اولم يكف بربك انه على
كل شيء شهيد ومن هنا يعرفنا كلمة محمد صلى الله عليه وسلم شعر وبي عرفت ربي والانبياء مائة الف وكلهم يعرف الله بالاثار فيبدو لهم بخلاف ابرهيم فلا لمحة استقامة سيرة
وسيره محمد دليل على انه مكمل الاوضاع وبه ابتداء الامر حيث نشوه في ثمرة النبوة وحصلت الخاتمة وكان الفا ابرهيم دليل وجود الاستقامة
ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فالفا ملبس لدليل عدم الاستقامة الا ابليس الى واستكبر الوجود خير والعدم شر فحصل من خلقه
الخير مع لام الاستدلال واذا ابتلى ابرهيم ربه تركيب الخلة واتخذ الله ابرهيم خليلا ومن شين الشر ودال الدوام على الكفر كان من الكافرين
اسم الشدة وللكافرين عذاب شديد ثم ان الخلة ماخوذة من الخلل بين الشيئين منه الخلال فلا جرم كان ابرهيم واسطة في الطريقة
ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا والحبة ماخوذة من الحبة وهو اصل كل شيء وداخله ومنه حبة القلب فلا جرم كان محمد خاتم النبيين وحبيب
رب العالمين وزبدة الكائنات وغاية الحركات لولاك لما خلقت الافلاك اول الفكر اخر العمل ولما خلا الله ثم نوري اول من يشق عنه
قبره وادم ومن دونه تحت لوائي انا سيد المرسلين ولا فخر محمد ابو الحقيقة وان كان ابرهيم ابا الطريقة والحقيقة لكونها مقصودة بالذات
اولى من الطريقة فلا جرم وقع الصلوة على ابرهيم في الصلوة تبعا للصلوة على محمد اللهم صل على محمد وال محمد كما صليت على ابرهيم وان الصلوة
لا تصح بدون الصلوة على محمد بخلاف الصلوة على غيره ولنعد الى ما كنا فيه ووصى التوصية من جملة الامور المستحسنة التي حكاها الله ثم عن ابرهيم
او صيته بكذا ووصيته بمعنى اوصلته فصيت الشيء بكذا بالتخفيف اى وصلته الى الارض ووصيته متصلة النبات فالوصى يصل القربة الحاصلة له
بعد الموت الى القربات الحاصلة له في الحيوة ويحمل الوصى على هذا الوصل بسبب الوصية والضمير في بها قيل يعود الى الكلمة او الملة وهي اسلمت
لرب العالمين ونحوه رجوع الضمير في قوله وجعلها كلمة باقية الى قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني وقيل الاولى ان يرجع الى الملة
لانها مذكورة صريحا في قوله ومن يرغب عن ملة ابرهيم ولان الوصية بالملة جامعة لجميع اسباب الفلاح بخلاف الوصية بالشهادة وحدها
اللهم الا ان يحمل الاسلام على الانقياد الكلي فيرجع الى ما ذكرنا فليس وجه وفي قوله الدين منها انه يصلح لامرهما لان الوصية عند امارات الموت وعند
ذلك يكون الاهتمام بالامور اشد منها خصوصا فيه بذلك تخلص عن مرضه مع انه كان يدعو كل الناس الى الدين فدل على انه لا شيء عنده اهم من
ذلك ومنها التعميم لجميع الابناء وانه لم يقيد الوصية بزمان ومكان ولم يخلطها بشيء اخر ثم عقبها بان يموتوا غير مسلمين وكل هذه دلائل شدة
الاهتمام بالمامور وهو المشهود له بالفضل وحسن السيرة فيجب قبول قوله لكل عاقل وكذلك وصى بها يعقوب بنيه وقرئ يعقوب بالنصب
معناه ووصى بها ابرهيم بنيه ونافلته يعقوب قال كل منهما يا بني اصله يا بنون فاضيف الى ياء المتكلم فسقطت النون وصار الواو ياء وادغم
النصب فادغم الياء في الياء ان الله اصطفى لكم الدين استخلصه واختاره لكم بان اقام عليه الدلائل الواضحة ودعاكم اليه ومنعكم من غيره
فلا تموتن الا وانتم مسلمون فلا يكن موتكم الا على حال كونكم ثابتين على الاسلام نحو لا تصل الا وانت خاشع فانه نهي عن ترك الصلوة ولكن عن ترك
الخشوع في صلوته والنكتة فيه اظهار ان الصلوة التي لا خشوع فيها كلا صلاة ومثله قوله لا صلوة لجار المسجد الا في المسجد فانه في قوة
قوله لجار المسجد لا تصل الا في المسجد فكانه موتهم لا على حال الاسلام موت لا خير فيه لانه ليس بموت السعداء ومن حق هذا الموت ان لا يحل
فيهم ام كنتم شهداء يحتمل ان يكون تاما منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار لحضور عند الخطاب للمؤمنين اى ما كنتم حاضرين

بيان وصى

فائدة نحو

احضر يعقوب الموت ما حصل لكم العلم به من طريق الوحي لأن اهل الكتاب المعاصرين كانوا قبل العلم كيف تدعون على ما انتم عليه من الرسل فلم تشهدوا وصايا
الانبياء ولو شهدتم ذلك سمعتم قولهم لبنيهم ظهر لكم حرصهم على ملة الاسلام والدين الحنيف فرغبتم في دين محمد ويحتمل كون ام متصلة
على ان يقدر قبلها محذوف معناه اتدعون على الانبياء اليهودية ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت يعني ان اوائلكم من بني اسرائيل كانوا
مشاهدين لذلك اذ اراد بنيه على التوحيد ودين الاسلام فما لكم تدعون على الانبياء ما هم منه براء وفيه نظر لأن ام المعادلة لاحد الامرين كان من
فيها حفظ ما كان الحضور ثابتا لم تكن الدعوى ثابتة لكنها ثابتة بل لهذا التوجيه لا انكار عليها فالوجه ان يقال المراد الحضور غير ثابت الخطاب للزمان
فادن دعوى يهودية الانبياء دعوى بلا دليل فلا اثنع على انه يتكلم على بطلانها بقوله اذ قال لبنيه الى آخره ويتجه على هذا التقدير ان تكون ام منقطعة
كانه استفهام اولا على سبيل الانكار اي لم تدعون ثم استأنف استفهاما ثانيا للتقرير لا للنفي اي ما كنتم شهداء ولتقرير الاثبات على ان اوائلهم
قد شهدوا فيكون مؤكدا لذلك الانكار ما تعبدون اي شيء تعبدون وما عام لاولي العلم وغيرهم ومن تختص باولي العلم ولهذا قال العلماء
من لما يعقل ومن خصصها بغير اولي العقل قال المراد السؤال عن صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد أفقيه ام طبيب يروى ان يعقوب لما دخل مصر
رأى اهلها يعبدون الاوثان والنيران فخاف على بنيه بعد وفاته فقال لهم هذا القول تحريضا لهم على التمسك بعبادة الله لا انهم كانوا
يعبدون غير الله لأن مبادرتهم الى الاعتراف بالتوحيد تنافي ذلك لأن المشهور من امر الاسباط انهم كانوا قوما صالحين ابرهيم واسمعيل
واسحق عطف بيان لآبائك قدم اسمعيل لأنه اسن وجعل اسمعيل وهو عمه من جملة آبائه لأن العرب تجعل العم ابا كما تجعل الخالة اما لانخراطهما في سلك واحد
هو الاخوة قال صلى الله عليه وسلم عم الرجل صنو ابيه اي لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنوي النخلة وايضا اطلق اسم الاب على ابرهيم وهو جده فعن الشافعي
انه احتج بهذا قال الاخوة والاخوات للاب والام لا يسقطون بالجد وبه قال ابو يوسف ومحمد وهو قول عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وزيد
وقال ابو حنيفة انهم يسقطون بالجد وهو قول ابي بكر وابن عباس وعائشة والحسن وطاوس وعطاء ثم التعليمية قالوا الطريق الى معرفة
الله تعالى لا بتعليم الرسول والامام لأنهم لم يقولوا نعبد الاله الذي دل العقل عليه بل قالوا نعبد الاله الذي انت تعبده وآباؤك يعبدونه فدل
على ان طريق المعرفة هو التعليم واجيب بمنع دلالة الآية على ذلك بل لعل المعرفة حصلت لهم بالاستدلال الا انهم اختصروا الكلام فذكروا شرح صفات
الله ومعناه ان ذلك ابلغ لأنه اقرب الى سكون نفس يعقوب فكأنهم قالوا لسنا نجري الا على مثل طريقتك من اليقين بالله والاخلاص في عبادته
ايضا لعل مرادهم نعبد الاله الذي دل عليه وجودك ووجود آبائك كقوله اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم الها واحدا بدل من اله آبائك
مثل بالناصية ناصية كاذبة او نصب على الاختصاص للمدح ونحن له مسلمون مذعنون او مخلصون التوحيد ومحله النصب على الحال من فاعل
نعبد او من مفعوله لرجوع الضمير اليه ويجوز ان يكون جملة معطوفة على نعبد وجملة معترضة مؤكدة تلك اشارة الى الامة المذكورة التي هي
ابرهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون خلت مضت وانقرضت والمراد انه لم يبق منهم اثر سوى ما عملوا ولهذا قيل لها ما كسبت اي ثوابه ويحتمل اني
اقتصصت عليكم اخبارهم وما كانوا عليه من الدعوة الى الاسلام فليس لكم نفع في سيرتهم دون ان تفعلوا ما فعلوه فان انتم فعلتم ذلك
فزتم كما فازوا وان ابيتم خسرتم انتم دونهم ولا تسألون عما كانوا يعملون لا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا ينفعكم حسناتهم وفيه تكذيب اليهود
حيث قالوا انهم يعذبون اياما معدودة لكفر آبائهم باتخاذ العجل وفي الآية وعيد شديد للابناء اذا لم يعملوا بعمل الآباء قال صلى الله عليه وسلم يا صفية
عمة محمد يا فاطمة بنت محمد ائتوني يوم القيامة باعمالكم لا بانسابكم فاني لا اغني عنكم من الله شيئا من ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه ثم الآية تدل
ان للعبد كسبا ولكن الائمة اختلفوا في تفسيره فالاشعري على انه لا تأثير لقدرة العبد في مقدوره اصلا لأنه لو كان موجد الافعال لكان
عالما بتفاصيل فعله والتركيب لما وقع الا ما اراده العبد ليس كذلك بل المقدور والقدرة كلاهما واقع بقدرة الله تعالى لكن الشيء الذي
حصل بخلق الله وهو متعلق القدرة الحادثة هو الكسب واعترض عليه بان مقدور العبد اذا كان واقعا بخلق الله تعالى فاذا خلقه فيه استحال من العبد
ان لا يتصف به واذا لم يخلقه فيه استحال ان يتصف به فاي معنى لكون العبد قادرا عليه الذي هو مكتسب العبد اما ان يكون واقعا بقدرة
الله فلا اثر للعبد فلا يكون مكتسبا وان وقع بالقدرتين معا فلا يكون قدرة الله تعالى مستقلة والمفروض بخلافه فبقي ان يكون بقدرة العبد
وعن القاضي ان ذات الفعل واقعة بقدرة الله تعالى ثم يحصل لذلك الفعل صفة طاعة او صفة معصية فهذه الصفة تقع بقدرة العبد وضعف
بان الحركة من الجلوس في الدار المغصوبة ليس الا شغل تلك الاحياز فهذا الشغل ان حصل بفعل الله تعالى فهذا عين النوع عنده خلقه الله فيه وهذا
تكليف ما لا يطاق وان حصل بقدرة العبد فهو المطلوب وزعم الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني ان ذات الفعل تقع بالقدرتين وزيف بان
قدرة الله مستقلة بالتأثير ومنهم من زعم ان القدرة الحادثة مع الداعي توجب الفعل فالله تعالى هو الخالق للكل بمعنى انه سبحانه هو الذي
وضع الاسباب المؤدية الى دخول هذه الافعال في الوجود والعبد هو المكتسب بمعنى ان المؤثر في وقوع فعله هو القدرة والداعية القائمتان
به والى هذا ذهب امام الحرمين وهو مناسب لقول الفلاسفة وزعم جمهور المعتزلة ان القدرة مع الداعي لا توجب الفعل بل العبد قادر
على الفعل والترك متمكن منهما ان شاء فعل وان شاء ترك وهذا هو الفعل والكسب فهذه اقرب المذاهب وقول الاشعري اقرب الى الادب وقول
امام الحرمين اقرب الى التحقيق لأن نسبة الاثر الى المؤثر القريب لا ينافي كون ذلك المؤثر منسوبا الى اثر بعيد ثم الى ان ينتهي الى مسبب الاسباب

وفاعل الكل

وفاعل الكل وميدا المبادى والبك الاختيار بعقلك دون هواك التأويل من قوله واذ ابتلى البلاء علو الولاء كالتهب للذهب فى صدقه ولاء اشدهم بلاء وابتلى الخليل بكلمات اى احكام النبوة الخصال العشر فى جسده ولوازم الرسالة الصبر عند صدمات المكروهات وفقدان المألوفات وموجبات الخلة التبرى عما سوى الخليل التى برئ مما تشركون وعداوة غير الخليل فانهم عدو لى الا رب العالمين ورفع الوسائط حيث قال له جبرئيل فى الهواء الك من حاجة فقال اما اليك فلا والتسليم اسلمت لرب العالمين والرضاء بما امر به من ذبح الولد فلما استسلم وتله للجبين بخلاف ما قال نوح ان ابنى من اهلى فلا جرم زيد له فى الاصطفاء وشرف بكرامة الامامة والاقتداء به انى جاعلك للناس اماما واذ جعلنا البيت بيت القلب كما جاء ان الله تعالى اوحى الى داود فرغ لى بيتا اسكن فيه فقال وكيف يا رب فقال فرغ لى قلبك اى جعلنا القلب الانسانى مثابة يرجعون اليه لا الى الابنية وزوارى كما يرجعون الى الكعبة فى الصورة وما منا للناس من تصرفات الشيطان ومكائده حين بلغ منزل القلب لان القلب خزانة الحق محروسة من دخول الشيطان وانما جولان الشيطان فى ميادين الصدور كقوله يوسوس فى صدور الناس واتخذوا على الوصول الى كعبة القلب من مقام ابرهيم وهو الخلة قبلة توجهكم لتكون قصدكم الى الى عزى كما قال ابرهيم انى ذاهب الى ربى سيهدين وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل فى الميثاق ان طهرا القلب من ادناس تعلقات الكونين واوضار ملاحظة الاغيار للطائفين وهى واردات الحق والعاكفين وهى الملكات والمقامات والركع السجود وهى صفات القلب المطهرة من الارادة والصدق والاخلاص والتواضع والخوف والرجاء والتسليم والرضاء والتوكل وجملة هذه الصفات العبودية واذ قال ابرهيم الاية لما اهبط آدم الروح الى ارض الجسد فقد ما كان يجد من روائح الطاف الحق فى جنة حظيرة القدس استوحش فانزل الله تعالى ياقوتة القلب من جنة حظيرة القدس ليجد ما يشرق الى حظيرة رب العالمين فتجلى منها شوارق الالطاف وما بعد عن الى عالم الجسد فيه تناديل العقل ما تزاحم لذة المخاطبة بخطاب الست بربكم منور ابنور جواب بلى قد القم كتاب العهد يوم الميثاق وهو يمين الله فى ارضه فلما كان طوفان امارات الصفات البشرية من الطفولية الى البلوغ وغارت تسود الشهوات تنع بيت معمور القلب الى السماء الرابعة يعنى حجب استار خواص العناصر الاربع واخفى حجر الهداية فى بطن جبل صفات النفس فلما ابرهيم الروح بعد البلوغ ببناء بيت القلب عمارته من حصى جبل اركان الاسلام وقد اهتدى الى موضع بيت القلب بدلالة السكينة هو الذى انزل السكينة فى قلوب المؤمنين فجعل اسمعيل النفس المطمئنة يجىء باحجار اعمال الشريعة من جبال اركان الاسلام ويناولها ابرهيم الروح وهو يبنى الى ان بلغ موضع الحجر فنودى من ابى قبيس الهوى ان لك عندى وديعة فخذها فاخذ حجر الهداية من استار صفات النفس والهوى فوضعه مكانه وكان ابيض فلما مسته حيض اللذات الدنيوية ومشركو الشهوات النفسانية فى جاهلية الطفولية اسود فلما فرغا من رفع قواعد بيت القلب سألا ربهما الاستسلام لاحكام الظاهرة الشرعية والباطنة التى جعل العلم بها فى الازل كذا الذريتهما المتولدات من الصفات الروحانية والنفسانية وان يبعث فيهم رسولا منهم لا من الخارج فمن امكن له فى القلب سول وارد من الحق وهو السر ليسمع كلام الرسول الخارجى ثم ان ابرهيم الروح يوصى المتولدة من القلب صفات النفس صفاتها والقوى البشرية والحواس الخمس والاعضاء والجوارح كلها مسلمة وفى الايات اشارة الى ان تعالى اذا تجلى لروح عبد مخلص متضرع اليه بحسب ظهر آثار انوار تجلية على قلبه وسره ونفسه وتولدوا حواسه جميع اعضائه فيخضعون بكليتهم فيعبدون الله العبد الا منفردا من الهوى والدنيا والاخرة وهو المسلم الحقيقى وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قل بل ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين

وگفتند مخالفان که یهود شوید یا ترسا تا که هدایت یابید بگو که متابعت کنیم ملت ابراهیم را که مستوی بود ونبود ابراهیم از مشرکان

قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى

بگوئید اگر وید ایمان آوردیم بخدا وآنچه فرستاده شد بسوی ما وآنچه فرستاده شد باربراهیم واسمعیل واسحق ویعقوب واسباط وآنچه بموسی رسید وهم چنین

وعيسى وما اوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا

بعیسی وآنچه فرستاده شد پیغمبران از پروردگار ایشان جدا نمیکنیم در میان هیچیک از ایشان وما مر اورا تسلیم کنندگانیم پس اگر گرویدند بآنچه گرویدید شما پس براه یافته اند

وان تولوا فانما هم فى شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم صبغة الله ومن احسن من الله صبغة ونحن له عابدون

واگر رو گردانیدند پس ایشان در خصومت اند پس زود باشد که کفایت کند شر ایشان را خدا واو شنوای داناست رنگ خدا کیست نیکوتر از خدا در رنگ کردن وما مر اورا پرستندگانیم

قل اتحاجوننا فى الله وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون ام تقولون ان ابرهيم واسمعيل

بگو آیا خصومت میکنید با ما در باره خدا وحال آنکه اوست پروردگار ما وپروردگار شما ومر ما راست کردارهای ما ومر شماراست کردارهای شما وما مر اورا مخلصانیم یا آنکه میگوئید که ابراهیم واسمعیل

واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى قل ءانتم اعلم ام الله ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله

واسحق ویعقوب واسباط بودند جهودان یا ترسایان بگو آیا شما بهتر میدانید یا خدا وکیست ستمکارتر از آنکه پنهان داشت گواهی را که نزد او ست از خدا ونیست خدا

بغافل عما تعملون تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون القراءة ام تقولون بالخطاب

بیخبر از کردارهای شما آن گروه که درگذشتند مر ایشانراست کسب ایشان ومر شماراست کسب شما وپرسیده نشوید از آنکه بودند میکردند ابن عامر وحمزة وعلى وخلف وعاصم

غير ابى بكر وحماد والمفضل الباقون بياء الغيبة الوقوف تهتدوا ط المشركين ج من يجحم لطول الكلام والاستيناف والاصطلاح الى ما عن مفرين منهم

جنود

والسر وصفا للروح

لاحتمال الابتداء والحال والوجه وسكون اهتدوا ج لابتداء الشرط مع العطف شقاق ج للابتداء السين مع الوعيد مع دخول الفاء فسيكفيكهم الله ج
لاحتمال الواو للابتداء العليم ط لان الجملة الناصبة لقوله صبغة الله محذوفة فتبدأ بها او لان امنا بالله وقوله فان امنوا شرط معترض صبغة الله
لابتداء الاستفهام مع ان الواو للحال صبغة ج على جعل الواو للابتداء او للحال والعطف على امنا عابدون وربكم ج لان الواو يصلح ان يكون
عطفا على الحال الاولى ويصلح ان يكون حسبانا لما تقدم الكم ج مخلصون ط لمن قرأ ام يقولون بياء الغيبة ومن قرأ بالتاء لم يقف لكون ام معادلة
للهمزة في اتحاجوننا او نصارى ط ام الله ط من الله ط تعملون قد خلت ج ما كسبتم ج يعملون الجزء الاول من الثلثين التفسير لما بين الادلة
المتقدمة صحة دين الاسلام ذكر انواعا من شبه الطاعنين منها ان اليهود قالوا كونوا هودا تهتدوا والنصارى قالوا كذلك لما علم من التعادي
بين الفريقين كما بين كل منهما وبين المسلمين ونظيره مثل هذا في قوله وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فاجابهم الله بقوله
قل بل ملة ابراهيم اي تكون اهل ملته مثل واسئل القرية اي اهلها او بل ملة نتبع ابراهيم وقرئ بالرفع اي ملتنا او امرنا ملته او نحن ملته
حنيفا حال من المضاف اليه كقولك رأيت وجه هند قائمة وذلك ان المضاف اليه متضمن الحرف فيقتضي متعلقا هو الفعل او شبهه يشتمل على
فاعل او مفعول فالحال عن المضاف اليه يرجع في التحقيق الى الحال عن احدهما وعند الكوفيين نصب على القطع اراد ملة ابراهيم الحنيف فلما سقطت الالف واللام
لم يتبع النكرة المعرفة فانقطع منها فانتصب والحنيف المائل عن كل دين باطل الى دين الحق من حنف اذا مال حاصل الجواب ان المعول في الدين ان كان
النظر والاستدلال فقد قدمنا الدلائل وان كان التقليد فالمتفق اولى من المختلف وقد اتفق الكل على صحة دين ابراهيم فاتباعه اولى وهذا
جواب الزامي ثم لما كان من الجائز ان يدعي اليهود والنصارى انا على دين ابراهيم عرض عليهم بقوله وما كان من المشركين لكن النصارى قالوا
بالتثليث واليهود بالتشبيه ايضا قالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله فليسوا من ملة ابراهيم الذي هو محض التوحيد حاصل الاسلام في شيء قولوا
للمؤمنين يجوز ان يكون للكافرين اي قولوا لتكونوا على الحق والا فانتم على الباطل وكذلك قوله بل ملة ابراهيم يجوز ان يكون امرا لهم اي اتبعوا
ملة ابراهيم او كونوا اهل ملته وهذا جواب اخر برهاني وذلك ان طريق معرفة نبوة الانبياء ظهور المعجز على ايديهم ولما ظهر المعجز على يد محمد وجب
الاعتراف بنبوته والايمان بما انزل عليه كما اعترفوا بنبوة ابراهيم وموسى وعيسى فان تخصيص البعض بالقبول تخصيص البعض بالرد تناقض
انما قصد في الدليل عن الحسن ان قوله قل بل ملة ابراهيم خطاب للنبي وقوله قولوا خطاب لامته والظاهر العموم وانما قدم الايمان بالله لان
معرفة النبي والكتاب موقوفة على معرفته وفيه ابطال ما ذهب اليه التعليمية والمقلدة من ان طريق معرفة الله الكتاب والسنة قال الخليل الاسباط
في بني اسرائيل كالقبيلة في العرب قيل السبط الحافد وكان الحسن والحسين سبطي النبي ثم حفدة يعقوب ذراري ابنائه الاثني عشر عهده
بعض الانبياء المتقدمين وشرائعهم ثم عمم لنفي التفصيل لا نفرق بين احد منهم لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كاهل الكتاب معنى الايمان بجميعهم
ان كلا منهم حق في زمانه ولا نقول انهم متفرقون في اصول الديانات شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا واحد معنى الجماعة ولذلك صح دخول

بين عليه ونحن له مسلمون اذعانا واخلاصا فلا جرم لا نخص بالقبول بعض عبيده المؤيدين بالمعجزات خلاف من كان اسلامه تقليدا او هو
ولما بين الطريق الواضح في الدين وهو ان يعترف الانسان بنبوة كل من قامت الدلالة على نبوته من غير مناقضة رغبهم في مثل هذا الايمان
وههنا سؤال هو ان دين الاسلام وهو الحق لا مثل له فما معنى المثل في قوله بمثل ما امنتم به والجواب ان قوله فان امنوا بكلمة الشك ليدل على
ان الامر مبني على الفرض والتقدير اي فان تحصلوا دينا اخر مثل دينكم ومساويا له في الصحة والسداد فقد اهتدوا لكن لا دين صحيحا سوى هذا
فلا مندوحة لهم عن الدين الحق بخلاف غيره فلا اهتداء لا بعده ونظيره قولك للرجل الذي تشير عليه هذا هو الرأي الصواب فان كان عندك رأي اصوب
منه فاعمل به فقد علمت ان لا اصوب من رأيك لكنك تريد تبكيت صاحبك وتوقيفه على ان ما رأيت لا رأي وراءه وقيل الباء للاستعانة لا للالصاق
والتمثيل بين التصديقين اي فان دخلوا في الايمان بشهادة مثل شهادتكم وقيل المثل صلة ويؤيده قراءة ابن عباس وابن مسعود فان
امنوا بما امنتم به وقيل معناه انكم امنتم بالفرقان من غير تصحيف وتحريف فان امنوا بمثل ذلك في التورية فقد اهتدوا لانهم يتوسلون
به الى معرفة نبوة محمد وفي الاية دليل على ان الهداية قبل هذا الاهتداء وهي الدلائل التي نصبها الله تعالى وكشف عن وجوهها والاهتداء قبولها
والعمل بها ليفوزوا بالسعادة العظمى وان تولوا عما قيل لهم ولم ينصفوا فانما هم في شقاق خلاف وعداوة وهو مأخوذ من الشق كانه صار
في شق صاحبه من الشق او من فارق الجماعة وشق عصاهم او من المشقة لان كل واحد منهما يحرص على ما يشق على صاحبه ويؤذيه وفي صفة القوم
بذلك دليل على معاداتهم الرسول واضمارهم لكل سوء وتربصهم به لايقاع في المحن فلا جرم امنه الله تعالى والمؤمنين من كيدهم وقال فسيكفيكهم الله
وناهيك بمن كان كافيه وفي معنى السين ان ذلك كائن لا محالة وان تأخر الى حين ذلك ان فيه معنى التوكيد لوقوعها في مقابلة لن قال سيبويه
لن افعل نفي سأفعل وقد انجز وعده بما ضرب بقتل قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير وضرب الجزية عليهم وهذا الاخبار بالغيب كم مثله
في القران وكل ذلك مما يؤكد اعجاز التنزيل العزيز حسنا وبطريق الوحي الصراح وهو السميع العليم وعد لرسول الله اي يسمع دعاءك ويعلم
نيتك في اعلاء كلمة الحق وعلى هذا فهو يستجيب لك لا محالة ووعيد للاعداء اي هو يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرون من الحسد والغل فيعاقبهم
على ذلك صبغة الله مصدر مؤكد منتصب عن قوله امنا بالله مثل وعد الله قال سيبويه وقيل بدل من ملة ابراهيم او نصب على الاغراء اي عليكم

صبغة الله مصدر مؤكد منتصب عن قوله آمنا بالله مثل وعد الله سيبويه وقيل بدل من ملة ابرهيم ونصب على الاغراء اي عليكم صبغة الله وفيها فك النظم واخراج الكلام عن الالتيام والصبغة فعلة من صبغ كالجلسة الحالة التي يقع عليها الصبغ والمعنى تطهير الله لان الايمان يطهر النفوس والاصل ان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه يصير الواحد منهم نصرانيا حقا فامر المسلمون بان يقولوا لهم آمنا وصبغنا الله بالايمان لا صبغتكم وذلك على طريق المشاكلة كما تقول لمن يغرس الاشجار اغرس كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرام ونظيره انما نحن مستهزءون الله يستهزئ بهم وقيل اللفظة من قولهم فلان يصبغ فلانا في الشئ اي يدخله فيه ويلزمه اياه كما يجعل الصبغ لازما للثوب وقيل سمي الدين صبغة لظهور هيئته على صاحبه سيماهم في وجوههم من اثر السجود ومن كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار وقيل وصف هذا الايمان منهم بانه صبغة الله ليتبين ان المباينة بينه وبين غيره ظاهرة جلية يدركها كل ذي حس سليم كما يدرك الالوان وقيل صبغة الله فطرته او التي فطر الناس عليها وذلك ان آثار الفطرة لازمة للانسان لزوم الصبغ للثوب يمكنه ان يتدرج منها الى وجود الصانع والايمان به وقيل صبغة الله الختان وقيل حجة الله وقيل سنة الله ومن احسن من الله صبغة معنى الاستفهام الانكار وصبغة تمييز اي لا صبغة احسن من الايمان بالله الدين الذي شرع لكم ليطهركم به من اوضار الكفر وادناس الشرك ونحن له عابدون عبارة عن كمال الايمان كما تقدم مرارا قل أتحاجوننا اما المحاجة في الله فقولهم نحن احق بان يكون النبوة فينا لانا اهل الكتاب والعرب عبدة اوثان واما قولهم نحن ابناء الله واحباؤه وقولهم كونوا هودا او نصارى تهتدوا واما الخطاب فاما لاهل الكتاب او لمشركي العرب حيث قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم واما للكل والمعنى اتجادلوننا في شان الله او في دينه وهو ربنا وربكم والرب يفعل بعباده ما يعلم فيه مصلحتهم ويعرفه هذا العبيد كلهم فوضح وذلك لا يختص به عجمي دون عربي ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم فكان لكم اعمال ترجون نيل الكرامة بها فنحن كذلك فالعمل هو الاساس في الاعتبار ونحن له مخلصون موحدون لا نقصد بالعبادة احدا سواه فلا يبعد ان نوصل اهل الخلاص بمزيد الكرامة من عنده ام يقولون من قرأ بتاء الخطاب احتمل ان يكون ام منقطعة بمعنى بل والهمزة استفهام اخرى اي بل تقولون والهمزة للانكار كما في أتحاجوننا واحتمل ان يكون متصلة اي الامرين تأتون المحاجة في حكمة الله ام ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء انكارا عليهم واستجهالا لهم بما كان منهم وعن الزجاج باي الحجتين تتعلقون في امرنا اما بالتوحيد فنحن موحدون ام باتباع دين الانبياء فنحن متبعون ومن قرأ بياء الغيبة فلا يكون الا منقطعة لانقطاع الاستفهام الاول بالالتفات قل ءأنتم اعلم ام الله بل الله اعلم وخبره صدق وقد اخبر في التورية والانجيل والقرآن بان ابرهيم ما كان يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وكيف لا وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده وكانهم مقرون بان الله اعلم وقد اخبر بنقيض ما ادعوه فان قالوا ذلك عن ظن فقد بان لهم خطاؤه وان قالوا ذلك عن جحود وعناد فما اجهلهم واشقاهم فاذن فائدة الكلام اما التنبيه واما التجهيل ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله اما ان يتعلق باظلم والمعنى لو كان ابرهيم وبنوه هودا او نصارى ثم ان الله كتم هذه الشهادة لم يكن احد ممن يكتم شهادة اظلم منه لان الظلم من الاعدل اشنع واما ان يتعلق بكتم اي لا احد اظلم ممن عنده شهادة ثم لم يقمها عند الله وكتمها اخفاها منه واما ان يتعلق بشهادة كقولك عندي شهادة من فلان ومثله براءة من الله ورسوله والمعنى لا احد اظلم ممن كتم شهادة عنده جاءته من الله وفيه اشارة الى ان المؤمنين لم يكتموا ما عندهم من الحق فشهدوا لابرهيم بالحنيفية وتعريض بان اهل الكتاب قد كتموا شهادة الله فانكروا نبوة محمد وحنيفية ابرهيم وغير ذلك من تحريفهم الكلم وما الله بغافل عما تعملون كلام جامع لكل وعيد لهم ولامثالهم ولو ان احدا كان رقيبه من قبل ملك مجازي لكان دائم الحذر والوجل فكيف بالرقيب الحق الذي يعلم اسراره ويعد عليه انفاسه وافكاره ثم هو يقدر على ان يدخله جنته وناره تلك امة اشارة الى ابرهيم وبنيه كما مر وانما اعيدت الآية هنا لغرض آخر وهو زجرهم عن الاشتغال بوصف ما عليه الامم السالفة من ان اديانهم لا تنفع الا بانه لا يدل لنا ... الدين هو الاسلام الثابت بالدليل القاطع والبرهان البين فيجب اتباع المعلوم واقتفاؤه والقاء المظنون المعلول ولا يسئل المتأخر عن المتقدم ولا المحسن عن المسيء وكل بعمله مجزي سيقول

السفهاء من الناس ما ولىهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التي

كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله

ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرءوف رحيم قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك

شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله

بغافل عما يعملون ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية ما تبعوا قبلتك وما انت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة

بخبر از آنچه میکنید و اگر بیاوری اهل کتاب را بهر علامتی پیروی نکنند قبلهٔ ترا و نیستی تو پیروی کنندهٔ قبلهٔ ایشان و نیستند بعضی از ایشان پیروی کنندهٔ قبله

بعض ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون

بعضی و اگر پیروی کنی خواهش ایشان را از پس آنکه آمد ترا از دانش هر آینه تو آنگاه از ستمکاران باشی آنانکه دادیم ایشان را کتاب میشناسند او را چنانکه میشناسند

ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولكل وجهة هو موليها

فرزندان خود را و بدرستیکه گروهی از ایشان هر آینه میپوشند حق را و ایشان میدانند حق از جانب پروردگار تست پس مباش از شک کنندگان و هر یکی را جهتی است که او روی آرنده است بدان

فاستبقوا الخيرات اين ما تكونوا يأت بكم الله جميعا ان الله على كل شيء قدير ومن حيث خرجت فول وجهك شطر

پس پیشی گیرید بکارهای نیک هر جا که باشید بیارد شما را خدا همه را بدرستیکه خدا بر هر چیزی تواناست و از هر طرف که بیرون روی پس بگردان روی خود را بجانب

المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث

مسجد حرام و بدرستیکه این هر آینه حق است از پروردگار تو و نیست خدا غافل از آنچه میکنید و از هر طرف که بیرون شوی پس بگردان روی خود را بجانب مسجد حرام و هر جا که

ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولاتم

باشید پس بگردانید رویهای خود را بجانب او تا که نباشد از برای مردمان بر شما حجتی مگر آنانکه ستم کردند از ایشان پس مترسید از ایشان و بترسید از من و تا تمام کنم

نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم اياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة

نعمت خود را بر شما و تا که شما راه یابید چنانکه فرستادیم در میان شما پیغمبری از شما میخواند بر شما آیتهای ما را و پاکیزه میکند شما را و میآموزد شما را کتاب و حکمت

ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون القراءة تأ الى ابو عمرو بن عامر وعاصم وحمزة وعلي وخلف

و بیاموزد شما را آنچه نبودید که میدانستید پس یاد آورید مرا تا یاد آورم شما را و سپاس گذارید مرا و کافر نشوید وابن عامر الباقون يتأولي بقلب الثانية دالا

وعن قتيبة والحلواني عن ابن شنبوذ عن اهل مكة تتبنا الى بقلب الالف ولى اوالى وحده مهموز اشبعا ابن كثير وابو جعفر ونافع وخلف وعاصم وابو عمرو ويعقوب
الباقون بالتاء موليها بالالف ابن عامر الباقون بالياء وكسر اللام يعملون ومن حيث بياء الغيبة ابو عمرو والباقون بالتاء لئلا مدغمة غير
مهموز ورش ومن ابن كثير وحمزة وعلي وخلف فيعقوب مدغما مهموزا الباقون مظهرا مهموزا والاختيار عن يعقوب هشام الاظهار
فاذكروني بفتح الياء ابن كثير او وقف عليها ط المفرط مستقيم ط شهيدا ط عقبيه ط هدى الله ط ايمانكم ط رحيم ط في السماء ج لان الجملتين وان
اتفقتا فقد تخللت الثانية حرفا توكيد يختصان بالقسم مع القسم مسكت ترضيها ص لان فاء التعقيب لتعجيل الموعود الحرام ط شطره ط من ربهم ط
يعملون قبلتك ج قبلتهم ج وكلاهما للفصل للاحوال مع اتحاد المقصود قبلة بعض ط من العلم لا لان جواب يعني القسم في لئن فلو وصل كان من
الظالمين مطلقا وفي الاطلاق خطر الظالمين لانه لو وصل صار صفة وهو مبتدأ في مدح عبد الله بن سلام واصحابه ابناءهم ط يعلمون الممترين ط الخيرات ط
جميعا ط قدير الحرام ط من ربك ط تعملون الحرام ط وحيث متضمن للشرط شطره لا لتعلق لام كي حجة فقد قيل تجويزا لغرض اثبات الحجة بعد النفي والوصل
في العربية اوضح ولا منافاة لان المراد من الحجة الخصومة وبيان الحق لا ينافي الخصومة تهتدون لا اذا علق كما ارسلنا بما قبله ووقف على تعلمون
وان علق بما بعده وقف على تهتدون تعلمون ولا تكفرون التفسير هذه شبهة ثانية من اهل الكتاب طعنا في الاسلام قالوا النسخ يقتضي
اما الجهل او التجهيل لان الامر ان كان خاليا عن القيد كفى فعله مرة واحدة فلا يكون ورود الامر بعده على خلافه ناسخا وان كان مقيدا بالدوام فكذلك
وان كان مقيدا بالدوام فان كان الامر يعتقد دوامه ثم رفعه كان جهلا وبداء وان كان عالما بلا دوامه كان تجهيلا وكل هذه من الحكيم قبيح ثم انهم
خصصوا هذه الصورة لمزيد شبهة وهو انا اذا جوزنا النسخ عند اختلاف المصالح فههنا لا مصلحة فان الجهات متساوية وهذا دليل على
ان هذا التغيير ليس من عند الله قال القفال لفظ سيقول وان كان للاستقبال لكنه قد يستعمل في الماضي كالرجل يعمل عملا فيطعن فيه بعض
اعدائه فيقول انا اعلم انهم سيطعنون في كأنه يريد انه اذا ذكر مرة فسيذكرونه مرات اخرى ويؤيد ذلك ما ورد من الاخبار انهم لما قالوا ذلك
نزلت الاية والمشهور ان الله تعالى اخبر عنهم قبل ان ذكروا هذا الكلام انهم سيذكرونه وفيه فوائد منها ان الاخبار بالغيب فيكون معجزا ومنها
ان مفاجأة المكروه اشد ايلاما اذا وطن النفس له ومنها ان الجواب العتيد اقطع للخصم قبل الرمي يراش السهم والسفهاء الخفاف الاحلام واذا كان
من لا يميز بين ماله وعليه في امر دنياه يعد سفيها فالذي يضيع امر آخرته اولى بهذا الاسم عن ابن عباس ومجاهد هم اليهود وذلك انهم كانوا
يأنسون بموافقة النبي اياهم في القبلة فلما تحول استوحشوا لا سيما وانهم لا يرون النسخ وعن البراء بن عازب والحسن الاصم انهم مشركوا
العرب قالوا ابى الا الرجوع الى موافقتنا ولو ثبت عليه لكان اولى به وقيل هم المنافقون ذكروا ذلك استهزاء من حيث ان تميز بعض الجهات عن
بعض ليس له دليل معقول فحملوا الامر على العبث والعمل بالرأي والتشهي والاقرب ان يكون الكل فيه خلافية لان الاعداء جبلت على الغيظ وطلب
فاذا وجدوا مجالا لم يتركوا مقالا الا ما ولاهم ما صرفهم استفهموا على جهة التعجب او الاستهزاء عن قبلتهم التي كانوا عليها القبلة بيت المقدس
وضمير الجمع للرسول والمؤمنين هذا هو المجمع عليه عند المفسرين ولولا الاجماع لاحتمل ان يعود الضمير الى الذين كانوا الى السفهاء اي ما الذي صرف الرسول

والمؤمنين من القبلة التي كانوا عليها فانهم كانوا لا يعرفون الا قبلة اليهود وهي الى المغرب وقبلة النصارى وهي الى المشرق فكانهم قالوا كيف
يتوجه احد الى غيرهما يعني الجهتين المعروفتين فاجابهم الله عن شبهتهم بقوله قل لله المشرق والمغرب اي بلادهما والارض كلها والجهات فانهما
ملكا وملكا ثم اكد ذلك بقوله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وهو القبلة التي اقتضت الحكمة في هذا الزمان توجيه الناس اليها ويحتمل ان
يراد به الطريقة المؤدية الى سعادة الدارين فيشمل القبلة وغيرها وحاصل الجواب بعد ما مر في آية النسخ انه تعالى على ما يشاء كما يشاء لا اعتراض لاحد
عليه كالا اعتراض على من يتصرف في ملكه كما يريد فانه تعالى لا يفعل بغرض وان كانت لا تخلو عن فائدة وحكمة كما سبق وكثير منها مما لا يهتدي عقول
البشر الى تفاصيل حكمها لكنهم قد يستنبطون بحسب فهمهم لبعضها وجوها مناسبة ومما يتبين القبلة في الصلوة فلحكمة فيه ان للانسان قوة
عقلية يدرك بها الجزئيات والمعقولات بها وقوة خيالية يتصرف بها في عالم الاجسام وقلما ينفك العقلية عن الخيالية ولغلبتها كالمهندس يضع في
ادراك احكام المقادير صورة معينة وشكلا معينا ليصير الحس في الخيال معينا على ادراك الاحكام الكلية وكالذي يريد ان يثني على ملك مجازي فانه
يستقبله بوجهه ثم يشتغل بالثناء والخدمة فاستقبال القبلة في الصلوة يجري مجرى كونه مستقبلا للملك والقراءة والثناء يجري مجرى الثناء
عليه والركوع والسجود يجريان مجرى الخدمة وايضا الخشوع في الصلوة لا يحصل الا مع السكون وترك الالتفات ولا يتأتى ذلك الا اذا بقي في جميع
صلوته مستقبلا لجهة واحدة على التعيين فاذا اختص بعض الجهات بمزيد شرف في الاوهام فاستقباله اولى وايضا انه يجب الموافقة والالفة بين
المؤمنين وقد من عليهم بذلك في قوله واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا ولو توجه كل مصل الى اي جهة تهوى
مظنة الاختلاف فلم يكن بد من تعيين جهة ليحصل الاتفاق وايضا كانه تعالى يقول يا مؤمن انت عبدي والكعبة بيتي والصلوة خدمتي وقلبك عرشي
والجنة كرامتي فاستقبل بوجهك الى بيتي وبقلبك الي اوليك اكرامي وايضا اليهود استقبلوا مغرب الانوار وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى
موسى الامر والنصارى استقبلوا مطلع الانوار اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا والمؤمنون استقبلوا مظهر الانوار وهو مكة فمنها محمد
منشأ الانوار وكانه دار الفلك الدوار وايضا المغرب قبلة موسى والمشرق قبلة عيسى وبينهما قبلة ابراهيم ومحمد خير الامور اوسطها وايضا الكعبة
سرة الارض ووسطها وامة محمد وسط وكذلك جعلناكم امة وسطا والوسط بالوسط اولى الطيبات للطيبين وايضا العرش قبلة الحملة والكرسي
قبلة البررة والبيت المعمور قبلة السفرة والكعبة قبلة المؤمنين والحق قبلة المتحيرين فاينما تولوا فثم وجه الله والعرش مخلوق من النور والكرسي
من الدر والبيت المعمور من الياقوت والكعبة من جبال خمسة سينا وزيتا وجودي ولبنان وحرا فكانه قال ان كان عليك مثل هذه الجبال ذنوبا فاذا اتيت
الكعبة حاجا او معتمرا او توجهت مصليا الصلوات الخمس غفرتها لك وايضا لما كان بناء هذا البيت سببا لظهور دولة العرب كانت رغبتهم في التوجه اليها
اشد وايضا اليهود كانوا يعيرون المسلمين بانا قد ارشدناكم الى القبلة ويتكسر بذلك قلوب المسلمين فازال تشويشهم وايضا الكعبة منشأ محمد فتعظيمها
يقتضي تعظيمه وتعظيمه يقتضي تعظيم ما يبين على قبوله وامره ونواهيه فيعتقد رحمته لهم يكون قبول قوله فهذه هي الوجوه المناسبة والوجه الاقوى هو الذي
ذكره الله تعالى في قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه قوله وكذلك جعلناكم الكاف للتشبيه
وفي اسم الاشارة وجوه فقيل راجع الى معنى يهدي اي كما انعمنا عليكم بالهداية كذلك انعمنا عليكم بان جعلناكم او كما هديناكم الى اوسط القبل جعلناكم
امة وسطا وقيل راجع الى قوله ولقد اصطفيناه اي كما اصطفينا ابراهيم في الدنيا جعلناكم وقيل راجع الى قوله ولله المشرق والمغرب اي كما خصصنا
بعض الجهات بمزيد التشريف والتكريم حتى صارت قبلة فضلا منا واحسانا جعلناكم مخصصين بالعدالة برا منا واحسانا فامع تساوي
الخلق في العبودية وقيل مذهب ذكر ضمير الشيء وان لم يكن المضمر مذكورا اذا كان المضمر مشهورا معروفا مثل انا انزلناه في ليلة القدر ثم من المشهور
المعروف عند كل احد انه سبحانه هو القادر على اعزاز من يشاء واذلال من يشاء فالمعنى ومثل ذلك الجعل العجيب الذي لا يقدر عليه احد غيري
جعلناكم امة وسطا الجوهري يقال جلست وسط القوم بالتسكين لانه ظرف وجلست وسط الدار بالتحريك لانه اسم وكل موضع صلح فيه بين فهو
وسط وان لم يصلح فيه بين فهو وسط بالتحريك قال والوسط من كل شيء اعدله وشيء وسط اي بين الجيد والردي امة وسطا اي عدلا قال زهير
شعر هم وسط يرضى الانام بحكمهم ❊ اذا نزلت احدى الليالي بمعظم ❊ وذلك ان العدل متوسط في الاخلاق بين طرفي الافراط والتفريط ولهذا ذكره الله
في معرض المدح والامتنان وقيل الوسط الخيار لانه يستعمل في الجمادات قال في الكشاف اكتريت بمكة جمل اعرابي فقال اعطني من سطاتهن اراد من خيار
الدنانير ويؤيده قوله تعالى في موضع آخر كنتم خير امة اخرجت للناس وانما اطلق الوسط على الخيار لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والعيب والاوساط
محمية محوطة وقيل المراد بالوسط هنا انهم متوسطون في الدين بين المفرط والمفرط والغالي والمقصر في شان الانبياء لا كالنصارى حيث جعلوا
النبي ابنا والها ولا كاليهود حيث قتلوا الانبياء وبدلوا الكتب لان الوسط في الاصل اسم ومصدر يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لتكونوا
شهداء على الناس الاكثرون على ان هذه الشهادة في الآخرة اما بان يكونوا شهداء للانبياء على اممهم الذين يكذبونهم روي ان الامم يجحدون تبليغ
الانبياء يوم القيمة فيطالب الله الانبياء بالبينة على انهم قد بلغوا وهو اعلم فيؤتى بامة محمد فيشهدون فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا
ذلك باخبار الله في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد فيسأل عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله فكيف اذا
جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قلت والحكمة في ذلك تميز امة محمد في الفضل عن سائر الامم حيث يبادرون الى تصديق الله

ويصدق بجميع الانبياء والايمان بهم جميعا فهم بالنسبة الى غيرهم كالعدل بالنسبة الى الفاسق فلذلك تقبل شهادتهم على الامم ولا تقبل شهادة
الامم عليهم وانما سمي هذا الاخبار شهادة وان كانت متواترة اذا علمت مثل الشمس واشهد الشيء الذي اخبر به كانه عن معلوم مثل الشمس فيصح الشهادة
عليه واما بان يشهدوا على الناس باعمالهم التي خالفوا الحق فيها قال ابن زيد الاشهاد اربعة الملائكة الحفظة وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد
والنبيون ويكون الرسول عليكم شهيدا امة محمد خاصة لتكونوا شهداء على الناس وفي يوم يقوم الاشهاد والجوارح يوم تشهد عليهم السنتهم
وايديهم وارجلهم وقيل ان هذه الشهادة في الدنيا وذلك ان الشاهد في عرف الشرع من يخبر عن حقوق الناس بالفاظ مخصوصة على جهات
مخصوصة فكل من عرف حال شخص فله ان يشهد عليه فان الشهادة خبر قاطع وشهادة الامة لا يجوز ان يكون موقوفة على الاخرة لان عدالتهم
في الدنيا ثابتة بدليل جعلناكم بلفظ الماضي فلا اقل من حصولها في الحال ثم وسطكم شهداء على عدالتهم فيجب ان يكونوا شهداء في الدنيا
فان قيل لعل التحمل في الدنيا ولكن الاداء في الاخرة قلنا المراد في الاية الاداء لان العدالة انما يعتبر في الاداء لا في التحمل ومن هنا يعلم ان اجماعهم

حجة لا بمعنى ان كل واحد منهم محق في نفسه بل بمعنى ان هيئتهم الاجتماعية يقتضي كونهم محقين وهذا من خواص هذه الامة ثم لا يبعد ان يحصل
مع ذلك لهم الشهادة في الاخرة فيجري الواقع منهم في الدنيا مجرى التحمل لانهم اذا بينوا الحق عرفوا عنده من القابل ومن الراد ثم يشهدون بذلك
يوم القيامة كما ان الشاهد على العقود يعرف ما الذي تم وما الذي لم يتم ثم يشهد بذلك عند الحاكم ويكون المعنى لتكونوا شهداء على الناس في
الدنيا فيما لا يصح الا بشهادة العدول الاخيار ويكون الرسول عليكم شهيدا يزكيكم ويعلم بعدالتكم وانما قدمت صلة الشهادة في الثاني لان
الغرض في الاول اثبات شهادتهم على الامم فقط فتقع صلة الشهادة في مركزها والغرض في الاخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم فازيلت
عن مركزها لتفيد الاختصاص وانما لم يقل لكم شهيدا مع ان شهادته لهم لا عليهم لانه ضمن معنى الرقيب مثل والله على كل شيء شهيد مع رعاية الطباق
للاول وانما قيل شهداء على الناس في الدنيا لان قولهم يقتضي التكليف بما يفعل او يقول فذلك عليهم لا لهم في الحال قيل الاية متروكة الظاهر لان
وصف الامة بالعدالة يقتضي اتصاف كل واحد منهم بها وليس كذلك فلا بد من حملها على البعض فنحن نحملها على الائمة المعصومين سلمناه لكن الخطاب
في جعلناكم للموجودين عند نزول الاية لان خطاب من لم يوجد محال فالاية تدل على ان اجماع اولئك حق لكنا لا نعلم بقاء جميعهم باعيانهم الى ما
بعد وفاة الرسول فلا يثبت صحة الاجماع ونحن سلمنا ذلك لكن المراد بالعدالة اجتناب الكبائر فقط فيحتمل ان الذي اجمعوا عليه ان كان خطاء
لكنه من الصغائر فلا يقدح ذلك في خيريتهم وعدالتهم واجيب بان حال الشخص في نفسه غير حاله بالقياس الى غيره فلم لا يجوز ان يكون الشخص غير مقبول
القول عند الانفراد ويكون مقبولا عند الاجماع والخطاب لجميع الامة من حين نزول الاية الى قيام الساعة كما في سائر التكاليف مثل كتب عليكم
الصيام كتب عليكم القصاص فللموجودين بالذات وللباقين بالتبعية لكان لو اعتبر اول الامة واخرها بامرها لزالت فائدة الاية اذ لم
يبق بعد انقضائها من يكون الاية حجة عليه فعلمنا ان المراد بها اهل كل عصر ثم ان الله تعالى من على هذه الامة بان جعلهم خيارا وعدولا فعند
الاجماع فلو امكن اجتماعهم على الخطاء لم يبق بينهم وبين سائر الامم فرق في ذلك فلا منة وما جعلنا اي جعل بمعنى الشرع والحكم التي صفة موصوف

عليها او كنت

محذوف هو ثاني مفعولي جعل اي وما جعلنا القبلة اي الجهة التي كنت مستقبلها الاستقبال المعول الثاني على كذا وفي الجهة وجهان احدهما
ان هذا الكلام بيان الحكمة في جعل الكعبة قبلة وذلك انه كان يصلي بمكة الى الكعبة ثم امر بالصلوة الى بيت المقدس بعد الهجرة تالفا لليهود وامتحانا
للذين اتبعوه بمكة ثم حول الى الكعبة اختيارا ثانيا اي ما رددناك الى الجهة التي كنت عليها اولا الا امتحانا للناس وابتلاء وثانيهما انه بيان الحكمة
في جعل بيت المقدس قبلة يعني ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وان استقبالك بيت المقدس كان امرا عارضا الغاية فيه ان يمتحن الناس وننظر

من يتبع الرسول ومن لا يتبعه في الامر في نعلم لام لاجل الغرض وتمامية التقرير الحكمة والفائدة التي يستتبعها الجعل فان قيل كيف قال لنعلم ولم
يزل عالما بذلك فالجواب ان معناه لنعلم حزبنا من النبي والمؤمنين كما يقول الملك فتحنا البلد وانما فتحه جنده او لنعلمه موجودا حاصلا وهو
العلم الذي يتعلق به الجزاء ولا يلزم منه ان يحدث لله علم فان العلم الازلي بالحادث الفلاني غير متغير وانما هو قبل حدوث الحادث كهو حال
حدوثه وانما المضي والاستقبال من ضرورة كون الحادث زمانيا وكون كل زمان مكتوفا بزمانين سابق ولاحق فاذا نسب العلم
الازلي الى الزمان السابق قلت سيعلم الله واذا نسب الى زمانه قلت يعلم واذا نسب الى الزمان اللاحق قلت قد علم فجميع هذه التغيرات
مل عيادة تلك جعل الله واحد فانهم او ليميز التابع من الناكص كقوله ليميز الله الخبيث من الطيب فسمى التمييز علما لانه احد فوائد العلم وثمراته
او لنريه كما يستعمل الرؤية مكان العلم ومن الفراء ان حدوث العلم في الاية راجع الى المخاطبين ومثاله ان جاهلا وعاقلا اجتمعا فيقول
الجاهل الحطب يحرق النار ويقول العاقل بل النار يحرق الحطب سنجمع بينهما لنعلم ايهما يحرق صاحبه معناه لنعلم ايها الجاهل وهذا من كلام
المنصف مثل وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وقوله ممن ينقلب على عقبيه استعارة للكفر والارتداد كانه رجع الى حيث اتى ثم هذه
المحنة حصلت بسبب تعيين القبلة او بسبب تحويلها من التائبين من قال بالاول لانه كان يصلي الى الكعبة فلما جاء الى المدينة صلى الى بيت
المقدس فشق ذلك على العرب من حيث انه ترك قبلتهم ثم اذا عود الى الكعبة شق ذلك على اليهود والاكثرون على الثاني لان الشبهة في امر النسخ
اعظم منها في تعيين القبلة عن ابن جريج انه قال بلغني انه رجع ناس ممن اسلم وقالوا مرة ههنا ومرة ههنا ولو كان على يقين من امره لما تغير ثم رجع الى الشك

في الوقت القبل
وبعد حدوثه

توجه إلى الكعبة اختلفوا فقال المنافقون ما بالهم كانوا على قبلة ثم تركوها وقال المسلمون ليتنا نعلم حال إخواننا الذين ماتوا وقد صلوا نحو بيت المقدس
وقال اليهود اشتاق إلى بلد أبيه ومولده وقال المشركون تحير في دينه (وإن كانت لكبيرة) هي إن المخففة التي تلزمها اللام الفارقة بينها وبين إن النافية
وتختص بالمخففة بالدخول على الأفعال لكن البصريين جوزوا كون الفعل الذي دخلت هي عليه من باب كان وعلم ويبطل عملها في اللفظ وكذا
في التقدير فلا يقدر ضمير الشأن كما يقدر في أن المفتوحة إذا خففت فقوله لكبيرة خبر كانت واسمها الضمير الراجع إلى القبلة لأنها هي المذكورة أولى لما
دل عليه الكلام السابق من التولية فما ولاهم أو الجعلة أو الردة أو التحويلة في وما جعلنا ومعنى لكبيرة لثقيلة شاقة فهي مستنكرة كقوله كبرت كلمة تخرج
من أفواههم وذلك أن الامتحان إن وقع بنفس القبلة فالظاهر أنه المألوف شديد الإعراض عن طريقة الآباء الأسلاف عسير وإن وقع بالتحويل
فهو مبني على جواز النسخ وفيه ما فيه من الشبه والإشكال فيصعب عقلا وعرفا (إلا على الذين هدى الله) إلى الحكم وصحة ذلك أي هداهم الله للثبات
على دين الإسلام بأن نصب لهم الدلائل الدالة على ذلك ثم جعلهم مستيقنين بها ثانيا وإلا فالدلالة عامة للكل (وما كان الله ليضيع إيمانكم) الخطاب للمؤمنين
المعاصرين واللام لتأكيد النفي أي ما صح وما كان بنصب المضارع بعدها بتقدير أن أي لن يضيع الله ثواب ثباتكم على الإيمان وأنكم لم تزلوا ولم ترتابوا
بل شكر صنيعكم وأعد لكم الثواب الجزيل عن الحسن قال ابن قتيبة ما كان الله ليترك تحويلكم من بيت المقدس إلى الكعبة لعلمه بأن تقريركم على ذلك مفسدة
لكم وإضاعة لصلواتكم أي ثوابها أطلق الإيمان على الصلوة لأنها أعظم آثار الإيمان وأشرف نتائجه أو لأن المراد لا يضيع تصديقكم بوجوب تلك
الصلوة وعن ابن عباس لما وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة قالوا يا رسول الله كيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس فنزلت وإنما
خوطبوا تغليبا للأحياء مثل وإذ قتلتم نفسا وإذ فرقنا بكم البحر والمراد أهل ملتهم وليس هذا السؤال من الشك في حقية النسخ في شيء وإنما هو
لأجل الاطمئنان وزيادة اليقين ولعلهم إنما خصوا السؤال بالأموات لأنهم ظنوا أنفسهم مستغنين عن ذلك حيث تقع صلوتهم إلى الكعبة بقية
عمرهم مكفرة لما سلف منهم فأجيبوا بما يخرج عنه جوابا للأموات والأحياء جميعا فإن المنسوخ حق في وقته كما أن الناسخ حق في وقته سوا
عمل المكلف بهما في وقتهما أو لم يعمل إلا بالمنسوخ لانقضاء أجله قبل الناسخ وجوز بعضهم أن يكون السؤال صادرا عن منافق فنبه الله
المسلمين على الجواب قبل أن يعني وفقهم بقوله هذا التكليف لئلا يضيع إيمانكم فإنهم لو ردوا هذا التكليف لكفروا ويحكى عن الحجاج أنه قال
للحسن ما رأيك في أبي تراب فقرأ قوله إلا على الذين هدى الله ثم قال وعلي منهم وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه على ابنته وأقرب الناس
إليه وأحبهم (إن الله بالناس لرءوف رحيم) الجوهري الرأفة أشد الرحمة ورؤف به بالضم فيهما رأفة ورآفة ورأف به رأفا بالفتح فيهما أو
رأف بالكسر رأفا والصفة رؤوف ورؤف على فعول وفعل وقيل الرأفة مبالغة في رحمة خاصة هي دفع المكروه وإزالة الضرر كقوله ولا تأخذكم
بهما رأفة والرحمة اسم جامع يدخل فيه ذلك المعنى ثم عمم المراد أن الرؤف الرحيم كيف يتصور منه الإضاعة أو كيف لا ينقلكم من شرع إلى شرع هو أصلح
لكم وإنما قدم رؤف على رحيم لأنه بالناس رؤف رحيم فمن كان أقبل للفيض كان الأثر عليه أظهر قوله تعالى (قد نرى) معناه كثرة الرؤية ومنها
وإن كان قد في الأصل للتقليل قال شعر قد أترك القرن مصفرا أنامله ۞ كأن أثوابه مجت بفرصاد ۞ وكأن قد في الأصل للتقليل ثم قد يستعمل في معنى
التكثير كقوله شعر فإن تمس مهجور الفناء فربما ۞ أقام به بعد الوفود وفود ۞ ووجه ذلك أن المادح يستقل الشيء الكثير من المدائح لأن الكثير منها
كأنه قليل بالنسبة إلى الممدوح ومثل قد يعلم الله في أن المتمدح بكثرة العلم يقول لا أنكر أن أعرف شيئا من العلم (تقلب وجهك) تردد نظرك في جهة السماء
وذلك لانتظار تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة عن ابن عباس أنه قال يا جبريل وددت أن الله تعالى صرفني عن قبلة اليهود إلى غيرها فقد كرهتها
فقال له جبريل إنما أنا عبد مثلك فسل ربك فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يديم النظر إلى السماء رجاء مجيء جبريل بما سأل فنزلت وإنما أحب ذلك لأن اليهود كانوا يقولون
إنه يخالفنا ثم إنه يتبع قبلتنا ولولا نحن لم يدر أين يستقبل ولأن الكعبة كانت قبلة أبيه إبراهيم ولأن ذلك أدعى للعرب إلى الإيمان لأنها مفخرهم
ومزارهم ومطافهم ولأنه أحب أن يحصل هذا الشرف للمسجد الذي في بلدته ومنشأه ولا يبعد أن يميل طبعه إلى شيء ثم يتمنى في قلبه أن يأذن الله فيه
وقيل إنه استأذن جبريل في أن يدعو الله تعالى فأخبره بأن الله قد أذن له في الدعاء فكان يقلب وجهه في السماء ينتظر مجيء جبريل بالإجابة وعن الحسن
أن جبريل أخبره بأن الله تعالى سيحول القبلة عن بيت المقدس من غير تعيين المحول إليها ولم يكن قبلة أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكعبة فكان ينتظر

الوحي بذلك وعلى هذا فقيل منع من استقبال بيت المقدس ولم يعين له القبلة وكان يخاف أن يدخل وقت الصلوة ولا قبلة فلذلك كان يقلب
وجهه وعن الأصم قيل إنه وعد بذلك فتحمل أن بيت المقدس باقية بحيث يجوز الصلوة إليها لكن لأجل الوعد كان يقلب طرفه وهذا أولى وإلا لم يكن القبلة
ناسخة للأولى بل كانت مبتدأة لكن المفسرين أجمعوا على أنها ناسخة للأولى لأنه لا يجوز أن يؤمر بالصلوة إلا مع بيان موضع التوجه واختلف
في صلوته بمكة فقيل كان يصلي إلى الكعبة فلما صار إلى المدينة أمر بالتوجه إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا أو ثلاثة عشر أو تسعة عشر أو سبعة
عشر وهو الأكثر أو ثمانية عشر أو سنتين أقوال وقيل بل كان بمكة يصلي إلى بيت المقدس إلا أنه هل كان فرضا لا يجوز عليه غيره أو كان النبي مخيرا
في توجهه إليه أو إلى غيره وعن الربيع بن أنس أنه كان مخيرا لقوله ولله المشرق والمغرب الآية ولما روي أن قوما قصدوا من المدينة إلى مكة للبيعة قبل
الهجرة فتوجه بعضهم في الطريق لصلوته إلى الكعبة وبعضهم إلى بيت المقدس فلما قدموا سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فلم ينكر عليهم وعن ابن عباس
أن ذلك كان فرضا المقولة (فلنولينك قبلة ترضاها) ما يدل على أنه ما كان مخيرا بينها وبين الكعبة ومعنى فلنولينك فلنعطينك أو لنمكننك من

ان استقبالها من قولهم وليس كذا جعلته والياء الذي فلنجعلنك تلى مهنا وقد رغبت بيت المقدس ترضاها تحبها وتميل اليها لاغراضك الصحيحة التي
وافقت مشية الله تعم وحكمته عن الاصم كل جهة وجهك الله يجب ان يكون رضى لا سخطها كما فعل من انقلب على عقبيه قبل ترضى عاقبتها لانك
تميزها الموافق عن المنافق فول وجهك اي كل بدنك لان الواجب على الشخص ان يستقبل القبلة بجملته لا بوجهه فقط وانما خص الوجه بالذكر لانه اشرف الاعضاء
وبه يتميز الاشخاص شطر المسجد الحرام اي نحوه وجهته فالجهة هو المفسرين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وعن بعضهم ان الشطر نصف الشيء والكعبة
واقعة من المسجد في النصف من جميع الجوانب فاختير هذه العبارة ليعرف ان الواجب هو التوجه الى بقعة الكعبة وتعرف بالفرق بين النصف وبين المنتصف
والمكلف مامور بالثاني دون الاول عن ابن عمر بينا الناس بقبا في صلوة الصبح اذ جاءهم ات فقال ان النبي قد انزل عليه الليلة قران وقد امر
ان يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا الى الكعبة وفي الموطا صلى رسول الله صلعم بعد ان قدم المدينة ستة
عشر شهرا نحو بيت المقدس ثم حولت القبلة قبل بدر بشهرين واختلفوا في المراد بالمسجد الحرام ففي شرح السنة عن ابن عباس انه قال البيت
قبلة لاهل المسجد والمسجد قبلة لاهل الحرم والحرم قبلة لاهل المشرق والمغرب هذا قول مالك وقال الاخرون القبلة هي الكعبة لما اخرج في الصحيحين
عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال اخبرني اسامة بن زيد قال لما دخل النبي البيت دعا في نواحيه كلها ولم يصل حتى خرج منه فلما خرج ركع

ركعتين في قبل الكعبة وقال هذه القبلة وقد وردت اخبار كثيرة في صرف القبلة الى الكعبة كما قلنا في حديث ابن عمر فاستداروا الى الكعبة و
قال الاخرون القبلة هي المسجد الحرام كله واعلم ان الواجب عند الشافعي في اظهر قوليه ان يستقبل المصلي عين الكعبة قريبا كان او بعيدا لظ قوله تعم
وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ولقوله هذه القبلة مشيرا الى العين ولان تعظيم الكعبة من النبي بلغ مبلغ التواتر وتوقيف صحة
الصلوة وهي من اعظم شعائر الدين على استقبال عين الكعبة مما يوجب مزيد شرف الكعبة فوجب ان يكون مشروعا ولان كون الكعبة قبلة
امر معلوم وغيرها مشكوك فيه والاخذ بالمعلوم احوط واما عند ابي حنيفة وهو القول الاخر للشافعي فجائز التوجه الى جهة الكعبة كافية لان في استقبال
عين الكعبة حرجا عظيما للبعيد ولان ذكر المسجد الحرام دون الكعبة دلالة على ان الواجب رعاية الجهة دون العين ولان الشطر الجانب وقد اكتفى به
في الاية ولان اهل قبا استداروا الى الكعبة في اثناء الصلوة وفي ظلمة الليل ومن المعلوم ان مقابلة العين من المدينة الى مكة خفيا بها
تحتاج الى الدلائل ولم يبينها لهم ثم لم ينكر النبي عليهم حتى سمي مسجدهم بذي القبلتين ولان استقبال عين الكعبة لو كان واجبا ولا سبيل اليه الا
بالدلائل الهندسية فانها هي المفيدة لليقين وغيرها من الامارات لا يفيد الا الظن والقادر على اليقين لا يجوز له الاكتفاء بالظن وما لا
يتم الواجب الا به فهو واجب لزم ان يكون تعلم تلك الادلة واجبا ولم يذهب اليه احد الا انصافا ان القول الاول اقرب الى التحقيق للبعيد اصابة العين
غير بعيد فانا من نقطتين في الارض كما في السماء الا ويمكن ان يوصل بينهما بخط فالغرض ان يكون المصلي ساجدا على قوس من عظيمة ارضية مارة
بقدميه موضع سجوده ووسط البيت بشرط ان يكون القوس اقل من نصف الدائرة وغير عسير معرفة هذا القدر بالدائرة الهندية وغيرها
من الطرق المشهورة فيما بين اهل الصنعة وقد برهنا على كثير منها في كتبنا النجومية وذكرها ههنا خروج عن الصناعة مع ان المتعلم لا ينتفع بها دون
مقدماتها ولمعرفة القبلة امارات اخر قد يستعين بها المتحير وهي اما ارضية وهي الجبال والقرى الا انها تختلف او هوائية وهي الرياح او سماوية
وهي النجوم اما الارضية والهوائية فغير مضبوطة لكن ربما يكون في الطريق جبل مرتفع يعلم انه على يمين المستقبل او شماله او قدامه او خلفه وكذا
الرياح قد يطرد في بعض النواحي من صوب معين واما السماوية فهي نهارية وليلية فالنهارية كالشمس يراعى قبل الخروج عن البلد ان الشمس عند الزوال هي بين الحاجبين

ام على العين اليمنى او على اليسرى ام تميل ميلا اكثر من ذلك فان الشمس في البلاد الشمالية تنتقل بعد هذه المواقع وكذلك يراعى وقت العصر وقرص
وقت الغروب بها انحرف من يمين المستقبل او هو قابلة الى الجهة وقفاه وكذلك يعرف وقت العشاء الاخرة موضع الشفق ووقت الصبح مشرق
الشمس فيحاذ مشرقا الصيف والشتاء ومغربهما واما الليل فيستدل بالكوكب الذي يقال له الجدي فيعرف انه على قفاء المستقبل او على منكبه الايمن
او الايسر في البلاد الشمالية من مكة وفي البلاد الجنوبية منها بخلاف ذلك فاذا عرف هذه الدلائل في بلده فليعول عليها في الطريق كله الا اذا طال
السفر فحينئذ اذا انتهى الى بلد سأل اهل البصيرة او يراقب هذا الكوكب وهو مستقبل محراب جامع البلد ثم يستدل بها في باقي طريقه ومعرفة دلائل
القبلة فرض العين ام فرض الكفاية اصح الوجهين وفي مذهب الشافعي الاول كاركان الصلوة وشرائطها قوله تعم وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم
شطره ليس بتكرار لان الخطاب الاول للرسول وهذا الخطاب للامة او لان الامة دخلت في الاول تبعا واحتمل فيه ان يكون الخطاب مختصا باهل

المدينة وفي الثاني عم المكلفين جميعا في جميع بقاع الارض واعلم ان الاستقبال يتوقف على مستقبل ومستقبل هو القبلة ولا بد من حالة
يقع فيها الاستقبال فلنتكلم في هذه الاركان الثلثة على الاجمال وتفصيل ذلك في كتب الفقهية الركن الاول الحالة وهي الصلوة للاجماع على
ان الاستقبال خارج الصلوة غير واجب وان كان طاعة لقوله صلعم خير المجالس ما استقبل به القبلة والصلوة اما فريضة وتتعين الاستقبال فيها
الا في حالة الخوف واما نافلة ولا يجب فيها الاستقبال الا في حالة الخوف في السفر راكبا او ماشيا متوجها الى طريقه لما روي عن ابن عمر ان النبي
كان يصلي في السفر على راحلته حيث توجهت به ويحكى عن احمد خلاف في الماشي وكذا عن ابي حنيفة وهل يجب على المتنفل ان يستقبل القبلة عند التحرم
الاصح نعم ان سهل بان لم يكن مقطورة او لا حرانا بها والا فلا لما روي ان النبي كان اذا سافر واراد ان يتطوع استقبل القبلة بناقته وكبر ثم صلى حيث

وجهه كما انه امام مكة لا اشتراط عند الصفوف وفي الشفقة والخلال العر الشيرة علية انما الاستقبال عند السلام فالاصح انه لا يشترط كما في سائر الاركان الا
الماشي وغلبة الاستقبال في كل ركوع وسجود كما عليه الامام بخلاف الراكب فانه لا يكلف الاستقبال فيهما ولا وضع الجبهة في السجود على السرج والاكاف
بل يقتصر فيهما على الايماء ويجعل السجود اخفض ولبس لراكب التعاسيف الذي لا مقصد له فحسنه ترك الاستقبال في النفل الركن الثاني القبلة
المصلي ان وقف في جوف الكعبة وهو على هيئتها مبنية صح صلوته فريضة كانت او نافلة خلافا لاحمد ومالك في الفريضة لنا انه مصلي متوجها الى بعض
اجزاء الكعبة فيصح صلوته كالنافلة كما لو توجه اليها من خارج ثم تخير في استقبال اي جدار شاء ويجوز ان يستقبل الباب ان كان مردودا وان
كان مفتوحا فان كانت العتبة قدر مؤخرة الرحل صحت صلوته والا فلا ومؤخرة الرحل ثلثا ذراع الى ذراع تقريبا كانهم راعوا ان يكون في سجوده
يسامت معظم بدنه الشاخص وان انهدمت الكعبة فان شاء اصابها وبقي موضعها عرصة فان وقف خارجها وصلى اليها جاز لان المتوجه هواء البيت
والحالة هذه متوجه نحو المسجد الحرام كمن صلى على ابي قبيس والكعبة تحته يجوز لتوجهه الى هواء البيت لو صلى في العرصة فالحكم كما لو وقف الان على سطح الكعبة
فان لم يكن بين يديه شاخص من نفس الكعبة قدر مؤخرة الرحل فالاصح انه لا يجزيه خلافا لابي حنيفة وان كان المصلي خارج الكعبة فان كان داخل المسجد
الحرام وجب عليه لا محالة استقبال عين الكعبة بكل بدنه لا من خارج وعليه الامام يقف خلف المقام مستقبلا والقوم يقفون مستديرين بالبيت
والا فصلوة الخارجين عن محاذاة الكعبة باطلة الا عند من يرى الجهة كافية ولو تراخى الصف الطويل ووقفوا في اخر باب المسجد صح صلوتهم لان البعيد
يرى محاذاة فيما بين ذلك اذ جعلت البيت راس مثلث متساوي الساقين والصفوف خطوطا موازية لقاعدته وان كان خارج المسجد فان كان
يعاين القبلة سوى محرابه بناء على العيان وصلى اليها ومحراب النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة نازل منزلة الكعبة لانه لا يقر على الخطا فهو صواب قطعا فيقاس عليه سائر المحاريب
على يمين مصلى المدينة سائر البقاع التي صلى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ضبط المحراب وكذا المحاريب المنصوبة في بلاد المسلمين وفي طرقهم التي هي جادتهم تعين التوجه
اليها وكذلك في القرية الصغيرة التي نشأ فيها قرن من المسلمين ولا يدعى الاجتهاد في التيامن والتياسر في محراب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ولا يجوز الاجتهاد
في الجهة في شيء من محاريب المسلمين لان الخطا منهم في الجهة بعيد بخلاف التيامن والتياسر يعني قال عبد الله بن المبارك كان يقول بعد رجوعه
من الحج تياسروا يا اهل مرو الركن الثالث المستقبل اذ قدر على اليقين بالمعاينة وعلامات اخر فالمجتهد ولا يقلد وان لم يقدر فان وجد من يخبره
عن علم وكان المخبر ممن يعتمد بقوله رجع الى قوله ولم يجتهد كما في الوقت اذا اخبره عدل من طلوع الفجر اخذ بقوله ولا يجتهد كذلك في الخوف
اذا روى العدل خبرا يوجب عنه وكذا ذلك قبول الخبر عن اهل الرواية وليس من التقليد في شيء ويشترط في المخبر ان يكون عدلا يستوي فيه الرجل والمرأة
الحر والعبد ولا يقبل خبر الكافر والصبي غير المميز عند الاكثرين ثم الاخبار عن القبلة قد يكون صريحا وذلك ظ وقد يكون دلالة كما
في نصب المحاريب في المواضع التي يعتمد عليها ولا فرق في لزوم الرجوع الى الخبر بين ان يكون الشخص من اهل الاجتهاد وبين ان لا يكون فان لم
يجد من يخبره عن علم فان قدر على الاجتهاد ولا يتيسر الا بمعرفة ادلة القبلة كما عدمنا اجتهد ولم يقلد كما في الاحكام الشرعية ولو فعل لزمه القضاء ولا
فرق في وجوب الاجتهاد فيما بين الغائب عن مكة والحاضر بها اذا حال بينه وبين الكعبة حائل اصلي كالجبال او حادث كالابنية ولو ضاق الوقت على
المجتهد بغيم وحبس وتعارضت عليه الادلة فكيف يفعل لحق الوقت فيقضي ان عجز عن الاجتهاد فان لم يمكنه التعلم لعدم البصر فالواجب عليه
التقليد كالعامي في الاحكام وتقليد الغير هو قبول قول المستدل الى الاجتهاد بعد ان كان المجتهد مسلما عدلا عارفا بادلة القبلة يستوي فيه الرجل
والمرأة والحر والعبد فان وجد مجتهدين مختلفين قلد من شاء منهما والاحب ان يقلد الاوثق الاعلم عنده وان امكن التعلم فالبناء على التقليد بناء على
ما مر من ان تعلم الادلة فرض العين فان قلد قضى وان ضاق الوقت وعجز عن التعلم صلى لحق الوقت وقضى ثم المجتهد ان بان له الخطا يقينا وكان دليل الاجتهاد
الثاني ارجح ولم يشرع بعد الصلوة عمل بمقتضى الثاني وان بان بعد الفراغ من الصلوة فان تيقن الخطا قضى على الاصح ان لم يقض وان تغير الاجتهاد
في اثناء الصلوة انحرف وبنى هذه هي المسائل المستنبطة من الاية ذكرناها لاهتمام اهم مهمات الدين وان الذين اوتوا الكتاب يعني احبار اليهود
وعلماء النصارى لعموم اللفظ ولشمول الكتاب التورية والانجيل ولكونهم يجب ان يكونوا اقل من عدد اهل التواتر ليصح عنهم الكتمان ومن اسلم انهم
اليهود خاصة والكتاب التورية والضمير في انه الحق ما قال الرسول اي مع شرعه ونبوته حق تحويل امر القبلة وغيرها واما الهدف التكليف خاص صلوا انه الحق
وذلك علمهم انهم عرفوا في كتب انبيائهم خبر الرسول وانه يصلي الى القبلتين وان الكعبة هي البيت العتيق الذي جعله الله قبلة لابراهيم واسمعيل وقيل
انهم كانوا يعلمون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالمعجزات والبشارات وكل ما اتى النبي فهو حق فهذا التحويل حق وما الله بغافل عما تعملون وعد للمؤمنين ووعيد
للكافرين والمعاندين ثم بين استمرار اهل الكتاب على عنادهم فقال ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب قيل جميع اليهود والنصارى لعموم اللفظ وقيل
علماؤهم المذكورون في الاية المتقدمة لانهم وصفوا باتباع الهوى في قوله ولئن اتبعت اهواءهم وبحرا عنادا ان باطلا لا يكفي فيبطل الذين يعلمون
بقلوبهم ثم يقولون الخبرة الظاهرة المتبعون الهوى ونوقش بان كل صاحب هوى قالوا الاتيان المكتفيان بهذه الاية مخصوصان بالعلماء منهم لان الجمع العظيم
لا يجوز عليهم الكتمان فكذا هذه الاية واجيب بانه لا يلزم من تخصيص تخصيصها قالوا الخبر عنهم بالاصرار والاستمرار وهذا شان المعاند اللجوج لا ذا
العاقل المحير وبعد فان المعاند التبعه قد يصير الى الحق على الهوى يكن بالوجوه فان كثيرا من اهل الكتاب من جملة واتبع قبلته ونحو بان المراد من قوله ما تبعوا
قبلتك انهم لا يجتمعون على الاتباع كقوله ولو شاء الله لجمعهم على الهدى وسلب الاجتماع لا ينافي اتباع البعض بكل اية برهان قاطع على ان التوجه الى الكعبة

وهو ما تبعوا قبلتك جواب القسم المحذوف ساد مسد جواب الشرط واللام في ولئن لتوطئة القسم اي ولئن اتيتهم بكل برهان ما اجتمعوا على قبلتك
لان تركهم اتباعك ليس لشبهة تزيلها بايراد الحجة بل عناد ومكابرة مع علمهم بما في كتبهم من نعتك ومن خص اللفظ بالعلماء فان صح عنده انه لم
يتبع منهم احد قبلتنا لم يحتج الى هذا التاويل بل يكون ما تبعوا في قوة ما تبع احد منهم وما انت بتابع قبلتهم دفع لتجويز النسخ وبيان ان هذه القبلة
لا تصير منسوخة بالتوجه الى بيت المقدس حسما لاطماع اهل الكتاب فانهم طمعوا في رجوعه الى قبلتهم وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون
صاحبنا الذي ننتظره وفيه انه لا يجب عليه استصلاحهم باتباع قبلتهم لان ذلك معصية وانما وحد القبلة للعلم بان لليهود قبلة وللنصارى قبلة
اخرى لانهما بحكم الاتحاد في البطلان وما بعضهم بتابع قبلة بعض يحتمل ان يحمل على الحال فالمعنى انهم ليسوا مجتمعين على قبلة واحدة حتى يمكن رضاهم
باتباعها وانهم مع اتفاقهم على تكذيبك متباينون في القبلة فكيف يدعونك الى شيئين مختلفين وانه اذا جاز ان يختلف قبلتاهما للمصلحة
فلم لا يجوز ان يكون للمصلحة قبلة ثالثة وان حمل على الاستقبال فالمعنى ان اليهود لا يترك قبلته الى المشرق ولا النصارى الى المغرب بحيث يتعطل احد القبلتين
لان اليهودي لا يصير نصرانيا وبالعكس ولعل ذلك قد وقع اخبر الله تعالى عن تصلب كل حزب فيما هو فيه محقا او مبطلا ولئن اتبعت اهواءهم كلام على سبيل الفرض
والتقدير لمرتبة وما انت بتابع قبلتهم المعنى لئن اتبعتهم مثلا بعد وضوح الدلائل وانكشاف جلية الامر في باب الدين انك اذا اي اذا اتبعت
لمن المرتكبين الظلم الفاحش لا يبعد بالرجل الكبير كما تزهيبك مكابرة وفيه ان ترك العمل من العلماء اقبح وفيه لطف للنبي صلى الله عليه وسلم فان مزيد المحبة يقتضي
التخصيص لمزيد التحذير لعله كان في بعض الامور يتبع اغراضهم كترك المخاشنة في القول واستمالة قلوبهم طمعا منه في اسلامهم ومعاضدتهم فنهي
عن ذلك الفعل وايس منهم بالكلية كقوله ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ
عليهم وفيه اشارة للامة كالرجل الحازم يقبل على اكبر اولاده واصلحهم فيزجره عن شيء بحضرة سائر الاولاد والغرض زجرهم واصلاحهم وانه لا
حالة تؤاخذه فالطريق الاولى وحال الفعل الذين آتيناهم الكتاب هم علماؤهم بدليل يعرفونه اي الرسول معرفة جلية يميزون بينه وبين
غيره بالمشخصات من النعت والنسب والقبلة حسبما نجده في كتبهم كما يعرفون ابناءهم لا تشتبه عليهم ابناؤهم وابناء غيرهم وما مصدرية او كافة
والغرض تشبيه عرفان شخصه بعرفان اشخاص الابناء لا تشبيه العلم بنبوة محمد بالعلم ببنوة الابناء والا كان تشبيه المعلوم
بالمظنون وعن عمر انه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم به مني بابني قال لم قال لاني لست اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته
قد خانت فقبل عمر رأسه جاز اضمار الرسول وان لم يجر له ذكر لدلالة الكلام عليه وفيه تفخيم لشأنه وانه معلوم بغير اعلام ولا يصح ان يقال المراد بالمعرفة
معرفته الحاصلة من قبل ظهور المعجزات الدالة على الامر لا يفيد الا كونه نبيا وهم لا ينكرون ذلك انما ينكرون كونه النبي المنعوت في كتبهم فرد الله عليهم
ذلك خاتمهم وانما خص الابناء بالذكر لانهم اعرف واشهر وبصحبة الآباء الزم وبقلوبهم الصق لو تساويا فالذكور اولى بالذكر وقيل الضمير للعلم او القرآن
او تحويل القبلة وفي الكل تكلف ينبو عنه قوله ابناءهم ويباينه الحديث عن عبد الله بن سلام ولما كان من علمائهم العارفين باحوال النبي صلى الله عليه وسلم
من آمن به واظهر الحق وهو ما يجب القول به ويجب العمل بمقتضاه كعبد الله بن سلام واتباعه قال تعالى وان فريقا منهم سوى المؤمنين منهم
ليكتمون الحق الذي هو امر القبلة ثم اكد ذلك بقوله وهم يعلمون فانه لا يوصف بالكتمان الا من علم المكتوم الحق من ربك يحتمل ان يكون خبر
مبتدأ محذوف معناه هو الحق من ربك خبر بعد خبر او حال وان يكون مبتدأ خبره من ربك وفي اللام وجهان انه للعهد والاشارة الى الحق الذي
عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم او الى الحق الذي في قوله ليكتمون الحق والجنس على معنى الحق ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه لا ما سواه كالذي عليه اهل الكتاب
باطل فلا تكونن من الممترين الشاكين في كتمانهم الحق مع علمهم او في كون الحق من ربك وقد يجوز ان ينهى الشخص عما يعلم انه منته عنه
ولكل وجهة ولكل التنوين فيه عوض عن المضاف اليه والوجهة اسم الجهة ولذلك ثبت الواو كما قالوا ولدة في جمع الولد والقياس انها لا تجتمع مع الهاء
في المصادر وقوله هو اما ان يعود الى الله وثاني مفعولي موليها محذوف اي هو موليها وجهه او الى الكل اي هو موليها اياه ثم اختلف في التفسير فقيل
المعنى لكل اهل دين من الاديان المختلفة قبلة ووجهة اما بشريعة واما بهوى هو مستقبلها ومتوجه اليها في الصلوة التي يتقرب بها الى ربه وكل يفرح
بما هو عليه لا يفارقه فلا سبيل الى اجتماعكم على قبلة واحدة ولستم تؤاخذون بفعل غيركم فاتركهم لنا لهم اعمالهم ولكم اعمالكم فاستبقوا انتم الخيرات
الدينية وهي الشرف والفخر بقبلة ابراهيم والاخروية وهي الثواب الجزيل المعد للمطيعين اينما تكونوا من جهات الارض يأت بكم الله جميعا في صعيد
القيامة فيفصل بين المحق منكم والمبطل والمصيب والمخطئ وقيل ان الله ثم عرفنا ان كل واحد من بيت المقدس والكعبة قبلة فالجهتان
من الله وهو الذي ولى وجوه عباده اليهما فاستبقوا الخيرات بالانقياد لامره في كل حين ولا تلتفتوا الى مطاعن السفهاء فان الله يجمعكم واياهم يوم
القيامة يحكم بينكم وقيل لكل قوم منكم جهة يصلي اليها جنوبية او شمالية او شرقية او غربية فاستبقوا انها من الجهات وهي
الجهات المتساوية للكعبة وان اختلفت اينما تكونوا من الجهات المختلفة يأت بكم الله جميعا يجمعكم ويجعل صلواتكم واحدة كأنها الى جهة واحدة
لمحاذاة الجميع الكعبة وفي قراءة ابن عامر مولاها اي مولى احدهما ان ما وليته فقد ولاك والآخر تلك الجهة وجبت اليه وقيل لكل مخلوق قبلة
فقبلة المقربين العرش وقبلة الروحانيين الكرسي وقبلة الكروبيين البيت المعمور وقبلة الانبياء الذين قبلك بيت المقدس وقبلتك الكعبة
وهي قبلة ثم ان الشافعي استدل بقوله فاستبقوا الخيرات على ان الصلوة في اول الوقت افضل

وعند ابي حنيفة التاخير افضل لان الفضيلة في الانتظار وليكثر الجماعة ولما روي انه صلى الله عليه وسلم قال اسفروا بالفجر فانه اعظم للاجر وقال ابن مسعود ما رايت اصحاب رسول
حافظوا على شيء ما حافظوا على التنوير بالفجر واجيب بان الانتظار قبل دخول الوقت لقوله صلى الله عليه وسلم ثلاث لا تؤخرها الصلوة اذا اتت والجنازة اذا حضرت
والايم اذا وجدت لها كفوا وان المراد بالاسفار والتنوير هو طلوع الفجر الصادق بحيث لا يشك فيه وذلك لان النزاع فيما اذا تحقق دخول
الوقت ثم تكاسل المكلف او تشاغل او تغافل بسبب الصلوة تشاغل ومن حيث خرجت من اي بلد خرجت للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا
صليت وانه وان هذا المامور به الحق الذي يجب ان يقبل ويعمل به ما الكون من ربك وما الله بغافل عما تعملون وعد للمطيعين ووعيد للسفهاء
واعلم ان امر التولية ذكره الله تعالى ثلث مرات وللعلماء في سبب التكرير اقوال اولها ان الاية الاولى محمولة على ان يكون المكلف حاضر المسجد الحرام و
الثانية على ان يكون غائبا عنه لكن يكون في البلد والثالثة على ان يكون خارج البلد في اقطار الارض فقد يمكن ان يتوهم القريب من التكليف ما
ليس للبعيد فازيل ذلك الوهم وثانيها انه نيط بكل واحد ما لم ينط بالاخر وذلك انه ذكر في الاولى ان اهل الكتاب يعلمون حقيته بشهادة التورية والانجيل
واكد في الثاني باخبار الله تعالى عن حقيته وكفى به شهيدا واتبع الثالث غرض التحويل وهو قوله لئلا يكون للناس عليكم حجة كان قوله تعالى [illegible]
تكذيبا بان واشال ذلك تكرر بحيث نيط بكل منها فائدة وثالثها ان الاية الاولى توهم ان التحويل انما حصل في النبي طلبا لهواه حيث قال فلنولينك
قبلة ترضاها فازيل الوهم بتكرار الامر وتعقيبه بقوله وانه للحق من ربك اي نحن ما حولناك الى هذه القبلة لمجرد رضاك وهي قبلة اليهود
والمنسوخة التي انما يقيمون عليها بمجرد الهوى والتشهي لكنها حق من ربك بعد ما وافقت رضاك وفي الثالثة بيان الغرض ورابعها ان الاولى تعميم
الامكنة والثانية التعميم للازمنة اشعارا بانها لا تصير منسوخة البتة وخامسها الزم هذه القبلة فانها التي كنت تهواها الزم هذه القبلة للحق لا قبلة
الهوى الزم هذه القبلة فانها ينقطع عنك حجج العدو وهذا قريب من الثالث وسادسها ان هذه الواقعة اول الوقائع التي ظهر النسخ فيها في شرعنا
فدعت الحاجة الى التكرير لمزيد التاكيد والتقرير وسابعها ان الاية الاولى مشتملة على تكليف خاص بالنبي فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك
شطر المسجد الحرام ثم على تكليف عام له ولامته وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره والاية الثانية ومن حيث خرجت فول وجهك شطر
المسجد الحرام لاجل تكليف اخص وهو تكليف الالتفات عما سوى الله الى الله وهو تكليف الصديقين وهو سنة خليل الرحمن اني وجهت وجهي
للذي فطر السموات والارض ومما يؤيد هذا التاويل تعقيبه بقوله وانه للحق من ربك لم يستظهر على هذا الاستشهاد بغيره حيث لم يبق الا هو
وهو مقام الفناء في الله بخلاف الاية الاولى فانها اكدت بشهادة اهل الكتاب والقرابة فاقتصر ههنا على امر النبي دون الامة لان هذه المرتبة وهي المسجد الحرام
حرام لا يليق بكل احد لجلال جناب الحق عن ان يكون شريعة لكل وارد او يطلع عليه الا واحد بعد واحد اية قدم على الاية قوله ولكل وجهة هو موليها
فاستبقوا الخيرات فدل على ان المذكور بعد هذا مرتبة السابقين ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ثم لما كان من المحتمل ان يظن ان التكليف الا
خص ناسخ للتكليف الخاص او العام له ولامته كرر الايات الاولى بعينها ليعلم ان حكمها باق بالنسبة الى عموم المكلفين والله تعالى اعلم بحقائق الامور
قوله لئلا يكون اي تولوا لاجل هذا الغرض قال الزجاج يتعلق بمحذوف اي عرفتكم لئلا يكون للناس عليكم حجة والناس قيل هم اليهود كانوا يطعنون
بانه يخالفنا في ديننا ويتبع قبلتنا ويقولون ما درى محمد ودينه اين يتوجه في صلوته حتى هديناه وقيل هم العرب قالوا انه يقول انا على دين ابرهيم ولا
لما ترك التوجه الى الكعبة فقد ترك دين ابرهيم وانما اطلق الحجة على قول المعاندين لان المراد المحاجة وسماها حجة تهكما او طباقا او بناء على معتقدهم
لانهم يسوقونها سياق الحجة وقد تكون الحجة باطلة قال تعالى حجتهم داحضة عند ربهم وكل كلام يقصد به غلبة الغير حجة وعلى هذا فالاستثناء متصل
والمراد بالذين ظلموا المعاندون من اليهود القائلون بانه ما ترك قبلتنا الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا للبلد ولو كان على الحق للزم قبلة الانبيا
او بعض العرب القائلون بان محمدا عاد الى ديننا في الكعبة وسيعود الى ديننا بالكلية وقيل الاستثناء منقطع وقيل الا بمعنى الواو وانشد شعر وكل اخ
مفارقه اخوه لعمر ابيك الا الفرقدان يعني والفرقدان واذا طعنوا في دينكم من غير سبب فلا تخشوهم فانهم لا يضرونكم واخشوني واحذروا عقابي
ان انتم عدلتم عما الزمتكم وفرضت عليكم على وفق مصلحتكم وفي الاية تنصيص على عينه في كل الافعال والتروك خشية الله وينقطع الرجاء والخوف عما
سواه قوله ولاتم قيل معطوف على لئلا اي حولتكم الى هذه القبلة لحكمتين احديهما انقطاع حجتهم والثانية اتمام النعمة بحصول شرف قبلة ابرهيم
وقيل متعلقه محذوف معناه ولاتمامي النعمة عليكم وارادتي اهتدائكم امرتكم بذلك وقيل معطوف على علة مقدرة كانه قال واخشوني لاوفقكم
ولاتم نعمتي عليكم وهذا الاتمام لا ينافي ما انزل في اخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي فان لله تعالى في كل وقت نعمة
على المكلفين ولها تمام بحسبها فهذا اتمام النعمة في امر القبلة وذلك اتمام النعمة في امر الدين على الاطلاق وعن علي تمام النعمة الموت على الاسلام
وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة كما ارسلنا اما مصدرية او كافة ثم ان الجار والمجرور يتعلق بما قبله او بما بعده وعلى الاول فقيل معناه و
لاتم نعمتي عليكم في الدنيا بحصول الشرف وفي الاخرة بالفوز بالثواب كما اتممتها عليكم في الدنيا بارسال الرسول او ولاتم نعمتي ببيان الشرايع
واهديكم الى الدين اجابة لدعوة ابرهيم حيث قال ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا كما ارسلنا فيكم رسولا اجابة لدعوته حيث
قال ربنا وابعث فيهم رسولا وقيل معناه وكذلك جعلناكم امة وسطا كما ارسلنا فيكم رسولا وعلى الثاني معناه كما ذكرتكم بارسال الرسول
فاذكروني اذكركم مرة اخرى وفيه ان نعمه على العبد لا ينقطع فكل نعمة سابقة فيضم اليها اخرى لا حصر حتى يكون له الفضل اولا واخيرا وبداية

وهداية وفي لسان الرفيع ومنهم اي من العرب نعمة عظيمة عليهم لما لهم فيه من الشرف ولان المشهور من حال العرب الانفة الشديدة من الانقياد للغير فبعثه الله
تعالى من واسطتهم ليكونوا الى القبول اقرب كون القران متلوا ليس اعظم النعم لانه معجزة باقية ولانه يتلى فيتادى به العبادات ولانه يتلى فيتادى به الحاجات
ولانه يتلى فيستفاد منه جميع العلوم ولانه يتلى فيوقف على مجامع الاخلاق الحميدة فتحصل خير الدنيا والاخرة ومعنى التزكية وتعليم الكتاب والحكمة
قد مر في دعاء ابرهيم في قوله ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون تنبيه على انه تعالى ارسله على فترة من الرسل وجهالة من الامم وتحير الناس في امر الدين فانه يعلم
ما احتاجوا اليه من صلاح معاشهم ومعادهم وذلك من اعظم انواع النعم فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون تكليف بامرين الذكر والشكر
وقد مر ذكر الشكر في تفسير الحمد له قوله ولا تكفرون عطف بالواو وليعلم ان جحود النعمة منهي عنه كما ان الشكر مامور به ولو قطع على طريقة قوله
اقول له ارحل لا تقيمن عندنا ؛ لاوهم ان المقصود بالذات هو الثاني والاول في حكم المحو ويحتمل من حيث العربية ان يكون لا نافية والنون
للوقاية ومحل الجملة النصب على الحال اي اشكروا لي غير جاحدين لنعمتي اما الذكر فباللسان وهو ان يحمده ويسبحه ويمجده ويقرا كتابه وبالقلب وهو ان يتفكر
في الدلائل على ذاته وصفاته وفي الاجوبة عن شبه الطاعنين فيها وفي الدلائل على كيفية تكاليفه واحكامه واوامره ونواهيه ووعده ووعيده ليعمل بمقتضاها
ثم يتفكر في اسرار المخلوقات متوسلا من كل ذرة الى موجدها وبالجوارح وهو ان يكون مستغرقا في الاعمال المامور بها فارغا عن الاشغال المنهي عنها
ولهذا الوجه سمى الصلوة ذكرا فاسعوا الى ذكر الله اذكركم فلا بد ان يحمل على ما يتعلق بالثواب من اظهار الرضاء واستحقاق المنزلة والاكرام
فالحاصل اذكروني بطاعتي اذكركم برحمتي اذكروني بالدعاء اذكركم بالاجابة اذكروني في الخلوات اذكركم في الفلوات اذكروني في الرخاء اذكركم في البلاء اذكروني
بالمجاهدة اذكركم بالهداية اذكروني بالصلوة والاخلاص اذكركم بالخلاص ومزيد الاختصاص اذكروني بالعبودية اذكركم بالربوبية اذكروني بالفناء اذكركم بالبقاء

يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين ۝ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل
اى ايشان كه گرويده ايد يارى خواهيد بروزه و نماز بدرستيكه خدا با شكيبندگانست و مگوييد در باره ايشانكه كشته شوند در راه خدا كه مرده اند بلكه ايشان
احياء ولكن لا تشعرون ۝ ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين
زنده اند وليكن شما در نمى يابيد و هر آينه بيازماييم شما را بچيزى از ترس و گرسنگى و كاستن از مالها و نفسها و ميوها و مژده ده صابران را
الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون ۝ اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون
آنانكه چون برسد ايشانرا رنجى گويند كه ما ملك خداييم و بدرستى كه ما بازگرديم بسوى او آن گروه بر ايشانست رحمتهاى از پروردگار ايشان و آن گروه ايشانند راه يافتگان

القراآت انا لله بالامالة قتيبة ونصير لما جاءت مع مثلها في الحروف لكثرة استعمال كلمة الاسترجاع الوقوف والصلوة ط الصابرين ه اموات ط
لا تشعرون ه والثمرات ط الصابرين لا لان الذين صفتهم مصيبة لا لان قالوا جواب اذا راجعون ط لان اولئك مبتدا على الاصح من ابتداء الذين
وخبره اولئك مع ما يتلوه ومن وقف على الصابرين ولم يقف على راجعون المهتدون ه التفسير انه تعالى لما اوجب بقوله فاذكروني واشكروا لي جميع الطاعات
ورغب بقوله ولا تكفرون عن جميع المنهيات فان الشكر بالحقيقة صرف العبد جميع ما انعم الله تعالى به عليه الى ما اعطاه لاجله ندب الى الاستعانة على تلك
الوظايف بالصبر والصلوة فالصبر قهر النفس على احتمال المكاره في ذات الله تعالى والصلوة اذا اشتملت على مواجب الخشوع والتذلل للمعبود الذي لا يليق
الوصف الا به عرفت النفس المرغب والمرهب بحيث تسهل عليها اداء حقوق ساير الطاعات والاجتناب عن جميع الفواحش والمنكرات ان الله مع الصابرين بالنصر
والتاييد والمعونة والتسديد يريد الله الذين امنوا واتقوا وقيل الصبر الصوم وقيل الجهاد بدليل قوله ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله
اموات اي هم اموات بل هم احياء وهذا على الوجه الاول كانه قيل استعينوا بالصبر والصلوة في اقامة ديني وسلوك سبيلي فان احتجتم في ذلك الى مجاهدة
عدوي باموالكم وانفسكم فتلفت فانتم احياء عندي من قتل بسببه فغير ميت ثم ان اكثر المفسرين على انهم احياء في الحال فمن الجائز ان
يجمع الله تعالى من اجزاء الشهيد جملة فيحييها ويوصل اليها النعيم وان كانت في حجم الذرة فيرى مسقط جسد الشهيد ميتا فلا يخرج عن كونه والدليل الاشارة بقوله
ولكن لا تشعرون ومما يؤيد هذا القول الآيات الدالة على اثبات عذاب القبر النار يعرضون عليها غدوا وعشيا اغرقوا فادخلوا نارا والفاء
للتعقيب قال ص القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران ولم يزل ارباب القلوب يقصدون قبور الشهداء ويعظمونها وقيل المعنى لا
تسموهم بالاموات وقولوا انهم الشهداء الاحياء او المراد قولوا هم احياء في الدين وانهم على هدى ونور من ربهم لا كما يزعم المشركون انهم ليسوا من الله
في شيء ولا تقولوا مثل ما يقول منكروا البعث انهم لا يبعثون وقد ضيعوا اعمارهم ولكنهم سيحيون فيثابون وينعمون في الجنة وعلى هذا الوجه
لا يبقى لتخصيص الشهداء بكونهم احياء فائدة وكذا القول مع المؤمنين ولكن لا تشعرون وقيل ان الثواب وكذا العقاب للروح لا للقالب لانه مدرك
للجزئيات البتة فلا يمتنع ان يتألم ويتلذذ ثم انه سبحانه يرد الروح الى البدن في القيامة الكبرى حتى ينعم بالاحوال الجسمانية للادراكات الروحانية عن ابن
عباس ان الآية نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار وعن كعب بن مالك ان رسول الله ص قال ان ارواح
الشهداء في حواصل طير خضر تعلق من ثمر الجنة اي تاكل ولنبلونكم ولنصيبنكم بذلك اصابة تشبه فعل المختبر لاحوالكم هل تصبرون وتثبتون على ما
انتم عليه من اداء حقوق الطاعة وتسلمون لامر الله وحكمه ام تنقلبون على اعقابكم وتظهرون الجزع على استرداد ما بيدكم فيه تنبيه اولا بالشكر
على كمال الشرايع ثم بالصبر على التكاليف الدينية ثم حض على التثبت عند طروق النوائب بطروق المصائب ومعنى بشيء بشيء من هذه الاشياء وانما

نكتة

لو قال باشياء لاوهم ان من كل واحد من الخوف شيء يسير وبالنقص يراد وفيه ان كل ما اصاب الانسان وان جل فقد يقوم ما يقل هو بالنسبة اليه فيما نعمه
معهم في كل حال كلاً ترابهم واعلم ان كل ما يلاقيك من مكروه ومحبوب فذلك بالنظر بما الله تعالى وقد مضى بتمكن وتكرار وان كان في الحال سمي فرحاً ووجد
لا فما لما تجدها من نفسك ثم ان تعلق بالاستقبال وغلب خطوره على قلبك سمي انتظاراً وتوقعاً فان كان المنتظر مكروهاً حصل منه الم في القلب
يسمى خوفاً واشفاقاً وان كان محبوباً سمي ذلك ارتياحاً ورجاء واما الجوع فالمراد به القحط وبعده تفصيل الخوف عن عطاء والربيع ابن انس ان المراد
بهذه المخاطبة اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة وقد حصل لهم عند مكاشفة العرب خوف شديد بسبب الدين فكانوا لا يأمنون قصدهم اياهم واجتماعهم
عليهم وقد كان من الخوف في وقعة الاحزاب ما كان هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً واما الجوع فقد اصابهم في اول مهاجرة النبي صلى الله عليه وسلم الى
المدينة لقلة اموالهم حتى انه صلى الله عليه وسلم كان يشد الحجر على بطنه وقد روى انه صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم فالتقى مع ابي بكر فقال ما اخرجك قال الجوع قال ما اخرجني الا ما اخرجك وكانوا
ينفقون اموالهم في الاستعداد للجهاد ثم يقتلون فهناك يحصل النقص في المال والنفس وقد يحصل الجوع في سفر الجهاد عند فناء الزاد ذلك بانهم
لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله الى قوله الا كتب لهم به عمل صالح وقد يكون النقص في النفس بموت الاخوان والاخدان واما نقص الثمرات
فقد يكون بالجدوب وقد يكون بترك عمارة الضياع للاشتغال بالجهاد وعن الشافعي الخوف خوف الله والجوع صيام شهر رمضان والنقص من
الاموال الزكوات والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد قال صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي
فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة
وسموه بيت الحمد ونقص عطف على شيء ويحتمل ان يعطف على الخوف بمعنى وشيء من نقص الاموال والخطاب في بشر لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يتأتى
منه البشارة قال الامام الغزالي رحمه الله الصبر من خواص الانسان ولا يتصور ذلك في البهائم لنقصانها اذ ليس لشهواتها عقل يعارضها حتى يسمى ثبات تلك
القوة في مقابلة مقتضى الشهوة صبراً ولا في الملائكة اذ ليس لعقلهم شهوة تصرفهم عن الاشتغال بخدمة الكبير المتعال وتمنعهم عن الاستغراق في مطالعة
حضرة ذي الجلال اما الانسان فانه في الصبي بمنزلة البهيمة ليس له الا شهوة الغذاء ثم شهوة اللعب ثم شهوة النكاح لكنه اذا بلغ انتهض مع الشهوة
الباعثة على اللذات العاجلة عقل يدعو الى الاعراض عنها والاقبال على تحصيل السعادات الباقية فيقع بين داعيتي العقل والشهوة تضاد وتقابل
فضد العقل اما ما هو للمعنى والبصيرة فضرباً ان يكون نفعاً كالتعاطي لاعمال الشاقة او نفعاً كالثبات على الالام ويعقبان وهو منع النفس عن مقتضيات
الطبع فان كان تحملاً عن شهوة البطن والفرج سمي عفة وان كان احتمال مكروه فان كان من مصيبة خص باسم الصبر ويضاده حالة هي الجزع وهي
اطلاق داعي الهوى في رفع الصوت وضرب الخد وشق الجيب ونحوها وان كان في حال الغنى سمي ضبط النفس ويضاده حالة البطر وان كان في حال مبادرة
الاقران سمي شجاعة ويضاده الجبن وان كان في كظم الغيظ والغضب سمي حلماً ويضاده التضجر وضيق الصدر وان كان في اخفاء كلام سمي كتمان
وان كان عن فضول العيش سمي زهداً ويضاده الحرص وان كان على قدر يسير من المال سمي قناعة ويضاده الشره وليس الصبر ان لا يجد الانسان الم المكروه
ولا ان لا يكره ذلك فانه غير ممكن وانما الصبر هو تحمل النفس على ترك اظهار الجزع ولا باس بظهور الدمع وتغير اللون فان رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى على ابراهيم
ابنه فقيل له في ذلك فقال انها رحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء ثم قال العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول الا ما يرضي ربنا ثم الصبر عند الصدمة
الاولى لانه في ثاني الحال يسلو ويهون الا بد منه وفيه قيل لو كلف الناس دوام الجزع لم يقدروا عليه ثم وصف الله تعالى الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعاً
واضاف اكثر الخيرات اليه فقال وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وتمت كلمت ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ولنجزين الذين صبروا
اجرهم باحسن ما كانوا يعملون انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فما من طاعة الا واجرها مقدر الا الصبر ولان الصوم من الصبر قال تعالى في حديث
القدسي الصوم لي فاضافه الى نفسه ووعد الصابرين بانه معهم فقال واصبروا ان الله مع الصابرين وعلق النصرة بالصبر فقال بلى ان تصبروا وتتقوا
ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة وجمع للصابرين امورا لم يجمعها لغيرهم اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك
هم المهتدون وقيل الصبر نصف الايمان لان مدار الايمان على ترك ما لا ينبغي والاتيان بما ينبغي والاستمرار على كل منهما انما يتأتى بالصبر فكل الايمان صبر
الا ان كل واحد منهما قد يكون مطابقاً لمقتضى الشهوة فلا يحتاج فيه الى الصبر فلهذا عاد الى النصف وقد جاء الايمان هو الصبر وذلك كقوله الحج عرفة ومن
اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر وقال يؤتى باشكر اهل الارض فيجزيه الله جزاء الشاكرين ويؤتى باصبر اهل الارض فيقال له اترضى
ان نجزيك كما جزينا هذا الشاكر فيقول نعم يا رب فيقول كلا انعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت لاضعفن لك الاجر فيعطى اضعاف جزاء الشاكرين
ومن فضيلة الصبر قال صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر فان المشبه به يجب ان يكون اقوى كما قال شارب الخمر كعابد الوثن وروي ان سليمان
يدخل الجنة بعد الانبياء باربعين خريفاً لمكان ملكه واخر الصحابة دخول الجنة عبد الرحمن بن عوف لمكان غناه وفي الخبر ابواب الجنة كلها مصراعان
الا باب الصبر فانه مصراع واحد واول من يدخله اهل البلاء امامهم ايوب ثم ان الله تعالى بين ان الانسان كيف يكون صابراً وانه متى يستحق البشارة
فقال الذين اذا اصابتهم مصيبة وهي من الصفات الغالبة التي لا تكاد تستعمل موصوفاتها وتختص من بين ما يصيب الانسان بحالة مكروهة كانتا
والواقعة والنازلة وانما تشتمل كل مضرة ينالها من قبل الاسباب السماوية والارضية المنتهية الى مسبب الاسباب بواسطة ظاهرة او خفية قالوا انا لله
اقرار بالعبودية وانا اليه راجعون تفويض للامر اليه كما يقال ان الملك لفلان والدولة رجع الى فلان لانه الاستقلال بل القدرة وترك المنازعة انا لله

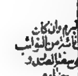

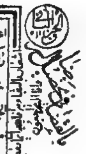

اعتراف بالملك وقولنا انا اليه راجعون اقرار على انفسنا بالهلاك فالمشار الى المبدأ وانا اليه راجعون تصريح بالمعاد انا لله اعلام بالتسليم فيه وانا اليه راجعون ايمان بيوم الجزاء وان الرضا بالقضاء انما يحصل للعبد من الله تعالى بطريقين الصرف والجذب اما الصرف فهو ان يقلب الله تعالى خاطره اليه جملة ثم منشأ الابتلاء فينصرف حب قلبه من عالم الخلق الى جانب القدس كما ان آدم لما تعلق قلبه بالجنة جعلها محنة عليه حتى زالت الجنة فتعلق بذكر الله ولما استانس يعقوب بيوسف اوقع الفراق بينهما فبقي يعقوب مع ذكر الحق ولما اطمع محمد من اهل مكة في النصرة والاعانة صار من اشد الناس بغضا له فاخرجوه وهكذا يجعل في كل شيء بلاء ولكن يرفعه من البين حين لا يبقى البلاء ولا المحنة فيرجع العبد الى الله وقد يتوقع العبد من جانب غيره ما اعطاه الله تعالى بلا واسطة فيقتضي العبد فيرجع الى الله واما الجذب فجذبة من جذبات الرحمن توازي عمل الثقلين ومن جذبه الحق الى نفسه صار مغلوبا لان الحق غالب فيصير الربوبية غالبة على العبودية والحقيقة مستعلية على المجاز كالعبد الداخل على السلطان المهيب يتعرف فكره اليه ويشتغل بالكلية عن سواه ويصير ناسيا عن نفسه عن حظوظها فيحصل له مرتبة الرضا وبالقضية الحق سبحانه من غير ان يبقى في الطاعة شبهة المنازعة عن النبي من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وروي انه طفئ سراج رسول الله فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل امصيبة هي قال نعم كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وعن ام سلمة ان ابا سلمة حدثنا ان رسول الله قال ما من مسلم يصاب بمصيبة فيفزع الى ما امره الله به من قوله انا لله وانا اليه راجعون اللهم عندك احتسب مصيبتي فاجرني فيها وعوضني خيرا منها الا اجره الله عليها وعوضه خيرا منها قالت فلما توفي ابو سلمة ذكرت هذا الحديث وقلت هذا القول فعاضني الله محمدا وعن ابن عباس اخبر الله ان المؤمن اذا سلم لامر الله ورجع واسترجع عند مصيبته كتب الله له ثلاث خصال الصلوة من الله والرحمة وتحقيق سبيل الهدى وعن عمر قال نعم العدلان انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ونعم العلاوة واولئك هم المهتدون قيل الصلوات من الله الثناء والمدح والتعظيم والرحمة النعم العاجلة والآجلة وقيل الصلوة الحنو والتعطف وضعت موضع الرأفة كقوله رأفة ورحمة رؤف رحيم والمعنى عليهم رأفة بعد رأفة ورحمة اي رحمة واولئك هم المهتدون لطريق الصواب الفائزين بالكرامة والصواب هم المتمسكون بآداب المستحسنون بما الزم وامر وفي الآية حكمان فرض ونفل فالفرض هو التسليم لامر الله ثم والرضا بقضائه والصبر على اداء فرائضه لا يصرفه عنها مصائب الدنيا والنفل قوله انا لله وانا اليه راجعون فان في اظهاره فوائد منها ان غيره يقتدي به اذا سمعه ومنها غيظ الكفار وعلمهم بجده واجتهاده في دين الله ثم الثبات على طاعته واما الحكمة في تقديم تعريف الابتلاء فهي ان يوطنوا نفوسهم لهذه المصائب اذا وردت فيكون ابعد من الجزع وايضا اذا علموا انه سيصل اليهم تلك المحن اشتد حزنهم فيكون ذلك الحزن تعجيلا للابتلاء فيستحقون بذلك مزيد الثواب وايضا اذا اخبر بوقوع هذا الابتلاء ثم وقع كان ذلك اخبارا بالغيب فيكون معجزا وايضا فيستغني المنافق ويتميز المنافق عن الموافق كان الحكمة في نفس الابتلاء ايضا ذلك ودعوى الاخاء كثيرة بل في الشدائد يعرف الاخوان ❊ اذا ملئت يد المرء كثرت له الملأ ❊ يقولون لولا الحب لم يطب الحب ❊ وان قلت كربي دائم قال انما يعد محبا من يعرض للكرب ❊ وان قلت ما اذنبت قال النجاة ❊ حبوتك ذنب لا يقاس به ذنب

إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ۝ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ

القراءات من تطوع بتشديد الطاء وجزم العين حمزة وعلي وخلف الا ذكر ويعقوب والباقون بالتخفيف وفتح العين على المضي الوقوف شعائر الله ج للشرط مع فاء التعقيب بهما ط لان التطوع خارج من موجب كونهما من شعائر الله فكان استئنافا عليم في الكتاب لا لان اولئك خبر ان اللاعنون لا للاستثناء اتوب عليهم ج لاحتمال الواو للاستئناف والحال الرحيم اجمعين لا لان خالدين حال عامله معنى الفعل في اللعنة اي لعنهم الله حتى قرأ الحسن والملائكة وما بعده ينظرون ج لان ما بعده حال بعد حال او استئناف اخبار

التفسير في وجه تعليق الآية بما قبلها وجوه منها ان السعي بين الصفا والمروة من شرائع ابراهيم كما مر في قصة بنائه فذكر عقيب تحويل القبلة التي هي شرع ابراهيم ومنها انه من آثار هاجر واسمعيل وفيه تذكير لما جرى عليهما من البلوى وحسن عاقبتها فناسب ذكره في آية الابتلاء ليعلم ان من صبر على البلوى نال الدرجة العليا في الدنيا والعقبى ومنها ان اقسام التكاليف ثلثة اولها ما يقتضي العقل حسنه كشكر المنعم وذكره واشير الى ذلك بقوله فاذكروني اذكركم واشكروا لي وثانيها ما يقتضي العقل قبحه فيتنفر عنه كالآلام والفقر والمحن فانه لا ينتفع به العبد فيسلم فيه الا ان الشرع لما ورد به بين الحكمة فيه وهي الابتلاء والامتحان ثم يعتقد المسلم حسنه لكونه حكمة وثوابا والى ذلك قوله ولنبلونكم الآية وثالثها ما لم

يهدي العقل الى حسنه ولا الى قبحه بل انما كان البعث لحال عن المنفعة والمضرة فيها في نهاية البعد احصاؤها وهو اكثرها فان الحج من السعي ورمي الجمار ونحوها
فذكر طرفا من هذا القسم عقيب المتضمن للاول ليتم الاحكام واستيفاء لجميع الاقسام والصفا والمروة هكذا باللام علمان للجبلين المعروفين
بمكة زادها الله شرفا والصفا في اللغة حجر املس وفي المثل ما تندى صفاته والجمع صفا مقصورا واصفاء وصفى على فعول وقال بعضهم
الصخرة فالواصفاة وصفوا واذا ذكروا قالوا صفا وصفوان قال تعالى كمثل صفوان عليه تراب وعن الاصمعي المروة حجارة بيض براقة يقدح منها النار
الواحدة مروة والشعائر جمع شعيرة وهي العلامة والمراد ان السعي بين الجبلين من اعلام دين الله او هما من متعبداته وقد شرعهما الله تعالى لامة
محمد ولابراهيم من قبل ذلك كما مر في قوله وارنا مناسكنا والمناسك هي عبادة تامة في نفسها ثم هما صيرها عبادة اذا كان بعضا من ابعاض الحج فلهذا قرن
بقوله فمن حج البيت او اعتمر والحج لغة القصد جل المحجوج اي مقصود وهو لبتكرة الاختلاف والتردد فلان فلانا اذا اطال الاختلاف اليه
ثم غلب استعماله في القصد الى مكة للنسك فالحاج يأتي البيت اولا ليعرفه ثم يعود اليه للطواف ثم ينصرف الى منى ثم يعود اليه لطواف الزيارة ثم
يعود اليه لطواف الصدر ومنه محجة الطريق لكثرة تردد الناس فيها والاعتمار لغة الزيارة فالمعتمر يطوف بالبيت ويسعى بين الصفا والمروة ثم ينصرف
كالزائر يزور ثم ينصرف والعمرة اسم من الاعتمار لغة الزيارة ثم غلب على النسك المعروف والجناح الجرح في الاثم من قولهم جنح اذا مال اليه كان الاثم
مال الى الباطل او لان الناس يميلون الى صاحبه بالمطالبة ثم قوله لا جناح عليه يدخل تحته الواجب والمندوب والمباح وظاهر الاية لا يدل على احد الثلثة
بالتعيين فلهذا اختلف العلماء في ان السعي واجب ام لا فمن قال بالاول احمد ومالك والشافعي انه ركن ولا يقوم الدم مقامه لقوله صلى الله عليه وسلم ان الله كتب عليكم
السعي فاسعوا وليس المراد منه العدو بل الجد والاجتهاد في ذلك الشيء بحيث لا يفوت لقوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله ولما ثبت انه سعى فيجب علينا
اتباعه لقوله تعالى فاتبعوه ولقوله صلى الله عليه وسلم خذوا عني مناسككم والامر للوجوب وعن ابي حنيفة انه ليس بركن ولكنه واجب على تاركه دم وعن ابن الزبير
وابن عباس انه تطوع وليس على تاركه شيء لان رفع الحرج دليل الاباحة ولقوله بعد ذلك ومن تطوع خيرا اجاب الشافعي بما روي انه كان على
الصفا اساف وعلى المروة نائلة وهما صنمان كانا رجلا وامرأة زنيا في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من
دون الله فكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاوثان كره المسلمون الطواف بينهما لاجل فعل الجاهلية فان لا
يكون عليهم جناح في ذلك فرفع عنهم الجناح فالاباحة ينصرف الى وجود الصنمين حال السعي لا الى نفس السعي كما لو كان على الثوب نجاسة يسيرة
عند ابي حنيفة او دم البراغيث عندنا فقيل لا جناح عليك ان تصلي فيه فان رفع الجناح ينصرف الى مكان النجاسة لا الى نفس الصلوة ولهذا
قال عروة لعائشة ارى انه ما على احد من جناح ان لا يطوف بالصفا والمروة فقالت بئسما قلت يا ابن اختي انه لو كان على ما اولتها كانت
لا جناح عليه ان لا يطوف بهما واصل يطوف يتطوف فادغم كيتزا يطوع بالتشديد واصله يتطوع والتطوع ما يرغب من ذات نفسك من غير
ايجاب عليك ومن قال ان السعي واجب فسر هذا التطوع بالسعي الزائد على قدر الواجب او حمل المراد منه جميع الطاعات وهذا اولى لحق اللفظ فان الله
شاكر اي مجازيهم على الطاعة سمي جزاء الطاعة شكرا تشبيها بجزاء النعمة وفيه تلطف للعباد مثل من ذا الذي يقرض الله كانه يقول انا وان كنت
غنيا عن طاعتك الا اني اجعل لها من الموقع ما لو صح على ان انتفع بها لما ازداد وقعه على ما حصل عليم بالسرائر فيوفي كل ذي حق حقه وهو وعد
قرينة الشكر وان كان ايضا يحتمل التعذيب عن الاخلال بوظائف الاخلاص في العبادة ان الذين يكتمون كلام مستانف بيانا لكل من كتم شيئا من
الدين وقيل هم اهل الكتاب وقيل اليهود خاصة لما روي عن ابن عباس ان جماعة من الانصار سألوا نفرا من اليهود عما في التورية من صفته ومن الاحكام
فكتموا فنزلت والاول اولى لعموم اللفظ ولان خصوص السبب لا يوجب خصوص الحكم ولان ترتيب الحكم على الوصف مشعر بالعلية فلا ريب ان كتمان الدين
مناسب لاستحقاق اللعن من الله تعالى فيعم الحكم حسب عموم الوصف لا يخفى ان القرآن قبل صيرورته متواترا يمكن كتمانه والمجمل من القرآن اذا كان بيانه بخبر
يجري عليه الكتمان وكذا القول فيما يحتاج اليه المكلف من الدلائل العقلية فلان جماعة من الصحابة حملوه على العموم عن عائشة انها قالت من زعم ان محمدا
كتم شيئا من الوحي فقد اعظم الفرية على الله والله تعالى يقول ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات فحملت الاية على العموم وعن ابي هريرة انه قال لولا
اكثر ابو هريرة وتلا ان الذين يكتمون قال بعض المحققين الكتمان ترك اظهار الشيء مع الحاجة اليه وحصول الداعي الى اظهاره لانه متى لم يكن كذلك لا يعد
كتمانا فلما كان ما انزله الله من البينات والهدى من اشد ما يحتاج اليه في الدين وصف من علمه ولم يظهره بالكتمان كما يوصف به اذا كانت نفسه تقوى
الدواعي الى اظهارها وعلى هذا الوجه فيمدح من يقدر على كتمان السر لان الكتمان مما يشق على النفس وفي الاية دليل على ان ما يتصل بالدين ويحتاج
اليه المكلف لا يجوز ان يكتم ومن كتمه فقد عظمت خطيئته والمراد بالبينات كل ما انزله على الانبياء كتابا ووحيا دون ادلة العقل والهدى
يدخل فيه الدلائل العقلية والنقلية لان الهدى الكامل يعم الكل وقيل الاول هو التنزيل والثاني ما يقتضيه من الفوائد قوله من بعد
ما بيناه للناس في الكتاب فيحتمل ان يكون خبر الواحد والاجماع والقياس لان الكتاب دل على هذه الامور وهذا الاظهار فرض على الكفاية لا على التعيين
لانه اذا اظهره البعض صار بحيث يتمكن كل احد من الوصول اليه لم يبق مكتوما واذا خرج عن حد الكتمان لم يجب على الباقين اظهاره مرة اخرى وقيل لم
لا يجوز ان يكون كل واحد منهيا عن الكتمان مامورا بالبيان ليكثر المخبرون ويتواتر الخبر واجيب بان التواتر في الوضع والافتراء فلا يكون خبرهم
للعلم ومن الناس من يحتج بالاية على وجوب قبول خبر الواحد لان وجوب الاظهار يدل على وجوب العمل بالمظهر لا سيما وقد قال الا الذين تابوا

وأصلحوا أو بينوا الحكم بوقوع البيان بخبرهم واستدل بالآية على أنه لا يجوز أخذ الأجرة على التعليم لأنها دلت على وجوب التعليم ولا أجرة على أداء
الواجب قيل في الكتاب أي في التوراة والإنجيل من نعت رسول الله ومن الأحكام والمعنى ما لخصناه بحيث لم نترك فيه موضع إشكال فعمدوا إلى ذلك المبين
الملخص فكتموه ولبسوا على الناس وقيل المراد بالمنزل الأول ما في كتب الأنبياء وبالكتاب القرآن أولئك يبعدهم عن رحمته الاعتبار يلعنهم الله يبعدهم عن كل خير ويلعنهم ويدعو عليهم
باللعن اللاعنون الذين يتأتى منهم اللعن ويعتد بلعنهم من الملائكة وصالحي الثقلين وقيل يدخل فيهم دواب الأرض وهوامها فإنها تقول منعنا القطر
بشؤم معاصي بني آدم واللاعنون دون اللاعنات تغليب للعقلاء وقيل هم الهوام فقط فالتذكير لأنه تم وصفهم بصفات العقلاء مثل والشمس والقمر
رأيتهم لي ساجدين يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم وقالوا لجلودهم لم شهدتم وقيل كل شيء سوى الثقلين يتقدمها فالو كانت عاقلة كانت عليهم
أو لا ليها في الآخرة إذا انبعث وجعلت من العقلاء فاما يلعن من فعل ذلك في الدنيا ومات عليه قيل أن أهل النار يلعنونهم أيضا لأنهم كتموهم الدين كلما
دخلت أمة لعنت أختها وعن ابن مسعود إذا تلاعن المتلاعنان وقعت اللعنة على المستحق وإن لم يكن مستحق رجعت على اليهود الذين كتموا ما أنزل الله
سبحانه وعن ابن عباس لهم لعنتين لعنة الله ولعنة الخلائق قال ذلك إذا وضع الرجل في قبره فيسأل ما دينك ومن نبيك فيقول لا أدري فيضرب ضربة
يسمعها كل شيء إلا الثقلين فلا يسمع على شيء صوته إلا لعنه ويقول له الملك لا دريت ولا تليت إلا الذين استثناه منهم ومن من الرحمة ما فيه وقد مر
أن التوبة عبارة عن الندم على فعل القبيح لقبحه لا لغرض سواه فإن من ترك رد الوديعة ثم ندم لأن الناس لاموه أو لأن الحاكم رد شهادته لم يكن تائبا
وأصلحوا ما أفسدوا وأصلحوا حالهم وتداركوا ما فرط منهم وبينوا ما كتموه بينوا للناس ما أحدثوه من توبتهم ليعرفوا بضد ما كانوا يعرفون به ويقتدي
بهم غيرهم من المفسدين فأولئك أتوب عليهم أقبل توبتهم بأن أسقط العقاب عنهم وأضع مكانه الثواب تفضلا منه لقوله وأنا التواب الرحيم
إن الذين كفروا وماتوا عام في كل من كان كذلك وقيل مخصوص بهؤلاء الكاتمين ذكر لعنهم أحياء ثم لعنهم أمواتا إذا لم يتوبوا وعلى هذا القول يكون
إطلاق الكفر عليهم وهم من أصحاب الكبائر مجازا للتغليظ ويراد بالكفر جحود نعم مستره والمراد بالناس اللاعنين من يعتد بلعنه من المؤمنين أو جميعهم
قيل يوم القيامة يلعن بعض الكفار بعضا ويلعنهم المؤمنون أو الكافر وقيل لعن الجاهل والظالم مقرر في العقول حتى أن الظالم قد يلعن نفسه أنا أمل في الظالم وقيل
وقوع اللعن محمول على استحقاق اللعن على من مات كافرا وإن زال التكليف عنه بالموت لأن الكافر إذا جن لم يكن زوال التكليف عنه بالجنون مسقطا
للعنة والبراءة منه فكذلك سبيل ما يوجب المدح والموالاة من الإيمان والصلاح إذا مات صاحبه أو جن لا يتغير حكمه عما كان عليه قبل حدوث الحالة وفي
الآية دليل على أن الأمور بخواتيمها أنه إذا كفر ومات لا على الكفر لم يكن ملعونا ضرورة انتفاء المشروط بانتفاء الشرط خالدين فيها في اللعنة وقيل
في النار وأضمرت وإن لم يجر لها ذكر تفخيما لشأنها وتهويلا لمكانها والأولى أن لا يقدم ذكرها لفظا ولأن اللعنة تشمل النار وزيادة ولأنها تعم
في الحال والمآل جميعا بخلاف النار فإنها في الاستقبال نحو فسر الذين كفروا بالكاتمين وجوز الخلود على صاحب الكبيرة فسر الخلود بالمكث الطويل
ونحن نسلم مثل ذلك لا يخفف عنهم العذاب بل يكون بمثابة في الأوقات باقيا على المبلغ الذي ينتج لصاحبه استحقه ولا هم ينظرون إذا استنظروا
من الإنظار الإمهال ولا ينظرون ليعتذروا ولا ينظر إليهم نظر رحمة أعاذنا الله منها من تلك الحالة بعميم فضله وجسيم طوله التأويل البشر والمردة
للروح والسالك بينهما يسوقه منها السر يقطع التعلقات عن الكونين هو المتعلم لأمر الله وفي مروة الروح يصل الخير إلى أهله وعيناه ونفسه
لمراقبة حول الباطن ومراعاة أعمال الظاهر وهو التشفق على خلق الله ومعنى سعي أن يحصل به كان سعيه إلى سعة أثر في الظاهر ولمسعاه
أطوار في الباطن إلى سعة عالم العالم المعقول وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ومن كان الغير بأصل يحتج أن جعل آثار
أقدامهم أشكالا ممكنة وساعاتهم بأسمائهم لان منه ظلى تلك المعاهد ولا إطلال تشد الرحال لا آثار نعظم ويزار أهوى مواطن الحي
كان ساكنها ولأنبتع الدليل لكم ولا دعوكم سوى الله ونعم الوكيل وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم إن في خلق السموات والأرض
خدای شما خدای یک است نیست خدا بجز او آن بخشاینده مهربان بدرستی که در آفرینش آسمانها و زمین
واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها
گردش شب و روز و کشتی که جاری کرده است در دریا بانچه سود میرساند مردم را و آنچه فرو فرستاد خدا از آسمان از آب پس زنده کرد بآن زمین را پس از مرگش
وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون القراءة لا إله إلا هو
و پراکنده کرد در آن از هر نوع جنبنده و گردانیدن بادها و ابری که رام کرده شده در میان آسمان و زمین هر آینه نشانهاست مر گروهی را که در یابند وكذلك جميع التهليل
روى الهاشمي عن ابن كثير يوهو الأشم في هذه الكلمة وهو قوله من قال لا إله إلا الله صدقا غفر له ما تقدم من ذنبه وروى أبو الفرج عن
قتيبة الإمالة حيث كان الريح مفرد حمزة وعلي وخلف الباقون الرياح مجموعا الوقوف نظرا إلى ما بعدها وإلى الاختلاف
بالنفي والإثبات الرحيم من كل دابة يعقلون
التفسير الواحد قد يكون اسما وذلك في العدد واحد اثنان ثلاثة وقد يكون صفة كقولك شيء واحد معناه أنه لا ينقسم من جهة ما قيل إنه
واحد فالإنسان الواحد يستحيل أن ينقسم من حيث هو إنسان لأن الإنسان الواحد يستحيل أن ينقسم إلى إنسانين إلى الأبعاض
الأجزاء من جهة أخرى ثم زعم قوم أن الواحد صفة لأن الجوهر كونه واحدا جوهرا

فظهر انه يمتنع تعقل الجوهر مع الذهول عن كونه واحداً والمعلوم مغاير لما ليس بمعلوم وكان قولنا الجوهر واحد ليس يجري مجرى قولنا الجوهر جوهر
مقابل الجوهر العرض ومقابل الواحد هو الكثير ثم المفهوم من كونه واحداً امر ثبوتي لانه لو كان سلبياً لكان سلباً للكثرة فان كانت الكثرة سلبية
وسلب السلب ثبوت فالوحدة ثبوتية وهو المطلوب وان كانت الكثرة ثبوتية ولا معنى للكثرة الا مجموع الوحدات فان كانت الوحدة سلبية حصل
الامر الثبوتي من اجتماع الامور العدمية وهو محال فثبت ان الوحدة صفة زائدة ثبوتية ثم انه لا يمكن ان يقال انه لا تحقق لها الا في الذهن لانا نعلم بالضرورة ان الشيء
المحكوم عليه بانه واحد قد كان واحداً في نفسه قبل ان وجد ذهننا واعتبارنا فثبت ان كون الشيء واحداً صفة ثبوتية زائدة على ذاته قائمة بتلك
الذات والجواب ان كون الشيء واحداً في ذاته معناه كونه بحيث يصح ان ينتزع الذهن منه معنى الوحدة وهذه الحيثية لا يتوقف على حصول الذهن في الخارج
ثم ان الوحدة لو كانت صفة زائدة على الذات كانت الوحدات متساوية في ماهية الوحدة ومتباينة بتعيناتها فيكون للوحدة وحدة اخرى ويلزم التسلسل
وذلك محال ثم ان شيئاً من الموجودات لا ينفك عن الوحدة حتى ان العشرة الواحدة يعرض لها الوحدة من حيث هي عشرة واحدة فان قلت عشرتان
فالعشرتان مرة واحدة قد عرض لها الوحدة من هذه الجهة فلا شيء من الموجودات ينفك عن الوحدة ولكن الوحدة تغاير الوجود لان الموجود ينقسم الى
الواحد والكثير والمنقسم الى شيئين مغاير لما به الانقسام والواحد الحق سبحانه وتعالى واحد باعتبارين احدهما ان ذاته ليست مركبة من امور كثيرة بل من
امر بسيط واليه الاشارة بقوله والهكم اله واحد والخطاب للممكنات باسرهم والتذكير لتغليب ذوي العقول الذكور وثانيهما انه لا شريك له في الوجوب ما شاركه
في كونه واجب الوجود وفي كونه مبدأ لجميع الممكنات وهو المراد بقوله لا اله الا هو ويمكن ان يقال القرينتان تدلان على نفي الشريك الا ان الاولى منهما
تدل على اثبات الوحدة في الالهية بالمطابقة ويلزم منه نفي الشريك كقولك هو سيد واحد تريد الوحدة في السيادة فيلزم نفي ان يكون غيره سيداً والقرينة
الثانية تدل على نفي الشريك بالمطابقة ثم على اثبات المعبودية بالحق فمعناه لا اله في الوجود الا هو وفيه نكتة شريفة وهي ان اثبات الحق وقع في كلتا القرينتين بالمطابقة
بعلمه انه المقصد الاسنى والغاية القصوى وتحقيقه ان العارف له رجوع وعروج وذلك انه قد يفنى في عالم اللاهوت فيبقى ببقاء الحي الذي لا يموت ويطالع
عالم الشهود فيلزم منه نفي ما سوى الحق واذا رجع الى عالم الناسوت ضرورة وجب عليه نفي كل من سوى حتى يرجع الى المقصود فلهذا عكس الترتيب في القرينتين
ولان الاول مرتبة الصديقين السابقين فلا جرم وقع التكليف بالترتيب الآخر امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ثم البرهان العقلي على
انه تعالى واحد من جميع الوجوه لا يتجزأ اجزاء مقدارية كالاجسام ولا يتجزأ اجزاء معنوية كما في البسائط النوعية ولا اجزاء اعتبارية كما في البسائط
الجنسية هو ان كل مركب فانه يفتقر في تحققه الى تحقق اجزائه والمفتقر الى الغير لا يكون واجب الوجود لذاته فكل ممكن فان وجوده زائد على ماهيته
في العقل والاعتبار فانه يمكن تعقل الممكن من حيث انه ممكن مع الشك في وجوده الخارجي لكن لا يمكن تعقل الواجب من حيث انه واجب مع الشك في وجوده
ولا نعني بكون الوجود زائداً الا هذا واما انه تعالى واحد لا شريك له فلان وجوب الوجود يقتضي ان لا يكون الواجب لذاته مفتقراً في شيء الى شيء اصلا
ولا يكون كذلك الا اذا كان في غاية الكمال ونهاية الجلال والجمال ولا ريب ان من كمالات الجميل كونه عديم النظير فمن تحقق معنى وجوب الوجود بذاته
وصفاته العلى لم يشك في وحدته تعالى ولا في ان واجب الوجود لذاته واجب الوجود من جميع جهاته وواجب الوجود في جميع صفاته وواحد بجميع اعتباراته
حتى من حمل الوحدة عليه من نفس ذاته وههنا نكتة عجيبة فان العقل ما دام يلتفت الى الوحدة فهو بعد لم يصل الى عالم الوحدة فاذا ترك الوحدة فقد
وصل الى الوحدة فاعرف هذه الاسرار وتخلص من ظلمات شبهات الاشرار وتفوز بمقامات الابرار وتستغرق في بحار عالم الانوار بعون الملك الجبار و
شروق انوار الواحد القهار ولك ان تقول انه سبحانه واحد في ذاته لا قسيم له وواحد في صفاته لا شبيه له وواحد في افعاله لا شريك له اما انه واحد في ذاته
فلانه لو شاركه غيره في حقيقته لزم تركيبه مما به الاشتراك وما به الامتياز وكل مركب مفتقر ممكن واما انه واحد في صفاته فلان صفات غيره من غيره وصفاته
من نفسه ولان صفات غيره زمانية دون صفاته ولان صفات غيره متناهية وصفاته غير متناهية كعلمه مثلا فان له معلومات غير متناهية بل له
في كل معلوم علوم غير متناهية بحسب احيان ذلك المعلوم واوقاته وسائر احواله ولان موصوفية ذاته بالصفات ليست بمعنى كونها حالة في ذاته
كون ذاته محلا لها ولا بمعنى ان ذاته تستكمل بها لان ذاته كاملة لذاته لا تستكمل البتة بالصفات ولا تستكمل البتة بما عن المبدأ بل بمعنى ان ذاته مستكملة بذاته
ومن لوازم ذلك الاستكمال الذاتي تحقق صفات الكمال وهذا بحر فيه ضوء النظر يتحير ههنا الى حيث تقصر العبارة عن الوفاء به ثم ذلك انه لا خبر عند العقول من صفاته
كما انه لا خبر عندها من ذاته فانا لا نعرف من علمه الا انه لا يجهل والا بطل الاحكام والاتقان في المخلوقات كما انا لا نعلم من ذاته الا انه مبدأ لجميع الممكنات
لم يطلع على كنهه غير الخلاق ومن كشف له العظمة صار حيران فلا احاطة للعقل بكنه الا هو ولا ظهور لضوء النجوم عند طلوع الشمس في كبد السماء اشتاقه فاذا
بدا اطرقت من اجلاله لا خيفة بل هيبة وصيانة لجماله الموت في ادباره والعيش في اقباله واصد عنه اذا بدا واروم طيف خياله واما انه واحد في
افعاله فلان ما سواه ممكن الوجود لذاته وبعد الفرق بين الواجب لذاته والممكن لذاته يوجد التفاوت بينهما ان فرض الممكن فعل من غيره

الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون ثم انه تعالى خص الموضع بذكر
الرحمن الرحيم لان ذكر الالهية والفردانية يفيد القهر والعلو فعقبهما بذكر الصفتين ترويحاً للقلوب عن هيبة الالهية وعزة الفردانية واشعاراً بانه ما
خلق الخلق الا للرحمة والاحسان ان في خلق السموات والارض الآية ذكر العلماء في بيان ان هذه الآية انه في ترجيح وقوع اي ممكن كان على
لا وقوعه آيات للعقلاء الا ان الكلام لما كان لاسماع الانس والجن بل لاسماع الثقلين ولا مع قرن دون قرن بل مع القرون كلهم الى انقراض الدنيا

فيهم من تركبي التقصير في باب النظر والعلم بالصانع من ان يعصوه من طوايف العقوا لم يكن مقام ادعى لترك الايجاز الى الاطناب من هذا عن عطاء قال
انزل بالمدينة على النبي ﷺ والهكم اله واحد فقالت كفار قريش بمكة ولهم حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما كيف يسع الناس اله واحد فنزلت ان في
خلق السموات والارض الى اخرها وعن سعيد بن مسروق لما نزلت والهكم اله واحد تعجب المشركون وقالوا اله واحد ان كان صادقا فليأتنا باية
فنزلت زعم بعض الناس ان الخلق هو المخلوق وهو الذي يدل على الصانع والتحقيق انه غيره لان الخلق التقدير وتقدير المخلوقات غير نفس المخلوقات ولو كان
عينها فالخالقية صفة لله لزم اتصافه تعالى بالقاذورات والشياطين ولانه يصح تعليل حدوث الحادث بخلق الله ثم لا يصح تعليل حدوث نفس
ذلك الحادث لانه يصح ان يقال خلق السواد وخلق البياض ومفهوم الخلق فيهما واحد ومفهوم السواد غير مفهوم البياض ولاتفاق المعتبرين من النحاة
على ان العالم في قول القائل خلق الله العالم مفعول به لا مفعول مطلق ثم لا نزاع في الاستدلال على الخالق بالمخلوق لكن لا من جهة عينه بل من جهة خلق الله
اياه وهذه الجهة هي المخصوصة بالآية وقد عدد الله تعالى في هذه الآية ثمان آيات الاولى خلق السموات وقد تكلمنا في عددها وترتيبها في تفسير قوله فسواهن
سبع سموات وقد زعم اهل الهيئة انا شاهدنا من كل واحد من السيارات السبع حركات مختلفة كالبطوء والسرعة بعد التوسط في الحركة والوقوف
والرجوع بعد الاستقامة وهي الحركة على توالي البروج وعندهم مقدمتان كليتان احديهما ان السموات لا يطرق اليها الا الاختلاف الوضعي الثانية
ان حركة الكوكب في الفلك ليست كحركة السمكة في الماء ولكنه يدور بادارة الفلك فلهذا ان كل واحد من افلاك السيارات ينقسم الى افلاك اخر يشتمل بعضها الاخر
الكلي الذي مركزه مركز العالم ومراكزها مباينة لمركزه في الاغلب ثم ان كان مع المخالفة في المركز محيطا بالارض يخص باسم الخارج المركز ويبقى بعد توهم
نقصانه من الفلك الكلي جسمان مختلفان متضادا الوضع الغلظ والرقة يسميان المتممين وان لم يكن محيطا بالارض يسمى بالتدوير ويكون الكوكب
مركوزا فيه كالفص في الخاتم ويلزم من مجموع الحركات المركبة من تلك الافلاك حركة مختلفة في النظر وان كان كل منها متشابهة في نفس الامر ونعني بالتشابه
ههنا ان يقطع الجزء من المحيط في ازمنة متساوية قسيا متساوية ويحدث عند المركز زوايا متساوية وبالاختلاف نقيض ذلك فللقمر من تلك الافلاك
اربعة اثنان متوافقان في المركز وخارج وتدوير وللشمس خارج فقط وللعطارد خمسة ممثلان وخارجان وتدوير وللزهرة ثلثة موافق وخارج وتدوير ولكل
من الثلثة العلوية كالزهرة ومقادير حركات هذه الافلاك البسيطة موضوعة في الزيجات واما المختلفة فالشمس تقطع جميع الفلك في سنة شمسية هي
ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم الا كسرا والقمر في ثمانية وعشرين يوما وكل من عطارد والزهرة كالشمس وزحل في ثلثين سنة والمريخ في سنتين و
المشتري في اثنتي عشرة سنة جميع ذلك بالتقريب فقد عرفت بذلك على الاجمال فنقول في كيفية الاستدلال بهذه الاحوال ان اختصاص مقادير كل واحد من الافلاك
بمقدار معين مع اشتراكها في الطبيعة الفلكية تدل على مخصص مدبر حكيم قدير قهار وكذا تخصيص كل منها بحيز معين وكذا تعيين نقطتين من
سطح الفلك للقطبية مع تساوي جميع النقط المفروضة عليه في صلوح ذلك وكذا حصول الكواكب الثابتة في جانب معين من الفلك وكذا تفصيل الافلاك
الكلية الى الخوارج المراكز وابقاء المتممات على مقادير معينة في الرقة والغلظ وكذا تعيين كل من الاجرام بحركة معينة السيارات كما قلنا والثوابت بحيث
تتم دورة في ستة وثلثين الف سنة على ما في المجسطي او في خمسة وعشرين الف سنة ومائتي سنة عند المتاخرين والفلك الاعظم في يوم بليلة وكذا
تعيين جهات الحركات شرقا او غربا وشمالا او جنوبا وكذا تعيين مبادي الحركات وتخصيصها بزمان دون زمان فان الافلاك سواء قلت انها قديمة ام
حادثة او يقال انها ازلية لا بد ان يكون لحركاتها اول فان الحركة انتقال من حالة الى حالة وكون الحركة ازلية ينافي المسبوقية بالغير فلا بد له من محرك
بعد ان لم يكن يقتضي الافتقار الى فاعل مختار يكون الكل تحت قهره وتسخيره وكذا تخصيص كل من الكواكب بعظم اخر وبلون اخر كصفرة عطارد وبياض
الزهرة وكمودة زحل ودرية المشتري وحمرة المريخ وظلمة القمر في ذاته بحيث لما حال بين الناظر وبين الشمس في الاجتماع اثر في كسفها وكذا اختلاف
تاثيراتها في هذا العالم باذن خالقها وبالجملة فان هذا الترتيب العجيب والنسق الانيق في تركيب الافلاك وايلاف حركاتها وارتباط اجرامها واختلاف
اوضاعها المستتبعة لاتصالاتها وانصرافاتها يرى انها مبنية على حكمة وبقدرة قدير خبير لم يخلقها عبثا ولم يجعلها سبهللا فان من جوز في بناء رفيع
وقصر مشيد ان التراب والماء انضم احدهما الى الاخر ثم تولد منهما اللبنات ثم تولد منها البنيات ثم تركبت تلك اللبنات وتولد من تركيبها القصر ثم
تزين بنفسه بالنقوش الغريبة والرسوم اللطيفة فهو مسلم العقل الى المجنون ويجعل عليه بخاف الرأي بل يعد من زمرة الانعام لا من جملة الانام الآية الثانية
خلق الارض فمن تأمل في شكلها من الاستدارة وفي حيزها من كونها واقفة في مركز العالم حتى انبعث منها بوقوع الشمس عليها مخروط ظل في مقابلة
الشمس وفي وقع القريبة بحكمة من انكشاف بعضها عن كرة الماء لاستقرار الحيوان عليها وفي اختلاف بقاعها بالنسبة الى السماء حتى اختلف
مرور الشمس وسائر الكواكب بسمت رؤس قطان البلدان وتباينت الفصول والامزجة والاخلاق وتغايرت الطوالع والمطالع بحسب تغاير الآفاق
ومن عجائب عراضها وسامتها التي ذكرنا طرفا منها في تفسير قوله الذي جعل لكم الارض فراشا علم افتقارها الى مدبر قدير عليم خبير واحد يملكه ومالكه
يفعل ما يشاء كما يشاء من غير منازع ومعاند الثالثة اختلاف الليل والنهار واما النهار فانه عبارة عن مدة كون الشمس فوق الافق وفي عرف الشرع
زيادة ما بين طلوع الفجر الصادق الى طلوع جرم الشمس واما الليل فعبارة عن مدة خفاء الشمس تحت الافق وبنقصان الزيادة المذكورة وذلك
ان الشمس اذا غابت ارتفع راس مخروط ظل الارض الى العلو فوقع الابصار الى ان يظهر الضلع المستنير منه من جانب الافق الشرقي فيكون اول الفجر ثم كلما
ان كان الضوء مرتفعا عن الافق بعدا ولى الفجر الصادق اذا قرب من الافق جدا انبسط النور حتى اذا غاب راس المخروط تحت الافق طلع مركز جرم الشمس

مقابلة ظلمة الليل والنهار كيف يختلفان اى يتعاقبان يتجاوزانها بالكون وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة او يختلفان ظلاما وضياء او طولا و
قصرا لان زيادة احدهما يستلزم نقصان الآخر ضرورة كون مجموعهما اربعا وعشرين ساعة او كيف يختلفان فى الاكثر فان نهار كل بقعة ليل
بقعة تقابلها ضرورة كروية الارض او كيف يختلفان باختلاف البلدان فان البلدان كما ازداد عرضها عن خط الاستواء وهو الموضع المحاذى لمنطقة
الفلك الاعظم المسماة معدل النهار ازداد نهارها فى الصيف طولا وفى الشتاء قصرا او ما بالعكس فى الليل وقد يرتقى طول النهار بحسب تزايد بقاع
التى تقطب بحيث يصير اليوم بليلته نهارا كله وبازائه الليل ثم الى اكثر من ذلك الى حيث يكون نصف السنة نهارا ونصفها الاخر ليلا وذلك اذا صار قطب
الفلك الاعظم محاذيا للسمت الرأس ولا عمارة هناك لا حيث يزيد النهار الاطول على يوم بليلته لشدة البرد اللازم من قبل انخفاض الشمس وفى كون الليل و
النهار فى انفسهما آيتين على وجود الصانع ووحدانيته وكذا من جهة ارتباطهما بحركة النير الاعظم وكذا من جهة انتظام احوال العباد بهما بسبب طلب المعاش
فى الايام والنوم والراحة فى الليالى ومن الغرائب تعاون المتنافيين على امر واحد هو صلاح معاش الحيوان وان اقبال الخلق فى اول الليل على النوم يشبه موت
الخلائق اولا عند النفخة الاولى ويقظتهم عند طلوع الفجر يشبه عود الحيوة اليهم فى النفخة الثانية وان انشقاق ظلمة الليل بظهور الفجر المستطيل فيه من عجيب الاشياء
كانه جدول ماء صاف يسيل فيما بين بحر كدر بحيث لا يمتزجان وكل هذه الامور دلائل على وجود مبدع عظيم الشان متعال عن الزمان والمكان منزه عن سمات
الحدوث والامكان الرابعة الفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ملتبسة بالذى ينفعهم مما يحمل فيها او ينفع الناس الفلك بالضم السكون السفينة
وجمع فضمة الواحد ضمة برد وضمة الجمع ضمة اسد وتانيث صفته يحتمل ان يكون لتضمين معنى السفينة ويحتمل ان يكون لمعنى الجمعية اى المراكب التى تجرى
التركيب يدل على الاستدارة والدوران ومنه الفلك الجسم الكروى المحيط بسطحين متوازيين مركزهما واحد وفلكة المغزل وفلكت الجارية اذا استدار ثديها و
خلاف البر قيل سمى بذلك لاتساعه وعمقه ومنه تبحر فى العلم والمال ويقال للفرس الواسع الجرى بحر قال النبى فى فرس ابى طلحة ان وجدناه لبحرا وقيل من الشق بحرت
اذن الناقة شققتها ومنه البحيرة هذا وقد سلف فى تفسير قوله عز من قائل الذى جعل لكم الارض فراشا ان الماء محيط باكثر جوانب القدر المعمور من
الارض وذلك هو البحر المحيط وقد يدخل من ذلك الماء من جانب الجنوب متصلا بالمحيط الشرقى ومنقطعا عن الغربى الى وسط العمارة خليجات اولها اذا
ابتدى من المغرب الخليج البربرى لكونه بحذاء بربر من ارض الحبشة طوله من الجنوب الى الشمال مائة وستون فرسخا وعلى ضلعه الغربى بلاد كفار الحبشة و بعض
الزنج وعلى الشرقى بلاد مسلمى الحبشة وثانيها الخليج الاحمر طوله من الجنوب الى الشمال اربعمائة وستون فرسخا وعرضه يقرب منها ستون فرسخا وبين طرفه
وفسطاط مصر الذى على شرقى النيل مسيرة ثلثة ايام على البر وعلى ضلعه الغربى بلاد الزنج من البربر وبعض بلاد الحبشة وعلى ضلعه الشرقى سواحل طيبة فى
مدينة الرسول والقوافل مصر والحبشة الى الحجاز ثم سواحل اليمن ثم عدن على الزاوية الشرقية منه وثالثها خليج فارس طوله من الجنوب الى الشمال اربعمائة
وستون فرسخا وعرضه قريب مائة وثمانين وعلى سواحل ضلعه الغربى بلاد عمان وهذا ينسب البحر هناك اليها وجملة ولاية العرب وبحيانهم من الحجاز
واليمن والطايف وغيرها وبواديهم بين الضلع الغربى من هذا البحر والشرقى من الخليج الاحمر فلهذا سمى العمارة الواقعة بينهما جزيرة العرب وفيها مكة
[illegible] على سواحل ضلعه الشرقى بلاد فارس ثم هرموز ثم مكران ثم سواحل السند ورابعها الخليج الاخضر مثلث الشكل اخذ من الجنوب الى الشمال
الشرقى من بلاد فارس ثم هرموز ثم مكران يتصل بالمحيط الشرقى وضلعه الغربى خمسمائة فرسخ تقريبا وعلى سواحل هذا الضلع ولايات الهند والصين و
يسمى بحر الصين ومن زاويته الشرقية الجنوبية الى مقابله من بحر فارس يسمى بحر الهند لكون بعض ولاياته على سواحله وايضا يدخل الى العمارة من جانب
الغرب خليج عظيم يمر من جانب الجنوب على كثير من بلاد المغرب يحاذى ارض السودان وينتهى الى بلاد مصر والشام ومن جانب الشمال على بلاد اندلس وبلاد
والسقالبة الى بلاد الروم والشام وينشعب عنه شعبة من شمال الغرب [illegible] يسمى بحر [illegible] طوله الف ومائة فرسخ وعرضه ثلثة
وثلثون [illegible] وينشعب منه ايضا شعبة تسمى بحر طرابزون فهذه هى البحار
المتصلة بالمحيط [illegible] بحر طبرستان وجيلان [illegible] على سواحله [illegible] مستطيل الشكل اخذ من
المشرق الى المغرب باكثر من مائتين وخمسين فرسخا ومن الجنوب الى الشمال تقريبا من مائتين ومن عجائب البحار الحيوانات المختلفة الاعظام والانواع والاشكال
ومنها الجزائر الواقعة فيها فقد يقال ان فى بحر الهند من الجزائر العامرة وغير العامرة الف وثلثمائة وسبعون ومنها جزيرة عظيمة فى اقصى البحر مقابل ارض الهند فى
ناحية المشرق عند بلاد الصين تسمى جزيرة سرنديب ودورها ثلثة الاف ميل فيها جبال عظيمة ومنها يخرج الياقوت الاحمر وحول هذه الجزيرة [illegible]
عشرة جزيرة عامرة وفيها مدن وقرى كثيرة ومن جزائر هذا البحر جزيرة كلة التى يجلب منها الرصاص القلعى وجزيرة سربزة التى يجلب منها الكافور وعجائب
البحر كثيرة ولهذا قيل حدث عن البحر ولا حرج وسئل بعض العقلاء ما رايت من عجائب البحر قال سلامتى منه [illegible] السفينة [illegible] الله تسهيل ركوبها ثم اجراها بعد
على وجه الماء فلولا رقة الماء وخفة مادة السفينة ثم عجب صنعتها ما تم جريها ولولا الرياح المعينة على تحريكها لما تكامل النفع بها ولولا اعتدال الريح
لما سلمت من تلاطم الامواج ولولا تقوية قلوب راكبيها لما صبروا على شدائد ركوبها ولولا انه تعالى خص كل طرف بشىء لم يبعث الدواعى الى اقتحام الاخطار
فى هذه الاسفار وحمل الامتعة الى الامصار فى البرارى والبحار فالاجر ينتفع بالحامل من حيث الربح وينتفع المحمول اليه من حيث [illegible]
دليل على اباحة ركوب السفينة واباحة الانتفاع بالتجارة الخامسة وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها اما نزول المطر من السماء
فقد مر [illegible] فى تفسير قوله او كصيب من السماء وان المراد من السماء السحاب الذى يكون من جانب السماء واما تنكير من ماء فلان الغرض الوحدة

وعرضه خمسة وثلثون فرسخا

او الصيف يبقى ماء مسبب حيوة الارض لا المطر لان الارض التى لا تنبت شيئا كما جاء فى الحديث ليس السنة بان لا تمطروا ولكن السنة ان تمطروا ولا تنبت ولا يبعد ان
فى انزاله فى الساعة دلالة على الصانع ووحدانيته حيث جعله فى غاية الصفاء واللطافة والعذوبة وصيره سببا للارزاق وانزاله بعد قنوط الناس عند
شدة احتياجهم اليه والوقت فى زمن معلوم الارض اى حسنها ونضارتها وبهاؤها وبهجتها وخضرتها بخروج اصناف النبات وضروب الاعشاب والوان الازاهير
وانواع الاشجار والثمار ومجرياتها وجداولها وسيلانها والانهار بحيث تروق الناظرين وتشوق الناجين خوصا بانواع الربيع الازمان كحسن الوجه الانسان وموت
الارض من ترشيح الاستعارة ضمن لما عبر عن يبسها وتغيرها وخضرتها بالحيوة عبر عن جمودها وكمودها وبقائها على الهيئة الاصلية بالموت كان جعل
الارواح فيها لا دواء عليها السادسة وبث فيها من كل دابة وانه معطوف على انزل فيدخل تحت حكم الصلة ويجعله من قوله فيهما الى الارض لان قوله فاحيا
عطف على انزل فاتصل به وصارا جميعا كالشئ الواحد فكانه قيل وما انزل فى الارض من ماء وبث فيها من كل دابة ويجوز عطفه على احيا اى فاحيا بالمطر الارض
وبث فيها من كل دابة لان معاش الحيوان بل حيوته به وعلى الماء وجعلنا من الماء كل شئ حى اعلم ان الحيوان اما تولدى او توالدى وكلا الصنفين
يحتاج الى الصانع فرد حكيم بكل ان شئت فانظر الى البعوضة فى اسرار الشطرنج صغيرة ولو طلب الانسان بالف مرة لم يقف عليه فانظر ههنا
ما هو عجيب منه وهو ان مقدار الوجه شبر فى شبر ثم ان مواضع الاعضاء التى فيها من الحاجبين والعينين والانف والفم لا يتغير البتة ومع ذلك لا ترى
شخصين ايما يشتبهان فى الصورة فما اعظم تلك القدرة والحكمة التى اظهرت فى صفحة الوجه اقسم بهذه الاختلافات التى لا حد لها ولولا هذه الاختلافات
لاشتبه الناس بعضهم ببعض فانقطع نظم معايشهم وحوائجهم من تأمل كتب التشريح وقرأ كتاب الحيوان وتتبع عجائب المخلوقات وقف من تراكيبها وخواصها
على ما يقضى منه العجب ويفضى الى الاعتراف بوحدانية الرب السابعة تصريف الرياح مع دقتها ولطافتها وفى ذلك نفع عظيم لانتفاع الحيوان
بتنشق الهواء البارد وبجريان السفن بهبوب الرياح من قبل تلقيح الاشجار وسوق السحاب الى حيث يريد الله ومن جهة تصريف الاهوية الوبائية
الى غير ذلك من المنافع والمراد بتصريفها تقليبها فى جهات العالم على حسب المصالح شمالا وجنوبا وشرقا وغربا اى صبا ودبورا على كيفيات مختلفة
حارة وباردة وعاصفة ورخاء ومن قرأ الريح بالوحدة فليس فيها دلالة على انها للعذاب فى هذا المقام والذى جاء فى الحديث انه كان اذا هبت الريح
قال اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا فلا دلالة لا على انها مواضع الرحمة بالجمع دلالة كما قال تعالى ومن آياته ان يرسل الرياح مبشرات وقال فى عاد اذ
ارسلنا عليهم الريح العقيم فقد يختص بالعظة فى القرآن بشئ فيكون امارة له فمن ذلك ان عامة ما جاء فى التنزيل من قوله وما يدريك مبهم غير
معين قال وما يدريك لعل الساعة قريب وما كان من لفظ ادريك فانه مفسر نحو وما ادريك ما القارعة وما ادريك ما هيه الثامنة السحاب المسخر
بين السماء والارض سحابا لانسحابه فى الهواء ومعنى التسخير التذليل وذلك ان طبع الماء ثقيل يقتضى النزول فكان بقاؤه فى جو الهواء على خلاف
طبعه بقاسر وهو تسخير له فلو دام لعظم ضرره ومن حيث انه يستر ضوء الشمس ويكثر الانداء والامطار ويشتد التردد فى الحوائج ولو انقطع لعظم ضرره
لاستلزامه الجدب والقحط فكان تقديره بالمقدار المعلوم والاتيان به فى وقت الحاجة ورفعه عند الحاجة برونق الاحالة وفى نفس السحاب
من عظم وتركيبه وتقاطعه ومخالفته وانبساطه وتقلصه وسيره الافق الآخر وانتشاره فى اخرى واشتماله على الرعد والبرق والصعق والتطبيق
الى غير ذلك من العجائب آيات واضحة على كمال الحكمة وموجبه ومقدره واما قوله تعالى لآيات فيحتمل ان يكون راجعا الى الكل اى مجموع هذه الاشياء
الثمانية آيات ويحتمل ان يكون راجعا الى كل واحد فان كل واحد منها يدل على مدلولات كثيرة كما فصلنا وايضا فكل واحدة منها من حيث انها موجودة
تدل على وجود موجدها وكونها معدودة ومن حيث انها وقعت على وجه الاحكام والاتقان تدل على علم الصانع ومن حيث حدوثها واختصاصها بوقت
دون وقت تدل على ارادته واختياره ومن حيث انها وقعت على الاتساق والانتظام تدل على وحدانية الله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا
واما قوله تعالى لقوم يعقلون فانما خص الآيات بهم لانهم الذين يتمكنون من النظر فيها والاستدلال فى الآية من الفوائد ان التقليد مذموم فيها
الى تحقيقه سبيل وفيها ان جميع المعارف ليست ضرورية والا لم يحتج الى النظر فى شئ منها وانما خص الآيات الثمانية بالذكر مع ان سائر الاجسام
والاعراض مستوية فى الاستدلال بها على وجود الصانع بل كل ذرة من الذرات لانها جامعة بين كونها دلائل وبين كونها نعما على المكلفين فى
كانت الدلائل كلما كانت انجع فى القلوب اشد تأثيرا فى الخواطر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها اى لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها حتى
الوكيل ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ
وبعضى از مردمان هستند كه فرا گرفته اند بغير از خدا انبازها را دوست ميدارند ايشانرا چون دوستى خدا و آنان كه گرويده اند بيشترست دوستى ايشان مر خدا را و اگر بدانند

ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا
ستمكاران كه چون مشاهده كنند عذاب را كه توانائى همگى مر خداى راست و بدرستى كه خدا سخت عقوبت است وقتيكه بيزارى جويند آنانكه پيروى كرده شده از آنانكه پيروى كردند
وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ
و بنگرستند عذاب را و بريده شده بديشان وسيلها و گويند آنان كه تابع گشته اند كاش مر ما را بود از برای ما بازگشتی كه بيزاری جوييم از ايشان همچنانكه بيزاری جستند از ما چنين
يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ القراءات ولو ترى بتاء الخطاب نافع وابن عامر وسهل ويعقوب الباقون
نمايد ايشانرا خدا كردارهای ايشانرا حسرتها بر ايشان و نيستند ايشان بيرون آينده از آتش دوزخ بالياء اذ يرون بضم الياء من الارادة ابن عامر ان القوة وان الله بكسر الالف

فيهما يزيد وسهل ويعقوب اذ تبرأ بادغام الذال في التاء وكذا ما اشبهه هشام وسهل وابو عمرو وحمزة وعلي وخلف يريهم الله بكسر الهاء والميم
ابو عمرو وسهل وقرأ حمزة وعلي وخلف ويعقوب بضم الهاء والميم الباقون بكسر الهاء وضم الميم رحيم ه لا الامام ابن عباس في حقيقته كحواء من النار
الوقوف كحب الله ط حبا لله ط العذاب لا وكذلك جميعا لا لمن قرأ ان فتح فان ما بالكسر فهما شديد العذاب ه الاسباب ه تبرؤا منا ط عليهم ط من النار ه التفسير
سبحانه لما قرر التوحيد بالدلائل الباهرة عقبها بتقبيح ما يضاده فبضدها تتبين الاشياء والند المثل المنازع كما سلف والمراد بالانداد ههنا
هي الاصنام التي اعتقد المشركون انها تقربهم الى الله زلفى وبذلك لما اتخذوها وقربوا لاجلها القرابين وقيل يعني السادة الذين كانوا يطيعونهم ويتركون
على اوامرهم ونواهيهم محلين ما حرم الله ومحرمين ما احل عن السدي واستدل على تفسيره بان قوله يحبونهم فيه ضمير العقلاء ولانه من المستبعد انهم
يحبونهم كحب الله مع علمهم بانها لا تضر ولا تنفع ولقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وذلك لا يليق الا بمن اتخذ العقلاء اندادا امثالا لله
يلتزمون من تعظيمهم والانقياد لهم ما يلتزمه المؤمنون لله ثم ويمكن ان يجاب بان ضمير العقلاء جاز عوده الى الاصنام بناء على اعتقاد الجهلة
نظموها في سلك المعبود الحق قال تعالى وان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم وان علمهم بانها لا تضر ولا تنفع ممنوع ولو علموا
بذلك ما اشركوا وان التبري لا يمتنع من الاصنام بدليل قوله تعالى ويوم القيمة يكفرون بشرككم وقال اهل العرفان كل شيء شغلت قلبك به سوى الله
فقد جعلته في قلبك ندا لله تعالى قال أفرأيت من اتخذ الهه هواه يحبونهم يعظمونهم ويتقربون اليهم والانقياد لهم ويطيعونهم ويخضعون لهم كحب الله
من اضافة المصدر الى المفعول اي كما يحب الله على انه مصدر من المبني للمفعول وانما استغنى عن ذكر من يحبه وهم المؤمنون لانه غير ملتبس وقيل كحب الاول
علمهم بالله وقيل كحبهم الله اي يسوون بينه وبينهم في محبتهم بناء على انهم كانوا مقرين بالله فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين
والذين آمنوا اشد حبا لله لانهم لا يعدلون عنه الى غيره في السراء ولا في الضراء ولا يجعلون وسائط بينهم وبينه بخلاف المشركين يقولون هؤلاء
شفعاؤنا عند الله ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره وربما اكلونه كما اكلت باهلة الهها من حيس عام الاقط والسمن والتمر عام المجاعة
وفيهم قال الشاعر اكلت حنيفة ربها زمن التقحم والمجاعة لم يحذروا من ربهم سوء العواقب والتباعة واعلم ان اطلاق محبة العبد على الله ثبت في القرآن
والحديث كما في هذه الآية وكقوله يحبهم ويحبونه ويروى ان ابراهيم قال لملك الموت وقد جاءه لقبض روحه هل رأيت خليلا يميت خليله فاوحى الله اليه
هل رأيت خليلا يكره لقاء خليله فقال يا ملك الموت الآن فاقبض وجاء اعرابي الى النبي فقال يا رسول الله متى الساعة فقال ما اعددت لها
فقال ما اعددت كثير صلوة ولا صيام الا اني احب الله ورسوله فقال المرء مع من احب ثم ان الائمة اختلفوا في معناها فقال جمهور المتكلمين ان المحبة نوع
من انواع الارادة لا تعلق لها الا بالجائزات فيستحيل تعلقها بذات الله وصفاته فمعنى قولنا يحب الله يحب طاعة الله وخدمته ويحب ثوابه واحسانه واما
العارفون فيقولون انا نعبد الله لذاته لا لغرض ولو كان كل شيء محبوبا لاجل شيء آخر دار او تسلسل وايضا انا نحب الرجل العالم لعلمه والرجل الشجاع لقوته
وشجاعته والرجل الزاهد لبراءته عن المثالب فبسببها احق بالمحبة لان كل كمال بالنسبة الى كماله كالنقص فالكمال مطلوب لذاته محبوب لنفسه وكلما كان الاطلاع
على دقائق حكمة الله وقدرته وصنعه اكثر كان حبه له اتم ويجب الترقي في درجات العرفان يزداد الحب الى ان يستولي سلطان الحب على قلب المؤمن فيشغله
عن الالتفات بغيره ويفنى عن حظوظ نفسه فبه يسمع وبه يبصر وبه يمشي وبه يتكلم ولسان حاله اني اليوم حبي سوى الله فلا يعصي الله طرفة عين ولا يشتغل
بحظ نفسه لمحبته كما قيل تعصي الاله وانت تظهر حبه هذا لعمري في الفعال بديع لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع ومحبة الله آثاره
ومغفرته ينادي عليه ومن علامته ذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين ليس يتعدى النفع عن ومتى يكرم الى الحبيب الكريم ولو يرى قرئ بالتاء
وان وان بالفتح والكسر فهنا اربعة تقديره الاول ولو يعلم الذين ظلموا انفسهم باتخاذ الانداد اذ عاينوا العذاب يوم القيمة ان القدرة كلها
لله على كل شيء من العقاب والثواب دون اندادهم وان عذاب الله للظالمين شديد لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة ووقوع
العلم بظلمهم وضلالهم فحذف جواب لو دليلا على انه من شأن الحذف فليذهب الوهم كل مذهب يقدر من الفظاعة ما لا يمكنه كنهه كقولهم لو رأيت
فلانا والسياط تأخذه بخلاف ما لو صرح بالتعيين فانه ملتفظ معين الثاني ولو ترى يا محمد الذين ظلموا لرأيت امرا عظيما لا يمكن تكيفه الظلم العظيم
بشركهم وقت معاينتهم العذاب ان القوة كلها لله وان الله شديد العذاب لرأيت امرا عظيما فعلى هذا ان مع معموليها بدل من العذاب المراد الوجه تكرير
الرؤية اي يرون ان القوة لله جميعا الثالث بياء الغيبة وكسر ان وان معناه كالاول الجملتان معترضتان والمعنى قيل ان القوة لله والرابع على
القياس ودخول لو وكذا اذ في المستقبل مع ان حقهما الدخول على الماضي نظم المستقبل في سلك الماضي المقطوع بوقوعه ومعنى الاخلاف في اخبار
وقيل لان الساعة قريبة فكانها قد وقعت وكذا الكلام في اذ تبرأ وانه بدل من اذ يرون العذاب قيل هو معمول شديد والمراد بالذين اتبعوا القادة والرؤساء
من مشركي الانس عن قتادة والربيع وعطاء وشياطين الجن الذين صاروا متبوعين بالوسوسة عن السدي وقيل الاوثان والتبري ما بالقول وهو قوله
اما بلفظ هو العجز والندم بحيث لا يغنون عن انفسهم من الله عذابه شيئا فكيف عن غيرهم ورأوا العذاب وتقطعت عطف على تبرأ اي عنهم فان
انقطع وقع تقطع الاسباب ملابسة بهم مثل لقد تقطع بينكم بضم النون والباء للتعدية كان اسباب الوصل صارت اسباب القطع
ومصالحهم انقلبت عليهم مفاسد والسبب في اللغة الحبل ثم استعير لكل ما يتوصل به الى امر ولا يدعى الحبل سببا حتى ينزل ويصعد به والمراد ههنا
الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد ومن الانساب والمحاب والاتباع والاستتباع والعهود والعقود لو ان لنا كرة تمن ولذلك اجيب بالفاء

الواو للحال اي تبرأوا في حال رؤيتهم العذاب

كانه قيل ليت لنا كرة رجعة الى الدنيا والى حال التكليف المتبوعون مفتقرون الى اتباعنا ونصرتنا حتى نتبرأ منهم بعد الغيرة والاعاثر كما تبرؤا
اليوم كذلك مثل ذلك الاراء الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات هو ثالث مفعولات رأى ومثل ذلك الاراء يريهم اعمالهم حسرات فان ذلك اثر ثانيا
نوع اراءة والمراد بالاعمال قيل الطاعات لم يعملوها فضيعوها وضيعوا ثوابها وقيل المعاصي واعمالهم الخبيثة يتحسرون لم عملوها عن الربيع وابن
زيد تبطل ثواب طاعاتهم التي نووها فاحبطوها بالكفر عن الاصم قيل اعمالهم التي تقربوا بها الى رؤسائهم من تعظيمهم والانقياد لامرهم والحسرة شدة
الندم على ما فات حتى يبقى النادم كالحسير من الدواب لا منفعة فيها والتركيب يدل على الكشف ومنه انحسر الطائر انكشف بذهاب ريشه والحاصل انهم لا
يرون مكان اعمالهم الا حسرات تنفيا ايها المغرور بالسلامة مما اعد حتى بيوم القيمة يوم الحسرة والندامة يوم يجعل الولدان شيبا يوم يبيع المرء كيفا
الدنيا دار تجارة فان لم يتزود منها الخسارة وما هم بخارجين من النار استدل الاشاعرة بالتقديم على التخصيص فقالوا ان اصحاب الكبيرة من اهل القبلة
يخرجون من النار وزعم المعتزلة ان بناء الكلام على هم لتقوي الحكم وافادة التأكيد كقوله وهم يخلقون فانه يدل على ان غير الاصنام غير مخلوق والله اعلم
حسبنا الله ونعم الوكيل. قوله **يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ**
ای گروه مردمان بخورید از آنچه در زمین است حلال و پاکیزه و پیروی مکنید گامهای شیطان را بدرستیکه او مر شما را دشمنی آشکار است
إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ
جز این نیست که فرماید شما را ببدی و زشتی و بآنکه بگوئید در باره خدا آنچه را نمیدانید و چون گفته شود ایشانرا که متابعت کنید فرستاده خدا را گفتند بلکه متابعت کنیم آنرا که یافتیم بر آن
آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ۝ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً
پدران ما را اگرچه بودند پدران ایشان نمیدانستند چیزی را و نه راه یافتند و مثل آنانکه کافر شدند چون مثل آنکس که فریاد زند بآنکه نشنود مگر خواندن
وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ القراءة خطوات ساكنة الطاء حيث كان ابو عمرو ونافع وحمزة وخلف والهاشمي وابن ربيعة
و آواز کران و گنگان و کوراند پس ایشان درک نمیکنند عن البزي والقواس وحماد وابو بكر غير البرجمي المباقون بالضم بل نتبع ونحوه مثل هل نحكم وبل نقذف
مدغما حيث كان على هشام الوقوف طيبا ج والوصل جوز لعطف الجملتين المتفقتين الشيطان مبين ج ما لا تعلمون آباءنا ط لابتداء الاستفهام
ولا يهتدون ونداء ط لحق الحذف تقديره هم صم لا يعقلون التفسير قال الكلبي نزلت في ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة حرموا على انفسهم
من الحرث والانعام وحرموا البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي والاية موسعة تعم جهالات المشركين المتخذين من دون الله اندادا وحلالا
مفعول كلوا او حال من ما في الارض وهو المباح الذي انحلت عقدة الحظر عنه من الحل الذي يقابل العقد ومنه حل بالمكان اذا نزل لحل عقد الرحال
وحل الدين لانحلال العقد بانقضاء المدة وحلة لانها تحل عن الطي للبس وتحلة القسم لان عقدة اليمين تنحل به ثم الحرام قد يكون حراما لجنسه كالميتة
والدم وقد يكون حراما لعرض كملك الغير اذا لم ياذن في اكله فالحلال هو الخالي عن الصفتين والطيب ان اريد به ما يقرب من الحلال لان الحرام يوصف
بالخبث قل لا يستوي الخبيث والطيب فالوصف للتأكيد المدح مثل نفخة واحدة اي الطاهر من كل شبهة ويمكن ان يراد بالطيب اللذيذ ويراد
بالحلال ما يكون بجنسه حلالا او بالطيب ما يكون بعرضه حلالا خطوات بضم الطاء جمع خطوة بالضم ما بين قدمي الخاطي كالغرفة بالضم اسم لما يغترف والفعلة بالضم السكون
اذا كانت اسما يجمع الجمع الصحيح بسكون العين وضمها يقال اتبع خطواته ووطئ على عقبه لما تعرف والفعلة بالضم والوطئ على عقبه لما يعترف والفعلة
بالفتح وطئ على عقبه اذا اقتدى به واستن بسنته مبين ظاهر العداوة لا اخفاء به قال لاغوينهم اجمعين لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم
لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم انما يأمركم بالسوء وهو جميع المعاصي من افعال الجوارح وافعال القلوب والفحشاء
ما يتجاوز الحد في القبح فلهذا الاول ما لم يجب فيه الحد والثاني ما فيه يجب الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون وهذا اقبح الكل لانه
وصف الله تعالى بما لا ينبغي من اعظم الكبائر فهذه الاية كالتفسير لقوله ولا تتبعوا خطوات الشيطان فالصغائر والكبائر والكفر والجهل كلها من امور
الشيطان بل لا يأمر الشيطان الا بهذه الامور بدليل انما وهي للحصر وقد يدعو الشيطان الى الخير ظاهرا وغرضه ان يجره الى الشر مثل ان يجره
من الافضل الى الفاضل ليتمكن بعده ان يجره الى الشر ومثل ان يجره من الفاضل السهل الى الافضل الاشق ليصير ذلك سببا لنفرته عن
الطاعة ويدخل في قوله وان تقولوا على الله ما لا تعلمون جميع المذاهب الباطلة والعقائد الفاسدة وقول الرجل هذا حلال وهذا حرام بغير علم
بل يتناول مقلد الحق لانه وان كان مقلدا للحق لكنه قال ما لا يعلم فصار مستحقا للذم من جهة انه قادر على تحصيل العلم بالحق ثم انه قنع بالظن و
التخمين ومعنى امر الشيطان وسوسته ولهذا شرع الاستعاذة وفي التعبير عن وسوسته بالامر رمز الى انكم منه بمنزلة المأمورين لطاعتكم له و
قبولكم وساوسه واذا كان الامر المطاع مرجوما مذموما فكيف حال المأمور المطيع وفي هذا عبرة للبصراء ومزجر للعقلاء اعاذنا الله بحوله وقوته من مكر
الشيطان وكيده واذا قيل لهم اي للمتخذين من دون الله اندادا او للناس والالتفات الى الغيبة للنداء على ضلالهم كانه يقول للعقلاء انظروا الى هؤلاء
الحمقى ماذا يقولون وعن ابن عباس نزلت في اليهود حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما ألفينا اي وجدنا عليه آباءنا فانهم كانوا خيرا منا
واعلم وقد يعود الضمير الى المعلوم كما يعود الى المذكور وعلى هذا فالاية مستأنفة وانما خص هذا الموضع بقوله ألفينا لان الفى يتعدى الى مفعولين
البتة فكان نصا في ذلك وفي ذكر الموضع الاول على الاصل واقتضى التأكيد ولفظ وجدنا المشترك بين التعدي الى واحد والتعدي الى اثنين اكتفاء

ع

ووردني الاول مع تغير العبادة عارضوا ما انزل الله من الدلائل الباهرة بالتقليد فما اعقلهم واضعفهم فلاجرم اجاب الله تعالى بقوله ولو كان الواو للعطف
لا للحال على ما وقع في الكشاف والهمزة للرد والتعجب فصل الاستفهام محذوف كذا جواب الشرط والمعنى ايتبعونهم ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين
ولا يهتدون للثواب ايتبعونهم ايضا وتقرير الجواب ان يقال للمقلد اعرفت ان المقلد محق ام لا فان لم تعرف فكيف قلدته مع احتمال كونه مبطلا وان كنت
عرفت فاما بتقليد آخر ويلزم التسلسل او بالعقل فذلك كاف في معرفة الحق والتقليد ضائع وايضا علم المقلد ان حصل بالتقليد تسلسل وان حصل
بالدليل فانما يتبعه المقلد اذا علم ذلك الدليل ايضا والا كان مخالفا له فظهر ان قبول قول الغير من غير دليل باطل ومثل الذين كفروا فيه للعلماء
طريقان احدهما تصحيح المعنى باضمار اما في التشبيه مثل من يدعو الذين كفروا الى الحق كمثل الذي ينعق الراعي بالضأن اذ اصاح بها واما نعق
الغراب فبالعين المعجمة شبه الداعي الى الحق براعي الغنم والكفرة بالغنم ووجه التشبيه ان البهيمة تسمع الصوت ولا تعلم المراد وهؤلاء الكفار يسمعون صوت
الرسول والفاظه وما كانوا ينتفعون بها فكانهم لا يفهمون معانيها واما بالاضمار في المشبه به اي مثل الذين كفروا كبهائم الذي ينعق والطريق الثاني تصحيح
بغير اضمار اي مثلهم في دعائهم الاصنام كمثل الناعق بما لا يسمع لكن قوله الا دعاء ونداء لا يساعد عليه لان الاصنام لا تسمع شيئا او مثلهم في دعائهم
الهتهم كمثل الناعق في دعائه عند الجبل فانه لا يسمع الا صدى صوته فاذا قال يا زيد يسمع من الصدى يا زيد فكذلك هؤلاء الكفار اذا دعوا الاوثان
لا يسمعون الا ما تلفظوا به من الدعاء والنداء او مثلهم في قلة عقلهم حيث عبدوا الاوثان كمثل الراعي اذا تكلم مع البهائم فكما ان الكلام مع البهائم
دليل ضعف العقل فكذلك عبادتهم لها او مثلهم في اتباعهم آباءهم وتقليدهم لهم كمثل الذي يتكلم مع البهائم فكما ان ذلك عبث ضائع فكذا تقليدهم
واتباعهم صم عن استماع الحق والانتفاع به بكم عن اجابة الداعي الى سبيل الحق عمي عن النظر في الدلائل فهم لا يعقلون العقل المسموع ولا المطبوع وذلك ان
طريق الاكتساب الاستعانة بالحواس ولهذا قيل من فقد حسا فقد علما فلما فقدوا فائدة الحواس فكانهم عدموها خلقة قال شابور بن
اردشير العقل نوعان مطبوع ومسموع فلا يصلح واحد منهما الا بصاحبه فان احدهما بمنزلة العين والآخر بمنزلة الشمس ولا يكمل الابصار الا بهما
وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء دعامة ودعامة عمل المرء عقله فبقدر عقله يكون عبادته او ما سمعتم قول الله عز وجل حكاية عن الفجار لو كنا نسمع
او نعقل ما كنا في اصحاب السعير وقال ما اكتسب امرؤ مثل عقل يهدي صاحبه الى هدى او يرده عن ردى التاويل الذين كفروا اسمعوا انطاقهم الحق بقوله
الست بربكم الا دعاء ونداء لانهم كانوا في الصف الاخير من الارواح المجندة في اربعة صفوف الاول للانبياء والثاني للاولياء والثالث للمؤمنين
والرابع للكافرين فما شاهدوا شيئا من انوار الحق ولكنهم قالوا بالتقليد على قواعد التقليد بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ

ای آنانکه گرویده اید بخورید از پاکیزه های آنچه روزی کردیم شما را و سپاس کنید مر خدا را اگر هستید که او را پرستید جز این نیست که حرام کرده است بر شما مردار و خون

وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ

و گوشت خوک را و آنچه آواز برداشته شود بدان برای غیر خدا پس هر که ناچار شود نا از روی ستم و گذشتن از حد پس نیست گناهی بر او بدرستی خدا آمرزنده مهربانست بدرستی آنانکه پنهان میدارند

مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ

آنچه را که فرستاد خدا از کتاب و میخرند بدان بهای کمی آن گروه نمیخورند در شکمهای خود مگر آتش را و گفتگو نکند با ایشان خدا روز

الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى

قیامت و پاک نسازد ایشان را و مر ایشان راست عذاب دردناک آن گروه آنانند که خریدند گمراهی را بدل از راستی و عذاب بدل از آمرزش پس چه قدر صبر وارند بر

النَّارِ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ القراءة الميتة بتشديد الياء يزيد

آتش این از جهت آنست که خدا فرستاد کتاب را بحق و بدرستی آنانکه اختلاف کردند در کتاب هر آینه در طرف دور مانده الباقون بالسكون فمن اضطر

بكسر النون وكسر الطاء يزيد الباقون بضمها الوقوف تعبدون لغير الله ج للشرط مع فاء التعقيب عليه ط رحيم قليلا لا لان ما بعده خبر ان يزكيهم ج
والوصل اولى لاتصال بعض جزائهم بالبعض اليم بالمغفرة ج للابتداء بالتعجب او الاستفهام والوجه الوصل للمبالغة في الانكار على النار بالحق ط للابتداء
بعيد ربع الجزء التفسير انه سبحانه تكلم من اول السورة الى ههنا في دلائل التوحيد والنبوة واستقصى شرح احوال النفاق والشقاق من المشركين واهل الكتاب
وذيل كلا من ذلك بما يناسبه من ههنا شرع في بيان الاحكام الشرعية الحكم الاول اباحة الاكل للمؤمنين بعد ما عم للناس كلهم وهذا بالنظر الى الاصل
وقد يصير واجبا لعارض كالواشرف على الهلاك بسبب المجاعة وقد يكون مندوبا كالموافقة للضيف المستدل بقوله طيبات ما رزقناكم على ان الرزق
قد يكون حراما فان الطيب هو الحلال فلو كان الرزق حلالا لا يبقى لذكر الطيب فائدة لانه يصير المعنى كلوا من حلال ما احللنا لكم واجيب بالمنع
من ان معنى الطيب ما ذكر بل المعنى كلوا من مستلذات ما رزقناكم ولعل فوائدها ان التوسع في الاكل الحلال والاستكثار من الملاذ ممنوع ثم رفع الحرج
واشكروا لله الذي رزقكموها ان كنتم اياه تعبدون ان صح انكم تخصونه بالعبادة وتقرون انه مولى النعم فان الشكر راس العبادة والترغيب يدور
على الكشف انهما ومنه كشر اذا كشف عن ثغره فنشر النعم وحصرها باللسان من الشكر ومعناها ان يستعين بالنعم على الطاعة دون المعصية وقال بعضهم
شعر: لئن نعما ابوح بشكرها وكفيتني كل الامور بامرها فلاشكرنك ما حييت وان امت فلتشكرنك اعظمي في قبرها عن النبي يقول الله تعالى ان

والبر والانس فيتناوله مطلقا ويبعد غيره ... ويمكن غيره لما الجمل في الاية يباح كله بل بعضها هو محرم ويبقى ما عداه على الاصل الاباحة فقيل
إنما حرم عليكم الميتة والدم ويتناول ما مات حتف انفه وما ابين من حي ... ذكاته على الوجه الشرعي وإذا كانت محرمة وجب الحكم بنجاستها اجماعا ولان تحريم ما ليس
بمحرم ولا فيه ضرر ظاهر يدل على النجاسة والنص في الاية اجمال عند الاكثرين لان المفهوم من تحريم الميتة ليس تحريم اعيانها وان المفهوم في العرف حرمة التصرف
في هذه الاجسام كما لو قيل فلان يملك جارية حلت له فهم منه انه يملك التصرف فيها فدل على هذا فالاية تدل على حرمة جميع التصرفات الا ما اخرجه
الدليل المخصص كالسمك والجراد لقوله صلى الله عليه وسلم احلت لنا ميتتان ودمان اما الميتتان فالجراد والنون واما الدمان فالطحال والكبد وقال صلى الله عليه وسلم في صفة البحر هو
الطهور ماؤه والحل ميتته وهذا عام لجميع الحيوانات التي لا تعيش الا في الماء وان لم تكن على صورة السمكة المشهورة ولا فرق ايضا بين ما يؤكل نظيره في البر
كالبقر والشاة وبين ما لا يؤكل كخنزير الماء وكلبه على اصح القولين للشافعي وقد زعم بعض الناس كصاحب الكشاف ان السمك والجراد يخرج بنفسه لان
الميتة لا يتناولهما عرفا وعادة ولهذا من حلف لا ياكل لحما فاكل سمكا لم يحنث وان اكل لحما في الحقيقة لقوله تعالى لتأكلوا منه لحما طريا وشبهوه بما لو حلف
لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث وان كان الكافر من الدواب لقوله تعالى إن شر الدواب عند الله الذين كفروا وفيه نظر لان عدم التناول عرفا انما هو بعد
تخصيص الشارع فلا يمكن ان يجعل دليلا على عمومه كالجنين الذي يوجد ميتا عند ذبح الام عند الشافعي وابي يوسف ومحمد هو المروي عن علي وابن
مسعود وابن عمر لقوله صلى الله عليه وسلم ذكاة الجنين ذكاة امه وقال ابو حنيفة لا يؤكل الا ان يخرج حيا فيذبح وحمل الحديث على الاضمار اي ذكاة الجنين كذكاة امه ورد
بان الاضمار خلاف الاصل وبانه اذا خرج لا يسمى جنينا وبانه لا يبقى للتخصيص فائدة لان ذلك معلوم ولما روي عن ابي سعيد انه صلى الله عليه وسلم سئل عن الجنين يخرج
ميتا فقال ان شئتم فكلوه فان ذكاته ذكاة امه وكشعر الميتة وصوفها فانها عند ابي حنيفة طاهرة لقوله تعالى في معرض الامتنان ومن اصوافها
واوبارها واشعارها اثاثا ومتاعا الى حين ولقوله صلى الله عليه وسلم في شاة ميمونة انما حرم من الميتة اكلها ولانهم كانوا يلبسون جلود الثعالب ولان الشعر
والصوف لا حيوة فيه لان حكم الحيوة الادراك والشعور ومن هنا ذهب مالك الى تحريم العظام دون الشعور وعند الشافعي الشعر والعظم ونحوهما كالقرن
والظلف والسن كلها نجسة لقوله صلى الله عليه وسلم ما ابين من حي فهو ميت ولان الحيوة عندنا عبارة عن كونه غير متعرض للفساد والتعفن وهذا المعنى يعم الشعر و
اللحم واما الاهاب فللفقهاء فيه مذاهب فعن بعضهم وسع الناس قول الزهري جوز استعمال الجلود باسرها قبل الدباغ ثم داود قال يطهر كلها بالدباغ
لقوله صلى الله عليه وسلم ايما اهاب دبغ فقد طهر ولان الدباغ يعيد الجلد الى ما كان عليه حال الحيوة من عدم التعفن ثم مالك يطهر ظاهر كلها دون باطنها ثم ابو حنيفة
يطهر كلها الا جلد الخنزير لهد سورته والادمي لكرامته واحترامه ثم الشافعي يطهر الكل الا جلد الكلب والخنزير ثم الاوزاعي وابو ثور يطهر جلد ما يؤكل لحمه فقط ثم
احمد بن حنبل والشيعة لا يطهر شيء منها بالدباغ لاطلاق الاية ولقول عبد الله بن حكيم اتانا كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بشهر لا تنتفعوا من الميتة
باهاب ولا عصب واختلف في انه هل يجوز الانتفاع بالميتة باطعام البازي والبهيمة فمنهم من منع منه حتى قال بعضهم اذا اطعم البازي من عند نفسه
على اكل الميتة وجب علينا منعه وجوز الشافعي استعمال النجس العين كجلد الكلب والخنزير بالضرورة كما اذا فاجأه قتال مع فقدان غيره وكدفع الحر والبرد المهلكين
ولا يجوز تجليل الكلب والخنزير لم يكن ضرورة وكذا استعمال النجس العين كودك الميتة والخنزير والزبل للاستصباح وتسميد الارض لعموم الحاجة القريبة
من الضرورة وقد نقل الاشياء عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسئل عن الفارة تقع في السمن فقال استصبحوا به ولا تاكلوه والدخان وان كان
نجسا لكنه قليل معفو عنه وعند ابي حنيفة اذا مات في الماء القليل ما ليس له نفس سائلة اي دم كالذباب والبعوض والخنفساء والعقرب وبنات وردان
لم يفسد الماء قال والكثر لان رطوبة هذه الحيوانات تشبه رطوبة النبات فهي حية وميتة على هيئة واحدة وعند الشافعي فيه قولان وما منه ...
عدا الدود والطعام من جملة ما ليس له نفس سائلة ... الا يحل الطعام الذي تولد منه بموته فيه بلا خلاف ان وقع في ماء او في مائع اخر فقولان ثم الذباب
والبعوض ونحوهما وان حكم بطهارة ميتها ففي حرمتها لانها مستقذرة مندرجة تحت عموم اسم الميتة وفي جواز اكل دود الطعام والفواكه فالقولان
وجهان والاظهر تحريمها عند الانفراد ومع هذه الاشياء يمكن ان يباح ثم سئل عبد الله بن المبارك ابا حنيفة عن طائر وقع في قدر مطبوخ فمات
فقال ابو حنيفة لاصحابه ما ترون فذكروا له عن ابن عباس ان اللحم يؤكل بعد ما يغسل فيهراق المرق فقال ابو حنيفة بهذا نقول على شرطه
ان كان وقع فيها في حال سكونها كما في هذه الرواية وان وقع فيها حال غليانها لم يؤكل اللحم ولا المرق قال ابن المبارك ولم ذلك قال لانه اذا سقط
فيها في حال غليانها فمات فقد خلطت الميتة اللحم واذا وقع فيها في حال سكونها فمات فقد سحقت الميتة اللحم فاستحسن ابن المبارك وعند ابي حنيفة
ذبح ما لا يؤكل لحمه يستعقب الطهارة وعند الشافعي لا يستعقبها كما لا يستعقب حل الاكل وكالوذبح المجوسي ماكول اللحم ولبن الشاة الميتة وانفحتها
طاهران عند ابي حنيفة وقال الشافعي ومالك لا لان الاية لا تتناولهما فان اللبن لا يوصف بانه ميتة بل ينجسهما بمجاورتها الميتة وبيض ماكول اللحم
اذا مات وجعل ذلك في جوفه فان كان متصلبا فظاهر بعد ان يغسل ... الا ما الدم فعند الشافعي جميعه محرم سواء كان مسفوحا او غير مسفوح لاطلاق الاية
الا الكبد والطحال للخبر وعند من يقول بتناول الاية لهما وعند من لا يقول بذلك تخصيص قال ابو حنيفة دم السمك ليس بمحرم واما لحم الخنزير فاجمعت
الامة على ان الخنزير بجميع اجزائه محرم وتخصيص اللحم بالذكر لان معظم الانتفاع متعلق به واما شعر الخنزير فغير داخل في الظاهر وان اجمعوا على تحريمه وتنجيسه
اختلفوا في انه هل يجوز الانتفاع به للخرز فقال ابو حنيفة ومحمد يجوز والشافعي لا يجوز واحتج ابو حنيفة بما نرى المسلمين يقرونه الا ما كفوا على استعماله
من غير نكير ولان الحاجة ماسة اليه واما ما اهل به لغير الله فمعناه رفع به الصوت للصنم وذلك قول اهل الجاهلية باسم اللات والعزى فاما اهل العمرة رفع صوته

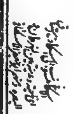

بالتلبية إلا العلماء أو لو أن مسلماً ذبح ذبيحة وقصد بذبحها التقرب إلى غير الله صار مرتداً وذبيحته ذبيحة مرتد وقدم به ههنا في هذه السورة وأخر في المائدة والأنعام
والنحل لأن تقديم الباء هو الأصل لأنه يجري مجرى الهمزة والتضعيف في إفادة التعدية فكان الموضع الأول هو الأولى بهذا الأصل وفي سائر المواضع
قدم ما هو المستنكر وهو الذبح لغير الله لهذه النكتة في سائر الآي ثم اكتفى بما ذكر في الموضع الأول ويستثنى مما أهل به لغير الله ذبائح أهل الكتاب إذا
سمى عليها باسم المسيح مثلاً لإطلاق قوله تعالى وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ ولأن النصارى إذا سموا الله فإنما يريدون به المسيح وهو مذهب عطاء
ومكحول والحسن والشعبي وسعيد بن المسيب وقال مالك والشافعي وأبو حنيفة وأصحابه إذا ذبحوا على اسم المسيح فقد أهلوا به لغير الله فوجب أن يحرم وإذا
ذبحوا على اسم الله فظاهر اللفظ يقتضي الحل ولا عبرة بما يريدون بالوالد المسيح وعن علي كرم الله وجهه إذا سمعتم اليهود والنصارى يهلون لغير الله فلا تأكلوا
وإذا لم تسمعوهم فكلوا فإن الله تعالى قد أحل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون واعلم أن ما يقولون عام الآية يقتضي أن لا يكون سوى هذه الأشياء محرماً
لكنا نعلم أن في الشرع أشياء أخر سواها من المحرمات فكلمة إنما متروكة العمل بظاهرها والله أعلم فمن اضطر افتعل من الضر وهو الضيق أي ألجئ وأحوج
من التحريم حالة الضرورة وللضرورة سببان أحدهما الجوع الشديد وأن لا يجد مأكولاً حلالاً يسد به الرمق فعند ذلك يكون مضطراً إلى أكل المحرم الثاني
إذا أكرهه على تناوله مكره فيحل له تناوله وإنما أكره عليه لأن الاضطرار ليس من أفعال المكلف حتى يقال إنه لا إثم عليه فيه فلا بد من إضمار وهو الأكل أي فمن
اضطر فأكل فلا إثم عليه وإنما حذف للعلم به وغير ههنا بمعنى النافية كأنه قيل فمن اضطر لا باغياً ولا عادياً والبغي في اللغة الظلم والخروج عن الإنصاف نحو
الجرح ورم وترامى إلى فساد وكل مجاوزة وإفراط على المقدار الذي هو حد الشيء فهو بغي والعدوان الظلم الصراح وتجاوز الحد وللأئمة في الآية قولان أحدهما
وإليه ذهب أبو حنيفة تخصيص البغي والعدوان بالأكل والمعنى على هذا فمن اضطر غير باغ بأن يجد حلالاً يكره النفس فعدل إلى أكل الحرام للذته ولا عاد أي متجاوز
قدر الرخصة للذة ولا عاد متجاوز سد الجوعة عن الحسن وقتادة والربيع وابن زيد غير باغ على مضطر آخر بالاستيثار عليه ولا عاد في سد الجوعة
الثاني وإليه ذهب الشافعي والإمامية غير باغ على إمام المسلمين ولا عاد بالمعصية طريق المحقين ويتفرع على الاختلاف أن العاصي بسفره هل
يترخص أم لا فعند أبي حنيفة يترخص لأنه مضطر وغير باغ ولا عاد في الأكل وعند الشافعي لا يترخص لأنه موصوف بالعدوان ويؤيده الآية الأخرى فمن اضطر
في مخمصة غير متجانف لإثم وأيضاً غير باغ ولا عاد حالان من الاضطرار فلا بد أن يكون وصف الاضطرار باقياً في الحالين ولن يكون كذلك إلا أنه حال الأكل
لا يبقى وصف الاضطرار وأيضاً الإنسان ينفر بطبعه عن تناول الميتة والدم فلا حاجة إلى النهي عن التعدي في الأكل وأيضاً إنه نفى ماهية البغي والعدوان
وإنما ينتفي عند انتفاء جميع أفرادها فيتحقق نفي العدوان في السفر كما هو مقصودنا وأما تخصيص البغي بالأكل كما ذهب إليه فترجيح من غير دليل حجة أبي
حنيفة قوله تعالى في آية أخرى وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وهذا الشخص مضطر فوجب أن يترخص وأيضاً قال تعالى وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ
وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ والامتناع عن الأكل سعي في قتل النفس فيحرم كما لو ترك دفع أسباب الهلاك عن نفسه إذا صال عليه جمل أو فحل أو حية
وأيضاً الضرورة تبيح تناول طعام الغير من دون الرضا بل على سبيل القهر وهذا التناول يحرم لولا الاضطرار فكذا ههنا أجاب الشافعي بأنه يمكنه أن يتوب
إلى أن يستباح هذه الرخص بالتوبة فإذا لم يتب فهو الجاني على نفسه ثم إن الرخصة إعانة على السفر فإذا كان السفر معصية فالرخصة إعانة على المعصية
والسعي في تحصيل المعصية محظور فالجمع غير ممكن ثم اتفق الأئمة على أن المضطر لا يأكل من الميتة إلا قدر ما يمسك به رمقه إلا أن يعجز عن المشي فله أن يأكل
الشبع قال عبيد الله بن الحسن العنبري يأكل منها ما يسد جوعته وعن مالك يأكل منها حتى يشبع ويتزود فإن وجد عنها غنى طرحها والأول أقرب لأن سبب الرخصة
إذا كان الإلجاء فمتى ارتفع الإلجاء ارتفعت الرخصة كما لو وجد الحلال لم يحل له تناول الميتة كما أن الجوعة في الابتداء لا تبيح أكل الميتة إذا لم يخف ضرراً بتركه
وهذه الرخصة شاملة لجميع المحرمات عند الأكثرين وبعضهم خصصها بما سوى لحم الخنزير والشافعي منع عن شرب الخمر لشدة العطش ودفع غصة اللقمة
وفي التداوي بها وجهان وبسائر المحرمات يجوز ولا يجب الامتناع إلى أن يشرف على الموت فإن الأكل حينئذ لا ينفع بل لو انتهى إلى تلك الحالة لم يحل له التناول لأنه
حدوث مرض مخوف في جنسه كخوف الموت وهكذا إن كان يخاف منه طول المرض أو تماديه بالأيسر وفي جميع ذلك الأغلب الظن دون اليقين ومعنى قوله فلا إثم
عليه رفع الحرج والضيق كما في قوله فلا جناح عليه أن يطوف بهما ورفع الحرج قدر مشترك بين الواجب والمندوب والمباح فلا ينافي وجوب الأكل في حالة
الاضطرار ومعنى قوله إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ أن المقتضي للحرمة قائم إلا أنه زالت الحرمة لوجود العارض فلما كان تناوله تناولاً لما حصل فيه المقتضي للحرمة
ذكر بعده المغفرة ثم ذكر أنه رحيم يعني لأجل الرحمة أبحت لكم ذلك ولعل المضطر يزيد على تناول قدر الحاجة فهو سبحانه غفور بأن يغفر ذنبه في تناول الزيادة
رحيم حيث أباح تناول قدر الحاجة أو لأنه لما بين هذه الأحكام فالمكلفون بالنسبة إليها إما أن يعصوا فذكر أنه غفور لهم إذا تابوا أو يطيعوا فهو رحيم
حيث وفقهم للطاعة إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ عن ابن عباس نزلت في رؤساء اليهود وعلمائهم كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب ونحوهما كانوا يصيبون من سفلتهم
الهدايا والفضول وكانوا يرجون أن يكون النبي المبعوث منهم فلما بعث من غيرهم خافوا ذهاب مأكلتهم وزوال رياستهم فعمدوا إلى صفة رسول الله فغيروها
ثم أخرجوها إليهم وقالوا هذا نعت النبي الذي يخرج في آخر الزمان لا يشبه نعت هذا النبي الذي بمكة فإذا نظرت السفلة إلى النعت المغير وجدوه مخالفاً لصفة النبي فلا
يتبعونه ويشترون به أي بالكتمان لأنه الفعل عليه بالمنزلة قد سبق معنى الاشتراء والثمن القليل في بطونهم أكل فلان في بطنه وأكل في بعض بطنه إلا النار
لأنه إذا أكل ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكأنه أكل النار كقولهم أكل الدم أي الدية التي هي بدل منه قال شعر أكلت دماً إن لم أرعك بضرة بعيدة مهوى القرط
طيبة النشر فهم كانوا يستنكفون عن أخذ الدية وبعيدة مهوى القرط كناية عن طول العنق ويمكن أن يقال إنهم ما يأكلون في الآخرة إلا النار لأكلهم في الدنيا الحرام
وذلك

مهوى القرط المعلقة من الأذن والمهواة والهواء والهوى بعيد مهواه يستلزم طول العنق

ولا يكلمهم بما يحبون لانهم كتموا كلام الله في الدنيا بل يخوخسئوا فيها ولا تكلمون او لا يكلمهم اصلا لغضبه عليهم كما هو دأب الملوك من الاعراض عند ولا قبال عند الرضاء ولا يزكيهم بالاثناء عليهم ويقبول اعمالهم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى بيان لتمادي بهم الخسارة فان احسن الاشياء في الدنيا الاهتداء والعلم واقبحها الضلال والجهل وفي الاخرة انفع الاشياء المغفرة واضرها العذاب فهم خسران لدارين لاستبدالهم في الدنيا اقبح الامور باحسنها وفي الاخرة اضر الاشياء بانفعها فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم في تلبسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم فان الراضي بموجب الشئ لا بد ان يكون راضيا بمعلوله ولا نمره اعلم ذلك اللزوم كما تقول لمن يتعرض لما يوجب غضب السلطان ما اصبرك على القيد والسجن هذا التعجب منهم حال التكليف اشتراؤهم الضلالة بالهدى ومن الاصم ان المراد انه اذا قيل لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون فهم يسكتون ويصبرون على النار لليأس من الخلاص وضعف بانه خلاف الظاهر وبان اهل النار قد يقع منهم الجزع والاستغاثة وقيل ان ما في فما اصبرهم للاستفهام بمعنى التوبيخ معناه اي شئ صبرهم عليها حتى تركوا الحق واتبعوا الباطل وهذا اصل معنى نقل التعجب والتعجب استعظام الشئ مع خفاء سبب حصول عظم ذلك الشئ هذا هو الاصل ثم قد يستعمل لفظ التعجب عند مجرد الاستعظام من غير خفاء السبب كما في قوله تعالى ذلك اي ذلك الوعيد الشديد وذلك الكتمان وسوء معاملتهم بما هو بسبب ان الله نزل الكتاب بنوع جنس الكتب التورية والقرآن بالحق او بالصدق وببيان انه قد نزل في جملة ما نزل ان هؤلاء الرؤساء من اهل الكتاب لا يؤمنون ولا يكون منهم الا الاصرار على الكفر لانه تعالى ختم على قلوبهم وان الذين اختلفوا في الكتاب جنسه فقالوا في البعض حق وفي البعض باطل وهم اهل الكتاب لفي شقاق وخلاف بعيد عن الحق او الذين اختلفوا في القرآن فقال بعضهم شعر وبعضهم سحر وبعضهم اساطير الاولين او الذين اختلفوا في التورية والانجيل فقدح كل منهما في الاخر او ذكر كل منهما للايات الدالة على نبوة محمد تاويلا اخر فاسدا وحرفوا كلا منها على وجه اخر لاجل هذا وذلك هم فيما بينهم في شقاق بعيد وتنازع شديد فلا ينبغي ان تلتفت الى اتفاقهم على العداوة فانه ليس فيما بينهم موالفة وموافقة ومن اهل الاسلام من اختلفوا في الكتاب لحق او داء ومثل من اختلف في الليل والنهار في معانيها واعلم ان الاية وان نزلت في اهل الكتاب بسببه ان تكون عامة في كل من كتم شيئا من باب الدين فيكون حكما ثابتا للمسلمين ومن يصلح ان يتمسك بها القاطعون بوعيد اصحاب الكبائر وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعقب هذا الحكم الاول ان اهل الكتاب قد حرموا بعض ما احل الله كلحوم الابل والبانها واحلوا بعض ما حرم الله كبعض الشحوم فبعث الانبياء بتحريمها بعضهم بعضا بجزائهم وجزاء اضرابهم والله اعلم التاويل الميتة جيفة الدنيا والدم هو الشهوات النفسانية ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم وقال النبي صلى الله عليه وسلم سدوا مجاري الشيطان بالجوع ولحم الخنزير زيادة الشره والحرص وما اهل به لغير الله كل ما يتقرب به الى الله رياء وسمعة ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من امن

نیست خوبی آنکہ بگردانید روی خود را بجانب مشرق و مغرب ولیکن خوبی آنست کسیکہ گرو

بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين واتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل

بخدا و روز و اپسین و فرشتگان و کتابہا و پیغمبران و بدہد مال خود را بر دوستی مال صاحبان خویشی و یتیمان و فقیران و راہگذاران

والسائلين وفي الرقاب واقام الصلوة واتى الزكوة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء

و سوالکنندگان و در بندہا و بر پا داشت نماز را و داد مال زکوۃ را و وفا کنندگان بپیمان خود را چون پیمان بستند و تحمل کنندہ گان در تنگدستی و ناخوشی

وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون القراءة ليس البر بنصب الراء حمزة وحفص الخراز عن هبيرة الباقون

و در ہنگام بدحالی کارزار آنانند کہ راستی کردند و آن گروہ ایشانند پرہیزگاران

بالرفع ولكن خفيفا البر رفعا وكذلك فيما بعد نافع وابن عامر الباقون بالتشديد والنصب الوقوف والنبيين ج لطول الكلام والاختلاف لان ما قبلها اصول الايمان وما بعده فروع وفي الرقاب ج لطول مع انتهاء شرع المكارم وابتداء اللوازم الزكوة ج عاهدوا ج لعطف المدح عن النسق الى المدح والتقدير هم الموفون واعني الصابرين البأس ط صدقوا ط المتقون التفسير هذا حكم اخر من احكام الاسلام عن قتادة ومقاتل ذكر لنا ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن البر فانزل الله تعالى هذه الاية قال وقد كان الرجل قبل الفرائض اذا شهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ثم مات على ذلك وجبت له الجنة وقيل كثر خوض المسلمين واهل الكتاب في امر القبلة فقيل ليس البر العظيم الذي يجب ان تذهلوا بشأنه عن سائر صنوف البر امر القبلة ولكن البر الذي يجب صرف الهمة اليه بر من امن وقام بهذه الاعمال وعلى هذا فالخطاب عام وقيل الخطاب لاهل الكتاب لان المشرق قبلة النصارى والمغرب قبلة اليهود وانهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين حولت الى الكعبة وزعم كل من الفريقين ان البر هو التوجه الى قبلته فرد عليهم بان ما انتم عليه خارج من البر اما اولا فلانه منسوخ واما ثانيا فلانه على تقدير صحته شرط من شرائط اعمال البر لان من جملتها الصلوة واستقبال القبلة شرط فيها ولن يكون شرط جزء الشئ تمام حقيقة ذلك الشئ وذلك ان البر اسم جامع للطاعات واعمال الخير المقربة الى الله ومنه بر الوالدين وهو استرضاؤهما بكل ما امكن والتركيب يدل على الاتساع ومنه البر خلاف البحر قيل ان قراءة رفع البر اولى لكون الاسم مقدما على الخبر على الاصل وقيل بالنصب اولى لان ان مع صلتها تشبه المضمر في انها لا توصف فصار بمنزلة الاختصاص من المظهر فهو اولى بان يكون اسما ولكن البر من امن على تقدير حذف المضاف اي بر من امن وقيل البر بمعنى البار مثل عدل وصوم اي صائم ومن المبرد لو كنت ممن يقرأ القرآن لقرأت ولكن البر بفتح الباء قال في التفسير الكبير انه تعالى اعتبر في تحقق ماهية البر امورا الاول الايمان بامور خمسة اولها الايمان بالله ولن يحصل العلم بالله الا عند العلم بذاته المخصوصة والعلم بما يجب ويجوز ويستحيل عليه ولن يحصل العلم بهذه الامور الا عند العلم بالدلائل الدالة عليها فيدخل فيها العلم بحدوث العالم

التقدير هكذا ولكن ذا البر من من ويحتمل ايضا

والعلم بالاصول التي عليها يتفرع حدوث العالم ويدخل في العلم بما يجب له من الصفات العلم بوجوبه وقدمه وبقائه وكونه عالما بكل المعلومات قادرا على كل الممكنات حيا مريدا سميعا بصيرا متكلما ويدخل في العلم بما يستحيل عليه العلم بكونه منزها عن الحالية والمحلية والضد والعرضية ويدخل في العلم بما يجوز عليه اقتداره على الخلق والايجاد وبعثة الرسل ثانيها الايمان باليوم الآخر ويتفرع على كونه عالما بجميع المعلومات قادرا على كل الممكنات ثالثها الايمان بالملائكة ورابعها الايمان بالكتب السماوية وخامسها الايمان بالنبيين وسبب هذا الترتيب ان المكلف مبدأ وسطا ونهاية ومعرفة المبدأ والمنتهى هو المقصود بالذات وهو الايمان بالله واليوم الآخر واما معرفة مصالح الوسط فلا يتم الا بالرسالة وهي منوطة بالوحي الذي ياتي به الملك فثبت ان كل ما يلزم المكلف التصديق به داخل في الآية الثاني ايتاء المال على حبه الضمير لله اي على حب الله او للمال عن ابي هريرة انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي الصدقة افضل قال ان تصدق وانت صحيح حريص تامل البقاء وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وعن ابي الدرداء انه قال مثل الذي يتصدق عند الموت مثل الذي يهدي بعد ما يشبع السبب في هذا انه يحصل للرجل عند ظن الموت حال الاستغناء عن المال فيكون الاعطاء عند الاستغناء عن المال اسهل على النفس من بذله عند الحاجة والاعطاء عند الصحة ادل على كونه متيقنا بالوعد والوعيد ممن اعطى في حال المرض والموت لما فيه من الخوف عن الفوت وقيل الضمير يرجع الى الايتاء اي يعطي ويحب ذلك الاعطاء رغبة في ثواب الله وقيل يرجع الى الله اي يعطي المال على حب الله وطلب مرضاته ثم ذكر سبحانه وتعالى من يؤتون المال اصنافا ستة اولهم ذو القرابة وثانيهم اليتامى وثالثهم المساكين وقد مر ما يتعلق بكل منهم في تفسير قوله تعالى واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وانما قدم ذوي القربى لانهم احق قال صلى الله عليه وسلم صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك ثنتان لانها صدقة وصلة ولا كاسبهم فلما ثبت الودادة ويجري مجرى ذلك بسبب الوصية حتى لا يتمكن من الوصية الا في الثلث فالاولى ذوي القربى والمراد الفقراء منهم الا بامر من تقديم اليتامى على المساكين لان الصغير الفقير الذي لا والد له ولا هو كاسب منقطع الحيلة من كل الوجوه ورابع الاصناف ابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله جعل ابنا للسبيل لملازمته له كما يقال للطير ابن الماء وللشجاع اخو الحرب وللناس بنو الزمان وقيل هو الضيف لان السبيل يرعفه بهم وخامسهم السائلون وهم المستطعمون ويدخل فيه المسلم والكافر وفي تعريفه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للسائل حق وان جاء على فرس وسادسهم المكاتبون واشار اليه بقوله وفي الرقاب اي في معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل في ابتياع الرقاب واعتاقها وقيل في فك الاسارى والرقاب جمع الرقبة وهو مؤخر اصل العنق واشتقاقها من المراقبة وذلك ان مكانها من البدن مكان الرقيب المشرف على القوم ولهذا يقال للملوك رقبة كانهم رقباء العدد ولا يقال العنق الثالث والرابع قوله واقام الصلوة واتى الزكوة وقد سلف مباحثها ثم ان الا حديث ذكر ايتاء المال في الوجوه المذكورة ثم قفاها بايتاء الزكوة ومن حق المعطوف ان يغاير المعطوف عليه غلب على ظنونهم ان في المال حقا سوى الزكوة وكيف لا وقد قال لا يؤمن بالله واليوم الآخر من بات شبعان وجاره طاو الى جنبه ولا خلاف انه اذا انتهت الحاجة الى الضرورة وجب على الناس ان يعطوه مقدار دفع الضرورة وان لم يكن الزكوة واجبة عليهم ولو امتنعوا من الاعطاء جاز الاخذ منهم قهرا وما روي عن علي ان الزكوة نسخت كل حق فالمراد الحقوق المقدرة مثل ان يلزم التصدق عند الضرورة والنفقة على الاقارب وعلى المملوك الخامس قوله والموفون بعهدهم اذا عاهدوا وهو مرفوع على المدح اي هم الموفون او عطف على من امن والمراد ما اخذه الله من العهود على عباده بقولهم وعلى السنة رسله اليهم بالقيام بحدوده والعمل بطاعته فقبل العباد ذلك حيث امنوا بالانبياء والكتب ويندرج فيه ما يلتزمه المكلف ابتداء من تلقاء نفسه مما يكون بينه وبين الله كالنذر والايمان او بينه وبين رسول الله كبيعة الرضوان بايعوه على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى ان لا يقولوا الا الحق اينما كانوا لا يخافون في الله لومة لائم او بينه وبين الناس واجبا كالعقود والمعاوضات او مندوبا كالمواعيد فلهذا قال المفسرون هم الذين اذا وعدوا انجزوا واذا حلفوا ونذروا اوفوا واذا ائتمنوا ادوا واذا قالوا صدقوا السادس والصابرين في البأساء والضراء وهو منصوب على المدح والاختصاص اظهارا لفضل الصبر في الشدائد ومواطن القتال على سائر الاعمال قال ابو علي انما اذا ذكرت الصفات الكثيرة في معرض المدح والذم فالاحسن ان تخالف باعرابها ولا تجعل كلها جارية على موصوفها لان هذا الموضع من مواضع الاطناب في الوصف والابلاغ في القول فاذا خولف باعراب الاوصاف كان المقصود اكمل لان الكلام عند اختلاف الاعراب يصير كانه انواع من الكلام وضروب من البيان وعند الاتحاد في الاعراب يكون وجها واحدا وجملة واحدة وذكر المحققون في فائدة اختلاف الحركة للمدح والذم ان اصل المدح والذم من كلام السامع وذلك ان الرجل اذا اخبر غيره فقال له قام زيد فربما اثنى السامع على زيد فقال ذكرت والله الظريف وذكرت العاقل او فهو والله الظريف هو العاقل فاراد المتكلم ان يمدحه بمثل ما مدحه به السامع فجرى الاعراب على ذلك اي اعني الظريف والعاقل والبأساء الفقر والشدة والضراء المرض والزمانة وهما فعلاء من البؤس والضر لا افعل لهما لانهما اسمان لا نعتان وحين البأس القتال في سبيل الله والجهاد واصل البأس الشدة الذين صدقوا في ايمانهم وجدهم اي الذين ذكرناهم اولئك هم المتقون نظيرهما تين الجملتين في القطع والاستئناف قوله اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون كما نقل للمتصفين بهذه الصفات وصفوا بالبر الذي هو وصل كل خير او جانب او اولئك الموصوفون هم الذين صدقوا في الاسلام وهم المتقون بسمة التقوى وكل منها منطو على جميع الخيرات متضمن لكل المأمورات والمنهيات فلهذا اتصفوا بتلك الصفات ثم ذكر الواحدي ههنا ان الواو في هذه الاوصاف للجمع فمن شرائط البر وتمام شرط البار ان يجتمع فيه هذه الاوصاف ومن قام بواحدة منها لم يستحق الوصف بالبر فلا ينبغي ان يظن الانسان ان الموفي بعهده من جملة من قام بالبر وكذا الصابر في البأساء بل لا يكون قائما بالبر الا عند استجماع هذه الخصال حتى قال بعضهم ان هذه من خواص

الانبياء والحق نبيا من سبقه ان يوجد الامر موصوفا بالبر الا ان كمال البر لا يكون الا في المتقي ولا سيما نبينا محمد ثم ان اهل الكتاب اخلوا بجميع ذلك
اما اخلوا بالايمان بالله فانه قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت اليهود يد الله مغلولة وذهب اليهود الى التجسيم والنصارى
الى الحلول والاتحاد وانكروا المعاد الجسماني وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى لن تمسنا النار الا اياما معدودة وقالوا ان جبرئيل
عدونا وكفروا بالكتب السماوية افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض وقتلوا النبيين وطعنوا في نبوة سيد المرسلين وانهم ابتغوا الشح
حتى اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا وحرفوا الكلم عن مواضعه ونقضوا العهد كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم ولم يصبروا في اللأواء ولن نصبر على
طعام واحد ولا حين البأس فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون فالعجب كل العجب منهم حيث ادعوا البر والتقوى وكل واحد من اخلاقهم
البر فيهم ومنه فائدة العمرة وغاية العناد والله حسبه بالعباد التأويل ليس البر بر كم بتولية وجوهكم قبل المشرق والمغرب لكن البر الحقيقي هو بر معكم
بتوليتكم وجوه ارواحكم بجذبات المحبة قبل الحضرة الربوبية المحبوبة ليلتئموا به لانه هو البر كما في الحديث يحبهم ويحبونه
لكم ليس بحدث كبر كرم من الله هو بر قديم في الكتاب القديم ويتولد من هذه المحبة محبون امنوا بالله ومن احب النبيين فانه حبيب الله ومن اتى المال على
ما حصل للعبد من بر الحق فيما ماله سر من عواطف الحق يتفضل على حبيبه بانه حقوق الشريعة والطريقة بالمعاملات القالبية والقلبية ذوي
القربى يجمع الروح والقلب والسر وقرابة الحق واليتامى المتولدات من النفس الحيوانية الامارة بالسوء اذا ماتت النفس عن صفاتها بسطوات تجلي صفات
الحق والمساكين وهم الاعضاء والجوارح وابن السبيل القوى البشرية والحواس الخمس فانهم في التردد والسفر الى عوالم المعقولات والمخيلات والمحسوسات والموهومات
والسائلين الدواعي الحيوانية والروحانية وفي الرقاب فك رقبة السر عن اسر تعلقات الكونين واقام صلاة الحاضرة مع الله بالله ولله واتى الزكاة زكاة الوجود
المجوهر الى اهل استحقاقها من الخلق وهم الموفون بعهدهم اذا عاهدوا مع الله بالتوحيد والعبودية الخالصة يوم الميثاق والصابرين في البأساء مراعاة
الحقوق والضراء مقاساة فنون الحظوظ وفناء الوجود عند لقاء الشهود وحين البأس سطوات تجلي صفات الجلال اولئك الذين صدقوا ببذل الوجود
واولئك هم المتقون من شرك الاثنينية والله اعلم ياايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد
اى گروه مردمان بگرويده ايد نوشته شد برشما قصاص در كشتگان مرد آزاد بآزاد و بنده به بنده
والانثى بالانثى فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن
وزن بزن پس هركه بخشيده شد از برادر خود چيزى پس بايد متابعه معروف و گذاردن به نيكوئى اين سبكى است از جانب خدا و مهربانى پس هركه
اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم ولكم في القصاص حيوة يا اولي الالباب لعلكم تتقون الوقوف في القتلى ط بالانثى ط
در گذشت پس از اين پس مر او راست عذابى دردناك ومر شما راست در قصاص زندگى اى صاحبان خرد شايد شما پرهيز كنيد لان العفو اعطاء الدية صلحا فكان
خارجا عن اصل موجب القتل مستانفا باحسان ط ورحمة ط لان الا عند اعتداء خارج عن اصل الموجب فرضه فكان مستانفا اليم تتقون التفسير هذا
حكم خص به هذه الامة لان اليهود كانوا يوجبون القتل فقط والنصارى يوجبون العفو فقط واما العرب فتارة كانوا يوجبون القتل واخرى يوجبون الدية لكنهم
كانوا يظهرون التعدي في كل واحد من الحكمين فاذا وقع القتل بين قبيلتين كان يقول الشريف الخسيس لنقتلن بالعبد منا الحر منهم وبالمرأة
منا الرجل من الرجلين منهم وكانوا يجعلون جراحاتهم ضعف جراحات خصومهم وربما زادوا على ذلك على ما يروى ان رجلا قتل رجلا من الاشراف
ثم اجتمع اقارب القاتل عند والد المقتول فقالوا ماذا تريد فقال احدى ثلث قالوا وما هي قال تحيون ولدي او تملأون داري من نجوم السماء او
تدفعون الي جملة قومكم حتى اقتلهم ثم لا ارى اني اخذت عوضا وكانوا يجعلون دية الشريف ضعف دية الخسيس فبعث الله محمدا بالعدل وسوى
بين عباده في القصاص وقيل نزلت في قتل حمزة ومعنى كتب فرض واوجب كقوله كتب عليكم الصيام ولفظة على ايضا تفيد الوجوب كقوله
ولله على الناس حج البيت والقصاص ان تفعل بالانسان مثل ما فعل من قولك اقتص فلان اثر فلان اذا فعل مثل فعله ومنه القصص لان
الحكاية تساوي المحكي والمقص لتعادل جانبيه وقوله في القتلى اي بسبب قتل القتلى كقوله في النفس المؤمنة مائة ابل اي بسببها فظاهر الاية يقتضي
وجوب القصاص على جميع المؤمنين بسبب جميع القتلى الا انهم اجمعوا على ان غير القاتل خارج عن هذا العموم واما القاتل فقد دخله التخصيص
ايضا في صور كالاب اذا قتل الولد والسيد عبده والمسلم حربيا او معاهدا او مسلما خطأ الا ان العام الذي دخله التخصيص يبقى حجة فيما
عداه فان قيل لو وجب القصاص لوجب اما على القاتل وليس عليه ان يقتل نفسه بل يحرم عليه ذلك انما على ولي الدم وهو مخير بين الفعل والترك
بل هو مندوب الى الترك والعافين عن الناس واما على الاجنبي ليس ذلك بالاتفاق والقصاص عبارة عن التسوية ووجوب غاية المساواة على
تقدير القتل لا يوجب نفس القتل فالجواب عن الاول ان المراد ايجاب اقامة القصاص على الامام او من يجري مجرى الامام لانه متى حصلت شرائط وجوب
القود فانه لا يحل للامام ان يترك القود وهو من جملة المؤمنين فالتقدير يا ايها الائمة كتب عليكم استيفاء القصاص ان اراد ولي الدم استيفاءه وهو مثل قوله الزانية والزاني والسارق والمحارب من
الحدود ولها اليمان يستوفي لما ثبت بالله فلا يعترض وكان امر القتل اشنع وفيه حق الآدمي كرره وعن الثاني ان ظاهر الاية يقتضي ايجاب التسوية في القتل
والتسوية في القتل صفة للقتل فايجاب الصفة يقتضي ايجاب الذات فالاية تفيد ايجاب القتل ثم اختلفوا في الكيفية المماثلة التي يجب رعايتها فعند
الشافعي ان كان قتله بقطع اليد قطعت يد القاتل فان مات عنه في تلك المدة والا حزت رقبته وكذلك ان احرق الاولى بالنار احرق الثاني

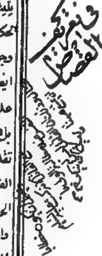

مات في تلك المرة والاجزء لقيت بقوله ﷺ من حرق حرقناه ومن غرق غرقناه ورضخ يهودي رأس جارية بالحجارة فامر رسول الله ﷺ بان يفعل به مثله
ولانه يجوز ان يقال كتب المساواة في القتل الا في كيفية القتل وحيث استثنى دخل تحته الحكم بالعموم يوجب التخصيص في بعض الصور كما لو قتل بالجرح
لانه محرم بل بالسيف كما لو قتل صغيرا باللواطة فانه يقتل بالسيف على الاصح لو لم يحكم بالعموم لزم الاجمال والتخصيص اهون منه وايضا لو لم يفد الآية
الا ايجاب المساواة في امر من الامور فلا شيئين الا وهما متساويان في بعض الامور فلا يستفاد من الآية شيء البتة وقال ابو حنيفة المراد بالمماثلة
تماثل النفس في تعين السيف ولقوله ﷺ لا قود الا بالسيف واتفقوا على ان القاتل اذا لم يتب واصر على ترك التوبة فان القصاص مشروع في حقه عقوبة
اما اذا تاب فقد اتفقوا على انه لا يجوز ان يكون عقوبة لان الدلائل الدالة على قبول التوبة وهو الذي يقبل التوبة عن عباده فما الحكمة في وجوب قتله
اجاب اصحابنا بانه يفعل ما يشاء ولا يسئل عما يفعل وقالت المعتزلة انما شرع ليكون لطفا وكيف يتصور هذا اللطف ولا تكليف بعد القتل قالوا فيه
منفعة القاتل من حيث انه اذا علم انه لابد ان يقتل صار ذلك داعيا له الى الخير وترك الاصرار والتمرد ومنفعة لولي المقتول من حيث التشفي ومنفعة لسائر
المكلفين من حيث الانزجار عن القتل قوله عز من قائل الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى الباء للبدل تقول بعت هذا بذاك اي الحر مقتول
بدل الحر ثم فيه قولان الاول يروى عن عمر بن عبد العزيز والحسن البصري وعطاء وعكرمة ان لا يكون القصاص مشروعا الا بين الحرين وبين الانثيين
وبين العبدين
الالف واللام يفيد العموم اي كل حر يقتل بحر فلو كان قتل حر بعبد مشروعا لكان ذلك الحر مقتولا بغير حر وهو مناقض للآية ولان هذا القول
خرج مخرج البيان لقوله كتب عليكم القصاص وايجاب القصاص على الحر بقتل العبد اهمال للتسوية فلا يكون مشروعا والى هذا ذهب الشافعي ومالك
وقالا لان قتل العبد بالعبد فلا يقتل بالحر وهو ضعيف ولكن القول في قتل الانثى بالذكر واما قتل الذكر بالانثى فليس فيه الا الاجماع وكان سنده ان
الذكورة والانوثة صفتان لا اثر لهما كالعلم والجهل والشرف والخسة فكما انه لم يفرق بين العالم والجاهل فكذلك بين الذكر والانثى ويروى عن عمرو بن حزم ان
النبي ﷺ كتب الى اهل اليمن ان الذكر يقتل بالانثى القول الثاني ويروى عن سعيد بن المسيب والشعبي والنخعي وقتادة والثوري وهو مذهب ابي حنيفة ان الحر
بالحر لا يفيد الحصر البتة بل يفيد شرع القصاص بين المذكورين من غير ان يكون فيه دلالة على حال سائر الاقسام لان قوله والانثى بالانثى يقتضي قصاصا
الحرة بالمرأة الرقيقة فلو كان قوله الحر بالحر والعبد بالعبد مانعا من ذلك لتناقض وايضا قوله كتب عليكم القصاص جملة مستقلة وقوله الحر بالحر تخصيص
لبعض جزئيات تلك الجملة بالذكر فلا يمنع من ثبوت الحكم في سائر الجزئيات ويؤيد ما ذكرنا قوله تعالى النفس بالنفس وقوله ﷺ المسلمون تتكافأ دماؤهم
وقد يقتل الجماعة بواحد فدل على ان التماثل غير معتبر في الانفس ثم انهم قالوا الفائدة في تخصيص هذه الجزئيات بالذكر ما ذكرنا في سبب النزول
انهم كانوا يقتلون بالعبد منهم الحر من قبيلة القاتل فمنعوا عن ذلك وايضا نقل عن علي والحسن البصري ان هذه الصورة هي التي يكتفى فيها بالقصاص اما
في سائر الصور وهي ما اذا كان القصاص واقعا بين الحر والعبد وبين الذكر والانثى فهناك لا يكتفى بالقصاص بل لابد من التراجع فايما حر قتل عبدا
فهو قود به فان شاء موالي العبد ان يقتلوا قتلوه بشرط ان يسقطوا ثمن العبد من دية الحر ويؤدوا الى اولياء الحر بقيته وان قتل عبد حرا فهو به قود
فان شاء اولياء الحر قتلوا العبد واسقطوا قيمة العبد من دية الحر وادوا بعد ذلك الى اولياء الحر بقية ديته وان شاؤوا اخذوا كل الدية وتركوا قتل العبد
وان قتل رجل امرأة فهو بها قود فان شاء اولياء المرأة قتلوه وادوا بعد ذلك نصف الدية الى اوليائه وان شاؤوا تركوا قتله واخذوا ديتها واذا
قتلت امرأة رجلا فهي به قود فان شاء اولياء الرجل قتلوها واخذوا نصف الدية وان شاؤوا تركوها واخذوا كل الدية فعلى هذا الغرض من الآية
ان الاكتفاء بالقصاص مشروع بين الحرين والعبدين والذكرين والانثيين فاما عند اختلاف الجنس فالاكتفاء بالقصاص غير مشروع قوله
تعالى فمن عفي له من اخيه شيء المعنى فمن عفي له من جهة اخيه شيء من العفو كقولك سير بزيد بعض السير وطائفة من السير ولا يصح ان يكون شيء في معنى
المفعول به لان عفا لا يتعدى الى مفعول به الا بواسطة فان قيل ان عفا يتعدى بعن لا باللام فما وجه قوله فمن عفي له قلنا الجواب انه يتعدى بعن الى
الجاني والى الذنب فيقال عفوت عن فلان وعن ذنبه قال تعالى عفا الله عنك فاذا تعدى الى الذنب والى الجاني معا قيل عفوت لفلان عما جنى
كما تقول غفرت له ذنبه وتجاوزت له عنه فمعنى الآية فمن عفي له عن جنايته فاستغنى عن ذكر الجناية وانما قيل شيء من العفو ليعلم انه اذا عفي له طرف
من العفو وبعض منه بان يعفى عن بعض الدم او عفا عنه بعض الورثة تم العفو وسقط القصاص ولم يجب الا الدية واخوه هو ولي المقتول وانما قيل
اخوه لانه لابسه من قبل انه ولي الدم ومطالبه به كما يقول الرجل للرجل قل لصاحبك كذا اذا كان بينهما ادنى تعلق وذكره بلفظ الاخوة ليعطف احدهما
على صاحبه بذكر ما هو ثابت بينهما من الجنسية والاسلام وقد تمسك بهذا اصحابنا على ان الفاسق مؤمن لانه تعالى اثبت الاخوة بين القاتل وبين ولي الدم
ولا شك ان هذه الاخوة بسبب الدين لقوله انما المؤمنون اخوة مع ان قتل العمد العدوان بالاجماع من الكبائر وايضا انه تعالى ندب الى العفو عن القاتل و
العفو انما يليق عن المؤمن يحتمل ان يجاب بان القاتل قبل اقدامه على القتل كان مؤمنا فلعله تعالى سماه مؤمنا بهذا التأويل وايضا فالقاتل قد يتوب
وعند ذلك يكون مؤمنا ثم انه تعالى سماه وعند التائب فيحمل على سبيل التغليب وايضا لعل الآية نزلت قبل ان يقتل احد احدا ولا شك ان المؤمنين اخوة
قبل الاقدام على القتل وايضا الظاهر ان الفاسق يتوب وعلى هذا التقدير يكون ولي المقتول اخا له وايضا يجوز ان يكون جعله اخا له في النسب كقوله
والى عاد اخاهم هودا فاتباع بالمعروف اي فليكن اتباع او فالامر اتباع وحكمه اتباع او فعليه اتباع فحمل على القاتل اتباع بالمعروف بان لا يشدد في المطالبة
بل يجري فيها على العادة المألوفة فان كان معسرا فالنظرة وان كان واجدا لعين المال فانه لا يطالبه بالزيادة على قدر الحق وان كان واجدا

الى ان الواجب فلا يمهله الى ان يتيسر فان لا يمنعه بسبب تباع عن تقديم الاهم من الواجبات على العفو عنه واداء اليه ما احتاجا بان لا يدعو الى اقدام
في حال الامكان ولا يؤخره مع الوجود ولا يقدم ما ليس بواجب عليه ان يؤدى ذلك المال على بشره وطلاقه وقول جميل من غير مطل ولا تعنت هذا قول ابن
عباس والحسن وقتادة ومجاهد وقيل هما على المعفو عنه فاتباع عفو العافى بمعروف يؤدى ذلك المعفو اليه باحسان وذلك قبل اشارة
الى الاتباع والاداء وعن ابن عباس هو الاقرب ذلك اشارة الى الحكم بشرع القصاص والدية والعفو فان هذه الامة خيرت بينهن توسعة وتيسيرا ولم
يكن الا القصاص في النصارى الا العفو واثبات الخير فضل من الله وذلك تخفيف من ربكم ورحمة لان ولى الدم قد يكون الدية اثر عنده من القود اذا كان محتاجا
الى المال وقد يكون القود اثر عنده اذا كان راغبا في التشفى ودفع شر القاتل عن نفسه وقد يؤثر ثواب الآخرة فيعفو عن القصاص وعن الدية جميعا وهو
الدية فمن اعتدى بعد ذلك التخفيف فجاوزه ما شرع له من قتل غير القاتل او الزيادة او قتل بعد اخذ الدية والعفو فقد كان الولى في الجاهلية
يؤمن القاتل بقبول الدية ثم يظفر به فيقتله فله عذاب اليم نوع من العذاب شديد الالم في الآخرة وعن قتادة العذاب الاليم ان يقتل لا محالة
ولا يقبل منه الدية كما روى انه صلى الله عليه وسلم قال لا اعافى احدا قتل بعد اخذه الدية وهو مذهب الحسن وسعيد بن جبير ومنعه غيرهم ولما كانت الآية مشتملة
على ايلام العبد الضعيف فلعله لا يليق بكمال الرحمة عقبها بقوله ولكم في القصاص حيوة قال المفسرون القصاص ازالة الشيء لا يكون نفس تلك الشيء والمراد
لكم في شرع القصاص حيوة واى حيوة وذلك انهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة وكم قتل مهلهل باخيه كليب حتى كاد يفنى بكر بن وائل وكان يقتل
غير القاتل فتثور الفتنة ويحتمل ان يراد نفس القصاص سبب لنوع من الحيوة وهى الحاصلة بالارتداع عن القتل لان القاتل اذا اقيد منه ارتدع من كان همّ
به بالقتل فلم يقتل فلم يقتل فكان القصاص سبب حيوة نفسين وقرأ ابو الجوزاء ولكم في القصص حيوة اى فيما قص عليكم من حكم القتل
والقصاص وقيل القصص القرآن اى لكم في القرآن حيوة للقلوب هذا وقد اتفق علماء البيان على ان قوله سبحانه في القصاص حيوة بلغ في
الايجاز نهاية الاعجاز وذلك ان العرب عبروا عن هذا المعنى بالفاظ كثيرة كقولهم قتل البعض احياء للجميع واكثروا القتل ليقل القتل واوجز تلك قولهم
القتل انفى للقتل وللترجيح مع ذلك للآية وجوه الاول ان قولهم ليس على ظاهره لان القتل ليس نفيا للقتل مطلقا بل هو ادعى له واخص
فقيل القتل قصاصا انفى للقتل ظلما فمال الى الآية تفيد هذا المعنى من غير تقدير تكلف الثانى ان القتل قصاصا لا ينفى القتل ظلما من حيث
انه قتل بل من حيث انه قصاص وهذه الحيثية معتبرة في الآية لا في كلامهم الثالث ان الحيوة هى الغرض الاصلى ونفى القتل انما يراد لحصول الحيوة
فالتنصيص على المقصود الاصلى اولى الرابع التكرار من غير ضرورة مستهجن انه في كلامهم لا في الآية الخامس ان الحروف الملفوظة التي يعتد
عليها في اعتبار الوجازة لا المكتوبة في الآية عشرة وفي كلامهم اربعة عشر السادس ان الاغلب في كلامهم اسباب خفاف وذلك مما يخل بسلاسة
التركيب لا يتوقع غاية وجاء في الآية السبب والوتد والفاصلة السابع ظاهر قولهم يقتضى كون الشيء سببا لانتفاء نفسه وهو محال وفي الآية
جعل نوع من القتل وهو القصاص سببا لنوع من الحيوة ولا استبعاد فيه لظهور التغاير الثامن المطابقة مرعية في الآية لمكان تضاد بين
لفظى القصاص والحيوة بخلاف كلامهم التاسع اشتمال الآية على لفظ يصلح للتفاؤل وهو الحيوة بخلاف كلامهم فانه يشتمل على نفى الشيء اكتفى بقوله العاشر
انه لا يلزم من التكرار اشتمال الآية على اسمين واداة واشتمال كلامهم على ثلاثة اسماء واداة وان اعتبرت اداة التعريف ففي الآية واحدة وفي كلامهم
ثنتان وان اعتبر التنوين في الآية تقاصت الادوات فبقى زيادة الاسماء بحالها على ان افعل التفضيل اذا لم يكن فيه اللام والاضافة فيحمل
من فتقدير كلامهم القتل انفى للقتل من كل شيء غاير الوجازة يا اولى الالباب يا ذوى العقول واولو جمع لا واحد له من لفظه وواحده ذو
بمعنى صاحب واولات للاناث واحدها ذات بمعنى صاحبة قال تعالى واولات الاحمال اعرابه كاعراب جمع المذكر السالم ولذا في ولو
رفعا لبينا وبين الى واخرى اولوا علية الى اللب العقل لب النخل قلبها وخالص كل شيء لبه خاطب العقلاء والذين يتفكرون في العواقب ويعرفون
ويحترزون جهات الخوف فلا يرضون باتلاف انفسهم لاتلاف غيرهم الا في سبيل الله لعلكم تتقون يتعلق بمحذوف اى اراكم ما في القصاص
من استبقاء الارواح وحفظ النفوس لتكونوا على بصيرة في اقامته راجين ان تعملوا عمل اهل التقوى في الحكم به وهو خطاب له فضل اختصاص
بالائمة او لعلكم تتقون نفس القتل لخوف القصاص عن الحسن والاصم وقد بقى على الآية بحث هو انه سئل اذا صح ان المقتول ان لم يقتل فهو
يموت لان المقتول بحيث لا يقدر وكذا اذا هم انسان بقتل آخر فارتدع خوفا من القصاص فان ذلك الآخر يموت وان لم يقتله ذلك الانسان لان كل
وقت علم وقوع قتله فيه وقوع موته فكيف يفيد شرع القصاص حيوة والجواب انه تعالى جعل لكل شيء سببا يوجد بسببه فاذا وجد وعدما او
شرعية القصاص لجعلها الله سببا للحيوة من اراد حيوة بعد ان تصور انه لو قتله قتل به فلم يقتله ويذكر القصاص فارتدع عما هم به فوقاية سر
القصاص في فائدة سائر الاسباب والوسائط ومنكرها منكر فائدتها كلا الانكارين مذموم وصاحبها عند العقلاء ملوم والله اعلم التاويل
كتب القصاص في قتلاكم كتب على نفسه الرحمة في قتلاه فقال من جنى قتلته ومن قتلته فانا ديته الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى اى من كان
متوجها اليه تعالى بالكلية كان فيضه تعالى متصلا به بالكلية ومن كان في رق غيره من المكونات لم يتصل به فيضه غاية الاتصال ومن كان ناقصا في عبوديته
محبته لم يكن مستحقا الكمال محبته فمن عفى له من الاحباب والاصفياء شيء من انواع البلاء والابتلاء الذي هو موكل بالانبياء والاولياء فانه معرفة
من معارفه فالواجب على العبد اداء شكره الى الله باحسان فمن اعتدى بعد ذلك اى ما عن اهل الجفا في طلب الحب فله عذاب اليم فان الكفر

موقعه وتحتم فلكم في القصاص حيوة الذين والبقاء برب الثقلين يا أولي الألباب الذين بلوا العقل الى حالاتين عند شهود جلال الصمد الملك
شر وجودكم كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ
نوشته شده برشما در وقتیکه حاضر شود یکی از شما را مرگ اگر گذارد مالی وصیت کردن برای پدر و مادر و خویشان بطریق پسندیده لازم است بر پرهیزگاران
فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ
پس هر که تغییر دهد او را پس از آنکه شنید او را پس جز این نیست که گناه آن بر آنهاست که تغییر میکنند آن را هر آینه خدا شنوا داناست پس هر که بترسد از وصیت کننده میل یا گناه پس اصلاح کند
بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ القراءة بالامالة حيث كان حمزة موص بالتشديد يعقوب وحمزة وعلى وخلف وعاصم بخلف حفص عن جبلة
در میان ایشان پس نیست گناهی بر وی هر آینه خدا آمرزنده مهربان است
والباقون بالتخفيف من الايصاء والوصية خبر كتب لان قوله الوصية مفعول كتب اسم الموت الفعل البعد
ولا عراض ظرف شرط بينهما او الوصية مبتداء وللوالدين خبره ومفعول كتب محذوف اى كتب عليكم ان توصوا ثم بين ان الوصية والوصل اولى
لئلا يحتاج الى الحذف والمرفوع لان الامر حق ذلك حقا او كتب الوصية حقا على المتقين لهذا وان كان مع ما فاء التعقيب كان الحكم خبر بعد الموت كذلك
علّق بحرم التفسير هذا الحكم اخر وقوله كتب عليكم يقتضى الوجوب كما مر والمراد من حضور الموت ظهور علامات الموت كان تحقق الموت يكون عاجزا عن الايصاء
والاكثرون قالوا المراد ظهور امارة الموت وهو المرض المخوف كما يقال لمن قارب بالبلد انه وصل وعن الاصم المراد فرض عليكم في حال الصحة الوصية بان
تقولوا اذا حضرنا الموت فافعلوا كذا وكذا وان ترك خيرا اى مالا ولا شك ان الخير قد ورد في القرآن بمعنى المال وما تنفقوا من خير وانه لحب الخير لشديد ومن
خير فقير لكن الائمة اختلفوا في المراد بالخير هاهنا بعد اتفاقهم على انه المال فعن الزهري انه المال قليلا كان او كثيرا بدليل قوله من خير فقير فمن يعمل
مثقال ذرة خيرا يره ولما تم اعتبار احكام المواريث فيما يبقى من المال قل او كثر قال تعالى وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر
نصيبا مفروضا فكذا الوصية ولان كل ما ينتفع به فهو خير والاكثرون على ان لفظ الخير في الاية مخصوص بالمال الكثير كما قيل فلان ذو مال انه
ان ماله يعتد به وحد اهل الحاجة وان كان اسم المال يقع في الحقيقة على كل ما يتموله الانسان من قليل وكثير كما اذا قيل فلان في نعمة من الله تعالى
فانه يراد تكثير النعم وان كان احد لا ينفك عن نعمة الله وهو باب من المجاز يسمونه نفى الاسم عن الشيء لنقصه ومنه قوله عليه السلام لا صلوة لجار المسجد الا
في المسجد لو كانت الوصية واجبة في كل ما ترك لم يكن لقوله ان ترك خيرا فائدة لان كل احد من يموت فانه اقل ما يتمول ثم القائلون بهذا منهم
من قال انه غير مقدر بمقدار معين ام لا فمنهم من قال انه غير مقدر ويختلف ذلك باختلاف حال الرجل فقد يوصف المرء لمقدار
المال بانه غنى ولا يوصف غيره بالغنى لذلك المقدار لاجل كثرة العيال او توسع النفقة فيكون التعيين في كل صورة موكولا الى الاجتهاد وهذا
بناء في اصل الايجاب ومنهم من قال انه مقدر ثم اختلفوا فعن على كرم الله وجهه انه دخل على مولى له في مرض الموت وله سبعمائة درهم فقال الا اوصى
قال لا قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال الكثير وعن عائشة ان رجلا قال لها اني اريد ان اوصى فقالت كم مالك قال ثلثة الاف قالت كم عيالك
قال اربعة قالت قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك فهو افضل وعن ابن عباس اذا ترك سبعمائة درهم فلا يوصى فاذا بلغ ثمانمائة
درهم اوصى وعن قتادة الف درهم وعن النخعي من الف الى خمسمائة درهم قال ابو البقاء جواب الشرط عند الاخفش الوصية بحذف الفاء اى فالوصية
للوالدين على الابتداء والخبر واحتج بقول الشاعر من يفعل الحسنات الله يشكرها وقال غيره جواب الشرط معنى الايصاء لا معنى الكتب بناء على ان
الوصية يكتب هو الوجه قبل المرفوع بكتب والجار والمجرور هو عليكم وليس بشيء واما اذا فهو ظرف لمعنى الوصية ولا يحتاج الى جواب الاقربين قيل
هم الاولاد عن ابن زيد وقيل من عدا الوالد عن ابن عباس ومجاهد وقيل جميع القرابات وقيل غير الوارث قوله بالمعروف يحتمل ان يكون المراد في الوصية
الطريقة الجميلة فلو حرم الفقير ووصى للغنى لم يكن معروفا ولو سوى بين الوالدين مع عظم حقهما وبين بنى العم لم يكن معروفا ولو اوصى لاولاد الجد البعيد
مع حضور الاخوة لم يكن ما ارتبه معروفا وحقا مصدر مؤكد اى حق ذلك حقا على المتقين على الذين اثروا التقوى وجعلوها مذهبا لهم وسيرة واعلم
الائمة القائلين بوجوب هذه الوصية اختلفوا في انها منسوخة ام لا اما ابو مسلم فانه اختار عدم النسخ وقال معناه كتب عليكم ما اوصى الله به من
توريث الوالدين والاقربين في قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم او كتب على المحتضر ان يوصى للوالدين والاقربين بتوفير ما اوصى الله به لهم عليهم
ان لا ينقص من انصبائهم اذ لا منافاة بين ثبوت الميراث للاقرباء مع ثبوت الوصية فالميراث عطية من الله تعالى والوصية عطية ممن حضره الموت فالوارث
يجمع له بين الوصية والميراث بحكم الايتين ولو قدر حصول المنافاة فهذه الاية توجب الوصية للوالدين والاقربين ثم اية الميراث تخرج القريب الذي
لا يكون وارثا داخلا في الاية وذلك ان من الوالدين من لا يرث بسبب اختلاف الدين والرق والقتل ومن الاقارب من يسقط في حال ويثبت في حال
ومنهم من يسقط في كل حال اذا كانوا ذوي رحم فاية الميراث مخصصة لهذه الاية لا ناسخة لها واكثر المفسرين والمعتبرين من الفقهاء على ان الاية منسوخة
قالوا النسخ باية المواريث وبالاجماع او بقوله صلى الله عليه وسلم ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث وهذا وان كان خبر واحد الا ان الامة تلقته بالقبول
حتى لحق بالمتواتر ويجوز نسخ القرآن به عند الجمهور ومن الائمة من قال انها منسوخة في حق من يرث ثابتة في حق من لا يرث وهو مذهب ابن عباس والحسن
والشعبي ومسروق وطاوس ومن الضحاك ومسلم بن يسار والعلاء بن زياد حتى قال الضحاك من مات من غير ان يوصى لاقربائه فقد ختم عمله بمعصية وقال
طاوس من اوصى للاجانب وترك الاقارب نزع منهم ورد الى الاقارب فقالوا الاية دلت على وجوب الوصية للقريب ترك العمل به في حق القريب الوارث

اما بآية المواريث وبقوله لا وصية لوارث وباجماع الامة فبقيت الآية دالة على وجوب الوصية للقريب الذي لا يكون وارثا والثانية قال به كثير من
حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه وفي رواية له شيء يريد ان يوصي به ان يبيت ليلتين وفي رواية ثلث ليال الا ووصيته مكتوبة عنده لكن الوصية لغير
الاقارب غير واجبة بالاجماع فوجب ان يخص الاقارب وهؤلاء القائلون بان الآية صارت منسوخة في حق القريب الذي لا يكون وارثا اختلفوا
في موضعين الاول نقل عن ابن مسعود انه جعل هذه الوصية للافقر فالافقر من الاقرباء وقال الحسن لفقرائهم والاغنياء سواء الثاني عن الحسن
وجابر بن زيد وعبد الملك بن يعلى انهم قالوا فيمن يوصي لغير قرابته وله قرابة لا ترثه يجعل ثلثا الثلث لذوي القرابة وثلث الثلث لمن اوصى له وعن
طاوس ان الاقارب كانوا محتاجين انتزعت الوصية من الاجنبي وردت الى الاقارب فمن بدله من غير الاوصياء او ما قال للميت او وصي به من شهد
ان كان موافقا للشرع بعدما سمعه وتحققه ولا معنى للسماع لو لم يقع العلم به اما الوصي فان يغير الوصية في الكتابة او في قسمة الحقوق واما الشاهد
فان يغير شهادته او يكتمها واما غيرهما فبان يمنع من وصول ذلك المال الى مستحقه وقيل النهي عن التغيير هو للموصي نهي عن تغيير الوصية عن المواضع التي
بين الله تعالى الوصية فيها لانهم كانوا يوصون في الجاهلية للابعد طلبا للفخر والشرف ويتركون الاقارب في الضر والفقر فامرهم بالوصية للاقربين واكده
على تركها فانما اثمه اي اثم الايصاء المغير او اثم التبديل الا على الذين يبدلونه فان الموصي لا يؤاخذ بذنب غيره ومنه يعلم ان الطفل لا يعذب بكفر ابيه وان الا
اذا امر الوارث بقضاء دينه فلم يقضه لا يعذب بتقصير ذلك الوارث فان الميت لا يعذب بجناية غيره عليه ان الله سميع عليم يسمع الوصية على حد
ويعلمها على صفتها فلا يخفى عليه ما فيه من التغيير الواقع فيها وفي ذلك وعيد للمبدل ووعد ثم انه سبحانه لما اطلق الايعاد على التبديل اتبعه قوله فمن
خاف ليعلم ان التغيير من الباطل الى الحق على طريق الاصلاح مستحسن شرعا كما هو حسن عقلا والخوف ههنا تفسيران احدهما الخشية فيشكل انه كيف
في مستقبل مظنون والوصية وقعت فعلت فاجيب بان المراد ان المصلح اذا شاهد الموصي يوصي فظهر منه امارات الجنف الذي هو الميل عن
طريق الحق مع ضرب من الجهالة او مع التأويل او شاهد منه اثما اي تعمدا بان يزيد غير المستحق او ينقص المستحق او يعدل عن المستحق فعند ظهور امارات
ذلك قبل تحقق الوصية يأخذ في الاصلاح بينهم اي بين اهل الوصية لان قوله من موص يدل على ما هو لا بما تم فكان الموصي يقول قد حضر
الوصي فالشاهد على وجه المشورة ان يأتي ان وصي بلا اضاعة دون الاقارب او بان ان يزيد فلانا مع انه غير مستحق للزيادة او ينقص فلانا مع انه مستحق الزيادة
فعند ذلك يصير الشاهد خائفا من حيف او اثم لا قاطعا بتحققه من الجانبين لان الموصي على وصيته فان له الفسخ ما دام في حياته وقد ان يحصل
التقية بما فعل وقد يجاوز عن المونة لا في الاخر ويعتقد ان ينفق او بتقدير موافقة الموصي على تلك لم يبعد ان يقع بين الورثة والموصى لهم تنازع فيما
نسبه الى الموصي فيه قد يفرح الى الجنف والاثم فيحتاج الى الاصلاح بالبرائتهم على قانون الشرع والتفسير الثاني ان تخاف بمعنى علم وقد يستعمل
الخوف والخشية مقام العلم لان الخوف منشأه ظن مخصوص وبين العلم والظن مشابهة من وجوه كثيرة فصح اطلاق احدهما على الاخر ومنه الاثابة امن ذلك
قولهم خفت ان ترسل السماء يريدون التوقع والظن الغالب الجاري مجرى العلم فعنى الآية ان الميت اذا اخطأ في وصيته او جار فيها متعمدا فلا حرج على
من علم ذلك ان يرده الى الاصلاح بعد موته وهذا قول ابن عباس وقتادة والربيع وفي الآية دليل على جواز الاصلاح بين الناس ويمنع اذا خاف
المصلح افضاء المنازعة الى ... وعند شرعا والغرض من قوله فلا اثم عليه رفع الحرج حتى لا ينافي الوجوب فيه مع ذلك نكتة هي ان الاصلاح بين
القوم يحتاج الى الاكثار من القول وذلك مما يتضمنه الاسهاب التكلم ببعض ما لا ينبغي فبين انه لما كان قصده الاصلاح فلا اثم عليه في هذا الجنس اذا كان غرضه الاصلاح محقا
ولهذا اتبعه قوله ان الله غفور رحيم وانه كانه قيل انا الذي اغفر الذنوب ثم ارحم المذنب فلان اوصل رحمتي الى المصلح مع تحمل عباء
الاصلاح اولى او المراد ان الموصي الذي قدم على الجنف والاثم متى اصلح خلل وصيته فان الله يغفر له ويرحمه بفضله وبهذا التأويل يجوز ان يرجع الضمير في
في قوله فلا اثم عليه الى الموصي على ان اكثر الائمة وان ذهبوا الى ان وجوب الوصية منسوخ بآية المواريث الا انهم اتفقوا على انها الآن جائزة في الثلث لحديث
انه عاد سعد بن ابي وقاص فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه ذو مال ولا يرثني الا ابنة لي افأوصي بثلثي مالي قال لا قال فبالشطر قال لا قال فبالثلث قال الثلث
والثلث كثير انك ان تدع ورثتك اغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون الناس فدل الحديث على المنع من الزيادة واستحباب النقصان عن الثلث ان كان
الورثة فقراء والوصية توسع فلا الا من الارث فاذا اراد الوصية فالاصل ان يقدم من لا يرث من اقاربه لان الله اعطى الاقربين الميراث ويقدم
منهم المحارم ثم يقدم بالرضاع ثم بالمصاهرة ثم بالولاء ثم بالجوار كما في الصدقات المنجزة فان اوصى للورثة بعضهم جاز لكن بالاجازة من سائر الورثة
كالوزاد على الثلث للاجنبي فان الزائد يحتاج الى اجازة الورثة التأويل كتب على الاغنياء الوصية بالمال لحظ الاولياء والوصية بالحال
والاغنياء يوصون في اعطاء الثلث والاولياء يخرجون من جميع الكل والغني ان حضر قلب احدكم مع الله وماتت نفسه عن الصفات
الحيوانية فعليها ان يوصي للوالدين وهما الروح العلوي والبدن السفلي فان النفس تولدت منهما وللاقربين وهم القلب والسر بترك كل من
يتعلم من المشارب الروحانية والجسمانية بالمعروف من غير اسراف وينقطع الالتفات عنهما من الشهوات مجتنبا من الرسوم والعادات كما قال صلى الله عليه وسلم
بعثت لرفع العادات وترك الشهوات وبعثت لاتمم مكارم الاخلاق ومن مكارم الاخلاق ان يجعل المشارب شربا واحدا والمذاهب مذهبا واحدا
وكل له نحو ولي دين ومذهب ... سولي وديني هواكم وانتم من الدنيا مرادي وهمتي مناي مناكم واختياري رضاكم حقا على المتقين من الشرك الخفي
ولهذا لم يقل على المسلمين والمؤمنين لانهم اهل الظاهر والمتقون هم اهل الباطن كما قال التقوى ههنا واشار الى صدره واحكام الظاهر يحتمل النسخ واحكام

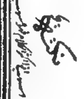

البواطن وهي الحكم والحقايق لا يحتمل النسخ فحكم الوصية في حق المتقين غير منسوخ ابداً فمن بدله فمن غير من الروح والقلب والسر الوصية الصادرة من نفس لميته فانما اثمه عليهم بسبب التوكيد ان السر والقلب والروح كلهم من العالم الروحاني صفاتهم جيدة ما فيه من تغير شارعها والخروج عنها صعب جداً فمن خاف تعرض من موص جنفاً في ترك المشارب بان يبالغ في المجاهدات لسبيل المشاهدات او اثماً تجاوز عن حد الشرع في رفع الطبع فاصلح بينهم بين الروح والبدن والقلب والسر ولكن بنظر كامل ومرب عارف فلا جرح على المصلح والله الموفق

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ۝ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ

القراءة فدية طعام مضافاً مساكين ابو جعفر ونافع وابن ذكوان وعند الحلواني لا ذكر هشام الجماعة فدية بالتنوين طعام بالرفع معناه الي مساكين بالجمع الباقون مثل هذا الا ان مسكين مفرد بجرد بغير تنوين يطوع بتشديد الطاء والواو وبياء الغيبة بجزم العين حمزة وعلى وخلف الباقون بلفظ الماضي من باب التفعل القرآن غير مهموز حيث كان ابن كثير وعباس وحمزة في الوقف فاذا كان بعض القراءة فان عباساً فيه تخير ان شاء همزه كقولهم وقرأت القرآن قرآن الفجر ولا تنقل بالقرآن ان علينا جمعه وقرآنه فاتبع قرآنه الباقون بالهمز اليسر العسر حيث كانا بضمتين يزيد الاقوله فالجاريات يسراً ولتكملوا العدة من التكميل ابو بكر وحماد وعباس وسهل الباقون من الاكمال الداع اذا دعان بالياء في الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو جعفر ونافع غير قالون وابو عمرو بالياء في الوصل الباقون بغير ياء فيهما في الحالين بي لعلهم بفتح الياء ورش الباقون بالسكون الوقوف تتقون لا لان اياماً ظرف الصيام او كان التقدير صوموا اياماً معدودات ط لان المريض والمسافر عارض فكانا خارجين عن الوضع آخر ط لان خبر الجار منتظر وهو فدية فلا تعلق له بما قبله مسكين ط لان التطوع خارج عن موجب الاصل خير له ط لان التقدير الصوم خير لكم تعلمون والفرقان ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب فليصمه ط للابتداء بشرط آخر آخر ط العسر ز لمن يجوز تشكرون قريب ط لان قوله اجيب مستأنف تعالى الله عن ان ينقص من بالغفار يرشدون نساءكم ط لهن ط عنكم ج لعطف الجملتين المختلفتين لكم ص لعطف المتفقتين من الفجر ص لذلك الى الليل ج وان اتفقت الجملتان لان حكم الصوم والاعتكاف مختلفان ولكل واحد شأن في المساجد ط لان تلك مبتدأ فلا تقربوها ط لان كذلك صفة مصدر محذوف اي يبين بياناً كبيان ما تقدم يتقون التفسير هذا حكم آخر والصيام مصدر صام كالقيام والعياذ وهو في اللغة الامساك عن الشيء قال الخليل الصوم قيام بلا عمل وصام الفرس صوماً اي قام على غير اعتلاف وقال ابو عبيدة كل ممسك عن طعام او كلام او سير فهو صائم وهو في الشرع عبارة عن الامساك عن اشياء مخصوصة يعني المفطرات كالاكل والشرب والوقاع في زمان مخصوص وهو من طلوع الفجر الصادق الى غروب الشمس لا في حيض ولا نفاس في غير يومي العيد بالاتفاق وفي غير ايام التشريق عند الاكثر وهو القول الجديد من قول الشافعي وفي غير يوم الشك بلا ورد او نذر او قضاء او كفارة ولا بد للصائم من الاسلام والنقاء عن الحيض والنفاس ومن العقل كل اليوم ومن النية لا الاغماء في جزء من اليوم وقوله سبحانه كما كتب على الذين من قبلكم اي على الانبياء والامم من لدن آدم الى عهدكم قال علي كرم الله وجهه اولهم آدم يعني ان الصوم عبادة اصلية قديمة ما اخلى الله امة من افتراضها عليهم لم يفرضها عليكم وحدكم لعلكم تتقون بالمحافظة عليها لعظمها او لعلكم تتقون المعاصي فان الصوم اظلف للنفس عن المعاصي وامنع لها من السوء او لعلكم تنتظمون في سلك اهل التقوى فان الصوم شعارهم وقيل معناه صومكم كصومهم في عدد الايام وهو رمضان كتب على النصارى فاصابهم موتان فزادوا عشراً قبله وعشراً بعده وقيل كان يقع في البرد

(١) الغرائب عجيب خ (٢) كان عرّقوا يطول عمران (٣) الغرائب عجيب وافي

شق عليهم فجعلوه بين الشتاء والربيع وزادوا عشرين كفارة ومعنى معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل مثل دراهم معدودة واصله ان المال
القليل يعد عدا والكثير يحثى حثيا كانه قال اني رحمتكم فلم افرض عليكم صيام الدهر كله ولا اكثره ولكن اياما قليلة وعلى هذا يحتمل ان يكون وجه الشبه
بين الفرضين مجرد تعليق الصوم بمدة غير متطاولة وان اختلف المدتان ثم ان الائمة اختلفوا في هذه الايام على قولين الاول انها غير رمضان
فعن عطاء ثلثة ايام من كل شهر وعن قتادة هي مع صوم عاشوراء ثم اختلفوا ايضا فقيل كان تطوعا ثم فرض وقيل بل كان واجبا واتفقوا انه نسخ بصوم
رمضان واستدلوا على قولهم انها غير صوم رمضان بما روي عن النبي صلعم ان صوم رمضان نسخ كل صوم فدل على ان صوما آخر كان واجبا ولانه
ذكر حكم المريض والمسافر في هذه الاية ثم في الاية التي بعدها فلو كان هذا الصوم صوم رمضان لكان تكريرا محضا ولانه ذكر في هذه الاية التخيير بين الصوم والفدية وصوم رمضان
واجب على التعيين فيختلفان والثاني وهو اختيار ابن عباس والحسن واكثر المحققين انها شهر رمضان اجمل اولا ذكر الصيام ثم بينه بعض البيان بقوله اياما
معدودات ثم كمل البيان بقوله شهر رمضان وهذا ترتيب في غاية الحسن من غير زيادة ولا نقصان واجيب عن اسئلة الاولين اما الاول فانه لعل المراد انه نسخ
وعن كل صوم فلم لا يجوز ان يراد به نسخ كل صوم وجب بالشرائع المتقدمة سلمنا ان المراد به صوم ثبت في شرعنا لكن لم لا يجوز ان يكون ناسخا لصوم
وجب بغير هذه الاية وعن الثاني ان صوم رمضان كان واجبا مخيرا وفي الاية الثانية جعل واجبا على التعيين فاعيد حكم المريض والمسافر ليعلم ان
ثابتا في رخصة الافطار ووجوب القضاء كحالهما اولا وعن الثالث ان الاختلاف مسلم في التخيير والتعيين اما في نفس الصوم فلا وههنا سؤال
وهو ان قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه كيف كان ناسخا للتخيير مع اتصاله بالمنسوخ والجواب ان الاتصال في التلاوة لا يوجب الاتصال في النزول
بل المقدم في التلاوة يمكن ان يكون ناسخا والمتاخر منسوخا كاية الاعتداد بالحول وهكذا ايات القرآن بين مكية متاخرة في التلاوة عن الاية
المدنية وذلك كثير قال القفال انظروا الى عجيب ما نبه الله عليه من سعة فضله ورحمته في هذا التكليف فبين اولا ان لهذه الامة في هذا التكليف
اسوة بالامم السالفة فان الامور الشاقة اذا عمت خفت ثم بين ثانيا وجه الحكمة في ايجاب الصوم وهو حصول التقوى ثم بين ثالثا انه مختص بايام قلائل
لا بكلها ولا باكثرها ثم بين رابعا انه خصصه من الاوقات بالشهر الذي نزل فيه القرآن ليعلم شرفه فيوطن النفس له ثم ذكر خامسا ازالة المشقة
في الزامه فاباح تأخيره لمن شق عليه من المسافرين والمرضى الى زمن الرفاهية والصحة هي هيئة يكون لها بدن الانسان في مزاجه وتركيبه بحيث
يصدر عنها الافعال كلها سليمة والمرض ضدها واختلفت الائمة في المرض والسفر المبيحين للافطار على اقوال احدها ان اي مرض كان واي سفر كان فله ان
يترخص تنزيلا للفظ المطلق على اقل احواله وهذا قول الحسن وابن سيرين يروى انه دخل على ابن سيرين في رمضان وهو ياكل فاعتل بوجع اصبعه وعن داود
الرخصة حاصلة في كل سفر ولو كان فرسخا وثانيها ان المرض الذي لو صام لوقع في مشقة وجهد وكذا السفر وهو قول الاصم وحاصله تنزيل اللفظ
على اكمل احواله وثالثها وهو قول الشافعي واكثر الفقهاء انه الذي يؤدي الى ضرر في النفس او زيادة في العلة اذ لا فرق في العقل بين ما يخاف منه
وبين ما يؤدي الى ما يخاف منه كالمحموم اذا خاف انه لو صام اشتدت حماه والارمد يخاف ان يشتد وجع عينه قالوا وكيف يمكن ان يقال كل مرض
مرخص مع علمنا بان في الامراض ما ينفعه الصوم فالمراد منه ما يؤثر الصوم في تقويته ثم يعتد به والتاثير اليسير لا عبرة به والمرض المرخص
لا يفرق فيه بين ان يعرف كونه كذلك بنفسه او يخبره بذلك طبيب حاذق بشرط كونه مسلما بالغا عدلا واصل السفر من الكشف لانه يكشف عن احوال
الرجال واخلاقهم وعن الازهري سمي مسافرا لكشف قناع الكن عن وجهه وبروزه للارض الفضاء قال الاوزاعي السفر المبيح مسافة يوم وعند الشافعي
مقدر بستة عشر فرسخا ولا يحسب منه مسافة الاياب كل فرسخ ثلثة اميال والاميال الهاشمية جده رسول الله صلعم وهو الذي قدر اميال البادية كل ميل اثنا
عشر الف قدم هي اربعة الاف خطوة والى هذا ذهب مالك واحمد واسحق وذلك ان تعب اليوم الواحد يسهل تحمله بخلاف ما اذا تكرر في يومين فيحسن مناسبة الرخصة
ولما روى الشافعي عن ابن عباس ان النبي صلعم قال يا اهل مكة لا تقصروا في اقل من اربعة برد من مكة الى عسفان قال اهل اللغة كل بريد اربعة فراسخ وروى الشافعي
ايضا عن عطاء قال لابن عباس اقصر الى عرفة قال لا فقال اقصر الى منى قال لا ولكن اقصر الى جدة وعسفان والطائف قال مالك بين مكة وجدة وعسفان اربعة برد وقال
ابو حنيفة والثوري رخصة السفر لا تحصل الا في ثلثة مراحل اربعة وعشرين فرسخا قياسا على المسح والاجماع على الرخصة في هذه المدة والخلاف
فيما دون ذلك فيبقى المختلف فيه على اصل وجوب الصوم واجيب بان قوله يمسح المقيم يوما وليلة لا يدل على انه لا يحصل الاقامة في اقل من يوم وليلة
لانه لو نوى الاقامة في موضع الاقامة ساعة صار مقيما وكذا قوله والمسافر ثلثة ايام لا يوجب ان لا يحصل السفر في اقل من ثلثة ايام وايضا الترجيح
للاطلاق لقوله في قصر الصلوة صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته وانما قال وعلى سفر دون ان يقول مسافرا كما قال مريضا لان
السفر يتعلق بقصده واختياره حتى لو عزم على الاقامة خرج منزله عن المنازل لم يبق على قصد السفر فلا يبيح الافطار وان كان مسافرا وهذا بخلاف
المرض فانه صفة قائمة به لا تنفك الا فعدة فعلة من العد بمعنى المعدود كالطحن بمعنى المطحون وعدة المراة من هذا وانما قيل فعدة على التنكير
ولم يقل فعدتها اي فعدة الايام المعدودات للعلم بانه لا يؤثر عدد على عددها وانه لا يأتي الا بمثل ذلك العدد ظاهرا فاغنى ذلك عن التعريف بالاضافة
والمعنى فعليه صوم عدة وقرئ بالنصب اي فليصم عدة واخر جمع اخرى تانيث آخر وانه غير منصرف للصفة والعدل عن الاخر من كذا واعلم ان قوما من علماء
الصحابة ذهبوا الى انه يجب على المريض والمسافر ان يفطرا ويصوما عدة من ايام اخر وهو قول ابن عباس وابن عمر حتى قالا لو صاما في السفر قضيا في الحضر
واختاره داود بن علي الاصفهاني وهو مذهب الامامية لان قوله فعدة اي فعليه عدة يشعر بالوجوب عليه لان قوله يريد الله بكم اليسر يقتضي

وافطر ان شئت

عن ارادة الافطار ولقوله صلى الله عليه وسلم ليس من البر الصيام في السفر وفي رواية بدل لام التعريف ميم التعريف وقول الصائم في السفر كالمفطر في الحضر وذهب اكثر الفقهاء الى
ان هذا الافطار رخصة فان شاء افطر وان شاء صام لما يجيء من قوله تعالى وان تصوموا خير لكم ولما روى ابو داود في سننه عن هشام بن عروة عن ابيه
عن عائشة ان حمزة الاسلمي سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني رجل اصوم افاصوم في السفر فقال صم ان شئت وافطر ان شئت قالوا ولا بد في الآية
اضمار النقد فمن كان مريضا او على سفر فافطر فعدة من ايام اخر كقوله او به اذى من رأسه ففدية اي فحلق فعليه فدية ثم اختلف هؤلاء فعند
الشافعي وابي حنيفة ومالك والثوري وابي يوسف ومحمد ان الصوم افضل وقالت طائفة الافضل الفطر واليه ذهب ابن المسيب والشعبي والاوزاعي
احمد واسحق وقيل الفضل الايسر منهما على الرجل واختلف ايضا في القضاء فعامة العلماء على التخيير وعن ابي عبيدة بن الجراح ان الله لم يرخص لكم في فطره
وهو يريد ان يشق عليكم في قضائه ان شئت فواتر وان شئت ففرق وعن علي كرم الله وجهه وابن عمر والشعبي وغيرهم انه يقضي كما فات متتابعا وفي
قراءة ابي فعدة من ايام اخر متتابعات قوله سبحانه وعلى الذين يطيقونه فيه ثلاثة اقوال الاول وهو قول اكثر المفسرين ان المعنى وعلى المطيقين للصيام
الذين لا عذر بهم لكونهم مقيمين صحيحين ان افطروا فدية هي طعام مسكين الفدية في معنى الجزاء وهو عبارة عن البدل القائم عن الشيء وانه نصف صاع
عند اهل العراق ومنهم ابو حنيفة نصف صاع من بر او صاع من غيره وعند اهل الحجاز ومنهم الشافعي هو مد من غالب قوت البلد لكل يوم ويصرف الى
الفقير المسكين قالوا وكان ذلك في بدء الاسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم فرخص لهم في الافطار والفدية عن سلمة بن الاكوع لما نزلت
وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين كان من اراد ان يفطر يفطر ويفتدي حتى نزلت فمن شهد منكم الشهر فليصمه فنسختها ومن قرأ
باضافة الفدية الى طعام فلاضافة فيه كهي في قولك خاتم حديد ومن قرأ مساكين على الجمع فلان الذين يطيقونه جمع فكل واحد منهم يلزمه طعام
مسكين لكل يوم والاخبار عبد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما ثبت ثلثة وسبعون درهما وثلث درهم الثاني ان هذا راجع الى المسافر والمريض وذلك ان
المريض والمسافر منهما من لا يطيق اصلا والى الاشارة بقوله فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر ومنهما من يطيق الصوم مع الكلفة
هو المراد بقوله وعلى الذين يطيقونه قالوا وهذا القول يلزم النسخ اولا فان نسخ التخيير بين الصوم والفدية عن المريض المطيق خلاف من نسخ التخيير عنه وعن
الصحيح المقيم الثالث انه في الشيخ الهرم عن السدي وعلى هذا لا يكون الآية منسوخة ويؤيده القراءة الشاذة يطوقونه تفعيل من الطوق اما بمعنى الطاقة
او القلادة اي يكلفونه ويقلدونه والتركيب يستعمل فيمن يقدر على شيء مع ضرب من المشقة والكلفة وبعضهم اضاف الى الشيخ الهرم الحامل والمرضع
اذا خافتا على نفسيهما او ولديهما واتفقوا على ان الشيخ اذا افطر فعليه الفدية واما الحامل والمرضع اذا افطرتا فقال الشافعي عليهما القضاء والفدية نحو
الرفث وقال ابو حنيفة لا يجب الا القضاء كيلا يلزم بين البدلين فمن تطوع خيرا بان يطعم مسكينين او اكثر او يطعم الواحد اكثر من القدر الواجب او صام مع
الفدية عن الزهري فهو اي التطوع خير له وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وتحملتم مشاق الصيام خير لكم من الفدية وتطوع الخير ويجوز ان
ينتظم في الخطاب المريض والمسافر ايضا عند من يرى ان الصوم لهما افضل ان كنتم تعلمون ان الصوم شاق عليكم وانه على ما به مكم او تعلمون
بالله فتخشونه فتمتثلون امره انما يخشى الله من عباده العلماء او تعلمون ما في الصوم من الفوائد البدنية والاخروية عن علي كرم الله وجهه ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل الصوم لي وانا اجزي به وللصائم فرحتان حين يفطر وحين يلقى ربه والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم اطيب عند الله من
ريح المسك وعنه صلى الله عليه وسلم ان في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه احد غيرهم وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من صام
رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وعن زيد بن خالد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من فطر صائما كان له مثل اجره غير انه لا ينقص من اجر الصائم شيئا وعن النبي صلى الله عليه وسلم يا معشر الشبان من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض
للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء وفي فضيلة الصوم ومناقبه اكثر من ان يحصى ولو لم يكن فيه الا التشبه بالملائكة والا
من حضيض حظوظ النفس البهيمية الى ذروة التشبه بالروحانيات المجردة لكفى به فضلا ومنقبة هذا صوم الشريعة فاما صوم الطريقة فالامساك
عما حرم الله عز وجل والافطار بما اباح وجل صوم الحقيقة الامساك عن الاكوان والافطار بمشاهدة الرحمن ومن صام عن غيره فلما تجلى كان
في شاغل عن الافطار فتشوق مدة ثم نال دنى حل عن ملك الافطار قوله عز من قائل شهر رمضان الشهر مأخوذ من الشهرة عن مجاهد رمضان
اسم الله تعالى وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تقولوا جاء رمضان وذهب رمضان ولكن قولوا جاء شهر رمضان فان رمضان اسم من اسماء الله وعلى
هذا شهر رمضان اي شهر الله والاكثرون على انه اسم علم للشهر كرجب شعبان ومنع الصرف للعلمية والالف والنون ثم اختلف في اشتقاقه
فعن الخليل انه من الرمض بتسكين الميم وهو مطر يأتي وقت الخريف يطهر وجه الارض عن الغبار سمي الشهر بذلك لانه يطهر الابدان عن اوضار الاوزار
وقيل الرمض بمعنى شدة الحر من وقع الشمس وفي الارض رمضاء وفي الكشاف الرمضان مصدر رمض اذا احترق من الرمضاء سمي بذلك اما لارتماضهم فيه
من حر الجوع كما سموه ناتقا لانه كان ينتقهم اي يزعجهم اضجارا بشدته عليهم ثم حقق لهم ان الازهري انهم كانوا يرمضون
اسلحتهم فيه ليقضوا منها اوطارهم في شوال قبل دخول الاشهر الحرم وقيل انهم لما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التي وقعت
فيها فوافق هذا الشهر ايام رمض الحر فسمي بذلك شهر رمضان يجمع على رمضانات وارمضاء ولضافة الشهر اليه اضافة العام الى الخاص ولو لم يلفظ

بالشهر جاز كقولهم صام رمضان ايمانا ما في الحديث لان التسمية وقعت برمضان فقط او ترتفع على انه مبتدأ خبره الذي انزل فيه القرآن وعلى انه بدل
من الصيام في قوله كتب عليكم الصيام وعلى انه خبر مبتدأ محذوف اي هي اي الايام المعدودات شهر رمضان وعلى هذين الوجهين يكون الموصول
مع صلته صفة لشهر رمضان قال ابو علي وعلى هذا الوجه يكون نصا في الامر بصوم الشهر والا كان خبرا عن انزال القرآن فيه وقرئ بالنصب على صوموا
شهر رمضان وعلى الابدال من اياما وعلى انه مفعول وان تصوموا وفي هذا الوجه نظر من قبل الفصل بين ان تصوموا ومعموله بالخبر وفائدة وصف
الشهر بانزال القرآن فيه التنبيه على علة تخصيصه بالصوم فيه وذلك انه كما خص باعظم آيات الربوبية ناسب ان يخص بما يشبه سمات العبودية فبقدر هضم
النفس يترقى العبد في مدارج الانس ويصل الى معارج القدس وبحسب زوال الحجب الناسوتية يطلع على الحكم اللاهوتية ويفهم معاني القرآن ويتبدل له العلم بالعيان
وكان ذلك من العجائب ظاهرا كانه قيل في انزال القرآن في رمضان اقوال عن سفيان بن عيينة نزل في فضله القرآن يقول انزل في حطه كذا وقال ابن الانباري
انزل في ايجاب صومه على الخلق القرآن كما تقول انزل الله في الزكوة كذا اي في ايجابها وانزل في الخمر كذا اي في تحريمها والقول الثاني ان مقاتلا وابن اوفى واحد فانه
لم ينزل سوى قوله يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام الآيات فلعلها الجمهور ان الله انزل القرآن في رمضان عن النبي صلى الله عليه وسلم نزلت صحف ابراهيم اول
ليلة من رمضان وانزلت التوراة لست مضين والانجيل لثلث عشرة والقرآن لاربع وعشرين ثم انه لا شك ان القرآن قد نزل منجما مفرقا على حسب
المصالح والوقائع فاولت الآية بان المراد انه ابتدئ فيه انزاله وعن ابن عباس ان ليلة القدر ومبادي الملل والدول التي يؤرخ بها اشرفها وانضبطها هذا قول
محمد بن اسحق او انه انزل جملة الى السماء الدنيا في ليلة القدر ثم نزل الى الارض نجوما وليس ببعيد ان يكون للملائكة الذين هم سكان سماء الدنيا مصلحة
في انزال ذلك اليهم دفعة او مصلحة الرسول من حيث توقع الوحي عن اقرب الجهات ولعل فيه مصلحة لجبرئيل لانه مامور بالانزال والتأدية ولا سيما على راي الفلاسفة
الذين جبرئيل عندهم هو العقل الفعال الاخير الذي يدبر عالم الكون والفساد وخاصة نوع الانسان وعلى هذا القول يحتمل ان يقال ان الله تعالى انزل كل القرآن
من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا ليلة القدر ثم نزله على محمد صلى الله عليه وسلم منجما الى آخر عمره ويحتمل ان يقال انه سبحانه كان ينزل الى السماء الدنيا ليلة القدر
كل سنة ما يحتاجون اليه في تلك السنة وكذلك ابدا الى ان تم انزاله وعلى هذا يكون تعيين رمضان الذي انزل فيه القرآن نوعيا لا شخصيا هدى للناس
وبينات منصوبان على الحالية اي انزل وهو هداية للناس الى الحق وهو آيات واضحات مكشوفات من جملة ما يهدي الى الحق ويفرق بينه وبين
الباطل من الكتب السماوية ويرد ان الهدى قسمان جلي مكشوف وخفي متشابه فوصفه اولا بجنس الهدى ثم قال انه من نوع البين الواضح ويحتمل ان
يقال القرآن هدى في نفسه ومع ذلك فيه ايضا بينات من هدى الكتب المتقدمة فيكون المراد بالهدى والفرقان التوراة والانجيل او يقال الهدى الاول
اصول الدين والثاني فروعه فيزول التكرار نقل الواحدي عن الاخفش والمازني ان الفاء في فمن شهد منكم زائدة اذ لا معنى للعطف والجزاء ههنا وهذا
وهم لظهور كونها للجزاء كانه قيل لما علم اختصاص هذا الشهر بفضيلة انزال القرآن فيه فاعلموا انه ايضا مخصوص بهذه العبادة ومعنى شهد اي حضر ثم قيل
ان مفعوله محذوف والشهر منصوب على الظرف وكذلك الهاء في فليصمه ولا يكون مفعولا به كقولك شهدت الجمعة لان المقيم والمسافر كلاهما شاهدا
الشهر والمعنى من شهد منكم في الشهر المذكور المعلوم البلد المقام فليصمه في الشهر صاحب هذا القول يرتكب الاضمار بعد من لزوم التخصيص في
حق المسافر الا انه يلزمه اضمار بمسلك لان الصبي والمجنون والمريض كل منهم شهد البلد مع انه لا يجب عليه الصوم اما اذا قيل الشهر مفعول به مثل
شهدت عصر فلان وادركت زمانه فلا يلزم منه الا العذر للامرين وهو التخصيص بقوله ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر فيكون اولى من الاول
لان الاضمار والتخصيص اذا تعارضا فالتخصيص اولى فكيف اذا اجتمع الاضمار والتخصيص في جانب والتخصيص وحده في جانب هذا ما قاله الامام فخر الدين الرازي
منتصرا به على صاحب الكشاف وتبعت الانصاف ان الترجيح مع صاحب الكشاف لان لزوم الاضمار في الآية ممنوع وذلك ان شهد ههنا منزل
منزلة اللازم كقولهم فلان يعطي ويمنع ومعنى من شهد من كان على حالة الحضر سواء كان في البلد او في منزل من المنازل نوى الاقامة واما التخصيص فمشترك
على القولين الا انه على قول صاحب الكشاف اقل لعدم دخول المسافر فيه فيكون اولى فان قيل فعلى هذا يكون قوله بعيد ذلك او على سفر تكرارا قلنا انما
اعيد ليترتب عليه حكم القضاء كالمريض وانه لا يلزم من ايجاب الصوم على الحاضر عدم ايجابه على المسافر ولو سلم فبالمفهوم ولا وبالمنطوق ثانيا فان من التكرار
وانما وضع المظهر وهو الشهر موضع المضمر حيث لم يقل فمن شهده اعتناء بشانه وتعظيما لمكانه وتمكينا في القلوب تعظيما في النفوس كقوله [illegible]
نحو يعطي الحق مسائلة ههنا بحث وهو ان قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه جملة شرطية وما لم يوجد الشرط بتمامه لم يترتب عليه الجزاء والشهر
عبارة من اول الى آخره فظاهر الآية يقتضي ان الصوم لا يجب عليه الا عند شهود الجزء الاخير وهو محال لانه يقتضي ايقاع الفعل في الزمان المنقضي واجيب بان
المراد من الشهر جزء من اجزائه وهذا مجاز مشهور او المعنى من شهد جزءا من اجزاء الشهر فليصم كل الشهر ثم ان كان هذا الجزء من اول الشهر كالو شهد هلال
رمضان فهذا هو الموافق لما نقل عن علي كرم الله وجهه ان من دخل عليه الشهر وهو مقيم ثم سافر وجب ان يصوم الكل واما سائر المجتهدين فيقولون هذا
عام يدخل فيه الحاضر والمسافر الا ان قوله ومن كان مريضا او على سفر خصصه كان كناية او الشهر وقوله فيه ففيه الجنون اذا افاق في اثناء الشهر
لزمه قضاء ما مضى عليه لا حاجة الى ارتكاب التجوز المذكور وهو اطلاق لفظ الشهر على جزء من اجزائه ولا يلزم منه المحال المذكور ولذا المراد من شهد الشهر
اجمع لكن بحيث قد يصح منه الصوم في جميع ايامه والمراد من عزم على كونه مقيما في الشهر فليصمه بعد ان تيسر ان كان حاضرا في بعضه يتعلق بايجاب الصوم
بذلك البعض فقط بدليل قوله ومن كان مريضا او على سفر فانه لما علم الوجوب على الحاضر في كله والرخصة للمسافر في كله علم ان حكم الحاضر في بعضه

والمسافر في البعض الآخر فكل يوم مستقل بنفسه فيما يقتضيه الصوم فيه عبادة مستقلة وكان ما نقل عن علي كرم الله وجهه من الرخصة غاية لحرمة الشمس
كالوادرك الحائض من اول الوقت قدر ما يسع تلك الصلوة وفي قول قدر ركعة وفي قول تكبيرة لزمها قضاؤها اذا طهرت واما ان شهر رمضان بم يثبت
حتى يعتبر الشهود فيه فعند خالد صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان غم عليكم فاستكملوا العدة يعني عدة شعبان ثلثين يوما ومنها شهادة عند
القاضي عدل واحد انه راى الهلال يثبت لما روي عن عمر انه راى الهلال احد فشهد عند النبي صلى الله عليه وسلم فامر الناس بالصوم ولما روي ان عليا شهد عنده
رجل على رؤية هلال رمضان فصام فقال الصوم من شعبان احب الي من ان افطر يوما من رمضان والاحتياط في امر العبادة ولا يثبت الهلال في سائر
الشهور الا برؤية عدلين وعند ابي حنيفة يثبت هلال رمضان في الغيم بواحد في الصحو يعتبر الاستفاضة واذا رأى في موضع شمل الحكم لمن هو على
دون مسافة القصر منه ولا يجب الصوم بذلك على من عداهم يريد الله بكم اليسر معناه في اللغة السهولة ومنه اليسار للغنى لانه يتسهل به الامور
بتيسير المقاصد ومنه اليد اليسرى لانها اعون الميامن ولان الامور تسهل بمعاونتها اليمنى والعسر نقيضه في الصحاح قال عيسى بن عمر كل اسم على ثلثة احرف
اوله مضموم واوسطه ساكن فمن العرب من يثقله ومنهم من يخففه فاوجب الصوم على سبيل السهولة لانه ما اوجبه الا في مدة قليلة من السنة ثم ذلك
القليل ما اوجبه على المريض والمسافر فههنا يتحقق صدق قوله صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السهلة السمحة ومن كمال الرأفة انه مع نفي الحرج والاضمار بقوله يريد الله
بكم اليسر ثم نفاه صريحا بقوله ولا يريد بكم العسر والظاهر ان الالف واللام في اليسر والعسر بعهد الصوم فيمكن ان يستدل به على عدم وقوع التكليف
بما لا يطاق والمعتزلة تمسكوا بالآية انه قد يقع من العبد ما لا يريد الله تعالى فان المريض لو حمل نفسه على الصوم حتى اجهد فقد فعل ما لم يرد الله
منه اذ كان يريد اليسر والجواب بان يحمل اللفظ على انه لا يامره بالعسر فانه كان تعديره الصوفان الامر عنده غير ثابت بدون الارادة فكانه يجوز
ان ما يريد لا يريد جاز ان يريد لا يامر قوله ولتكملوا اجمعوا على ان الفعل المعلل محذوف من الفعل المقدر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم
ولعلكم تشكرون شرع جملة ما ذكر من الامر بصوم العدة وتعليم كيفية القضاء والرخصة في اباحة الفطر وهذا نوع من اللف لطيف المسلك فقوله
لتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر ولعلكم تشكرون اي ارادة ان تشكروا علة الترخيص
والتيسير وعن الزجاج ان المحذوف فعل مقدر قبله كانه قيل لتعلموا ما تعملون ولتكملوا والفرق ان حذف النون في الاول للنصب وفي هذا للجزم
ولا يخفى ان قوله ولعلكم تشكرون يبقى في هذا الوجه غير مرتبط بما قبله الا ان يقال انه في قوة ولتشكروا وفيه بعد ويحتمل ان يقال ولتكملوا
معطوف على اليسر كانه قيل يريد الله بكم اليسر لا يريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفؤا وانما قيل ولتكملوا العدة ولم يقل ولتكملوا الشهر ليشتمل على
ايام الشهر وعدة ايام القضاء جميعا وعدى فعل التكبير بعلى لتضمنه معنى الحمد اي لتكبروا الله حامدين على ما هداكم والمراد بالتكبير قيل انه تعظيم الله
والثناء عليه شكرا على ما وفق لهذه الطاعة وتمام هذا التكبير انما يكون بالقول والاعتقاد والعمل فالقول ان يقر بصفاته العلى واسمائه الحسنى
وينزهه عما لا يليق به من الصاحبة والولد والتشبيه بالخلق وكل ذلك لا يصح الا مع الاعتقاد القلبي واما العمل فالتعبد بالاوامر والتعبد عن النواهي وهذا لا يختص
بوقت استكمال عدة رمضان ولكنه شامل لجميع الاحيان وقيل هو تكبير الفطر وانه مشروع في العيدين لما روي انه صلى الله عليه وسلم كان يخرج يوم الفطر والاضحى
رافعا صوته بالتهليل والتكبير حتى ياتي المصلى واول وقته في العيد جميعا غروب الشمس ليلة العيد عن احمد ومالك انه لا تكبير ليلة العيد وانما يكبر في يومه
لنا قوله تعالى ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم قال الشافعي سمعت من ارضى من اهل العلم بالقرآن يقول لتكملوا العدة اي عدة صوم رمضان ولتكبروا الله
عند اكمالها واكمالها بغروب الشمس آخر يوم رمضان واما آخر التكبير فاصح الاقوال انهم يكبرون الى ان يتحرم الامام بصلوة العيد لان الكلام مباح
الى تلك الغاية والتكبير اولى ما يقع به الاشتغال والمسنون في صيغته ان يكبر ثلثا نسقا وبه قال مالك وقال احمد وابو حنيفة يكبر مرتين لنا الرواية
عن جابر وابن عباس ولانه تكبير موضوع شعار العيد فكان وترا كتكبيرة الصلوة قال الشافعي وما زاد من ذكر الله فحسن واستحسن في الام ان يكون
زيادتها ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قاله على الصفا وهو الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه
مخلصين له الدين ولو كره الكافرون لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده لا اله الا الله والله اكبر قال
في الشامل والذي يقوله الناس لا باس به ايضا وهو الله اكبر الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر الله اكبر ولله الحمد ويرفع الناس اصواتهم بالتكبير ليلتي العيد
في المنازل والمساجد والطرق والاسواق سفرا كانوا او حاضرين وفي اليومين في طريق المصلى وبالمصلى الى الغاية المذكورة وسواء المصلي المكبر مع الامام
او لا يصلي ويستثنى من ذلك الحاج فلا يكبر ليلة الاضحى واختلف في ان التكبير في اي العيدين اوكد ففي القديم ليلة النحر لاجماع السلف عليها وفي الجديد
ليلة الفطر لورود النص فيها قوله سبحانه واذا سألك عبادي عني وجه اتصاله بما قبله هو انه لما امر العباد بالتكبير الذي هو الذكر وبالشكر
بين لهم انه مطلع على ذكرهم وشكرهم فيسمع نداءهم ويجيب دعاءهم ولا يخيب رجاءهم او لما امرهم بالثناء ثم رغبهم في الدعاء تعليما للمسئلة وتنبيها
على حسن الطلب وسبب نزوله ما روي ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه وقيل كان في غزاة وقد رفع اصحابه اصواتهم
بالتكبير والتهليل والدعاء فقال صلى الله عليه وسلم انكم لا تدعون اصم ولا غائبا انما تدعون سميعا قريبا ومر قتادة ان الصحابة قالوا يا نبي الله كيف ندعو ربنا
فنزلت وعن عطاء انهم سألوا في اي ساعة ندعو فنزلت وقيل فرض عليهم الصيام كما كتب على الذين من قبلهم اي اذا ناموا حرم عليهم ما يحرم
على الصائم فشق ذلك على بعضهم حتى عصوا ربهم في ذلك التكليف ثم ندموا وسألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن توبتهم فنزلت مبشرة بقبول توبتهم ونسخ ذلك

نكات

العدة والتكبير

عز جنده

في رفع الصوت بالمناجاة

التشديد بسبب ذنبهم ونقض عهدهم وبهذا الوجه تصير الآية مناسبة لما قبلها ولما بعدها ثم ان سؤالهم النبي صلى الله عليه وسلم عن الله اما ان يكون عن ذاته بان يكون
السائل ممن يجوز التشبيه فيسأل عن القرب والبعد بحسب الذات واما ان يكون عن صفاته بان يسأل هل يسمع دعاءنا او عن افعاله بانه اذا سمع دعاءنا فهل
يجيبنا الى مطلوبنا او كيف اذن في الدعاء وهل اذن في ان ندعوه بجميع الاسماء او ما اذن الا بان ندعوه بما سماه معينة وهل اذن ان ندعو
كيف شئنا او ما اذن الا ان ندعوه على وجه معين كما قال ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وكل هذه الوجوه محتملة لان قوله فاني قريب يدل
على ان السؤال كان عن الذات وقوله اجيب دعوة الداع دليل على ان السؤال عن الصفة لان الاجابة بعد السماع والاطلاق قوله اذا دعان يرشد
الى الاذن في الدعاء على اي نحو اراد ما لم يتجاوز حدود الادب بعرف الشرع وقوله ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها قال العلماء ليس القرب ههنا بالمكان

لانه لو كان في المكان كان مشارا اليه بالحس وحينئذ اما ان يكون في الصغر والحقارة كالجوهر الفرد وكل منقسم مفتقر في تحققه الى اجزائه وكل
ممكن وايضا لو كان في المكان فاما ان يكون غير متناه من جميع الجوانب فهو محال فان كل بعد متناه ببرهان تناهي الابعاد او من جانب واحد فكذلك
مع انه يكون بحيث يقتضي جانب منه عدم التناهي وجانب منه التناهي يوجب كونه مركبا من اجزاء مختلفة الطبائع او يكون متناهيا من جميع الجوانب
وهو باطل بالاتفاق والآية هذه الآية من اقوى الادلة على ان القرب ليس بالجهة لانه لو كان في المكان لما كان قريبا من الكل بل لو كان قريبا من
حملة العرش يكون بعيدا عن غيرهم ولو كان قريبا من المشرق كان بعيدا عن المغرب فلما ثبت ان المراد بالقرب قربه بالتدبير والحفظ والكلاءة قال
في الكشاف هو تمثيل لحاله في سهولة اجابته لمن دعاه وسرعة انجاحه حاجة من سأله بحال من قرب مكانه فاذا دعي اسرعت تلبيته ونحوه ونحن
اقرب اليه من حبل الوريد وقوله صلى الله عليه وسلم هو بينكم وبين اعناق رواحلكم وقد اشار بعض المحققين الى ان اتصاف ماهيات الممكنات بوجوداتها لما كان بايجاد
الصانع فهو كالمتوسط بين ماهياتها ووجوداتها فيكون اقرب الى ماهية كل ممكن من وجود تلك الماهية اليها بل ماهية كل شيء انما صارت هي هي بجعل
الصانع حتى ماهية الوجود فيصار الجوهر جوهرا والسواد سوادا والعقل عقلا والنفس نفسا فالصانع اقرب الى كل ماهية من تلك الماهية الى نفسها فلفت

استيعاب المكان لا يوجب الافتقار الى المكان وان سلم ان كل مفتقر الى المكان منقسم فانقسام كل مستوعب المكان ممنوع وبراهين تناهي الابعاد
مختلة زيفناها في مواضعها فلا ذرة من ذرات العالم الا ونور الانوار محيط بها قائم عليها اقرب منها من وجودها اليها لا بمجرد العلم فقط ولا
بمعنى الصنع والايجاد فقط بل بضرب آخر لا يكشف المقال عنه غير الخيال مع ان التعبير عن بعض ذلك يوجب شنعة الجهال شعر تعرت اليه حذار الرقيب
وكيف انا سر الحبيب حبيب؛ اذا ما تلاشيت في نوره؛ يقول لي ابع فاني قريب؛ وان سألوا اين ربنا صح الجواب باني قريب. وان سألوه هل يسمع
ربنا دعاءنا صح الجواب باني قريب وان سألوا كيف ندعوه ابرفع الصوت ام باخفائه صح ان يجاب باني قريب ان سألوه هل يعطينا مطلوبنا
بالدعاء صح في الجواب فاني قريب وان سألوا اذا اذنبنا ثم تبنا فهل يقبل الله توبتنا صح ان يجاب فاني قريب اي بالنظر اليهم والتجاوز عنهم
واعلم ان الدعاء مصدر دعوت ادعو وقد يكون اسما تقول سمعت دعاء كما تقول سمعت صوتا وحقيقة الدعاء استدعاء العبد ربه جل جلاله العناية
والاستمداد والمعونة قال بعض الظالمين لا فائدة في الدعاء لان المطلوب به ان كان معلوم الوقوع عند الله كان واجب الوقوع والا فلا لان
الاقدار سابقة والاقضية جارية وقد جف القلم بما هو كائن فالدعاء لا يزيد فيها شيئا ولا ينقص ولان المقصود ان كان من مصالح العبد فالجواد

المطلق لا يبخل به وان لم يكن من مصالحه لم يجز طلبه ولان اجل مقامات الصديقين الرضاء بالقضاء واهمال حظوظ النفس والاشتغال بالدعاء
ينافي ذلك ولان الدعاء شبيه بالامر والنهي وذلك خارج من الادب ولهذا ورد في الكلام القدسي من شغله قراءة القرآن عن مسألتي اعطيته
افضل ما اعطي السائلين وقال جمهور العقلاء ان الدعاء من اعظم مقامات العبودية وانه من شعار الصالحين ودأب الانبياء والمرسلين والقرآن
ناطق بصحته عن الصديقين والاحاديث مشحونة بالادعية المأثورة بحيث لا مطمع فيه للانكار ولا مجال للعناد والسبب العقلي فيه ان كيفية علم الله
وقضائه وقدره غائبة عن العقول والحكمة الالهية تقتضي ان يكون العبد معلقا بين الرجاء والخوف اللذين بهما تتم العبودية وبهذا الطريق صححنا القول
بالتكاليف مع الاعتراف باحاطة علم الله وجريان قضائه وقدره في الكل وما روي عن جابر بن عبد الله ان سراقة بن مالك بن جعشم قال يا رسول الله بين لنا ديننا
كانا خلقنا الان فيم العمل اليوم افيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير ام فيما يستقبل قال بل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير قال ففيم العمل قال
اعملوا فكل ميسر لما خلق له وكل عامل بعمله ينبه على ما قلنا فانه صلى الله عليه وسلم علقهم بين الامرين رهبهم بسابق القدر ثم رغبهم في العمل ولم يترك احد الامرين للآخر
فقال كل ميسر لما خلق له يريد انه ميسر في ايام حياته للعمل الذي سبق له القدر قبل وجوده الا انك تحب ان تعرف ههنا الفرق بين الميسر والمسخر كيلا تغرق في لجة
القضاء والقدر وكذا القول في باب الرزق والكسب والحاصل ان الاسباب والوسائط والروابط معتبرة في جميع امور هذا العالم ومن جملة الوسائل في
قضاء الاوطار الدعاء والالتماس كما في الشاهد فلعل الله تعالى جعل دعاء العبد سببا لبعض مناجحه فاذا كان كذلك فلا بد ان يدعو حتى يصل
الى مطلوبه ولم يكن شيء من ذلك خارجا عن قانون القضاء لما سبق في اصحاب الكتاب المسطور ومن فوائد الدعاء اظهار شعار الذلة والانكسار والاقرار
بسمة العجز والافتقار وتصحيح نسبة العبودية لانخراط في عداد النقصان الامكاني والافلاس عن ذروة الترفع والاستغناء الى حضيض الاستكانة
والحاجة والفاقة ولهذا ورد من لم يسأل الله يغضب عليه فاذا كان الداعي عارفا بالله وبما انه لا يفعل الا ما وافق مشيئته وسبق به قضاؤه
وقدره ودعا على النمط المذكور من غير ان يكون في دعائه حظ من حظوظ النفس لا مادة لحيا فيما عند الله من الخير ضائعا من الاقدام على موقف

لطفه اذ ولمنا اجابته بان يكون استجابته صورة الاستدلال كان دعاؤه مليقا بالاجابة وجديرا بالقبول وان يتوسل بركته عليه السلام قال ما من رجل يدعو
بدعاء الا استجيب له فاما ان يعجل له في الدنيا واما ان يدخر له في الآخرة واما ان يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا ما لم يدع باثم او قطيعة رحم او يستعجل قالوا
يا رسول الله وكيف يستعجل قال يقول دعوت ربي فما استجاب لي واما هيئة الداعي فعن ابي هريرة ان رسول الله صلعم قال ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة
واعلموا ان الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه وعن ابن عباس ان رسول الله صلعم قال سلوا الله ببطون اكفكم ولا تسئلوه بظهورها فاذا فرغتم فامسحوا
بها وجوهكم واما شرائط الدعاء فمنها بعد ما مر من الاخلاص تحري تزكية البدن واصلاحه بلقمة الحلال ذكر النبي صلعم الرجل يطيل السفر يمد يديه الى السماء
اشعث اغبر يقول يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فانى يستجاب لذلك ذكر المحققون ان الدعاء مفتاح
باب السماء واسنانه لقمة الحلال ومنها وقت الدعاء ففي الصحيحين عن ابي هريرة ان النبي صلعم قال ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل
الآخر فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسألني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له وعن ابي امامة قال قيل يا رسول الله صلعم اي الدعاء اسمع قال جوف الليل
الآخر ودبر الصلوات المكتوبات وعن انس ان رسول الله قال الدعاء بين الاذان والاقامة لا يرد زاد في رواية قالوا فماذا نقول يا رسول الله
قال سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة وعن ابي هريرة ان رسول الله صلعم قال اقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد فاكثروا الدعاء وعنه
قال من سره ان يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء وعنه ان رسول الله صلعم قال ثلثة لا ترد دعوتهم الصائم حين يفطر والامام
العادل ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها ابواب السماء ويقول الرب وعزتي لانصرنك ولو بعد حين واما كيفية الدعاء فعن فضالة بن
عبيد ان النبي صلعم سمع رجلا يدعو في صلوته لم يصل على النبي صلعم فقال النبي صلعم عجل هذا ثم دعاه فقال له او لغيره اذا صلى احدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم
ليصل على النبي صلعم ثم ليدع بعد بما شاء وعن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلعم قال الدعاء موقوف بين السماء والارض لا يصعد حتى يصلى على النبي ولا تجعلوني
كقدح الراكب صلوا علي اول الدعاء واوسطه وآخره ومن لطائف الآية انه تعالى قال فاني قريب دون ان يقول فقل اني قريب كما قال في سائر الاسئلة و
الاجوبة وذلك في مواضع من كتابه ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا يسئلونك عن الساعة
قل انما علمها عند الله وهذه الاسئلة اصولية يسئلونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين ويسئلونك عن اليتامى
قل اصلاح لهم خير ويسئلونك عن المحيض قل هو اذى ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة
يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول يستنبئونك احق هو قل اي وربي يسئلونك عن ذي القرنين قل سأتلوا فكانه سبحانه
يقول عبدي انت انما تحتاج الى الواسطة في غير وقت الدعاء اما في الدعاء فلا واسطة بيني وبينك ايضا في مقام السؤال قال عبادي هذا يدل على
ان العبد له في مقام الاجابة فاني قريب هذا يدل على انه للعبد ثم لم يقل العبد مني قريب بل قال اني قريب منه فيه تنبيه على انه ما للتراب ورب الارباب
وانما يحصل من حضيض الامكان الذاتي الى ذروة الوجود والبقاء بفضل الواجب وفيضه فليستجيبوا لي اجابة واستجابة اي فليطلبوا امري
دعوتهم الى الايمان والطاعة وليؤمنوا بي وليستقيموا ليعزموا على الاستجابة وليؤمنوا بانني اجيبهم اذا دعوني لعلهم يرشدون لعلهم ان يكونوا من الراشدين
المهتدين الى مصالح دينهم ودنياهم فان طاعة الله تعالى تستتبع الخيرات عاجلا وآجلا من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه
حيوة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى ومما
الكلام انا الجيب دعاكم مع اني غني عنكم على الاطلاق فكونوا انتم مجيبين لدعوتي مع افتقاركم الي من جميع الوجوه وقد تكرم ودعي ان نتهم يقل اجيب دعاكم
حتى يجيب عاما لئلا يصير المذنب محروما عنه هذا الاكرام بل انا المجيب عاما لكم في جميع احوالكم فكان فيه تعجيل الداعي وهذا يدل على ان
رحمته شاملة ورحمته كاملة لهم المطيعين والمذنبين الكاملين والناقصين وقيل الدعاء في الآية هو العبادة لما روي عن النعمان بن بشير ان
رسول الله صلعم قال الدعاء هو العبادة وقرأ ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وعلى هذا فالاجابة
عبارة عن الوفاء بما ضمن للمطيعين من الثواب كقوله ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله وقيل المراد من الدعاء
التوبة وذلك ان التائب يدعو الله عند التوبة فاجابة الدعوة على هذا التفسير عبارة عن قبول التوبة قوله عز وجل احل لكم جمهور المفسرين
على ان هذا ناسخ لما عليه الناس في اول الاسلام روي عن ابن عباس انه لما نزلت كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم كانوا اذا
صلوا العشاء حرم عليهم الطعام والشراب والنساء الى القابلة فاختان رجل فجامع امرأته وقد صلى العشاء ولم يفطر فاراد الله ان يجعل ذلك يسرا لمن
بقي ورخصة ومنفعة وعن البراء قال كان اصحاب محمد صلعم اذا كان الرجل صائما فحضر الافطار فنام قبل ان يفطر لم يأكل ليلته ويومه حتى يمسي وان
قيس بن صرمة الانصاري كان صائما وروي قيس بن عمر وعمل في النخل بالنهار وكان صائما فلما حضر الافطار اتى امرأته فقال اعندك طعام قالت
لا ولكن انطلق فاطلب لك وكان يومه يعمل فغلبته عيناه فجاءته امرأته فلما رأته قالت خيبة لك فلما انتصف النهار غشي عليه فذكر ذلك للنبي صلعم فنزلت
احل لكم ففرحوا بها فرحا شديدا قال ابو مسلم خلافا للجمهور بناء على مذهبه انه لم يقع في القرآن نسخ البتة احتج الجمهور بوجوه منها انه تعالى شبه ايجاب الصوم
على هذه الامة بايجابه على من قبلهم فيلزم منه حرمة الاكل والشرب والوقاع بعد النوم في شرعنا كما كانت في شرعهم واذا كانت الحرمة ثابتة فهذه
الآية رافعة لها ناسخة لحكمها ومنع ابو مسلم من ان مقتضى التشبيه حصول المشابهة في كل الامور ولعلهم انما كانوا يمنعون من الاكل والشرب بعد

وكيفية الدعاء

نكتة

والوقاع اعتقادا منهم ببقاء تلك الحرمة في شرعنا كما هي في شرع من قبلنا مع جواز كونها مباحة في نفس الامر ومع قيام هذا الاحتمال فلا جزم بالنسخ
ومنها قوله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم ولو كان ذلك حلالا لم ينسبوا الى الخيانة قيل ان عمر واقع اهله بعد صلوة العشاء الاخرة فلما
اغتسل اخذ يبكي ويلوم نفسه فاتى النبي ص وقال يا رسول الله اني اعتذر الى الله واليك من نفسي هذه الخاطئة واخبره بما فعل فقال ص ما كنت جديرا
بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بما كانوا صنعوا بعد العشاء فنزلت قال ابو مسلم اصل الخيانة النقص خان واختان ونحوه بمعنى واحد مثل كسب
واكتسب فالمعنى علم الله انكم كنتم تنقصون انفسكم حظها من اللذات من الثواب والخير ومنها قوله فتاب عليكم وعفا عنكم والتوبة والعفو يكونان بعد
بعد المعصية وارتكاب ما هو محرم قال ابو مسلم التوبة من العباد الرجوع الى الله بالعبادة ومن الله الرجوع الى العبد بالرحمة والاحسان والعفو التسهيل
والتوسعة والتخفيف قال ص عفوت عن الخيل والرقيق فهاتوا صدقة الرقة من كل اربعين درهما درهما وقال ص اول الوقت رضوان الله واخره عفو الله
والمراد التخفيف بتاخير الصلوة الى اخر الوقت ويقال اتاني هذا المال عفوا اي سهلا فالمعنى عاد عليكم بالرحمة ووسع عليكم باباحة هذه الاشياء
المحرمة على الذين من قبلكم واما الروايات فاخبار احاد لا يوجب شيء منها حمل القرآن على النسخ ولنشتغل بتفسير الالفاظ فنقول ليلة الصيام قال الواحدي
اراد ليالي الصوم فوضع الواحد موضع الجمع ويمكن ان يقال اضاف الليلة الى هذه الحقيقة فيتناول الكل من غير تكلف الرفث الجماع والرفث ايضا
الفحش من القول وكلام النساء في الجماع وقيل لابن عباس حين انشد شعرا: وهن يمشين بنا هميسا : ان تصدق الطير ننك لميسا : ارفث وانت
محرم فقال انما الرفث ما روجع به النساء وهميسا اي مشيا لينا ولميس اسم امرأة اي ان يصدق الفال ننكها وقال ابو علي معناه الفرج ويقال جامع الرجل
او ما اشبه فاذا اردت الكناية عن هذه العبارة قلت رفث الرجل وانما كنى عنه ههنا بلفظ الرفث الدال على معنى القبح ولم يعبر عنه بالافضاء او الغشيان
او المس نحو ما كان في مواضع اخر وقد افضى بعضكم الى بعض فلما تغشاها من قبل ان تمسوهن او لامستم النساء في قوله دخلتم بهن فاتوا حرثكم
انى شئتم فما استمتعتم به منهن ولا تقربوهن استقباحا لما وجد منهم قبل الاباحة او البيان كما سماه اختيانا لانفسكم قال الاخفش انما عدي الرفث بالى لتضمنه معنى
الافضاء في قوله وقد افضى بعضكم الى بعض هن لباس لكم وجه التشبيه انهما يعتنقان فيضم جسد احدهما الى جسد صاحبه حتى يشتمل عليه كالثوب وقال
الربيع هن فراش لكم وانتم لحاف لهن وقال ابن زيد كل منهما يستر صاحبه عن الابصار عند الجماع قال الجعدي: اذا ما الضجيع ثنى عطفها : تثنت فكانت عليه لباسا
او سمي لباسا لستر كل منهما صاحبه عما لا يحل كما في الخبر من تزوج فقد احرز ثلثي دينه او لان المرأة تستر الرجل عن جميع المفاسد التي تقع في البيت لو لم تكن
المرأة حاضرة كما يستر اللباس الانسان ما يشينه من الحر والبرد وكثير من المضار وعن الاصم ان كل واحد منهما كان كاللباس الساتر للاخر في تلك المحظورات التي كانوا
يفعلونه ويعيب ما ان هذه الغريبة في معرض الانعام لا في مقام الذم ووحد اللباس لانه مصدر او لانه وضع موضع الصفة وموقع قوله هن لباس
لكم استئناف كانه كالبيان لسبب الاحلال فانه مثل هذه المخالطة والملابسة توجب قلة الصبر عنهن ومعنى علم الله علم وقوعه منهم وهو عالم ولم يذكر
في الاية ان الخيانة فيماذا الا ان الذي تقدم هو ذكر الجماع والذي تاخر هو قوله فالان باشروهن فيتعين ان يكون المراد بالخيانة في الجماع ومن
المعلوم ان كل واحد منهم لم يختانوا فالخطاب لبعضهم وكل من عصى الله ورسوله فقد خان نفسه لانه جلب اليها العقاب ونقص حظها من الثواب
وقيل ان الاية لا تدل على وقوع الخيانة منهم وانما المراد علم الله انكم لو دام هذا التكليف تختانون لضعفكم وقلة صبركم فوسع الامر عليكم حتى
لا تقعوا في الخيانة فتاب عليكم من اثم الخيانة اي فيتم فقبل توبتكم وعلى قول ابي مسلم لا اضمار فالان باشروهن تاكيد لقوله احل لكم ويعرف
من البيان لا بحل الرفث في ليلة الصيام لا يوجب حله في جميع جوانبها حتى الصباح اجمع الجمهور على ان المراد بالمباشرة ههنا الجماع سمي بهذا الاسم لتلاصق
البشرتين فيه ومنه ما روي انه ص قال لا يباشر الرجل الرجل والمرأة المرأة وانما قلنا ان المراد بها الجماع لان السبب في هذه الرخصة كان وقوع الجماع من القوم
ولان الرفث اريد به ذلك الا ان اباحة الجماع يتضمن اباحة ما دونه بطريق الاولى وعن الاصم ان المراد بها الجماع وغيره ورجع النزاع لفظيا واما المباشرة
في قوله ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد فلا يعود النزاع فيها الى اللفظ لان المنع من الجماع لا يدل على المنع مما دونه من الاستمتاعات
وابتغوا ما كتب الله لكم قيل هو الولد اي لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء ما وضع له النكاح وهو التناسل قال ص
تناكحوا تكثروا وقيل هو نهي عن العزل فقد وردت الاخبار في كراهيته وعن الشافعي لا يعزل الرجل عن الحرة الا باذنها ولا باس ان يعزل عن الامة وعن علي
كرم الله وجهه انه كان يكره العزل وقيل اطلبوا المحل الذي حلله لكم كقوله فاتوهن من حيث امركم الله وقيل وابتغوا هذه المباشرة التي كتب الله لكم بعد
ان كانت محرمة عليكم وعن قتادة ابتغوا الرخصة التي كتب الله لكم وان كنتم تظنون انها محرمة عليكم وقيل المعنى لا تباشروهن الا في الاوقات
والاحوال التي اذن الله لكم في مباشرتهن دون اوقات الحيض والنفاس والعدة والردة وقيل اي لا تبتغوا المباشرة الا من الزوجة والمملوكة وهو
كتب الله في القرآن من قوله الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم وعن معاذ بن جبل وابن عباس في رواية ابي الجوزاء اطلبوا ليلة القدر وما كتب الله من الثواب
لكم ان اصبتموها واستبعده بعضهم وليس ببعيد فان توزع الفكر بسبب الشهوة المشوشة قد يمنع من الاخلاص في العبودية ولا يتفرغ لطلب ليلة
القدر التي هي حاصل صوم رمضان فقال سبحانه فالان باشروهن لتفرغوا لطلب الغاية من صيامكم والله اعلم بمراده وعن عدي بن حاتم قال لما نزلت
وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود عمدت الى عقال ابيض واسود فجعلتهما تحت وسادتي فجعلت انظر اليهما في الليل فلا
يتبين لي فلا تبين لي الابيض من الاسود فلما اصبحت غدوت الى رسول الله ص فاخبرته فضحك وقال انك لعريض القفا انما ذلك بياض

النهار وسواد الليل ذكر رسول الله ﷺ بذلك عن بلادتك وقلة فطنته وفي الصحيحين عن سهل بن سعد نزلت ولم ينزل من الفجر فكان رجال اذا ارادوا
الصوم ربط في رجليه الخيط الابيض والخيط الاسود فلا يزال ياكل حتى يتبين له رؤيتهما فانزل الله بعده من الفجر فعلموا انه انما يعني الليل والنهار واعلم
ان تاخير البيان عن وقت الحاجة ممتنع بالاتفاق الا عند من يجوز تكليف ما لا يطاق واما تاخيره عن وقت الخطاب فجائز عند الاكثرين ولما كان بعض
مستعملات العرب اطلاق الخيط الابيض على اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق كالخيط الممدود والخيط الاسود على ما يمتد معه من غبش الليل قال ابو دواد
فلما اضاءت لنا سدفة ولاح من الصبح خيط انارا والسدفة الضياء المخلوط بالظلام اقتصر على الاستعارة ولما اشتبه الامر على بعض من لا دراية له
باللغة العربية نزل من الفجر بيانا للخيط الابيض واستغنى به عن بيان الخيط الاسود لان بيان احدهما يستتبع بيان الاخر وخرج الكلام من الاستعارة
الى التشبيه البليغ كان قولك رايت اسدا مجاز فاذا زدت من فلان رجع تشبيها فالاستعارة وان كانت ابلغ من التشبيه مخلة في الفصاحة من
حيث انها استعارة كائن في موضعها الا ان رفع الاشتباه عن المكلفين اهم واولى في الفصاحة ففي هذا المقام ترك الاستعارة وليس هذا من باب تاخير
البيان عن وقت الحاجة على الاطلاق لان المحتاجين ههنا الى البيان ساقطون عن درجة الاعتبار لان فهم المعنى من اللفظ انما يعتبر بالنسبة الى
العارف بقوانين العرب واستعمالاتهم لا بالاضافة الى الاغبياء ثم التفهيم بعد البليد الى ذكاء المستمعين ولا يسبق الى الوهم ان المشبه بالخيط
الابيض هو الصبح الكاذب المستطيل لانه ما يرد في الخبر لا يغرنكم الفجر المستطيل فكلوا واشربوا حتى يطلع الفجر المستطير وانما المشبه هو الفجر الصادق ومن انه
يبدو دقيقا ولكن يرتفع مستطيرا اي منتشرا في الافق لا مستطيلا ويمكن ان يقال الفصل المشترك بين ما انفجر الضياء اي انشق بين ما هو مظلم بعد
يشبه خيطين اتصلا عرضا فالذي انتهى اليه الضياء خيط ابيض والذي ابتدا منه الظلام خيط اسود وقد سبق تقرير الصبح في تفسير قوله تعالى واختلاف
الليل والنهار فليتذكر قيل ويجوز ان يكون من في قوله من الفجر للتبعيض لانه بعض الفجر واوله ولا شك ان حتى لانتهاء الغاية فدلت الاية على حل
المباشرة والاكل والشرب ينتهي عند طلوع الصبح فاستدل به هذا على جواز صوم من اصبح جنبا وبقوله ثم اتموا الصيام الى الليل على ان الصوم
عند غروب الشمس لان ما بعد الى لا يدخل فيما قبلها وخاصة اذا لم يكن من جنسه بل على حرمة الوصال ويؤيده ما روى انه ﷺ قال اذا اقبل الليل من
ههنا فقد غربت الشمس فقد افطر الصائم فيجب على المكلف ان يتناول في هذا الوقت شيئا ولو كان قليلا وقد صح عن النبي ﷺ انه نهى عن الوصال فقيل يا رسول الله
انك تواصل فقال اني لست مثلكم اني ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني اي من طعام الجنة او المعنى على ثقة باني لو احتجت اطعمني من الجنة او يعطيني
قوة من طعم وشرب والتحقيق ان استغراقه في مطالعة جلال الله يشغله عن الالتفات الى ما سواه فاذا تناول شيئا قليلا ولو قطرة من الماء بعد ذلك
كان بالخيار في الاستيفاء الا ان يخاف التقصير في الصوم المستانف او في سائر العبادات فيلزم ح ان يتناول بقدر الحاجة وقد تمسك الحنفية بالاية
على جواز النية نهارا في صوم رمضان لان مدة الامساك هو النهار فقط فيجب قصد الامساك فيه فقط ومقتضى هذا الدليل صحة الفرض بنية بعد الزوال الا انا نقول
الاقل ملحق بالاغلب فبطل الصوم بنية بعد الزوال ومعناه بيتقبله حجة الشافعي قوله ﷺ من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له رواه ... وانما
جوزنا في النفل ان ينوي قبل الزوال لانه ﷺ كان يدخل على بعض ازواجه فيقول هل من غداء فان قالوا لا قال اني صائم وفي رواية اني اذا صائم وايضا الحنفية يجب اتمام
الصوم النفل لقوله واتموا والامر للوجوب قال الشافعي قد ورد هذا عقيب الفرض فيختص به واعلم انه سبحانه خص بالذكر من المفطرات الرفث و
الاكل والشرب لان النفس تميل اليها وههنا مفطرات اخر استنبطت من الاية واستفيدت من السنة منها الاستمناء لان الايلاج من غير انزال مبطل
فالانزال بنوع شهوة اولى وكذا الانزال باللمس او القبلة وعندنا الفكر والنظر بشهوة لا لانه يشبه الاحتلام وعند مالك الانزال بالنظر مفطر وعند احمد
ان كرر النظر حتى انزل فطر ومنها الاستقاء لقوله ﷺ من ذرعه القيء وهو صائم فلا قضاء عليه ومن استقاء فليقض ومنها دخول الشيء جوفه من منفذ مفتوح
سواء كان فيه قوة محيلة تحيل الواصل من غذاء او دواء او لا كالحلق والجوف وكذا باطن الدماغ والبطن والامعاء والمثانة لما روى عن ابن عباس ان
الفطر مما دخل والوضوء مما خرج فالحقنة مبطلة للصوم وكذا السعوط اذا وصل الى الدماغ ولا باس بالاكتحال لان العين ليست من الاجواف فانه ﷺ اكتحل في رمضان
وهو صائم وعن مالك واحمد انه اذا وجد في حلقه طعمه افطر والتقطير في الاذن اذا وصل الى الباطن كالسعوط وكذا في الاحليل وان لم يصل الى المثانة ولا باس
بالفصد والحجامة لكن يكره عند ابي حنيفة للضعف احتجم ﷺ وهو صائم محرم في حجة الوداع وقال احمد يفسد الصوم بالحجامة ولو دهن راسه او بطنه فوصل الى جوفه بتشرب
المسام لم يضر كالاغتسال والانغماس عند الشافعي ولا بد ان يكون الواصل من قصده فلو طارت ذبابة الى حلقه او وصل غبار الطريق او غربلة الدقيق الى
جوفه لم يفطر ولو فتح فاه عمدا ... لو ضبطت المراة او وطئت او وجئ بالسكين او اوجر بغير اختياره فلا افطار وكذا لو كان مغمى عليه فاوجر
معالجة ولو اكره حتى اكل بنفسه افطر لانه ينافي الصوم ولا اثر لدفع الضرر كالاكل والشرب لدفع الجوع او العطش وعند احمد لا يفطر وابتلاع الريق الصرف
الطاهر من الفم لا يفطر والنخامة ان لم يحصل في حد الظاهر من الفم لم يضر وان حصلت فيه بانصبابها من الدماغ في الثقبة النافذة منه الى اقصى الفم فوق
الحلقوم فان قدر على مجها ثم تركها حتى جرى بنفسه بطل صومه للتقصير والا فلا واذا تمضمض فسبق الماء الى جوفه او استنشق فوصل الماء الى دماغه لم يفطر
على الاصح ان لم يبالغ وبه قال احمد وعند ابي حنيفة ومالك يفطر وان بالغ افطر قولا واحدا لقوله ﷺ للقيط بن صبرة بالغ في الاستنشاق الا ان تكون صائما ولو بقي
طعام في خلل اسنانه فابتلعه عمدا فطر خلافا لابي حنيفة اذا كان يسيرا دون ما بقدر الحمصة فان جرى به الريق من غير قصد منه لم يفطر على الاصح ولا بد ايضا
في حصول العين من ذكر الصوم فاذا اكل ناسيا فان قل لم يفطر لقوله ﷺ من نسي وهو صائم فاكل او شرب فليتم صومه فانما اطعمه الله وسقاه وخالف مالك

وان كثر افطر واو جامع ناسيا لقصوره الاصح انه لا يبطل كما في الاكل ولو اكل على ظن ان الصبح لم يطلع بعد وان الشمس قد غربت وكان قد طلع الفجر ثم صومه
الاثم لانه يحقق خلاف ما ظنه واليقين مقدم على الظن ثم ان كان الصوم واجبا قضى وان كان تطوعا فلا قضاء والاحوط في آخر النهار ان لا ياكل الا بعد
تيقن غروب الشمس لان الاصل بقاء النهار ولو اجتهد فغلب على ظنه دخول الليل بورد او غيره فالاصح جواز الاكل وقد افطر الناس في زمان عمر ثم انكشف
السحاب فظهرت الشمس واما في اول النهار فيجوز الاكل بالظن والاجتهاد الى طلوع الفجر لان الاصل بقاء الليل فان قيل ان اول الفجر كيف يدرك وبحث متى عرف
المرصد الطلوع كان الطلوع الحقيقي متقدما عليه فيجاب بان المسئلة موضوعة على التقدير كذا ذكره الفقهاء في امثالها واما ما يتعبد بما يطلع عليه
الصبح لظهور الضوء للناظر وما قبله لا حكم له كالزوال عند الشارع لا ما يظهر اذا كان الشخص عارفا بالاوقات ومنازل القمر وكان بحيث لا حائل بينه وبين الفجر
وترصد حتى ادرك فهو اول الصبح المعتبر ثم يحرم المفطرات وعن الاعمش انه يحل الاكل والشرب والوقاع الى طلوع الشمس قياسا لاول النهار على آخره وجعل
الخيط الابيض ضوء الطلوع والخيط الاسود ما اتصل به من آخر الليل وقال من الناس من قال لا يجوز الافطار الا عند غروب الحمرة كما انه لا يجوز الاكل الا الى طلوع
الفجر وهذه المذاهب قد انقرضت لان الفقهاء اجمعوا على بطلانها يحكى عن الاعمش انه دخل عليه ابو حنيفة يعوده فقال الاعمش انك لثقيل على قلبي وانت في بيتك
فكيف اذا زرتني فسكت عنه ابو حنيفة فلما خرج قيل له لم سكت عنه قال ماذا اقول في رجل ما صام وما صلى في دهره وذلك انه كان ياكل بعد الفجر الثاني
قبل طلوع الشمس فلا صوم له وكان لا يغتسل من الاكسال فلا صلوة له واعلم ان في الآية ترتيبا عجيبا ودقيقا ايضا وذلك ان الرفث لما كان من اشنع
الامور التي يجب الامساك عنها في رمضان حتى قال بعض الناس انه كان حراما في رمضان ليلا ونهارا وفيه قد تمت الخيانة كما مر في الاخبار وقدم ما يشبه
الكلام بالسبب الملجئ ثم ونبخ المختانون في شأنه وعقب التوبيخ بالعفو وقبول التوبة ثم اعيد ذكر ما يترتب عليه غرضا لا صل من الرفث وهو طلب
النسل ثم يعطف عليه اباحة الاكل والشرب في جميع تلك الليالي جزء من اجزاء الليل ثم لما بين مدة الافطار وما يباح فيها امر بالصوم الذي هو المقصود الاصلي
تلك المدة وهو ما بقي من مدة الافطار الى تمام اربع وعشرين ساعة هو مجموع اليوم بليلته اعني من الفجر الصادق الى غروب الشمس ثم لما كان زمان
الاعتكاف مستثنى من تلك الاباحة فهم من الآية ان الامساك عن الرفث كان مختصا بنهار رمضان لا بليلته ولا باشارام السنن لا بل انما عقب الاباحة
الرفث بما يحرمها كرمضان بحظره في حال الاعتكاف فقيل ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد قال الشافعي الاعتكاف حبس النفس على
شيء بركان او اثما قال تعالى يعكفون على اصنام لهم والاعتكاف الشرعي المكث في بيت الله تقربا اليه وهو من الشرائع القديمة قال تعالى وطهرا بيتي للطائفين
والعاكفين وللائمة خلاف في المراد من المباشرة فقيل الاصح قولية وانه ابو حنيفة واحد انها الجماع والمقدمات المفضية الى الانزال لان
الاصل في لفظ المباشرة ملاقاة البشرتين فالمنع من هذه الحقيقة ما دام في المعتكف حين يخرج لحاجة لم يتم مدة الاعتكاف منع عن القبلة والمعانقة
وكل ما فيه الاصق البشرتين خالفنا الدليل فيما اذا لم ينزل من هذه الامور لتبين عدم الشهوة فيها وقد علم ان اللمس بغير شهوة جائز لانه كان يدني رأسه
من عائشة لترجله وهو معتكف فبقي ما فيه الشهوة على اصل المنع احتج من قال انها لا تبطل الاعتكاف بان هذه الامور لا تبطل الصوم والحج فلا
يفسد الاعتكاف لانه ليس اعلى درجة منهما واجيب بان النص مقدم على القياس ثم اتفقوا على ان شرط الاعتكاف الجلوس في المسجد لانه يمتنع عن سائر
البقاع من حيث بني لاقامة الطاعات ثم اختلفوا فعن علي رضي الله عنه انه لا يجوز الا في المسجد الحرام لقوله تعالى طهرا بيتي للطائفين والعاكفين وعن
عطاء انه في مسجد المدينة لقوله صلوة في مسجدي هذا خير من الف صلوة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام وعن حذيفة فيهما وفي مسجد
القدس لقوله لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجدي هذا الزهري لا يصح الا في الجامع ابو حنيفة لا يصح الا في مسجد له امام
راتب ومؤذن واما الشافعي يجوز في جميع المساجد لاطلاق قوله في المساجد الا ان الجامع اولى حتى لا يحتاج الى الخروج لصلوة الجمعة ولا خلاف ان
الاعتكاف مع الصوم افضل وهل يجوز بغير صوم الشافعي نعم لانه يجوز بغير صوم عليه ثم انه يمنع العاكف من المباشرة ولو كان اعتكافه باطلا لما كان
ممنوعا وايضا لو كان الاعتكاف موجبا للصوم لم يصح الاعتكاف في رمضان لان رمضان مشغول بالصوم الواجب لشهر الشهر فلا يمكنه الاشتغال
بالصوم الذي يوجبه الاعتكاف لكنهم اجمعوا على صحة الاعتكاف في رمضان وايضا لو كان لما خرج المعتكف عن اعتكافه بالليل كما يخرج عن الصوم
لكنه لا يخرج وايضا روي ان عمر قال يا رسول الله اني نذرت في الجاهلية ان اعتكف ليلة فقال صلى الله عليه وسلم اوف بنذرك ومعلوم انه لا يجوز الصوم في الليلة ابو حنيفة
لا يجوز لانه يجب الصيام في الاعتكاف بالنذر فيجب بغير نذر ايضا كعكسه في الصلوة مثال الاعتكاف هو ان الصلوة لما لم يجب في النذر بالاجماع لم يجب
بالنذر ايضا وفرق بان الصوم والاعتكاف متفاوتان فكل منهما كف امساك والصلوة افعال مباشرة لا مناسبة بينها وبين الاعتكاف فلا يجعل
احدهما وصفا للآخر فلهذا قلنا لو نذر ان يعتكف صائما او يصوم معتكفا لزمه الجمع بينهما ولو نذر ان يعتكف مصليا او يصلي معتكفا
لزمه كلاهما دون الجمع بينهما ويتفرع على المذهبين انه يجوز ان ينذر اعتكاف ساعة عند الشافعي واما عند ابي حنيفة فلا يجوز اقل من يوم بشرط ان يدخل
قبل طلوع الفجر ويخرج بعد غروب الشمس وقال الشافعي احب ان يعتكف يوما الى تمام قال ابليل الخروج عن الخلاف تلك حدود الله اشارة الى جميع ما تقدم
من اول آية الصيام الى ههنا او الى حكم المباشرة في الاعتكاف حدود الاحكام حد الله الا ان يراد امثال ذلك الجهة وحد الشيء مقطعه ومنتهاه وحد الدار ما
يمنع غيرها ان يدخل فيها والحد الكلام الجامع المانع فحدود الله ما منع من مخالفتها بعد تعيين مقادير مخصوصة وصفات مضبوطة وانما قال
فلا تقربوها وفي موضع آخر فلا تعتدوها لان العامل بشرائع الله اوامره ونواهيه متصرف في حيز الحق فنهي ان يتعداه وتقع في حيز الباطل فالنهي عن التعدي

هو

هو المقصود الا ان الاحوط ان لا يقرب الحد الذى هو الحاجز بين حيز الحق والباطل كيلا يداهن فيقع فى الباطل عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام كالراعى
يرعى حول الحمى يوشك ان يقع فيه الا وان لكل ملك حمى وحمى الله محارمه متفق عليه فلا تقربوها اى لا تتعرضوا لها بالتغيير كقوله ولا تقربوا مال اليتيم وقيل
الاحكام المذكورة بعضها امر واكثرها نهى فغلب جانب التحريم اى لا تقربوا تلك الاشياء التى منعتم عنها واما فى الاوامر فقال فلا تعتدوها اى
اثبتوا عليها ولا تتخطوها كذلك اى كما بين ما امركم به ونهاكم عنه فى هذا المقام يبين سائر ادلته على دينه وشرائعه لعلهم يتقون جعلنا الله تعالى
من المتقين بفضله ورحمته انه [illegible] صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته الضمير عائد الى الحق على كل عضو فى الظاهر صوم وعلى كل صنف فى الباطن صوم
فصوم اللسان عن الكذب والغيبة وصوم العين عن النظر الى الريبة وصوم السمع عن استماع الملاهى وعلى هذا فقس البواقى وصوم النفس عن التمنى والشهوات
وصوم القلب عن حب الدنيا وزخارفها وصوم الروح عن نعيم الآخرة ولذاتها وصوم السر عن شهود غير الله تعالى كما كتب على الذين من قبلكم اى على سائر الامم
ولجزئكم فانها كانت صائمة عن المشارب كلها قبل تعلق الروح بالقالب فلما تعلق الروح بالقالب صارت اجزاء القالب مستدعية الحظوظ الحيوانية والروحانية لعلكم تتقون مشارب
المركبات وتطهرون عن دنس الحظوظ الحيوانيات والروحانيات تخبرون بان كل كوكب يسعدها الحظوظ الفانية يطلع شمس حقوق الملامات الروحانية
الباقية كما قال عليه السلام للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه فمن كان منكم مريضا اى وقع له فترة فى السلوك لمرض غلبات صفات النفس
بكل الطبيعة او على سفر حصل له وقفة للعجز عن القيام باعباء احكام الحقيقة فليهمل حتى يدرك الغاية ويبالغ سعيه عليه بين الالطاف واشربة لا
فعدة من ايام اخر كما فى ايام سلامة القلب وعلى الذين يطيقونه على من كان له قوة وصدق الطلب طعام مسكين اطعام كل مشرب من مشارب الطاف الحق
والمسكين من يكون مشربه غير ما عند الله ويمنع ذلك المشارب الى ابانها ويخرج عما سوى الله ويواصل الصوم ولا يفطر الا على طعام مشاهدة
الحق وشراب مشاربه وهو معنى ابيت عند ربى يطعمنى ويسقينى فمن تطوع خيرا فمن زاد فى الفداء اى كلما افطر من مشرب سعى من وضع الخروج
ذلك المشرب بفناء تركها الى ان يصير مشربه ترك المشارب كلها ودوام الصوم كقوله تعالى وان تصوموا خير لكم فيه حقائق القرآن وهذا معنى
قوله شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن فيكون على مائدة الله لا يمنعونه ما اكل من المائدة فانه دائم الصوم ولكن المائدة ما كل حى تقضيه به
وتقيد بشهوده فيكون خلقه القرآن وح يفرق بين الوجود الحقيقى والوجود المجازى كما قال وبينات من الهدى والفرقان فيقال له فالزم
قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه قال ابو زيد فادانى ربى وقال ما بدلك اللازم فالزم بدلك رمضان يرمض ذنوب قوم ورمضان الحقيقى يحرق وجود قوم
ورمضان اسم من اسماء الله اى من حضر مع الله فليمسك عن غير الله يريد الله بكم اليسر وهو مقام الوصول ولا يريد بكم العسر وهو ما فى الطريق من
الرياضة والمجاهدة كالطبيب يسقى دواء مرا فمراده حصول الصحة لا ذائقة مرارة الدواء وابقى كل عسر حلوله لو لم يرد بنا اليسر لم يجعلنا طالبين لليسر
لو لم ترد نيل ما ارجو والطلب من فيض جودك ما علمتنى الطلبا ولتكملوا العدة انواع الغاية بجذبات يريد الله بكم اليسر ولتكبروا الله ولتعظموه على ما
هداكم الى عالم الوصال بتجلى صفات الجمال ولعلكم تشكرون نعمة الوصال بتجلى صفات الجلال عن ادراك عقول اهل الكمال لمخالطة الوهم والخيال قوله سبحانه
احل لكم ليلة الصيام اعلم ان الانسان تنوعا فى الاحوال فتارة يكون بغلبات الصفات الروحانية فى ضياء نهار الواردات الربانية وح يصوم من
الحظوظ الانسانية وهو حالة السكر وتارة يكون بحكم الدواعى والحاجات البشرية مردودا الى ظلمات الصفات الحيوانية وهو حالة الصحو فضل الله تعالى
كشف استار وطلوع شموس الاسرار ليصوموا فيها [illegible] ليسكنوا فيها ويستريحوا بها كما من الله تعالى بقوله قل ارأيتم ان
جعل الله عليكم الليل سرمدا الايات ومعنى الرفث الى النساء التمتع بالحظوظ الدنيوية التى تتصرف النفس فيها تصرف الرجال فى النساء هن لباس لكم
اى الصفات والحظوظ الانسانية ستر لكم يحجبكم عن حرارة شموس الجلال لكيلا تحرقكم سطوات التجلى وانتم لباس لهن تسترون معايب الدنيا بالاعمال
الصالحة واستعمال الاموال على قوانين الشرع والعقل نعم المال الصالح للرجل الصالح فالآن باشروهن بعد الخلبة الضرورية وابتغوا بقوة هذه المباشرة
ما كتب الله لكم من المقامات العلية وكلوا واشربوا فى ليالى الصحو حتى يتبين لكم انوار الحق فالاحوال تنقسم الى بسط وقبض وزيادة ونقص وجذب وحجب
وجمع وفرق ومحو وكشف وستر وسكر وصحو وثبات ومحو وتمكين وتلوين كما قيل كان شيئا لم يكن ولا تباشروهن وانتم عاكفون فى المساجد اى صفات
القرب والانس وفيه اشارة الى انه يجب ان يكون الاشتغال بالنفس والدنيا من حيث الصورة ويكون الاسرار والارواح مع الحق وهذا مقام اهل التمكين
فلا تقربوها بالخروج عنها يا اهل الكشوف العكوف والدخول فيها يا اهل الكسوف الخسوف حسبى الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير

وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ يَسْأَلُونَكَ

و مخورید مالهای خود را در میان خود بطور باطل و کشید نزاع را بسوی حکام تا بخورید گروهی را از مالهای مردم را بظلم و حال آنکه شما میدانید میپرسند ترا

عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ

از ماهها بگو که آن وقتهاست برای مردمان و حج و نیست نیکی آنکه داخل شوید خانها را از پشت آنها و لیکن نیکی آنست که پرهیزد و داخل شوید خانها را

مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ القراءة البيوت بضم الباء ابو جعفر ونافع غير قالون وابو عمرو وسهل ويعقوب وحفص والمفضل

از درهای آن و بپرهیزید خدا را باشد که شما رستگار شوید والبرجمى وهشام غير الحلوانى الباقون بكسر الباء الوقوف تعلمون ج عن الاهلة ط للفصل بين السؤال

ع

والجواب ان الحكمة لا تبدأ احكام خوض النوم من اتقى ثم عطف بجانبين مختلفين ابوابها من بعطف بلفظين مختلفين في القمر لما كان الصوم منهما الى الافطار وفي الافطار يتضمن الاكل فناسب ان يردف حكم الصيام بحكم ما يصلح للاكل ومما لا يصلح له ولما كان الصوم والفطر منوطين برؤية الهلال عقبا بذكر السؤال عن الاهلة قال الامام الغزالي في الاحياء المال الحرام اما لصفة في عينه واما لخلل في جهة اكتسابه الاول اما ان يكون من المعادن او من النبات او من الحيوان اما المعادن والنبات فلا يحرم نوع منها الا ما يزيل الحياة وهي السموم او الصحة وهي الادوية في غير وقتها او العقل كالخمر والبنج وسائر المسكرات واما الحيوان فينقسم الى ما يؤكل والى ما لا يؤكل وما يحل انما يحل اذا ذبح ذبحا شرعيا واذا ذبح فلا يحل جميع اجزائه بل يحرم منه الدم والفرث وكل ذلك مذكور في كتب الفقه والثاني وهو ما يحرم لخلل في جهة اثبات اليد عليه فنقول اخذ المال اما ان يكون باختيار المالك وبغير اختياره كالارث والذي بغير اختياره اما ان لا يكون ماخوذا من مالك كالمعادن واما ان يكون ماخوذا من مالك والذي من مالك اما ان يؤخذ قهرا او بالتراضي والماخوذ قهرا اما ان يكون ما اخذ من مالك تنقطع بقاؤه ماله واما ان يؤخذ قهرا او بالتراضي وما يؤخذ قهرا اما ان يكون لسقوط عصمة المالك كالغنائم او لاستحقاق الاخذ كزكوات الممتنعين في النفقات الواجبة عليهم والماخوذ تراضيا اما ان يؤخذ بعوض كالبيع والصداق والاجرة واما ان يؤخذ بغير عوض كالهبة والوصية فهذه اقسام ستة الاول ما لا يؤخذ من مالك كنيل المعادن واحياء الموات والاصطياد والاحتطاب والاستقاء من الانهار والاحتشاش فهذا حلال بشرط ان لا يكون المأخوذ مختصا بذي حرمة من الآدميين الثاني المأخوذ قهرا ممن لا حرمة له وهو الفيء والغنيمة وسائر اموال الكفار المحاربين وذلك حلال للمسلمين اذا اخرجوا الخمس منها وقسموها بين المستحقين بالعدل ولم ياخذوه من كافر له حرمة وامان وعهد الثالث ما يؤخذ قهرا بالاستحقاق عند امتناع من عليه فيؤخذ دون رضاه وذلك حلال اذا تم سبب الاستحقاق وتم وصف المستحق واقتصر على المستحق الرابع ما يؤخذ تراضيا بمعاوضة وذلك حلال اذا روعي شرط العوضين وشرط العاقدين وشرط اللفظ اعني الايجاب والقبول مع ما تعبد الشرع به من اجتناب الشروط المفسدة الخامس ما يؤخذ بالرضا من غير عوض كما في الهبة والوصية والصدقة اذا روعي شرط المعقود عليه وشرط العاقدين وشرط العقد ولم يؤد الى ضرر بوارث او غيره السادس ما يحصل بغير اختياره كالميراث وهو حلال اذا كان المورث قد اكتسب المال من بعض الجهات الخمس على وجه حلال ثم كان ذلك بعد قضاء الدين وتنفيذ الوصايا وتعديل القسمة بين الورثة واخراج الزكاة والحج والكفارة ان كانت واجبة فهذه مجامع مداخل الحلال وما سوى ذلك فحرام لا يجوز اكله وكذا ان كان من هذه الجهات وصرفه الى غير الجهات الشرعية كالخمر والزمر والزنى واللواط والميسر والسرف فالحرام كل هذه الوجوه داخلة تحت قوله سبحانه ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل اي على الوجه الذي لم يبحه الله ولم يشرعه بينكم اي في المعاملات الجارية بينكم والتصرفات الواقعة فيكم وليس المراد منه الاكل خاصة بل عبر بالاكل عن التصرف كالاكل في هذه الاية لانه اعظم المقاصد والاعظم من المال ومنه قيل لمن انفق ماله اكله وادلاء الدلو ارساله من ادلت دلوي اي ارسلتها في البئر للاستقاء فاذا استخرجها قلت دلوت ثم جعل كل القاء قول او فعل ادلاء ومنه يقال للمحتج ادلى بحجته كانه يرسلها ليصير الى مراده فلان يدلي الى الميت بقرابة ورحم اذا كان منتسبا اليه فيطلب الميراث بتلك النسبة طلب المستقي الماء وقوله وتدلوا داخل في حكم النهي ولا تدلوا بها الى الحكام اي لا ترشوها اليهم ولا تلقوا امرها والحكومة فيها اليهم لتاكلوا طائفة من اموال الناس بالاثم بشهادة الزور او باليمين الكاذبة او بالصلح مع العلم بان المقضي له ظالم والفرق بين الوجهين ان الحكام على الاول هم الذين يقبلون الرشى التي هي رشاء الحاجة شبهها بحبل الدلو والعبد قريبا واذا اخذ الحاكم الرشوة في الحكم من غير تثبت كما هو الواقع في الارسال وعلى الثاني قد يكون الحاكم عادلا ولكن يشتبه عليه الحق كما روي عن النبي ﷺ انه قال للخصمين انما انا بشر وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فلا ياخذن منه شيئا فانما اقطع له قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد منهما حقي لصاحبي فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه قوله فتوخيا اي اقصدا الحق فيما تصنعانه من القسمة ثم تقارعا وليأخذ كل منكما ما تخرجه القسمة بالقرعة ثم قال وانتم تعلمون انكم على الباطل وارتكاب المعاصي مع العلم بقبحها اقبح وصاحبه بالتوبيخ احق يروى ان معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاري قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلئ ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ لا يكون على حالة واحدة فنزلت يسئلونك عن الاهلة وقيل ان السائلين هم اليهود ثم ان سؤالهم يحتمل ان يكون عن الغاية والحكمة في اختلاف حال القمر كما في الرواية وان يكون عن السبب وقد تقرر في علم الهيئة ان القمر جرم كثيف مظلم في ذاته يستفيد النور من الشمس وينفصل ابدا نصفه المضيء عن المظلم بدائرة لاستدارة الجرم المستنير وينفصل نصفه المرئي عن غير المرئي بدائرة الرؤية والدائرتان تنطبقان في الاجتماع بحيث لا يظهر شيء من المستنير ويكون القطعة المظلمة الى البصر وهذه الحالة هي المحاق وكذا في الاستقبال لكن القطعة المستنيرة هي التي تلي البصر في هذه الحالة وهي البدر وفي سائر الاوضاع يتقاطعان اما في التربيعين فعلى زوايا قوائم تقريبا وفي غير التربيعين على زوايا حادة ومنفرجة وعلى التقديرين ينقسم كرة القمر الى اربع قطع اثنتان مضيئتان وهما اللتان تليان الشمس والباقيتان مظلمتان وتقع في خطوط البصر واحدة من الاوليين واحدة من الاخريين لكن يحس بالمستنيرة دون المظلمة والقطع الاربع في التربيعين متساوية وما تقرب منها وفي غيرهما تختلف المتقابلتان فالقطعة المرئية من الحادة تبين القطعتين في خطوط البصر في التربيعين الاول والاخير من الشهر اصغرهما لان زاويتها اصغر الزاويتين اللتين تليان البصر واعني بها حادة وبينه ثم القطعة المرئية اصغر لما سبق الى البصر هلالا وتحيل على اهله لانه يتحدد اصبعا وفيما بين التربيعين الباقيين من الشهر القطعة المضيئة المرئية اعظم المقابلتين الموصوفتين لان زاويتها اعظم المذكورتين اعني انها منفرجة وانها الحادة كذلك لان المكلف لا يهمه معرفة هذه التصورات في باب العمل وانما الذي يعود عليه من فوائده وحكمه في باب التكليف معرفة المواقيت والمعالم التي يوقت بها الناس

مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعدد نسائهم وايام حيضهن ومدد حملهن ومعالم الحج يعرفونها وقت دلالتها من الوقت كالتزام الوقت ولعمري انه لو منع مانع من ان ضبط هذه الامور لا يتسهل الا بتوقيت لا بوقوع الاختلاف في تشكلات القمر لبقي عمره من كل شكل الى مثله ولا سيما من الهلالية الى مثلها اشهرا شهرا وبذلك تضبط السنون وضبط الاوقات المضبوط يمكنه بجود ما ثمة على تقدير وجوده ولو لم يكن فيه الا اظهار سمة الحدوث والامكان والزوال والنقصان في الفلكيات حتى لا يظن بها وجوب الوجود والاشتراك في القدم مع مبدعها الحي ولتخالف امتناع الخرق والالتيام كما ذهب كل من ذلك طائفة من اللئام لكفى به تنبيها وعناية وارشادا وهداية الى افتقار الفلكيات الى فاعل مختار ومدبر قهار وجاعل الظلم والانوار ومصير الاهلة والاقمار وفي افراد الحج بالذكر من ان الاهلة مواقيت عبادات اخر كالصوم والزكوة اشارة الى ان الحج مقصور على الاشهر التي عينها الله ليعلموا انه لا يجوز نقل الحج عن تلك الاشهر الى اشهر اخر كما كانت العرب تفعل ذلك في النسيء ويمكن ان يقال توقيت الصوم على الهلال قد علم من قوله شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن والزكوة يتعلق بالحول لا اصالة فتقدير السنين القمرية من نقطة كالحمل مثلا مثلها بحركتها الخاصة والايمان والجهاد لا يتعلقان بوقت معين والصلوة تتعلق باليوم والليلة فلم يبق من الاركان المتعلقة بالشهر سوى الحج فتعين ذكره في هذه الاية والله اعلم قوله عز من قائل وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها عن البراء قال نزلت هذه الاية فينا كانت الانصار اذا حجوا فجاؤا لم يدخلوا من قبل ابواب البيوت فجاء رجل من الانصار فدخل من قبل بابه فكانه عير بذلك فنزلت وفي رواية كانوا اذا احرموا في الجاهلية اتوا البيت من ظهره فانزل الله الاية والحاصل ان ناسا من الانصار كانوا اذا احرموا لم يدخل احد منهم حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من باب فان كان من اهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل ويخرج او يتخذ سلما يصعد فيه وان كان من اهل الوبر خرج من خلف الخباء فقيل لهم ليس البر بتحرجكم من دخول الباب تشددا في الاحرام ولكن البر من اتقى ولكن ذا البر من اتقى مخالفة الله وقيل الحمس هم قريش وكنانة وخزاعة وثقيف وجشم وبنو عامر بن صعصعة سموا حمسا لتشددهم في دينهم والحماسة الشدة كانوا اذا احرموا لم يدخلوا بيوتهم ولم يجلسوا تحت سقف البيت ولم ينتظلوا الوبر ولم ياكلوا السمن ولا الاقط وعن الحسن والاصم كان الرجل في الجاهلية اذا هم بشيء فتعسر عليه مطلوبه لم يدخل بيته من بابه بل من خلفه ويبقى على هذه الحالة حولا كاملا فنهاهم الله تعالى عن ذلك لانهم كانوا يفعلونه تطيرا واما متفقو وجه اتصال هذا الكلام بما قبله فبناء على الاسباب المروية في نزوله وعليه اكثر المفسرين فهو انهم لما سئلوا عن الحكمة في اختلاف احوال الاهلة قيل لهم اتركوا السؤال عن هذا الامر الذي لا يعنيكم وارجعوا الى ما البحث عنه اهم ولا تعتقدوا ان جميع ما شرع لكم هو على شاكلة الصواب فتنظروا في واحدة تفعلونها انتم وتحسبونها برا وليس من البر في شيء ولكنه ثم لما ذكر الحكمة في الاهلة وهي جعلها مواقيت للناس والحج وكان هذا الامر من الاشياء التي اعتبروها في الحج فلا جرم تكلم الله فيه استطرادا لاتفاق وقوع القصتين في وقت واحد فنزلت الاية فيهما معا في وقت واحد وقيل انه تمثيل لتعكيسهم في سؤالهم فان الطريق المستقيم هو الاستدلال بالمعلوم على المظنون فاما ان يستدل بالمظنون على المعلوم فذلك عكس الواجب فاذا ثبت بالدلائل ان للعالم صانعا مختارا حكيما وثبت ان الحكيم لا يفعل الا الصواب البريء من العبث والسفه فاذا راينا اختلاف احوال القمر وجب ان نعلم ان فيه حكمة ومصلحة وهذا استدلال بالمعلوم على المجهول فاما ان يستدل بعدم علمنا بما فيه من الحكمة على ان فاعله غير حكيم فهو استدلال بالمجهول على المعلوم فكانه تعالى يقول لما لم تعلموا لحكمته في اختلاف نور القمر صرتم شاكين في حكمة الخالق وقد اتيتم الشك فقد اتيتم الامر من ورائه وهذا ليس من البر لان كمال العقل ان تاتوا الامور من وجوهها التي يجب ان يؤتى منها وهذا باب مشهور في الكناية قال الاعشى شعر وكاس شربت على لذة ؛ واخرى تداويت منها بها ؛ لكي يعلم الناس اني امرؤ ؛ اتيت المعيشة من بابها ؛ وعن ابي مسلم ان هذا اشارة الى ما كانوا يفعلونه من النسيء وكان يقع الحج في غير وقته فذكر اتيان البيوت من ظهورها مثلا لمخالفتهم الواجب في الحج وشهوره ثم انه تعالى امرهم بالتقوى التي تتضمن الاتيان بجميع الواجبات والاجتناب عن الفواحش والمنكرات ارادة ان يظفروا بالمطالب الدينية والدنيوية والله ولي التوفيق التاويل ان الباطل اكل في النفس الحريص الاسراف تدلوا بها الى الحكام يعني النفوس الامارة بالسوء من اموال الناس من الاموال التي خلقت للاستعانة بها على العبودية الاهلة للزاهدين مواقيت اورادهم وللصديقين مواقيت مراقباتهم والحج اشارة الى ما يرد بحكم الوقت عليهم من غير اختيارهم فمن كان في قبضة الصحو كان قيامه بالشريعة ومن كان وقته المحو فالغالب عليه احكام الحقيقة فان تجلى لهم بوصف الجلال عاشوا وان تجلى لهم بوصف الجمال عاشوا فليس للمحبين وقت لا وقت في محبوبهم كالبس لهم وصف الا اوصاف محبوبهم والله تعالى اعلم وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين

وجهاد كنيد در راه خدا انانكه قتال كنند باشما و زيادتى مكنيد كه خداى دوست ندارد تجاوز كنندگان

واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم والفتنة اشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى

وجنگ كنيد با ايشان در هر جا كه يافتيد ايشان را و بيرون كنيد ايشان را از انجا كه بيرون كردند شما را و فتنه سخت تر است از كشتن و قتال مكنيد با ايشان در نزد مسجد الحرام تا آنكه

يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين فان انتهوا فان الله غفور رحيم وقاتلوهم حتى لا تكون

قتال كنند با شما پس اگر قتال كنند با شما پس بكشيد ايشان را چنين است جزاء كافران پس اگر باز ايستادند پس بدرستى كه خدا آمرزنده مهربانست و جنگ كنيد با ايشان تا آنكه نباشد

فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص

فتنه و باشد دين از براى خدا پس اگر باز ايستادند پس نيست عقوبتى مگر بر ستمكاران ماه حرام بماه حرام و حرمتها بدل كردند

فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين وأنفقوا في سبيل الله

پس هر که تعدی کرد بر شما پس تعدی کنید بر او بطریقی که تعدی کرد و بر شما و بپرهیزید از خدا و بدانید که بدرستی که خدا با پرهیزگاران است و انفاق کنید در راه خدا

ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين القراءة ولا تقاتلوهم حتى يقتلوكم فإن قتلوكم حمزة وعلي وخلف الباقون

و میندازید خود را بدست خود در میان هلاکت و نیکویی کنید که خدا دوست میدارد نیکوکاران را من باب المفاعلة وقيل انه من جملة ما كتب في المصحف بغير الالف كالرحمن الوقوف

ولا تعتدوا ط المعتدين ه من القتال ج للعارض بين الجملتين المتفقتين فيتعين ج لابتداء الشرط مع الفاء فاقتلوهم ط الكافرين ه رحيم ه الدين لله ط لتبدل

الحكم الظالمين ه قصاص ط لان الاعتداء خارج عن اصل الموجب فوقعه ما اعتدى عليكم ص لعطف الجملتين المتفقتين المتقين ه التهلكة ج لاختلاف المعنى

اي لا تقحموا في الحرب بخوف ما طلق وحسنوا ج لاحتمال تقدير الفاء واللام المحسنين ه التفسير لما امر في الاية المتقدمة بالتقوى امر في هذه الاية بالقتال

على الحق وهو المقاتلة في سبيل الله عن ابي موسى ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عمن يقاتل في سبيل الله فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ولا يقاتل حمية ولا سمعة

الذين يقاتلونكم الذين يناجزونكم القتال دون المحاجزين اعني الذين هم بصدد القتال بالفعل دون التاركين قيل وعلى هذا يكون منسوخا بقوله وقاتلوا

المشركين كافة ومنع بان الامر بقتال من يقاتل لا يدل على المنع من قتال من لا يقاتل وكذلك ما روى عن الربيع بن انس هي اول اية نزلت في القتال بالمدينة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقاتل من قاتل ويكف عمن كف والذين يناصبونكم القتال دون من ليس من اهل المناصبة من الشيوخ والصبيان والرهبان والنساء او المستعدين للقتال

سوى من جنح للسلم او الكفرة كلهم لانهم جميعا مضادون للمسلمين قاصدون لمقاتلتهم مستعدين لها فهم في حكم المقاتلة قاتلوا او لم يقاتلوا وقيل في سبب

نزول الاية انه صلى الله عليه وسلم خرج مع اصحابه لارادة الحج فلما نزل بالحديبية وهو موضع كثير الشجر والماء صدهم المشركون عن دخول البيت فاقام شهرا لا يقدر على ذلك

فصالحوه على انه يرجع ذلك العام ويعود اليهم في العام القابل ويتركوا له مكة ثلاثة ايام حتى يطوف بالبيت وينحر الهدي ويفعل ما يشاء فرضي به وصالحهم عليه وعاد

الى المدينة وتجهز في السنة القابلة ثم خاف اصحابه من قريش ان لا يفوا بالوعد ويصدوهم عن المسجد الحرام وان يقاتلوهم وكانوا كارهين لقتالهم في الشهر

الحرام فانزل الله هذه الايات وبين لهم كيفية المقاتلة ان احتاجوا اليها فقال وقاتلوا في سبيل الله ولا تعتدوا بابتداء القتال وانما كان ذلك في اول الامر لقلة

المسلمين ولكون الصلاح في استعمال الرفق واللين فلما قوي الاسلام وكثر الجمع واقام من اقام منهم على الشرك بعد ظهور المعجزات وتكررها عليهم حصل اليأس

من اسلامهم فامروا بالقتال على الاطلاق او لا تعتدوا بقتال من نهيتم عن قتاله من غير المستعدين كالنساء والشيوخ والصبيان والذين بينكم وبينهم

عهد او بالمثلة والمفاجأة من غير دعوة الى الاسلام وهذه المعاني الثلاثة بازاء التفاسير الثلاثة في الذين يقاتلونكم إن الله لا يحب المعتدين المجاوزين

عما شرع الله لهم في الصحاح تقفته اي صادفته وفي الكشاف الثقف وجود على وجه الاخذ والغلبة ومنه رجل ثقف سريع الاخذ لاقرانه قال فاما تثقفوني فاقتلوني

فمن اثقف فليس الى خلود ⁂ امر في الاية الاولى بالجهاد بشرط اقدام الكفار على القتال وفي هذه الاية زاد في التكليف فامر بالجهاد معهم سواء

قاتلوا او لم يقاتلوا واستثنى عنه المقاتلة عند المسجد الحرام ومعنى حوطا لانه ممنوع ان يفعل فيه ما منع من فعله واصل الحرمة المنع من حيث اخرجوكم اي

اي من الموضع الذي اخرجوكم وهو مكة وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن لم يسلم منهم يوم الفتح واخرجوهم من منازلهم كما اخرجوكم من منازلكم وقد اجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

المشركين من المدينة بل قال لا يجتمع دينان في جزيرة العرب والمراد بالاخراج تكليفهم الخروج قهرا وتخويفهم وتشديد الامر عليهم حتى اضطروا الى الخروج

والفتنة عن ابن عباس انها الكفر بالله لانه فساد في الارض يؤدي الى الظلم والهرج وفيه الفتنة وانما الكفر ذنب يستحق العقاب الدائم بالاتفاق والقتل

ليس كذلك والكفر يخرج به صاحبه عن الامة دون القتل وروي ان صحابيا قتل رجلا من الكفار في الشهر الحرام فعابه المؤمنون على ذلك فنزلت اي لا تستعظموا

الاقدام على القتل في الشهر الحرام فان اقدام الكفار على الكفر في الشهر الحرام اعظم من ذلك وقيل الفتنة اصلها عرض الذهب على النار للخلاص من الغش ثم صار

اسما لكل محنة والمعنى ان اقدام الكفار على تخويف المؤمنين وعلى تشديد الامر عليهم حتى صاروا ملجئين الى ترك الاهل والاوطان هربا من فتنهم

في الدين وابقاء على مهجهم وحرمهم اشد من القتل الذي اوجبته عليكم جزاء عن تلك الفتنة لانه يقتضي التخلص من غموم الدنيا وآفاتها قال شعر لقتل

بحد السيف اهون موقعا ⁂ على النفس من قتل بحد فراق ⁂ وقيل الفتنة العذاب الدائم الذي يلزمهم بسبب كفرهم كانه قيل اقتلوهم حيث ثقفتموهم

واعلموا ان وراء ذلك من عذاب الله ما هو اشد منه كقوله عز من قائل يوم هم على النار يفتنون وقيل فتنتهم اياكم بصدكم عن المسجد الحرام لانه سعي في المنع عن

الطاعة التي ما خلق الجن والانس الا لها اشد من قتلكم اياهم في الحرم وقيل ارتداد المؤمن اشد من ان يقتل محقا فالمعنى واخرجوهم من حيث اخرجوكم

ولا يحملنكم ذلك على الخوف على انفسكم فانكم ان قتلتم وانتم على الحق كان ذلك اولى بكم من ان ترتدوا على ادباركم او تتكاسلوا عن طاعة معبودكم يروى ان الاعمش قال

قال لحمزة ارايت قراءتك اذا صار الرجل مقتولا فبعد ذلك كيف يصير قاتلا لغيره فقال حمزة ان العرب اذا قتل منهم رجل قالوا قتلنا واذا ضرب منهم واحد

قالوا ضربنا وذلك لان وقوع القتل في بعضهم كوقوعه فيهم فإن انتهوا قيل اي عن القتال لان المقصود من الاذن في القتال منع المقاتلة عن ابن عباس

وقيل اي عن الشرك بدليل قوله فإن الله غفور رحيم الدال على انه يغفر لهم ويرحمهم والكافر لا ينال غفران الله ورحمته بترك القتال بل بترك الكفر عن الحسن

قلت لا ريب ان القتال سبيله الى قتل المسلمين فلا ذم القول انه لا انتهاء عن الكفر ظاهرا الا بالتلفظ بكلمة الاسلام وانه مؤثر في حقن الدم وعصمة المال و

بالجنة التي تنبعث كان جميعا ويؤثر في استحقاق الرحمة والغفران ويعضده قوله والفتنة اشد من القتل على ان التوبة عن قتل العمد عند بعض الناس غير

مقبولة لان الشرك اعظم الذنوب فاذا قبل الله تعالى توبة الكافر فقبول توبة القاتل اولى وفيه ان الكافر القاتل مقبول التوبة بالاتفاق اذا اسلم فالقاتل غير

الكافر

الكافر ولكن يمكن ان يجاب بان حق الله تعالى مبني على المسامحة فظهر الفرق ولان الايمان يجب ما قبله فلا يلزم من عدم مؤاخذة الكافر بقتله اذا اسلم ان
يؤاخذ المسلم بقتله ولهذا يجب قضاء الصلوات الفائتة على المسلم اذا تاب عن ترك الصلوة ولا يجب على الكافر اذا اسلم قوله فان قاتلوكم قيل انه ناسخ
لقوله ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام وهو وهم لان البداية بالمقاتلة عند المسجد الحرام بقيت حرمتها على ما كانت فان هذه الاية عامة وما قبلها
مخصصة اياها وهذا جائز فان القران ليس على ترتيب النزول ولو كان على الترتيب فلا يضر لجواز نزول الخاص قبل العام عندنا وذلك ان الخاص
قاطع في دلالته تقدم او تأخر والعام دلالته على ما يدل عليه الخاص غير مقطوع بها فلا بد من التخصيص جمعا بينهما حتى لا تكون فتنة قيل اي شرك
وكفر وعلى هذا فالاية محمولة على الاغلب فان من تقاتلهم لا يزول الكفر لسانا وانما الغالب الازالة لان من قتل منهم فقد زال كفره ومن لم يقتل كان خائفا
من الثبات على كفره والحاصل قاتلوهم حتى يكون كلمة الله هي العليا وهو المراد من قوله ويكون الدين لله اي ليس للشيطان فيه نصيب او هو
شامل وسطوع برهانه كما قال ليظهره على الدين كله ولا عبرة بالمخالف لقلة شوكته وسقوطه عن درجة الاعتداد او محمول على قصد ازالة الكفر فيرجع
هذا العزم على القتال كالكل لا يتخلف عنه وقيل فتنة انهم كانوا يضربون اصحاب النبي ويؤذونهم حتى ذهب بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينة اي قاتلوهم حتى
تظهروا عليهم ولا يفتنوكم عن دينكم وعن ابي مسلم معناه قاتلوهم حتى لا يكون منهم القتال الذي اذا بدءوا به كان فتنة على المؤمنين لما يخافون عنده
من انواع المضار ولا يخفى ان قوله ويكون الدين كله لله يرجح القول الاول ليكون المعنى قاتلوهم حتى يزول الكفر ويظهر الاسلام فان انتهوا عن الامر الذي
وجب قتالهم لاجله وهو اما الكفر او القتال فلا عدوان الا على الظالمين اي فلا تعتدوا على المنتهين بموضع قوله الا على الظالمين فاقام مقام
على المنتهين لان مقاتلة المنتهين عدوان وظلم فنهوا عنه بدليل انحصاره في غير المنتهين او فلا تظلموا الا الظالمين غير المنتهين على الوجهين سمي جزاء
الظالم ظلما للمشاكلة كما يجيء في قوله فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم او ان تعرضتم لهم بعد الانتهاء كنتم ظالمين فيسلط عليكم من
يعدو عليكم فانه لما [illegible] المشركون عام الحديبية في الشهر الحرام وهو ذو القعدة وسنة ست من الهجرة وصدوهم عن البيت فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء
وكره [illegible] القتال وذلك في ذي القعدة سنة سبع الشهر الحرام بالشهر الحرام اي هذا الشهر بذلك الشهر وهتكه بهتكه فلا تمنعكم حرمته عن الكفر
والافعال القبيحة فكيف يمنعنا من القتال معكم دفعا لشركم واصلاحا لفسادكم والحرمات جمع حرمة وهي ما لا يحل انتهاكه والقصاص المساواة اي كل حرمة
يجري فيها القصاص من هتك حرمة اي حرمة كانت اقتص منه بان يهتك له حرمة والحرمات الشهر الحرام والبيت الحرام والاحرام فلما اضاعوا هذه الحرمات
في سنة ست وصدكم حتى قضيتموها على رغمهم في سنة سبع وان قدموا على مقاتلتكم فقد [illegible] لكم في قتالهم فافعلوا بهم مثل ما فعلوا ولا تبالوا ثم
اكد ذلك بقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله حين تنتصرون ممن اعتدى عليكم حتى لا تعتدوا الى ما لا يحل لكم
واعلموا ان الله مع المتقين بالنصر والتأييد والتقوية والتسديد فان الاستصحاب بالعلم او بالمكان ان جاز شامل المتقين وغيرهم قوله عز من قائل
وانفقوا وجه اتصاله بما قبله انه تعالى لما امر بالقتال والقتال يفتقر الى العدد والعدد قد يكون ذو المال العاجز عن القتال وقد يكون القوي على القتال عديم
المال فلهذا امر الله الاغنياء بالانفاق في سبيله اعداد الرجال وتجهيز الابطال يروى انه لما نزل الشهر الحرام بالشهر الحرام قال رجل من الحاضرين والله
يا رسول الله ما لنا زاد وليس احد يطعمنا فامر ان ينفقوا في سبيل الله وان يتصدقوا وان لا يكفوا ايديهم عن الصدقة ولو بشق تمرة ولو بمشقص
يحمل في سبيل الله فيهلكوا فنزلت هذه الاية على وفق قول الرسول والانفاق صرف المال في وجوه المصالح فلا يقال للمضيع انه منفق واما قوله
في سبيل الله فيشمل الانفاق فيه الانفاق في الحج والعمرة والجهاد والتجهيز والانفاق في صلة الرحم وفي الصدقات وعلى العيال وفي الزكوات
والكفارات وفي عمارة سبل الخير وغير ذلك الا ان الاقرب في هذه الاية وقد تقدم ذكر القتال ان يراد به الانفاق في الجهاد ولكنه عبر عنه بقوله في سبيل الله
ليكون كالتنبيه على السبب في وجوب هذا الانفاق فالمال مال الله فيجب انفاقه في سبيل الله ولان المؤمن اذا سمع ذكر الله اهتز ونشط وهان عليه ما
دعي اليه ايا ما كان ولا تلقوا بايديكم مزيدة مثلها في اعطى بيده للمنقاد والمعنى ولا تقبضوا التهلكة ايديكم اي لا تجعلوها آخذة بايديكم مالكة لكم وقيل الايدي الانفس
كقوله بما كسبت ايديكم بما قدمت يداك اي لا تلقوا انفسكم الى التهلكة وقيل ان هنا حذفا اي ولا تلقوا انفسكم بايديكم الى التهلكة كما يقال اهلك فلان
نفسه اذا تسبب لهلاكها عن ابي عبيدة والزجاج ان التهلكة والهلاك والهلك واحد لا يوجد مصدر على تفعلة بضم العين سواه الا ما حكاه سيبويه
قوله التضرة والتسرة ونحوهما في الاعيان التنضبة لشجر والتتفلة لولد الثعلب ويجوز ان يقال اصله التهلكة بالكسر كالتجربة والتبصرة على انها مصدر
هلك مشددة العين فابدلت من الكسرة ضمة كما جاء الجوار في الجوار وليس الغرض من هذا التكليف على ما ظن تصحيح لفظ القرآن كيلا يتوهم فصاحته فانه اجل
من ان يحتاج في تصحيحه الى الاستشهاد بكلام الفصحاء من البشر كيف لا وهو حجة على غيره وليس لغيره ان يكون حجة عليه انما الغرض الضبط والتسهيل ما
امكن [illegible] المفسرين في هذا الالقاء خلاف فمنهم من قال انه راجع الى الانفاق روى البخاري عن حذيفة قال نزلت هذه الاية في النفقة وذلك
ان لا تنفقوا في مهمات الجهاد اموالكم فيستولي العدو عليهم ويهلككم او ينفقوا كل ما لهم فيضيعوا ويحتاجوا فيكون نهيا عن التقتير والاسراف
وعنهما جميعا والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما او المعنى انفقوا في سبيل الله ولا تقولوا انا نفتقر ان انفقنا فنهلك ولا تقصروا
ان يتكلوا على انفسهم بالهلاك للنفاق او انفقوا ولا تلقوا ذلك الانفاق في التهلكة والاحباط بالمن والاذى او الرياء والسمعة ولا تبطلوا اعمالكم ومنهم
من قال انه راجع الى غير الانفاق اي لا تخلوا بالجهاد فتتعرضوا للهلاك الذي هو سخط الله وعذاب النار او لا تقتحموا في الحرب بحيث لا ترجون النفع

ولا يكون لكم دية لا قتل انفسكم فان ذلك لا يحل كذا روى عن البراء بن عازب انه قال في هذه الآية هو الرجل يستقبل بين الصفين وانما يجب ان يتقدم اذا طمع في النكاية
وان خاف القتل روى الشافعي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الجنة فقال له رجل من الانصار ارأيت يا رسول الله ان قتلت صابرا محتسبا قال لك الجنة فانغمس في جماعة
العدو فقتلوه وان رجلا من الانصار القى درعا كان عليه حين ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الجنة ثم انغمس في العدو فقتلوه بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم وروى ان رجلا من الانصار
تخلف عن اصحاب بئر معونة فرأى الطير عكوفا على من قتل من اصحابه فقال لبعض من معه ساتقدم الى العدو فيقتلونني ولا اتخلف عن مشهد قتل فيه
اصحابي ففعل ذلك فذكروا للنبي صلى الله عليه وسلم فقال فيه قولا حسنا وروى مسلم ابو عمران قال كنا بمدينة الروم فاخرجوا الينا صفا عظيما من الروم فخرج اليهم من المسلمين
مثلهم او اكثر وعلى اهل مصر عقبة بن عامر وعلى الجماعة فضالة بن عبيد فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم فصاح الناس قالوا سبحان الله
يلقي بيده الى التهلكة فقام ابو ايوب الانصاري فقال يا ايها الناس انكم تاولون هذه الآية هذا التاويل وانما نزلت هذه الآية فينا معشر الانصار لما
اعز الله الاسلام وكثر ناصروه فقال بعضنا لبعض سرا دون النبي صلى الله عليه وسلم ان اموالنا قد ضاعت وان الله قد اعز الاسلام وكثر ناصروه فلو اقمنا في اموالنا فاصلحنا
ما ضاع منها فانزل الله تعالى على نبيه يرد علينا ما قلنا فكانت التهلكة الاقامة في الاموال واصلاحها وترك الغزو فما زال ابو ايوب شاخصا في سبيل الله
حتى دفن بارض الروم وقيل ان الآية من تمام ما قبلها اي ان قاتلوكم في الشهر الحرام فقاتلوهم فان الحرمات قصاص ولا يحملنكم حرمة الشهر على ان تستسلموا
لمن قاتلكم فتهلكوا بترككم القتال وعن النعمان بن بشير كان الرجل يذنب الذنب فيقول لا يغفر لي فانزل الله تعالى هذه الآية وذلك انه يرى انه لا ينفعه
معه عمل فيترك العبودية ويصر على الذنب فنهى عن القنوط من رحمة الله واحسنوا في الانفاق بان يكون مقرونا بطلب رضاء الوجه الحق على قضية العدل الذي بين
التقتير والاسراف وفي قراءة رضي الله عنه عن الحسن ان الله يحب المحسنين اذ الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وهذا مقام القرب
والقرب يقتضي الارادة الذاتية وهذا من رمز الله ولكل خبر تاويل قاتلوا من يصدكم عن السير في سبيل الله واراد ان يقطع عليكم طريقه من
شياطين الانس والجن حتى نفوسكم التي هي اعدى عدوكم ولا تعتدوا لا تجاوزوا عن حد الشرع فتجاهدوا بالطبع لكن كونوا ثابتين على قدم الاستقامة
بقدر الاستطاعة من غير افراط وتفريط واقتلوا كفار النفس بسيف الرياضة حيث ثقفتموهم وجاهدوها على الدوام واخرجوهم من صفات النفس
كما اخرجوكم من جبلة القلب حضوره والفتنة اي المحنة التي تزيل القلب عن طوارق صفات النفس الحاجبة عن الله اشد من قتل النفس بمجاهدتها
ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام لا تلتفتوا الى النفس وصفاتها اذا كنتم امنين مطمئنين في مقامات القلب والروح حتى يقاتلوكم في الخصوص داعية
الهوى فان قاتلوكم في الجمعية والحضور فاقتلوهم بسيف الصدق واقطعوا مادة تلك الدواعي عن نفوسكم بكل ما امكن لئلا يبقى لكم علاقة تصدكم
عن الله فان انتهوا بان قنعت بما لا بد لها فلا تعتدوا في مجاهدتها الشهر الحرام اي ما يفوتكم من الاوقات والاوراد موالى النفس في نزاعها وغلبات
صفاتها فتداركوه الشهر بالشهر واليوم باليوم فمن اعتدى فكل صفة غلبت وتسولت فعالجوها بضدها فالبخل بالسخاء والغضب بالحلم والحرص
بالزهد والشهوة بالعفة واتقوا الله في الافراط والتفريط ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بالتفريط في الحقوق والافراط في الحظوظ وبموافقة
النفوس بمخالفة النصوص وبالركون الى الغنوة بالحسبان والغرور والله المستعان على ما يصفون **وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ**

وتمام کنید حج و عمره را از برای خدا پس اگر محصور شوید
فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ
پس آنچه میسر شود از هدی ومتراشید سرهای خود را تا برسد هدی بجای خودش پس هر که باشد
مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ
از شما ناخوش یا او را ناخوشی باشد از سرش پس فدیه دهد
مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ
از روزه یا صدقه یا عمل دیگر پس چون فارغ شدید پس هر که بهره یافت بعمره سوی حج پس آنچه میسر شود
مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ
از هدی پس هر که نیافت پس روزه بگیرد سه روز
فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي
در حج و هفت روز وقتی که برگشتید این ده روز تمام است این از برای کسیست که نباشد یاران او حاضران
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
مسجد الحرام وبپرهیزید خدا را وبدانید که خدا سخت
الْعِقَابِ القراءة من امن كذلك تليين الهمزة الساكنة كلها بغير همز ابو عمرو وغير شجاع وورش
عقوبت — الاعشى وحمزة في الوقف والوقف لان خارج الاحصار خارج عن موجب الاصل من الحج لعطف المختلفين حكما لا بد احكم
كفارة الضرورة او نسك لان اذا للشرط مع الفاء وجوابه محذوف اي فاذا امنتم من خوف العدو وضعف المرض فامضوا امنتم وقعة لحق الحذف وكذا
بعد الشرط في حكم اللغو وهو التمتع من الهدي رجعتم كاملة الحرام العقاب التفسير الحج في اللغة القصد كما مر في قوله فمن حج البيت او اعتمر وفي الشرع
عبادة عن افعال مخصوصة وهي على ثلاثة اقسام اركان وابعاض وهيئات لان كل عمل يؤمر فيه فاما ان يتوقف التحلل عليه فهو الركن او لا يتوقف فاما
ان يجبر بالدم وهو البعض او لا يجبر فهو الهيئة والاركان عند الشافعي خمسة الاحرام والوقوف بعرفة والطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة وحلق
الرأس او تقصيره وخالف ابو حنيفة في السعي ولا مدخل للجبران في الاركان واما الابعاض فهي الواجبات المجبورة بالدم فالاحرام من الميقات والرمي وفاقا
وفي الوقوف بعرفة الى ان تغرب الشمس وفي المبيت بمزدلفة والمبيت بمنى وفي طواف الوداع خلاف واما الهيئات فالاغتسال وطواف القدوم
والرمل والاضطباع في الطواف وفي السعي واستلام الركن وتقبيله والسعي في موضع السعي والمشي في موضع المشي والخطب والاذكار والادعية الى غير
ذلك وبالجملة ما سوى الاركان والابعاض ولا دم في تركها واما في العمرة فما سوى الوقوف من اركان الحج اركان فيهما ثم ان قوله عز من قائل واتموا امر بالاتمام

وهل هذا الامر مطلق او مشروط فالشافعي على انه مطلق والمعنى افعلوا الحج والعمرة على نعت التمام والكمال وابو حنيفة على انه مشروط والمعنى من شرع فيهما
فليتمهما كما اذا كبر بالصلوة فانه يلزمه الاتمام تطوعا كان او فريضة وفائدة الخلاف تظهر في العمرة فانها تصير واجبة على المعنى الاول دون الثاني حجة الشافعي ان الاتمام قد يراد
به فعل الشيء تاما كاملا كقوله وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ اي اداهن على التمام والكمال وقوله ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ اي افعلوا الصيام تاما الى الليل
وهذا اولى من تفسيره انكم اذا شرعتم فيه فاتموه لان الاصل عدم اضمار هذا الشرط ولان المفسرين اجمعوا على ان هذه الاية نزلت في الحج فحملها على
الايجاب ليكون تاسيسا اولى من حملها على الاتمام بشرط الشروع فانها تكون حينئذ تاكيدا ولانه روي واقيموا الحج والعمرة والشاذ يصلح للترجيح وان لم يصلح
للقطع كخبر الواحد ولان الوجوب المطلق يستلزم الاتمام والاتمام بشرط الشروع لا يستلزم اصل الوجوب فالقول بالوجوب فيه فائدة اكثر فاذا يكون اولى وايضا
انه احوط واعتمر النبي صلعم قبل الحج ولو لم تكن العمرة واجبة لكان الاشبه ان يبادر الى الحج الذي هو واجب ثم قال تعالى يوم الحج الاكبر فيه دليل على وجود حج اصغر
وما ذاك الا العمرة بالاتفاق لكن الحج واجب على الاطلاق لقوله وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ فيدخل فيه الاكبر والاصغر حجة ابي حنيفة قصة الاعرابي الذي
سئل النبي صلعم عن اركان الاسلام فعلمه الصلوة والزكوة والحج والصوم فقال الاعرابي لا ازيد على هذا ولا انقص فقال النبي صلعم افلح الاعرابي ان صدق
وقال صلعم بني الاسلام على خمس الحديث ليس فيه ذكر العمرة واجيب بان العمرة حج اصغر فيدخل في مطلق الحج قالوا روي عن جابر ان النبي صلعم سئل عن العمرة اواجبة
هي ام لا فقال لا وان تعتمر خير لك وعن ابي هريرة عن النبي صلعم الحج جهاد والعمرة تطوع واجيب بانها اخبار آحاد فلا تعارض القرآن وايضا لعل العمرة ما كانت
واجبة حين ذكر النبي صلعم الاحاديث ثم نزل بعدها واتموا الحج وذلك في السنة السابعة من الهجرة وايضا فانها معارضة باخبار تدل على وجوبها روى
النعمان بن سالم عن عمرو بن اوس عن ابي رزين انه سأل النبي صلعم فقال ان ابي شيخ كبير ادرك الاسلام ولا يستطيع الحج والعمرة ولا الظعن فقال صلعم حج عن ابيك
واعتمر امر بهما والامر للوجوب وروي عن ابن عباس انه قال ان العمرة لقرينة الحج وحمله على انهما يقترنان في الذكر تكلف وعن ابن عمر ان رجلا قال له اني
وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك حمله على ان الوجوب مستفاد من الاهلال بهما لا يخلو من تعسف
قالوا قرأ علي وابن مسعود والشعبي والعمرة لله بالرفع فكانهم قصدوا بذلك اخراجها عن حكم الحج في الوجوب واجيب بان الشاذة لا تعارض المتواترة وبانها
ضعيفة من حيث العربية لعطف الاسمية على الفعلية والخبرية على الطلبية وبان كون العمرة عبادة لله لا ينافي وجوبها واعلم ان لاداء النسكين وجوها
ثلثة الافراد والتمتع والقران فالافراد ان يحج ثم بعد الفراغ منه يعتمر من ادنى الحل او يعتمر قبل اشهر الحج ثم يحج في تلك السنة والقران ان يحرم بالحج و
العمرة معا في اشهر الحج بان ينويهما بقلبه معا وكذلك لو احرم بالعمرة في اشهر الحج ثم قبل الطواف ادخل الحج عليها يصير قارنا والتمتع هو ان يحرم بالعمرة من
ميقات بلده في اشهر الحج ويأتي باعمالها ثم يحج في هذه السنة من مكة سمي تمتعا لاستمتاعه بمحظورات الاحرام بينهما بعد التحلل من العمرة وقبل الاحرام
بالحج ولانه يربح ميقاتا لانه لو احرم بالحج من ميقات بلده لكان يحتاج بعد فراغه من الحج الى ان يخرج الى ادنى الحل فيحرم بالعمرة منه واذا تمتع استغنى عن الخروج
لانه يحرم بالحج من جوف مكة ولا خلاف بين ائمة الامة في جواز هذه الوجوه وانما الخلاف في الافضلية فقال الشافعي افضلها الافراد ثم التمتع ثم القران

قال في اختلاف الحديث التمتع افضل من الافراد وبه قال مالك والامامية قالوا ولا يجوز لغير حاضري المسجد الحرام العدول عن التمتع الا لضرورة وقال ابو حنيفة
القران افضل ثم الافراد ثم التمتع وهو قول المزني وابي اسحق المروزي وقال ابو يوسف ومحمد القران افضل ثم التمتع ثم الافراد حجة الشافعي في افضلية الافراد
قوله وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ وذلك ان العطف يقتضي المغايرة وانما يحصل هذا عند الافراد فاما عند القران فالموجود شيء واحد هو حج وعمرة معا وايضا الاعمال
عند الافراد اكثر فيكون الثواب اكثر وذلك هو الفضل ومما روي عن انس انه قال كنت واقفا عند جران ناقة رسول الله صلعم وكان لعابها يسيل على كتفي
فسمعته يقول لبيك بعمرة وحجة معا معارض بما روى مسلم في صحيحه عن عائشة ان النبي صلعم افرد الحج وهكذا روى جابر وابن عمر ورجح الشافعي رواية عائشة
وجابر وابن عمر على رواية انس بانهم اعلم واقرب الى رسول الله صلعم واحرص على حجة رسول الله صلعم واقدم صحبة وان انسا كان صغيرا في ذلك الوقت قليل العلم حجة القائلين
بافضلية القران ان في القران مسارعة الى النسكين وفي الافراد ترك المسارعة الى احدهما فيكون افضل لقوله وسارعوا واجيب بانا لا نقول الحجة المفردة
بلا عمرة افضل من الحجة المقرونة انما نقول ان من اتى بالحج في وقته ثم بالعمرة في وقتها فمجموع هذين الامرين افضل من الاتيان بالحجة المقرونة ثم اختلف
الائمة في قوله تعالى واتموا فعن علي وابن عباس وابن مسعود ان اتمامهما ان تحرم من دويرة اهلك وقال ابو مسلم المعنى ان من نوى الحج والعمرة لله وجب عليه
الاتمام قال ويدل على صحة هذا التأويل ان الاية نزلت بعد ان منع الكفار النبي صلعم في السنة الماضية عن الحج والعمرة فالله تعالى امر رسوله في هذه الاية
بان لا يرجع حتى يتم الفرض ويعلم منه ان تطوع الحج والعمرة كفرضهما في وجوب الاتمام وقال الامام المراد بالاتمام الاداب المعتبرة فيهما وهي عشرة على ما ذكر
في الاحياء الاول في المال فينبغي ان يبدأ بالتوبة ورد المظالم وقضاء الديون واعداد النفقة لكل من تلزمه نفقته الى حين الرجوع ويرد ما عنده
من الودائع ويستصحب من المال الطيب الحلال ما يكفيه لذهابه وايابه من غير تقتير بل على وجه يمكنه معه التوسع في الزاد والرفق بالفقراء ويتصدق
بشيء قبل خروجه ويشتري لنفسه دابة قوية على الحمل او يكريها الثاني الاخوان والرفقاء ينبغي ان يودعهم ويلتمس ادعيتهم فان الله تعالى جاعل في دعائهم
خيرا والسنة في الوداع ان يقول استودع الله دينك وامانتك وخواتيم عملك الثالث اذا هم بالخروج صلى ركعتين يقرأ في الاولى بعد الفاتحة قل
يا ايها الكافرون وفي الثانية الاخلاص وبعد الفراغ يتضرع الى الله بالاخلاص الرابع اذا حصل على باب الدار قال بسم الله توكلت على الله لا حول
ولا قوة الا بالله وكلما كانت الدعوات اكثر كان اولى الخامس اذا ركب قال بسم الله وبالله والله اكبر توكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله

العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون السادس في النزول أن السنة
يكون أكثر سيره بالليل ولا ينزل حتى يحمى النهار وإذا نزل صلى ركعتين ودعا الله كثيرا السابع إن قصده عدو أو سبع بالليل أو بالنهار فليقرأ
آية الكرسي وشهد الله والإخلاص والمعوذتين ثم يقول تحصنت بالله العظيم واستعنت بالحي الذي لا يموت الثامن مهما على نشز من الأرض
يستحب أن يكبر ثلاثا التاسع أن لا يكون همه في السفر شيئا من الأغراض العاجلة كالتجارة وغيرها العاشر أن يصون لسانه عن الرفث والفسوق
والجدال ثم بعد الإتيان بهذه المقدمات يأتي بجميع أركان الحج على الوجه الأصح الأقرب إلى موافقة الكتاب والسنة ويكون غرضه في كل هذه الأمور
ابتغاء مرضات الله تعالى ليكون مؤتمرا لقوله تعالى وأتموا الحج والعمرة لله فقد أتمها إبراهيم حين ابتلى بكلمات فأتمهن وقيل المراد من قوله
أتموا أفردوا لكل واحد منهما بسفره ويؤيد هذا تأويل من قال الإفراد أفضل وأقرب هذه الأقوال ما يرجع حاصله إلى معنى ائتوا بالحج والعمرة
تامين كاملين بمناسكهما وشرائطهما وآدابهما لوجه الله مبتغين قوله فإن أحصرتم قال أحمد بن يحيى أصل الحصر والإحصار الحبس ومنه الحصير للملك
لأنه كالمحبوس من الحجاب والحصير المعروف سمي به لانضمام أجزائه بعضها إلى بعض فكأن كلا منها محبوس مع غيره والحصير الجلابية والأكثرون على أن لفظ
الحصر مخصوص بمنع العدو يقال حصره العدو إذا منعه عن مراده وضيق عليه وعن أبي عبيدة وابن السكيت والزجاج وغيرهم أن لفظ الإحصار مختص بالمرض
ونحوه من خوف أو عجز قال تعالى الذين أحصروا في سبيل الله وقيل الإحصار يختص بمنع العدو ومنه ما يروى عن ابن عمر وابن عباس لا حصر إلا حصر العدو
وفائدة الخلاف في الآية تظهر في مسألة فقهية هي أنهم اتفقوا على أن حكم الإحصار عند حصر العدو ثابت وهل يثبت بسبب المرض وسائر الموانع قال
أبو حنيفة يثبت قال الشافعي ومالك وأحمد لا يثبت بل يصبر حتى يبرأ ثم لو شرط أنه إذا مرض تحلل صح الشرط لما روي أنه مر بضباعة بنت الزبير فقال أما
تريدين الحج فقالت إني شاكية فقال حجي واشترطي أن محلي حيث حبستني وفي حكم المرض كل عذر يمنع كضلال الطريق ونفاد الزاد حجة أبي حنيفة كلام أكثر أهل
اللغة وما روي عن النبي من كسر أو عرج فقد حل وعليه الحج من قابل حجة الشافعي قول ابن عمر وابن عباس وهما من أهل اللغة وأيضا الهمزة في أحصر ليس
للتعدية لامتناع اقتضاء المفعول فيكون للوجود والصيرورة فيؤول المعنى إلى أنكم وجدتم محصورين فلا يبقى النزاع وأيضا المانع مما يتحقق عند
وجود المشقة والمريض لا قدرة له على الفعل فلا مانع بالنسبة إليه فثبت أن لفظ الإحصار حقيقة في العدو دون المرض وأيضا لفظ المانع على المرض
غير معقول لأنه عرض لا يبقى زمانين وأيضا لو كان المرض داخلا في الحصر لكان قوله فمن كان منكم مريضا نوع تكرار ولزم عطف الشيء على نفسه وأجيب
عن هذا بأن المريض إنما خص بالذكر لأن له حكما خاصا وهو حلق الرأس فصار تقدير الآية إن منعتم بمرض تحللتم بدم وإن تأذى رأسكم بمرض حلقتم
وكفرتم وأيضا فإذا أمنتم يناسب الخوف من العدو إذ يقال في المرض شفي وعوفي لا أمن ولو قيل الخصوص آخر الآية لا يقدح في عموم أولها قلنا لا
يلزم من عدم القدح وجود المناسبة وقيل المنع بالمرض حاصل قطعا والظاهر الدلائل المذكورة وزيادة وهي أن المفسرين أجمعوا على أن سبب نزول
الآية أن الكفار أحصروا النبي بالحديبية والأئمة وإن اختلفوا أن الآية هل تتناول غير سبب النزول أم لا إلا أنهم اتفقوا على أن خروج ذلك السبب
غير جائز ثم في الآية إضماران والتقدير فإن أحصرتم وأردتم التحلل فعليكم ما استيسر أو فاهدوا ما استيسر استيسر تيسر مثل استعظم واستكبر وتكبر أما
الإضمار الأول فلأن نفس الإحصار لا يوجب هديا وإنما الموجب هو التحلل ونية التحلل وأما الإضمار الثاني فلأن قوله ما استيسر مرفوع على
الابتداء وخبره محذوف أو منصوب على المفعولية وناصبه محذوف والهدي جمع هدية كما يقال في جدية السرج وهي شيء محشو تحت دفتي السرج جدي
وقرئ من الهدي جمع هدية كمطية ومطي ومعنى الهدي ما يهدى إلى بيت الله تقربا إليه بمنزلة الهدية عن علي وابن عباس والحسن وقتادة
أعلاها بدنة وأوسطها بقرة وأدونها شاة فعليه ما تيسر من هذه الأجناس المحصر المحرم إذا أراد التحلل ذبح ووجب أن ينوي التحلل ولا يحصل التحلل
الذبح وأكثر الفقهاء على أن حكم العمرة في الإحصار حكم الحج وعن ابن سيرين أنه لا إحصار فيها لأنها غير موقتة ورد بأن قوله فإن أحصرتم مذكور
عقيب الحج والعمرة فكان عائدا إليهما وبأنه تحلل بالإحصار عام الحديبية وكان معتمرا وإنما الإحصار قال العلماء لو منعوا ولو تمكنوا من
المسير الأبعد لم يلزمهم أن يتحللوا ولا أن يبذلوا المال إن طلب إذ لا يجب احتمال الظلم في أداء الحج بل يكره بذل المال إن كان الطالبون كفارا والأكثرون على أنه
لا يجب القتال على الحاج وإن كان العدو كفارا أو كان في مقابلة كل مسلم أقل من مشركين فلو قاتلوا فلهم لبس الدروع والمغافر لكنهم يفدون كما لو لبسوا
المخيط لدفع حر أو برد ولا فرق على الأصح في جواز التحلل بين أن يمنعوا من المضي دون الرجوع أو يمنعوا من جميع الجوانب لأنهم يستفيدون بالتحلل الأمن
من العدو الواجب وصده عن طريق وهناك طريق آخر وجب سلوكه إذا وجدت شرائط الاستطاعة فيه ثم سلوكه ولم يكن لهم التحلل في الحال وإذا سلكوه ففاتهم
الحج لحزونته أو طوله تحللوا بأعمال عمرة وهل يلزمهم القضاء الأظهر من قولي الشافعي لا لأنهم بذلوا جهدهم فصاروا كالمصدود من كل جانب نعم لو استوى الطريقان
من كل وجه يجب القضاء لأن الموجود فوات محض قوله ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله معناه أن الرجل لا يحل ببلوغ الهدي محله
بل لا يحصل التحلل إلا بالنحر والذبح حتى يبلغ الهدي محله أو بنحر لما جاز ذلك لأن كل ما يفرق بين حلاله وبينه إلا أنه وقد جاز ذكرنا أنه
ثالثة نحو تحله أو في موضع نحو تحله ومحله والمحل اسم الزمان الذي يحصل فيه التحلل ومنه محل الدين لوقت وجوب قضائه أو اسم المكان
قال الشافعي يجوز للمحصر ذبح دم الإحصار لا في الحرم بل حيث حبس وقال أبو حنيفة لا يجوز إلا في الحرم حيث يبعث به ويحصل المبعوث على يوم معين أما حجة الشافعي
أنه أحصر بالحديبية ونحر هناك والحديبية خارج الحرم وقيل الحديبية هو أسفل مكة وهو من الحرم وعن الزهري أن النبي نحر هديه في الحرم وقال الواقدي

والحديبية هي طرف الحرم على تسعة اميال من مكة وورد بقوله هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا ان يبلغ محله فان هذه الآية نزلت بحديبية
في انهم نحروا الهدي في غير الحرم الآية وقوله فان احصرتم مبينا ولكل من كان محصرا سواء كان في الحل او في الحرم وقوله فما استيسر يدل على وجوب النحر فيجب
ان يكون المحصر قادرا على اراقة الدم حيث احصر وايضا التحلل موقوف على النحر فلو توقف النحر على وصوله الى الحرم لم يحصل التحلل في الحال وهذا يناقض
ما هو المقصود من شرع الحكم وهو تخليص النفس من العدو في الحال فلو كان الوصول الى الحرم هو المحصر فكيف يؤمر بهذا الفعل مع قيام الخوف
وان كان غيره فقد لا يجد ذلك الغير فماذا يفعل حجة ابي حنيفة ان المحل عبارة عن مكان الحل قوله حتى يبلغ الهدي محله يدل على انه غير بالغ في الحال الى
ذلك المكان وايضا ثبت ان لفظ المحل يشمل الزمان والمكان الا ان قوله تعالى ثم محلها الى البيت العتيق وقوله هديا بالغ الكعبة يزيل احتمال الزمان والبيت
نفس الحرم واقع في الدماء فتعين ان يكون هو الحرم واجيب بانه كل ما وجب على المحرم في ماله من بدنة وجزاء وهدي فلا يجزي الا في الحرم لمساكين اهله الا
اذا عطب الهدي فيذبح في طريقه ويخلي بينه وبين المساكين وكذا اذا احصر فانه ينحر هديه حيث حبس والآية محمولة على المذكور وقالوا الهدية لا تكون هدية
الا اذا بعثها الى دار المهدى اليه فالهدي كذلك وحجتهم ان هذا تمسك بالاسم وهو محمول على الافضل عند القدرة ثم المحصر اذا كان عادما للهدي فهل له
بدل ينتقل اليه للشافعي فيه قولان احدهما لا بدل له ويكون الهدي في ذمته ابدا وبه قال ابو حنيفة لانه تعالى اوجب الهدي وما اثبت له بدلا وعلى هذا
فماذا يفعل فيه قولان اصحهما انه يتحلل في الحال كالصيام بدله كيلا يعظم المشقة والآخر واليه ميل ابي حنيفة انه يقيم على احرامه حتى يجده والقول الثاني
ان له بدلا وهذا اصح وبه قال احمد قياسا على سائر الدماء الواجبة على المحرم وعلى هذا فما ذلك البدل الاصح الاطعام لان قيمة الهدي اقرب اليه من الصيام
واذا لم يرد النص الا بالهدي فالرجوع الى الاقرب اولى ثم الصيام عن كل مد يوما وفي قول صوم التمتع عشرة ايام وقيل صوم الاذى ثلاثة ايام وبالجملة
فالآية دلت على ان المحصرين لا ينبغي لهم ان يحلوا فيحلقوا رؤسهم الا بعد تقديم ما استيسر من الهدي كما انه امرهم ان لا ينالوا الرسول الا بعد تقديم
الصدقة ومعنى حتى يبلغ الهدي محله حتى تنحروا هديكم حيث حبستم او حتى تعلموا ان هديكم الذي بعثتموه الى الحرم بلغ مكانه الذي يجب ان ينحر فيه اي الحرم
ولكن الافضل في الحج منى وفي العمرة المروة ولا بد من نية التحلل عند الذبح لان الذبح قد يكون للتحلل وقد يكون لغيره فلا بد من قصد صارف فان كان صد
عن البيت دون اطراف الحرم فهل له ان يذبح في الحل فيه الوجهين عند الشافعي نظرا الى ذلك واذا احصر فتحلل نظر ان كان نسكه تطوعا فلا قضاء عليه وبه
قال مالك واحمد لان المصدودين مع النبي صلى الله عليه وسلم كانوا الفا واربعمائة والذين اعتمروا معه عمرة القضاء كانوا نفرا يسيرا ولم يامر الباقين بالقضاء وقال ابو حنيفة
عليه القضاء وان لم يكن نسكه تطوعا نظر ان لم يكن مستقرا عليه كحجة الاسلام فيما بعد السنة الاولى من سني الامكان وكالنذر والقضاء فهو باق
في ذمته كما كان كما لو شرع في صلوة ولم يتمها يبقى في ذمته ومنها الحصر بمرض ونحوه وقد مضى ان الهدي ملزم في الاحصار بالعدو ان كان
وان كان قد شرط التحلل به اذا مرض فهل يلزمه الهدي للتحلل ان كان قد شرط التحلل بالهدي فنعم وان كان قد شرط التحلل بلا هدي فلا وكذا ان اطلق
على الاظهر لمكان الشرط قوله عز من قائل فمن كان منكم مريضا قيل انه مختص بالمحصر وذلك انه قبل بلوغ الهدي محله ربما لحقه مرض او اذى في راسه ان
صبر فالله تعالى اذن له في ازالة ذلك الموذي بشرط بذل الفدية والاكثرون على انه كلام مستانف لكل محرم لحقه مرض بسببه فاحتاج الى علاج
او اذى في راسه فاضطر الى الحلق والنسك العبادة وقرئ بالتخفيف وقيل جمع نسيكة وهي الذبيحة قال ابن الاعرابي النسك سبائك الفضة كل سبيكة
منها نسيكة ثم قيل للمتعبد ناسك لانه خلص نفسه من دنس الآثام وصفاها كالسبيكة المخلصة من الخبث ثم قيل للذبيحة نسك لانها من اشرف العبادات
التي يتقرب بها الى الله واتفقوا في النسك على انه شاة ولا اشكال في الصيام والاطعام فليس في الآية ما يدل على كميتهما وكيفيتهما وبماذا يحصل
بيانه فيه قولان احدهما وعليه اكثر الفقهاء ومنهم الشافعي وابو حنيفة ان بيانه في حديث كعب بن عجرة قال حملت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والقمل يتناثر
على وجهي فقال ما كنت ارى ان الجهد بلغ بك هذا اما تجد شاة فقلت لا قال صم ثلاثة ايام او اطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من طعام واحلق
راسك فنزلت في خاصة وهي لكم عامة وثانيهما عن ابن عباس والحسن الصيام كصيام المتمتع عشرة ايام والاطعام مثل ذلك في العدد قال العلماء المرض
قد يحوج الى اللباس والى الطيب والدهن وفي كل منها نوع استمتاع فالحقوا بقية المحظورات بقية الحلق لاشتراك الجميع في الترفه والحاصل انه
يدخل فيه كل محظورات الاحرام سوى الجماع فيفسد به ثم بقرة ثم سبع شياه ثم اطعام بقيمة البدنة ثم صيام بعدد الامداد كما يجيء في قوله فلا رفث وسوى
الصيد ففيه الجزاء على ما يجيء تفصيله في المائدة وفي هذه الآية ايضا اضمار اي فحلق فعليه فدية فاذا امنتم ان كان معناه الامن بعد الخوف فقبل الفاء
فجواب الشرط وهو فما استيسر محذوف وان كان معناه اذا لم تحصروا وكنتم في حال امن وسعة فقوله فمن تمتع الشرط مع الجزاء جواب الشرط الاول ولا وقف
على امنتم ومعنى التمتع التلذذ واصله الطول حبل ماتع اي طويل وكل من طال صحبته الشيء فهو متمتع به وقد عرفت معنى التمتع بالعمرة الى الحج وهو ان
يقدم مكة فيعتمر في اشهر الحج ثم يقيم حلالا بمكة حتى ينشئ منها الحج فيحج من عامه ذلك والتمتع بهذا الوجه صحيح لا كراهة فيه وما روي ان عمر خطب
وقال متعتان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انا انهى عنهما واعاقب عليهما متعة النساء ومتعة الحج ذكر الائمة ان تلك المتعة هي ان يجمع بين الاحرامين ثم يفسخ
الحج الى العمرة ويتمتع بها الى الحج وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم اذن لاصحابه في ذلك ثم نسخ وعن ابي ذر انه قال ما كانت متعة الحج الا لنا خاصة يعني الركب الذين كانوا
مع النبي صلى الله عليه وسلم وكان السبب فيه انهم كانوا لا يرون العمرة في اشهر الحج ويعدونها من افجر الفجور فلما اراد النبي صلى الله عليه وسلم ابطال ذلك الاعتقاد عليهم بالغ فيه بان نقلهم
في اشهر الحج من الحج الى العمرة وهذا سبب لا يشاركهم فيه غيرهم فلهذا المعنى كان فسخ الحج في اشهر الحج لاولئك خاصة ومعنى التمتع بالعمرة الى الحج انه يتمتع بمحظورات

الاحرام بسبب اتيانه بالعمرة الى اوان الحج وتقبل استمتاعه بالعمرة الى وقت الحج استمتاعه بالتقرب الى الله قبل الانتفاع بتقربه بالحج والوجوب الدم على المتمتع شروط منها ان لا يكون من حاضرى المسجد الحرام لقوله تعالى ذلك لمن لم يكن اهله حاضرى المسجد الحرام ويجىء تمام الكلام فيه عما قريب ومنها ان يحرم بالعمرة الى الميقات فان جاوزه مريدا للنسك ثم احرم بها فان كان الباقى اقل من مسافة القصر قبل اشهر الحج ثم حج فليس عليه دم التمتع ولكن يلزمه دم الاساءة وان كان مسافة القصر فعليه دمان ومنها ان يحرم بالعمرة فى اشهر الحج فلو احرم وفرغ من اعمالها قبل اشهر الحج ثم حج لم يلزمه الهدى لانه يشبه الافراد ولو احرم بها قبل اشهر الحج واتى بجميع افعالها فى اشهره فاصح قول الشافعى انه لا يلزمه الدم وبه قال احمد لانه لم يجمع بين النسكين فى اشهر الحج لتقدم احد اركان العمرة ولو سبق الاحرام مع بعض الاعمال قبل اشهر الحج فعدم وجوب الدم اولى وعن مالك انه مهما حصل التحلل فى اشهر الحج وجب الدم وعند ابى حنيفة اذا اتى باكثر اعمال العمرة فى الاشهر كان متمتعا ومنها ان يقع الحج والعمرة فى سنة واحدة فلو اعتمر ثم حج فى السنة القابلة فلا دم عليه سواء اقام بمكة الى ان حج او رجع وعاد لان الدم انما يجب اذا زاحم بالعمرة حجة فى وقتها وترك الاحرام بحجة من الميقات مع حصوله فى وقت الامكان ولم يوجد وعن سعيد بن المسيب قال كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتمرون فى اشهر الحج واذا لم يحجوا فى عامهم ذلك لم يهدوا ومنها ان يحرم بالحج من جوف مكة بعد الفراغ من العمرة فان عاد الى ميقات الذى انشاء العمرة منه واحرم بالحج فلا دم عليه لانه لم يربح ميقاتا وفى اشتراط نية التمتع وجهان اصحهما لا يشترط كما لا يشترط نية القران وهذا لان الدم منوط بربح احد السفرين ولا يختلف ذلك بالنية وعدمها وبخلاف اشتراط نية الجمع بين الصلوتين من حيث ان اشهر الحج كما هى وقت الحج فهى وقت العمرة بخلاف وقت الصلوة ثم ان دم التمتع دم جبران الاساءة حتى لا يجوز له ان ياكل منه او دم نسك حتى يجوز ان ياكل ذهب ابو حنيفة الى الثانى ومال الشافعى الى الاول لما روى ان عثمان كان ينهى عن المتعة فقال له على اعمدت الى رخصة اثبتها رسول الله صلى الله عليه وسلم للغريب للحاجة فابطلتها فهو المتعة برخصة وهذا دليل التفضل بقية التمتع بالدم وانه يتابى العبادة لانها مشقة تكليف وايضا انه اوجب الهدى على المتمتع بلا توقيت فلو كان نسكا كان موقتا وايضا للصوم فيه مدخل ودم النسك لا يبدل بالصوم والكلام فى مراتب هذه الهدايا وينبغى ان يكون الابل ثنيا وهو الطاعن فى السنة السادسة وكذا البقر وهو الطاعن فى السنة الثالثة يجزى كل من الابل والبقر عن سبعة شركاء ولو اقتصر على الغنم فليكن ثنى المعز وهو الذى دخل فى السنة الثانية او جذع الضان وهو الطاعن فى السنة الثانية ويستوى فى هذا الباب الذكر والانثى ويستحب ان يذبح يوم النحر ولو ذبح بعد ما احرم بالحج جاز لان التمتع قد تحقق فترتب عليه الهدى جبرا له وكذا قبل الاحرام بالحج وبعد التحلل من العمرة على الاصح لانه حق مالى تعلق بسببين وهما الفراغ من العمرة والشروع فى الحج فاذا وجد احدهما جاز اخراجه كالزكوة والكفارة وعند ابى حنيفة لا يجوز بناء على انه نسك كدم الاضحية فيختص بيوم النحر وبه قال مالك واحمد فمن لم يجد الهدى وقيس عليه ما اذا لم يجد ما يشتريه او يبيع بثمن غال فعليه صيام ثلثة ايام فى الحج قال الشافعى اى بعد الاحرام بالحج لانه تعالى جعل الحج ظرفا للصوم ولا يصلح سائر افعال الحج ظرفا له فلا اقل من الاحرام وايضا ما قبل الاحرام بالحج ليس وقتا للهدى الذى هو اصل فكذا البدل وقال ابو حنيفة اى فى وقت الحج وهو اشهره فجاز ان يصوم بعد الاحرام بالعمرة وبمثله قال احمد فى رواية وفى اخرى قال يجوز بعد التحلل من العمرة ولا يجوز ان يصوم شيئا منها فى يوم النحر ولا فى ايام التشريق كما مر فى الصوم والمستحب ان يصوم الايام الثلثة قبل يوم عرفة فان الاحب للحاج يوم عرفة بعرفة ويحكى عن ابى حنيفة ان الافضل ان كان بحيث لا يضعف فالاولى ان يصوم حيازة للفضيلتين وعلم مما ذكر انه يستحب ان يحرم بالحج قبل يوم عرفة بثلثة ايام ليصوم فيها واما الواجد للهدى فالمستحب له ان يحرم يوم التروية بعد الزوال متوجها الى منى لما روى عن جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا توجهتم الى منى فاهلوا بالحج واذا فاته صوم الايام الثلثة فى الحج لزمه القضاء عند الشافعى لانه صوم واجب فلا يسقط بفوات وقته كصوم رمضان واذا قضاها لم يلزمه دم خلافا لاحمد وعند ابى حنيفة يسقط الصوم بالفوات ويستقر الهدى فى ذمته وسبعة اذا رجعتم ثلثة فى المراد من الرجوع قولان اصحهما الرجوع الى الاهل والوطن لما روى انه صلى الله عليه وسلم قال للمتمتعين من كان معه هدى فليهد ومن لم يجد فليصم ثلثة ايام فى الحج وسبعة اذا رجعتم الى امصاركم والثانى ان المراد به الفراغ من اعمال الحج وبهذا قال ابو حنيفة واحمد كانه بالفراغ رجع عما كان مقبلا عليه من الاعمال فعلى الاصح لو توطن مكة بعد فراغه من الحج صام بها وان لم يتوطنها لم يجز صومه بها ولا فى الطريق على الاصح لانه تقديم العبادة البدنية على وقتها ثم اذا لم يصم الثلثة فى الحج حتى فرغ ورجع لزمه صوم العشرة عند الشافعى وهل يجب التفريق فى القضاء بين الثلثة والسبعة لا عند امام الحرمين وطائفة وبه قال احمد لانه لا يجب التفريق فى الاداء يتعلق بالوقت فلا يبقى حكمه فى القضاء كالتفريق فى الصلوات المؤداة والاصح عند اكثر اصحاب الشافعى وجوب التفريق كما فى الاداء ويفارق التفريق الصلوات فان ذلك التفريق يتعلق بالوقت وهذا يتعلق بالفعل وهو الحج والرجوع وما قدر به ما يقع به التفريق اصح الاقوال انه بعدد ايام ومدة امكان مسيره الى اهله على العادة الغالبة بناء على اصلين سبقا احدهما ان المتمتع ليس له صوم ايام التشريق والثانى ان المراد بالرجوع الرجوع الى الاهل تلك عشرة كاملة طعن فيه بعض الملحدين ان هذا مما يصلح الواضحات فمن المعلوم بالضرورة ان الثلثة والسبعة عشرة وايضا قوله كاملة يوهم ان هناك عشرة غير كاملة وهو محال فذكر العلماء من فوائده ان الواو فى قوله وسبعة ليس نصا قاطعا فى الجمع بل يكون للاباحة بمعنى او كما فى قوله مثنى وثلث ورباع وكما فى قولك جالس الحسن وابن سيرين اى جالسهما جميعا او واحدا منهما كان ممتثلا فقد لك نفيا لتوهم الاباحة وايضا فائدة الفذلكة فى كل حساب ان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا وعلى هذا مدار علم الحساب وكونه فذلكة وايضا المعتاد ان البدل اضعف حالا من المبدل كالتيمم من الوضوء فلعل المراد ان هذا البدل كامل فى كونه قائما مقام المبدل منه فى الفضيلة سواء

وذكر العشرة ليحصل التوسل به إلى هذا الوصف إذ لو اقتصر على ظاهر المجاز أن يعود إلى الثلاثة أو إلى السبعة وفيه قوله تلك عشرة كاملة يدفع التخصيص الذي
يتطرق إلى كثير من العمومات في الشرع ويصرف الكلام إلى التنصيص وفيه أن مراتب الأعداد ثلاث الآحاد والعشرات والمئات والآلاف بعد ذلك متوسطاتها فكأنه
قال إنما وجبت هذه العدة لكونه موصوفا بصفة التوسط والكمال وفيه التوكيد طريقة مسلوكة في كلام العرب يعرفه من كون المذكور مما يعتقد به ويهتم
زيادة توصية بصيامها وأن لا يتهاون بها ولا ينقص من عددها وفيه أن هذا الخطاب مع العرب لم يكونوا أهل حساب فبين الله تعالى ذلك بيانا قاطعا
كما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال في الشهر هكذا وهكذا وهكذا ثم أشار بيده ثلاث مرة أخرى وأمسك إبهامه في الثالثة تنبيها بالإشارة الأولى على الثلاثين وبالثانية
على التسعة والعشرين وفيه إزالة الاشتباه والتصحيف الذي يمكن أن يتولد من تشابه سبعة وتسعة في الخط وفيه يحتمل أن يراد كاملة في
الأجزاء حتى لا يتوهم أنها بسبب التفرق غير مجزئة كالإجزاء في كفارة الظهار ووقاع رمضان إلا الصوم المتتابع وفيه يحتمل أن يكون خبرا في معنى
الأمر أي فليكن تلك الصيامات كاملة لأن الحج المأمور به تاما كاملا كما قال وأتموا الحج والعمرة لله واعلم أن الصوم مضاف إلى الله تعالى
في قول النبي صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى الصوم لي وأنا أجزي به والحج أيضا مضاف إليه تعالى في الآية وأتموا الحج والعمرة لله وكما دل النقل على هذا الاختصاص فالعقل
أيضا يدل على ذلك أما الصوم فلأنه عبادة لا يطلع عليها إلا الله سبحانه وهو مع ذلك شاق على النفس جدا وأما الحج فلأنه عبادة لا يطلع العقل
البتة على وجوه الحكمة فيها وهو مع ذلك شاق جدا لأنه يوجب مفارقة الأهل والولد ويقتضي التباعد من أكثر اللذات والاستمتاعات فكل منهما لا يؤتى
به إلا لمحض ابتغاء مرضاة الله تعالى ثم إن هذا الصوم بعضه يقع في زمان الحج فيكون جمعا بين مشقتين وبعضه يقع بعد الفراغ من الحج وهو انتقال
من مشقة إلى مشقة والأجر على قدر النصب فلا جرم وصفه الله تعالى بالكمال في باب العبادة والتكثير في اللفظ أيضا ويؤيد ذلك [illegible]
لطائف القرآن العظيم ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام واختلف العلماء في أن المشار إليه ماذا فقال أبو حنيفة وأصحابه إنه إشارة إلى التمتع
وما ترتب عليه فإنه ليس البعض أولى من البعض فيعود إلى كل ما تقدم فلا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام وقال الشافعي بل هو عائد إلى الأقرب وهو
الحكم بوجوب الهدي على المتمتع وأيضا قوله فمن تمتع عام يشمل الحرمي والميقاتي والآفاقي وأيضا إنه تعالى شرع القران والمتعة إبانة لنسخ ما كان عليه أهل
الجاهلية في تحريمهم العمرة في أشهر الحج والنسخ يثبت في حق الناس كافة ويتفرع على مذهب أبي حنيفة أن من تمتع أو قرن من حاضري المسجد الحرام كان عليه
دم وهو دم جناية لا يأكل منه وعلى مذهب الشافعي أنه يصح تمتعهم وقرانهم ولا يجب عليهم شيء لأن لزوم الهدي على الآفاقي بسبب أنه أحرم من الميقات
عن العمرة ثم أحرم عن الحج لا عن الميقات فيلزمه جبره بالدم والمكي لا يجب عليه أن يحرم من الميقات فلو خالف في حج تمتع وقران أو إفراد لا يلزمه الهدي
ولا بدله ثم اختلفوا في حاضري المسجد الحرام فعن مالك هم أهل مكة وأهل ذي طوى وعن طاوس هم أهل الحرم وعن الشافعي هم الذين يكونون على أقل
من مسافة القصر من مكة فإن كانوا على مسافة القصر فليسوا من الحاضرين وبه قال أحمد وعن أبي حنيفة أنهم أهل المواقيت فمن دونها إلى مكة والمواقيت
ذو الحليفة على عشر مراحل من مكة وعلى ميل من المدينة والجحفة لأهل الشام ومصر والمغرب على خمسين فرسخا من مكة ويلملم من صوب اليمن
وقرن لنجد الحجاز ونجد اليمن وذات عرق لأهل المشرق من العراق وخراسان وكل هذه الثلاثة من مكة على مرحلتين حجة مذهب مالك
أن الحاضر لأهل مكة هم الذين يحضرون المسجد الحرام إلا أن الشافعي قال إن مطلق المسجد الحرام يراد به الحرم قال تعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام
وأسري برسول الله صلى الله عليه وسلم من الحرم لا من المسجد وقد يقال الحاضر فلان إذا أقام فيه ومن كان من مكة دون مسافة القصر فهو قريب فأنزل منزلة
المقيم في نفس مكة وفي مذهب أبي حنيفة بعد فإنه يؤدي إلى إخراج القريب من الحاضرين وإدخال البعيد فيهم لتفاوت مسافات المواقيت ثم إن مسافة
القصر مرعية من نفس مكة أو من الحرم الأعرف هو الثاني لما قلنا إن المسجد الحرام يراد به جميع الحرم قال الفراء ذلك لمن لم يكن معناه ذلك الفرض
الذي هو الدم أو الصوم لازم على من لم يكن من أهل مكة كقوله أولئك لهم اللعنة أي عليهم وذكر حضور الأهل والمراد حضور المحرم لأن الغالب على الرجل أنه يسكن حيث
أهله ساكنون واتقوا الله في محافظة حدوده وما أمركم به ونهاكم عنه في الحج وغيره واعلموا أن الله شديد العقاب لمن تهاون بحدوده قال أبو مسلم
العقاب والمعاقبة سيان واشتقاقهما من العاقبة كأنه يراد عاقبة فعل السوء كقول القائل لتذوقن عاقبة فعلك [illegible]
شوده وهذه سيرة إبراهيم عليه السلام كما قال إني ذاهب إلى ربي لكنه أحصر في السماء السابعة فلا جرم أمكن بإسماعيل [illegible] بالنبي صلى الله عليه وسلم كان ذهابه بالله فما أحصر
شيء فقال له وأتموا الحج والعمرة لله وجرى ما جرى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى ثم قال لأمته اسعوا في إتمام صورة الحج
بقدر استطاعتكم وفي الحقيقة بأن تخرجوا من وجودكم فإن أحصرتم [illegible] النفس [illegible] الروح [illegible] الأحوال
الأمال فما استيسر من الهدي أعلاها الروح وأوسطها القلب وأدناها النفس [illegible] ولا تحلقوا [illegible] حتى يبلغ الهدي
فإن عرض مرض من [illegible] الإرادة [illegible] فليجتهد أن يتدارك ما فات بالفدية
قبل [illegible] ثم عرض عنه [illegible] الصيام هو الإمساك عن [illegible] الصدقة الخروج عن المعلوم والنسك
ذبح النفس في مقاساة الشدائد فإذا أمنتم الإحصار [illegible] فمن تمتع بالعمرة إلى الحج واستراح في الطلب فما استيسر
من الهدي من [illegible] مشارب الروح والقلب والنفس فمن لم يجد [illegible]
القوى الثلاث [illegible]

مشتمل على بيان التمتع

[illegible]

لأهل الحاضر

وهي الحس المشترك والخيال لان الاولى مدركة الصور والثانية معينة لها على الحفظ وبعدها الحواس الخمس الظاهرة فتلك عشرة كاملة هي الحواس الظاهرة والباطنة ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام لان الحاضر في مقام القرب الانس لا يخاطب لا يعاتب انما يلزم العتب والطلب للسالك السائر فاذا وصل فقد استراح فاتقوا ان تسكنوا الى فترة او وقفة او تركنوا الى مشرب من هذه المشارب فاعلموا ان الله شديد العقاب للغافلين عن هذا الخطاب القانعين بذلك الحجاب

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا

حج کردن در ماههای چند شناخته پس هر که واجب کرد بر خویش در آن ماهها حج ... و هر چه را که بکنید از خوبی بداند او را خدا و توشه بردارید

فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ۝ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ

پس بدرستی که بهترین توشها پرهیزکاریست و بپرهیزید مرا ای صاحبان خرد ... نیست بر شما حرجی اگر طلب کنید زیادتی را از پروردگار تان پس چون برگشتید از عرفات

فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ۝ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ

پس یاد کنید خدا را نزد مشعر الحرام و یاد آورید او را ... و اگر چه بودید پیش از آن از گمراهان ... پس برگشت کنید از آنجا که مراجعت کردند مردم

وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن

و طلب آمرزش کنید از خدا که خدا آمرزنده و مهربانست ... پس چون گذاردید مناسک خود را پس یاد آورید خدا را چون یاد کردن شما پدران خود را یا سخت‌تر ... پس از مردم کسی است که

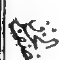

يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۝ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ

میگوید پروردگارا بده ما را در دنیا و نیست او را در آخرت هیچ بهره ... و از ایشان کسی است که میگوید پروردگارا بده ما را در دنیا خوبی و در آخرت

حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۝ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ

خوبی و نگاهدار ما را از عذاب آتش ... آن گروه مر ایشان راست بهره از آنچه کسب کردند و خدا زود محاسبه است ... و یاد آورید خدا را در روزهای شمرده شده

فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝ القراءة فلا رفث

پس هر که شتاب کند در دو روز پس نیست گناهی بر او و هر که پس اندازد پس نیست گناهی بر او مر آنرا که پرهیزد و بپرهیزید خدا را و بدانید که شما بسوی او گرد آئید

ولا فسوق بالرفع فيهما ابو عمرو ويعقوب وابن كثير ويزيد وافق يزيد لا جدال بالرفع الباقون بفتح الثلثة وكذلك يزيد المفضلي من طريق الحسن الهاشمي واتقون بالياء في الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل ووافق ابو عمرو ويزيد واسمعيل في الوصل بالياء ومن تأخر روى هبة الله بن جعفر عن الاصفهاني عن ورش والشموني وحمزة في الوقف بالتليين الوقوف معلومات ج في الحج ط يعلمه الله ط التقوى ز للعارض بين الجملتين المتفقتين الالباب ربكم ط لان اذا اجيبت بالفاء فكانت شرطا في ابتداء حكم آخر الحرام ص لعطف المتفقتين هديكم ج لان الواو يصلح حالا واستينافا الضالين واستغفروا الله ط رحيم ذكرا ط من خلاق النار مما كسبوا ط الحساب نصف الجزء معدودات ط لان الشرط في بيان حكم آخر عليه لا ولمن اتقى ج لابتداء شرط آخر مع العطف على الثانية كالتعلق باللام اتقوا ط لاختلاف النظم تحشرون التفسير من المعلوم ان الحج ليس نفس الاشهر فالتقدير اشهر الحج او وقته اشهر معلومات كقولك البرد شهران او الحج حج اشهر معلومات اي لا حج الا فيها خلاف ما كان عليه اهل الجاهلية من النسيء وقيل يمكن ان يقال جعل الحج نفس الاشهر كما في قولهم ليل قائم ونهار صائم واتفق المفسرون على ان شوالا وذا القعدة من اشهر الحج واختلفوا في ذي الحجة فعن عروة بن الزبير ومالك انه كله لان اقل الجمع ثلثة وقد يفعل الانسان بعد النحر ما يتصل بالحج من رمي الجمار ونحوه والمرأة اذا حاضت فقد تؤخر الطواف الذي لا بد منه الى ايام بعد الشهر وعن هذا ذهب عروة الى جواز تأخير طواف الزيارة الى آخر الشهر وعن ابي حنيفة عشر ذي الحجة وهو قول ابن عباس وابن عمر والنخعي والشعبي ومجاهد والحسن قالوا لفظ الجمع يشترك فيما وراء الواحد بدليل قوله فقد صغت قلوبكما او نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رأيتك سنة كذا وانما رآه في ساعة منها ورمي الجمار يفعله الانسان وقد حل بالحلق والطواف والنحر من احرامه فكانه ليس من اعمال الحج والحائض اذا طاف بعده فهو في حكم القضاء وانما قلنا ان يوم النحر من اشهر الحج لانه وقت لركن من اركان الحج وهو طواف الزيارة ومن المفسرين من زعم ان يوم الحج الاكبر يوم النحر وعن الشافعي التسعة الاولى من ذي الحجة مع ليلة النحر لان الحج يفوت بطلوع الفجر يوم النحر ولا يفوت العبادة مع بقاء وقتها قيل انه تعالى جعل كل الاهلة مواقيت الحج في قوله قل هي مواقيت للناس والحج وفي هذه الاية جعل وقت الحج اشهر معلومات واجيب بان تلك الاية عامة وهذه خاصة والخاص مقدم على العام واقول الميقات علامة الوقت فلولا الاهلة لم يعلم مدخل كل شهر على التعيين فجميع الاهلة في الاعلام سواء بالنسبة الى وقت مفروض فلا منافاة بين كون جميع الاهلة علامات الحج من حيث انها تؤذن بما بقي من السنة الى اوان الحج وبين كون الاشهر المعلومات وقتا للحج ومعنى قوله معلومات ان الحج انما يكون في السنة مرة واحدة في اشهر معينة من شهورها ليس كالعمرة التي يؤتى بها في السنة مرارا وانهم في معرفة تلك الاشهر على ما كانوا علموه قبل نزول هذا الشرع وعلى هذا فهذا الشرع لم يأت على خلاف ما عرفوه وانما جاء مؤكدا مقررا والمراد انها معلومات ببيان الرسول والمراد انها موقتة باوقات معينة لا يجوز تقديمها وتأخيرها كما يفعل اصحاب النسيء ثم ان الشافعي استدل بالاية على انه لا يجوز لاحد ان يحرم بالحج قبل اشهر الحج وبه قال احمد واسحق واسحق وايضا الاحرام بالعبادة قبل وقت الاداء لا يصح قياسا على الصلوة وايضا الخطبة في صلوة الجمعة لا يجوز قبل الوقت لانها اقيمت مقام ركعتين من الظهر حكما فلان لا يصح الاحرام وهو شروع في العبادة اولى وايضا الاحرام لا يبقى صحيحا لاداء الحج اذا ذهب وقت الحج قبل الاداء فلان

لا ينعقد

لا ينعقد صحيحا الا في الحج قبل الوقت اولى لان البقاء اسهل من الابتداء وعن ابي حنيفة ومالك والثوري جواز الاحرام في جميع السنة لقوله تعالى قل هي
مواقيت للناس والحج والجواب انه امر وقالوا الاحرام التزام الحج فجاز تقديمه قبل الوقت كالنذر والجواب الفرق بين النذر والاحرام فان الوقت معتبر
للاداء ولا اتصال للنذر بالاداء بدليل ان الاداء لا يتصور لا ينعقد مبتدأه واما الاحرام مع كونه التزاما فهو ايضا شروع في الاداء وعقد عليه فلا
جرم افتقر الى الوقت قالوا الاشهر من اكابر الصحابة انهم قالوا من تمام الحج ان يحرم المرء من دويرة اهله وقد يبعد داره بعدا شديدا يحتاج الى ان يحرم
قبل شوال والجواب ان النص لا يعارضه الاثر على انه يمكن تخصيص الاثر بحق من لا يكون داره بعيدا فمن فرض فيهن الحج اي من الزم نفسه في هذه الاشهر
ان يحج وبماذا يحصل هذا الالزام المسمى بالاحرام انه يحرم عليه اشياء كانت حلالا له قال الشافعي ينعقد الاحرام بمجرد النية من غير حاجة الى
التلبية نعم انها سنة عند النية وبه قال احمد ومالك لقوله تعالى فمن فرض وفرض الحج هو النية ادل منه على التلبية وسوق الهدي وفرض الحج موجب لانعقاد
الحج بدليل قوله فلا رفث فوجب ان يكون النية كافية في انعقاد الحج وايضا قوله ص لكل امرئ ما نوى وايضا انه عبادة ليس في اخرها ولا في اثنائها نطق واجب
فكذلك في ابتدائها كالطهارة والصوم وعند ابي حنيفة التلبية شرط لانعقاد الاحرام لاطباق الناس على الاعتناء بها عند الاحرام الا ان سوق الهدي
وتقليده والتوجه معه يقوم مقام التلبية وعن ابن عمر انه قال اذا قلد واشعر فقد احرم وعن ابن عباس من قلد الهدي وصاحبه يريد العمرة او الحج فقد
احرم وروى ابو منصور الماوردي في تفسيره عن عائشة انها قالت لا يحرم الا من اهل ولبى ولنا ان الحج عبادة لها تحليل وتحريم فلا يشرع فيها بنفس النية
كالصلوة وصورة التلبية ما روي عن النبي ص انه قال لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ولا تكره الزيادة
على هذا روي عن ابن عمر انه كان يزيد فيها لبيك لبيك لبيك وسعديك والخير بيديك لبيك والرغباء اليك والعمل فان راى شيئا يعجبه قال لبيك ان
العيش عيش الاخرة ثبت ذلك عن رسول الله ص وفي بعض الروايات انه قال في تلبيته لبيك حقا تعبدا ورقا قال الشافعي والاصح قوله ان الافضل ان
ينوي ويلبي حين تنبعث به دابته ان كان راكبا وحين يتوجه الى الطريق ان كان ماشيا لما روي انه ص لم يهل حتى انبعثت به دابته قال امام الحرمين ليس
المراد من انبعاث الدابة ثورانها بل المراد استواؤها في صوب مكة فاذا استوت به راحلته متوجها الى الطريق نوى اللهم اني اريد الحج فيسره لي وتقبله
مني ولبى ان كان يريد القران نوى الحج والعمرة وان كان يريد العمرة نوى العمرة ولبى والقول الثاني وبه قال احمد ومالك وابو حنيفة ان الافضل ان ينوي
ويلبي كما تحلل من الصلوة اي من ركعتي الاحرام وهو قاعد ثم اخذ في السير لرواية ابن عباس ان النبي ص صلى بذي الحليفة ركعتين ثم احرم وتكثير
التلبية في دوام الاحرام مستحب قائما كان او قاعدا راكبا او ماشيا حتى في حالة الجنابة والحيض لانه ذكر لا اعجاز فيه فاشبه التسبيح قال ص لعائشة
حين حاضت افعلي ما يفعل الحاج غير ان لا تطوفي بالبيت قوله عز من قائل فلا رفث ولا فسوق ولا جدال من قرا بفتح الثلاثة او برفعها فلا اشكال
ومن قرا برفع الاولين وفتح الاخير فقيل لان الاولين محمولان على معنى النهي كانه قيل فلا يكونن رفث ولا فسوق ثم اخبر بانتفاء الجدال اي لا شك ولا خلاف
في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام وسائر العرب يقفون بعرفة وكانوا يقدمون الحج سنة ويؤخرون سنة
وهو النسيء فرد الى وقت واحد ورد الوقوف الى عرفة فاخبر الله تعالى انه قد ارتفع الخلاف في الحج ومما يستدل به على ان المنهي عنه هو
الرفث والفسوق دون الجدال قوله ص من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج كهيئة يوم ولدته امه وانه لم يذكر الجدال وقيل الاهتمام بنفي الجدال اشد
من الاهتمام بنفي الرفث والفسوق ولذلك قرئ كذلك اما الاول فلان الرفث عبارة عن قضاء الشهوة والجدال مشتمل على ذلك لان المجادل
يشتهي تمشية قوله والفسوق عبارة عن مخالفة امر الله والمجادل لا ينقاد للحق وكثيرا ما يقدم على الايذاء والايحاش المؤدي الى العداوة والبغضاء
فدل على ان الجدال مشتمل على جميع انواع القبح واما ان القراءة تفيد ذلك فلان الفتح يقتضي نفي الماهية وانتفاؤها يوجب انتفاء جميع افرادها
واما الرفع فلا يوجب انتفاء جميع افراد الماهية بل بعضه فيكون الفتح ادل على عموم النفي اما الرفث فعن ابن عباس هو الجماع وانه في العمرة وفي الحج
نتائج منها فساد النسك يروى ذلك عن عمر وعلي وابن عباس وغيرهم من الصحابة واتفق الفقهاء عليه بعدهم وانما يفسد الحج بالجماع اذا وقع
قبل التحللين لقوة الاحرام ولا فرق بين ان يقع قبل الوقوف بعرفة او بعده خلافا لابي حنيفة حيث قال لا يفسد بالجماع بعد الوقوف ولكن
يلزمه الفدية واما الجماع بين التحللين فلا يؤثر في الفساد على الصحيح عن مالك واحمد انه يفسد ما بقي من احرامه ويفسد العمرة ايضا بالجماع قبل
حصول التحلل ووقت التحلل عنها بعد الفراغ عن الحلق بناء على انه نسك وهو الاصح فيفسد العمرة بالجماع قبل الحلق واعلم ان للعمرة تحللا واحدا و
ذلك اذا طاف وسعى وحلق وللحج تحللان وذلك انه اذا اتى باثنين من الرمي يوم النحر والحلق والطواف عن الرمي والحلق او الرمي والطواف حصل التحلل الاول
وهو اباحة جميع المحظورات من التطيب والقلم ولبس المخيط وقتل الصيد وعقد النكاح الا الجماع فانه لا يحل الا بالاتيان بالامر الثالث فاذا اتى به حل
الجماع ايضا وهو المراد بالتحلل الثاني قال الائمة الحج بطول زمانه وكثرة اعماله يخالف العمرة فابيح بعض محظوراته دفعة وبعضها اخرى قال ص اذا رميتم
وحلقتم فقد حل لكم الطيب واللباس وكل شيء الا النساء واللواطة واتيان البهيمة في الافساد كالوطء في الفرج وبه قال احمد خلافا لابي حنيفة فيهما
ولمالك في اتيان البهيمة ثم سائر العبادات لا حرمة لها بعد الفساد ويصير الشخص بالفساد خارجا منها لكن الحج والعمرة وان فسدا يجب المضي
فيهما وذلك باتمام ما كان يفعله لولا عروض الفساد روي عن عمر وعلي وابن عباس وغيرهم من افسد حجه مضى في فاسده وقضى من قابل ومن نتائج
الفساد الكفارة وتستوي فيها الحج والعمرة وخصالها خمس على الترتيب بدنة فان لم يجدها فلان الصحابة نصوا على البدنة والا فبقرة والا فسبع من الغنم

او الحلق والطواف

دم الدم او اطعاما فان لم يجد الطعام صام عن كل مد يوما ومن النتايج القضاء باتفاق لما روينا من كبار الصحابة وقضى من قابل سواء كان المفسوح فرضا او تطوعا فان القضاء واجب على اصح الوجهين في القضاء انه على الفور لا على التراخي لانه لزم وتضيق بالشروع ويدل عليه ظاهر قول الصحابة وقضى من قابل وكذا الكلام فيمن ترك الصوم او الصلوة بعد ان على الاشكال نجواز التاخير نوع ترفيه وتخفيف فالمتعدي لا يستحق ذلك ولو كانت المرأة محرمة نظر ان جامعها وهي نائمة او مكرهة لم يفسد حجها والا فسد لكن لا يجب على اصح القولين الا بدنة واحدة عنهما جميعا واذا فسد حجه بالجماع ثم جامع ثانيا فان لم يفد عن الاول لزم بدنة اخرى وان فدى عنه لم يلزم الا شاة وعن الحسن الرفث كل ما يتعلق بالجماع فطلب المحرم التقبيل بالشهوة ولا المباشرة فيما دون الفرج فلو باشر شيئا منها عمدا فالفدية روى عن علي وابن عباس انهما اوجبا في القبلة شاة وان كان ناسيا لم يلزمه شيء ولا يفسد شيء من مقدمات الجماع الحج ولا يوجب البدنة بحال سواء انزل او لم ينزل وبه قال ابو حنيفة وعند مالك يفسد الحج اذا انزل وهو اظهر الروايتين عن احمد وقيل الرفث باللسان ذكر المجامعة وما يتعلق بها والرفث باليد اللمس للغمز والرفث بالفرج الجماع وقيل الرفث هو قول الخنا والفحش لقوله اذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث ولا يجهل فان امرؤ شاتمه فليقل اني صائم وعن ابي عبيدة الرفث اللغو في الكلام واما الفسوق فهو الخروج عن الطاعة وحدود الشريعة فيشمل كل المعاصي قال تعالى ففسق عن امر ربه وقيل هو التنابز بالالقاب والسباب قال تعالى ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان وقال سباب المسلم فسوق وقتاله كفر وقيل الايذاء ولا يضار كاتب ولا شهيد وان تفعلوا فانه فسوق بكم وعن ابن زيد هو الذبح للاصنام ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وقيل الرفث هو الجماع ومقدماته مع الحليلة والفسوق ذلك مع الاجنبية واما الجدال فانه فعال من المجادلة واصله من الجدل الفتل كان كل واحد من الخصمين يروم ان يفتل صاحبه عن رأيه اختلف المفسرون فيه فعن الحسن هو الجدال الذي يفضي الى السباب والتكذيب والتجهيل فانه واجب الاجتناب في كل حال الا انه مع الرفقاء وفي الحج اسمج كلبس الحرير في الصلوة وقال محمد بن كعب القرظي ان قريشا كانوا اذا اجتمعوا بمنى قال بعضهم حجنا اتم وقال آخرون بل حجنا اتم فنهاهم الله عن ذلك وقال مالك في الموطأ الجدال في الحج ان قريشا كانوا يقفون عند المشعر الحرام في المزدلفة بقزح وان غيرهم يقفون بعرفات وكل من الفريقين يقول نحن اصوب قال القاسم بن محمد كانوا يجعلون الشهور على العدد فيختلفون في يوم الحج بسبب ذلك فبعضهم يقولون هذا يوم عيد ويقول آخرون بل غدا وكانه قبل لهم قد بينا لكم ان الاهلة هي مواقيت الحج فاستقيموا على ذلك ولا تجادلوا فيه قال القفال ويدخل في هذا النهي ما جادلوا فيه رسول الله صلعم حين امرهم بفسخ الحج الى العمرة فشق ذلك عليهم وقالوا نروح الى منى ومذاكيرنا تقطر منيا فقال صلعم لو استقبلت من امري ما استدبرت ما سقت الهدي ولجعلتها عمرة فتركوا الجدال في الحج وقال عبد الرحمن بن زيد جدالهم في الحج ان كل قوم يدعي انهم الصيب مقام ابراهيم وقيل انه النسئ هو ان الزمان قد عاد الى ما كان عليه الحج في وقت ابراهيم صلعم قال القاضي ابو بكر الباقلاني لو حمل النفي في الالفاظ الثلاثة على الخبر وجب ان يحمل الرفث على الجماع والفسوق على الزنا والجدال على الشك في الحج ليصح خبر الله تعالى فان هذه الاشياء لا توجد مع الحج المبرور وان حملنا الكلام على النهي صح ان يراد بالرفث الجماع ومقدماته وقول الفحش وبالفسوق جميع انواعه وبالجدال جميع اصنافه فلعل هذا يكون في الاية بعث على الاخلاق الحميدة والاداب الحسنة والحقيقة لا رفث نهي عن طاعة القوة الشهوية التي توجب الفضائح والمجون ولا فسوق اشارة الى قهر القوة الغضبية الداعية الى التمرد والاستعلاء ولا جدال نهي عن متابعة القوة الوهمية التي تحمل الانسان على الخلاف في ذات الله وصفاته وافعاله واحكامه فتنبعث الآراء المختلفة والاهواء المتنافية في العقائد الفاسدة والمذاهب الباطلة واعلم ان الجدل ليس منهيا عنه بجميع اقسامه وانما المذموم منه هو الذي سقناه من وفور العصبية ومحض المراء لتنفيذ الآراء الزائغة وتحصيل الاعراض الزائلة والاغراض الفانية اما الذي يجري في الدين القويم والدعاء الى الصراط المستقيم والزام الخصم الالد وافحام المعاند اللجوج بمقدمات مشهورة وآلة محمودة حتى ينتقر الحق في مركزه ويضمحل صولة الباطل ويركد ريحه فمأمور به في قوله عز من قائل وجادلهم بالتي هي احسن وانه احد شعب البيان وقد يكون انجح من قاطعة البرهان وما تفعلوا من خير يعلمه الله لما نهى عن الشر حث على الخير وانه وان كان عالما بها لكنه لم يعلم انه اذا علمت منك الخير ذكرته وشهرته واذا علمت منك الشر خفيته وسترته لتعلم انه اذا كانت رحمتي بك هكذا في الدنيا فكيف يكون في العقبى وفيه ترغيب للمطيعين وايذان بانهم من المحسنين الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والعبد الصالح اذا علم اطلاع مولاه على سره وجهره وخفاياه اجتهد في اداء ما امره واجتنب عن مكاره غفلا ومن عناية الله حثهم على الخير بعدما فطمهم عن الشر ليستعملوا مكان الرفث التقى ومكان الفسوق رعاية الحقوق ومقام الجدال الشقاق الوفاق مع الرفاق تتميما لمكارم الاخلاق وتنبيها على شرف النفس وطيب الاعراق ومثله قوله وتزودوا فان خير الزاد التقوى اي اجعلوا زادكم الى الآخرة اتقاء القبائح فان ذلك خير الزاد وليس السفر من الدنيا اهون من السفر في الدنيا وهذا لا بد له من زاد فكذا ذلك بل يزداد فان زاد الدنيا يخلصك عن عذاب منقطع موهوم وزاد الآخرة يخلصك من عذاب ابدي معلوم زاد الدنيا يوصلك الى متاع الغرور وزاد الآخرة يبلغك دار السرور وزاد الدنيا سبب حصول حظوظ النفس وزاد الآخرة سبب الوصول الى عتبة الجلال في حظيرة القدس: اذا انت لم ترحل بزاد من التقى: وافيت بعد الموت من قد تزودا: ندمت على ان لا تكون كمثله: وانك لم ترصد كما كان ارصدا وقيل نزلت في ناس من اليمن كانوا يحجون بغير زاد ويقولون نحن متوكلون ثم كانوا يسألون الناس وربما ظلموهم وغصبوهم فامرهم الله سبحانه ان يتزودوا ما يتبلغون به فان خير الزاد ما تكفون به وجوهكم عن السؤال

وانفسكم عن الظلم وفيه دليل على ان القادر على استصحاب الزاد في السفر اذا لم يستصحب عصى الله في ذلك ففيه ابطال حكمة الله تعالى وهو دفع الوسائط والروابط التي عليها مدار المناهج وبها ينتظم المصالح روي ان بعض الغافلين زهد فبلغ من زهده ان فارق الناس وخرج من الامصار وقال لا اسأل احدا شيئا حتى ياتيني رزقي فاخذ يسيح فاقام في سفح جبل سبعا لم يأته شيء حتى كاد يتلف فقال يا رب ان احييتني فأتني برزقي الذي قسمت لي والا فاقبضني اليك فالهمه الله تعالى في قلبه وعزتي وجلالي لا ارزقنك حتى تدخل الامصار وتقيم بين الناس فدخل المدينة واقام بين ظهراني الناس فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب فاكل وشرب فاوجس في نفسه من ذلك فسمع اردت ان تبطل حكمتي بزهدك في الدنيا اما علمت اني ارزق العباد بايدي العباد احب الي من ان ارزقهم بيد القدرة وقيل في الاية معناه تزودوا لعاجل سفركم وللآجل فان خير الزاد التقوى واتقون يا اولي الالباب وفيه تنبيه على كمال عظمته كقوله انا ابو النجم وشعري شعري يا اولي الالباب ان قضية العقل تقوى الله ومن لم يتقه فكأنه لا لب له في الحقيقة ولما منع عن الجدال اختلج في قلب المكلف شبهة ان التجارة لكونها مفضية في الاغلب الى النزاع في قلة القيمة وكثرتها يجب ان تكون منهية وايضا انها كانت محرمة في الجاهلية في الحج وانه امر مستحسن ظاهر لان المشتغل بخدمة الله تعالى يجب ان لا يتلوث بالاطماع الدنيوية وايضا كان من الممكن ان يقاس التجارة على باقي المحظورات من الطيب والمباشرة والاصطياد في كونها محظورة بالاحرام فلدفع هذه الشبهة نزلت ليس عليكم جناح ان تبتغوا اي في ان تطلبوا فضلا من ربكم عطاء منه وتفضلا او زيادة في الرزق بسبب التجارة والربح بها كقوله وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وعن ابي مسلم انه حمل الاية على ما بعد الحج قال والتقدير واتقون في كل افعال الحج ثم بعد ذلك ليس عليكم جناح ان تبتغوا كقوله فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله وزيف بان حمل الاية على موضع الشبهة اولى من حملها لا على موضع الشبهة ومحل الاشتباه هو التجارة في زمان الحج واما بعد الفراغ فالحل معلوم وقياس الحج على الصلوة فاسد فان الصلوة اعمالها متصلة فلا يحل في اثنائها التشاغل بغيرها واعمال الحج متفرقة يحل التجارة في خلالها وايضا الفاء في قوله فاذا افضتم ظاهر في ان هذه الافاضة حصلت عقيب ابتغاء الفضل وذلك يدل على ان المراد وقوع التجارة في زمان الحج ويؤيده قراءة ابن عباس فضلا من ربكم في مواسم الحج وقال ابن عباس في سبب نزول الاية كانوا ياثمون ان يتجروا ايام الحج واذا دخل العشر بالغوا في الكف عن البيع والشرى فلم يقم لهم سوق ويسمون من يخرج للتجارة الداج ويقولون هؤلاء الداج وليسوا بالحاج ومعنى الداج الاعوان والمكارون من الدجيج وهو الدبيب في السير قال ابن السكيت لا يطلق الحجيج الا اذا كان جماعة ولا يقال ذلك للواحد وقيل كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يتجرون فيها في ايام الموسم كانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تاثموا فرفع عنهم الحرج ومن المعلوم انه انما يباح ما لم يشتغل عن العبادة وعن ابن عمر ان رجلا قال له انا قوم نكري في هذا الوجه يعني في طريق الحج وان قوما يزعمون ان لا حج لنا فقال سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما سألت عنه فلم يرد عليه حتى نزلت ليس عليكم جناح فدعا به فقال انتم حجاج وعن عمر انه قيل له هل كنتم تكرهون التجارة في الحج فقال وهل كانت معايشنا الا من التجارة في الحج وعن جعفر الصادق ان ابتغاء الفضل هنا طلب اعمال اخر زائدة على اعمال الحج موجبة لفضل الله تعالى ورحمته كاعانة الضعيف واغاثة الملهوف واطعام الجائع وارواء العطشان واعلم ان الفضل ورد في القرآن بمعان منها ما يتعلق بالمصالح الدنيوية من المال والحال والغذاء واللباس وهو المسمى بالرزق فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله ومنها ما يتعلق بالمصالح الاخروية وهو الفضل والثواب والجنة والرحمة تريهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان ومنها ما يتعلق بمواهب القربة ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وكان فضل الله عليك عظيما ورفع الجناح قد يستعمل في الواجب والمندوب مثل ما يستعمل في المباح كما مر في قوله فلا جناح عليه ان يطوف بهما فاذا افضتم اي دفعتم بكثرة ومنه افاضة الماء وهو صبه بكثرة والتقدير افضتم انفسكم فترك ذكر المفعول كما ترك في قولهم دفعوا من موضع كذا وصبوا وعرفات جمع عرفة وكلاهما علم للموقف كان كل قطعة من تلك الارض عرفة فسمي مجموع تلك القطعة بعرفات كما قيل في ثوب اخلاق وبرمة اعشار ثم سئل هلا منعت الصرف وفيها سببان التعريف والتانيث فقيل انه لم يبق علما بعد ما جمع ثم جعل علما لمجموع القطع فتركوها بعد ذلك على اصلها في الصرف وقيل ان هذا التنوين تنوين المقابلة في نحو مسلمات ومن ذهب الى ان تنوين المقابلة لا وجه له كجار الله وكثير من المتاخرين وان هذا التنوين تنوين الصرف قالوا انما لم يسقط لان التانيث في نحو مسلمات وعرفات ضعيف فان التاء التي لمحض التانيث سقطت والالف فيه علامة لجمع المؤنث وان ذهب بانه عرفات مؤنث انما قلنا انه لا علامة تانيث فيها لا متمحضة للتانيث ولا مشتركة لانه لا يعود الضمير اليها الا مؤنثا تقول هذه عرفات مباركا فيها ولا يجوز مباركا فيه الا بتاويل بعيد كما في قوله ولا ارض ابقل ابقالها فتانيثها لا تقصر عن تانيث مصر الذي هو بتاويل البقعة وقال بعض المتاخرين الاولى ان يقال ان التنوين للصرف وانما لم يسقط في نحو من عرفات لانه لو سقط لتبعه الكسرة في السقوط وتبع النصب وهو خلاف ما طلبه الجمع السالم اذ الكسرة فيه متبوع لا تابع فعوضه كالتنوين في غير المنصرف للضرورة ثم لم يحذف التنوين مع انه جوز المبرد والزجاج ههنا مع العلمية حذف التنوين وابقاء الكسرة كبيت امرئ القيس في رواية شعر تنورتها من اذرعات واهلها بيثرب ادنى دارها نظر عال وبعضهم يفتح التاء في مثله مع حذف التنوين كسائر ما لا ينصرف فعلى هذين الوجهين التنوين للصرف بلا خلاف والاشهر بقاء التنوين مثله مع العلمية وقيل التنوين عوض من منع الفتحة واعلم ان اليوم الثامن من ذي الحجة يسمى يوم التروية واليوم التاسع منه يسمى يوم عرفة وعرفة اسم للموضع المخصوص قيل التروية التفكر وسمي به لان آدم عليه السلام لما امر ببناء البيت فبناه تفكر فقال يا رب ان لكل عامل اجرا فما اجري على هذا العمل

لك ذنوبك ما اول شرط من طوافك قال يا رب زدني قال اغفر لاولادك قال زدني فقال اغفر لكل من استغفر له الطائفون من موحدي اولادك قال حسبي
حسبي وقيل ان ابرهيم رأى في منامه ليلة التروية انه يذبح ابنه فاصبح متفكرا هل هذا من الله او من الشيطان فلما رآه ليلة عرفة يؤمر به اصبح فقال عرفت
يا رب انه من عندك وقيل ان اهل مكة يخرجون يوم التروية الى منى فيروون في الادعية التي يذكرونها في الغد بعرفات ثم قيل التروية الارواء فان اهل مكة
كانوا يجمعون الماء للحجيج الذين يقصدونهم من الآفاق فيستعينون في الماء بعد ما تعبوا في الطريق من قلة الماء او لانهم يتزودون الماء الى عرفة او لان
المذنبين كالعطاش وردوا بحار الرحمة فشربوا منها حتى رووا ثم يوم عرفة فقيل انه من المعرفة لان آدم وحواء التقيا بعرفة فعرف احدهما صاحبه عن
ابن عباس او لان جبرئيل علم آدم مناسك الحج فلما وقف بعرفات قال له اعرفت قال نعم او لان ابرهيم عرفها حين رآها بما تقدم من النعت والصفة عن
علي وابن عباس وعطاء والسدي او لان جبرئيل عرفها ابرهيم المناسك كما مر في قوله وارنا مناسكنا او لان ابرهيم وضع ابنه اسمعيل وامه هاجر بمكة ورجع
الى الشام ولم يلتقيا سنين ثم التقيا يوم عرفة بعرفات او لان صفة البيت سبقت في قوله واذ يرفع ابرهيم القواعد ولما ذكرنا انفا من منام ابرهيم او لان
الحاج يتعارفون فيه اذا وقفوا او لانه تعالى يتعرف فيه الى الحاج بالمغفرة والرحمة وقيل اشتقاقها من الاعتراف لان الناس يعترفون هنالك بالحق والربوبية
والجلال والعزة لانفسهم بالفقر والخلال والحال يقال ان آدم وحواء لما وقفا بعرفات قالا ربنا ظلمنا انفسنا فقال الله سبحانه الآن عرفتما انفسكما و
قيل من العرف وهو الرائحة الطيبة لان المذنبين بكسبون بالمغفرة روائح طيبة عند الله خلاف الذنوب ومنه خلوف فم الصائم عند الله اطيب من ريح المسك
وقد يسمى يوم عرفة يوم اياس الكفار من الاسلام ويوم اكمال الدين ويوم اتمام النعمة ويوم الرضوان اخذا من قوله تعالى في المائدة اليوم يئس الذين كفروا
من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا عن عمر وابن عباس نزلت هذه الآية عشية
يوم عرفة وكان يوم جمعة والنبي واقف بعرفة في موقف ابرهيم في حجة الوداع وقد اضمحل الكفر وهدم منار الجاهلية فقال النبي لو يعلم الناس ما لهم
في هذه الآية لقرت اعينهم فقال يهودي لعمر لو ان هذه الآية نزلت علينا لاتخذنا ذلك اليوم عيدا فقال عمر اما نحن فجعلناه عيدين وكان ذلك يوم
عرفة ويوم جمعة يوم صلة الواصلين اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي يوم قطيعة القاطعين ان الله بريء من المشركين ورسوله يوم اقالة
عثرة النادمين وقبول توبة التائبين ربنا ظلمنا انفسنا يوم وفد الوافدين في الخبر الحاج وفد الله والحاج زوار وحق على المزور الكريم ان يكرم
زائره يوم الحج الاكبر واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر يوم خص صومه بكثرة الثواب قال صوم يوم التروية كفارة سنة وصوم يوم عرفة
كفارة سنتين قال من صام يوم التروية اعطاه الله مثل ثواب ايوب على بلائه ومن صام يوم عرفة اعطاه الله مثل ثواب عيسى بن مريم اقسم الله
به في قوله عز من قائل والشفع والوتر عن ابن عباس الشفع يوم التروية وعرفة والوتر يوم النحر يوم خص بكثرة الرحمة وسعة المغفرة وعن عائشة ان رسول الله
قال ما من يوم اكثر ان يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة وانه ليدنو ويتجلى ثم يباهي بهم الملائكة فيقول ما اراد هؤلاء اشهدوا ملائكتي اني
قد غفرت لهم ولا بأس ان نشير ههنا الى اعمال الحج اشارة خفيفة اعلم ان من دخل مكة محرما في ذي الحجة او قبلها فان كان مفردا او قارنا طاف طواف القدوم
واقام على احرامه حتى يخرج الى عرفات وان كان متمتعا طاف وسعى وحلق وتحلل من عمرته واقام الى وقت خروجه الى عرفات ثم يحرم من جوف مكة بالحج
ويخرج وكذلك من اراد الحج من اهل مكة والسنة للامام ان يخطب بمكة اليوم السابع من ذي الحجة بعدما صلى الظهر خطبة واحدة يأمر الناس فيها بالذهاب
غدا بعدما صلوا الصبح الى منى ويعلمهم تلك الاعمال ثم ان القوم يذهبون يوم التروية الى منى بحيث يوافون الظهر بمنى فيصلون بها مع الامام الظهر
والعصر والمغرب والعشاء والصبح من يوم عرفة ثم اذا طلعت الشمس على ثبير توجهوا الى عرفات فاذا دنوا منها فالسنة ان لا يدخلوها بل يضرب قبة الامام
بنمرة روي ان النبي مكث حتى طلعت الشمس ثم ركب وامر بقبة من شعر ان يضرب له بنمرة فنزل بها فاذا زالت الشمس خطب الامام خطبتين يبين
لهم مناسك الحج ويحرضهم على اكثار الدعاء والتهليل بالموقف ثم بعد الفراغ من الخطبة الاولى جلس ثم قام وافتتح الخطبة الثانية والمؤذنون ياخذون في الاذان
معه ويخفف بحيث يكون فراغه منها مع فراغ المؤذنين من الاذان ثم ينزل فيقيم المؤذنون فيصلي بهم الظهر ثم يقيمون في الحال فيصلي بهم العصر وهذا
الجمع متفق عليه ثم بعد الفراغ من الصلوة يتوجهون الى عرفات فيقفون عند الصخرات لان النبي وقف هناك واذا وقفوا استقبلوا القبلة و
يذكرون الله ويدعونه الى غروب الشمس والوقوف ركن لا يدرك الحج الا به ومن فاته ذلك فقد فاته الحج لقوله الحج عرفة من فاته عرفة فقد فاته الحج
وقد يستدل بالآية ايضا على ذلك لانها دلت على ذكر الله عند المشعر الحرام عقيب الافاضة من عرفات والافاضة من عرفات لا يتصور الا بعد الحصول بعرفات
وجمهور الفقهاء على ان الوقوف بالمشعر الحرام ليس بركن لانه تعالى امر بالذكر هناك والوقوف به تبع لا اصل بخلاف الوقوف بعرفة لانه جعله اصلا حيث
لم يقل فاذا افضتم عن الذكر بعرفات ووقت الوقوف يدخل بزوال الشمس يوم عرفة ويمتد الى طلوع الفجر من يوم النحر وذلك نصف يوم وليلة كاملة
واذا حضر الحاج هناك في هذا الوقت لحظة واحدة من ليل او نهار كفى وقال احمد وقت الوقوف من طلوع الفجر يوم عرفة الى طلوع الفجر يوم النحر واذا
غربت الشمس دفع الامام من عرفات واخر صلوة المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء بالمزدلفة قيل سميت بها لانهم يتقربون فيها من منى والازدلاف التقرب
قيل لان الناس يجتمعون بها والازدلاف الاجتماع وقيل لانهم يزدلفون الى الله اي يتقربون بالوقوف فيها ويقال للمزدلفة جمع لانه يجمع فيها بين صلوتي المغرب
والعشاء عن قتادة وقيل لان آدم اجتمع فيها مع حواء وازدلف اليها اي دنا منها ثم اذا اتى الامام المزدلفة جمع بين المغرب والعشاء باقامتين ثم يبيتون
بها فان لم يبيتوا بها فعليهم دم شاة فاذا طلع الفجر صلوا الصبح بغلس والتغليس بالفجر ههنا اشد استحبابا منه في غيرها وهو متفق عليه فاذا صلوا الصبح اخذوا

منها الجمرة الاولى لياخذ كل انسان سبعين حصاة ثم يذهبون الى المشعر الحرام وهو جبل يقال له قزح فيرقى فوقه ان امكنه او وقف بالقرب منه ان امكنه ويحمد الله
ويهلله ويكبره ولا يزال كذلك حتى يسفر جدا ثم يدفع قبل طلوع الشمس ويكفي المرور كما في عرفة ثم يذهبون منه الى وادي محسر فاذا بلغوا بطن محسر فمن كان
راكبا يحرك دابته ومن كان ماشيا يسعى سعيا شديدا حتى يقطعه ثم يذهبون الى منى ويرمي جمرة العقبة من بطن الوادي بسبع حصيات ويقطع التلبية اذا ابتدأ ثم
بعدما رمى جمرة العقبة يذبح الهدي ان كان معه هدي وذلك سنة لو تركه لا شيء عليه الا ان يكون منذورا الا ان يكون متمتعا ثم بعدما ذبح الهدي يحلق الرأس او يقصر
ثم بعد الحلق الى مكة ويطوف بالبيت طواف الافاضة وهو الركن ويصلي ركعتي الطواف ويسعى بين الصفا والمروة ثم بعد ذلك يعود الى منى في بقية يوم النحر
وعليهم المبيت بمنى ليالي التشريق لاجل الرمي واعلم ان من مكة الى منى فرسخين ومن منى الى عرفات فرسخين ومزدلفة متوسطة بين منى وعرفات منها
الى كل واحد منهما فرسخ ولا يقفون بها في سيرهم من منى الى عرفات والحاصل ان اعمال الحج يوم النحر اربعة ان يعود الى منى ويرمي جمرة العقبة والذبح
والحلق والتقصير والطواف طواف الافاضة ويسمى طواف الزيارة ايضا لانهم ياتون من منى زائرين للبيت ويعودون في الحال والترتيب في الاعمال الاربعة
على النسق المذكور مسنون وليس بواجب اما انه مسنون فلان النبي كذلك فعلها واما انه ليس بواجب فلما روي عن عبد الله بن عمرو قال وقف رسول الله
بمنى للناس يسألونه فجاءه رجل فقال يا رسول الله اني حلقت قبل ان ارمي قال ارم ولا حرج واتاه اخر فقال اني ذبحت قبل ان ارمي قال ارم ولا
حرج واتاه اخر فقال اني افضت الى البيت قبل ان ارمي فقال ارم ولا حرج فما سئل عن شيء قدم او اخر الا قال افعل ولا حرج وعن مالك واحمد وابي حنيفة
ان الترتيب بينها واجب لو تركه فعليه دم على تفصيل ليس هنا موضع بيانه ثم ان اهل الجاهلية كانوا قد غيروا مناسك الحج عن سنة ابراهيم ع وذلك
ان الحمس كانوا لا يقفون بعرفات ويقولون لا نخرج من الحرم ولا نتركه في وقت الطاعة وكان غيرهم يقفون بعرفة والذين كانوا يقفون بعرفة يفيضون
قبل ان تغرب الشمس والذين يقفون بمزدلفة يفيضون منها اذا طلعت الشمس ويقولون اشرق ثبير كيما نغير اي نسرع للنحر وقيل اي ندفع من مزدلفة فندخل
في غور الارض وثبير جبل هناك فامر الله تعالى نبيه ان يخالف القوم في الدفعتين وامر بان يفيض من عرفات بعد غروب الشمس وبان يفيض من
المزدلفة قبل طلوع الشمس وهي سنة ابراهيم من قبل الوحي قال الواحدي المشعر الحرام هو المزدلفة سماها الله تعالى بذلك لان الصلوة والمقام والمبيت به والدعاء
عنده وقال في الكشاف المشعر الحرام قزح وهو الجبل الذي يقف عليه الامام وعليه الميقدة اي يوقد هناك النار في الجاهلية قال وقيل المشعر الحرام ما بين
جبلي المزدلفة من مأزمي عرفة الى وادي محسر وليس المأزمان ولا وادي محسر من المشعر الحرام قال والصحيح انه الجبل لما روى جابر ان النبي ص لما صلى الفجر بالمزدلفة بغلس
ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وقال عند المشعر الحرام معناه مما يلي المشعر الحرام قريبا منه وذلك للفضل كالقرب من
جبل الرحمة والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر او جعلت اعقاب المزدلفة لكونها في حكم المشعر ومتصلة بها عند المشعر وسمي المشعر لانه العلم للعبادة ووصف
بالحرام لحرمته واما الذكر المامور به هنالك فقيل هو الجمع بين صلوتي المغرب والعشاء والصلوة تسمى ذكرا قال تعالى واقم الصلوة لذكري والدليل عليه
ان قوله فاذكروا امر فهو للوجوب ولا ذكر يجب هناك الا هذا والجمهور على ان المراد ذكر الله بالتسبيح والتحميد والتهليل عن ابن عباس انه نظر الى الناس ليلة جمع فقال
لقد ادركت الناس هذه الليلة لا ينامون كما هداكم ما مصدرية او كافة والمعنى الامر بالذكر ولا ثم قيده ثانيا والمعنى اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم
هداية حسنة لكي تكونوا شاكرين لنعمة الهداية اما كل انواع الهدايات او الهداية الى سنة ابراهيم في مناسك الحج واذكروا كما علمكم كيف تذكرونه لا تعدلوا
عنه بحسب الرأي والقياس فان اسماء الله توقيفية والذكر الاول محمول على الذكر باللسان والثاني على الذكر بالقلب المعنى اذكروه بتوحيده كما ذكر
بهدايته والمراد بتشفيع الامر تكثيره وتكريره يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وعلى هذا فيكون قوله كما هداكم متعلقا بالامرين جميعا او
الذكر الاول مقيد بانه عند المشعر الحرام والثاني مطلق بالبعث وجوب تكرره في كل مكان وعلى كل حال فالاول للحالة الموظفة الشرعية والثاني للترقي
الى معارج الحقيقة وهو ان ينقطع القلب عن المشعر الحرام بل عن كل ما سواه من حلال وحرام والمراد بالاول الجمع بين الصلوتين هناك وبالثاني
التسبيح والتحميد وان كنتم من قبله من قبل الهدى ومن قبل الرسول ومن قبل انزال الكتاب الذي بين فيه معالم دينكم لمن الضالين الجاهلين لا تعرفون
كيف تذكرونه وتعبدونه وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية ثم افيضوا في هذه الافاضة قولان احدهما انه الافاضة
من عرفات وعلى هذا فالاكثرون قالوا انه امر لقريش وحلفائها وهم الحمس لانهم كانوا لا يتجاوزون المزدلفة ويتطاولون بان الحرم اشرف من غيره فالوقوف
به اولى لانهم اهل الله وقطان حرمه فلا يليق بحالهم ان يساووا الناس في الموقف ترفعا وكبرا روي ان النبي ص لما جعل ابا بكر اميرا في الحج امره ان يخرج بالناس
الى عرفات فلما ذهب به على الحمس تركهم فقالوا الى اين وهذا مقام اباءك وقومك فلا تذهب فلم يلتفت اليهم ومضى بامر الله الى عرفات فوقف بها وامر سائر
الناس ان يقفوا بعرفات كما من المزدلفة ومعنى ثم التفاوت بين الافاضتين وان احدى الافاضتين مامور بها صواب والاخرى خطأ كما تقول احسن الى
الناس ثم لا تحسن الى غير كريم فاتى بثم لتفاوت ما بين الاحسان الى الكريم والاحسان الى غيره وبهذا التحقيق لا يلزم عطف الشيء على نفسه صورة القصة
فاذا افضتم من عرفات ولا يفيد تقديم هذه الاية على ما قبلها في الوضع من القائلين بان المراد الافاضة من عرفات من قال المراد بالناس جميعا
وقوله من حيث افاض الناس المراد ابراهيم واسمعيل فانه من سنتهما وذلك روي عن النبي كان يقف في الجاهلية بعرفة كسائر الناس مخالفا للحمس
ويطلق اسم الجمع على الواحد خاصة اذا كان رئيسا مقتدى به ان ابراهيم كان امة قانتا الذين قال لهم الناس يعني نعيم بن مسعود ان الناس يعني ابا سفيان
ووجه ثالث وهو ان يكون قوله من حيث افاض الناس عبارة عن تقادم الافاضة من عرفات وان ما عداه مبتدع كما يقال هذا مما فعله الناس قديما

لانه معلم

وذكر اللسان وذكر القلب

بالوقوف

افيضوا من عرفات

القول الثاني عن الضحاك ان المراد الافاضة من المزدلفة الى منى يوم النحر قبل طلوع الشمس للرمي والنحر وقوله من حيث افاض الناس يعني ابراهيم واسمعيل ومتبعيهما فان طريقتهم الافاضة من المزدلفة قبل طلوع الشمس على ما جاء به الرسول والعرب الذين كانوا واقفين بالمزدلفة كانوا يفيضون بعد طلوع الشمس فامرهم الله تعالى بان يكون افاضتهم من المزدلفة في الوقت الذي كان يحصل فيه افاضة ابراهيم واسمعيل ويرد على هذا القول ان استعمال حيث ظرفا قليل ويمكن ان يجاب بان القرآن اولى ما يحتج به وعن الزهري ان الناس في هذه الآية آدم ع واحتج بقراءة سعيد بن جبير من حيث افاض الناسي بكسر السين اكتفاء من الياء بالكسرة من قوله تعالى ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفات شرع قديم فلا تتركوه واستغفروا الله عن مخالفتكم في الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم وليكن الاستغفار باللسان مع التوبة بالقلب وهي ان يندم على كل تقصير منه في طاعة الله ويعزم ان لا يقصر فيما بعد ويبتغي مرضاة الله لا للمنافع العاجلة والاستغفار بالحقيقة يجب على كل مكلف لانه لم يعلم من ظاهر حاله خطيئة فان النقص لازم للامكان والقصور من خصائص الانسان وكيف لا وقد قالت الملائكة وانهم ارضى ما عبدناك حق عبادتك وصورة الاستغفار على ما روى البخاري في صحيحه عن شداد بن اوس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال سيد الاستغفار ان يقول العبد اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء لك بنعمتك علي وابوء بذنبي فاغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا انت ولو اقتصر على قوله استغفر الله كفى ولو زاد فقال اللهم اني استغفرك واتوب اليك انك انت التواب الرحيم او قال استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم ذو الجلال والاكرام من كل ذنب اذنبته ومعصية ارتكبتها واتوب اليه من الذنب الذي اعلم ومن الذي لا اعلم كان حسنا ان الله غفور رحيم بناء ان الله الغفار مرارا واختلف اهل العلم في المغفرة الموعودة في هذه الآية فمنهم من قال انها عند الدفع من عرفات الى جمع بناء على القول الاول في الافاضة ومن قال انها عند الدفع من جمع الى منى بناء على القول الآخر قوله عز من قائل فاذا قضيتم مناسككم اي فرغتم من عباداتكم التي امرتم بها في الحج او من اعمال مناسككم اذ المناسك جمع المنسك وانه يحتمل ان يكون مصدرا وان يكون اسم مكان وعن مجاهد ان قضاء المناسك هو اراقة الدماء عن ابن عباس ان العرب كانوا اذا فرغوا من حجهم بعد ايام التشريق يقفون بين مسجد منى وبين الجبل ويذكر كل واحد منهم فضائل آبائه في السماحة والحماسة وصلة الرحم ويتناشدون فيها الاشعار وغرضهم الشهرة والترفع بمآثر سلفهم فلما انعم الله عليهم بالاسلام امرهم ان يكون ذكرهم لربهم لا لآبائهم ثم الفاء في قوله فاذكروا الله يدل على ان الفراغ من المناسك يوجب هذا الذكر فلهذا قيل هو الذكر على الذبيحة وقيل هو التكبيرات بعد الصلوات في ايام النحر والتشريق وقيل هو الاقبال على الدعاء والاستغفار بعد الفراغ من الحج كالادعية المأثورة عقيب الصلوات المكتوبة وقيل معناه فاذا قضيتم مناسككم وازلتم آثار البشرية وقهرتم القوى الطبيعية وامطتم الاذى عن طريق السلوك فاشتغلوا بعد ذلك بتنوير القلب بذكر الله فان التخلية ليست مقصودة بالذات وانما الغرض منها التحلية بمواجب السعادات الباقيات فالاول نفي والثاني اثبات ومعنى كذكركم آباءكم توفروا على ذكر الله كما كنتم تتوفرون على ذكر الآباء واقيموا الثنا على الله مقام تعداد مفاخر الآباء فانه ان كان كذبا اوجب الدناءة في الدنيا والعقوبة في العقبى وان كان صدقا استتبع العجب والتباهي وانهم كانوا يذكرون الآباء ليتوسلوا بذلك الى اجابة الدعاء فالاقبال بالكلية على مولى النعماء اولى مع ان حسنات آبائهم محبطة بسبب شركهم وقال الضحاك والربيع اذكروا الله كذكركم آباءكم وامهاتكم وذلك قول الصبي اول ما ينطق ابه امه اي كونوا مواظبين على ذكر الله كما يكون الصبي في صغره مواظبا على ذكر ابيه وامه واكتفى بالآباء عن الامهات كقوله سرابيل تقيكم الحر وقال ابو مسلم جرى ذكر الآباء مثلا لدوام الذكر والمعنى كما ان الرجل لا ينسى ذكر ابيه فكذلك يجب ان لا يغفل عن ذكر الله قال ابن الانباري العرب اكثر اقسامها في الجاهلية بالآباء فقال تعالى عظموا الله كتعظيمكم آباءكم وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحلف بالآباء وقال من كان حالفا فليحلف بالله او ليصمت وقيل اذكروا الله بالوحدانية كذكركم آباءكم بالوحدانية فان الواحد منكم لو نسب الى والدين تأذى منه واستنكف وقيل كان الطفل يرجع الى ابيه في طلب المهمات وكفاية الملمات فكونوا انتم في ذكر الله كذلك وعن ابن عباس معنى الآية ان تغضب لله اذا عصي اشد من غضبك لوالديك اذا ذكرا بسوء وقوله او اشد ذكرا اما في موضع جر عطفا على ما اضيف اليه الذكر في قوله كذكركم كما تقول كذكر قريش آباءهم او قوم اشد منهم ذكرا واما في موضع نصب عطفا على آباءكم بمعنى او اشد ذكرا من آبائكم على ان ذكرا من فعل المذكور وهو الآباء لا من فعل الذاكر وهو الابناء فان الذكر بل كل فعل متعد له اعتباران اعتبار وقوعه على المفعول واعتبار صدوره عن الفاعل وذلك الفعل باحد الاعتبارين مغاير له بالاعتبار الآخر وانما لزم تعدد اعتبار الفعل ههنا من جهة وقوعه على المفعول لان الآباء المفضل عليهم هم المذكورون لا الذاكرون ويحتمل ان يقال المعنى اذكروا الله ذكرا مثل ذكركم آباءكم او ذكرا اشد ذكرا ولكن يرد عليه ان افعل انما يضاف الى ما بعده اذا كان من جنس ما قبله كقولك وجهك احسن وجه اي احسن الوجوه فانتصب ما بعده ان كان غير الذي قبله كقولك زيد اعز عبدا فالعز للعبد لا لزيد المذكور وقيل اشد ههنا هو الذكر والذكر لا يذكر حتى يقال اشد ذكرا انما يقال ذكر الله اشد ذكر بجر الاضافة ونصبه على ما قال ابو علي ان يجعل الذكر ذاكرا مجازا او يجوز نسبة الذكر الى الذكر بان يجعل نشاط الذاكر في ذكره فكان الذكر قد ذكر لجده تشبيه على جميع الوجوه ومعنى او ليس هو التشكيك وانما المراد به النقل عن الشيء الى ما هو اقرب منه كقول رجل لغيره افعل هذا الى شهر او اسرع منه وانما امرهم الله تعالى ان يكون ذكر الله اشد لان مفاخر آبائهم متناهية وصفات الكمال لله غير متناهية وتلك مشكوكة وهذه متيقنة وغاية الاول تضييع وحرمان ولازم الثاني نور وبرهان ثم انه تعالى قسم بعد هذا امر العباد مقسمين للنفس في تخليتها عن ظلمات الكبر والضلال امر عقيب ذلك بتنوير الباطن بنور الجلال والجمال بكثرة

الاشتغال بذكر الكبير المتعال فيه حسن طلب مزيد الانعام والافضال ثم ذكر ان الناس فريقان منهم من يقصر دعاءه على طلب اللذات العاجلة ومنهم من اضاف
الى ذلك المطلب نعيم الآخرة واهمل القسم الثالث وهو ان يكون دعاؤه مقصورا على طلب الآخرة تنبيها على ان ذلك غير مشروع ومن حقه ان لا يؤخذ فان الانسان
خلق ضعيفا لا طاقة له بآلام الدنيا ولا بعذاب النار فالاولى به ان يستعيذ بربه من آفات الدنيا والآخرة عن انس ان النبي صلعم دخل على رجل يعوده وقد
انهكه المرض فقال له ما كنت تدعو الله به قال كنت اقول اللهم ما كنت معاقبني به في الآخرة فعجله لي في الدنيا فقال النبي سبحان الله انك لا تطيق ذلك الا
قلت ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار فدعا له رسول الله صلعم فشفي والانصاف انه سبحانه لو سلط الالم على عرق واحد في
البدن او على منبت شعرة واحدة عجز الانسان عن الصبر عليه ويفضي ذلك به الى الجزع ويمنعه عن اكتساب الكمالات ويحمله على اهمال وظائف الطاعات فن
فالذي ينبغي للعبد ان يسأل الله اياه في دنياه وعقباه ثم القسم الذي فيه قصر الدعاء على طلب الدنيا منهم عن ابن عباس ان المشركين كانوا يقولون اذا وقفوا اللهم
ارزقنا ابلا وبقرا وغنما واماء وعبيدا وذلك لانكارهم البعث والمعاد وعن انس كانوا يقولون اسقنا المطر واعطنا على عدونا الظفر ويحكى عن ابي علي الدقاق
انه قال اهل النار يستغيثون ثم يقولون افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله فهم في الدنيا طلب المأكول والمشروب في النار طلب المأكول والمشروب فلما
غلبتهم شهواتهم افتضحوا في الدنيا والآخرة وقال الآخرون يحتمل ان يكونوا مسلمين ومؤمنين الا انهم سألوا الله اعظم الدواعي الى شرف المناصب الاخس
البضائع دون المطالب الشريفة وكيف لا وهي اخس من جناح بعوضة معرضين عن العيش الباقي والنعيم المقيم وقوله ربنا آتنا في الدنيا متروك المفعول
الثاني لانه كالمعلوم ويحتمل ان يكون من قولهم فلان معطي اي موجد للاعطاء معناه اجعل اعطاءنا في الدنيا خاصة واعلم ان مطامع النفس في الدنيا
احدى ثلث خصال روحانية هي تكميل القوة النظرية بالعلم وتتميم القوة العملية بتحصيل الاخلاق الفاضلة وبدنية هي الصحة والجمال وخارجية هي الجاه
والمال وكل من لا يؤمن بالبعث فانه لا يطلب فضيلة روحانية ولا جسمانية الا لاجل الدنيا فيطلب العلم لاجل الترفع على الاقران ويكتسب الاخلاق لتدبير الامور
المنزلية والمدنية فلهذا قال عز من قائل وما له في الآخرة من خلاق اي طلب نصيب حذف مفعول آتنا لان كل من لم يسأل في الآخرة طلب كله همه الى اقتناء السعادات
الباقيات نزاع وطموح ومطلوبه عيشة سعيدة ومآل حميد الا اي شيء فرضت علما وعملا روحانيا وجسمانيا اللهم اجعلنا ممن لا ينظر في اي شيء ينظر الا
اليك ولا اليك الا بعين كل ما يرغب لاجل ما لديك ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ثم انه سبحانه لم يذكر في هذه الآية ان هذا
الفريق هل يجاب دعوتهم او لا فقال طائفة من العلماء انهم ليسوا باهل للاجابة لان كون الانسان مجاب الدعوة صفة مدح ولا يليق الا باولياء الله والمرتضين
من عبيده وقال آخرون قد يكون الانسان مجابا لا اكراما واجتباء بل مكرا واستدراجا وتوبيخا بقوله سبحانه من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه
ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب وعلى هذا يصح ان يقال في الآية اضمار اي من الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا فيؤتيه الله في الدنيا
وما له في الآخرة من خلاق لان همته مقصورة على الدنيا والحسنتان في دعاء الصالحين اما في الدنيا فالصحة والامن والكفاية والولد الصالح و
الزوجة الصالحة والنصرة على الاعداء وقد سمى الله تعالى الخصب والسعة في الرزق وما اشبهه حسنة ان تصبك حسنة تسؤهم قل هل تربصون
بنا الا احدى الحسنيين قيل اما النصرة واما الشهادة واما في الآخرة فالفوز بالثواب والخلاص من العقاب لان دفع الضرر اهم من جلب النفع صرح
بذلك في قوله وقنا عذاب النار وبهذه الجملة كلمة جامعة لجميع خيرات الدنيا والآخرة روى حماد بن سلمة عن ثابت انهم قالوا لانس ادع لنا فقال اللهم آتنا
في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار قالوا زدنا فاعادها قالوا زدنا فقال ما تريدون سألت لكم خير الدنيا والآخرة وعن علي رضي
الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار امرأة السوء وقيل الحسنة في الدنيا العلم النافع وهو الايمان والطاعة وفي الآخرة
التنعم بذكر الله والانس به وبرؤيته وقيل التلذذ في الدنيا والآخرة الا ان بعد الجنة التي هي للطيبين فان حبيب قلبي في الفؤاد ابيني عن قتادة الحسنة
طلب العافية في الدارين وعن الحسن هي في الدنيا فهم كتاب الله وفي الآخرة الجنة ومنشأ البحث ان الحسنة منكرة في محل الاثبات فكل من المفسرين حمل اللفظ
على ما هو احسن انواع الحسنة عقلا او شرعا ويمكن ان يقال التنوين للتعظيم اي حسنة واي حسنة او بمعنى حسنة توافق حال الداعي وحكمة المدعو وغيرته
حسن الطلب غاية التطلب الادب طلبني التصريح برهانه لا يكون الا ما يشاء او يريد حسنتها وان كثرت قليلة فان النظر الى المنعم لا الى الانعام قليل منك
يكفيني ولكن قليلك لا يقال له قليل اولئك الداعون بالحسنتين لهم نصيب اي نصيب مما كسبوا من جنس ما كسبوا من الاعمال الحسنة وهو الثواب
الذي هو المنافع الحسنة من الابتداء ويحتمل التعليل اي من اجل ما كسبوا كقوله مما خطيئاتهم اغرقوا والكسب سبيل الرزق بطلبه ومنه يقال للارباح
المكاسب فلان اولئك لهم نصيب مما دعوا به يعطيهم بحسب مصالحهم في الدنيا واستحقاقهم في الآخرة وسمى الدعاء كسبا لانه من الاعمال و
الاعمال موصوفة بالكسب وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويجوز ان يكون اولئك للفريقين جميعا وان لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا
والله سريع الحساب السرعة نقيض البطوء والحساب مصدر كالمحاسبة وهو العد قال الزجاج هو مأخوذ من قولك حسبك كذا اي كفاك وذلك ان
فيه كفاية وليس فيه زيادة على المقدار ولا نقصان ومعنى كون الله محاسبا الخلق قيل انه يعلمهم ما لهم وعليهم بان يخلق العلم الضروري في قلوبهم
بمقادير اعمالهم وكمياتها وكيفياتها ومقادير ما لهم من الثواب والعقاب ووجه المجاز ان الحساب سبب لحصول علم الانسان بما له وعليه فاطلاق
الحساب على هذا الاعلام اطلاق اسم السبب على المسبب وعن ابن عباس انه قال لا حساب على الخلق بل يقفون بين يدي الله يعطون كتبهم بايمانهم فيها
سيئاتهم فيقال لهم هذه سيئاتكم قد تجاوزت عنها ثم يعطون حسناتهم ويقال هذه حسناتكم قد ضعفتها لكم وقيل

المجازاة وكانت عن مرتبة عن امر ربهما ورسله فحاسبناها حسابا شديدا ووجه المجاز ان الحساب سبب الاخذ والاعطا وقيل انه تعالى يكلم
العباد في احوال اعمالهم وكيفية ما لها من الثواب والعقاب فمن قال ان كلامه ليس بحرف ولا صوت قال انه تعالى يخلق في اذن المكلف سمعا يسمع به كلامه
القديم كما يخلق في عينه رؤية يرى بها ذاته القديمة ومن قال انه صوت قال انه تعالى يخلق كلاما يسمعه كل مكلف اما بان يخلق ذلك الكلام في اذن كل
واحد منهم او في جسم يقرب من اذنه بحيث لا يبلغ قوة ذلك الصوت مبلغا يمنع الغير من فهم ما كلف به فهذا هو المراد من كونه تعالى محاسبا للخلق ومعنى كونه
سريع الحساب ان قدرته متعلقة بجميع الممكنات من غير ان يفتقر في احداث شيء الى فكر وروية ومدة ومهلة ولذلك ورد في الخبر انه يحاسب الخلق في
مقدار حلب شاة وروي في لمحة او انه سريع القبول لدعاء عباده والاجابة لهم لانه قادر على ان يعطي مطالب جميع الخلائق في لحظة واحدة كما ورد في
المأثور يا من لا يشغله سمع عن سمع او ان وقت جزائه ومحاسبته سريع يوشك ان يقيم القيمة ويحاسب العباد كقوله اقترب للناس حسابهم
قوله تعالى واذكروا الله اي بالتكبير في ادبار الصلوات وعند الجمار يكبر مع كل حصاة وفيه دليل على وجوب الرمي لان الامر بالتكبير امر بما لا يتوقف التكبير
على حضوره وانما خص هذا الشيء لانهم كانوا منكرين للرمي بما كانوا يتركون ذكر الله تعالى عنده في ايام معدودات هي ايام التشريق ثلاثة ايام
بعد النحر اولها يوم القر لان الناس يستقرون فيه بمنى والثاني يوم النفر الاول لان بعض الناس ينفرون في هذا اليوم من منى والثالث يوم النفر الثاني
عن عبد الرحمن بن يعمر الديلي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر مناديا ينادي الحج عرفة فمن جاء ليلة جمع قبل طلوع الفجر فقد ادرك الحج وايام منى ثلاثة فمن
تعجل في يومين فلا اثم عليه واعلم ان التكبير المشروع في غير الصلوات وخطبة العيدين نوعان مرسل ومقيد فالمرسل هو الذي لا يتقيد ببعض الاحوال
بل يؤتى به في المنازل والمساجد والطرق ليلا ونهارا كما مر في تفسير قوله تعالى ولتكبروا الله على ما هداكم وذكرنا صورة التكبير هناك ابتداء ولا فرق في
التكبير المرسل بين عيد الفطر والاضحى واما التكبير المقيد فاظهر الوجهين انه لا يستحب في عيد الفطر لانهم لم ينقلوا ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اصحابه
وانما يستحب في الاضحى وتعينه هو ان يؤتى به في ادبار الصلوات خاصة واختلفوا في ابتدائه وانتهائه فقيل من ظهر يوم النحر الى ما بعد طلوع الصبح من آخر
ايام التشريق فيكون التكبيرات على هذا في خمس عشرة صلوة وهو قول ابن عباس وابن عمر وبه قال مالك والشافعي في اشهر قوليه ووجههم ان الناس فيه
تبع للحاج وهم يبتدءون التكبير عقيب الظهر يوم النحر لانهم قبل ذلك مشغولون بالتلبية وآخر صلوة يصلونها بمنى صلوة الصبح من آخر ايام منى وذكرهم قبل ذلك التلبية والقول
الثاني للشافعي انه يبتدئ به من صلوة المغرب ليلة النحر الى الصبح من آخر ايام التشريق فيكون التكبير في اعقاب ثماني عشرة صلوة المغرب والقول
الثالث انه يبتدئ به من صلوة الفجر يوم عرفة وينقطع بعد صلوة العصر من يوم النحر فيكون التكبيرات بعد ثماني صلوات وهو قول علقمة والاسود
النخعي وابي حنيفة احتج عليه بان هذه التكبيرات نسبت الى ايام التشريق فوجب ان يؤتى في ابعاضها وان انضم بها ما ان آخرها فلا اقل من ان يكون جمعا
والقول الرابع يبتدئ بها من صلوة الفجر يوم عرفة وينقطع بعد صلوة العصر من آخر ايام التشريق فيكبر عقيب ثلث وعشرين صلوة وهو قول اكابر الصحابة
كعمر وعلي وابن مسعود ومن الفقهاء قول الثوري وابي يوسف ومحمد واحمد واسحق والمزني لما روى جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الصبح يوم عرفة ثم اقبل علينا
وقال الله اكبر ومد التكبير الى العصر من آخر ايام التشريق ولانه هو الاحوط فتكثير التكبير خير من تقليله وعلى هذا القول ثم يكون التكبيرات مضافة الى
ايام التشريق لانها اكثرها قال الجوهري تشريق اللحم تقديده ومنه ايام التشريق لان لحوم الاضاحي تشرق فيها في الشمس وقيل هو من قولهم اشرق ثبير كيما
نغير وقيل سميت بذلك لان الهدي لا ينحر حتى تشرق الشمس ثم ان الرمي في ايام التشريق انه يجب ان يرمي كل يوم بين الزوال والغروب بكل جمرة من الجمرات الثلث
يبتدئ من الجمرة الاولى من جانب المزدلفة ويختم بجمرة العقبة وهي التي تلي مكة ويرمي سبعا في سبع دفعات لان النبي صلى الله عليه وسلم كذلك رماها وقال خذوا
عني مناسككم وجملة ما يرمى في الحج سبعون حصاة سبع الى جمرة العقبة يوم النحر سبع حصاة لاجل المجموع عشرون في كل يوم من ايام التشريق الى الجمرات الثلث
الى كل واحدة سبع ويجوز الرمي راكبا وراجلا ويكبر مع كل حصاة وعلى الحجيج ان يبيتوا بمنى الليلتين الاوليين من ليالي التشريق فاذا رموا اليوم الثاني من اراد
منهم ان ينفر قبل غروب الشمس فله ذلك ويسقط عنه مبيت الليلة الثالثة والرمي من الغد وذلك قوله تعالى فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه فمن لم ينفر حتى
غربت الشمس فعليه ان يبيت الليلة الثالثة ويرمي يومها وبه قال مالك والشافعي وعند ابي حنيفة يجوز النفر ما لم يطلع الفجر فاذا طلع لزم التأخر الى
تمام الايام الثلثة وذلك قوله تعالى ومن تأخر فلا اثم عليه لمن اتقى قال في الكشاف تعجل واستعجل يجيئان مطاوعين بمعنى عجل الذهاب واستعجله ويجيئان
مطاوعين بمعنى عجل وهذا وفق لقوله ومن تأخر والرمي في اليوم الثالث يجوز تقديمه على الزوال عند ابي حنيفة وعند الشافعي لا يجوز كسائر الايام
وقد يستشكل ههنا ان التأخر استوفى ما عليه من العمل فكيف ورد في حقه فلا اثم عليه وهذا انما يقال في حق المقصر الذي يظن انه قد يقصر ثم نفى الاثم
عليه والجواب ان الرخصة قد يكون عزيمة كالقصر عند ابي حنيفة والشيعة لا يجوز في السفر غيره فلما كان هذا الاحتمال رفع الحرج في الاستعجال والتأخر دلالة
على ان الحاج مخير بين الامرين او بان اهل الجاهلية كانوا فريقين منهم من يجعل المتعجل آثما ومنهم من يجعل المتأخر آثما فورد القرآن
لسنة الحج فبين الله تعالى ان لا اثم على واحد منهما وقيل التخفيف زيادة لا الاثم عن المتأخر انما هو لمن زاد على مقام الثلثة فكانه قيل ان ايام منى التي ينبغي المقام
بها فيها ثلثة فمن نقص فلا اثم عليه ومن زاد على الثلثة ولم ينفر مع عامة الناس فلا شيء عليه وقيل الآية سيقت لبيان ان الحج مكفر للذنوب والآثام
لا لبيان ان التعجل والترك مباح كما ان الانسان اذا تناول الترياق قال الطبيب بقوله الان ان تناولت الطعام فلا اثم وان لم تتناول فلا اثم عليك
ورائه كامل في دفع المضار لا ان تناول الطعام وعدمه سيان والمراد انه يحج محا وقيل ان حجوا البيت مكرر عند كثير من العلماء لانه يغفر له نفسه

البيت وقصر في طلبه حين فامكن ان يختلج في قلب الجاهل ان التعجيل افضل بناء على هذا المعنى بما في التعجيل من المبادرة الى طواف الزيارة فبين تعالى انه لا حرج في واحد منهما وقال الواحدي هذا من باب رعاية المقابلة والمشاكلة مثل وجزاء سيئة سيئة مثلها ان لم يكن للمذنب يضيق عليه انه لا اثم على صاحبه فيه لجزاء السيئة ليس بسيئة اصلا واما قوله تعالى لمن اتقى اى ذلك التخيير ونفي الاثم عن المتعجل والمتاخر لاجل الحاج المتقي كيلا يتخالج في قلبه انهما فان ذا التقوى متحرز من كل ما يريبه وقيل معناه ان هذه المغفرة انما تحصل لمن كان متقيا قبل حجه كقوله انما يتقبل الله من المتقين او لمن كان متقيا عن جميع المحظورات حال اشتغاله بالحج وقوله واتقوا الله اى فيما يستقبل فيه حث على ملازمة التقوى فيما بقي من عمره وتنبيه على مجانبة الاغترار بالحج السابق كان قوله واعلموا انكم اليه تحشرون توكيد للامر بالتقوى تجب على التشديد لان الحشر هو اسم يقع على ابتداء خروج الناس من الاجداث الى انتهاء الموقف يوجب تصوره لزوم سيرة الانقاء عن ترك الواجبات وفعل المحظورات والمراد من قوله اليه انه بحيث لا مالك سواه ولا ملجا الا اليه لا امر يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله الناويل الحج اشهر معلومات هي مدة الحيوة الفانية وقيل الى اربعين سنة ولهذا قيل الصوفي بعد الاربعين بارد نعم لو صدق طلبه قبل الاربعين مما امكنه الوصول وقريب ان يحصل مقصوده بعد الاربعين ومن فاته الطلب في صنفوان شبابه الى ان بلغ الاربعين فرجع منه عليه الحيف في ضيع اللبن في الصيف لكنه يصلح للعبادة والوصول الى الجنة فلا رفث لا يميل الى الدنيا وزينتها ولا يجرها كالحرم بعد الاغتسال بماء الانابة عن رياء التواضع والانكسار ويرتدي برداء التذلل والافتقار ولا فسوق ولا خروج من الاوامر والنواهي بل لا يخرج من حكم الرفث لا يدخل فيما يورث الفتنة ولا جدال في الحج لا نزاع للسالك الصادق في طلب الوصول لا بالفروع ولا بالاصول فلا في طلب مع احد يخاصم ولا في جامعها لاحد يزاحم فمن نازعه في شيء من ذلك يسلمها اليه ويسلم عليه واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وتزودوا لكل سالك زاد فزادوا اولي التقوى كما ان سوقهم الذين مقصدهم البيت مقصودهم الجنة وزاد اولي الالباب التقوى عمن مقصدهم ومقصودهم رب البيت فتقوى اهل التقوى مجانبة الزلات ومعاصي الطاعات وتقوى اولي الالباب مجانبة الصفات بالصفات والذات بالذات فلما كان مقصودهم خير المقاصد كان زادهم خير الزاد ان تبتغوا فضلا مقام ابتغاء الفضل يعني الرحمة من الموجود وبذل المجهود في سير الطريق مقام ابتغاء يعني الزيف هو قبل سيرا الى عرفات من فاجمع من المعصية انه بعد استكمال الحج الحقيقي لانه للقوم عرفانه بالله لا يضره الدنيا بل يكون تصرفه فيها بالله في الله عند المشعر الحرام هو القلب الذي حرام عليه الاطمينان بغير ذكر الله واذكروه كما هديكم اى كما هديكم بذكره نفوسكم كيلا تقع في خطر حب الدنيا وان كنتم من قبله الوقوف بعرفات المعرفة من الضالين وحظوظ النفس ثم افيضوا من حيث افاض الناس يعني محمدا وسائر الانبياء والاولياء اي ليكن الافاضة من عرفات المعرفة لاجل اداء الحقوق بالتعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله واستغفروا الله لاجل التلذذ المخالطة مع الخلق كقوله ان لباب نصر الله الى قوله واستغفره اي اذا وجدتم هذا لا يخلو عن حظ فاستغفروه فاذا قضيتم مناسككم الوصال وبلغتم مبلغ الرجال فلا تامنوا مكر الله واطلبوا على الذكر كذكركم اباءكم في صغركم بالافتقار وفي كبركم بالاستغناء او اشد ذكرا لانه يمكن الاستغناء من الاب ولا يمكن الاستغناء من الله والله سريع الحساب لان الطاعة واثر المعصية تظهره الحال على القلب في ايام معدودات هي ايام البداية والوسط والنهاية فمن تعجل في يومين وقف على الوسط ليكون من اهل الجنة فلا اثم عليه ومن تاخر الى ان يصل يوم النهاية حتى يكون من اهل الله فذلك لمن اتقى الرجوع والوقوف والله ولي التوفيق وهو حسبي

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ۝ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ۝ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۝ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ۝

القراءة مرضات بالامالة وبالوقف بالهاء علي وكذلك يقف على مرضات بالهاء على حدا وفي ظلل على فراتهم الاء والاء وعلى مريم ابنة ابنه وافق ابو عمرو في لا ت حين بالهاء السلم بفتح السين ابو جعفر ونافع وابن كثير وعلي الباقون بالكسر والملائكة بالجر يزيد عطفا على ظلل او على الغمام والجوار وان كان فاعلا بابهم الباقون بالرفع ترجع الامور حيث كان بفتح التاء وكسر الجيم حمزة وعلي وخلف وابن عامر وسهل ويعقوب الباقون بضم التاء وفتح الجيم الوقوف قلبه لا ان الواو للحال الخصام والنسل ط الفساد جهنم ط المهاد مرضات الله ط بالعباد كافة ط لعطف الجملتين المتفقتين الشيطان ط لاحتمال الجواز مبين حكيم والملائكة الامور التفسير لما بين الحج التعديد فرق الناس بحسب اغراضهم في الدعاء ناسب ان يعطف عليه تقسيم اخر يعرف منه وطالع انظار الناس على الاطلاق ليعرف دناءة النفاق من صاحب الوفاق عن السدي نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي وهو حليف بني زهرة اقبل

الى التنعيم بالمدينة فلما خرجوا الاسلام وزعم انه يحبه فقال والله يعلم انه لصادق فلما خرج من عند النبي صلى الله عليه وسلم مر بزرع لقوم من المسلمين وحمر فاحرق الزرع و
عقر الحمر وقيل انه اشار على بني زهرة بالرجوع يوم بدر فقال لهم ان محمدا ابن اختكم فان يك كاذبا كفاكموه سائر الناس وان يك صادقا كنتم اسعد الناس
به فقالوا نعم الرأي ما رأيت ثم خنس بثلثمائة رجل من بني زهرة عن قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمي بهذا السبب الاخنس وكان اسمه ابي بن شريق فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاعجبه عن ابن عباس والضحاك ان كفار قريش بعثوا الى النبي صلى الله عليه وسلم انا قد اسلمنا فابعث الينا نفرا من علماء اصحابك فبعث اليهم جماعة فلما كانوا ببعض
الطريق ركب من الكفار سبعون راكبا فاحاطوا بهم فقتلوهم وصلبوهم ففيهم نزلت هذه الآية وبعده ذلك ومن الناس من يشري اشارة الى هؤلاء الشهداء
واختيار المحققين من المفسرين انه لا يمتنع ان يكون الآية نازلة في الرجل ثم تكون عامة في امثاله وفي هذه الآية عظة في المنافقين فان السنتهم
حلوة وقلوبهم امر من الصبر والضمير في يعجبك يعود الى من وهو يحتمل ان يكون جمعا ولكنه افرد نظرا الى اللفظ ومعنى يعجبك يروقك ويعظم في قلبك وفي
الحيوة الدنيا اما ان يتعلق بقوله يعجبك اي يعجبك ما يقوله في باب الدنيا لطلب المصالح العاجلة فقط كالامان من القتل والاخذ من الغنائم واما ان يتعلق
بيعجبك كان قوله حلو كلام انما يعجب السامع في الدنيا ولا يعجبه في الآخرة لما يرهقه في الموقف من الهيبة والحيرة او لانه لا يؤذن له في الكلام والخطاب
اما اللجنة او لكل سامع ويشهد الله على ما في قلبه يحتمل ان يكون ذلك الاستشهاد بالحلف ان يكون بقوله يشهد الله على ما في قلبي من محبتك ومن
الاسلام وهو الد الخصام الالد الشديد الخصومة واللديدان جانبا الوادي كان كلا من المتخاصمين في جانب من اللدد وهو ما يصب من الادوية
في احد شقي الفم واضافة الالد بمعنى في كقولهم ثبت الغدر وقيل الخصام الالد على المبالغة نحو جد جده والخصام جمع خصم كصعاب
وصعب فالمعنى هو اشد الخصوم خصومة والحاصل انه حلو اللسان شديد الفتنة وبعد في معصية الله مع ان حاصل العمل واذا تولى عنك وذهب بعد
الانة القول واحلاء المنطق سعى في الارض ليفسد فيها كما فعل الاخنس بالمسلمين من احراق الزرع وعقر الحمر او سعى في اصل السعي المشي بسرعة وقد يستعار
لايقاع الفتنة والتضريب بين الناس وقيل المراد من سعى من بيعه في الارض وكان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا واهلك مواشيهم واحرق زرعهم
وعلى هذا فيقع قوله ويهلك الحرث والنسل تفصيلا لما اجمل بقوله ليفسد وقيل الفساد هو القاء الشبه في عقائد المسلمين وعلى هذا فيكون اهلاك
الحرث والنسل عبارة عن ذلك وهذا التفسير مناسب لان كمال الانسان بالعلم والعمل ونقصه بضدهما فيكون الافساد اشارة الى نقص قوته النظرية والاهلاك
عبارة عن فعل المنكرات فيه نقصان قوته العملية وقيل واذا تولى صار واليا فعل ما يفعله ولاة السوء من الفساد في الارض واهلاك الحرث
والنسل فالحرث الزرع والنسل الولد وقيل بظلمه حتى يمنع الله بشؤم ظلمه المطر فيهلك الحرث والنسل فالحرث الزرع والنسل الولد تناسلت الناقة
تولد كثيرا والتركيب يدل على الخروج وقيل اهلاك الحرث قتل النسوان نساؤكم حرث لكم واهلاك النسل افناء الصبيان والله لا يحب الفساد قالت
المعتزلة معناه لا يريد الفساد وفيه دليل على انه لا يريد القبائح واذا لم يردها لم يخلقها لان الخلق لا يمكن الا مع الارادة ومنع من ان المحبة نفس الارادة
بل المحبة عبارة عن مدح الشيء وذكره بالتعظيم ثم الدليل الدال على ان لا مرجح لاحد جانبي كل ممكن على الآخر الا الله تعالى في باب اثبات الصانع يدل على
ان الكل بارادته ومشيئته فلم يحتج الى التطويل فيما سلف اعلم انه سبحانه حكى عن المنافق جملة من الافعال الذميمة اولها حسن كلامه في طلب الدنيا وثانيها
استشهاده بالله كذبا وثالثها لدده في الخصام ورابعها سعيه في الارض بالافساد وخامسها سعيه في اهلاك الحرث والنسل وفي

قوله والله لا يحب الفساد جملة معترضة ثم ذكر خصلة سادسة اشنع الكل دالة على جهله المركب وهو ان لا يرعوي عن جريرة ذلك فقوله واذا قيل له اتق الله
في ذلك بشيء من هذه المنهيات او في افعاله اما الرسول صلى الله عليه وسلم خاصا او عاما لجميع المكلفين فيدخل المنافق فيه لانه ما كل وعظ وناصح اخذته العزة بالاثم
من قولهم اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه اي حملته نخوة الجاهلية والاستيلاء والانفة حمية الجاهلية ان يعمل الاثم وذلك الاثم هو ترك الالتفات
الى هذا الوعظ وعدم الاصغاء اليه من قولهم اخذته الحمى اي لزمته واخذه الكبرياء او غيره وذلك ان يعني لزمته عزة العزة الحاصلة بسبب الاثم الذي في قلبه فذلك
الاثم هو الكفر والجهل وعدم النظر في الدلائل فحسبه جهنم كافية هي جزاء له يستوي فيه الواحد والجمع والتثنية والمذكر والمؤنث لانه مصدر وهو مرفوع على الخبرية او
الابتداء ان كان ما بعده معرفة او على الابتداء فقط ان كان نكرة مثل حسبك درهم وعلى هذا يكون الاضافة معنوية البتة وعلى تقدير كونه خبرا لوقوع

المعرفة بعده يكون الاضافة لفظية اي فحسب كاف له قال يونس واكثر النحويين جهنم اسم للنار التي يعذب الله بها في الآخرة وهي عجمية وفيها العلمية والتأنيث
وقال آخرون انه اسم عربي سميت نار الآخرة بها لبعد قعرها حكي عن رؤبة انه قال ركية جهنام بكسر الجيم والهاء اي بعيدة القعر وقيل اشتقاقها من الجهومة
وهي الغلظ ومنه رجل جهم الوجه اي غليظه وسميت به لغلظ امرها في العذاب والعقاب ولبئس المهاد اي ما مهد لهم لان المعذب في النار يلقى على النار
كما يوضع الشخص على الفراش ويحتمل ان يكون مصدر بمعنى التمهيد للمخصوص قوله ومن الناس من يشري الآية قال سعيد بن المسيب اقبل صهيب مهاجرا نحو النبي صلى الله عليه وسلم

فاتبعه نفر من قريش فنزل عن راحلته وانتثل ما في كنانته واخذ قوسه ثم قال والله لا تصلون الي او ارمي بكل سهم معي ثم اضرب بسيفي ما بقي في يدي فان شئتم
دللتكم على مال دفنته بمكة وخليتم سبيلي ففعلوا فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ربح البيع ابا يحيى وتلا الآية وقيل اخذ المشركون
صهيبا فعذبوه فقال لهم صهيب اني شيخ كبير لا يضركم امنكم كنت ام من غيركم فهل لكم ان تأخذوا مالي وتذروني وديني ففعلوا ذلك وكان قد شرط
عليهم راحلة ونفقة فخرج الى المدينة فتلقاه ابو بكر وعمر في رجال فقال له ابو بكر ربح بيعك ابا يحيى فقال صهيب وبيعك فلا تخسر ما ذاك فقال نزلت
في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر سمع عمر بن الخطاب انسانا يقرأ هذه الآية فقال عمر انا لله قام رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فقتل وقيل نزلت

في علي بن ابي طالب رضي الله عنه حين بات على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة خروجه الى الغار ويروى انه لما نام على فراشه قام جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجليه وجبرئيل ينادي بخ بخ من
مثلك يا ابن ابي طالب يباهي الله بك الملائكة ونزلت الاية ثم ان الاية تدل على انه مما يمنعه اكثر المفسرين على العامل وهو البائع ومعنى يشري يبيع
ويشري نفسه يبذلها والله هو المشتري ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم وعلى المكلف تسليمه وبذله طاعة الله من الصلوة والصيام والحج
والجهاد وهو الثمن والجنة هي المثمن وقيل يحتمل ان يراد بالشرى ههنا الاشتراء وذلك ان من اقدم على الكفر والمعاصي فكان نفسه خرجت عن ملكه وصارت
حق النار واذا اقدم على الطاعة صار كانه اشترى نفسه من النار فصار حال المؤمن كالمكاتب يبذل دراهم معدودة ويشتري بها نفسه فالمؤمن يبذل
انفاسا معدودة ويشتري بها نفسه لكن المكاتب عبد ما بقي عليه درهم فكذا المكلف لا ينجو عن ربقة العبودية ما دام يبقى له نفس واحد في الدنيا وهذا
قول عيسى واوصاني بالصلوة والزكوة ما دمت حيا وقوله عز من قائل لنبيه واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ابتغاء مرضات الله اي طلب رضوانه
على الصفة التامة وفيه تنبيه على ان كل مشقة يتحملها الانسان يجب ان يكون على وفق الشرع ويطلب بها جانب الحق والا كان عمله ضلالا وبالا
والله رؤف بالعباد فمن رأفته جعل النعيم الدائم جزاء على العمل القليل المنقطع ولم يكلف الكفر ابقاء على النفس الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ومن رأفته
انه لا يكلف نفسا الا وسعها ومن رأفته ان المصر على الكفر مائة سنة اذا تاب ولو في لحظة اسقط عقابه واعطاه ثوابه ومن رأفته ان النفس له والمال له ثم انه
يشتري ملكه بملكه فضلا منه ورحمة وامتنانا قوله سبحانه يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة اصل السلم بالكسر والفتح الاستسلام والطاعة ويطلق
ايضا على الصلح وترك الحرب والمنازعة وهو انه يرجع الى هذا ولهذا يذكر ويؤنث ثم اختلف في المخاطبين فقيل المراد بهم المنافقون اي الذين
آمنوا بالالسنة دون القلوب وهو على الاسلام فيكون المعنى استسلموا لله ولا تخرجوا منه ولا من شيء من شرائعه ولا تتبعوا خطوات الشيطان لا تلتفتوا
الى الشبهات التي يلقيها اليكم اهل الغواية والكائن في الدار اذا علم ان له في المستقبل خروجا منها لا يتبع ان يؤمر بدخولها في المستقبل الا بعد حال
معلوم وان المؤمنين قد يخرجون من خصال الايمان بالنوم والسهو وغيرهما من الاحوال فلا يبعد ان يأمرهم الله بالدخول في الاسلام فيما يستأنف
من الزمان وامرهم بان يكونوا مجتمعين في نصرة الدين واحتمال البلوى فيه ولا تتبعوا آثار الشيطان بالاقبال على الدنيا والجبن والخوف في امر الدين
مثل ولا تنازعوا فتفشلوا او يكون المراد الرضاء بالقضاء والتلقي لجميع المكاره بالبشر والطلاقة كما ورد في خبر الرضاء بالقضاء باب الله الاعظم
او يكون المراد ترك الانتقام وسلوك طريق العفو والاغماض واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وقوله كافة يصلح ان يكون حالا من المأمورين
اي ادخلوا باجمعكم في السلم ولا تتفرقوا ولا تختلفوا وان يكون حالا من السلم على انها مؤنث كالحرب اي ادخلوا في شرائع الاسلام كلها واصل الكف
المنع فسمي الجميع كافة لان الاجتماع يمنع التفرق ومنه رجل مكفوف اي كف بصره من ان ينظر وكفة القميص لانها تمنع الثوب من الانتشار
والكف طرف اليد لانه يكف بها عن سائر البدن وقيل الخطاب للمنافقين والتقدير يا ايها الذين آمنوا بالسنتهم ادخلوا بكليتكم في الاسلام ولا تتبعوا
آثار تزيين الشيطان وتسويله بالاقامة على النفاق وقيل نزلت في مسلمي اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه حين ارادوا ان يقيموا على بعض
شرائع موسى كتعظيم السبت وقراءة التوراة واستأذنوا رسول الله في ذلك فامروا ان يدخلوا في شرائع الاسلام كافة ولا يتمسكوا بشيء من
احكام التوراة لثبوت نسخها بالكلية فان التمسك بها بعد نسخها من اتباع آثار الشيطان وقيل السلم الاسلام والخطاب لاهل الكتاب والمعنى
يا ايها الذين آمنوا بالكتاب المتقدم كملوا طاعتكم بالايمان بجميع انبيائه وكتبه ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالشبهات التي يتمسكون بها
في بقاء تلك الشريعة انه لكم عدو مبين من ابى مسلم ان المبين من صفات البليغ الذي يعرب عن ضميره ولا يخفى ان اعرابه عن عداوته لآدم ونسله قيل
مبين من الابانة القطع لانه يقطع المكلف بوسوسته عن طاعة الله وثواب رضوانه قوله فان زللتم المخاطبون ههنا هم المخاطبون في قوله ادخلوا
فيجيء الخلاف ههنا بحسب الخلاف هناك والمعنى فان دحضت اقدامكم وانحرفتم عن الطريق الذي امرتم به من بعد ما جاءتكم البينات الدلائل
العقلية والسمعية على ان ما دعيتم الى الدخول فيه هو الحق فاعلموا ان الله عزيز غالب لا يعجزه الانتقام منكم وهذا نهاية في الوعيد كما قال الوالد لولده
ان عصيتني فانت عارف بي وبشدة سطوتي كان ابلغ في الزجر من التصريح بضرب من ضروب العذاب كان قوله عزيز يشتمل على الوعيد البليغ

فقوله حكيم يشتمل على الوعد الحسن فان اللائق بالحكمة تمييز المحسن من المسيء وان لا يسوي بينهما في الثواب والعقاب يروى ان قارئا قرأ غفور رحيم فسمعه
اعرابي فانكره ولم يقرأ القرآن وقال ان كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لانه يكون اغراء عليه قوله هل ينظرون الا
ان يأتيهم الله الاية معنى النظر ههنا الانتظار واما اتيان الله فقد اجمع المفسرون على انه سبحانه منزه عن المجيء والذهاب لان هذه من شأن المحدث
المركبات فانه تعالى منزه في ذاته وصفاته مما ذكر وفي الاية وجهان الاول وهو مذهب السلف الصالح السكوت في مثل هذه الالفاظ من التأويل
وتفويض معناه الى مراد الله تعالى كما يروى عن ابن عباس انه قال نزل القرآن على اربعة اوجه وجه حلال وحرام لا يعذر احد بجهالته ووجه يعرفه العلماء ووجه تعرفه العرب ووجه
يعرفه من قبل العربية فقط ووجه لا يعلمه الا الله الثاني وهو قول جمهور المتكلمين انه لا بد من التأويل على سبيل التفصيل فقيل جعل مجيء الآيات مجيئا
له تفخيما لها كما يقال جاء الملك اذا جاء جيش عظيم من جهته وقيل المراد اتيان امره وبأسه فحذف المضاف بدليل قوله في موضع آخر او يأتي امر ربك
فجاءهم بأسنا واتى الله بنيانهم قاله الزجاج في قوله فقضى كما يدل على هذا وهو سابق على ذلك الا ان الكل جاز ان لا يقال المراد ههنا عند كم صفة قديمة فالاتيان عليها
محال وعند المعتزلة اصوات فيكون اعراضا فالاتيان عليها ايضا محال لا انا نقول الامر ههنا بمعنى الفعل كما في قوله وما امر فرعون برشيد فالمراد ما يليق

بتلك المواقف من الاهوال واظهار الآيات المهيبة وان حملنا الامر على ضد النهي فلا يبعد ان منادياً ينادي يوم القيمة الا ان الله يأمركم بكذا ومعنى كونه
في ظلل من الغمام ان سماع ذلك النداء ووصول تلك الظلل يكون في آن واحد ويكون المراد بحصول اصوات مقطعة مخصوصة في تلك الغمامات تدل
على حكم الله تعالى على كل احد بما يليق به من السعادة والشقاوة او انه تعالى يخلق نقوشاً منظومة في ظلل من الغمام لشدة بياضها وسواد تلك الكتابة يعرف بها
حال اهل الموقف في الوعد والوعيد ويكون فائدة الظلل انه تعالى جعلها امارة لما يريد انزاله بالقوم ليعلموا ان الامر قد حضر وقيل المأتي به محذوف والمعنى الا
ان يأتيهم الله ببأسه او بنقمته للدلالة عليه بقوله عزيز حكيم وفائدة الحذف كونه ابلغ في الوعيد لانقسام خواطرهم وذهاب فكرهم في كل وجه وقيل في بمعنى الباء
اي يأتيهم الله بظلل من الغمام والمراد العذاب الذي يأتيهم في الغمام مع الملائكة وقيل الغرض من ذكر ان الله تعالى تصوير غاية الهيبة ونهاية الفزع كقوله والارض جميعاً
قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه ولا قبضة ولا طي ولا يمين وانما الغرض تصوير عظمة شأنه وقيل بناء على ان الخطاب في ادخلوا في السلم
لليهود المراد انهم لا يقبلون دين الحق الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وذلك ان اليهود كانوا على اعتقاد التشبيه يجوزون المجيء والذهاب على الله
تعالى ويقولون انه تعالى تجلى لموسى على الطور في ظلل من الغمام فطلبوا مثل ذلك في زمن محمد صلى الله عليه وسلم فعلى هذا يكون الكلام حكاية عن معتقد اليهود ولا يبقى اشكال فان
الآية لا تدل الا على انهم ما ينتظرون اتيان الله وليس فيها دلالة على انهم محقون في ذلك الانتظار ام مبطلون والظلل جمع ظلة وهي ما اظلك والغمام لا يكون
كذلك الا اذا كان مجتمعاً ومتراكماً فالظلل من الغمام عبارة عن قطع متفرقة كل قطعة منها تكون في غاية الكثافة والعظم فكل قطعة ظلة والجمع ظلل والاستفهام
ههنا في معنى النفي اي ما ينتظرون الا ان يأتيهم عذاب الله في ظلل الغمام وفيه تفظيع شأن العذاب وتهويله لان الغمام مظنة الرحمة واذا نزل منه العذاب كان
اشنع لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اغم كما ان الخير اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اسر فكيف اذا جاء الشر من حيث يتوقع الخير ونزول الغمام علامة
لظهور الاهوال في القيمة قال تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوماً على الكافرين عسيراً واستعماله في
العذاب بتتابع المطر واتيان الملائكة ليقيموا امر الله من تعذيب او تخريب فلا حاجة الى التأويل لان اتيانهم ممكن وقضي الامر فرغ من اهلاكهم وتدميرهم
او مما كانوا يوعدون به فلا يمهلهم الله بعد ذلك ولا يصرف عنهم عقوبته ولا ينفع في دفع ما نزل بهم حيلة والنقلة الا ان يأتيهم الله ويقضي الامر فوضع الماضي
موضع المستقبل لما للتنبيه على قرب العذاب الذي صار كالواقع او لان ما اخبر الله تعالى به كالواقع المقطوع به وقيل الامر المذكور ههنا هو فصل القضاء
بين الخلائق واخذ الحقوق لاربابها وانزال كل احد من المكلفين منزلته من الجنة او النار وعن معاذ بن جبل وقضاء الامر مصدر مرفوع عطفاً على الملائكة
والملائكة والى الله ترجع الامور وذلك انه ملك في الدنيا عباده كثيراً من امورهم فلما صاروا الى الآخرة فلا مالك للحكم بين العباد سواه وهذا كقولهم
رجع الى الامير اذا كان هو المختص بالنظر فيه وصل الكلامين بقوله ادخلوا في السلم كافة ونهي عن اتباع آثار الشيطان كانه قيل ان الامور ترجع اليه جل جلاله وهو
يرجعها الى نفسه بافناء الدنيا واقامة القيمة وهذا معنى القراءتين في ترجع ويقرأ بضم التاء وفتح الجيم على مذهب العرب في قولهم فلان معجب بنفسه
ويقول الرجل لغيره الى اين يذهب بك وان لم يكن احد يذهب به او المراد ان العباد يردون امورهم الى خالقهم ويعترفون برجوعها اليه اما المؤمنون فبالمقال واما الكافرون فبشهادة
الحال ولله يسجد من في السموات والارض طوعاً وكرهاً وظلالهم التأويل الاصل النفس لا مارة تنظم الاشياء المموهة والاقوال المزخرفة
ويرى انها اولى الاولياء ولكنها المكر للاعداء ويسعى في تخريب من القلب بابطال الحرث اشتغل في طلب السعادة واهلاك النسل ما يتولد من الاخلاق الحميدة
ويتبع ما يفسد من قبول الحق فحسبه جهنم ولبئس المهاد ومن الناس من يشري نفسه هذا شأن الاولياء باعوا انفسهم خالصاً لوجه الله لا لاجل الجنة ادخلوا في السلم
كافة اي بجميع الاجزاء والاعضاء الظاهرة والباطنة ودخول القلب في الاسلام يكون بدخول الايمان في القلب ودخول الروح في الاسلام يكون بتعلقه باخلاق
الله وتسليم الاحكام والاقضية ودخول السر في الاسلام فنائه في الله وبقائه بالله هذا مقام يضيق عن عبارته نطاق النطق ولا يسع اظهار ذوقه
الحروف فان زللتم فان تبع الشيطان في خطواته فاعلموا ان الله عزيز حكيم والله ولي التوفيق سل بني اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة

ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب زين للذين

كفروا الحيوة الدنيا ويسخرون من الذين
آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة والله يرزق من يشاء بغير حساب
كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين
ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه
وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم
البينات بغياً بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق
باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم
مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول
والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب

القراءة تحكم بضم الياء وفتح الكاف بزنة تكلمك في آل عمران والنور وفي موضعين الباقون بفتح الياء وضم الكاف يقول برفع اللام نافع الباقون بالنصب الوقوف

حكيم ط لانتهاء الاستفهام الى الشرط مع تقدير حذف اي فبدلوا ومن يبدل الله شديد العقاب من الذين آمنوا م لان الذين مبتداء وفوقهم خبره ولو وصل صار

ظرفا للسخرية وينادوا الافعال بالسخرية وقيد ظاهر بيوم القيمة ط حساب ه ومنذرين ص لعطف المتفقين فيما اختلفوا فيه ط بينهم ج لعطف المختلفين

باذنه ط مستقيم ه من قبلكم ط للفصل بين الاستفهام والاخبار لان قوله ولما يأتكم عطف على ام حسبتم تقديره احسبتم ولم يأتكم متى نصر الله ط قريب ه التفسير

انه سبحانه لما امر بالسلم ونهى عن مقابلها ثم قال فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات اي فان اعرضتم عن هذا التكليف صرتم مستحقين للتهديد ثم

بين ذلك التهديد بقوله فاعلموا ان الله عزيز حكيم ثم ثنى ذلك التهديد بقوله هل ينظرون الاية ثم ثلث التهديد بقوله سل بني اسرائيل والخطاب

للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد وهذا السؤال تقريع كما يسئل الكفرة يوم القيمة والا فكثرة الايات التي اوتوها معلومة باعلام الله تعالى والمراد سل هؤلاء الحاضرين

انا لما آتينا اسلافهم آيات بينات فانكروها لاجرم استوجبوا العقاب من الله تعالى وذلك تنبيه لهؤلاء الحاضرين على انهم لو زلوا عن آيات الله لوقعوا

في العذاب كما وقع اولئك المتقدمون لكي يعتبروا ويتعظوا وكم يحتمل الاستفهامية والخبرية ومن آية مميزها وقد فصل بين المميز وبينها بالفعل فان كانت

استفهامية فالتقدير سلهم عن عدد آتيناهم من الايات اما هم حتى يخبروك عن كميتها وان كانت خبرية فالمعنى سلهم عن كثير من الايات آتيناهم والايات

الواضحات اما معجزات موسى كفرق البحر وتظليل الغمام وتكليمه اياه والعصا واليد ونحوها وهي تسع لقد آتينا موسى تسع آيات بينات واما

الدلائل الدالة على صدق دين الاسلام فمنهم من آمن ومنهم من جحد بدلالته ومن يبدل نعمة الله قيل انها الايات والدلائل وهي اجل اقسام النعم لانها

اسباب الهدى والنجاة من الضلالة ثم ان قلنا الايات معجزات موسى فتبديلها ان الله تعالى اظهرها ليكون اسباب هدايتهم فجعلوها اسباب ضلالهم

كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم وان قلنا الاية البينة هي ما في التوراة والانجيل من الدلائل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فتبديلها تحريفها وادخال الشبه

فيها وقيل المراد بنعمة الله ما آتاهم من اسباب الصحة والامن والكفاية فتبديلها انهم لم يجعلوها واسطة الطاعة والقيام بما وجب عليهم من التكاليف

بل استعملوها في غيرها او ثبت الى اجله وعلى هذا فقوله من بعد ما جاءته معناه ظاهر واما على القول الاول فمعناه ان المراد من النعمة الايات فمعنى مجيئها

التمكن من معرفتها وعرفانها كقوله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه لانه اذا لم يتمكن من معرفتها او لم يعرفها فكأنها غائبة عنه فان الله شديد العقاب

قال الواحدي الرابط محذوف اي له والتحقيق ان ترك هذا الاضمار اولى فانه اذا علم كونه تعالى موصوفا بهذا الوصف لزم من ذلك ان يعاقب المبدل ان

شاء ولكن لا يلزم من كونه شديد العقاب للمبدل لكونه متصفا بذلك معاذ الله ثم قال الواحدي والعقاب عذاب يعقب الجرم ثم انه تعالى ذكر السبب

الذي لاجله كان التبديل ديدنهم فقال زين للذين كفروا الاية والغرض تعريف المؤمنين ضعف عقول الكفار في ترجيح الفاني من زينة الدنيا على

الباقي من نعيم الاخرة والتذكير في زين اما لان الحيوة والاحياء واحد والفصل مع ان التانيث ليس بحقيقي عن ابن عباس ان الاية نزلت في ابي جهل

واضرابه من كبار قريش وقيل في رؤساء اليهود وعلمائهم وعن مقاتل نزلت في المنافقين ولا مانع من نزولها في جميعهم لان كلهم وهم في السنم والاله

كانوا يسخرون من فقراء المؤمنين المهاجرين ثم المزين من هو فعن المعتزلة انهم غواة الجن والانس زينوا امر الاخرة في اعين الكفار وقالوا ان الاحد لنا

فلا تنقصوا عيشكم في الدنيا كقول من قال اتترك لذة الشهباء نقدا لما وعدوك من لبن وخمر قالوا واما الذي يقوله المجبرة من انه تعالى زين ذلك فباطل

لان المزين للشيء هو المخبر عن حسنه فاذا كان المزين هو الله تعالى فلا بد ان يكون صادقا في ذلك الاخبار فيكون فاعله المتحسن له مصيبا وان كان كافرا

واصابة الكافر كفر فهذا القول كفر وزيف بان مزين الكفر لجميع الكفار لا بد ان يكون خارجا منهم وقولهم المزين للشيء هو المخبر عن حسنه ممنوع انما

المزين من يجعل الشيء موصوفا بالاوصاف الحسنة سلمنا ذلك لكن لم لا يجوز ان الله تعالى يكون مخبرا عن حسنه من حيث انه خبر عما فيها من اللذات والرا

وهذا الخبار عما ليس بكذب والتصديق به ليس بكفر قال ابو مسلم الكفار زينوا لانفسهم والعرب يقولون اين يذهب بك يريدون اين تذهب

ومنه قوله تعالى انى يؤفكون انى يصرفون وما كان الشيطان لا يملك ان يحمل الانسان على الفعل قهرا فالانسان بالحقيقة هو الذي زين لنفسه والحق

ان المزين هو الله تعالى كما صرح بذلك في قوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وكيف لا وانه خالق جميع الحوادث اليه ظهر في الدنيا

من الزهرة والنضارة والطيب واللذة وركب في الطبائع حب الشهوات والميل الى الطيبات لا على سبيل الاجبار الذي لا يمكن تركه بل مع امكان رد

النفس عنها لينا صد المؤمن هواه فيقصر نفسه عن المباح ويكفها عن الحرام ويتم غرض الابتلاء او نقول المراد من التزيين انه تعالى مهلهم في الدنيا ولم

يمنعهم عن الاقبال عليها والحرص الشديد في طلبها وقيل ان الله تعالى يزين من الدنيا ما كان من المباحات دون المحظورات وهو ضعيف لان الله

تعالى خص هذا التزيين بالكفار والمباحات لا يختص بالكفار وان قيل المراد من تزيين المباح للكافر انه دام السرور به وان قلت ذلك بيده لكونه معتقدا

انه لا عيش عنده الا عيش الدنيا بخلاف المؤمن فانه وان تنعم من طيبات الدنيا وحبها وان كثرها الرجاء فهو مكدر بالخوف والوجل من الحساب في الاخرة

قلنا تزيين المباح في نظر الكافر بحيث يفضي به الى الاشتغال عن الاخرة مستقيم ايضا الكلام فيه كالكلام في تزيين المحظور فيبقى الاشكال بحاله

ولا مخلص الا باسناد الكل اليه تعالى بعد تذكر ما سلف لنا مرارا في حقيقة الجبر والقدر وما الخبر به تعالى عنهم بانه زين لهم الحيوة العاجلة اخبر عنهم

بعد ذلك بفعل يديمونه فقال ويسخرون من الذين آمنوا كابن مسعود وعمار وصهيب وغيرهم يقولون هؤلاء المساكين تركوا الطيبات الدنيا و

تحملوا المتاعب لطلب الاخرة ولا يخفى انه لو بطل حديث المعاد لكان لهذه السخرية وجه لكنه لو ثبت القول بالمعاد صح كانت السخرية منقلبة

عليه لانهم اعرضوا عن الملك لا يبلى والنعيم المقيم بسبب لذات حقيرة في انفاس معدودة فلهذا قال سبحانه والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة اما
بالمكان فلانهم في عليين وهم في سجين واما بالرتبة والشرف فلانهم في معارج الانس وهم في هاوية الهوان ويحتمل ان يراد انهم فوقهم بالحجة لان حجج
الكفار وشبههم كانت تؤثر بوسوسة الشيطان ويجحد لاستبعاد امر المعاد وحجج المتقين يوم القيمة يستند الى العيان وبعد ما الرحمن ونادى اصحاب
الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم او يراد ان سخرية المؤمنين بالكافرين يوم القيمة
لكونها حقة باقية فوق سخرية الكافرين بالمؤمنين في الدنيا لكونها باطلة ومنقضية وفي قوله والذين اتقوا دون ان يقول امنوا كما قال ويسخرون من
الذين امنوا بعث على التقوى وان كرامة المؤمن منوطة بها والله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير وهذا لان الكفار كانوا يستدلون بحصول
الزخارف الدنيوية لهم على انهم على الحق ولنا على انا على الباطل فرد الله تعالى عليهم قولهم بان ذلك متعلق بمحض المشية وقد يستتبع غاية هي الاستدراج في حق
الكافر والابتلاء في حق المؤمن او يرزق من يشاء من مؤمن وكافر بغير حساب يكون لاحد عليه ولا مطالبة ولا سؤال سائل فالامر امره والحكم حكمه
ولا يسئل عما يفعل او من حيث لا يحتسب كما يقول الرجل اذا جاءه ما لم يكن في تقديره ما كان هذا في حسابي فالمعنى ان الكفار وان كانوا يسخرون من فقراء
المؤمنين فلعل الله تعالى يرزق المؤمنين من حيث لا يحتسبوا ولقد فعل ذلك بهم فاغناهم بما افاء عليهم من اموال صناديد قريش ورؤساء اليهود
ويسر لهم الفتوح حتى ملكوا كنوز كسرى وقيصر او المراد ان ما يرزق العبد في الدنيا من الدنيا فلعل امرها مدار سلطان الحساب وما يرزق العبد في الاخرة من
النعيم المقيم فبغير عذاب بغير حساب ويحتمل ان يختص الرزق في الاية بالمؤمنين وفي الاخرة وعلى هذا يكون معنى بغير حساب اي رزقا واسعا غدا لا فناء
ولا انقطاع ولا حصر كقوله يرزقون فيها بغير حساب ويقال ان المنافع الواصلة اليهم في الجنة بعضها ثواب وبعضها تفضل كما قال فيوفيهم اجورهم ويزيدهم
من فضله فالفضل بلا حساب والحساب انما يحتاج اليه اذا اعطي شيئا ينقص قدر الواجب عنه كان الثواب ليس كذلك فانه بعد انقضاء الادوار والاعصار
يكون الثواب المستحق بحكم الوعد والفضل باقيا على هذا لا يتطرق الحساب بالنسبة الى الثواب او اراد ان الذي يعطي لا نسبة له الى ما في خزائن ملكه وقدرته فلا نسبة
للمتناهي الى غير المتناهي ومعنى بغير حساب بغير استحقاق وانما يعطي بمجرد الفضل والاحسان او معناه انه يزيد على قدر الكفاية الى عشرة بل سبعمائة من قولهم
فلان ينفق بالحساب اذا كان لا يزيد على قدر الكفاية او انه لا يخاف نفاد ما عنده فيحتاج الى حساب ما يخرج منه قوله سبحانه كان الناس امة واحدة
الاية فيها اشارة الى ان التباغي والتحاسد والتنازع في طلب الدنيا وطيباتها لا يختص بهذا الزمان وانما ذلك قديم في الانسان ثم الامة الواحدة
كانوا على الحق او على الباطل فيه للمفسرين اقوال الاول انهم كانوا على الحق واختاره المحققون لوجوه منها قوله تعالى ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه
وهذا يدل على ان النبيين انما بعثوا حين الاختلاف وتصير به بعضهم مبطلا ولو كانوا قبل ذلك مجتمعين على الكفر لكان بعث الانبياء اليهم اولى ومنها
النقل المتواتر ان ادم واولاده كانوا مسلمين مطيعين لله تعالى الى ان قتل قابيل هابيل حسدا وبغيا وعن ابن عباس انه كان بين ادم وبين نوح عشرة قرون
على شريعة من الحق ومنها ان وقت الطوفان لم يبق الا اهل السفينة وكلهم كانوا على الحق والدين الصحيح فالناس اشارة اليهم ومنها ان الدين الحق
يتوقف على النظر والنظر لا بد مستندة الا الاخرة الى مقدمات يعلم صحتها بضرورة العقل والى ترتيب كذلك فالعقل السليم لا يغلط لو لم يعرض له سبب
من خارج فالصواب له بالذات والخطاء بالعرض وما بالذات اقدم مما بالعرض بحسب الاستحقاق وبحسب الزمان ايضا فالاولى ان يقال الكل كان على
الحق ثم اختلفوا لاسباب خارجية كالبغي والحسد ويؤيده قوله كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه القول الثاني وهو مروي
عن ابن عباس والحسن وعطاء انهم كانوا على الباطل لان بعثة الانبياء مترتبة على ذلك ولو كانوا على الحق لم يحتج الى بعثتهم ولو قيل ان تقديره الاية فاختلفوا
فبعث الله كما قرأ ابن مسعود فالاصل عدم الاضمار والقراءة الشاذة لا يعتد بها ولو كان الناس متفقين على الكفر فالواقع فيما بين ادم الى زمان
نوح كانوا كفارا او بحكم الاغلب وان كان فيهم بعض المسلمين كهابيل وشيث وادريس كما يقال دار الكفر وان كان فيها مسلمون القول الثالث عن
ابي مسلم والقاضي ابي بكر انهم كانوا امة واحدة في التمسك بالشرائع العقلية وهي الاعتراف بوجود الصانع وصفاته والاشتغال بخدمته وشكر
نعمته والاجتناب عن القبائح العقلية كالظلم والكذب والعبث واحتجا بان لفظ النبيين جمع معرف فيفيد العموم والفاء يوجب التعقيب فيعلم من
ذلك ان تلك الوحدة متقدمة على جميع الشرائع فلا يكون الا مستفادة من العقل ثم سئل القاضي نفسه فقال اوليس اول الناس ادم وانه كان
نبيا مبعوثا واجاب بانه يحتمل ان يكون ادم واولاده متمسكين بالشرائع العقلية اولا ثم ان الله تعالى بعثه الى اولاده ويحتمل ان شريعته قد صارت مندرسة
ثم رجع الناس الى الشرائع العقلية القول الرابع التوقف فلا دلالة في الاية على انهم كانوا محقين او مبطلين القول الخامس المراد من الناس اهل
الكتاب الذين امنوا بموسى ثم اختلفوا بسبب البغي والحسد فبعث الله النبيين ومعهم الكتاب كما بعث داود ومعه الزبور وعيسى ومعه الانجيل
ومحمدا ومعه الفرقان ليكون تلك الكتب حاكمة في تلك الاشياء التي اختلفوا فيها وهذا القول يوافق قول من قال ان الخطاب في يا ايها الذين امنوا
ادخلوا في السلم لاهل الكتاب فمراده بالناس الذين هم يهود ثم انه تعالى وصف النبيين بصفات ثلث الاولى كونهم مبشرين الثانية كونهم
منذرين وقدمت البشارة على الانذار لان البشارة تجري مجرى حفظ الصحة والانذار يجري مجرى ازالة المرض والاول [illegible] الدواء والاول
لكونه مقصود الغذاء والثاني كتناول الدواء والاول لكونه مقصودا بالذات مقدم على الثاني لانه مقصود بالعرض الثالثة قوله وانزل معهم
الكتاب بالحق وفي قوله معهم والضمير يعود الى جملة النبيين دليل على انه لا نبي الا ومعه كتاب منزل فيه بيان الحق والباطل طال ذلك الكتاب ام قصر

على اللفظ وجهها معا المؤمنين منهاج

دون

دون ذلك الكتاب ام لم يكن معجزا كان او غير معجز قبل انزال الكتاب قبل وصول الامر والنهي الى المكلفين ووصول الامر والنهي اليهم قبل التبشير والانذار
فلم قدم التبشير والانذار على انزال الكتاب قلت يجب ان الوعد والوعيد منهم قبل بيان الشرع ممكن فيما يتصل بالعقليات من المعرفة بالله وترك الظلم
وغيرهما وبان المكلف انما يتحمل النظر في دلالة المعجز على الصدق وفي الفرق بين المعجز والسحر اذا خاف انه لم ينظر وبما ترك الحق فيصير مستحقا للعقاب
والخوف انما يقوى عند التبشير والانذار فلهذا قدم ذكرهما على انزال الكتاب قلت فيه فائدة اخرى لفظية هي ان لا يقع فاصلة كثيرة بين الشرط بين
الاولين او بين الثالثة وبين ما رتب عليها من قوله ليحكم اى الكتاب لانه اقرب لا محذور في نسبة الحكم اليه كما لا محذور في كونه هدى وشفاء
واللام للجنس او اريد مع كل واحد كتابه قيل الحكم لله لانه الحاكم في الحقيقة لا الكتاب وقيل الحكم لنبي انزل عليه بين الناس فيما اختلفوا فيه اى في
الحق ودين الاسلام الذي اختلفوا فيه بعد الاتفاق او في كل ما اختلفوا فيه فلم يبقوا على ما اتفقوا فذلك يجب حكم الله وما اختلف فيه في الحق
الا الذين اوتوه اى اعطوا الحق وادوه لمباشرة اسبابه القريبة التي هي المطالعة وقيل الضمير للكتاب اى الا الذين اوتوا الكتاب المنزل لازالة
الاختلاف كانهم عارضوا الكتاب بنقيض ما انزل لاجله انزل لئلا يختلفوا فازدادوا في الاختلاف وفيه دليل على ان الاختلاف في الحق لم يوجد الا بعد بعثة
الانبياء وانزال الكتب كما في القول الاول وقال كثير من المفسرين المراد بالذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى واختلافهم اما تكفير بعضهم بعضا
واما تحريفهم او تبديلهم من بعد ما جاءتهم البينات يحتمل ان يكون كالبيان لايتاء الكتاب اى وما اختلف فيه مع اختلف الامم بعد مجيء البينات
التي هي الكتب كقوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة ويحتمل ان يكون هذه البينات مغايرة لايتاء الكتاب ويعني
بها الدلائل العقلية التي نصبها الله تعالى على اثبات الاصول التي لا يمكن اثباتها بالدلائل السمعية وانما حصلت الدلائل العقلية والسمعية لم يبق
في العدول عنه ولا علة ولو حصل الاعراض كان بسبب بغيا بينهم وحسدا او ظلما لحرصهم على الدنيا وطلبة الاضاف وكثرة الاتباع من
الحق بيان لما اختلفوا فيه اى فهدى الله الذين امنوا للحق الذي اختلف فيه من اختلف من الامم يعني الى ما صدقوا لما اختلفوا فيه كقوله تعالى ثم
يعودون لما قالوا باذنه قال الزجاج بعلمه وقيل بامره وما لا يحصل الفرق بين الحق والباطل فحصل لهداية وقيل في الابراء اسماء اى فهداهم فاهتدوا
باذنه الا جاز ان باذنه لطفه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم هو الحق الموصل الى كمال الدارين وهو طلب الجنة ولما كان ذلك الحق
او الطلب لا يتاتى الا باحتمال شدائد التكليف واعبائه لا كما عن التعليم قال سبحانه ام حسبتم على طريقة الالتفات التي هي ابلغ تشجيعا للرسول
والمؤمنين على الثبات والصبر مع المخالفين من اهل الكتاب والمشركين فان من كان نظره على مراتب قرب المطلب فلا قوة واقوى هو بالابتلاء [illegible]
ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التقرير وانكار الحسبان واستبعاده قال القفال انه تعالى [illegible] فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه حين صبروا على استهزاء
قومهم افتسلكون سبيلهم ام حسبتم ان تدخلوا الجنة من غير سلوك سبيلهم ولما يأتكم فيه معنى التوقع وفيه دليل على ان الاتيان متوقع منتظر عن
ابن عباس لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم المدينة اشتد الضر عليهم لانهم خرجوا بلا مال وتركوا ديارهم واموالهم في ايدي المشركين واظهرت اليهود العداوة فانزل الله
تعالى تطييبا لقلوبهم ام حسبتم وقال قتادة والسدي نزلت في غزوة الخندق حين اصاب المسلمين ما اصابهم من الجهد والخوف وكان كما قال سبحانه
وبلغت القلوب الحناجر وقيل نزلت في حرب احد لما قال عبد الله بن ابي لاصحاب النبي الى متى تقتلون انفسكم وترجون الباطل لو كان محمد نبيا ما
سلط الله عليكم الاسر والقتل والمعنى ام حسبتم ايها المؤمنون انكم تدخلون الجنة بمجرد الايمان بي والتصديق لرسولي دون ان تعبدوا الله بكل ما تعبدكم
به وابتلاكم بالصبر عليه وان ينالكم من اذى الكفار ومن احتمال الفقر والفاقة ومكابدة الضر والبؤس في المعيشة ومقاساة الاهوال في جهاد العدو كما نال
ذلك من قبلكم من المؤمنين وهو مثل الذين خلوا حالهم التي هي مثل في الشدة مستهم بيان للمثل وهو استئناف كان قائلا قال كيف كان ذلك المثل
فقيل مستهم البأساء وهي عبارة عن تضييق جهات الخير والمنفعة عليه والضراء وهي اشارة الى انفتاح ابواب الشر والافة اليه وزلزلوا حركوا وازعجوا
بانواع البلايا والرزايا ازعاجا شديدا شبيها بالزلزلة وهي تحريك الشيء عن مكانه والتضعيف في اللفظ للتضعيف في المعنى وقيل معناه خوفوا [illegible] لان
الخائف لا يستقر بل يضطرب بقلقه ولهذا لا يقال ذلك الا في الخوف العظيم [illegible] شيئا هو الغاية في الدلالة على كمال الضر والبؤس
والمحنة فقال حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله لان الرسل لا يقادر قدر ثباتهم واصطبارهم فاذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك غاية
في الشدة لا مطمح وراءها من قرأ يقول بالنصب فعلى اضمار ان ومعنى الاستقبال بالنظر الى ما قبل حتى وان لم يكن مستقبلا عند الاخبار ومن رفع فعلى
الحال الماضية المحكية كقولهم شرب الابل حتى يجيء البعير يجر بطنه الا ان نصر الله قريب اى فقيل لهم ذلك اجابة الى طلبتهم فكونوا انتم معاشر المؤمنين كذلك
في تحمل الاذى والمتاعب في طلب الحق فان نصر الله قريب لانه ات وكل ما هو ات قريب [illegible] ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينالهم من المشركين والمنافقين
اذى كثير ولما اذن لهم في القتال نالهم من الجراح وذهاب الاموال [illegible] بين ان حال من قبلهم في طلب
الدين كان كذلك والمصيبة اذا عمت طابت ذكر [illegible] قصة ابراهيم والقائه في النار وايوب وما ابتلاه به وسائر الانبياء في مصابرتهم على
انواع المكاره فصار ذلك سلوة للمؤمنين وروي عن خباب بن الارت قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة في ظل الكعبة فقلنا الا تستنصر
لنا الا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الارض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على راسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد
ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون

وههنا سؤال وهو انه كيف يليق بالرسول القاطع بصحة وعد الله ووعيده ان يقول على سبيل الاستبعاد متى نصر الله والجواب انه لكونه رسولا لا يمنع من ان يتأذى من كيد الاعداء فاذا ضاق قلبه وقلت حيلته وكان قد سمع من الله تعالى انه ينصره الا انه ما عين له الوقت قال عند ضيق قلبه متى نصر الله حتى انه ان علم قرب الوقت زال همه وطاب قلبه ولهذا اجيب بانه نصر الله قريب بان نصر الله كائن وهذا الجواب يحتمل ان يكون من الله ويحتمل ان يكون قولا لقوم منهم اذا رجعوا الى انفسهم علموا ان الله لا يخلف الميعاد وقيل انه تعالى اخبر عن الرسول والذين آمنوا انهم قالوا قولا ثم ذكر كلاما من احدهما متى نصر الله والثاني الا ان نصر الله قريب فهذا الثاني قول الرسول والاول قول المؤمنين كقوله ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله والمعنى لتسكنوا في الليل ولتبتغوا من فضله بالنهار ثم في الاية دليل على ان كل من لحقه شدة يجب ان يعلم انه سيظفر بزوالها لانه اما ان يتخلص عنه واما ان يموت فاذا مات فقد وصل الى من لا يهمل امره ولا يضيع حقه وذلك من اعظم النصرة اللهم انصرنا من عندك فانك نعم المولى ونعم النصير التأويل ... فتح الملكوت على قلب عبده من خواصه ... وكرامته ... على خطوات النفس ... شدة العقاب بان يخرجوا ... كان الناس امة واحدة على الحق على الفطرة يوم الميثاق فانزل معهم الكتاب الذي جف به القلم بالسعادة والشقاوة كقوله ما من نفس منفوسة الا قد كتب مكانها من الجنة او النار وما اختلف كل فريق الا وقد اوتوا السعادة او الشقاوة في حكم الله وقضائه ولكن ما حصلت السعادة والشقاوة للفريقين الا من بعد البينات ... ليميز السعيد من الشقي والعكس والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

يَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

الوقوف ينفقون ط السبيل ط للابتداء بالشرط عليم ه كره لكم ج لتفصيل الاحوال خير لكم ط لا تعلمون ه قتال فيه ط كبير ط على ان قوله وصد مبتدأ وما بعده معطوف عليه وقوله اكبر عند الله خبره وقد يقال وصد عطف على كبير اي القتال فيه كبير وسبب صد عن سبيل الله وكفر بالله وبتعة المسجد الحرام او صد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام فيوقف هنا ويجعل اخراج اهله مبتدأ وقيل وصد عطف الوصف على سبيل الله وكفر به مبتدأ والوجه هو الاول لانتظام المعنى اي القتال فيه وان كان كبيرا ولكن الصد والكفر والاخراج التي كانت منكم اكبر من القتل ط استطاعوا ط والآخرة ج لان الجملتين وان اتفقتا فتكرار اولئك تنبيه على الابتداء مبالغة في تعظيم الامر النار ج خالدون ه في سبيل الله لا لان ما بعده الخبر رحمة الله ط رحيم ه التفسير انه سبحانه لما بالغ في وجوب الاعراض عن العاجل والاقبال على الآجل بكل ما يمكن من الدخول في السلم وبذل المهج والاموال والصبر على مواجب التكاليف والدعاء الى الدين القويم وانتظار النصرة من الله شرع بعد ذلك في بيان الاحكام وهو من هذه الآية الى قوله الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم جريا على سنته المرضية من خلط بيان التوحيد وذكر النبوة والوعظ ببيان الاحكام ليكون كل منها مؤكدا للآخر الحكم الاول بيان مصرف الانفاق يسئلونك ماذا ينفقون عن ابن عباس نزلت الآية في رجل اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان لي دينارا فقال انفقه على نفسك فقال ان لي ثلاثة فقال انفقها على خادمك فقال ان لي اربعة قال انفقها على والديك قال ان لي خمسة قال انفقها على قرابتك قال ان لي ستة قال انفقها في سبيل الله وهو اخسها اي اقلها ثوابا وعنه في رواية ابي صالح انها نزلت في عمرو بن الجموح وهو الذي قتل يوم احد وكان شيخا كبيرا هرما وعنده مال عظيم فقال ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها اما بحث ماذا فقد تقدم في قوله ماذا اراد الله بهذا مثلا واما ان القوم سألوا عما ينفقون لا عن مصرف النفقة اليهم فكيف طابق قوله في الجواب قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين الآية فالوجه فيه ان يحصل في الآية ما يكون جوابا عن السؤال وضم اليه زيادة بها يكمل المقصود وذلك ان قوله ما انفقتم من خير يتضمن بيان ما ينفقونه وهو كل خير ومبنى الكلام على الايجاز وهو بيان المصرف لان النفقة لا يعتد بها الا اذا صرفت الى جهة الاستحقاق وقال القفال السؤال وان كان واردا بلفظ ما الا ان المقصود هو الكيفية فمن المعلوم لهم ان الذي يحتاج بانفاقه مال يخرج قربة الى الله تعالى فتح ان يكون الجواب مطابقا للسؤال كما طابق قوله

بقرة لا ذلول فسؤالهم عن البقرة ما هي حيث كان المعلوم ان البقرة بهيمة شأنها كذا وكذا فوجب الطلب لتعيين الصفة لا الماهية وقيل انهم لما سألوا عما ينفقون
اجيبوا بان السؤال فاسد انفقوا اى شىء كان ولكن بشرط كونه حلالا ومصروفا الى مصرفه كما لو سأل شخص صحيح المزاج طبيبا حاذقا ماذا اطعم
اكل فالطبيب يعلم انه لا يضره اكل الطعام اى طعام كان فيقول له كل فى اليوم مرتين اى كل ما شئت لكن بهذا الشرط فكذا ههنا المعنى لينفق اى شىء اراد
لكن بشرط وهو ان يراعى الترتيب فى الانفاق فيقدم الوالدين لانهما كالسبب لوجوده وقد ربياه صغيرا ثم الاقربين لان الانسان لا يمكنه ان يقوم بمهمات
جميع الفقراء والترجيح لا بد له من مرجح والقرابة تصلح للترجيح لانا عرفنا بحالة الاطلاع على غنى الغنى بما يحمل المرء على الانفاق عليه ولو لم يعطه قريبه
احتاج الى الرجوع الى غيره وذلك عار وشنار وفى رواية قريب المرء مكون منه والانفاق على النفس اولى من الانفاق على الغير ثم اليتامى لعدم قدرتهم على
الاكتساب لصغرهم ثم المساكين الذين هم على اليتامى كابناء السبيل لانهم بسبب الاشتراك فى دار الاقامة من نفسهم ثم ابناء السبيل المنقطعين عن بلدهم
وما لهم فما يبلغون بسبيل اوطانهم وما تفعلوا من خير من انفاق شىء من هذا المال ونحوه على ان الخير هو المال ومن كل ما يتعلق بالبر والطاعة طلب الجزاء
الثواب هربا من اليم العقاب فان الله به عليم فيجازيكم احسن الجزاء عن السدى ان الاية منسوخة بفرض الزكوة وقال المحققون ويروى عن الحسن
انها ثابتة فقد يكون الانفاق على الفروع والاصول واجبا ويحتمل ان يكون المراد من احب التقرب الى الله تعالى فى باب النفقة تطوعا فالاولى هذا الترتيب
قوله تعالى كتب عليكم القتال كان النبى صلى الله عليه وسلم غير مأذون فى القتال مدة اقامته بمكة فلما هاجر اذن فى قتال من يقاتله من المشركين ثم اذن فى قتال
المشركين عامة ثم فرض الله الجهاد قال بعض العلماء ان هذه الاية تقتضى وجوب القتال على الكل فرض عين لا كفاية اما الوجوب فمستفاد من لفظ
الايجاب ويكفى العمل به مرة واحدة وقوله كتب لما تقدم فلان قوله عليكم لا يمنع من الوجوب على الموجودين وعلى من سيوجد كما فى قوله كتب عليكم
القصاص كما كتب عليكم الصيام وعن مكحول انه كان يحلف عند البيت بالله ان الغزو واجب وعن ابن عمر وعطاء ان قوله كتب يقتضى الايجاب ويكفى
العمل به مرة واحدة وقوله عليكم يقتضى تخصيص هذا الخطاب بالموجودين فى ذلك الوقت والعموم فى عليكم الصيام مستفاد من دليل منفصل هو الاجماع
وذلك الدليل مفقود ههنا بل الاجماع منعقد على انه من فروض الكفاية الا ان يدخل المشركون دار المسلمين فانه يتعين الجهاد على الكل وهو كره
لكم لعل المراد ان المؤمنين ساخطون لاوامر الله تعالى فان ذلك ينافى الاسلام وانما المراد كون القتال شاقا على النفس كما هو شأن سائر التكاليف وكيف
لا والتكاليف الزام ما فيه كلفة ومشقة وانها فى القتال اكثر لان الحيوة اعظم ما يميل اليه الطبع فبذلها اشق شىء والجود بالنفس اقصى غاية الجود
وايضا كراهتهم للقتال قبل ان فرض لما فيه من الخوف من كثرة الاعداء ثم اقر بتواتر الفتن فبين تعالى ان الذى تكرهونه من القتال خير لكم من تركه للمصالح التى
نذكرها والكره الكراهة وضع المصدر موضع الوصف مبالغة ويجوز ان يكون بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز اى هو مكروه لكم وقرئ بالفتح بمعنى المضموم
كالضعف والضعف ويجوز ان يكون بمعنى الاكراه على سبيل المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم كقوله تعالى حملته امه كرها ووضعته
كرها وقال بعضهم الكره بالضم ما كرهته مما لم تكره عليه واذا كان بالاكراه فبالفتح وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم فربما كان الشىء شاقا عليكم فى الحال
وهو سبب المنافع الجليلة فى الاستقبال والضد كذلك ولهذا يحسن شرب الدواء المر فى الحال لتوقع حصول الصحة فى الاستقبال ويحسن تحمل الاخطار فى الاسفار
لتحصيل الربح فى المآل وكذا تحمل المتاعب فى طلب العلم للفوز بالسعادة العظمى فى الدنيا والعقبى العلم اوله مر مذاقته لكن آخره احلى من العسل وههنا كذلك
لان ترك الجهاد وان كان يفيد فى الحال صون النفس عن خطر القتل وصون المال عن الانفاق ولكن فيه انواع من المفاسد والمضار ادناها تسلط الكفار
واستيلاؤهم على ديار المسلمين وربما يؤدى الى ان استباحوا بيضة الاسلام واستباحوا حريمهم واستأصلوهم عن آخرهم واما منافع الجهاد فمنها
الظفر بالغنائم ومنها الفرح العظيم بالاستيلاء على العدو هذا فيما يتعلق بالدين فالثبات عليه الثواب فى الاخرة وترغيب الناس فى الاسلام واعلاء
كلمة الله وتوطين النفس للفراق عن دار الابتلاء والانقطاع عن عالم الحس قال الخليل عسى من الله واجب فى القرآن قال فعسى الله ان يأتى بالفتح وقد وجد
عسى الله ان يأتينى بهم جميعا وقد حصل والتحقيق انه يفيد معنى الرجاء فيعود الى المكلف فان كان المرجو ما اعلمه الله تعالى كما بين فى قوله والله يعلم وانتم
لا تعلمون وذلك ان علمه تعالى محيط بعلم الاسباب وما يترتب عليها والحوادث ما انشأ منها وما يحيط علمه بالمبادى والغايات لا يعزب عنه مثقال
ذرة فى الارض ولا فى السموات وعلمكم الى تعالى على علمكم تعكسون التصورات فتظنون المبادى غاياتها والعكس فى المصالح مفاسد والفاسد فيه ترغيب عظيم
فى اداء وظائف التكاليف وتخويف شديد عن تبعة العصيان والمراد ان الانسان اذا تصور قصور نفسه وكمال علم الله تعالى علم انه لا يأمر العباد الا بما فيه خيره
وصلاحه فيلزم نفسه امتثاله وان كره طبعه فكانه تعالى يقول يا ايها العبد اعلم ان علمى اكمل من علمك فكن مشتغلا بطاعتى ولا تلتفت الى مقتضى طبعك فهو
ان هذه الاية فى هذا المقام يجرى مجرى قوله تعالى فى جواب الملائكة انى اعلم ما لا تعلمون الحكم الثانى قوله سبحانه يسألونك عن الشهر الحرام الاكثر
المفسرين على ان هؤلاء السائلين هم المسلمون حيث تخلج فى صدورهم ان يكون الامر بالقتال مقيدا بغير الشهر الحرام والمسجد الحرام فسألوا النبى صلى الله عليه وسلم هل
لهم القتال فى هذا الزمان وهذا المكان ام لا ويؤيده ما روى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش وهو ابن عمة النبى صلى الله عليه وسلم فى جمادى الآخرة
قبل قتال بدر بشهرين على رأس سبعة عشر شهرا من مقدمه المدينة وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين سعد بن ابى وقاص الزهرى وعكاشة بن
محصن الاسدى وعتبة بن غزوان السلمى وابا حذيفة بن عتبة بن ربيعة وسهيل بن بيضاء وعامر بن ربيعة وواقد بن عبد الله وخالد بن بكير وكتب لاميرهم
عبد الله بن جحش كتابا وقال سر على اسم الله ولا تنظر فى الكتاب حتى تسير يومين فاذا نزلت منزلين فافتح الكتاب واقرأه على اصحابك ثم امض لما امرتك ولا

تستكرهن احدا من اصحابك على السير معك فسار عبد الله يومين ثم نزل وفتح الكتاب فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فسر على بركة الله بمن تبعك من
اصحابك حتى تنزل على بطن نخلة فترصد بها عير قريش لعلك ان تأتينا منه بخبر فلما نظر عبد الله في الكتاب قال سمعا وطاعة ثم قال لاصحابه ذلك وقال انه قد نهاني
ان استكره احدا منكم حتى اذا كان بمعدن فوق الفرع قد اضل سعد بن ابي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما كانا يعتقبانه فاستأذنا ان يتخلفا في طلب بعيرهما
فاذن لهما فتخلفا في طلبه ومضى عبد الله ببقية اصحابه حتى نزلوا بطن نخلة بين مكة والطائف فبينا هم كذلك اذ مرت بهم عير لقريش تحمل زبيبا وادما وتجارة
من تجارة الطائف فيهم عمرو بن الحضرمي والحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ونوفل بن عبد الله المخزوميان فلما رأوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
هابوهم فقال عبد الله بن جحش ان القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا رأس رجل منكم فليتعرض لهم فاذا رأوه محلوقا امنوا وقالوا قوم عمار فحلقوا رأس
عكاشة ثم اشرف عليهم فقالوا قوم عمار لا بأس عليكم فامنوهم وكان ذلك في اخر يوم من جمادى الاخرة وكانوا يرون انه من جمادى وهو رجب فتشاور
القوم فيهم فقالوا لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن منكم فاجمعوا امرهم في مواقعة القوم فرمى واقد بن عبد الله السهمي عمرو بن
الحضرمي بسهم فقتل فكان اول قتيل من المشركين واستأسر الحكم وعثمان فكانا اول اسيرين في الاسلام وافلت نوفل فاعجزهم واستاق المؤمنون
العير والاسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم
يسفك فيه الدماء ويأخذ فيه الحرائب وعير بذلك اهل مكة من كان فيها من المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن جحش واصحابه ما امرتكم بالقتال في الشهر
الحرام ووقف العير والاسيرين وابى ان يأخذ من ذلك شيئا فعظم ذلك على اصحاب السرية وظنوا ان قد هلكوا وسقطوا في ايديهم وقالوا يا رسول الله
انا قتلنا ابن الحضرمي ثم امسينا فنظرنا الى هلال رجب فلا ندري أفي رجب اصبناه ام في جمادى واكثر الناس في ذلك فنزلت يسئلونك عن الشهر الحرام
فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم العير فعزل منها الخمس فكان اول خمس في الاسلام وقسم الباقي بين اصحاب السرية فكان اول غنيمة في الاسلام وبعث اهل مكة في فداء
اسيرهم فقال بل نقفهما حتى يقدم سعد وعتبة وان لم يقدما قتلناهما بهما فلما قدما فاداهما فاما الحكم بن كيسان فاسلم واقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة
فقتل يوم بئر معونة شهيدا واما عثمان بن عبد الله فرجع الى مكة فمات بها كافرا واما نوفل فضرب بطن فرسه يوم الاحزاب ليدخل الخندق على المسلمين
فوقع في الخندق مع فرسه فتحطما جميعا وقتله الله تعالى فطلب المشركون جيفته بالثمن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوه فانه خبيث الجيفة خبيث الدية وقيل ان
هذا السؤال كان من الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال في الشهر الحرام حتى لو اخبرهم بانه حلال استحلوا قتاله فيه فنزلت يسئلونك عن الشهر
الحرام قتال فيه بخفض على انه بدل الاشتمال من الشهر وفي قراءة ابن مسعود عن قتال فيه بتكرير العامل وقرأ عكرمة قتل فيه قل قتال فيه كبير اي
عظيم مستنكر كما يسمى الذنب العظيم كبيرة وانما جاز وقوع قتال مبتدأ لكونه موصوفا بالظرف فان قيل كيف نكر القتال في قوله تعالى قل قتال
ومن حق النكرة اذا تكررت ان يكون المذكور ثانيا امرا مغايرا للاول والا لكان الثاني معادا للاول قلنا لان المراد بالقتال الاول الذي
سألوا عنه القتال الذي اقدم عليه عبد الله بن جحش فلو جيء بالثاني معرفا لزم ان يكون ذلك من الكبائر مع ان الغرض منه كان نصرة الاسلام
واعلاء كلمته واختير التنكير ليكون تنبيها على ان القتال المنهي عنه هو الذي فيه تقوية الكفر وهدم قواعد الدين لا الذي سألوا عنه ثم الجمهور اتفقوا
على ان حكم هذه الاية حرمة القتال في الشهر الحرام وهل بقي ذلك الحكم او نسخ عن ابن جريج انه قال حلف لي بالله عطاء انه لا يحل للناس الغزو في الحرم
ولا في الشهر الحرام الا على سبيل الدفع وروي عن جابر قال لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو في الشهر الحرام الا ان يغزى وسئل سعيد بن المسيب هل يصلح للمسلمين
ان يقاتلوا الكفار في الشهر الحرام قال نعم قال ابو عبيد والناس بالثغور اليوم جميعا على هذا القول يرون الغزو مباحا في الاشهر الحرم كلها ولم ار
احدا من علماء الشام والعراق ينكره عليهم وكذلك احسب قول اهل الحجاز والحجة في اباحته قوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ويمكن ان يقال
ان قوله قتال فيه كبير نكرة في حيز الاثبات فيتناول فردا واحدا لا كل الافراد فلا يلزم منه تحريم القتال في الشهر الحرام مطلقا فلا حاجة فيه الى تقدير
النسخ والله اعلم وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله من القتال في الاشهر الحرم فاذا لم تمتنعوا منها في الشهر
الحرام فكيف تعيبون عبد الله بن جحش على القتال مع ان الظن انه في جمادى واعلم ان قوله وصد مبتدأ وجوه اعرابه في الوقوف اما قوله والمسجد الحرام فقيل
انه معطوف على الهاء في به عند من يجوز العطف على الضمير المجرور من غير اعادة الجار كقراءة حمزة تساءلون به والارحام بالخفض والكفر بالمسجد
الحرام منع الناس عن الصلاة فيه والطواف به وقيل انه معطوف على سبيل الله اي صد عن سبيل الله وصد عن المسجد الحرام واعترض بانه يلزم
الفصل بين صلة المصدر الذي هو الصد وبين المصدر بالاجنبي الذي هو قوله وكفر به واجيب بان الصد عن سبيل الله والكفر به كالشيء الواحد
في المعنى فكأنه لا فصل وبان التقديم لفرط العناية مثل ولم يكن له كفوا احد فكان حق الكلام ولم يكن احد كفوا له وقيل والمسجد الحرام عطف على الشهر
الحرام اي يسئلونك عن قتال في الشهر الحرام والمسجد الحرام وهذا قول الفراء وابي مسلم وقيل الواو في والمسجد الحرام للقسم الصد عن سبيل الله هو
المنع من الايمان بالله ومحمد او عن الهجرة وقيل صد المسلمين عام الحديبية عن عمرة البيت وزيف بان الاية نزلت قبل غزوة بدر بشهرين في قصة ابن
جحش وعام الحديبية كان بعد غزوة بدر بسنين ولعله يجاب بان معلوم الله كالواقع والمراد باخراج اهله اخراج المسلمين من مكة وانما جعلهم اهله لانهم كانوا هم
القائمين بحقوق المسجد كما قال عز من قائل وكانوا احق بها واهلها وانما كانت هذه الامور اكبر لان كل واحد منها كفر والكفر اعظم من القتال
انها اكبر من قتال في الشهر الحرام وهو قتال عبد الله بن جحش ولم يكن قاطعا بانه وقع في الشهر الحرام واما الكفار فيعلمون بانهم يفعلون هذه الامور بيقين ثم

فى الشهر الحرام والفتنة اى الشرك او القاء الشبهات فى قلوب المؤمنين او التعذيب كفعلهم ببلال وصهيب وعمار اكبر من القتل لان الفتنة تفضى الى القتل
فى الدنيا والى استحقاق العذاب الدائم فى الآخرة فيصح ان الفتنة اكبر من القتل فضلا عن ذلك القتل الذى وقع السؤال عنه وهو قتل ابن الحضرمى يروى انها
نزلت لما بكتب عبد الله بن جحش الى مؤمنى مكة اذا عيركم المشركون بالقتال فى الشهر الحرام فعيروهم انتم بالكفر واخراج الرسول من مكة ومنع المؤمنين عن البيت
الحرام ولا يزالون يقاتلونكم اخبار عن استمرار الكفار على عداوة المسلمين حتى يردوكم عن دينكم الى ردتكم وحتى كقولك اسلمت حتى ادخل الجنة بمعنى كى
ادخل ويجوز ان يكون بمعنى الى كقوله ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم وقوله ان استطاعوا استبعاد لاقتدارهم كقول الرجل لعدوه
وهو واثق بانه لا يظفر به ان ظفرت بى فلا تبق على ومن يرتدد ومن يرجع منكم عن دينه فيمت وهو كافر باق على الردة فاولئك حبطت اعمالهم فى الدنيا
والآخرة اما فى الدنيا فلما يفوته من فوائد الاسلام العاجلة فيقتل عند الظفر به ويقاتل الى ان يظفر به ولا يستحق من المؤمنين موالاة ولا نصرا ولا ثناء
حسنا وتبين زوجته منه ويحرم الميراث واما فى الآخرة فيكون فى تقرير قوله واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون واعلم ان الردة اغلظ انواع الكفر
حكما وانها تارة تحصل بالقول الذى هو كفر كجحد مجمع عليه كنبى من الانبياء واخرى بالفعل الذى يوجب استهزاء صريحا بالدين كالسجود للشمس والصنم والقاء
المصحف فى القاذورات وكذا لو اعتقد حدوث الصانع او وجوب ثم انه يشترط فى صحة الردة التكليف فلا يصح ردة الصبى والمجنون وههنا بحث وهو ان جماعة
من المتكلمين ذهبوا الى ان شرط صحة الايمان والكفر حصول الموافاة فالايمان لا يكون ايمانا الا اذا مات المؤمن عليه والكفر لا يكون كفرا الا اذا مات
الكافر عليه لان من كان مؤمنا ثم ارتد والعياذ بالله فلو كان ذلك الايمان الظاهر ايمانا فى الحقيقة لكان قد استحق عليه الثواب الابدى فاما ان يبقى الاستحقاقان
ان الطارى يزيل السابق وهو ابطال لانهما متنافيان ولبطل حدهما اولى بالتاثير من الآخر بل السابق بالدفع اولى من اللاحق بالرفع لان الدفع اسهل من الرفع
وايضا شرط طريان الطارى زوال السابق فلو علل زوال السابق بطريان الطارى لزم الدور وبحث آخر وهو ان المسلم اذا صلى ثم ارتد ثم اسلم فى الوقت
فعند الشافعى لا اعادة عليه لان شرط حبوط العمل ان يموت على الردة لقوله تعالى شرط على الشرطين فيمت وهو كافر وعند ابى حنيفة يلزمه قضاء ما ادى كالحج
لقوله جائز فى موضع آخر ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون والحبط فى اللغة ان تاكل الابل شيئا يضرها فتعظم بطونها فتهلك وفى الحديث ان مما
ينبت الربيع ما يقتل حبطا او يلم وسمى بطلان الاعمال بهذا لانه كفساد الشئ بسبب ورود المفسد عليه ولا شك ان المراد من احباط العمل ليس هو ابطال
العمل لان العمل شئ كما وجد فنى وزوال المعدوم محال فقال المثبتون للاحباط والتكفير المعنى ان عقاب الردة الحادثة يزيل ثواب الايمان السابق
اما بشرط الموازنة كما هو مذهب ابى هاشم وجمهور المتأخرين من المعتزلة او لا بشرط الموازنة كما هو مذهب ابى على وقال المنكرون للاحباط المراد بالاحباط الوارد فى كتاب الله
تعالى هو ان المرتد اذا اتى بالردة فتلك الردة عمل محبط لانه يمكنه ان ياتى بدلها بعمل يستحق به ثوابا فيكون محبطا لما اتى بعمل ليس فيه فائدة بل فيه مضرة عظيمة او
المراد انه تبين ان اعماله السابقة لم تكن معتدة بها شرعا ولو ظن عبد الله بن جحش واصحابه حين قتلوا الحضرمى ظن قوم انهم ان سلموا من الاثم لم يكن لهم
اجر فنزلت ان الذين آمنوا الآية لان عبد الله كان مؤمنا وكان مهاجرا وصار بسبب هذا القتال مجاهدا وقيل انه تعالى لما اوجب الجهاد بقوله كتب عليكم
القتال وبين ان تركه سبب للوعيد اتبع ذلك ذكر من يقوم به فقال ان الذين آمنوا الآية ولا يكاد يوجد وعيد الا ويعقبه وعد والذين هاجروا فارقوا اوطانهم
وعشائرهم من الهجر الذى هو ضد الوصل والهجر الكلام القبيح لانه ينبغى ان يهجر وجاز ان يكون المراد ان الاحباب والاقارب هجروه بسبب هذا الدين وهو ايضا هجرهم
بهذا السبب فكان ذلك مهاجرة والمجاهدة من الجهد بالفتح الذى هو المشقة او من الجهد بالضم الطاقة لانه يبذل الجهد فى قتال العدو عند فعل
العدو مثل ذلك ويجوز ان يكون معناها ضم جهدك الى جهد اخيك فى نصرة دين الله كالمساعدة ضم ساعدك الى ساعد اخيك لتحصيل القوة اولئك يرجون
رحمة الله يحتمل ان يكون الرجاء بمعنى القطع واليقين ولكن فى اصل الثواب والظن انما دخل فى كيته وكيفيته وفى وقته ويحتمل ان يراد المنافع التى توقعوها
فان عبد الله بن جحش ما كان قاطعا بالثواب فى عمله بل كان يظن ظنا وانما جعل الوعد معلقا بالرجاء ليعلم ان الثواب على الايمان والعمل غير واجب انما
ذلك بفضله ورحمته كما هو مذهبنا ولو وجب لما صح لانه يعلم انه لا يكفر بعد ذلك فهذا الشرط مشكوك وايضا المذكور ههنا هو الايمان والهجرة والجهاد
ولا بد للانسان مع ذلك من سائر الاعمال والتوفيق فيها مرجو من اسوانه المراد وصفهم بانهم يفارقون الدنيا مع هذه الخصال مستقصرين انفسهم
فى نصرة دين الله فيقدمون على الله تعالى وجلين مستحقرين عملهم مثل الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون والله غفور رحيم
يغفر لهم جناياتهم ان شاء ويعمهم فضله ويجبر طولهم حق قلوبهم هولاء خيار هذه الامة جعلهم اهل رجاء كالتحقيق وانه من رجا طلب ومن خاف
هرب قال شاه الكرمانى علامة الرجاء حسن الطاعة وقيل الرجاء رؤية الجلال بعين الجمال وقيل قرب القلب من ملاطفة الرب وعن معن انه
قال لابنه خف الله تعالى خوفا لا تامن فيه مكره وارجه رجاء اشد من خوفك قال فكيف استطيع ذلك وانما لى قلب واحد قال اما علمت ان المؤمن لذو قلبين يخاف
باحدهما ويرجو بالآخر وهذا لانهما من حكم الايمان وفى المؤمن كالجناحين للطائر اذا استويا استوى الطير وتم طيرانه ومن هنا قيل لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا

يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ

سؤال کنند ترا از شراب و قمار بگو در آنها گناهی بزرگست و منفعتها از برای مردمان و گناه ایشان بزرگترست از نفع ایشان و سؤال کنند ترا که چه انفاق کنند در راه خدا

قُلِ الْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ

بگو زیاده از حاجت را همچنین ظاهر میسازد خدا برای شما نشانها را تا شاید که شما اندیشه کنید در دنیا و آخرت و سؤال کنند ترا از یتیمان بگو اصلاح

لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ وَلَا تَنْكِحُوا

مر ایشان را بهتر است و اگر بیامیزید با ایشان پس برادران شما اند و خدا میداند مفسد را از مصلح و اگر خواستی خدا هر آینه در مشقت انداختی شما را هر آینه خدا غالب با حکمت است و نکاح مکنید

الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ

کافران را تا وقتی که ایمان آورند و هر آینه کنیزک مؤمنه بهتر است از زن مشرکه و اگر بشگفت آورد شما را و نکاح مکنید مردان مشرک را تا آنکه ایمان آورند و هر آینه بنده مؤمن

خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ

بهتر است از مرد مشرک و هر چند بشگفت آورد شما را آن گروه میخوانند بسوی آتش و خدا میخواند بسوی بهشت و آمرزش بفرمان خود و ظاهر میسازد آیات خود را برای مردمان تا ایشان

يَتَذَكَّرُونَ ۝ القراءات اثم كبير بالثاء المثلثة حمزة وعلي والباقون بالباء قل العفو بالرفع ابو عمرو والباقون بالنصب لاعنتكم بغير همز يروي ابو ربيعة عن اصحابه عن حمزة وجهان في الوقف ترك الهمز لبيان المذهب والهمز ليدل على اصل الكلمة الوقوف والميسر ط للناس ز فقد يجوز مع اتفاق الجملتين تنبيها على ان بيان الثانية اهم من الاولى من نفعهما ط ينفقون ط العفو ط يتفكرون لتعلق الجار والآخرة ط اليتامى ط خير ط فاخوانكم ط المصلح ط لاعنتكم ط حكيم يؤمن ط لاجل لام الابتداء بعده اعجبتكم ج لوقوع العارض ان اتفقت الجملتان يؤمنوا ط اعجبكم ط الى النار ج والوصل اجوز لان مقصود الكلام بيان تفاوت الدعوتين مع اتفاق الجملتين ومن وقف اراد الفصل بين ذكر الحق والباطل باذنه ج لان جملة والله يدعو يقابل الجملة الاولى فلم يكن قوله ويبين الله من تمامها اذ ليس في الجملة الاولى ذكر بيان ومن وصل فلعطف المستقبل على المستقبل يتذكرون ۝ التفسير الحكم الثالث بيان حرمة الخمر والميسر قالوا نزلت في الخمر اربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا فكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال ثم ان عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة قالوا يا رسول الله افتنا في الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا فام بعضهم فقرأ قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك قوما فيهم سعد بن ابي وقاص فلما سكروا افتخروا وتناشدوا حتى انشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصاري بلحى بعير فشجه موضحة فشكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب والحكمة في وقوع التحريم على هذا الوجه ان القوم قد الفوا شرب الخمر وكان انتفاعهم بذلك كثيرا فلو منعوا دفعة واحدة لشق ذلك عليهم فان الفطام من المألوف شديد فلا جرم استعمل في التحريم هذا التدريج والرفق واختلف العلماء في مفهوم الخمر فقال الشافعي كل شراب مسكر فهو خمر وقال ابو حنيفة الخمر ما غلي واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب احتج الشافعي بما روى ابو داود في سننه عن الشعبي عن ابن عمر عن عمر قال نزل تحريم الخمر يوم نزل وهي من خمسة من العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير هذا دليل ان الخمر عندهم كل ما خامر العقل اي خالطه التركيب يدل على الستر والتغطية ومنه خمار المرأة وكذا ما روي عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من العنب خمرا وان من التمر خمرا وان من العسل خمرا وان من البر خمرا وان من الشعير خمرا قال الخطابي انما خص ذكر هذه الاشياء مخصوصا لكونها معهودة في ذلك الزمان وكل ما في معناها من ذرة او سلت او عصارة شجر فحكمها حكم هذه الخمسة كما ان تخصيص الاشياء الستة بخبر الربوا لا يمنع من ثبوت حكم الربوا في غيرها وعن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر خمر وكل خمر حرام فمراد الشارع ان كل مسكر فهو خمر لغة او شرعا فيكون حقيقة لغوية او شرعية كالصلوة وان منع ذلك فلا اقل من ان يكون معناه كالخمر في الحرمة وهو المراد وعن عائشة قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البتع وهو شراب يتخذ من العسل فقال صلى الله عليه وسلم كل شراب اسكر فهو حرام وعن ام سلمة قالت نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر قال الخطابي المفتر كل شراب يورث الفتور والخدر في الاعضاء وايضا الآيات الواردة في الخمر منها اثنتان بلفظ الخمر وغيرها بلفظ السكر مثل لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى وفيه دليل على ان المراد بالخمر هو المسكر كذا في قول عمر ومعاذ الخمر مذهبة للعقل فانه يوجب ان كل ما كان مساويا للخمر في هذا المعنى اما ان يكون خمرا واما ان يكون مساويا للخمر في علة التحريم وايضا قال تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة ولا شك ان هذه الافعال معللة بالسكر فيعلم منه ان حرمة الخمر معللة بالاسكار فاما ان يجب القطع بان كل مسكر حرام او ان يلزم الحكم بالحرمة في كل مسكر حجة ابي حنيفة قوله تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا امتن الله علينا باتخاذ السكر والرزق الحسن والنبيذ سكر او رزق حسن فوجب ان يكون مباحا لان المنة لا تكون الا بالمباح ايضا ما روي في الصحيحين عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استسقى فقال رجل يا رسول الله الا نسقيك نبيذا قال بلى فخرج يسعى فجاء بقدح فيه نبيذ فشرب واعلم ان المسكر حرام جنسه قل ام كثر نيا او مطبوخا لقوله صلى الله عليه وسلم ما اسكر كثيره فقليله حرام وعن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل مسكر حرام وما اسكر منه الفرق فملء الكف منه حرام قال الخطابي الفرق مكيال يسع ستة عشر رطلا وفيه ابين البيان ان الحرمة شاملة لجميع اجزاء الشراب وعن ابن عباس انه جاءه رجل فسأله عن العصير فقال اشربه ما كان طريا قال اني طبخت شرابا وفي نفسي منه شيء قال اكنت شاربه قبل ان تطبخه قال لا قال فان النار لا تحل شيئا قد حرم وقال ابو حنيفة المطبوخ من عصير العنب اذا ذهب اقل من ثلثيه فهو حرام لكن لا حد على شاربه الا اذا سكر وان ذهب ثلثاه فهو حلال الا القدر المسكر فهو حرام ويتعلق بشربه الحد روي ان عمر بن الخطاب كتب الى بعض عماله اما بعد فاطبخوا شرابكم حتى يذهب منه نصيب الشيطان فان له اثنين ولكم واحد ونقيع التمر والزبيب اذا اشتد فهو حرام لكن لا حد فيهما الا بالسكر فان طبخ فهو حلال الا المقدار الذي

يسكر فان قليله حرام ويحد به ولا يعتبر في النقيع ذهاب الثلثين بل الخليطة والشيراز العسل وحق الاحتمال كما كان مطبوخا ولا يحرم منه الا القدر المسكر وذكروا
في معنى السكر انه عبارات فعن الشافعي انه الذي اختلط كلامه المنظوم وانكشف سره المكتوم وقيل الذي لا يفرق بين السماء والارض وقيل الذي يتمايل في
مشيه ويهذي في كلامه والاقرب انه الرجوع في الحال العادة ثم ان قوله تعالى يسألونك عن الخمر والميسر ليس فيه بيان انهم عن اي شيء سألوا فيحتمل انهم
سألوا عن حقيقته وماهيته ويحتمل انهم سألوا عن حل الانتفاع وحرمته ويحتمل انهم سألوا عن حل شربه وحرمته الا انه لما اجاب بذكر الحرمة دل
تخصيص الجواب على ان ذلك السؤال كان واقعا عن الحل والحرمة اي يسألونك عما في تعاطيهما او ما يكفيه دلالة الاية على الحرمة فمن وجوه احدها ان
في الخمر اثما والاثم حرام لقوله تعالى قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم ومما يؤكد هذا ان السؤال كان واقعا عن مطلق الخمر وقد جعل
الله تعالى الاثم لازما لهذه الماهية فيلزم منها الاثم على جميع التقادير من الشرب وغيره من وجوه الانتفاع والاستعمال صرح ايضا بان الاثم الحاصل منها
اكبر من النفع المتوهم منها عاجلا وانما لم يقنع كبار الصحابة بهذه الاية طلبا للنص القاطع واكد في التحريم فقد طلبوا كما ان ابراهيم مع مشاهدة احياء الموتى طلبا
لمزيد الايقان هذا وكونها الى سكون النفس بالعيان فان قيل لما كان الاثم لازما للماهية الخمر من حيث هي فلم لم تكن محرمة في سائر الشرائع قلت كم من نقض في
الاديان السالفة ثم شرع خاتم النبيين عليه السلام هذا اللزوم شرعا ويمكن ان يختلف الشرائع بحسب اختلاف الازمان ولا سيما اذا اعتبرت مصالح الانسان
والميسر القمار مصدر ميسر كالموعد والمرجع من فعلهما يقال يسرته اي قمرته مشتق من اليسار لانه سلب يساره عن ابن عباس كان الرجل في الجاهلية يخاطر
على اهله وماله ومن اليسر لانه اخذ مال الرجل بيسر وسهولة من غير كد وتعب قال ابن قتيبة الميسر من التجزئة والاقتسام يقال يسروا الشيء اذا اقتسموه
فالجزور نفسه يسمى ميسرا لانه يجزأ اجزاء واليسر الجازر ثم يقال للضارب بالقداح يسر لانه بسبب ذلك الفعل يجزئ لحم الجزور ويقال للواحد يسر اي وجب [illegible]
الواجب بسبب القدح واما صفة الميسر على ما في الكشاف فهي انه كانت لهم عشرة اقداح وهي الازلام والاقلام اسماؤها الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس
والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل واحد منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزؤنها عشرة اجزاء وقيل ثمانية وعشرين الا ثلاثة وهي المنيح والسفيح
والوغد للفذ سهم وللتوأم سهمان وللرقيب ثلاثة وللحلس اربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها في الربابة وهي خريطة ويضعونها
على يدي عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا منها فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء اخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح ومن خرج
له قدح مما لا نصيب له لم يأخذ شيئا وغرم ثمن الجزور كله وكانوا يدفعون تلك الانصباء الى الفقراء ولا يأكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من
لم يدخل فيه ويسمونه البرم قال العلماء وفي حكم الميسر سائر انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم اياكم وهاتين الكعبتين المشومتين فانهما
من ميسر العجم وعن ابن سيرين ومجاهد وعطاء كل شيء فيه خطر فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز وعن علي انه مر بقوم وهم يلعبون بالشطرنج
فقال ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون ولا الشافعي رخص في الشطرنج اذا خلا عن الرهان وكف اللسان عن الطغيان وحفظ الصلوة عن النسيان فان الميسر
ما يوجب دفع المال او اخذ المال وهذا ليس كذلك فيحكى اللعب به عن ابن الزبير وابي هريرة وكثير من السلف واما السبق في النصل والخف والحافر فجائز بالاتفاق
لقوله صلى الله عليه وسلم لا سبق الا في نصل او خف او حافر وذلك انهما من اسباب الجهاد والكلام في تفاصيلهما وشروطهما مذكور في كتب الفقه قل فيهما اثم كبير اي
انهما من الكبائر ومن قرأ بالثاء فيعني الكثرة فان اصحاب الشرب والقمار يقترفون فيهما الاثام من وجوه كثيرة اما في الخمر فلانها عدو العقل الذي هو عقال
الطبع واشرف خصائص الانسان وبعد زوال الاشرف يكون اخس الاشياء حكي ان بعض الادباء مر على سكران وهو يبول في يده ويمسح به وجهه كهيئة المتوضي
ويقول الحمد لله الذي جعل الاسلام نورا والماء طهورا وعن العباس بن مرداس انه قيل له في الجاهلية الا تشرب الخمر فانها تزيد في جرأتك فقال ما انا
باخذ جهلي بيدي فادخله في جوفي ولا ارضى ان اصبح سيد قوم وامسي سفيههم ومن خواصها ان الانسان كلما كان اشتغاله بها اكثر كان الميل اليها اتم
وقوة النفس عليها اقوى بخلاف سائر المعاصي كالزنا وغيره وكفى بقوله انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم
عن ذكر الله وعن الصلوة وبقوله صلى الله عليه وسلم الخمر ام الخبائث شاهدا وتقريرا للاثم ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب الخمر عشرة وقال صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام
وان على الله عهدا لمن يشرب المسكر ان يسقيه من طينة الخبال قالوا يا رسول الله وما طينة الخبال قال عرق اهل النار او عصارة اهل النار وكذا الكلام
في الميسر مع ان فيه اكل الاموال بالباطل واما المنافع المذكورة فمنها انهم كانوا يتغالون بها اذا جلبوها من النواحي وكان المشتري اذا ترك المماكسة في
الثمن يعد ذلك فضيلة ومكرمة فيكثر ارباحهم بذلك السبب قال ابو محجن اقومها زقا بحق [illegible] قال الاطباء في الخمر منافع
جسمانية ونفسانية فالجسمانية انها تجود الهضم وتدر البول وتحسن البشرة وتطيب النكهة وتزيد في الباه والنفسانية انها تسر النفس وتفرح
الامل وتشجع النفس وتحسن الخلق وتزيل البخل ومن منافع الميسر التوسعة على ذوي الحاجة لانهم كانوا يفرقونها على المساكين فيكتسبون به الثناء والمدح
ولا ريب ان منافع الخمر والميسر لكونهما مظنونة عاجلة اقل من اثمهما لكونه متيقن الحصول الدائم العذاب فالعاقل لا يختار النفع القليل الزائل العقاب الابدي
لا نهاية له الحكم الرابع ويسألونك ماذا ينفقون وقد تقدم مثل هذا السؤال والجواب حيث ذكر المصرف ولعله صار جوابا بذكر الكمية وذلك ان
الناس لما رأوا الله ورسوله يحضان على الانفاق ويبينان ماله من عظيم الثواب سألوا عن مقداره كالمنفق كل المال او بعضه العفو ما
تيسر وسهل مما يكون فاضلا عن الكفاية ويشبه ان يكون العفو من الذنب راجعا الى التيسير والتسهيل يقال للارض السهلة العفو ومن قال ان العفو
هو الزيادة فهو ان الغالب ان ذلك مما يكون فيما يفضل عن حاجة الانسان في نفسه وعياله وحاصل الامر يرجع الى التوسط في الانفاق والنهي عن التبذير

والتقتير وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يحبس لاهله قوت سنة وقال صلى الله عليه وسلم خير الصدقة ما ابقت غنى ولا يلام على كفاف ثم للعلماء في هذا الانفاق خلاف فعن ابي مسلم انه يجوز
ان يكون العفو هو الزكوات ذكرها ههنا مجملة وتفصيلها في السنة وقيل انه تطوع ولو كان مفروضا لبين مقداره ولم يفوض الى راي المكلف وقيل
ان هذا كان قبل نزول اية الصدقات وكانوا مامورين بان ياخذوا من مكاسبهم ما يكفيهم عامهم وينفقون ما فضل ثم نسخ بالزكوة كذلك يبين
الله لكم الايات اي كما بين لكم وجوه الانفاق ومصارفه فهكذا يبين لكم في مستانف ايامكم جميع ما تحتاجون اليه لعلكم تتفكرون في الدنيا والاخرة
فتاخذون بما هو اصلح لكم من سلوك سبيل العدالة في الانفاق وغيره او تتفكرون في الدارين فتؤثرون ابقاهما واكثرهما منافع ويجوز ان يكون
اشارة الى قوله واثمهما اكبر من نفعهما اي لتتفكروا في عقاب الاثم في الاخرة والنفع في الدنيا فتختاروا الادنى على الاعلى ويجوز ان يتعلق بيبين اي
يبين لكم الايات في امر الدارين وفيما يتعلق بهما لعلكم تتفكرون الحكم الخامس ويسئلونك عن اليتامى عن سعيد بن جبير قال لما نزلت ان الذين ياكلون
اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اموالهم عن اموالهم فنزلت وعن ابن عباس لما انزل الله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن وقوله
ان الذين ياكلون انطلق من كان عنده مال اليتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه فجعل يحبس له ما يفضل من طعامه حتى ياكله او يفسد فاشتد ذلك عليهم
فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت قل اصلاح لهم خير وهو كلام جامع لمصالح اليتيم والولي اما لليتيم فلانه يتضمن صلاح نفسه بالتقويم والتاديب
وصلاح ماله بالتنمية والتثمير لئلا ياكله النفقة وايجاب الزكوة واما للولي فلان احراز الثواب خير من التحرز عن مال اليتيم حتى يختل مصالحه وتفسد
معيشته وقيل الخير عائد الى الولي يعني اصلاح اموالهم من غير عوض ولا اجرة خير للولي واعظم اجرا وقيل عائد الى اليتيم اي مخالطتهم بالاصلاح خير لهم من
التفرد عنهم والاعراض عنهم ولعل الاصوب هو القول الاول فان جهات المصالح مختلفة غير مضبوطة فينبغي ان يكون نظر المتكفل لامور اليتيم على
تحصيل الخير في الدنيا والاخرة لنفسه ولليتيم وفي الدين ونفسه وان تخالطوهم فاخوانكم اي فهم اخوانكم في الاسلام والمخالطة جمع يتعذر فيه التمييز وقيل المراد
وان تخالطوهم في الطعام والشراب والمسكن والخدم بما لا يتضمن افساد اموالهم فذلك جائز كما يفعله المرء بمال ولده ومع اخوانه في الدين فان هذا
ادخل في حسن العشرة والمؤالفة وقيل المراد بهذه المخالطة ان ينتفعوا باجرة المثل في ذلك العمل وسنشرح المذاهب في ذلك اذا انتهينا الى تفسير قوله
تعالى ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف وقيل المراد ان يخالطوا اموال اليتامى باموالهم وانفسهم على سبيل الشركة بشرط رعاية
جهات المصلحة والغبطة للصبي وحمل بعضهم المخالطة على المصاهرة واختاره ابو مسلم لان هذا خلط لليتيم نفسه والشركة خلط لماله ولان الشركة داخلة
في قوله اصلاح لهم خير والخلط من جهة النكاح وتزويج البنات منهم لم يدخل في ذلك فحمل الكلام على هذا الخلط اقرب ولانه تعالى قال بعد هذه الاية
ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن فكان المعنى ان المخالطة المندوب اليها انما هي في اليتامى الذين هم لكم اخوان في الاسلام ليتاكد الالفة بالمناكحة فان كان
اليتيم من المشركين فلا تفعلوا ذلك والله يعلم المفسد لامورهم من المصلح لها او يعلم ضمائر من اراد الافساد والطمع في مالهم بالنكاح من المصلح فيجازي
على حسب غرضه ومقصده فليحذره ولا يتحر غير الاصلاح وفيه تهديد عظيم فكانه قال انا المتكفل بالحقيقة لامر اليتيم فانا المطالب لوليه ان قصر ولو
شاء الله لاعنتكم لحملكم على العنت وهو المشقة فان ضيق عليكم طريق مخالطتهم وعن ابن عباس لو شاء الله لجعل ما اصبتم من اموال اليتامى موبقا
وذلك انهم كانوا في الجاهلية قد تساهلوا في الانتفاع باموال اليتامى وربما تزوجوا باليتيمة طمعا في مالها او يزوجها من ابن له كيلا يخرج مالها من يده
وقد يستدل بالاية على انه تعالى لا يكلف العبد ما لا يقدر عليه وعلى انه تعالى قادر على خلاف العدل لانه لو امتنع وصفه بالقدرة على الاعنات ما جاز ان
يقول لو شاء لاعنتكم ان الله عزيز غالب يقدر على ان يعنت عباده ويحرجهم ولكنه حكيم لا يكلف الا ما يتسع فيه طاقتهم الحكم السادس ولا تنكحوا
المشركات اكثر المفسرين على ان هذه الاية ابتداء شرع وحكم اخر في بيان ما يحل ويحرم وعن ابي مسلم انه متعلق بقصة اليتامى ترغيبا في مخالطتهن دون
مخالطة المشركات عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مرثد بن ابي مرثد الغنوي وكان حليفا لبني هاشم الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين وكان يهوى
امراة في الجاهلية اسمها عناق فاتته فقالت الا تخلو فقال ويحك ان الاسلام حال بيننا فقالت فهل لك ان تتزوج بي قال نعم ولكن ارجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاستامره فنزلت هذه الاية ثم العلماء اختلفوا في الاية في موضعين الاول في لفظ النكاح فقال اكثر اصحاب الشافعي انه حقيقة في العقد لقوله صلى الله عليه وسلم
لا نكاح الا بولي وشاهدي عدل ولا شك ان الموقوف على الولي والشاهد هو العقد لا الوطء ولقوله صلى الله عليه وسلم ولدت من نكاح لا من سفاح ولقوله تعالى وانكحوا
الايامى وقال الجمهور من اصحاب ابي حنيفة انه حقيقة في الوطء لقوله تعالى حتى تنكح زوجا غيره والنكاح الذي تنتهي اليه الحرمة ليس هو العقد بل هو الوطء
بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك وقال صلى الله عليه وسلم ناكح اليد ملعون وناكح البهيمة ملعون ومن الناس من قال النكاح عبارة عن الضم
يقال نكح المطر الارض اذا وصل اليها ونكح النعاس عينيه والضم حاصل في العقد وفي الوطء فحسن استعمال اللفظ فيهما جميعا قال ابن جني سألت ابا علي
عن قولهم نكح المراة فقال فرقت العرب بالاستعمال فرقا لطيفا فاذا قالوا نكح فلان فلانة او بنت فلان ارادوا انه تزوجها وعقد عليها واذا قالوا نكح امراته او زوجته
لم يريدوا به الا المجامعة الا ان المفسرين اجمعوا على ان المراد بالنكاح في هذه الاية هو العقد اي لا تعقدوا على المشركات الثاني لفظ المشرك هل يتناول
الكفار من اهل الكتاب ام لا قال الاكثرون نعم لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون و
لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فلو كان كفر اليهود والنصارى غير الشرك لاحتمل ان يغفر الله لهم وذلك باطل
بالاتفاق وايضا فالنصارى قائلون بالتثليث وليس ذلك في الصفات فان اكثر المسلمين اثبتوا لله صفات قديمة فاذن هو في الذات هذا

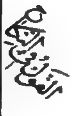

شركه محض وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم امر امراءه فقال اذا لقيت عدوا من المشركين فادعهم الى الاسلام فان اجابوك فاقبل منهم وكف عنهم وان ابوا فادعهم الى الجزية وعقد الذمة فان اجابوك فاقبل منهم وكف عنهم وان ابوا فادعهم الى الجزية وعقد الذمة فان اجابوك فاقبل منهم وكف عنهم سمى من يقبل الجزية وعقد الذمة بالمشرك وقال ابو بكر الاصم كل من جحد رسالة النبي فهو مشرك من حيث ان تلك المعجزات التي ظهرت على يده كانت خارجة عن حد البشر وهم انكروها واضافوها الى الجن والشياطين فقد اثبتوا شريكا لله سبحانه في خلق هذه الاشياء الخارجة عن قدرة البشر واعترض عليه بان اليهودي حيث لا يسلم ان ما ظهر على يد محمد هو من جنس ما لا يقدر العباد عليه لم يلزم ان يكون مشركا بسبب اضافة ذلك الى غير الله والجواب انه لا اعتبار باقراره وانما الاعتبار بالدليل فاذا ثبت بالدليل ان ذلك المعجز خارج عن قدرة البشر فمن اضاف ذلك الى غير الله كان مشركا كما لو اسند خلق الحيوان و النبات الى الافلاك والكواكب احتج المخالف بانه تعالى فصل بين اهل الكتاب والمشركين في الذكر حيث قال ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين والعطف يقتضي التغاير واجيب بان كفر الوثني اغلظ وهذا القدر يكفي في العطف كما لو خص ثم عم هذا وقد سلف في تفسير قوله عز من قائل فلا تجعلوا لله اندادا ان اكثر عبدة الاوثان معترفون بان اله العالم واحد وانه ليس له في الالهية على خلق العالم وتدبيره شريك فظهر ان وقوع اسم المشرك عليه ليس بحسب اللغة بل بالشرع كالصلوة والزكوة واذا كان كذلك فلا يبعد بل يجب اندراج كل كافر تحت هذا الاسم لاسيما وقد تواتر النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم انه يسمي كل من كان كافرا بانه مشرك التفريع ان قيل المشركات تشمل الحربيات والكتابيات جميعا فالاية منسوخة او مخصصة بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم لان سورة المائدة كلها ثابتة لم ينسخ شيء منها قط وهو قول ابن عباس والاوزاعي لا يقال لعل المراد من امن بعد ان كان من اهل الكتاب لان قوله والمحصنات من المؤمنات يشمل من امن منهن فيبقى قوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب ضايعا ولاجماع الصحابة على جواز نكاح الكتابيات نقل ان حذيفة تزوج بيهودية او نصرانية فكتب اليه عمر ان خل سبيلها فكتب اليه اتزعم انها حرام فقال لا ولكني اخاف وعن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال نتزوج نساء اهل الكتاب ولا يتزوجون نساءنا وعن عبد الرحمن بن عوف ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في المجوس سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم ولو لم يكن نكاح نسائهم جائزا لكان هذا الاستثناء خاليا عن الفائدة وان قيل ان المشركات تخص الحربيات فالاية ثابتة وباقية على عمومها ومن الناس من زعم ان هذه الاية ناسخة لما كانوا عليه من التزوج بالمشركات وهو مذهب الحسن فيعني انه رفع مباح الاصل ليس بنسخ لان الناسخ والمنسوخ يجب ان يكونا حكمين شرعيين الا ان يقال ان تجويز نكاح المشركة قبل نزول الاية كان ثابتا من قبل الشرع قوله حتى يؤمن اتفق الكل على ان المراد منه الاقرار بالشهادة والتزام احكام الاسلام ولكن لا يدل هذا على ان الايمان في عرف الشرع عبارة عن الاقرار فقط لانا بينا في تفسير قوله الذين يؤمنون بالغيب انه لا بد في الايمان الحقيقي من التصديق القلبي الا انه اكتفى ههنا بالاقرار اللساني لانه علامة الايمان بالنسبة الينا فلا اطلاع لنا على حكم القلب فالسريرة موكولة الى علام الغيوب فان وافق سره اعلانه كان مؤمنا حقا والا كان منافقا ولأمة مؤمنة هذه اللام في فائدة التوكيد فيشبه لام القسم المراد بالامة وكذا بالعبد في قوله ولعبد مؤمن من اماء الله وعبيده لان الناس كلهم عبيد الله واماؤه اي لامرأة مؤمنة حرة كانت او مملوكة خير من مشركة ولو اعجبتكم المبالغة والجواب محذوف اي لو كانت المشركة تعجبكم بما لها وجمالها ونسبها فالمؤمنة خير منها لان الايمان يتعلق بالدين والمال والجمال والنسب يتعلق بالدنيا ورعاية الدين اولى من رعاية الدنيا ان لم يتيسر الجمع بينهما وقد يحصل المحبة والتآلف عند التوافق في الدين فيكمل منافع الدنيا ايضا من حسن العشير والعشرة وحفظ الغيب وضبط الاموال والاولاد واما عند اختلاف الدين فينعكس هذه القضايا وفيه تاكيد اضداد ما توقع منها ولهذا قال رسول الله تنكح المرأة لاربع لمالها وحسنها وجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك وقد ظن بعضهم ان المراد بالامة ضد الحرة فقال التقدير ولامة مؤمنة خير من حرة مشركة ولهذا ذهب بعضهم الى ان في الاية دلالة على ان القادر على طول الحرة يجوز له التزوج بالامة على ما هو مذهب ابي حنيفة لان الاية دلت على ان الواجد لطول الحرة المشركة يكون لا محالة واجدا لطول الحرة المسلمة لان سبب التفاوت في الايمان والكفر لا يتفاوت قدر المال المحتاج اليه في اهبة النكاح فيلزم قطعا ان يكون الواجد لطول الحرة المسلمة يجوز له نكاح الامة ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا لا خلاف ههنا في ان المراد به الكل وان المؤمنة لا يحل تزويجها من الكافر على اختلاف اقسام الكفرة اولئك المشركات والمشركون يدعون الى النار اي الى ما يؤدي اليها فان الزوجية مظنة الالفة والمحبة والمودة وقد يحمل المودة على الاتفاق في الدين فعلى المؤمن ان يتقي الكافر والاحتراز عن مظنة الارتداد امر مطلوب في الاسلام والشرع يحكم ان لا يوالوا ولا يصاهروا ولا يكون بينهم وبين المؤمنين الا المناصبة والقتال وقيل المراد انهم يدعون الى ترك المحاربة والجهاد وفي ترك الجهاد استحقاق النار والعذاب غرض هذا القائل ان يجعل هذا فرقا بين الذمية وغيرها فان الذمية لا تحمل زوجها على ترك الجهاد وقيل ان الولد الذي يحدث ربما دعاه الكافر الى الكفر فيصير الولد من اهل النار فهذا هو الدعوة الى النار والله يدعو الى الجنة حيث امر بالتزويج بالمسلمة حتى يكون الولد مسلما من اهل الجنة والمراد اولياء الله وهم المؤمنون يدعون الى الجنة والمغفرة وما يؤدي اليهما فهم الذين يجب موالاتهم ومصاهرتهم وان يؤثروا على غيرهم باذنه بتوفيق الله وتيسيره العمل الذي يستحق به الجنة والغفران وقرأ الحسن والمغفرة بالرفع على الابتداء اي والمغفرة كائنة بتيسيره ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون معناه واضح وقد عرفت فيما مر ان التذكر محاولة استرجاع الصورة المحفوظة فكان الآيات تنبيه على ما هو مركوز في العقول من حقية دين الاسلام فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون التاويل ان الخطاب كما يحدث من اجناس مختلفة

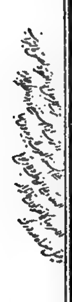

كالعنب والتمر والعسل والحنطة والشعير وغيرها فكذلك خمر الباطن من اجناس مختلفة كالغفلة والشهوة والهوى وحب الدنيا وامثالها وهذه تسكر النفوس والعقول الانسانية التى هى مناط التكليف فلهذا حرمت فى عالم التكليف اما ما يسكر القلوب والارواح والاسرار فهو شراب الواردات فى اقداح المشاهدات من سياقى تجلى الصفات اذا دارت الكؤس بجذبت شهوات النفوس فيسكر القلوب بالمواجيد عن المواجيد والارواح بالشهود على الوجود والاسرار بمطالعة الجمال من ملاحظة الكمال فهذا شراب حلال لانه من فوق عالم التكليف لانه يمزج اللطيف باللطيف فيه منافع للناس من ملازمة اهل القرب والاستيناس فيحصل لمن تفطن هو الوصل كله وسكرة من تحلى بتلك الشراب فما اهل ساقيها وما اهل شارب عشاق لجاجة كاسه يسكر الباقون اسكرهم بوجود الشراب قوم اسكرهم شهود الساقى فاسكر القوم دور كاس وكان سكرى من المدير الكاس الشراب الساقى والمسقى ههنا واحد كما قيل رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها وتشاكل الامر فكانما خمر ولا قدح وكانما قدح ولا خمر واثم الاعراض عن كوس الوصال فى النهاية اكبر من نفع الطلب فى البداية اما المدبر فاثمه كبير عند الاحباب وانه بعيد من خصال الابرار ولكن نفعه عدم الالتفات الى الكونين وبذل نفوس الطالبين فى قربانية نقش الكعبتين واثمهما اكبر من نفعهما للعوام ونفعهما للخواص من العوام اكثر من الخواص بعبارة اخرى الاثم فى خمر الظاهر والميسر الظاهر والنفع فى خمر الباطن والميسر الباطن اهل الظاهر اهل الباطن والله اعلم

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا

و سوال می کنند ترا از حیض بگو آن چیزی ست پس دوری کنید از زنان در حال حیض و نزدیکی مکنید با ایشان تا آنکه پاک شوند پس چون

تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ۝ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ

پاک شوند پس مباشرت کنید با ایشان از جائیکه فرموده است شما را خدا هر آئینه خدا دوست میدارد توبه کنندگان را و دوست میدارد پاکیزگان را زنان شما کشت زار شما اند پس بیائید بکشت زار خود

أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ

هر گونه که خواهید و پیش فرستید برای خود و بترسید از خدا و بدانید که شما ملاقات کننده اید او را و بشارت ده مومنان را و مگردانید خدا را دست آویز برای سوگندهای خود

أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم

که نیکوئی نکنید و پرهیزگاری نکنید و صلح نکنید درمیان مردمان و خدا شنوای داناست مواخذه نمی کند شما را خدا بسوگند بیهوده در سوگندهای شما ولیکن مواخذه میکند شما را

بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ۝ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

بانچه کسب کرده است دلهای شما و خدا آمرزنده بردبار است مر آنان را که سوگند میخورند از زنان خود انتظار کردن چهار ماه است پس اگر رجوع کنند پس هر آئینه خدا آمرزنده مهربان است

وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ القراءة حتى يطهرن بالتشديد والاصل يتطهرن فادغم التاء فى الطاء حمزة والكسائى وخلف

و اگر قصد کنند طلاق را پس هر آئینه خدا شنوای داناست وعاصم سوى حفص والباقون يطهرن بالتخفيف من الطهارة اى بالامالة المفرطة حمزة وعلى وخلف

وخلف ورش وحمزة العباس بالامالة اللطيفة وكل القراء الباقون بالتفخيم لا يؤاخذكم بلينه كل همزة متحركة مفتوحة ما قبلها مثل يؤخر ويؤيد كما سبأنه وذلك بغير همز ورش وحمزة فى الوقف وحمزة فى الوقف الوقوف عن المحيض اذى ط لان لكونه نعى تاثيرا بليغا فى وجوب الاعتزال فى المحيض حتى للعطف حتى يطهرن ج لان اذا متضمنة الشرط للفاء فى جوابه مع فاء التعقيب فيها امركم الله ط المتطهرين حرث لكم ص لان الفاء كالجزاء اى اذا كن حرثا فاتوهن والا فقد اختلف الجملتان شئتم ز لعطف الجملتين مع لوقوع العارض لانفسكم ط ملاقوه ط المؤمنين بين الناس ط عليم قلوبكم ط حليم اشهر ج عليم ٥ التفسير الحكم الثانى

ويسئلونك عن المحيض قيل انه تم جمع فى هذا الموضع بين ست اسئلة فعدد الثلثة الاولى بغير واو والثلثة الباقية بالواو والسبب ان سؤالهم عن تلك الحوادث وقع فى احوال متفرقة فلم يؤت بحرف العطف لان كل واحد من تلك السؤالات مبتدأ وسألوا عن الوقائع الاخر فى وقت واحد فجئ بحرف الجمع لذلك كانه قيل يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر والسؤال عن كذا وعن كذا ان اليهود والمجوس كانوا يبالغون فى التباعد عن المرأة حال حيضها والنصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض وكان اهل الجاهلية اذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجالسوها على فرش ولم يساكنوها فى بيت فقال ناس من الاعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة فان آثرناهم بالثياب هلك سائر اهل البيت وان استأثرناها هلكت الحيض فنزلت الآية فقال انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم آمركم باخراجهن من البيوت يعنى ان المراد من قوله تعالى فاعتزلوا النساء فاعتزلوا مجامعتهن فاتفق المسلمون على حرمة الجماع فى زمان الحيض واتفقوا على حل الاستمتاع بالمرأة بما فوق السرة وتحت الركبة واختلفوا فيما دون السرة وفوق الركبة والشافعى وابو حنيفة وابو يوسف قالوا يجب اعتزال ما اشتمل عليه الازار بناء على ان المحيض مصدر كالمجئ والمبيت والتقدير فاعتزلوا تمتع النساء فى زمان الحيض ترك العمل بالاية فيما فوق السرة وتحت الركبة بالاجماع فبقى الباقى على الحرمة وعن زيد بن اسلم ان رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم ما يحل لى من امرأتى وهى حائض قال لتشد عليها ازارها ثم شأنك باعلاها وقيل ما سوى الفرج حلال لان المراد بالمحيض موضع الحيض والمعنى فاعتزلوا موضع الحيض من النساء وان المحيض لا يكون مصدرا لا يصلح عود الضمير اليه ولعل هو بمعنى اى الحيض شئ يستقذر ويؤذى من يقربه نفرة وكراهة على انه يحتمل ان يكون بمعنى المكان والتقدير هو اذى كما تقدم وقال اهل المعنى الترتيب الحكم وهو وجوب الاعتزال عليه ذلك لان دم الحيض دم فاسد يتولد من فضلة يدفعها طبيعة المرأة من طريق الرحم حتى لو احتبست تلك الفضلة لمرضت المرأة فذلك الدم جار مجرى البول والغائط فكان اذى وقذرا ولا كذلك دم الاستحاضة حيث لا يوجب الاعتزال لان ذلك الدم صالح يسيل من عرق ينفجر فى عنق الرحم ويؤيده ما روى فى الصحيحين عن عائشة قالت جاءت فاطمة بنت ابى حبيش فقالت يا رسول الله

ان امرأة استحاضت فقالت لا اطهر افادع الصلوة فقال لا انما ذلك عرق وليست بالحيضة فاذا اقبلت الحيضة فدعي الصلوة فاذا ادبرت فاغسلي عنك الدم وصلي
ومعنى العرق انه علة حدثت بها من تصدع العروق واصل الحيض في اللغة السيل يقال حاض السيل وفاض قال الازهري ومنه قيل للحوض لان الماء يحيض اليه اي
يسيل والواو والياء من جنس واحد وقد ورد في الحديث لدم الحيض صفات منها السواد وبرأته يعلوه حمرة من كمتته من نزاف الى السواد ومنها الثخانة
ومنها الصدام وهو الحرقة من شدة حرارته ومنها انه يخرج برفق لا يسيل سيلا ومنها ان له رائحة كريهة ومنها انه بحراني وهو الشديد الحمرة
وقيل ما يحصل فيه كدورة تشبيها له بماء البحر فمن الناس من قال ان كان الدم موصوفا بهذه الصفات فهو الحيض والا فلا وما اشتبه الامر فيه فالاصل
بقاء التكليف وزواله انما كان بعارض الحيض فاذا كان غير معلوم الوجود بقيت التكاليف الواجبة على ما كان ومنهم من قال هذه الصفات قد تشتبه
على المكلف فايجاب التامل في تلك الدماء وفي تلك الصفات يقتضي عسرا ومشقة فالشارع قدر وقتا مضبوطا متى حصلت الدماء فيه كان حكمها
حكم الحيض ومتى حصلت خارج ذلك الوقت لم يكن حكمها حكم الحيض كيف كانت صفة تلك الدماء اما السن المحتمل للحيض فاصح الوجوه انها تسع سنين
فان رأت الصبية دما قبل استكمال التسع فهو دم فساد وقال الشافعي اعجل من سمعت من النساء يحضن نساء تهامة يحضن لتسع سنين وقيل ان اول
وقت الامكان بدخول الطعن في السنة التاسعة وقيل بمضي ستة اشهر من السنة التاسعة والاعتبار على الوجوه بالسنين القمرية تقريبا على الاظهر لا
تحديدا حتى لو كان بين رؤية الدم وبين استكمال التسع على الوجه الاصح ما لا يسع حيضا وطهرا كان ذلك الدم حيضا والا فلا واقل مدة الحيض عند
الشافعي يوم وليلة وعند ابي حنيفة ثلثة ايام وعند مالك لا حد لاقله واما اكثر الحيض فهو خمسة عشر يوما والقول على كرم الله وجهه ما زاد على خمسة
عشر فهو استحاضة وعن عطاء رأيت من تحيض خمسة عشر يوما واما الطهر فاكثره لا حد له فقد لا ترى المرأة الدم في عمرها الا مرة واحدة واقله خمسة عشر
يوما وقال احمد اقله ثلثة عشر وقال مالك ما اعلم بين الحيضتين وقتا يعتمد عليه لنا الرجوع الى الوجود وقد ثبت ذلك من عادات النساء وروي انه ربما
تمكث احديهن شطر دهرها لا تصلي اشار بذلك الى اقل الطهر واكثر الحيض وغالب عادات النساء في الحيض ستا او سبعا وفي الطهر باقي الشهر قال صلى الله عليه وسلم لحمنة بنت
جحش تحيضي في علم الله ستا او سبعا كما تحيض النساء ويطهرن ومعنى في علم الله اي مما علمك الله من عادتك او من عادات النساء ويحرم في الحيض عشرة
اشياء الصلوة والصوم والاعتكاف والمكث في المسجد والطواف ومس المصحف وقراءة القرآن والعبور والغشيان بنص القرآن والطلاق في حق بعضهن
ثم ان اكثر فقهاء الامصار على ان المرأة اذا انقطع حيضها لا يحل جماعها الا بعد ان تغتسل من الحيض وهذا قول مالك والاوزاعي والشافعي والثوري
والمشهور عن ابي حنيفة انها ان رأت الطهر دون عشرة ايام لم يقربها زوجها حتى تغتسل او يمضي عليها وقت صلوة وان رأته عشرة ايام جاز له ان يقربها قبل
الاغتسال حجة الشافعي ان القراءة المتواترة حجة بالاجماع فاذا حصلت قراءتان متواترتان وجب الجمع بينهما ما امكن فمن قرأ يطهرن بالتخفيف فانتهاء
الحرمة عند انقطاع الدم ومن قرأ يطهرن بالتثقيل فانها تتطهر بالماء والجمع بين الامرين ممكن بان يكون النهي
لحصول الشيئين ومعنى قوله ولا تقربوهن اي لا تجامعوهن وهذا كالتأكيد لقوله فاعتزلوا ويحتمل ان يكون ذلك نهيا عن المباشرة في موضع الدم وهذا
نهيا عن الالتذاذ بما يقرب من ذلك الموضع وايضا قوله فاذا تطهرن فأتوهن تعليق للاتيان على التطهر بكلمة اذا فوجب ان لا يجوز الاتيان عند عدم
التطهر والمراد بالتطهر الاغتسال لان هذا الحكم عائد الى ذات المرأة فوجب ان يحصل في كل بدنها لا في بعض من ابعاضها وعن عطاء وطاوس هو ان تغسل
الموضع وتتوضأ وقال بعضهم غسل الموضع ثم القائلون بوجوب الاغتسال اجمعوا ان التيمم يقوم مقامه عند عوز الماء من حيث امركم الله اي من
المأتى الذي امركم به وحلله لكم وهو القبل عن ابن عباس ومجاهد وابراهيم وقتادة وعكرمة وقال الاصم ان يأتوهن من حيث يحل لكم غشيانهن بان
لا يكن صائمات ولا معتكفات ولا محرمات وعن محمد بن الحنفية فأتوهن من قبل الحلال دون الفجور ان الله يحب التوابين مما عسى ان يبدر منهم من ارتكاب
ما نهوا عنه من ذلك كمجامعة الحائض الطاهر قبل الغسل واتيان الدبر ويحب المتطهرين المتنزهين عن تلك الفواحش وقيل التائب هو الذي فعله ثم تركه
والمتطهر هو الذي ما فعله تنزها عنه لان الذنب كالنجاسة روحانية حكمية انما المشركون نجس ويحب التوابين الذين يطهرون انفسهم بطهرة التوبة
من كل ذنب ويحب المتطهرين من جميع الاقذار والاوزار الحكم الثاني نساؤكم حرث لكم وانه جار مجرى البيان فأتوهن من حيث امركم الله دلالة على ان
الغرض الاصلي في الاتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة فينبغي ان يؤتى المأتى الذي هو مكان الحرث عن جابر قال كان اليهود يقولون اذا جامعها
من ورائها جاء الولد احول فنزلت هذه الاية وعن ابن عباس جاء عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هلكت قال وما اهلكك قال حولت رحلي
الليلة قال فلم يرد عليه شيئا فاوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية وتحويل الرحل قيل ظاهره الكناية عن الاتيان في غير المحل المعتاد وقيل المراد الاتيان في المحل
المعتاد لكن من جهة ظهرها وهذه كانت الانصار تنكران يأتي الرجل المرأة مجبية اي في قبلها من دبرها وكانوا اخذوا ذلك من اليهود وكانت قريش تفعل
ذلك فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الانصار فذهب يصنع بها ذلك فانكرته فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت نساؤكم حرث لكم
فأتوا حرثكم انى شئتم اي مقبلات ومدبرات ومستلقيات بعد ان يتقي الدبر والحيضة وذلك ان قوله حرث لكم اي مزرع ومنبت للولد وهذا على سبيل
التشبيه ففرج المرأة كالارض والنطفة كالبذر والولد كالنبات فانما اصل الحرث لا يحصل الا في مقام المزدرع اي هو موضع حرث فأتوهن كما تأتون اراضيكم
التي تريدون ان تحرثوها من اي جهة شئتم لا يحظر عليكم جهة دون جهة بعد ان يكون المأتي واحدا وهو موضع الحرث اعني القبل دون الدبر وهذا ما عليه
اكثر العلماء ويؤيده قوله عز من قائل قل هو اذى فاعتزلوا فجعل ثبوت الاذى علة للاعتزال ولا معنى للاذى الا ما يتاذى الانسان منه بنتن وتلوث

التوضيح لقوله

وتنفر عنه الطبع لاذى في الدبر حاصل بل ها هنا الاعتزال عند ولى الوجوب فمعنى أنى شئتم كيف شئتم من قبلها او من دبرها قائمة او باركة او مضطجعة وقيل انى بمعنى
اى فأتوا حرثكم اى وقت شئتم من اوقات الحل يعنى اذا لم تكن اجنبية ومحرمة او صائمة او حائضا وعن ابن عباس المعنى ان شاء عزل وان شاء لم يعزل وقيل
متى شئتم من ليل او نهار والاصح الاول وعن مالك والشيعة تجويز اتيان النساء في ادبارهن ويحكى ان نافعا نقل عن ابن عمر مثل ذلك واحتجوا بان الحرث
اسم المرأة لا للموضع المعين وبان قوله انى شئتم معناه من اين شئتم كقوله انى لك هذا اى من اين لك وكلمة اين تدل على تعدد الامكنة فيلزم ان يكون المأتى متعددا
وبقوله الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم ترك العمل بعمومه في حق الذكور لدلالة الاجماع فوجب ان يبقى معمولا به في حق الاناث ولا يخفى ضعف هذه
الحجج ولو سلم مساواتها لادلة الحرمة في القوة فالاجتناب محوط فكيف لا وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون من اتى امرأة في دبرها ولو لم يكن فيه الا انه
غرض لتولد التناسل الذى هو بقاء النوع الانسانى الذى هو اشرف انواع الكائنات لكفى مقتضيا للتحريم واذا كان الزنى لكونه مزيلا للنسب محرما وكذا
الخمر لكونها مفسدة للعقل والقتل لكونه مفنيا للشخص فلأن يحرم هذا العمل لكونه متضمنا لافناء النوع اولى كاللواط واتيان البهيمة والاستمناء
ولهذا اعقبه بقوله وقدموا لانفسكم اى افعلوا ما تستوجبون به الجنة والكرامة كقول الرجل لغيره قدم لنفسك عملا صالحا وذلك ان الآية اشتملت
على الاذن في احد الموضعين والمنع عن الموضع الآخر فكأنه قيل لا تكونوا في قيد قضاء الشهوة وانما يجب ان تكونوا في ربقة الاخلاص وتقديم الطاعة ثم انه
اكد ذلك بقوله واتقوا الله ثم زاد التأكيد بقوله واعلموا انكم ملاقوه وهذه التهديدات الثلاثة المتوالية لا تحسن الا اذا كانت مسبوقة بالنهى عن
شيء يشتهى فقوله وقدموا لانفسكم تحريض على فعل الطاعات ويندرج فيه ابتغاء الولد والتسمية عند الوقاع وغير ذلك من آداب الخلوة وقوله
واتقوا الله زجر عن المحظورات والمنكرات وقوله واعلموا انكم ملاقوه تذكير ليوم البعث والحساب الذى لولاه لضاع فعل الطاعات وترك المنهيات
وما احسن هذا الترتيب ثم قال وبشر المؤمنين كيلا يخلو الوعيد عن الوعد ولم يذكر المبشر به وهو الثواب والكرامة ونحوهما لانه كالمعلوم من نحو
قوله وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات واما لان الغرض تعظيم البشارة مثل فلان
يعطى الحكم التاسع ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم هذا نهى عن الجرأة على الله بكثرة الحلف فان من اكثر ذكر شيء في معنى من المعانى فقد جعله عرضة
اى معرضا له فقال فلا تجعلوه عرضة للايمان وقد ذم الله تعالى من اكثر الحلف بقوله ولا تطع كل حلاف مهين والحكمة فيه ان من حلف في كل قليل
وكثير بالله انطلق لسانه بذلك فلا يؤمن اقدامه على الايمان الكاذبة وايضا كلما كان الانسان اكثر تعظيما لله كان اكمل في العبودية ومن كمال التعظيم
ان يكون ذكر الله تعالى اجل واعلى عنده من ان يستشهد به في غرض من الاغراض الدنيوية وقوله ان تبروا علة للنهى اى ارادة ان تبروا وتتقوا
وتصلحوا بين الناس لان الحلاف مجترئ على الله غير معظم له فلا يكون برا متقيا فاذا ترك الحلف لاعتقاده ان الله اعظم واجل من ان يستشهد باسمه
العظيم في مطالب الدنيا اعتقد الناس صدق لهجته وبعده من الاغراض الفاسدة فعدوه برا متحرزا من الاخلال بواجب حق الله فيدخلونه في
وسائطهم واصلاح ذات بينهم ومعنى آخر وهو ان يكون العرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة فيكون اسما للشيء الذى يوضع في عرض
الطريق فيصير مانعا للناس من السلوك ومنه عرض العود على الاناء ويقول فلان عرضة دون الخير وذلك ان الرجل كان يحلف على بعض الخيرات
من صلة الرحم واصلاح او احسان او عبادة ثم يقول اخاف الله ان احنث في يمينى فيترك البر ارادة البر في يمينه فقيل ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم اى حاجزا لما
حلفتم عليه وسمى المحلوف عليه يمينا لتلبسه باليمين كما قال النبى صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذى هو خير وكفر
عن يمينك اى على شيء مما حلفت عليه فيكون قوله ان تبروا عطف بيان لايمانكم اى الامور المحلوف عليها التى هي البر والتقوى والاصلاح بين الناس وعلى هذا
فاللام في لايمانكم اما ان يتعلق بالفعل اى ولا تجعلوا الله لايمانكم برزخا وحجازا واما ان يتعلق بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض يعنى لا تجعلوا شيئا
يعترض البر ويجوز ان يكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا بالعرضة اى لا تجعلوا الله لاجل ايمانكم به عرضة لان تبروا والله سميع ان حلفتم به عليم

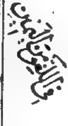

بنياتكم ان تركتم الحلف لاجلال ذكره واليمين في الاصل عبارة عن القوة فسمى الحلف به لان المقصود بها تقوية جانب البر على جانب الحنث اللغو
الذى لا يعتد به من كلام وغيره ولهذا قيل لما لا يعتد به من اولاد الابل في الدية لغو وهو في الاصل مصدر لغا يلغو قال صلى الله عليه وسلم من قال يوم الجمعة لصاحبه صه والامام
يخطب فقد لغا واختلف الفقهاء في اللغو من اليمين فمذهب الشافعى وهو قول عائشة والشعبى وعكرمة انه قول العرب لا والله وبلى والله مما يؤكدون
به كلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف فلو قيل لواحد منهم سمعتك اليوم تحلف في المسجد الحرام لانكر ذلك ولعله قال لا والله الف مرة ومذهب ابى حنيفة وهو قول
ابن عباس والحسن ومجاهد والنخعى والزهرى وسليمان بن يسار وقتادة والسدى ومكحول ان اللغو هو ان يحلف على شيء يعتقد انه كان ثم بان انه لم يكن وفائدة
الخلاف ان الشافعى لا يوجب الكفارة في قول الرجل لا والله وبلى والله ويوجبها فيما اذا حلف على شيء يعتقد انه كان ثم بان انه لم يكن وابو حنيفة يحكم بالضد
من ذلك حجة الشافعى انه تعالى جعل اللغو في اليمين كالمقابل المضاد لما يحصل بسبب كسب القلب لكن المراد من قوله بما كسبت قلوبكم هو الذى يقصد
الانسان على سبيل الجد ويربط به قلبه فيكون اللغو ما يجرى على اللسان في الكلام لا والله بلى والله فاما اذا حلف على شيء انه كان حاصلا جدا ثم ظهر انه لم
يكن فقد قصد الانسان بذلك اليمين تصديق قوله وربط قلبه به فلم يكن لغوا البتة ثم انه سبحانه ذكر قبل هذه الآية النهى عن كثرة الحلف فذكر عقيب
ذلك حال هؤلاء الذين يكثرون الحلف على سبيل الاعتياد في الكلام لا على سبيل القصد الى الحلف وبين انه لا مؤاخذة عليهم ولا كفارة لان ايجاب الكفارة
والمؤاخذة عليهم يفضى الى ان يمتنعوا عن الكلام او يلزمهم في كل لحظة كفارة وكلاهما حرج في الدين فظهر ان تفسير اللغو بما ذكرناه هو المناسب ويؤيده ما روى

عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اللغو في اليمين قول الرجل في كلامه كلا والله وبلى والله وروي انه مر بقوم ينتضلون ومعهم رجل من اصحابه فرمى رجل من القوم فقال اصبت والله ثم اخطأ فقال الذي مع النبي صلى الله عليه وسلم حنث الرجل يا رسول الله فقال كلا ايمان الرماة لغو لا كفارة فيها ولا عقوبة وعن عائشة انها قالت ايمان اللغو ما كان في المراء والهزل والمزاحة والحديث الذي لا يعقد عليها القلب واثر الصحابة في تفسير كلام الله حجة وقال ابو حنيفة اليمين معنى لا يلحقه الفسخ فلا يعتبر فيه القصد كالطلاق والعتاق وعليه اشارة قال من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير ثم ليكفر عن يمينه اوجب الكفارة على الحانث مطلقا من غير فصل بين الجد والهزل وقيل ان يمين اللغو هو ان يحلف على ترك طاعة او فعل معصية فبين الله تعالى انه لا يؤاخذ بترك هذه الايمان ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم اي بالاقامة على ذلك الذي حلفتم عليه من ترك الطاعة وفعل المعصية عن الضحاك ان اللغو هي اليمين المكفرة كانه قيل لا يؤاخذكم الله باسم الحلف اذا كفرتم وقيل هو ما يقع سهوا والمراد بما كسبت قلوبكم هو العمد اختاره القاضي ابو بكر ثم ان الشافعي فسر قوله لا يؤاخذكم لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين الذي لا قصد معه لكن يلزمكم الكفارة بما نوت قلوبكم وقصدت من الايمان ولم يكن كسب اللسان وحده وقال ابو حنيفة معناه لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه احدكم بالظن ولكن يعاقبكم بما اقترفته قلوبكم من اثم القصد الى الكذب في اليمين وهو ان يحلف على ما يعلم انه خلاف ما يقوله وهي اليمين الغموس قال مالك في الموطأ احسن ما سمعت في ذلك ان اللغو حلف الانسان على الشيء يستيقن انه كذلك ثم يوجد بخلافه فلا كفارة قال والذي يحلف على الشيء وهو يعلم انه فيه آثم كاذب ليرضي به احدا او يعتذر لمخلوق او يقتطع به مالا فهذا اعظم من ان يكون فيه كفارة وانما الكفارة على من حلف ان لا يفعل الشيء المباح له فعله ثم يفعله او ان يفعله ثم لا يفعله مثل ان حلف لا يبيع ثوبه بعشرة دراهم ثم يبيعه بذلك ويحلف ليضربن غلامه ثم لا يضربه والله غفور حليم حيث لم يؤاخذكم باللغو في ايمانكم واخر عقوبتكم بما كسبت قلوبكم لعلكم تتفكرون وتتوبون عنها الحكم العاشر للذين يؤلون من نسائهم يقال في اللغة آلى يؤلي ايلاء وائتلى ائتلاء وتألى والالية والالوة والقسم واليمين والحلف كلها واحد الحديث لعنه من تألى على الله اصل خلاف المقدر بين الايلاء في الشرع هو الحلف على الامتناع من وطء الزوجة مطلقا او مدة تزيد على اربعة اشهر وكان الايلاء طلاقا في الجاهلية فغير الشرع حكمه قال سعيد بن المسيب كان الرجل لا يريد المرأة ولا يحب ان يتزوجها غيره فيحلف ان لا يقربها وكان يتركها بذلك لا ايما ولا ذات بعل والغرض منه مضارة المرأة ثم ان اهل الاسلام كانوا يفعلون ذلك ايضا فازال الله تعالى ذلك وامهل الزوج حتى يتروى ويتأمل فان رأى المصلحة في ترك هذه المضارة فعلها وان رأى المصلحة في المفارقة فارقها ثم المتعارف ان يقال آلى فلان على كذا وانما عدي ههنا بمن لانه يقال لم من نسائهم تربص اربعة اشهر كما يقال لي منك كذا او ضمن هذا القسم المخصوص معنى البعد فكانه قيل يبعدون من نسائهم مؤلين او معنى التربص التلبث والانتظار واضافته الى اربعة اشهر اضافة المصدر الى الظرف كقولهم بينهما مسيرة يوم اي مسيرة في يوم فان فاؤا فان رجعوا عما حلفوا عليه من ترك جماعها فان الله غفور رحيم يغفر للمولين ما عسى يقدمون عليه من طلب الضرار بالايلاء وهو الغالب وان كان من الجائز كونه على رضى منهن اشفاقا منهن على الولد من الغيل او لغير ذلك من الاسباب وان عزموا الطلاق فان عزموا قطع حبل رابطة النكاح فان الله سميع عليم وعيد على اصرارهم وتركهم الفيئة الرحمة مثل الموعد واعلم ان الايلاء له اركان اربعة الحالف والمحلوف به والمحلوف عليه والمدة اما الركن الاول الحالف فهو كل زوج يتصور منه الوقاع وكان تصرفه معتبرا في الشرع فيصح ايلاء الذمي لعموم قوله للذين يؤلون وبه قال ابو حنيفة وقال ابو يوسف ومحمد لا يصح ايلاؤه بالله ويصح بالطلاق والعتاق ولا فرق عند الشافعي بين الحر والرقيق في المدة وعند ابي حنيفة تنتصف برق المرأة وعند مالك برق الرجل كما في الطلاق ولنا ان التخصيص خلاف الظاهر ولان تقدير هذه المدة انما كان لاجل معنى يرجع الى الجبلة والطبع وهو قلة الصبر على مفارقة الزوج فيستوي فيه الحر والرقيق كالحيض ومدة الرضاع ومدة العنة ويصح الايلاء في حالتي الرضاء والغضب لعموم الآية وقال مالك لا يصح الا في حال الغضب ولا يصح الايلاء عن المرأة سواء كانت في صلب النكاح او كانت مطلقة طلقة رجعية لان الرجعية تصدق عليها انها من نسائه بدليل انه لو قال نسائي طوالق وقع الطلاق عليها فتدخل تحت ظاهر قوله يؤلون من نسائهم ولهذا لو قال لاجنبية والله لا اجامعك لم يكن موليا والايلاء الخصي صحيح لانه يجامع كما يجامع الفحل غير انه لا ينزل ومن جب جميع ذكره ففي ايلائه على الاظهر لانه لا يتحقق منه قصد الايلاء لامتناع الامر في نفسه كذا الاشل ومن بقي من ذكره بعد الجب دون قدر الحشفة فان آلى ثم جب فالاصح ثبوت الخيار لها فان لم تفسخ بقي الايلاء على الاظهر لان العجز عارض وقد قصد الاضرار في الابتداء واذا كانت المرأة رتقاء او قرناء فالحكم كما في الجب ولا يصح ايلاء الصبي والمجنون الركن الثاني المحلوف به وهو اما الله تعالى وصفاته او غيره فان حلف بالله كان موليا ثم ان جامعها في مدة الايلاء خرج عن الايلاء وهل يجب عليه كفارة اليمين الجديد وقول ابي حنيفة انه يجب عليه كفارة اليمين لان الدلائل الدالة على وجوب الكفارة عند الحنث باليمين عامة واي فرق بين ان يقول والله لا اقربك ثم يقربها وبين ان يقول والله لا اكلمك ثم يكلمها وانما لم يذكر الكفارة في الآية لانها مبينة في سائر المواضع من القرآن وعلى لسان الرسول وقوله تعالى فان الله غفور رحيم يدل على عدم العقاب فانه لا ينافي الكفارة وكما ان التائب عن الزنا والقتل لا عقاب عليه ومع ذلك يجب عليه الحد والقصاص واما ان كان الحلف في الايلاء بغيرهما كما اذا قال ان وطئتك فعلي عتق رقبة او صدقة او حج او صوم او صلوة فهل يكون موليا الجديد وهو قول ابي حنيفة ومالك وجماعة من العلماء انه يكون موليا لان العتق والطلاق المعلقين بالوطء يحصلان لو وطئ فيكون مما يلزمه بالوطء ما فيه مانع من الوطء فيكون هو بتعليقه بالوطء مضرا بها فيثبت لها المطالبة كما في اليمين بالله تعالى ويضيق الامر عليه بعد مضي اربعة اشهر ليفيء او يطلق ولا يخفى انه لو كان المعلق به التزام قربة في الذمة فعليه ما في نذر اللجاج وفيه اقوال اصحها ان عليه

عليه كفارة اليمين الثاني عليه الوفاء بما سمي والثالث التخيير بين كفارة اليمين وبين الوفاء الركن الثالث المحلوف عليه وهو الجماع هذا من صريح الفاظه و
كذا النيك والوطي والاصابة ومن كناياتها المباضعة والملامسة والمباشرة فلا تعمل الا بالنية الركن الرابع المدة عن ابن عباس انه لا يكون موليا حتى يحلف
ان لا يطأها ابدا وعن الحسن واسحاق انه مول ان حلف يوما وهذان المذهبان في غاية البعد وعن ابي حنيفة والثوري انه لا يكون موليا حتى يحلف على ان لا
يطأها اربعة اشهر فصاعدا جعل الاربعة اشهر وهذه المدة يكون حقا للزوج فاذا مضت طالبت المرأة الزوج بالفيئة او الطلاق فان امتنع الزوج منهما طلقها
الحاكم عليه وعند ابي حنيفة اذا مضت اربعة اشهر يقع الطلاق بنفسه حجة الشافعي ان الفاء في قوله فان فاءوا يقتضي كون ما بعده من حكم الفيئة والطلاق
مشروعا متراخيا عن انقضاء الاشهر الاربعة وايضا قوله وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم صريح في ان وقوع الطلاق انما يكون بايقاع الزوج وفي ان
الزوج لا بد ان يصدر عنه شيء يكون مسموعا وما ذاك الا ايقاع الطلاق اجاب ابو حنيفة بان قوله فان فاءوا تفصيل الحكم المتقدم كما تقول انا نزيلكم
هذا الشهر فان احمدتكم اقمت عندكم الى اخره والا لم اقم الا ريثما اتحول وايضا الايلاء طلاق في نفسه فالطلاق اشارة اليه وايضا الغالب ان العازم للطلاق والضرار
وترك الفيئة لا يخلو من مقاولة ودمدمة وحديث نفس فذلك الذي يسمعه الله كما يسمع وسوسة الشيطان واستدل على صحة مذهبه بان الفيئة لا بد ان
تقع في الاشهر بقراءة عبد الله بن مسعود فان فاءوا فيهن ورد بانها شاذة فلا معول عليها والرجوع الى الحق اولى والله حسبي التاويل كما ان للنساء حيضا
في الظاهر وهو سبب نقصان ايمانهن بمنعهن عن الصلوة والصيام فكذا للرجال حيض في الباطن وهو سبب نقصان ايمانهم بمنعهم عن حقيقة الصلوة
وهي المناجاة وعن حقيقة الصوم وهي الامساك عن مشتهيات النفوس كما ان الحيض هو غلبة الدم فكذلك الهوى هو غلبات دواعي الصفات البشرية و
الحاجات الانسانية فكلما غلب الهوى تكدر الصفاء وحصل الاذى فقد قيل قطرة من الهوى تكدر بحرا من الصفاء فلذلك نودي من سرادقات الجلال ايها
الرجال اعتزلوا نساء النفوس في محيض غلبات الهوى حتى يطهرن بالفجر عن قضاء الحوائج الضرورية للانسان من الماكول والمشروب والمنكوح فاذا تطهرن
بماء التوبة والانابة ورجعن الى الحضرة في طلب القربة فاتوهن من حيث امركم الله بمعونة ظهور شواهد الحق لا من قبل باطل النفس واستيلاء الهوى ان الله
يحب التوابين عن لوث الوجود ويحب المتطهرين باخلاق المعبود بل يحب التوابين عن بقاء الوجود ويحب المتطهرين بماء الشهود نساؤكم حرث لكم
ايها الرجال البالغون الواصلون الى عالم الحقيقة المتصرفون فيما سوى الله بخلافة الحق فهم رجال الله وما دون الله نساؤهم وهم الانبياء والاولياء القائمون
بالله العارفون بالله باذنه فكما ان الدنيا مزرعة الاخرة للقوم فالدنيا والاخرة مزرعتهم ومحرثهم يحرثون فيهما انى شاؤوا وكيف شاؤوا ومتى شاؤوا الا
ان يشاء الله فعند ذلك مشيئتهم في مشيئته وتصرفهم بتقويته لا يؤاخذكم الله القلب كالارض للزراعة والجوارح كالات الحراثة والا
والاقوال كالبذر فالبذر ما لم يقع في الارض المرتبة للزراعة لا ينبت حبة كان في الارض الا ان الحراثة اما ان كان مما يجري على الظواهر من الجوارح في اثر في القلب
ولو كان مثقال ذرة فانه يثمر من كمال فضله وكرمه لا يضيع بل يضاعفه وان كان مما يجري عليه لغوا فان لم يكن له اثر في القلب كان لغوا لا يؤاخذ
وان كان له اثر في القلب فهو بصدد المؤاخذة وان شاء الله عفى للذين يؤلون من نسائهم من فعله من اهل القصد فقد وقع في اثناء السلوك من ملالة
النفس ونفرة الطبع فعلى الشيخ والاصحاب ان لا يعادوه في الحقيقة ويعاونوه بالهمم العالية ويتربصوا اربعة اشهر للرجوع لان هذه مدة تعلق الروح بالجنين
كما جاء في الحديث ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك الحديث فان فاءوا الفيئة الى صدق الطلب
وبلغ حد الصحة ونفخ فيه روح الارادة مرة اخرى لا تحطوه عن القبول فان هذا سبيل لا يهتدي اليه الا الرجال ربع لا يسكنه الا المغربلون
بل هو لكم جهود الا العارفون ومغناه لا يطرب عليه الا العاشقون وان عزموا الطلاق بعزيمة على طلاق الوصل فان الله سميع لمقالتهم عليم بحالهم
وهو حسبي

وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلٰثَةَ قُرُوٓءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللّٰهُ فِيٓ أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ

و زنان طلاق داده شده انتظار کشند بنفسهای خود سه پاکی و روا نباشد مر ایشان را که پوشیده کنند آنچه آفریده است خدا در رحمهای ایشان اگر هستند

يُؤْمِنَّ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ

که بگروند بخدا و روز پسین و شوهران ایشان سزاوارترند بباز گردانیدن ایشان درین اگر خواهند اصلاح کردن و مر ایشان راست مانند حقهای مردان بر زنان به نیکوئی

وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللّٰهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ اَلطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ

و مر مردانرا بر زنان افزونی مرتبه و خدا غالب و با حکمت است طلاق شرعی دو بار است پس نگاه داشتن بنیکوئی یا رها کردن بخوبی و روا نیست مر شما را که

تَأْخُذُوا مِمَّآ اٰتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّآ أَنْ يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللّٰهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللّٰهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا

بگیرید از آنچه داده باشید ایشانرا چیزی مگر آنکه بترسند که برپای ندارند احکام خدای پس اگر بترسید که برپای ندارند احکام خدای را پس نیست گناهی بر ایشان

فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللّٰهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّٰهِ فَأُولٰٓئِكَ هُمُ الظّٰلِمُونَ ۝ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ

در چیزی که زن بدهد بعوض خود اینست احکامهای خدا پس تجاوز مکنید ازان و هر که از حد درگذرد احکام خدا را پس آن گروه ایشانند ستمکاران پس اگر طلاق داد او را پس حلال نیست او را

مِنْ بَعْدُ حَتّٰى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَنْ يَتَرَاجَعَآ إِنْ ظَنَّآ أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللّٰهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللّٰهِ

پس از آن تا نکاح کند شوهری غیر او را پس اگر طلاق داد او را پس نیست گناهی بر ایشان که باز گردند بیکدیگر اگر دانند که برپای دارند احکام خدا را و اینست احکام خدا

يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ

ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا آيات الله هزوا واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم ۝ واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم ازكى لكم واطهر والله يعلم وانتم لا تعلمون ۝ القراءات يخافا بضم الياء يزيد وحمزة ويعقوب الباقون بفتح الياء بينهما بالنون المفضل الباقون بياء الغيبة يفعل ذلك مدغما حيث كان ابو الحرث عن علي فقد ظلم مظهر ابن كثير وابو جعفر ونافع غير ورش وعاصم

غير الاعشى الوقوف ... الآخر ... المفسرين ... تفضيل الرجال ... حكيم ... باحسان ... الاول ... التطليق ... الزوج الثاني على خطر الوجود لا منتظر ... فكان ... من مقتضى الجملة الاولى ... الله يعلمون ... وسرحوهن بمعروف ... الكلام ... بمعروف ... الآخر ... لا تعلمون التفسير الحكم الحادي عشر الطلاق ويشتمل على احكام اولها وجوب العدة واعلم ان المطلقة وهي التي وقع الطلاق عليها اما ان يكون اجنبية ولا يقع الطلاق عليها في عرف الشرع بالاجماع واما ان يكون منكوحة وحينئذ اما ان لا يكون مدخولا بها ولا عدة عليها لقوله تعالى اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها واما ان يكون مدخولا بها وحينئذ ان كانت حاملا فعدتها بوضع الحمل لقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وان كانت حائلا فان امتنع الحيض في حقها اما للصغر المفرط والكبر المفرط فعدتها بالاشهر لا بالاقراء لقوله سبحانه واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر واللائي لم يحضن وان كان الحيض في حقها ممكنا فان كانت رقيقة فعدتها قرءان وان كانت حرة فعدتها ثلاثة قروء وهذه الآية والمطلقات لا يتناول الا المنكوحة الحرة المدخول بها من ذوات الحيض فهذا العام مما يحسن تخصيصه اذا كان الباقي اكثر من حيث نحو العادة ... لفظ الكل على الغالب ... المطلوب ... ولا يبالي ... قسم الواحد من الاقسام الخمسة فكيف يحسن اطلاق لفظ العام عليه ... الاجنبية تخرج بعرف الشرع كما مر واما غير المدخول بها فالقرينة تخرجها لان المقصود من العدة براءة الرحم وكذا الحامل ... لا يطلب الاعتداد ... الاقراء ... واما الرقيقة ... لا ... خبر ... صورة الخبر اشعارا بانه مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى امتثاله فكانهن امتثلن ... موجودا وبناء الكلام على المبتدا ... لم يكن ... ثلاثة قروء ... على التربص ... نفس ... طوامح الى الرجال نوازع اليهم فامرن ان يقمعن انفسهن ... القروء جمع قرء ... بفتح القاف وضمها ... والصحاح بفتح القاف فقط ولا خلاف ان اسم القرء يقع على الطهر والحيض والمشهور انه حقيقة فيهما وقيل حقيقة في الحيض مجاز في الطهر وقيل بالعكس وقيل انه موضوع لمعنى واحد مشترك بينهما اما لان القرء هو الاجتماع ثم في وقت الحيض يجتمع الدم في الرحم وفي وقت الطهر يجتمع الدم في البدن وهو قول الاصمعي والاخفش والفراء والكسائي واما لانه عبارة عن الانتقال من حالة الى حالة وهو قول ابي عبيد واما لان القرء هو الوقت يقال ... لوقت هبوبها ولا يخفى ان لكل من الطهر والحيض وقتا معينا وهذا قول ابي عمرو بن العلاء ثم ان الله تعالى امر المطلقة بثلاثة اشياء تسمى اقراء لكن العلماء اجمعوا على ان الثلاثة يجب ان يكون من احد الجنسين ثم اختلفوا فذهب الشافعي الى انها الاطهار ... عن ابن عمر وزيد وعائشة ومالك وربيعة واحمد في رواية وعن عمر وعلي وابن مسعود هي الحيض وهو قول ابي حنيفة والثوري والاوزاعي وابن ابي ليلى وفائدة الخلاف ان مدة العدة عند الشافعي اقصر حتى لو طلقها في حال الطهر يحسب بقية الطهر قرءا وان حاضت عقيبه في الحال فاذا شرعت في الحيضة الثالثة انقضت عدتها وعند ابي حنيفة ما لم تطهر من الحيضة الثالثة ان كان الطلاق في حال الطهر ومن الحيضة الرابعة ان كان في حال الحيض لا يحكم بانقضاء عدتها ثم قال اذا طهرت لاكثر الحيض تنقضي عدتها قبل الغسل وان طهرت لاقل الحيض لم تنقض عدتها حتى تغتسل او تتيمم عند عدم الماء او يمضي عليها وقت صلوة حجة الشافعي قوله ثم طلقوهن لعدتهن اي في زمان عدتهن ... اجيب بان معنى الآية مستقبلات لعدتهن كما تقول لثلاث بقين من الشهر اي مستقبلا للثلاث ... هذا يقوي تمسك الشافعي لان قول القائل لثلاث بقين من الشهر معناه لزمان يقع الشروع في الثلث عقيبه فمعنى الآية طلقوهن بحيث يحصل الشروع في العدة عقيبه ولما كان الاذن حاصلا بالتطليق في جميع زمان الطهر وجب ان يكون الطهر الحاصل عقيب زمان التطليق من العدة وروي عن عائشة انها قالت هل تدرون ما الاقراء الاطهار ثم قال الشافعي النساء بهذا اعلم ... الجمع ... احوال الرحم اجتماعا ... الا على الدم ... الطهر ... لما ... الخارج ... الطهر ... الاجتماع والانتقال الى الخروج ... الاجتماع ... الطهر هو القرء بالحقيقة ... الاعتداد بالاطهار اقل زمانا من الاعتداد بالحيض ... لان الاصل ان لا يكون لاحد على غيره حق الحبس ... وكلما كانت المدة اقل كان اقرب الى ...

ومن فرع الطلاق الرجعي

فعدتهن

هذا الاصل هو وقوله ابن (؟) الاية تدل على انها اذا اعتدت بثلثة اشياء تسمى قرءا خرجت عن العهدة فيكون متمكنا من الاعتداد بالاطهار التي
مدتها اقل من الاعتداد بالحيض التي مدتها اكثر فيكون الاعتداد بالمدة الزائدة على مدة الاطهار غير واجب حجة ابي حنيفة قوله صلى الله عليه وسلم دعي الصلوة
ايام اقرائك وقوله طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان ولان الغرض الاصلي من العدة استبراء الرحم والحيض هو الذي يستبرأ به الارحام ولان
الاصل في الابضاع الحرمة وفي تقليل مدة العدة تحليل بضعها للزوج الثاني فالتكثير احوط ولان الطلاق في طهر كامل على بعض العلماء خلاف الظاهر
واذا تعارضت الوجوه وضعفت الترجيحات يكون حكم الله تعالى في كل احد ما ادى اجتهاده اليه وانتصاب ثلثة قروء على انه مفعول به كقولك
المحتكر يتربص الغلاء ثلثة قروء او على الظرف اي مدة ثلثة قروء وانما جاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التي هي الاقراء للاتساع فانهم يستعملون
كل واحد من الجمعين مكان الاخر ولعله لما قال بانفسهن وما هي الا نفوس كثيرة وايضا فلعل القروء كان اكثر استعمالا فنزل القليل منزلة المهمل فيكون مثل
قولهم ثلثة شسوع ثم ان امر العدة لما كان مبنيا على انقضاء القرء في حق ذوات الاقراء وعلى وضع الحمل في حق الحامل وكان الوصول الى معرفة
ذلك متعذرا على الرجال جعلت المرأة امينة في العدة وجعل القول قولها اذا ادعت انقضاء قرئها في مدة يمكن ذلك فيها وهو عند الشافعي
اثنان وثلثون يوما وساعة لانها اذا طلقت طاهرا فحاضت بعد ساعة ثم حاضت يوما وليلة وهو اقل الحيض ثم طهرت خمسة عشر يوما
وهو اقل الطهر ثم حاضت مرة اخرى يوما وليلة ثم طهرت خمسة عشر ثم رأت الدم فقد انقضت عدتها بحصول ثلثة اطهار فاذا ادعت هذا او اكثر
منه قبل قولها وكذلك اذا كانت حاملا فادعت سقوط الولد كان القول قولها لانها على اصل امانتها فلهذا قال سبحانه ولا يحل لهن ان يكتمن
ما خلق الله في ارحامهن فاكثر المفسرين قالوا ان الكتمان راجع الى الحبل والحيض معا وذلك ان المرأة لها اغراض كثيرة في كتمانها اما كتمان الحمل فاذا
كتمت الحمل قصرت مدة عدتها فتزوج بسرعة وربما كرهت مراجعة الزوج الاول وربما احبت التزوج بزوج اخر واحبت ان تلحق ولدها بالزوج الثاني
واما كتمان الحيض فغرضها فيه ان المرأة اذا طلقها الزوج وهي من ذوات الاقراء فقد تحب تطويل عدتها لكي يراجعها الزوج الاول وقد تحب تقصير عدتها
لتبطل رجعته فاذا حاضت ولا مكنته ثم طهرت عند الحيضة الثانية ان تلك اول حيضها فقد طولت العدة وكذا ان كتمت الحيضة الثالثة
واذا كتمت ان حيضها باق فقد قطعت الرجعة على زوجها وقيل المراد النهي عن كتمان الحبل فقط لان المخلوق في الارحام هو الحبل لا الحيض ولان حمل
المطلق على ما هو شريف اولى لقوله تعالى هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء وقيل المراد النهي عن كتمان الحيض لان الاية وردت عقيب ذكر الاقراء
ولم يتقدم ذكر الحمل وقيل يجوز ان يراد اللاتي يبغين اسقاط ما في بطونهن من الاجنة فلا يعترفن به بل يجحدنه لذلك فجعل كتمان ما في ارحامهن كناية
عن اسقاطه وفي قوله ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر تعظيم لفعلهن ان من امن بالله وبعقابه لا يجترئ على مثله من العظائم وفيه ان من جعل امينا في شيء
فخان فيه فامره عند الله شديد ثم بين الحكم الثاني للطلاق وهو الرجعة وذلك قوله وبعولتهن احق بردهن والبعل الزوج والجمع البعولة والتاء لتأكيد التأنيث
في الجماعة كصقورة ولا يجوز هذا في كل جمع انما هو مقصور على السماع يقال للمرأة ايضا بعل وبعلة كما يقال زوج وزوجة والبعل السيد المالك يقال من
بعل هذه الناقة اي من ربها وصاحبها ويجوز ان يراد بالبعولة المصدر من قولك بعل حسن البعولة وعلى هذا فالمضاف محذوف اي اهل بعولتهن
احق بردهن برجعتهن فان الرد في موضع ان ردت الى بيتي في موضع اخر ولئن رجعت فكانه يردها من التربص الى خلافه ومن الحرمة الى الحل في ذلك
اي في مدة التربص لانه اذا انقضى ذلك الوقت بطل حق الرد والرجعة وانما يكون البعولة احق عند الله تعالى برجعتهن ان ارادوا اصلاحا لما بينهم
وبينهن واحسانا اليهن لا اضرارا وتطويل العدة كما في قوله ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا فاما من اراد بها العضل والاضرار فيستوجب من الله العقاب وان صحت
رجعته شرعا لانا نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر فان قيل كيف جعلوا احق بالرجعة كان للنساء حقا فيها فالجواب ان الرجل ان اراد الرجعة
ابتها المرأة وجب ايثار قوله على قولها فهذا هو المعنى بالاحقية او نقول انهن ان كتمن ما في ارحامهن لاجل ان يتزوج بهن اخر فاذا فعلن ذلك كان
الزوج الاول احق بردهن لان ثبت للزوج الثاني حق في الظاهر من الحقوق على الرجال مثل الذي للرجال عليهن بالمعروف بالوجه الذي لا ينكر في الشرع
وعادات الناس فلا يكلفنهم ما ليس لهن ولا يكلفونهن ما ليس لهم والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب بالواجب في كونه حسنة لا في جنس الفعل فاذا غسلت
ثيابه وخبزت له لم يجب عليه ان يفعل نحو ذلك ولكن يقابله بما يليق بالرجال قال ابو هريرة قيل يا رسول الله اي النساء خير قال التي تسره اذا نظر
وتطيعه اذا امر ولا تخالفه في نفسها وما لها بما يكره وفي حديث حجة الوداع الا ان لكم على نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقا فحقكم عليهن ان لا يوطئن
فرشكم من تكرهون ولا ياذن في بيوتكم لمن تكرهون الا وحقهن عليكم ان تحسنوا اليهن في كسوتهن وطعامهن وعن ابن عباس انه قال اني لاتزين لامرأتي
كما تتزين لي لقوله تعالى ولهن مثل الذي عليهن وقيل معنى الاية ولهن على الزوج من ارادة الاصلاح عند المراجعة مثل ما عليهن من ترك الكتمان
وللرجال عليهن درجة زيادة في الحق وفضيلة وهي واحدة الدرجات الطبقات من المراتب واصلها من درج الرجل والضب يدرج دروجا اي مشى
ودرج اي مضى لسبيله ودرج القوم اذا انقرضوا وفي المثل اكذب من دب ودرج اي اكذب الاحياء والاموات وقد فضل الله الرجال على النساء
في امور في العقل وفي الدية وفي الميراث وفي نصيب من الغنيمة وفي صلاحية الامامة والقضاء والشهادة وفي ان له ان يتزوج عليها ويتسرى وليس
لها ذلك وفي ان له ان يطلقها واذا طلقها راجعها شاءت المرأة ام ابت ولا قدرة للمرأة على التطليق ولا على الرجعة فان المرأة كالاسير العاجز في يد
الرجل ولهذا قال صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فانهن عندكم عوان وفي خبر اخر اتقوا الله في الضعيفين اليتيم والمرأة وكان من كمال نعمة الله

عليه كثير كان سد باب الذنب عليه أقبح واستحقاقه للزجر أشد وقيل بل الغرض من الآية ان فوائد الزوجية من السكن والازدواج والالفة والمودة واشتباك
الانساب واستكثار الاعوان والاحباب وحصول اللذة وكل ذلك مشترك بين الجانبين بل يمكن ان يقال نصيب المرأة منها اوفر ثم ان الزوج اختص
بانواع من الكلفة وهي التزام المهر والنفقة والذب عنها والقيام بمصالحها فيكون وجوب الخدمة على المرأة اشد رعاية لهذه الحقوق الزائدة فهو
كقوله تعالى الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو امرت احدا ان يسجد لغير الله لامرت
المرأة ان تسجد لزوجها والله عزيز حكيم غالب لا يمنع مصيب في افعاله واحكامه لا يتطرق اليها احتمال العبث والسفه والغلط والباطل الحكم الثالث الطلاق
هو الطلاق الذي تثبت فيه الرجعة وذلك ان الرجل في الجاهلية كان يطلق امرأته ثم يراجعها قبل ان تنقضي عدتها ولو طلقها الف مرة كانت القدرة على
المراجعة ثابتة له فجاءت امرأة الى عائشة فشكت ان زوجها يطلقها ويراجعها يضارها بذلك فذكرت عائشة ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل الطلاق مرتان
وعلى هذا يكون الآية متعلقة بما قبلها والمعنى ان الطلاق الرجعي مرتان ولا رجعة بعد الثلاث وهذا تفسير من جوز الجمع بين الطلقات الثلاث وهو
مذهب الشافعي وهو الأليق بنظم الكلام لانه تعالى بين في الآية الاولى ان حق الرجعة ثابت للزوج ولم يذكر ان ذلك الحق ثابت دائما او الى غاية معينة فكان
ذلك كالمجمل او العام فيفتقر الى مبين او مخصص فذكر عقيبه ان الطلاق الذي يثبت فيه للزوج حق الرجعة هو ان يوجد طلقتان فقط
فاذا وصلت التطليقة الى هذه الغاية بطل حق الرجعة والطلاق بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم وقيل ان هذا كلام مبتدأ والمعنى ان التطليق
الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال دفعة واحدة ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير كقوله ثم ارجع البصر كرتين اي
كرة بعد كرة وقولهم لبيك وسعديك وهذا التفسير قول من قال الجمع بين الثلاث حرام وزعم ابو زيد الدبوسي في الاسرار ان هذا هو قول عمر وعثمان
وعلي وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وعمران بن الحصين وابي موسى الاشعري وابي الدرداء وحذيفة رضي الله عنهم ويؤكده العدول عن لفظ الامر
بالتفريق الى لفظ الخبر كما في قوله والمطلقات يتربصن ثم من هؤلاء من قال لو طلقها اثنتين او ثلاثا لا يقع الا واحدة وهذا هو الاقيس
واختاره كثير من علماء اهل البيت لان النهي يدل على اشتمال المنهي عنه على مفسدة راجحة والقول بالوقوع سعي في ادخال تلك المفسدة في الوجود
ومنهم من قال وهو اختيار ابي حنيفة انه وان كان محرما الا انه يقع ويكون بدعة والسنة ان لا يوقع عليها الا واحدة في طهر لم يجامعها فيه وهذا منه
بناء على ان النهي لا يدل على الفساد ومما يؤيد مذهب الشافعي حديث العجلاني الذي لاعن امرأته فطلقها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينكر عليه ومما
يؤكد مذهب ابي حنيفة حديث ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له انما السنة ان تستقبل الطهر استقبالا فتطلقها لكل قرء تطليقة اما قوله تعالى فامساك
بمعروف او تسريح باحسان اي امركم بعده معرفة كيفية التطليق احد هذين التسريح والارسال واما الطلاقة الامساك نقيضه فمعنى الامساك بالمعروف
هو ان يراجعها لا على قصد المضارة بل على قصد الاصلاح وحسن العشرة والصحبة ومعنى التسريح باحسان قيل هو ان يوقع عليها الطلقة الثالثة روي انه لما نزل قوله تعالى الطلاق
مرتان قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاين الثالثة فقال هو قوله او تسريح باحسان وقيل هو ان يترك المراجعة حتى تبين بانقضاء العدة ويروى عن الضحاك والسدي وهو
اقرب لولا الخبر المذكور وذلك لان الفاء في قوله فان طلقها يقتضي وقوع هذه الطلقة متأخرة عن ذلك التسريح فلو كان المراد بالتسريح هو الطلقة
الثالثة لكان قوله فان طلقها رابعة والتعقيب غير جائز ولانا لو حملنا التسريح على ترك المراجعة كانت الآية متناولة لجميع الاقسام لانه بعد الطلقة الثانية
اما ان يراجعها وهو قوله فامساك بمعروف او لا يراجعها بل يتركها حتى تنقضي عدتها فتحصل البينونة وهو قوله او تسريح باحسان او يطلقها
وذلك قوله فان طلقها فلو جعلنا التسريح طلاقا لزم اهمال احد الاقسام وتكرير بعضها واما الحكمة في اثبات حق الرجعة فهي ان النعم مجهولة
اذا فقدت عرفت فلو كان الطلقة الواحدة مانعة عن الرجعة فربما ظهر الحب بعد المفارقة وعظمت المشقة ثم ان كمال التجربة لا يحصل بالمرة الواحدة
فلهذا اثبت حق المراجعة بعد المفارقة مرتين لتجرب الانسان احوال قلبه فان كان الاصلح امساكها راجعها وامسكها بالمعروف وان كان الاصلح
تسريحها سرحها على احسن الوجوه وهو ان يؤدي حقوقها المالية ولا يذكرها بعد المفارقة بسوء ولا ينفر الناس عنها وهذا التدريج والترتيب يدل
على كمال رأفته بعبيده الحكم الرابع من احكام الطلاق بيان الخلع وذلك قوله تعالى ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئا مما اعطيتموهن من المهر والثياب
وسائر ما تفضل به عليها لانه ملك بضعها واستمتع بها في مقابلة ما اعطاها الا اذا كان فراقها على عوض ويدخل في هذا النهي ان يضيق عليها
ليلجئها الى الافتداء كما قال في سورة النساء ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن والخطاب في قوله ولا يحل لكم للازواج وفي قوله فان خفتم
للائمة والحكام ويجوز ان يكون الخطاب الاول ايضا للائمة لانهم الذين يأمرون بالاخذ والايتاء عند الترافع اليهم فكانهم الآخذون والمؤتون روي
ان الآية نزلت في جميلة بنت عبد الله بن ابي وفي سنن ابي داود ان المرأة كانت حبيبة بنت سهل الانصارية كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس
وكانت تبغضه اشد البغض وكان يحبها اشد الحب فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت فرق بيني وبينه فاني ابغضه والله ما اعيبه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر
في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرأيته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فقال ثابت مرها فلترد علي
الحديقة التي اعطيتها فقال لها ما تقولين قالت نعم وازيده فقال صلى الله عليه وسلم لا حديقته فقط ثم قال لثابت خذ منها ما اعطيتها وخل سبيلها ففعل
فكان ذلك اول خلع في الاسلام ومعنى قوله الا ان يخافا الا يقيما حدود الله الا ان يخاف الزوجان ترك اقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية
واختلفوا في مقدار ما يجوز به الخلع فعن الشعبي والزهري والحسن وعطاء وطاوس لا يجوز ان يأخذ اكثر مما اعطاها وهو قول علي كرم الله وجهه

ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئا ثم قال فلا جناح عليهما اي فلا جناح على الرجل فيما اخذ ولا عليها فيما اعطت فيما افتدت به رضا انفس
بنفسها واختلعت به فوجب ان يكون هذا راجعا اليهما تماما ولقوله عليه السلام لامرأة ثابت بن قيس حين قالت جميلة نعم وازيده لا ان ذلك اجحاف بجانب المرأة و
ضرار بالمرأة بعد ما استبيح من بضعها ولهذا قال سعيد بن المسيب لا يأخذ الا دون ما اعطاها حتى يكون الفضل له واما سائر الفقهاء فانهم قالوا
الخلع عقد معاوضة فينبغي ان لا يتقيد بمقدار معين فكما ان للمرأة عند النكاح ان لا ترضى الا بالصداق الكثير فكذلك للزوج ان لا يرضى عند المخالعة
الا بالبدل الكثير لا سيما وقد اظهرت الاستخفاف بالزوج حيث اظهرت بغضه وكراهته ومما يؤكد هذا بما روي ان امرأة نشزت على زوجها فرفعت الى
عمر فباتت في بيت الزبل ثلث ليال ثم دعاها فقال كيف وجدت مبيتك فقالت ما بت منذ كنت عنده اقر لعيني منهن فقال عمر لزوجها اخلعها
ولو بقرطها حتى قرطها ولهذا قال قتادة يعني بمالها كله وقيل هو من قولهم خذه ولو بقرطي مارية وذلك نه كانت فيه دران قيمتهما اربعون
الف دينار ويصح الخلع في حالة الشقاق والوفاق عند اكثر المجتهدين لقوله تعالى فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا فانها
لما ان تهب مهرها من غير ان يحصل لنفسها شيئا بازاء ما بذلت كان ذلك في الخلع الذي تصير به مالكة لنفسها اولى وذهب الزهري والنخعي
وداود الى انه لا يباح الخلع الا عند الغضب او الخوف من ان لا يقيما حدود الله كما في الآية وان وقع الخلع في غير هذه الحالة فالخلع فاسد والجمهور على
انه لا كراهة في الخلع ان جرى في حال الشقاق او كانت تكره صحبته لسوء خلقه او دينه كما في الآية او تحرجت عن الاخلال ببعض حقوقه لما بها
من الكراهة فافتدت بالتخلص منه وان كان الزوج مكرها صحبتها فاساء العشرة ومنعها بعض حقها حتى ضجرت وافتدت فالخلع مكروه وان كان
نافذا والزوج مأثوم بما فعل والخلع المباح هو ان تكون المرأة بحيث تخاف الفتنة على نفسها والزوج يخاف ايضا اذا لم تطعه اعتدى عليها
ويجوز ان يكون الخوف بمعنى الظن كما سبق في قوله فمن خاف من موص جنفا ومن قرأ الا ان يخافا على البناء للمفعول جعل الا يقيما بدلا من
الضمير بدل الاشتمال مثل خيف زيد تركه اقامة حدود الله ثم الفرقة الحاصلة على العوض ان كان بلفظ الطلاق فهو طلاق وان لم يجر الا لفظ الخلع
فللشافعي فيه قولان الجديد انه طلاق ينقص به العدد فاذا خالعها ثلث مرات لم ينكحها الا بمحلل ويروى هذا عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وبه
قال ابو حنيفة ومالك واختاره المزني ووجهه انها فرقة لا يملكها غير الزوج فيكون طلاقا كما لو قال انت طالق على كذا ولانه لو كان فسخا لما صح بالزيادة
على المهر المسمى كالاقالة في البيع ولانه اذا خالعها ولم يذكر المهر وجب ان يرد عليها المهر كالاقالة فان الثمن يجب رده وان لم يذكراه والقديم انه فسخ لا ينتقص
به العدد ويجوز تجديد النكاح بعد الخلع من غير حصر ويروى هذا عن ابن عمر وابن عباس قالوا لانه لو كان طلاقا وقد ذكر عقيب ذلك فان طلقها فلا
تحل له من بعد لكان الطلاق اربعا ولان النبي عليه السلام اذن لثابت في مخالعته امرأته ولم يستكشف عن الحال مع ان الطلاق في زمان الحيض او في الطهر الذي حصل
الجماع فيه حرام ولما روى عكرمة عن ابن عباس ان امرأة ثابت بن قيس لما اختلعت منه جعل النبي عليه السلام عدتها حيضة ولو كانت مطلقة لها لم يقتصر
على قرء واحد تلك اي المذكورات من احكام الطلاق حدود الله فلا تعتدوها فلا تجاوزوها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون
والظالم اسم ذم وتحقير فوقوع هذا الاسم عليه يكون جاريا مجرى الوعيد كيف لا والظالم ملعون الا لعنة الله على الظالمين ثم انه ظلم من الانسان
على نفسه حيث قدم على المعصية وظلم على الغير ايضا بتقديره لانه اتم المرأة عدتها او كتمت شيئا مما خلق في رحمها او ترك الرجل الامساك بالمعروف
او التسريح باحسان او اخذ من جملة ما آتاها شيئا الا بسبب نشوز من جهة المرأة الحكم الخامس من احكام الطلاق بيان ان الطلقة الثالثة قاطعة لحق
الرجعة وذلك قوله فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره والسبب في ايقاع آية الخلع بين آية الرجعة وبين هذه بعد ما مر مناسبتها
للتسريح باحسان هو ان الرجعة والخلع لا يصحان الا قبل الطلقة الثالثة ومعنى الآية فان طلقها مرة ثالثة بعد المرتين فلا تحل له من بعد ذلك التطليق
حتى تنكح اي تتزوج غيره والنكاح يسند الى المرأة كما يسند الى الرجل كالتزوج ويقال فلانة ناكح في بني فلان اي ذات زوج منهم هذا عند من يفسر
قوله الطلاق مرتان بالطلاق الرجعي واما عند من يفسره بان التطليق الشرعي هو الذي يوقع على التفريق فالمعنى عنده انه ان طلقها الطلاق الموصوف
بالتكرار في قوله الطلاق مرتان واستوفى نصابه فلا تحل له من بعد ذلك حتى تنكح زوجا غيره ومذهب جمهور المجتهدين ان النكاح ههنا بمعنى
الوطي لان قوله زوجا يدل على العقد وقد نقلنا هذا عن اهل اللغة فيما سلف في تفسير قوله ولا تنكحوا المشركات ويؤيد هذا ما روي عن عائشة ان
امرأة رفاعة جاءت الى النبي صلعم فقالت ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وان ما معه مثل هدبة الثوب فقال
رسول الله صلعم اتريدين ان ترجعي الى رفاعة لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك كنى بالعسيلة عن لذة الجماع وانما انثها لان من العرب من يؤنث العسل
ودبر كما لبثت ما شاء الله ثم رجعت فقالت انه قد كان مسني فقال لها كذبت في قولك الاول فلن اصدقك في الآخر فلبثت حتى قبض رسول الله
فاتت ابا بكر فقالت ارجع الى زوجي الاول فقال قد عهدت رسول الله حين قال لك ما قال فلا ترجعي اليه فلما قبض ابو بكر قالت مثله لعمر فقال
ان اتيتني بعد مرتك هذه لارجمنك فمنعها والحكمة في توقيف حصول الحل على هذا الشرط زجر الزوج عن الطلاق لان الغالب ان الزوج يستنكر
يستنفر من ان تزوجه رجل آخر ولهذا قال بعض اهل العلم انما حرم الله على نساء النبي صلعم ان ينكحن زوجا غيره لما فيه من الغضاضة ومعلوم ان الزجر انما
يحصل بتوقيف الحل على الدخول فاما مجرد العقد فليس فيه زيادة نفرة فلا يصلح جعله مانعا وزاجرا ثم قال الشافعي اذا طلق زوجته طلقة واحدة او ثنتين
ثم نكحت زوجا آخر واصابها ثم عادت الى الاول بنكاح جديد لم يكن عليها الا طلقة واحدة وهي التي بقيت من الطلقات لان هذه طلقة ثالثة من حيث

فإذا وجدت بعد طلقتين والطلقة الثالثة توجب الحرمة الغليظة وقال أبو حنيفة بل يملك عليها ثلاثا كما لو نكحت زوجا بعد الثلث وإذا تزوج
لغير المطلقة قلنا على أنه إذا أحلها للأول بأن أصابها فلا نكاح بينهما فهذا نكاح متعة بأجل مجهول وهو باطل ولو تزوجها بشرط أن يطلقها
إذا أحلها للأول فقولان أحدهما لا يصح الثاني يصح ويبطل الشرط وبه قال أبو حنيفة ولو تزوجها مطلقا مضمرا أنه إذا أحلها طلقها فالنكاح
صحيح ويكره ذلك وفاعله مأجور قال مالك وأحمد والثوري هذا النكاح باطل وحيث حكمنا بفساد النكاح فالوطء لا يقع به التحليل على الأصح وعن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه لعن المحلل والمحلل له وعن عمر لا أوتى بمحلل ولا محلل له إلا رجمتهما فإن طلقها أي الزوج الثاني الذي تزوجها بعد الطلقة الثالثة فلا جناح
عليهما على المرأة المطلقة والزوج الأول أن يتراجعا بنكاح جديد بدلالة ما عليه من النكاح فهذا تراجع لغوي وظاهر الآية يقتضي أن يحل للزوج
الأول هذا التراجع عقيب ما يطلقها الزوج الثاني من غير عدة بدلالة الفاء التعقيب في قوله فلا جناح عليهما ولهذا ذهب سعيد بن المسيب إلى
أن النكاح ههنا بمعنى العقد وأنما التحليل يحصل بمجرد العقد لأن الوطء لو كان معتبرا لكانت العدة واجبة والجواب أن الآية مخصوصة بقوله تعالى
والمطلقات يتربصن إن ظنا أن يقيما حدود الله إن كان في ظنهما وفي غالب رأيهما أنهما يقيمان حقوق الزوجية ولم يقل إن علما ولا يجوز أن يفسر
الظن ههنا بالعلم لأن اليقين في الاستقبال مغيب عن الإنسان فإن لم يحصل هذا الظن وخافا عند المراجعة من نشوز منها وإضرار منه
فالرجوع مذموم إلا أنه يصح شرعا من قرأ نبينها بالنون فعلى طريقة الالتفات والنون للتعظيم ومن قرأ بالياء فظاهر وصيغة المضارع إن أريد بها
ههنا الحال فلا إشكال ويجوز بعضهم أن يكون المراد بها الاستقبال وذلك أن النصوص التي تقدمت أكثرها عامة يدخل فيها التخصيص وذلك يعرف
بالسنة فكأن المراد والله أعلم أن هذه الأحكام التي تقدمت هي حدود الله وسيبينها الله على لسان نبيه كمال البيان فهو كقوله تعالى وأنزلنا إليك
الذكر لتبين للناس وإنما خص البيان بالعلماء لأنهم هم المنتفعون بذلك ثم إنه تعالى لما بين الأحكام المهمة للطلاق استأنف حكمي الإمساك والتسريح
ببيانين آخرين في آيتين متعاقبتين لأن جملة الأمرين في الطلاق يؤول إلى أحد هذين الأول قوله سبحانه وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن
أي آخر عدتهن وشارفن منتهاها والأجل يقع على المدة كلها وعلى آخرها يقال لعمر الإنسان أجل وللموت الذي ينتهي به أجل ويتسع في البلوغ
أيضا فيقال بلغ البلد إذا شارفه وداناه ويقول الرجل لصاحبه إذا بلغت مكة فاغتسل بذي طوى يريد به مشارفة البلوغ فهذا من باب المجاز الذي
يطلق فيه اسم الكل على الأكثر ولأنه قد علم أن الإمساك بعد تقضي الأجل لا وجه له لأنها بعد تقضيه غير زوجة له وفي غير عدة منه فلا سبيل له
عليها فأمسكوهن بمعروف راجعوها من غير طلب ضرار بالمراجعة أو سرحوهن بمعروف خلوها حتى تنقضي عدتها وتبين وإنما أمر بعد الطلاق
بأحد الأمرين استئنافا لحكم كل منهما فتقدم حكم الإمساك على طريقة النهي لا الأمر لأن المأمور يمتثل مرة واحدة فلعله يمسكها بمعروف في الحال لكن في قلبه
أن يضارها في الاستقبال والنهي لا يمتثل إلا إذا انتهى في كل الأوقات فيكون أدل على الدوام والثبات فقال ولا تمسكوهن ضرارا مضارة تشمل أنواع
النفرة والعداوة كلها وروي أن الرجل كان يطلق المرأة ثم يدعها فإذا قارب انقضاء القرء الثالث راجعها وهكذا يفعل بها في العدة التسعة أشهر أو أكثر و
قيل الضرار سوء العشرة وقيل تضييق النفقة وكانوا يفعلون في الجاهلية أكثر هذه الأفعال إلجاء أن تختلع المرأة منه بمالها ومعنى قوله لتعتدوا أي لا
تضاروهن ليكون عاقبة أمركم الاعتداء كقوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا ولا تضاروهن على قصد الاعتداء عليهن فتكونون عصاة
لذلك المعصية وقيل لتلجئوهن إلى الافتداء ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها لعقاب الله وبتفويته عليها منافع الدنيا والدين أما الدنيا
فلأنه إذا اشتهر بتلك المعاملة لم يرغب في التزويج منه ولا في معاملته وأما منافع الدين فالثواب الحاصل على حسن العشرة مع الأهل وعلى الانقياد
لأحكام الله تعالى وتكاليفه ولا تتخذوا آيات الله هزوا أي من قربانه يجب طاعة الله وطاعة رسوله ثم وصلت إليه هذه التكاليف المذكورة في أبواب العدة
والرجعة والخلع وترك المضارة ولم يتشمر لأدائها كان كالمستهزئ بها أو المراد لا تتهاونوا بتكاليف الله كما يتهاون بما يكون من باب الهزء والعبث وعن
أبي الدرداء كان الرجل يطلق في الجاهلية ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا فنزلت فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ثلاث جدهن جد وهزلهن جد
الطلاق والنكاح والرجعة وروي الطلاق والعتاق والنكاح وعن عطاء المعنى المستغفر من الذنب إذا كان مصرا عليه أو على مثله كان كالمستهزئ بآيات
الله ثم إنه تعالى لما رغبهم في أداء التكاليف بما ذكر من التهديد بعد رغبهم أيضا في أدائها بأن ذكرهم أقسام نعمه عليهم فبدأ أولا بذكرها على الإجمال فقال
واذكروا نعمة الله عليكم وهذا يتناول كل نعمة لله على العبد في الدنيا والدين وقيل المراد بها الإسلام ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثم خصص نعم الدين بالذكر لأنها
فقال وما أنزل عليكم عطفا على النعمة من الكتاب والحكمة من القرآن والسنة وذكرهما مقابلتها بالشكر والقيام بحقها يعظكم به في محل الحال أي مما أنزل
أو من فاعل أنزل ويحتمل أن يكون ما أنزل الصلة والموصول مبتدأ وقوله يعظكم به خبره واتقوا الله في أوامره ونواهيه واعلموا أن الله بكل شيء عليم
فيه وعد ووعيد وترغيب وترهيب الثاني وهو حكم المرأة المطلقة بعد انقضاء العدة قوله عز من قائل وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن بلوغ الأجل ههنا
على الحقيقة عن الشافعي دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين فلا تعضلوهن لا تحبسوهن ولا تضيقوا عليهن وأصل العضل الضيق ومنه عضلت
الدجاجة إذا نشب بيضها فلم يخرج وعضلت الأرض بالجيش إذا ضاقت بهم لكثرتهم وأعضل الداء الأطباء إذا أعياهم والعضلة اللحمة المجتمعة المكتنزة في
عصبة والخطاب للأزواج الذين يعضلون نساءهم بعد انقضاء العدة ظلما وقسرا ولحمية الجاهلية من أن ينكحن أزواجهن الذين يرغبن فيهم ويصلحون
لهن إذا تراضوا أي الرجال والنساء تراضيا وأوقعا بينهم بالمعروف بما يحسن في الدين والمروءة من الشرائط كالعقد الحلال والمهر الجائز والشهود العدول

قبل ابي حنيفة الاول تفرعوا عليه مسئلة تفقهية وهي ان المرأة اذا زوجت نفسها باقل من مهر مثلها فالنكاح صحيح لكن للولي ان يعترض عليها بسبب النقصان عن المهر وهذا الشيء عن الاولياء الا ان النساء العشيرة تتعير بذلك فقد يعيرهم ومن بهمها وزعم كثير من المفسرين ان الخطاب في قوله فلا تعضلوهن للاولياء لما ذكر البخاري في صحيحه عن معقل بن يسار قال كانت لي اخت تخطب الي وامنعها من الناس فاتى ابن عم لي فانكحتها اياه فاصطحبا ما شاء الله ثم طلقها طلاقا له رجعة ثم تركها حتى انقضت عدتها فلما خطبت الي اتاني يخطبها مع الخطاب فقلت خطبت الي فمنعتها الناس واثرتك بها فزوجتك ثم طلقتها طلاقا لك رجعة ثم تركتها حتى انقضت عدتها فلما خطبت الي اتيتني تخطبها مع الخطاب والله لا انكحتها ابدا قال ففي نزلت هذه الاية فكفرت عن يميني وانكحتها اياه وعن مجاهد قال كانت لجابر بن عبد الله بنت عم فطلقها زوجها واراد رجعتها بعد العدة فابى جابر فنزلت قلت وجوابي عليه نظم كلام الله اولى من محافظة خبر الواحد لا يجيئ تفكك النظم وقيل واذا طلقتم النساء ايها الازواج فلا تعضلوهن ايها الاولياء لانه لا يبقى بين الشرط والجزاء مناسبة قالوا والبين بعد انقضاء العدة قدرة للزوج على عضل المرأة والجواب انه قد يقدر على الظلم وقد يجحد الطلاق او يدعي انه كان راجعها في العدة او يهدد من يخطبها او يعيبها التهديد بما يضيفها الى ما ينفر الناس عنها قالوا ان ينكحن ازواجهن يدل على ان الاولياء كانوا يمنعوهن من العود الى المطلقين الذين كانوا ازواجا لهن والجواب ان العرب قد تسمي الشيء بما يؤول اليه فالمراد من يردن ان يتزوجهم فيكونوا ازواجا لهن وقيل الوجه انه يكون خطابا بالناس اي لا يوجد فيما بينكم عضل لانه اذا وجد بينهم وهم راضون كانوا في حكم العاضلين ثم ان الشافعي تمسك بالاية في ان النكاح لا يجوز الا بولي لانه لو جاز للمرأة ان تتزوج نفسها او توكل من يزوجها لما كان الولي قادرا على عضلها من النكاح هذا مبني على ان الخطاب في لا تعضلوهن للاولياء وفيما فيه وسلم فلا يجوز ان يكون الاستبداد الشرعي حاصلا لهن لكن يمنعها الولي من بعض الجهات التي قلنا في الزوج فانه فثبوت العضل في حق الولي ممتنع لانه ما عضل لغيرها اذا ان نزل لا يبقى لعضله اثر وتمسك ابو حنيفة بقوله تعالى ان ينكحن ازواجهن على ان النكاح بغير ولي جائز وذلك لانه تعالى اضاف النكاح اليها واضافة الفعل الى فاعله النص في انه مباشرة وهي اولى وعن منعها من ذلك ولو كان ذلك النص فاسدا لما نهى الولي عن منعها منه وسيأتي كهذه النص بقوله حتى تنكح زوجا غيره والجواب ان الفعل كما يضاف الى المباشر فقد يضاف ايضا الى السبب كما يقال بنى الامير دارا وانما ذهبنا الى هذا وان كان مجازا لدلالة الحديث على بطلان هذا النكاح هذا واما قوله ذلك يوعظ به فالخطاب فيه اما للرسول ولكل احد على الانفراد كما ان الخطاب في قوله في سورة الطلاق ذلكم يوعظ به للمكلفين مجموعين وقوله من كان منكم يؤمن بالله واليوم الاخر تخصيص لهم بالوعظ لانهم هم المنتفعون بذلك ومن استدل بهذا على ان الكفار ليسوا مخاطبين بفروع الشرائع يكذبه التكاليف العامة كقوله ولله على الناس حج البيت الاية لا يلزم من تخصيص العظة بالمؤمنين تخصيص التكليف بهم ذلكم ازكى لكم اي انمى وهو اشارة الى استحقاق الثواب الدائم واطهر من ادناس الاثام والله يعلم وانتم لا تعلمون لان علمه تعالى فعلي كامل وعلمنا انفعالي ناقص فقد يخفى المصلحة والعاقبة علينا او تشتبه المصلحة بالمفسدة فلا صلاح للمكلف الا في طاعة علام الغيوب ليحصل سعادة الدارين والله ولي التوفيق التأويل انه سبحانه من كمال الكرم والاصطناع اذا صدر من العبد ما الشوق والانقطاع امهله الى انقضاء عدة الجفاء فلعله يعود الى خدمته شرائط الوفاء ويحرك داعية في صميم قلبه من نتائج محبته وتبدل لم يكن له ان يكتم ما خلق الله في رحم قلبه من المحبة ولو ابتلاه الله بمحنة الفرقة فيقرع ما صبغ الندامة باب التوبة ويقوم على قدم الغرامة في طلب الرجعة لا فيقال له من غاية الفضل والنوال يا قارع الباب دع نفسك تعال ان طلب منا فلاحا فليلزم عتبتنا مساء وصباحا وبعولتهن احق بردهن في ذلك ان ارادوا اصلاحا ولهن مثل الذي عليهن اي للعباد حقوق نعمة كرم الربوبية كما ان لله تعالى حقا في ذمة عباده فاذا تقرب العبد اليه شبرا فالله احق برعاية الحق فيقرب اليه ذراعا والفضل للمعلى الاطلاق لا بد بحثه بل بسحاب غير متناهية والله عزيز لا يعجزه ان يراعي العباد مع عجزهم كمال الحقوق حكيم لا يقتضي حكمته ان يطالبهم بالبلغ وسعهم بل يقبل منهم القليل ويوفيهم الثواب الجزيل الطلاق مرتان يعني اهل الصحبة لا يفارقون بجرم وجرمين كما في قصة موسى والخضر ثم في الثالثة ان سلكوا سبيل الهجران فلا يحل للاخوان ان يواصلوا الخوان حتى يصاحبا الثاني صديقا مثله فان ندم بعد ذلك عن افعاله ثم ذلك الصديق سأمه فالمرجع الى الصحبة اشكاله فلا جناح في التراجع ان ظنا فيه خيرا ولا يجوز لاحد من الاخوان ان يعضله من صحبة الاقران فان الله تعالى يتجاوز عن زلات العبد مرة بعد اخرى فاذا اصر العبد ابتلاه بالخذلان وجعله قرين الشيطان كما قال ومن يعش عن ذكر الرحمن فان طلق قرين الشيطان ورجع الى باب الرحمن تداركه بالغفران والرضوان واما قوله ولا يحل لكم ان تأخذوا مما اتيتموهن شيئا فاشارة الى انه ليس لاهل الصحبة وان تعقب المفارقة ان يتردد واخواطرهم عن الرفقاء بالكلية فان العائد في هبته كالكلب يعود في قيئه الا ان يؤدي الى ما هنه واهمال الحق من حقوق الدين فلا جناح عليهما فيما افتدت به كان لم يكن بينهما صحبة والله ولي التوفيق

وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ

و مادران شیر دهند فرزندان خود را در مدت دو سال تمام آنرا برای کسی که بخواهد که تمام سازد شیر دادن را و بر پدر که فرزند مر او راست روزی ایشان و پوشش ایشان

بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ

بطور معروف تکلیف نمیشود هیچ نفسی مگر بقدر وسعت آن ضرر نرسد بولد مادران ولد و نه از پدر بفرزندش و بر وارث است مانند همین

فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ

پس اگر خواستند جدا کردن از شیر بخوشی از هر دو و مشورت با یکدیگر پس هیچ گناه نیست بر ایشان و اگر خواسته که دایه دهید که شیر دهند فرزندان شما را پس باکی نیست

عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ

وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ

فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ

فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا

عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ

حَلِيمٌ ۝ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَ

عَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ۝ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً

فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ

بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ القراءات: لا تضار برفع الراء أبو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير وقتيبة. الباقون بفتح الراء وكسلان [illegible] في قوله ولا يضار كاتب. ما آتيتم مقصورا ابن كثير. الباقون بالمد. يتوفون بفتح الياء المفضل. الباقون بضم الياء. النساء أو بهمزتين عاصم وعلي وحمزة وخلف وابن عامر. الباقون النساء يو بواو. الحزاعي وابن شنبوذ عن أهل مكة. النساء اي بياء. تماسوهن حيث وقع: علي وحمزة وخلف. الباقون تمسوهن. قدره بفتح الدال ابن ذكوان ويزيد وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير أبي بكر وحماد. الباقون بالإسكان. الوقوف: الرضاعة ط بالمعروف ط وسعها ج لاستيناف اللفظ مع قرب المعنى. مثل ذلك ج عطفا على الابتداء الحكم في الاستيناف. الاجنبي بالمعروف ط بصير وعشرا ج بالمعروف ط خبير في انفسكم ط معروفا ط الجملة لابتداء الأمر. أجله ط للفصل بين وجهي الوعيد والرجاء وهذا ذكر بينكم ط واعلموا أن الله غفور حليم فالوجه الوقف على حليم. فريضة ج لعطف المختلفين. ومتعوهن ج لانقطاع النظم مع اتصال المعنى لأن الجملة الثانية تعقيب للأمر [illegible] الأولى. قدره ج الثاني ج لأن متاعا مصدر متعوهن. المعروف ط لأن حقا يصلح نعتا للمتاع أي متاعا واجبا ويصلح مصدرا لمحذوف أي حق ذلك حقا. المحسنين النكاح ط للتقوى ط بينكم ط بصير. التفسير: الحكم الثاني عشر الرضاع. والوالدات يحتمل المطلقات والمزوجات لأن اللفظ يشملهن جميعا وقيل المطلقات لأنه تعالى ذكره عقيب آية الطلاق وحقيقة هذا أنه إذا حصلت الفرقة استتبعت التباغض والتعاند والإيذاء والولد ليتأذى الزوج وربما رغبت في الزوج بزوج آخر فيهمل أمر الطفل فندبها الله تعالى الوالدات المطلقات إلى رعاية جانب الطفل والاهتمام بشأنه. وأيضا إنه تعالى قال في الآية وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن ولو كانت الزوجية باقية لوجب ذلك بالزوجية لا للرضاع. ذكره السكوني. وقال الواحدي: الأولى أن يحمل على الزوجات في حال بقاء النكاح لأن المطلقة لا تستحق النفقة وإنما تستحق الأجرة. ثم إن النفقة والكسوة يجبان في مقابلة التمكين فإذا اشتغلت بالإرضاع والحضانة لم تتفرغ لخدمة الزوج فلعل متوهما يتوهم أن مؤنتها تسقط بالخلل الواقع في الخدمة فأزال ذلك الوهم بإيجاب الرزق والكسوة وإن اشتغلت بالإرضاع. ويرضعن مثل يتربصن في أنه خبر في معنى الأمر المؤكد. وهذا الأمر على سبيل الندب بدليل قوله تعالى وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى ولقوله فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن ولو وجب عليها الإرضاع لما استحقت الأجرة وإنما كان ندبا من حيث إن تربية الطفل بلبن الأم أصلح ولأن شفقتها أكثر. ولا يجوز استئجار الأم عند أبي حنيفة ما دامت زوجة أو معتدة من نكاح. وعند الشافعي يجوز. فإذا انقضت عدتها جاز بالاتفاق. ويحتمل أن يكون الأمر للوجوب [illegible] إذا لم يقبل الصبي إلا ثدي أمه أو لم يوجد له ظئر أو كان الأب عاجزا عن الاستئجار. حولين أي عامين. والتركيب يدل على الانقلاب لأن الحول ينقلب من الوقت الأول إلى الثاني. كاملين توكيد كقوله تلك عشرة كاملة. وقد يقال أتيت عند فلان حولين وإنما أقام حولا وبعض الآخر. والحق أنه يجاب بقوله بعد ذلك لمن أراد أن يتم الرضاعة أي هذا الحكم لمن أراد إتمام الإرضاع. واللام متعلقة بيرضعن كما تقول أرضعت فلانة لفلان ولده أي يرضعن حولين لمن أراد أن يتم الرضاعة من الآباء لأن الأب عليه الإرضاع والولد يعني الأم وعليه أن يتخذ الظئر إلا إذا تطوعت الأم بإرضاعه. ثم المقصود من ذكر الحد قطع التنازع بين الزوجين إذا تنازعا في الرضاعة فإن أراد أحدهما أن يفطمه قبل الحولين لم يرض الآخر لم يكن له ذلك. فأما إذا اجتمعا على أن يفطما قبل تمام الحولين فلهما ذلك. ثم ليس للرضاع حكم خاص في الشريعة وهو قوله يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب فيعلم من التحديد أن

الارضاع مما لا يقع في هذا الزمان لا يفيد هذا الحكم هذا هو مذهب الشافعي ويقال على وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وعلقمة والشعبي والزهري وعن ابي حنيفة
ان مدة الرضاع ثلثون شهرا وقرئ لمن اراد ان يتم الرضاعة برفع الفعل تشبيها لان بما لتآخيهما في التأويل والاصل لان كلتيهما تارة تقع مصدرية وقد تنصب
وقرئ الرضاعة بكسر الراء وعلى المولود له وعلى الذي يولد له وهو الوالد وله في محل الرفع على الفاعلية نحو عليهم في المغضوب عليهم وانما قيل المولود له دون
الوالد ليعلم ان الوالدات انما ولدن لهم ولذلك ينسبون اليهم لا الى الامهات وفيه تنبيه على ان الولد انما يلحق بالوالد لكونه مولودا على فراشه كما قال ص
الولد للفراش وفيه انه لا يستبعد من الاولاد الا نظرا الى الاب يجب عليه رعاية مصالحه كما قيل كل المال لك لا عليك حقهم رزقهن وكسوتهن اذا ارضعن ولدهم كالاظآر
الا ترى انه ذكر ما يلزم الوالد حيث لم يكن هذه المعاني مقصودة وذلك قوله واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا
بالمعروف تفسيره ما يليه وهو ان لا يكلف نفس الا وسعها لا تضار وعلى معنى المعروف في هذا الباب قد يكون محددا بالشرط والعقد وقد يكون
غير محدد الا من جهة العرف لانه اذا قام بما يكفيها في طعامها وكسوتها فقد استغنى عن تقدير الاجرة فلو كان دون الكفاية لحقها من
من الجوع والعري وتعدى ذلك الضرر الى الولد وفي الآية دليل على ان حق الام اكثر من حق الاب لانه ليس بين الام والطفل واسطة وبين الاب وبينه واسطة
فانه يستأجر المرأة على الارضاع والحضانة بالنفقة والكسوة والتكليف الالزام وقيل اصله من الكلف وهو اثر على الوجه فمعنى تكلف الامر اجتهد
ان يبين فيه اثره وكلفه الزمه ما يظهر فيه اثره والوسع ما يسع الانسان ولا يعجز عنه لهذا قيل الوسع فوق الطاقة من قرأ لا تضار بالرفع فعلى
الاخبار في معنى النهي ويحتمل البناء للفاعل والمفعول على ان الاصل تضارر او تضارر ومن قرأ بالفتح فعلى النهي ويحتمل البنائين ايضا
ويتبين ذلك انه قرئ لا تضارر ولا تضارر بالجزم وكسر الراء الاولى وفتحها والمعنى لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو ان تعنف به وتطلب منه
ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وان تشغل قلبه بسبب التفريط في شأن الولد وان تقول بعدما الفها الصبي اطلب له ظئرا ونحو ذلك ولا يضار مولود له
امرأته بسبب ولده بان يمنعها شيئا مما وجب عليه من الرزق والكسوة او ياخذه منها وهي تريد رضاعه او يكرهها على الارضاع وهكذا اذا كان
مبنيا للمفعول فيها نهي ان يلحق بها الضرار من قبل الزوج وعن ان يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد ويحتمل ان يكون تضار بمعنى تضر والباء من صلته
اي لا تضر والدة بولدها بان تسيء غذاءه وتعهده او تفرط فيما ينبغي له ولا تدفعه الى الاب بعدما الفها ولا يضر الوالد به بان ينتزعه من يدها او يقصر
في شأنها فتقصر هي في حق الولد انما قيل بولدها وبولده لان المرأة لما نهيت عن المضارة اضيف اليها الولد استعطافا لها عليه وانه ليس باجنبي منها
فمن حقها ان تشفق عليه وكذلك الوالد قوله سبحانه وعلى الوارث مثل ذلك للعلماء فيه اقوال من حيث انه تقدم ذكر الوالد والولد والوالدة احتمل في
الوارث ان يكون مضافا الى كل واحد من هؤلاء فعن ابن عباس ان المراد وارث الاب وقوله وعلى الوارث عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن
وما بينهما تفسير للمعروف فالمعنى وعلى وارث المولود له مثل ما وجب عليه من الرزق والكسوة اي ان مات المولود له لزم من يرثه ان يقوم مقامه
في ان يرزقها ويكسوها بالشرط المذكور من العدل وتجنب الضرار وقيل المراد وارث الولد الذي لو مات الصبي ورثه فيجب عليه عند موت الاب كل ما
كان واجبا على الاب هذا قول الحسن وقتادة وابي مسلم والقاضي ثم اختلفوا في انه اي وارث هو فقيل العصبات دون الام والاخوة من الام وهو قول
عمر والحسن ومجاهد وعطاء وسفيان وابراهيم وقيل كل وارث للصبي من الرجال والنساء على قدر النصيب من الميراث وهو قول قتادة وابن ابي ليلى وقيل على
الوارث ممن كان ذا رحم محرم دون غيرهم من ابن العم والمولى وهو قول ابي حنيفة واصحابه وعند الشافعي لا نفقة فيما عدا الولاد اي الاب والابن وقيل المراد
من الوارث هو الصبي نفسه فانه ان مات ابوه وورثه وجب عليه اجرة رضاعه في ماله ان كان له مال فان لم يكن له مال اجبرت الام على ارضاعه
وقيل المراد من الوارث الباقي من الابوين كما في الدعاء المروي واجعله الوارث منا اي الباقي وهو قول سفيان وجماعة فان ارادا فصالا اي فطاما
وليس من باب المفاعلة وانما هو مثل القتال على فعال كالقتال والاباق ومن ذلك الولد ينفصل عن الاغتذاء بثدي امه الى غيره من الاقوات وعن ابي مسلم
يحتمل ان يكون المراد من الفصال ايقاع المفاصلة بين الولد والام اذا حصل التراضي والتشاور في ذلك ولم يرجع ضرر الى الولد فلم يكن الفصال صادرا
عن تراض منهما وتشاور ومع ارباب التجارب واصحاب الرأي فلا جناح عليهما في ذلك زادا على الحولين او نقصا في تركيب الصبي نقصا والتشاور وسعة
بعد التحديد ذلك ان الام قد تمل من الارضاع فتحاول الفطام والاب ايضا قد يمل من اعطاء الاجرة على الارضاع فيطلب الفطام ودفعا لذلك لكنهما
قد يتوافقان على الاضرار بالولد لغرض النفس فلهذا اعتبر التشاور ومع ذلك يبعد موافقة الكل على ما يكون فيه ضرر الولد فان اتفقوا على الفطام
قبل الحولين وهذه غاية العناية من الرب بالطفل الضعيف حيث جمع الشروط ولم يصرح بالاذن بل رفع الحرج فقط ثم لما بين حكم الام وانها
احق بالرضاع بين انه يجوز العدول في هذا الباب عنها الى غيرها فقال وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم المراضع او لاولادكم فلا جناح عليكم يقال
ارضعت المرأة الصبي واسترضعتها الصبي فيتعدى الى مفعولين مفعولا ثانيا كما يقول انجح الحاجة واستنجحته الحاجة فحذف احد المفعولين للعلم به بمعنى ان تسترضعوا
التقدير ان تسترضعوا المراضع اولادكم فحذف اللام للعلم به مثل اذا كالوهم او وزنوهم اي كالوا لهم او وزنوا لهم ومن موانع الارضاع للام ما اذا تزوجت
بزوج آخر فقبلها يمنعها ذلك الزوج عن الارضاع ومنها انه اذا طلقها الزوج الاول فقد تكره الارضاع ليتزوج بها زوج آخر ومنها ان تأبى
المرأة قبول الولد ايذاء للزوج المطلق ومنها ان تمرض او ينقطع لبنها فعند احد هذه الامور اذا وجد مرضعة اخرى وقبل الطفل لبنها جاز العدول
عن الام الى غيرها فان لم يجد مرضعة اخرى او وجدها ولكن لا يقبل الطفل لبنها فالارضاع واجب على الام اذا سلمتم الى المراضع ما آتيتم

المراد

المراة اي اردتم ايتاءه مثل اذا قمتم الى الصلوة ومن قبلها اتيتم بالقصر فهو من باب الايجاز اذا فعله كقوله لمن كان وعنده ما ينالها ويعنوى ودى
شيئان عن غاصبهما او متيم اي ما آتاكم الله قدركم عليكم من الاجر او ما ابن المتبلم شرطا للجواز والصحة وانما هو ندب الى الاولى قيل بعث على الذي
يعطى المرضعة يجب ان يكون يدا بيد حتى يكون هنيئا والطيب لنفسها ايضا لم يتأت ان الصبي لهذا يجب التسليم او ان يكون بالمعروف وهو ان لا يكون بخس
الوجوه ملطفين بالقول الجميل مطيبين لانفس المراضع بما امكن قطعا للمعاذير ثم اكد الجميع بان ختم الآية بنوع من التهديد فقال واتقوا الله واعلموا
ان الله بما تعملون بصير الحكم الثالث عشر عدة الوفاة والذين يتوفون ومعناه يموتون ويقبضون قال الله يتوفى الانفس حين موتها واصل
التوفي اخذ الشيء كاملا وافيا ويبنى للمفعول ومعناه ما قلنا وللفاعل ومعناه المستوفي لاجله وقد نقل عليه قراءة من قرأ يتوفون بفتح الياء ويروى ان
يحكى ان ابا الاسود الدؤلي كان يمشي خلف جنازة فقال له رجل من المتوفي بكسر الفاء فقال الله وكان هذا احد الاسباب الباعثة لعلي على ان امره بان يضع
كتابا في النحو فلعل السبب فيه ان ذلك الشخص لم يكن مليا وهذا المعنى من مستعملات البلغاء فلهذا لم يعد بقول وحمله على لسان الاوساط ويذرون
ويذرون ولا يستعمل منه الماضي ولا المصدر استغناء عنهما بتصاريف ترك والازواج ههنا النساء يتربصن بانفسهن اربعة اشهر مثل قوله يتربصن
بانفسهن ثلثة قروء وقد مر وعشرا اي يعتددن هذه المدة وهي اربعة اشهر وعشرة ايام وانما قيل عشرا ذهابا الى الليالي والايام داخلة معها
في الكشاف ولا تراهم قط يستعملون التذكير فيه ذاهبين الى الايام وعلة ذلك سبب التغليب ان مبدأ الشهر من الليل والاوائل اقوى من الثواني وقاله
هذه الايام ايام الحزن والايام المكروه خليق بان تسمى بالليالي استعارة والاربعة عشرة لكل منها يوم بليلة وتقدم ورابع في الاصلين الآية واما اذا
انقضت اربعة اشهر وعشر ليال جاز للازواج فعل ... في العالية ثم انما حد العدة بهذا القدر لان الولد ينفخ فيه الروح في العشر بعد الاربعة
قلت فعل هذا من الامور التي لا يعقل معناها كاعداد الركعات ونصب الزكوات فانما الله ورسوله العالم بذلك وهذه العدة واجبة على كل امرأة مات
زوجها الا اذا كانت امة فان عدتها نصف عدة الحرة عند اكثر الفقهاء وعن الاصم ان عدتها عدة الحرة تمسكا بظاهر عموم الآية وقياسا على وضع الحمل
والا اذا كانت المرأة حاملا فعدتها اذا وضعت الحمل حلت ولو كان بعد وفاة الزوج بساعة لقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن ولو زعم
قائل ان ذلك في الطلاق فليعول على قصة سبيعة الاسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بنصف شهر فقال لها النبي قد حللت فانكحي من شئت وعن علي
انها تتربص ابعد الاجلين ولا فرق في عدة الوفاة بين الصغيرة والكبيرة وذات الاقراء وغيرها والمدخول بها وغيرها وقال ابن عباس لا عدة عليها قبل الدخول
ورد بعموم الآية ولعل الآية لم يفرق بين ان ترى المعتدة في المدة المذكورة دم الحيض على عادتها او لا ترى الحمل فانما كانت لا تنقضي عدتها حتى ترى
عادتها من الحيض في تلك الايام مثل التي كانت عادتها فان كانت عادتها ان تحيض في كل شهر مرة فعليها في عدة الوفاة اربع حيض وان كانت عادتها ان
تحيض في كل شهرين مرة فعليها حيضتان وان كانت عادتها ان تحيض في كل اربعة اشهر مرة يكفيها حيض واحد وان كانت عادتها ان تحيض في كل خمسة
اشهر مرة فههنا يكفيها الشهور ثم مذهب الشافعي انها ان ارتابت استبرأت نفسها من الريبة كما ان ذات الاقراء لو ارتابت وجب عليها ان تحتاط وتعتبر
المدة بالاهلة ما امكن فان مات الزوج في خلال شهر هلالي والباقي اكثر من عشرة ايام فتعتد بما بقي وتحسب ثلثة اشهر بعده بالاهلة وتكمل الباقي
ثلثين وتضم بها عشرة ايام فاذا انتهت من اليوم الاخير الى الوقت الذي مات فيه الزوج فقد انقضت العدة وان كان الباقي دون عشرة ايام فتعتد به وتحسب
اربعة اشهر بالاهلة وتكمل الباقي عشرة من الشهر السادس وان كان الباقي عشرة ايام فتعتد بها وباربعة اشهر بالاهلة بعدها وان انطبق الموت على اول الهلال
فتعتد باربعة اشهر بالاهلة وبعشرة ايام من الشهر الخامس واختلفوا في ان هذه المدة سببها الوفاة او العلم بالوفاة فعن بعضهم وهو قول جديد قول الشافعي
انها ان لم تعلم بوفاة زوجها لا تعتد بانقضاء الايام في العدة لما روي ان النبي قال المرأة المفقود امرأته حتى ياتيها يقين موته او طلاقه ولانه فالنكاح
معلوم بيقين فلا يزال الا بيقين وقال الاكثرون السبب هو الموت فلو انقضت المدة او اكثرها ثم بلغها خبر وفاة الزوج وجب ان تعتد بما انقضى والدليل
عليه ان الصغيرة التي لا علم لها تكفي في انقضاء عدتها تمام هذه المدة ثم المراد من تربصها بنفسها الامتناع عن النكاح بالاجماع والامتناع عن الخروج
عن المنزل الا عند الضرورة والحاجة والاحداد وهو ترك الزينة بالثياب والزينة وترك التحلي والتطيب في البدن والاكتحال بالاثمد يحرم عليها ان تختضب
بالحناء او تتحلى فيما يظهر من اليدين او الرجلين او الوجه ولا منع فيما تحت الثياب ولا منع من التزين في الفرش والبسط والستور واثاث البيت ومن التنظف
بغسل الرأس والامتشاط وقلم الاظفار والاستحداد ودخول الحمام وازالة الاوساخ والعدة تنقضي وان تركت الاحداد ولكنها تعصي لما روي ان رسول
الله قال لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تحد على ميت فوق ثلث ليال الا على زوج اربعة اشهر وعشرا وعن الحسن الشعبي انه غير واجب لان الحديث
يقتضي حل الاحداد لا وجوبه لكنه قال المتوفى عنها زوجها لا تلبس المعصفر من الثياب ولا الممشقة ولا الحلى ولا تختضب ولا تكتحل والممشقة المصبوغ
بالمشق وهو الطين الاحمر وقد يحتج بقوله والذين يتوفون منكم من قال الكفار ليسوا مخاطبين بفروع الشرائع والا لم يخص الخطاب في منكم بالمؤمنين والجواب
انما خصوا بالخطاب لانهم هم العاملون بذلك لقوله انما انت منذر من يخشاها مع تعميم للكل ليكون للعالمين نذيرا فاذا بلغن اجلهن اي انقضت
عدتهن فلا جناح عليكم ايها الاولياء او لانهم الذين يتولون العقد او ايها الحكام وصلحاء المسلمين لانهن ان تزوجن في مدة العدة وجب على كل
احد منعهن عن ذلك فان عجز استعان بالسلطان ونحو ذلك لان المقصود من هذه العدة الامن من اشتمال فرجها على ماء زوجها الاول وقيل معناه
لا جناح عليكم وعلى النساء فيما فعلن في انفسهن من التعرض للخطاب بالتزين والتطيب ونحوهما بشرط ان تفعله المرأة بفعله ويدخل فيه اي تجوز الاستبداد

بالمعروف بالوجه الذي يحسن عقلا وشرعا وقد يحمل اصحابنا بعينه هٰهنا على التزويج فيستدلون به على جواز النكاح بلا ولي والجواب بعد تسليم ان المراد من الفعل
هو التزويج ان الفعل قد يسند الى المسبب مثل بنى الامير دارا وقد تقدم في قوله ان ينكحن ازواجهن ثم ختم الاية بالتهديد المشتمل على الوعد فقال والله
بما تعملون خبير الحكم الرابع عشر خطبة النساء وذلك قوله سبحانه ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء والتعريض ضد التصريح ومعناه ان
تضمن كلامك ما يصلح للدلالة على المقصود الا ان اشعاره بجانب المقصود اتم وارجح ولهذا قد يقال التلويح الكلام الموضوع غير مذكور كما يقول المحتاج جئتك
لانظر الى وجهك الكريم ومنه قول الشاعر وحسبك بالتسليم مني تقاضيا واصله من عرض الشيء وهو جانبه كانه يحوم حوله ولا يظهره ولهذا قيل ان في المعاريض
لمندوحة عن الكذب وهو قسم من اقسام الكناية والخطبة اصلها من الخطب وهو الامر والشان خطب فلان فلانة اى سألها امرا وشانا في نفسها وكذا
في الخطبة والخطاب فان في كل منهما شانا ثم النساء على ثلاثة اقسام احدها ان يجوز خطبتها تعريضا وتصريحا وهي الخالية عن الزوج والعدة الا اذا كان قد
خطبها اخو اجنبي وعليه يحمل قوله ﷺ لا يخطب احدكم على خطبة اخيه فان وجد صريح الاباء او لم يوجد صريح الاجابة ولا صريح الرد فالاصح انه يجوز
خطبتها لان السكوت لا يدل على الرضا خلافا لمالك ثانيها ما لا يجوز خطبتها تعريضا ولا تصريحا وهي منكوحة الغير لان خطبتها ربما صارت سببا
لتشويش الامر على زوجها ولامتناع المرأة عن اداء حقوق الزوج اذا رغبت في غيرها وكذا الرجعية فانها في حكم المنكوحة بدليل انه يصح طلاقها
وظهارها ولعانها وتعتد منه عدة الوفاة ويتوارثان وثالثها ما يفصل في حقها بين التعريض والتصريح وهي المعتدة غير الرجعية سواء كانت معتدة
عن وفاة او عن طلقات ثلاث او عن بائنة كالمختلعة او عن فسخ وسبب التحريم انها مستوحشة بالطلاق فربما تكذب في انقضاء العدة بالاقراء مسارعة
الى مكافاة الزوج واما المعتدة عن وفاة فلا لاستيلاء على لها في حقها الاشهاد كرهت عقيبه مدة الوفاة عنها زوجها ثم انه خص التعريض بعدم الجناح فيجوز
ان يكون التصريح بخلافه ثم المعنى يؤكد ذلك فان التصريح لا يحتمل غير النكاح فلعله يحملها الحرص على النكاح على الاخبار عن انقضاء العدة قبل اوانها
بخلاف التعريض فانه يحتمل غير ذلك فلا يدعوها الى الكذب قال الشافعي والتعريض كثير كقوله رب راغب فيك ومن يجد مثلك ولست بايم واذا حللت
فاذنيني وعد اخرون من الفاظ التعريض ان يقول لها انك لجميلة او صالحة او نافعة ومن غرضي ان اتزوج وعسى الله ان ييسر لي امراة صالحة ونحو
ذلك من الكلام الموهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه والتصريح ان يقول اني اريد ان انكحك واتزوجك واخطبك وعن ابي جعفر
محمد بن علي انه دخل على امرأة وهي في العدة فقال قد علمت قرابتي من رسول الله ﷺ وحق جدي علي وقدمي في الاسلام فقالت غفر الله لك اتخطبني
في عدتي وانت يؤخذ عنك فقال انما اخبرتك بقرابتي من رسول الله وقد دخل رسول الله ﷺ على ام سلمة وكانت عند ابن عمها ابي سلمة فتوفي عنها فلم
يزل يذكر لها منزلته من الله وهو متحامل على يده حتى اثر الحصير في يده فما كانت تلك خطبة او اكننتم في انفسكم اي او سترتم واضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بالسنتكم
لا معرضين ولا مصرحين اباح التعريض في الحال ولا ثم اباح ان يعقد قلبه على انه سيصرح بذلك بعد انقضاء العدة ثم ذكر الوجه الذي لاجله
اباح التعريض فقال علم الله انكم ستذكرونهن لان شهوة النفس اذا حصلت في باب النكاح لم يكد المرء يصبر عن النطق بما يتمنى عن ذلك فاسقط
تعالى عنه الحرج ثم قال ولكن اي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا والسر وقع كناية عن النكاح الذي هو الوطء لانه مما يسر ثم عبر عن النكاح الذي
هو العقد لانه سببه كما فعل بالنكاح الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا والمعنى لا تواعدوهن مواعدة سرية الا مو
الاحسان اليها والاهتمام بمصالحها حتى يصير ذكر هذه الاشياء مؤكدا لذلك التعريض فالمواعدة المنهي عنها اما ان يكون المواعدة في السر بالنكاح
فيكون منعا من التصريح واما المواعدة بذكر الجماع كقوله ان نكحتك نكتك كذا بعبد الحسنة عن ابن عباس وكقوله عسى ان اجامعك فاذا تممت
عدتك اظهرت نكاحك عن الحسن يكون ذلك نهيا من مسارة الرجل المرأة الاجنبية لان ذلك نوع ريبة او نهيا ان يواعدها الا ان يتزوج باحد
سواها ويحتمل ان يكون السر صفة للموعود به اى لا تواعدوهن شيئا يوصف بكونه سرا الا ان تقولوا قولا معروفا وهو التعريض وعن ابن عباس
هو ان يتواثقا ان لا يتزوج غيره ولا تعزموا عقدة النكاح من عزم الامر وعزم عليه العزم عقد القلب على فعل من الافعال معناه ولا
تعزموا عقدة النكاح ان تعقدوها واذا نهي عن العزم فعن نفس الفعل اولى وقيل معنى العزم القطع اي لا تحققوا ذلك ولا توجبوه ومنه لا
صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروي لم يبيت الصيام وقيل لا تعزموا عليهن ان يعقدن النكاح مثل عزمت عليك ان تفعل كذا واصل
العقد الشد والعهود والانكحة تسمى عقودا تشبيها بالحبل الموثق بالعقد حتى يبلغ الكتاب اجله المراد منه المكتوب اي حتى يبلغ العدة المفروضة
اخرها وانقضت ويحتمل ان يكون مصدرا بمعنى الفرض اي حتى يبلغ هذا التكليف نهايته باقي الاية بيان موجبي الخوف والرجاء كما تقدم الحكم الخامس
عشر حكم المطلقة قبل الدخول وقبل فرض المهر وذلك قوله عز من قائل لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة
واعلم ان عقد النكاح يوجب بدلا لا محالة وذلك البدل اما ان يكون مذكورا او غير مذكور فان كان مذكورا فان حصل الدخول استقر كله وعليها عدة
ثلاثة قروء كما سبق وان لم يحصل الدخول سقط نصف المذكور بالطلاق كما يجيء في الاية التالية وان لم يكن البدل مذكورا فان لم يحصل الدخول
فحكمها في هذه الاية متعة لا مهر لها او بطل المتعة فان حصل الدخول فحكمها غير مذكور في هذه الايات الا انهم اتفقوا على ان الواجب فيها مهر المثل
قياسا على الموطوءة بالشبهة بل اولى لوجود النكاح الصحيح وقد يستنبط حكمها من قوله فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن ويحتمل ان يقال ان هذه
الاية تدل على انه لا مهر للتي لا يكون ممسوسة ولا مفروضا لها مهر فيعرف من ذلك وجوب المهر المسمى للمفروض لها وللمفروض لها غير الممسوسة وقد سلف

المستوى المفروض لها فتبين اشتمال القرآن على احكام جميع الاقسام فان قيل ظاهر الاية مشعر بان نفي الجناح عن المطلق مشروط بعدم المسيس امر كذلك فانه
لا جناح عليه ايضا بعد المسيس قلنا لعل الاية وردت لبيان ان المنع من الطلاق وجواز الطلاق لا منع الا قبل المسيس اي بعده الى ان يكون الطلاق
في طهر لم يجامعها فيه فلعل ما بعد التوقف للمدة والتقدير لا جناح عليكم ان طلقتم النساء الا في زمان مسهن ولا يلزم منه وجود الجناح في تطليق غيرهن اذ المراد
من الجناح في الاية لزوم المهر لا مهر عليكم ولا تبعة في تطليقهن فان الجناح في اللغة الثقل يقال اجنحت السفينة اذا مالت بثقلها ومما يؤكد ذلك انه
نفى الجناح ممتدا الى غاية هي اما المسيس او الفرض والجناح الذي يثبت عند احد هذين الامرين هو لزوم المهر فحصل القطع بان الجناح المنفي اول الاية
هو لزوم المهر واعلم ان تطليق النساء قبل المسيس اما ان يكون قبل تقدير المهر او بعده ففي القسم الثاني يجب نصف المفروض كما يجيء فيجب ان يكون المنفي
في القسم الاول مقابل المثبت في الثاني او تفرضوا على الرد بالمسيس والمماسة في الاية الجماع ولا يخفى حسن موقع هذه الكناية وهذا من باب العادات للمتقين احسانا
احسن الالفاظ المتخاطب المقام والفرض في اللغة التقدير اي تقدروا مقدارا من المهر ومعنى او ههنا ان رفع الجناح منوط بعدم المسيس او عدم الفرض
على سبيل منع الخلو فقط وقد اجتماعهما في هذا الحكم وقيل او بمعنى الواو وقيل بمعنى الا وقيل بمعنى حتى والكل تعسف ثم انه تعالى لما بين انه لا
لا مهر لها قبل المسيس والتسمية ذكر ان لها المتعة فقال ومتعوهن فذهب الشافعي وابو حنيفة الى انها واجبة نظرا الى الامر وانه للوجوب ظاهرا وقول
شريح والشعبي والزهري وعن مالك يروى عن الفقهاء السبعة من اهل المدينة انهم كانوا لا يرونها واجبة لانه تعالى قال في آخر الاية حقا على المحسنين فجعلها
من باب الاحسان ورد بان لفظ على ينبئ عن الوجوب وكذا قوله حقا واصل المتعة والمتاع ما ينتفع به انتفاعا منقضيا ولهذا قيل الدنيا متاع
وبني التمتع بمعنى الاعطاء ثم عبر عن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره والموسع الرجل اذا كان في سعة من ماله والمقتر ضده من القترة وهي الغبار وكانه
بالارض لضيق ذات يده وقدره اي قدر امكانه وطاقته فحذف المضاف او قدره مقداره الذي يطيقه لان ما يطيقه هو الذي يختص به والقدر
والقدر لغتان في جميع معانيهما وفي الاية دليل على ان تقدير المتعة مفوض الى الاجتهاد كالنفقة التي اوجبها الله تعالى للزوجات وبين ان الموسع كذا
والمقتر كذا والشافعي استحب على الموسع خادم وعلى المتوسط ثلثون درهما واقلها مقنعة اي قدر ما يجزئ الصلاة في الجانبين والقلة والنظر في اليسار وكذا
الى العادة وقال ابو حنيفة المتعة لا تزاد على نصف مهر المثل لان حال المرأة التي سمي لها المهر احسن من حال التي لم يسم لها ثم لم تجب لها زيادة على نصف المسمى
اذا طلقها قبل الدخول فلهذه اولى متاعا تاكيد لمتعوهن اي تمتيعا بالمعروف الذي يحسن في الدين والمروءة وعلى قدر حال الزوج في الغنى والفقر
على ما يليق بالزوجة بحسب الشرف والوضاعة حقا على المحسنين لانهم الذين ينتفعون بهذا البيان او من اراد ان يكون من هذا شانه
وطريقته وعلى المحسنين الى انفسهم في المسارعة الى طاعة الله تعالى الحكم السادس عشر حكم المطلقة قبل الدخول وبعد فرض المهر وذلك قوله سبحانه وان
طلقتموهن من قبل ان تمسوهن الاية واعلم ان مذهب الشافعي ان الخلوة لا تقرر المهر وقال ابو حنيفة الخلوة الصحيحة تقرر المهر وهي ان لا يكون
هناك مانع حسي او شرعي فالحسي نحو الرتق والقرن والمرض ويكون معهما ثالث وان كان نائما والشرعي كالحيض والنفاس وصوم الفرض وصلاة الفرض
والاحرام المطلق فرضا كان او نفلا وقوله وقد فرضتم في موضع الحال ومعنى قوله فنصف ما فرضتم فعليكم نصف ذلك او فنصف ما فرضتم ساقط
او ثابت الا ان يعفون اي المطلقات عن ازواجهن فتقول المرأة ما رآني ولا خدمته ولا استمتع بي فكيف آخذ منه شيئا والفرق بين قولك النساء
يعفون وبين الرجال يعفون هو ان الواو في الاول لام الفعل والنون ضمير جماعة النساء ولم يؤثر فيه شيء وانما وزنه يفعلن والفعل
لا اثر فيه لفظ العامل والواو في الثاني ضمير جماعة الذكور واللام محذوف ووزنه يعفون والنون علامة الرفع فتقول لن يعفوا عطف على محل
ان يعفون والذي بيده عقدة النكاح الولي وهو قول الشافعي ويروى عن الحسن ومجاهد وعلقمة وقيل الزوج وهو مذهب ابي حنيفة يروى
عن علي وسعيد بن المسيب وكثير من الصحابة والتابعين قالوا ليس للولي ان يهب مهر موليته صغيرة كانت او كبيرة وايضا الذي بيد الولي هو عقدة
النكاح فاذا عقد حصلت العقدة المعقودة ككالاكلة واللقمة ثم هذه العقدة بيد الزوج لا الولي وعن جبير بن مطعم انه تزوج امرأة وطلقها قبل
الدخول فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو وحجة الاولين ان الصادر عن الزوج هو ان يعطيها كل المهر وذلك يكون هبة والهبة لا تسمى عفوا
الا ان يقال كان الغالب عندهم ان يسوق اليها المهر عند التزوج فاذا طلقها استحق ان يطالبها بنصف ما ساق اليها فاذا ترك المطالبة فقد عفا عنها
او يقال سماه عفوا على طريقة المشاكلة او لان العفو التسهيل فعفو الرجل هو ان يبعث اليها كل الصداق على وجه السهولة وحجة اخرى لو كان المراد
به الزوج وقد قال اولا وان طلقتموهن ناسب ان يقال الا ان يعفون او تعفو على سبيل الخطاب ثم لا حاجة بسبب العدول عن الخطاب الى الغيبة هو
التنبيه على المعنى الذي لاجله يرغب في العفو والمعنى الا ان يعفون او يعفو الزوج الذي حبسها بان ملك عقدة نكاحها عن الازواج ثم لم يكن منها
سبب في الفراق وانما فارقها الزوج فلا جرم كان حقيقا بان لا ينقصها من مهرها ويكمل لها صداقها ثم قال الشافعي ثبت ان الذي بيده عقدة النكاح
هو الولي فهم منه ان النكاح لا ينعقد بعبارة الولي وذلك للحصر المستفاد من تقديم بيده فعقدة النكاح خصيصة لا يثبت للمرأة من ذلك شيء
وان تعفوا اقرب للتقوى قيل اللام بمعنى الى والتقدير العفو اقرب الى التقوى والخطاب للرجال والنساء جميعا الا ان الغلبة للذكور كما في قوله
ولما كان عفو البعض عن البعض اقرب الى حصول معنى الاتقاء لان من سمح بترك حقه فهو الى ان يتورع عن ان يأخذ حق غيره بغير حله اولى اذا استحق ثواب
الصنع الثواب وفيه اتقى العقاب واحترز عنه ولا تنسوا الفضل بينكم لا تتركوا الفضل والافضال فيما بينكم وليس هذا امر النسيان فان ذلك غير مقدور بل

المراد منه الترك وذلك ان الرجل اذا تزوج المرأة فقد تعلق قلبها به فاذا طلقها قبل المسيس صار ذلك سببا لتاذيها منه وايضا اذا كلف الرجل ان يبذل
لها مهرها من غير ان يكون قد انتفع بها صار ذلك سببا لتاذيه منها فلا جرم ندب الله تعالى كلا منهما الى تطييب قلب الاخر بان يترك كل المهر او يترك
الا فالتنصيف عن جبير بن مطعم انه دخل على سعد بن ابي وقاص فعرض عليه بنتا له فتزوجها فلما خرج طلقها وبعث اليها بالصداق كاملا فقيل
له لم تزوجتها فقال عرضها علي فكرهت رده قيل فلم بعثت بالصداق قال فاين الفضل ثم ختم الاية بما يجري مجرى الوعد والوعيد على العادة
المعلومة فقال ان الله بما تعملون بصير **حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين فان**
محافظت کنید بر نمازها خصوصا نماز میانه و بایستید برای خدا فرمانبرداران پس اگر
خفتم فرجالا او ركبانا فاذا امنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون والذين يتوفون منكم و
بترسید از دشمن پس پیاده یا سواره نماز گزارید پس چون ایمن شدید پس یاد آورید خدا را که آموخت شما چیزهایی که نمی دانستید و آنانکه وفات کرده شوند از شما و
يذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم في ما فعلن في انفسهن
و گذارند زنان خود را وصیت کنند وصیتی از برای زنان خود بهره تا سال که بیرون نروند پس اگر بیرون رفتند پس گناهی نیست بر شما در آنچه کردند در نفسهای خود
من معروف والله عزيز حكيم وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم
از شناخته و خدا غالب محکم است و از برای رها شدگان است بهره مقداری معین این ثابت بر پرهیزگاران همچنین ظاهر میسازد خدا آیات خود را تا شاید
تعقلون القراءات وصية بالنصب ابو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص ويعقوب غير رويس الباقون بالرفع الوقوف قانتين ه لا او ركبانا ج لان
اذا في معنى الشرط مع فاء التعقيب تعلمون ه لا نعجاج لانقطاع النظم ومكان الحذف لان التقدير فعليهم وصية او فليوصوا وصية و
الوصل اجوز لاتصال المعنى فان جعلت وصية او وصية قائم مقام خبر المبتدا اخراج ج من معروف ط حكيم ه بالمعروف ط المتقين ه تعقلون ه التفسير الحكم
السابع عشر الصلوة وذلك انه تعالى لما بين للمكلفين ما بين من معالم الدين وشرائع اليقين اعقبها بذكر الصلوة التي تفيد انكسار القلب
من هيبة الله تعالى وزوال التمرد وحصول الانقياد لاوامره والانتهاء عن مناهيه فيحصل السعادات الطرفين وتكميل المصالح الدارين وقد
اجمع المسلمون على ان الصلوات المكتوبة خمس وفي الاية اشارة الى ذلك لان الصلوات جمع واقلها ثلث والصلوة الوسطى تدل على شيء زائد والا
لزم التكرير بعد ذلك الزائد ولو كان الرابع لم يكن المجموع وسطى فلا اقل من خمسة المراد بمحافظتها رعاية جميع شرائطها من طهارة البدن والثوب
والمكان ومن ستر العورة واستقبال القبلة والاتيان بادركانها وابعاضها وهيئاتها والاحتراز عن مفسداتها من اعمال القلب واعمال اللسان
والجوارح وصيغة المفاعلة في المحافظة اما لانها بين العبد والرب كانه قيل احفظ الصلوة يحفظك الاله الذي امرك بالصلوة كقوله فاذكروني اذكركم
وفي الحديث احفظ الله يحفظك واما لانها بين المصلي والصلوة من حفظ الصلوة حفظته الصلوة على المعنى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء
والمنكر فيحفظه من المعاصي والمحن واستعينوا بالصبر والصلوة وكيف لا وفي الصلوة القراءة والقران شافع مشفع في الخبر تجيء البقرة وال عمران
كانهما غمامتان تشهدان وتشفعان وان سورة الملك تصرف عن المتهجد بها عذاب القبر وتجادل عنه في الحشر وتقف في الصراط عند قدمه
تقول للنار لا سبيل لك عليه والصلوة الوسطى سيجيء الاقوال فيها القول الاول انه تعالى امرنا بالمحافظة على الصلوة الوسطى ولم يبين لنا انها اي الصلوة
وما يروى من اخبار الاحاد لا معول عليها فيجب ان تؤدي كلها على نعت الكمال والتمام ولعل هذا هو الحكمة في ابهامها ومثل ذلك اخفى الله تعالى
ليلة القدر في ليالي رمضان وساعة الاجابة في يوم الجمعة واسمه الاعظم في اسمائه ووقت الموت في الاوقات ليكون المكلف خائفا من الموت
في كل الاوقات وهذا القول اختاره جمع من العلماء عن محمد بن سيرين ان رجلا سأل زيد بن ثابت عن الصلوة الوسطى فقال حافظ على الصلوات
تصبها وعن الربيع ارايت ان علمتها بعينها اكنت محافظا عليها ومضيعا سائرهن قال السائل لا فقال الربيع فان حافظت عليهن فقد حافظت على الوسطى
القول الثاني ان الوسطى مجموع الصلوات الخمس فان الايمان بضع وسبعون درجة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق
والصلوات المكتوبة واسطة بين الطرفين القول الثالث انها صلوة الصبح وهو قول علي وعمر وابن عباس وابن عمر وجابر وابي امامة ومن التابعين قول طاوس
وعطاء وعكرمة ومجاهد وهو مذهب الشافعي لتواتر الروايات ان هذه الصلوة تصلي في الغلس فبعضها في ظلمة الليل واخرها في ضوء النهار وايضا فانها صلوة
الظهر والعصر في النهار وصلوتين المغرب والعشاء في الليل والصبح متوسط بينهما وايضا الظهر والعصر يجمعان في السفر وكذا المغرب والعشاء والصبح منفرد بينهما قال
القفال وتحقيق هذا يرجع الى ما يعتاده الناس فانه متوسط بين الاسمين المختصين وكان منفردا بنفسه عنهما وقد اقسم الله تعالى بها في قوله والفجر وليال
عشر وايضا انه قال وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا واتفقوا على ان المراد منه صلوة الفجر فخصها في تلك الاية بالذكر للتاكيد كما خص الصلوة
الوسطى في هذه الاية بالذكر للتاكيد فيغلب على الظن انهما واحد وايضا انه قرن هذه الصلوة بذكر القنوت في قوله وقوموا لله قانتين وليس في الفرض
صلوة يصح فيها القنوت الا الصبح وايضا لا شك ان افرادها بالذكر لاجل التاكيد والصبح احوج الصلوات اليه اذ تستحب ترك النوم اللذيذ واستعمال الماء
البارد والخروج الى المسجد في الوقت الموحش وايضا الامر بالذكر ينبئ عن الفضل لا ريب في فضيلة الصبح لهذا جاء والمستغفرين بالاسحار وروي ان التكبيرة
الاولى منها في الجماعة خير من الدنيا وما فيها وخصت بالاذان مرتين ولاهما قبل الوقت ليتيقظ الناس مرتحلا لا تقوم البتة وخص ايضا بالتثويب وهو

يقول بين الحيعلتين الصلوة خير من النوم وان الانسان اذا قام من منامه فكأنه صار موجودا بعد العدم وعند ذلك يزول عنه الكلال بزوال ظلمة الليل
والنوم والغفلة وظلمة الفجر والحيرة ويملأ العالم نورا والابدان حيوة وعقلا وقوة وفهما فهذا الوقت اليق الاوقات بان يشتغل العبد
باداء العبودية واظهار الخضوع والاستكانة لفاطر السموات والارض وجاعل الظلمات والنور وعن علي رضي الله عنه انه سئل عن الصلوة الوسطى فقال
كانرى انها الفجر وعن ابن عباس انه صلى الصبح ثم قال هذه هي الصلوة الوسطى القول الرابع انها صلوة الظهر ويروى عن عمر وزيد وابي بكر وابي سعيد الخدري
واسامة بن زيد وهو قول ابي حنيفة واصحابه لان الظهر كان شاقا عليهم لوقوعه في وقت القيلولة وشدة الحر فصرف المبالغة اليها وعن زيد بن ثابت ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يصلي بالهاجرة وكانت اثقل الصلوات على اصحابه فربما لم يكن وراءه الا الصف والصفان فقال صلى الله عليه وسلم لقد هممت ان احرق على قوم لا يشهدون الصلوة بيوتهم
فنزلت هذه الاية وايضا فهي في المكتوبات صلوة وقعت وسط الليل والنهار لا صلوة وانما صلوة بين صلوتين انها بين الفجر والعصر انها صلوة بين البردين
برد الغداة وبرد العشي وان ذلك مما يحرم بل كانت في صلوة الظهر كما ورد في الاحاديث الصحاح ان صلوة الجمعة مع ما ورد في فضلها تنوب عن الظهر ويروى عن
عائشة انها كانت تقرأ والصلوة الوسطى وصلوة العصر كانت تقول سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم فتغلب على الظن ان المعطوف عليه العصر هو الظهر الذي قبله
ويروى ان قوما كانوا عند زيد بن ثابت فارسلوا الى اسامة بن زيد فسألوه عن الصلوة الوسطى فقال هي صلوة الظهر كانت تقام في الهاجرة القول الخامس
انها صلوة العصر ويروى عن علي وعن ابن مسعود وابن عباس وابي هريرة ومن الفقهاء النخعي وقتادة والضحاك وهو مروي عن ابي حنيفة ايضا ولما ورد من التاكيد
كقوله صلى الله عليه وسلم من فاته صلوة العصر فكانما وتر اهله وماله وقد اقسم الله بها في قوله والعصر ان الانسان لفي خسر ولما يحتاج في معرفة وقتها الى تأمل اكثر من حال
الظهر فالمغرب يعرف بغروب جرم الشمس والعشاء بغروب الشفق والفجر بطلوع الصبح الصادق والظهر بدلوك الشمس عن دائرة نصف النهار ولما في وقتها من اشتغال
الناس بحوائجهم عن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الخندق شغلونا عن الصلوة الوسطى حتى غابت الشمس ملأ الله بيوتهم
وقبورهم نارا رواه البخاري ومسلم وسائر الائمة وهو عظيم الوقع في المسئلة وفي صحيح مسلم شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر وعن النبي صلى الله عليه وسلم انها الصلوة
التي شغل عنها سليمان بن داود حتى توارت بالحجاب وعن حفصة انها قالت لمن كتب لها المصحف اذا بلغت هذه الاية فلا تكتبها حتى املي عليك كما سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها فاملت عليه والصلوة الوسطى صلوة العصر القول السادس انها صلوة المغرب عن قبيصة بن ذؤيب لانها بين بياض النهار وسواد
الليل ولانها وسط في الطول والقصر القول السابع انها صلوة العشاء لانها متوسطة بين صلوتين لا تقصران المغرب والصبح ولما ورد من فضلها عن عثمان
بن عفان عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء الاخرة في جماعة كان كقيام نصف ليلة وقال اهل التحقيق القلب هو الذي في وسط الانسان بل هو واسطة بين الروح
والجسد فكأنه قيل حافظوا على صورة الصلوات بشرائطها وحافظوا على معاني الصلوة وحقائقها بدوام شهود القلب بالرب في الصلوة وبعدها ثم ان الشافعي
احتج بالاية على ان الوتر ليس بواجب لانه لو كانت الصلوة ستا لم يحصل لها وسطى وهذا انما يتم لو كان المراد الوسطى في العدد لكنه يحتمل ان يكون الوسطى في الفضل
من قوله وكذلك جعلناكم امة وسطا او الوسطى في الزمان وهو الظهر او الوسطى في العدد كالمغرب فانها ثلث ركعات فهي وسط بين الاثنين والاربع
او الوسطى في الصفة كصلوة الصبح فانها متوسطة بين صفتي الظلام والضياء وقوموا لله قانتين عن ابن عباس القنوت هو الدعاء والذكر لقوله تعالى
امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما ولان قوله حافظوا على الصلوات امر بما في الصلوة من الفعل فيكون القنوت عبارة عن كل ما في الصلوة
من الذكر وعن الحسن والشعبي وسعيد بن جبير وطاوس وقتادة والضحاك ومقاتل قانتين اي مطيعين لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال كل قنوت في القرآن فهو الطاعة ومن
يقنت منكن لله ورسوله فالصالحات قانتات فالقنوت عبارة عن كمال الطاعة والاحتراز عن ايقاع الخلل في اركانها وسننها وادابها وفيه زجر
لمن لم يبال كيف صلى فخفف واقتصر على ما لا يجزيه وذهب الى انه لا حاجة بالله الى صلوة العباد ولو كان كما قالوا لوجب ان لا يصلي اصلا لانه كما لا يحتاج
الى الكثير من عبادتنا فكذلك لا يحتاج الى القليل وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الرسل والسلف الصالح فاطالوا وخشعوا واستكانوا وكانوا
اعلم بالله من هؤلاء الجهال وقيل قانتين ساكتين عن زيد بن ارقم وعبد الله بن مسعود كنا نتكلم في الصلوة يكلم الرجل صاحبه وهو الى جنبه حتى نزلت
وقوموا لله قانتين فامرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام وعن مجاهد القنوت عبارة عن الخشوع وخفض الجناح وسكون الاطراف وكان احدهم
اذا صلى خاف ربه فلا يلتفت ولا يقلب الحصى ولا يعبث بشيء من جسده ولا يحدث نفسه بشيء من الدنيا حتى ينصرف ويحتمل ان يكون المراد وقوموا
لله مديمين لذلك القيام في اوقات معينة مستحبا به فان خفتم عدوا وغيره لما تقدم من العلم به او فان حصل لكم خوف وكنتم على حالة الخوف على انه
متروك المفعول فرجالا او ركبانا اي فصلوا راجلين او راكبين قيل المعنى فان خفتم فوات الوقت ان اخرتم الصلوة الى ان تفرغوا من حربكم فصلوا
رجالا او ركبانا وعلى هذا فالاية تدل على تاكيد فرض الوقت حتى يترخص لاجل فرض المحافظة عليه بترك القيام والركوع والسجود ورجال جمع راجل كقيام
جمع قائم وصحاب جمع صاحب او جمع رجل يقال رجل رجل اي راجل والركبان جمع راكب كفارس وفرسان ولا يقال راكب الا لمن كان على جمل كما يقال لمن على الفرس
فانما يقال له فارس لكن المراد في الاية اعم والتخصيص باللفظ بالركبان لانه الغالب فيهم واعلم ان صلوة الخوف اما ان يكون في غير حال القتال و
سوف يجيء بيانها في سورة النساء ان شاء الله تعالى واما ان يكون عند التحام القتال وهو المراد بهذه الاية ومذهب الشافعي انهم يصلون ركبانا على
دوابهم ومشاة على اقدامهم الى القبلة والى غير القبلة ويقتصرون من الركوع والسجود على الايماء الا انهم يجعلون السجود اخفض من الركوع ويحترزون
عن الصيحات لانه لا ضرورة اليه بل الشجاع الساكت اهيب وقال ابو حنيفة لا يصلي الماشي بل يؤخر لانه صلى الله عليه وسلم اخر الصلوة يوم الخندق واجيب بان الاية ناسخة

لان الفصل ... فی حالة الخوف الشدید لهذه الرخصة للخوف فی القتال الواجب کالقتال مع الکفار او مع اهل البغی فی القتال المباح کالدفع عن النفس
حیوانه محترم او عن المال اما القتال المحظور فانه لا یجوز فیه صلوة الخوف لان الرخص لا تناط بالمعاصی والخوف الحاصل لا فی القتال کالهارب من الحرق و
الغرق والسبع کذا الطالب اذا کان مطلوبا ایضا من الحرج ... عن تعقیبه لا عند ... صلوة الخوف لان قوله فان خفتم مطلق یتناول الکل
فاذا امنتم فاذا زال الخوف عنکم فاذکروا الله کما علمکم ما لم تکونوا تعلمون من صلوة الامن یعنی قوله حافظوا علی الصلوات والصلوة الوسطی وکما
بشرطها وارکانها والصلوة قد یسمی ذکرا کما فاسعوا الی ذکر الله وقیل فاذکروا الله ای فاشکروا الله لاجل انعامه علیکم بالامن وقیل فاشکروه
علی الامن اذکروه بالعبادة کما احسن الیکم بما علمکم من الشرائع علی لسان نبیه کیف تصلون فی حال الخوف وفی حال الامن وما فی کما علمکم اما
مصدریة او کافة الحکم الثامن عشر عدة الوفاة فی وجه اخر والذین یتوفون منکم الایة من قرأ وصیة بالرفع فوصیة مبتدأ وخبره لازواجهم و
جاز وقوع النکرة مبتدأ لتخصیصه بما یخصص به سلام علیکم او التقدیر فعلیهم وصیة لازواجهم فالخبر مضمر او الامر ... الحکم وصیة
فالمبتدأ مضمر او کتب علیهم وصیة او لیکن بینهم وصیة او وصیة الذین یتوفون وصیة والذین یتوفون اهل وصیة الی الحول کل هذه الوجوه
جایزة ومن قرأ بالنصب فعلی تقدیر فلیوصوا وصیة او یوصون وصیة مثل انت سیر البرید والزم الذین یتوفون منکم وصیة متاعا نصب علی
المصدریة ای متعوهن ... او التقدیر جعل الله لهن ذلک متاعا لان ما قبله من الکلام یدل علیه او نصب علی الحال
او نصب بالوصیة غیر اخراج نصب علی المصدر المؤکد کقولک هذا القول غیر ما تقول او بدل من متاعا او حال من الازواج ای غیر مخرجات والمعنی ان الذین
الذین یتوفون منکم علی ازواجهم ان یوصوا قبل ان یحتضروا بان تمتع ازواجهم بعدهم حولا کاملا ای ینفق علیهن من ترکته ولا یخرجن من مساکنهم
واکثر المفسرین علی ان ذلک کان فی اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا او نسخ ما زاد علی هذه العدة ونسخت النفقة بالارث الذی
هو الربع والثمن لقوله ع لا وصیة لوارث ... ولا نفقة لها وان کانت حاملا واما السکنی فعند ابی حنیفة واصحابه لا سکنی
لها وهو قول علی وابن عباس وعائشة واختاره المزنی قیاسا علی النفقة وفرقوا بان النفقة فی مقابلة التمکین ولا تمکین واما السکنی فالنص ثابت
وهو موجود وعند الشافعی لها السکنی علی الاظهر وهو قول عمر وعثمان وابن مسعود وابن عمر وام سلمة وبه قال مالک والثوری واحمد وبناء الخلاف
علی خبر فریعة بنت مالک اخت ابی سعید الخدری قتل زوجها قالت فسألت رسول الله ص ان ارجع الی اهلی فان زوجی لم یترکنی فی منزل یملکه کذا
فی التفسیر الکبیر ... فقال نعم فانصرفت حتی اذا کنت فی المسجد او فی الحجرة دعانی فقال امکثی فی بیتک حتی یبلغ الکتاب اجله فحمل بعضهم الامر الثانی
علی النسخ واخرون علی الاستحباب وعن مجاهد انها ان اختارت السکنی فی دار زوجها ولم تاخذ النفقة من مال زوجها کانت عدتها اربعة اشهر وعشرا وان
اختارت السکنی ... ولا تاخذ من مال ... ترکته فعدتها الحول ... ولما نزلت الایة علی هذین التقدیرین یکون کل واحدة منهما معمولا وعن ابی
مسلم انکم تستفیدون بالوصیة حکم الله ... فیلزمکم القول بالنسخ ... نصف الحکم الی الزوج حتی یصیر معنی الایة والذین یتوفون منکم ویذرون ازواجا
وقد وصوا وصیة لازواجهم بالنفقة والسکنی حولا فهذا المجموع شرط وجوابه فان خرجن ای قبل ذلک وخالفن وصیة الزوج بعد ان یقمن المدة
التی ضربها الله تعالی فلا جناح علیکم فیما فعلن فی انفسهن من معروف ای نکاح صحیح لان اقامتهن بهذه الوصیة غیر لازمة والسبب انهم کانوا فی زمان
الجاهلیة یوصون بالنفقة والسکنی حولا وکانوا یوجبون علی المرأة الاعتداد بالحول فبین الله تعالی فی هذه الایة ان ذلک غیر واجب ... ما روی
زینب بنت ام سلمة ... سمعت ام سلمة تقول جاءت امرأة الی رسول الله ص فقالت یا رسول الله ان ابنتی توفی عنها زوجها
وقد اشتکت عینها افتکحلها فقال رسول الله ص لا مرتین او ثلاثا کل ذلک یقول لا ثم قال رسول الله ص انما هی اربعة اشهر وعشر وقد کان احداکن
فی الجاهلیة ترمی بالبعرة علی راس الحول قال ... فقلت لزینب وما ترمی بالبعرة علی راس الحول فقالت کانت المرأة اذا توفی عنها زوجها دخلت حفشا ای بیتا
صغیرا ولبست شر ثیابها ولم تمس طیبا حتی تمر بها سنة ثم تؤتی بدابة حمار او شاة او طائر فتفتض به قال مالک ای تمسح به جلدها فقلما تفتض
بشیء الا مات ثم تخرج فتعطی بعرة فترمی بها ثم تراجع بعد ما شاءت من طیب او غیره فلا جناح علیکم یا اولیاء المیت فیما فعلن فی انفسهن من التزین والاقدام
علی النکاح ... قطع نفقتهن اذا خرجن قبل انقضاء الحول ... ترک منعهن من الخروج لان مقامها حولا فی بیت زوجها لیس بواجب علیها وانما قال
ههنا من معروف منکرا لان المراد به من الوجوه التی لهن ان یاتینها ... وفی الایة السابقة اراد بالوجه المعروف من الشرع ویمکن ان یقال ان تلک
الایة متاخرة فی النزول عن هذه باجماع المفسرین فلهذا نکر اولا ثم عرف لان النکرة اذا تکررت صارت معرفة قال سبحانه کما ارسلنا الی فرعون
رسولا فعصی فرعون الرسول الحکم التاسع عشر وللمطلقات متاع ای للمطلقات ایجاب المتعة بعد ما اوجبها للواحدة منهن فی المذکور
فی الخامس عشر وذکر انها لما نزلت ومتعوهن الی قوله متاعا بالمعروف حقا علی المحسنین قال رجل من المسلمین ان احسنت فعلت وان لم ارد
ذلک لم افعل فنزلت هذه الایة ... علی من کان متقیا عن الکفر والمعاصی ... اعلم ان المطلقات قسمان مطلقة قبل الدخول فلها المتعة ان لم یفرض
لها مهر کما مر فی الحکم الخامس عشر وان فرض لها مهر فلا متعة لها وحسبها نصف المهر لانه تعالی اقتصر علی ذلک الحکم فذکر المتعة فهی مستثناة من عموم هذه
الایة ومطلقة بعد الدخول سواء فرض لها او لم یفرض ... اختلفوا فی ... المتعة القدیم من قول الشافعی وبه قال ابو حنیفة لا متعة لها لانها تستحق
المهر کالمطلقة بعد الفرض وقبل الدخول ... النصف ... وهو قول علی وابن الحسن وابن عمر ... لعموم قوله تعالی فمتعوهن ...

دخل بهن النبي وليست كالمطلقة المذكورة لانها استحقت الصداق لا بمقابلة عوض وهذه استحقت الصداق في مقابلة استباحة البضع فيجب المتعة للايحاش عن سعيد بن جبير وابي العالية والزهري انهما واجبتان لكل مطلقة تمسكا بظاهر عموم الآية وقيل المراد بهذه المتعة النفقة في العدة بدليل متاعا الى الحول والله اعلم

ع

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ

آیا ندانی حکایت آنها را که بیرون رفتند از خانهای خود و ایشان هزاران بودند از ترس مرگ پس گفت مر ایشان را خدا که بمیرید پس زنده کردشان بدرستی که خدا صاحب فضل

عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ۝ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ مَّن ذَا الَّذِي

بر مردمان ولیکن بیشتری از مردمان سپاس نکنند و جهاد کنید در راه خدا و بدانید که بدرستی که خدا شنونده و داناست کیست آنکه او

يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ القراءة فيضاعفه

وام دهد خدا را وامی نیکو پس بیفزاید خدا از برای او مانندهای بسیار و خدا تنگ کند و وسعت دهد و بسوی او باز گردید

بالالف والنصب عاصم غير المفضل وسهل فيضعفه بالتشديد والنصب ابن عامر ويعقوب غير رويس فيضعفه بالتشديد والرفع ابن كثير ويزيد ورويس الباقون فيضاعفه بالالف والرفع وكذلك في سورة الحديد يبصط بالصاد ابن كثير وابو جعفر ونافع غير الحلواني عن ابن فليح وابن مجاهد يبصطون عن قنبل وسهل وعاصم وابن ذكوان وغير ابن مجاهد والنقاش وشجاع وعلي والحلواني عن قالون مخير الباقون بالسين الوقوف الموت ط احياهم ط لا يشكرون ه عليم ه كثيرة ط ويبسط ص ترجعون ه التفسير قد جرت عادته سبحانه ان يذكر بعد بيان الاحكام القصص عبارا للسامعين فحملهم ذلك على الاعتبار على ترك التمرد والعناد ومزيد الخشوع والانقياد فقال الم تر وفيه تقرير لمن سمع بقصتهم ووقف على اخبار الاولين وتعجيب من حالهم ويجوز ان يخاطب به من لم ير ولم يسمع لان هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجب ويكون الرؤية بمعنى العلم والمعنى الم ينته علمك الى حال هؤلاء ويجوز ان يكون النبي لم يعرف هذه القصة الا بهذه الآية ويجوز ان يقال كان العلم بها سابقا على نزول هذه الآية ثم انه تعالى انزل الآية على وفق ذلك روى ان اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا انه لا مفر من حكم الله وقضائه وروى ان حزقيل النبي الذي يقال له ذو الكفل مر عليهم بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فتعجب من ذلك فاوحى الله اليه تريد ان اريك كيف احييهم فقال نعم فقيل له ناد ايتها العظام ان الله يامرك ان تجتمعي فجعلت العظام يطير بعضها الى بعض حتى تمت العظام ثم اوحى الله اليه ناد ان الله يامرك ان تكتسي لحما فصارت لحما ودما ثم ناد ان الله يامرك ان تقومي فقامت فلما احياهم ثم كانوا يقولون سبحانك اللهم ربنا وبحمدك لا اله الا انت ثم رجعوا الى قومهم بعد حيوتهم وكان يظهر اثارات الموت في وجوههم الى ان ماتوا بعد ذلك بحسب آجالهم وعن ابن عباس ان ملكا من ملوك بني اسرائيل امر عسكره بالقتال فخافوا القتال فجبنوا وقالوا لملكهم ان الارض التي نذهب اليها فيها الوباء فنحن لا نذهب اليها حتى يزول ذلك الوباء فاماتهم الله باسرهم وبقوا ثمانية ايام حتى انتفخوا وبلغ بني اسرائيل موتهم فخرجوا لدفنهم فعجزوا من كثرتهم فحظروا عليهم الحظائر فاحياهم الله بعد الثمانية وبقي فيهم شيء من ذلك النتن وبقي ذلك في اولادهم الى هذا اليوم وقيل ان حزقيل النبي ندب قومه الى الجهاد فكرهوا وجبنوا فارسل الله عليهم الموت فلما كثر فيهم الموت خرجوا من ديارهم فرارا من الموت فلما راى حزقيل ذلك قال اللهم اله يعقوب واله موسى ترى معصية عبادك فارهم آية في انفسهم تدلهم على نفاذ قدرتك وانهم لا يخرجون عن قبضتك فارسل الله عليهم الموت فلما راه ضاق قلبه فدعا مرة اخرى فاحياهم الله تعالى واما قوله سبحانه وهم الوف ففيه دليل على الالوف الكثيرة ولكنهم اختلفوا فقيل عشرة آلاف وقيل ثلاثون وقيل سبعون وعن بعضهم ان الالوف جمع آلف كقعود جمع قاعد اي خرجوا وهم مؤتلفو القلوب وزيف بان ورود الموت عليهم دفعة وهم كثيرة يفيد مزيد اعتبار بحالهم بخلاف ما لو كانوا نفرا يسيرا فاما ورود الموت على قوم بينهم ايتلاف ومحبة فكوروده على قوم بينهم اختلاف في ان وجه الاعتبار لا يتغير وقد يوجه بان المراد انهم مع الدنيا ومحبتهم لها فاهلكوا ان حرص الانسان على الحيوة لا يعصمه عن الموت حذر الموت مفعول لاجله فقال لهم الله موتوا معناه فاماتهم وجيء بهذه العبارة للدلالة على انهم ماتوا ميتة رجل واحد وانها خارجة عن العادة ولا امر ولا قول كامر في قوله سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ويدل عليه قوله ثم احياهم وانه اسند الاحياء بلا قول فكذا الاماتة ويحتمل انه تعالى امر الرسول بان يقول لهم موتوا والظاهر انهم لم يكونوا رأوا واصطلوا من الاهوال والاحوال ما يصيرها معارف لهم ضرورية ويمنع من صحة التكليف بعد الاحياء كما في الآخرة وقال قتادة انما احياهم ليستوفوا بقية آجالهم لذو فضل على الناس تفضل عليهم بان خرجوا من الدنيا على المعصية فاعادهم الى الدنيا ومكنهم من التوبة والتلافي وتفضل على منكري البعث باقتصاص خبرهم ليستبصروا ويعتبروا وذلك ان تركيب الاجزاء على الشكل المخصوص ممكن والا لما وجد اولا واذا كان ممكنا في نفسه وقد اخبر الصادق بوجوده وجب القطع به وفي القصة تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وان الموت اذا لم ينفع منه الفرار فاولى ان يكون في سبيل الله ولهذا اتبعه بقوله وقاتلوا في سبيل الله ثم ان كان هذا الامر خطابا للذين احياهم على ما قال الضحاك احياهم ثم امرهم بان يذهبوا الى الجهاد فلا بد من اضمار تقديره وقيل لهم قاتلوا وان كان استينافا فخطاب للحاضرين على ما هو اختيار الجمهور من المفسرين فلا اضمار وفيه ترغيب المخاطبين كيلا ينكص على عقبيه محب الحيوة بسبب خوف الموت فان الحذر لا يغني عن القدر واعلموا ان الله سميع عليم يسمع ما يقوله القاعدون والمجاهدون ويعلم ما يضمرونه وهو من وراء الجزاء ولما امر المكلفين بالقتال في سبيل الله اردف ذلك بقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا اي في باب الجهاد لكنه ندب العاجز

عن الجهاد ان ينفق على الفقير القاعد على الجهاد او القاعد على الجهاد ان ينفق على من يخرج في طريق الجهاد وذا في من ذا اما زائدة ومن استفهام في موضع الرفع
والذي مع صلتها خبرها وموصوف الذي بدلها او اسم اشارة مخبر من الذي نعت له او بدل منه قال ابو البقاء ولا يجوز ان يكون من وذا بمنزلة اسم
واحد كما كانت ماذا لان ما اشد ابهاما من من اذ كانت من لمن يعقل وقد بني الكلام على طريقة الاستفهام لان ذلك ادخل في الترغيب والحث على الفعل
من ظاهر الامر وقيل ان هذا الكلام مبتدأ لا تعلق له بما قبله وانما ورد في الانفاق لا على الاطلاق وهو الاليق بلفظ القرض واما الواجب
منه لان قوله واليه ترجعون كالزجر وهو انما يليق بالواجب فظاهر الواجب ان القرض والتبرع اشبه هذا قول الاصم وقد روي عن بعض اصحاب ابن مسعود ان القرض
من هذا القرض هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وعن النبي صلى الله عليه وسلم من لم يكن عنده ما يتصدق به فليلعن اليهود فانه له صدقة ويشبه ان
يكون الفقير الذي لا يملك شيئا اذا كان في قلبه نية انه لو قدر ان يتقرب واعطى قامت تلك النية مقام الانفاق وعن الزجاج ان لفظ القرض حقيقة في كل ما
يفعل ليجازى عليه واصل القرض القطع ومنه المقراض لانقطاع الاثر ومن اقرض فكانما اقطع له من ماله او عمله قطعة يجازى عليها وقيل ان لفظ القرض
في الاية مجاز فان القرض ما ياخذه من يحتاج اليه لفقره وذلك في حق الله محال ولان البدل في القرض المعتاد لا يكون الا بالمثل وههنا يضاعف ولان المال
الذي ياخذه المستقرض لا يكون ملكا له وههنا المال الماخوذ ملك لله ثم مع حصول هذه الفروق سماه الله تعالى قرضا تنبيها على ان ذلك لا يضيع عند الله
فكما ان القرض يجب اداؤه ولا يجوز الاخلال فكذا الثواب المستحق على هذا الانفاق واصل الى المكلف لا محالة وقوله قرضا حسنا يحتمل كونه اسم مصدر وكونه
مصدرا بمعنى الاقراض ومعنى كونه حسنا ان ينفق حلالا خالصا لا يختلط به الحرام ولا يتبعه منا ولا اذى ولا يفعله رياء وسمعة وانما يفعله خالصا
لوجه الله تعالى واضعافا فانتصب على الحال او على المفعول الثاني ان ضمن يضاعف معنى يصير ويجوز ان يكون مصدرا لان الضعف اسم وان كان مصدرا الا انه قد يقع
موقع المصدر كالعطاء فانه اسم للمعطى وقد يستعمل بمعنى الاعطاء قال القطامي اكفرا بعد رد الموت عني وبعد عطائك المائة الرتاعا وانما جاز جمع المصدر
بحسب اختلاف انواع الجزاء لاختلاف الاغراض في المقدار والاخلاص وغير ذلك الضعف المثل والتضعيف والاضعاف والمضاعفة كلها الزيادة على
اصل الشيء حتى يصير مثلين او اكثر قيل الواحد بسبعمائة وعن السدي ان هذا التضعيف لا يعلم احد كم هو وما هو وانما ابهمه تعالى لان ذكر المبهم في باب الترغيب
اقوى من ذكر المحدود والله يقبض ويبسط يقتر على عباده ويوسع فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لا يبدلكم الضيقة بالسعة وايضا من كتب له الفقر
فلا الا ذلك سواء انفق او لم ينفق ومن كتب له الغنى فليس له الا ذلك فعلى التقديرين يكون انفاق المال في سبيل الله اولى واذا علم المكلف ان القبض
والبسط بالله انقطع نظره عن مال الدنيا وبقي اعتماده على الله تعالى فحينئذ يسهل عليه الانفاق في مرضات الله ويحتمل ان يكون المعنى والله يقبض بعض القلوب
حتى لا يقدم على هذه الطاعة ويبسط بعضها حتى يسهل عليه البذل وصرف المال واليه ترجعون فيجازيكم بحسب ما قدمتم من اعمال الخير وسائل التوفيق واسباب
انتهاء الطريق

أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ

آیا منگریستی بسوی گروهی از بنی اسرائیل از پس موسی چون گفتند از برای پیغمبری از ایشان که برانگیز از برای ما پادشاهی تا جهاد کنیم در راه خدا گفت

هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا

آیا امید دارید که اگر نوشته شود بر شما جهاد را که جهاد نکنید گفتند که چیست ما را که قتال نکنیم در راه خدا و حال آنکه بیرون شده‌ایم از خانه‌های خود و از فرزندان

فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۝ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ

پس چون که نوشته شد بر ایشان قتال رو گردانیدند مگر کمی از ایشان و خدا داناست به ستمکاران و گفت ایشان را پیغمبر ایشان بدرستی که خدا برانگیخت از برای شما طالوت را پادشاه

قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ

گفتند که کجا میشود از برای او پادشاهی بر ما و ما سزاوارتریم به پادشاهی از او و حال آنکه داده نشده فراخی از مال گفت بدرستی که خدا برگزید او را بر شما و افزود او را

بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۖ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۝ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ

زیادتی در علم و جسم و خدا میدهد پادشاهی خود را بهر که خواهد و خدا محیط داناست و گفت مر ایشان را پیغمبر ایشان بدرستی که نشانه پادشاهی او آنست که بیاید بشما صندوق

فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ فَلَمَّا

که در آن سکینه است از پروردگار شما و بازمانده از آنچه واگذاشتند کسان موسی و هرون که برمیدارند او را فرشتگان بدرستی که در این هر آینه نشانیست شما را اگر باشید گروندگان پس چون

فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً

ع ۲

جدا شد طالوت با لشکر گفت که بدرستی که خدا آزماینده شماست به نهری پس هر که بیاشامد از آن پس نیست از من و هر که نچشد آن را پس بدرستی که او از من است مگر آنکه بیاشامد کفی

بِيَدِهِ ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ

بدست خود پس آشامیدند از آن مگر کمی از ایشان پس چون گذشت از آن او و آنانکه ایمان آورده بودند با او گفتند که نیست طاقت ما را امروز به جالوت و لشکرش گفت

الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ۝ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ

آنان که یقین داشتند که ایشان ملاقات کنندهٔ خدااند بسا گروه اندک که غالب شد بر گروه بسیار به فرمان خدا و خدا با صابرانست و چون ظاهر شدند بر

وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۝ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ

جالوت و لشکرش گفتند پروردگارا بریز بر ما صبر را و محکم کن قدم‌های ما را و یاری ده ما را بر گروه کافران پس فرار دادند ایشان را به فرمان خدا و کشت

داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله

داود جالوت را وداد او را خدا پادشاهی و حکمت و آموخت او را از آنچه خواهد و اگر نباشد دفع خدا مردم را بعضی را ببعضی هر آینه فاسد شود زمین ولیکن خدا

ذو فضل على العالمين القراءات عسيتم بكسر السين حيث كان نافع الباقون بالفتح وزاده بالإمالة حمزة ونصير وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان بصطة بالصاد
صحف نصير برواية ابو نشيط والشموني غير النقاش وكذلك يبصط وبصطة والزرقي لا يبصطها كل البصط فاصطاعوا وما اشبه ذلك متى
الا بفتح الياء ابو جعفر ونافع ابو عمرو الباقون بالسكون غرفة بفتح الغين ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو الباقون بالضم وفي الذين بالادغام
روى ابن مهران ومحمد العطار عن ابي شعيب وشجاع كذلك ما اشبهها فئة وشبهها بالاظهار غير مهموز يزيد والشموني وحمزة في الوقف دفاع الله
كذلك وفي سورة الحج ابو جعفر ونافع وسهل ويعقوب الباقون دفع الله الوقوف من بعد موسى لانه لو وصل صار ظرفا لقوله الم تر
في سبيل الله ج الا تقاتلوا ط وابنائنا ط تعظيما للابتداء امر معظم منهم ط بالظالمين ملكا ط من المال ط والجسم ط من يشاء ط عليم الملائكة
بالجنود لا لان قال جواب لما منهم ج للابتداء بالشرط مع الفاء فليس مني ج للابتداء بالشرط آخر لاتحاد المقصود بيده ج لعطف المتقابلين منهم ج
تعظيما للابتداء امر معظم لان قالوا جواب لما وجنوده ط ملاقوا الله لا لان ما بعده مفعول قال باذن الله ط الصابرين الكافرين لان ما قبله دعاء
وما بعده خبر ماض متصل بكلام بعده ولا وقف على باذن الله لاتصال اللفظ واتساق المعنى فان الهزيمة كانت منه وقتل داود جالوت مما يشاء ط العالمين
التفسير القصة الثانية قصة طالوت الملأ اسم جماعة من الناس كالقوم والرهط لانهم يملأون العيون هيبة ولانهم ملاء بالاحلام والآراء الصائبة
وجمعه املاء قال شاعر وقال لها الاملاء من كل معشر وخير اقاويل الرجال سديدها قال الزجاج الملأ الرؤساء سموا بذلك لانهم ملؤا بما يحتاج
اليه من كفايات الامور وتدبيرها من قولهم ملؤ الرجل ملاءة فهو ملئ اذا كان مطيقا للامر ولانهم يتمالأون اي يتظاهرون ويتساندون
والغرض من ايراد هذه القصة عقيب آية القتال ترغيب المكلفين على الجهاد وان لا يكونوا كمن امروا بالقتال فخالفوا وظلموا اذ قالوا لنبي لهم لم
يحصل العلم بذلك النبي وباولئك الملأ من الخبر المتواتر وخبر الواحد لا يفيد الا الظن لكن المقصود الحث على الجهاد حاصل منهم من قال ان النبي
هو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف لقوله من بعد موسى ولكنه لا يلزم منه حصوله من بعده متصلا والاكثرون على انه شمويل واسمه
بالعربية اسمعيل وعن السدي هو شمعون سمته امه بذلك لانها دعت الله ان يرزقها ابنا فسمع دعاءها فسمته شمعون والسين تصير شينا بالعبرانية
وهو من ولد لاوي بن يعقوب ابعث لنا ملكا انهض للقتال معنا اميرا نصدر في تدبير الحرب عن رأيه وينتظم به كلمتنا وكان قوام بني اسرائيل بملك يجتمعون
عليه يجاهد الاعداء ويجري الاحكام ونبي يطيعه الملك يقيم امر دينهم ويأتيهم بالخبر من ربهم نقاتل في سبيل الله بالنون والجزم على الجواب وهي
القراءة المشهورة وقرئ بالنون والرفع على انه حال اي ابعث لنا ملكا مقدرين القتال او استئناف كأنه قال لهم ما تصنعون بالملك فقالوا نقاتل
وقرئ يقاتل بالياء والجزم على الجواب وبالرفع على انه صفة لملكا هل عسيتم خبره ان لا تقاتلوا والشرط فاصل بينهما وجواب الشرط محذوف يدل
عليه المذكور اي ان كتب عليكم القتال فهل يتوقع منكم الجبن والخور واراد بالاستفهام التقرير وتثبيت ان المتوقع كائن وانه صائب في توقعه وما لنا
الا نقاتل قال المبرد ما نافية اي ليس لنا ترك القتال والاكثرون على انه للاستفهام واورد عليه انه خلاف المشهور فانه لا يقال ما لك ان لا تفعل كذا
وانما يقال ما لك لا تفعل وعن الاخفش ان ان زائدة اي ما لنا لا نقاتل ورد بان الزيادة خلاف الاصل لا سيما في كلام رب العزة وعن الفراء ان الكلام
محمول على المعنى لان قولك ما لك لا تقاتل معناه ما منعك ان تقاتل فلما ذهب الى معنى المنع حسن ادخال ان فيه قال الكسائي واستحسنه الفارسي التقدير اي
شيء لنا في ان لا نقاتل فحذفت كلمة في على القياس وقد اخرجنا اي وحالنا انا اخرجنا من ديارنا وابنائنا بالسبي والقهر على نواحيها ومن
بلغ منه العدو هذا المبلغ فالظاهر الاجتهاد في قمع عدوه وروي ان قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فاسروا من ابناء
ملوكهم اربعمائة واربعين وههنا محذوف التقدير فسأل الله ذلك فبعث لهم ملكا وكتب عليهم القتال فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم وهم
الذين عبروا النهر وسيأتي ذكرهم وانهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر على عدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم ولكل من كلف في الاسلام على القعود عن القتال
واي وعيد ابلغ من ان وضع الظالمين موضع الضمير لما قد اليهم قوله سبحانه وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت اسم اعجمي كجالوت
وداود امتنع من الصرف للعلمية والعجمة المعتبرة وقد يمكن تكلف اشتقاقه من الطول لما يجيء من وصفه بالبسطة في الجسم فلا يوافق العبراني العربي
وملكا نصب على الحال او التمييز او مفعول ثان على ان بعث بمعنى صير وفي الآية تقريع لهم لتوليهم ثم تأكيد لذلك بان اول ما تولوا امره بكلامهم انهم لما
وذلك انهم قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال والواو الاولى للحال والثانية لعطف
ما انضمت الجملتان في سلك الحال استبعدوا تملكه من جهتين الاولى ان النبوة كانت في سبط لاوي بن يعقوب ومنه موسى وهرون والملك كان في
يهوذا ومنه داود وسليمان وان طالوت ما كان من احد هذين السبطين بل كان من ولد بنيامين الثاني انه كان فقيرا ولا بد للملك من مال يعتضد به فقيل
انه كان دباغا وعن السدي كان مكاريا وقال الاخرون كان سقاء فازال شبهتهم بوجوه الاول قال ان الله اصطفاه عليكم اختاره دونكم و
من بينكم وامره عليكم ولا اعتراض لاحد على حكم الله وروي ان نبيهم دعا الله حين طلبوا منه ملكا فاتي بعصا وقرن فيه دهن فما لاق عليهم الا طالوت
الثاني وزاده بسطة في العلم والجسم طعنوا فيه بنقصان الجاه والمال فقابلها الله بوصفين العلم والقدرة وانهما اشد مناسبة لاستحقاق الملك

والثالث أن العلم والقدرة من باب الكمالات الحقيقية دونهما والعلم والقدرة متوسل الى الجاه والمال ولا ينعكس فالعلم والقدرة من الكمالات الحاصلة
للانسان والمال والجاه أمران منفصلان عن ذات الانسان وانهما لا يمكن سلبهما عن ذات الانسان بخلافهما وان العالم بأمر الحروب القوي والبسطة يكون
الانتفاع به في مصالح البلاد والعباد أتم من الغني الذي لا علم له بضبط المصالح وقدرة على دفع الأعداء ولقد كان المراد بالبسطة في العلم هو وجدانه
فيما طلبوه لأجله من أمر الحرب ويجوز أن يكون عالما بالديانات وبغيرها وقيل ان الملك بنبوة شمويل وكان مزدرى غير منتفع به أن يكون جسيما
يملأ العين مهابة وحشمة والبسطة السعة والامتداد وطول القامة روي أنه كان يفوق الناس برأسه ومنكبيه وقيل المراد منه الجمال وكان أجمل بني
اسرائيل والأظهر أن يراد بها القوة لأنها المنتفع بها في دفع الأعداء لا الطول والجمال الوجه الثالث «والله يؤتي ملكه من يشاء» فالملك له والعبيد له فاذا
تصرف في ملكه نفسه فلا اعتراض لأحد عليه الوجه الرابع «والله واسع عليم» فاذا فوض الملك اليه فان علم أن الملك لا يتمشى الا بالمال فتح عليه باب
الرزق ويوسع عليه قوله عز من قائل «وقال لهم نبيهم ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت» الآية اعلم أن نظم قوله تعالى «اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا»
يدل على أنهم كانوا معترفين بنبوة ذلك النبي ثم انه لما قال ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا كان هذا دليلا قاطعا على أنه ملك لكنه تعالى لكمال رأفته
بالمكلفين ضم الى ذلك الدليل دليلا آخر يدل على صدق النبي وتكثير الدلائل من الله تعالى جائز ولهذا كثرت معجزات محمد صلى الله عليه وسلم ومعجزات موسى وعيسى ثم ان
مجيء التابوت لا بد أن يقع على وجه يكون خارقا للعادة حتى يصح أن يكون معجزة وآية من عند الله دالة على صدق تلك الدعوى قيل ان الله تعالى أنزل
على آدم تابوتا فيه صور الأنبياء من أولاده فتوارثوه الى أن وصل الى يعقوب ثم بقي في أيدي بني اسرائيل فكانوا اذا اختلفوا في شيء تكلم وحكم بينهم
واذا حضروا القتال قدموه بين أيديهم يستفتحون به على عدوهم وكانت الملائكة تحمله فوق العسكر وهم يقاتلون العدو فاذا سمعوا من التابوت صيحة
استيقنوا النصر فلما عصوا وفسدوا سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وسلبوه فلما سألوا نبيهم البينة على ملك طالوت قال ذلك
النبي ان آية ملكه أنكم تجدون التابوت في داره وكان الكفار الذين سلبوا التابوت جعلوه في موضع البول والغائط فدعا النبي عليهم في ذلك
الوقت فسلط الله على أولئك الكفار البلاء حتى ان كل من بال عنده أو تغوط ابتلاه الله بالبواسير فعلم الكفار أن ذلك لأجل استخفافهم بالتابوت
فأخرجوه ووضعوه على ثورين فأقبل الثوران يسيران ووكل الله بهما أربعة من الملائكة يسوقونهما حتى أتوا منزل طالوت فعلى هذا اتيان التابوت
مجاز لأنه أتي به ولم يأت هو بنفسه وقيل انه صندوق من خشب كان موسى يضع التوراة فيه وكانوا يعرفونه ثم ان الله تعالى رفعه بعدما قبض موسى
لسخطه على بني اسرائيل ثم قال نبي ذلك القوم ان آية ملك طالوت أن يأتيكم التابوت من السماء فنزل من السماء بين السماء والأرض والملائكة كانوا
يحفظونه والقوم ينظرون حتى نزل عند طالوت فعلى هذا الاتيان حقيقة وأضيف الحمل الى الملائكة في القولين جميعا لأن من حفظ شيئا
في الطريق جاز أن يوصف بأنه حمل ذلك الشيء أما شكل التابوت فقيل كان من خشب الشمشاد مموها بالذهب نحوا من ثلاثة أذرع في ذراعين وقرأ
أبي وزيد بن ثابت التابوه بالهاء وهي لغة الأنصار وأما وزن التابوت فلا يخلو أن يكون فعلوتا أو فاعولا ولا سبيل الى الثاني لقلة نحو سلس
وقلق ولأنه تركيب غير معروف فهو فعلوت من التوب بالرجوع لأنه ظرف فلا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وصاحبه يرجع اليه ما يخرج منه وصا
فيما يحتاج اليه من مودعاته واعلم أن مجيء التابوت كان معجزة لنبي ذلك الزمان ومع كونه معجزة له كان آية قاطعة في ثبوت ملك طالوت
وقيل ان طالوت كان نبيا واتيان التابوت معجزته كان مقرونا بالتحدي والجواب أن التحدي كان من النبي «فيه سكينة» فعيلة من
السكون ضد الحركة ومعناه الوقار مصدر وقع موقع الاسم كالعزيمة وأما البقية فبمعنى الباقية يقال بقي من الشيء بقية والمراد بالسكينة والبقية اما
أن يكون شيئا حاصلا في التابوت أولا الثاني قول أبي مسلم على هذا فمعناه أنه متى جاءهم التابوت من السماء وشاهدوا تلك الحالة اطمأنت نفوسهم
وأقروا بالملك فانتظم أمرهم بما بقي من دين موسى وهرون ومن شريعتهما فهذه كقوله تعالى في النفس المؤمنة ما ذكر من الابل أي نسيهما وعلى الأول فقال
أبو مسلم كان في التابوت بشارات من كتب الله المنزلة على موسى وهرون ومن بعدهما من الأنبياء بأن الله تعالى ينصر طالوت وجنوده
فيزول خوف العدو عنهم عن ابن عباس هي صورة من زبرجد أو ياقوت لها رأس كرأس الهر وذنب كذنبه وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو
وهم يمضون معه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر عن علي عليه السلام كان لها وجه كوجه الانسان وفيها ريح هفافة أي طيبة وأما البقية فهي رضاض
الألواح وعصا موسى وثيابه وشيء من التوراة وقفيز من المن الذي كان ينزل عليهم قال بعض العلماء انما أضيف ذلك الى آل موسى وآل هرون لأن ذلك
التابوت تداولته القرون بعدهما الى وقت طالوت وما في التابوت أشياء توارثها العلماء من أتباع موسى وهرون فيكون الآل هم الأتباع
قال تعالى «أدخلوا آل فرعون» «واذ نجيناكم من آل فرعون» ويجوز أن يراد مما تركه موسى وهرون والآل مقحم لتفخيم شأنهما كقوله صلى الله عليه وسلم لأبي موسى الأشعري
لقد أوتي هذا مزمارا من مزامير آل داود وأراد به داود نفسه اذ لم يكن لأحد من آل داود من الصوت الحسن ما كان لداود «ان في ذلك لآية لكم ان
كنتم مؤمنين» بدلالة المعجزة على صدق المدعي ومعنا محذوف للتقدير فلما أتاهم التابوت فأذعنوا لطالوت وأجابوا الى المسير تحت رايته فلما
فصل طالوت بالجنود وأصله فصل نفسه ثم كثر حذف المفعول حتى صار في حكم غير المتعدي والمعنى انفصل عن بلده مع الجنود والجند الأعوان و
الأنصار وكل صنف من الخلق جند قال صلى الله عليه وسلم «الأرواح جنود مجندة» روي أنه قال لقومه لا ينبغي أن يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا
تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج بامرأة لم يبن عليها ولا أبتغي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختار ثمانون ألفا وكان الوقت

قيظا

قيظا وسلكوا مفازة فسألوا ان يجري الله لهم نهرا فقال نبيهم على قول او طالوت على الاظهر وذلك بما اخبار النبي او بالوحي ان كان نبيا ان الله مبتليكم
بما اقترحتموه من النهر وقيل في حكمة هذا الابتلاء انه لما كان من عادة بني اسرائيل مخالفة الانبياء والملوك مع ظهور الآيات الباهرة اظهر الله علامة
قبل لقاء العدو يتميز بها الصابر على الحرب من غير الصابر لان الرجوع قبل لقاء العدو لا يؤثر كتأثيره حال لقاء العدو عن ابن عباس والسدي انه نهر
فلسطين وعن قتادة والربيع انه نهر بين الاردن وفلسطين وهو نهر عذب الماء ومبتليكم اي ممتحنكم ولما كان الابتلاء
من الناس انما يكون ليظهر له الشيء وثبت ان الله لا يبتلي لانه لا يعاقب على علمه بما يفعل ان لم يظهر الافعال من الناس وذلك لا يحصل الا
بالتكليف لا جرم سمي التكليف ابتلاء فمن شرب منه فليس مني هو كالزجر اي ليس بمتصل بي ولا بمتحد معي من قولهم فلان مني كأنه
بعضه لاختلاطهما واتحادهما او ليس من اهل ديني وطاعتي ومن جندي واشياعي ومن لم يطعمه ومن لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه ومنه طعم الشيء
لمذاقه واعلم ان الفقهاء اختلفوا في ان من حلف ان لا يشرب من هذا النهر كيف يحنث فقال ابو حنيفة لا يحنث الا اذا كرع في النهر حتى لو اغترف
بالكوز ماء من ذلك النهر وشربه لا يحنث لان الشرب من الشيء هو ان يكون ابتداء شربه متصلا بذلك الشيء وقال الباقون بل اذا اغترف
الماء بالكوز من ذلك النهر وشربه يحنث لان هذا وان كان مجازا الا انه مجاز مشهور فلما كان من المحتمل في اللفظ الاول ان يكون النهي مقصورا
عن الشرب من النهر حتى لو اخذه بالكوز وشربه لا يكون داخلا تحت النهي ذكر في اللفظ الثاني ما يزيل هذا الابهام فقال ومن لم يطعمه فانه
مني الا من اغترف غرفة بيده استثناء من قوله فمن شرب منه فليس مني ليصح النظم وانما فصل قوله ومن لم يطعمه بين المستثنى والمستثنى
منه للعناية ومعنى الاستثناء الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع والغرفة بالفتح بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف بملء الكف
عن ابن عباس كانت الغرفة يشرب منها هو ودوابه وخدمه ويحمل منها ولعل ذلك من معجزات نبي ذلك الزمان كما روي عن نبينا من ارواء الخلق
العظيم من الماء القليل ويحتمل انه كان مأذونا ان يأخذ من الماء كم شاء مرة واحدة بقربة وجرة بحيث كان المأخوذ في المرة الواحدة
يكفيه لدوابه ولخدمه ولان يحمله مع نفسه الا ان قوله بيده لا يساعد هذا الاحتمال فشربوا منه كرعوا فيه الا قليلا منهم وقرأ ابي والاعمش الا قليل
منهم وهذا من باب الميل الى المعنى والاعراض عن اللفظ جانبا كانه قيل فلم يطيعوه الا قليل منهم فبهذا تميز الموافق عن المنافق والصديق عن
الزنديق يروى ان اصحاب طالوت لما هجموا على النهر بعد عطش شديد وقع اكثرهم في النهر واكثروا الشرب فاسودت شفاههم وغلبهم
العطش وبقوا على شط النهر وجبنوا عن لقاء العدو واطاع قوم قليل منهم امر الله تعالى فلم يزيدوا على الاغتراف فقوي قلبهم وصح ايمانهم وعبروا
النهر سالمين والمشهور انهم كانوا على عدد اهل بدر لما روي ان النبي قال لاصحابه يوم بدر انتم اليوم على عدد اصحاب طالوت حين عبروا النهر وما جاز
معه الا مؤمن قال البراء بن عازب كنا يومئذ ثلثمائة وثلثة عشر رجلا وقيل انهم كانوا اربعة آلاف ولا خلاف بين المفسرين ان الذين عصوا
الله وشربوا من النهر رجعوا الى بلدهم ولم يتوجه معه الى لقاء العدو الا من اطاع انما الخلاف في انهم رجعوا قبل عبور النهر او بعده والحق
انه ما عبر معه الا المطيعون لقوله تعالى فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه ولقوله فليس مني اي ليس من اصحابي في سفري لان المقصود من الابتلاء
ان يتميز المطيع عن العاصي حتى اذا تميزا فالظاهر انه لم يأذن للعاصين وصرفهم عن نفسه قبل ان يرتحل لا عند لقاء العدو وقيل انه استصحب كل جنوده
لانهم قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده ومعلوم ان هذا الكلام لا يليق بالمؤمن المنقاد لامر ربه بل لا يصدر الا عن المنافق والفاسق والجواب
لعل طالوت والمؤمنين لما جاوزوا النهر ورأوا القوم تخلفوا وما جاوزوه سألوهم عن سبب التخلف فذكروا ذلك وايضا كان النهر في العظم بحيث
يمنع المكاثر والمراد بالمجاوزة ترجيح المجاوزة والمؤمنون الذين عبروا النهر كانوا فريقين منهم من يكره الموت ويغلب الخوف والجبن على طبعه
هم الذين قالوا لا طاقة لنا ومنهم من كان شجاعا قوي القلب هم الذين اجابوا بقولهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة وانهم لما شاهدوا قلة عسكرهم
قال بعضهم لا طاقة لنا فلا بد ان نوطن انفسنا للقتل وقال الآخرون بل نرجو من الله الفتح والظفر فكان غرض الاولين الترغيب في الشهادة والفوز
بالجنة وغرض الآخرين التحريض على رجاء الفتح والظفر وكلا الغرضين محمود والطاقة اسم بمنزلة الاطاقة يقال اطاق طاقة واطاقة ومثلها
اطاع طاعة واطاعة والاسم الطاعة واغار اغارة والاسم الغارة واجاب اجابة والاسم الجابة وفي المثل اساء سمعا فاساء جابة اي جوابا ومعنى قوله
يظنون انهم ملاقو الله يغلب على ظنونهم انهم لا يتخلصون من الموت عن قتادة او يظنون انهم ملاقو ثواب الله بسبب هذه الطاعة وذلك لان احدا
لا يعلم عاقبة امره عن ابي مسلم او يظنون انهم ملاقو طاعة الله من غير رياء وسمعة بنية خالصة او انهم عرفوا بما في التابوت من الكتب الالهية
يقين النصر والظفر الا ان حصوله في المرة الاولى لما كان لا على سبيل الظن والمراد بقوله يظنون يعلمون ويوقنون لما بين اليقين والظن من التشابه
في تأكد الاعتقاد والفئة الجماعة لان بعضهم قد فاء الى بعض فصاروا جماعة وقال الزجاج هي من قولهم فأوت رأسه بالسيف وفأيت اي قطعت
كان الفئة قطعة من الناس والمراد تقوية قلوب الذين قالوا لا طاقة لنا اذ العبرة بالتأييد الالهي والنصرة الالهية فاذا جاءت الدولة فلا مضرة في القلة
والذلة واذا جاءت المحنة فلا منفعة في كثرة العدد والعدة ومحل كم رفع بالابتداء وغلبت الجملة خبره باذن الله بتيسيره وتسهيله والله مع الصابرين
بالمعونة والتأييد يحتمل ان يكون من قوله تعالى وان يكون من قول الذين يظنون قوله سبحانه ولما برزوا لجالوت وجنوده الآية البراز الارض
الفضاء ومنه المبارزة في الحرب لان كل واحد منهما يحصل بحيث يرى صاحبه واعلم ان العلماء والاقوياء من عسكر طالوت لما قرروا مع ضعفاء

القربة بالكسر الوطب من اللبن وقد يكون للماء والوطب سقاء من جلد الجذع والجرة قربة

وعلموا أن الغلبة لا تتعلق بكثرة العدد وأن النصر والظفر من عند الله اشتغلوا بالدعاء وقالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وهكذا كان يفعل نبينا كما روي في
قصة بدر أنه كان يصلي ويستنجز من الله وعده وكان متى لقي عدوا قال اللهم إني أعوذ بك من شرورهم وأجعلك في نحورهم اللهم بك أصول وبك أحول في
الافراغ الاخلاء الاناء عما فيه وإنما يخلو بصب كل ما فيه فمعنى أفرغ علينا صبرا أي صب علينا أتم صب وأبلغه وهذا هو الركن الأعظم في المحاربة فإنه لو كان
جبانا لم يحصل بطائل ثم إن الشجاع مع ذلك يحتاج إلى آلات الحرب والعدد والاتفاقات الحسنة حتى يمكنه أن يقف ويثبت لا يصير ملجأ إلى الفرار فقالوا وثبت أقدامنا ثم إنه مع كل هذه الأشياء يفتقر إلى أن يزيد قوته على قوة عدوه حتى يغلبهم وهو المراد بقولهم وانصرنا على القوم الكافرين فلا جرم استجاب
الله دعاءهم فهزموهم كسروهم بإذن الله بتوفيقه وإعانته وقتل داود جالوت عن ابن عباس أن داود كان راعيا ومعه سبعة إخوة مع طالوت فلما أبطأ
خبر إخوته على أبيهم ايشا أرسل ابنه داود وكان صغيرا إليهم يأتيه بخبرهم فأتاهم فهم في المصاف وبرز جالوت الجبار وكان من قوم عاد وكانت بيضته
فيها ثلثمائة رطل من حديد فلم يخرج إليه أحد فقال يا بني إسرائيل لو كنتم على الحق لبارزني بعضكم فقال داود لإخوته أما فيكم من يخرج إلى هذا الأقلف
فسكتوه فذهب إلى ناحية من الصف ليس فيها إخوته فمر به طالوت وهو يحرض الناس فقال له داود ما تصنعون لمن يقتل هذا فقال طالوت أنكحه ابنتي
وأعطيه نصف مملكتي فقال داود فأنا خارج إليه وكانت عادته أنه يقاتل بالمقلاع الذئب والأسد في المرعى وكان طالوت عارفا بجلادته فلما هم داود
بأن يخرج إلى جالوت مر بثلاثة أحجار فقلن يا داود خذنا معك ففينا ميتة جالوت ثم لما خرج إلى جالوت رماه فأصابه في صدره ونفذت الحجر فيه وقتل بعده
ناسا كثيرا فحسده طالوت وأراد قتله وعده ثم ندم على صنيعه فذهب يطلبه إلى أن قتل وآتاه الله الملك في مشارق الأرض ومغاربها والحكمة أي النبوة لأن
الحكمة وضع الأمور مواضعها على الوجه الأصوب والنبوة الأصلح وكان هذا المعنى إنما يحصل بالنبوة والمشهور من أحوال بني إسرائيل أن الله تعالى كان يبعث
إليهم نبيا وعليهم ملكا كان ذلك الملك ينفذ أمور ذلك النبي وكان نبي ذلك الزمان أشمويل وملكهم طالوت فلما توفي أشمويل أعطي داود
النبوة ولما توفي طالوت أعطي الله الملك أيام حياته ولم يجتمع الملك والنبوة على أحد من بني إسرائيل قبله بل كانوا في سبط ملكا وفي سبط نبوة وكان بين قتله جالوت وبين ما أعطاه الملك والحكمة سبع سنين قال بعضهم هذا الإتيان جزاء العمل بما فعل من الطاعة وبذل النفس في سبيل الله ولا يمتنع جعل النبوة جزاء على بعض
الطاعات كما قال تعالى ولقد اخترناهم على علم على العالمين وقال الله أعلم حيث يجعل رسالته ولهذا ذكر عقيب الحديث الغريب والفعل وترتيب الحكم على الوصف
المناسب يشعر بالعلية لا سيما وقد حصلت الإجازة معه فدل على أن هذا التعظيم إنما هو بسبب الإتيان بتلك الطاعة وقال آخرون إن النبوة لا يجوز جعلها جزاء على
الأعمال ولكنها محض عناية الله تعالى ببعض عبيده كما قال الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس فإن قيل لم قدم الملك على الحكمة مع أنه أدون
منها فالجواب أنه تعالى أراد أن يذكر كيفية ترقي داود في معارج السعادات والتدرج في مثل هذا المقام من الأدون إلى الأشرف هو الترتيب الطبيعي
وعلمه مما يشاء قيل هو صنعة الدروع لقوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم وقيل منطق الطير علمنا منطق الطير وقيل ما يتعلق بمصالح الملك فإنه
ما تعلم ذلك من آبائه فإنهم كانوا رعاة وقيل علم الدين والقضاء وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب ولا يبعد حمل اللفظ على الكل والغرض منه التنبيه
على أن العبد لا ينتهي قط إلى حالة يستغني عن التعلم سواء كان نبيا أو لم يكن ولهذا قيل لمحمد وقل رب زدني علما ولولا دفع الله معناه ظاهر وأما
من قرأ بالألف فإما أن يكون مصدر الدفع نحو جمح جماحا وكتب كتابا وغام غياما وإما أن يكون بمعنى أنه سبحانه يكف الظلمة والعصاة عن المؤمنين
على أيدي أنبيائه وأئمة دينه فكان يقع بين أولئك المحقين وأولئك المبطلين مدافعات كقوله إن الذين يحادون الله ورسوله واعلم أن
المذكور في الآية المدفوع هو بعض الناس المدفوع به هو البعض الآخر وأما المدفوع عنه فغير مذكور للعلم به وهو الشرور في الدين كالكفر والفسق
والمعاصي فعلى هذا الدافعون هم الأنبياء وأئمة الهدى ومن يجري مجراهم من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر والشرور في الدنيا كالهرج
والمرج وإثارة الفتن فالدافعون إما الأنبياء أو الملوك الذابون عن شرائعهم ولهذا قال الملك والدين توأمان الإسلام أس والسلطان حارس
فما لا أس له فهو منهدم وما لا حارس له فهو ضائع على هذا يحمل قوله لفسدت الأرض أي بطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل
وغير ذلك من سائر أسباب العمران وقيل المراد بالدفع نصر المسلمين على الكفار ومعنى فساد الأرض عيث الكفار فيها وقتلهم المسلمين وقيل المعنى
لو لم يدفع الكفار بالمسلمين لعم الكفر ونزل سخط الله فاستؤصل أهل الأرض ويعضده ما روي أن النبي قال إن الله يدفع بمن يصلي من أمتي عمن لا
يصلي وبمن يزكي عمن لا يزكي وبمن يصوم عمن لا يصوم وبمن يحج عمن لا يحج وبمن يجاهد عمن لا يجاهد ولو اجتمعوا على ترك هذه الأشياء لما أنظرهم الله طرفة عين ثم
تلا هذه الآية ولكن الله ذو فضل على العالمين بسبب ذلك الدفع ومن أن الكل بقضاء الله وقدره وبتيسيره ولطفه وتسديده وفضله التأويل
فقوله ألم تر إلى الملإ أن القوم لما أظهروا خلاف ما أضمروا ودعوا غير ما أكنوا ادعوا من حقائق عواطف معاملتهم فأظهروا عند الامتحان أن عجزوا
عن البرهان دعوا الامتحان يكرم الرجل أو يهان وهذا حال أكثر مدعي الإسلام والإيمان يزعمون أنهم نصلي ونصوم ونحج ونزكي لله وفي الله
باللسان دون صدق الجنان وسيظهر ما كان لله وما كان للهوى في تمويه البرهان فلما كتب عليهم القتال تبين الأبطال من البطال فتولوا إلا
قليلا منهم ولنا أهل الحق أعز من الكبريت الأحمر تعيرنا أنا قليل عديدنا فقلت لها إن الكرام قليل تعيرنا أنا قليل وما ضرنا
وجارنا أنا كثير بخيل ولما لم يقبل الله منهم ومعصوم لأنهم يخاصمون لله وتصوم ولو أنهم قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا ولو أنزل
القتال علينا وأنه سيدنا ومولانا فلعل الله يصدق دعوتهم وأعطى مناهم وأكرم مثواهم كما قال قوم في أثناء البكاء والسعد أما لنا ألا نو

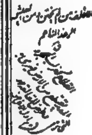

بالتيه فما بالنا ما من الحق نتطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فاثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها و
ذلك جزاء المحسنين ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا فيه اشارة الى ان الحكم الالهية جلت تجلت في جلبات تعاليها عن ادراك العقول
البشرية لكنه معنى من معانيها ولهذا قالوا انى يكون له الملك علينا ولهذا ما يعجب عن قول الملائكة المؤيدين بالانوار القدسية اتجعل فيها من
يفسد فيها استحقارا لشان آدم تعجبا بالحجاب منه فالحقيقة كذا تكبر بنو اسرائيل قالوا ونحن احق بالملك منه لانهم من ولد الملوك
طالوت منه وقالوا كيف يستحق الملك من سبط بني سبط من اسباط بني اسرائيل يخالفهم الله ويحسدا والملك لملك الحق الملائكة
ترفعوا بقولهم ونحن نسبح بحمدك امرهم بسجود آدم ولما عرضت الخلافة على آدم فتواضع لله وقال ربنا ظلمنا انفسنا ولهذا ربنا اكرمه الله بسجود الملائكة
وجعل اعباء الامانة ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه اشارة الى ان آية خلافة العبد ان يظهر بها تابوت قلبه فيه سكينة من ربه وهي اطمئنانه
بالايمان والانس مع الله الا بذكر الله تطمئن القلوب وبقية مما ترك آل موسى وهو عصا الذكر كلمة لا اله الا الله وهو الثعبان الذي اذا لقف
عظيم سحر سحرة صفات فرعون النفس فان تابوتهم الذي فيه سكينتهم كان يتداوله ايدي الحدثان وتابوت قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع
الرحمن وان كان في تابوتهم بعض النبوة ففي تابوت المؤمن جميع القرآن وان كان في تابوتهم صور الانبياء ففي تابوت المؤمن رب الارض والسماء
كما قال لا يسعني ارضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن فاذا حصل لطالوت الروح الانساني تابوت القلب الرباني سلم له ملك الخلافة
وانقاد له جميع اسباط صفات الانسان فخرج كل الى الدنيا ويقهر في قتال جالوت النفس الامارة ان الله مبتليكم بنهر وهو نهر الدنيا وما
زين للخلق فيها زين للناس حب الشهوات ليظهر المحسن المسيء ويميز الخبيث من الطيب الا من اغترف غرفة بيده فتمتع من متاع الدنيا بما لابد منه
من الماكول والمشروب والملبوس والمسكن بحسب الخلق على حد الاضطرار وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا اي بما يمسك
رمقهم لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده لان من شرب من نهر الدنيا ماء شهواتها ولذاتها وتجاوز عن حد الضرورة منها لا يطيق قتال
جالوت النفس وجنود صفاتها وعسكر هواها لانه صار معلولا مريض القلب فبقي على شط نهر الدنيا رضوا بالحيوة الدنيا ولما برزوا لجالوت
وجنوده فيه اشارة الى ان المجاهد في الجهاد الاكبر لا يقوم بحول نفسه وقوتها في قتال النفس الا اذا رجع الى ربه مستعينا مستغيثا عن عجزه قالوا
ربنا افرغ علينا صبرا على الاستمرار بطاعتك والانزجار عن معاصيك ومخالفة الهوى والاعراض عن زينة الدنيا وثبت اقدامنا على التسليم
في الشدة والرخاء عند نزول البلاء وجريان احكام القضاء في السراء والضراء وانصرنا على القوم الكافرين وهم اعداؤنا في الدين عموما والنفس الامارة
وصفاتها التي هي اعدى عدونا من بين جنبينا خصوصا فهزموهم باذن الله بنصرته وقوته وقتل داود القلب جالوت النفس يعني اخذ الحرص على الدنيا
وحب الركون الى العقبى وحب التعلق الى نفسه بالمحبة حتى صار الثلثة حجرا واحدا وهو الالتفات الى غير الحق فوضعه في مقلاع التسليم والرضا ورمى به
جالوت النفس فنصره الله بتأييد العناية حتى اصاب انف بيضه هواها ودماغ الطبع ماء فيها فاخرج منه الفضول وخرج من قفاها وقتل من وراءها
ثلثين من صفاتها واخلاقها وآتاه الله الملك في جيشها وهو الشياطين اخراجها وانا ملك الخلافة والحكمة الالهامات الربانية وعلمه
مما يشاء من حقائق القرآن واشاراته ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض يعني ارباب الطلب لمشايخ البالغين الواصلين الهادين المهديين
كما قال لكل قوم هاد لفسدت ما نعوا استعدادهم الطلوبية في تحصيل التقويم عن استيلاء جالوت النفس وتبديل اخلاقها وتكدير صفاتها
ولكن الله ذو فضل على العالمين فمن كمال فضله ورحمته حرك سلسلة طلب الطالبين وعلم اسرارهم ارادة المشايخ الكاملين ووفقهم لسلوك مدنيهم
تربيتهم ووفقهم على التثبت بما قدسيرهم وثبتهم على الرياضة وخلاف تركيبهم كما قال ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ولكن الله يزكي
من يشاء

تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنْهُمْ

این آیات خدایست میخوانیم آنرا بر تو براستی و بدرستیکه تو از فرستادگانی این رسولان افزونی دادیم برخی از ایشانرا بر برخی از ایشان

مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ

کسی بود که سخن گفت با او خدا و برداشت برخی از ایشانرا مرتبها و دادیم عیسی پسر مریم را نشانهای ظاهر و نیرو دادیم او را بروح پاکیزه و اگر خواستی خدا

مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا

جنگ نکردندی آنکسانیکه بعد ازیشان بودند از پس آنکه آمد بایشان نشانهای ظاهر و لیکن اختلاف کردند پس از ایشان کسی است که گرویده و از ایشان کسی است که کافر شد و اگر خواستی خدا جنگ نکردندی

وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا

و لیکن خدا میکند آنچه میخواهد ای گروهی که گرویده اند نفقه کنید از آنچه روزی کردیم شما را از پیش آنکه بیاید روزی که نیست خرید و فروخت در او و نه دوستی و نه

شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ القراءة لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة بالفتح غير منون ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير الباقون بالرفع

شفاعت و کافران ایشانند ستمکاران

والتنوين وكذلك في سورة ابراهيم لا بيع فيه ولا خلال وكذلك في سورة الطور لا لغو فيها ولا تأثيم
الوقوف بالحق ط للابتداء بان المرسلين ج الثالث على بعض م لانه لو وصل الجار والمجرور صفة لبعض فينصرف بيان تفضيل الرسل الى
بعض فيكون موسى من هذا البعض المفضل عليه غيره لا من البعض المفضل على غيره بالتكليم درجات ط القدس ط من كفر ط ما يريد لا شفاعة

الظالمون التفسير تلك القصص المذكورة من حديث الالوف واماتتهم ثم احيائهم ومن تمليك طالوت واظهار الآية التي هي اتيان التابوت وغلبة الجبابرة
على يد داود وهو صبي فقير آيات الله اي امره الدالة على كمال قدرته وحكمته ورحمته نتلوها عليك بتلاوة جبرئيل وفيه تشريف عظيم لجبرئيل
كقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله بالحق وباليقين الذي لا يشك فيه اهل الكتاب لانه في كتبهم كذلك من غير تفاوت ولان في تلاوتها
حكمة شريفة وهي اعتبار المكلفين من مثل ليعملوا واشد احتمالا لمشاق التكاليف كما احتملها الامم السالفة ولانها تدل على نبوتك من قبل انها اخبار بالغيب
ولما فيها من الفصاحة والبلاغة ثم اكد ذلك بقوله وانك لمن المرسلين حيث تخبر بها من غير ان تعرف بقراءة ودراسة وفيه ايضا تسلية للنبي
فيما يراه من الكفار واهل النفاق من الخلاف والشقاق كما راه الرسل قبله فالمصيبة اذا عمت طابت فلمثل هذا ذكره فقال تلك الرسل اي
الذين تقدم ذكرهم وانت من جملتهم فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله بان كلمه الله من غير سفير وهو موسى ورفع بعضهم درجات
قيل ان درجات نصب بنزع الخافض وقيل رفع لبعضهم كقوله ورفعناه مكانا عليا اي الى وقيل حال من بعضهم اي ذا درجات وقيل مصدر في
موضع الحال وقيل منصوب على المصدر لان الدرجة بمعنى الرفعة فكانه قال ورفعنا بعضهم رفعات وايد عيسى بروح القدس ومع ذلك فقد نالهم
من قومهم ما ذكرناه لك بعد مشاهدة المعجزات وانت رسول مثلهم فلا تحزن على ما ترى من قومك ولو شاء الله ما اختلف امم اولئك لكن ما شاء

الله فهو كائن وما قدره فهو واقع واعلم ان الامة اجمعت على ان بعض الانبياء افضل من بعض وعلى ان محمدا افضل الكل لوجوه منها قوله تعالى وما
ارسلناك الا رحمة للعالمين ومنها قوله ورفعنا لك ذكرك فانه يذكر ذكره بذكر محمد في الشهادة وفي الاذان وفي التشهد ولم يكن ذلك لسائر الانبياء
ومنها انه قرن طاعته بطاعته من يطع الرسول فقد اطاع الله وبيعته ببيعته ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وعزته بعزته ولله العزة ولرسوله
ورضاه برضاه والله ورسوله احق ان يرضوه واجابته باجابته يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول ومحبته بمحبته قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله ومنها ان معجزاته اكثر وقد بلغت الى الف من جملتها القران بل القران يشتمل على الفي معجزة او ازيد لان التحدي وقع باقصر
سورة وهي الكوثر وانه ثلث ايات فكل ثلث ايات من القران تصلح للتحدي فيكون معجزا براسه ومنها ان معجزته وهي القران باقية على وجه الدهر ومعجزاتهم
قد انقضت وانقرضت مع ان معجزته من جنس ما لا يبقى فانها من الاصوات والحروف ومعجزاتهم من جنس ما يبقى مدة طويلة ومنها انه اجتمع فيه من
الخصال الجميلة والخلال المرضية ما كان متفرقا فيهم والى الاشارة بقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده اي اطلعناك على احوالهم وسيرهم
فاختر انت منها اجودها واحسنها فانه لا يجوز ان يكون مأمورا بالاقتداء بهم في اصول الدين لانه تقليد ولا في الفروع فان شرعه ناسخ الشرائع فاذن
المراد محاسن الاخلاق ومنها انه بعث الى الخلق كافة وكان يحمل اعباء الرسالة اكثر فيكون ثوابه ازيد ومنها ان هذا الدين افضل والامم مبلغ به
سائر الاديان فيكون شارعه افضل ومنها ان يكون امته افضل كنتم خير امة اخرجت للناس واذا كان التابع افضل فالمتبوع افضل ومنها ان امته اكثر
لكونه مبعوثا الى الجن والانس ولا يخفى ان لكثرة التابعين اثرا قويا في علو شان المتبوع ومنها ان كل نبي نودي في القران فقد نودي باسمه يا ادم اسكن
يا موسى اني انا الله وناديناه ان يا ابراهيم يا عيسى اني متوفيك واما النبي فانه نودي بقوله يا ايها النبي يا ايها الرسول بل اقسم بحيوته
لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون واما الاحاديث في هذا الباب فعن ابن عباس قال جلس ناس من اصحاب رسول الله يتذاكرون وهم ينتظرون
خروجه قال فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله تعالى اتخذ من خلقه خليلا وقال اخر ماذا باعجب
من كلام موسى كلمه تكليما وقال اخر فماذا باعجب من جعل عيسى كلمة الله وروحه وقال اخر ادم اصطفاه الله عليهم خلقه بيده ونفخ فيه من روحه
واسجد له ملائكته فسلم رسول الله فقال قد سمعت كلامكم وعجبكم ان ابراهيم خليل الله وهو كذلك وان موسى نجي الله وهو كذلك
وان عيسى روح الله وكلمته وهو كذلك وان ادم اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وانا اكرم
الاولين والاخرين على الله ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع يوم القيمة ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله فيدخلنيها ومعي
فقراء المؤمنين ولا فخر وفي الصحيحين عن جابر قال قال رسول الله اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت
الى كل احمر واسود واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي وجعلت لي الارض طيبة طهورا ومسجدا فايما رجل ادركته الصلوة صلى حيث كان ونصرت
بالرعب بين يدي مسيرة شهر واعطيت الشفاعة وذكر البيهقي في كتابه في فضائل الصحابة انه ظهر علي بن ابي طالب من البعد فقال النبي
هذا سيد العرب فقالت عائشة الست سيد العرب فقال انا سيد العالمين وهو سيد العرب ومما يؤكد هذه المعاني ما ركز في العقول ان نائب
كل ملك ينبغي ان يكون على مقدار من تحت تملكه فامير المدينة يحتاج الى عدة اكثر من عدة رئيس القرية ولما كانت نبوة محمد عامة من نبوة سائر
الانبياء فانه مبعوث الى الثقلين كافة فلاجرم اعطى من كنوز العلم والحكمة وذخائر المعارف والحقائق ومن جوامع الكلم وبدائع الحكم ومحاسن
العادات ومكارم الاخلاق ما لم يؤت نبي قبله ولن يؤت احد بعده هذا وقد طعن فيه بعض الملحدة بان معجزات سائر الانبياء كانت اعظم
من معجزاته فادم جعل مسجود الملائكة وابراهيم القي في النار فانقلبت بردا وسلاما واوتي موسى العصا واليد البيضاء وداود لان له الحديد
في يده وسليمان اعطي ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وكان الجن والانس والطير مسخرين له وقد اعترف محمد بفضلهم حتى قال لا تفضلوني على يونس
بن متى ولا تخيروا بين الانبياء ولا ينبغي لاحد ان يكون خيرا من يحيى بن زكريا وذكر انه لم يعمل سيئة قط ولم يهم بها والجواب ان كون ادم مسجودا للملائكة

لا يوجب كونه افضل من محمد صلى الله عليه وسلم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة وقوله كنت نبيا وآدم بين الماء والطين وقد نقل ان جبرئيل اخذ
بركاب محمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وهذا اعظم من السجود وانه تعالى يصلي بنفسه على محمد الى القيامة وسجود الملائكة لآدم ما كان الا مرة واحدة على ان ذلك السجود
ايضا انما كان لاجل نور محمد صلى الله عليه وسلم الذي كان في جبهته فان اول الفكر آخر العمل ولهذا قال لولاك لما خلقت الافلاك ومن تأمل كتب الاولين في النبوة
وجد في مقابلة كل معجز كان لنبي قبله معجزة افضل منها له صلى الله عليه وسلم واما قوله لا تفضلوني فلا تخيروني فنوع من التواضع وسلوك طريق الادب وايضا
التمييز بين الشخصين انما يمكن بعد الاحاطة بفضائلهما جميعا وذلك رتبة لا يليق بكل احد فحق ذو النوع عنه حتى لا يؤدي الى الحسد و[illegible]
التوفيق بين قوله لا تفضلوني وبين ما مر من الاحاديث ان كلا منها ورد في مقام آخر ولغرض آخر فحيث لم يرد بيان شأنه ويتعجبون
من الانبياء السالفة منعهم عن ذلك قال انا اكرم الاولين والآخرين وانا سيد العالمين وحيث لم يرد ذلك بشأن بعض الانبياء زجرهم
عن ذلك فقال لا تفضلوني على انه لا يلزم من النهي عن شيء عدم مطابقة ذلك الشيء للواقع فقد يكون الشيء حقا في الواقع وينهى عن
الاشتغال به لكونه غير مهم بالنسبة الى المكلف فالمراد بهذا الامر لا تشتغلوا بتفضيلي فانه لا يهمكم وانما المهم لكم ان تعرفوا احقية جميع الانبياء
وتؤمنوا بهم ولنرجع الى ما كنا فيه فنقول من كلم الله المقدر من كلمه فحذف العائد وقرئ كلم الله بالنصب وليس بقوي فان كل مصل فانه يكلم الله
قال صلى الله عليه وسلم المصلي يناجي ربه والشرف في ان يكلمه الله قال الاشعري المسموع هو الكلام القديم الازلي ولا يستبعد سماع ما ليس بحرف ولا صوت
كما لا يمتنع رؤية ما ليس بكيفية ولا في جهة وقال المعتزلة سماع ما ليس بحرف ولا صوت محال واتفقوا على ان موسى قد كلمه الله واختلف في ان محمدا
ليلة المعراج هل كلمه الله ام لا منهم من قال نعم بدليل قوله فاوحى الى عبده ما اوحى واورد ههنا ان التكليم لا يدل على فضل ومنقبة فقد كلم الله
ابليس حيث قال انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين الآيات واجيب بان قصة ابليس ليس فيها ما يدل على انه تعالى كلمه من غير واسطة فلعل
الواسطة كانت موجودة قلت هذا خلاف الظاهر والحق ان المكالمة قسمان مكالمة الرضا وهي الموجبة للتشريف كما لموسى ومكالمة الغضب وهي
الموجبة للعن كما في حق ابليس وان عليك اللعنة الى يوم الدين وكما في اهل النار اخسؤا فيها ولا تكلمون اما قوله ورفع بعضهم درجات فقيل المراد
بيان ان الرسل مراتبهم متفاوتة فانه اتخذ ابراهيم خليلا واعطى داود الملك مع النبوة وسخر لسليمان الجن والانس والطير والريح وخص يحيى بالعفة
والطهارة وعدم الحاجة الى النسوان وخص محمدا صلى الله عليه وسلم بالبعث الى الثقلين وكونه خاتم النبيين الى سائر خصائصه وهذا اذا حملنا الدرجات على
المناصب والمراتب اما اذا حملناها على المعجزات ففيه ايضا وجه وذلك ان كل واحد من الانبياء اوتي نوعا آخر من المعجزة لائقا بزمانه فمعجزات موسى
من قلب العصا حية ومن اليد البيضاء وفلق البحر كانت شبيهة بما عليه اهل زمانه من السحر ومعجزات عيسى من ابراء الاكمه والابرص مناسبة للطب
لان كل ذلك كان غالبا على قومه ومعجزة محمد هي القرآن تضاهي ما عليه الناس في زمانه من الفصاحة والبلاغة وانشاء الخطب وقرض الشعر وبالجملة فالمعجزات
متفاوتة بالقلة والكثرة وبالبقاء وعدم البقاء وبالقوة وعدم القوة وفيه وجه ثالث وهو ان يكون المراد بتفاوت الدرجات ما يتعلق بالدنيا وهو كثرة
الامة والصحابة وقوة الدولة واذا تأملت الوجوه الثلاثة علمت ان محمدا كان مستجمعا للكل فمنصبه اعلى ومعجزته ابقى وقومه اكثر ودولته اعظم
واوفر وقيل المراد بهذه الآية محمد صلى الله عليه وسلم لانه هو المفضل على الكل وانما قال ورفع بعضهم درجات على سبيل التنبيه والرمز كمن فعل فعلا عظيما فيقال
له من فعل هذا فيقول احدكم او بعضكم ويريد به نفسه فيكون ذلك افخم من التصريح به وسئل الحطيئة عن اشعر الناس فذكر زهيرا والنابغة ثم
قال ولو شئت لذكرت الثالث اراد نفسه ولو قال ولو شئت لذكرت نفسي لم يبق فيه فخامة وليس قوله ورفع بعضهم درجات تكرارا لقوله
فضلنا بعضهم على بعض لان المفهوم من قوله فضلنا هو وجود نفس الفضل والمفهوم من قوله ورفع بعضهم درجات هو التفاوت بالدرجات
الكثيرة وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس قد سبق تفسيره وانما عدل عن الغيبة الى الحكاية لان الضمير في قوله وآتينا
للتعظيم وتعظيم المؤتي يدل على عظمة الايتاء واما قوله كلم الله فاهيب من قوله كلمنا فلهذا اختير الغيبة وسبب تخصيص موسى وعيسى بالذكر
هو ان امتهما موجودون حاضرون فنبه على ان هذين الرسولين مع علو درجتهما وتبين معجزاتهما لم يحصل الانقياد من امتهما لهما بل نازعوا و
خالفوا عن الواجب عليهم في طاعتهما اعرضوا ثم ان الرسل بعد مجيء البينات ووضوح الدلائل اختلفت اقوامهم فمنهم من آمن ومنهم من كفر وبسبب ذلك
الاختلاف تقاتلوا وتحاربوا ولهذا قال ولو شاء الله اي ان لا يقتتلوا ما اقتتل الذين من بعدهم لاختلافهم في الدين وتكفير بعضهم بعضا و
لكن اختلفوا فمنهم من آمن لالتزامه دين الانبياء ومنهم من كفر باعراضه ولو شاء الله ما اقتتلوا اكد الكلام تكذيبا لمن زعم انهم فعلوا ذلك من عند
انفسهم ولكن الله يفعل ما يريد في الآية دلالة على صحة مسألة خلق الاعمال ومسألة ارادة الكائنات وان الكل بقضاء الله وقدره لان الدواعي
تستند لا محالة الى داعية يخلقها الله عز وجل في العبد والمعتزلة يقيدون المطلق في الآيتين فيقولون المراد ولو شاء الله مشيئة الجاء وقسرا كما يقال ولو شاء
الامام لم يعبد المجوس النار في مملكته ولم يشرب النصارى الخمر ويقولون المراد يفعل ما يريد من افعال نفسه ثم انه تعالى لما امر بالقتال فيما سبق بقوله
وقاتلوا في سبيل الله واعقبه بقوله من ذا الذي يقرض الله والغرض منه الانفاق في الجهاد ثم اكد الامر بالقتال وذكر فيه قصة طالوت اعقبه
تارة اخرى بالامر بالانفاق في الجهاد بقوله يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم وعن الحسن انه مختص بالزكوة لان قوله من قبل ان يأتي يوم كالوعيد لانه لا

الا يتوجه الا على الواجب لا الكثرين على اغتنام مقتاول الواجب لسبب لبس في الاية وعيل انما الغرض ان يعلم ان منافع الاخرة لا يكتب الا في الدنيا وان
الانسان يجئ وحده وما معه الا ما قدم من اعماله ومعنى قوله لا بيع انه لا تجارة فيه فيكتسب ما يفتدى به من العذاب ويكتسب ما لا حتى ينفق منه ولا
خلة لا مودة لان كل احد يكون مشغولا بنفسه لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ او لان الخوف اشد يغلب على كل احد تذهل كل مرضعة
عما ارضعت ثم انه لما نفى الخلة والشفاعة مطلقا ذكر عقيبه قوله وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ليدل على ان ذلك النفي مختص بالكافرين وعلى هذا فتصير
الاية دالة على ثبوت الشفاعة في حق الفساق ونقل عن عطاء بن يسار انه كان يقول الحمد لله الذي قال وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ولم يقل والظالمون
هم الكافرون وقيل اراد والتاركون الزكوة هم الظالمون لانهم تركوا تقديم الخيرات ليوم فاقتهم فقال والكافرون للتغليظ كقوله ومن كفر فان الله
غني عن العالمين اي ومن لم يحج وقيل المراد ان الكافرين اذا دخلوا النار فالله لم يظلمهم بذلك بل هم الذين ظلموا انفسهم باختيار الكفر والفسوق
فهو كقوله ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا وقيل هم الذين وضعوا الامور في غير مواضعها لتوقعهم الشفاعة من الاصنام ويقولون
هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقيل المعنى والكافرون هم التاركون الانفاق في سبيل الله من قوله آتت اكلها ولم تظلم منه شيئا واما المسلم فانه
ينفق في سبيل الله قل ام كثر وفائدة الفصل انهم الكاملون في الظلم البالغون فيه المبلغ العظيم التاويل تلك آيات الله اسراره وانواره ورموز
واشاراته نتلوها عليك بالحق نجلوها بالحقيقة كما هي وانك لمن المرسلين الذين عبروا منه المقامات وشاهدوا تلك الاحوال والكرامات
وحصل لهم صفاء الاوقات ولذة المناجات في الخلوات ثم فطموا عن لبان تلك اللذات في حجر القربات وارسلوا الى اهل الغفلات وعبدة الطواغيت
والهوى واصنام الشهوات ليدعوهم من دار الغرور الى دار السرور ويخرجوهم من الظلمات الى النور ولكنهم ما صاحبوك في الخلوات فانهم بقوا في السموات
وانت عبرت المكونات فكان قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى فوصلت من العبدية الى العندية ثم فطمت عن رضاع لي مع الله
وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل ثم اهبطت من القوم ما اهبطت فحق لك ان تقول ما اوذي نبي مثل ما اوذيت لان غيرك ما سقى من شرب سقيت فما
اوذي بفطام مثل ما اوذيت تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ اشارة الى ان التفاضل في الدين والدنيا بين العباد ليس بجهدهم ومنامهم
وانما هو بتفضيل الله اياهم فلكل من اهل الفضل انوار ولانوارهم آثار وعلى قدر استعلاء اضواء انوارهم لا على قدر سعيهم اختيارهم وهذا
التفاوت صادر من ذلك الانقسام حين جرت به الاقلام كما قال ان الله خلق خلقه في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن اصابه من ذلك النور اهتدى
ومن اخطأه ضل وغوى ثم الفضل فضلان عام بمبادئ المرسلين ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون وخاص بمعاني
بعض المقبولين كاتبت لسيد المرسلين والتفاوت في الانوار على قدر التفاوت في الظلمات المخلوقة المستعدة لقبول النور في بدء الخلقة
لا في حقيقة النور فانه موصوف بالوحدة ولهذا ورد بلفظ الوحدان في قوله وجعل الظلمات والنور ويخرجهم من الظلمات الى النور والرفعة في
الدرجات على قدر قوة الاستعلاء كما قال والذين اوتوا العلم درجات فالعلم هو الضوء من نور الوحدانية فكلما ازداد العلم ازداد الدرجة
وعلى قدر غلبات انوار التوحيد على ظلمات الوجود كانت مراتب الانبياء بعضها فوق بعض فقد بقي بعضهم في مكان من اماكن السموات
كما روي عنه انه رأى آدم ليلة المعراج في السماء الدنيا ويحيى وعيسى في السماء الثانية ويوسف في السماء الثالثة وادريس في السماء الرابعة وهرون في السماء
الخامسة وموسى في السماء السادسة وابرهيم في السماء السابعة وان محمدا ما بقي في مكان بل رفع به الى سدرة المنتهى ثم الى قاب قوسين
او ادنى لانه كان فانيا بالكلية عن ظلمة وجوده باقيا بنور شهود ربه ولهذا سماه الله نورا قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ثم اخبر عن
فضيلة الخواص انما كانت تفضيلا لهم اخبر عن اختلاف العوام وافتراقهم انه كان بمشيئته لا بمشيئتهم فقال ولو شاء الله ما اقتتل الذين
من بعدهم ثم اخبر عن اجراء الفضل منه في الانفاق والبذل فخاطب اهل الايمان لانه كان ايمانكم بالبعث والنشور والثواب والعقاب والجنة والنار
حقا فتصدقوا من كل ما رزقناكم من المال والجاه والقوة والقدرة والعلم والمعرفة وغيرها في مصارفها العامة والخاصة فتمتعوا مما كانوا
لنا في صلاح انفسكم واغتنموا مساعدة الامكان في تقديم الاحسان مع الاخوان من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ما يباع من الاموال والانفس الا
في سوق ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم ولا ينفعهم خلة خليل دنيوي لان الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين
ولا شفاعة لانهم لا يشفعون الا لمن ارتضى والكافرون هم الظالمون لانفسهم لا انا ارسلنا الرسل وانزلنا الكتب امرناهم بالانفاق وانذرناهم
الثواب وانذرناهم العقاب فما اعذر من انذر والله المستعان اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَهُ
مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ خدای بحق نیست معبودی مگر او زنده پاینده فرا نگیرد او را غنوده و نه خواب مر او راست
عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ
مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَ
الْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ
قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَ نیست اکراه در دین
يُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ

سَمِيعٌ عَلِيمٌ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ

شنوای داناست خدا دوست آنانست که گرویدند بیرون آورد ایشانرا از تاریکیها بسوی روشنی و آنانکه کافر شدند دوستان ایشان طاغوت بیرون آرند ایشانرا

مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ القراءة ... الوقوف لا هو ج لان قوله الحي يصلح بدلا

از روشنی بسوی تاریکیها آن گروه یاران آتش اند ایشان در آن جاویدانند عن الضمير وخبر مبتدأ محذوف القيوم ج لاختلاف الجملتين

نوم ط وما في الارض ط لابتداء الاستفهام باذنه ط لانتهاء الاستفهام وما خلفهم ج للفرق بين الاخبار عن علمه الكامل مطلقا واثبات علم الخلق المقيد لمشيته مبتدأ بالنفي بما شاء ج لاختلاف الجملتين والارض ج لاختلاف الجملتين حفظهما ج العظيم الدين ج لان من الشرط مع فاء التعقيب الوثقى قد قيل الاستيناف بالنفي والوجه الوصل على جعل الجملة حالا للعروة اي استمسك بها غير منفصمة لها عليم آمنوا لا يخرجهم حال والعامل معنى الفعل في ولي تقديره الله يليهم مخرجا لهم او مخرجين الى النور ط للفصل بين الفريقين الطاغوت لا لان يخرجونهم حال الى الظلمات ط النار ج خالدون التفسير ... في هذا الكتاب الكريم انه يخلط الانواع الثلاثة اعني علم التوحيد وعلم الاحكام وعلم القصص لما تقرر ان لا تمل الموحيد اما للبيان في الزام الاحكام والتكاليف في هذا النوع رحمته شاملة ولطفه كامل فان طبع الانسان جبل على الملال فكلما انتقل من اسلوب الى اسلوب انشرح صدره وتجدد نشاطه وكمال توفره وقوته وصار اقرب الى فهم معناه والعمل بمقتضاه وقد تقدم من علم الاحكام والقصص ما اقتضى المقام ايراده فذكر الآن ما يتعلق بعلم التوحيد فقال اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما قرئت هذه الآية في دار الا هجرتها الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة وعن علي سمعت نبيكم على اعواد المنبر يقول من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قرأها اذا اخذ مضجعه امنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وتذاكر الصحابة افضل ما في القرآن فقال لهم علي اين انتم من آية الكرسي ثم قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسي وعن علي انه قال لما كان يوم بدر قاتلت ثم جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر ماذا يصنع قال فجئت فاذا هو ساجد يقول يا حي يا قيوم لا يزيد على ذلك ثم رجعت الى القتال ثم جئت وهو يقول ذلك فلا ازال اذهب وارجع وانظر اليه وكان لا يزيد على ذلك الى ان فتح الله له واعلم ان الذكر والعلم يتبعان المذكور والمعلوم واشرف المذكورات والمعلومات هو الله تعالى بل هو متعال عن ان يقال هو اشرف من غيره لان ذلك يقتضي نوع مشاكلة ومجانسة وهو مقدس عن مجانسة ما سواه ولما كانت الآية مشتملة من نعوت جلاله واوصاف كبريائه على العلو والنهاية لا جرم وصلت في الشرف الى اقصى الغايات ونهاية النهايات ولنشتغل بالتفسير اما لفظ الله فقد مر تفسيره في اول الكتاب واما قوله لا اله الا هو فقد سبق تفسيره في قوله وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ واما الحي القيوم فقد سلف تفسيرهما في شرح الاسماء الا انا نزيد ههنا فنقول عن ابن عباس ان اعظم اسماء الله الحي القيوم ويؤكده ما روينا من قصة بدر ولو كان ذكر اشرف منه لذكره وقت الشدة في الحرب واما الدليل العقلي فان الحي هو الذي يصح ان يعلم ويقدر وهو الدراك الفعال فلو ورد عليه ان هذا لا يقتضي المدح لمشاركة اخس الحيوانات اياه في ذلك فيحسن ان نقول ان الحي في اللغة ليس عبارة عمن وجد فيه هذه الصفة من هذه الحيثية فقط بل كل شيء يكون كاملا في جنسه فانه يسمى حيا ومن ههنا يصح ان يقال الموات احياء الارض فان كمال الارض ان تكون معمورة وكمال الاشجار ان تكون مورقة مثمرة ولما كان كمال الجسم ان يكون بحيث يصح ان يعلم ويقدر لا جرم سميت تلك الصفة حيوة فالمفهوم من الحي هو الكامل في جنسه والكامل في الوجود هو الذي يجب وجوده بذاته فالحي بالحقيقة هو الواجب الوجود لذاته واما القيوم فيطلق بمجموع اعتبارين احدهما انه لا يفتقر في قوامه الى غيره والثاني ان غيره يفتقر في قوامه اليه فبهذا الثاني يزيد على مفهوم الحي ومن هذين الاصلين يتشعب جميع مسائل التوحيد المعرفة منها ان واجب الوجود واحد ... جميع جهات الوحدة لانه لو فرض فيه تركب بوجه من الوجوه افتقر في تحققه الى وجود ذينك الجزئين فيقدح في كونه قيوما ومنها انه لا شريك له والا اشتركا في الوجوب وتباينا بالتعين فيكون كل منهما مركبا من جزئين فلا يكون قيوما ولا حيا فان كل مركب مفتقر وكل مفتقر ممكن ومنها ان لا يكون متحيزا لان كل متحيز منقسم وقد ثبت انه واحد ومنها انه ليس في جهة لانها ان كان متحيزا ومنها انه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا يصح عليه الحركة والسكون والانتقال والحالية والمحلية وغير ذلك ومنها انه عالم بجميع المعلومات فانه لا معنى للعلم الا حصول حقيقة المعلوم للعالم واذا كان حيا كان قيوما كانت حقيقته حاضرة عنده ذاته ذاته مقوم لغيره والعلم بالعلة يوجب العلم بالمعلول فيكون عالما بما سواه ومنها انه قادر على كل المقدورات والا لم يكن قيوما بمعنى كونه مقوما لغيره ويعلم منه استناد كل الممكنات اليه بواسطة او بغير واسطة ويلزم منه القول بالقضاء والقدر الحي اصله حيي كحذر وطمع فادغمت الياء في الياء عند اجتماعهما وكلا اليائين اصل وقال ابن الانباري اصله حيو ... الحيوان فلما اجتمعت الواو والياء ... كان الساكن ... كما جعلنا ياء مشددة ... النظير فانه لم يوجد ... والقيوم ... اصله قيووم على فيعول فجعلت الياء ... الساكنة والواو الاولى ياء مشددة ولو كان تفعولا لكان قووما ... وقرئ الحي القيام وقرئ القيم ... لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ وهذا ضد الغافل ... والسنة ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى النعاس اي لا تأخذه

نعاس فضلا ان يأخذه نوم او نقول نفى الاخص اولا ثم نفى الاعم ليفيد المبالغة من حيث لزوم نفى النوم اولا ضمنا ثم ثانيا صريحا ولو اقتصر على الاخص
لم يلزم منه نفى الاعم والمعنى انه لا يفتر عن تدبير الخلق لان القيم بامر الطفل لو غفل عنه ساعة اختل امر الطفل فهو كما يقال لمن ضيع واهمل انك لوسنان
نائم ومما يدل على ان السنة هى الغفلة والنوم عن استعمال العرب ان هذه الاشياء اما ان يكون عبارات عن عدم العلم او عن اضداد العلم وعلى التقديرين
فجواز طريانها يوجب جواز زوال علمه تعالى فلا يكون العلم مقتضى ذاته فيفتقر الى فاعل هو واجب الوجود لذاته لا يكون واجبا بجميع صفاته فلا يكون
حيا ولا قيوما هذا خلف يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان موسى عليه السلام سأل الملائكة هل ينام ربنا فاوحى الله اليهم ان يوقظوه ولا يتركوه ينام ثم اعطاه قارورتين
مملوءتين فى كل يد واحدة وامره بالاحتفاظ فكان يتحرز بجهده الى ان نام فى آخر الامر فضرب احديهما على الاخرى فانكسرتا وكان ذلك مثلا فى بيان انه
لو كان ينام لم يقدر على حفظ السموات والارضين. هذه الرواية ان صحت يجب ان ينسب السؤال الى جهال قوم موسى كطلب الرؤية والا فكيف يجوز
على نبى الله تجويز النوم على الحى القيوم والنبوة من شك فى مثله كفر ثم لما بين كونه قيوما واكده بما اكد رتب عليه حكما وقوله له ما فى السموات وما
فى الارض لان كل ما سواه فانما تقومت ماهيته وحصل وجوده به فيكون ملكا له ولا يلزم منه ان يكون حكمه حكم الجمادات فى التكليف لا يكون لشئ من
الاشياء حكم الا باذنه وامره وهو المراد بقوله من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه ومعنى الاستفهام ههنا الانكار اى لا يشفع عنده الا باذنه وفيه رد على المشركين
القائلين للاصنام هؤلاء شفعاؤنا عند الله ويلزم من كون غيره غير متصرف فى ملكه بوجه من الوجوه الا بامره كونه عالما بالكل وكون غيره غير عالم
بالكل الا باعلامه فاشار الى الاول بقوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم والى الثانى بقوله ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء والمعنى يعلم ما كان
قبلهم وما يكون بعدهم والضمير لما فى السموات والارض لان فيهم العقلاء فغلبوا او لما دل عليه قوله من ذا من الملائكة والانبياء والصالحين الشهداء
عن مجاهد وعطاء والسدى يعلم ما كان قبلهم من امور الدنيا وما كان بعدهم من امور الآخرة. الضحاك والكلبى ما بين ايديهم الآخرة لانهم يقدمون
عليها وما خلفهم الدنيا لانهم يخلفونها وراء ظهورهم وعن ابن عباس يعلم ما بين ايديهم من السماء الى الارض وما خلفهم يريد ما فى السموات و
قيل ما فعلوا من خير وشر وما يفعلونه بعد ذلك والغرض انه سبحانه عالم باحوال الشافع والمشفوع له فيما يتعلق باستحقاق الثواب والعقاب لانه
عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه خافية والشفعاء لا يعلمون من انفسهم ان لهم من الطاعة ما يستحقون به هذه المنزلة العظيمة عند الله ولا
يعلمون ان الله تعالى اذن لهم فى تلك الشفاعة ام لا فانهم لا يحيطون بشئ من علمه اى من معلوماته الا بما علم كقوله لا علم لنا الا ما علمتنا ويحتمل ان
يراد ولا يعلمون الغيب الا بتعليمه واعلامه كقوله عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول واذا كان الشفعاء وهم الملائكة والانبياء
لا يعلمون شيئا الا بتعليم الله فغيرهم بعدم العلم اولى. ثم انه لما بين كمال ملكه وحكمه فى السموات وفى الارضين ذكر ان ملكه فيما عدا السموات و
والارضين اعظم واجل وان ذلك مما ينقطع دون الانتهاء الى ادنى درجة من درجاتها اوهام المتوهمين فقال وسع كرسيه السموات والارض

يقال وسع فلان الشئ اذا احتمله واطاقه وامكنه القيام به قال لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعى واعلم انه لم يجئ فى الكتاب اسما الكرسى واصله
التركيب ومنه الكرسى بالكسر للابوال والابعار يتلبد بعضها على بعض والكراسة لتراكب بعض اوراقها على بعض والكرسى لما يجلس عليه لتركب
خشباته وللمفسرين فى معناه ههنا اقوال الاول عن الحسن انه جسم عظيم يسع السموات والارض وهو نفس العرش لان السرير قد يوصف بانه عرش
وبانه كرسى لان كل واحد منهما يصح التمكن عليه وقيل انه دون العرش وفوق السماء السابعة وقد وردت الاخبار الصحيحة بهذا وعن السدى انه تحت الارض
وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال الكرسى موضع القدمين وينبغى ان يحمل هذه الرواية ان صحت على ما لا يفضى الى التشبيه كانه موضع قدم
الروح الاعظم او ملك آخر عظيم القدر عند الله تعالى وههنا اسرار لا احب اظهارها ولو شاء الله ان يطلع عليها عبدا من عبيده فهو اعلم بمجارى اسراره
وقيل المراد من الكرسى السلطان والقدرة والملك لان الالهية لا تحصل الا بهذه الصفات والعرب تسمى اصل كل شئ الكرسى لانه تسمية
للشئ باسم مكانه فان الملك مكانه الكرسى وقيل المراد به العلم لان موضع العالم هو الكرسى وعن ابن عباس العلم هو الامر المعتمد عليه ومنه يقال للعلماء كراسى
الارض كما قال اوتاد الارض وقيل المقصود من الكلام تصوير عظمة الله وكبريائه ولا كرسى ثمة ولا قعود ولا قاعد واختاره جمع من المحققين كالقفال
والزمخشرى وتقريره انه خاطب الخلق فى تعريف ذاته وصفاته بما اعتادوه فى ملوكهم فمن ذلك انه جعل الكعبة بيتا يطوف الناس به كما يطوفون ببيوت
ملوكهم وامر الناس بزيارته كما يزور الناس بيوت ملوكهم وذكر فى الحجر الاسود انه يمين الله فى ارضه ثم جعله مقبل الناس كما يقبل ايدى الملوك وكذلك
ما ذكر فى القيامة من حضور الملائكة والنبيين والشهداء ووضع الموازين وعلى هذا القياس اثبت لنفسه عرشا فقال الرحمن على العرش استوى ووصف
عرشه فقال وكان عرشه على الماء ثم قال وترى الملائكة حافين من حول العرش ثم قال ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ثم اثبت لنفسه كرسيا و
لما توافقنا ان المراد من الالفاظ الموهمة للتشبيه فى الكعبة والطواف والحجر تربية عظمة الله وكبريائه فكذا الالفاظ الواردة فى العرش والكرسى ولا يؤوده
لا يثقله ولا يشق عليه حفظهما حفظ السموات والارض وفيه ان نفاذ حكمه فى ملكه لا يكون مقصورا على المكان فيما الا الارضين والسموات متعال عن التحيز
ومقدس عن التغيرات فقال وهو العلى العظيم والمراد منهما علو الرتبة وعظمة الشرف لا التحيز والجهة وكيف لا وهو مقدس عن المكان ومدبر الزمان وقوله
سبحانه لا اكراه فى الدين لا يتم ... لما بين دلائل التوحيد بيانا شافيا قاطعا للاعذار ذكر بعد ذلك انه لم يبق للكافر عذر فى الاقامة على الكفر الا ان يقسر على
ويجبر عليه وذلك لا يجوز فى دار الدنيا التى هى دار الابتلاء والاختبار اذ فى القهر والاجبار بطلان معنى الابتلاء ويؤكده قوله قد تبين الرشد من الغى يعنى

الشيء واستبان وتبين وبين أيضا إذا وضح وظهر ومنه المثل قد بين الصبح لذي عينين الرشد إصابة الخير والغي نقيضه تميز الحق من الباطل والإيمان
من الكفر والهدى من الضلال بكثرة الحجج والبينات وتقوية الدلائل والآيات فمن يكفر بالطاغوت قال النحويون وزنه فعلوت نحو جبروت أصله طغيوت
إلا أن لام الفعل قلبت إلى موضع العين ثم صيرت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها وذكر الفارسي أنه مصدر كالرغبوت والرهبوت والدليل على أنه مفرد
في موضع الجمع كما يقال هم رضا وعدل قوله تعالى أولياؤهم الطاغوت والأصل فيه التذكير قال تعالى يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا
أن يكفروا به وأما قوله تعالى والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها فالتأنيث لإرادة الآلهة وأما معنى الطاغوت فعن عمر ومجاهد وقتادة هو الشيطان
وعن سعيد بن جبير الكاهن وقال أبو العالية الساحر وعن بعضهم الأصنام وقيل مردة الجن والإنس وكل ما يطغى وإنما جعلت هذه الأشياء أسبابا للطغيان
لحصول الطغيان عندها لاتصالها بها كقوله رب إنهن أضللن كثيرا من الناس ثم يعلم من قوله فمن يكفر بالطاغوت ثم من قوله ويؤمن بالله أن الكافر
لا بد أن يتوب أولا ثم يؤمن بعد ذلك فقد استمسك بالعروة الوثقى استمسك وتمسك بمعنى والعروة واحدة عرى الدلو والكوز ونحوهما مما يتعلق
به والوثقى تأنيث الأوثق وهذا من باب استعارة المحسوس للمعقول لأن الإسلام أقوى ما يتشبث به للنجاة فمثل المعلوم بالنظر والاستدلال بالشاهد
المحسوس هو الحبل الوثيق المحكم حتى يتصور السامع كأنه ينظر إليه بعينه فيزول شبهته بالكلية الانفصام كسر الشيء من غير أن يبين فصمته فانفصم والمقصود
من قوله لا انفصام لها المبالغة لأنه إذا لم يكن لها انفصام فأن لا يكون لها انقطاع أولى وقيل إن الموصوف ههنا محذوف أي التي لا انفصام لها
كقوله وما منا إلا له مقام معلوم أي من له وقيل معنى قوله لا إكراه في الدين لا تكرهوا في الدين على أنه إخبار في معنى النهي والإكراه إلزام الغير فعلا
لا يرى فيه خيرا يحمله عليه ثم قال بعضهم إنه منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين وقال بعضهم هو في أهل الكتاب خاصة لأنهم إذا قبلوا الجزية سقط
القتل عنهم وحكم المجوس حكمهم أما الكفار الذين تهودوا أو تنصروا فقيل إنهم لا يقرون على ذلك بل يكرهون على الإسلام وقيل يقرون على ما انتقلوا إليه
ولا يكرهون روي أنه كان لأنصاري من بني سالم بن عوف ابنان فتنصرا قبل أن يبعث رسول الله ﷺ ثم قدما المدينة فلزمهما أبوهما وقال والله لا أدعكما
حتى تسلما فأبيا فاختصموا إلى رسول الله ﷺ فقال الأنصاري يا رسول الله أيدخل بعضي النار وأنا أنظر فنزلت فخلاهما وقيل معنى قوله لا إكراه
لا تقولوا لمن دخل في الدين بعد الحرب إنه دخل مكرها لأنه إذا رضي بعد الحرب وصح إسلامه فليس بمكره ومعناه لا تنسبوه إلى الإكراه فيكون كقوله ولا تقولوا
لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا والله سميع عليم يسمع قول من يتكلم بالشهادة وقول من يتكلم بالكفر ويعلم ما في قلب المؤمن من الاعتقاد
وما في قلب الكافر من العقد الخبيث وعن عطاء عن ابن عباس قال كان رسول الله ﷺ يحب إسلام أهل الكتاب من اليهود الذين كانوا حول المدينة و
كان يسأل الله تعالى ذلك سرا وعلانية فقيل له والله سميع لدعائك عليم بحرصك واجتهادك قوله سبحانه الله ولي الذين آمنوا أي متولي أمورهم
وكافل مصالحهم فعيل بمعنى فاعل والتركيب يدل على القرب فالمحب ولي لأنه يقرب منك بالمحبة والنصرة ومنه الوالي لأنه يلي القوم بالتدبير وفيه دليل على أن
ألطاف الله تعالى في حق المؤمنين وفيما يتعلق بالدين أكثر من ألطافه في حق الكافر وذلك أنه يخرجهم من الظلمات إلى النور من الكفر إلى الإيمان ومن
الضلالة إلى الهدى ومن الشك إلى اليقين والإخراج يشمل الكافر إذا آمن والمؤمن الأصلي ولا يبعد أن يقال يخرجهم إلى النور من الظلمات وإن لم يكونوا
في الظلمة البتة فإن العبد لو خلا عن توفيق الله تعالى لحظة لوقع في ظلمات الضلال إلا أن توفيقه صار سببا لدفع تلك الظلمات عنه وبين
الدفع والرفع تشابه ومثله قوله وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ومعلوم أنهم ما كانوا قط في النار وروي أنه ﷺ سمع إنسانا قال أشهد
أن لا إله إلا الله فقال على الفطرة فلما قال أشهد أن محمدا رسول الله قال خرج من النار ومن المعلوم أنه ما كان فيها [illegible] في القرآن
من الظلمات والنور فإنه أراد بهما الكفر والإيمان إلا قوله في أول الأنعام وجعل الظلمات والنور فإنه بمعنى الليل والنهار قال وإنما جعل الكفر ظلمة
لأنه كالظلمة في المنع من الإدراك وجعل الإيمان نورا لأنه كالسبب في حصول الإدراك قلت مدار الإيمان والعلم وجميع الكمالات النفسانية
والمعارف اليقينية أنوار تزداد النفس بها نورا وإشراقا فلا حاجة إلى هذا التكلف والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت مصدر ولهذا وحد في
موضع الجمع يخرجونهم من النور إلى الظلمات وإنما وحد النور وجمع الظلمة لأن الحق شيء يرجع إلى طريقة واحدة وهو أيضا في نفسه واحد وأما الباطل
فلا حصر له ولا طرف كما أن الخط المستقيم الواصل بين النقطتين واحد والمنحنية غير محدودة وإسناد الإضلال إلى الطاغوت وهو كل من يتسبب إلى
الطغيان كالمجاز فإن الحوادث بأسرها تستند إلى المبدأ الأول بالحقيقة وتنتهي إلى قضائه وقدره كما سبق تحقيقه مرارا أولئك الكفار أو هم ومن
يليهم من الوسائط والوسائل أصحاب النار فيكون زجرا للكل ووعيدا لهم أعاذنا الله من ذلك الله لا إله إلا هو الحي القيوم أشير بهما إلى الاسم الأعظم لأن
اسم الحي مشتمل على جميع أسمائه وصفاته فإن من لوازم الحي أن يكون قادرا عالما سميعا بصيرا متكلما مريدا باقيا إلى غير ذلك من نعوت الكمال واسمه القيوم
دال على افتقار كل المخلوقات إليه إذا تجلى الله للعبد باسمه الحي تنكشف للعبد عند تجلي صفة الحي حقائق جميع أسمائه وصفاته وعند تجلي صفة
القيوم فناء جميع المخلوقات إذ كان قيامها بقيومية الحق لا بأنفسهم فلما جاء الحق وزهق الباطل فلا يرى في الوجود إلا الحي القيوم أنه سلب حجب
أسماء الله سلب للقيوم قيام الممكنات ففي التعلق بتعيين الوحدة فيذكره صفة شهود عظمة الوحدانية طلبا لعيان المراد لا طلبا لبيان الأسماء
فقد ذكر ما الاسم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى لأنه يتحقق بالله فيكون الحال كما جرى على لسانه ما الذاكر غيبته عن عظمة
الوحدانية فكل اسم هذا لا يكون الاسم الأعظم بالنسبة إلى الحال عينه وعنده شهود العظمة فكل اسم هذا يكون الاسم الأعظم كما سئل أبو يزيد عن الاسم

الاعظم فقال الاسم الاعظم الله لا اله الا هو الحى القيوم ولكن فرغ قلبك لوحدانيته فاذا كنت كذلك فاذكره باى اسم شئت لا تأخذه سنة ولا نوم لان النوم اخ
الموت والموت ضد الحيوة وهو الحى الحقيقى فلا يلحقه ضد الحيوة من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه هذا الاستثناء مدح للنبى كانه قيل من ذا
الذى يشفع عنده يوم القيمة الا عبده محمد (ص) فانه ماذون فى الشفاعة موعود بها عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا يعلم محمد (ص) ما بين ايديهم
من اوليات الامور قبل خلق الخلائق كقوله (ص) اول ما خلق الله نورى او اول ما خلق الله العقل ان الله خلق الارواح قبل الاجساد بالفى عام
وما خلفهم من احوال القيمة وفزع الخلق وغضب الرب وطلب الشفاعة من الانبياء وقولهم نفسى نفسى ورجوعهم اليه للاضطرار ولا يحيطون بشئ
من علمه الا بما شاء من علم احوال الامم ومعاملاتهم وقصصهم كلا نقص عليك من انباء الرسل ويعلم امور اخرتهم واحوال اهل الجنة و
النار وهم لا يعلمون شيئا من ذلك الا بما شاء ان يخبرهم عنه وسع كرسيه السموات والارض مثال العرش فى عالم الانسان قلبه ومثال الكرسى
وسوف يجئ تمام التحقيق ان شاء الله تعالى فى قوله الرحمن على العرش استوى وان العرش مع عظمته كحلقة ملقاة بين السماء والارض بالنسبة الى
سعة قلب المؤمن ولا يؤده حفظهما لا يثقل الروح الانسانى حفظ اسرار السموات والارض وعلم ادم الاسماء كلها وهو العلى اعلى من العرش
والكرسى لقلب المؤمن وسره وعلوا فى المرتبة وعظمته فى خلافته لانه الكامل الذى والحكمة يردى برداء الكبرياء ويتزر بازار العظمة والبهاء
هو المدح والثناء فانه هو العلى العظيم من على فى الاخرة والاولى فمن عظم فبتعظيمه ثم اخبر عن غرة الدين لارباب اليقين بقوله لا
اكراه فى الدين كما قال (ع) ليس الدين بالتمنى مع ان التمنى نوع من الاختيار فكيف يحصل بالاكراه وهو الاجبار فان الدين هو الاستسلام لاوامره
ظاهرا والتسليم لاحكام الحق باطنا من غير حرج وضيق عطن ثم شرع فى شرحه تم الدين بقوله فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فطاغوت العوام
الاصنام وطاغوت الخواص هو النفس وطاغوت خواص الخواص ما سوى الله وايمان العوام اقرار باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالاركان وايمان
الخواص فى وقف النفس عن الدنيا وسلوك طريق العقبى وشهود القلب مع المولى وايمان خواص الخواص ملازمة الظاهر والباطن فى طاعة الله والقاء القلب الى الفناء
فى الله واعطاء السر للبقاء بالله فهذا هو الشكر الموجب للشكر ولهذا قال موسى (ع) فلما افاق عن سكر سطوات شراب التجلى تبت اليك اى عن هذه
الانا فقد كانت مخصوصا عن غاية فى ما منه بالايمان العيانى مع العموم بالايمان البيانى كما قيل شعر لى سكرتان وللندمان واحدة شئ خصصت
به من بينهم وحدى ثم العروة الوثقى التى استمسك بها المؤمن لا يمكن ان يكون من الحدثات المخلوقات لقوله كل شئ هالك الا وجهه ولا يكون
انها من بطشك الا كانت منفصمة بل يكون من بطشة ان بطش ربك لشديد ولكل مؤمن عروة مناسبة لمقامه فى الايمان فعروة العوام توفيقها
والخواص من العنايات الجذبة ولخواص الخواص الجذبة الالهية التى تقيهم من ظلمات الغيرية وتغيبه بنور الربوبية ولهذا قال (ص) جذبة
من جذبات الحق توازى عمل الثقلين لان الثقلين اعمالهما فانية من عالم الحدوث وجذبة الحق باقية من عالم القدم لا يجوز عليها الانفصام فالجذبة
لا يخلص منها ابد الابدين ثم اخبر عن خصوص فقال الله ولى الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور يخرج العوام من ظلمات الكفر و
الضلالة الى نور الايمان والهداية والخواص من ظلمات الصفات النفسانية والجسمانية الى نور الروحانية والربانية وخواص الخواص من ظلمات
الحدوث والفناء الى نور الشهود والبقاء والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت ذكر الطاغوت بلفظ الوحدان والاولياء بلفظ الجمع ليعلم ان الولاء
والمحبة من قبل الكفار لعظم اولياء الطاغوت كقوله اندادا يحبونهم كحب الله فمعان الطاغوت لو فسر بالاصنام فهى بمعزل عن الولاية وان فسر بالشيطان
او النفس فهم الاعداء لا الاولياء يخرجونهم من النور الروحانية وصفاء الفطرة الى ظلمات الصفات البهيمية والسبعية الشيطانية ظلمات بعضها
فوق بعض وبركات بعضها تحت بعض اولئك اى ارواح الكفار مع النفس والشيطان والاصنام اصحاب النار لان الارواح وان لم يكن من
جنسهم من تشبه بقوم فهو منهم والله المستعان الم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه ان اتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربى الذى

آیا نه دیدی بسوی آنکه حجت کرد با ابراهیم در پروردگارش که داده بود خداوند او را پادشاهی چون گفت ابراهیم پروردگار من آنست

يحيى ويميت قال انا احيى واميت قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر

که زنده میکند و میمیراند گفت من هم زنده میکنم و میمیرانم گفت ابراهیم پس بدرستیکه خدا میآورد آفتاب را از سمت مشرق پس بیاور آنرا از سمت مغرب پس درماند آنکه کافر بود

والله لا يهدى القوم الظالمين او كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال انى يحيى هذه الله بعد موتها

و خدا راه ننماید گروه ستمکاران را یا چون آنکس که گذشت بر دهی که آن فرو آمده بود دیوارهایش بر سقفهایش گفت که چگونه زنده کند این را خدا پس از مرگش

فاماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك

پس میراند او را خدا صد سال پس زنده کرد او را گفت چه قدر درنگ کردی گفت درنگ کردم روزی یا پاره روز گفت بلکه درنگ کردی صد سال پس بنگر بسوی طعام خود و شراب خود

لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك اية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال اعلم

که متغیر نشده و بنگر بسوی خر خود و تا گردانیم ترا نشانه از برای مردمان و بنگر بسوی استخوانها که چگونه بر میداریم آنرا پس میپوشانیم آنرا گوشت پس چون ظاهر شد مر او را گفت میدانم

ان الله على كل شئ قدير واذ قال ابراهيم رب ارنى كيف تحيى الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال

فرق طاغوت

فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ

بگیر چهار عدد از مرغان پس جمع کن آنها را بسوی خود پس بگذار بر هر کوهی از آن مرغان جزئی را پس بخوان آنها را بیایند بسوی تو شتابان و بدان که خدا غالب

حَكِيمٌ القراآت ربي الذي مرسلة الياء حمزة الباقون بالفتح انا احيي بالمد ابو جعفر ونافع وكذلك ما اشبهها من المفتوحة والمضمومة وزاد ابو نشيط بالمد في المكسورة في قوله ان انا الا نذير واشباه ذلك متسنه بالهاء مثل فبهديهم اقتده وماليه بالاظهار ابن كثير ونافع وخلف ويعقوب لم يتسنه في الوصل والوقف بالهاء حمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب لان الهاء للسكت وهاء السكت تزاد للوقف الباقون بالهاء ساكنة في الحالين والهاء اما اصلية مجزومة بلم او هاء سكت واجري الوصل مجرى الوقف لحماره لتكثر الحاره بالامالة علي غير ليث وابي حمدون وحمدويه والنجاري عن ورش وابن ذكوان وابو عمرو وحمزة في رواية ابن سعدان وابي عمرو وابن شنبوذ عن اهل مكة ننشرها بالراء ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير وابو جعفر ونافع الباقون بالزاي اعلم موصولا والابتداء بكسر الهمزة علي الامر حمزة وعلي الباقون مقطوعا والميم مضمومة على الاخبار فصرهن بكسر الصاد يزيد وحمزة وخلف وروح في المفضل جزا بالتشديد بالزاي يزيد ووجهه انه خفف بطرح همزته ثم شدد كما يشدد في الوقف اجراء للوصل مجرى الوقف وقرا ابو بكر وحماد جزؤا مثقلا مهموزا الباقون ساكنة الزاي مهموزة الوقوف الملك م لانه اذ ليس بظرف لايتاء الملك ويميت ج لان قال عامل اذ وامبيت لكفر ط الظالمين ج لان للعطف وللتعجب عروشها ج لان ما بعده من تتمة كلام قبله من غير عطف موهاج لتمام المقول مع العطف بفاء الجواب في الجزاء بعضا يوم ط لم يتسنه ج وان انفقت الجملتان لوقوع الحال المعترض بينهما مع وصل حسن له الوقف على حمارك بالجمار ما يعطف عليه قوله ولنجعلك اي لتستيقن ولنجعلك ومن جعل الواو مقحمة لم يقف لحمارك لتمام اليتامى الله لا لان قال جواب لما فلذ قدير الموتى ط تؤمن ط قلبي ط سعيا ط لاعتراض جواب الامر حكيم التفسير انه سبحانه ذكر هاهنا قصصا ثلاثا اولها في اثبات العلم بالصانع والباقيان في اثبات البعث والنشور القصة الاولى مناظرة ابرهيم ملك زمانه عن مجاهد هو نمرود بن كنعان وهو اول من تجبر وادعى الربوبية والمحاجة المغالبة بالحجة والضمير في ربه لابرهيم ويحتمل ان يكون لنمرود والهاء في ان اتاه قيل لابرهيم لانه اقرب في الذكر ولانه لا يجوز ان يؤتي الكافر الملك والتسليط ولانه يناسب قوله فقد اتينا ال ابرهيم الكتاب والحكمة واتيناهم ملكا عظيما وقال جمهور المفسرين الضمير لذلك الشخص الذي حاج ابرهيم لا يبعد ان يعطي الله الكافر بسطة وسعة في الدنيا ومعنى ان اتاه الله اي لان الله اتاه الملك فابطره واورثه الكبر والعتو وجعل محاجته في ربه شكرا له كقولك عاداني فلان لاني احسنت اليه تريد انه عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لاجل الاحسان ويجوز ان يكون المعنى حاج وقت ان اتاه الله روي عن مقاتل ان هذه المحاجة كانت حين كسر ابرهيم الاصنام وسجنه نمرود ثم اخرجه من السجن ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعو اليه فقال ربي الذي يحيي ويميت وهذا دليل في غاية القوة لان الخلق عاجزون عن الاحياء والاماتة فلا بد ان يستند الى مؤثر قادر مختار خبير باجزاء الحيوان واشكاله يصير باعضائه واحواله ولهذا ما ذكره الله تعالى في مواضع كتابه فقال ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين هو الذي خلقكم من تراب الم نخلقكم من ماء مهين وروي ان الكافر دعا شخصين فسيف احدهما وقتل الاخر وقال انا ايضا احيي واميت ثم للناس في هذا المقام طريقان الاول وعليه اكثر المفسرين ان ابرهيم لما راى من نمرود انه القى تلك الشبهة عدل عن ذلك الى دليل اخر اوضح من الاول فقال ان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب قالوا وفي هذا دليل على جواز الانتقال للمجادل من حجة الى حجة واورد عليه ان الشبهة اذا وقعت في الاسماع وجب على المحق القادر على ذكر الجواب ان يذكر الجواب في الحال ازالة لذلك الجهل وللتلبيس الطعن الملك الكافر في الدليل الاول وفي المثال الثاني تلك الشبهة كان الاشتغال بازالة ذلك واجبا مضيقا فكيف يليق بالمعصوم ان يترك ذلك الواجب مع ان فيه ايهام ان كلامه الاول كان ضعيفا ولئن سلمنا ان الانتقال من دليل الى دليل حسن لكنه يجب ان يكون المنتقل اليه اوضح لكن الاستدلال بالاحياء والاماتة على وجود الصانع اظهر واقوى من الاستدلال بطلوع الشمس فان جنس الحيوة لا قدرة للخلق عليه واما جنس تحريك الاجسام فللخلق قدرة عليه ودلالة الاحياء والاماتة على الحاجة الى المؤثر القادر لكونهما من المتبدلات اقوى منه لا النطلوع الشمس لكون حركة الافلاك على نهج واحد وايضا ان نمرود لما لم يستحي من معارضة الاحياء والاماتة الصادرين عن الله بالقتل والتخلية فكيف يؤمن عند استدلال ابرهيم بطلوع الشمس ان يقول بل طلوع الشمس من المشرق مني فان كان لك اله فقل له حتى يطلعها من المغرب عند ذلك التزم المحققون من المفسرين ذلك فقالوا انه لو اورد هذا السؤال لكان من الواجب ان يطلع الشمس من مغربها ومن المعلوم ان الاشتغال باظهار فساد سؤاله في الاحياء والاماتة اسهل بكثير من التزام طلوع الشمس من المغرب فما الذي حمل ابرهيم على ان ترك الجواب عن ذلك السؤال الركيك التزم الانقطاع واعترف بالحاجة الى الانتقال وتمسك بدليل لا يمكن تمشيته الا بالتزام اطلاع الشمس من المغرب لما كانت هذه الاعتراضات واردة على الطريق الاول عدل بعض المحققين الى طريق اخر فقالوا ان ابرهيم لما احتج بالاحياء والاماتة اتى المنكر انه ادعى الاحياء والاماتة منه ابتداء من غير وسط الاسباب الارضية والسماوية الاول فلا سبيل للبشر اما الثاني فقطع ما يقرب لتحصيل للبشر فان الجماع يفضي الى الولد بتوسط الاسباب وتناول السم يفضي الى الموت فاجاب ابرهيم بناء على معتقدهم وكانوا اصحاب تنجيم بان الاحياء والاماتة وان حصلا بواسطة حركات الافلاك لكن الحركات والاتصالات لا بد لها من فاعل مدبر وليس ذلك هو البشر فانه لا اقتدار لهم على الافلاك فلا بد من محرك للارض والسموات قلت فيه ثم طريق اخر يذكره في اثناء ولات ان شاء الله تعالى فبهت الذي كفر بهت الرجل بالكسر اذا دهش وتحير وبهت بالضم مثله وقد قرئ بهما واو

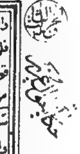

واضح منها القراءة المشهورة فبهت على البناء للمفعول لانه يقال بهت الرجل فهو مبهوت ولا يقال باهت ولا بهيت قاله الكسائي والله لا يهدي القوم الظالمين
فلهذا لم ينفعهم الدليل وان بلغ في الظهور الى حيث صار المبطل مبهوتا متحيرا فيعلم منه ان الكل بقضاء الله وقدره ومشيئته وارادته. القصة الثانية
قوله سبحانه او كالذي مر ذهب الكسائي والفراء والفارسي واكثر النحويين الى انه معطوف على المعنى والتقدير أرأيت كالذي حاج ابراهيم او كالذي
مر ونظيره من القرآن قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله ثم قال قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم
سيقولون لله فهذا عطف على المعنى كأنه قيل لمن السموات فقيل لله ومثله قول الشاعر فلسنا بالجبال ولا الحديدا. وعن الاخفش ان الكاف زائدة
والتقدير الم تر الى الذي حاج ابراهيم او الى الذي مر وعن المبرد انا نضمر الفعل في الثاني والتقدير الم تر الى الذي حاج ابرهيم او الم تر الى مثل الذي
مر واختلفوا في المار بالقرية فعن مجاهد وعليه اكثر المفسرين من المعتزلة ان المار كان رجلا كافرا شاكا في البعث لان قوله انى يحيي استبعاد وانه لا يليق
بالمؤمن ولانه تعالى قال في حقه فلما تبين له وفيه دليل على ان ذلك التبين لم يكن حاصلا قبل ذلك وكذا قوله اعلم ان الله على كل شيء قدير. وذهب
سائر المفسرين الى انه كان مسلما ثم قال قتادة وعكرمة والضحاك والسدي هو عزير وقال عطاء عن ابن عباس هو ارميا ثم من هؤلاء من قال ان
ارميا هو الخضر وهو رجل من سبط هرون بن عمران وهذا قول محمد بن اسحق وقال وهب بن منبه ان ارميا هو النبي الذي بعثه الله عند ما خرب
بختنصر بيت المقدس واحرق التوراة وقيل هو عزير وعلى ما يجيء حجة هؤلاء ان قوله انى يحيي هذه الله بعد موتها يدل على انه كان عالما بالله و
بانه تعالى يصح منه الاحياء في الجملة والاستبعاد انما هو في القرية المخصوصة وايضا فقد شرفه الله تعالى بالتكلم في قوله قال كم لبثت وفي قوله وانظر ولنجعلك
وفي نفس قصته من الاعادة وغيرها الكرامة ايضا. وروى عن ابن عباس ان بختنصر غزا بني اسرائيل فسبى منهم الكثير ومنهم عزير وكان من علمائهم فجاء
بهم الى بابل فدخل عزير تلك القرية ونزل تحت ظل شجرة وربط حماره وطاف في القرية فلم ير فيها احدا فعجب من ذلك فقال انى يحيي هذه الله
بعد موتها اى من اين يتوقع عمارتها لا على سبيل الشك في القدرة بل بسبب اطراد العادة في ان مثل ذلك الموضع الخراب قلما يعمره الله
معمورا وكانت الاشجار مثمرة فتناول منها التين والعنب وشرب من عصير العنب ونام فاماته الله في منامه مائة عام وهو شاب ثم اعمى
عنه موته ابصار الانس والطير والسباع ثم احياه بعد المائة ونودي من السماء يا عزير كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم فقال بل لبثت
مائة عام فانظر الى طعامك التين والعنب وشرابك من العصير لم يتغير فنظر فاذا التين والعنب كما شاهدهما ثم قال وانظر الى حمارك فنظر فاذا
عظام بيض تلوح وقد تفرقت اوصاله فسمع صوتا ايتها العظام البالية اني جاعل فيك روحا فانضم اجزاء العظام بعضها الى بعض ثم التصق كل
عضو بما يليق به الضلع الى الضلع والذراع الى مكانه ثم جاء الرأس الى مكانه ثم العصب ثم العروق ثم انبسط اللحم عليه ثم انبسط الجلد عليه ثم خرجت
الشعور من الجلد ثم نفخ فيه الروح فاذا هو قائم ينهق فخر عزير ساجدا وقال اعلم ان الله على كل شيء قدير ثم انه دخل بيت المقدس فقال القوم حدثنا
آباؤنا ان عزير بن شرخيا مات ببابل وقد كان بختنصر قتل ببيت المقدس اربعين الفا من قراء التوراة وكان فيهم عزير والقوم ما عرفوا انه
يقرأ التوراة فلما اتاهم بعد مائة عام جدد لهم التوراة واملاها عليهم عن ظهر قلبه لم يخرم منها حرفا وكانت التوراة قد دفنت في موضع
فاخرجت وعورضت بما املاه فما اختلفا في حرف فعند ذلك قالوا عزير ابن الله. وعن وهب وقتادة وعكرمة والربيع ان القرية ايليا وهو بيت
المقدس وقال ابن زيد هي القرية التي خرجت منها الالوف حذر الموت معنى قوله خاوية على عروشها ساقطة على سقوفها من خوى النجم اذا
سقط والعروش الابنية والسقوف من الخشب كان حيطانها كانت قائمة وقد تهدمت سقوفها ثم انقعرت الحيطان من قواعدها فسقطت
على سقوفها المتهدمة وهذا من احسن ما يوصف به خراب المنازل ويحتمل ان يكون من خوى المنزل اذا خلا عن اهله وخوى بطن الحامل وعلى
بمعنى عن اى خالية عن عروشها ويجوز ان يراد ان القرية خاوية مع بقاء عروشها وسلامتها قال في الكشاف ويجوز ان يكون على عروشها خبرا
بعد خبر كانه قيل هي خالية وهي على عروشها اى هي قائمة مظلة على عروشها على معنى ان السقوف سقطت الى الارض فصارت في قرار الحيطان
وبقيت الحيطان مائلة فهي مشرفة على السقوف الساقطة ويجوز ان يراد ان القرية خاوية على مع كون اشجارها مثمرة وكان التعجب من ذلك اكثر لان
الغالب من القرية الخالية ان يبطل ما فيها من عروش الفواكه فاماته الله مائة عام لان الاحياء بعد مدة طويلة اقرب فيكون ادخل في كونه آية
ثم بعثه اى احياه كما كان اولا عاقلا فهما مستعدا للنظر والاستدلال في المعارف الالهية ولو قال احياه لم يحصل هذه الفوائد قال كم لبثت اى
كم مدة لبثت فحذف تمييزه والحكمة في السؤال هو التنبيه على حدوث ما حدث من الخوارق والا فمن المعلوم ان الميت لا يمكنه بعد ان صار حيا ان يعلم
ان مدة موته طويلة او قصيرة قال بناء على الظن لا بطريق الكذب لبثت يوما او بعض يوم روى انه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غروب
الشمس فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال او بعض يوم والظاهر انه علم ان ذلك اللبث كان بسبب الموت لما
شاهده من نفسه من حاله لم يتسنه لم يتغير واصله من السنة اي لم تأت عليه السنون لان مر السنين لما لم يغيره فكأنها لم تأت عليه وعلى هذا فالهاء
اما للسكت بناء على ان اصل سنة سنوة بدليل سنوات في الجمع وسنية في التحقير وقولهم سانيت الرجل مساناة اذا عاملته سنة واما اصلية على
ان نقصان سنة هو الهاء بدليل سنيهة في التصغير وقولهم اجرت الدار مسانهة وقيل اصله يتسنن اما من السن هو التغير الذي من حما مسنون
اي متغير منتن واما من السنة ايضا بناء على ما نقل الواحدي ان اصل سنة يجوز ان يكون سنتة بدليل سنينة في تصغيرها وان كان قليلا وعلى

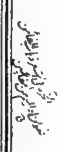

التقدير من ابدلت النون الاخيرة ياء مثل تقضى البازي في تقضض ثم حذفت الياء للجزم ووضعت هاء السكت في الوقف وعن ابي علي الفارسي ان
المسنون هو المصبوب فمعنى لم يتسنه اي الشراب بقي بحاله لم ينصب فعلى هذا يكون قوله لم يتسنه عائداً الى الشراب في حله وهو اوفق لقراءة ابن مسعود
فانظر الى طعامك وهذا شرابك لم يتسن واما على سائر الاقوال فيكون عدم التغير حالاً لان يعود الى الطعام والى الشراب جميعاً فان قيل
انه تعالى لما قال بل لبثت مائة عام كان من حقه ان يذكر عقيبه ما يدل على ذلك لكن قوله فانظر يدل على ما قاله من انه لبث يوماً او بعض يوم فالجواب
ان انه كلما كانت الشبهة اقوى كان الاشتياق الى الدليل الكاشف عنها اشد فلهذا قيل وانظر الى حمارك فرآه عظاماً نخرة فعظم تعجبه حيث رأى
ما يسرع اليه التغير وهو الطعام والشراب باقياً وما يمكن ان يبقى زماناً طويلاً وهو الحمار غير باق فعرف طول مدة لبثه بان شاهد عظام حماره
رميماً وهذا بالحقيقة لا يدل بذاته لان القادر على احياء الحيوان قادر على اماتته وجعل عظامه نخرة في الحال ولكن انقلاب عظام الحمار الى
حالة الحيوة كانت معجزة دالة على صدق ما سمع من قوله بل لبثت مائة عام ولنجعلك آية قال الضحاك معناه ولنجعله دليلاً على صحة البعث قال
غيره كان آية لان الله تعالى بعثه شاباً اسود الرأس وبنو بنيه شيوخ بيض اللحى والمفارق وقيل انه كان يقرأ التوراة عن ظهر قلبه فذلك كونه آية وقيل
ان حماره لم يمت والمراد وانظر الى حمارك سالماً في مكانه كما ربطته وذلك من اعظم الآيات ان يعيشه مائة عام من غير علف ولا ماء كما حفظ طعامه
وشرابه من التغير واما فائدة الواو في قوله ولنجعلك فقد قال الفراء انما دخلت لنية فعل بعدها مضمر لانه لو قال انظر الى حمارك لنجعلك آية
كان النظر الى الحمار شرطاً وجعله آية جزاء وهذا المعنى غير مطلوب من هذا الكلام بل المعنى ولنجعلك آية فعلنا ما فعلنا من الاماتة والاحياء و
مثله في القرآن كثير وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين وانظر
الى العظام كيف ننشرها بالراء المهملة اي كيف نحييها وقرئ كيف ننشرها من نشر الله الموتى بمعنى انشرهم ويحتمل ان يكون من النشر ضد الطي فان
الحيوة كالانبساط وقد وصف الله العظام بالاحياء في قوله من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشأها اول مرة ومن قرأ بالزاء فمعناه
نحركها ونرفع بعضها الى بعض والتركيب للنشز الارتفاع يقال للمرتفع من الارض ومنه نشوز المرأة لانها ترتفع عن حد رضا الزوج وكيف في موضع الحال من العظام
والعامل فيه ننشرها لا انظر لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله ثم اكثر المفسرين على ان المراد بالعظام عظام حماره وان اللام فيه بدل من
الكناية وعن قتادة والربيع وابن زيد ان العظام عظام هذا الرجل نفسه قالوا انه تعالى احيا رأسه وعينيه وكانت بقية بدنه عظاماً نخرة وكان
ينظر الى اجزاء عظام نفسه فرآها تجتمع وينضم البعض الى البعض وكان يرى حماره واقفاً كما ربطه وزيف بان قوله لبثت يوماً او بعض يوم انما
يليق بمن لا يرى في نفسه اثر التغير لا لمن شاهد اجزاء بدنه متفرقة وعظامه رميمة وقوله ثم بعثه يدل على ان المبعوث هو تلك الجملة التي اماتها وقيل
هي عظام الموتى الذين تعجب من احيائهم وفاعل تبين مضمر تقديره فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير فحذف الاول لدلالة الثاني عليه
في قولهم ضربني وضربت زيداً او المقدر فلما تبين له ما اشكل عليه من امر الاماتة والاحياء قال اعلم وتأويله اني قد علمت مشاهدة ما كنت
اعلمه قبل ذلك استدلالاً ومن قرأ اعلم على لفظ الامر فمعناه انه عند التبين امر نفسه بذلك والله تعالى امره بذلك كما في آخر قصة ابراهيم واعلم ان الله
عزيز حكيم قال القاضي القراءة الاولى اولى لان الامر بالشيء انما يحسن عند عدم المأمور به وههنا العلم حاصل بدليل قوله فلما تبين له فلا
يحسن الامر بتحصيل العلم بعد ذلك واما الاخبار عن انه حصل فجائز قلت ليس هذا من باب الامر بتحصيل الحاصل وانما الامر فيه عائد الى شيء اخر
غير حاصل هو عدم التعجب من ايجاد سائر الممكنات البعيدة فان من قدر على ايجاد امر مستبعد الحصول كان قادراً على نظائره من الغرائب والعجائب لا محالة وهذا
او دون القضية كلية نعم لو قيل اعلم ان الله قادر على احياء الموتى لاشبه ان يكون امراً بتحصيل الحاصل على ان ذلك ايضاً ممنوع فان الامر يعود الى شيء
اخر غير حاصل هو عدم الشك فيما يستأنف من الزمان اي ليكن هذه الآية على ذكر منك كيلا يعرض لك شك فيما بعد ذلك كقولك للمتحرك تحرك اي
واظب على الحركة ولا تفتر وليت شعري كيف يطعن بعض العلماء في بعض القراءات السبع مع ثبوت التواتر وكونها كلها كلام الحكيم العليم تقدس وتعالى
الثالثة قوله عز من قائل واذ قال ابراهيم التقدير واذكر وقت قول ابراهيم وقيل معطوف على قوله الم تر الى الذي اي الم تر الى وقت قول ابراهيم وههنا دقيقة وهو انه
لم يسم عزيراً في قصته بل قال او كالذي مر على قرية وههنا سمى ابراهيم لان عزيراً لم يحفظ الادب بل قال ابتداء انى يحيي هذه الله بعد موتها وابراهيم
اثنى على الله اولاً بقوله ربي ارني فادى ذلك غيره ومعنى ارني بصرني ثم ذكروا في سبب سؤال ابراهيم وجوهاً الاول قال الحسن والضحاك وقتادة وعطاء
وابن جريج انه رأى جيفة مطروحة على شط البحر فاذا مد البحر اكل منها دواب البحر واذا جزر البحر جاءت السباع فاكلت فاذا ذهبت السباع جاءت الطيور
فاكلت وطارت فقال ابراهيم رب ارني كيف تجمع اجزاء هذا الحيوان من بطون السباع والطيور ودواب البحر فقيل اولم تؤمن قال بلى ولكن المطلوب
بالسؤال ان يصير العلم الاستدلالي ضرورياً الثاني قال محمد بن اسحق والقاضي انه في مناظرته مع نمرود لما قال ربي الذي يحيي ويميت قال الكافر انا
احيي واميت فاطلق محبوساً وقتل آخر فقال ابراهيم ليس هذا باحياء واماتة وعند ذلك قال رب ارني كيف تحيي الموتى لينكشف هذه المسئلة عند
نمرود واتباعه بزوال الانكار عن قلوبهم وروي ان نمرود قال له قل لربك يحيي والا قتلتك فسأل الله ذلك وقوله ليطمئن قلبي بنجاتي من القتل او
قلبي بقوة حجتي وبرهاني وان عدولي الى غيرها كان بسبب جهل المستمع الثالث عن ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي ان الله تعالى اوحى اليه اني متخذ بشراً
خليلاً فاستعظم ذلك ابراهيم وقال الهي ما علامة ذلك فقال علامته انه يحيي الميت بدعائه فلما عظم مقام ابراهيم في درجات العبودية وادا

نكات

حظ من ربه الذي اعطاه كونه لك الخليل فسئل الله احياء الموتى فقال الله أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي على الخلة الرابع لا يبعد ان يقال
انه لما جاء الملك الى ابرهيم واخبره بان الله بعثك رسولا الى الخلق طلب المعجزة ليطمئن قلبه على انه ملك كريم لا شيطان رجيم الخامس لعله طالع في
الصحف المنزلة عليه ان الله يحيي الموتى بدعاء عيسى فطلب ذلك ليطمئن قلبه ليعلم انه عند الله من عيسى في المنزلة ولا دعاء السادس امر بذبح ولده
فسارع الى ذلك فقال الهي امرتني ان اجعل ذا روح بلا روح ففعلت فامرني ان تجعل بدعائي غير ذي الروح ذا روح السابع اراد ان يخصه الله بهذا
التشريف في الدنيا بان جميع الخلائق يشاهدون الحشر في الآخرة الثامن لعل ابرهيم لم يقصد احياء الموتى بل قصد سماع الكلام بلا واسطة واما
ان ابرهيم عليه السلام كان شاكا في المعاد فلا ينبغي ان يعتقده مؤمن من كفر النبي المعصوم فهو بالكفر اولى فكيف يظن ذلك بابرهيم عليه السلام وقوله بلى اعتراف بالايمان
وقوله لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي كلام عارف طالب لمزيد اليقين الثالث قدرة الله بوجب الثانية مزيد نصيحة الذي جاء في الحديث من قوله عليه السلام نحن احق
بالشك من ابرهيم فذلك انه لما نزلت هذه الآية قال بعض من سمعها شك ابرهيم ولم يشك نبينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تواضعا منه وتقديما لابرهيم
على نفسه نحن احق بالشك منه والمعنى انا لم نشك ونحن دونه فكيف يشك هو والاستفهام في قوله أَوَلَمْ تُؤْمِن للتقرير كقول الشاعر الستم خير من ركب المطايا
والمقصود من هذا السؤال ان يجيب بما اجاب به ليعلم السامعون انه عليه السلام كان مؤمنا بذلك عارفا به وان المقصود من هذا السؤال شيء آخر واللام
في قوله لِيَطْمَئِنَّ يتعلق بمحذوف اي ولكن سئلت ليزيد قلبي سكونا وطمأنينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال فان تظاهر الادلة اسكن للقلوب وعلى
المعاني هذا انما قلنا المطلوب حصول الطمأنينة في اعتقاد قدرة الله تعالى على الاحياء اما اذا قلنا ان الغرض شيء آخر فلا اشكال قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ
عن ابن عباس هي طاوس ونسر وغراب وديك وفي قول مجاهد وابن زيد حمامة مكان النسر فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ بضم الصاد وكسرها من صاره يصوره
ويصيره اي املهن واضممهن اليك قال الاخفش يعني وجههن اليك وفائدة امره بضمها الى نفسه بعد اخذها ان يتاملها ويعرف اشكالها وهيآتها
وحلاها لكيلا تلتبس بعد الاحياء ولا يتوهم انها غيرها وفي الآية حذف كانه قيل املهن وقطعهن ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ومعنى صرهن
قطعهن فلا حذف يروى انه امر بذبحها ونتف ريشها وان يقطعها ويفرق اجزاءها ويخلط دماءها ولحومها وان يمسك رؤسها ثم امر ان يجعل
اجزاءها على الجبال التي بحضرته وفي بعض كل جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين باذن الله فجعل كل جزء يطير الى الآخر حتى صارت جثثا ثم
اقبلن فانضممن الى رؤسهن كل جثة الى رأسها وانكر ابو مسلم هذه القصة وقال ان ابرهيم عليه السلام لما طلب احياء الموتى من الله اراه الله تعالى مثالا قرب الامر
عليه والمراد بصرهن اليك الامالة والتمرين على الاجابة اي فعود الطيور الاربعة بحيث اذا دعوتها اجابتك حال الحيوة والغرض منه ذكر مثال محسوس
لعود الارواح الى الاجساد على سبيل السهولة ويؤكده قوله ثُمَّ ادْعُهُنَّ اي الطيور لا الاجزاء يَأْتِينَكَ سَعْيًا وزيف قول ابي مسلم بانه خلاف
اجماع المفسرين وبان ما ذكره غير مختص بابرهيم فلا يلزم له مزية وايضا ان ظاهر الآية يدل على انه اجيب الى ما سأل وعلى قوله لا يكون اجابة لما سأل
ولان قوله عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا دليل ظاهر على تجزئة الطيور وحمل الجزء على احد الطيور الاربعة بعيد ثم ظاهر قوله عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ جميع جبال الدنيا
فذهب مجاهد والضحاك الى العموم بحسب الامكان كانه قيل فرقها على كل جبل يمكنك التفرقة عليه وقال ابن عباس والحسن وقتادة والربيع اربعة جبال
على حسب الطيور الاربعة والجهات الاربع وقال السدي وابن جريج المراد كل جبل كان يشاهده ابرهيم وكان سبعة فقوله ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا
فقيل عدوا ومشيا على ارجلهن لان ذلك ابلغ في الحجة وقيل طيرانا ورد بانه لا يقال للطير اذا طار سعى واجيب بان السعي هو الاشتداد في الحركة
مشيا كانت او طيرانا واحتج الاصحاب بالآية على ان البنية ليست شرطا في صحة الحيوة لانه تعالى جعل كل واحد من تلك الاجزاء والابعاض حيا قادرا
على السعي والعدو قال القاضي لا يتحلى به لانه لا بد من البنية من حيث انه وجب التقطيع بطلان حيوتها والجواب ان حصول الفهم لا يدل على وجوب
الفهم من حيث حصلت ما كانت واجبة ولما دلت الآية على حصول الكثرة لتلك الاجزاء حال تفرقها كان دليلا قاطعا على ان البنية ليست
شرطا للحيوة واعلم أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غالب على جميع الممكنات حَكِيمٌ عالم بعواقب الامور وغايات الاشياء التاويل ان الله تعالى لما اعطى نمرود ملكا ما اعطى احدا
قبله ادعى الربوبية بما اعطاه الله فقيل له سبحانك انا لا انا لحسن استعداده للطلب غاية لطافة في الجوهر وتمام الحركة وطلب الكمال لا ينوقف
لحظة الا لمانع ولكنه جبل ظلوما جهولا فتوجه كل الى نفسه ما الى عالم الحس موافقا للبشرية الطبيعية لانه خلق من تراب وطبعه الميل الى السفل فجرى الكمال
في جمع المال ثم في طلب الجاه فيه ومن المال عنه ثم في الحكم والتسلط فاذا ملك الاستعلاء بالبشرية الهوى وقهر ملوك الارض اراد ان ينازع ملك الملوك وجبار
الجبابرة فيقول انا احيي واميت الى رب العالمين رب لا انا جملنا بالكمال ذلك عند فساد جوهره وبطلان استعداده كما انه اذا صلح جوهره بحسن تربية
النبي آدم ومن يتوب مناهيه والشيخ قال البرز الوجود سوى الله هذا هو حقيقة فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ يعني كن فانيا عن وجودك
بالكلية واستغفر لذنب حسبان وجود غير وجوده فانه جل اذا لم يكن جدا فان الجحد من يدف بمطرقة لا اله الا الله دماغ تمرد النفس لكي
ان يؤمن بالله ويكفر بطاغوت وجود وجوده وبكل ما سوى الله قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ اعرض عن
قول الكافر انا احيي واميت المراد ان ارسال الشمس الروح الى البدن مطلع شمس الحيوة من افق البدن فان كنت صادقا في دعواك ان هذا
بيان منك فامسكها عند الموت ولا ايتان بالشمس من مغربها وان اتيا بها فهي من المغرب فان حقيقة ما ثبت فيها فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ لانه ان امكنه
ان يدعي الاحياء بمعنى انبات الحيوة وطلوع الشمس من المشرق فلا يمكنه ان يدعي الاماتة بمعنى قبض الروح من فزاية الفضل فهو الاتيان بالشمس من

المعرب بهذه الطريقة عنده لا يرد عليها شيء من الاعتراضات المذكورة في التفسير ثم اخبر عن انها بعد ما تم في احياء الموتى بعد انقطاع المدة في جمعه
عقيب الدعوى بقوله تعالى او كالذي مر على قرية وذلك ان قوما انكروا حشر الاجساد بعد اعترافهم بحشر الارواح وزعموا ان الارواح اذا خرجت
من سجن الاشباح وتفوقت بالعلوم الكلية التي استفادتها من عالم الحس فلا حاجة بها ان ترجع الى السجن بعد كما ان الصبي اذا استفاد العلوم من المكتب
وكبر قدره وعظم وقصده لم يحتج الى ان يرجع الى المكتب بحال صباه فهو سبحانه لكمال فضله ووافر دفع هذه الشبهات النفسية ورفع هذه الشبهات
الفلسفية بان اماته عزير مائة سنة وحماره معه ثم احياهما جميعا ليعلم ان الله تعالى مهما احيى عزير الروح حيوة حمار الجسد كما ان عزير الروح يكون
عند الملك الجبار ويكون حمار الجسد في جنات تجري من تحتها الانهار فلعزير الروح مشرب من كؤوس تجلي صفات الجلال والجمال وسقيهم ربهم شرابا
طهورا ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني ولحمار الجسد مرتع من الرياض ومشرب من الحياض فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين قد علم كل اناس
مشربهم شعر شربنا واهرقنا على الارض فضلها وللارض من كاس الكرام نصيب ثم اكد حديث الحشر بقصة من خليله وذلك قوله رب ارني كيف تحيي
الموتى فمفتوح منه بحر قول موسى رب ارني انظر اليك الا ان موسى لم يحفظ الادب في الطلب فرأى غير المقصود بالمطلب وهب بادب تعالى الخليل في
وجرت بتعريض لن تراني وذلك انه كان صاحب شرب وكان الخليل صاحب ري صاحب الشرب سكران وصاحب الري صاح شعر شربت الحب كاسا
بعد كاس فما نفد الشراب وما رويت فلسكر موسى كان بسط فارتفع الحق بقوله رب ارني انظر اليك بغير واسطة وبقوله ان هي الا فتنتك
كان الصحو الخليل عادة آداب العبودية في الحضور والغيبة فلا جرم اكرم اليوم بكرامة الشيبة انا اول من شاب شيبة ابراهيم وهو ضد ما لكسوة
ان اول من يكسى ابراهيم لما ابتلى في ماله ببذله للضيفان وابتلى بولده فاسلم وتله للجبين وابتلى في نفسه فسلم المنجنيق ابن كنعان وابتلى بجبريل
فقال اما اليك فلا جرم اكرمه الله بالامامة اني جاعلك للناس اماما ومن امامته انه كان اول من فتح باب طلب الحق قال هذا ربي واول من سلك طريق
الحق فقال اني ذاهب الى ربي واول من نطق بالمحبة وقال اني لا احب الافلين واول من اظهر الشوق قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين واول
من العداوة لغير المحبوب فانهم عدو لي الا رب العالمين واول من اشتاق فسأل الرؤية وقال رب ارني ولا تقص الشيئا قبل الرب عما يكون
وقت سؤاله شعر وكنت حديث العهد شوقا ولو عشا حبيبه هوا كن خائن ولكنه من حفظ آداب الاجلال كان لا يفتح على نفسه باب السؤال
ويقول حسبي من سؤالي علمه بحالي الى ان ساق المقدر الى حسن التدبير بما النمرود بمن يلطف الحق على لسانه من فضله واحسانه فقال ربي الذي يحيي ويميت
فقال نمرود هل رأيت منه ما تقول فوجد الخليل فرصة لما موله فادرج في السؤال السؤال لما خفي سره وهو ادنى في علته فقال رب كيف تحيي الموتى وهو
يعلم انه يعلم السر واخفى فاول ما باب فتح عليه من مقصوده ان سمعه من كلامه بفضله وجوده قال اولم تؤمن فكان في هذه الكلمة من اعجاز القرآن ثلاثة
معان مضمرة اولم تؤمن وقت ما امنت عند نمرود باني احيي واميت فما كان ايمانك حقيقيا او لم تؤمن بمعادك في الجنة ثم او لم تؤمن بما
طلبت من الاحياء مضمر في كل منها الاثبات في مظنة النفي فاجاب الخليل عن الاستفهامات الثلاثة بلى بلى امنت وكان ايماني حقيقيا ولكن
ما كان مقصودي الايمان كالايمان فانه حاصل ولا الاحياء الموتى فاني فارغ من الموتى واحيائهم ولكني سألت ليطمئن قلبي بما نريد وبلى امنت
بمعادي في الجنة ولكن ليطمئن قلبي برؤيتك فانه كلما ازداد اليقين ازداد الشوق فاضطرب قلبي من غاية شوقي وبلى امنت بقدرتك على
الاحياء ولكن ما سألتك عن الاحياء وانما سألتك عن كيفية الاحياء ففي ضمن ذلك يحصل مقصودي كما ان من له معشوق خياط وهو يريد مشاهدة
معشوقه ويعظم ان يقول ارني وجهك لانظر اليك لانه يعلم ان الذل قرين الجمال وان العزة والحسن توأمان وفي مذهب ملاح الطلبة والسبيل
سيد فيقول ارني كيف تخيط الثياب فكل صانع مشغوف بصنعته يريد ان يرى جودة عمله وحضور المعشوق عنده بالاعجاب هو يخيط الثوب فيقول الى نظر
الى كيف تخيطه فالعاشق يطرب لحيلة الصنع الى الصانع ويحظى منه بلا مانع ودافع ويطمئن قلبه بذلك فالخليل انما اعتذر عن الجليل من اضطراب قلبه
واضطرابه فالعبد يتضرع بين يدي مولاه وهو الذي يجيب المضطر اذا دعاه ويحقق رجاه وقال فخذ اربعة من الطير الاية والمراد انك محجوب عني
بحجاب صفاتك عن صفاتي محجوب بحجاب انانيتك عن رؤيتي ممنوع فيها تموت عن صفاتك تحيي بصفاتي فاذا فنيت عن ذاتك بقيت ببقاء ذاتي فخذ
اربعة من الطير وهي الصفات الاربع التي تولدت من العناصر الاربعة التي خمرت طينة الانسان منها فتولدت من ازدواج كل عنصر مع قرينه صفتان
فمن التراب وقرينها وهو الماء تولدت الحرص والبخل وهما قرينان يوجدان معا ومن النار وقرينها وهو الهواء تولد الغضب والشهوة ولكل واحدة
من هذه الصفات زوج خلق منها ليسكن اليها فالحرص وجعل الحسد للبخل زوجا وجعل الحقد والغضب زوجته الكبر وليس للشهوة اختصاص بزوج معين بل
هي كالمعشوقة بين الصفات فتعلق بها كل صفة فمن الابواب السبعة الدركات السبع من جهنم لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم يعني
من الخلق فمن كان الغالب عليه صفة منها دخل النار من ذلك الباب فامر الله تعالى خليله بذبح هذه الصفات وهي الطيور الاربعة طاوس البخل فلو لم
يزين المال في نظر البخيل ما بخل به وغراب الحرص يكون من حرصه وديك الشهوة وحمامة الغضب لترفعه في الطيران وهذه صفة الغضب فلما ذبح
الخليل بسكين الصدق هذه الطيور وانقطعت عنه موادها انما بقي له باب يدخل به النار فصارت النار عليه لما القي فيها بردا وسلاما ولما
في تقطيعهن ونتف ريشهن وخلط لحومهن اشارة الى محو آثار الصفات المذكورة وهدم قواعدها فلما علق ابراهيم كمل التوحيد ثم اجعل على كل جبل
من الجبال الاربعة التي جبل الانسان عليها النفس النامية وهي النباتية والارواح الثلاثة الحيوانية والطبيعية والانسانية الملكية فهذه الجبال كالاوتاد

والزروع واجزاء الطين كالتراب المخلوط بالزبل يجعل على الزروع فيتقوى كل واحد من هؤلاء بقوة واحد من اولئك فيربي بتربيتها ويتصرف فيها الروح الانساني فيجعلها بنور همومه خصايص ارواح الانسان فيكون تلك الصفات مبتنية على صفاتها اخيرة باخلاق الروحانيات هذه الخواص الخلق الذي الغالب على احوالهم الروح واما خواص الخواص فلمن ادركته العناية كالخليل فان الله تعالى بعد هذه الصفات يتجلى له بصفة المحيي فيحيي هذه الصفات الفانية عن اوصافها بنور صفة المحبة فيكون العبد في تلك الحالة حيا بحيوة محبا بصفاته كما قال لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احببته فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا ولسانا ويدا فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق وبي يبطش كما انا ما يقول الكاتب بيدي كيف تكتب فيجعل الكاتب قلمه في يد الامي وياخذ بيده ويكتب فيظهر الكتابة من يد الامي على الصحيفة ففي تلك الحالة يظن الامي انه صار كاتبا فيقول انا الكاتب كقوله شعر عجبت منك ومني فنيت بك عني أدنيتني منك حتى ظننت انك اني ؛ فاذا رفع الكاتب يده عن يد الامي علم الامي انه امي والكاتب هو الكاتب فيستغفر عن ذنب حسبانه انه هو الكاتب واليه الاشارة بقوله واستغفر لذنبك اي من حسبان انك كاتب وانت امي عربي وما وصلت الينا وصلت الا بفضلنا وكان فضل الله عليك عظيما ثم ان الله تعالى تجلى للخليل بصفة واحدة وهي صفة المحيي لرعاية من ادبه وهي كيفية الاحياء فقد تجلى لحبيبه بجميع صفاته ليلة المعراج كما قال لقد راى من آيات ربه الكبرى فالخليل طلب الرؤية لنفسه رب ارني والحبيب طلبها لذلك مشاهدة الاشياء كما هي وذلك لعلو مرتبته وهمته ورفعة كمال معرفته فلعلو همته قال ارنا ولرفعة مرتبته قال الاشياء فانه مع رعاية الادب اخفاء المقصود فكان قول الخليل بالنسبة الى همته نصرحا وان كان بالنسبة الى قول الكليم تعريضا وبنبيه طلب كمال الرؤية بجميع الصفات فان جميعها داخلة في الاشياء ولكمال معرفته طلب رؤية الاشياء كما هي وهذا هو الملك الحقيقي الذي لا يمكن كنهه ثم قبل الخليل واعلم ان الله عزيز اعز من ان يعرف كنه صفاته حكيم لا يطلع على اسراره الا من يليق بذلك من عباده مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ

مثل آنانی که خرج کنند مالهای خود را در راه خدا چون مانند دانه‌ای که برویاند هفت خوشه که در هر خوشه صد

حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا

دانه باشد و خدا مضاعف می‌کند برای هر که خواهد و خدا محیط و داناست آنانکه خرج کنند مالهای خود را در راه خدا پس از پی در نیارند آنچه را که خرج کرده‌اند

مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى

منت و نه آزاری مر ایشانراست مزد ایشان نزد پروردگار ایشان و نه ترسی بر ایشانست و نه ایشان اندوهناک شوند گفتار نیکو و آمرزش بهتر است از صدقه‌ای که در پی آن رنجی باشد

وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ

و خدا بی‌نیاز است بردبار ای آنانکه گرویده‌اند باطل مکنید صدقه‌های خود را بمنت نهادن و آزار کردن چون کسی که خرج کند مال خود را بجهت نمایش مردمان و نگرود بخدا

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي

و روز واپسین پس مانند او مانند سنگی که بر روی آن خاکی باشد پس برسد آنرا باران پس بگذارد آنرا سخت و توانا نباشند بر چیزی از آنچه کسب کردند و خدا راه ننماید

الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا

گروه کافرانرا و مانند آنانکه خرج کنند مالهای خود را از جهت خواهش خوشنودی خدا و از جهت پایداری نفسهای خود چون مانند بوستانیست در بلندی که رسید آنرا

وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ

باران پس داد میوه‌ای خود را دو چندان پس اگر نرسد آنرا باران پس شبنمی و خدا بآنچه میکنید بیناست آیا دوست دارد یکی از شما که باشد مر او را بستانی از درختان خرما

وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ

و انگورها که روان باشد از زیر آن جویها و مر او را باشد در آن از هر میوه پس برسد او را پیری و مر او را فرزندان کوچک باشد پس برسد آنرا بادتندی که در آن

نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ القراءات انبتت سبع بالادغام ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف

آتش است پس بسوزد و همچنین ظاهر کند خدا از برای شما نشانها باشد که شما اندیشه کنید هشام وسهل يضعف بالتشديد ابن عامر ويزيد ويعقوب الباقون يضاعف

وبابه الناس عن عباس عنه حين كان يوقف الهمزة والخزاعي عن ابن فليح حمزة في الوقف الباقون بالهمزة الكافرين بالامالة ابو عمرو وعلي غير ليث وابن حمدون وحمدويه وروح بن يعقوب كذلك ما كان على النصف من الاعراب كل القرآن بربوة بفتح الراء حيث كان ابن عامر وعاصم الباقون بضمها اكلها وبابه ساكنة الكاف ابن كثير ونافع ابو عمرو وبابه التصقت بالهاء والاضافة بما يعملون بصير بالياء التحتانية ابو عون عن قنبل الباقون بالتاء المخاطبة الوقوف مائة حبة ط لمن يشاء ط عليم ج عند ربهم ج لامتناع يحزنون اذى ط حليم والا اي لا لتعلق كاف التشبيه اي بطلا مثل ابطال الذي الاخر ط صلدا ط كسبوا ط الكافرين ج صعفين ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب واتحاد الكلام فطل ط بصير الانهار لا لان ما بعده صفة لجنة ايضا الثمرات لا لان الواو للحال الضعف من والوصل اولى فاحترقت ط لشاهي معنى لاستفهام والمعنى يحب احدكم احتراق جنته صفتها كذا في حال كذا تتفكرون نصف السبع التفسير سبحانه لما ذكر من اصول المبدأ والمعاد ما اقتضاه المقام اتبعه بيان التكاليف والاحكام قال القاضي في كيفية النظم انه تعالى اجمل في قوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة

خط

فصل بعد ذلك بهذه الآية الاضعاف لما ذكر من الآيتين الادلة على قدرته على الاحياء والاماتة لانه لولا وجود الاله المثيب المعاقب بعد الحشر لكان التكليف بالانفاق وسائر الطاعات عبثا كانه قال قد عرفت ان خالقك كامل في عليك بالاحياء والاقدار وقد علمت قدرته على المجازاة فليكن علمك بهذه الاصول داعيا الى انفاق الاموال فانه يجازي القليل بالكثير ثم ضرب لذلك الكثير مثلا وهو من الواحد الى سبعمائة وعن الاصم انه تعالى ضرب هذا المثل بعدما احتج على الكل بما يوجب تصديق النبي صلى الله عليه وسلم ليرغبوا في المجاهدة بالنفس والمال في نصرته واعلاء شريعته وقيل انه لما بين انه ولي المؤمنين وان الكفار اولياؤهم الطاغوت بين مثل ما ينفق المؤمن في سبيل الله وما ينفق الكافر في سبيل الطاغوت قلت لما بين صحة المعاد ولا بد له من زاد ولا يمكن التزود من الاموال التي يملكها العباد الا بالانفاق اتبعه بكلامه فقال مثل الذين ولا بد من اضمار ليصح التشبيه اي مثل صدقاتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة و سبيل الله دينه فقيل الجهاد وقيل جميع ابواب الخير والمنبت هو الله ولكن الحبة لما كانت سببا اسند اليها الانبات كما يسند الى الارض والى الماء ومعنى انباتها سبع سنابل ان يخرج ساقا يتشعب منها سبع شعب لكل واحدة سنبلة وهذا التمثيل تصوير للاضعاف سواء وجدت في الدنيا سنبلة بهذه الصفة او لم توجد على انه قد يوجد في الجاورس والذرة و غيرهما مثل ذلك سبع سنابل مثل ثلاثة قروء في انه من جمع الكثرة مقام القلة والله يضاعف اي تلك المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق لتفاوت احوال المنفقين في الاخلاص فيضاعف سبع المائة ويزيد عليها اضعافا لمن يستحق ذلك بمشيئة والله واسع كامل القدرة على المجازاة لانه فيضه غير متناه عليم بمقادير الانفاقات وبمواقعها ومصارفها وباخلاص صاحبها واذا كان الامر كذلك فلن يضيع عمل عامل وعنده ثم لما عظم امر الانفاق اردف ببيان الامور التي يجب عليها حتى يبقى ذلك الثواب منها ترك المن والاذى فالمن قد يراد به الانعام فاما ولا تمنن تستكثر وقد يراد به اظهار الاصطناع وهو مذموم ومنه قيل صنوان من منح سائله ومن ومن منع نائله وضن وذلك لما فيه من انكسار قلب الفقير من تعيير ذي الحاجة عن صلة فيه من عدم الاعتراف بان النعمة نعمة الله والعباد عباده وان المعطي هو الله اذا كان العبد في هذه الدرجة كان محروما عن مطالعة الاسباب الربانية الحقيقية وكان في درجة البهائم التي لا يترقى نظرهن من المحسوس الى المعقول ومن الآثار الى المؤثرات واما الاذى فمنهم من حمله على الاذى للمؤمنين على الاطلاق والمحققون خصصوه بما تقدم ذكره وهو ان يتطاول على الفقير بانه يقول له لست الا مبرما وما انت الا ثقيل وابعدك الله ما بيني وبينك ومعنى ثم تراخي الرتبة واظهار التفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى وان تركهما خير من نفس الانفاق بل ترك كل منهما ولانهما منكوران في سياق النفي لهم اجرهم وفي البقرة يجيء فلهم اجرهم لان الموصول هنالم يضمن معنى الشرط وضمنه ثمة وفرق معنوي هو ان الفاء فيها دلالة على ان الانفاق سبب استحقاق الاجر وطرحها عار عن تلك الدلالة ثم انه ذكر هنالك الانفاق منهم على سبيل المواظبة والاستمرار فكان التاكيد بما يوجب الربط بينهما هنالك انسب لا خوف عليهم ولا هم يحزنون اي لا يخافون فوات ثواب الانفاق ولا يحزنون بالفوات كقوله ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما او المراد انهم يوم القيمة لا يخافون العذاب ولا يحزنهم الفزع الاكبر ويعلم من قوله في سبيل الله ان قوله لهم اجرهم شرطا بان لا يصدر منهم الكفر ويعلم من قوله ثم لا يتبعون ان المن والاذى من قبيل الكبائر حيث يخرجان هذه الطاعة العظيمة عن الاعتداد بها احتجت المعتزلة بالآية من وجهين الاول ان العمل يوجب الاجر لقوله لهم اجرهم واجيب بان ذلك بسبب الوعد لا بسبب نفس العمل الثاني ان الكبائر تحبط ثواب فاعلها والا لم يكن المن والاذى مبطلين ثواب الانفاق واجيب بان الانفاق على تقدير المن والاذى لا ثواب له اصلا فكيف يتصور فيه الاحباط قول معروف يقبله القلوب لا تنكره وذلك ان يرد السائل بطريق جميل ومغفرة عفو من السائل اذا وجد منه ما يثقل على المسئول لانه اذا رده بغير مقصوده ربما حمله ذلك على بذاءة اللسان وقيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل او عفو عن جهة السائل بان يعذره المسئول الذي رده ردا جميلا خير من صدقة يتبعها اذى لانه اذا اتبع الاعطاء فقد جمع بين الانفاع والاضرار وربما لم يف ثواب النفع بعقاب الاضرار اما القول المعروف ففيه انتفاع من حيث يصان السر والقلب للمؤمن ولا اضرار فيه فكان الاولى من الثاني ومن خصص الآية بالتطوع لان الواجب لا يحل منعه ولا رد السائل فيه ومنهم من قال الواجب قد يعدل به عن سائل الى سائل ومن فقير الى فقير والله غني عن صدقة كل منفق فما وجه المن حليم عن معاجلته بالعقوبة اذا من ولا يخفى ما فيه من الوعيد ثم انه تعالى ضرب لكل واحد من المؤذي وغير المؤذي مثلا فقال يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى للفقير كالذي اي كابطال المنافق الذي ينفق ماله رئاء الناس وهو ان يرائي بعمله غيره ولا يريد به رضا الله وثواب الآخرة ويجوز ان يكون الكاف في محل النصب على الحال اي لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذي ينفق فمثله الضمير يجوز ان يكون عائدا الى المنافق على انه تعالى شبه المنافق بالحجر واما ان يعود الى المان المؤذي على انه شبهه بالمنافق ثم شبههما بالحجر والصفوان الحجر الاملس والوابل المطر العظيم القطر والصلد الاجرد النقي ومنه صلد جبين الاصلع وابرق والمقصود من هذا المثل ضرب به الله عمل المان المؤذي وعمل المنافق فان الناس يرون في الظاهر ان لهؤلاء اعمالا كما يرى التراب على هذا الصفوان فاذا كان يوم القيمة اضمحل كله وبطل لانه تبين ان تلك الاعمال ما كانت لله ولم يوت بها على وجه يستحق به الثواب كما اذهب الوابل ما كان على الصفوان من التراب واما المعتزلة فقالوا ان تلك الصدقة اوجبت الاجر والثواب ثم ان المن والاذى ازالا ذلك الاجر بناء على مذهبهم من الاحباط والتكفير وعلى مذهبنا العمل تلك كالتراب والمان المؤذي والمنافق كالصفوان ويوم القيمة كالوابل فيبطل ويبطل المن والاذى كالوابل وعن القفال ان عمل المان مشبه بما اذا طرح بذرا في صفوان صلد عليه غبار قليل فاذا اصابه مطر جود بقي مستودعا بذره خاليا لا شيء فيه الا ترى انه ضرب مثل المخلص بجنة

النسان بالمرائي المنافق ثم شبه

يؤتى يوم هو احوج اليه فقوله لا يقدرون على شيء الضمير فيه عائد الى معلوم غير مذكور اي لا يقدر احد من الخلق على تلك البذر الملقى في ذلك التراب الذي على الصفوان لانه خرج عن الانتفاع فكذا المان والمؤذي والمنافق لا ينتفع واحد منهم بعمله يوم القيمة وناهيك بكون المان والمنافق مقرونين في قرن شناعة شان المن والاذى وقيل الضمير عائد الى الذي ماله لان من والذي متعاقبان فكانه قيل كمن ينفق وانما لان المراد الفريق الذي ينفق او لانه اشير بالذي الى الجنس والجنس في حكم العام وقيل المعنى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فانكم ان فعلتم ذلك لم تقدروا على شيء مما كسبتم فالتفت من الخطاب الى الغيبة كقوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم والله لا يهدي القوم الكافرين معناه على قولنا سلب الايمان عنهم وعلى قول المعتزلة انه يضلهم عن الثواب طريق الجنة لسوء اختيارهم ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله طلب الرضا الله وتثبيتا من انفسهم قيل اي يوطنون انفسهم على حفظ هذه الطاعة وترك ما يفسدها من المن والاذى وقيل تثبيتا من انفسهم عند المؤمنين انها صادقة في الايمان مخلصة فيه ويعضده قراءة مجاهد وتبيينا من البيان وقيل ان النفس لا ثبات لها في موقف العبودية الا اذا صارت مقهورة بالرياضة ومعشوقها امران الحيوة العاجلة والمال فاذا بذلت مالها وروحها معا فقد ثبتت نفسها كلها وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم واذا بذل ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه فعلى هذا من للتبعيض ذكره في الكشاف قال الزجاج تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم جازمين بان الله تعالى لا يضيع ثوابهم ومن على هذا للابتداء وجزمهم بالثواب هو المراد بالتثبيت وعن الحسن ومجاهد وعطاء المراد انهم يتثبتون انفسهم تثبيتا في طلب المستحق بصرف المال فيه وجه قال الحسن كان الرجل اذا هم بصدقة يتثبت فان كان لله امضى وان خالطه شك امسك وقيل انه اذا انفق لاجل عبودية الحق لا لاجل غرض من النفس وحظ من حظوظها فهناك الحق غلبة واستقرت نفسه ولم يحصل لنفسه منازعة مع قلبه فذلك الاستقرار هو التثبيت ويحتمل ان يكون المراد به حصول ملكة الانفاق بحيث يحصل عنه بطريق الاطراد والاعتياد لا بطريق البخت والاتفاق فان الاخلاق ما لم تصر ملكة لصاحبها لم تكد تظهر على جوهر النفس صفاؤها ونورها والمعنى ان مثل نفقة هؤلاء في زكائها عند الله كمثل جنة بربوة وهي البستان وقرئ كمثل حبة بربوة بمكان مرتفع من ربا الشيء يربو اذا زاد وارتفع ومنه الربو لزيادة النفس والربا لزيادة المال قيل انما خص المكان المرتفع لان الشجر فيها ازكى واحسن ثمرا واعترض عليه بان المكان المرتفع لا يحسن ريعه لبعده عن الماء ويضربه الرياح كان الوهاد لكونها مصب المياه ومظنتها احسن ريعا فان غلب البستان لا يصلح الا الارض المستوية فالمراد بالربوة ارض طيبة حرة تنتفخ وتربو اذا نزل عليها المطر فانها اذا كانت على هذه الصفة كثر دخلها وكمل شجرها كقوله تعالى وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ومما يؤكد ما ذكرنا ان هذا المثل في مقابلة المثل الاول فكان الصفوان لا يربو ولا ينمو بسبب نزول المطر عليه فينبغي ان يكون هذه الارض بحيث تربو وتنمو فآتت اكلها اي ثمرها وما يؤكل منها ضعفين مثلي ما كان يعهد وقيل مثلي ما يكون في غيرها فان لم يصبها وابل فطل يصيبها ولا ينقص شيء من ثمرها لكرم منبتها او المراد انها على جميع الاحوال لا تخلو من ان تثمر قل او كثر وكذلك من اخرج صدقة لوجه الله لا يضيع كسبه قل او كثر ويحتمل ان يمثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم القليلة والكثيرة بالوابل والطل وكما ان كل واحد من المطرين يضعف اكل الجنة فكذلك نفقتهم تزيد في زلفاهم وحسن حالهم والله بما تعملون من وجوه الانفاق وكيفيتها والامور الباعثة عليها بصير فيجازي بحسب النيات ويخلو من الطويات ثم انه سبحانه رغب في الانفاق المعتبر الجامع لشرائطه وحذر عن ضده بان ضرب مثلا اخر فقال ايود احدكم والهمزة للانكار البالغ اي لا يود وقرئ لجنات نخيل ووصف الله تعالى الجنة بثلاثة اوصاف الاول كونها من نخيل واعناب لان الجنة انما تكون منهما الكثرة فيها الثاني تجري من تحتها الانهار ولا شك ان ذلك يزيد في رونقها وبهائها الثالث فيها من كل الثمرات انما خص النخيل والاعناب بالذكر لانها اكرم الشجر واكثرها منافع قال في الكشاف ويجوز ان يريد بالثمرات المنافع التي كانت تحصل له فيها كقوله وكان له ثمر بعد قوله جنتين من اعناب وحففناهما بنخل ثم شرع في بيان شدة حاجته الى تلك الجنة فقال واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء وقرئ ضعاف اي صبيان واطفال فاصابها اعصار ريح تستدير في الارض ثم تسطع نحو السماء كالعمود فيه نار فاحترقت اي الجنة ولا يخفى ان هذا المثل في المقصود ابلغ الامثال فان الانسان اذا كان له جنة في غاية الكمال وكان هو في نهاية الاحتياج الى الانتفاع بها لكبره مع وجود الاولاد الاطفال فاذا اصبح شاهد تلك الجنة محترقة بالصاعقة كم يكون في قلبه من الحسرة فكذا الانفاق نظير الجنة المذكورة وزمان الاحتياج يوم القيمة فاذا اتبع الانفاق النفاق والمن والاذى كان ذلك كالاعصار الذي يحرق تلك الجنة ويورث الحسرة والندامة التامة ومثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله فلهم الجنة والذين ينفقون ارواحهم ويقتلون في سبيل الله فلهم الله ومن اعطى تمرة الى فقير اخذها الله بيمينه فيربيها كما يربي احدكم فلوه او فصيله حتى يكون اعظم من الجبل فمن اعطى قليلا لله فهو يربيه حتى يصير جبلا وحتى يصير اعظم من العرش بما فيه وان قوما بذلوا المال لله وقوما بذلوا الكل ما بقيا صفو الاوقات وفتوحات الخلوات فصاروا طلاب الحق وارباب الصدق للقيام بامورهم في تشفي ما في صدورهم ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة فبذلوا ليصلوا ووصلوا لينفصلوا وانفصلوا ليتصلوا واتصلوا ليصلوا الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله في طلب الحق لا في طلب عوض من الثناء او الجزاء انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ثم لا يتبعون ما انفقوا منا على الله بان يقول عملت هذا العمل لاجلك فوجب لي عليك الجزاء ولا اذى بان يطلب من الله غير الله وانه رأى في المنام فقال لكل الناس يطلبون مني الا ابا يزيد فانه يطلبني لهم اجرهم عند ربهم منزلهم في رتبة الصديقين عند مليك مقتدر لا عند الجنة ولا عند النار قول معروف يصدر عن العارف بالله في طلب المعروف ومغفرة له

وانه لم يكن عنده ما يتصدق به خير لعبد من صدقة يتبعها من الجهل اذى طلب غير الحق من الحق والله غني عن غيره حليم لا يعجل بالعقوبة من يختار في الطلب غيره ولولا حلمه فما للتراب ورب الارباب يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فالمعاملات اذا كانت مشوبة بالاغراض ففيها نوع من الاعراض ومن اعرض عن الحق فقد اقبل على الباطل ومن ابطل حقوقه في الاعمال فماذا بعد الحق الا الضلال لانه لو كان قصد لنفسه في الصدقة طلب الحق لما منت على الفقير بل كنت ممتنا منه حيث صار سبب وصولك الى الحق ولهذا قال لولا الفقراء لهلك الاغنياء اي لم يجدوا سبيلا الى الحق وفي بعضهم اليد العليا يد الفقير واليد السفلى يد الغني لان الفقير ياخذ منه ما يعطيه الاخرة كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الاخر لانه لو كان مؤمنا بالله لكان ينفق لله ولو كان يؤمن بالاخرة لانفق للاخرة لا للناس فمثله اي المرائي كمثل صفوان عليه تراب هو عمله فاصابه وابل هو وابل الرد انا اغنى الاغنياء عن الشرك فتركه صلدا اي مفلسا خاليا لا يقدرون على شيء مما كسبوا اليوم لو ابتلي الله والله لا يهدي القوم الكافرين بنعمة طلبه الى وجدان الحق مواهب ولنوصلنه تثبيتا من انفسهم وتخليص انفسهم في طلب الحق وموصلا نهم من حظوظ نفسهم كمثل جنة هي قلب المخلص بربوة هي بشرية عالية عند الحق اصابها وابل الواردات الربانية فان لم يصبها وابل فطل الالهامات فاتت اكلها ضعفين ضعف من نعيم الجنة وضعف من دولة الوصال ما تشتهيه الاعين وما لا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فان الله تعالى كما يعطي اهل الاخرة نصيبا من الدنيا بالتبعية ولا يعطي اهل الدنيا نصيبا من الاخرة فكذلك يعطي اهل الله نصيبا من الاخرة بالتبعية ولا يعطي اهل الاخرة ما لاهل الله من القربة والله بما تعملون بصير كيف تعملون ولماذا تعملون لابتغاء المرضات ولا ستيفاء اللذات واستيفاء الحيوة ثم ضرب مثل الروح الانسان وقلبه بجنة له فيها من كل الثمرات اذ خلق في احسن تقويم مستعدا لجميع الكرامات مشرفا بعلم الاسماء منورا بانوار العقل والحواس السليمات متوحدا بحمل الامانة متفردا بتربية الخلافة فجنته هي منظور نظر العناية تجري من تحتها الانهار الهداية بعواطف لصاحبها ضعف لانه وله ذرية ضعفاء من متولدات القوى البشرية في غاية الافتقار الى التربية باغذية ثمراتها فاصابها اعصار من اعمال البرية نار من الرياء و النفاق فاحترقت جنة الروحانية بنار صفات البشرية وتبدلت الاخلاق الروحية بالنفسية والملكية بالشيطانية كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون في احسانه معكم بايتاء الاستعداد الفطري فلا تبطلوه بقبيح فعالكم ولا تضيعوا اعماركم في طلب امالكم وتستعدوا للموت قبل حلول اجالكم واسلمنا وهو حسبي

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا
ای زمره گروندگان خرج کنید از پاکیزهای آنچه کسب کرده‌اید و از آنچه بیرون آوردیم برای شما از زمین و قصد مکنید

الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَ
ناپاکیزه را از آن خرج کنید و حال آنکه نیستید گیرندگان آن مگر آنکه چشم بپوشید در آن و بدانید که خدا بی نیاز ستوده است شیطان بترساند شما را از فقر و

يَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ
وا دارد شما را به ناشایسته و خدا وعده کند شما را آمرزش از او و زیادتی و خدا محیط دانا است و دهد حکمت را بهر که خواهد و هر که داده شود حکمت پس

أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ
داده شده خیر بسیار و متذکر نشوند مگر صاحبان خرد و آنچه خرج کردید از خرج یا نذر کردید از نذر پس بدرستیکه خدا میداند آن را و نیست ستمکاران را

مِنْ أَنصَارٍ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ
از یاوری اگر ظاهر سازید صدقات را پس خوب چیزیست آن و اگر پنهان دارید آن را و بدهید آن را بفقرا پس آن بهتر است شما را و دور کند از شما گناهان شما را و خدا

بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ

وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ

ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ

بِهِ عَلِيمٌ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ع

القراءة ولا تيمموا بتشديد التاء ومد الالف البزي وابن فليح الباقون على الاصل ومن يؤت الحكمة بكسر التاء يعقوب اي من يؤتيه الله الباقون بالفتح نعما فنعما هي ساكنة العين ابو عمرو والمفضل ويحيى وابو جعفر ونافع غير ورش فنعما بفتح النون وكسر العين ابن عامر وعلي وحمزة وخلف الباقون فنعما بكسر النون والعين والميم مشددة في القراءات ونكفر بالنون والراء ساكنة ابو جعفر ونافع وحمزة وخلف وعلي ويكفر بالياء والراء مرفوعة ابن عامر وحفص المفضل الباقون ونكفر بالنون ورفع الراء يحسبهم بفتح السين ابن عامر ويزيد وعاصم غير الاعشى وهبيرة بسيماهم بالامالة حمزة وعلي

اقبل على الباطل فقد

ابن شاذان عن خلاد بخيار وقرأ ابو عمرو بالامالة اللطيفة لكن كل كلمة على مر ان فعلى الوقوف من الارض لعطف المتفقين تعرضوا فيه ط حميد مج
وان اتفقت الجملتان ولكن الفصل بين تخويف الشيطان الكاذب ووعد الله الحق الصادق فضلا ط عليم وقد يوصل على جعل ما بعده صفة من يشاء ج
لابتداء الشرط مع العطف ومن قرأ ومن يؤت بالكسر فالوصل اجوز كثيرا ط الالباب يعلمه ط انصار فنعما هي ج خير لكم ط لمن قرأ ونكفر بالرفع بالنون
او الياء على الاستئناف ومن جزم بالعطف على موضع فهو خير لكم او يقف سيئاتكم ط خبير من يشاء ط لابتداء الشرط فلانفسكم ط لابتداء النفي
وجه الله ط لا يظلمون في الارض لان يحسبهم وان صلحت حالا بعد حال نظرا ولكن لا يليق بحال من احصر التعفف لان تعرفهم يصلح استئنافا
والحال وجملة يحسبهم الجاهل اغنياء وانت تعرفهم بحقيقة ما في بطونهم من الضر وهم لا يسئلون الناس على الحال وقد يجعل لا يسئلون استئنافا
فيجوز الوقف على سيماهم الحافا ط عليم عند ربهم ج يحزنون ٥ التفسير لما رغب في الانفاق وذكر ان منه ما يتبعه المن والاذى ومنه ما لا يتبعه ذلك و
شرح ما يتعلق بكل من القسمين وضرب لكل واحد مثلا ذكر بعد ذلك ان المال الذي امر بانفاقه في سبيل الله كيف يجب ان يكون فقال
انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا اي من طيبات ما اخرجنا فحذف لدلالة الاول عليه عن الحسن ان المراد من هذا الانفاق الفرض
بناء على ان مطلق الامر للوجوب والانفاق الواجب ليس الا الزكوة وسائر النفقات الواجبة وقيل التطوع لما روي عن علي والحسن ومجاهد ان جمع
الناس كانوا يتصدقون بشرار ثمارهم ورذالة اموالهم فانزل الله هذه الاية وعن ابن عباس جاء رجل ذات يوم بعذق حشف فوضعه
في الصدقة لاهل الصفة على حبل بين اسطوانتين في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي بئسما صنع صاحب هذا فنزلت وقيل يشمل الفرض والنفل
لان المفهوم من الامر ترجيح جانب الفعل على الترك فقط ويتفرع على قول الوجوب وجوب الزكوة في كل ما يكتسبه الانسان فيشمل زكوة التجارة
وزكوة الذهب والفضة وزكوة النعم وزكوة كل ما ينبت من الارض الا ان العلماء خصصوها بالاقوات لما روي انه قال ليس الصدقة الا في اربعة
في التمر والزبيب والحنطة والشعير وليس فيما سواها صدقة فهذا الخبر يقتضي الزكوة في اربعة لكن ثبت اخذ الزكوة من الذرة وغيرها بامر رسول الله
صلى الله عليه وسلم فوجوب الزكوة في الاقوات دون غيرها ولا يكفي في وجوب الزكوة كون الشيء مقتاتا على الاطلاق بل المعتبر حالة الاختيار لا وقت الضرورة
ومثل الشافعي بالقت وحب الحنظل وسائر البذور البرية وشبهها ببقرة الوحش لا زكوة فيها لان الناس لا يتعهدونها وانه لا تجب الزكوة
في القوت ما لم يبلغ خمسة اوسق وبه قال مالك واحمد لرواية ابي سعيد الخدري ان النبي قال ليس فيما دون خمسة اوسق صدقة وقال ابو حنيفة
يجب العشر في القليل والكثير لهذه الاية وتفصيل الكلام في الاموال الزكوية وكيفية اخراجها ونصاب كل منها فهو مذكور في الفروع
فلذلك نطوي الكلام فيها ومما المراد بالطيب في الاية قيل الجيد فيكون المراد بالخبيث الردي لما مر في سبب النزول انهم كانوا يتصدقون بر
ذالة اموالهم فنهوا عن ذلك وقيل لان المحرم لا يجوز اخذه بالاغماض ونحوه والاية تدل على جواز اخذ الخبيث بالاغماض وعن ابن مسعود
ومجاهد ان الطيب هو الحلال والخبيث هو الحرام والمراد من الاغماض هو المسامحة وترك الاستقصاء والمعنى ولستم باخذيه وانتم تعلمون
انه محرم الا ان ترخصوا لانفسكم اخذ الحرام ولا تبالوا من اي وجه اخذتم المال من حلاله او من حرامه ويحتمل ان يراد ما يكون طيبا من جميع
الوجوه فيكون طيبا بمعنى الحلال وبمعنى الجودة ايضا لان الاستطابة قد يكون شرعا وقد يكون عقلا واعلم ان المال الزكوي ان كان كله شريفا
وجب ان يكون المأخوذ منه كذلك وان كان الكل خسيسا فلا يكلف صاحبه فوق طاقته ولا يكون خلاف الاية لان المأخوذ في هذه الحالة لا
يكون خبيثا من ذلك المال وانما الكلام فيما لو كان في المال جيد وردي فحينئذ لا يجعل الانسان الزكوة من ردي ماله ولا يكلف ايضا بجيده
لقوله لمعاذ بن جبل حين بعثه الى اليمن اعلمهم ان عليهم صدقة تؤخذ من اغنيائهم وترد على فقرائهم واياك وكرائم اموالهم بل الواجب هو
الوسط ثم ان قلنا المراد من الانفاق في الاية التطوع او هو والفرض جميعا فالمعنى ان الله تعالى ندبهم الى ان يتقربوا اليه بافضل ما يملكونه قضاء
لحقوق التعظيم والاخلاص ومعنى ولا تيمموا الخبيث لا تقصدوه يقال اممه وتيممه وتأممه بمعنى قصد ومنه تنفقون نصب على الحال وقدم منه عليه
ليعلم ان المنهي عنه هو تخصيص الخبيث بالانفاق منه اذا كان في المال طيب وخبيث ويحتمل ان يتم الكلام عند قوله ولا تيمموا الخبيث ثم
ابتدأ مستفهما بطريق الانكار فقال منه تنفقون وحالكم انكم لا تأخذونه في حقوقكم الا بالاغماض وهو غض البصر واطباق جفن على جفن
واصله من الغموض وهو الخفاء يقال للبائع اغمض اي لا تستقص كانك لا تبصر واصله ان الانسان اذا رأى ما يكره اغمض عينيه كيلا يرى
ذلك فكثر حتى جعل كل مسامحة اغماضا اي لو اهدي لكم مثل هذه الاشياء لما اخذتموها الا على استحياء واغماض فكيف ترضون لها لا ترضونه
لانفسكم ويحتمل ان يراد الا ان تغمضوا بصر البائع اي تطلبوا الحط من الثمن عن الحسن او وجدتموه في السوق يباع ما اخذتموه حتى يهضم لكم من ثمنه
واعلموا ان الله غني عن صدقاتكم حميد محمود على ما انعم من البيان والتكليف بما تحوزون به النعيم الابدي وحامد شاكر على انفاقكم كقوله فان الله
كان سعيكم مشكورا ثم انه لما رغب في اجود ما يملكه الانسان ان ينفق منه حذر عن وسوسة الشيطان فقال الشيطان يعدكم الفقر اما
الشيطان فيشمل ابليس وجنوده وشياطين الانس والنفس الامارة بالسوء والوعد يستعمل في الخير والشر قال تعالى النار وعدها الله الذين كفروا ويمكن
ان يكون استعماله في الشر هو على التهكم مثل فبشرهم بعذاب اليم واصل الفقر في اللغة كسر الفقار وقرئ الفقر بضمتين والفقر بفتحتين يأمركم
بالفحشاء يغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الامر المأمور والفاحش عند العرب البخيل والتحقيق ان لكل خلق طرفين ووسطا فالطرف الكامل

للانفاق هو ان يبذل كل ماله في سبيل الله والطرف الاخس ان لا ينفق شيئا لا الجيد ولا الردي والوسط ان يبخل بالجيد وينفق الردي فالشيطان اذا اراد
نقله من الافضل الى الاخس في خفي حيلته ان يجره الى الوسط وهو وعده بالفقر ثم الى الطرف وهو امره بالفحشاء وذلك ان البخل صفة مذمومة عند
كل احد فلا يمكنه ان يجره ابتداء اليها الا بتقديم مقدمة هي التخويف بالفقر اذا انفق الجيد من ماله فاذا اطاعه زاد فيمنعه من الانفاق بالكلية ودعا
تدرج الى ان يمنع الحقوق الواجبة فلا يؤدي الزكوة ولا يصل الرحم ولا يرد الوديعة فاذا صار هكذا ذهب وقع الذنوب عن قلبه ويتسع الخرق فيقدم
على المعاصي كلها ثم لما ذكر درجات وسوسة الشيطان اردفها بذكر الهامات الرحمن فقال والله يعدكم مغفرة منه وفضلا فالمغفرة اشارة
الى منافع الآخرة والفضل اشارة الى ما يصل في الدنيا من الخلف عن النبي ان الملك ينادي كل ليلة اللهم اعط منفقا خلفا وممسكا تلفا فالشيطان
يعدكم الفقر في غد الدنيا والرحمن يعد المغفرة في غد العقبى ووعد الرحمن بالقبول اولى لان الوصول الى غد الدنيا مشكوك فيه وغد العقبى مقطوع
به ثم بتقدير وجدان غد الدنيا فقد لا يبقى المال بان احترق وعند وجدان العقبى لابد من حصول المغفرة فان الله لا يخلف الميعاد ولو فرض بقاء
المال فقد لا يتمكن صاحبه من الانتفاع به لخوف او مرض او هم بخلاف الانتفاع بما في الآخرة فانه لا مانع منه ثم بتقدير التمكن من الانتفاع بالمال
فان ذلك ينقطع ويزول بخلاف الموعود في الآخرة فانه باق لا يزول وايضا لذات الدنيا مشوبة بالآلام والمضار بل لا لذة الا دفع الألم من وجوه
كثيرة بخلاف لذات الآخرة فانه لا تنغص فيها ولا تنقص وفي المغفرة تكفير الذنوب والتنكير فيها للدلالة على الكمال والتعظيم ولا سيما وقد قرن به لفظ منه فانه
غاية كرمه ونهاية جوده مما يعجز عن ادراكه عقول الخلائق ويحتمل ان يكون نوعا من المغفرة وهو المشار اليه في آية اخرى فاولئك يبدل الله سيئاتهم
حسنات وان يجعل شفيعا في غفران ذنوب اخوانه المؤمنين واما الفضل فيحتمل ان يراد به الفضيلة الحاصلة للنفس وهي ملكة الجود والسخاء وذلك
ان المال فضيلة خارجية وعدمه نقصان خارجي وملكة الجود فضيلة نفسانية وملكة البخل رذيلة نفسانية فمتى لم يحصل الانفاق حصل الكمال
الخارجي والنقصان الداخلي واذا حصل الانفاق حصل الكمال الداخلي والنقصان الخارجي فيكون الانفاق اولى وافضل وايضا متى حصلت ملكة
الانفاق زالت عن النفس هيئة الاشتغال بنعيم الدنيا والتهالك في طلبها فاستنارت بالانوار القدسية وهذا هو الفضل وايضا مهما عرف من
الانسان انه منفق كانت القلوب معقودة على ان يفتح الله عليه ابواب الرزق فلمثل ذلك من التاثير ما لا يخفى والله واسع كامل العطاء كامل الخلف قادر
على انجاز ما وعد عليم بحال من ينفق تصديقا بوعده وبحال من لم ينفق طاعة للشيطان ثم نبه على الامر الذي لاجله يحصل ترجيح وعد الرحمن على وعد
الشيطان وهو الحكمة والعقل فان وعد الشيطان انما رجحه الشهوة والنفس عن مقاتل ان تفسير الحكمة في القرآن على اربعة اوجه احدها مواعظ
القرآن وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به وثانيها الحكمة بمعنى الفهم وآتيناه الحكم صبيا ولقد آتينا لقمان الحكمة وثالثها الحكمة يعني
بمعنى النبوة وآتاه الله الملك والحكمة ورابعها القرآن بما فيه من الاسرار يؤتي الحكمة من يشاء وجميع هذه الوجوه عند التحقيق يرجع الى العلم فتأمل
يا مسكين شرف العلم فان الله تعالى سماه الخير الكثير ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا والتنكير للتعظيم وسمى الدنيا باسرها قليلا قل متاع الدنيا
قليل وذلك ان الدنيا متناهية العدد متناهية المقدار متناهية المدة والعلم لا نهاية لمراتبها ولعددها ولمدة بقائها والسعادات الحاصلة
منها واعلم ان كمال الانسان في شيئين ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به فيرجع الاول الى العلم والادراك المطابق ويرجع الثاني الى فعل العدل
والصواب لذلك سأل ابرهيم رب هب لي حكما وهو الحكمة النظرية والحقني بالصالحين وهو الحكمة العملية ونودي موسى انني انا الله لا اله
الا انا وهو الحكمة النظرية ثم قال فاعبدني وهو العملية وحكى عن عيسى انه قال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا
اينما كنت وكلها النظرية واوصاني بالصلوة والزكوة ما دمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا وجميعها العملية وقال في حق محمد فاعلم
انه لا اله الا الله وهو النظرية ثم قال واستغفر لذنبك وهو العملية وقال في حق جميع الانبياء ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده
ان انذروا انه لا اله الا انا وانه الحكمة العلمية ثم قال فاتقون وهو الحكمة العملية فعلم من هذه الآيات ان كمال حال الانسان في هاتين القوتين
والحكمة فعلة من الحكم كالنحلة من النحل ورجل حكيم اذا كان ذا حجى ولب واصابة رأي فعيل بمعنى فاعل ويجيء بمعنى مفعول ومنه فيها يفرق كل امر حكيم اي
محكوم وفي الآية دليل على ان جميع العلوم النظرية والاخلاق المرضية بمشية الله وعطائه ومن حملوا الايتاء على التوفيق والاعانة كالمعتزلة انما ارادوا
الا ان وسعوا الدائرة اذ لا بد من الانتهاء اليه ثم سلكوا وما يذكر الا اولوا الالباب الذين اذا حصلوا الحكم والمعارف لم يقفوا عند المسببات فلم
ينسبوا هذه الاحوال الى انفسهم بل يرقون الى مسبب الاسباب وهو الحق فيصلوا الى المسبب الاول واما المعتزلة فانهم لما فسروا الحكمة بقوة الفهم ووضع الدلائل قالوا
هذه الحكمة لا تفيد بنفسها وانما ينتفع بها المرء اذا تدبر وتذكر فعرف ما عليه عند ذلك تقدم او تحجم ثم انه تعالى نبه على انه عالم بما في قلب العبد من نية

الاخلاص او الرياء وانه يعلم القدر المستحق من الثواب والعقاب في ذلك المدعو والنيات فلا يهمل شيئا منها فقال وما انفقتم من نفقة في سبيل الله او في سبيل الشيطان
او نذرتم من نذر في طاعة الله او معصيته فان الله يعلمه وتذكير الضمير لانه عائد الى ما واما الى الآخر كقوله ومن يكسب خطيئة او اثما ثم
يرم به بريئا وهذا قول الاخفش والنذر ما يلزمه الانسان بايجابه على نفسه واصله من الخوف كانه يعقد على نفسه خوف التقصير في الامر المهم عنده ومنه
الانذار ابلاغ مع تخويف واصطلاح ان النذر قسمان نذر اللجاج والغضب ونذر التبرر اما الاول فهو ان يمنع نفسه من الفعل او يحثها عليه بتعليق التزام قربة
بالفعل او الترك كقوله ان كلمت فلانا او فعلت كذا او دخلت الدار او لم اخرج من البلد فلله علي صوم شهر او صلوة او حج او اعتاق رقبة ثم اذا كلم

ودخل ولم يخرج فللعلماء ثلاثة اقوال احدها يلزمه الوفاء بما التزم والثاني وهو الاصح ان عليه كفارة يمين لما روى انه قال كفارة النذر كفارة يمين والثالث
التخيير بين الوفاء وبين الكفارة واما نذر التبرر فنوعان نذر المجازاة وهو ان يلتزم قربة في مقابلة حدوث نعمة او اندفاع نقمة مثل ان شفى الله مريضي او
رزقني ولدا فلله علي ان اعتق رقبة او اصوم او اصلي كذا فاذا حصل المعلق عليه لزمه الوفاء بما التزم لقوله من نذر ان يطيع الله فليطعه ونذر التبرر وهو ان
يلتزم ابتداء غير معلق على شيء كقوله لله علي ان اصوم او اصلي او اعتق فالاصح انه يصح ويلزم الوفاء به لاطلاق الخبر ومما يفرض التزامه بالنذر ما المعاصي
واما الطاعات واما المباحات فالمعاصي كشرب الخمر والزنا ونذر المرأة صوم ايام الحيض ونذر قراءة القرآن في حال الجنابة لا يصح التزامها بالنذر لا نذر
في معصية الله ومن هذا القبيل لو نذر ذبح الولد او ذبح نفسه واذا لم ينعقد نذره فعل المعصية فعليه ان يمتنع منه ولا يلزمه كفارة يمين وما روى انه
قال لا نذر في معصية الله وكفارته كفارة يمين محمول على نذر اللجاج واما الطاعات فالواجبات ابتداء بالشرع كالصلوات الخمس وصوم رمضان لا معنى
لالتزامها بالنذر معلقا او غير معلق وكذا لو نذر ان لا يشرب الخمر ولا يزني فان خالف ما ذكر فلا يلزمه الكفارة على الاصح واما غير الواجبات فالعبادات
المقصودة وهي التي وضعت للتقرب بها وعرف من الشارع الاهتمام بتكليف الخلق بايقاعها عبادة فيلزم بالنذر وذلك كالصوم والصلوة والصدقة
والحج والاعتكاف والاعتاق وكذا فروض الكفايات التي يحتاج فيها الى معاناة تعب او بذل مال كالجهاد وتجهيز الموتى ذكره امام الحرمين وفي الصلوة
على الجنازة والامر بالمعروف وغير ذلك مما ليس فيه بذل مال ولا كثير مشقة فالاظهر اللزوم ايضا وكما يلزم اصل العبادات بالنذر يلزم رعاية الصفة المشروعة فيها
اذا كانت من المحبوبات كالصلوة بشرط طول القراءة او الركوع او السجود والحج ماشيا اذا جعلناه افضل من الركوب وهو الاصح ولو افرد الصفة بالالتزام
والاصل واجب كتطويل الركوع والسجود والقراءة في الفرائض فالاشبه اللزوم لانها عبادات مندوب اليها واما الاعمال والاخلاق المستحسنة كعيادة
المريض وزيارة القادم وافشاء السلام على المسلمين فالاظهر لزومها ايضا بالنذر وكذا تجديد الوضوء لان كلها مما يتقرب بها الى الله سبحانه وقد رغب
الشارع فيها واما المباحات التي لم يرد فيها ترغيب كالاكل والنوم والقيام والقعود فلو نذر فعلها او تركها لم ينعقد نذره وروي ان النبي رأى رجلا
قائما في الشمس فسأل عنه فقالوا نذر ان لا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم فقال مروه فليتكلم وليستظل وليتم صومه ولو قال لله علي نذر من غير
تسمية لزمه كفارة يمين لقوله من نذر نذرا وسمى فعليه ما سمى ومن نذر نذرا ولم يسم فعليه كفارة يمين وما للظالمين الذين يمنعون الصدقات
وينفقون اموالهم في المعاصي وللرياء او لا يفون بالنذر او ينذرون في المعاصي من انصار ممن ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه انصار جمع ناصر
كاصحاب جمع صاحب او جمع نصير كاشراف جمع شريف وقد يتمسك المعتزلة بهذا في نفي الشفاعة لاهل الكبائر فان الشفيع ناصر ويؤيد بان الشفيع في العرف
لا يسمى ناصرا والا كان قوله ولا هم ينصرون بعد قوله ولا يقبل منها شفاعة تكرارا والجواب ان هذا الدليل النافي عام في حق كل الظالمين وفي كل
الاوقات والدليل المثبت للشفاعة خاص في حق البعض وفي بعض الاوقات والخاص مقدم على العام وايضا اللفظ لا يكون قاطعا في الاستغراق بل ظاهرا
على سبيل الظن القوي فصار الدليل ظنيا والمسألة ليست ظنية فكان التمسك به ساقطا سألوا رسول الله صدقة السر افضل ام صدقة العلانية
فنزلت ان تبدوا الصدقات قالت العلماء التركيب موضوع للصحة والكمال ومنه فلان صادق المودة ومنه خل صادق الحموضة وصدق فلان في خبره
اذا اخبره على وجه الصحة والكمال ومنه الصديق لان عقد الصداقة به يتم ويكمل والزكوة صدقة لان المال بها يصح ويبقى وبها يستدل على صدق العبد
كالكمال في ايمانه فنعما هي من قرأ بكسر النون وسكون العين فمحمول على انه وقع على العين حركة خفيفة على سبيل الاختلاس والا لزم التقاء الساكنين على غير حده ومثله
ما روي في الحديث نعما قال لعمرو بن العاص نعما بالمال الصالح للرجل الصالح بسكون العين ومن قرأ بكسر النون والعين فلتحصيل التشاكل و
من قرأ بفتح النون وكسر العين فعلى الاصل قال طرفة نعم الساعون في الامر المبر قال سيبويه ما في تأويل الشيء اي نعم الشيء هي وقال ابو علي الجيد في تمثيله
ان يقال ما في تأويل شيء لان ما ههنا نكرة اذ لو كانت معرفة بقيت بلا صلة فان هي مخصوص بالمدح والتقدير نعم شيئا ابداء الصدقات
فحذف المضاف للدلالة او نعم شيئا تلك الصدقات او تلك الخصلة وهي الابداء قال الاكثرون المراد بها صدقة التطوع لقوله وان تخفوها
وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم والاخفاء في صدقة التطوع افضل كما ان الاظهار في الزكوة افضل اما الاول فلان ذلك اشق على النفس
فيكون اكثر ثوابا ولانه ابعد عن الرياء والسمعة قال لا يقبل الله من مسمع ولا مراء ولا منان والمتحدث بصدقته لا شك انه يطلب السمعة
والمعطي في ملاء من الناس يطلب الرياء وقد بالغ قوم في الاخفاء واجتهدوا ان لا يعرفهم الآخذ فبعضهم كان يلقي الصدقة في يد اعمى وبعضهم يلقيها

في طريق الفقير وفي موضع جلوسه بحيث يراها ولا يرى المعطي وبعضهم يشدها في ثوب الفقير وهو نائم وبعض يوصل الى الفقير على يد غيره وقال
افضل الصدقة جهد المقل الى فقير في سر وقال ان العبد ليعمل عملا في السر فيكتبه الله سرا فان اظهره نقل من السر وكتب في العلانية فان تحدث به نقل
من السر والعلانية وكتب في الرياء وقال صدقة السر تطفئ غضب الرب وثانيها ان في الاظهار هتك ستر الفقير واخراجه من حيز التعفف وربما انكر
الناس على الفقير اخذ تلك الصدقة لظن الاستغناء به فيقع الفقير في المذمة والناس في الغيبة ولان في الاظهار اذلالا للآخذ واهانة له واذلال
المؤمن غير جائز ولان الصدقة كالهدية وقال من اهدي له هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها وربما لا يدفع الفقير اليهم شيئا فيقع في حيز
اللوم والتعنيف نعم لو علم انه اذا اظهرها اقتدى به غيره كي يبعث الخلق على الصدقة كان الاظهار افضل روى ابن عمر انه قال السر افضل من العلانية
والعلانية افضل لمن اراد الاقتداء واعلم ان الانسان اذا اتى بعمل وهو يخفيه عن الخلق وفي نفسه شهوة ان يرى الخلق منه ذلك وهو يدفع تلك

الشهوة فههنا الشيطان يرد عليه كورقية الخلق والقلب ينكره فهذا الانسان في محاربة الشيطان فيكون اخفاؤه يفضل علانيته سبعين ضعفا
كما روي عن ابن عباس صدقات السر في التطوع يفضل علانيتها سبعين ضعفا ثم ان الله تعالى اذا راضوا انفسهم حتى من الله عليهم بانوار هدايته
وذهبت عنهم وساوس النفس لان الشهوات قد ماتت منهم ووقعت قلوبهم في بحار عظمة الله فلم يحتاجوا الى المجاهدة فاذا اعلنوا بالعمل ارادوا ان
يقتدي بهم غيرهم فهم كاملون في انفسهم ويسعون في تكميل غيرهم كما قال تعالى وممن خلقنا امة يهدون بالحق واجعلنا للمتقين اماما فهؤلاء ائمة الهدى
واعلام الدين وسادة الخلق بهم يقتدى في الدعاء الى الله واما ان الاظهار في اعطاء الزكوة افضل فلان الله امر الائمة بتوجيه السعاة لطلب
الزكوات وفي دفعها الى السعاة اظهارها ولانه ينفي التهمة ولهذا لما ذكر امرة كان اكثر صلوتهم في البيت الا المكتوبة وعن ابن عباس صدقة الفرض
علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا هذا اذا كان المزكي ممن لا يخفى يساره فان لم يعرف باليسار كان الاخفاء له افضل ولا سيما اذا خاف
الظلمة ان يطمعوا في ماله وعن بعضهم ان معنى قوله خير لكم اي في نفسه خير من الخيرات كما يقال الشر بخير من الله واما قوله وتؤتوها الفقراء لان المقصود
من بعث المتصدق ان يتحرى موضع الصدقة فيصيرها لما بالفقراء مميزا لهم عن غيرهم فاذا تقدم منه هذا الاستظهار ثم اخفاها حصلت الفضيلة
فلهذا شرط في الاخفاء ان يحصل معه ايتاء الفقراء واما في الابداء فلما لا يخفى حال الفقير فلهذا لم يصرح بالشرط ونكفر عنكم من قرأ بالنون مع الرفع
فهو عطف على محل ما بعد الفاء لان الاصل في الشرط والجزاء ان يكونا فعلين فاذا وقع الجزاء مضارعا مع الفاء كان خبر مبتدأ محذوف فقوله
فهو خير لكم تأويل فيكون خير لكم ونكفر والرفع عطف عليه ويحتمل ان يكون خبر مبتدأ محذوف اي ونحن نكفر وان يكون جملة من فعل وفاعل مستانفة
ومن قرأ بالجزم فهو عطف على محل الفاء وما بعده لانه جواب الشرط كانه قيل وان تخفوها تكن اعظم اجرا واما من قرأ ويكفر بياء الغيبة مرفوعا
فالاعراب كما مر في النون والضمير لله او للاخفاء وقرئ وتكفر بالتاء مرفوعا ومجزوما والضمير للصدقات وقرأ الحسن بالياء والنصب باضمار ان و
معناه وان تخفوها يكن خيرا لكم وان يكفر عنكم خيرا لكم والتكفير في اللغة الستر والتغطية ومنه كفر عن يمينه اي ستر ذنب الحنث وقوله من سيئاتكم يحتمل
ان يكون من للتبعيض لان السيئات كلها لا تكفر وانما تكفر بعضها ثم ابهم الكلام في تلك البعض لان بيانه كالاغراء على تكبها واحسن احوال العبد
ان يكون بين الخوف والرجاء ويحتمل ان يكون للتعليل اي من اجل سيئاتكم كما لو قلت ضربتك من سوء خلقك اي من اجل ذلك وقيل انها زائدة
والله بما تعملون خبير كانه رغب بهذا الكلام الى الاخفاء الذي هو ابعد من الرياء عن الكلبي انه قال اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرة القضاء وكانت معه
اسماء بنت ابي بكر فجاءتها امها قتيلة وجدتها تسألانها وهما مشركتان فقالت لا اعطيكما شيئا حتى استأمر رسول الله فانكما لستما على
ديني فاستأمرته في ذلك فانزل الله تعالى ليس عليك هداهم فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تتصدق عليهما فاعطتهما ووصلتهما قال الكلبي
ولها وجه اخر وذلك ان ناسا من المسلمين كانت لهم قرابة واصهار ورضاع في اليهود وكانوا ينفعونهم قبل ان يسلموا فلما اسلموا كرهوا ان ينفعوهم
وارادوهم ان يسلموا واستأمروا رسول الله فنزلت فاعطوهم بعد نزولها وعن سعيد بن جبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا الا على اهل دينكم
فانزل الله ليس عليك هداهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تصدقوا على اهل الاديان وعن بعض العلماء لو كان شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك
والعلماء اجمعوا على انه لا يجوز صرف الزكوة الى غير المسلم فيكون الاية مخصوصة بالتطوع وجوز ابو حنيفة صرف صدقة الفطر الى اهل الذمة وابا
غيره ومعنى الاية ليس عليك هداهم من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لاجل ان يدخلوا في الاسلام فتصدق عليهم لوجه الله ولا توقف ذلك على اسلامهم
وذلك لانه كان شديد الحرص على ايمانهم فاعلمه الله تعالى انه بعث بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله وسراجا منيرا لا انه فاما كونهم مهتدين فليس ذلك
منك الا البلاغ فاهدهم هاهنا بمعنى الاهتداء فخلقوا الاهتداء ولم يهتدوا فلا تقطع معونتك وبرك وصدقتك عنهم وفيه وجه اخر ليس عليك ان تلجئهم
الى الاهتداء بواسطة توقيف الصدقة على ايمانهم فان مثل هذا الايمان لا ينتفعون به بل الايمان المطلوب منهم هو الايمان طوعا واختيارا
ولكن الله يهدي من يشاء اثبات للهداية التي نفاها اولا لكن المنفي لا هو الهداية اي الاهتداء على سبيل الالجاء وهذا الثاني ومنه يعلم
ان الاهتداء الاختياري واقع بتقدير الله تعالى وتخليقه وتكوينه وهذا التفسير هو المناسب لسبب النزول وفي الكشاف ان المعنى لا يجب عليك
ان تجعلهم مهديين الى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والاذى والانفاق من الخبيث وغير ذلك وما عليك الا ان تبلغهم النواهي فحسب ولكن الله يهدي
من يشاء يلطف بمن يعلم ان اللطف ينفع فيه فينتهي عما نهي عنه ثم ظاهر قوله ليس عليك هداهم انه خطاب مع النبي ولكن المراد به امته لان ما
قبلها ان تبدوا الصدقات فنعما هي وما بعده عام وما تنفقوا من خير من مال فلانفسكم ثوابه فليس يضركم كفرهم او فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم
بالتطاول عليهم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله اي لستم في صدقتكم على اقاربكم المشركين تقصدون الا وجه الله من صلة رحم او سد خلة
مضطر فقد علم الله هذا من قلوبكم وقيل خبر في معنى النهي اي لا تنفقوا الا لله وقيل معناه لا تكونوا منفقين مستحقين لهذا الاسم المفيد للمدح حتى تبتغوا
وجه الله وقيل لست نفقتكم الا لطلب ما عند الله فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله الى الله وفائدة ذكر الوجه انك اذا
قلت فعلته لوجهه كان اشرف من قولك فعلته له لان وجه الشيء اشرف ما فيه ثم كثر حتى عبر به عن الشرف مطلقا وايضا قول القائل فعلت هذا
الفعل لوجه زيد يحتمل الشركة وان يكون قد فعله لاجله ولاجل غيره اما اذا قال فعلت لوجهه فلا يحتمل الشركة عرفا وما تنفقوا من خير يوف اليكم جزاؤه
اضعافا مضاعفة ولهذا حسن قوله اليكم مع التوفية لانها تضمنت معنى التأدية وانتم لا تظلمون لا تنقصون من ثواب اعمالكم شيئا ثم لما بين

يجوز صرفها الى الصدقة على الفقير كان واردا ان يبين ان اشد الناس استحقاقا من هو فقال للفقراء اى ذلك الانفاق لهؤلاء والفقراء كانه تقدم ذكره فقيل
فقول قائل لمن اى ذلك الذي مر وصفه فقال لمن بحيث قيل اعمدوا للفقراء او اجعلوا ما تنفقون للفقراء او المراد صدقاتكم للفقراء قيل
نزلت في فقراء المهاجرين وكانوا نحوا من اربعمائة رجل وهم اصحاب الصفة لم يكن لهم سكن ولا عشائر بالمدينة كانوا ملازمين للمسجد يتعلمون القرآن
ويصومون ويخرجون في كل غزوة من كان عنده فضل اتاهم به اذا امسى عن ابن عباس وقف رسول الله يوما على اصحاب الصفة فرأى فقرهم و
جهدهم وطيب قلوبهم فقال ابشروا يا اصحاب الصفة فمن بقي من امتي على النعت الذي انتم عليه راضيا بما فيه فانهم من رفقائي ثم انه تعالى وصف هؤلاء
الفقراء بخمس صفات الاولى قوله الذين احصروا في سبيل الله اى حصرهم الجهاد او وقفوا على الجهاد في سبيل الله لان سبيل الله مختص
بالجهاد في عرف القرآن ولان وجوب الجهاد في ذلك الزمان كان آكد وكانت الحاجة الى من يحبس نفسه للمجاهدة مع رسول الله ثابتة فوضع الصدقة
فيهم يكون اوقع سدا لخلتهم وتقوية لقلوبهم واعلاء لمعالم الدين وعن سعيد بن المسيب واختاره الكسائي ان هؤلاء قوم اصابتهم جراحات في الغزوات
فاحصرهم المرض او الزمانة وعن ابن عباس هؤلاء قوم من المهاجرين حبسهم الفقر عن الجهاد فعذرهم الله الثانية لا يستطيعون ضربا في الارض اى سيرا فيها
وذلك اما لاشتغالهم بالعبادة او بالجهاد فلا يتفرغون للكسب والتجارة واما لان خوفهم من الاعداء يمنعهم من السفر واما لان مرضهم وعجزهم
يمنعهم منه الثالثة يحسبهم الجاهل بحالهم من لم يخبر امرهم اغنياء من التعفف من اجل تركهم المسألة واظهارهم التجمل تكلفا منهم والتعفف تفعل من
العفة وهي ترك الشيء والكف عنه الرابعة تعرفهم اى انت يا محمد او كل احد بسيماهم والسيماء العلامة التي يعرف بها الشيء من السمة العلامة قيل
قال مجاهد سيماهم التخشع والتواضع الربيع والسدي اثر الجهد من الجوع والفقر الضحاك صفرة الوانهم من الجوع ابن زيد رثاثة ثيابهم وقيل [illegible]
وقيل اثار الفقر يعني ان من كان كثير الفكر كالمشغول لا يسألون الناس الحافا اى الحاحا وهو اللزوم وان لا يفارق الا بشيء يعطى والتركيب يدل على
الستر كانه لزم السؤال لزوم اللحاف المستوعب على الحقيقة ان الله يحب الحليم المتعفف ويبغض البذي السائل الملحف قيل معنى الآية انهم ان سألوا سألوا
بتلطف ولم يلحفوا ورد بتعليله بانه ينافي التعفف الذي وصفوا به قبل فالوجه ان يراد نفي السؤال والالحاف جميعا كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر
ضب لا انجحار يكون مع ان نفيا لوصفهم بالتعفف فائدة الكلام التنبيه على سوء طريقة الملحف كما اذا حضر عندك رجلان احدهما عاقل وقور والآخر
طياش خفيف فاردت ان تمدح احدهما وتعرض بالآخر قلت فلان رجل عاقل وقور قليل الكلام ليس بخواص ولا مهذار لم يكن غرضك من
قولك ليس بخواص ولا مهذار وصفه بذلك لان ما تقدم من الاوصاف الحسنة تغني عنه بل غرضك التنبيه على سوء طريقة الثاني وقيل معناه
انه لا يكون السؤال الا بالحاح فيه شديد منهم على انفسهم اشتدت حاجتهم كقوله [illegible] وقيل ان علم السؤال
بطريق الالحاف يتضمن نفي السؤال عنهم واما لان كل سائل فلا بد ان يلح في بعض الاوقات كانه يقول ذا ارقت ماء وجهي فلا ارجع بغير مقصود
وقيل لعل السائل عن السؤال يظهر من نفسه امارات الحاجة فيكون في حال سكوته انطق مما يكون في رق القلوب فالمراد انهم وان سكتوا عن
السؤال لكنهم لم يضموا الى ذلك السكوت من رثاثة الحال واظهار الانكسار ما يقوم مقام السؤال فان ذلك نوع الحاف بل يجملون الظاهر بحيث لا يطلع
على سرهم غير الله عن النبي لا يفتح احد باب مسئلة الا فتح الله عليه باب فقر ومن يستغن يغنه الله ومن يستعفف يعفه الله لان يأخذ احدكم حبلا
فيحتطب فيجعله في حزمة خير له من ان يسأل الناس الخامسة وما تنفقوا من خير فان الله به عليم فيه ان ثواب هذا الانفاق الذي هو اعظم المصارف لا يكتنه
كنهه الا الله وهو بخلاف الآية المتقدمة فانه لما رغب في التصدق على اهل الاديان قال في آخره وما تنفقوا من خير يوف اليكم كما لو قال السلطان
لعبده الذي حسن عنده موقع خدمته انا بحسن خدمتك عالم وبحقك عارف كان ابلغ مما لو قال ان اجرك واصل اليك ثم انه ختم الآيات
الى كل وجوه الانفاقات بقوله الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار الآية وذلك ان الذين يعمون الاوقات والاحوال بالصدقة يكون ذلك منهم
دليلا على الحرص البالغ والاهتمام التام كلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه متعللين بوقت وحال والباء بمعنى في اي في الليل او
النهار وسرا وعلانية منصوبان على الظرفية ايضا اي وقتي السر والعلانية او على وصف المصدر اي انفاقا سرا او على الحال والغرض بيان كيفية الانفاق قيل
لما نزل للفقراء الذين احصروا بعث عبد الرحمن بن عوف بدنانير الى اصحاب الصفة وبعث علي بوسق من تمر ليلا فنزلت الآية وفي تقديم ذكر الليل تنبيه
على فضل السر على العلانية وقيل نزلت في علي كان له اربعة دراهم وعن ابن عباس ما كان لعلي الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم نهارا وبدرهم ليلا وبدرهم سرا وبدرهم
علانية فقال له النبي ما حملك على هذا فقال ان استوجب ما وعدني ربي فقال لك ذلك فنزلت الآية وقيل نزلت في ابي بكر حين تصدق باربعين الف
دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة في السر وعشرة في العلانية وقيل في علف الخيل المرتبطة في سبيل الله وكان ابو هريرة اذا مر بفرس
سمين قرأ هذه الآية والله تعالى اعلم بحقيقة التأويل انفقوا من طيبات ما كسبتم فيه صلاح المتصدق من وجوه احدها الوقاية من البخل فليتمسك
منه ثم الجودة فليجربه بجودته وثانيها التعظيم لامر الله ثالثها الشفقة على خلق الله رابعها ليثاب على الايثار ونور
على انفسهم وخامسها ليستحق البر لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وسادسها ليثاب على زيادة الايمان وان المتصدق في صدقته كالزارع
في زراعته فكما ان الزارع كلما ازداد ايقانا بحصول الثمرة اجتهد في جودة البذر فكذا المتصدق كلما ازداد ايمانا بالبعث والجزاء ازداد في جودة صدقته
لتحققه ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها وقدم ذكر الكسب على ذكر الحرث من الارض لقوله ان اطيب ما يأكل الرجل من كسب يده وفي الآية

معنى خر لطيف انفقوا من طيبات نيات كسبتم من تزكية النفوس وتصفية القلوب فيما اخرجنا لكم من ارض طينتكم في تحلية سرائركم بمكارم الاخلاق
وليكن النفقة طيبة من خيانة الشبهات طيبا انفاقها من خيانة الاغراض الدنيوية والاخروية طيبا منفقها من خيانة الالتفات والنظر في الانفاق
الى غير الله فاذا كانت النفقة طيبة في نفسها فهو مقبول طيب من الوسائط فياخذها بيده ويربيها قبل ان تقع في يد الفقير واذا كانت اليد طيبة في
انفاقها فهو مقبول طيب فانما ابلغ عند الله من علمها واذا كان القلب المنفق طيبا عن الالتفات الى غير الله فهو مقبول طيب عن الاغيار بين اصبعين من
اصابع الرحمن وفي هذا تحقيق قوله تعالى ان الله طيب لا يقبل الا الطيب فلستم باخذيه هذا الخبيث لا في اصل الفطرة ولا في عهد الخلقة لانكم خلقتم من
اصل طيب وفي طينة طيبة فالروح من الطيب الطاهر الذي لا اقرب الا قربين الى حضرة رب العالمين والجسد من التراب الطيب فتيمموا صعيدا طيبا ثم
احياكم بالايمان فلنحيينه حيوة طيبة ثم يرزقكم من الطيبات كلوا من طيبات ما رزقناكم فليس منكم شئ خبيث في الظاهر والباطن الا ان تغمضوا
فيه فتقبلوه تكلفا وقد ورد كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه فعلم ان لم يكن الخباثة ذاتية للانسان بل كانت طارية عليه
عارضية لديه انزل الله تعالى كلمة طيبة هي لا اله الا الله ليطيب بها ويطيب عليها اخلاقهم ليحشروا يوم القيمة ان يقال لهم سلام عليكم طبتم فادخلوها
خالدين واعلموا ان الله غني عن كمال غناه وان دان يعنيكم بثواب الانفاق حميد على ان سيد التكليف ليوصلكم الى الكمال الابدى الشيطان يعدكم
الفقر ظاهرا فيعدوا ويأمركم بالفحشاء وباطنا لانها اسم جامع لكل سوء معقبة من البخل والحرص واليأس من الحق والشك في مواعيد الحق والخلف في الضعيف
وسوء الظن بالله وترك التوكل عليه ونسيان فضله وتعلق القلب بغيره ومتابعة الشهوات وترك العفو والقناعة والامساك بحب الدنيا وهو راس كل خطيئة
وبذل كل بلية فمن فتح على نفسه باب سوء من هذه فسوف يبتلى بهذه الافات اضعافها ومن فتح على نفسه بابا من طاعة الحق فامر عليه بفتح باب عفوه ويجازيه بفضله
واحسانه فالمغفرة تكفير الذنوب والاثام والتفضل ما لا يدركه الاوهام للذين احسنوا الحسنى وزيادة فمن ذلك ان يفتح على قلبه باب حكمته كما
قال يؤتي الحكمة من يشاء وليست الحكمة مما يحصل بمجرد التكرار كما ظنه اهل الانكار والذين لم يفرقوا بين المعقولات في بين الاسرار والحكم الالهيات
تكتسب بالبرهان وهي مشتركة بين اهل الاديان والاسرار والحكم الالهية مواهب الحق لا تنزل الا على قلوب الانبياء والاولياء نور على نور يهدي الله
لنوره من يشاء وما يذكر الا اولوا الالباب الذين يتقوا عند الفتوى وتقوا القلب الظلم النور ثم اخبر عن توفية الاجور للمنفق في المفروض والمندوب وما
للظالمين الذين وضعوا الشئ في غير موضعه فلو اما الانفاق النفاق او الاخلاص الرياء من انصار ولا ناصر بالحقيقة الا الله من اذن له الله ابدا لتصدقات
عند اخفائها واخفاؤها تخليصها عن شوب الحظوظ واليه الاشارة في قوله سبعة يظلهم الله في ظله ثم قال ورجل تصدق بيمينه فاخفاها عن شماله اي
عن حظوظ نفسه ليكون خالصا لوجه الله فصاحبها يكون في ظل صدقته يوم القيمة اي ان كانت صدقته لله كان في ظل الله وان كانت للجنة كان في ظل الجنة
وان كانت في طلب الهوى كان في ظل الهاوية فنعيم قوله ان تبدوا الصدقات اي تظهروها في الطمع ثواب الجنة فان طمع الثواب شوب بحظ فنعما هي فانها مرتبة
الابرار ان الابرار لفي نعيم وان تخفوها عن كل حظ ونصيب وتؤتوها الفقراء الذين يعطونها ايام لوجه الله لا لحظ النفس فهو خير لكم لان جزاؤها
لقاء الله ثم اخبر عن الهداية وانه لا يحل احد عليها الولاية وان الله فيها ولي الكماية يا محمد لست الظالم الخوذ اللواء المعقود وعلى الوسيلة وعلى الانبياء
الفضيلة وانت سيد الاولين والاخرين وانت اكرم الخلائق على رب العالمين لكن ليس عليك هداهم ولكن الهداية مخصوصة بمشيئتنا ولوائح برهانه
انت تدعوهم ونحن نهديهم ثم نبه على ان افضل وجوه الانفاق هو الفقير الذي حصره المحبة في الله عن طلب المعاش لا الذي حصره الفقر والعجز عن طلب الكفاف
احد عليه سلطان الحقيقة كل طريق فلا الى المشرق مذهب ولا الى المغرب مضرب ولا منه الى غيره مهرب كان فجاج الارض ضاقت برحبها عليه فما ارد
طولا ولا عرضا يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف لانهم مستورون تحت قباب الغيرة محجوبون عن معرفة اهل الغيرة اوليائي تحت قبابي لا يعرفهم
غيري يا محمد تعرفهم بسيماهم لانك لست ملك فلست غيري ما رأيت شيئا الا ورأيت الله قبله رأى ما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فان سيماهم
لا يرى بالبصر الانساني بل يرى من نور الرباني فمن سيماهم في الظاهر عطوا ثم ان احوال الباطن انهم لا يسألون الناس الحافا لا بقليل ولا بكثير لان
انوار تجلي قلوبهم انعكست على ظواهرهم فتنورت بالتعفف نفوسهم واضمحلت ظلمة فقرهم وفاقتهم وما تنفقوا من خير من المال والجاه او
خدمة بالنفس او اكرام وارادة حق الاسلام على غير الاسناد استحقاقا وجلا لا استخفافا وذلا فان الله به عليم ومن سيماهم في انفاقهم اذا وجد
مالا لم يبيعوا عزة الفقر به بل ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم عند مليك مقتدر ولا هم يحزنون في الدنيا
على ما يفوتهم لانهم تركوها لله وهو لهم خلف عن كل تلف ولا في الاخرة لا يحزنهم الفزع الاكبر الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور

الذين يأكلون الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا
آنانکه میخورند سود را برنخیزند مگر چنانکه برخیزد کسی که بر پای نشاند او را دیوان از رسیدن این بآنچه هست که ایشان گفتند که جز این نیست که بیع مانند ربوا است

وأحل الله البيع وحرم الربوا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ومن عاد فاولئك اصحاب
و حلال کرده است خدا بیع را و حرام کرده ربا را پس هر که آید او را پندی از جانب پروردگارش پس باز ایستاد پس مر او راست آنچه پیش رفته است و کار او با خداست و هر که باز گردد پس ایشان اگروه یاران

النار هم فيها خالدون يمحق الله الربوا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار اثيم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات

ابن

فقد قال له ان الملوك يكون في ظل

مد

وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَآتَوُا الزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ

و برپای داشتند نماز را و دادند زکوة را مر ایشانراست مزد ایشان در نزد پروردگار ایشان و نه ترسی بر ایشان و نه ایشان اندوه خورند ای گروه آنان که گرویده اید بپرهیزید از خدا

وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَوٰا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ

و واگذارید آنچه باقی مانده از سود اگر هستید گرویدگان پس اگر نکردید پس اعلام کنید بجنگ از خدا و رسول او و اگر توبه کنید پس مر شماراست سرهای مالهای شما

لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ وَاتَّقُوا

ستم نکنید و ستمکرده نشوید و اگر بوده باشد تنگدست پس مهلت دهید تا هنگام توانگری و صدقه دادن شما بهتر است مر شما را اگر باشید دانندگان و بپرهیزید

يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ القراءة الربوا حيث كان بالإمالة حمزة وعلي وخلف وهذا

از روزی که باز گردید در آن بسوی خدا پس تمام داده شود هر نفسی آنچه کسب نموده و ایشان ستمکرده نشوند

اذا كان معرفا ولا يميلون المنكر في الوصل لأجل التنوين كقوله وما آتيتم من ربا ويميلون في الوقف لزوال التنوين فآذنوا ممدودة مكسورة الذال حمزة وحماد وأبو بكر غير ابن غالب البرجمي حمزة يقف بغير همز الباقون فأذنوا بسكون الهمزة وفتح الذال لا تظلمون ولا تظلمون الأول مبني للمفعول والثاني للفاعل المفضل الباقون بالعكس ميسرة بضم السين نافع ميسرة بضم السين وإثبات الياء زيد عن يعقوب الباقون بفتح السين وعدم الياء وأن تصدقوا خفيفا عاصم الباقون بتشديد الصاد لادغام تاء التفعل في الصاد ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم أبو عمرو ويعقوب عباس مخير الباقون مبنيا للمفعول الوقوف من المس ط مثل الربوا كيلا يظن أن ما بعده من قولهم إنما مكن جعل وأحل حالا إنما تقدم وحرم الربوا ط لابتداء الشرط واستئناف المعنى ما سلف ط لتناهي الجزاء إلى الله ج النار ج خالدون الصدقات ط أثيم صدقة ربهم ط يحزنون مؤمنين ورسوله ج أموالكم ج لأن ما بعده مستأنف وحال عامله معنى الفعل في لام لكم لا تظلمون ميسرة ط تعلمون ج لا يظلمون. التفسير الحكم الثاني من الأحكام المذكورة في هذا الموضع حكم الربوا وذلك أن بين الصدقة وبين الربوا مناسبة التضاد فإن الصدقة تنقيص مال مأمور بها والربوا زيادة منهي عنها وأيضا لما أمر بالإنفاق من طيبات المكاسب جاز أن يردف بالكسب الحرام فهو ربوا والحلال هو البيع وما يناسبه من الدين والرهن وغيرها فقال الذين يأكلون الربوا أما الأكل فهم جميع التصرفات إلا أنه عبر عن الشيء بمعظم مقاصده وكيف لا وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربوا وموكله وكاتبه وشاهديه والمحلل له وأيضا نفس الربوا لا يمكن أن يؤكل ولكن يصرف في المأكول فيؤكل فالمراد التصرف فيه. الربوا في اللغة الزيادة من ربا يربو ومنه ما قال فلما كان كسر الراء وهو في المصاحف مكتوب بالواو وأنت مخير في كتابتها بالألف والواو وفي الكشاف كتبت بالواو على لغة من يفخم كما كتبت الصلوة والزكوة وزيدت الألف بعدها تشبيها بواو الجمع ثم الربوا قسمان ربا النسيئة وربوا الفضل أما الأول فهو الذي كانوا يتعارفونه في الجاهلية كانوا يدفعون المال مدة على أن يأخذوا كل شهر قدرا معينا ثم إذا حل الدين طالبوا المديون برأس المال فإن تعذر عليه الأداء زادوا في الحق والأجل وأما ربوا الفضل فأن يباع من من الحنطة بمنوين مثلا والمروي عن ابن عباس أنه كان لا يحرم إلا القسم الأول وكان يقول لا ربوا إلا في النسيئة ويجوز ربا النقد فقال له أبو سعيد الخدري أشهدت ما لم نشهد أسمعت ما لم نسمع ثم روى الحديث المشهور في هذا الباب وله روايات منها الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل يدا بيد فمن زاد أو استزاد فقد أربى الآخذ والمعطي فيه سواء ثم قال أبو سعيد لا آواني وإياك ظل بيت ما دمت على هذا ثم روي أنه رجع عنه قال محمد بن سيرين كنا في بيت ومعنا عكرمة فقال رجل يا عكرمة ما تذكر ونحن في بيت فلان ومعنا ابن عباس فقال إنما كنت استحللت الصرف برأيي ثم بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمه فاشهدوا أني قد حرمته وبرئت إلى الله منه وحجة ابن عباس أن قوله تعالى وأحل الله البيع يتناول بيع الدرهم بالدرهمين وقوله وحرم الربوا لا يتناوله لأن كل زيادة ليست محرمة بل توجب أن يبقى على الحل حتى يخرج إلا العقد المخصوص الذي كان يسمى فيما بينهم ربوا وهو ربوا النسيئة ثم أكد هذا الرأي بما روي في السنن رواية لا ربوا إلا في النسيئة لأنه إذا كان يدا بيد ذكر أبو المنهال أنه سأل البراء بن عازب وزيد بن أرقم فقالا كنا تاجرين في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصرف فقال إن كان يدا بيد فلا بأس وإن كان نسيئة فلا يصح وأما جمهور المجتهدين فقد اتفقوا على حرمة الربوا في القسمين أما النسيئة فبالقرآن وأما النقد فبالخبر ثم إن الخبر دل على حرمة ربوا النقد في الأشياء الستة النقدان والمطعومات الأربعة ولا شك أن الربوا إنما ثبت فيها لمعنى فإذا عرف ذلك المعنى ألحق بها ما يشاركها فيه أما الأشياء الأربعة فللشافعي في علة الربوا فيها قولان الجديد أن العلة الطعم لما روي عن معمر بن عبد الله قال كنا نسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الطعام بالطعام مثلا بمثل علق الحكم باسم الطعام والحكم المعلق بالاسم المشتق معلل بما منه الاشتقاق كالقطع المعلق باسم السارق والجلد المعلق باسم الزاني والقديم أن العلة فيها الطعم مع الكيل أو الوزن لما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال الذهب بالذهب وزنا بوزن والبر بالبر كيلا بكيل فعلى هذا يثبت الربوا في كل مطعوم مكيل أو موزون وينتفي فيما ليس بمكيل ولا موزون كالسفرجل والرمان والبيض والجوز وقال مالك العلة الاقتيات فكل ما هو قوت أو يصلح القوت كالملح يجري فيه الربوا وعند أبي حنيفة العلة الكيل حتى يثبت الربوا في الجص والنورة وعن أحمد روايتان كأبي حنيفة والأخرى كالجديد وأما النقدان فعن بعض الأصحاب أن العلة فيهما عينهما لا العلة والمشهور أن العلة فيهما صلاحية الثمنية الغالبة فيشمل التبر والمضروب والحلي والأواني المتخذة منها ولا يتعدى الحكم إلى الفلوس على الأصح وإن راجت رواج الذهب والفضة لانتفاء العلة وقال أحمد وأبو حنيفة العلة فيهما الوزن فيتعدى الحكم إلى كل موزون كالحديد والرصاص وهذا أضبط المذاهب تقاربها إلى الفقه وأما السبب في تحريم الربوا

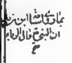

فهو ان منع بيع الدرهم بالدرهمين نقدا او نسيئة يحصل له زيادة درهم من غير عوض فاخذ مال المسلم من غير عوض محرم لقوله ص حرمة مال المسلم كحرمة دمه
ابقاء راس المال في يده مدة مديدة وتمكينه من ان يتجر فيه وينتفع به امر موهوم فقد يحصل وقد لا يحصل واخذ الدرهم الزائد متيقن وتفويت المتيقن
لاجل الموهوم لا يخلو من ضرر وقيل سبب تحريمه انه يمنع الناس من الاشتغال بالمكاسب لان صاحب الدرهم اذا تمكن بواسطة عقد الربوا من تحصيل الدرهم
الزائد نقدا او نسيئة اعرض عن وجوه المكاسب فيختل نظام العالم وقيل لانه يفضي الى انقطاع المعروف بين الناس من القرض ولانه تمكين للغني من ان ياخذ
مالا زائدا من الفقير وقيل ان حرمة الربوا قد ثبت بالنص ولا يجب ان يكون حكم كل تكليف معلومة لنا الا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان
من المس التخبط الضرب على غير استواء ومنه خبط العشواء وتخبطه الشيطان تخبيل من زعمات العرب يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع ورد
على ما كانوا يعتقدون والمس الجنون رجل ممسوس ومس بمس الجن فاختلط عقله وكذلك جن الرجل ضربته الجن وهذا ايضا من زعماتهم وقيل من عادة الناس اذا
ارادوا تقبيح شيء ان يضيفوه الى الشيطان كما في قوله تعالى طلعها كانه رؤس الشياطين فورد القرآن على ذلك وقيل ان الشيطان يمس بالوسوسة
المؤذية التي يحدث عندها الفزع فيصير كما يتروع الجبان في الموضع الخالي ولهذا لا يوجد هذا الخبط في العقلاء وارباب الحزم واللب واكثر المسلمين على ان
الشيطان لا يبعد ان يكون قويا على الصرع والقتل والايذاء بتقدير الله تعالى وللمفسرين في الآية اقوال احدها ان آكل الربوا يبعث يوم القيامة مجنونا وذلك
سيماهم يعرفون بها عند اهل الموقف وقوله من المس متعلق بلا يقومون اي لا يقومون من المس الذي بهم الا كما يقوم المصروع او يتعلق بيقوم اي كما يقوم
المصروع من جنونه وقال ابن قتيبة يوم القيامة اذا بعث الناس من قبورهم خرجوا مسرعين الا اكلة الربوا فانهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لانهم اكلوا الربوا
فارباه الله في بطونهم فاثقلهم وقيل انه ماخوذ من قوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا وذلك ان الشيطان يدعوه الى الحظ
والملك يجره الى التقوى فيقع هناك حركات مضطربة وافعال مختلفة وهو الخبط فاذا مات اكل الربوا على ذلك وبقي الخبط في الآخرة وقع الحجاب بينه
وبين الله تعالى ذلك العقاب بسبب قولهم انما البيع مثل الربوا وذلك انه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربوا انهم جعلوه اصلا وقانونا في الحل حتى شبهوا به
البيع والا كان حق النظم في الظاهر ان ينعكس فيقال انما الربوا مثل البيع لان الكلام في الربوا لا في البيع ومن حق القائلين ان يشبهوا محل الخلاف بمحل الوفاق
ثم انهم كانوا يقولون في تحليل الربوا على هذه الشبهة وهي ان من اشترى ثوبا بعشرة ثم باعه باحد عشر نقدا او نسيئة فهو حلال وكذا اذا اعطى العشرة
باحد عشر لا فرق بين الصورتين اذا حصل التراضي من الجانبين والبياعات انما شرعت لدفع الحاجات ولعل الانسان يكون صفر اليد في الحال وسيحصل
له المال الكثير في المآل فاعطاء الزيادة عند وجدان المال اسهل عليه من البقاء في الحاجة قبل وجدان المال فلما بين الله تعالى شبهتهم اجاب عنها بحرف واحد هو قوله
احل الله البيع وحرم الربوا وحاصله انكار التسوية وان الفعل لا يعارض بالقياس فان تحليل هذا وتحريم ذاك بامر الله تعالى بالحجة فما دونها من النص والقياس فمآل
اما جميعه ثم ذكر الآية بما يدل على ان الوعيد انما لحقهم باستحلالهم الربوا دون الاقدام على الاكل مع اعتقاد التحريم وعلى هذا التقدير لا يثبت بهذه الآية كون اكل
الربوا من الكبائر ويجاب بل مقدمة الآية ان المراد من اكلهم الربوا استطابته واستحلاله كما يقال فلان ياكل مال الله قضما وخضما اي يحل التعرض
الا ان جمهور المفسرين حملوا الآية على وعيد من تصرف في مال الربوا لا على وعيد من استحل هذا العقد قيل ويحتمل ان يكون قوله تعالى احل الله البيع وحرم
من تمام كلام الكفار على سبيل الاستبعاد واكثر المفسرين على خلافه لان جعله من كلام الكفار لا يتم الا باضمار وهو ان يحمل ذلك على الاستفهام بطريق الانكار
او على الرواية عن قول المسلمين والاضمار خلاف الاصل وايضا لو كان من تمام كلامهم فلم يكشف الله تعالى فساد شبهتهم فلم يكن قوله بعد ذلك فمن جاءه
موعظة لائقا بالمقام وايضا المسلمون لم يزالوا متمسكين في حل البيع بهذه الآية ولولا انهم علموا ان ذلك كلام الله لا كلام الكفار لم يصح منهم الاستدلال بها
وههنا بحث للشافعي وهو ان الآية من المجملات التي لا يجوز التمسك بها بناء على ان الاسم المفرد المعرف باللام لا يفيد العموم ولئن سلم فليس فيه الا تعريف الماهية فيكفي
في العمل به ثبوت صورة واحدة ولو سلم افادة العموم فلا شك ان افادته اضعف مما لو قيل احل الله البياعات بلفظ الجموع ومع ذلك فقد تطرق اليه
تخصيصات خارجة عن الحصر والضبط فمثل هذا العموم لا يليق بكلام الله لانه قريب من الكذب فيحمل على ان اللفظ المستغرق على الاغلب عرف منه وايضا
روي ان عمر قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا وما سألناه عن الربوا ولو كان لان الربوا هو الزيادة ولا بيع الا ويقصد به الزيادة واذا تعارضا فانا قطعا
وجب الرجوع الى بيان النبي صلى الله عليه وسلم فمن جاءه موعظة من ربه فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهي فانتهى فامتنع من استحلال الربوا وتبع النهي فله ما سلف فلا يؤاخذ بما مضى منه
لانه اخذ قبل نزول التحريم كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف عن الزجاج التذكير في موعظة للتعظيم والتقليل اي موعظة بليغة او شيء من المواعظ
وقيل النهي المتاخر كيف يؤثر في الفعل المتقدم حتى يكون ما سلف ذنبا فالمراد له ما اكل من الربوا وليس عليه رد ما سلف عن السدي والسلف النقد
ومنه لا يمس الفقر وسلافة الخمر صفوتها لانه اول ما يخرج من عصيرها وامره الى الله لانه ان انتهى عن اكل الربوا كما انتهى عن استحلاله فهو مفوض الى الله
العامل بتكليفه فليس له الا الحكم بالثواب وان انتهى عن الاستحلال دون الاكل فان شاء عذبه وان شاء غفر له كقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما
دون ذلك لمن يشاء ومن عاد الى استحلال الربوا وانه مثل البيع فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لانه كفر باستحلال ما هو محرم اجماعا اما
القائلون بتخليد الفساق فيقولون ومن عاد الى اكل الربوا ثم انه تعالى لما بالغ في الزجر عن الربوا وكان قد بالغ في الآي السالفة في الحث على الصدقات ذكرها
يجري مجرى الداعي الى ترك الربوا وفعل الصدقة فقال يمحق الله الربوا ويربي الصدقات والمحق نقص الشيء حالا بعد حال ومنه محاق القمر وكل من محق
الربوا وارباء الصدقات اما في الدنيا واما في الآخرة وذلك ان الغالب في المرابي وان كثر ماله ان يؤول عاقبته الى الفقر وتزول البركة عن ماله عن ابن مسعود

ان الغنيمة قال الربوا وان كثر الى قل وذلك لدعاء الناس عليه ببغضهم اياه وسقوط عدالته وشهرته بالفسق والعدوان ومما يطمع الظلمة في ماله
منهم ان المالية الحقيقية ليس له واثق عن ابن عباس في تفسير هذا المحق ان الله تعالى لا يقبل منه صدقة ولا جهادا ولا حجا ولا صلة ثم ان مال الربوا لا يبقى عند
الموت ويبقى التبعة عليه وقد ثبت في الحديث ان الاغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام فهذا حال الغني من الحلال فكيف حال الغني من الحرام
المقطوع بحرمته قال القفال نظير قوله يمحق الله الربوا المثل الذي ضربه فيما تقدم كمثل صفوان عليه تراب ونظير قوله ويربي الصدقات المثل
الآخر كمثل حبة انبتت سبع سنابل روي عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل الصدقات ولا يقبل منها الا الطيب
ويأخذها بيمينه فيربيها كما يربي احدكم مهره او فلوه حتى ان اللقمة لتصير مثل احد وايضا المتصدق يزداد كل يوم جاهه وذكره الجميل ويميل القلوب اليه
وينقطع الاطماع عنه لانه متى اشتهر منه انه متشمر لاصلاح مهمات الضعفاء وسد خلة الفقراء فتبين ان الربوا وان كان زيادة في المال الا انه نقصان
في المآل والصدقة ان كان نقصانا في الحال الا انها زيادة في الاستقبال فعلى العاقل ان لا يلتفت الى ما يقضي به الحس والطبع ويعول على ما ندبه اليه العقل
والشرع والله لا يحب كل كفار اثيم الكفار فعال من الكفر ومعناه المقيم على الكفر المعتاد له والاثيم فعيل بمعنى فاعل وهو الآثم
البالغ في الاستمرار على اكتساب الآثام ومن ذلك لا يليق الا بمن ينكر تحريم الربوا فيكون جاحدا وهو يكون الكفار عائدا الى المستحل والاثيم
الى الآكل مع اعتقاد التحريم ويحتمل ان يكون كلاهما الى آكل الربوا ويكون تغليظا في امر الربوا وابانة انه من فعل الكفرة لا من فعل المسلمين وفي الآية دلالة
على انه تعالى سخط عليه بانه لا يحب الا من الجامع بين الاصرار على الكفر وبين المواظبة على سائر الآثام كالربوا فان استحلاله كفر وهو في
نفسه اثم مذموم في جميع الاديان لانه تسليط المحتاج بنوع من الاكراه والالجاء فبقي في الآية مسألة وهي جمع بين الامرين لا على سبيل الاصرار
والمواظبة ومن الذي يجمع بينهما ثم قد عرف بدليل ان الكفار الذين يواظبون على سائر الآثام ليسوا اهل محبة الله تعالى وذلك لا ينافي السكوت عن
حكمه ههنا والاعلم ثم ذكر الترغيب عقيب الترهيب على عادته من ذكر الوعد مع الوعيد فقال ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية فاحتج به من قال العمل الصالح
خارج عن مسمى الايمان كما سبق بيانه قال في الآية واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة مع ان الصلوة والزكوة من الاعمال الصالحة ووجه ان الاصل حمل كل لفظ
على فائدة جديدة ترك العمل به عند التفصيل فيبقى على الاصل لهم اجرهم عند ربهم لم يقل على ربهم لان الاول يجري مجرى ما اذا باع النقد كالنقد حاضر
متى شاء البائع اخذه والثاني جار مجرى البيع الذي نسيئة ولا شك ان الاول افضل ولا خوف عليهم عن ابن عباس اي فيما يستقبلهم من احوال القيمة ولا هم يحزنون
بسبب ما ذكروه في الدنيا فان المنتقل من حال الى حال اخرى فوقها ربما يتحسر على بعض ما فاته من الاحوال السالفة وان كان مغتبطا بالثانية لاجل الف وعادة
فبين تعالى ان هذا القدر من الندامة لا يلحق اهل الثواب الكرامة وقال الاصم لا خوف عليهم من عذاب يومئذ ولا يحزنون بسبب انه فاتهم النعيم الزائد الذي حصل
لغيرهم من السعداء لانه لا منافسة في الآخرة وايضا انهم لا يحزنون بسبب انهم تركوا متاع الدنيا لانهم اسكتوا حتى صاروا مستحقين لثواب زيد بما وجد
لان هذه المواظبة لا توجب الجنة وههنا سؤال وهو ان المرأة اذا بلغت عارفة بالله ثم لما بلغت حاضت وقد انقطع حيضها ماتت والرجل بلغ عارفا بالله
وقبل ان يجب عليه الصلوة والزكوة مات فهما بالاتفاق من اهل الثواب مع خلوهما عن الاعمال فكيف فعل الله ههنا حصول الاجر على حصول الاعمال والجواب
ان الوجبة الكلية لا تنعكس كيفما او فدلت الآية على ان كل مؤمن عمل صالحا فله الاجر ولا يلزم العكس الكلي ثم انه تعالى بين ان من انتهى عن الربوا فله ما سلف
كان يجوز ان يظن انه لا فرق بين المقبوض منه وبين الباقي في ذمة القوم فقال يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا فبين انه يحرم اخذ
ما بقي من الربوا في ذمتهم وان قبل كيف قال يا ايها الذين آمنوا ثم قال في آخره ان كنتم مؤمنين فالجواب من هذا كما يقال ان كنت اخي فاكرمني معناه ان من
كان اخا اكرم ومعناه ان كنتم مؤمنين او ان كنتم تريدون استدامة الحكم لكم بالايمان وبالايها الذين آمنوا بالسنتكم ذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين
بقلوبكم قال القاضي فيه دلالة على ان الايمان لا يتكامل اذا اصر الانسان على كبيرة وانما يصير مؤمنا بالاطلاق متى اجتنب كل الكبائر والجواب ان المراد ان كنتم
عاملين بمقتضى الايمان وهذا بناء على ان العمل الصالح غير داخل في مسمى الايمان وانما شرط الله في ذلك لان المنتظر لحلول الاجل قد حضر الوقت وظن
ان ذلك الزيادة حصلت له فيعظم منعها ويكون مشددا عليه فقال اتقوا الله واتقاؤه انما يكون باتقاء ما نهي عنه وهذه الآية اصل كبير في احكام
الكفار اذا اسلموا فان ما مضى في الكفر يبقى ولا ينقض ولا يفسخ وما لم يوجد منه في حال الكفر فحكمه محمول على الاسلام فاذا تناكحوا على ما يجوز عندهم ولا يجوز
في الاسلام فهو عفو لا يتعقب وان كان النكاح وقع على مهر حرام فقبضته المرأة فقد مضى وان كانت لم تقبضه فلها مهر مثلها دون ما سمي وهذا مذهب
الشافعي واما سبب نزول الآية فعن ابن عباس بلغنا ان هذه الآية نزلت في بني عمرو بن عمير بن عوف من ثقيف وفي بني المغيرة من بني مخزوم كانت بنو
المغيرة يربون لثقيف فلما اظهر الله رسوله على مكة وضع يومئذ الربوا كله فاتى بنو عمرو بن عمير وبنو المغيرة الى عتاب بن اسيد وهو على مكة فقال بنو المغيرة
ما جعلنا اشقى الناس بالربوا ووضع عن الناس غيرنا فقال بنو عمرو صولحنا على ان لنا ربانا فكتب عتاب في ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية والتي بعدها
فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله فعرف بنو عمرو ان لا يدان لهم بحرب من الله ورسوله وقال عطاء وعكرمة نزلت في العباس بن عبد المطلب
وعثمان بن عفان وكانا قد اسلفا في التمر فلما حضر الجداد قال لهما صاحب التمر لا يبقى لي ما يكفي عيالي اذا انتما اخذتما حقكما كله فهل لكما ان تأخذا النصف
وتؤخرا النصف وتضعفا لكما ففعلا فلما حل الاجل طلبا الزيادة فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاهما ونزلت الآية فسمعا واطاعا واخذا رؤس اموالهما وقال السدي
نزلت في العباس وخالد بن الوليد وكانا شريكين في الجاهلية يسلفان في الربوا فجاء الاسلام ولهما اموال عظيمة في الربوا فانزل الله تعالى هذه الآية فقال النبي

ألا إن كل ربا من ربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضعه ربا العباس بن عبد المطلب «فإن لم تفعلوا فأذنوا» قيل خطاب مع الكفار المستحلين للربا ومعنى
قوله «إن كنتم مؤمنين» معترفين بتحريم الربا «فإن لم تفعلوا» أي فإن لم تكونوا معترفين بتحريمه «فأذنوا» ومن ذهب إلى هذا القول قال فيه دليل على أن
من كفر بشريعة واحدة من شرائع الإسلام فهو خارج عن الملة كما لو كفر بجميع شرائعه وعلى هذا يكون ماله فيئا للمسلمين وقيل خطاب مع المؤمنين المصرين على
معاملة الربا لأنه خطاب مع قوم تقدم ذكرهم وهم المخاطبون بقوله «يا أيها الذين آمنوا» ومعنى قوله «فأذنوا» اعلموا به من جملة من الإيذان اعلموا
من لم ينته عن الربا بحرب من الله فالمعنى على هذه القراءة أعلموا بها غيركم فهم أيضا علموا وذلك لكن أبلغ في علمهم إلا أن إعلام غيرهم فيه التوكيد
في الإبلاغ آكد ممن قرأ «فأذنوا» من أذن بالشيء إذا علم به أي فاعلموا أنتم وعلى هذا فقيل كيف أمر بالمحاربة مع المسلمين قلنا هذه اللفظة قد تطلق على
من عصى الله غير مستحل كما جاء في الخبر من أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وعن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم من لم يدع المخابرة فليأذن بحرب من الله ورسوله
وقد جعل كثير من المفسرين والفقهاء قوله «إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله» أصلا في قطاع الطريق من المسلمين فثبت أن ذكر هذا النوع
من التهديد مع المسلمين وارد في كتاب الله وسنة رسوله ثم التفصيل فيه أن المصر على عمل الربا إن كان شخصا قدر الإمام عليه قبض عليه وأجرى عليه
حكم الله من التعزير والحبس إلى أن يظهر منه التوبة وإن كان ممن له عسكر وشوكة حاربه الإمام كما يحارب الفئة الباغية وكما حارب أبو بكر مانعي الزكاة وكذا
القول لو اجتمعوا على ترك الأذان وترك دفن الموتى فإنه يفعل بهم ما ذكرناه «وإن تبتم» من استحلال الربا ومن معاملة الربا «فلكم رؤوس أموالكم لا
تظلمون» الغريم بطلب الزيادة عليه «ولا تظلمون» أنتم بنقصان رأس المال «وإن كان ذو عسرة» وإن وقع غريم من غرمائكم في عسرة على أن كان
هي التامة بمعنى وجد الشيء وحدث ويحتمل أن تكون بمعنى حدث موصوف بشيء فلا يحتاج إلى خبر وقرأ عثمان ذا عسرة بمعنى وإن
كان الغريم والمستحق ذا عسرة وقراءة المشهورة أولى كيلا يكون النظرة مقصورة على الغريم المستحق بل يعم كل من هو من أرباب العسرة وهي اسم من الإعسار
وهو تعذر الموجود من المال «فنظرة» النظرة التأخير والإمهال والمعنى لا يتحقق والتقدير فالحكم أو فالأمر نظرة وقرئ فنظرة بسكون الظاء وقرأ عطاء فناظره
على الأمر أي فسامحه بالإنظار وناظره أي صاحب الحق منتظره أو صاحب نظرته على طريقة النسب مثل مكان عاشب وباقل أي ذو عشب وبقل «إلى ميسرة» اليسار ضد الإعسار وقرئ بضم السين
كمقبرة ومقبرة ومن قرأ بالإضافة إلى الضمير فقد حذف التاء كقوله «وإقام الصلاة» واختلفوا في أن حكم الإنظار مختص بالربا أم هو في الكل فعن ابن عباس
وشريح والضحاك والسدي وإبراهيم الآية في الربا قال الكلبي قال بنو عمرو لبني المغيرة هاتوا رؤوس أموالنا ولكم الربا ندعه لكم فقال بنو المغيرة نحن اليوم أهل
عسرة فأخرونا إلى أن ندرك الثمرة فأبوا أن يؤخروهم فنزلت «وإن كان ذو عسرة» وعن مجاهد وسائر المفسرين أنها عامة في كل دين لظاهر وقد كان تامة ولو
فرض أن سبب النزول خاص فلا بد من إلحاق سائر الصور به لأن العاجز عن أداء المال لا يجوز تكليفه به وهو قول أكثر الفقهاء كمالك وأبي حنيفة والشافعي والأمر
في الشرع هو أن لا يبقى له من ملكه ما يؤديه في عينه ولا يكون له مال يبيعه ولا يمكن أداء الدين من ثمنه فإن كان له ثوب لا يحتاج إليه إذا أمكنه
بيعها وأداء ثمنها ولا يجوز له أن يحبس إلا قوت يومه ولنفقة عياله مما لا بد لهم من كسوة لصلواتهم ودفع الحر والبرد عنهم واختلفوا في أنه هل يؤجر نفسه من صاحب
الدين وغيره الأصح أنه لا يلزمه كذا لو بذل له غيره ما يؤديه لا يلزمه القبول ولو كان له بضاعة كسدت عليه فواجب عليه أن يبيعها بالنقصان إن لم يمكن إلا
ذلك إذا علم الإنسان أن غريمه معسر حرم عليه حبسه وأن يطالبه بما له عليه ووجب الإنظار إلى وقت اليسار فأما إن كانت له ريبة في إعساره جاز أن يحبسه إلى
ظهور الإعسار وكذا لو ادعى الغريم الإعسار فإن كان الدين الذي لزمه حصل له عن عوض كالبيع والقرض فلا بد له من إقامة شاهدين عدلين على أن ذلك العوض قد هلك
ثم يكن عن عوض كالإتلاف والصداق والضمان صدق في القول قوله وعلى الغريم البينة لأن الأصل هو الفقر «وأن تصدقوا» على المعسر بما عليه من الدين بدل
على أنه فكر المعسر ونكر امرأته الخبر «خير لكم» لحصول الثناء الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى «إن كنتم تعلمون» أن التصدق خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعمل
بما علمه كأنه لا يعلمه أو تعلمون فضل التصدق على الإنظار والقبض وقيل وتعلمون أن ما يأمركم به ربكم أصلح لكم وقيل المراد بالتصدق الإنظار كقوله صلى الله عليه وسلم
لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره إلا كان له بكل يوم صدقة وضعف بأن الإنظار ثبت وجوبه بالآية الأولى فلا بد من حمل هذه على فائدة جديدة ولأن قوله خير لكم إنما
يليق بالمندوب لا بالواجب ثم إن المتعاملين بالربا كانوا أصحاب ثروة وجلالة وأعوان وتغلب على الناس فاحتاجوا إلى مزيد زجر ووعيد فلا جرم ختم أحكام
الربا بقوله «واتقوا يوما» والمراد اتقاء ما يحدث فيه من الشدائد والأهوال لا اتقاء نفسه وذلك لا يمكن إلا باجتناب المعاصي وفعل الأوامر في الدنيا فهذا القول
يتضمن الإتيان بجميع التكاليف وانتصب يوما على أنه مفعول به لا ظرف أي اتقوا ما يلقون من العمل الصالح والعقاب يوم «ترجعون فيه إلى الله» أي إلى ما أعد
لكم من ثواب أو عقاب أو إلى علمه وحفظه وذلك أن الإنسان له أحوال ثلاث على الترتيب الأولى كونه جنينا لا يملك نفعا ولا ضرا إلا لله الثانية بعد
فناء وهنالك يربيه الأبوان والنفع والضر ظاهرا لهما الثالثة بعد الموت وهنالك لا يكون التصرف فيه ظاهرا ولا في الحقيقة إلا لله فكأنه عاد إلى
الحالة الأولى وهذا معنى الرجوع إلى الله «ثم توفى كل نفس ما كسبت» أي جزاء ذلك على الكسب هو الجزاء كما يقال الكسب للرجل لما يحصل بتجارته والمراد أن كل
مكلف فإنه يصل إليه جزاء عمله بالتمام عند الرجوع إلى الله كقوله «فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره» ثم كان لقائل أن يقول
كيف يليق بأكرم الأكرمين إيصال العذاب إلى عبيده الكفار والفساق فقال «وهم لا يظلمون» بل العبد هو الذي أوقع نفسه في ذلك لو لم يكن الإنسان مكنه
وأزاح علته وسهل طريق الاستدلال عليه وأمهله هذا على أصول المعتزلة وأما على أصول الأصحاب فهو إشارة إلى أنه تعالى مالك الملوك وخالق الخلائق
والمالك إذا تصرف في ملكه كيف شاء وأراد لم يكن ظلما عن ابن عباس أنها آخر آية نزل بها جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبريل ضعها على رأس المائتين والثمانين

من البقرة وعاش النبي عليه السلام بعدها احدا وثمانين يوما وقيل احدا وعشرين وقيل سبعة ايام وقيل ثلث ساعات والله تعالى اعلم بحقيقة الحال التأويل
اخبر عن حرص اهل الدنيا وهم اكلة الربوا بصفة نكر وقناعة اهل العقبى فمثل اكل الربوا كمثل من به جوع الكلب يأكل ولا يشبع حتى ينتفخ بطنه ويثقل عليه فلا يقوم
الا كما يقوم المصروع لانه كلما قام صرعه ثقل بطنه ومثله قوله عليه السلام ان هذا المال خضر حلو وان مما ينبت الربيع يقتل حبطا او يلم الا آكلة الخضر فانها اكلت حتى
اذا امتدت خاصرتاها استقبلت عين الشمس فثلطت وبالت ثم رتعت فمن اخذه بحقه ووضعه في حقه فنعم المعونة هو ومن اخذه بغير حقه كان كالذي يأكل
ولا يشبع في الحديث مثلان احدهما للمفرط في جمع الدنيا بحيث يفضي به الى الهلاك في الدنيا او العقبى في جمع الدنيا واشار اليه بقوله ان مما ينبت الربيع يقتل حبطا او يلم و
ذلك ان الربيع ينبت احرار البقول فتستكثر منها الماشية لاستطابتها اياها حتى تنتفخ بطونها عند مجاوزتها حد الاعتدال فيتشق امعاؤها فتهلك او تقارب الهلاك
والآخر للمقتصد وذلك قوله الا آكلة الخضر وذلك ان الخضر ليست من احرار البقول وجيدها التي ينبتها الربيع بتوالي امطاره ولكنها من كلاء الصيف التي
ترعاها المواشي بعد هيج البقول ويبسها حيث لا تجد سواها فلا ترى الماشية تكثر منها وهو مثل التاجر يكتسب المال بطريق البيع الشرعي يؤدي حقه وان كان
لحرص في الطلب والجمع لكن لما كان بامر الشرع وطريق الحل ما اضرته احل الله البيع وحرم الربوا فكيف يكون مما ازال نور الامر ظلمته مثل ما زاد ظلمة الربوا
المنهي مرتكب الربوا في ظلمات ثلث ظلمة الحرص وظلمة المعصية وامره الى الله يرد فيه من حيث لا يحتسب فان الله لا يحب كل كفار بنعمة الشرع وانواع نعم
عامل بالطبع مقيم في ظلمة اصراره ثم اخبر عن العاملين بالشرع الخارجين عن الطبع الذين آمنوا ايمان التصديق بالتحقيق مقرونا بالتوفيق ثم خرجوا عن ظلمة
اتباع الهوى باقامة الصلوة وخرجوا عن ظلمة الركون الى الدنيا بايتاء الزكوة فجذبتهم العناية من حضيض العبدية الى ذروة العندية لهم اجرهم عند ربهم
ولا خوف عليهم من الرجوع الى ظلمات الطبيعة ولا هم يحزنون بفوت انوار الشريعة ثم اخبر عن اهل الايمان المجازي فقال يا ايها الذين آمنوا باللسان
اتقوا الله اي باطنه كما جاء كنا اذا احمر الباس تقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم اي جعلناه قدامنا ومن شرط المؤمن الحقيقي تقاؤه بالله في ترك الزيادات كما قال من حسن
اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وذروا ما بقي من الربوا اتركوا ما سوى الله طلبا ان كنتم مؤمنين ايمانا حقيقيا فان لم تفعلوا لم تتركوا كل زيادة تمنعكم
فأذنوا بحرب من الله ورسوله يبعدكم منهما ويبغضكم وان تبتم تركتم غيره فلكم رؤس اموالكم وهي الكرامة التي فضلكم بها على كثير من خلقه وهي المحبة
يحبهم ويحبونه لا تظلمون بوضع محبتي في غير موضعها من المخلوقات ولا تظلمون بوضع محبتكم في غير موضعها وان كان ذو عسرة لم يصل اليه ما
اعد له اجلا عاجلا فنظرة الى ميسرة وهو وقت حصول التجلي وان تصدقوا تبذلوا لوافينا ما يتمنون من صنوف برنا في الدنيا والعقبى على قدم
همتكم فهو خير لكم لانا نجازيكم على قدر همتكم ان كنتم تعلمون قدرها ومن يتوكل على الله فهو حسبه من شغله ذكري عن مسئلتي اعطيته
افضل ما اعطي السائلين ثم انه سبحانه كما جمع القرآن خلاصة الكتب كلها وجمع في خاتمة الوحي خلاصة القرآن فقال واتقوا يوما الآية وذلك ان
فائدة جميع الكتب جعل لمعنيين النجاة من الدركات السفلى وهي سبعة الكفر والشرك والجهل والمعاصي والاخلاق المذمومة وحجب الاوصاف و
حجاب النفس للفوز بالدرجات العلى وهي ثمانية المعرفة والتوحيد والعلم والطاعات والاخلاق المحمودة وجذبات الحق والفناء عن انانيته والبقاء بهويته
فقوله واتقوا شامل لما يتعلق بالسفلى لانسان منها لان حقيقة التقوى مجانبة ما يبعدك عن الله ومباشرة ما يقربك اليه فتقوى العام الخروج بالاسلام
بشرائطها وقبولها من الكفر بالمعرفة وعن الشرك بالتوحيد وعن الجهل بالعلم وعن المعاصي بالطاعات وعن الاخلاق المذمومة بالاخلاق المحمودة ثم من ههنا
تقوى الخاص تخرجهم جذبات الهداية من حجب صفاتهم الى رحمة تجلي صفات الحق فيستظلون بظل سدرة المنتهى عندها جنة المأوى فيتمتعون
بمواهب يغشى السدرة ما يغشى ثم من ههنا تقوى خاص الخاص فتخرجهم العناية بجذبات ما زاغ البصر وما طغى من سدرة المنتهى الاوصاف الى قاب قوسين
نهاية حجاب النفس الى انوار القدم وههنا من عرف نفسه فقد عرف ربه وهو مقام او ادنى ترجعون فيه الى الله لا مع ملك وجودك النحية واخرجا لك الجنة
وبها اصطفى آدم وكرم بنيه بهذا المعنى ولقد كرمنا بني آدم لان اهل الكرامة منهم من هو بوصف الرجال ومن النساء ثم وصف الرجال بقوله لا تلهيهم
تجارة ولا بيع عن ذكر الله فمن كان من النساء بهذا الوصف فهو من الرجال في المعنى ومن لم يكن من الرجال بهذا الوصف فهو من النساء في الحقيقة وفيه
الرجوع وعد لبشارة للاولياء ووعيد انذار للاعداء ثم توفى كل نفس ما كسبت فبقدر مراتبه في العبودية والتقوى تهتدي الى مقامات القرب من المولى في
وبحسب فنائهم عن حجاب نفسه يبقى ببقاء ذاته وهويته وهم لا يظلمون فان دخول النور في البيت خروج الظلمة منه انما يكون على مقدار سعة الروزنة
وصغره ولا يظلم الشمس عليه مثقال ذرة فاما من طغى وآثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هي المأوى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان
الجنة هي المأوى **يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب**
ای گروه آنان که گرویده‌اید چون معامله کنید به وامی تا مدتی نام برده پس بنویسید آن را و باید که بنویسد میان شما نویسنده به عدالت و ابا نکند نویسنده
ان يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فان كان الذي عليه الحق
که بنویسد چنانکه آموخت او را خدای پس بنویسد و باید که املا کند آنکه بر اوست حق و باید که بپرهیزد از خدا که پروردگار اوست و کم نکند از آن چیزی پس اگر بوده باشد آنکه بر اوست حق
سفيها او ضعيفا او لا يستطيع ان يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان
بی خرد یا ناتوان یا نتواند که املا کند او پس املا کند ولی او به عدل و گواه گیرید دو گواه از مردان شما پس اگر نبوده باشند دو مرد پس یک مرد و دو زن
ممن ترضون من الشهداء ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ولا تسأموا
از آنکه خوشنود باشید از گواهان تا اگر فراموش کند یکی از ایشان پس یاد دهد یکی دیگر را و سر باز نزنند گواهان چون خوانده شوند و ملول نشوید

ع

أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً

که بنویسید آنرا چه کم باشد یا بسیار تا مدت آن این روش راست‌تر است نزد خدا و درست‌تر برای گواهی و نزدیکتر به آنکه بشک نیفتید مگر آنکه بود سوداگری نقدی

تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُوا

که دست بدست میگردانید آنرا میان خود پس نیست بر شما باکی که ننویسید آنرا و گواه گیرید چون خرید و فروخت کنید و زیان رسانیده نشود نویسنده و نه گواه و اگر چنین کنید

فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ

پس هرآینه آن نافرمانی است بشما و بپرهیزید از خدا و می‌آموزد شما را خدا و خدا بهمه چیزی داناست و اگر بوده باشید در سفر و نیابید نویسنده پس گرو بهید گرفته شده

فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ

پس اگر امین داند بعضی از شما بعضی را پس باید که ادا کند آنکه امین شمرده شد امانت او را و بپرهیزد از خدا که پروردگار اوست و پنهان مکنید گواهی را و هرکه پنهان کند آنرا پس گناهکار است دل او و خدا

بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ القراءة ان تضل هو بسكون الهاء قتيبة والحلواني عن قالون الباقون بالضم على الاصل ان تضل بكسر الهمزة على الشرط حمزة والمفضل بآنچه میکنید داناست الباقون بالفتح على انها ناصبة فتذكر بالتشديد والرفع حمزة وحده فتذكر بالرفع من الاذكار ابو زيد عن المفضل فتذكر من الاذكار والنصب ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير وقتيبة الباقون فتذكر بالتشديد والنصب تجارة حاضرة بالنصب فيهما عاصم الباقون بالرفع فيهما فرهن بضم الراء والهاء ابن كثير وابو عمرو الباقون فرهان الوقوف فاكتبوه ط للعدل بالعدل ص لعطف المتفقين فليكتب ج شيئا ط بالعدل ط من رجالكم ج للتفصيل مع فاء التعقيب الاخرى ط دعوا ط للعدول الى اجله ط الا تكتبوها ط للابتداء بالامر اذا تبايعتم ص لعطف المتفقين ولا شهيد ط بكم ط واتقوا الله ط ويعلمكم الله ط عليم مقبوضة ط للابتداء بالشرط واستيناف معنى آخر بربه ط للعدول الشهادة ط قلبه ط عليم التفسير الحكم الثالث المداينة وسبب النظم ان الحكمين المتقدمين وهما الانفاق وترك الربوا كلاهما سبب لنقصان المال فارشد الله تعالى في هذه الآية بعدهما الى كيفية حفظ المال الحلال وصونه عن التلف والبوار ورعاية وجوه الاحتياط فان مصالح المعاش والمعاد موقوفة على ذلك ولهذه الدقيقة بالغ في الوصاية والمشهور عن ابن عباس ان المراد به السلم وقال لما حرم الربوا اباح السلف وانزل آية هي اطول آية ولهذا قال بعض العلماء لا لذة ولا منفعة يتوصل اليها بالطريق الحرام الا وقد جعل الله سبحانه لتحصيل مثلها طريقا حلالا وسبيلا مشروعا والتداين تفاعل من الدين يقال داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا او آخذا والمراد اذا تعاملتم بما فيه دين وذلك ان البياعات على اربعة اوجه احدها بيع العين بالعين كبيع امة بامة والثاني بيع الدين بالدين وهو باطل فيبقى ههنا بياعان بيع العين بالدين وهو ما اذا باع شيئا بثمن مؤجل وبيع الدين بالعين وهو المسمى بالسلم وكلاهما داخلان تحت الآية واما القرض فلا يدخل فيه لانه غير الدين لغة فان الدين يجوز فيه الاجل والقرض لا يجوز فيه الاجل الفائدة في قوله بدين مع ان تداينتم يغني عنه ان التداين بمعنى المجازات او التأكيد مثل ولا طائر يطير بجناحيه وليشمل اي دين كان صغيرا او كبيرا سلما او غيره وفي الكشاف فائدته رجوع الضمير اليه في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر لوجب ان يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن لانه ابين لتنويع الدين الى مؤجل وحال ولانه كالمطابقة وقد التمسه منهم على ذلك النمط وقيل يكون البيع تدليسا يحصل فيه دين واحد فيخرج بيع الدين بالدين فانما لم يقل كلما تداينتم ليكون نصا في العموم لان الكلية تفهم من بيان العلة في قوله ذلكم اقسط عند الله فان العلة قائمة في الكل ويقول العلة هي المداينة والعلة لا ينفك عنها معلولها فيكون القضية كلية كما في قوله اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا والاجل مدة الشيء ومنه اجل الانسان لمدة عمره وفائدة قوله مسمى ان يعلم ان من حق الاجل ان يكون معلوما كالتوقيت بالسنة والاشهر والايام وانه لو قال الى الحصاد او الدياس او قدوم الحاج لم يجز لعدم التسمية ثم انه تعالى امر في المداينة بشيئين الكتبة والاستشهاد ليكون كل المتداينين اوثق وآمن من النسيان والتفاوت والمخالفة في مقدار الدين وفي انقضاء الاجل خصوصا بعد ما تنازعا عليه ثم هذا الامر قيل للوجوب وهو مذهب عطاء وابن جريج والنخعي وجمهور المجتهدين على انه للندب لاجماع المسلمين قديما وحديثا على البيع بالاثمان المؤجلة من غير كتبة ولا اشهاد ولان في ايجابهما حرجا وتضييقا وقيل كانا واجبين فنسخا بقوله فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وهذا مذهب الحسن والشعبي والحكم بن عيينة اما المخاطب بقوله فاكتبوه فليس كل احد لوجوه منها كثير من الناس لا يحسن الكتبة ولهذا قال وليكتب بينكم كاتب بالعدل فالامر على الاملاء ولكنه يجب ان يكون الكاتب متصفا بالعدل فيكتب بحيث لا يزيد في الدين ولا ينقص عنه ولا يخص احدهما بالاحتياط دون الآخر ويحترز عن الالفاظ المجملة التي يقع النزاع في المراد منها وهذا في الحقيقة امر للمتداينين بتخير الكاتب وان لا يستكتبوا الا فقيها دينا قال بعض الفقهاء العدل ان يكتبه متفقا عليه بين المجتهدين لا يكون بحيث يجد قاض من قضاة المسلمين سبيلا الى ابطاله وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ ولا يمتنع احد من الكتاب وهو معنى التنكير في كاتب ان يكتب وقوله كما علمه الله اما ان يكون متعلقا بما قبله فالتقدير ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله ثم قيل بعد ذلك فليكتب تأكيدا للاول فليكتب تلك الكتابة التي علمه الله تعالى اياها او بما بعده فيكون الاول نهيا عن الامتناع مطلقا والثاني امرا بالكتابة المقيدة المعلمة لا دلالة على التقييد فلا يكون الثاني تأكيدا للاول وانما يكون بيانا ثم النهي عن الامتناع عن الكتابة لكل كاتب انما هو على سبيل الارشاد والاولى تحصيل الحاجة المسلم وشكرا لما علمه الله من كتابة الوثائق فهو كقوله واحسن كما احسن الله اليك وقيل انه على سبيل الايجاب لكنه نسخ بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد وعن الشعبي انه فرض كفاية فان لم يجد الا كاتبا واحدا وجبت الكتبة عليه وان وجد متخلصا فاولى ان يكتبه احدهم وقيل متعلق الايجاب هو

في الشهادة

فيكون الحكم خاصا في الكل

الكون ما

ان يكتب كما علمه الله يعني انه ينبغي ان يكتب كما علمه الله وان لا يخل بشرط من الشروط كيلا يضيع مال المسلم باهمال واعلم ان الكتابة
بعد حصول الكاتب العارف بشروط الصكوك والسجلات لا يتم الا باملاء من عليه الحق ليدخل في جملة املائه اعترافه بمقدار الحق وصفته واجله
الى غير ذلك فلهذا قال سبحانه وليملل الذي عليه الحق والاملال والاملاء لغتان قال الفراء امللت عليه الكتاب لغة الحجاز وبني اسد وامليت
لغة بني تميم وقيس وقد نطق القرآن بهما قال فهي تملى عليه بكرة واصيلا وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا امر لهذا الممل الذي عليه الحق بان يقر
بتمام المال الذي عليه لا ينقص منه شيئا والبخس النقص فان كان الذي عليه الحق سفيها محجورا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف او ضعيفا مقعدا
او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لعي به او خرس فليملل وليه بالعدل والمراد بولي الذي
عليه الحق الذي يلي امره ويقوم بمصالحه من وصي ان كان سفيها او صبيا او وكيل ان كان غير مستطيع او ترجمان يمل عنه وهو يصدقه وفائدة
توكيد المتصل بالمنفصل في قوله ان يمل هو انه غير مستطيع بنفسه لكن بغيره وهو الذي يترجم عنه وعن ابن عباس ومقاتل والربيع ان الضمير في وليه
عائد الى الذي اي الذي له الدين يملل قيل وفيه بعد لان قول المدعي كيف يقبل ولو كان قوله معتبرا لما احتاج الى الكتابة والاشهاد ثم المقصود
الكتابة هو الاستيثاق ليتمكن بالشهود من التوصل الى تحصيل الحق ان جحد فلهذا قال تعالى واستشهدوا اي اشهدوا والاشهاد والاستشهاد
بمعنى لان معنى استشهد سأله ان يشهد شهيدين اي شاهدين فعيل بمعنى فاعل واطلاق الشهيد على من سيكون شهيدا تنزيل لما يشارف
منزلة الكائن ومعنى قوله من رجالكم اي من رجال اهل ملتكم وهم المسلمون وقيل يعني الاحرار وقيل من رجالكم الذين تعدونهم للشهادة من
اهل العدالة فان لم يكونا اي الشهيدان رجلين فرجل وامرأتان اي فليكن او فليشهد رجل وامرأتان او فرجل وامرأتان يشهدون
جميع هذه التقديرات جائز حسن ذكره علي بن عيسى ممن ترضون من الشهداء وفيه دليل على انه ليس كل احد صالحا للشهادة والفقهاء قالوا
شرائط قبول الشهادة ان يكون حرا بالغا عاقلا مسلما عدلا عالما بما يشهد به لا يجر بتلك الشهادة منفعة الى نفسه ولا يدفع مضرة عنها ولا يكون
معروفا بكثرة الغلط ولا بترك المروءة ولا يكون بينه وبين من يشهد عليه عداوة وعن علي لا يجوز شهادة العبد في شيء وبه قال الشافعي وابو حنيفة
وذلك لانه تعالى قال ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا والاجماع منعقد على ان العبد لا يجب عليه الذهاب بل يحرم عليه ذلك ما لم يأذن له السيد فعلم
منه ان العبد لا يجوز ان يكون شاهدا وعند شريح وابن سيرين واحمد يجوز شهادة العبد قالوا لان العقل والعدالة والدين لا يختلف بالحرية
والرق وعند ابي حنيفة يجوز شهادة الكفار بعضهم على بعض على اختلاف الملل ان تضل ان لا تهتدي احداهما للشهادة بان نسيها فالعلة البرد
والطوية على مرجعهن اذا حكى النقيض فان الانسان لا يخلو من النسيان فتذكر احداهما الاخرى وانتصابه على انه مفعول له اي ارادة ان تضل قال
في الكشاف فان قلت كيف يكون ضلالها مرادا لله تعالى قلت لما كان الضلال سببا للاذكار والاذكار مسببا عنه وهم ينزلون كل واحد من السبب والمسبب
منزلة الآخر لالتباسهما واتصالهما كانت ارادة الضلال المسبب عنه الاذكار ارادة للاذكار فكانه قيل ارادة ان تذكر احداهما الاخرى ان ضلت
نظيره قولهم اعددت الخشبة ان يميل الحائط فادعمه واعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه وفي التفسير الكبير ان ههنا غرضين احدهما حصول الاشهاد
وذلك لا يتاتى الا بتذكير احدى المرأتين والثاني بيان تفضيل الرجل على المرأة حتى يتبين ان اقامة المرأتين مقام الرجل الواحد هو العدل في القضية
وذلك لا يتاتى الا بضلال احدى المرأتين فلهذا لما كان كل من الغرضين مقصودا لا يحصل الا ومن قرأ بكسر ان على الشرط والجزاء فلا اشكال وروي عن
سفيان بن عيينة انه قال فتذكر معناه فتجعل احداهما الاخرى ذكرا يعني انهما اذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر ولا يخفى ما فيه من التعسف واعلم ان الشهادة خبر
قاطع ولهذا قال عليه السلام على مثل الشمس فاشهد او فدع وقد يقام الظن المؤكد فيه مقام اليقين ضرورة وقول الشاهد الواحد يكفي للحكم به الا في
هلال رمضان كما مر ولا يحتاج الى ازيد من اثنين الا في الزنى لقوله تعالى ثم لم يأتوا باربعة شهداء وقال فاستشهدوا عليهن اربعة منكم ولا
يعتبر فيه شهادة النساء عن الزهري انه قال مضت السنة من رسول الله والخليفتين بعده ان لا يقبل شهادة النساء في الحدود وغيرها الا
رمضان والزنى ما عقوبة او غيرها فان كان عقوبة فلا يثبت الا برجلين لما مر من حديث الزهري ويستوي فيه حق الله كحد الشرب وقطع الطريق
وحق العباد كالقصاص وحد القذف واما غير العقوبات فان الذي لا يقصد به المال ان كان مما يطلع عليه الرجال غالبا كالنكاح والرجعة والطلاق
والعتاق والاسلام والردة والبلوغ والولاء وانقضاء العدة وجرح الشهود وتعديلهم والعفو عن القصاص فكل ذلك لا يثبت الا برجلين وان
كان مما يختص بمعرفة النساء غالبا فيقبل فيه شهادتهن على الانفراد لما روي عن الزهري انه قال مضت السنة بان يجوز شهادة النساء في كل شيء
لا يليه غيرهن من ذلك كالولادة والبكارة والثيابة والرتق والقرن والحيض والرضاع وعيب المرأة من برص وغيره تحت الازار ولا يثبت باقل من
اربع نسوة تنزيلا لاثنتين منهن منزلة رجل وما يثبت بهن يثبت برجل وامرأتين وبرجلين بالطريق الاولى واما ما هو مال او يقصد به المال كالاعيان
والديون والعقود المالية من البيع والاقالة والرد بالعيب والاجارة والوصية بالمال والحوالة والضمان والصلح والقرض فيثبت بشهادة رجل
وامرأتين بوقوعها بشهادة رجلين بنص القرآن منزل على هذا القسم الذي قبله يجوز الشافعي القضاء بشاهد واليمين لما روي انه قضى بشاهد
واليمين انكره ابو حنيفة ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لما زائدة مبهمة اي اذا دعوا وقيل اي الى اداء الشهادة عند احتياج صاحب الحق اليها
وقيل الى تحمل الشهادة وهو قول قتادة واختاره القفال قال كما امر الكاتب ان لا يابى الكتابة امر الشاهد ان لا يابى تحمل الشهادة وقيل المراد بها

اذا لم يوجد غيره وحمله الزجاج على مجموع الامرين التحمل اولا والاداء ثانيا والقول الاول اصح لانه تطلق عليهم لفظ الشهداء والاصل في الاطلاق الحقيقة
وتسميتهم قبل التحمل شهداء مجاز لا يعدل اليه الا لضرورة وآية التحمل غير واجبة على الكل بخلاف الاداء بعد التحمل وآية الامر بالاشهاد يتضمن الامر بتحمل
الشهادة فكان صرف قوله ولا يأب الشهداء الى الامر بالاداء اولى ليفيد فائدة جديدة وعن الشافعي ان الشاهد ان كان متعينا وجب عليه اداء الشهادة
وان كان فيهم كثرة كان الاداء فرضا على الكفاية ولا تسأموا لا تضجروا ولا تملوا ان تكتبوه اي الدين والحق لتقدم ذكرهما على الاحتمال كان الحق
صغيرا او كبيرا على ما جرت العادة بكتبه كالحبة والقيراط فان القليل من المال ربما افضى الى نزاع كثير وانما نهى عن السآمة لانها من الكسل والكسل
من صفة المنافق وانه من كثرت مدايناته فاحتاج الى ان يكتب لكل دين صغير او كبير كتابا فربما مل لكثرة الكتب فقطع العالم رعية الصحابة ويجوز ان يكون الضمير
للكتاب فان تكتبوه مختصرا او مشبعا ولا تخلوا بكتابته الى اجله الى وقته الذي تتفقا على تسميته ذلكم الكتب اقسط لكم الذي امرتكم به من الكتب في الاشهاد اقسط
اعدل عند الله واقوم للشهادة واعون على اقامة الشهادة وبناؤهما من اقسط واقام فيكون نحو ما يحكى عنهم افلس من ابن المذلق فاما من قويم وقاسط
بمعنى ذي قسط على طريقة النسب لا القاسط بمعنى الجائر ولا يصح ان يكون المعنى هنا بمعنى قسط جار واقسط اي عدل وادنى الا ترتابوا اقرب من نفي
الريب نبه الله تعالى على الكتابة والاشهاد ثلث فوائد الاولى تتعلق بالدين لانه اذا كان مكتوبا كان الى اليقين اقرب وعن الجهل ابعد فيكون اعدل
عند الله والثانية تتعلق بالدنيا وهو كونه ابلغ في الاستقامة التي هي ضد الاعوجاج واعون على الحفظ والذكر والثالثة انه يرفع الضرر عن نفسه بان لا
يشك في امره ولا يتردد وعن غيره بان لا ينسبه الى الكذب والخيانة فلا يقع في الغيبة والبهتان وما احسن هذه الفوائد وما ادخلها في الضبط والترتيب
الا ان تكون تجارة قيل هو راجع الى قوله اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه فان البيع بالدين قد يكون الى اجل قريب وقد يكون الى اجل بعيد
على انه ربما يكون اجله قريبا ويحتمل ان يكون استثناء من قوله ولا تسأموا ان تكتبوه وقد يقال انه استثناء منقطع التقدير لكن اذا كانت التجارة
حاضرة فليس عليكم جناح فيكون كلاما مستأنفا على سبيل الامر بعد الا والتجارة تصرف في المال لطلب الربح سواء كانت المبايعة بدين
او بعين فالتجارة حاضرة يدا بيد والمراد بالتجارة هنا ما يجري بينهم من الابدال ومعنى ادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد المعنى الا ان تتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد
ومن قرأ تجارة بالرفع فعلى كان التامة او الناقصة والخبر تديرونها ومن قرأها بالنصب فالتقدير الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة كقول الكاتب
اسد هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا اي اذا كان اليوم يوما واليوم الاشنع هو الذي تشتد شره وعلاه وذو كواكب اي شديد يرى فيه
الشمس لا ترى فيه الكواكب فلما قال الزجاج تقديره الا ان تكون المداينة تجارة حاضرة اي يكون دينا قريبا من حاضر فليس عليكم جناح الا تكتبوها
ومعنى رفع الجناح عدم الضرر لا عدم الاثم والا لزم ان يكون الكتابة المذكورة اولا واجبة وقد اثبتنا خلاف ذلك وانما خص هذا النوع من التجارة
لكثرة جريانها فيما بين الناس فتكليفهم الكتابة في كل قليل وكثير حرج عليهم مع ان خوف التجاحد فيه قليل واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع كانه لما رفع
عنهم الكتابة في التجارة الحاضرة كرر الامر بالاشهاد ليعلم ان حكمه باق فيها لان الاشهاد بلا كتابة تخف مؤنته ويحتمل ان يكون امرا بالاشهاد
مطلقا ناجزا كان التبايع او كالئا لانه احوط وعن الحسن ان شاء اشهد وان شاء لم يشهد وعن الضحاك هي عزيمة من الله ولو على باقة بقل ولا يضار
كاتب ولا شهيد يحتمل ان يكون مبنيا للفاعل فيكون اصله لا يضارر بكسر الراء وهو قراءة عمر وعليه اكثر المفسرين والحسن وطاوس وعن قتادة ومعناه
نهى الكاتب ان يزيد او ينقص والشاهد ان يحرفا او يتركا الاجابة الى ما يطلب منهما ولهذا قال وان تفعلوا فانه فسوق بكم فان التحريف في الكتابة
والشهادة فسوق واثم وعن ابن مسعود وعطاء ومجاهد ان التقدير لا يضارر بفتح الراء وهو قراءة ابن عباس نهي للمداينين عن الضرار بالكاتب
والشهيد كان يعجلا عن مهم ويلزا او لا يعطى الكاتب حقه من الجعل ويحمل الشهيد مؤنة مجيئه من بلد فان تفعلوا ما نهيتكم عن الضرار او كل ما نهيتكم
عنه من فعل معصية وترك طاعة ليكون عاما فانه فان الضرار وارتكاب النهي فسوق بكم خروج عن امر الله وطاعته ومعنى بكم اي ملتصق بكم او
اتقوا الله في اوامره ونواهيه ويعلمكم الله ما فيه صلاح الدارين والله بكل شيء من مصالح عباده عليم واعلم انه سبحانه جعل البياعات في هذا
المقام على ثلثة اقسام بيع بكتاب وشهود وبيع برهان مقبوضة وبيع بالامانة ولما بين القسم الاول شرع في الثاني وقال وان كنتم على سفر

ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة واتفق الفقهاء على ان الارتهان لا يختص بالسفر ولا بحالة عدم وجدان الكاتب كيف وقد ثبت ان رسول الله
رهن درعه في غير سفر ولكن وردت الآية على الغالب فان الغالب لا يوجد الكاتب في السفر او لا يوجد ادوات الكتابة ولهذا قال
ابن عباس ارأيت ان وجدت الكاتب لم تجد الصحيفة والدواة وقرئ ولم تجدوا كتابا ونظيره فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم
وليس الخوف من شرط جواز القصر وكان مجاهد والضحاك يذهبان الى ان الرهن لا يجوز في غير السفر لظاهر الآية ولا يعمل بقولهما اليوم واصل
الرهن من الدوام رهن الشيء اذا دام وثبت ونعمة راهنة اي دائمة ثابتة والرهن مصدر جعل اسما وذلك عند علو العقل فاذا قلت رهنت عنده رهنا لم يكن
انتصابه انتصاب المصدر ولكن انتصاب المفعول به كما تقول رهنت ثوبا ولهذا جمع جمع الاسماء وله جمعان رهن بضمتين كسقف وسقف ورهان

مثل كباش وكبش وقيل الرهن جمع الرهان فهو جمع الجمع وفي الكلام حذف تقديره فرهن مقبوضة بدل من الشاهدين او فعليه رهن او فالوثيقة والذي يستوثق
به رهن ويعلم من قوله مقبوضة ان الرهن لا يتم الا بالقبض والمراد باللزوم ان لا يكون للراهن الرجوع عن الرهن ولا للمرتهن من الاثمان
وقبض المرهون المشاع انما يحصل بقبض الكل وقبل القبض يصح الرهن ولكن لا يلزم واما صورة القبض فقبض العقار انما يحصل بتخلية الراهن

بينه وبين المرتهن او وكيله ويمكنه منه بتسليم المفتاح وفي المرهون مفتاح قبض المنقول يحصل بالنقل من موضعه الى موضع لا يختص بالراهن كالشارع
والمسجد وملك المرتهن وان كان المنقول مقدرا فلا بد من التقدير بما يقدر به من وزن او كيل او ذرع ولو نقل من بيت من دار الراهن الى بيت آخر
باذنه او وضعه الراهن بين يدي المرتهن اذا امتنع من قبضه حصل القبض ثم انه تعالى ذكر بيع الامانة فقال فان امن بعضكم بعضا فان امن بعض
الدائنين بعض المديونين بحسن ظنه به وثقته بانه لا يجحد الحق ولا ينكره فليؤد الذي اؤتمن امانته فليكن المديون عند ظن الدائن به و
سمي الدين امانة وان كان مضمونا لائتمانه عليه بترك الارتهان منه والحاصل انه مجاز مستعار وذلك انه لما اشتبه هذا الدين مع
الامانة الشرعية في وصف جحود الامانة اللغوية اطلق احدهما على الآخر والايمان افتعال من الامن وليتق الله ربه في ان لا يجحد خلاف
جحود واخفاء وفي الآية قول آخر وهو انه خطاب للمرتهن بان يؤدي الرهن عند استيفاء المال فانها امانة في يده والصحيح هو الاول
ومن الناس من قال هذه الآية ناسخة للآيات المتقدمة الدالة على وجوب الكتبة والاشهاد واخذ الرهن والحق ان تلك الاوامر محمولة على
الارشاد ورعاية وجوه الاحتياط وهذه الآية محمولة على الرخصة وعن ابن عباس انه قال في آية المداينة نسخ ثم قال ولا تكتموا الشهادة وفيه
وجوه الاول عن القفال انه تعالى لما اباح ترك الكتبة والاشهاد والرهن عند اعتقاد كون المديون امينا ثم كان من الجائز ان يكون الظن خطأ
وان يخرج المديون جاحد الحقوق كان من الممكن ان يكون بعض الناس مطلعا على حالهم ندب الله ذلك الانسان ان يشهد لصاحب الحق
بحقه سواء عرف صاحب الحق تلك الشهادة ام لا وشدد فيه بان جعله آثم القلب لو تركه وعلى هذا يمكن ان يحمل قوله خير الشهود من شهد
قبل ان يستشهد وقيل المراد من كتمان الشهادة ان ينكر العلم بتلك الواقعة وقيل المراد بالكتمان الامتناع من ادائها عند الحاجة الى اقامتها اذ
في ذلك بطلان حق المسلم وحرمة مال المسلم كحرمة دمه فلهذا بالغ في الوعيد فقال ومن يكتمها فانه آثم قلبه والآثم الفاجر والاثم مرتفع بان
وقلبه فاعله ويجوز ان يكون قلبه مبتدأ وآثم خبره مقدما عليه والجملة خبر ان وفائدة ذكر القلب والتخصيص بجملة آثم لا قلبه وحده هو ان افعال
الجوارح تابعة لافعال القلوب ومتولدة مما يحدث في القلب من الدواعي والصوارف فاسناد الفعل الى القلب الذي هو محل الاقتراف ومعدن
الاكتساب ابلغ كما يقال عند التوكيد هذا مما ابصرته عيني وسمعته اذني وعرفه قلبي وعن النبي ان في جسد ابن آدم لمضغة اذا صلحت صلح
بها سائر الجسد واذا فسدت فسد بها سائر الجسد الا وهي القلب ثم عند كثير من المتكلمين ان الفاعل والعارف والمأمور والمنهي هو القلب والله بما
تعملون عليم فيه تحذير للكاتم ولهذا نقل عن ابن عباس اكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله تعالى فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان

الشهادة التأويل انه تعالى كما امر العباد ان يكتبوا كتاب المبايعة فيما بينهم ويستشهدوا عليه العدول فقد كتب كتاب مبايعة جرت بينه وبين
عباده في الميثاق ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الى قوله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به واشهد الملائكة
الكرام وان عليكم لحافظين كراما كاتبين وانه تعالى كما امركم ان لا تسأموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا امر الملائكة ان يكتبوا اعمالكم الصغيرة
والكبيرة ثم عند خروجكم من الدنيا يجعلون ذلك في اعناقكم وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ثم نودي من سرادقات الجلال ما قوي الظلم
ضعيف الحال اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ثم ان الكتاب يكتبون عليه في صباحه ومسائه وما يكتبون الا من املائه واملاء نفسه بالقليل
والكثير بما يرى على خاطره بالنقير والقطمير فلا يميل عن الحق بما عليه فليحاسب نفسه قبل ان يحاسب فعليه ان يملي الحق بالحق وان كان الذي عليه
الحق سفيها جاهلا باملاء الحق لاشتغاله بالباطل او ضعيفا عاجزا مغلوبا بغلبات نفسه او لا يستطيع ان يمل هو لكونه ممنوعا بالعوائق
والعلائق لا قدرة له على املاء ما ينفعه ولا يضره ولا قوة له فيما لا يجزيه فليملل وليه بالعدل فان لكل قوم وليا يخرجهم من الاخراج
الى الشهود ومن الايمان الى العصو ومن الاشجان الى الجود ومن العجز والفتور الى القوة والحضور الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى
النور واستشهدوا شهيدين استحضروا من ارباب القلوب شهيدين من رجالكم الذين هم بالنسبة اليكم بمنزلة الانبياء فان لم يكونا رجلين
من ارباب القلوب فرجل منهم وامرأتان اي رجلان من اهل الصلاح ليكونا بمثابة رجل من اهل الولاية في فائدة الصحبة ممن ترضون من
الشهداء ومن يصلح ان يكون من شهداء الله كما قال انتم شهداء الله في ارضه ان تضل احديهما عن جادة الاستقامة في بادية النفس المملوءة من

شياطين الهوى فتذكر احديهما الاخرى بالرفق ثم الطريق واعلم ان اهل الدين ثلاثة اصناف الواقفون والسائرون والطائرون فالواقف من وقف
في عالم الصورة ولم يفتح له باب الى عالم المعنى كان كالفرخ المحبوس في قشر البيضة فيكون سيره في عالم المعاملات البدنية ولا سبيل له الى عالم القلب ومعاملاته
فهو محبوس في سجن الجسد عليه موكلان من الكرام يكتبان عليه من اعماله الظاهرة بالنقير والقطمير ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد واما
السائر فلا يقف في مقام ولا ينزل في منزل بل يسافر من عالم الصورة الى عالم المعنى ومن ضيق الاجساد الى متسع الارواح وهم صنفان سيار وطيار
فالسيار من يسير بقدمي الشرع والعقل على جادة الطريقة والطيار من يطير بجناحي العشق والهمة في فضاء الحقيقة وفي حال جلجلة الشريعة قال تعالى
في قوله وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا اي السيار الذي يخلص من سجن الجسد وقيد الحواس ودفع التوكيل فلم يوجد له كاتب يكتب عليه كما
قال بعضهم ما كتب على صاحب الشمال منذ عشرين سنة وقال بعضهم كاشف صاحب اليمين وقال الحامل على يمينا من معاملات قلبك
لاكتبه فاني اريد ان اتقرب بها الى الله فقلت له حسبك لما رضي الطالب ان يعبد التوكيل الى ان يؤدي صاحب الحق ويكون معاينا بامنه فاما الذي

اناء الليل واطراف النهار بعد شوبروح في حلبة عزته مابرح في حريم قدسه فلا يحتاج الى التوكيل والتقييد فالذي هو موكل على الباب يكون وكيلاً وحفيظاً للطالب له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله وللسائرين رهان مقبوضة عند السر رهان واية رهان قلوب الناس فيها عند الله قبض واي قبض مقبوضة بين اصبعين من اصابع الرحمن اما الطيار الذي هو عاشق مفقود القلب مغلوب العقل مجذوب الى سرادقات الرحمن فانه مبطوش بطشه الشديد متيهم مشتاق مذهبه فهوى من عز تطلبه كل امرئ في الهوى عجب وعلامتي عجبه وانما يحتاج الى الرهن المتهم بالخيانة لا المتعين للامانة فلم يوجد في السموات والارض ولا في الدنيا والاخرة امين يؤتمن لتحمل عبء امانة الا العاشق السكران لما نظر اليها كان فراش تلك الشمعة عشقها فطار فيها لا بل حملها فلما حملها واستحق منها ما تفرد به من جمالها برجاء وصاله من الحضرة العالية فنفخ في البداية الى الافساد وسفك الدماء اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ووقع في النهاية بالظلم والجهل انه كان ظلوماً جهولاً هذا امر عجيب فشرع غريب من لم يطع في حمل الامانة وابت الحمل كالامانة الطاعة والامانة مكين ثم مطاع ثم امين ومن اطاع في حمل الامانة واتى الى الظلم والجهل والفساد والخيانة نعم انما يكون ذلك لوجهين احدهما ان الذلة والمسكنة وقعت في قسم العاشق كان العز والعظمة وقعت في طرف المعشوق بل جمال العزة المعشوق لا يظهر الا في مرآة ذلة العاشق وثانيهما ان من كمال العزة الامانة يلزم كمال ذلة المؤتمن في الظاهر بصلاح كتمان امر الامانة وهو يختص عن المؤتمن بحسن الثناء عليه فيكون عزته في الظاهر وذلته في الحقيقة بل على حقيقة حفظ السر خطاب يحمد ذا لادم وعتاب اني اعلم ما لا تعلمون فان امن بعضكم بعضاً كالخير لك من بين الخليقة واصطفيناك على البرية بحمل الامانة فليؤد الذي اؤتمن امانته ولا تكتموا الشهادة اشهدتكم على انفسكم يوم الميثاق فاقررتم بقبول الامانة فقلتم بلى شهدنا فالبوم اطالبكم باداء حقها فادوها الى ملقوفه بلعاف التقوى لا يمان عريان ولباس التقوى وكتمان الشهادة ان يكون شهود ذلك مع غير شواهد ايامك هذا من نتائج خيانة قلبك امانة ربك فلا تشاهد غيرك لا تشاهد ذلك لا تؤدي سرك حقيقة امانة ربك الا الى محبك لربك **لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء**

بسا خداست وآنچه در زمین است واگر ظاهر سازید آنچه را که در نفسهای شماست یا پنهان دارید آنرا حساب کند شما را خدا پس بیامرزد آنرا که خواهد و عذاب کند آنرا که خواهد

والله على كل شيء قدير ۝ امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا

و خدا بر هر چیزی تواناست ایمان آورد پیغمبر بآنچه فرستاده شد باو از پروردگارش و مومنان هر یک گرویدند بخدا و فرشتگان او و کتبهای او و پیغمبران او

نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير ۝ لا يكلف الله نفساً الا وسعها لها

جدائی نیست در میان هیچ یک از پیغمبران و گفتند شنیدیم و پیروی کردیم خواهیم آمرزش ترا ای پروردگار ما و بسوی تست بازگشت تکلیف نکند خدا هیچ نفسی را مگر بقدر گنجایش او

ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا ربنا ولا تحمل علينا اصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا

مر او راست آنچه کرد و بر اوست عقوبت آنچه کسب کرد ... پروردگار ما بار مکن بر ما آنچه که یارائی نیست مر ما را بآن و درگذر از ما و بیامرز ما را و رحم کن بر ما توئی آقای ما پس نصرت ده

على القوم الكافرين القراءة فيغفر لمن يشاء بادغام الراء في اللام ابو عمرو وجماعة اهل العلم على الاخفاء لا على الادغام التام فيغفر ويعذب بر گروه کافران برفع الراء والباء يزيد وابن عامر وعاصم وسهل ويعقوب وقرأ حمزة غير ابي عمرو والحلواني عن قالون وابن مجاهد وابو عون عن قنبل بادغام الباء في الميم وقرأ حمزة عن البزي وخلف لنفسه ويعذب من بالاظهار ابو عمرو يدغم ويعذب من يشاء كل القرآن وكتابه على وخلف الباقون وكتبه جمعاً لا نفرق بالياء يعقوب الباقون بالنون اخطانا مثل شئنا واذا ادغم الوقوف وما في الارض ط بالله ط لمن قرأ فيغفر بالرفع على الاستيناف اي فهو يغفر ومن جزم بالعطف لم يقف من يشاء ط قدير ط والمؤمنون ط لمن لم يقف على من ربه ط المصير ط وسعها ط ما اكتسبت ط او اخطانا ج من قبلنا ج لان النداء للابتداء ولكن الواو للعطف لتوالي السؤال به ج واعف عنا وقف واغفر لنا كذلك وارحمنا كذلك للفصل بين انواع المقاصد لا عتراف بانا لما عنا غير واحد الكافرين التفسير تم لما جمع في هذه السورة اشياء كثيرة من علم الاصول وهي دلائل التوحيد والنبوة والمعاد واشياء كثيرة من بيان الشرائع والتكاليف كالصلوة والزكوة والقصاص والصوم والحج والجهاد والحيض والطلاق والعدة والصداق والخلع والايلاء والارضاع والبيع والربوا والمداينة ختم السورة بكلام دل على كمال ملكه وهو قوله لله ما في السموات وما في الارض وعلى كمال علمه وهو قوله وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله وعلى كمال قدرته وهو قوله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير وفي ذلك غاية الوعد للمطيعين ونهاية الوعيد للمذنبين ومن لوازم انه لما كان عالماً بما في قلبه عليماً ذكر عليه دليلاً عقلياً فان كان فاعل هذه الافعال المحكمة المتقنة المشتملة على الحكم المتكاثرة والمنافع الظاهرة لابد ان يكون محيطاً باجزائها وجزئياتها وقيل لما امر بالوثائق من الكتبة والاشهاد والرهن ذكر ما علم منه ان المقصود رجع الى الخلق وانه منزه عن الانتفاع به قال الشعبي وعكرمة ومجاهد انه لما اوعد على كتمان الشهادة ذكر ان له ما في السموات والارض فيجازي على الكتمان والاظهار عن ابن عباس وابي هريرة واللفظ لمسلم لما نزلت ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله اشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بركوا على الركب فقالوا اي رسول الله كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلوة والقيام والصدقة وقد انزلت عليك هذه الاية ولا نطيقها قال رسول الله

أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير فلما اقترأها
القوم وذلت بها ألسنتهم أنزل الله في إثرها آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير فلما فعلوا ذلك نسخها الله فأنزل الله عز وجل لا
يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا قال نعم ربنا ولا تحمل علينا
إصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال نعم ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم
الكافرين قال نعم واعلم أن العلماء اتفقوا على أن الأمور التي تخطر بالبال مما يكرهه الإنسان ولا يمكنه إزالتها عن النفس لا يؤاخذ بها لأنها تجري
مجرى تكليف ما لا يطاق وأما الخواطر التي يوطن الإنسان نفسه عليها ويعزم على إدخالها في الوجود فقد قيل نسخ المؤاخذة بها لقوله تعالى ولكن
يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم وكما يؤاخذ باعتقاد الكفر والبدع ولأنه من أفعال القلوب ثم قال بعضهم إنما يؤاخذ بها في الدنيا لما روى الضحاك عن
عائشة أنها قالت ما حدث العبد به نفسه من شر كانت محاسبة الله عليه بغم يبتليه في الدنيا أو حزن أو أذى فإذا جاءت الآخرة لم يسأل عنه ولم يعاقب
وروت أنها سألت النبي صلعم عن هذه الآية فأجابها بما هذا معناه وقيل إن كل ما كان في القلب مما لا يدخل في العمل فإنه في محل العفو لما روي أنه
قال بعد نزول قوله لا يكلف الله نفسا إلا وسعها إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسهم ما لم يعملوا أو يتكلموا وقيل معنى قوله وإن تبدوا ما في
أنفسكم أو تخفوه أن يدخل ذلك العمل في الوجود إما ظاهرا وإما على سبيل الخفية وعلى هذا فلا حاجة إلى التزام النسخ وكذا لو قيل إن معنى كونه
حسيبه ومحاسبا كونه عالما بما في الضمائر والسرائر فيغفر لمن يشاء وإن كان من أصحاب الكبائر لعموم اللفظ وعند المعتزلة لمن استوجب المغفرة
بالتوبة وهو مستحق عندهم بدليل ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير فهو مستول على كل الممكنات بالقهر والغلبة والإيجاد والإعدام فعلى كل عاقل
أن يكون له عبدا منقادا خاضعا للأوامر والنواهي محترزا عن سخطه وعما فيه ليستحق المدح والثناء بقوله آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه
والمؤمنون فإن كمال الربوبية في الواجب يستلزم كمال العبودية في الممكن وكمال العبودية في الممكن يستتبع كمال الرحمة عليه وذلك قوله لا يكلف
نفسا إلا وسعها إلى آخر السورة أو نقول إنه تعالى مدح المتقين في أول السورة بقوله الذين يؤمنون بالغيب فبين في آخرها أن الذين مدحهم في أول السورة
هم أمة محمد والمؤمنون كل آمن بالله ثم قال ههنا وقالوا سمعنا وأطعنا كما قال هناك ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون وقال ههنا
غفرانك ربنا وإليك المصير كما قال هناك وبالآخرة هم يوقنون ثم حكى عنهم كيفية تضرعهم إلى ربهم بقوله ربنا لا تؤاخذنا إلى آخر السورة كما قال هناك
أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون أو نقول إنه سبحانه لما ذكر في هذه السورة أنواع الشرائع والأحكام بين أن الرسول عرف
المعجزة دلالة على صدق الملك أن الذي جاء من الله وصل إليه أن الذي أخبره بذلك ملك مبعوث من قبل الله معصوم من التحريف ليس شيطانا
مضلا ثم ذكر عقيبه إيمان المؤمنين بذلك لمعجزات أظهرها الله تعالى على يد الرسول حتى استدلت الأمة بها على أنه صادق في دعواه فهو المرتبة
المتأخرة ومن تأمل في نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بسبب فصاحة ألفاظه وبلاغة معانيه فهو أيضا معجز بسبب ترتيبه
ونظم آياته ولعل الذين قالوا إنه معجز بحسب أسلوبه أرادوا ذلك ثم ههنا احتمالان أحدهما أن يكون تمام الكلام عند قوله والمؤمنون فيكون المعنى
آمن الرسول والمؤمنون بما أنزل إليه من ربه ثم ابتدأ بقوله كل آمن فيكون الضمير الذي التنوين نائب عنه في كل عائدا إلى الرسول والمؤمنين أي كلهم
آمن بل كل واحد ممن تقدم ذكره من الرسول والمؤمنين آمن ولهذا وحد ومثل هذا الضمير يجوز أن يفرد بمعنى كل واحد ويجوز أن يجمع كقوله
وكل أتوه داخرين وهذا الاحتمال يشعر بأنه ما كان مؤمنا بربه ثم من جملة علم الإيمان على وقت الاستدلال وذلك أنه عرف بما ظهر من
المعجزات على يد جبرائيل أن هذا القرآن وجملة ما فيه من الشرائع والأحكام منزل من عند الله تعالى وليس من باب إلقاء الشياطين ولا
من نوع السحر والكهانة والشعبذة والاحتمال الثاني أن يتم الكلام عند قوله من ربه ثم ابتداء من قوله والمؤمنون كل آمن وفي هذا الاحتمال
إشعار بأن الذي حدث هو إيمانه بالشرائع التي نزلت عليه كما قال ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان أما الإيمان بالله وملائكته و
كتبه ورسله على الإجمال فقد كان حاصلا منذ خلق من أول الأمر لأنه كان نبيا وآدم بين الماء والطين كما أن عيسى خلق كامل العقل حتى قال
في المهد إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وعلى هذا فإنما خص الرسول بذلك لأن الذي أنزل إليه من ربه قد يكون متلوا يسمعه الغير
ويعرفه فيمكنه أن يؤمن به وقد يكون وحيا لا يعلمه سواه فيكون هو مختصا بالإيمان به ولا يتمكن الغير من الإيمان به فلما علم أن الآية دلت
على أنه معرفة لهذه المراتب الأربع من ضروريات الإيمان المرتبة الأولى الإيمان بالله سبحانه فإن صدق المبلغ والرسول يتوقف على وجود المبلغ
والمرسل والثانية الإيمان بالملائكة فإنهم وسائط بين الله والبشر ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده علمه شديد القوى
والثالثة الكتب لأن الوحي الذي يتلقفه الملك ويوصله إلى النبي فمثال الملائكة مثال الضوء تجوهر العقل ومثال الوحي نور العقل وكما أن العقل يستفيد
من الشمس ويوصلها إلى الإبصار فكذا الملك يأخذ الوحي من الله تعالى ويلقيه على الأنبياء ولا جرم وقع الرسل في المرتبة الرابعة وهذا الترتيب مما
تقتضيه حكمة عالم التكليف والوسائط والأفعال إلى الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل معلوم لنبينا وهذا سر يطلع منه
على أسرار أخرى لا تكشف من أهلها ثم الإيمان بالله عبارة عن الإيمان بوجوده وبصفاته وبأفعاله وبأحكامه وبأسمائه أما الإيمان بوجوده فهو

قال نعم

ربنا

أنه

ان تعلم ان وله المخبر انه موجود لخالق العالم وعلى هذا التقدير فالجملة لا يكون مقرا بوجود الاله فيكون الخلاف معهم في ان الله ثم واما الفلاسفة
والمعتزلة فالخلاف معهم في الصفات لا في الذات لانهم مقرون بوجود موجود غير متحيز ولا حال في المتحيز واما الايمان بصفاته فالصفات اما
ثبوتية او سلبية واضافية وقد عرفت في تفسير البسملة ما يصح صفة تعالى بها وما لا يصح كذا في تفسير آية الكرسي واما الايمان بافعاله فان تعلم ان
كل ما سواه فانما حصل بتخليقه وتكوينه حتى الافعال التي يسمى اختيارية الحيوانات وذلك لان نسبة الانسان صادرة منه تعالى بحسب انه فهو مضطر
في صورة مختار وقد حققنا هذه المسئلة في تفسير قوله ختم الله على قلوبهم واما الايمان باحكامه فان تعلم انها غير معللة بغرض وان كانت
يترتب عليها الفوائد وان تعلم ان المقصود من شرعها منافع عائدة الى العباد لا الى الله فانه منزه عن جلب المنافع ودفع المضار وان تعلم ان له
الالزام والحكم في الدنيا كيف شاء واراد وان تعلم انه لا يجب على احد بسبب الاعمال شيء وانه في الاخرة يغفر لمن يشاء بفضله ويعذب من يشاء
بعدله ولا يقبح منه شيء لان الكل ملكه وملكه واما الايمان باسمائه فهي الاسماء الواردة في كتب الله المنزلة وفي كلمات انبيائه المرسلة وقد
مر في تفسير البسملة بعض هذا وهو الاشارة الى معاقد الايمان بالله واما الايمان بالملائكة فهو الايمان بوجودها فاما البحث عن انها روحانية محضة
او جسمانية محضة او مركبة من القسمين بتقدير كونها جسمانية فلطيفة او كثيفة وان كانت لطيفة فنورانية او هوائية فذلك مقام العلماء الراسخين
في العلوم القرآنية والبرهانية ويدخل في الايمان بالملائكة اعتقاد انهم معصومون وان لذتهم بذكر الله وحياتهم بمعرفته وطاعته وانهم
وسائط بين الله وبين البشر وبهم وصلت الكتب الى الانبياء ولكل طائفة منهم مقام معلوم وجزء مقسوم من اقسام هذا العالم واما الايمان
بالكتب فان تعلم ان كلها وحي من عند الله ليس لاحد من المخلوقات ان يلقي فيها شيئا من عند الانس ولا سيما في القرآن العظيم وان من قال
ان ترتيب القرآن على هذا الوجه شيء فعله عثمان فقد اخرج القرآن عن كونه معجزة وطرق اليه التغيير والتحريف وان القرآن مشتمل على المحكم والمتشابه
ومحكمه يكشف عن متشابهه واما الايمان بالرسل فان تعلم كونهم معصومين عن الذنوب في باب الاعتقاد وفي باب التبليغ وفي الاخلاق والافعال
كما مر في قصة آدم وان تعلم ان النبي افضل من ليس بنبي خلافا لبعض الصوفية وان بعض الانبياء افضل من بعض كما قال تعالى تلك الرسل فضلنا
بعضهم على بعض واما فضلهم على الملائكة فقد قال بعضهم ان الانبياء افضل من الملائكة وقال كثير من العلماء ان الملائكة السماوية افضل منهم
وانهم افضل من الملائكة الارضية وقد مر تحقيق ذلك في قصة آدم ايضا وان تعلم ان شرعهم وان صار منسوخا الان بنبوتهم لم يصر منسوخة وانهم
الان انبياء ورسل كما كانوا وافتى بعض المتكلمين في ذلك فهذه اشارة الى اصول الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واما من قرأ وكتابه
على الوحدة فاما ان يراد به القرآن ثم الايمان به يتضمن الايمان بجميع الكتب والرسل واما ان يراد به جنس الكتب السماوية فان اسم الجنس المضاف
قد يفيد العموم كقوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقال احل لكم ليلة الصيام الرفث فهذا الاحلال شائع في جميع الصيام قال العلماء قرأ
الجمع لمشاكلة ما قبله وما بعده وقيل قراءة الافراد اولى لان استغراق المفرد اشمل من استغراق الجمع ومن هنا قال ابن عباس الكتاب اكثر من الكتب
قرأ لا نفرق بالنون فلا بد من اضمار اي يقولون لا نفرق ومن قرأ بالياء فعلى ان الفعل للكل فلا حاجة الى الاضمار ثم ان الجملة خبر بعد خبر او حال واحد
في معنى الجمع اي بين كل منهم وبين آخر منهم فان النكرة في سياق النفي تعم ولذلك صح دخول بين عليها وليس المراد بعدم التفريق عدم التفضيل
لقوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض بل المراد عدم التفريق في الايمان بهم وفي اعتقاد نبوتهم لظهور المعجزات على ايديهم بحسب دعاويهم
والغرض منه تعريض معتقد اليهود والنصارى الذين يقرون بنبوة موسى وعيسى دون نبوة محمد ومن الجمع لا نفرق ما جمعوا كقوله واعتصموا
بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واعلم ان قوله آمن الرسول الى قوله بين احد من رسله اشارة الى استكمال القوة النظرية بهذه المعارف الشريفة وقالوا
سمعنا واطعنا اشارة الى استكمال القوة العملية بالاعمال الفاضلة الكاملة ونقول ان للانسان اياما ثلثة الامس والبحث عنه يسمى معرفة
المبدأ واليوم البحث عنه يسمى علم الوسط والغد والبحث عنه يسمى علم المعاد فقوله آمن الرسول الى قوله من رسله اشارة الى معرفة المبدأ وقالوا سمعنا و
اطعنا اشارة الى الوسط وغفرانك ربنا واليك المصير علم المعاد ومثله في آخر سورة هود ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله
وهو معرفة المبدأ لان الكمالات الحقيقية ليست الا العلم والقدرة وقوله ولله غيب السموات والارض فيه بيان كمال العلم وقوله واليه يرجع الامر
فيه كمال القدرة واما علم الوسط فهو علم ما يجب ان يشتغل به اليوم فبدايته الاشتغال بالعبودية وهو قوله فاعبده ونهايته قطع النظر عن الاسباب
وتفويض الامور كلها الى مسبب الاسباب هو قوله وتوكل عليه واما علم المعاد فقوله وما ربك بغافل عما تعملون اي يومك غدا سيصل اليك فيه
نتائج اعمالك ومثله سبحان ربك رب العزة عما يصفون وهو معرفة المبدأ وسلام على المرسلين وفيه اشارة الى علم الوسط والحمد لله رب العالمين اشارة
الى علم المعاد كقوله وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين والوقوف على هذه الاسرار مما يكون يجذبه من حضيض عالم الاسرار الى فسحة عالم الانوار
وقوله والمؤمنون كل آمن بالله اشارة الى الاحكام العقليات وقالوا سمعنا واطعنا اشارة الى الاحكام السمعيات قال الواحدي اي سمعنا قوله
واطعنا امره وقيل حذف المفعول صورة ومعنى هنا ان ليس في الوجود قول يجب تحصيله لقوله ولا من يجب طاعته الا امره والسماع هنا بمعنى
القبول اي سمعنا ما بان عقولنا وعرفنا صحته وتيقنا ان كل تكليف يرد على لسان الملائكة والانبياء عليهم السلام فهو حق صحيح واجب قبوله ثم قال
واطعنا فدل هذا على تكامل اعتقادهم في هذه التكاليف ثم ما تحملوا شيئا منها بحمد الله ثم يهذب اللفظين كل ما يتعلق بابواب التكاليف علما و

الكتابه

على اغفر غفرانك مصدر منصوب باضمار فعله اي اغفر او يطلب غفرانك اللهم كقولهم غفرانك من قوله تعالى وما تفعلوا من خير فلن تكفروه اي لن تعدموا جزاءه وفي
الكشاف اي نستغفرك ولا نكفرك وقيل معناه نسئلك غفرانك فيكون مفعولا به لا مصدرا لانه مصدر حذف فعله وجوبا لكثرة الاستعمال كما في معه
نحو سقيا ورعيا وههنا سؤال هو ان القوم لما قبلوا التكليف وعملوا به فاي حاجة بهم الى طلب المغفرة والجواب لعلهم خافوا ان يكون قد وقع منهم تقصير
فيما يأتون ويذرون او لعلهم كانوا يرتقون في درجات العبودية فيستغفرون مما قد خلفوها ومن ههنا قيل حسنات الابرار سيئات المقربين وعلى
قوله واني لاستغفر الله في اليوم سبعين مرة على مثل هذا او لان جميع الطاعات في جنب موجب حقوق الالهية جنايات وتقصير وقصور ولهذا حكى
عن اهل الجنة دعواهم فيها سبحانك اللهم اي ننزهك عن تسبيحنا وتقديسنا وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين اي كل الحمد له وان كان لا نقدر
على قدر ذلك الحمد بعقولنا ولا على قدر ما بالسنتنا ثم ان طلب هذا الغفران مقرون بامرين احدهما بالاضافة اليه والثاني بقوله ربنا اما القيد الاول
فمعناه طلب المغفرة منك لانك الكامل في هذه الصفة والمطموع من الكامل في صفة ان يعطي عطية كاملة وذلك الا بان يغفر جميع الذنوب ويبدلها
حسنات ويكون الاضافة اشارة الى ما ورد في الحديث ان لله تعالى مائة جزء من الرحمة قسم جزءا منها على الملائكة والجن والانس وجميع الحيوانات
فيها يتراحمون ويتعاطفون واخر تسعة وتسعين جزءا الى يوم القيامة ليعامل بها العبد فيقول لكل صفة من صفاتك خاصية يظهر اثرها في محل معين فلولا الوجود
بعد العدم ما ظهرت آثار قدرتك ولولا الترتيب العجيب والتأليف الانيق لما ظهرت آثار علمك ولولا جرم العبد وجنايته وعجزه وحاجته لم يظهر آثار مغفرتك
ورحمتك فما الطلب الغفران الذي لا يمكن ظهوره الا في حقي وفي حق مثلي من المذنبين واما القيد الثاني فمعناه ربيتني اولا وجعلتني مع انك لو لم
تربني في ذلك الوقت لم تتضرر به لاني كنت ابقى في العدم الا انك لو لم تربني تضررت به فاسألك ان لا تهملني وان تتبعني حين لم اذكرك بالتوحيد فكيف يليق
بكرمك ان لا ترحمني وقد افنيت عمري في توحيدك وتمجيدك ويجعلني في الماضي شفيعا اليك في ان ترحمني في المستقبل او يبقى
فيما مضى ثم هذه التربية فيما يستقبل فان اتمام المعروف خير من ابتدائه واليك المصير حيث لا حكم الا حكمك ولا يشفع احد الا باذنك وفيه اعتراف
بانه تعالى عالم بالجزئيات قادر على كل الممكنات له الحياة والممات قوله سبحانه لا يكلف الله نفسا الا وسعها ان قلنا انه من تمام كلام المؤمنين فوجه
النظم انهم قالوا سمعنا واطعنا فكانهم قالوا كيف لا نطيع وانه تعالى لا يكلفنا الا ما في وسعنا وطاقتنا وان قلنا انه من كلام الله تعالى فالوجه انهم لما قالوا سمعنا واطعنا ثم طلبوا
المغفرة دل ذلك على انهم لا يصدر عنهم زلة الا على سبيل السهو والنسيان فلا جرم خفف الله تعالى عنهم ذلك جوابا لدعائهم والوسع ما يسع الانسان ولا يضيق
عليه كالصلوات الخمس وصوم رمضان والحج فانه كان في امكان الانسان وطاقته ان يصلي اكثر من الخمس ويصوم اكثر من الشهر ويحج اكثر من حجة ولكنه تعالى
لم يجعل في الدين من حرج لكمال رحمته وشمول رأفته واعلم ان المعتزلة عولوا في نفي تكليف ما لا يطاق على هذه الآية ثم استنبطوا منها اصلين الاول
ان العبد موجد لافعال نفسه فلو كان بتخليق الله تعالى لم يكن للعبد فيه قدرة على دفعه ولا على فعلها اذ الموجود لا يوجد ثانيا فتكليف العبد
بالفعل يكون تكليف ما لا يطاق الثاني ان الاستطاعة قبل الفعل والا لكان الكافر المأمور بالايمان غير قادر عليه فيلزم تكليف ما لا يطاق واما الاشاعرة
فقالوا تكليف من مات على الكفر كابي جهل مع العلم بعدم ايمانه تكليف بالجمع بين النقيضين والجواب ان العلم بعدم الايمان ليس تكليفا بعدم الايمان
حتى يلزم التكليف بالنقيضين بل التكليف بالايمان انه ممتنع لغيره غير التكليف بامر مستحيل لذاته الذي هو محل النزاع لكن الاشعري لما كانت حجته قوية
عنده خصص الآية بانها انما وردت في التكاليف الممكنة اذ التكليف بالممتنع ليس تكليفا بالحقيقة وانما هو اعلام واشعار بانه خلق من اهل النار على
انه لو صدر من قول المؤمنين لم يبق فيها وتحمل الاية ايضا على ان ما حكاه عنهم في معرض المدح وجب ان يكونوا صادقين فيه لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت
قال الواحدي ان الكسب والاكتساب واحد قال تعالى ولا تكسب كل نفس الا عليها وقيل الاكتساب اخص لان الكسب لنفسه ولغيره والاكتساب ما يكتسب لنفسه
خاصة وقيل في الاكتساب مزيد اعمال وتصرف ولهذا اختص بجانب الشر لان النفس الامارة بالسوء تشتهي السيئات فيما عند المهيجة عليه وتبطء القلب
بخلاف الخير فانه يتباطأ عليه كيف ما صدر عنه قالت المعتزلة في الآية دليل على ان الخير والشر كلاهما مضاف الى العبد فلو كانا بتخليق الله تعالى لبطلت هذه
الاضافة وجرى مجرى افعال المنجري لو نسبت اليه ويكون اشكاله مما لا امد قلنا عليه السنة ولا يشغب فائدة التكليف وقد سبق تحقيق المسئلة
مرارا وكذا تفسير الكسب بيان المذهب فيه في تفسير قوله تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم واحتج الاصحاب بالآية على فساد القول بالاحباط
لانه تعالى بين ان لها ثواب ما كسبت وعليها عقاب ما اكتسبت وهذا صريح في ان الاستحقاقين يجتمعان وانه لا يلزم من طرق احدهما زوال الاخر قال
الجبائي تقدير الآية لها ما كسبت من ثواب العمل الصالح اذا لم يبطله وعليها ما اكتسبت اذا لم يكفره بالتوبة وانما اضمرنا هذا الشرط لان الثواب منفعة
دائمة والعقاب مضرة دائمة والجمع بينهما محال واحتج كثير من المتكلمين بالاية في ان الله تعالى لا يعذب الاطفال بذنوب آبائهم والفقهاء تمسكوا بها في
اثبات ان الاصل في الاملاك البقاء والاستمرار وفرعوا عليه مسائل منها ان المضمونات لا تملك باداء الضمان لان المقتضي لبقاء الملك قائم
وهو قوله لها ما كسبت والعارض للوجود ما النصب في ما الضمان وهما لا يوجبان زوال الملك بدليل ام الولد والمدبر ومنها انه لا شفعة للجار لان
المقتضي لبقاء الملك قائم وهو قوله لها ما كسبت عدلنا عن الدليل في الشريك لكثرة تضرره بالشركة فيبقى في الجار على الاصل ومنها ان القطع
لا يسقط الضمان لوجود المقتضي والقطع لا يوجب زوال الملك بدليل ان السرقة لو كانت باقية وجب ردها على المالك ومنها ان منكري وجوب الزكوة
احتجوا به والجواب ان دلائل وجوب الزكوة اخص والخاص مقدم على العام ثم انه تعالى حكى عن المؤمنين اربعة انواع من الدعاء الاول ربنا لا تؤاخذنا

إن نسينا أو أخطأنا أي معنى لا تؤاخذنا إلا أنا قد يكون فاعل بمعنى فعل نحو سافرت وعاقبت اللص وقيل معنى المشاركة فيهما أن الناسي قد مكن من
وطرق التسبيل إليها بفعله فصار من يعاقب بذنبه كالمعين لنفسه في إيذاء نفسه في التفسير الكبير أن الله يأخذ المذنب بالذنب والمذنب يأخذه ربه بالعفو
الكرم أي يتمسك عند الخوف عن عذابه برحمته وهذا معنى المؤاخذة بين العبد والرب المراد بالنسيان إما الترك وهو أن يترك الفعل لتأويل فاسد كما أن الخطأ
هو أن يفعل الفعل لتأويل فاسد ومنه قوله تعالى نسوا الله فنسيهم أي تركوا العمل فتركهم أن يثيبهم وأما ضد الذكر وإذا ورد عليه أن النسيان والخطأ معفو
عنهما في قوله صلى الله عليه وسلم رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه فما معنى الدعاء والجواب من وجوه الأول أن النسيان منه ما يعذر صاحبه فيه ومنه ما لا
يعذر فيه ألا ترى أن من رأى في ثوبه دما فأخر إزالته إلى أن نسي فصلى وهو على ثوبه عد مقصرا إذ كان يلزمه المبادرة إلى إزالته وكذا إذا تغافل عن تعاهد القرآن حتى
نسي فإنه يكون ملوما بخلاف ما لو واظب على القراءة ومع ذلك نسي فإنه يكون معذورا وكذا الخطأ كما إذا أراد أن يرمي كافرا حربيا فأخطأ في أصاب مسلما فقد قصر في التثبت
إذا أمكنه التحرز وقد لا يكون معذورا إذا لم يمكنه ذلك وإذا ترك التحفظ وأعرض عن أسباب التذكر فإذا كان كذلك صح طلب غفرانه بالدعاء والثاني أن المراد بالنسيان والخطاء
والمراد بهما ما هو مسبب عنهما من التفريط والإغفال الثالث أن هذا على سبيل التضرع والتعبد وذلك أنهم كانوا متقين بالله حق تقاته فما كان يصدر عنهم
ما لا ينبغي إلا على وجه الخطاء والنسيان فكان وصفهم بالدعاء بذلك إيذانا ببراءة ساحتهم عما يؤاخذون به فكأنه قيل إن كان النسيان مما
يجوز المؤاخذة به فلا تؤاخذنا به الثالث أن العلم بأن النسيان مغفور لا يمنع من حسن طلبه بالدعاء فربما يدعو الإنسان بما يعلم أنه حاصل له
قبل الدعاء من فضل الله إما لاستدامته وإما لاعتداد تلك النعمة أو لغير ذلك كقوله قل رب احكم بالحق ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك
وقالت الملائكة فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك الرابع أن مؤاخذة الناسي غير ممتنعة عقلا وإنما علم عدم المؤاخذة بالآية والحديث فلما كان
ذلك جائزا في العقل حسن طلب المغفرة منه بالدعاء وفيه تمسك لمن يجوز تكليف ما لا يطاق فإن الناسي غير قادر على الاحتراز عن الفعل فلولا أنه
جائز من الله تعالى عقلا لما أرشد الله تعالى إلى طلب ترك المؤاخذة عليه وفيه دليل على حصول العفو لأهل الكبائر لأن الحسنات والخطاء لا بد فيهما من
مباينة الفعل والقصد الحاصل ما لا ينبغي أداؤه فلو كان لا حد عنه فالمؤاخذة على ذلك قبيحة عند الخصم ما يقبح من الله فعله يمتنع طلب تركه بالدعاء وإذا
فسرنا بما ذكرنا وقد أمر الله المسلمين أن يدعوه بترك المؤاخذة على تعمد المعصية دل ذلك على أنه يعطيهم هذا المطلوب فيكون العفو لصاحب الكبيرة
موجودا النوع الثاني من الدعاء ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا الإصر الثقل والشدة ثم سمي العهد إصرا لأنه ثقيل والإصر
العطف لأن من عطف عليه ثقل على قلبك ما يصل إليه من المكاره ويقال ما تأصرني على فلان آصرة أي ما تعطفني عليه قرابة ولا منة والمعنى لا تشدد
علينا في التكاليف كما شددت على من قبلنا من اليهود قال المفسرون إن الله تعالى فرض عليهم خمسين صلاة وأمرهم بأداء ربع أموالهم في الزكوة ومن أصاب
ثوبه نجاسة قطعها وكان عذابهم معجلا في الدنيا فكانت تصبح خطاياهم مكتوبة على أبوابهم كما قال ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم وقال صلى الله عليه وسلم رفع عن
أمتي المسخ والخسف والغرق وإنما طلبوا هذا التخفيف لأن التشديد مظنة التقصير والتقصير موجب للعقوبة وقيل معناه لا تحمل علينا عهدا وميثاقا
يشبه ميثاق من قبلنا في الغلظ والشدة وهو قريب من الأول قال بعض العلماء إن اليهود لما كانت الفظاظة وغلظ القلب غالبة عليهم كانت مصالحهم
في التكاليف الشديدة الشاقة وهذه الأمة الرحمة وكرم الخلق غالب عليهم فكانت مصلحتهم في التخفيف وترك التغليظ وعلى أن اليهود لم تخص بغلظ
الطبع وهذه الأمة باللطافة والكرم فلا بد لنا أن نعلم تفاصيل جميع الكائنات وما لا يدرك كله لا يترك كله النوع الثالث من الدعاء ربنا ولا
تحملنا ما لا طاقة لنا به من الأصحاب من تمسك به في جواز تكليف ما لا يطاق لأنه لولا جوازه لما حسن طلب تركه بالدعاء وأجاب المعتزلة عنه بأن
معنى قوله لا طاقة لنا به أي لا يشق فعله لأنه لا قدرة لنا عليه في الحديث أن النبي قال في المملوك له طعامه وكسوته ولا يكلف من العمل إلا ما يطيق أي لا
يشق عليه ويعترض بأن معناه ومعنى الآية المتقدمة يكون حينئذ واحدا فيلزم التكرار أو المراد منه العذاب لا تحملنا عذابك الذي لا نطيق احتماله
سلمنا أنهم سألوا الله تعالى أن لا يكلفهم ما لا قدرة لهم عليه لكن ذلك لا يدل على جواز أن يفعل خلافه لذلك كان قوله رب احكم بالحق لا يدل
على جواز أن يحكم بالباطل وكذا قول إبراهيم ولا تخزني يوم يبعثون لا يدل على أن خزي الأنبياء جائز وقيل لم يحسن تكليف الشاق طلب التكليف الذي
لا قدرة عليه بالتحمل وأجيب بأن المراد بما لا يطاق هو التحمل دون التحمل لما طلب أن لا يكلف بالفعل الشاق وكان من لوازمه أن لا يكلف بما لا يطاق فكان
المناسب طرح هذا الدعاء الأول من حكم الترتيب الجواب على تفسير المعتزلة ظاهر أي لا تحملنا عذابك فإنهم طلبوا الإعفاء عن التكليفات الشاقة التي
كلفها من قبلهم ثم طلبوا الإعفاء عما نزل عليهم من العقوبات على تفريطهم في المحافظة عليها وأما على تفسير الأشاعرة فهو أنهم سألوا أن لا يكلفهم تكليفا شاقا مقيدا
وهو التكليف بما كلف من قبلهم ثم سألوا أن لا يكلفهم التكليف الشاق الذي لا قدرة لهم عليه حسبوا أن لا يكلفهم بذلك من قبلهم أو لا وقيل الأول طلب
ترك التشديد في مقام الفناء بمقام الشريعة والثاني طلب ذلك في مقام الحقيقة وهو مقام الاستغراق بجبروت الله وعظمته وشكر نعمه أي لا نطلب
ما لا نطيق بحلاله ولا نشكر إلا بنوع الإمكان ولا نطلب بعد عظمتك كالتكلف ما العائدة في حكاية هذه الأدعية بصيغة الجمع في لا تؤاخذنا
ولا تحمل علينا فذلك لأن الجمعية المعونة تهم على شيء كان حصوله أرجى النوع الرابع من الدعاء واعف عنا واغفر لنا وارحمنا وإنما لم يذكر الندا
وهو قوله ربنا ههنا لأن النداء يشعر بالبعد فترك النداء يؤذن بأن العبد إذا واظب على التضرع والدعاء نال مقام القرب بدا الرقى عن الله
والفرق بين العفو والمغفرة والرحمة أن العفو إسقاط العذاب والمغفرة أن يستر عليه بعد ذلك جرمه صونا له عن عذاب التخجيل والفضيحة كان الخلاص

عذاب النار انما يطلب له حصل عقيب الخلاص من عذاب الفضيحة فالاول هو العذاب الجسماني والثاني هو العذاب الروحاني وبعد التخلص منهما اقبل على طلب
الثواب وهو ايضا قسمان جسماني وهو نعيم الجنة وطيباتها وهو قوله وارحمنا وروحاني وهو اقبال العبد بالكلية على مولاه وهو قوله انت مولينا
ففيه الاعتراف بانه سبحانه هو المتولي لكل نعمة ينالونها وهو المعطي لكل مكرمة يفوزون بها وانهم بمنزلة الطفل الذي لا تتم مصلحته الا بتدبير قيمه والعبد
الذي لا ينتظم شمل مهماته الا باصلاح مولاه وبعد الاعتراف يحق الوصول الى الحق من عرف نفسه بسمة الامكان والنقصان عرف ربه بالوجوب والتمام
ثم اذا وصل الى الحق اعرض بالكلية عما سواه وهو قوله فانصرنا على القوم الكافرين اعنا على قهر كل من خالفك وناواك وعلى غلبة القوى الجسمانية
الداعية الى الشهوات عن رسول الله صلعم السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة
قيل ومن البطلة قال السحرة وعنه صلعم من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وعنه صلعم اوتيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتهن
نبي قبلي وعنه صلعم انزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبها الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة من قرأهما بعد العشاء الآخرة اجزأتاه عن قيام الليل
وروى الواحدي عن مقاتل بن سليمان انه لما اسري بالنبي الى السماء اعطي خواتيم سورة البقرة فقالت الملائكة ان الله عز وجل قد اكرمك بحسن الثناء
بقوله آمن الرسول فسله وارغب اليه فعلمه جبرئيل كيف يدعو فقال النبي غفرانك ربنا فقال الله قد غفرت لكم فقال لا تؤاخذنا فقال
الله لا اؤاخذكم فقال لا تحمل علينا اصرا فقال لا اشدد عليكم فقال لا تحملنا ما لا طاقة لنا به فقال لا احملكم ذلك فقال واعف عنا واغفر لنا
وارحمنا فقال الله قد عفوت عنكم وغفرت لكم وانصركم على القوم الكافرين وفي بعض الروايات ان محمدا صلعم كان يدعو بهذه الدعوات والملائكة كانوا
يقولون آمين التأويل الانسان مركب من عالمي الامر والخلق فله روح نوراني من عالم الامر والملكوت وله نفس ظلمانية من عالم الخلق والملك فلكل
منهما نزاع وشوق الى عالمه فغاية بعثة الانبياء تزكية النفوس عن ظلمة اوصافها وتحليتها بانوار الارواح وحاصل سعي الشيطان عكس هذه القضية
واليه الاشارة بقوله ان تبدوا ما في انفسكم مودع من انوار الاخلاق الروحانية في الظاهر باعمال الشريعة وفي الباطن باحوال الحقيقة او تخفوه مما يزداد
ظلمة الاوصاف النفسية في الظاهر بالغفلات الشريعة وفي الباطن بحوافات الطبيعة يحاسبكم به الله بطهارة النفس لقبول انوار الروح وبتلوث الروح
لقبول ظلمات النفس فيغفر لمن يشاء فينور نفسه بانوار الروح ويعذب من يشاء فيعاقب نفسه [illegible]
بنور قربه العلي الكبير والله على كل شيء قدير من اظهار اللطف والقهر على تركيب الامر والخلق ثم انه لما عرج بالنبي الى سدرة المنتهى وبلغ المقصد الاعلى
ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى اكرمه بالسلام قبل الكلام فقيل السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته فاجابه بقوله السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين فقيل آمن الرسول بما انزل اليه من ربه فقال من كمال المتابعة والمؤمنون كل آمن بالله الى قوله سمعنا واطعنا
فقال الله تعالى ما يطلبون في جزاء السمع والطاعة فقال النبي غفرانك ربنا واليك المصير يعني يطلبون الا ان تسترهم بستر الفضل فيكون مصيرهم
اليك لا الى غيرك كما كان مصيرك الى لا الى من سواك قال الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها انا مقام لا يسعك فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل ولهذا
قال جبرئيل لو دنوت انملة لاحترقت ان الانبياء والمرسلين الذين اصطفيناهم على العالمين فكل طائفة منهم في مقامه واقفون حسبهم [illegible]
[illegible] سبحات وجهه وسطوات قهره فكيف كلفت امتك [illegible] بضعف [illegible] بلغت هذا المقام [illegible]
الكرام ان اتخذتك حبيبا قبل ان خلقت الخلق خلقت الكائنات لحبك ولان امتك اكرم الامم [illegible] بسبب شفاعتك خصصتهم [illegible]
في متابعتك فقال لهم ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فبقدر ما اكتسب امتك من انوار متابعتك [illegible] حضرة [illegible]
[illegible] ما اكتسبت بالتواني [illegible] ما [illegible] اهل [illegible] ان [illegible] الخطاب [illegible]
العتاب فقال ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا اي لا تعاقبنا ان نسينا عهدك الذي عاهدتهم ان تحبوك ولا تحبوا غيرك واخطأنا [illegible]
طلبك [illegible] ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ربنا ولا تحمل علينا
اصرا بان تجعلنا اسير النفس الامارة [illegible] الشهوات كما حملته على الذين من قبلنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به [illegible] واعف
عنا [illegible] واغفر لنا [illegible] وارحمنا [illegible] انت مولانا [illegible] فانصرنا
على القوم الكافرين [illegible]

سورة آل عمران وهي مدنية [illegible] ع ٢ ج ٣ كلماتها [illegible] آياتها مائتان

بسم الله الرحمن الرحيم

بنام خداى بخشنده مهربان

الم ١ الله لا اله الا هو الحي القيوم ٢ نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التوراة والانجيل
منم خداى كه نيست معبودى بجز او آن زنده پاينده فرو فرستاد بر تو قرآنرا براستى تصديق كننده مر آنچه پيش از او است و فرستاد توريه و انجيل را
من قبل هدى للناس وانزل الفرقان ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام
از پيش راهنماى مردمان و فرستاد قرآنرا بدرستى كه آنانكه كافر شدند بآيات خدا مر ايشانراست عذابى سخت و خدا غالب خداوند انتقام است

آل عمران

إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

بیشک خدا پوشیده نیست بر او چیزی در زمین و نه در آسمان اوست آنکه صورت می‌سازد شما را در رحمها چنانکه میخواهد نیست معبودی بجز او غالب استوار

هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ

اوست آنکه فرستاد بر تو کتاب را بعض ازان آیتهای استوارست که انها ام الکتاب اند و دیگر مانند هم اند پس اما انها که در دلهای ایشان میل است پس متابعت میکنند

مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ

متشابه ازان بجهة خواهش فتنه وجستن تاویل آن ونداند تاویلش را مگر خدا وثابت قدمان در دانش گویند که گرویدیم بآن همه

مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ

از نزد پروردگار ماست وآگاه نمیشوند بجز خداوندان خرد پروردگارا میل مده دلهای ما را پس از راه نمودن ما و ببخش ما را از نزد خود رحمتی بدرستیکه تو

الْوَهَّابُ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ

بخشنده پروردگارا تو گرد کننده مردمانی روزی که هیچ شک نیست دران بدرستیکه خدا خلاف نمیکند وعده را بدرستیکه آنانکه کافر شدند کفایت نکند ازیشان اموال ایشان

وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ

ونه فرزندان ایشان از خدا چیزی وانگروه ایشانند هیزم آتش چون خوی آل فرعون وانانکه پیش بوده اند تکذیب کردند آیات ما را پس گرفت ایشانرا خدا

بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ القراءة الم الله مقطوعة الالف والميم ساكنة بنية الفصل والاعشى البرجمي ابان بن يزيد موصولا بفتح الميم النون به

بگناهان ایشان وخدا سخت عقوبت است مما لا يحسن كان ابو عمرو وحمزة وعلى وخلف ابو بكر عن عاصم ورش والخراز عن هبيرة وابن ذكوان عن ابن مجاهد

حيث كان بعضهم ابو عمرو وعن شجاع ويزيد والاعشى والاصبهانى عن ورش والخراز عن هبيرة وعن ابن الوقف الوقف الرجح يختلف فان عن الاعشى ابن

وبنية الفصل يصلون الاعوج القيوم ط والانجيل الفرقان ط شديد انتقام فى السماء ط كيف يشاء ط الحكيم متشابهات ط للاستيناف تفصيل

وابتغاء تاويله ج لان الواو يصلح استينافا وحالا والوقف لازم عند اهل السنة لانه لو وصل فهم ان الراسخين يعلمون تاويل المتشابه كما يعلم

ومن لم يجوز عن هذا وجعل المتشابه بغير صفة الله تاويلا من الاحكام التى يعلمها القياس الناس ولم يجعل المحكمات لاصول النصوص عليها

عطف قوله والراسخون على اسم الله وجعل يقولون حالا لهم ساغ له لانه لا يتفق الا الله امنا به لان قوله كل من عند ربنا من مقولهم فان

من تمام الايمان من عند ربنا ج لاحتمال ان ما بعده مقولهم الالباب يحتج لانه ابتداء بان ولاحتمال لام التعليل وفاء التعقيب للتشبيه الوهاب

فيه ط الميعاد شيئا ط النار لا لتعلق كاف التشبيه وعون لا للعطف من قبلهم ط باياتنا لاحتجاج للعذاب مع فاء التعقيب بذنوبهم ط العقاب التفسير اما

قراءة عاصم فلها وجهان الاولى نية الوقف ثم القاء الحركة لاجل الابتداء والثانى ان يكون ذلك على لغة من يقطع الف الوصل واما من فتح الميم ففيه

قولان احدهما قول الفراء واختيار كثير من البصريين وصاحب الكشاف ان اسماء الحروف موقوفة الاواخر تقول الف لام ميم كما تقول واحد اثنان

ثلثة وعلى هذا وجب الابتداء بقوله الله فاذا ابتدانا به تثبت الهمزة متحركة الا انهم اسقطوا الهمزة للتخفيف فالقيت حركتها على الميم لتدل حركتها على

انها فى حكم الباقية بسبب كون هذه اللفظة مبتدأ بها فكانت الهمزة ساقطة بصورتها باقية بمعناها وثانيهما قول سيبويه انه لما وصل الله بالم التقى ساكنان

ضرورة سقوط الهمزة فى الدرج فوجب تحريك الاول وكان الاصل هو الكسر الا انهم فتحوا الميم محافظة على التفخيم فالفتح على هذا القول ليست

المنقولة من همزة الوصل فلا يرد عليه ما يرد على القول الاول من ان الهمزة حيث لا وجود لها فى الوصل اصلا فكيف تنقل حركتها قال الواحدى نقل

المفسرون انه قدم على رسول الله وفد نجران ستون راكبا فيهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم وثلاثة منهم كانوا اكابر القوم احدهم اميرهم واسمه عبد

المسيح والثانى مشيرهم وذو رايهم وكانوا يقولون له السيد واسمه الايهم والثالث حبرهم واسقفهم وصاحب مدارسهم يقال له ابو حارثة بن

علقمة احد بنى بكر بن وائل وكان ملوك الروم شرفوه ومولوه واكرموه لما بلغهم عنه من علمه واجتهاده فى دينهم فلما قدموا من نجران ركب ابو حارثة

بغلته وكان الى جنبه اخوه كرز بن علقمة فبينما بغلة ابى حارثة تسير اذ عثرت فقال كرز تعسا وتعس الابعد يريد رسول الله فقال ابو حارثة بل تعست امك

فقال ولم يا اخى فقال انه والله النبى الذى كنا ننتظر فقال له اخوه كرز فما يمنعك منه وانت تعلم هذا قال لان هؤلاء الملوك اعطونا اموالا كثيرة واكرمونا فلو امنا

به لاخذوا منا كل هذه الاشياء فوقع ذلك فى قلب اخيه كرز وكان يضمره الى ان اسلم وكان يحدث بذلك ثم تكلم اولئك الثلثة الامير والسيد والحبر مع

رسول الله على اختلاف من اديانهم فتارة يقولون عيسى هو الله وتارة ابن الله وتارة ثالث ثلثة ويحتجون لقولهم هو الله بانه كان يحيى الموتى

ويبرئ الاكمه والابرص ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيطير ويحتجون فى قولهم انه ولد الله بانه لم يكن له اب يعلم ويحتجون على ثالث

ثلثة بقول الله تعالى فعلنا وقضينا ولو كان واحدا لقال فعلت ثم حانت وقت صلوتهم فقاموا يصلون فى مسجد رسول الله فقال رسول الله

دعوهم فصلوا الى المشرق فقال رسول الله اسلموا فقالوا قد اسلمنا قبلك فقال كذبتم كيف يصح اسلامكم وانتم تثبتون لله ولدا وتعبدون الصليب

وتاكلون الخنزير قالوا فمن ابوه فسكت رسول الله فانزل الله تعالى فى ذلك اول سورة آل عمران الى بضع وثمانين اية منها اية المباهلة ثم اخذ رسول الله

يناظرهم فقال الستم تعلمون انه لا يكون ولد الا ويشبه اباه قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا حى لا يموت وان عيسى ياتى عليه الفناء قالوا بلى قال الستم

ان ربنا قيم على كل شيء يكلأه ويحفظه ويرزقه فهل يملك عيسى شيئا من ذلك قالوا لا قال الستم تعلمون ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء
فهل يعلم عيسى شيئا من ذلك الا ما علم قالوا لا قال فان ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء فهل تعلمون ذلك قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا لا ياكل الطعام
ولا يشرب الشراب ولا يحدث الحدث وتعلمون ان عيسى حملته امه كما تحمل المرأة ووضعته كما تضع المرأة وغذي كما يغذى الصبي ثم كان يطعم الطعام
ويشرب الشراب ويحدث الحدث قالوا بلى فقال صلى الله عليه وسلم فكيف يكون هو كما زعمتم فسكتوا ثم ابوا الا الجحود ثم قالوا يا محمد الست تزعم انه كلمة الله وروح منه
قال بلى قالوا فحسبنا فنزل فيهم فاما الذين في قلوبهم زيغ الآية وتمام القصة سيجيء في آية المباهلة ان شاء الله تعالى ولعل ان مطلع هذه السورة له نظم
عجيب يتسق فيه ذلك لان اولئك النصارى كانوا قبلهم اما ان نازعوه في شأن الالهية او في شأن النبوة اما الاول فالحق فيه معه لانه تعالى حي قيوم كامل
في تفسير آية الكرسي وان عيسى ليس كذلك لانه ولد وكان ياكل ويشرب ويحدث والنصارى زعموا انه قتل وما قدر على دفع القتل عن نفسه فهذه الكلمة
اعني قوله الله لا اله الا هو الحي القيوم جامعة لجميع وجوه الدلائل على بطلان قول النصارى بالتثليث واما الثاني فقوله نزل عليك الكتاب بالحق
كالدعوى وقوله وانزل التوراة والانجيل من قبل كالدليل عليها وتقريره انكم وافقتمونا على ان التوراة والانجيل كتابان الهيان لانه تقرر فيهما
ما يدل على المعجزة الدالة على الفرق بين قولهما وبين اقوال الكاذبين ثم ان المعجز اتم في كون القرآن نازلا من عند الله كما هو في الكتابين واذا كان الطريق
مشتركا فالواجب تصديق الكل كالمسلمين اما قبول البعض ورد البعض فجهل وتقليد ولم يبق بعد ذلك علة لمن ينازعهم في دينهم فلا جرم ختم القصة
بالوعيد فقال ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد وانما خص القرآن بالتنزيل والكتابين بالانزال لانه نزل منجما فكان معنى التكثير حاصلا
فيه وانهما نزلا جملة واما قوله الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب فالمراد هنالك تنزيله المطلق من غير اعتبار التنجيم قال ابو مسلم معنى قوله بالحق صدقا
فيما تضمنه من الاخبار عن الامم او ان ما فيه من الوعد والوعيد يحمل المكلف على ملازمة الطريق الحق في العقائد والاعمال ويمنعه عن سلوك الطريق
الباطل او انه قول فصل وليس بالهزل قال الاصم اي بالحق الذي يجب له على خلقه من العبودية ولبعضهم على بعض من سلوك سبيل العدل والانصاف
في المعاملات او بما حقيق صونا من المعاني الفاسدة المتناقضة كقوله ولم يجعل له عوجا قيما ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ومعنى قوله مصدقا لما بين يديه
انه لو كان من عند غير الله لم يكن موافقا لسائر الكتب المتقدمة لان من هو على مثل حاله من كونه اميا لم يخالط اهل الدرس والقراءة ان كان مفتريا
استحال ان يسلم من التحريف والتغيير غير انه تعالى لم يبعث نبيا قط الا بالدعاء الى توحيده وتنزيهه عما لا يليق والامر بالعدل والاحسان وبالشرائع
التي هي صلاح كل زمان فان قيل كيف سمي ما مضى بانه بين يديه فالجواب ان هذا اللفظ صار مثلا في معنى التقدم لغاية ظهوره لان الاخبار جعلها كالحاضر
الحاضر عنده فان قلت كيف يكون مصدقا لما تقدمه من الكتب مع انه ناسخ لاحكام اكثرها قلنا اذا كانت الكتب مبشرة بالقرآن وبالرسول دالة
على ان احكامها تثبت الى حين بعثته ثم تصير منسوخة عند نزول القرآن كانت موافقة للقرآن وكان القرآن مصدقا لها فاما فيما عدا الاحكام فلا شبهة
في ان القرآن مصدق لها لان المباحث الالهية والقصص والمواعظ لا تختلف والتوراة والانجيل اسمان اعجميان احدهما بالعبرية والآخر بالسريانية
فالاشتغال باشتقاقهما لا يفيد الا ان بعض الادباء قد تكلف ذلك فقال الفراء التوراة معناها الضياء والنور من ورى الزند يرى اذا قدح
فظهرت النار فقال واصلها تورية بفتح الياء والراء وهذه قلبت الياء الفا او تورية بكسر الراء تفعلة مثل توصية الا ان الراء فتحت على لغة طي
فانهم يقولون في توصية توصاة وزعم الخليل والبصريون ان اصلها وورية فوعلة كصومعة فقلبت الواو الاولى تاء كتجاه وتراث واما الانجيل
فقال الزجاج افعيل من النجل الاصل اي هو الاصل المرجوع اليه في ذلك الدين وقيل من نجلت الشيء استخرجته اي انه اظهر الحق بسببه ابو عمرو الشيباني التناجل
التنازع سمي به لان القوم تنازعوا فيه ومعنى قوله من قبل اي من قبل ان ينزل القرآن وقوله هدى للناس اما ان يكون عائدا الى الكتابين
الكتابين فقط فيكون قد وصف القرآن بانه حق ووصف التوراة والانجيل بانه هدى واكتفى بوصف القرآن بانه حق مع انه قال في البقرة هدى
للمتقين لان المناظرة مع النصارى وهم لا يهتدون بالقرآن فذكر انه حق في نفسه سواء قبلوه او لم يقبلوه واما الكتابان فهم قائلون بصحتهما
فوصفهما بانهما هدى لهم واما ان يكون راجعا الى الكتب الثلاثة وهو قول الاكثرين وانزل الفرقان قيل اي جنس الكتب السماوية لانها كلها تفرق
بين الحق والباطل وقيل اي الكتب المذكورة كانه وصفها بوصف آخر فيكون كما قال الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وقيل انه
الكتاب الرابع وهو الزبور ويعترض بان الزبور ليس فيه شيء من الشرائع والاحكام وانما هو مواعظ ويمكن ان يجاب بان غاية المواعظ هي
التزام الاحكام المعلومة فقويت الدلالة ويحتمل ان يراد بذلك القرآن بما هو مدح له ونعت بعد ذكره باسم الجنس تفخيما لشأنه واظهارا للفضل وفي التفسير
الكبير انه لما ذكر الكتب الثلاثة بين انه انزل معها ما هو الفرقان الحق وهو المعجز الباهر الذي يدل على صدقها ويميز الفرق بينها وبين كلام المخلوقين
ثم انه تعالى بعد ذكر الالهيات والنبوات زجر المعرضين عن هذه الدلائل وهم اولئك النصارى او كل من اعرض عنها لان خصوص السبب لا يمنع عموم
اللفظ فقال ان الذين كفروا بآيات الله هي من كتبه المنزلة وغيرها من دلائله لهم عذاب شديد والله عزيز لا يغالب ذو انتقام لا احد لقدرته فيمنعها
الانتقام عقاب شديد لا يقدر على مثله منتقم فالتنكير للتعظيم واعلم انه اذا كان عزيزا ضمن العزيز اشارة الى القدرة التامة على العقاب
وذو انتقام اشارة الى كونه فاعلا للعقاب فالاول صفة الذات والثاني صفة الفعل قوله سبحانه ان الله لا يخفى عليه شيء لما ذكر انه
حي قيوم والقيوم هو القائم باصلاح مصالح الخلق وكونه كذلك يتوقف على مجموع امرين ان يكون عالما بمكنات حاجاتهم وكيفياتها

كلياتها

وكليتها وجزئياتها ثم ان يكون قادرا على ترتيبها والاول لا يتم الا اذا كان عالما بجميع المعلومات فاشار الى الاول بقوله ان الله لا يخفى عليه شيء و
الثاني لا يتاتى الا اذا كان قادرا على جميع الممكنات فاشار اليه بقوله هو الذي يصوركم ثم فيه لطيفة اخرى وهي انه ادعى كمال علمه بقوله ان الله
لا يخفى عليه شيء والطريق الى اثبات كونه تعالى عالما لا يجوز ان يكون هو السمع لان معرفة صحة السمع موقوفة على العلم بكونه تعالى عالما بجميع المعلومات
بل الطريق اليه ليس الا الدليل العقلي فلا جرم قال هو الذي يصوركم في ظلمات الارحام فان هذه البنية العجيبة والتركيب الغريب من اعضاء
مختلفة في الشكل والطبع والصفة فبعضها عظام وبعضها شرايين وبعضها اعصاب ثم انضم بعضها الى بعض على التركيب الاحسن والتاليف الاكمل
وذلك يدل على كمال علمه لان التركيب المحكم المتقن لا يصدر الا من العالم بتفاصيله ثم انه لما كان تعالى عالما بمصالح الخلق ومصالحهم قسمهم اجناسا
واشرفها علم بل الترجيح واشار اليها بقوله هو الذي يصوركم وقد وجدنا شرحها العلم فلا جرم اشار الى ذلك بقوله هو الذي انزل عليك
الكتاب ويحتمل ان تنزل هذه الآيات على سبب نزولها وذلك ان النصارى ادعوا الهية عيسى عليه السلام وعولوا في ذلك على نوعين من الشبه احدهما يتعلق
بالعلم وهو ان عيسى كان يخبر عن الغيوب وذلك قوله تعالى وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم والثانية تتعلق بالقدرة كاحياء الموتى
وابراء الاكمه والابرص فلما لبس النصارى شبهة غيرهما فازال شبهتهم الاولى بقوله ان الله لا يخفى عليه شيء فمن المعلوم بالضرورة من احوال عيسى عليه السلام
انه ما كان عالما بجميع المعلومات لعدم احاطته بجميع الاشياء فيه لانه قاطعة على انه ليس باله لكن احاطته ببعض المغيبات لا يدل على كونه الها لاحتمال
انه علم ذلك بالوحي او الالهام وازال الشبهة الثانية بقوله هو الذي يصوركم وذلك ان الاله هو الذي يقدر على ان يصور في الارحام من قطرة صغيرة من
النطفة هذا التركيب العجيب والتاليف الغريب ومعلوم ان عيسى لم يكن قادرا على الاحياء والاماتة بهذا الوجه كيف ولو قدر على ذلك لامات الذين
اخذوه على زعم النصارى وقتلوه فاما انه يعني الاشخاص واحياؤه لا يدل على الالهية لجواز كون ذلك لاظهار الله تعالى المعجزة على يده والعجز عن اماتة
البعض واحيائه يدل على عدم الالهية قطعا فاما الاحياء والاماتة لجميع الحيوانات فيدل على الالهية قطعا ثم انهم عدلوا عن المقدمات الثابتة هذه
الى مقدمات الزامية وهو انكم ايها المسلمون توافقوننا على انه ما كان له اب من البشر فيكون ابا لله فاجاب عنه بقوله انه هو الذي يصوركم
لان هذا التصوير لما كان منه فان شاء صوره من نطفة الاب وان شاء صوره ابتداء من غير اب فلو اوردوا الرسول الست تقول ان عيسى كلمة الله
وروحه وهذا يدل على انه ابن الله فاجاب الله تعالى عنه بان هذا الالزام لفظي واللفظ محتمل الحقيقة والمجاز فاذا ورد اللفظ بحيث يخالف الدليل
العقلي كان من باب المتشابهات فوجب رده الى التاويل او تفويضه الى علم الله وذلك قوله هو الذي انزل عليك الكتاب الآية فظهر انه لم يبق للنصارى
حجة ولا شبهة الا وقد اشتملت هذه الآيات على ذكرها والجواب عنها فان قيل ما الفائدة في قوله في الارض ولا في السماء مع ان المطلوب كان ابلغ قلت
الغرض تفهيم العباد كمال علمه وذلك عند ذكر السموات والارض اقوى لعظمتهما في الحس ومتى اعان الحس العقل على المطلوب كان الفهم اتم والادراك
اكمل وهذه فائدة ضرب الامثلة في العلوم فان قيل وما التصوير جعل الشيء على صورة والصورة هيئة حاصلة للشيء عند ايقاع التاليف بين
اجزائه واصله من صار يصور اذا امال فهذه الصورة مائلة الى شكل ابويه والارحام جمع الرحم والتركيب يدل على الرقة والعطف كما سلف في
قيل سمي به لاشتراك الرحم فيما يوجب الرحمة والعطف وقرئ تصوركم اي صوركم لنفسه ولتعبده وكيف في موضع الحال اي على اي حال اراد
طويلا او قصيرا او حسنا او قبيحا الى غير ذلك من الاحوال المختلفة ثم انه تعالى لما اجاب عن شبههم اعاد كلمة التوحيد ردا على النصارى القائلين
بالتثليث فقال لا اله الا هو العزيز الحكيم فالعزيز اشارة الى كمال القدرة والحكيم الى كمال العلم وفيه رد على من زعم الهية عيسى فان العلم ببعض الغيوب
واحياء بعض الاشخاص لا يكفي في كونه الها ونذكر هاهنا مسائل الاولى القرآن دل على انه بكليته محكم وذلك قوله الر كتاب احكمت آياته الر تلك
آيات الكتاب الحكيم والمراد كونه كلاما حقا فصيح الالفاظ صحيح المعاني بحيث لا يتمكن احد من الاتيان بمثله لوثاقة مبانيه وبلاغة معانيه
ودل على انه بتمامه متشابه كتابا متشابها مثاني والمراد انه يشبه بعضه بعضا في الحسن والاعجاز ويصدق بعضه بعضا والبراءة من التناقض ثم ان هذه
الآية هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات دلت على ان بعض القرآن محكم وبعضه متشابه فبين
معناهما المحكم ما هو المشترك بين النص والظاهر والمتشابه القدر المشترك بين المجمل والمؤول كما تقرر في المقدمة التاسعة من مقدمات هذا الكتاب والحكم
في اللغة المنع وكذا سائر تراكيبه فالحاكم يمنع الظالم من ظلمه وحكمة اللجام تمنع الفرس من الاضطراب وفي حديث النخعي احكم اليتيم كما تحكم ولدك اي امنعه
من الفساد وسميت الحكمة حكمة لانها تمنع عما لا ينبغي واما التشابه فهو كون الشيئين بحيث يعجز الذهن عن التمييز بينهما ثم يقال لكل ما لا يهتدي
الانسان اليه متشابه اطلاقا لاسم السبب على المسبب ونظيره المشكل لانه اشكل اي دخل في شكل غيره ثم ان كل واحد من اصحاب المذاهب يدعي ان الآيات
الموافقة لمذهبه محكمة والمخالفة متشابهة فالمعتزلي يقول فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر محكم وما تشاؤون الا ان يشاء الله متشابه
والسني يقلب الامر في ذلك وكذا المعتزلي يقول لا تدركه الابصار محكم وقوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة متشابه والسني بالعكس فلا بد من
قانون يرجع اليه فنقول صرف اللفظ عن الراجح الى المرجوح لا بد فيه من دليل منفصل وهو اما لفظي او عقلي والدليل اللفظي لا يكون قاطعا لانه موقوف
على نقل اللغات ونقل وجوه النحو والتصريف والاعراب وعلى عدم الاشتراك وعدم المجاز وعدم التخصيص وعدم الاضمار وعدم المعارض النقلي والعقلي
وكل ذلك مظنون والموقوف على المظنون اولى بان يكون مظنونا فلا يجوز التعويل عليه في المسائل الاصولية واذن لا سبيل الى صرف اللفظ عن معناه

راجح الى معنى مرجوح لا بالدلائل القطعية العقلية على ان معناه الراجح محال عقلا فاذا قامت هذه الدلالة وعرف المكلف انه ليس مراد الله تعالى
من هذا اللفظ ما اشعر به ظاهره فعند هذا لا يحتاج الى ان يعرف ان ذلك المرجوح الذي هو المراد ماذا لان السبيل الى ذلك انما يكون بترجيح مجاز على
مجاز وترجيح تأويل على تأويل وذلك الترجيح لا يمكن الا بالدلائل اللفظية وهي ظنية كما بينا لا سيما الدلائل المستعملة في ترجيح مرجوح على مرجوح آخر فاذن الخوض
في تعيين التأويل غير جائز والله اعلم المسئلة الثانية في حكاية اقوال الناس في المحكم والمتشابه عن ابن عباس ان المحكمات هي الآيات الثلاث في سورة
الانعام قل تعالوا الى آخرها وعلى هذا فالمحكم عنده ما لا يتغير باختلاف الشرائع لان هذه الآي كذلك والمتشابهات هي التي اشتبهت على اليهود كاوائل
السور اولوها على حساب الجمل ليستخرجوا بقاء هذه الامة واختلط الامر عليهم واشتبه وعنه ان المحكم هو الناسخ والمتشابه هو المنسوخ وقال الاصم
المحكم هو الذي يكون دلائله واضحة لائحة كالانشاء والخلق في قوله فخلقنا النطفة علقة والمتشابه ما يحتاج في معرفته الى التدبر والتأمل كآيات
البعث فان التأمل يجعلها محكمة فان من قدر على الانشاء مقدر على الاعادة فان عنى الاصم بوضوح الدلائل جلاءها وبالخفاء خلاف ذلك
فهذا هو الذي ذكرنا من ان المحكم عبارة عن النص والظاهر والمتشابه المجمل والمؤول وان عنى بالواضح ما يعلم صحته بضرورة العقل وبالخفي ما يعرف
بصريح العقل وبالخفي ما يعرف صحته بدليل العقل فكل القرآن متشابه فان انشاء الخلق ايضا يفتقر الى دليل عقلي فان الدهري ينسب ذلك
الى الطبيعة والمنجم الى تأثير الكواكب لعل الاصم يسمي ما هو ابعد عن الغلط لقلة مقدماته محكما والذي هو غير ذلك متشابها وقيل كل ما امكن تحصيل
العلم به سواء كان ذلك بدليل جلي او بدليل خفي فهو المحكم وكل ما لا سبيل الى معرفته كالعلم بوقت القيمة وبمقادير الثواب والعقاب في حق كل مكلف
فذلك متشابه المسئلة الثالثة في انه لم جعل بعض القرآن محكما وبعضه متشابها من الملاحدة من طعن فيه فقال كيف يليق بالحكيم ان يجعل كتابه الذي هو المرجع
في دينه الموضوع الى يوم القيمة بحيث يتمسك به كل صاحب مذهب فمثبت الرؤية يتمسك بقوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة والنافي
بقوله لا تدركه الابصار ومثبت الجهة بقوله يخافون ربهم من فوقهم الرحمن على العرش استوى والنافي بقوله ليس كمثله شيء فكل منهم يسمي الآيات
الموافقة لمذهبه محكمة والمخالفة متشابهة وربما آل الامر في ترجيح بعضها على بعض الى وجوه ضعيفة وتراجيح خفية وهذا لا يليق بالحكمة مع انه
لو جعل كله ظاهرا جليا خالصا عن المتشابه نفيا كان اقرب الى الغرض والجواب منها انه لما كانت المتشابهات موجودة كان الوصول الى الحق اصعب واشق
وزيادة المشقة توجب مزيد الثواب ومنها انه لو كان كله محكما كان مطابقا للمذهب واحد فقط فكان ينفر ارباب سائر المذاهب عن قبوله وعن النظر فيه
والانتفاع به فاذا كان مشتملا على القسمين حتى يطمع صاحب كل مذهب ان يجد فيه ما يؤيد مقالته فيجتهد في تأمل معانيه بعد الفحص والاستكشاف
صارت المحكمات مفسرة للمتشابهات فيتخلص المبطل عن باطله ويصل الى الحق ومنها انه اذا كان فيه محكم ومتشابه افتقر الناظر فيه الى الاستعانة
بالدلائل العقلية فيتخلص من ظلمة التقليد الى ضياء البينة والاستدلال الى الطمأنينة وافتقاره الى تحصيل علوم اخر كالصرف والنحو والمعاني والبيان
واصول الفقه واصول الكلام الى غير ذلك ومنها ان فيه تعبدا من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه ومنها وهو سبب قوي ان القرآن
كتاب مشتمل على دعوة الخواص والعوام وطبائع العامة تنبو في اكثر الامر عن درك الحقائق فمن سمع منهم في اول الامر اثبات موجود ليس بجسم ولا
متحيز ولا مشار اليه ظن ان هذا عدم ونفي فوقع في التعطيل فكان الاصلح ان يخاطبوا بالفاظ دالة على بعض ما توهموه وتخيلوه مخلوطا بما يدل على
الحق الصريح فالاول وهو الذي يخاطب به في اول الامر من باب المتشابهات والثاني وهو الذي يكشف لهم آخر الحال من قبيل المحكمات قوله هن ام الكتاب
الام في اللغة الاصل الذي يكون منه الشيء فلما كانت المحكمات مفهومة بذواتها والمتشابهات انما تفهم بمعونة المحكمات لا جرم صارت المحكمات
اصولا للمتشابهات وانما لم يقل امهات الكتاب ليطابق المبتدأ لان مجموع المحكمات في تقدير شيء واحد هو الاصل لمجموع المتشابهات ومثله قوله
وجعلنا ابن مريم وامه آية على معنى ان مجموعهما آية واحدة واخر جمع اخرى ومنه آيات اخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ اي ميل عن الحق فيتبعون
ما تشابه منه لا يتمسكون الا بالمتشابه قال الربيع هم وفد نجران حاجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسيح فقالوا اليس هو كلمة الله وروح منه قال بلى قالوا
حسبنا وقال الكلبي هم اليهود طلبوا علم مدة بقاء هذه الامة من الحروف المقطعة في اوائل السور وقال قتادة والزجاج هم منكرو البعث لانه قال في
آخره وما يعلم تأويله الا الله وما ذاك الا وقت القيامة فانه تعالى اخفاها عن كل الخلق حتى الملائكة والانبياء والتحقيق انه عام لكل مبطل يتشبث
باهداب المتشابهات لان اللفظ عام وخصوص السبب لا يمنع عموم اللفظ ويدخل فيه كل ما فيه لبس واشتباه ومن جملته ما وعد الله
الرسول من النصرة والكفار من النقمة فكانوا يقولون ائتنا بعذاب الله متى هذه الساعة لو ما تأتينا بالملائكة فموهوا الامر على الضعفة
قال اهل السنة ويدخل في هذا الباب تمسك المشبهة بقوله الرحمن على العرش استوى فانه ثبت بصريح العقل امتناع كون الاله في مكان
والا لزم انقسامه وكل منقسم مركب ممكن فمن تمسك به كان متمسكا بالمتشابهات ومن جملة ذلك تمسك المعتزلة بالظواهر الدالة
على تفويض الفعل بالكلية الى العبد فانه ثبت بالبرهان العقلي ان صدور الفعل يتوقف على حصول الداعي وانه من الله تعالى والا لتسلسل فيكون
حصول الفعل مع تلك الداعية واجبا وعند عدمها ممتنعا فيبطل التفويض ويثبت ان الكل بقضاء الله وقدره واذا كان الاحتمال للدلائل العقلية فكيف يجوز
للعاقل ان يدعي ان الآيات الدالة على القضاء والقدر من المتشابه بناء على ما اشتهر بين الجمهور من ان كل فريق يلقبون مذهبهم بالمحكم وكل آية تخالفه
بالمتشابه والانصاف ان الآيات ثلاثة اقسام احدها ما تأكد ظاهرها بالدلائل العقلية فذاك هو المحكم حقا وثانيها التي قامت الدلائل القاطعة

امتناع ظواهرها فذلك هو الذي يحكم فيه بان مراد الله غير ظاهره وثالثها الذي لا يوجد مثل هذه الدلائل على طرفي ثبوته وانتفائه فهو المتشابه بمعنى ان
الامر اشتبه فيه ولم يتميز احد الجانبين عن الاخر لكن ههنا عقدة اخرى وهي ان الدليل العقلي مختلف فيه بحسب مذاهب كل فرقة وتخيله صاحبه فان في
كل منه مادة وصورة فكل فرقة يدعي بمقتضى فكره ان الدليل العقلي قد قام على ما يوافق مذهبه فالكلام في الدليل الذي يتعلق به فالخلاص من البين الا بتأييد سماوي
ونور الهي ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ثم انه تعالى بين ان للزائغين غرضين احدهما ابتغاء الفتنة وهي في اللغة الاستهتار بالشيء والغلو فيه
يقال فلان مفتون بطلب الدنيا والرجل مفتون بامرأته وكان الفتنة بذلك المتشابه يعني البدعة والباطل في قلبه فيصير مفتونا عاشقا لا ينصرف
عن تخيله البتة وقيل الفتنة في الدين وهو الضلال والاغواء طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم وعن الاصم انهم متى اوقعوا تلك المتشابهات في
البين صار بعضهم مخالفا للبعض في الدين وذلك يفضي الى التقاتل والهرج والمرج فذلك هو الفتنة الغرض الثاني ابتغاء تأويله اي طلب المعنى الذي يرجع
اليه اللفظ بحسب ما يشتهونه من غير ان يكون قد جدله في كتاب الله سبحانه قال القاضي ابو بكر هؤلاء الزائغون قد اتبعوا المتشابه من وجهين احدهما
ان يحملوه على غير الحق وهو المراد من قوله ابتغاء الفتنة والثاني ان يحكموا بحكم في الموضع الذي لا دليل فيه وهو قوله وابتغاء تأويله ثم عرض تعالى فقال وما
يعلم تأويله الا الله والعلماء اختلفوا في هذا الموضع منهم من يقف ههنا ويقول هذا لا يعلم المتشابه الا الله وهو قول ابن عباس وعائشة والحسن و
مالك بن انس والكسائي والفراء ومن المعتزلة قول ابي علي الجبائي ومنهم من لم يجعل الواو في والراسخون للابتداء وانما يجعله للعطف حتى يكون العلم بالمتشابه
حاصلا عند الله وعند الراسخين لان وصفهم بالرسوخ في العلم وهو الثبوت والتمكن وبعد التعمق فيه يناسب ذلك وهذا قول مجاهد والربيع بن انس واكثر
المتكلمين وقد روي عن ابن عباس ايضا والمختار هو الاول لوجوه منها ما ذهب اليه كثير من العلماء ان اما فيه معنى التفصيل البتة وهذا انما يستقيم لو قيل
واما الراسخون في العلم فيقولون ومنها ان اللفظ اذا كان له معنى راجح ثم دل دليل اقوى منه على ان ذلك الظاهر غير مراد علم ان مراد الله بعض مجازات
ذلك الحقيقة وفي المجازات كثرة وترجيح البعض على البعض لا يكون الا بالتراجيح اللغوية الظنية ومثل ذلك لا يصلح الاستدلال في المسائل القطعية مثاله
الرحمن على العرش استوى فانه دل الدليل على ان الاله يمتنع ان يكون في المكان فعرفنا انه ليس مراد الله من هذه الاية ما اشعر به ظاهرها الا ان
في مجازات هذا اللفظ كثرة لا يتعين احدها الا بدليل قوي فيخوض والقول بالظن في ذات الله وصفاته غير جائز باجماع المسلمين ولهذا قال مالك بن
انس الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة ومنها ان ما قبل هذه الاية ذم لطالب تاويل المتشابه حيث قال فاما
الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه وتخصيص بعض المتشابهات بذلك كطلب وقت الساعة ونحوه ترجيح من غير مرجح فالذم متوجه على الكل
وهو المطلوب ومنها انه تعالى مدح الراسخين في العلم بانهم يقولون آمنا به وقال تعالى في اول البقرة فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم فهؤلاء
الراسخون لو كانوا عالمين بها وبتاويل ذلك المتشابه على التفصيل لما كان لهم في الايمان به مدح ولا في قولهم كل من عند ربنا لان كل من عرف شيئا
على التفصيل فانه لا بد ان يؤمن به انما الراسخون في العلم الذين علموا بالدلائل القطعية ان الله تعالى عالم بالمعلومات التي لا نهاية لها وعلموا ان القرآن
كلام الله تعالى وانه لا يتكلم بالباطل والعبث فاذا سمعوا اية ودلت الدلائل القاطعة على انه لا يجوز ان يكون ظاهرها مراد الله تعالى عرفوا ان مراد الله تعالى
شيء غير ذلك الظاهر ثم فوضوا تعيين ذلك المراد الى علمه وقطعوا بان ذلك المعنى اي شيء كان فهو الحق والصواب فهؤلاء هم الراسخون في العلم بالله
بحيث لم يزعزعهم قطعهم بترك الظاهر ولا عدم علمهم بالمراد عن الايمان بالله والجزم بصحة القرآن ولم يصر كون ظاهره مردودا داعيا لهم الى الطعن في كلام
الله تعالى ثم ان جعل قوله والراسخون عطفا على اسم الله فقوله يقولون آمنا به كلام مستأنف موضح لحال الراسخين بمعنى هم يقولون آمنا به
كل من عند ربنا اي كل واحد من المحكم والمتشابه من عنده وفي زيادة عند ربنا توضيح تاكيد تعظيم لشان القرآن ويحتمل ان يعود الضمير في آمنا به
الى الكتاب اي يقولون آمنا بالكتاب كل من محكمه ومتشابهه من عند الله الحكيم الذي لا يناقض كلامه ولا يختلف كتابه ويحتمل ان يكون قوله يقولون
حالا الا ان فيه اشكالا وهو ان ذا الحال هو الذي تقدم ذكره وههنا قد تقدم ذكر الله وذكر الراسخين والحال لا يمكن الا من الراسخين
فيلزم ترك الظاهر وما يذكر الا اولوا الالباب فيه تعظيم الانبياء والعقول الكاملة الذين يستعملون اذهانهم في فهم القرآن فيعلمون ما الذي يطابق
ظاهر دلائل العقل فيكون محكما وما الذي هو بالعكس متشابها ثم يعتقدون ان الكل كلام من لا يجوز في كلامه التناقض فيحكمون بان ذلك المتشابه
لا بد ان يكون له معنى صحيح عند الله وان لم يعرفوه وقيل هو مدح للراسخين بالقاء الذهن وحسن التامل حتى علموا من التاويل ما علموا ثم انه تعالى
حكى عن الراسخين نوعين من الدعاء الاول قولهم ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا اي بعد وقت هدايتنا والثاني قولهم وهب لنا من لدنك
رحمة يسئلون ربهم اولا ان لا يجعل قلوبهم مائلة الى الاباطيل والعقائد الفاسدة ثم ان ينور قلوبهم بانوار المعرفة ويزين جوارحهم واعضاءهم
بزينة الطاعة والعبودية والخدمة وثالثها ان يحصل في الدنيا سهولة اسباب المعيشة من الامن والصحة والكفاية ورابعها ان يحصل عند الموت
سهولة سكرات الموت وخامسها سهولة السؤال والظلمة والوحشة في القبر وسادسها في القيامة سهولة العقاب والخطاب وغفران السيئات
وتبديلها بالحسنات وسابعها في الجنة ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وثامنها في الحضرة رفع الاستار ودوام رؤية الملك الجبار وفي قولهم من لدنك
تنبيه على ان هذا المقصود لا يحصل الا من عنده ويؤكده قوله انك انت الوهاب فالمطالب وان كانت عظيمة فانها تكون حقيرة بالنسبة الى غاية
كرمك ونهاية جودك وموهبتك ولنعد الى ما يتعلق بالدعاء الاول قال اهل السنة القلب صالح لان يميل الى الايمان وصالح لان يميل الى الكفر

منها يتوقف على داعية يخلقها الله تعالى فيه اذ لو حدثت بنفسها لزم سد باب اثبات الصانع فان كانت داعية الكفر فهو الخذلان والازاغة والصد والختم
والطبع والرين وغيرها مما ورد في القرآن وان كانت داعية الايمان فهو التوفيق والرشاد والهداية والتثبيت والعصمة ونحوها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن يعني الداعيتين ومما يؤكد ذلك ان الله تعالى مدح هؤلاء الراسخين بانهم لا يتبعون المتشابهات
بل يؤمنون بها على سبيل الاجمال ويتركون الخوض فيها فيبعد منهم في مثل هذا الوقت ان يتكلموا بالمتشابه ويكون هذه الآية من اقوى المحكمات
وهو ظاهر في ان الازاغة والهداية بكليتهما من الله تعالى اما المعتزلة فقد قالوا لما دلت الدلائل على ان الازاغة لا يجوز ان يصدر من الله تعالى لان
ذلك ظلم وقبيح وجب صرف الآية الى التأويل فقال الجبائي واختاره القاضي المراد لا تمنع قلوبنا الالطاف التي معها يستمر قلبنا على صفة الايمان وزيد
بان اللطف ان صح في حقهم وجب عندكم على الله فعل ذلك حتى لو تركه لبطلت الهيته ولصار جائرا وقال الاصم لا تبلنا ببلوى يزيغ عندها القلوب
والمعنى لا تكلفنا من العبادات ما لا نأمن معه الزيغ وقد يقول القائل لا تحملني على ايذائك اي لا تفعل ما اضجر عنده مؤذيا لك وزيف بان التشديد في
التكليف قبيح ان علم الله تعالى انه لما اثر في حمل المكلف على القبيح والا فوجوده كعدمه فلا فائدة في صرف الدعاء اليه وقال الكعبي لا تسمنا باسم الزيغ
كما يقال فلان يكفر فلانا اي يقول انه كافر وزيف بان التسمية دائرة مع الفعل وحصل الزيغ باختيار العبد عندكم فالتسمية ايضا بسببه
وقال الجبائي ايضا لا تزغ قلوبنا عن جنتك وثوابك وهو كالاول الا ان يحمل على شيء آخر وهو انه تعالى اذا علم انه مؤمن في الحال وعلم انه لو بقي الى السنة الثانية
لكفر اماته في هذه السنة ويرد عليه انه لو كان علم انه يكفر في السنة الثانية فوجب عليه ان يميته لكان علم بانه لا يؤمن قط ويبقى على الكفر طول
عمره فوجب ان لا يخلقه وعن الاصم ايضا لا تزغ قلوبنا عن كمال العقل بالجنون بعد ان هديتنا بنور العقل ولا يخفى ضعفه وعدم مناسبته لقوله فاما
الذين في قلوبهم زيغ وقال ابو مسلم احرسنا من الشيطان ومن شرور انفسنا حتى لا نزيغ ثم انهم لما طلبوا ان يصونهم عن الزيغ وان يخصهم بالهداية
والرحمة فكانهم قالوا ليس الغرض من هذا السؤال ما يتعلق بمصالح الدنيا فانها منقضية ولكن الغرض ما يتعلق بالآخرة فانا نعلم انك جامع الناس
للجزاء في يوم لا ريب فيه اي في وقوعه فاللام للوقت او جامع الناس لجزاء يوم فحذف المضاف ان الله لا يخلف الميعاد قيل هو كلام الله تعالى كانه يصدقهم
فيما قالوه ولو كان من تمام قول المؤمنين لقيل انك لا تخلف الا ان يحمل على الالتفات ومعناه ان الالهية تنافي خلف الميعاد كقولك ان الجواد
لا يخيب سائله ولا سيما وعد الحشر والجزاء لينتصف للمظلومين من الظالمين والميعاد المواعدة والوقت والموضع فانه في الصحاح واعلم انه لا يلزم من انه
تعالى لا يخلف الوعد القطع بوعيد الفساق كما زعم المعتزلة لان كل ما ورد في وعيد الفساق فهو عندنا مشروط بشرط عدم العفو بدليل منفصل قال
الواحدي ولا يجوز ان يحمل هذا على ميعاد الاولياء دون وعيد الاعداء لان خلف الوعيد كرم عند العرب قال بعضهم اذا وعد السراء انجز وعده
وان وعد الضراء فالعفو مانعه وناظر ابو عمرو بن العلاء عمرو بن عبيد فقال ما تقول في اصحاب الكبائر فقال ان الله وعد وعدا واوعد ايعادا
فهو منجز ايعاده كما هو منجز وعده فقال ابو عمرو وانك اعجم لا اقول اعجم اللسان ولكن اعجم القلب لان العرب تعد الرجوع عن الوعد لوما وعن الايعاد
كرما وانشد اني وان اوعدته او وعدته لمكذب ايعادي ومنجز موعدي وذلك ان الوعد حق عليه والوعيد حق له ومن اسقط حق نفسه فقد اتى بالجود
والكرم ومن اسقط حق غيره فذلك هو اللوم فهذا هو الفرق بين الوعد والوعيد على انا لا نسلم ان الوعيد ثابت جزما من غير شرط بل هو مشروط بعدم
العفو فلا يلزم من تركه دخول الكذب في كلام الله تعالى ثم انه سبحانه لما حكى عن المؤمنين دعاءهم وتضرعهم حكى كيفية حال الكافرين وشدة عذابهم فقال
ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا قيل المراد وفد نجران وذلك انا روينا في قصتهم ان ابا حارثة بن علقمة قال
لاخيه اني لاعلم انه رسول الله حقا ولكن ان اظهرت ذلك اخذ ملوك الروم مني ما اعطوني من المال فالله تعالى بين ان اموالهم واولادهم لا تدفع عنهم عذاب الله
في الدنيا والآخرة لكن خصوص السبب لا يمنع عموم اللفظ واعلم ان كمال العذاب هو ان يزول عنه كل ما كان منتفعا به ثم يجتمع عليه جميع الاسباب
المؤلمة اما الاول فاشار اليه بقوله لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم لانهما اقرب الامور التي يفزع اليها المرء عند الخطوب اذا لم يعد امرا لتفرق
الى دفع المضار في ذلك اليوم فما عداه بالتعذر اولى ومثله يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم المال والبنون زينة الحيوة الدنيا
والباقيات الصالحات خير واما الثاني فاشار اليه بقوله واولئك هم وقود النار فانه لا عذاب ازيد من ان تشتعل النار فيهم كاشتعالها في
الحطب اليابس ومن قوله من الله للبدل مثله في قوله ان الظن لا يغني من الحق شيئا اي بدله والمضاف محذوف تقديره لن تغني عنهم بدل
رحمة الله او طاعته شيئا وفي الحديث لا ينفع ذا الجد منك الجد اي لا ينفعه جده وحظه في الدنيا بدلك اي بدل طاعتك وعبادتك وما عندك وانشد
ابو علي شعر فليت لنا من ماء زمزم شربة مبردة باتت على طهيان وطهيان من بلاد الازد فلك يجوز ان يقال من للابتداء تقديره من عذاب
الله والجار والمجرور مقدم حالا من شيئا ومن زائدة لتاكيد النفي اي لن تغني عنهم عذاب الله شيئا من الغناء اي لن تدفع وقال ابو عبيدة من
بمعنى عند المعنى لن تغني عند الله شيئا قوله كدأب آل فرعون يقال دأب فلان في عمله اي جد فيه وتعب دأبا ودؤوبا فهو دائب ثم الدأب صار
الدأبان الليل والنهار والدأب العادة والشأن وكل ما عليه الانسان من صنيع وحال الدأب مجاز واصله من دأب ثم الاسم الخاص على العام
اي جد هؤلاء الكفار واجتهادهم او شأنهم وصنيعهم في تكذيب محمد وكفرهم بدينه كدأب آل فرعون مع موسى ثم انا اهلكنا اولئك بذنوبهم
فكذلك نهلك هؤلاء فهو مصدر لتكذيبهم كذبوا بآياتنا تفسير لدأبهم على انه جواب سؤال مقدر كانه قيل ما فعلوا وما فعل بهم فقيل كذبوا بآياتنا

كالانذار بالانعام وشرعه شرط عدم التوبة

النقلية

بالعذاب

بالمعجزات الدالة على صدق رسالتنا فاخذهم الله بذنوبهم اي صاروا عند نزول العذاب كالمنحوت الكلوب الذي لا يقدر على وجه الخلاص البتة وقيل المعنى
كداب آل فرعون اي كحالهم اسمعو قوبل النار كعادتهم وصنيعهم آل فرعون والمصدر يضاف تارة الى الفاعل وتارة الى المفعول قال القفال
يحتمل ان يكون الاية جامعة لاضافة الى السنة والعادة مضافة الى الكفار كانه قيل ان عادة هؤلاء الكفار ومذهبهم في ايذاء محمد كعادة من قبلهم
في ايذاء الرسل وعادتنا ايضا في اهلاك هؤلاء كعادتنا في اهلاك اولئك الكفرة وقيل الدءب والداب اللبث والدوام والتقدير دءبهم في النار
كدءب آل فرعون وقيل مشقتهم وتعبهم في النار كمشقة آل فرعون بالعذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا
آل فرعون اشد العذاب وقيل التشبيه هو ان اموالهم واولادهم لا تنفعهم مما اعانهم الله العذاب والمعنى انكم قد عرفتم ما حل بآل فرعون ومن قبلهم
المكذبين بالرسل من العذاب الذي عنده لم ينفعهم مال ولا ولد فكذلك حالكم ايها الكفار المكذبون بمحمد نزل بكم مثل ما نزل بهم ولا يغني عنكم الاموال
والاولاد ويحتمل ان يكون وجه التشبيه بما كان نزل بمن تقدم العذاب المعجل بالاستيصال وهو قوله فاخذهم الله بذنوبهم ثم صاروا الى دوام
العذاب وهو قوله والله شديد العقاب فبشر لمن كذب محمد لم ان تحدها الخ المعجلة من القتل والسبي الى ان يسلب الاموال واليه الاشارة
بقوله فيما بعد قل للذين كفروا ستغلبون والثاني المصير الى العذاب الدائم وذلك قوله وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد الم الالف اشارة الى
الوحدة مطردا يا وصفه فان الالف واحد في ذاته وصفاته في وضع الحساب منفردا بالاولية والانقطاع عن غيره وفي وضع الحروف وشبه باستغنا
وعدم تغيره في جميع الاحوال الى عدم تغيره عن الوجود والوحدانية ازلا وابدا فان الالف مصدر جميع الحروف فانه من استغنائه يخرج كل حرف
معوج ثم في اللام المتصل بالالف كل حرف منهما بالاخر اشارة الى ان كل موجود سوى الوحدة موصوف بالاثنينية وذلك قسمان قسم لم يكن فكان ثم يزول
وقسم ما كان فكان ثم لا يزول فهذان قسمان محدثان وموجدهما الواحد القديم الذي لا زال كان ولا يزال يكون واليه الاشارة بالالف قائما واللام قائم
الى القسم الذي لم يكن فكان ولا يكون باقيا وهو عالم الصورة والملك لا جسادنا وتوغله المرتبة الثانية من الالف اشارة الى من هو موصوف بالوجود
والالف سابق عليه لا انكسار فيه يشير الى تقدمه وتعاليه والميم اشارة الى القسم الذي لم يكن فكان ولا يزال يبقى وهو عالم المعنى والملكوت والا
وذلك ان الميم اول حرف من اسم المبدئ واخر حرف من اسم القيوم فيشير الى انه كان ابدا المبدأ حين لم يكن يقيمه القيوم حين كان لا يزال وبوجه آخر
الالف اشارة الى وجود حقيقي قائم بذاته واللام يشير الى اثبات ونفي فالاثبات لام التمليك له ما في السموات وما في الارض والنفي لام النافية اي لا
وجود لشيء بالحقيقة سواه والميم يشير الى اثبات ونفي فالاثبات ميم اسمه القيوم والنفي ميم النافية اي ما في الوجود حقيقة الا هو ودليل الوجهين
في الم الله لا اله الا هو الحي القيوم فالله اثبات ذاته القديم ولا اله الا هو نفي الشريك عن وجوده واثبات الوحدة في وجوده والحي القيوم اثبات
جميع صفات كماله ونفي جميع صفات النقص عن ذاته وقد اودع مجموع معاني هذه الآية في قوله الم فمعنى قوله الله اودع في اول حرف من حروفه
وهو الالف ومعنى قوله لا اله الا هو اودع في اول حرف من حروفه وهو اللام ومعنى قوله الحي القيوم اودع في آخر حرف من حروفه وهو الميم فانما
اودع في آخر حرفه ههنا ليكون السر مودعا في الاية من اول حرفها مكتوما فيما بينهما والحروف الثلثة من قوله الم يكون الالف من اوله دالا على
المعنى الذي هو في الكلمة الاولى وهو الله واللام من اوسطها دالا على المعنى الذي في الكلمة الثانية وهو لا اله الا هو والميم من آخرها دالا على المعنى
الذي مودع في الثالثة وهو الحي القيوم فيكون الاسم الاعظم مودعا في الم كما روي عن بعض حبيب عنه وهو القرآن ومضمومة كما روي عن
ابي بكر وعلي ثم انه تعالى بعد ان اظهر سر الالوهية المودعة في الم بقوله الله لا اله الا هو الحي القيوم اظهر لطائف الربوبية المكنونة في اسرار العزة
مع حبيبه محمد فقال نزل عليك الكتاب بالحق نزل حقائق القرآن وانوار معانيه على قلبك بالحقيقة مطلعا لسرك بحقيقة من ربك فصرت مشاهدا
لسر الله المودع في الم وهو الذي بين لك انه الله لا اله الا هو الحي القيوم فصرت مصدقا له تصديق تحقيق لا تصديق تقليد فانهم اذ لم تشملهم
تعلم انك لا تعلم لانه مطلق الطيرانات بعد سيفه لا من الطيارين ولا من السائرين وانزل التورية والانجيل من قبل هدى للناس فلا تظن
يا محمد ان انزال الكتب على الانبياء كان كتنزيل القرآن بالحقيقة على قلبك حتى صرت مكاشفا عند تجلي انواره واسرار حقائقه وبينك
لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل وانما انزال الكتب على الانبياء كان بالصورة مكتوبة في صحائف والواح يقرأها كل قارئ يستوي في هداها
الانبياء والامم فاطبقه هدى للناس وكنت مخصوصا بالهداية عند تجلي انوار القرآن بالتنزيل على قلبك فرق بين انزال الكتب على صورة الانبياء و
يفرق بين تعليمك القرآن وبين تعليمهم الكتب فانهم كانوا يدرسون الكتب وانت مطلع القرآن فشتان بين نبي يجي هو بذاته نور ومعه كتاب
قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وبين نبي يجيء فيتبع نور من الكتاب قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس وشتان
بين نبي تشرف بكتابة الموعظة له في الالواح وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وبين نبي تشرف امته بكتابة الايمان لهم في قلوبهم اولئك كتب
في قلوبهم الايمان ان الذين كفروا بآيات الله فصاروا من حجب الغفلات وتتبع الشهوات قلوبهم فمنع من مشاهدة هذه الآيات البينات لهم
عذاب شديد من هذا البعد والحرمان وهم في حسرات من الركون الى هذا النقصان والله عزيز ذو انتقام يعز اهل العز بصفة المرام وينتقم
من اهل السلوة بحجاب العزة ثم اخبر عن كمال علمه بقوله ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء وكيف يخفى وانه هو الذي يصوركم
في الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز عن نقص الاحكام الحكيم فيما يجري من الازل الى الابد ثم بعث الاقلام وفي الآية اشارة الى

اذا سقطت من صلب ولاية رجل من رجال الحق نطفة ارادة في رحم قلب مريد صادق فيسلم التصرفات ولاية الشيخ وهي بمثابة ملك الارحام في تصوير
المريد بحواله الظاهرة والباطنة على وفق امر الشيخ بحسب الخلوة والعزلة لئلا يصيبه منه حركة عنيفة او بحيلة يجتمع بها فيلزم منه سقوط النطفة
وفسادها ويعقد بامر الشيخ وتدبيره فاستقامته يتصرف في ولاية الشيخ للوهب بتاييد الحق ويرد في كل اربعين عليه بمراتبها يحولها من حال الى حال
ومن مقام الى مقام الى ان يرجع الى حظائر القدس من رياض الانس لو منها صدر الى عالم الانس فيكون الجنين في رحم القلب هو طفل خلقه الله
ارضا فيستحق الا ان ينفخ فيه الروح المخصوص بانبيائه واوليائه يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده كتب في قلوبهم الايمان وايدهم
بروح منه فاذا انفخ فيه الروح يكون ادم وقته فيسجد له الملائكة فالملائكة كلهم اجمعون الايات المحكمات متزيلها شرب الخواص والعوام لبسط
الشرع والاهتداء والمتشابهات تاويلها شرب خواص الخواص لاخفاء الاسرار عن الاغيار والابتلاء فاما الذين في قلوبهم زيغ
البعث قلوبهم غطاء الريب وحجبوا انوار الغيب اهل الاهواء والبدع فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ليضلوا باهوائهم وابتغاء تاويله
ليضلوا الناس بارائهم والراسخون في العلم يقولون امنا به بما شاهدوا من انوار الحق في تحقيق التاويل كل من عند ربنا بتوفيقه واعلامه وتعريفه
وما يذكر الا اولوا الالباب الذين خرجوا في متابعة النبي من ظلمات قشور وجود النفس الى نور لباب وجودهم الروحاني وهم الراسخون في قشور
العلوم الكسبية الواصلون الى حقائق لباب العلوم اللدنية من لدن حكيم خبير وفي الاية اشارة الى ان علوم الراسخين كلها بتعليم الله تعالى اياهم في الميثاق
اذ تجلى بصفة الربوبية لذراتهم واشهدهم على انفسهم بشواهد الربوبية الست بربكم فشهدوا تلك الشواهد لكن بحجبة الذرات علم التوحيد
فقالوا بلى ويندرج في علم التوحيد كل العلوم كما قال وعلم ادم الاسماء كلها فلما ردت الذرات الى الاصلاب واحتجبت بصفات البشرية ثم نقلت
الى الارحام وتنقلت بتقدم الاربعينات من حال الى حال ومن مقام الى مقام فامات البعد عن الحضرة الى ان وضع الحمل وردت النفس العالمة
بعلم التوحيد الناطقة ببلى الى اسفل سافلين القالب محتجبة بحجب البشرية فانسيت تلك العلوم النطق بها ثم ابواه يذكرانه تلك العلوم بالرموز والقرائن
حتى يتذكر بعض تلك العلوم من وراء حجب البشرية واستار الاطوار وينطق بلسان الابوين لا بلسان الذي اجاب به الرب فقال بلى فان ذلك
اللسان كان لب هذا اللسان وهذا قشر ذلك كذلك جميع وجود ظاهر الانسان وباطنه قشور الباب لب ذلك الوجود فللسمع الجسماني لب
فسمعه قشر ذلك السمع الذي استمع خطاب الحق وبصره قشر ذلك البصر الذي بصر جمال الحق وقلبه قشر ذلك القلب الذي فقه خطاب الحق
وعلومه قشر تلك العلوم التي تعلمت من الحق فالنبي انما بعث ليذكره حقيقة تلك العلوم التي كان ابواه يذكرانه قشرها كما قال فذكر انما
انت مذكر فالتذكير عام ولكن التذكر خاص فلهذا قال وما يذكر الا اولوا الالباب بما يتذكر اولوا الالباب ربنا لا تزغ قلوبنا عن صراط
بظلمات ظلمات طبايعنا وطباعنا بعد اذ هديتنا الى الحضرة وجلال وجمال الحق بسمعنا اللب للتنزيل وشاهدنا اللب
ابصارنا اللب للتاويل وتذكرنا اللب بعقولنا اللب علومنا وهب لنا من لدنك رحمة تجذبنا من لدنا الى لدنك انك انت الوهاب
وفيه اشارة الى ان وظيفة الطالب ان لا يسكن في مقام ولا يقف مع حال بل يكون الى الابد طالبا كما كان الله في الازل الى الابد وهابا وكما انه
لا نهاية لمواهبه فلا غاية لمطالب الطالب بعد هذه الدار دار القرار تتوفر فيها مواهب الابرار والفجار يحصل الارب بقدر رعاية الادب
في الطلب مقاما فالتعب في النصب وان التقوى خير زاد للمعاد ان الله لا يخلف الميعاد ان الذين كفروا ستروا انوار روحانيتهم بظلمات صفات
نفسانيتهم لن تغني عنهم طاغوت اموالهم ولا اولادهم من انوار الله التي حجبوا عنها واولئك هم وقود النار نار الفرقة والقطيعة نار الله الموقدة
التي تطلع على الافئدة لا نار الجحيم التي تحرق الانسان بالجلود ولا يطلع على القلوب فان عذاب حرقة الجلود بالنسبة الى عذاب فرقة القلوب
وحرقة القطيعة عن الله كنسيم الحيوة الى سموم الممات نار الجحيم كدأب ... وكذلك دأب جميع الكفار الذين ستروا انوار روحانيتهم
بظلمات صفات النفس فعموا وصموا عن مشاهدة انوارنا ومحافظة اسرارنا فاخذهم الله فعاقبهم بحجاب ذنوبهم وحرقة قلوبهم والله
شديد العقاب بأليم نار فراقه وعظيم عذاب بعده واشر اسبابنا يخوفني قومي فقلت لهم النار ترحم من سنى قلبه

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ۝ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ
بگو مر آنانرا که کافر شدند زود است که مغلوب شوید و گشوده شوید بسوی دوزخ و بد جایگاه است بتحقیق که هست شما را نشانی در دو طائفه که ملاقات کردند گروهی کارزار
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ
در راه خدا وطائفه دیگر که کافر بود که میدیدند آنها را دو چندان در یک نظر وخدا قوت میدهد بیاری خود هر کرا خواهد بدرستی که در این هر آینه عبرتست صاحبان چشم
زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ
آراسته شد از برای مردم دوستی شهوات از زنان و فرزندان و پشتهای پر از طلا و نقره و اسپان نشان کرده و چهارپایان
وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ۝ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ
و زراعت این بهره زندگانی دنیا و خدا در نزد او است بهتر بازگشت بگو آیا خبر دهم شما را به بهتر از این مر آنانرا که پرهیزکاری کردند نزد پروردگار
جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۝ الَّذِينَ
بهشت که روانست از زیر آنها جوها جاوید ماننده در آن و زنان پاکیزه و خشنودی از خدا و خدا بینا است به بندگان آنان

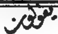

يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۝ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ

میگویند که پروردگارا بدرستی که ما گرویدیم پس بیامرز ما را گناهان ما را و نگاهدار ما را از عذاب آتش ۝ آن صبر کنندگان و راستگویان و فرمان برندگان و انفاق کنندگان

وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ۝ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

و استغفار کنندگان در سحرها ۝ گواهی داده است خدا اینکه نیست خدایی بجز او و فرشتگان و صاحبان دانش ایستادگان بعدالت نیست خدایی بجز او که غالب درست کار است

إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ

بدرستی که دین در نزد خدا اسلام است و اختلاف کردند آنان که داده شدند کتاب را مگر پس از آنکه رسید ایشان را دانش از روی ستمکاری در میان خود و هر که کافر شود بنشانهای

اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ۗ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ

خدا پس بدرستی که خدا زود حساب است ۝ پس اگر محاجه کنند با تو پس بگو که تسلیم کردم روی خود را برای خدا و هر که متابعت کند مرا و بگو آنان را که داده شدند کتاب و بی سوادان را آیا اسلام آوردید

فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا ۖ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ

پس اگر اسلام آوردند پس بتحقیق هدایت یافتند و اگر رو گردانند پس جز این نیست که بر تو رسانیدن است و خدا بیناست به بندگان ۝ بدرستی که آنان که کافر میشوند بنشانهای خدا و میکشند

النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ

پیغمبران را بدون حق و میکشند آنها را که امر میکنند بعدالت از مردمان پس مژده ده ایشان را بعذاب دردناک ۝ آنگروه آنهااند که باطل شد کردارشان

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ

در دنیا و آخرت و نیست ایشان را از یاوران ۝ آیا ندیدی بسوی آنانکه داده شدند بهره از کتاب را خوانده میشوند بسوی کتاب خدا تا حکم کند

بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا

در میان ایشان پس رو میگرداند گروهی از ایشان و حال آنکه ایشان اعراض کنندگانند ۝ این بسبب آنست که گفتند هرگز نرسد ما را آتش مگر روزهای شمرده شده و فریب داد ایشان را در دین ایشان آنچه

كَانُوا يَفْتَرُونَ ۝ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝

بودند که دروغ میگفتند ۝ پس چگونه باشد وقتی که گرد کنیم ایشان را از برای روزی که نیست شکی در آن و داده شود تمام هر نفسی آنچه کسب کرده و ایشان ستم کرده نشوند ۝

القراءة سيغلبون ويحشرون بياء الغيبة حمزة وعلي وخلف وعباس مخير الباقون بتاء الخطاب ترونهم بتاء الخطاب ابو جعفر ونافع وسهل ويعقوب الباقون بالياء مثليهم بضم الميم سهل ويعقوب وكذلك الفتح قبل الياء مثل يحيينهم رأي العين بغير همز ابو عمرو وغير شجاع ويزيد والاعشى والاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف الباقون بالهمز ساكنا او نبئكم بهمزة غير ممدودة بعدها واو مضمومة ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب غير عباس وفيه وليه شعيب نافع غير قالون أؤنبئكم بالمد والواو المضمومة يزيد قالون وعباس في قيد وابو شعيب الباقون بهمزتين هشام يدخل بينهما مدة ورضوان بضم الراء حيث كان الاعشى والبرجمي وافق يحيى حماد الا في من اتبع رضوانه في المائدة ان الدين بفتح ان علي الباقون بالكسر وجهي بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن عامر غير الهاشمي عن هشام وحفص والمفضل والاعشى والبرجمي من اتبعني باثبات الياء في الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو عمرو ابو جعفر ونافع غير قالون في الوصل ويقاتلون الذين حمزة ونصير في رواية علي بن نصر الباقون ويقتلون ليحكم بضم الياء وفتح الكاف ابو جعفر الباقون بالعكس الوقوف جهنم ط المهاد ٥ لتشابه لان التقدير بهما فئتان احديهما العين من ثباته ط الابصار ٥ والحرث لا لذنياج للفصل بين الشيئين مع اتفاق الجملتين المآب ٥ من ذلكم ط لتناهي الاستفهام من اسقط ابا الفاتح لان الآية على جعل الذين خبر مبتدأ محذوف اي هم الذين او مدحا حاملا على الذين ويجوز انه نعت للعباد او للمتقين الناتج لان الصابرين يصلح بدلا للذين والوقف اجود نصبا على المدح بالاسحار ط الا هو ط للعطف تلو وقف حمزة او عن ... بحمولة الملائكة واولوا العلم في الاستثناء والشاكر في الا هو ... كان نحيدا بالقسط ط الحكيم ط الاسلام قف ان الفتح على البدل من انه الاسلام بينهم ط لاطلاق حكم غير مخصوص بما قبله الحساب ومن اتبعن ط لابتداء امر يشمل اهل الكتاب العرب الا ان يخص باهل الكتاب فلم يكن الثاني من جملة اجزاء الشرط اسلمتم ط لتناهي الاستفهام الى الشرط اهتدوا ج لابتداء شرط آخر مع العطف البلاغ ط بالعباد ٥ بغير حق لمن قرأ ويقاتلون لعدم حل المعنى من قوله يقتلون اليم والآخرة ز للابتداء بالنفي مع اتحاد المقصود من ناصرين معرضون ٥ معدودات ص لان الواو للعطف او الحال يفترون ٥ لا يظلمون ٥ التفسير عن ابن عباس في رواية ابي صالح عنهما انه لما هزم الله المشركين يوم بدر قال اليهود المدينة هذا والله النبي الذي بشرنا به موسى نجده في كتابنا بنعته وصفته وانه لا ترد له راية وارادوا تصديقه واتباعه ثم قال بعضهم لبعض لا تعجلوا حتى ننظر الى وقعة اخرى فلما كان يوم احد ونكب اصحاب رسول الله شكوا وقالوا لا والله ما هو به وغلب عليهم الشقاء فلم يسلموا وكان بينهم وبين رسول الله عهد الى مدة فنقضوا ذلك العهد وانطلق كعب بن الاشرف في ستين راكبا الى اهل مكة ابي سفيان واصحابه فوافقوهم واجمعوا امرهم وقالوا لتكونن كلمتنا واحدة ثم رجعوا الى المدينة فانزل الله فيهم هذه الآية وقال محمد بن اسحق بن يسار في رواية عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس لما اصاب رسول الله قريشا ببدر فقدم المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع فقال يا معشر اليهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش يوم بدر واسلموا قبل ان ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم اني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله اليكم فقالوا يا محمد لا يغرنك انك

لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت فيهم فرصة اما والله لو قاتلناك لعرفت انا نحن الناس فانزل الله قل للذين كفروا يعني اليهود ستغلبون ثم يموتون
ويحشرون الى جهنم في الآخرة ومضى تفسير جهنم في البقرة في قوله فحسبه جهنم ولبئس المهاد وقيل هم مشركو مكة ستغلبون يعني يوم بدر ومن قرأ
بتاء الخطاب فمعناه الامر بان يخبرهم بما سيجري عليهم من الغلبة والحشر بلفظ المواجهة ومن قرأ بالياء فالامر متوجه الى حكاية هذا اللفظ اي
قل لهم قولي لك ستغلبون وفي الآية احتجاج الفاعل على تكليف ما لا يطاق فانه تعالى اخبر عنهم بانهم يحشرون الى جهنم فلو آمنوا واطاعوا لانقلب الخبر
كذبا وفيها دليل على صحة البعث والحشر واخبار الصادق وفي قوله ستغلبون وقد وقع كما اخبر اخبار عن الغيب فيكون معجزا دالا على صدق النبي صلى الله عليه وسلم
نظيره في حق عيسى وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ثم انه تعالى ذكر ما يجري مجرى الدلالة على صحة ذلك الحكم فقال قد كان لكم آية في فئتين
التقتا يوم بدر فئة احدهما جماعة تقاتل في سبيل الله وهم المسلمون لانهم يقاتلون لنصرة دين الله واعلاء كلمته وفئة اخرى كافرة وهم كفار قريش
وبيان كون تلك الواقعة آية من وجوه احدها ان المسلمين كان قد اجتمع فيهم من اسباب الضعف امور منها قلة العدد فانهم كانوا ثلثمائة وثلاثة
عشر رجلا مع كل بضعة منهم بعير ومعهم من الدروع ستة ومن الخيل فرسان ومنها انهم خرجوا غير قاصدين للحرب فلم يتأهبوا ومنها ان ذلك
ابتداء معاناتهم في الحرب لانها اول غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد حصل للمشركين اضداد هذه المعاني كانوا تسعمائة وخمسين رجلا وفيهم ابو سفيان
وابو جهل ومعهم مائة فرس تجر فيها الخيل كلهم دارعون وكان معهم دروع سوى ذلك وكانوا اهل مراس على الحروب والغارات واذا كان كذلك كان غلبة
المسلمين خارقة للعادة فكانت معجزة وثانيها انه صلى الله عليه وسلم كان قد اخبر عن ذلك باخبار الله تعالى واذ يعدكم الله احدى الطائفتين جمع قريش وعير ابي سفيان
وكان اخبر قبل الحرب بان هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان والاخبار عن الغيب معجزة وثالثها امداد الملائكة كما سيجيء في هذه السورة وفي
قوله يرونهم مثليهم وجوه بحسب احتمالات لان الضمير في يرون اما ان يعود الى الفئة الكافرة او الى الفئة المسلمة وعلى كلا التقديرين يجوز عود الضمير
في مثليهم الى كل منها فهذه اربعة الاول ان الفئة الكافرة رأت المسلمين مثلي عدد المشركين قريبا من الفين الثاني ان رأت المسلمين مثلي عدد المسلمين
ستمائة ونيفا وعشرين ودليل هذا الاحتمال قراءة من قرأ ترونهم بتاء الخطاب اي ترون يا مشركي قريش المسلمين مثلي انفسهم ودليل الاحتمالين
جميعا ان عود الضمير في يرون الى الاقرب هو الفئة الكافرة ولان الآية سيقت لجعل هذه الحالة آية للكفار حيث خاطبهم بقوله قد كان لكم آية فوجب
ان يكون الرائين هم الكفار حتى تكون حجة عليهم ولو كانت الآية مما شاهدها المؤمنون لم يصلح جعلها حجة على الكفرة والحكمة في ذلك ان الله تعالى هاب المشركين
ويجبنوا عن قتالهم وهذا لا يناقض قوله في سورة الانفال ويقللكم في اعينهم لاختلاف الوقتين فكانهم قللوا اولا في اعينهم حتى اجترءوا عليهم
فلما لاقوهم كثروا في اعينهم حتى غلبوا على ان تقليلهم تارة في اعينهم وتكثيرهم اخرى ابلغ في القدرة واظهار للآية الاحتمال الثالث ان الرائين
هم المسلمون والمرئيين هم المشركون فالمسلمون رأوا المشركين مثلي المسلمين والسبب فيه ما قرر عليهم من مقاومة الواحد الاثنين في قوله تعالى
ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين والكافرون كانوا قريبا من ثلاثة امثالهم فلو رأوهم كما هم لجبنوا وضعفوا الاحتمال الرابع
ان يكون الرائي المسلمين ثم انهم رأوا المشركين على الضعف من عدد المشركين وهذا قول لا يمكن ان يقول به احد لان هذا يوجب نصرة الكفار
وايقاع الخوف في قلوب المؤمنين والآية مسوقة في ذلك وفي الآية احتمال خامس وهو ان تلك الآية قد يقال انها خطاب مع اليهود فيكون المراد ترون ايها
اليهود المشركين مثل المؤمنين في القوة وههنا بحث وهو ان الاحتمالين الاولين الثاني يقتضي ان المعدوم صار مرئيا والاحتمال الثالث يوجب ان يكون
الموجود الحاضر غير مرئي اما الاول فهو محال عقلا والقول به سفسطة فلهذا قيل لعل الله تعالى انزل الملائكة حتى صار عسكر المسلمين كثيرا وهذا
يكون الرؤية رؤية البصر ويكون مثليهم نصبا على الحال ويحمل الرؤية على الظن والحسبان فان من اشتد خوفه قد يظن في الجمع القليل انه في غاية الكثرة
لكن قوله رأي العين لا يساعد ذلك ومعناه رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها معاينة كسائر المعاينات واما الثاني فهو جائز عند الاشاعرة اذ
عند حصول الشرائط وصحة الحاسة لا يكون الادراك واجب الحصول بل يكون عندهم جائزا لا واجبا والزمان زمان خوارق العادات واما المعتزلة
فعندهم الادراك واجب الحصول عند اجتماع الشرائط فسلامة الحس عندهم عن ذلك بان الانسان عند الخوف لا يتفرغ للتأمل البالغ
فلعله يرى البعض دون البعض ولعل الغبار صار مانعا عن رؤية البعض او خلق الله تعالى في الهواء ما صار مانعا عن رؤية ثلث العسكر وبحث في
عيونهم ما يستقل به الكثير كالحدث في عين الاحول يرى الواحد اثنين كل ذلك محتمل والله يؤيد بنصره من يشاء اما بالغلبة كيوم بدر واما
بالحجة وانما قيل يوم احد لانه ذكر من الآية ان في ذلك لعبرة نوع عبرة وهو التجافي من منزل الجهل الى مقام العلم لاولي الابصار لذوي العقول
المستبصرين وقيل لاولي الابصار يعني لمن ابصرهم كالشاهد للغائبين ثم ذكر ما هو كالشرح والبيان لعبرة الانسان وهو انه زين للناس حب الشهوات الجسمانية واللذات وحب الجاه والرياسة ... وهي عالم
الروحانيات خيرا وابقى انها مبعدة عن الله على العبودية مانعة عن الخصال المحمودة واما ما يتعلق بالقصة فانا روينا ان ابا حارثة بن علقمة
النصراني اعترف لاخيه بانه يعرف صدق محمد صلى الله عليه وسلم في قوله الا انه لا يقربه من اجل ما اخذه من الملوك من الاموال والجاه وروينا ايضا انه صلى الله عليه وسلم لما دعا اليهود الى الاسلام بعد غزوة بدر اظهروا
من انفسهم القوة والشدة والاستظهار بالعدة والعدة فبين الله تعالى في هذه الآية ان هذه الاشياء متاع الدنيا وزينتها والآخرة خير منها المزين
هو الله تعالى اما عند الاشاعرة فلانه خالق افعال العباد كلها ولو كان المزين هو الشيطان فمن الذي زين الكفر والبدعة للشيطان واما عند
المعتزلة فلحكمة الابتلاء انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا ولانها وسائل الى منافع الآخرة وهو ان يتصدق بها او يتقوى بها

على طاعة الله واشتغل بذكره كما كان الصاحب بن عباد يقول شرب الماء البارد في الصيف يستخرج الحمد لله من اقصى القلب وان القادر على وجوه اللذات
اذا تركها واقبل على اداء وصايا ربه كان اشق واكثر ثوابا وعن الجبائي واختاره القاضي ان كل ما كان واجبا او مندوبا او مباحا فالتزيين
فيه من الله تعالى وكل ما كان حراما فالتزيين فيه من الشيطان وحكي عن الحسن انه قال الشيطان زينها لهم كان يحلف بالله على ذلك احتجاجا بالاية
انه اطلق الشهوات فيدخل فيها المحرمات فالتزيين فيها فعل الشيطان وذكر القناطير المقنطرة وحب المال الكثير الى هذه الغاية لا يليق الا لمن جعل
الدنيا قبلة طلبه ومنتهى مقصوده وقال في معرض الذم ذلك متاع الحيوة الدنيا والذام للشيء لا يكون مزينا له وقال قل أؤنبئكم بخير من ذلكم
والغرض تقبيح الدنيا فكيف يكون مزينا لها ثم انه تعالى جعل الاعيان المشتهاة شهوات مبالغة في كونها مشتهاة محروصا على الاستمتاع بها
وذلك للتعلق والاتصال كما يقال للمقدور قدرة وللمرجو رجاء وفيه فائدة اخرى وهي ان الشهوة صفة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها
شاهد على نفسه بالبهيمية فكان المقصود من ذكر هذا اللفظ تخسيسها والتنفير عنها قال المتكلمون في الآية دليل على ان الحب غير الشهوة لان المضاف
يجب ان يكون مغايرا للمضاف اليه فالشهوة من فعل الله تعالى والمحبة من افعال العباد وهي عبارة عن ان يجعل الانسان كل همته مصروفة الى اللذات والطيبات
واعلم ان الانسان قد يحب شيئا ولكنه يحب ان لا يحبه وقد يحبه ويحب ان يحبه ويعتقد مع ذلك ان ذلك الحب حسن وفضيلة وهذا هو كمال المحبة
ومنه قوله تعالى حكاية عن سليمان اني احببت حب الخير معناه احب الخير واحب ان اكون محبا للخير فقوله حب الشهوات يقرب من ذلك لانه يبعد
ان الشهوة نوع محبة ولفظ الناس عام دخله مخصوص فظاهره يقتضي ان هذا المعنى عام لجميع الناس ولا شك انه موجود في الغالب في اكثر الاوقات فلا
النعيم فقال ما عطي للاغلب حكم الكل على ان من يجعل همه مقصورا على طلب اللذات الروحانية في غاية الندرة وبقاء ذلك النادر في جميع
الاحيان على ذلك الخاطر العزيز ممتنع ثم شرع في بيان تلك الاعيان المشتهاة فذكر منها ما هي لا نهاية برتبتها في جميع مراتب الاولى النساء
لان الالتذاذ بهن اكثر والاستيناس بهن اتم خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة وقال ان اخوف ما اخاف
على امتي النسوان الثانية الاولاد ولا سيما البنين ولهذا خصوا بالذكر ومحبة النساء والاولاد كانها غريزية ولولاها لم يتصور بقاء النسل
الحيوانات الثالثة والرابعة القناطير المقنطرة من الذهب والفضة قال الزجاج القنطار مأخوذ من عقد الشيء واحكامه والقنطرة والمال الكثير قنطار لان
الانسان يتوثق بها في عقد النوائب ابو عبيدة انه وزن لا يحد ابو هريرة عن النبي القنطار اثنا عشر الف درهم وهو مقدار الدية وبه قال الحسن
وزعم الكلبي ان القنطار بلسان الروم ملؤ مسك ثور من ذهب او فضة وعن سعيد بن جبير ثمانون الف دينار والمقنطرة مبنية من لفظ القنطار
للتوكيد كقولهم الف مؤلفة وبدرة مبدرة وابل مؤبلة قال الكلبي القناطير ثلثة والمقنطرة اضعافها وكان المجموع ستة وانما كان الذهب
والفضة محبوبين لانهما جعلا ثمن جميع الاشياء فمالكهما كالمالك لجميع الاشياء وكل الصيد في جوف الفرا ولولا التقية لقلت جلت قدرته وصفه
الى الكثرة في هذه الدرجة موافقة لصفة كمال الحال المحبوب لذاته الخامسة الخيل المسومة قال الواحدي الخيل جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط والنساء
وسميت الافراس خيلا لاختيالها وهو حسن الجولان في مشيها وسمي الخيال خيالا لان منه القوة في تشخيص الصور والمسومة قيل المرعية اسيمت
الدابة وسومتها اذا ارسلتها في مرج للرعي ولا شك انها اذا رعت ازدادت حسنا وبهاء وقيل المعلمة من السومة العلامة ثم اختلفوا في تلك العلامة
فعن ابي مسلم الغرة والتحجيل وقال الاصم هي البلق وقال قتادة الشية وقيل الكي وعن مجاهد وعكرمة المسومة المطهمة اي الحسان قال الاصمعي جعل عليه
تام كل شيء على حدة فهو بارع الجمال السادسة الانعام وهو جمع نعم وهي الابل والبقر والغنم ولا يقال للجنس الواحد نعم الا للابل خاصة فانها غلب
عليها السابعة الحرث وهو الزراعة ذلك الذي ذكر متاع الحيوة الدنيا لان وجوه الانتفاعات الدنيوية للانسان اما ان يكون من بني نوعه
او من غيره والاول اما اصل وهو المرأة او فرع وهو الولد وانما فرض الكلام في الذكور تشريفهم والثاني اما ان يكون من المعدنيات واكثرها
فائدة واعمها عائدة الجوهران الثمينان فخصا بالذكر واما ان يكون من الحيوانات للركوب الكر والفر التجمل والحمل واللحم وهو الانعام واما ان
يكون من النباتات الحاصل من الزراعة وانما لم يتعرض للاشجار والفواكه لانها لم تكن معتادة عند العرب والقرآن يخاطب الاعم والله
عنده حسن المآب اي المرجع وانما لم يذكر المآب القبيح وهو النار لانها غير مقصودة بالذات لانه سبحانه خلق الخلق للرحمة لا للعذاب ولهذا قال
سبقت رحمتي غضبي ثم بين ان ذلك المرجع كما انه حسن في نفسه فهو احسن وافضل من هذه الدنيا المقصودة بجملتها لاجله كما ان الدنيا اطيب
وافسح من بطن الام فكذلك الآخرة افسح واوسع من الدنيا والنسبة على نحو الدنيا الى منافع الآخرة خير منها فقال مستفهما على سبيل التقرير
أؤنبئكم بخير اي بشيء هو خير من ذلكم الذي عددنا ثم استأنف مبينا مفسرا فقال للذين اتقوا عند ربهم جنات كما هو مفصل في ذكرنا على
خبر خير من فلان عندك رجل من صفته كيت وكيت ثم بان الخير بما هو مشتمل على الازواج مع قيد الخلود فان النعمة وان عظمت
فتوهم الانقطاع والزوال ينغص صفوها وينقص لذتها وبعد زوال هذا الوهم لن يتكامل طيبها الا بالانس فبين حصول الانس ثم وصف
الازواج بصفة واحدة جامعة فقال مطهرة اي عن الاقذار والمعايب وبعد ذكر تمام النعمة ذكر ما هو فوق التمام فقال ورضوان من الله
ويندرج فيه جميع المطالب والمقاصد لان العبد اذا رضي عنه المولى سعد ومنصب جل منه اعلى وكان المولى فيما يملكه للعبد كما ان العبد
فيما يملكه للمولى ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم ويحتمل ان يكون اللام في قوله للذين اتقوا متعلقا بخير واختص المتقون لانهم

م المتقون ويجوز رفع جنات على الخبر اي هو جنات وبعضه قرأ بعضهم جنات بالجر على البدل من خير وذلك ان اللام في هذه القراءة يتعين ان
يكون متعلقا بخير وقوله عند ربهم يحتمل ان يتعلق بما تعلق به قوله للذين اي ثبت لهم عند ربهم ويحتمل ان يكون صفة لخير ويحتمل ان يكون من
تمام قوله اتقوا فيكون اشارة الى ان هذا الثواب لا يحصل الا لمن كان متقيا عند الله تعالى فلا يدخل فيه الا من كان مؤمنا في علم الله والله بصير بالعباد
عالم بمصالحهم فيجب ان يرضوا لانفسهم ما اختاره لهم من نعيم الآخرة وان يزهدوا فيما زهدهم فيه من امور الدنيا او بصير بهم يثيب ويعاقب بحسب الاستحقاق
او بصير بالذين اتقوا واحوالهم فلذلك اعد لهم الجنات الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا توسلوا بمجرد الايمان الى طلب المغفرة وقد
حكى سبحانه ذلك عنهم في معرض المدح لهم والثناء عليهم فقيل يدل ذلك على ان الايمان هو التصديق فقط فان العمل الصالح لو كان داخلا فيه كما
زعموا لكان داخلا في الثناء فيها عندهم فيكون ممتنع الوقوع من الله تعالى وضده واجب الوقوع وسؤال الواجب الوقوع عبث فلا يصلح للمدح ويمكن
ان يجاب عنه بان العبد قد يعجبه او بما يعلم انه حاصل له اظهار الذل للعبودية وابداء الاستكانة والخشوع وايضا صورة العمل الصالح لا يفيد ما لم يقع
في حيز القبول فعلى المتقي ان لا يتكل عليها ويبتهل الى الله تعالى في موجب الغفران ثم عد من اوصاف عباده خمسة ووسط العاطف بينها دلالة على كمالهم في
كل واحد منها او اشارة الى ان كل واحد منها يكفي في استحقاق المدح والثواب فقال الصابرين اي في اداء الطاعات وعلى ترك المحظورات وعند المحن و
الشدائد وقف رجل على الشبلي فقال اي صبر اشد على الصابرين فقال الصبر في الله تعالى فقال لا فقال الصبر لله فقال لا قال فاي شيء قال الصبر عن الله فصرخ
الشبلي صرخة كاد يتلف والصادقين اي في الاقوال وفي الافعال بان لا ينحرفوا عنها قبل تمامها وفي النيات بان يمضوا العزم على الخيرات والقانتين
المقيمين على الطاعات المواظبين عليها والمنفقين ما تيسر لهم من خير في مصارفه وجوبا وندبا والمستغفرين بالاسحار اي فيها والسحر قبيل
طلوع الفجر وخص هذا الوقت لانهم كانوا يقدمون قيام الليل حتى اذا كان السحر اخذوا في الدعاء والاستغفار هذا ليلهم وذلك نهارهم وللاستغفار
بالاسحار مزيد تأثير وانوار لان الروح قد تعب من النوم والغفلة فاذا اعرض العبد عن تلك اللذة وعرض الذلة على حضرة العزة لا يبعد ان يفيض عليه سجال
المغفرة وان يطلع صبح العالم الصغير عند طلوع صبح العالم الكبير فيستنير قلب المؤمن بانوار المعارف وآثار اللطائف واعلم ان ترتيب الاوصاف في الصبر
يشمل اداء جميل التكاليف ثم الانسان قد يلتزم من نفسه ما لم يجب عليه فالصادق من يخرج عن عهدة ذلك بالحال صدقوا ما عاهدوا الله
عليه ثم المواظبة على سلوك سبيل الخيرات امر محمود فاشار الى ذلك بقوله والقانتين ثم ان ههنا امرين يعينان على الطاعة الخدمة بالمال والابتهال
والتضرع الى حضرة القدس بالجلال فعند ذلك قوله والمنفقين والمستغفرين بالاسحار فقوله والمنفقين معناه الشفقة على خلق الله وباقي الاوصاف
حاصله التعظيم لامر الله قال الكلبي لما ظهر رسول الله بالمدينة قدم عليه حبران من احبار اهل الشام فلما ابصرا المدينة قال احدهما لصاحبه ما اشبه
هذه المدينة بصفة مدينة النبي الذي يخرج في آخر الزمان فلما دخلا على النبي عرفاه بالصفة والنعت فقالا انت محمد قال نعم قالا وانت احمد
قال نعم قالا انا نسألك عن شهادة فان انت اخبرتنا بها آمنا بك وصدقناك فقال لهما رسول الله سلاني فقالا اخبرنا عن اعظم شهادة في كتاب الله
فانزل الله على نبيه شهد الله انه لا اله الا هو فاسلم الرجلان وصدقا رسول الله ووجه النظم انه مدح المؤمنين واثنى عليهم بقوله ربنا
اننا آمنا ثم بين ان دلائل الايمان ظاهرة جلية واعلم ان الشهادة من الله تعالى ومن الملائكة ومن اولي العلم يحتمل ان يكون بمعنى واحد ويحتمل ان لا يكون
كذلك اما الاول فتقريره من وجهين احدهما ان الشهادة عبارة عن الاخبار المقرون بالعلم فبهذا المعنى مفهوم واحد وهو حاصل في حق الله تعالى وفي
حق الملائكة وفي حق اولي العلم اما من الله فذلك انه اخبر في القرآن انه اله واحد لا اله الا هو وذلك في مواضع كثيرة كالاخلاص وآية الكرسي وغيرهما والتمسك
بالدلائل السمعية في هذه المسألة جائز لان العلم بنبوة محمد لا يتوقف على العلم بها واما من الملائكة واولي العلم وهم الذين عرفوا وحدانية الله
تعالى بالدلائل القاطعة فكلهم اخبروا ان الله واحد لا شريك له وثاني الوجهين ان تجعل الشهادة عبارة عن الاظهار والبيان فالله تعالى اظهر
ذلك وبين بان خلق ما يدل على ذلك والملائكة واولو العلم اظهروا ذلك وبينوه ايضا الملائكة للرسل والرسل للعلماء والعلماء لعامة الخلق فالتفاوت
انما وقع في الشيء الذي به حصل الاظهار والبيان فاما مفهوم الاظهار والبيان فشيء واحد في حق الكل وكانه قيل للنبي ان وحدانية الله تعالى امر
قد ثبت بشهادة الله وشهادة جميع المعتبرين من خلقه ومثل هذا الدين المتين والمنهج القويم لا يضعف بمخالفة بعض الجهال من النصارى
وعبدة الاوثان فاثبت انت يا محمد قومك على ذلك فانه هو الاسلام واما الثاني فهو قول من يقول شهادة الله تعالى على توحيده عبارة
عن انه خلق الدلائل الدالة على توحيده وشهادة الملائكة واولي العلم عبارة عن اقرارهم بذلك ونظيره قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على
النبي فان الصلوة من الله غير الصلوة من الملائكة فان قيل المدعي للوحدانية هو الله فكيف يكون المدعي شاهدا فالجواب ان الشاهد
بالحقيقة ليس الا الله لانه خلق الاشياء وجعلها دلائل على توحيده ثم وفق العلماء لمعرفة تلك الدلائل والتوصل بها الى معرفة الوحدانية ثم وفقهم
حتى ارشدوا غيرهم الى ذلك فلهذا قال قل اي شيء اكبر شهادة قل الله وفي انتصاب قائما بالقسط وجوه الاول انه حال مؤكدة والتقدير شهد الله
انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط وهذا مما يجعلون الالهية والتفرد بها مقتضيا للعدالة مثل هذا ابوك عطوفا او لا رجل
الا عبد الله شجاعا ويحتمل ان يكون حالا من اولي العلم اي حال كون كل واحد منهم قائما بالقسط في اداء هذه الشهادة الثاني ان يكون صفة
للمنفي كانه قيل لا اله قائما بالقسط الا هو وقد ذكرنا انهم يتسعون في الفصل بين الصفة والموصوف الثالث ان يكون نصبا على المدح وان كان نكرة

والدين عند الله هو الاسلام

قائما بالقسط

كقوله شعر: وياوي الى نسوة عطل وشعثا مراضيع مثل السعالي * ومعنى كونه قائماً بالقسط قائماً بالعدل كما يقال فلان قائم بالتدبير اي يجريه على سنن
الاستقامة او مقيماً للعدل فيما يقسم من الارزاق والآجال ويثيب ويعاقب وفيما يأمر به عباده من انصاف بعضهم لبعض والعمل على السوية فيما بينهم
واعلم ان وجوب الوجود يلزمه الغنى المطلق والعلم التام والفيض العام والحكمة الكاملة والرحمة الشاملة وعدم الانقسام بجهة من الجهات و
عدم الافتقار بوجه من الوجوه الى شيء من الاشياء وعدم التغير والنقص في شيء من الافعال والاحكام الى غير ذلك من الاسماء الحسنى والصفات
العليا ومن كون العقل السليم ان من هذا شانه لا يصدر منه الا على وفق العدالة وقضية التسوية وغاية الاصلح عموماً او خصوصاً فكل
ما يخيل الى المكلف انه خارج عن قانون العدالة او يشبه الجور والقبح وجب ان ينسب ذلك الى قصور فهمه عن الحكمة التامة بسلسلة الاسباب
والمسببات والمبادي والغايات فانظر في كيفية خلق اعضاء الانسان حتى تعرف عدل الله وحكمته فيها ثم انظر الى اختلاف احوال الخلق
في الحسن والقبح والغنى والفقر والصحة والسقم وطول العمر وقصره واللذة والالم واقطع بان كل ذلك عدل وصواب ثم انظر في كيفية خلقة العناصر
واجرام الافلاك والكواكب وتقدير كل منها بقدر معين وخاصية معينة فكلها حكمة وعدالة وانظر الى تفاوت الخلائق في العلم والجهل والفطانة
والبلادة والهداية والغواية واقطع بان كل ذلك عدل وقسط فان الانسان بل كل ما سوى الله تعالى يخلو وسعه عن ادراك تفاصيل كمال
الله فالخوض في التفحص عما لا يعنيه بل لا يسعه لا ينفعه الا العلم الاجمالي بانه تعالى واحد في ملكه وملكه لا منازع له ولا مضاد ولا مانع لقضائه و
لا راد وان الكل بقضائه وقدره وفي كل واحد من مصنوعاته ولكل شيء من افعاله حكم ومصالح لا يحيط بذلك علماً الا هو جل وعلا فالله يفعل ما
يشاء ويحكم ما يريد هذا هو الدين القويم والاعتقاد المستقيم العدول عنه عوار والجدال فيه مراء فمن ينسب الجور في فعل من الافعال فهو
الجائر لا على غيره بل على نفسه اذ لا يعترف بجهله وقصوره ولكن ينسب ذلك الى علام الخفيات المطلع على الكليات والجزئيات من ازل الآزال
الى ابد الآباد ومن زعم ان شيئاً من الاشياء خيراً او شراً اذا اعتقده حسناً او قبيحاً بحسب نظره خارج عن مشيئته وارادته فقد كذب بان الله خالق
لانه يدعي التوحيد ثم يثبت قادراً آخر وفاعلاً غير الله تعالى ولا خالق الا هو فلهذا كرر مضمون الشهادة وقال لا اله الا هو واذا شهد بذلك فقد
صح انه لا اله الا هو كقولك الدليل دال على وحدانية الله ومتى كان كذلك فقد صح القول بوحدانية الله وفيه ايقاظ للامة حيث ان يقولوا على وفق
شهادة الله والملائكة واولي العلم لا اله الا هو واعلام بان هذه الكلمة يجب ان يكررها المسلم ما امكن * هو المسك ما كررته يتضوع * ثم اكد
كونه متفرداً بالالوهية وقائماً بالعدل بقوله العزيز الحكيم فالعزيز اشارة الى كمال القدرة والحكيم اشارة الى كمال العلم ولا يتم القدرة الا بالتفرد
والاستقلال ولا العدالة الا بالاطلاع على المصالح والاحوال ان الدين عند الله الاسلام جملة مستأنفة مؤكدة للاولى والدين في اللغة الجزاء ثم
الطاعة سمي الدين لانه سبب الجزاء والاسلام في اللغة الانقياد والدخول في السلم او الاسلام او في اخلاص العبادة من قولهم سلم له الشيء اي
خلص له والاسلام في عرف الشرع يطلق تارة على الاقرار باللسان في الظاهر ومنه قوله تعالى قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ويطلق اخرى على الانقياد
الكلي وهو المراد ههنا وفيه ايذان بان الدين هو العدل والتوحيد اما التوحيد فان يعلم ان الله تعالى لا شريك له ولا نظير في الذات ولا في الصفات
كما شهد هو به واما العدل فهو ان يعلم ان كل ما خلق وامر المكلف به او نهاه عنه فانه عدل وصواب وفيه حكم ومصالح فيأتمر بذلك وينتهي عنه ليكون عبداً
منقاداً معترفاً بانه تعالى قائم بالقسط ومن قرأ بفتح ان فتقديره عند البصريين ذلك بدل من الاول بدل الكل فكانه قيل شهد الله ان الدين عند الله
الاسلام فيكون من باب وضع الظاهر موضع المضمر كقوله لا ارى الموت يسبق الموت شيء وقيل تقديره شهد الله انه لا اله الا هو وان الدين عند الله
الاسلام وقيل شهد الله انه لا اله الا هو ان الدين عند الله الاسلام لان كونه تعالى واحداً يوجب ان يكون الدين الحق هو الاسلام لان دين الاسلام مشتمل
على هذه الوحدانية وقرئ الاول بالكسر والثاني بالفتح على ان الفعل واقع على الثاني وما بينهما اعتراض ثم ذكر انه اوضح الدلائل وازال الشبهات والقوم
ما اصروا الا لعصبيتهم وتقصيرهم فقال وما اختلف الذين اوتوا الكتاب قيل هم اليهود واختلافهم ان موسى لما قرب وفاته سلم التوراة الى سبعين
رجلاً من الاحبار وجعلهم امناء عليهم واستخلف يوشع فلما مضى قرن بعد قرن اختلف ابناء السبعين بعدما جاءهم التوراة بغياً بينهم وتحاسداً
على طلب الدنيا وقيل المراد النصارى واختلافهم في امر عيسى بعد ما جاءهم العلم انه عبد الله ورسوله وقيل المراد اليهود والنصارى واختلافهم هو
انه قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وانكروا نبوة محمد وقالوا نحن احق بالنبوة من قريش لانهم اميون ونحن اهل كتاب
الا من بعد ما جاءهم العلم اي الدلائل التي لو نظروا فيها لحصل لهم العلم لانا لو حملناه على العلم لزم نسبة العناد الى جمع عظيم وهو بعيد فالذي في
تفسير الكبير ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب لا يصعب عليه عد افعاله ومعاصيه وان كانت كثيرة والمراد انه سيصل الى الله سريعاً فيحاسبه
ويجازيه على كفره ثم بين للرسول ما يقوله في محاجتهم فقال فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله قال الفراء اي اخلصت عملي لله فعلى هذا الوجه بمعنى
العمل وقيل اي اسلمت وجهي لله خضوعاً فحذف المضاف لكن كل ما يسكنه فهو من الاعمال فالوجه الاتيان بها موجودية لله والانقياد لالهية حكمه
وقيل الوجه والتقدير اسلمت نفسي لله وليس في العبادة مقام اعلى من اسلام النفس فانه موقوف على عبادته معرض عن كل ما سواه قوله ومن
اتبعن معطوف على الضمير المرفوع في اسلمت وحسن للفصل او مفعول معه والواو بمعنى مع ثم في كيفية ايراد هذا الكلام طريقان احدهما ان هذا اعراض
عن المحاجة لانه كان قد اظهر المعجزات كالقرآن ودعاهم وكلام الذئب وغيرها وقد ذكر في مفتتح السورة ابطال الهية عيسى واثبات نبوة محمد ثم

والتقدير شهد الله انه لا اله الا هو صح

بين نفي الصمد الند والصاحبة والولد بقوله شهد الله وذكر ان اختلاف هؤلاء اليهود والنصارى انما هو لاجل البغي والحسد فلم يبق الا ان يقول
اما انا ومن اتبعني فمنقادون للحق مستسلمون له مقبلون على عبودية الله تعالى وهذا طريق قد يذكره المحتج المحق مع المبطل المصر في اخر كلامه وثانيها ان
قوله اسلمت محاجة وبيانه ان القوم كانوا مقرين بوجود الصانع وكونه مستحقا للعبادة فكانه قال هذا القول متفق عليه بين الكل فانا متمسك
بهذا القدر المتفق عليه وداع الخلق اليه وانما الخلاف في امور وراء ذلك فاليهود يدعون التشبيه والجسمية والنصارى يدعون الهية عيسى والمشركون
يدعون وجوب عبادة الاوثان فهؤلاء هم المدعون فعليهم اثباتها ونظير هذه الاية قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم
الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا وعن ابي مسلم ان الاية في هذا الموضع كقول ابرهيم عم اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض كانه
قال فان نازعوك يا محمد في هذه التفاصيل فقل انا متمسك بطريقة ابرهيم وانتم معترفون بانه كان محقا في قوله صادقا في دينه فيكون من باب
التمسك بالالزامات وداخلا تحت قوله وجادلهم بالتي هي احسن وقل للذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى والاميين هم مشركو العرب الذين
لا كتاب لهم ءاسلمتم ومعناه الامر وفائدة التعيير بالعناد وقلة الانصاف كقولك لمن لخصت له المسئلة ولم تبق الجهد في سلوك طريقة الكشف
والبيان له هل فهمتها فانه يكون توبيخا له بالبلادة وكلال الذهن ومثله في اية تحريم الخمر فهل انتم منتهون اشارة الى التقاعد عن الانتهاء
فان اسلموا فقد اهتدوا الى ما هديت اليه فطلبوا الفوز والنجاة في الاخرة وان تولوا اعرضوا عن الاسلام او عن اتباعك فانما عليك البلاغ
ما عليك الا ان تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الرشاد والله بصير بالعباد يوفق للصلاح من يشاء ويترك على الضلال من اراد ثم وصف المتولين
بصفات ثلث واردف بوعيده فقال ان الذين يكفرون بايات الله اي ببعضها وهو لان اليهود كانوا مقرين ببعض الايات الدالة على وجود الصانع
وقدرته وعلمه وشيء من المعاد او بكلها كما هو ظاهر الجمع المضاف ووجهه ان المكذب ببعض ايات الله كالكافر بجميعها ويقتلون النبيين اي
اليهود كانهم قتلوا كلهم لا اكثرهم بغير حق من غير شبهة عندهم ويقتلون ويقاتلون الذين يامرون بالقسط من الناس عن الحسن ان في الاية
دلالة على ان الامر بالمعروف والناهي عن المنكر تلي منزلته عند الله منزلة الانبياء فلهذا ذكرهم عقيبهم وروي ان رجلا قام الى رسول الله فقال
اي الجهاد افضل فقال ص افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر فان قيل اذا كان قوله ان الذين يكفرون في حكم المستقبل لانه من تمام الكلام وانه
وعيد لمن هو في زمن رسول الله ولم يقع منهم قتل الانبياء ولا القائمين بالقسط فكيف يصح الكلام قلنا ان القوم كانوا مريدين قتل رسول الله
والمؤمنين جميعا الا انه تعالى عصمهم منهم فصح اطلاق القاتل عليهم كما يقال للسم قاتل اي ذلك من شانه ان وجد القابل ويقول صفوة
النبي عم اسلافهم لانهم يرضون بذلك عن ابي عبيدة بن الجراح قلت يا رسول الله ص اي الناس اشد عذابا يوم القيمة قال رجل قتل نبيا او رجلا
امر بمعروف ونهى عن منكر ثم قرا هذه الاية ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة
واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فامروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من اخر النهار فبشرهم بعذاب اليم انما دخلت الفاء
لتضمن اسم ان معنى الشرط فان لا يغير معنى الابتداء بخلاف ليت ولعل واعلم انه تعالى قسم وعيدهم الى ثلثة اقسام الاول اجتماع اسباب الالام
والمكاره عليهم وهو العذاب الاليم واستعمال البشارة هنا للتهكم الثاني زوال اسباب المنافع عنهم بالكلية وهو قوله اولئك الذين حبطت اعمالهم
في الدنيا والاخرة اما في الدنيا فيبدل المدح بالذم والثناء باللعن واسباب الاحترام والاحتشام باصناف الذلة والهوان من السبي والقتل
والجزية واما في الاخرة فكما قال عز من قائل وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا الثالث لزوم ذلك في حقهم وهو قوله وما لهم من
ناصرين ثم ذكر غاية عناد اهل الكتاب فقال الم تر الى الذين عن ابن عباس قال دخل رسول الله ص بيت المدارس على جماعة من اليهود فدعاهم الى الله
فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت يا محمد فقال على ملة ابرهيم فقالا ان ابرهيم كان يهوديا فقال رسول الله فهلموا
الى التورية فهي بيننا وبينكم فابيا فنزلت وقال الكلبي نزلت في الذين زنيا من خيبر وحكم رسول الله ص فيهما بالرجم وانكر اليهود عليه وسوف
يجيء القصة في سورة المائدة مفصلة وقيل دعاهم النبي عم او اباهم والنصارى الى الايات الدالة على صحة نبوته من التورية ومنها ومن الانجيل
فابوا فنزلت معنى قوله اوتوا نصيبا اي حظا وافرا من علم الكتاب يريد احبار اليهود ومن اما للتبعيض واما للبيان والكتاب يراد به غير القرآن
من الكتب التي كانوا مقرين بحقيتها وقيل اي حصلوا من جنس الكتب المنزلة او من اللوح التورية وهي نصيب عظيم ثم بين سبب التعجب بقوله يدعون
الى كتاب الله وهو التورية كما مر في اسباب النزول لانه تعالى عجب رسوله من تمردهم واعراضهم وانما يتوجه التعجب اذا تمردوا عن حكم الكتاب الذي
يعتقدون صحته وعن ابن عباس انه القران وليس ببعيد لانهم دعوا اليه بعد قيام الحجج على انه كتاب من عند الله ليحكم اي الكتاب بينهم اي
بينهم وبين رسول الله ص فعن الثاني العلم بحكم الحكم في الاختلاف الواقع بينهم كما في قصة الزانيين وبهذا احتجوا في ذلك رسول الله
صلعم ان يكون عنده رخصة في ترك الرجم قال في الكشاف والوجه ان يراد ما وقع من الاختلاف والتعادي بين من اسلم من احبارهم وبين من لم
يسلم وانهم دعوا الى كتاب الله الذي لا اختلاف بينهم في صحته وهو التورية ليحكم بين المحق والمبطل منهم ثم يتولى فريق منهم وهم الرؤساء والاحبار
والذين لم يسلموا من احبارهم ومعنى ثم استبعاد ما بين دعوتي الدعاء والتولي وهم معرضون قوم لا يزال الاعراض ديدنهم وعادتهم
في ما ان يرجع الى الفريق اي هم جامعون بين التولي والاعراض لا عن استماع الحجة في ذلك المقام فقط بل عنده وعن سائر المقامات واما

ان يرجع الى الباقين منهم فيكون قد وصف العلماء والرؤساء بالتولي والباقين بالاعراض لاجل علمائهم وصفتهم بهم واما ان يرجع الى كل اهل الكتاب
اى هم قوم عادتهم الاعراض عن قبول الحق ذلك التولي والاعراض بعد ذلك العقاب والوعيد بسبب انهم كانوا يتساهلون فى امر العقاب لا يفرقون بين
ما يتعلق باصول الدين وبين ما يتعلق بفروعها فقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات هى ايام عبادة العجل فاستوجبوا الاثم من وجوه احدها
استقصار مدة العذاب من اين لهم العلم بذلك وثانيها ان عبادة العجل كفر والكفر يستحق به الكافر عذابا دائما وثالثها ان استثناء الايام المعدودة
فقط فيه دليل على انهم استحقروا تكذيب محمد والقرآن وذلك كفر صريح وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون بالنبوة من قولهم ومن زعمهم ان اباءهم
الانبياء يشفعون لهم فكيف يصنعون او فكيف حالهم فى هذا الحذف تفخيم ما لما فيه من تحريك النفس على استقصاء كل نوع من العذاب اذا
جمعناهم ليوم لا ريب فيه قال الفراء جمعوا اليوم الخميس ومعناه جمعوا لفعل يوجد يوم الخميس واذا قلت جمعوا فى يوم الخميس فلا تضمر فعلا ثم
من المعلوم ان ذلك اليوم لا فائدة فيه الا المجازاة والفرق بين المثاب والمعاقب ووفيت كل نفس ما كسبت من ثواب او عقاب جزاء ما عملت وهم لا
يظلمون يرجع الى كل نفس على المعنى لانه فى معنى كل الناس كما تقول ثلثة انفس يريد ثلثة اناسى ويكون ان ولاية ترفع لاهل الموقف من رايات الكفار
راية الهوى فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد ثم يامرهم الى النار قل للذين كفروا ستغلبون اشارة الى ان المبتلى بالكفر مغلوب بحكم الازل بالشقاوة ربنا غلبت
علينا شقوتنا ثم مغلوب الهوى والنفس والشيطان ولذات الدنيا فبغلبات النفس والهوى يرد الى اسفل سافلي الطبيعة فيعيش فيها ثم يموت على ما
عاش فيه ويحشر على ما مات عليه فى جهنم وبئس المهاد مهاد مهده فى معاشه قد كان لكم آية فى فئتين التقتا ان الله تع فى الظاهر من المؤمن والكافر
وفئتين فى الباطن من القلب وصفاته والنفس وصفاتها الذميمة وبينهما الحرب والالتقاء على الدوام وهو الجهاد الاكبر فالله يؤيد بنصره من يشاء من
القلب جنوده وهم الروح والسر والاوصاف الحميدة والملائكة ومن النفس اعوانها وهم الهوى والدنيا والاوصاف الذميمة والشياطين ثم اخبر عن
جنود الفئتين واعوان الفريقين بقوله زين للناس فاعلم ان الله خلق الخلق على طبقات ثلث العوام ويعبر عنهم بلفظ الناس الغالب عليهم الهوى
وهم اصحاب النفوس والخواص ويذكرهم بلفظ الولى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والغالب فيهم المحبة والشوق ثم ان جهنم سبع دركات
محفوفة بالشهوات فاشار بالنساء الى شهوة الفرج وبالبنين الى شهوة الطبيعة الحيوانية المائلة الى الولد وبالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة
الى شهوة الحرص على المال وبالخيل المسومة الى شهوة الجاه والخيلاء وبالركوب عليها وبالانعام الى شهوة الجمال ولكم فيها جمال حين تريحون
وحين تسرحون وبالحرث الى شهوة الحكم والرياسة على الرعايا واهل القرى ثم ذكر درجات الجنات الثمانية للخواص منها التقوى للذين اتقوا
والرضاء بالقضاء ورضوان من الله والايمان ربنا اننا آمنا والصبر والصدق والقنوت والانفاق والاستغفار بالاسحار هذه جنات
عاجلة تجرى من تحتها الانهار الالطاف والواردات والازواج المطهرة والاخلاق الفاضلة التى تتولد منها فاذا عاش فى الجنات مات وحشر كذلك
ثم اشار الى احوال خواص الخواص مستورة عن نظر الخواص محفوظة عن فهم العوام بقوله والله عنده حسن المآب ما حلولهم الدنيا مرئى على اوليائه
ولا وقفوا عند جنة المأوى ما زاغ البصر وما طغى انما طلبوا قرب المولى للذين احسنوا الحسنى شهد الله بكلامه الازلى عن علمه السرمدى على ذاته
الاحدية وكونه الصمدية انه لا اله الا هو وهى شهادة الحق للحق بالحق فى الحق وهو متفرد بهذه الشهادة الازلية الابدية لا يشاركه فيها احد فكان ذاته
لا تشبه الذوات وصفاته لا تشبه الصفات فشهادته لا تشبه الشهادات شهد بجلال التعزز على كمال عزته حين لا حين ولا اين ولا عقل ولا جهل
ولا غير ولا شرك ولا عرش ولا فرش ولا الجنة ولا النار ولا الليل ولا النهار ولا الجن ولا الانس ولا الملائكة ولا اولو العلم ولا الانكار ولا الاقرار فى حين
الذى كان فيما كان كما كان وهو الآن لا اله الا هو ثم ابدع الموجودات كما شاء على ما شاء لما شاء فكل جزء من اجزائها وكل ذرة من ذراتها بوجوده مفصح
والربوبية موضح وعلى فردانيته شاهد لكن ماء التوحيد القدم تجرى فى مجارى انهار المحدثات الى ان ظهر من عيون الملائكة واولى العلم ثم الملائكة وان
كانوا مظهر ماء التوحيد كما كان اولو العلم ولكن اختص اولو العلم منهم بشربه فالزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها لى سكران ولى ندمان لا يعلم
شئ خصصته من بينهم وحدى؛ تحقيق معنى الآية شهد الله انه لا اله الا هو وهو قائم بالقسط على امور عباده حتى شهد على شهادته الملائكة واولو
العلم ثم فائدة التكرار بقوله لا اله الا هو انه اولى العلم الذين لهم شركة مع الملائكة فى مظهرية ماء التوحيد بالشهادة ولهم اختصاص بالشرب بماء
التوحيد فشاهد وحقيقة لا اله الا هو العزيز الذى لا يشاهد عزته الا من به من البرية الحكيم الذى بحكمته اختارهم لهذه العزة من جملة الخليقة
وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الاختلاف فى الصورة من نتائج تناكر الارواح فى عالم المعنى والارواح فما تعارف منها فى الميثاق ائتلف هم فى الصف
والتقابل ثم المنزل ليتلف وما تناكر منها اختلف فى الصف ولبدلوهم المنزل اختلف الامر بعد ما جاءهم العلم فمنها العلم مظنة الحسد لكن الحسد
منشأ بغيهم واسم البغي ويقتلون النبيين الانسان خلق مستعد القبول فيض صفات لطف الحق وقهره فكمال الانسان فى قبول فيض اللطف
ان يهذب نفسه بمتابعة الانبياء حتى يكون خير البرية فنقصانه فى قبول فيض القهر ان يقتل الانبياء حتى يكون شر البرية فلهذه الجملة ولا يرجع
نوبته الا بعين الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب فيها اشارة الى ان من اوتى حظا من العلم فضيلة ادعى الى حكم من احكام الله اولى ترك الدنيا وطلب المولى
ان يمتثل ويتبع الا من كان مغرورا بالدنيا الدعوى وهذا حال الكثير من اوتى نصيبا من العلم الظاهر ولم يؤت حظا من علم الباطن فهم اهل العزة بالله
فكيف حال المغرور بنا نجاهم الله قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من

تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ

که خواهی و خوار کنی هرکرا که خواهی در دست تست نیکی هر آینه تو بر هر چیزی توانائی در آری شب را در روز و در آری روز را در شب و بیرون آری زنده

مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ

از مرده و بیرون آری مرده را از زنده و روزی دهی آنرا که خواهی بی اندازه فرا مگیرند مومنان کافرانرا دوستان بجز مومنان و هر که کند

ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ۝ قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ

آنرا پس نیست از خدا در چیزی مگر آنکه بپرهیزید از ایشان پرهیزیدنی و میترساند شما را خدا از خودش و بسوی خداست بازگشت بگو اگر پنهان دارید آنچه را که در سینهای شماست یا آشکارا کنید

يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ

میداند آنرا خدا و میداند آنچه در آسمانهاست و آنچه در زمین است و خدا بر همه چیزی تواناست روزی که بیابد هر نفسی آنچه را کرده از خوبی حاضر کرده و آنچه کرده از

سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ۝ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ

بدی دوست دارد که کاشکی باشد میان او و میان آن زمانی دور و میترساند شما را خدا از خودش و خدا مهربانست به بندگان بگو اگر هستید که دوست میدارید خدا را پس پیروی کنید مرا تا دوست دارد شما را خدا

وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ۝ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ

ع ١٢

و بیامرزد برای شما گناهان شما را و خدا آمرزنده مهربانست بگو اطاعت کنید خدا را و رسول را پس اگر روی گردانند پس بدرستی که خدا دوست ندارد کافرانرا بدرستی که خدا برگزید آدم

وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ۝ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ القراءة الحي من الميت والميت من الحي بالتشديد

و نوح را و آل ابراهیم را و آل عمران را بر جهانیان فرزندان که بعضی از بعضی اند و خدا شنونده داناست

علي وخلف حيث كان ابو جعفر ونافع وحمزة و
علي وخلف وسهل ويعقوب وعاصم غير يحيى وحماد الباقون بالتخفيف علي قيل منهم تقية بكسر القاف وفتح الياء مع التشديد ابو زيد عن المفضل
وسهل ويعقوب الباقون تقاة بضم التاء وقرأ حمزة وعلي وخلف بالامالة الوقوف من تشاء ز لتناهي الجملتين المتضادتين معطوفا جملتين مثلها
وتذل من تشاء ط الخير ط قدير ه في الليل ز للفصل بين الجملتين المتضادتين من الحي لعطف المتفقتين حساب ه المؤمنين ج تقاة ط نفسه ط
المصير ه نصف الجزء يعلمه الله ط وما في الارض ط قدير ه محضرا ج لاحتمال يوم تجد على سوء تقديره وما عملت من سوء كذلك بعيدا ط نفسه ط
بالعباد ه ذنوبكم ط رحيم ه والرسول ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب الكافرين ه العالمين ه لا لان ذرية بدل من بعض ج عليم ج لاحتمال اذ متعلق
بالوصفين اي سميع لدعائها وعليم بحالها حين قالت او اصطفى آل عمران وقت قولها ولاحتمال نصب اذ باضمار اذكر التفسير انه سبحانه لما ذكر من
طريقة المعاندين ما ذكر علم نبيه صلى الله عليه وسلم طريقة ما يبطل طريقتهم من كيفية التمجيد والتعظيم فقال قل اللهم معناه عند سيبويه يا الله والميم المشددة
عوض من يا لانهما حرفان تبركا باسم الله تعالى وهذا من خصائص اسم الله كما اختص بدخول تاء القسم وبدخول حرف النداء عليه مع لام التعريف وبقطع
همزته في يا ألله وعند الكوفيين اصله يا الله امنا بخير اي اقصدنا فلما كثر في الكلام حذفوا حرف النداء وخففوا الهمزة من ام وزيفه ان التقدير لو كان
كذلك لزم ان يذكر الدعاء بعده بالعطف مثل اللهم واغفر لنا ولجاز ان يتكلم به على اصله من تحقيق الهمزة وباثبات حرف النداء واجيب بان الامر بوسط
العاطف لئلا يصير السؤال سؤالين ضرورة مغايرة المعطوف للمعطوف عليه بخلاف ما لو جعل الثاني تفسيرا للاول فيكون آكد وبان الاصل كثيرا
ما يصير متروكا مثل ما اكرمه فانه لا يقال شيء ما اكرمه في التعجب فمالك الملك نداء مستأنف عند سيبويه فان اللهم لا يوصف كما لا يوصف
اخواته من الاسماء المختصة بالنداء نحو يا هناه ويا نومان ويا مكان وقد جاز المبرد نصبه على النعت كما جاء في ... روي عن ابن عباس و
انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة ووعد امته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات من اين لمحمد ملك
فارس والروم هم اعز وامنع من ذلك فنزلت الاية وعن عمرو بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا
اخذوا يحفرون خرج من بطن الخندق صخرة كالتل العظيم لم يعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فجاء فاخذ المعول من سلمان فضرب
ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم وكبر وكبر المسلمون وقال اضاءت لي قصور الحيرة كانها انياب
الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي قصور صنعاء واخبرني جبرئيل ان امتي
ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومداين كسرى وانها تفتح
لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزلت وقال الحسن ان الله تعالى امر نبيه ان يسأله ان يعطيه ملك فارس
والروم ويرد ذل العرب عليهما وامره بذلك دليل على انه يستجيب له هذا الدعاء وهكذا منازل الانبياء اذا امروا بدعاء استجيب دعاؤهم مالك
الملك اي يملك جنس الملك فيتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون وقيل مقدرة الخلق في كل ما يقدرون عليه ليست الا باقدار الله تعالى ثم هاهنا
بين كونه مالك الملك بانه هو الذي يقدر كل قادر على مقدوره ويملك كل مالك مملوكه وفصل ذلك بقوله تؤتي الملك من تشاء اي النصيب الذي
قسمته له واقتضته حكمتك فالاول عام والآخر بعض من الكل وهذا الملك قيل ملك النبوة لانها اعظم مراتب الملك لان العلماء لهم امر على
بواطن الخلق والجبابرة لهم امر على ظواهر الخلق والانبياء امرهم نافذ في البواطن والظواهر فعلى كل احد ان يقبل شريعتهم وعليهم ان يقتلوا من اراد ...

المتمردين

المنذرين ولهذا استبعد بعض الجهلة ان يكون النبي بشرا ابعث الله بشرا رسولا ومن المجوزين من كان يقول ان محمدا فقير يتيم فكيف يليق به هذا المنصب العظيم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وكانت اليهود يقولون النبوة في اسلافنا فنحن احق بها وقد مر بنا في تفسير قوله قل للذين كفروا ستغلبون ان اليهود تكبروا على النبي بكثرة عددهم وعددهم فرد الله تعالى على جميع هؤلاء الطوائف بانه سبحانه مالك الملك تؤتي الملك وهو النبوة من تشاء وتنزع الملك النبوة ممن تشاء لا بمعنى انه يعزله عن النبوة فان ذلك غير جائز بالاجماع بل بمعنى انه ينقلها من نسل الى نسل كما نزع من بني اسرائيل ووضع في العرب ويحتمل انه لا يعطيه النبوة ابتداء كقوله الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور فانه يتناول من لم يكن في ظلمة الكفر قط ومثله او لتعودن في ملتنا مع ان الانبياء لم يكونوا فيها قط حتى يتصور العود اليها وقيل المراد من الملك السلطنة الظاهرة وهو الاقتدار على المال وتوابعه وعلى الجاه وهو ان يكون مهيبا عند الناس محبوبا غالبا مطاعا ومن المعلوم ان كل ذلك بايتاء الله تعالى فكم من عاقل قليل المال ورب جاهل غافل غني بالمال وقد راينا كثيرا من الملوك بذلوا الاموال لتحصيل الخدمة والجاه وما ازدادوا الا حقارة وهوانا فعلمنا ان الكل بايتاء الله تعالى سواء في ذلك ملوك العدل وملوك الجور لان حصول الملك للجائر ان لم يقع بفاعل فقد انسد باب اثبات الصانع وان حصل بفعل المتغلب فكل احد يتمنى حصول الملك والدولة لنفسه ولا يتيسر له فلم يبق الا ان يكون من مسبب الاسباب فاعل الكل ومدبر الامور وناظم مصالح الجمهور: لو كان بالحيل الغنى لوجدتني * بنجوم اقطار السماء تعلقي * لكن من رزق الحجى حرم الغنى * ضدان مفترقان اي تفرق * ومن الدليل على القضاء وكونه * بؤس اللبيب وطيب عيش الاحمق * وكذا الكلام في نزع الملك فانه كما ينزع الملك من الظالم ينزعه من العادل لمصلحة تقتضي ذلك والنزع يكون بالموت وبازالة العقل والقوى والقدرة والحواس وبتلف الاموال وغير ذلك في بعض الكتب انا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد اطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم وهذا كقوله كما تكونون يولى عليكم والصحيح ان الملك اسم عام يدخل فيه النبوة والولاية والعلم والعقل والصحة والاخلاق الحسنة وملك النفاذ والقدرة وملك محبة القلوب وملك الاموال والاولاد الى غير ذلك فان اللفظ عام ولا دليل على التخصيص وتعز من تشاء وتذل من تشاء كل من الاعزاز والاذلال في الدنيا والآخرة في الدين كعزة الايمان ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وفي ضده وكذلة الكفر وعزة الدنيا كاعطاء الاموال الكثيرة من الناطق والصامت وتكثير الحرث وتكثير النتاج في الدواب والقاء الهيبة في قلوب الخلق وكل ذلك بتيسير الله تعالى وتقديره بيدك الخير بقدرتك يحصل كل الخيرات وليس في يد غيرك منها شيء وانما خص الخير بالذكر وان كان بيده الخير والشر تأدبا وثناء على زعم من عداك او لان جميع افعاله من نافع وضار لا يخلو عن حكمة ومصلحة وان كنا لا نعلم تفصيله والشر والنفع والضر لان الكلام انما وقع في الخير الذي يسوقه الى المؤمنين وهو الذي انكرته الكفرة اي بيدك الخير كله خيرا ولان القادر على ايصال الخير قادر على ايصال الشر فاكتفى بالاول عن الثاني وللاحتراز عن لفظ الشر مع ان ذلك صار مذكورا بالضمن في قوله انك على كل شيء قدير ولان الخير يصدر عن الحكيم بالذات والشر بالعرض فاقتصر على الخير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وذلك ان يجعل الليل قصيرا ويدخل ذلك القدر في النهار وبالعكس ففي كل منهما قوام العالم ونظامه او ياتي بالليل عقيب النهار فيلبس الدنيا ظلمته بعد ان كان فيها ضوء النهار ثم ياتي بالنهار عقيب الليل فيلبس الدنيا ضوءه فالمراد بالايلاج ايجاد كل منهما عقيب الآخر والاول اقرب الى اللفظ فان الايلاج الادخال فاذا زاد من هذا في ذلك فقد ادخله فيه وتخرج الحي من الميت المؤمن من الكافر او من كان ميتا فاحييناه اي كافرا فهديناه او الطيب من الخبيث او الحيوان من النطفة والطير من البيضة وبالعكس والنطفة تسمى ميتا كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم او يخرج السنبلة من الحبة وتقدم مثله في البقرة واذا كان كذلك فهو قادر على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم ثم لما علم كيفية التعظيم لامر الله اردفه بشريطة الشفقة على خلق الله فقال لما ذكر انه مالك الملك بيده العزة والذلة والخير كله بين انه ينبغي ان يكون الرغبة فيما عنده وعند اوليائه دون اعدائه فقال لا يتخذ المؤمنون الكافرين بالجزم ولكن كسر لالتقاء الساكنين قال الزجاج ولو رفع على الخبر جاز ولكنه لم يقرأ والخبر والطلب يقام كل منهما مقام الآخر وقوله من دون المؤمنين يعني لكم في موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم على المؤمنين عن ابن عباس قال كان الحجاج بن عمرو وابن ابي الحقيق وقيس بن زيد هؤلاء كانوا من اليهود يباطنون نفرا من الانصار ليفتنوهم عن دينهم فقال رفاعة بن المنذر وعبد الله بن جبير وسعيد بن خيثمة لاولئك النفر اجتنبوا هؤلاء اليهود فابوا الا مباطنتهم فنزلت هذه الآية وعن ابن عباس ايضا في رواية الضحاك نزلت في عبادة بن الصامت وكان من الانصار بدريا تقيا نقيا وكان له حلفاء من اليهود فلما خرج النبي يوم الاحزاب قال عبادة يا نبي الله ان معي خمسمائة رجل من اليهود وقد رايت ان يخرجوا معي فاستظهر بهم على العدو فنزلت وقال الكلبي نزلت في المنافقين عبد الله بن ابي واصحابه كانوا يتولون اليهود والمشركين وياتونهم بالاخبار ويرجون ان يكون لهم الظفر على رسول الله ﷺ فانزل الله تعالى هذه الآية ونهى المؤمنين عن مثل فعلهم وقد كرر ذلك في آيات اخر كثيرة لا تتخذوا بطانة من دونكم لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله وكون المؤمن مواليا للكافر يحتمل ثلاثة اوجه احدها ان يكون راضيا بكفره والرضا بالكفر كفر فيستحيل ان يصدر عن المؤمن فلا يدخل تحت الآية لقوله يا ايها الذين آمنوا وثانيها المعاشرة الجميلة في الدنيا بحسب الظاهر وذلك غير ممنوع منه

والثالث

كالمتوسط بين القسمين فهو ان ركون اليهم المعونة والمظاهرة لقرابة او صداقة قبل الاسلام او غير ذلك ولهذا قال مقاتل نزلت في حاطب بن
بلتعة وغيره وكانوا يظهرون المودة لكفار مكة مع اعتقاد ان دينهم باطل فهذا لا يوجب الكفر الا انه منهي عنه لانه يجر الى استحسان طريقته
والرضا بدينه حتى يخصه بالموالاة دون المؤمنين فلا جرم هدده فقال ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء اي من ولايته ومن دينه في شيء يقع عليه
اسم الولاية يعني انه منسلخ عن ولاية الله راسا وهذا كالبيان لقوله من دون المؤمنين ليعلم ان الاشتراك بينهم وبين المؤمنين في الموالاة
غير متصور وهذا امر معقول فان الموالاة للولي وموالاة عدوه ضدان قال تود عدوي ثم تزعم انني * صديقك ليس النوك عنك بعازب * قال
بعض الحكماء هذا ليس بكلي فانه قد يكون المشفق على العدو مشفقا على العدو الاخر كالملك العادل فانه يحب نفعهما الا ان يعم الحكم لا بد له ان يزيد عليه
اذا كانوا في مرتبة واحدة الا ان تتقوا منهم تقاة قال الجوهري يقال اتقى تقية وتقاة مثل اتخم تخمة وفاؤها واو لكن ابدلت تاء والتقاة اسم وضع موضع
المصدر قال الواحدي ويجوز ان يجعل تقاة ههنا مثل رماة فيكون حالا مؤكدة وعلى هذين الوجهين يكون تتقوا مضمنا معنى تحذروا او تخافوا
ولهذا عدي بمن ويحتمل ان يكون التقاة والتقية بمعنى المتقى مثل ضرب الامير لمضروبه فالمعنى الا ان تخافوا من جهتهم امرا يجب اتقاؤه فرخص لهم في موالاتهم
اذا خافوهم والمراد بتلك الموالاة مخالقة ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من قشر العصا واظهار
الطوية كقول عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا اي ليكن جسدك مع الناس وقلبك مع الله وللتقية عند العلماء احكام منها اذا كان الرجل في
قوم كفار يخاف منهم على نفسه جاز له ان يظهر المحبة والموالاة ولكن بشرط ان يضمر خلافه ويعرض في كل ما يقول ما امكن فان التقية تاثيرها في
الظاهر لا في احوال القلب ومنها انها رخصة فلو صبر كان افضل لما روى الحسن انه اخذ مسيلمة الكذاب رجلين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لاحدهما
اتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم فقال اتشهد اني رسول الله قال نعم وكان مسيلمة يزعم انه رسول بني حنيفة ومحمد رسول قريش فتركه ودعا الآخر
وقال اتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم نعم نعم فقال اتشهد اني رسول الله فقال اني اصم ثلاثا فقدمه فقتله فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
اما هذا المقتول فمضى على يقينه وصدقه فهنيئا له واما الآخر فقبل رخصة الله فلا تبعة عليه ونظير هذه الآية الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان
ومنها انها انما تجوز فيما يتعلق باظهار الموالاة والمعاداة وقد تجوز ان تكون ايضا فيما يتعلق باظهار الدين فاما ما الذي يرجع ضرره الى الغير كالقتل
والزنا وغصب الاموال وشهادة الزور وقذف المحصنات واطلاع الكفار على عورات المسلمين فذلك غير جائز البتة ومنها ان الشافعي جوز
التقية بين المسلمين كما جوزها بين الكافرين محاماة على النفس ومنها انها جائزة لصون المال على الاصح كما انها جائزة لصون النفس لقوله صلى الله عليه وسلم حرمة مال
المسلم كحرمة دمه ومن قتل دون ماله فهو شهيد ولان الحاجة الى المال شديدة ولهذا يسقط فرض الوضوء ويجوز الاقتصار على التيمم اذا بيع
الماء بالغبن قال مجاهد كان هذا في اول الاسلام فقط لضعف المؤمنين وروى عوف عن الحسن قال التقية جائزة الى يوم القيمة وهذا ارجح
عند الائمة ويحذركم الله نفسه قيل اي عقاب نفسه وفيه تهديد عظيم لمن تعرض لسخطه بموالاة اعدائه ولان شدة العقاب على حسب قدرة
المعاقب وفائدة ذكر النفس تصريح بان الذي يحذر منه هو عقاب يصدر من الله لا من غيره وقيل الضمير يعود الى اتخاذ الاولياء اي ينهاكم الله
عن نفس هذا الفعل ثم حذر عن جعل الباطن موافقا للظاهر في وقت التقية فقال قل ان تخفوا ما في صدوركم اي قلوبكم وضمائركم لان
القلب في الصدر مجازا اقامة الظرف مقام المظروف او تبدوه يعلمه الله يتعلق به علمه الازلي ثم استانف بيانا ما هو اشمل فقال ويعلم ما في السموات
وما في الارض ثم قال اتماما للتحذير والله على كل شيء قدير ثم خلط الوعيد بالوعد والترهيب بالترغيب فقال يوم تجد وفي عامله وجوه قال
ابن الانباري والى الله المصير يوم تجد وقيل والله على كل شيء قدير يوم تجد وقيل يحضر ذلك اليوم واذكر وان كان غيره من الايام بمنزلته في قدرة
الله ثم تعظيما لشانه مثل مالك يوم الدين وقيل انتصابه بمضمر اي اذكروا والاظهر ان العامل فيه تود والضمير في بينه لليوم اي تود كل نفس
يوم تجد ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء محضرا ايضا لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا والامد الغاية التي ينتهي اليها كما
كانت الدنيا ابدا والغرض تمني بعده كقوله يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين ومعنى كون العمل محضرا انه يكون ما كتب فيه العمل من الصحائف
حاضرا او يكون جزاؤه محضرا اذ العمل عرض لا يبقى ثم ان لم يكن يوم متعلقا بتود احتمل ان يكون تود صفة سوء والضمير في بينه يعود اليه واحتمل
ان يكون تود حالا واحتمل ان يكون ما عملت مبتدأ من الصلة والموصول وتود خبره وهو الاكثر واحتمل ان تكون ما شرطية وتود جزاء له وهو قليل
كقوله وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم وقراءة عبد الله ودت يحملها على سوى الا ان الحمل على الابتداء والخبر اوقع في المعنى
لانه حكاية الكائن في ذلك اليوم ويحذركم الله نفسه تاكيد للوعيد والله رؤوف بالعباد قال الحسن من رافته ان حذرهم نفسه وعرفهم كمال
علمه وقدرته وانه يمهل ولا يهمل ورغبهم في استيجاب رحمته وحذرهم من استحقاق غضبه ويجوز ان يراد انه رؤوف بهم حيث امهلهم للتوبة والتلافي
او هو وعد كما ان التحذير وعيد والمراد بالعباد عباده المخلصون كقوله عينا يشرب بها عباد الله كما هو منتقم من الفساق ويحذرهم نفسه فهو
رؤوف بالعباد المطيعين المحسنين ثم انه تعالى دعا القوم الى الايمان به وبرسوله من طريق اخر سوى طريق التهديد والتحذير فقال قل ان كنتم تحبون الله
قال الحسن وابن جريج زعم اقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم يحبون الله فقالوا يا محمد انا نحب ربنا فانزل الله هذه الآية وروى الضحاك عن
ابن عباس قال وقف النبي صلى الله عليه وسلم على قريش وهم في المسجد الحرام وقد نصبوا اصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا في آذانها الشنوف وهم يسجدون

لما قال يا معشر قريش لقد خالفتم ملة ابيكم ابراهيم واسمعيل ولقد كانا على الاسلام فقالت قريش انما نعبد هذه حبا لله ليقربونا الى الله زلفى
فانزل الله قل ان كنتم تحبون الله وتعبدون الاصنام ليقربوكم اليه فاتبعوني يحببكم الله فانا رسوله اليكم وحجته عليكم وانا اولى بالتعظيم من اصنامكم
وروى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس ان اليهود لما قالوا نحن ابناء الله واحباؤه نزلت وقيل نزلت في نصارى نجران زعموا انهم يعظمون
المسيح ويعبدونه حبا لله وتعظيما له والحاصل ان كل من يدعي محبة الله ثم من فرق العقلاء علما بانه يكون في غاية الحذر مما يوجب سخطه فاذا
قامت الدلائل العقلية والمعجزات الحسية على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وجبت متابعته فلينظر في متابعته لانه يدعوهم الى طاعة الله تعالى
وترك الصبوة في الاعراض بالكلية عن غيره وقد مر في قوله والذين امنوا اشد حبا لله تحقيق المحبة وانها من الله تعالى عبارة عن اعطاء الثواب نفعا
ويغفر لكم ذنوبكم ليدل مع ابقاء الثواب على ازالة العقاب وهذه غاية ما يطلبه كل عاقل والله غفور في الدنيا يستر على عبده انواع المعاصي
رحيم في الاخرة يثيب على مثقال الذرة من الطاعة والحسنة يروى انه لما نزل قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني قال عبد الله بن ابي ان محمدا
يجعل طاعته كطاعة الله ويامرنا ان نحبه كما احب النصارى عيسى فنزلت قل اطيعوا الله والرسول وفيه ان الايمان لا يكمل الا بوجوب متابعته
ثم ان للمنافق شبهة في البين امر الله تعالى ان يقول انما وجب عليكم متابعتي لا كما يقول النصارى في عيسى بل لكوني رسولا من عند الله مبلغ
تكاليفه فان تولوا اعرضوا وتعرضوا الى ان يكون التولي عنده فقد دخل في جملة ما يقول الرسول لهم فانه لا يحب الكافرين محبة الله
لانها عبارة عن الثناء عليهم وايصال الثواب اليهم والكافر يستحق الذم واللعن وهذا ضد المحبة ثم انه تعالى لما بين ان محبته لا تتم الا بمتابعة الرسل بين علو
درجات الرسل وشرف مناصبهم فقال ان الله اصطفى آدم ونوحا الاية اي جعلهم صفوة خلقه والمختارين من بينهم تمثيلا بما يشاهد من الشيء
الذي يصفى وينقى من الكدورة وذلك باستخلاصهم من الصفات الذميمة وتحليتهم بالخصال الحميدة كقوله الله اعلم حيث يجعل رسالته وقيل
المعنى ان الله اصطفى دين آدم ودين نوح ولكن الاصل عدم الاضمار وذكر الحليمي في كتاب المنهاج ان الانبياء مخالفون لغيرهم في القوى الجسمانية
والقوى الروحانية اما القوى الجسمانية فهي اما مدركة واما محركة اما المدركة فهي الحواس الظاهرة والباطنة اما الظاهرة فقوله زويت لي
الارض فرايت مشارقها ومغاربها وقوله اقيموا صفوفكم وتراصوا فاني اراكم من وراء ظهري وهذا يدل على كمال القوة الباصرة ونظيرها ما
حصل لابراهيم في قوله وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض ذكروا في تفسيره ان الله تعالى قوى بصره حتى شاهد جميع الملكوت وليس
فانه يروى ان زرقاء اليمامة كانت تبصر من مسيرة ثلاثة ايام ويقال ان النسر وغيره من عظام الجوارح يرتفع فيرى صيده من اثنى عشر فرسخا ومنها
اطت السماء وحق لها ان تئط فسمع اطيط السماء ومثله ما زعمت الفلاسفة ان فيثاغورس راض نفسه حتى سمع حفيف الفلك وقد سمع سليمان
كلام النمل وفهم ومثله ما يروى ان النبي صلى الله عليه وسلم تكلم مع الذئب وسمع البعير وقد وجد يعقوب ريح يوسف من مسيرة ايام وقال ان هذا الذراع يخبرني
انه مسموم وهو دليل كمال قوة الذوق وجعل النار بردا وسلاما على ابراهيم قيل هو دليل قوة اللمس وفي النعامة والسمندل فيه نظر لا ادراك
ههنا فكيف يستدل به على قوة الادراك بل يجب ان يحمل هذا على معنى آخر وهو انه تعالى لا يبعد ان يجعل الملموس ملائما للاعجاز او لخاصية اودعها
في الملموس حتى يصير ملائما واما الحواس الباطنة فمنها قوة الحفظ قال تعالى سنقرئك فلا تنسى ومنها قوة الذكاء قال علي رضي الله عنه علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم الف باب
من العلم فاستنبطت من كل باب الف باب فاذا كان حال الولي هكذا فكيف حال النبي واما القوة المحركة فكعروج النبي وعروج عيسى الى السماء و
كرفع ادريس والياس على ما ورد في الاخبار واما القوة الروحانية العقلية فنقول ان النفس القدسية النبوية مخالفة بماهيتها لسائر النفوس او
كالمخالفة صفاء ونورية وانجذابا الى عالم الارواح فلا جرم يجري عليها الانوار الفائضة من المبادي العالية فهي من سائر النفوس كمل الحدأ
بشمسها كالمة للناقصين ومعلمة للجاهلين مرشدة للطالبين مصطفاة من العالمين من جميع سكان الارضين عند من يقول الملك افضل

البشر ومن سكان السموات ايضا عند من يرى البشر افضل المخلوقات ثم ان القران دل على ان اول الانبياء صلوات الله عليهم آدم عليه السلام ثم انه وضع كمال
القوة الروحانية في شعبة معينة من اولاد آدم وهم شيث واولاده الى ادريس ثم الى نوح ثم الى ابراهيم ثم تشعب من ابراهيم شعبتان اسمعيل
واسحق فجعل اسمعيل مبدأ لظهور الروح القدسية لمحمد صلى الله عليه وسلم وجعل اسحق مبدأ لشعبتين يعقوب وعيص فوضع النبوة في نسل يعقوب
ووضع الملك في نسل عيص واستمر ذلك الى زمان محمد صلى الله عليه وسلم فلما ظهر محمد صلى الله عليه وسلم نقل نور النبوة ونور الملك اليه وبقي الدين والملك في امته الى يوم
القيمة فالمراد بآل ابراهيم اولاده وهو المطلوب بقوله ومن ذريتي بعد قوله اني جاعلك للناس اماما واما آل عمران فقيل اولاد عمران بن يصهر
والد موسى وهرون وقيل المراد بآل عمران والد مريم وهو عمران بن ماثان ويدل عليه قوله عقيبه اذ قالت امرأت عمران ولا شك ان عمران بن ماثان
جد عيسى من قبل الام ولان الكلام مسوق للنصارى الذين يحتجون على الهية عيسى بالخوارق التي ظهرت على يديه فالله تعالى يقول ان ذلك باصطفاء
الله اياه لا لكونه شريكا له ولا ريب ان هذا اللفظ اشد مطابقة لقوله تعالى وجعلناها وابنها آية للعالمين ذرية بدل من آل آدم بعضها من بعض
قيل اي في التوحيد والاخلاص والطاعة كقوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض وذلك لاشتراكهم في النفاق وقيل معناه ان غير آدم
كانوا متوالدين من آدم وقيل يعني انه الا ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض موسى وهرون من عمران وعمران من يصهر
ويصهر من قاهث وقاهث من لاوي ولاوي من يعقوب ويعقوب من اسحق وكذلك عيسى من مريم ومريم بنت عمران بن ماثان ثم قال في الكشاف ماثان

سليمان بن داود بن ايشا ابن يهوذ بن يعقوب بن اسحق وفيه نظر لان بين ماثان وسليمان قوما آخرين وكذلك بين ايشو ويهوذ والله سميع لاقوال
العباد عليم بضمائرهم واعمالهم فيصطفى من خلقه من يعلم استقامته قولا وفعلا ويحتمل ان يكون الكلام مع اليهود والنصارى الذين كانوا يقولون
نحن ابناء الله واحباؤه تقريرا للعوام بيطلان هذا الكلام فيكون اول الكلام تشريفا للمرسلين وآخره تهديدا للمبطلين كانه قيل والله سميع
لاقوالهم الباطلة عليم باغراضهم الفاسدة فيجازيهم بحسب ذلك ويحتمل ان يتعلق بما بعده كما مر في الوقوف الشارع على مالك الملك هو مالك الوجود
فلا وجود بالحقيقة الا له تؤتى الوجود من تشاء وتنزع الوجود ممن تشاء فتعطى بعض الوجودات مستعدا للبقاء كالملائكة والانسان وتوجد
بعضها قابلا للفناء كالنبات والحيوان غير الانسان وتعز من تشاء بعزة الوجود النورى وتذل من تشاء بذل التعينات الظلمانى بيدك الخير انك على كل
شئ قدير تغنيه عن الدعاء بذكر السبب يقال يا جواد انك الذى يقدر على اعطاء كل خير فاتنا واعزازا فانه مفيض كل خير وكاشف كل ضر تولج ليل ظلمات
الصفات البشرية النفسانية فى نهار انوار الصفات الروحانية وبالعكس وتخرج القلب الحى بالحيوة الحقيقية من النفس الميتة وتخرج القلب الميت عن
الحيوة الحقيقية من النفس الحية بالحيوة المجازية الحيوانية لا يتخذ القلب المؤمن والروح والسر وصفاتها الكافرين من النفس الامارة والشيطان
والهوى والدنيا اولياء من دون المؤمنين من القلب والروح والسر ومن يفعل ذلك من القلوب فليس من انوار الله والطافه فى شئ الا ان تتقوا
من هلاك النفوس فان النفس مركب الروح فتواسوها كيلا تعجز عن السير بالرجوع وملالة الطريق من شدة الرياضات وكثرة المجاهدات ويحذركم الله
نفسه اى من صفات قهره قل ان تخفوا ما فى صدوركم من معاملات الحق فيه من موالاة النفس او تبدوه يعلمه الله ويعلم ما فى السموات قلوبكم وما فى الارض نفوسكم
يوم تجد كل نفس ما عملت من خير او شر تظهر نتائجها من صفات الخير بحسب ذلك يبيض وجه قلبه ويسود ولكنه فى غفلة من هذا محجوب عنه بحجاب
النفس والجسم كمثل نائم لا يعلم حقيقته الكفر والخصال الذميمة فلا يحس بها ما دام نائما نوم الغفلة فاذا مات انتبه واحس ثم اخبر عن الوصول مرتبة
متابعة الرسول عليه السلام اعلم ان للاتباع ثلث درجات وللمحبة ايضا ثلث درجات ولمحبة الله للمتابع على حسب الاتباع ثلث درجات فالدرجات الاتباع
فالاولى درجة عوام المؤمنين وهى متابعة اعماله عليه السلام والثانية درجات الخواص وهى متابعة اخلاقه والثالثة درجة اخص الخواص وهى متابعة احواله
واما درجات محبة المحب فالاولى محبة العوام وهى مطالعة المنة من رؤية احسان المحسن جبلت القلوب على حب من احسن اليها وهذا حب يتغير بتغير
الاحسان وهو لعامة الاعمال الذين يطيعون لاجل اعمال يعملون وفيه قال ابو الطيب وما انا بالباغى على الحب رشوة ۞ ضعيف هوى يرجى عليه ثواب
والثانية محبة الخواص المتبعين للاخلاق الذين يحبونه اعظاما واجلالا لانه اهل لذلك كما قال رابعة احبك حبين حب الهوى وحبا لانك اهل
لذاكا ۞ ويضطر هذا المحب فى هذه الدرجة الى ايثار الحق على غيره وهذا الحب يبقى على الابد لبقاء الكمال والجلال على السرمد وفيه قال شعر يا عبد الله
لا ارجوا مثوبته لكن تعبد اعظام واجلال ۞ والثالثة محبة خواص المتبعين للاحوال وهى الناشئة من الجذبة الالهية فى مكان من كنت كنزا
مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف فاهل هذه المحبة هم المستعدون لكمال المعرفة وسبق العناية شعر تذكرنا بالمحبة يوم قالت الدنيا آتينا
اتينا طائعينا ۞ وحقيقة هذه المحبة ان يفنى المحب بسطوتها ويبقى المحبة فيه بلا هو كما ان النار يفنى الحطب بسطوتها ويبقى النار منه بلا حطب
واما درجات محبة الله للعبد فاعلم ان كل صفة من صفات الله تعالى من العلم والقدرة والارادة وغيرها فانها لا تشبه فى الحقيقة صفات
المخلوقين حتى الوجود فانه وان عم الخالق والمخلوق الا ان وجوده واجب بنفسه ووجود غيره ممكن فى ذاته واجب به فليس فى الكون الا الله وافعاله قرأ القارئ
بين يدى الشيخ ابى سعيد ابى الخير قوله يحبهم ويحبونه فقال يحق يحبهم لانه لا يحب الا نفسه فليس فى الوجود الا هو وما سواه فهو من صنعه والصانع
اذا مدح صنعه فقد مدح نفسه والغرض ان محبة الله للخلق عائدة اليه حقيقة الا انها لما كان مرجعها الى الخلق بحسب ذلك اختلفت مراتبها مع انها صدرت
عن محل واحل كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فما تعلقت الا باهل المعرفة وذلك قوله فخلقت الخلق لاعرف لكنها تعلقت بالعوام من اهل المعرفة
بالرحمة وثمرتها الاعمال فقيل لهم فاتبعونى بالاعمال الصالحة يحببكم الله يخصكم بالرحمة ويغفر لكم ذنوبكم التى صدرت منكم على خلاف السنة
وتعلقت بالخاص من اهل المعرفة بالفضل وثمرتها الاخلاق فقيل لهم فاتبعونى بمكارم الاخلاق يحببكم بالفضل ويحليكم بصفات الجمال ويغفر لكم
ذنوبكم بستر ظلمة صفاتكم بانوار صفاته وتعلقت بالاخص من اهل المعرفة بالجذبات وثمرتها الاحوال فقيل لهم فاتبعونى ببذل الوجود يحببكم الله
يخصكم بجذبة الى نفسه ويغفر لكم ذنوب وجودكم فيمحو عنكم بقيته ويثبتكم به كما قال فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا ولسانا ويدا فبى يسمع وبى ينطق
وعند الاثبات تحيا بغير الهوى بل يكون فى هذا المقام المحب محبوبا والمحبة والمحب واحدا كما ان الكرم فى العنب شاهدا بالتربية وصفاته بصفاته فتكون
الرؤية والرؤية والمرئى واحدا قل اطيعوا الله والرسول فان متابعته صورة جذبة الحق وحقيقة محبته لكم ان الله اصطفى آدم وذلك ان الله
ثم خلق العالمين بسبب انواع الجماد والمعدن والنبات والحيوان والنفوس والعقول والارواح جعل آدم جميع الانواع وخصه بتشريفات من هو
تشريف فنفخت فيه من روحى وجعله مرآة لجميع اسمائه وصفاته وذاته وهو معنى جعله خليفة ومعنى قوله ان الله خلق آدم ثم ذكر خواص اولاد آدم
نوحا وآل ابراهيم وآل عمران والمراد به الآل كل مؤمن تقى بعضها من بعض بالوراثة العلماء ورثة الانبياء فالعالم كشجرة ثمرتها اهل المعرفة
والله سميع بدعائهم عليم باحوالهم وخصالهم اذ قالت امرأت عمران رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا فتقبل منى انك انت
ﺑﻬﻢ ﻣﻄﻠﻮﺏ ﺩﺭ ﺑﻬﻢ ﺑﺮ ﻧﻘﻮﻑ ﭼﻮﻥ ﮔﻔﺖ ﺯﻥ ﻋﻤﺮﺍﻥ ﭘﺮﻭﺭﺩﮔﺎﺭﺍ ﻧﺬﺭ ﮐﺮﺩﻡ ﺍﺯ ﺑﺮﺍﯼ ﺗﻮ ﺁﻧﭽﻪ ﺩﺭ ﺷﮑﻢ ﻣﻦ ﺍﺳﺖ ﺁﺯﺍﺩ ﭘﺲ ﺑﭙﺬﯾﺮ ﺍﺯ ﻣﻦ ﺑﻪ ﺩﺭﺳﺘﯽ ﮐﻪ ﺗﻮ

السميع العليم فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى واني سميتها مريم

شنونده داناست پس چون نهاد حمل گفت ای پروردگار من بدرستی که من نهادم حمل را دختر و خدا داناتر است بآنچه نهاد و نیست پسر مانند دختر و من نام نهادم او را مریم

واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما

و من پناه میدهم او را بتو و فرزندانش را از شیطان رانده شده پس قبول کرد او را پروردگارش بقبول نیکو و برویانید او را برویانیدنی نیکو و پذیرفت او را زکریا هر وقت

دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب

در آمدی بر او زکریا در محراب یافتی در نزد او روزی گفت ای مریم چگونه شد مر ترا این گفت که این روزی از نزد خداست بدرستی که خدا روزی میدهد هر کرا خواهد بی شمار

هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء فنادته الملائكة وهو قائم يصلي

آن زمان خواند زکریا پروردگار خود را گفت ای پروردگار بخش مرا از نزد خود فرزندان پاک بدرستی که تو شنونده دعا پس ندا کردند او را فرشتگان و حال آنکه ایستاده نماز میگزارد

في المحراب ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين قال رب انى يكون

در محراب که خدا مژده میدهد ترا بیحیی باور دارنده مر کلمه از خدا را و مهتر و پارسا و پیغمبری از نیکوکاران گفت ای پروردگار چگونه باشد

لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء قال رب اجعل لي اية قال ايتك الا تكلم الناس ثلثة ايام

مرا فرزند و حال آنکه دریافت مرا پیری و زنم نیز نازاست گفت که همچنین است خدا میکند هر چه خواهد گفت ای پروردگار قرار ده از برای من نشانه گفت نشانه تو آنکه گفتگو نکنی با مردم سه روز

الا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار

مگر بطریق رمز و یاد آر پروردگار خود را بسیار و تسبیح کن در شام و صبح

القراءات مني انك بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو بما وضعت على الحكاية ابن عامر ويعقوب وابو بكر وحماد الباقون وضعت على الغيبة واني اعيذها بفتح الياء ابو جعفر ونافع وكفلها مشددة عاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون خفيفا زكريا مقصورا كل القرآن حمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد وقرأ ابو بكر وحماد بالمد النصب ههنا الباقون بالمد الرفع فناديه بالياء والامالة علي وحمزة وخلف الباقون فنادته بتاء التأنيث المحراب بالامالة حيث كان مخفوضا قتيبة وابن ذكوان ان الله بكسر ان ابن عامر وحمزة الباقون بالفتح يبشرك وما بعده من البشارة خفيفا حمزة وعلي الباقون بالتشديد لي آية بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو وابن شنبوذ عن ابن كثير الوقوف مني ج للابتداء والاحتمال لانك العليم انثى ط لمن قرأ بما وضعت بالسكون ومن قرأ على الحكاية لم يقف لانه يجعلها من كلامها بما وضعت ط كالانثى ج للابتداء بان والاحتمال ان المجموع كلام واحد من قولها على قراءة من قرأ وضعت بالضم الرجيم حسنا ص لمن خفف كفلها مخففا لتبدل فاعله فان فاعل المخفف زكريا وفاعل المشدد الرب تعالى مفعول زكريا كقوله اكفلنيها المحراب لا لتعجيل جواب كلما رزقا ج لاتحاد فاعل الفعلين مع عدم العاطف هذا ط من عند الله ط حساب ه ربه ج لما قلنا ذرية طيبة ج للابتداء ويجوز الا لان الدعاء في المحراب وان كسر ان لان من كسر جعل النداء في معنى القول الصالحين ه عاقر ط ما يشاء ه آية ط رمزا ط والابكار ه التفسير انه سبحانه ذكر في هذا المقام قصصا القصة الاولى قصة حنة ام مريم البتول وهي حنة بنت فاقوذ اخت ايشاع التي كانت تحت زكريا بن اذن وكانت حنة كانت عاقرا لم تلد الى ان كبرت وعجزت فبينما هي في ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخا له فتحركت نفسها للولد وتمنته فقالت اللهم ان لك علي نذرا شكرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فحملت بمريم وهلك عمران وهي حامل قال الحسن انما فعلت ذلك بالهام الله تعالى كما الهم ام موسى فقذفته في اليم على الشيء محررا مخلصا للعبادة وحررت العبد اذا خلصته من الرق وحررت الكتاب اذا اصلحته وخلصته من الغلط ورجل حر اذا كان خالصا لنفسه ليس لاحد عليه يد تصرف قال الاصم لم يكن لبني اسرائيل غنيمة ولا سبي كان في دينهم ان الولد اذا صار بحيث يمكن استخدامه كان يجب عليه خدمة الابوين فكانوا بالنذر يتركون ذلك النوع من الانتفاع ويجعلون الاولاد محررين لخدمة المسجد طاعة لله تعالى حتى اذا بلغ الحلم كان مخيرا ان ابى المقام واراد ان يذهب ذهب وان اختار المقام فلا خيار له بعد ذلك ولم يكن نبي الا ومن نسله محرر في بيت المقدس وما كان هذا التحرير الا في الغلمان لان الجارية يصيبها الحيض والقذر ثم انها نذرت مطلقا اما بناء الامر على الفرض والتقدير واما لانها جعلت النذر وسيلة الى طلب الولد الذكر ومحررا حال من ما وعن ابن قتيبة المعنى نذرت لك ان اجعل ما في بطني محررا فلما وضعتها يعني ما في بطنها لانها كانت انثى في علم الله او على تأويل النفس والنسمة والجبلة والحبل بفتح الباء مصدر بمعنى المحبول كما سمي بالحمل ثم ادخلت عليه التاء للاشعار بمعنى الانوثة ومنه الحديث نهي عن حبل الحبلة ومعناه ان يبيع ما سوف يحمله الجنين الذي في بطن الناقة على تقدير ان يكون انثى قالت رب اني وضعتها انثى حال مؤكدة ثم من قرأ والله اعلم بما وضعت على الحكاية فمجموع الكلام الى آخر الآية من قولها ويكون فائدة قولها اني وضعتها انثى الاعتذار عن اطلاق النذر الذي تقدم منها والخوف من انها لا يقع الموقع الذي يعتد به والحزن الى تحسرها على ما فات من رجائها وعكس تقديرها ثم خافت ان يظن بها انها ما قالت ذلك الا لاعلام الله تعالى فقالت والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى اي ليس جنس الذكر كجنس الانثى لا سيما في باب السدانة فان تحرير غير الذكور لم يكن جائزا في شرعهم والذكر يمكن له الاستمرار على الخدمة دون الانثى لعوارض النسوان ولان الانثى لا تقوى على الخدمة ولانها محل التهمة عند الاختلاط ويحتمل ان تكون عارفة بالله وانه بان كل ما صدر عنه فهو يكون لا محالة حسنا صوابا فقالت رب اني وضعتها انثى ولكنك عرفت علمها بما وضعت فلعل

تلك فيه سرا وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت لي لانك لا تفعل الا ما فيه حكمة ومصلحة فعلى هذا اللام في الذكر وفي الانثى للعهد وحاضر ذهني
لكنها في الذكر حاضر ذهني تقديرا لانه الذي نذرته في بطني وفي الانثى حاضر ذهني حقيقة لتقدم لفظة انثى ومن قرأ بما وضعت بسكون
التاء للتانيث فالجملتان اعني قوله والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى معترضتان ومعناه والله اعلم بالشئ الذي وضعت لما
علق به من عظائم الامور وجعلها وولدها اية للعالمين وهي جاهلة بذلك ثم زاده بيانا وايضاحا فقال وليس الذكر الذي طلبت كالانثى
التي وهبت لها واني سميتها مريم وذلك ان اباها قد مات عنها فلهذا تولت الام تسميتها ومريم في لغتهم العابدة فارادت بقولها ذلك التقرب
والطلب الى الله ان يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها ولهذا اردف ذلك الطلب بالاعاذة لها ولولدها من الشيطان فتقبلها ربها الضمير يعود الى
امرأة عمران ظاهرا بدليل انها التي طلبت ما ذكرت بقولها رب اني وضعتها ويحتمل ان يعود الى مريم فيكون فيه اشارة الى انكار ما في بطنها
فسر بها بعد ذلك بقبول حسن تقبلت الشئ وقبلته اذا رضيته لنفسك قبولا بفتح القاف وهو مصدر شاذ حتى حكى انه لم يسمع غيره واجاز
الفراء والزجاج قبولا بالضم والباء في قوله بقبول بمنزلة الباء في قولك كتبت بالقلم وضربته بالسوط وفي التقبل نوع تكلف فكانه انما حكم
بالتقبل بواسطة القبول الحسن قال في الكشاف معناه فتقبلها بذي قبول حسن اي بامر ذي قبول وهو اختصاصها باقامتها مقام الذكر في النذر
ولم يقبل قبلها انثى في النذر او بان تسلمها من امها عقيب الولادة قبل ان تنشأ وتصلح للسدانة قال ويجوز ان يكون القبول اسم ما يقبل به الشئ
كالسعوط واللدود لما يسعط به ويلد وهو الاختصاص ويجوز ان يكون معناه فاستقبلها مثل تعجل بمعنى استعجل ومن ذلك قولهم استقبل
الامر اذا اخذه باوله اي فاخذها في اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا قيل كانت تنبت في اليوم مثل ما ينبت المولود في عام وقيل
المراد نماؤها في الطاعة والعفة والصلاح والسداد وكفلها زكريا روي ان حنة حين ولدت مريم لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها
عند الاحبار ابناء هرون وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم
وصاحب قربانهم وكانت بنو ماثان رؤس بني اسرائيل واحبارهم وملوكهم فقال لهم زكريا انا احق بها عندي خالتها فقالوا لا حتى نقترع عليها

فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين الى نهر فالقوا فيه اقلامهم التي كانوا يكتبون بها التورية والوحي على ان كل من ارتفع قلمه فهو الراجح فالقوا ثلث
مرات ففي كل مرة كان يرتفع قلم زكريا ويرسب اقلامهم فاخذها زكريا فعلى هذه الرواية تكون كفالة زكريا اياها من لدن صغرها وهو قول
الاكثرين وزعم بعضهم انه كفلها بعد ان فطمت ونبتت النبات الحسن على ترتيب الذكور والارجح انها لم ترضع ثديا قط وكانت تتكلم في الصغر
وكان رزقها من الجنة وان زكريا بنى لها محرابا وهو غرفة يصعد اليها بسلم وقيل هو اشرف المجالس ومقدمها كانها وضعت في اشرف
موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب وفي التركيب يدل على الطلب فكان صدر المجلس يسمى محرابا لطلب الناس اياه
كان اذا خرج غلق عليها سبعة ابواب فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء وذلك قوله عز من قائل
كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا من اين لك هذا الرزق الذي لا يشبه ارزاق الدنيا وهو آت
في غير حينه والابواب مغلقة قالت هو من عند الله فلا تستبعد ان الله يرزق من يشاء بغير حساب يحتمل ان يكون من تمام كلام مريم
وان يكون معترضا من كلام الله تعالى واعلم ان الامور الخارقة للعادة في حق مريم كثيرة منها انه روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد
الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان اياه الا مريم وابنها قلت ذلك لدعاء حنة واني اعيذها وذريتها ومنها تكلمها
في الصغر ومنها حصول الرزق لها من عند الله كما ذكر وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه جاع في زمن قحط فاهدت له فاطمة رغيفين وبضعة لحم اثرته بها فرجع
اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فبهتت وعلمت انها نزلت من عند الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم لها انى لك هذا فقالت
هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع رسول الله
علي بن ابي طالب والحسن والحسين وجميع اهل بيته حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو فاوسعت فاطمة على جيرانها وفي امثال هذه الخوارق
من غير الانبياء دليل على صحة الكرامات من الاولياء والفرق بين المعجزة والكرامة ان صاحب الفعل الخارق في الاول يدعي النبوة وفي
الثاني يدعي الولاية والنبي يدعي المعجز ويقطع به والولي لا يمكنه ان يقطع به والمعجزة يجب انفكاكها عن المعارضة والكرامة بخلافها وقال
بعضهم الانبياء مامورون باظهار المعجزة والاولياء مامورون باخفاء الكرامات اما المعتزلة فقد احتجوا على امتناع الكرامات بانها
دلالات صدق الانبياء ودليل النبوة لا يوجد مع غير النبي كما ان الفعل المحكم لما كان دليلا على ان فاعله عالم فلا جرم لا يوجد في غير
العالم واجابوا عن حديث ابي هريرة بعد تسليم صحته ان استهلال المولود صارخا من مس الشيطان تخييل وتصوير لطمعه فيه كانه
يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا ممن اغويه فمعنى الحديث ان كل مولود فان الشيطان يطمع في اغوائه الا مريم وابنها وهذا المعنى يعم
جميع من كان في صفتهما من عباد الله المخلصين قال في الكشاف واما حقيقة المس والنخس كما يتوهم اهل الحشو فكلا ولو سلط ابليس على الناس
نخسهم لامتلأت الدنيا صراخا وعياطا مما يبلونا به من نخسه قلت وعجيب مثل هذا الكلام فانه لا يلزم من الاحساس بمس الشيطان
والعزم في وقت الولادة وانه يتعلق بعالم الارواح وهو ان المكاشفة بعيد انهم من عالم الغفلة والا فالحشوية ان يحس في وقت

آخر ويصرح على ان اثر من الشيطان ونحسه يظهر في هيئات النفس واحوالها اولها امور لا يجربها الا بعد المفارقة او قطع العلائق البدنية والكلام
فيه ليس ببدعى فهذا استعداد آخر غير العلوم الظاهرة قال الجبائي يجوز ان يكون تلك الخوارق من معجزات زكريا وبيانه ان زكريا دعا لها على الاجمال
ان يوصل الله اليها رزقها وربما كان غافلا عن تفاصيل ما يأتيها من الارزاق من عند الله فاذا رأى شيئا بعينه في وقت معين قال لها انى
لك هذا قالت هو من عند الله فعند ذلك يعلم ان الله تعالى اظهر بدعائه تلك المعجزة ويحتمل ان يكون زكريا يشاهد عند مريم رزقا معتادا الا انه كان
يأتيها من السماء وكان زكريا يسألها عن ذلك حذرا من ان يكون من عند انسان يبعثه اليها فقالت هو من عند الله لا من عند غيره على انا
لا نسلم انه ظهر عليها شيء من الخوارق بل كانوا يرغبون في الانفاق على الزاهدات العابدات فكان زكريا اذا رأى شيئا من ذلك خاف ان ذلك الرزق
اتاها من حيث لا ينبغي فكان يسألها عن كيفية الحال قلت امثال هذه الشبهات بوجوه التأويل القرآنية في الحديث والعصبية المحضة على
انا نقول لو كان معجزا لزكريا لكان مأذونا من عند الله في طلبه فكان عالما بحصوله واذا علم امتنع ان يطلب كيفية الحال ايضا فكيف يقنع بمجرد
اخبارها في زوال التهمة وكيف مدح الله تعالى مريم بحصول هذا الرزق عندها وكيف يستبعد هذا القدر ممن اخبر الله تعالى بانه اصطفاها على
نساء العالمين وقال وجعلناها وابنها آية للعالمين القصة الثانية قصة زكريا وذلك قوله سبحانه هنالك اى في ذلك المكان الذي كانا
فيه المحراب او في ذلك الوقت الذي شاهد فيه تلك الكرامات فقد يستعار هنا وثم وحيث للزمان دعا زكريا ربه وهذا يقتضي ان يكون قد
عرض له في ذلك الزمان والمكان امر له تعلق بهذا الدعاء فالجمهور من العلماء المحققين على ان زكريا رأى عند مريم من فاكهة الصيف في الشتاء والعكس
وان ذلك خارق للعادة طمع هو ايضا في امر خارق هو حصول الولد من شيخ كبير ومن امرأة عاقر وهذا لا يقتضي ان يكون زكريا قبل ذلك شاكا
في قدرة الله تعالى غير مجوز وقوع الخوارق فان من حسن الادب رعاية الوقت لانه انجح للطلب واما المعتزلة الذين انكروا كرامات الاولياء وارهاص
الانبياء فقالوا ان زكريا لما رأى آثار الصلاح والعفاف والتقوى مجتمعة في حق مريم تمنى ان يكون له ولد مثلها قال المتكلمون ان دعاء النبي
لا يكون الا بعد الاذن لاحتمال ان لا يكون الاجابة مصلحة فيصير دعوته مردودة وذلك نقص في منصبه وقيل ان دعاء النبي لا يكون بحيث
يشتهي فلا حاجة له في كل دعاء الى اذن مخصوص بل يكون له الاذن في الدعاء على الاطلاق والغالب في دعوته الاجابة ثم ان وقع الامر بالبدل
على خلاف دعوته فذلك بالحقيقة مطلوبه لانه يريد الاصلح ويضمر في دعائه انه لو لم يكن اصلح لم يجبه الله عليه فيصير غير ... ومعنى قوله من لدنك
ان حصول الولد في العرف والعادة له اسباب مخصوصة وكانت مفقودة في حقه فكانه قال اريد منك الهي ان تنزل الاسباب في هذه الواقعة و
تعطيني هذا الولد بمحض قدرتك من غير توسيط الاسباب والذرية النسل يقع على الواحد والجمع الذكر والانثى والمراد ههنا ولد واحد كما قال
فهب لي من لدنك وليا قال الفراء وانث الطيبة لتأنيث لفظ الذرية في الظاهر فالتذكير والتأنيث تارة يجيء على اللفظ واخرى على المعنى وهذا
في اسماء الاجناس بخلاف الاعلام فانه لا يجوز ان يقال جاءت طلحة لان اسم العلم لا يفيد الا ذلك الشخص فاذا كان مذكرا لم يجز فيه الا التذكير
انك سميع الدعاء بمعنى سامع اجابة وذلك لما عهد من الاجابة في غير هذه الواقعة كما قال في سورة مريم ولم اكن بدعائك رب شقيا فنادته الملائكة
ظاهر اللفظ الجمع وهذا في باب التشريف اعظم ثم ذكر ان المنادي كان جبرئيل عليه السلام والوجه فيه انه كقولهم فلان يركب الخيل ويأكل الاطعمة النفيسة اى جنس
من هذا الجنس وما كان منادوه الا جبرئيل كان رئيس الملائكة وقلما يبعث الا ومعه آخرون ان الله يبشرك بيحيى ان زكريا قد عرف انه سيكون في الانبياء
رجل اسمه يحيى وله درجة عالية فاذا قيل له ان ذلك النبي المسمى بيحيى هو ولدك كان بشارة له ويحتمل ان يكون المعنى يبشرك بولد يسمى يحيى كما
يجيء في سورة مريم انا نبشرك بغلام اسمه يحيى والاسم اعجمي كموسى وعيسى ومن جوز ان يكون عربيا فمنع صرفه للعلمية ووزن الفعل كيعمر
ثم انه تعالى وصف يحيى بصفات منها قوله مصدقا بكلمة من الله وهو نصب على الحال لانه نكرة ويحيى معرفة قال ابو عبيدة اى مؤمنا بكتاب الله
وسمي الكتاب كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته والجمهور على ان المراد بكلمة من الله هو عيسى قال السدي لقيت ام يحيى ام عيسى وهما حاملان بهما فقالت
يا مريم اشعرت انى حبلى فقالت مريم وانا ايضا حبلى قالت المرأة فاني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله مصدقا بكلمة من الله وقال ابن
عباس ان يحيى اكبر من عيسى بستة اشهر وكان يحيى اول من آمن وصدق بانه كلمة الله وروحه ثم قتل يحيى قبل رفع عيسى وسمي عيسى كلمة الله لانه لم يوجد الا
بكلمة الله وهي كن من غير واسطة اب وزرع كما يسمى المخلوق خلقا والمرجو رجاء ولكونه متكلما في اوان الطفولية او لانه مظهر الحقائق والاسرار كما
لهذا سمي روحا ايضا لانه سبب حياة الارواح وقد يقال للسلطان العادل ظل الله ونور الله لانه سبب ظهور ظل العدل ونور الاحسان
او لانه ورد البشارة به في كلمات الانبياء وكتبهم كما لو اخبرت عن حدوث امر ثم حدث ذلك الامر قلت قد جاء قولي وكلامي اى كنت اقول واتكلم
به ومنها قوله وسيدا والسيد الذي يفوق قومه في الشرف وكان يحيى فائقا قومه بل الناس كلهم في خصال الخير وقال ابن عباس السيد الحليم
وقال ابن المسيب الفقيه العالم وقال عكرمة الذي لا يغلبه الغضب ومنها قوله وحصورا قيل اى محصورا عن النساء لضعف في الالة ونقض بانه
من صفات النقص فلا يليق في معرض المدح فالمحققون على انه فعول بمعنى فاعل وهو الذي لا يأتي النسوان لا للعجز بل للعفة والزهد وحبس
النفس عنهن وقد يستدل به على ان ترك النكاح كان افضل في تلك الشريعة فلو ان الامر بالنكاح والحث عليه ورد في شرعنا كان الاصل بقاء الامر على
ما كان ومنها قوله ونبيا واعلم ان السيادة لا تتم الا بالقدرة على ضبط مصالح الخلق فيما يرجع الى الدين والدنيا والحصور اشارة الى الزهد التام
وهو منع النفس عن الانبساط روى انه مر وهو طفل بصبيان يلعبون فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت فقوله ونبيا اشارة الى ما عدا الا

فانه لم يبعث بعدها الا النبوة ثم قال من الصالحين اى من اولادهم لانه كان من اصلاب الانبياء او كائنا من جملة الصالحين كقوله وانه في الآخرة لمن
الصالحين ولان صلاحه كان اتم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ما من نبي الا وقد عصى او هم بمعصية غير يحيى بن زكريا فانه لم يعص ولم يهم فيكون الختم على الصلاح
هو الغرض الاعظم والغاية القصوى وان كان نبيا ولهذا قال سليمان بعد حصول النبوة وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقال يوسف توفني
مسلما والحقني بالصالحين ثم ان الملائكة لما نادوه قال زكريا مخاطبا لمن اسمعه ومناجيا لله رب انى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر ادركني السن
العالية واثر في طول العمر واضعفني قال اهل المعاني [illegible] فقد بلغت [illegible] اذا امكن تصور الطلب من الجانبين يجوز ان
بلغت الكبر وبلغني الكبر لان الكبر كالشيء الطالب للانسان فهو يأتيه بحدوثه فيه والانسان ايضا يأتيه بمرور السنين عليه لا يجوز بلغني البلد في موضع بلغت
البلد لان البلد ليس كالطالب للانسان الذاهب اليه وامرأتي عاقر هي من الصفات الخاصة بالنساء [illegible] عاقر اى لا تلد شيئا فان قيل لما كان زكريا هو
الذي سأل الولد ثم اجابه الله تعالى الى ذلك فلم تعجب واستبعاده بقوله انى يكون اى من اين يحصل لي غلام فالجواب على ما في الكشاف ان الاستبعاد
انما جاء من حيث العادة وقيل انه دهش من شدة الفرح [illegible] ونقل عن سفيان بن عيينة انه دعا وكان قبل البشارة بستين سنة فكان
قد نسي ذلك السؤال وقت البشارة فلما سمع البشارة في زمان الشيخوخة استغرب وكان ابن مائة وعشرين سنة او تسع وتسعين وامرأته
ثمان وتسعين وعن السدي ان الشيطان جاءه عند سماع البشارة فقال ان هذا النداء من الشيطان وقد سخر منك فاشتبه عليه الامر ولا سيما انه
كان من مصالح الدنيا ولم يتأكد بالمعجزة فرجع الى الله فسأل [illegible] والجواب المعتمد ان زكريا لم يسأل عما سأل استبعادا وتشككا في
قدرة الله وانما اراد تعيين الجهة التي بها يحصل الولد فان الجهة المعتادة كانت متعذرة عادة لكبره وعقارتها فاجيب بقوله كذلك الله يفعل
ما يشاء وهو جملة واحدة اى الله يفعل ما يشاء من الافعال العجيبة مثل ذلك الفعل وهو خلق الولد من الشيخ الفاني والعجوز العاقر او جملتان
فيكون كذلك الله مبتدأ وخبرا اى على نحو هذه الصفة الله ويفعل ما يشاء بيان له اى يفعل ما يريد من الافاعيل الخارقة للعادات ثم انه لفرط
سروره وثقته بكرمه وانعامه سأل عن تعيين الوقت فقال رب اجعل لي آية علامة اعرف بها العلوق فان ذلك لا يظهر من اول الامر قال
آيتك الا تكلم الناس ثلاثة ايام اى بلياليها ولهذا ذكر في سورة مريم ثلاث ليال بمعنى قوله الا تكلم الناس قال المفسرون اى لا تقدر على التكلم
حبس لسانه عن امور الدنيا واقدره على الذكر والتسبيح ليكون في تلك المدة مشتغلا بذكر الله بالطاعة وبالشكر على تلك النعمة الجسيمة فيصير الشيء
الواحد علامة على المقصود واداء لشكر النعمة فيكون جامعا للمقاصد وفي هذه الآية اعجاز من وجوه منها القدرة على التكلم بالتسبيح والذكر مع العجز
عن التكلم بكلام البشر ومنها [illegible] مع سلامة البنية واعتدال المزاج ومنها الاخبار بانه متى حصلت هذه الحالة فقد حصل الولد ثم ان الامر
وقع على وفق هذا الخبر وعن قتادة انه عوتب بذلك حيث سأل بعد بشارة الملائكة فاخذ لسانه وصير بحيث لا يقدر على الكلام قلت واحسن
العتاب ما كان منتزعا من نفس الواقعة ومناسبا لها وفيه لطيفة اخرى وهي انه طلب الآية على الاطلاق فاحتمل ان يكون قد طلب علامة العلوق
واحتمل ان يكون قد طلب لازدياد [illegible] على الحوادث الخوارق ليصير علم اليقين عين اليقين فصار حبس لسانه آية العلوق وآية على الفعل الخارق جميعا مع مناسبة
[illegible] حيث سأل ما كان من حقه ان لا يسأل وزعم ابو مسلم ان المعنى آيتك ان تصير مأمورا بعدم التكلم ولكن بالاشتغال بالذكر والتسبيح الا رمزا
اشارة بيد او رأس او بالشفتين ونحوها واصل التركيب للتحرك يقال ارتمز اذا تحرك ومنه الراموز للبحر وهو استثناء من قوله الا تكلم وجاز وان
لم يكن الرمز من جنس الكلام لانه مؤد مؤدى الكلام ويجوز ان يكون استثناء منقطعا وقيل الرمز الكلام الخفي وعلى هذا فالاستثناء متصل
من غير تكلف وقرئ رمزا بضمتين جمع رموز كرسل ورسول ورمزا بفتحتين جمع رامز كخادم وخدم وهو حال منه ومن الناس
دفعة بمعنى مترامزين كما يكلم الناس الاخرس بالاشارة ويكلمهم واذكر ربك كثيرا قيل انه لم يكن عاجزا الا عن تكلم البشر وقيل المراد الذكر بالقلب
وانه كان عاجزا عن التكلم مطلقا وسبح حمله بعضهم على صل لئلا يكون تكرارا للذكر وقد يسمى الصلاة تسبيحا فسبحان الله حين تمسون ولا
الاستثناء لا عليه بالعشي مصدر على فعيل وهو من حين الزوال الى غروب الشمس والابكار من طلوع الفجر الى الضحى وهو مصدر ابكر يبكر اذا خرج
للامر من اول النهار وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار والتأويل ان [illegible] في كل ذرة من ذرات الموجودات [illegible] كانها اسرار
لا يعلمها الا الله فانظر ماذا اخرج الله من الاسرار [illegible] وماذا اظهر من الآيات والمعجزات من تلك الساعة الى يوم القيامة
بواسطة مريم وعيسى فتقبل مني راجع الى التحرر [illegible] اى تقبلها مني [illegible] فتقبلها ربها اى قبلها
ربها ان يربيها بقبول حسن [illegible] وكفلها زكريا [illegible]
عليه منها [illegible] ذلك من انباء الغيب [illegible] يعلم الله به خواص عباده الذين
يبيتون عند الله [illegible] ان الله يرزق من يشاء بغير حساب [illegible]
من الولد بلا اب ومن الفاكهة بلا شجرة ومن المعجزات بلا نبوة ومن العلوم اللدنية بلا واسطة هنالك دعا زكريا ربه كأنه [illegible] جعل
الطاعة [illegible] سبب [illegible] بطلب الولد [illegible] فكذلك جعل [illegible] من الرزق [illegible] العادة سبب [illegible]
قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة [illegible] من صفوف الارواح المجندة وهو المطهر من لوث الحجاب بالواسطة

مما نادوه

لان البلد

مع اليقين

[illegible] النادرة

الصالح للنبوة والولاية بخلاف الصنف الثاني الذي هو لارواح الاولياء المحبين وبين الله ثم حجاب الصنف الاول بخلاف الصنف الثالث الذي هو
لارواح المؤمنين بخلاف الصنف الرابع الذي هو لارواح المنافقين والمشركين فنادته الملائكة وهو قائم ما يسيصل بانه يريده في الملكوت
يحارب نفسه وهواه في المحراب ان الله يبشرك بغلام اسمه يحيى لانه منه خلق ما اسلبط بوت لا يموت لقلب بالمعاصي لا يموت الصوتي
لانه استشهد والشهداء لا يموتون بل احياء عند ربهم يرزقون مصدقا بكلمة من الله وهي قوله يا يحيى خذ الكتاب بقوة وسيدا
اي حرا من رق الكونين وحصورا نفسه عن التعلق بالكونين ونبيا من الصالحين من اهل الصنف الاول رب انى يكون لي غلام لم يكن لي
من قبل الغدة الالهية ولكن من جهة استحقاقه لهذه الكرامة ايتك الا تكلم الناس لغلبات الصفات الروحانية عليك واستيلاء سلطان
الحقيقة على قلبك فان النفس الناطقة تكون مغلوبة في تلك الحالة لشواهد الحق في الغيب فلا تفرغ الاجزاء عادتها في الشهادة الا الكلام الا رمزا
لهذا يقوى الروح الحيواني او يتقيد منه القوة البشرية فيحيى الله ثم اشتهر الميتة فيه ما تولد من الشهوة الميتة الوحيا ما الله يحوج لاستمرار
هذه الحالة الا في الايام الثلاثة امر بالمراقبة ليلا ونهارا وعشيا وابكارا احتواه وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ
وچون گفتند فرشتگان ای مریم بدرستی که خدا برگزید ترا

بل سید الرفیق الکونین

ع ۱۳

وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿﴾ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ
و پاک ساخت ترا و برگزید ترا بر زنان جهانیان ای مریم فرمان برداری کن مر پروردگار خود را و سجده کن و رکوع کن با رکوع کنندگان این از خبرهای پوشیده است
نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ
که وحی کردیم آنرا بسوی تو و نبودی تو نزد ایشان چون انداختند قرعهای خود را که کدام از ایشان در پذیرد مریم را و نبودی نزد ایشان وقتی که نزاع میکردند چون گفتند فرشتگان
يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي
ای مریم بدرستی که خدا مژده میدهد ترا بکلمه از او که نام او مسیح عیسی پسر مریم است با جاه در دنیا و در آخرت و از نزدیکان است و سخن گوید با مردمان در
الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا
گهواره و در سستی و از شایستگان است گفت مریم که پروردگارا چگونه باشد مرا فرزندی و حال آنکه مس نکرده است مرا مردی گفت همچنین خدا می آفریند آنچه میخواهد چون حکم کند کاری را پس
يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن
میگوید مر او را که بشو پس میشود و بیاموزد او را الکتاب و نبوة و توریة و انجیل را و پیغمبر است بسوی بنی اسرائیل و میگوید بدرستی که آوردم بشما نشانه
رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ
از خدا که میسازم از برای شما از گل چون صورت مرغ پس میدمم در او پس میگردد مرغی بفرمان خدا و شفا میدهم کور مادر زاد و پیسی را و زنده میکنم مردگانرا
بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا
بفرمان خدا و خبر میدهم شما را بآنچه میخورید و آنچه پنهان میدارید در خانهای خود بدرستی که در این هر آینه نشانه است مر شما را اگر هستید گروندگان و باور دارنده مر آنرا
بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي
که پیش از من بود از توریة و تا حلال گردانم از برای شما بعضی چیزهایی که حرام شده بود بر شما و آوردم بشما نشانه از پروردگار شما پس بپرهیزید از خدا و اطاعت کنید مرا بدرستی که خدا پروردگار من
وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿﴾ ۞ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ ۖ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ
و پروردگار شما است پس بپرستید او را این راه راست است پس چون دریافت عیسی از ایشان کفر را گفت کیست یاور من بسوی خدا گفتند حواریون که مائیم یاری دهندگان
اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿﴾ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿﴾ وَمَكَرُوا وَ
دین خدا گرویدیم بخدا و گواهی ده بآنکه ما مسلمانانیم پروردگارا گرویدیم بآنچه فرو فرستادی و پیروی کردیم پیغمبر را پس بنویس ما را با گواهی دهندگان و مکر کردند و
مَكَرَ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ
مکر کرد خدا و خدا بهترین مکر کنندگان است چون گفت خدا که ای عیسی بدرستی که بمیرانم ترا و بالا برنده ام ترا بسوی خود و پاک کننده ام ترا از آنها که کافر شدند و گرداننده
الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ
آنهایی که متابعت کردند ترا بالای آنان که کافر شدند تا روز قیامت پس بسوی من است بازگشت شما پس حکم کنم در میان شما در آنچه بودید در آن اختلاف میکردید پس اما آنان
كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ
که کافر شدند پس عذاب کنم ایشانرا عذاب سخت در دنیا و در آخرت و نیست ایشانرا یاوران و اما آنان که گرویدند و کردند کارهای شایسته پس تمام دهد
أُجُورَهُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ
مزدهای ایشانرا و خدا دوست ندارد ستمکارانرا این آنست که میخوانیم بر تو از نشانها و پندی استوار بدرستی که مانند عیسی در نزد خدا چون مانند آدم است که آفرید او را
مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿﴾ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ القراءة ويعلمه بالياء ابو جعفر ونافع وعاصم وسهل
از خاک پس گفت مر او را که بشو پس بود حق از پروردگار تو است پس مباش از شک آورندگان

حزب

ع ۱۴

ويعقوب الباقون بالنون اني اخلق بكسر الهمزة وبفتح الياء نافع اني اخلق بالفتح فيهما ابن كثير وابو عمرو ويزيد بخشية بتشديد الياء يزيد وحمزة
في الوقف وكان ابن مقسم يقول بلغني ان خلفا يقول لابن حمزة كان يترك الهمزة ويجعل الياء بحركتها الباقون بالياء والهمزة الطائر يزيد الباقون
الطير فيكون بياء التانيث للمفضل الباقون بياء الغيبة طائرا ابو جعفر ونافع ويعقوب وكذلك في المائدة الباقون طيرا انصاري الى
بفتح الياء ابو جعفر ونافع وقرأ قتيبة ابو عمرو وطريق ابي الزعراء بالامالة فيوفيهم بياء الغيبة حفص وروح وزاد رويس ضم الهاء الباقون بالنون
الوقوف العالمين ه الراكعين ه اليك ط يكفل مريم ص لعطف المتفقتين يختصمون ه متعلق قبل لتذكير الضمير وتانيث الكلمة في اسمه ولكن المراد
من الكلمة الولد فلم يكن تانيثا حقيقيا فالوجه ان لا يوقف الى الصالحين لان وجيها حال وما بعده معطوف عليه على تقدير وكائنا من
المقربين ومكلما وكائنا من الصالحين المقربين ه الصالحين ه بشر ط يشاء ه فيكون ه والانجيل ج لان ورسولا يجوز ان يكون معطوفا على
ومن الصالحين او منصوبا بمحذوف معناه ويجعله رسولا والوقف اجوز لتباعد العطف من ربكم ج لمن قرأ اني اخلق بالكسر باذن الله ج
والثاني كذلك للفصل بين المعجزات في بيوتكم ط مؤمنين ه للعطف اطيعون ه فاعبدوه ط مستقيم ه الى الله ط انصار الله ج لان
امنا في نظم الاستيناف مع امكان الحال اي وقد امنا باسكن وان الانقطاع النظم مع اتحاد مقصود الكلام مسلمون ه الشاهدين ه ومكر الله ط
الماكرين ه القيمة ج لان ثم لترتيب الاخبار والاشتراك للابتداء بالنفي مع ان النفي تمام المقصود ناصرين ه اجورهم ط الظالمين ه الحكيم ه آدم ط لان
الجملة لا يتصف بها المعرفة فيكون ط الممترين ه التفسير القصة الثالثة قصة مريم والعامل في اذ ههنا هو ما في قوله اذ قالت امرأة عمران لمكان
العطف والمراد بالملائكة ههنا جبرئيل كما يجيء في سورة مريم فارسلنا اليها روحنا واعلم ان مريم ما كانت من الانبياء لقوله تعالى وما
ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فارسال جبرئيل اليها اما ان يكون كرامة لها عند من يجوز كرامات الاولياء واما ان يكون ارهاصا
لعيسى وهو جائز عندنا وعند الكعبي من المعتزلة او معجزة لزكريا وهو قول جمهور المعتزلة ومن الناس من قال ان ذلك كان على سبيل النفث
في الروع والالهام كما في حق ام موسى واوحينا الى ام موسى ثم انه تعالى مدحها اولا بالاصطفاء ثم بالتطهير ثم بالاصطفاء ولا يجوز ان يكون الاصطفاءان
بمعنى واحد للتكرار الصرف فيحمل الاصطفاء الاول على ما اتفق لها من الامور الحسنة اول عمرها منها قبول تحريرها مع كونها انثى
ومنها قال الحسن ما غذتها امها طرفة عين بل القتها الى زكريا وكان رزقها من عند الله ومنها تفريغها للعبادة ومنها اسماعها كلام
الملائكة شفاها ولم يتفق ذلك لانثى غيرها الى غير ذلك من انواع اللطف والهداية والعصمة نحوها واما التطهير فتطهيرها عن الكفر
والمعصية كما قال في حق ازواج النبي واهل بيته ويطهركم تطهيرا وعن مسيس الرجال وعن الحيض والنفاس قالوا كانت لا تحيض وعن
الافعال الذميمة والاقوال القبيحة واما الاصطفاء الثاني فهو ما اتفق لها في اخر عمرها من ولادة عيسى بغير اب وشهادته ببراءتها عما قذفها
اليهود وقيل المراد اصطفاؤها على نساء عالمي زمانها لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال كمل من نساء العالمين اربع مريم وآسية امرأة فرعون وخديجة
وفاطمة ثم لما بين اختصاصها بمزيد المواهب والعطايا اوجب عليها مزيد الطاعة شكرا لتلك النعم فقوله اقنتي امر بالعبادة على العموم واسجدي
امر بالصلوة وتسمية الشيء بمعظم اركانه كما في قوله وادبار السجود وفي الخبر اذا دخل احدكم المسجد فليسجد سجدتين ولا ريب ان السجود اشرف الاركان
لقوله اقرب ما يكون العبد من الله وهو ساجد ثم قال واركعي مع الراكعين فالاول امر بالصلوة مطلقا والثاني امر بالصلوة في الجماعة
وانما عبر عن الصلوة ههنا بالركوع اما لتغيير العبارة وتقديم باحد اركانه واما لتسمية الشيء بمعظم اركانه بناء على ما قيل الركوع افضل
من السجود لان الراكع حامل نفسه في الركوع فالمشقة فيه اكثر او للتمييز عن صلوة اليهود وقيل واركعي مع الراكعين امر بالخضوع والخشوع
بالقلب ويحتمل ان يراد بقوله اقنتي الامر بالصلوة لان القنوت احد اجزائها وان يراد بقوله واسجدي واركعي كل منهما في وقته لا لان الواو يفيد
الترتيب او المراد انظمي نفسك في جملة المصلين وكوني في عدادهم لا في عداد غيرهم وانما لم يقل مع الراكعات اما للتغليب واما
لان الاقتداء بالرجال حال الاختفاء من الرجال افضل من الاقتداء بالنساء روي ان مريم بعد ذلك قامت في الصلوة حتى ورمت قدماها
وسال الدم والقيح منها اللهم لا تؤاخذنا باسم الرجولية ونحن اقل من خدمة متك من احد النساء ذلك الذي سبق من انباء حنة
وزكريا ويحيى ومريم من اخبار الغيب نوحيه اليك فقد ورد الكتاب بالايحاء على معان مختلفة يجمعها تعريف الموحى اليه بامر خفي من اشارة
او كتابة او غيرهما وبهذا التفسير يعد الالهام وحيا كقوله واوحى ربك الى النحل وقال وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم وقال فاوحى اليهم
ان سبحوا بكرة وعشيا فلما كان الله سبحانه القى هذه الانباء الى النبي بواسطة جبرئيل بحيث يخفى على غيره سماه وحيا وما كنت لديهم نفي
المشاهدة وانتفاؤها معلوم وترك نفي استماع الانباء من حفظتها وهو موهوم لانه كان معلوما عندهم علما يقينا انه ليس من اهل
السماع والقراءة وكانوا منكرين للوحي فلم يبق الا المشاهدة الممتنعة صحة فنفيت على سبيل التهكم بالمنكرين للوحي ومثله في القرآن غير
عزيز وما كنت بجانب الغربي وما كنت بجانب الطور اذ يلقون اقلامهم ينظرون اينا وليعلموا او يقولون ايهم يكفل مريم حذف متعلق
الاستفهام لدلالة الالقاء عليه وظاهر الاية يدل على انهم كانوا يلقون الاقلام في شيء على وجه يظهر به امتياز بعضهم عن البعض في استحقاق
ذلك المطلوب وليس فيها دلالة على كيفية ذلك الالقاء الا انه روي في الخبر انهم كانوا يلقونها في الماء بشرط ان من جرى قلمه على خلاف جري الماء

فالبد له ثم انه حصل هذا المعنى لزكريا فصار اولى بكفالتها وقيل عرف برسوب الاقلام وان تقدمها كان ظلما وعن الربيع انهم القوا عصيهم في الماء الجاري
بغرقت عصاهم وزكريا على صعد جرية الماء فغلبهم قال ابو مسلم المراد بالقاء الاقلام ما كانت تفعله الامم من المساهمة عند التنازع فيطرحون
منها ما يكتبون عليها اسماءهم فمن خرج له السهم سلم له الامر قال تعالى فساهم فكان من المدحضين وهو شبيه بالقداح التي يتقاسم بها العرب
لحم الجزور وانما سميت تلك السهام اقلاما لانها تقلم وتبرى قال القاضي وقوع لفظ القلم على هذه الاشياء وان كان صحيحا نظرا الى الاشتقاق
الا ان العرف الظاهر يوجب اختصاص القلم بهذا الذي يكتب به فوجب حمل اللفظ عليه وما كنت لديهم اذ يختصمون يتنازعون في تكفيلها
قيل هم خزنة البيت وقيل بل العلماء والاحبار وكتاب الوحي ولا شبهة في انهم كانوا من الخواص واهل الفضل في الدين والرغبة في طريق
الخير ثم المراد بهذا الاختصام يحتمل ان يكون ما كان قبل الاقتراع وان يكون اختصاما آخر حصل بعد الاقتراع وبالجملة فالمقصود شدة رغبتهم
في التكفل بشأنها والقيام باصلاح مهماتها اما لان عمران كان رئيسا لهم فارادوا قضاء حقوقه واما لاجل انها كانت محررة لخدمة ربه في
العبادة واما لانهم وجدوا في الكتب الالهية نعتها ولابنها شأنا القصة الرابعة حكاية ولادة عيسى وذكر طرف من معجزاته اذ قالت الملائكة يعني
جبرئيل كما مر ومتعلق اذ هو متعلق اذ في قالت الى هذا بدل من اذ ويجوز ان يكون بدلا من قوله اذ يختصمون قال في الكشاف هذا على ان
الاختصام والبشارة وقعا في زمان واسع كما تقول لقيته سنة كذا يعني انما لقيته في ساعة منها فيكون الزمان الواسع ظرفا لكل منهما نحو
الثاني بدل الكل من الاول ويجوز ان يتعلق بيختصمون ولا يحتاج الى زمان واسع بناء على ما روي عن الحسن انها كانت عاقلة في حال الصغر وان كان
ذلك من كراماتها فجاز ان ترد عليها البشرى في حالة الصغر ولا يفتقر الى ان يؤخر الى حين العقل واعلم ان حدوث الشخص من غير نطفة الاب ممكن
في نفسه كيف وقد يشاهد حدوث كثير من الحيوانات على التولد كتولد الفار عن المدر والحيات عن الشعر العفن والعقارب عن الباذروج
غاية الاستبعاد عرفا وعادة وهذا لا يوجب عند الحكماء فضلا عن اهل العلم ثم ان الصادق اخبر عن وجود ذلك الممكن فيجب القطع بصحته
ومما يؤيده في العقل بيانا ان التخيلات الذهنية كثيرا ما تكون اسبابا لحدوث الحوادث كتصور حضور المنافي للغضب وكتصور السقوط لحصول
السقوط للماشي على جذع ممدود فوق فضاء بخلاف ما لو كان على قرار من الارض وقد جعلت الفلاسفة هذا كالاصل في بيان جواز المعجزات
والكرامات فما المانع ان يقال انها لما تخيلت صورة جبرئيل كفى ذلك في انعلاق الولد في رحمها فان مني الرجل ليس الا لاجل العقد فاذا
فاذا حصل الانعقاد لعلة المراد بوجه آخر امكن علوق الولد قوله بكلمة منه لفظة من ههنا ليست للتبعيض كما توهمت النصارى والحلولية لانه تعالى
غير متبعض بوجه من الوجوه ولكنها لابتداء الغاية اي بكلمة حاصلة من الله وذلك ان عيسى لما خلق من غير واسطة الاب صار تاثير كلمة كن في حقه
اظهر واكمل فكأنه نفس الكلمة كما ان من غلب عليه الجود والكرم والاقبال يقال انه محض الجود ونفس الكرم وصريح الاقبال والمسيح لقب من الالقاب
المشرفة كالصديق والفاروق واصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك وجعلني مباركا اينما كنت وكذلك عيسى معرب ايشوع واما احتمال
اشتقاق عيسى من العيس البياض الذي تعلوه حمرة فبعيد واما احتمال المسيح من المسح فقريب فعليه الاكثرون عن ابن عباس سمي بذلك
لانه ما كان يمسح ذا عاهة الا برئ وقال احمد بن يحيى لانه كان يمسح الارض اي يقطعها وعلى هذا يجوز ان يقال مسيح بالتشديد كشريب وقيل
لانه مسح من الاوزار والآثام وقيل لانه لم يكن في قدمه خمص كان ممسوح القدمين وقيل لانه ممسوح بدهن طاهر مبارك يمسح به الانبياء
ولا يمسح به غيرهم قالوا ويجوز ان يكون هذا الدهن جعله الله علامة للملائكة يعرفون بها الانبياء حين يولدون وقيل لان جبرئيل
مسحه بجناحيه وقت الولادة صيانة له عن مس الشيطان وقيل لانه خرج من بطن امه ممسوحا بالدهن واما المسيح الدجال فسمي بذلك لانه
ممسوح احدى عينيه ولانه يمسح الارض اي يقطعها في المدة القليلة قالوا ومثله النبال يمسح في الارض اي يقطعها وقيل الدجال من دجل الرجل
اذا موه ولبس وتقديم المسيح وهو اللقب على الاسم وهو عيسى للتشريف والتنبيه على علو درجته وانما نسب الى مريم والخطاب لها تنبيها
على انه لا اب له حتى ينسب اليه كما في سائر الابناء فلا ينسب الا الى امه وذلك من جملة ما اصطفيت به وانما ذكرهم بالكناية في اسمه لان المعنى
بها مذكر وانما قيل اسمه المسيح عيسى بن مريم والاسم من المجموع عيسى والمسيح لقب والابن صفة لان المراد التعريف والتمييز فالذي يتميز به عن غيره
هو مجموع الثلاثة وجيها ذا الجاه والشرف والقدر وقيل الكريم لان اشرف اعضاء الانسان هو الوجه في الدنيا بالنبوة والمعجزات الباهرة
وبالبراءة عن العيوب في الآخرة بالشفاعة لامته المحقين وعلو الدرجة في الجنة ونصب وجيها على الحال من النكرة الموصوفة وهي
كلمة وكذا انتصاب ما بعده كما مر في الوقوف اي يبشرك به موصوفا بهذه الصفات وكونه من المقربين هو رفعه الى السماء وصحبته للملائكة
والمهد قيل حجر امه وقيل الالة المعروفة لاضجاع الصبي كيف كان فالمراد انه يكلم الناس في الحالة التي يحتاج الصبي فيها الى المهد وكهلا عطف على
الظرف اي يكلم الناس في الصغر وفي الكهولة والكهل في اللغة الذي اجتمع قوته وكمل شبابه من قولهم اكتهل النبات اي قوي وروي ان عمره بلغ
ثلثا وثلثين ثم رفع الى السماء ولا ريب ان اكمل احوال الانسان ما بين الثلثين الى الاربعين فيكون عيسى قد بلغ سن الكهولة وعن الحسين بن
الفضل المراد ان يكون كهلا بعد نزوله من السماء وانه يكلم الناس ويقتل الدجال قيل ان تكلمه في المهد كهلا من المعجزات ولكن تكلمه
في حالة الكهولة ليس من المعجزات فما الفائدة في ذكره فالجواب من وجوه قال ابو مسلم معناه انه يتكلم حال كونه في المهد وكهلا على حد واحد

وصفة واحدة ولا شك انه غاية في الاعجاز وقيل المراد الرد على نصارى نجران وبيان كونه متقلبا في الاحوال من الصبى الى الكهولة فان التغير
على الاله محال وقيل المراد انه يكلم الناس مرة واحدة في المهد لاظهار طهارة امه ثم عند الكهولة يتكلم بالوحي والنبوة قال الاصم المراد انه
يبلغ حال الكهولة ويخرج من قول الحسين بن الفضل جواب آخر وههنا بحث للنصارى قالوا ان كلامه في المهد من اعجب الامور واغربها ولا شك
ان مثل هذه الواقعة يكون بحضر جمع عظيم ويتوفر الدواعى على نقلها فيبلغ حد التواتر فلو كانت هذه الواقعة موجودة لكان اولى الناس بمعرفتها النصارى
لانهم افرطوا في محبته حتى ادعوا الهيته لكنهم اطبقوا على انكاره فعلمنا انها لم توجد اصلا والجواب ان اطباق النصارى على انكاره ممنوع ولو سلم فان
كلام عيسى في المهد انما كان للدلالة على براءة مريم مما نسب اليه من السوء وكان الحاضرون جمعا قليلا ولا يبعد في مثلهم التواطؤ على الاخفاء و
بتقدير ان يذكروا ذلك فان غيرهم كانوا يكذبونهم في ذلك فهم ايضا سكتوا لهذه العلة فلهذه الاسباب بقى الامر مكتوما الى
ان نطق القرآن بذلك ثم ختم اوصاف عيسى بقوله ومن الصالحين كما ختم بذلك اوصاف يحيى وجعل الدخول في زمرة الصالحين والانتظام في سلكهم
هو المقصد الاسنى والامد الاقصى قالت رب انى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر لم تقل ذلك استبعادا وتشككا وانما ارادت تعيين الجهة كما
مر في قصة زكريا فاجيبت بقوله كذلك الله يخلق ما يشاء وقد سبق نظيره الا انه عبر عن الفعل ههنا بالخلق لان القدرة ههنا اتم وهو تخليق
المولود من غير اب لهذا اكده بقوله اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون وقد تقدم تفسيره في السورة التي يذكر فيها البقرة ويعلمه بالياء عطف على
يبشرك او على وجيها او على يخلق لان قوله يخلق ما يشاء وهو عام يتضمن قوله يخلقه ويحتمل ان يكون كلاما مبتدأ وكذا من قرأ بالنون لان الكلام
في قوة انا نبشرك ونحن نخلقه ثم الذي علمه امور اربعة اولها الكتاب كان المراد به الخط وثانيها الحكمة وهو ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل
به وثالثها التوراة لان البحث عن اسرار الكتب الالهية لا يمكن الا بعد الاطلاع على العلوم الحقة ورابعها الانجيل وغاية العلوم التي خصه الله تعالى بذلك
وشرفه بانزاله عليه وهذه هي الغاية القصوى والرتبة العليا في العلم والفهم والاحاطة بالحقائق والاطلاع على الدقائق ثم قال ورسولا عطفا
على وجيها وما بعده الى بنى اسرائيل اى الى كلهم لان الجمع مضاف فيعم وفيه رد على اليهود القائلين بانه مبعوث الى قوم مخصوصين منهم انى قد جئتكم
يتعلق بمحذوف دل عليه لفظ الرسول اى ناطقا بانى قد جئتكم وانما وجب هذا الاضمار والعدول عن الغيبة الى التكلم واما قوله ومصدقا لما بين
يدى فمعطوف على قوله بآية اى جئتكم بآية والتقدير جئتكم مصاحبا لآية من ربكم ومصدقا لما بين يدى جئتكم لاجله وفي الكشاف تقديره ويعلمه
الكتاب والحكمة ويقول ارسلت رسولا بانى قد جئتكم ومصدقا لما بين يدى او الرسول والمصدق فيهما معنى النطق فكانه قيل ناطقا بانى قد
جئتكم وناطقا بانى اصدق ما بين يدى وعن الزجاج ان التقدير ويكلم الناس رسولا بانى قد جئتكم بآية من ربكم والمراد بالآية الجنس
لا الفرد لانه عدد انواعا من الآيات ثم ابدل منها الآية بقوله انى اخلق فيمن قرأ بفتح انى ويحتمل ان يكون ان مع ما بعده اى هى انى اخلق ومن قرأ
انى اخلق فعلى الاستئناف والبيان كقوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ثم فسر المثل بقوله خلقه من تراب وهذا احسن لموافقة قراءة الفتح و
المعنى اقدر لكم شيئا مثل صورة الطير من هيأت الشئ واصلحته فانفخ فيه اى في ذلك الطين المصور او الشئ المماثل لهيئة الطير فيكون طيرا وهو
اسم الجنس يقع على الواحد وعلى الجمع يروى انه خلق انواعا من الطير وقيل لم يخلق غير الخفاش وعليه قراءة من قرأ طائرا وذلك انه لما ادعى النبوة
واظهر المعجزات اخذوا يتعنتون عليه وطالبوه بخلق خفاش فاخذ طينا وصوره ثم نفخ فيه فاذا هو يطير بين السماء والارض قال وهب كان يطير ما دام
الناس ينظرون اليه فاذا غاب عن عيونهم سقط ميتا باذن الله بتكوينه وتخليقه قال بعض المتكلمين دلت الآية على ان الروح جسم رقيق كالريح
فلذلك وصفها بالنفخ وههنا بحث وهو انه هل يجوز ان يقال انه تعالى اودع في نفس عيسى خاصية بحيث انه متى نفخ في شئ كان نفخه موجبا لصيرورة
ذلك الشئ حيا وذلك انه تولد من نفخ جبرئيل في مريم وجبرئيل روح محض فكانت نفخة عيسى سببا لحصول الارواح في الاجساد او يقال ليس
الامر كذلك بل الله تعالى كان يخلق الحيوة في ذلك الجسم بقدرته عند نفخ عيسى فيه على سبيل اظهار المعجزات هذا هو الحق لقوله تعالى الذى خلق
الموت والحيوة ولقوله حكاية عن ابراهيم في المناظرة ربي الذي يحيى ويميت فلو حصل لغيره هذه الصفة بطل ذلك الاستدلال وابرئ الاكمه
والابرص ذهب اكثر اهل اللغة الى ان الاكمه هو الذي يولد اعمى وقيل هو الممسوح العين ويقال لم يكن في هذه الامة اكمه غير قتادة بن دعامة
السدوسي صاحب التفسير وقيل الاكمه من عمى بعد ان كان بصيرا رواه الخليل عن مجاهد انه الذى لا يبصر بالليل واما البرص فانه بياض يظهر في
ظاهر البدن ومنه لا يعم البدن وسببه سوء مزاج العضو الى البرودة وغلبة البلغم على الدم الذى يغذوه فيضعف القوة المغيرة من تمام التشبيه
وقد يغلب البرد والرطوبة حتى يصير بحكم الاصل فيحيل الدم السائر اليه الى مزاجه ولونه وان كان ذلك الدم جيدا في جوهره نقيا من البلغم
خاليا وهو داء عسر البرء لا يكاد يبرأ وخاصة المزمن منه لا الحديثة الا زيادة والذي يرجى برؤه من البرص ما اذا دلك احمر بالدلك و
يكون معه خشونة ما والشعر الذي ينبت عليه يكون شديد البياض واذا انجذب ما بالابهام والسبابة انفصل عن اللحم وغرزت فيه الابرة
خرج منه دم او رطوبة موردة ولا شك ان برء مثل هذا المرض من قبيل الاعجاز فمن برء بما جيء به عليه خمسون الفا من المرضى من اطاق
منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى وما كانت مداواته الا بالدعاء وحده واحيى الموتى احيا عازر وكان صديقا له ودعا سام بن نوح من
قبره وهم ينظرون فخرج حيا ومر على ابن ميت لعجوز فدعا الله عيسى فنزل عن سريره حيا ورجع الى اهله وبقى وولد له وقال الكلبى كان عيسى

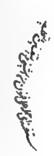

يحيى الاموات باحيا ما يقوم و كرر قوله باذن الله دفعا لوهم من توهم فيه الالوهية وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم قيل انه كان من اول
امره يخبر بالغيوب وروى السدي انه كان يلعب مع الصبيان ثم كان يخبرهم بافعال آبائهم وامهاتهم وكان يخبرهم بان امك خبأت لك كذا
فرجع الصبي الى اهله ويبكي الى ان ياخذ ذلك الشيء فقالوا لصبيانهم لا تلعبوا مع الساحر وجمعوهم في بيت فجاء عيسى يطلبهم فقالوا ليسوا في
البيت فقال فمن في هذا البيت فقالوا خنازير فقال عيسى كذلك يكونون فاذا هم خنازير وقيل ان الاخبار عن الغيوب انما ظهر من وقت
نزول المائدة وذلك ان القوم نهوا عن الادخار فكانوا يخونون ويدخرون وكان عيسى يخبرهم بذلك فالادخار افتعال من ادخر طلب كل
من البناء والدال للاتباع ثم واعلم ان الاخبار عما غاب معجزا الا ان ذلك الخبر صار معلوما بالوحي مالم يستعن فيه بالة ولا تقديم مسئلة
بخلاف ما يقوله المنجمون والكهان فان ذلك استعانة من احوال الكواكب او بالجن ولهذا يقولون الغلط كثيرا ثم لما قرر المعجزات الباهرة وبين بها
كونه رسولا من عند الله ذكر انه لماذا ارسل فقال ومصدقا لما بين يدي من التوراة وذلك انه يجب على كل نبي ان يكون مصدقا لمن تقدمه
من الانبياء لان الطريق الى ثبوت نبوتهم هو المعجز فكل من حصل على يده المعجز وجب الاعتراف بنبوته ولعل من جملة الاغراض في بعثة عيسى
تقرير احكام التوراة وازالة شبهات المنكرين وتحريفات المعاندين الجاهلين ثم ذكر غرضا اخر في بعثته فقال ولاحل لكم بعض الذي
حرم عليكم وهذا لا يناقض تصديقه لما في التوراة اذ المعنى بالتصديق هو اعتقاد ان كل ما فيه حكمة وصواب واذا لم يكن التابيد مذكورا
فالناسخ والمنسوخ كلاهما حق في وقته واذا كانت البشارة بعيسى موجودة في التوراة وعن وهب بن منبه ان عيسى ما غير شيئا من احكام التوراة
وانه ما وضع الاحد بل كان يقرر السبت ويستقبل بيت المقدس ثم فسر الاحلال بامرين احدهما ان الاحبار كانوا قد وضعوا من عند انفسهم
شرايع باطلة ونسبوها الى موسى فجاء عيسى ورفعها واعاد الامر الى ما كان والثاني ان الله تعالى كان قد حرم بعض الاشياء على اليهود عقوبة لهم كما
قال فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم واستمر ذلك التحريم فجاء عيسى ورفع تلك التشديدات عنهم كانوا قد حرم عليهم
الشحوم والثروب ولحوم الابل والسمك وكل ذي ظفر فاحل لهم عيسى من السمك والطير ما لا صيصية له وجئتكم باية من ربكم شاهدة على صحة
رسالتي وهي قوله ان الله ربي وربكم لان جميع الرسل كانوا على هذا القول لم يختلفوا فيه وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض وانما جعل
القول اية من ربه لان الله تعالى جعله علامة يعرف بها انه رسول كسائر الرسل ويجوز ان يكون تكريرا لقوله اني قد جئتكم باية من ربكم
اي جئتكم باية بعد اخرى كما ذكرت لكم من المعجزات ومن كلا ونعم بغير فاتقوا الله لما خصكم به من الايات واطيعون فان طاعة الرسول
من لوازم تقوى الله ثم ختم كلامه بقوله ان الله ربي وربكم اظهارا للخضوع واعترافا بالعبودية وردا لما يدعيه عليه الجهلة من النصارى
الضالين المنحرفين عن الصراط المستقيم القصة الخامسة ذكر عاقبة امر عيسى ثم شرع في بيان ان عيسى لما شرح لهم تلك المعجزات فبماذا
عاملوه فقال فلما احس اي علم عيسى منهم الكفر علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس وذلك انهم تكلموا بكلمة الكفر فاحس ذلك باذنه قال السدي
لما بعثه الله تعالى رسولا الى بني اسرائيل جاءهم ودعاهم فتمردوا وعصوا فخافهم واختفى عنهم ثم كان امر عيسى في قومه كامر محمد بمكة وكان مستضعفا
فخرج هو وامه يسيحان في الارض فاتفقوا انهما نزلا على رجل في قرية فاحسن ذلك الرجل ضيافتهما وكان في تلك المدينة ملك جبار فجاء ذلك الرجل يوما
حزينا فسأله عيسى عن السبب فقال ان من عادة هذا الملك ان يجعل على كل رجل منا يوما يطعمه ويسقيه مع جنوده وهذا اليوم نوبتي
والامر متعذر علي فلما سمعت مريم ذلك قالت يا ولدي ادع الله تعالى ليكفي ذلك فقال يا امه اني ان فعلت ذلك كان فيه شر فقالت قد احسن
واكرم ولا بد من اكرامه فقال عيسى اذا قرب مجيء الملك فاملأ قدورك وخوابيك ماء ثم اعلمني فلما فعل دعا الله تعالى فتحول ما في القدور
طبيخا وما في الخوابي خمرا فلما جاء الملك اكل وشرب وسأله من اين هذه الخمر فتوقف الرجل في الجواب وتعلل فلم يزل يطالبه حتى اخبره بالواقعة
فقال ان من دعا الله حتى جعل الماء خمرا اذا دعا حتى يحيي ولدي اجابه وكان ابنه قد مات في تلك الايام فدعا عيسى وطلب منه ذلك
فقال له عيسى لا تفعل فانه ان عاش كان شرا فقال لا ابالي ما كان فدعا الله تعالى فعاش الغلام فلما رآه اهل مملكته قد عاش تنادوا
بالسلاح واقتتلوا وصار امر عيسى مشهورا وقصد اليهود قتله واظهروا الطعن فيه وقيل ان اليهود كانوا عارفين بانه هو المسيح المبشر به في
التوراة وانه ينسخ دينهم فكانوا طاعنين فيه من اول الامر طالبين قتله قال من انصاري الى الله قيل انه لما دعا بني اسرائيل الى الدين
وتمردوا عليه فر منهم واخذ يسيح في الارض فمر بطائفة من صيادي السمك منهم شمعون ويعقوب من جملة الحواريين الاثنى عشر فقال عيسى
الآن تصيد السمك فهل لكم ان تصيروا بحيث تصيدون الناس لحيوة الابد فطلبوا منه المعجزة وكان شمعون قد رمى شبكته تلك الليلة في
الماء فما اصطاد شيئا فامره عيسى بالقاء شبكته في الماء مرة اخرى فاجتمع في تلك الشبكة من السمك ما كادت تتمزق واستعانوا باهل سفينة
اخرى وملأوا السفينتين فعند ذلك امنوا بعيسى وقيل ان اليهود لما طلبوه للقتل وكان هو في الهرب منهم قال لاولئك الاثنى عشر من
الحواريين ايكم يحب ان يكون رفيقي في الجنة على ان يلقى عليه شبهي فيقتل مكاني فاجابه الى ذلك بعضهم ومما يذكره النصارى في انجيلهم ان اليهود
لما اخذوا عيسى سل شمعون سيفه فضرب به عبدا كان فيهم لرجل من الاحبار عظيم فرمى باذنه فقال له عيسى حسبك ثم اخذ الاذن المقطوع
فردها الى موضعها فصارت كما كانت والحاصل ان المراد بطلب النصرة اقدامهم على نصرة الشريعة وقيل انه دعاهم الى القتال مع القوم كما في

موضع آخر فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين ومعنى الى الله قيل من يضيف
نصرته اياه الى نصرة الله عز وجل اياي وقيل من انصاري الى الله ان اظهر دين الله فالجار على القولين من صلة انصاري مضمنا معنى الاضافة
وقيل من انصاري حال ذاهبا الى الله وحال التجائي اليه وقيل من انصاري فيما يكون قربة الى الله ووسيلة اليه وفي الحديث انه كان
يقول اذا ضحى اللهم منك واليك اي تقربا اليك فالجار على هذين القولين يتعلق بالمحذوف وقيل الى بمعنى اللام وقيل بمعنى مع وفي سبيل الله
وهذا قول الحسن قال الحواريون نحن انصار الله اعوان دينه ورسوله وحواري الرجل صفيه وخالصته ومنه يقال للحضريات الحواريات لخلوص
الوانهن ونقاء بشرتهن والحور نقاء بياض العين وحورت الثياب بيضتها والحواري في حد نظره الحوالي وهو الكثير الحيلة عن سعيد بن جبير سموا
بذلك لبياض ثيابهم عن مقاتل بن سليمان لانهم كانوا قصارين يبيضون الثياب وقيل لنقاء قلوبهم وطهارة اخلاقهم ومنه قولهم فلان
نقي الجيب طاهر الذيل الكريم ودنس الثياب اللئيم وعن الضحاك الذي يغسل الثياب يسمى بلغة النبط هواري فعرب واما ان الحواريين من هم فقيل
الذين كانوا يصطادون السمك فاتبعوا عيسى وآمنوا به كما حكينا وقيل ان امه دفعته الى صباغ فكان اذا اراد ان يعلمه شيئا كان هو اعلم به منه
فغاب الصباغ يوما لبعض مهماته فقال له ههنا ثياب مختلفة وقد اعلمت على كل واحد علامة معينة فاصبغها بتلك الالوان فطبخ عيسى حبا واحدا
وجعل الجميع فيه وقال كوني باذن الله كما اريد فرجع الصباغ وسأله فاخبره بما فعل فقال افسدت علي الثياب قال قم فانظر فكان يخرج ثوبا احمر
وثوبا اخضر وثوبا اصفر كما كان يريد فتعجب الحاضرون منه وآمنوا به فهم الحواريون وقيل كانوا اثني عشر اتبعوا عيسى فكانوا اذا جاعوا قالوا يا روح الله
جعنا فيضرب بيده على الارض فيخرج لكل واحد رغيفان واذا عطشوا قالوا عطشنا فيضرب بيده على الارض فيخرج الماء فيشربون فقالوا
من افضل منا اذا شئنا اطعمتنا واذا شئنا سقيتنا وقد آمنا بك فقال افضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه فصاروا يغسلون الثياب
فسموا حواريين وقيل ان واحدا من الملوك صنع طعاما وجمع الناس عليه كان عيسى على قصعة فكانت القصعة لا ينقص فذكروا هذه
الواقعة لذلك الملك فقال تعرفونه قالوا نعم فذهبوا اليه بعيسى فقال من انت قال عيسى ابن مريم قال فاني اترك ملكي واتبعك فتبعه ذلك الملك
مع اقاربه فاولئك هم الحواريون قال القفال يجوز ان يكون بعضهم من الملوك وبعضهم من الصيادين وبعضهم من القصارين وجميعا
بالحواريين لانهم كانوا انصار عيسى والمخلصين في محبته وطاعته آمنا بالله يجري مجرى السبب لقولهم نحن انصار الله فان الايمان بالله يوجب
نصرة دين الله والذب عن اوليائه والمحاربة مع اعدائه واشهد بانا مسلمون منقادون لما تريده منا في نصرتك والذب عنك مسلمون
لامر الله تعالى وهو اقرار منهم بان دينهم الاسلام وانه دين كل الانبياء عم واعلم انهم اشهدوه لان الرسل يشهدون للامم يوم القيمة ثم
تضرعوا الى الله تعالى بقولهم ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين وهذا يقتضي ان يكون للشاهدين فضل يزيد
على فضل الحواريين فقال ابن عباس اي مع محمد وامته لانهم مخصوصون باداء الشهادة وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء
على الناس وعنه ايضا اكتبنا في زمرة الانبياء لان كل نبي شاهد لقومه ويكون الرسول عليكم شهيدا وقيل اكتبنا في جملة من شهد لك
بالتوحيد كالانبياء بالتصديق فقرنت ذكرهم بذكرك في قولك شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم وقيل اجعلنا ممن
هو مستغرق في شهود جلالك بحيث لا نبالي بما يصل الينا من المشاق والآلام فيسهل علينا الوفاء بما التزمنا من نصرة رسولك واكتب
ذكرنا في زمرة من شهد حضرتك من الملائكة المقربين كقوله كلا ان كتاب الابرار لفي عليين ومكروا يعني كفار بني اسرائيل الذين احس عيسى
منهم الكفر ومكر الله المكر في اللغة السعي بالفساد في خفية ومداجاة قال الزجاج يقال مكر الليل وامكر اذا اظلم وقيل اصله اجتماع الامر
احكامه ومنه امرأة ممكورة مجتمعة الخلق فلما كان المكر رأيا محكما قويا مصونا عن جهات النقض والفتور لا جرم سمي مكرا اما مكرهم بعيسى
فهو انهم هموا بقتله واما مكر الله بهم فهو ان رفعه الى السماء وما مكنهم من ايصال الشر اليه وروي ان ملك اليهود اراد قتل عيسى وكان جبريل
لا يفارقه ساعة فامره جبريل ان يدخل بيتا فيه روزنة فلما دخلوا البيت اخرجه جبريل من تلك الكوة وكان قد القى شبهه على غيره فمن وكل به
ليقتله غيلة فاخذ وصلب فتفرق الحاضرون ثلاث فرق فرقة قالت كان الله فينا فذهب واخرى قالت كان ابن الله والاخرى قالت كان عبد الله
ورسوله وقيل ان الحواريين كانوا اثني عشر وكانوا مجتمعين في بيت فنافق واحد منهم ودل اليهود عليه فالقى الله شبهه عليه ورفع عيسى وذكر
محمد بن اسحق ان اليهود عذبوا الحواريين بعد ان رفع عيسى فشمسوهم ولقوا منهم الجهد فسمع بذلك ملك الروم وكان ملك اليهود من رعيته فقيل له
قتل رجلا من بني اسرائيل يخبرهم انه رسول الله وكان يريهم احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وفعل ما فعل فقال لو علمت
ذلك ما خليت بينه وبينهم ثم بعث الى الحواريين فانتزعهم من ايديهم وسألهم عن عيسى فاخبروه فتابعهم على دينهم وانزل المصلوب
فغيبه واخذ الخشبة فاكرمها وصانها ثم غزا بني اسرائيل وقتل منهم خلقا عظيما ومنه ظهر اصل النصرانية في الروم وكان اسم هذا الملك
طيباريوس وهو صار نصرانيا الا انه ما اظهر ذلك ثم انه جاء بعده ملك آخر يقال له ططيوس غزا بيت المقدس بعد ارتفاع عيسى بنحو من
اربعين سنة فقتل وسبى ولم يترك في بيت المقدس حجرا على حجر فخرج عند ذلك قريظة والنضير الى الحجاز فهذا كله مما جازاهم الله
تعالى على تكذيب المسيح والهم بقتله وقيل انهم مكروا في اخفاء امره وابطال دينه ومكر الله بهم حيث اعلى دينه واظهر شريعته وقهر بالذل اعداءهم

اليهود

اليهود والله خير الماكرين اقواهم مكراً واقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب واعلم ان المكر ان كان عبارة عن الاحتيال في ايصال الشر فهو في حق الله تعالى محال فاللفظ اذن من المتشابهات فيجب ان يؤول بان جزاء المكر يسمى مكراً كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها او بانه تعالى عاملهم معاملة من يمكر وهو عذابهم على سبيل الاستدراج وان كان المكر عبارة عن التدبير المحكم الكامل لم يكن اللفظ متشابهاً لانه ممتنع في حق الله تعالى الا انه قد اختص في العرف بالتدبير في ايصال الشر الى الغير اذ قال الله ظرف لخير الماكرين او لمكرهم او مفعول اذكر يا عيسى إني متوفيك اي متمم عمرك وعاصمك من ان يقتلك الكفار الآن بل انا رافعك الى سمائي واصونك من ان يتمكنوا من قتلك وقيل متوفيك اي مميتك كيلا يصل اعداؤك من اليهود الى قتلك ثم رافعك الى وهذا القول مروي عن ابن عباس ومحمد بن اسحق ثم قال وهب توفي ثلث ساعات ثم رفع واحيي وقال محمد بن اسحق توفي سبع ساعات ثم احياه الله ورفعه وقال الربيع بن انس انه توفاه حين رفعه الى السماء نائماً حتى لا يلحقه خوف ورعب اخذه من قوله الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها وقيل التوفي اخذ الشيء وافياً اي اخذك بروحك وجسدك جميعاً فرافعك الى فلا يتوهم من يتوهم انه اخذ روحه دون جسده وقيل متوفيك قابضك من الارض من توفيت مالي على فلان اي استوفيته وقيل اجعلك كالمتوفى لانه اذا رفع الى السماء انقطع خبره واثره عن الارض فيكون من باب اطلاق الشيء على ما يشابهه في اكثر خواصه وصفاته وقيل المضاف محذوف اي متوفي عملك رافع طاعتك فكانه بشره بقبول طاعته وان ما وصل اليه من المتاعب في تمشية دينه واظهار شريعته فهو لا يضيع اجره فهذا كقوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقيل في نسق الكلام تقديم وتاخير فان الواو لا يقتضي الترتيب والمعنى اني رافعك الي ومتوفيك بعد انزالك الى الدنيا ويؤيده ما ورد في الخبر انه سينزل ويقتل الدجال ثم انه تعالى يتوفاه بعد ذلك اما قوله ورافعك الي فالمشبهة تمسكوا بمثله في اثبات المكان لله تعالى وانه في السماء لكن الدلائل القاطعة دلت على انه متعال عن الحيز والجهة فوجب حمل هذا الظاهر على التاويل بان المراد الى محل كرامتي ومقر ملائكتي ومثله قول ابراهيم اني ذاهب الى ربي انما ذهب من العراق الى الشام وقد سمى الحجاج زوار الله والمجاورون جيران الله والمراد التفخيم والتعظيم او المراد الى مكان لا يملك الحكم عليه هناك غير الله فان في الارض ملوكاً مجازية ولئن سلم انه تعالى يمكن ان يكون في مكان فليس رفع عيسى الى ذلك المكان سبباً لانتفاعه مع انه يتيقن الثواب والكرامة والروح والراحة فلا بد من صرف اللفظ عن ظاهره وهو ان يقال المراد رفعه الى محل كرامته واذا لم يكن بد من الاضمار فلم يبق في الآية دلالة على اثبات المكان لله تعالى ثم انه كما عظم شانه بلفظ الرفع اليه عبر لذلك عن معنى التخليص بلفظ التطهير فقال ومطهرك من الذين كفروا اي من خبث جوارهم وسوء عشرتهم وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة وليس هذه فوقية المكان بالاتفاق فالمراد اما الفوقية بالحجة والدليل واما الفوقية بالقهر والاستيلاء ويختار عن حال اليهود ومسكنتهم الى يوم القيمة ولعمري انه كذلك فلا يرى ملك يهودي في الدنيا ولا بلد لهم مستقل بخلاف النصارى على انا نقول المراد بمتبعي المسيح هم الذين كانوا يؤمنون بانه عبد الله ورسوله ثم امنوا ثم بمحمد بعده فصدقوه في قوله ومبشراً برسول ياتي من بعدي اسمه احمد والمتبعون هم المسلمون الذين اتبعوه في اصل الاسلام وان اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى واعلم ان نص القرآن دل على انه تعالى حين رفعه القى شبهه على غيره قال وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم فاورد بعض الملحدة عليه اشكالاً الاول انه يوجب ارتفاع الامان عن المحسوسات فاني اذا رايت ولدي ثم رايته ثانياً فحينئذ اجوز ان هذا الذي رايته ثانياً ليس ولدي بل هو انسان آخر القي شبهه عليه وكذا الصحابة الذين رأوا محمداً يامرهم وينهاهم احتمل ان يكون محمداً انساناً آخر القي شبهه عليه وانه يفضي الى سقوط الشرائع وكذا الى ابطال التواتر لان مدار الامر في الاخبار المتواترة على ان يكون المخبر الاول انما اخبر عن المحسوس فاذا جوزتم وقوع الغلط في المبصر ففتح هذا الباب اوله سفسطة وآخره ابطال النبوات الثاني ان جبرئيل كان معه حيث سار ثم ان طرف جناح واحد منه يكفي لاهل الارض فكيف لم يكف في منع اولئك اليهود وانه كان يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص فكيف لم يقدر على اماتة اولئك الذين قصدوه بالسوء والقاء العلج والزمانة عليهم حتى لا يتعرضوا له الثالث انه تعالى كان قادراً على تخليصه من الاعداء بان رفعه الى السماء فما الفائدة في القاء شبهه على الغير وهل فيه الا ايقاع مسكين في القتل من غير فائدة مع ان ذلك يوجب تلبيس الامر عليهم حتى اعتقدوا ان المصلوب هو عيسى وانه لم يكن عيسى والتمويه والتخليط لا يليق بحكمة الله تعالى الرابع ان النصارى على كثرتهم في المشارق والمغارب وفرط محبتهم اخبروا انهم شاهدوه مصلوباً فانكار ذلك انكار المتواتر والطعن في التواتر يوجب الطعن في النبوة وجميع الانبياء الخامس ثبت بالتواتر ان المصلوب بقي حياً زماناً طويلاً فلو كان هو غير عيسى لاظهر الجزع وعرف نفسه ولو فعل ذلك لاشتهر وتواتر والجواب عن الاول ان كل من اثبت القادر المختار سلم انه تعالى قادر على خلق مثل زيد وهذا التجويز لا يوجب الشك في وجود زيد فكذا فيما ذكرتم وعن الثاني والثالث ان ذلك يفضي الى بلوغ الاعجاز حد الالجاء وانه ينافي التكليف والتلبيس المذكور تدارك لان الامة في عيسى الحاضرين عند العالمون بالواقعة وعن الرابع انه تواتر منقطع الاول لانهم كانوا قليلين في ذلك الوقت فلا يفيد العلم لان شرط التواتر استواء الطرفين والوسط وعن الخامس ما روي ان الذي القي عليه الشبه كان من خواص اصحابه فلهذا صبر على انا نقول قد ثبتت المعجزات القاطعة صدق محمد صلى الله عليه وسلم في كل ما اخبر عنه فقد

بأنه

اليهود

الاحتمالات يمتنع ان تصير معارضة للنص القاطع والله ولي الهداية قال ثم الي مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون وفيه بشارة
لعيسى بانه سيحكم بين المؤمنين به والجاحدين وتفسيره قوله تعالى فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا بالقتل والسبي والذلة
وانواع المصائب والرزايا والبلايا وفي الآخرة بدخول النار خالدين فيها وما لهم من ناصرين واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فيوفيهم اجورهم والله لا يحب الظالمين الواضعين الشيء في غير موضعه التكذيب في مقام التصديق والعمل السيئ مكان العمل الصالح
وذلك لان المحبة عبارة عن ايصال الخير اليه هو وان اراد كفر الكافر الا انه لم يوصل الثواب اليه قالت المعتزلة المحبة والارادة واحدة فالمعنى
انه لا يريد ظلم الظالمين ذلك الذي سبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره نتلوه عليك اي التلاوة والقصص كلاهما يؤول الى معنى واحد
فهو ذكر الشيء بعضه على اثر بعض جعل تلاوة الملك كأنها تلاوته لكانت بامره كما تلاوته من الآيات خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف المراد بها الآيات القرآن
ويحتمل ان يراد انه من العلامات الدالة على ثبوت رسالتك لانها اخبار لا يعلمها الا قارئ كتاب او من يوحى اليه وظاهر انك لا تكتب ولا تقرأ
فبقي ان يكون من الوحي ويجوز ان يكون ذلك بمعنى الذي ونتلوه صلته ومن الآيات الخبر ويجوز ان ينتصب ذلك بمضمر يفسره نتلوه والذكر
الحكيم القرآن وصف بصفة من هو سببه كأنه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه او هو بمعنى الحاكم كالعليم بمعنى ان الاحكام تستفاد منه او بمعنى المحكم
احكمت آياته اي عن تطرق وجوه الخلل اليه وقيل الذكر الحكيم اللوح المحفوظ الذي منه نقلت جميع كتب الله المنزلة على الانبياء اخبر انه تعالى نزل
هذه القصص مما كتب هناك قال المفسرون ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما لك تشتم صاحبنا قال وما اقول قالوا تقول انه عبد
قال اجل هو عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رأيت انسانا قط من غير اب فان كنت صادقا فارنا مثله
فانزل الله عز وجل ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم اي حاله الغريبة كحالة آدم وجه الشبه ان كلا منهما وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة وهو
الوجود من غير اب ام الغريب فشبه الغريب بالاغرب لان المشبه به ينبغي ان يكون اقوى حالا من المشبه في وجه الشبه ثم فسر كيفية خلق آدم بقوله
خلقه من تراب اي قدر جسده من طين قيل اشتقاق آدم من الادمة قال ابن عباس سمي آدم لانه خلق من اديم الارض كلها احمرها و
اسودها وطيبها وخبيثها فلذلك كان في ولده الاسود والاحمر والطيب والخبيث وقيل انه اسم عجمي كآزر ووزنه فاعل لا علة الاصل والقصر عابد
الى آدم الوجوب كقولك هذا الكون لصلة من الطين ثم قال له كن بشرا فيكون وهذا كقوله ثم انشأناه خلقا آخر واما لم يقل فكان
مع انه حكاية حال ماضية لما تصور بتلك الحالة العجيبة كقوله فتثير سحابا اذ يعبر بقرب والمراد اعلم يا محمد ان ما قال الرب لك كن
لا بد يكون لا محالة وقيل معنى ثم تراخي الخبر عن الخبر لا تراخي المخبر كقول القائل اعطيت زيدا الف اليوم ثم اعطيته امس الفا ثم اخبر كم الذي
اعطيته امس اكثر فكذا قوله خلقه من تراب ثم صيره بشرا سويا ثم انه يخبركم انه انما خلقه بان قال له كن وقيل انه بمعنى خلق يرجع الى علمه ثم
بكيفيته وقوعه تدرجا لا دفعة على الوجه المخصوص المراد بكن ايجاده في الوجود قالت الحكماء وانما خلق آدم من التراب لوجوه ليكون متواضعا
وليكون ستارا وليكون اشد التصاقا بالارض فيصلح للخلافة فيها لما فيه من الظلمة والكدورة فخلق الشياطين من النار التي هي اخف الاجرام
اللطيفة ليلائم بطلان الضلالة وخلق الملائكة من الهواء الذي هو ارق الاجرام واعظم كمال القوة والقدرة وخلق السموات من موج
ماء البحار وابقاها معلقة في الفضاء وخلق آدم من التراب الذي هو اكثف الاجرام فاتاه النور والهداية وكل ذلك برهان باهر ودليل ظاهر
على انه تعالى هو المدبر بغير احتياج الخالق بالامتزاج والعلاج خلق البشر من التراب لاطفاء نيران الشهوة والحرص والغضب خلقه من الماء وخلق من الماء
بشرا فجعله نسبا وصهرا ليكون صافيا يتجلى فيه صور الاشياء ثم مزج بين التراب والماء لامتزاج اللطيف بالكثيف فصار طينا اني خالق
بشرا من طين ثم انه سل من لطائف اجزاء الطين ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعل طينا لازبا انا خلقناهم من طين لازب
ثم تستخمر غير لصلصل ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون عن بعض العلماء انه اسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه
لا اب له قال فآدم اولى لانه لا ابوين له قالوا كان يحيي الموتى قال فحزقيل اولى لان عيسى احيى اربعة نفر واحيى حزقيل ثمانية آلاف فقالوا كان يبرئ
الاكمه والابرص قال فجرجيس اولى لانه طبخ واحرق ثم قام سالما الحق من ربك خبر مبتدأ محذوف اي هو الحق بمعنى الذي انبأتك من شأن عيسى
لا الذي اعتقده النصارى فيه انه اله ولا الذي يزعم اليهود من رميها بيوسف النجار والحق مبتدأ ومن ربك خبره كما يقال الحق من الله والباطل
من الشيطان فلا تكن من الممترين الشاكين قال ابن الانباري اصله من مريت الناقة والشاة حلبتها فكان الشاك يجتذب بشكه شرا

وفي هذا النهي زيادة الثبات والطمأنينة ولطف بالامة وقد مر نظائره في سورة البقرة قال اهل التاويل الاصطفاء ثلاثة انواع اصطفاء
على غير الجنس ان الله اصطفى آدم ولم يكن جنس من خلقه فاسجد له ملائكته واصطفاء على الجنس كاصطفاء محمد صلى الله عليه وسلم على الكائنات كقوله
لولاك لما خلقت الكونين قال صلى الله عليه وسلم آدم ومن دونه تحت لوائي واصطفاء على الجنس كقوله يا موسى اني اصطفيتك على الناس يا مريم ان الله اصطفاك
لاصطفائنا اياه وطهرك عن الالتفات بغيره واصطفاك على نساء العالمين لتبليغ درجة الكمال وان لم يكن ذلك من شأن النساء ان الله
يبشرك بكلمة كل صنف من اصناف الخلق حرف من حروف كلمة معرفة الله تعالى والعالم بما فيه كلمة المعرفة كقوله كنت كنزا مخفيا فاحببت
ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف والانسان وان كان صنفا من اصناف العالم وهو حرف من حروف كلمة المعرفة لكنه خلق نسخة العالم بما فيه

عن الخبر

ما نهى الجنسين

فيه فهو ايضا كلمة المعرفة كالعالم لكنه خص من العالم بما فيه بكراهة معرفة نفسه معرفة ربه معرفة العالم بما فيه وهذا مقام مخصوص بالانسان الكامل المركب بتركيب الشريعة المربى بتربيتها وآداب الطريقة وانما خص عيسى بهذا الاسم اعنى الكلمة من بين سائر الانبياء والاولياء لانه خلق بتمام هذا الكمال في اول امره فقد فهم من كلمة نفسه معرفة ربه كما قال من عرف نفسه فقد عرف ربه وكان من اختصاصه بالكلمة انه قال في المهد انى عبد الله آتانى الكتاب روى عن مجاهد قال قالت مريم بنت عمران كنت اذا خلوت انا وعيسى حدثنى وحدثته فاذا شغلنى عنه انسان سبح في بطنى وانا اسمع وقيل المسيح لانه حين مسح الله ظهر آدم فاستخرج ذراريه من ظهره ردّه الى مقامه كما جاء في الخبر ان الله ثم اذن لذراريه بالرجوع الى ظهر آدم وحفظ ذرة عيسى وروحه عنده حتى القاها الى مريم فكان قد مسح عليهم اسم المسيح اى الممسوح وكهلا لان بلوغ الانبياء عند كهولتهم من الصالحين يعنى صلاحيته قبول الفيض بلا واسطة كما هو حال جميع الانبياء ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل الروح الانسانى الذى هو خليفة الله في ارضه قابل لجميع انوار الصفات خلافة عنه حتى القدرة على الخلق والاحياء والابراء والانباء وغير ذلك من الآيات التى هي من نتائج القدرة لكنه لتعلقه بالجسد الكائن من العناصر لاحتجابه بظلمات شهوات الابوين امتنع عن قبول انوار الصفات الى ان يخرجه مدد العناية بطريق الهداية وقوة استعداد الروح والجسم من تلك الظلمات فيظهر على النبى آيات المعجزة وعلى الولى امارات الكرامات ولما كان روح عيسى وذرة طينته المستخرجة من ظهر آدم محفوظة عند الله حتى القاها الى مريم من غير شائبة ظلمات شهوة الابوين ولهذا سمى روح الله كان قابل انوار الصفات في بدء امره فكلم الناس في المهد وكتب ويقرأ التورية والانجيل من غير تعلم ويحيى ويبرئ وغير ذلك من الآيات فلما احس عيسى منهم الكفر فيه اشارة الى ان عيسى الروح لما احس من النفس وصفاتها الكفر قال من انصارى الى الله قال الحواريون وهم القلب وصفاته نحن انصار الله آمنا بالله اى بوحدانيته والتبرى عن غيره واشهد بانا مسلمون منقادون لاحكامه راضون بقضائه صابرون على بلائه ربنا آمنا بما انزلت من الحكم والاسرار واللطائف والحقائق واتبعنا الرسول الوارد من نفحات الطافك فاكتبنا مع الشاهدين المشاهدين لانوار جلالك ومكروا اى النفس وصفاتها والشياطين اتباعها في هلاك عيسى الروح ومكر الله بتجلى صفات قهره في فناء النفس وصفاتها والله خير الماكرين في قهر النفس الامارة بالسوء وقمع صفاتها وقلع شعلها اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك عن الصفات النفسانية والشهوات الحيوانية ورافعك الى بجذبات العناية كما اسرى بعبده الى قاب قوسين او ادنى ومن خواص الجذبة الربوبية خمود الصفات البشرية ثم الى مرجعكم باللطف او القهر بالاختيار على قدم السلوك او بالاضطرار عند نزع الروح فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا بحجاب الغفلة والاشتغال بغير الله وفي الآخرة بالقطيعة والبعد عن الله والله لا يحب الظالمين الذين يظلمون انفسهم بانقضاء العمر في طلب غير الله تعالى ثم قال له كن فيكون هذه السنة في تكوين الارواح والملكوت لا الاجساد والملك لكنه اجراها في تكوين آدم من تراب بلا اب وام وخلق حوا بلا ام وخلق عيسى من مريم بلا اب خرقا للعادة ودلالة على القدرة ودفعا لما يقع من قال بالايجاب في الايجاد فلا تكن من الممترين في الكينونة قاله الى الابد فما كان من الممترين ولا يكون الى الابد

فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ
پس هر که حجت کند با تو در آن پس از آنکه آمد ترا از دانش پس بگو بیایید تا بخوانیم

أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ إِنَّ هَذَا لَهُوَ
فرزندان ما را و پسران شما را و زنهای ما را و زنهای شما را و خودهای ما را و خودهای شما را پس سوگند خوریم پس گردانیم لعنت خدای را بر دروغ گویان بدرستی که این آنست

الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ
حکایت راست و نیست هیچ خدائی بجز خدای و بدرستیکه خدا او است غالب درستکار پس اگر برگردید پس بدرستی که خدا دانا است به تباه کنندگان بگو ای اهل کتاب

تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا
بیایید بسوی سخنی که برابر است در میان ما و میان شما که نپرستیم بجز خدا را و انباز نیاوریم باو چیزی را و نگیرد برخی از ما برخی را خدایان از غیر خدای پس اگر برگشتند

فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ
پس بگوئید گواه باشید بانکه ما مسلمانیم ای اهل کتاب چرا حجت کنید در ابراهیم و حال آنکه فرو فرستاده نشد توریه و انجیل مگر از بعد او آیا پس درک نکنید

هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا
آگاه باشید ای گروه که حجت کردید در آنچه شما را بان دانش است پس چرا حجت کنید در آنچه نیست شما را بان دانشی و خدا میداند و شما نمیدانید نبود ابراهیم یهودی

وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ
و نه ترسا و لیکن بود یگانه منقاد و نبود او از مشرکان بدرستی که سزاوارتر بابراهیم هر آینه آنهائیند که پیروی کردند او را و این پیغمبر و آنان

آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ
که گرویدند و خدا دوست گروندگان است دوست داشتند گروهی از اهل کتاب که گمراه کنند شما را و گمراه نمیکنند مگر خودشان را و درک نکنند ای اهل کتاب

لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ الرّبع
چرا کافر شوید بآیات خدا و حال آنکه شما گواهید ای اهل کتاب از چه میپوشانید حق را بباطل و پنهان دارید حق را و حال آنکه میدانید

وعن الحسن حيث كان ابو جعفر ونافع وابو عمرو وورش وابن مجاهد وابو عون عن قنبل ها انتم على وزن هعنتم الباقون بالمد ها انتم الوقوف الكاذبين ه القصص الحق ج الا الله ط الحكيم ه المفسدين ه من دون الله ط مسلمون ه من بعده ط تعقلون ه ليس لكم به علم ط لا تعلمون ه ولا مشركين ه والذين امنوا ط المؤمنين ه لو يضلونكم ط يشعرون ه تشهدون ه تعلمون ه التفسير روى انه صلعم لما اورد الدلائل على نصارى نجران ثم انهم اصروا على جهلهم قال صلعم ان الله امرني ان لم تقبلوا الحجة ان اباهلكم فقالوا يا ابا القاسم بل نرجع فننظر في امرنا ثم نأتيك فلما رجعوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبي مرسل ولقد جاءكم بالكلام الفصل من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لكان الاستيصال فان ابيتم الا الاصرار على دينكم والاقامة على ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله صلعم وقد خرج وعليه مرط من شعر اسود وكان صلعم قد احتضن الحسين واخذ بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو سألوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيمة ثم قالوا يا ابا القاسم رأينا ان لا نباهلك وان نقرك على دينك فقال صلعم فاذا ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين فابوا فقال صلعم فاني اناجزكم اي احاربكم فقالوا ما لنا بحرب العرب المسلمين طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدي اليك كل عام الفي حلة الف في صفر والف في رجب وثلثين درعا عادية من حديد فصالحهم على ذلك فقال صلعم والذي نفسي بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستاصل الله نجران واهله حتى الطير على رؤس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا وروي عن عائشة انه صلعم لما خرج في المرط الاسود فجاء الحسن فادخله ثم جاء الحسين فادخله ثم فاطمة ثم علي ثم قال صلعم اِنَّمَا يُرِيْدُ اللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ اَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيْرًا وهذه الرواية كالمتفق على صحتها بين اهل التفسير والحديث فَمَنْ حَاجَّكَ من النصارى فِيْهِ في عيسى وقيل في الحق مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ من البينات الموجبة للعلم بان عيسى عبد الله ورسوله والمحاجة بطريق الوحي والتنزيل فَقُلْ تَعَالَوْا هلموا والمراد المجيء بالرأي والعزم كما تقول تعال نتفكر في هذه المسئلة وهو في الاصل لتعالوا من العلو وذلك ان بيوتهم كانت على اعالي الجبل فكانوا ينادون تعال يا فلان اي ارتفع الا انه كثر حتى استعمل في كل مجيء فصار بمنزلة هلم نَدْعُ اَبْنَاءَنَا وَاَبْنَاءَكُمْ اي يدع كل منا ومنكم ابناءه ونساءه ويأت بنفسه وبمن هو كنفسه الى المباهلة وانما يعلم اتيانه بنفسه من قرينة ذكر النفس ومن احضار من هم اعز من النفس يعلم اتيان من هو بمنزلة النفس من قرينة ان الانسان لا يدعو نفسه ثُمَّ نَبْتَهِلْ ثم نتباهل وقد يجيء افتعل بمعنى تفاعل نحو اختصم بمعنى تخاصم والتباهل ان يقول كل واحد بهلة الله على الكاذب منا اي لعنته ويقال بهله الله اي لعنه وابعده من رحمته من قولهم ابهله اذا اهمله وناقة باهل لا صرار عليها بل هي مرسلة مخلاة فكل من شاء حلبها واخذ لبنها لا قوة بها على الدفع عن نفسها فكان الباهل يقول ان كان كذا وكلني الله الى نفسي وفوضني الى حولي وقوتي وخلاني من كلاءته هذا هو اصل الابتهال ثم استعمل في كل دعاء يجتهد فيه وان لم يكن التعانا وهو المراد في الاية لئلا يلزم التكرار اي ثم نجتهد في الدعاء فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللّٰهِ عَلَى الْكَاذِبِيْنَ بان نسئل الله ان يلعنه وفي الاية دلالة على ان الحسن والحسين هما ابنا البنت يصح ان يقال انهما ابنا رسول الله صلعم لانه صلعم وعد ان يدعو ابناءه ثم جاء بهما وقد يتمسك الشيعة قديما وحديثا بها في ان عليا افضل من سائر الصحابة لانها دلت على ان نفس علي مثل نفس محمد الا فيما خصه الدليل وكان في الري رجل يقال له محمود بن الحسن الحمصي وكان متكلم الاثنا عشرية يزعم ان عليا افضل من سائر الانبياء سوى محمد قال وذلك انه ليس المراد بقوله وانفسنا نفس محمد لان الانسان لا يدعو نفسه فالمراد غيره واجمعوا على ان ذلك الغير كان علي بن ابي طالب فاذا نفس علي هو نفس محمد لكن الاجماع دل على ان محمدا افضل من سائر الانبياء فكذا علي ثم قال ويؤكده ما روي في المخالف والموافق انه صلعم قال من اراد ان يرى آدم في علمه ونوحا في طاعته وابرهيم في خلته وموسى في قربته وعيسى في صفوته فلينظر الى علي بن ابي طالب فدل الحديث على انه اجتمع فيه ما كان متفرقا فيهم والجواب انه كما انعقد الاجماع بين المسلمين على ان محمدا افضل من سائر الانبياء فكذا انعقد الاجماع بينهم قبل ظهور هذا الانسان على ان النبي صلعم افضل ممن ليس بنبي واجمعوا على ان عليا ما كان نبيا فعلم ان ظاهر الاية كما انه مخصوص في حق محمد فكذا في حق سائر الانبياء واما فضل اصحاب الكساء فلا شك فيه ودلالة الاية على ذلك ولهذا ضمهم الى نفسه بل قدمهم في الذكر وفيها ايضا دلالة على صحة نبوة محمد صلعم لانه لو لم يكن واثقا بصدقه لم يتجرأ على تعريض اعزته وخويصته واولاد كبده في معرض الابتهال ومظنة الاستيصال ولولا ان القوم عرفوا من التورية والانجيل ما يدل على نبوته صلعم لما احجموا عن مباهلته واما قول المشركين اَللّٰهُمَّ اِنْ كَانَ هٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَاَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ فليس من قبيل المباهلة وما قيل ان النبي لم يعرض نفسه لذلك فلم يكن ذلك القول في معرض الاحتجاج والادعاء ولا باذن من الله تعالى لرسوله اِنَّ هٰذَا الذي تلي عليك من نبأ عيسى لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ اِلٰهٍ اِلَّا اللّٰهُ وهو في افادة معنى الاستغراق لزيادة من بمنزلة لا اله الا الله مبنيا على الفتح وفيه رد على النصارى في تثليثهم وَاِنَّ اللّٰهَ لَهُوَ الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُ فيه جواب عن شبهة النصارى ان عيسى يقدر على الاحياء ويخبر عن الغيوب فان هذا القدر من القدرة والعلم لا يكفي في الالهية بل يجب ان يكون الاله

غالباً بكل المعلومات وبعواقب الامور وعيسى لم يكن كذلك فان تولوا اعرضوا عما وصفت من التوحيد لان الاله يجب ان يكون غالباً لا يدفع ولا يمنع وهم يقولون انه قتل فلم يقدر على الدفع وبان يكون قادراً على المقدورات عالماً بجميع المعلومات فاعلم ان اعراضهم ليس الا عن العناد فاقطع كلامك عنهم وفوض امرهم الى الله فان الله عليم بحال المفسدين في الدين وبنياتهم واغراضهم الفاسدة فيجازيهم باعمالهم الخبيثة ثم انه لما اورد على نصارى نجران من الدلائل ما انقطعوا ثم دعاهم الى المباهلة فاعتزلوا ورضوا بالصغار وقبلوا الجزية امر الله تعالى بنمط آخر من الكلام مبني على الانصاف يشهد به كل طبع مستقيم وعقل سليم فقال قل يا اهل الكتاب يعني نصارى نجران لان الآية من تمام قصتهم ولانه كلام منصف فخوطب بما يطيب به قلوبهم كالوصف لحامل القرآن بانه حافظ كتاب الله وقيل المراد يهود المدينة وقيل اليهود والنصارى جميعاً لان ظاهر اللفظ يتناولهما وروي ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ما تريد الا ان نتخذك رباً كما اتخذت النصارى عيسى وقالت النصارى يا محمد ما تريد الا ان نقول فيك ما قالت اليهود في عزير فانزل الله تعالى هذه الآية والمراد من قوله تعالوا تعيين ما دعوا اليه والتوجه الى النظر فيه وان لم يكن انتقالاً من مكان الى مكان والمعنى هلموا الى كلمة سواء فيها انصاف من بعضنا لبعض لا ميل فيه لاحد على صاحبه والسواء هو العدل والانصاف لان حقيقة الانصاف اعطاء النصف فيه التسوية بين نفسه وبين صاحبه والمراد الى كلمة سواء مستوية بيننا وبينكم لا يختلف فيها القرآن والتوراة والانجيل وتفسير الكلمة قوله الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله ومحل ان لا نعبد خفض على البدل من كلمة او رفع على الخبر اي هي ان لا نعبد وانما ذكر اموراً ثلاثة لان النصارى جمعوا بين الثلاثة فعبدوا غير الله وهو المسيح واشركوا به غيره لانهم اثبتوا اقانيم ثلاثة اباً وابناً وروح القدس ثم قالوا ان اقنوم الكلمة تدرع بناسوت مريم ولولا كون هذين الاقنومين ذاتين مستقلين لما جاز عليهما مفارقة ذات الاب والتدرع بناسوت عيسى بن مريم وحيث اثبتوا ثلاثة ذوات مستقلة فقد اشركوا ثم اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً لانهم اطاعوهم في التحليل والتحريم من تلقاء انفسهم من غير شرع وبيان ولانهم يسجدون لهم ويطيعونهم في المعاصي وهو النفس في رتبة الامور من الوسائط افرأيت من اتخذ الهه هواه ولان من مذهبهم ان الكامل في الرياضة يظهر فيه اثر اللاهوت فيحل فيه فيقدر على احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص فهم وان لم يطلقوا عليهم اسم الرب الا انهم اثبتوا في حقهم معنى الربوبية فثبت ان النصارى جمعوا بين الامور الثلاثة وبطلانها كالامر المتفق عليه بين العقلاء فان قبل المسيح ما كان المعبود الا الله فوجب ان يبقى الامر بعد ظهور المسيح على هذا القول وبالاشتراك ايضاً شائع واذا لم يكن الحكم الا لله وجب ان لا يرجع في التحليل والتحريم والانقياد والايمان الا اليه عن عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك وعن الفضيل لا ابالي اطعت مخلوقاً في معصية الخالق او صليت لغير القبلة فان تولوا عن التوحيد فقولوا ايها المسلمون لاهل الكتاب اشهدوا بانا مسلمون دونكم كما يقول الغالب للمغلوب في جدال او صراع او غيرهما اعترف بانى انا الغالب وقد يكون من باب التعريض ومعناه فاعترفوا بانكم كافرون حيث اعرضتم عن الحق بعدما تبين ثم ان اليهود كانوا يقولون ان ابرهيم على ديننا وكذا النصارى فابطل الله تعالى ذلك بان التوراة والانجيل ما انزلا الا من بعده فكيف يعقل ان يكون يهودياً او نصرانياً لا يقال هذا ايضاً لازم عليكم لانكم تدعون ان ابرهيم كان على دين الاسلام والاسلام انما انزل بعده بزمان اطول مما بينه وبين انزال التوراة والانجيل لانا نقول القرآن اخبر بان ابرهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً وانما كان حنيفاً مسلماً وليس في الكتابين انه كان يهودياً او نصرانياً فظهر الفرق وايضاً المسيح ما كان موجوداً في زمان ابرهيم حتى يعبد فعبادة المسيح التي انتم عليها عندكم واليهود لا شك في دين اليهود والنسخ حاصل في ملة ابرهيم ها انتم هؤلاء حرف التنبيه وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة مستأنفة مبينة للاولى يعني انتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم انكم حاججتم فيما لكم به علم مما نطق به التوراة والانجيل من نعت محمد صلى الله عليه وسلم او ليس المراد وصفهم بالعلم حقيقة انما اراد هب انكم تحاجون فيما تدعون علمه فكيف تحاجون فيما لا تدعون علمه فكيف تحاجون فيما لا علم لكم به البتة ولا ذكر له في كتابكم وعن الاخفش ها انتم اصله آانتم على الاستفهام فقلبت الهمزة هاء ومعنى الاستفهام التعجب من جهالتهم ثم حقق ذلك بقوله والله يعلم كيف كان حال هذه الشرائع في الموافقة والمخالفة وانتم لا تعلمون ثم بين ذلك مفصلاً فقال ما كان ابرهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين كما لم يكن يهودياً ولا نصرانياً وعرض بالمشركين من اليهود والنصارى كاشراكهم بالله عزيراً والمسيح فان قيل انكم تقولون ابرهيم على دين الاسلام ان اردتم به الموافقة في الاصول فليس هذا مختصاً بدين الاسلام وان اردتم به الموافقة في الفروع لزم ان لا يكون محمد صاحب شريعة بل كان مقرراً لشرع من قبله قلنا نختار الاول والاختصاص ثابت فان اليهود والنصارى مخالفون للاصول في زماننا لقولهم بالتثليث واشراك عزير والمسيح بالله الى غير ذلك من قبائح افعالهم ونختار الثاني ولا يلزم ما ذكرتم لجواز انه تعالى نسخ تلك الفروع بشرع موسى ثم في زمان محمد نسخ شرع موسى بتلك الشريعة التي كانت ثابتة في زمان ابرهيم فيكون محمد صاحب الشرع مع موافقة شرعه شرع ابرهيم في معظم الفروع روي انه احتكم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لما هاجر جعفر بن ابي طالب واصحابه الى الحبشة واستقرت بهم الدار وهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وكان من امر بدر ما كان اجتمعت قريش في دار الندوة وقالوا ان لنا في الذين عند

ابراهيم ع

النجاشي لعله يدفع اليكم من عنده من قومكم ولينتدب لذلك رجلان من ذوي رأيكم فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن ابي معيط مع هدايا الأدم
وغيره فركبا البحر واتيا الحبشة فلما دخلا على النجاشي سجدا له وسلما عليه فقالا له ان قومنا لك ناصحون شاكرون ولصلاحك محبون و
انهم بعثونا اليك لنحذرك هؤلاء القوم الذين قدموا عليك لانهم قوم رجل كذاب خرج فينا يزعم انه رسول الله ولم يتابعه احد منا الا
السفهاء وانا كنا ضيقنا عليهم الامر والجأناهم الى شعب بارضنا لا يدخل اليهم احد منا عليهم ولا يخرج منهم احد قد قتلهم الجوع والعطش فلما
اشتد عليهم الامر بعث اليك ابن عمه ليفسد عليك دينك وملكك ورعيتك فاحذرهم وادفعهم الينا لنكفيكهم قالوا وآية ذلك انهم اذا دخلوا عليك
لا يسجدون لك ولا يحيونك بالتحية التي يحييك بها الناس رغبة عن دينك وسنتك قال فدعاهم النجاشي فلما حضروا صاح جعفر بالباب يستأذن عليك حزب
الله فقال النجاشي مروا هذا الصائح فليعد كلامه ففعل جعفر فقال النجاشي نعم فليدخلوا بامان الله وذمته فنظر عمرو بن العاص الى صاحبه
فقال ألا تسمع كيف يرطنون بحزب الله وما اجابهم به النجاشي فساءهما ذلك ثم دخلوا عليه ولم يسجدوا له فقال عمرو بن العاص ألا ترى انهم
يستكبرون ان يسجدوا لك فقال لهم النجاشي ما منعكم ان تسجدوا لي وتحيوني بالتحية التي يحييني بها من اتاني من الآفاق قالوا نسجد لله الذي خلقك
وملكك وانما كانت تلك التحية لنا ونحن نعبد الاوثان فبعث الله فينا نبيا صادقا وامرنا بالتحية التي رضيها الله لنا وهي السلام تحية اهل
الجنة فعرف النجاشي ان ذلك حق وانه في التوراة والانجيل قال ايكم الهاتف يستأذن عليك حزب الله قال جعفر انا قال فتكلم قال انك ملك
من ملوك اهل الارض ومن اهل الكتاب ولا يصلح عندك كثرة الكلام ولا الظلم وانا احب ان اجيب عن اصحابي فمر هذين الرجلين فليتكلم احدهما و
لينصت الآخر فتسمع محاورتنا فقال عمرو لجعفر تكلم فقال جعفر للنجاشي سل هذا الرجل أعبيد نحن ام احرار فان كنا عبيدا ابقنا من اربابنا
فارددنا اليهم فقال النجاشي أعبيد هم ام احرار فقال بل احرار كرام فقال النجاشي نجوا من العبودية قال جعفر للنجاشي سلهما هل اهرقنا دما بغير حق
فيقتص منا فقال عمرو لا ولا قطرة قال جعفر سلهما هل اخذنا اموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤه فقال النجاشي يا عمرو ان كان قنطارا فعلي
قضاؤه فقال عمرو لا ولا قيراط قال النجاشي فما تطلبون منهم قال عمرو كنا وهم على دين واحد وامر واحد على دين آبائنا فتركوا ذلك الدين واتبعوا
غيره ولزمناه ونحن فبعثنا اليك قومهم لتدفعهم الينا فقال النجاشي ما هذا الدين الذي كنتم عليه والدين الذي اتبعتموه اصدقني قال جعفر
اما الدين الذي كنا عليه فتركناه فهو دين الشيطان وامره كنا نكفر بالله عز وجل ونعبد الحجارة واما الدين الذي تحولنا اليه فدين الله الاسلام
جاءنا به من الله رسول وكتاب مثل كتاب ابن مريم موافقا له فقال النجاشي يا جعفر تكلمت بامر عظيم فعلى رسلك ثم امر النجاشي فضرب بالناقوس
فاجتمع اليه كل قسيس وراهب فلما اجتمعوا عنده قال النجاشي انشدكم بالله الذي انزل الانجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين القيامة نبيا مرسلا
فقالوا اللهم نعم قد بشرنا به عيسى قال من آمن به فقد آمن بي ومن كفر به فقد كفر بي فقال النجاشي لجعفر ماذا يقول لكم هذا الرجل وما
يأمركم به وما ينهاكم عنه قال يقرأ علينا كتاب الله ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويأمر بحسن الجوار وصلة الرحم وبر اليتيم ويأمرنا ان نعبد الله
وحده لا شريك له فقال اقرأ علي شيئا مما يقرأ عليكم فقرأ عليهم سورة العنكبوت والروم ففاضت اعين النجاشي واصحابه من الدمع وقالوا يا جعفر
زدنا من هذا الحديث الطيب فقرأ عليهم سورة الكهف فاراد عمرو ان يغضب النجاشي فقال انهم يشتمون عيسى وامه فقال النجاشي ما تقولون
في عيسى وامه فقرأ عليهم جعفر سورة مريم فلما اتى ذكر مريم وعيسى رفع النجاشي نفثة من سواكه قدر ما يقذي العين وقال والله ما زاد المسيح
على ما يقولون هذا ثم اقبل على جعفر واصحابه فقال اذهبوا فانتم سيوم بارضي يقول آمنون من سبكم او آذاكم غرم ثم قال ابشروا ولا تخافوا فلا
دهورة اليوم على حزب ابرهيم قال عمرو يا نجاشي ومن حزب ابرهيم قال هؤلاء الرهط وصاحبهم الذي جاؤا من عنده ومن اتبعهم فانكر ذلك
المشركون وادعوا انهم في دين ابرهيم ثم رد النجاشي على عمرو واصحابه المال الذي حملوه وقال انما هديتكم الي رشوة فاقبضوها فان الله ملكني
ولم يأخذ مني رشوة قال جعفر وانصرفنا فكنا في خير دار واكرم جوار وانزل الله عز وجل ذلك اليوم في خصومتهم في ابرهيم على رسول الله وهو بالمدينة
قوله ان اولى الناس بابرهيم للذين اتبعوه على ملته وسنته في زمانه وهذا النبي يعني محمدا والذين آمنوا في آخر الزمان والله ولي المؤمنين
بالنصر والتأييد المؤمنين والتشديد بمعنى اولى الناس واخصهم به واقربهم منه من الولي القرب وقرئ هذا النبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه
وبالجر عطفا على ابرهيم عن رسول الله ان لكل نبي ولاة من النبيين وان ولي منهم ابي خليل ابي ابرهيم ثم قرأ ان اولى الناس الآية ثم بين انهم
لا يقتصرون على هذا القدر بل يجتهدون في اضلال المؤمنين بالقاء الشبهات وابداء المكايد كما ارادوا بحذيفة وعمار ومعاذ بن جبل وقد
ذكر في سورة البقرة وما يضلون الا انفسهم لان وبال الاضلال يعود عليهم فيضاعف لهم العذاب بالضلال والاضلال او وما يقدرون
على اضلال المؤمنين وانما يضلون امثالهم من اشياعهم وما يشعرون ان هذا يضرهم ولا يضر المؤمنين ثم وبخهم على قبائح افعالهم بطريق
الاستفهام فقال لم تكفرون بآيات الله قيل اي التوراة والانجيل لما فيهما من البشارة بنبوة محمد وان ابرهيم كان حنيفا مسلما وان
الدين عند الله الاسلام ومعنى الكفر بالتوراة والانجيل انما الكفر بما فيهما لان عليها فيكون قد اطلق اسم الدليل على المدلول والكفر بنفس التوراة
لانهم كانوا يحرفونها وينكرون وجود تلك الآيات الدالة على نبوة محمد ومعنى وانتم تشهدون انهم عند حضور المسلمين وعند حضور عوامهم
كانوا ينكرون اشتمال التوراة والانجيل على نعت محمد واذا خلا بعضهم الى بعض شهدوا بصحتها ومثل هذا فيكون في الآية اخبار عن الغيب

فيكون معجزا وقيل ايات الله هي القرآن وشهادتهم انهم يعرفون في قلوبهم انه حق وقيل ايات التسجيل المعجزات على النبوة فيعني تشهدون انكم تشترون
مثله الا المعجزة وقيل تشهدون بما تدعون على الغواية ارفة التوبيخ الاخوان وهو اما بالقاء الشبهات في الكتب فهو معنى لبسهم الحق بالباطل
واما باخفاء الدليل وهو كتمانهم الحق قيل هو ابن عباس قال ابن زيد بحرفوا التورية فخلطوا المنزل بالمحرف وعن ابن عباس اظهروا الاسلام اول النهار ثم رجعوا
عنه في آخره تشكيكا للناس وقيل ان في الكتابين ما يدل على نبوة محمد من البشارة به وبينهما منهم خلاف فيكون كالمحكم والمتشابه في القرآن
في القرآن فلبسوا على الضعفاء احد الامرين بالاخرة كما يفعل كثير من المشبهة وهذا قول القاضي وقيل كانوا يقولون ان محمدا معترف بان
شرع موسى حق ثم ان التورية دلت على انه لا ينسخ وكل ذلك القاء الشبهات فاما كتمان الحق فهو ان الايات الدالة في التورية على نبوة محمد
كان الاستدلال بها مفتقرا الى التدبر والتامل والقوم كانوا يجتهدون في اخفاء تلك الالفاظ لئلا يتمكن العوام من الاستدلال كما يفعل المبتدعة
في زماننا وانتم تعلمون انكم بما تفعلون ذلك عنادا وحسدا او تعلمون انكم اهل المعرفة وتعلمون حقيتها او ان عقاب من يفعل هذه الافعال

عظيم سخيف وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ

وگفتند گروهی از اهل کتاب که بگروید بانچه فرو فرستاده شده بر آنانکه گرویده اند در اول روز و کافر شوید در آخر آن شاید

يَرْجِعُونَ ۝ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ

که برگردند و مگروید مگر مرانرا که پیروی کرد دین شما را بگو که هدایت راه خدا است که داده شود یکی مانند آنچه داده شد یا حجت گیرند شما را نزد پروردگار

قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۝ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝ وَمِنْ

بگو که بدرستی افزونی در دست خدا است میدهد انرا هر که میخواهد و خدا محیط و دانا است مخصوص گرداند برحمت خود انرا که میخواهد و خدا صاحب افزونی بزرگست و از

أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا

اهل کتاب کسی هست که اگر امانت دهی او را بسیاری باز گرداند بتو و از ایشان کسی است که اگر امانت دهی او را بدیناری باز نگرداند بتو مگر مادامیکه بر او ایستاده و این بجهت آنست که ایشان گفتند

لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ۝

نباشد بر ما در نانویسندگان راهی و میگویند بر خدا دروغ را و حال آنکه میدانند آری هر که وفا کرد بعهد خود و پرهیز کرد پس بدرستیکه خدا دوست دارد

إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ

بدرستی که آنها که میفروشند بعهد خدا و سوگندهای خود بهای اندک آن گروه بهره نیست ایشانرا در آخرت و سخن نگوید با ایشان خدا و ننگرد بسوی ایشان

يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ

در روز قیامت و پاک نگرداند ایشانرا و ایشانراست عذابی دردناک و بدرستی که از ایشان گروهی که میپیچند زبانهای خود را بکتاب تا پندارید آنرا از کتاب و نیست آن از کتاب

وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ

و میگویند که آن از نزد خداست و نیست آن از نزد خدا و میگویند بر خدا دروغ را و حال آنکه میدانند سزاوار نیست مر آدمی را که دهد او را خدا

الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ

کتاب و داوری و پیغمبری پس بگوید مردم را که باشید بندگان من غیر از خدا و لیکن بگوید که باشید خداپرستان بسبب آنکه تعلیم میکردید کتاب را

وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ۝ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ۝ القراءة آن

و بسبب آنکه میخواندید و نفرماید شما را که فرا گیرید فرشتگان و پیغمبران را خدایان آیا بفرماید شما را بکفر بعد از آنکه شما مسلمانید

يؤتى بهمزتين

وتلين الثانية ابن كثير الباقون بهمزة واحدة يؤده ونحو لا يؤده هي ابن كثير ونافع غير قالون ابن عامر وعلي وخلف وحفص والمفضل وعباس
سهل ويزيد عن يعقوب قراءة ابو جعفر وقالون ويعقوب غير زيد وابو عمرو في رواية الزيدي طريق ابن ايوب الهاشمي بالاختلاس الباقون
ساكنة الهاء يعلمون بالتشديد عاصم وعلي وحمزة وخلف وابن عامر غير ابن ذكوان المفعول الاول العلم فجهوا الناس الباقون تعلمون بالتخفيف من
العلم ولا يأمركم بالرفع ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو وعلي والاعشى والبرجمي وابو زيد عن المفضل وقرأ ابو عمرو بالاختلاس الباقون بالنصب
الوقوف يرجعون للعطف دينكم ط هدى الله لان التقدير ولا تصدقوا بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لمن تبع دينكم وقوله قل مع مقوله
معترض ومن قرأ ان يؤتى مستفهما وقف عليها عند ربكم ط بيد الله ج لان يؤتيه يتعلق بما قبله مع ان ضميره عائد الى الله من يشاء ط
عليم ج لاحتمال الاستيناف والصفة من يشاء ط العظيم اليك الاول ج لتضاد الجملتين معنى مع تعادلهما لفظا قائما ط سبيل ج لان الواو للاستيناف
مع اتساق معنى الكلام يعلمون المتقين يزكيهم ص اليم وما هو من الكتاب ج لعطف المتفقتين مع وقوع العارض وما هو من عند الله ج يعلمون
تدرسون لا لمن قرأ ولا يأمركم بالنصب عطفا على ان يؤتيه اربابا ط مسلمون التفسير هذا نوع آخر من تلبيساتهم وقوله بالذي انزل يحتمل ان يراد كل ما
انزل عليهم ويحتمل ان يراد بعض ما انزل والاحتمال الاول فقول الحسن والسدي تواطأ اثنا عشر حبرا من يهود خيبر وقرى عرينة وقال بعضهم
ادخلوا في دين محمد باللسان دون الاعتقاد وجه النهار اي اوله والوجه في اللغة مستقبل كل شيء لانه اول ما يواجه منه

تغلب عن ابن الاعرابي اتيته بوجه نهار وصدر نهار وشباب نهار وانشد للربيع بن زياد: من كان مسرورا بمقتل مالك فليات نسوتنا
بوجه نهار: يجد النساء حواسرا يندبنه قد قمن قبل تبلج الاسحار وذلك لانه كان من عادتهم انه لا يقام الجزع على المقتول الى ان يدركوا الثار ففي
البيت من كان مسرورا فلياتنا ليشتفي الغيظ ودرك الثار قبل ان يمضي على المقتول تمام يوم وليلة واكفروا اخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا
وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا ليس بذلك فان اصحابه متى شاهدوا هذا غلب على ظنونهم ان هذا التكذيب ليس لاجل الحسد والعناد
والا لما امنوا به اول الامر وانما ذلك لاجل انهم اهل كتاب قد تفكروا في امره وفي دلائل نبوته فلاح لهم بعد التامل التام والبحث الشافي انه
ابومسلم
كذاب فيكون في هذا الطريق تشكيك لضعفة المسلمين فربما يرجعون عن دينهم وقال معنى وجه النهار واخره ان رؤساء اليهود والنصارى
قال بعضهم لبعض نافقوا واظهروا الوفاق للمؤمنين ولكن بشرط ان تثبتوا على دينكم اذا خلوتم باخوانكم من اهل الكتاب فان امر هؤلاء في اضطراب
فزجوا الايام معهم بالنفاق فربما ضعف امرهم واضمحل دينهم ويرجعوا الى دينكم فيكون هذه الاية كقوله واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا
واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم وقال الاصم معناه تفريق احكام الاسلام الى قسمين وذلك انه قال بعضهم لبعض ان كذبتموه
في جميع ما جاء به علم عوامكم كذبكم لان كثيرا مما جاء به حق ولكن صدقوه في بعض وكذبوه في بعض ليحملوا كلامكم على الانصاف فيقبلوا قولكم
ويرجعوا من دين الاسلام والرغبة فيه والاحتمال الثاني فقول من قال انها نزلت في شان القبلة ثم اختلفوا فعن ابن عباس وجه النهار اوله
وهو صلوة الصبح واخره صلوة الظهر وتقريره انه عم كان يصلي الى بيت المقدس ففرح اليهود بذلك فلما حوله الله الى الكعبة عند صلوة الظهر
قال كعب بن الاشرف وغيره امنوا بالقبلة التي صلى اليها صلوة الصبح فهي الحق وقال مجاهد ومقاتل والكلبي لما صرفت الى الكعبة شق ذلك على اليهود
لمخالفتهم فقالوا امنوا بالذي انزل على محمد من امر الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم اكفروا بالكعبة اخر النهار وارجعوا الى قبلتكم الصخرة
لعلهم يقولون هؤلاء اهل كتاب وهم اعلم منا فربما يرجعون الى قبلتنا فحذر الله نبيه مكر هؤلاء واطلعه على سرهم لئلا يؤثر هذه الحيلة في قلوب
ضعفاء المؤمنين ثم لان القوم لما افتضحوا في هذه الحيلة لم يقدموا على امثالها من الحيل ويصير ذلك عظة لهم وبينة انه اخبار عن الغيب
فيكون معجزا ثم قال تعالى ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم واتفق المفسرون على ان هذا بقية حكاية كلام اهل الكتاب واتفقوا على ان قوله قل ان الهدى
هدى الله وكذا قوله قل ان الفضل بيد الله الى اخرها كلام الله الا انهم اختلفوا في ان قوله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند
من جملة كلام الله او من جملة كلام اليهود ومن تتمة قولهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم فهذان احتمالان ذهب الى كل منهما طائفة من المحققين وكل
منهما يحتاج في تصحيح المعنى الى تقدير واضمار فلهذا تعد هذه الاية من المواضع المشكلة اما الاحتمال الاول فوجهه على قراءة ابن كثير ظاهر وكذلك
قراءة من قرا بهمزة واحدة ويقدر همزة الاستفهام للتقريع والتوبيخ وكذا لام الجر وهذا الوجه يروى عن مجاهد وعيسى بن عمر والمعنى الان
ءامن اجل ان يؤتى احد شرائع مثل ما اوتيتم تنكرون اتباعه فحذف الجواب للاختصار وهذا الحذف كثير يقول الرجل بعد طول العتاب
وعدد ذنوبه عليه فقد احسن اليك من قبل احساني اليك امن اهانتي لك المعنى امن هذا فعلت ما فعلت ام من ذاك ونظيره قوله امن هو
قانت اناء الليل ساجدا وقائما يحذر الاخرة ويرجوا رحمة ربه ومعنى قوله حكاية عنهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم على هذا الوجه لا
تصدقوا الا نبيا يقرر شرائع التورية فاما من جاء بتغيير شيء من احكام التورية فلا تصدقوه وهذا مذهب اليهود الى اليوم واللام زائدة
مثل ردف لكم فانه يقال صدقت فلانا ولا يقال صدقت لفلان فامر الله نبيه ان يقول لهم في الجواب ان الدين دين الله فكل ما رضيه دينا
فهو الدين الذي يجب متابعته كقوله تعالى جوابا لقولهم ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب ثم وبخهم بالاستفهام المذكور
ويحتمل ان يكون المعنى ولا تؤمنوا هذا الايمان الظاهر الذي اتيتم به وجه النهار الا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن اسلموا منكم لان رجوعهم كان
ارجى عندهم من رجوع من سواهم ولان اسلامهم كان اغيظ لهم وقيل للنبي قل ان الهدى هدى الله وقد جئتكم به فلن ينفعكم هذا الكيد
الضعيف ثم استفهم فقال الان يؤتى احد مثل ما اوتيتم قلتم ذلك ودبرتم لا لشيء اخر يعني ان ما بكم من الحسد والبغي ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم
من فضل العلم والكتاب دعاكم الى قلتم ما قلتم ثم قال او يحاجوكم يعني دبرتم ما دبرتم لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او لما يتصل به عند كفركم به
من محاجتهم لكم عند ربكم لان ما اوتوا مثل ما اوتيتم فحين لن تؤمنوا به تكون لهم حجة عليكم واما ان لم يقدر همزة الاستفهام فالتقدير اما
سبق او يقال الهدى اسم ان وهدى الله بدل منه والتقدير قل ان هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم ويكون او بمعنى حتى ويتم الكلام
بمعنى حتى يحاجوكم عند ربكم فيقضي لهم عليكم ويدحض حجتكم او يقال ان يؤتى مفعول فعل محذوف هو لا تنكروا لانه لما كان الهدى
هدى الله كان له ان يؤتيه من يشاء من عباده ومتى كان كذلك لزم ترك الانكار فصح ان يقال لا تنكروا ان يؤتى احد سواكم من الهدى
ما اوتيتم او يحاجوكم يعني هؤلاء المسلمين بذلك عند ربكم ان لم تقبلوا ذلك منهم او يقال الهدى اسم للبيان وهدى الله بدل منه لا بد ان
مثل ان تضلوا اي لا تضلوا والتقدير قل يا محمد لامتك ان بيان الله هو ان لا يؤتى احد مثل ما اوتيتم وهو دين الاسلام الذي هو
افضل الاديان وان لا يحاجوكم يعني هؤلاء اليهود عند ربكم في الاخرة لانه يظهر لهم في الاخرة انكم محقون وانهم ضالون
واما الاحتمال الثاني وهو ان يكون قوله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من تتمة كلام اليهود وقوله قل ان الهدى هدى الله جملة معترضة

فمعناه لا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاهل دينكم دون غيرهم ولا تقروا بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لمن تبع دينكم
فحذف حرف الجر من ان على القياس وقال في الكشاف واداسروا تصديقكم بان المسلمين قد اوتوا من كتاب الله مثل ما اوتيتم ولا تفشوه الا الى
اشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا ودون المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله او يحاجوكم عطف على ان يؤتى والضمير
في يحاجوكم لاحد لانه في معنى الجمع بمعنى ولا تؤمنوا لغير اتباعكم ان المسلمين يحاجونكم يوم القيمة بالحق ويغالبونكم عند الله بالحجة قال في
معنى الاعتراض ان الهدى هدى الله من شاء ان يلطف به حتى يسلم او يزيد ثباته على الاسلام كان ذلك ولم ينفع كيدكم وحيلكم وذبكم اي كتمكم
تصديقكم عن المسلمين والمشركين وكذلك قوله قل ان الفضل بيد الله مؤكد للاعتراض الاول وهو اعتراض اخر يجيء بعد تمام الكلام كقوله
وكذلك يفعلون بعد قوله ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها فان قيل ان جد القوم في حفظ اتباعهم عن قبول دين محمد كان اعظم
من جدهم في حفظ غير اتباعهم عنه فكيف يليق ان يوصي بعضهم بعضا بالاقرار بما يدل على صحة دين محمد عند اتباعهم وان يمتنعوا من ذلك
عند الاجانب قلنا في الجواب ليس المراد من هذا النهي الامر بافشاء هذا التصديق فيما بين اتباعهم بل المراد انه ان اتفق منكم تكلم بهذا فلا يكن الا
عند خويصتكم واصحاب اسراركم على انه يحتمل ان يكون شانئا ولكن البغي والحسد كان يحملهم على الكتمان من غيرهم فان قيل كيف وقع قوله
قل ان الهدى هدى الله فيما بين جزئي كلام واحد هذا لا يليق بكلام الفصحاء قلت قال القفال يحتمل ان يكون هذا كلاما امر الله نبيه ان يقوله
عندما وصل الكلام الى هذا الحد كانه لما حكى عنهم في هذا الموضع قولا باطلا لا جرم ادب رسول الله ص بان يقابله بقول حق ثم يعود الى الحكاية
تمام كلامهم كما اذا حكى المسلم عن بعض الكفار قولا فيه كفر فيقول عند بلوغه الى تلك الكلمة امنت بالله لا اله الا الله او تعالى الله ثم يعود الى تلك
الحكاية وقيل في الكلام تقديم وتاخير والتقدير ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم قل ان
الهدى هدى الله ان الفضل بيد الله واعلم انه تعالى حكى عن اليهود امرين احدهما ان يؤمنوا وجه النهار ويكفروا اخره ليصير ذلك شبهة للمسلمين
في صحة الاسلام فاجاب بقوله قل ان الهدى هدى الله وذلك ان مع كمال هداية الله وقوة بيانه لا يكون لهذه الشبهة الركيكة وزن
ولا اثر وثانيهما انهم استنكروا ان يؤتى احد مثل ما اوتوا من الكتاب والحكمة والنبوة فاجاب بقوله قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والمراد بالفضل
الرسالة وهي في اللغة الزيادة واكثر ما يستعمل في زيادة الاحسان والفاضل الزائد على غيره في خصال الخير ومعنى قوله بيد الله انه مالك له
غالب عليه وهو قوله يؤتيه من يشاء وفيه دليل على ان النبوة تحصل بالتفضل لا بالاستحقاق لانه جعلها من باب الفضل الذي له ان يفعله
وان لا يفعله ولا يبعد ذلك في المستحق الا على وجه المجاز والله واسع كامل القدرة عليم بالحكم الصالحة ومواقع فضله فلهذا يختص برحمته
من يشاء والحاصل انه بين بقوله ان الفضل بيد الله انه قادر على ان يؤتي بعض عباده مثل ما اتيتم من المناصب العالية ويزيد عليها من جنسها
فان الزيادة من جنس المزيد عليه ثم قال يختص برحمته من يشاء والرحمة المضافة اليه تعالى امر اجل من ذلك الفضل لانه لا يكون من جنس ما اتاكم
بل يكون اشرف واعظم والله ذو الفضل العظيم فمن قصر نعمه واكرامه على مراتب معينة وعلى اشخاص معينين كان جاهلا بكمال الله تعالى
في قدرته وحكمته ثم انه تعالى كذبهم في دعويهم الاختصاص بالمناصب العالية فان فيهم الخيانة المستقبحة في جميع الاديان ونقض العهد
والكذب على الله الى غير ذلك من القبائح فقال ومن اهل الكتاب الاية وفيها دلالة على انقسامهم الى قسمين اهل الامانة واهل الخيانة فقيل
ان اهل الامانة هم الذين اسلموا اما الذين بقوا على اليهودية فهم مصرون على الخيانة لان مذهبهم انه يحل لهم قتل كل من خالفهم في الدين و
اخذ اموالهم وقيل ان اصحاب الامانة هم النصارى لغلبة الامانة عليهم واهل الخيانة اليهود لكثرة ذلك فيهم وقال ابن عباس من ان تامنه
بقنطار هو عبد الله بن سلام استودعه رجل من قريش الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه ومن ان تامنه بدينار لا يؤده هو فنحاص بن عازوراء
استودعه رجل من قريش دينارا فجحده وخانه وقال اهل الحقيقة هو فيمن يؤتى كثيرا من الدنيا فيخرج عن عهدته بعدم الالتفات اليه و
قطع النظر عنه ثقة بالله وتوكلا عليه ولكن فيهم من يحجز بالدنيا فيكون همه مقصورا عليها معرضا عما سواها غير مؤد حقوقها ويقال
امنته بكذا وعلى كذا فمعنى الباء الصاق الامانة بحفظها وحياطتها ومعنى على استعلاؤها والاستيلاء عليها والمراد بالقنطار والدينار
ههنا العدد الكثير والعدد القليل فلا حاجة الى تعيينه واما الاقوال فيه فقد مرت في اوائل السورة وقد يستدل بما روينا عن ابن عباس
ان القنطار الف ومائتا اوقية ويدخل تحت القنطار والدينار العين والدين لان الانسان قد ياتمن غيره على الوديعة وعلى
المبايعة وعلى المقارضة وليس في الاية ما يدل على التعيين لكنه نقل عن ابن عباس انه محمول على المبايعة فقال منهم من تبايعه بثمن القنطار
فيؤده اليك ومنهم من تبايعه بثمن الدينار فلا يؤده اليك ونقلنا عنه قبل انها نزلت في الوديعة واما قوله الا ما دمت عليه قائما فمنهم من حمله
على حقيقته قال السدي يعني الا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائما على راسه مجتمعا معه ملازما له فان انظرته واخرته انكره ومنهم
من حمله على الالحاح والخصومة والتقاضي والمطالبة قال ابن قتيبة اصله ان المطالب للشيء يقوم به والتارك له يقعد عنه ومنه قوله تعالى امة
قائمة اي عاملة بامر الله غير تاركة وقال ابو علي الفارسي القيام في اللغة الدوام والثبات ومنه قوله دينا قيما اي دائما ثابتا لا ينسخ فمعنى الاية الا
دائما ثابتا في مطالبتك اياه بذلك المال ذلك الاستحلال وترك الاداء الذي دل عليه لا يؤده بسبب انهم يقولون ليس علينا فيما اصبنا من اموال

الفضل

العرب بسبب الخطاب والعتاب إلا أنهم بالغوا في التعصب لدينهم حتى استحلوا قتل المخالف وأخذ ماله بأي طريق كان وإما لأنهم قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه والخلق لنا عبيد فلا سبيل لأحد علينا إذا أكلنا أموال عبيدنا ويحتمل أن يكونوا اعتقدوا في الإسلام أنه كفر فيحكمون على المسلمين بالردة فيستحلون دماءهم وأموالهم وروي أن اليهود عاملوا رجالا في الجاهلية من قريش فلما أسلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا حق حيث تركتم دينكم وادعوا أنهم وجدوا ذلك في كتابهم فلا جرم قال تعالى ويقولون على الله الكذب بادعائهم أن ذلك في كتابهم وهم يعلمون أنهم كاذبون وهذه غاية الجراءة والجهالة أو يعلمون حرمة الخيانة أو يعلمون ما على الخائن من الإثم عن النبي أنه قال عند نزولها كذب أعداء الله ما من شيء في الجاهلية إلا وهو تحت قدمي إلا الأمانة فإنها مؤداة إلى البر والفاجر عن ابن عباس أنه سأله رجل فقال إنا نصيب في الغزو من أموال أهل الذمة الدجاجة والشاة قال فتقولون ماذا قال نقول ليس علينا في ذلك بأس قال هذا كما قال أهل الكتاب ليس علينا في الأميين سبيل إنهم إذا أدوا الجزية لم تحل لكم أموالهم إلا بطيب أنفسهم بلى قال الزجاج عندي وقف التمام ههنا لأنه بمجرد نفي ما قبله أي بلى عليهم سبيل في ذلك ما بعده استئناف قال غيره إنه يذكر في الابتداء كلام يقع جوابا عن المنفي قبله فقولهم علينا جناح قائم مقام قوله نحن أحباء الله تعالى فقيل لهم إن أهل الوفاء بالعهد وأهل التقى هم الذين يحبهم الله وعلى هذا فلا وقف على بلى وقيل إن اليهود ليسوا من الوفاء والتقى في شيء ولو أنهم أوفوا بالعهد وفوا أولا كل شيء بالعهد الذي أخذه الله تعالى في كتابهم من الإيمان بنبي آخر الزمان وهو محمد ولو أنهم اتقوا الله لم يكذبوا عليه ولم يحرفوا كتابه وعموم لفظ المتقين قائم مقام الضمير العائد إلى المبتدأ والضمير في بعهده يجوز أن يرجع إلى من ويجوز أن يرجع إلى اسم الله كقوله في الآية التالية بعهد الله واعلم أن الوفاء والتقى أصلان لجميع مكارم الأخلاق فالوفاء بالعهد يشمل عهد الميثاق وعهد الله تعالى بالتزام التكاليف الخاصة والعامة والتقوى يتممها ويزينها حتى يأتي بها على وجه الكمال من غير شائبة الاختلال فكل متق موف بالعهد ولا يلزم العكس فلهذا اقتصر على قوله يحب المتقين دون أن يقول يحب الموفين أو الموفين والمتقين فافهم ثم إنه سبحانه لما وصف اليهود بالخيانة في أموال الناس والخيانة فيها لا يتمشى إلا بالأيمان الكاذبة غالبا لا جرم أردفها بالوعيد عليها وأيضا الخيانة في العهود وفي تعظيم أسماء الله تناسب الخيانة في الأموال فلا جرم قال إن الذين يشترون الآية واختلفت الروايات في سبب النزول فمنهم من خصها باليهود لأن الآيات السابقة فيهم وكذا اللاحقة ومنهم من خصها بغيرهم والروايات هذه قال عكرمة نزلت في أبي رافع ولبابة بن أبي الحقيق وحيي بن أخطب وغيرهم من رؤوس اليهود كتموا ما عهد الله إليهم في التوراة في شأن محمد وبدلوه وكتبوا بأيديهم غيره وحلفوا أنه من عند الله كيلا يفوتهم الرشى والمآكل التي كانت لهم على أتباعهم وقال الكلبي إن ناسا من علماء اليهود أولي فاقة أصابتهم سنة فاقتحموا إلى كعب بن الأشرف بالمدينة فسألهم كعب هل تعلمون أن هذا الرجل رسول الله في كتابكم قالوا نعم وما تعلمه أنت قال لا قالوا فإنا نشهد أنه عبد الله ورسوله قال كعب لقد حرمكم الله خيرا كثيرا لقد قدمتم علي وأنا أريد أن أميركم وأكسو عيالكم فحرمكم الله وحرم عيالكم فقالوا فإنه شبه لنا فرويدا حتى نلقاه فانطلقوا وكتبوا صفة سوى صفته ثم انتهوا إلى رسول الله فكلموه وسألوه ثم رجعوا فقالوا لقد كنا نرى أنه رسول الله فلما أتيناه إذا هو ليس بالنعت الذي نعت لنا ووجدنا نعته مخالفا للذي عندنا وأخرجوا الذي كتبوا فنظر إليه كعب ففرح ومارهم وأنفق عليهم فنزلت وعن الأشعث بن قيس خاصمت رجلا في بئر فاختصمنا إلى رسول الله فقال شاهدك أو يمينه فقلت إذا يحلف ولا يبالي فقال من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان ونزلت الآية على وفقه وقيل نزلت في رجل أقام سلعته في السوق فحلف لقد أعطى بها ما لم يعطه معنى يشترون يستبدلون بعهد الله ما عاهدوه عليه من الإيمان بالرسول المصدق لما معهم واليمين هو الذي يؤكد الإنسان بها خبره من وعد أو وعيد أو إنكار أو إقرار ويذكر اسم الله تعالى أو صفة من صفاته وما يجري مجراه والثمن القليل متاع الدنيا من المال والجاه ونحوهما ثم إنه تعالى رتب على الشرى بعهد الله وبأيمانهم ثمنا قليلا خمسة أنواع من الجزاء فقوله أولئك لا خلاق لهم في الآخرة إشارة إلى أنه لا نصيب لهم في منافعها ونعيمها وقوله ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم إشارة إلى حرمانهم عما عند الله من الكرامات والقرب وقوله ولهم عذاب أليم إشارة إلى ما يحصل لهم هنالك من صنوف الآلام وضروب الأهوال قال المحققون ومنهم القفال المقصود من هذه الكلمات بيان شدة سخط الله عليهم لأن من منع غيره كلامه في الدنيا فإنما ذلك لسخطه عليه وقد يأمر بحجبه عنه ويقول لا أكلمه ولا أرى وجهه إذا جرى ذكره بالجميل فإن في الكشاف ولا ينظر إليهم مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم تقول فلان لا ينظر إلى فلان تريد نفي اعتداده به وإحسانه إليه فيمن يجوز عليه النظر لأنه من اعتد بالإنسان التفت إليه وأعاد نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والإحسان وإن لم يكن ثم نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر وفي التفسير الكبير لا يجوز أن يكون المراد من هذا النظر الرؤية لأنه تعالى يراهم كما يرى غيرهم ولا يجوز أن يكون المراد من النظر تقليب الحدقة إلى جانب المرئي التماسا لرؤيته لأن هذا من صفات الأجسام وهو تعالى منزه عن ذلك وقد احتج الخلق بهذه الآية على أن النظر المقرون بحرف إلى ليس بمعنى الرؤية وإلا لزم من هذه الآية أن لا يكون تعالى رائيا وذلك باطل قلت يجوز أن يراد بهذا النظر النظر المعهود وهو الذي يحصل تعالى به أولياءه من أنه ينظر إليهم ثم هم ينظرون إليه وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة وعلى هذا لجاز أن يكون النظر بمعنى الرؤية لأنه لا يلزم

مدحتم

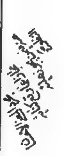

من نفي رؤيته وراء العباد إياهم وتنبيه على نفي رؤيته لا من حيث ان منهم لفريقا عن ابن عباس هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الاشرف
غيروا التورية وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذي عندهم يلوون السنتهم بالكتاب
قال القفال معناه ان يعمدوا الى اللفظة فيحرفونها في حركات الاعراب تحريفا يتغير به المعنى فان اللي عبارة عن عطف الشيء ورده عن
الاستقامة الى الاعوجاج وهذا كثير في لسان العرب فلا يبعد مثله في العبرانية فلما كانوا يفعلون مثل ذلك في الآيات الدالة على نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم وغيرها بحسب اغراضهم الفاسدة في الكشاف اي يفتلونها بقراءته عن الصحيح الى المحرف وقوله ذلك ان دل على ان التشبه بالشدق
والتنطع والتكلف مذموم فعبر الله عن قراءتهم لذلك الكتاب الباطل بلي اللسان ذما لهم وتعريضا ولم يعبر عنها بالقراءة والعرب تفرق
بين الفاظ المدح والذم في الشيء الواحد لتحسبوه اي المحرف الذي دل عليه يلوون ويجوز ان يقال مضاف محذوف اي يعطفون السنتهم بشبه
الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله هو نفي لكونه من الكتاب ثم
عليه نفي العلم ليعلم انه كما ليس من الكتاب ليس بسنة ولا اجماع ولا قياس فان كل هذه يصدق عليه انه من عند الله بمعنى كونه حكما من
احكامه المستنبطة من الاصول ويجوز ان يراد بالكتاب التورية فقط وبقولهم هو من عند الله انه موجود في كتب سائر الانبياء وذلك ان
القوم في نسبة ذلك المحرف الى الله كانوا متحيرين خائفين فان وجدوا قوما من الاغمار الجاهلين بالتورية قالوا انه من التورية وان
وجدوا قوما عقلاء زعموا انه موجود في كتب سائر الانبياء واعلم انه ان كان المراد من التحريف تغيير الفاظ التورية او اعراب الفاظها
فالذين اقدموا على ذلك يجب ان يكون طائفة يسيرة يجوز التواطؤ منهم على الكذب وان كان المعنى تشويش دلالة الآيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
بسبب القاء الشكوك والشبهات في وجوه الاستدلال كما يفعله المبطلون في ملتنا اذا استدل المحقون بآية من كتاب الله ثم لم يبعد اطباق
الخلق الكثير والجم الغفير عليه احتج الجبائي والكعبي بالآية على ان فعل العبد ليس بخلق الله لان الله كذب اليهود في قولهم هو من عند الله ولكن الله كذبهم
الغلط فان القوم ما ادعوا ان التحريف من عند الله بخلقه وانما ادعوا ان المحرف منزل من عند الله او هو حكم من احكامه فتوجه التكذيب
تكذيب الله اياهم الى هذا الذي زعموا لا الى ما لم يزعموا فلم يبق لهم في الآية مستدل ثم من جملة ما حرفه اهل الكتاب انهم زعموا ان عيسى كان يدعي
الالهية وامر قومه بعبادته فلهذا قال عز من قائل ما كان لبشر الآية قيل ان ابا رافع القرظي من اليهود والسيد من نصارى نجران
قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله او ان نأمر بغير عبادة الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني
فنزلت وقيل ان رجلا قال يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان نسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم
واعرفوا الحق لاهله وقيل زعمت اليهود ان احد الانبياء من بني اسرائيل فضلهم ما نالوه فقال لهم انسان كان الامر كما قلتم وجب ان لا تشتغلوا
باستعباد الناس واستبعادهم هذا الوجه يحتمل وفصل لفظ الآية فان قوله ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله كقوله اتخذوا
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله ومعنى قوله ما كان لبشر قال الاصم لو ارادوا ان يقولوا ذلك لمنعهم الله منه نظيره ولو
تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اذا لاذقناك ضعف الحيوة
وضعف الممات وقيل معناه انه تعالى لا يشرف عبدا بالنبوة الا اذا علم انه لا يقول مثل ذلك الكلام وقيل ان الرسول يدعي تبليغ الاحكام
عن الله تعالى ويحتج على صدقه بالمعجزة فلو امرهم بعبادة نفسه بطل دلالة المعجزة على كونه صادقا والتحقيق ان الانبياء موصوفون بصفات
لا يحصل معها هذا الادعاء لان النفس المتمكن كاملة يجب قوتيها النظرية والعملية لم تكن مستعدة لقبول نزول الكتاب المشتمل على
الحكم وهو فهم ذلك الكتاب ببيانه وقد يعبر عنه بالسنة والنبوة وهو كونه مأمورا بتبليغ ما فهمه الى الخلق ولحسن هذا الترتيب فاذا
كاملة يجب القوتين وما يتبعهما امتنع من مثله هذا القول والاعتقاد لان غاية جهد النبي وقصارى امره صرف القلوب والارواح
من الخلق الى الحق فكيف يعقل منه ضده فتبين انه ليس المراد من قوله ما كان لبشر الى قوله كونوا عبادا لي من دون الله انه يحرم عليه هذا
الكلام لان ذلك محرم على كل الخلق ولو كان المراد منه التحريم لم يكن فيه تكذيب للنصارى في ادعائهم ذلك على المسيح لان من ادعى على رجل
فعلا فقيل له ان فلانا لا يحل له ان يفعل ذلك لم يكن مكذبا له فيما ادعاه عليه مثل ما كان لله ان يتخذ من ولد على
سبيل النفي لذلك عن نفسه لا على وجه التحريم والحظر وكذا قوله ما كان لنبي ان يغل فمعناه النفي لا النهي ومعنى ثم في قوله ثم يقول تبعيد
هذا القول عن مثل ذلك البشر ولكن يقول كونوا ربانيين قال سيبويه الرباني منسوب الى الرب بمعنى كونه عالما به مواظبا على طاعته
كما يقال رجل الهي اذا كان مقبلا على معرفة الاله وطاعته وزيادة الالف والنون في النسبة للمبالغة في الدلالة على كمال هذه الصفة كما قالوا
شعراني ولحياني ورقباني للموصوف بكثرة الشعر وطول اللحية وغلظ الرقبة وقال المبرد الربانيون ارباب العلم واحدهم رباني وهو
الذي يرب العلم ويرب الناس بتعليمهم واصلاحهم والقيام بهم والالف والنون كما في ريان وعطشان لا يختص بحال النسبة وعلى هذا الربانيون
التفسير يشمل الولاة ايضا قال القفال يحتمل ان يكون الوالي يسمى ربانيا لانه مطاع كالرب تعالى فينسب اليه فمعنى الآية ولكن يدعوكم الى ان
تكونوا ملوكا وعلماء باستعمالكم امر الله تعالى ومواظبتكم على طاعته وقال ابو عبيدة احسب ان هذه الكلمة ليست بعربية انما هي عبرانية او سريانية

كونوا ولكن م

وسواء

وسواء كانت غريبة تدل على ان الانسان الذي علم وعمل بما علم ثم اشتغل بتعليم طرق الخير. عن محمد بن الحنفية انه قال حين مات ابن عباس
مات رباني هذه الامة. والباء في قوله بما كنتم للسببية وما مصدرية وتعلمون من التعليم والعلم على القراءتين فيعلم منه ان التعليم والعلم والدراسة
وهي القراءة توجب على صاحبها كونه ربانيا والسبب لا محالة مغاير للمسبب فهذا يقتضي ان يكون كونه ربانيا امرا مغايرا لكونه عالما ومعلما و
مواظبا على قراءة العلم وما ذاك الا بان يكون تعلمه لله وتعليمه لله ودراسته لله فمن اشتغل بالعلم والتعليم والدراسة لا لهذا الغرض خاب وخسر
وكان السبب بينه وبين ربه منقطعا وكان مثله كمن غرس شجرة تونقه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها ولهذا قال صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من قلب لا يخشع
ومن علم لا ينفع. وفي الاية دليل على صحة قولهم العلماء ورثة الانبياء فاما تعلمهم باذن الله. ولا يأمركم من قرأ بالنصب فوجهان احدهما ان يجعل
لا مزيدة لتأكيد النفي المتقدم اي ما ينبغي لبشر ان ينصبه الله منصب الدعاء الى اختصاص الله بالعبادة ثم يأمر الناس بعبادة نفسه و
يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا كما تقول ما كان لزيد ان اكرمه ثم يهينني ولا يستخفني. والثاني ان يكون حرف النفي زائدة فيرجع المعنى
الى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهى قريشا عن عبادة الملائكة واليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح بحيث قالوا انتخذك ربا قيل لهم ما كان لبشر
ان يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادة نفسه وينهاكم عن عبادة الملائكة والانبياء فيكون عدم الامر في معنى النهي ويراد بالنبيين عزير وعيسى كانه اخرج نفسه
بتلك الدعوى عن زمرة الانبياء. ومن قرأ بالرفع على الاستئناف فظاهر ويعضده قراءة عبد الله بن مسعود ولن يأمركم والضمير فيه على قراءة الرفع
قال الزجاج لله. وقال ابن جريج لمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل لعيسى. وانما خص الملائكة والنبيين بالذكر لان الذين وصفوا بعبادة غير الله منهم لم يحك الا عبادة الملائكة
وعبادة المسيح وعزير. ايأمركم اي البشر وقيل الله بالكفر بعد اذ انتم مسلمون ومعنى الاستفهام الانكار اي انه لا يفعل ذلك قيل وفيه دليل على ان المخاطبين
كانوا مسلمين وهم الذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يسجدوا له. قلت نفع الشيء ابتداء اسهل من دفع نقيضه ثم وضعه فيحتمل ان يكون المراد ما
صح ولا يعقل ان يأمر النبي امته بعبادة نفسه اول ما استنبئ فكيف يعقل ان يأمرهم بذلك بعد الفهم بالاسلام واستنارة باطنهم بنور
الايمان بالله والله ولي التوفيق.

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ
و چون گرفت خدا پیمان پیغمبران را چون که دادم شما را از کتاب و دانش پس آید شما را پیغمبری باور دارنده مر آنچه را با شماست هر آینه ایمان آرید

بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ فَمَنْ تَوَلَّىٰ
بان و هر آینه یاری دهید او را گفت آیا اقرار کردید و فرا گرفتید بر این عهد مرا گفتند اقرار کردیم گفت پس گواه باشید و من با شما از گواهانم پس هر که برگردد

بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ
پس از این پس آن گروه ایشانند فاسقان آیا پس غیر از دین خدا می‌جویند و او را گردن نهاده هر که در آسمانها و زمین است برغبت و اکراه و بسوی او باز گردانیده شوند

قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ
بگو گرویدیم بخدا و آنچه فرستاده شد بر ما و آنچه فرستاده شد بر ابراهیم و اسمعیل و اسحق و یعقوب و فرزندان او و آنچه داده شد موسی و عیسی

وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ
و پیغمبران از پروردگارشان جدائی نمی‌کنیم میان هیچ کس از ایشان و ما او را گردن نهادگانیم و هر که جوید غیر از اسلام دینی پس هرگز پذیرفته نشود از او و او در آخرت

مِنَ الْخَاسِرِينَ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
از زیانکاران چگونه راه نماید خدا گروهی را که کافر شدند پس از ایمانشان و گواهی دادند که پیغمبر حق است و آمد ایشان را حجتها و خدا راه نمی‌نماید

الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ
گروه ستمکاران را آن گروه پاداش ایشان آنست که بر ایشان است لعنت خدا و فرشتگان و مردمان همه جاویدان در آن که سبک کرده نشود از ایشان عذاب

وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا
و نه ایشان مهلت داده شوند مگر آنان که توبه کردند پس از این و صلاح کردند پس بدرستی که خدا آمرزنده مهربان است بدرستی که آنان که کافر شدند پس از ایمانشان پس افزودند

كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا
در کفر پذیرفته نشود توبه‌شان و آن گروه ایشانند گمراهان بدرستی که آنانکه کافر شدند و مردند و ایشان کافران پس قبول کرده نشود از یکی از ایشان پری زمین از طلا

وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ
و اگر چه فدیه دهد بدان آن گروه مر ایشان راست عذاب دردناک و نیست ایشان را یاری دهندگان

القراآت لما بكسر اللام حمزة والخزاز الباقون بفتحها. آتيناكم على صيغة جمع المتكلم ابو جعفر ونافع. الباقون آتيتكم على الوحدة. يبغون بياء الغيبة ويرجعون بتاء الخطاب حفص والمفضل ابو عمرو غير عباس. وقرأ عباس وسهل وحفص بالياء التحتانية فيهما وقرأ يعقوب يبغون بالياء التحتانية يرجعون بالتحتانية مبنيا للفاعل. الباقون بتاء الخطاب فيهما. ملء بالهمزة الارض بغير همز روى النجاري عن ورش وروى الاصفهاني عنه بغير همز فيهما. الباقون بالهمز فيهما.
الوقوف لتنصرنه ط اصري ط اقررنا ط الشاهدين ه الفاسقون ه يرجعون ه منهم ز ج مسلمون ه منه ج لعطف الجملتين الخاسرين ه البينات ط الظالمين ه اجمعين ه لا ينظرون ه لا للاستثناء رحيم ه توبتهم ج الضالون ه افتدى به ط ناصرين ه

التفسير الغرض من هذه الآيات تعديد الاشياء المعروفة عند اهل الكتاب مما يدل على نبوة محمد قطعا لاعذارهم واظهارا لعنادهم من جملتها
اخذ ميثاق النبيين قال الزجاج تقديره واذكر يا محمد في القرآن اذ اخذ الله وقيل واذكروا يا اهل الكتاب واضافة الميثاق الى النبيين اما
ان يكون من اضافة العهد الى المعاهد منهم ومن اضافة العهد الى المعاهد كما تقول ميثاق الله وعهد الله اما الاحتمال الاول فيؤيده ما
يشعر به ظاهر اللفظ من ان آخذ الميثاق هو الله والماخوذ منهم النبيون وهو قول سعيد بن جبير والحسن وطاوس ثم على هذا القول نقل
عن علي انه ما بعث آدم ومن بعده من الانبياء الا اخذ عليه العهد لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه والذي يدل على صحته ما
روي انه قال لقد جئتكم بها بيضاء نقية اما والله لو كان موسى بن عمران حيا لما وسعه الا اتباعي فهذا على سبيل الفرض والتقدير وهو انهم
لو كانوا احياء لوجب عليهم الايمان بمحمد الا ان الميت لا يكون مكلفا وقيل المراد اولاد النبيين وهم بنو اسرائيل على حذف المضاف وامة
النبيين فقد ورد كثيرا في القرآن لفظ النبي ويراد به الامة كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء وقيل النبيون اهل الكتاب فقد وردهم
على زعمهم تهكما بهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب ومنا كان النبيون ويؤكده قراءة ابي وابن مسعود واذ اخذ الله
ميثاق الذين اوتوا الكتاب واما الاحتمال الثاني فالمعنى على ان الانبياء عليهم السلام كانوا ياخذون الميثاق من اممهم بانه اذا بعث محمد
فانه يجب عليهم ان يؤمنوا به ويؤكده انه حكم بانهم ان تولوا كانوا فاسقين وهذا الوصف لا يليق بالانبياء وانما يليق بالامم وروي عن
ابن عباس انه قيل له ان اصحاب عبد الله يقرءون واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ونحن نقرأ واذ اخذ الله ميثاق النبيين فقال
انما اخذ الله ميثاق النبيين على قومهم لما آتيتكم من قرأ بفتح اللام ففيه وجهان احدهما ان ما تكون موصولة واللام للابتداء وخبره لتؤمنن و
اللام فيه جواب القسم المقدر والعائد الى الموصول في آتيتكم محذوف وفي جاءكم ما يدل عليه لما معكم لانه في معنى ما آتيتكم والتقدير للذي
آتيتكموه من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق له والله لتؤمنن به ثانيهما ما اختاره سيبويه وغيره كيلا يفتقر الى تكلف الرابط ان يقال
اخذ الميثاق في معنى الاستحلاف فما هي المتضمنة لمعنى الشرط ثم يحتاج القسم الى الجواب والشرط الى الجزاء وليس ههنا ما يصلح لكل منهما الا
والنصرة فالاصح في هذا المقام ان يجعل المذكور جوابا للقسم ظاهرا ولهذا ادخل اللام والنون المؤكدة في لتؤمنن ولتنصرن وادخل اللام في
الشرط وتسمى موطئة لانها تعين من اول الامر ويمهد ان المذكور هو جواب القسم لا الشرط ثم ان الشرط يكون مستغنيا عنه لان جواب القسم
يسد مسده ومن قرأ بكسر اللام فللتعليل وفيه وجهان احدهما ان يكون ما مصدرية اي اخذ الله ميثاقهم لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب
والحكمة ومجيء رسول الله مصدقا لكم في الاصول لتؤمنن به لان من يؤتى الكتاب والحكمة فان اختصاصه بهذه الفضيلة يوجب عليه تصديق
سائر الانبياء والثاني ان يكون ما موصولة وما بان الرابط كما مر وعن سعيد بن جبير لما بالتشديد بمعنى حين قيل اصله لمن ما اي لمن اجل
ما آتيتكم ادغمت النون في الميم فاجتمعت ثلث ميمات فحذفوا احدها للتخفيف فيؤول المعنى الى قراءة حمزة وفي جميع القراءات قيل لا بد من
اضمار بان يقال واذ اخذ الله ميثاق النبيين فقال مخاطبا لهم لما آتيتكم قلت هذا من باب الالتفات فلا حاجة الى الاضمار قيل واذ اخذنا
او اخذنا لما في اخذ الميثاق من معنى القول ومن العلماء من قدر الاضمار بنوع آخر واستحسنه في التفسير الكبير مع انه متكلف فقال واذ
اخذ الله ميثاق النبيين لتبلغن الناس ما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم ان جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه و
النبيون عام وليس كلهم اصحاب كتاب لكن وصف الكل بوصف شرفهم او الكتاب للذي له الكتاب والحكمة لغيرهم او يجعل الداعي الى الكتاب والى
العمل به كالذي انزل عليه الكتاب ومن للبيان او للتبعيض وقوله ثم جاءكم او الرسول لا يجيء الى النبيين انما يجيء الى الامم معناه في زمانكم وان
كان المراد من النبيين اولادهم او اممهم فلا اشكال والمراد بتصديقه لما معهم موافقته في التوحيد والنبوات واصول الشرائع فاما تفاصيلها وان
وقع الخلاف فيها فذلك في الحقيقة ليس بخلاف لان جميع الانبياء متفقون على ان الحق في زمان موسى ليس الا شرعه وان الحق في زمان محمد
ليس الا شرعه ولو قلنا ان المراد بالرسول هو محمد فالمراد اما ما ذكرنا او ان نعته وصفته واحواله مذكورة في الكتب المتقدمة فكان نفس
مجيئه تصديقا لما كان معهم ثم الظاهر ان المراد بهذا الميثاق هو التوصية بان يؤمنوا بكل رسول يجيء مصدقا لما معهم قيل يحتمل ان يكون الميثاق
اشارة الى ما قرر في عقولهم من الدلائل الدالة على ان الانقياد لامر الله واجب فاذا جاء الرسول فهو انما يكون رسولا عند ظهور المعجزات
الدالة على صدقه فاذا اخبرهم بعد ذلك ان الله امر الخلق بالايمان به عرفوا عند ذلك وجوبه وقيل المراد باخذ الميثاق انه شرح صفاته في
كتب الانبياء المتقدمين فاذا صارت احواله مطابقة لما جاء في الكتب الالهية وجب الانقياد له وانما يصح لو كان المراد بالنبيين اولادهم او
اممهم وميثاق النبيين من الامم او ميثاق الله من النبيين على تقدير كونهم احياء لقوله والله اعلم يحتمل ان يراد بقوله ثم جاءكم النبي في الزمان الثاني
فيكون معنى الآية ان الله تعالى اخذ ميثاقه من كل نبي اوتي كتابا وحكمة ان يؤمن بكل رسول كان قد جاء قبله موافقا لما معه وينصره بان
يظهر حقيته في وقته وانه من عند الله سبحانه وانه موافق له في اصول العقائد وقواعد مكارم الاخلاق ويكون هذه الآية تمهيدا لما يجيء بعد من
قوله قل آمنا بالله الآية قال الله او كل نبي لامته مستفهما بمعنى الامر أأقررتم بالايمان به والنصرة والاقرار في الشرع اخبار عن ثبوت حق سابق وفي اللغة
منقول بهمزة التعدية من قر الشيء يقر اذا ثبت ولزم مكانه واخذتم اي قبلتم على ذلكم اصري عهدي سمي الاخذ بمعنى القبول كثيرا قال تعالى لا يؤخذ منها

مثلا اى لا يقبل و أخذ العهد فانه اى يقبلها سمى العهد اصرا لانه مما يؤصر اى يشد ويعقد ثم بعد المطالبة بالاقرار اكد ذلك بالاشهاد وقال
فاشهدوا اى فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وفي قوله وانا معكم من الشاهدين وانه لا يخفى عليه خافية تذكير لهم وتوكيد عليهم وتحذير من
الرجوع اذا علموا شهادة الله وشهادة بعضهم على بعض وقيل فاشهدوا والخطاب للملائكة وقيل معناه ليجعل كل احد نفسه شاهدا على نفسه
كقوله واشهدهم على انفسهم وقيل بينوا هذا الميثاق للخاص والعام حتى لا يبقى لاحد عذر في الجهل به واصله ان الشاهد هو الذي يبين
صدق الدعوى وقيل استيقنوا وكونوا كالشاهد للشيء المعاين له او يكون خطابا للانبياء بان يكونوا شاهدين على الامم ثم ضم الى التوكيد
الوعيد بقوله فمن تولى بعد ذلك الميثاق وصنوف التوكيد فلم يؤمن ولم ينصره فاولئك هم الفاسقون الخارجون عن دين الله وطاعته ونقض عهد
الميثاق المردة معلوم ثم وبخ من خرج عن دين الله الى غيره بادخال همزة الاستفهام على الفاء العاطفة فقال افغير دين الله يبغون ويحتمل ان
يراد ايتولون فغير دين الله يبغون وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه ترجعون من قرأ بتاء الخطاب فيهما فلان ما قبله خطاب
في اقررتم واخذتم او للالتفات بعد قوله اولئك هم الفاسقون ومن قرأ بياء الغيبة فلرجوع الضمير في الاول الى الفاسقين وفي الثاني الى جميع
المكلفين والاصل افيبغون غير دين الله لان الاستفهام انما يكون على الحوادث الا انه قدم المفعول لانه اهم من حيث ان الانكار الذي هو فائدة همزة
ههنا متوجه الى الدين الباطل وعن ابن عباس ان اهل الكتابين اختصموا الى رسول الله فيما اختلفوا فيه من دين ابرهيم فكل واحد من الفريقين ادعى
انه اولى به فقال كلا الفريقين بريء من دين ابرهيم فقالوا ما نرضى بقضائك ولا ناخذ بدينك فنزلت وعلى هذا يكون الاية كالمنقطعة عما قبلها
ولكن الاستفهام على سبيل الانكار يقتضي تعلقها بما قبلها فالوجه ان هذا الميثاق لما كان مذكورا في كتبهم ولم يكن لكفرهم سبب الا مجرد البغي و
العناد كانوا طالبين دينا غير دين الله فاستنكر ان يفعلوا ذلك وقرن به انهم يعلمون ان المعرض عن دين الله خارج عن قضية العقل
وكيف لا وقد اخلص له تعالى الانقياد وخصص له الخضوع كل من سواه لان كل ما عداه ممكن وكل ممكن فانه لا يوجد الا بايجاده ولا يعدم الا باعدامه
فهو ذليل بين يدي قدرته خاضع لجلال قدرته في طرفي وجوده وعدمه عقلا كان او نفسا او روحا او جسما او جوهرا او عرضا او فاعلا او فعلا او
نظيره الاية ولله يسجد من في السموات والارض فلا سبيل لاحد على الامتناع عن مراده طوعا او كرها وهما مصدران وقعا موقع الحال الا انهما
من جنس الفعل اى طائعين وكارهين كقولك اتاني ركضا اى راكضا ولو قلت اتاني كلاما اى متكلما لم يجز لان الكلام ليس من جنس الاتيان
فالمسلمون الصالحون ينقادون لله طوعا فيما يتعلق بالدين وكرها في غيره من الالام والمكاره التي تخالف طباعهم لانهم لا يمكنهم دفع قضائه وقدره
واما الكافرون فينقادون في الدين كرها اى خوفا من السيف وعند الموت او نزول العذاب عن الحسن الطوع لاهل السموات والكره لاهل
الارض اقول وذلك ان السفلي ينجذب بالطبع الى السفل فحمله نفسه بما يخالف طبعه هو الكره وبلسان الصوفية من شاهد الجمال اسلم طوعا ومن
شاهد الجلال اسلم كرها فليس الاعتبار بذلك الاسلام الفطري بل الاعتبار بهذا الاسلام الكسبي واليه ترجعون اى الى حيث لا مالك سواه
ظاهرا وباطنا وفيه وعيد شديد لمن خالف الدين الحق الى غيره ثم انه سبحانه لما بين اخذ الميثاق على الانبياء في تصديق كل رسول كان قبله
امر النبي بذلك ليعرف منه غاية اذعانه ونهاية استسلامه لما اوجبه التوحيد فقل فقط بناء على ما قلنا واما وجه الجمع امنا فللتشريف امته
بانضمامهم معه في سلك الاخبار عن الايمان او ليعلم ان هذا التكليف ليس من خواصه بل هو لازم لجميع المؤمنين كقوله والمؤمنون كل امن
بالله وملائكته ولاجلال قدر نبيه حيث امر ان يتكلم عن نفسه كما يتكلم العظماء والملوك وقدم الايمان بالله لانه اصل جميع العقائد ثم ذكر الايمان
بما انزل الله اليه لان كتب سائر الانبياء محرفة احوالها الا بالقران المنزل على محمد ثم ذكر الايمان بما انزل على سائر الانبياء اذ لا سبيل الى حصر الكل
وفي ذلك تنبيه على سوء عقيدة اهل الكتاب حيث فرقوا بين الانبياء فصدقوا بعضا وكذبوا بعضا او رمز الى انهم ليسوا من الدين في شيء حيث خالفوا
مقتضى الميثاق ثم ان قلنا انه تعالى اخذ الميثاق على كل نبي ان يؤمن بكل رسول جاء بعده كما ذهب اليه الجمهور في تفسير قوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين
فههنا قد اخذ الميثاق على محمد ان يؤمن بكل رسول كان قبله ولم يؤخذ عليه الميثاق لمن يأتي بعده فيكون في الاية دليل على انه لا نبي بعده
واعلم ان الوحي ينزل من فوق وينتهي الى الرسل فيجوز ان يعدى تارة بعلى كما في هذه الاية وبحرف الانتهاء اخرى كما في البقرة فنطق القران بالاعتبارين
جميعا وقيل عدي هناك بالى لمكان قولوا فان الوحي يأتي الامة بطريق الانتهاء وعدي ههنا بعلى لمكان قل فان الرسول يأتيه الوحي بطريق الاستعلاء
وزيفه في الكشاف بقوله تعالى وانزلنا اليك الكتاب وبقوله امنوا بالذي انزل على الذين امنوا والانصاف ان هذا القائل لم يدع ان هذه
المناسبة يجب اعتبارها في كل موضع وادعى اعتبارها في الموضعين فيصلح هذا للتخصيص والله اعلم ونحن له مسلمون فائدة تقديم الجار
ان يعلم ان هذا الاذعان والايمان والاستسلام لا غرض فيه الا وجه الله دون شيء اخر من طلب المال والجاه بخلاف احبار اليهود الذين يشترون
بايات الله ثمنا قليلا فليسوا من الاسلام في شيء ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه فماذا بعد الحق الا الضلال وهو في الاخرة
من الخاسرين حيث فاته الثواب وحصل مكانه العقاب فالخاسرون هم الكافرون فقط عند اهل السنة ومع اصحاب الكبائر عند المعتزلة
وقد يستدل بهذه الاية على ان الايمان والاسلام واحد اذ لو كان الايمان غير الاسلام لكان غير مقبول لان كل ما هو غير الاسلام ليس بمقبول
عند الله بالاية وقد ذكرنا مرارا ان النزاع لفظي لان الاسلام ان اريد به الانقياد الكلي فلا فرق بينه وبين الايمان كما في هذه الاية وان اريد

لا سبيل الى معرفة

الاقرار

الاقرار باللسان فالفرق بناء على ان الاعتقاد العلمي داخل في مفهوم الايمان وعلى الفرق فيه ورد قوله تعالى قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ثم بين وعيد
من ترك الاسلام فقال كيف يهدي الله واختلف في سبب النزول ففي رواية عن ابن عباس نزلت في يهود قريظة والنضير ومن دان بدينهم كفروا
بالنبي بعد ان كانوا مؤمنين قبل مبعثه وكانوا يشهدون له بالنبوة فلما بعث وجاءهم بالبينات والمعجزات كفروا به بغيا وحسدا وعنادا
ولددا وفي رواية اخرى عنه نزلت في رهط كانوا اسلموا ثم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم اخذوا يتربصون به ريب المنون وكان فيهم من تاب فاستثنى
التائب بقوله الا الذين تابوا وعن مجاهد قال كان الحرث بن سويد قد اسلم وكان مع رسول الله ثم لحق بقومه وكفر فانزل الله هذه
الآيات الى قوله فان الله غفور رحيم فحملها اليه رجل من قومه فقرأها عليه فقال الحرث انك والله ما علمت لصدوق وان رسول الله لاصدق
منك وان الله اصدق الثلثة ثم رجع فاسلم اسلاما حسنا قالت المعتزلة في الآية اصول الاول انها تدل على انه تعالى هدى جميع الخلق الى الدين بمعنى التعريف
ووضع الدلائل والا كان الكافر معذورا ولا يحسن ذمه على الكفر ثم انه حكم بانه لا يهدي هؤلاء الكفار فلا بد من تفسير الهداية بشيء آخر سوى نصب
الدلائل قالوا والمراد بهذه الهداية منع الالطاف التي يؤتيها المؤمنين ثوابا لهم على ايمانهم كقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
وقال والذين اهتدوا زادهم هدى او المعنى لا يهديهم الى الجنة كقوله ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم وقوله يهديهم ربهم بايمانهم تجري من
تحتهم الانهار وقال اهل السنة المراد بالهداية خلق المعرفة وقد جرت سنة الله في دار التكليف في ان كل فعل يقصد العبد الى تحصيله
فان الله يخلقه عقيب قصد العبد فكانه تعالى قال كيف يخلق الله فيهم المعرفة والهداية وهم قصدوا تحصيل الكفر وارادوه وقال اهل التحقيق كيف يهدي
الله اليه قوما احتجبوا بالصفات الانسانية والطبائع الحيوانية عن الاخلاق الربانية قوله وشهدوا عطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل لان معناه
بعد ان آمنوا كقوله تعالى فاصدق واكن ويجوز ان يكون الواو للحال باضمار قد اي كفروا وقد شهدوا ان الرسول حق وكيف ما كان
فمعنى الآية يؤول الى انه تعالى لا يهدي قوما كفروا بعد الايمان وبعد الشهادة بان الرسول حق في نفسه غير باطل لا سيما وقع انكاره بعد ان جاءتهم
الشواهد الدالة على صدقه من القرآن وغيره لكن الشهادة هو الاقرار باللسان فيكون المراد من الايمان هو التصديق بالقلب ليكون المعطوف
مغايرا للمعطوف عليه والله لا يهدي القوم الظالمين الواضعين بالشيء في غير موضعه وذلك ان الخصال الثلث من الايمان والشهادة ومشاهدة
المعجزات توجب مزيد الايمان بالنبي المبعوث في آخر الزمان فالكفر والعناد وحينئذ يدل على ان ظلمة العالم اقبح من ظلم الجاهل ولهذا صرح في آخر
الآية بانه تعالى لا يهديهم بعد ان عرض بذلك في اول الآية ثم اردفه بغاية الوعيد قائلا اولئك جزاؤهم الى قوله ولا هم ينظرون وقد مر مثله في البقرة
وهو تحقيق قول المتكلمين بان العذاب اللاحق بالكافر مضرة خالصة عن شوائب المنافع دائمة غير منقطعة الا الذين تابوا من بعد ذلك الكفر العظيم
ولا يكفي التوبة وحدها حتى يضاف اليها العمل الصالح فلهذا قال واصلحوا اي باطنهم مع الحق بالمراقبات وظاهرهم مع الخلق بالعبادات او اصلحوا
ما كانوا عليه باطلا حتى لو اغتر بطريقتهم المتحيرة مغتر رجع عنها فان الله غفور في الدنيا بالستر رحيم في الآخرة بالعفو او غفور بازالة العقاب
رحيم باعطاء الثواب قوله سبحانه ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا ازدياد الكفر قد يراد به الاصرار على الكفر وقد يراد به ضم كفر
الى كفر وهو المراد في الآية باتفاق عامة المفسرين ثم اختلفوا فقيل انهم اهل الكتاب آمنوا بمحمد قبل مبعثه ثم كفروا به عند المبعث ثم ازدادوا
كفرا بسبب طعنهم فيه في كل وقت وانكارهم لكل معجز يظهر عليه وغير ذلك من تخليطاتهم وتغليطاتهم وقيل ان اليهود كانوا مؤمنين بموسى ثم كفروا
بعيسى والانجيل ثم ازدادوا كفرا بمحمد والقرآن وهذا قول الحسن وقتادة وعطاء وقيل نزلت في الذين ارتدوا وذهبوا الى مكة وازديادهم
الكفر انهم قالوا نقيم بمكة نتربص بمحمد ريب المنون وقيل عزموا على الرجوع الى الاسلام على سبيل النفاق فسمى الله تعالى ذلك النفاق زيادة
في الكفر ثم انه تعالى حكم في الآية الاولى بقبول توبة المرتدين وحكم ههنا في هذه الآية بعدم قبولها وهذا يوهم التناقض والجمهور ثبت بالدليل ان التوبة
بشرطها مقبولة فما معنى قوله لن تقبل توبتهم قال الحسن وقتادة وعطاء المراد بازدياد الكفر اصرارهم عليه فلا يتوبون الا عند حضور الموت
والتوبة حينئذ لا تقبل لقوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن وقيل انه محمول على
ما اذا تابوا باللسان لا عن الاخلاص قال القاضي والقفال وابن الانباري انه من تتمة قوله الا الذين تابوا والمراد انه لو كفر بعد التوبة
الاولى فان التوبة الاولى لا تكون مقبولة وعلى هذا فالمراد ان التوبة من تلك الزيادة لا تكون مقبولة ما لم يتب عن الاصل الذي بني عليه وقد
يحتمل ان يكون لن تقبل توبتهم جعل كناية عن الموت على الكفر كانه قيل ان اليهود والمرتدين المصرين على الكفر مائتون على الكفر لانه
فعلهم من قساوة القلوب المفضية الى الرين والجارة الى الموت على حالة الكفر وفائدة هذه الكناية تصوير كونهم آيسين من الرحمة هذا
اذا خصصنا اليهود والمرتدين بالمصرين اما على تقدير التعميم فنقول انما جعل الموت على الكفر لازما لازديادهم الكفر لان القضية لا تكون
كلية فكم من مرتد او يهودي ازداد الكفر لا بمعنى الاصرار يرجع الى الاسلام ولا يموت على الكفر فالمعنى ان كل لازم للموت على الكفر وهو عدم قبول
التوبة جعل بدل الكلام في معرض الكناية ومن المعلوم انها ذكر اللازم وارادة الملزوم وانه لا بد للعدول من فائدة فيصح ان يبين الفائدة وهي
وجه تعبير العقيب بكلية وهي التغليظ في شان اولئك الفريق من الكفار وابراز حالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة التي هي اغلظ الاحوال
واشدها الا ترى ان الموت على الكفر انما يخاف لاجل اليأس من الرحمة وهذا هو الذي عول عليه في الكشاف والحاصل انه كانه قيل ان اليهود

المرتدين الذين فعلوا ما فعلوا من حتمهم ان لا تقبل توبتهم واولئك هم الضالون الكاملون في الضلال ضلوا في تيه الاوصاف البهيمية ولا السبعية فلم يكادوا يخرجون منها بقدم الانابة واعلم ان الكافرين على ثلثة اقسام احدها الذي يتوب عن الكفر توبة صحيحة مقبولة وهو الذي سيق لاجله الاية التي بعدها الاستثناء وثانيها الذي يتوب توبة فاسدة وهو المذكور في قوله لن تقبل توبتهم على وجه وثالثها الذي يموت على الكفر من غير توبة فذكره في الاية الاخيرة وملاء الشيء قدر ما يملأه ونصبا نصب على التمييز وربما يقال على التفسير ومعناه ان يكون الكلام تاما الا انه يكون مبهما كقولك عندي عشرون فهذا العدد معلوم والمعدود مبهم فاذا قلت درهما فسرت العدد بمعنى انه التمييز فلم يقبل ان يعلم ان الكلام مبني على الشرط والجزاء وادخل الفاء كما في الاية الاولى فلعله قصد التسبيب وفي الاية الاولى الاكتفاء بمجرد الوضع هذا ما قاله النحويون ومنهم صاحب الكشاف وليت شعري انهم لو سئلوا عن تخصيص كل موضع بما خصص به ماذا يجيبون لعل عقيدتهم في امثال هذه المواضع انها من الاشياء المتقلبة وهو وهم والسر في التخصيص هو انه لما قيد في الجملة الثانية انهم قد ماتوا على الكفر زيدت فاء السببية الجزائية تاكيدا للزوم وتغليظا في الوعيد والله اعلم اما الواو في قوله ولو افتدى به فانها تشبه عطف الشيء على نفسه كانه كالمكرر فلهذا كثر اقاويل العلماء فيه فقال الزجاج وابن الانباري انها للعطف والتقدير لو تقرب الى الله بملء الارض ذهبا لم ينفعه ذلك مع كفره ولو افتدى به ايضا لم يقبل منه وقيل انها للبيان التفصيل بعد الاجمال فان اعطاء ملء الارض ذهبا يحتمل الوجوه الكثيرة فنص على نفي القبول بجهة الفدية وقيل ان الملوك قد لا يقبلون الهدية و يقبلون الفدية فاذا لم يقبلوا الفدية كان ذلك غاية الغضب ونهاية السخط فعبر بنفي قبول الفداء عن شدة الغضب فهو محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا وقيل يجوز ان يراد ولو افتدى بمثله كقوله فلو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به والمثل يحذف كثيرا في كلامهم مثل ضربت ضرب زيد اي مثل ضربه ابو يوسف ابو حنيفة تريد مثله كما انه يراد به في نحو قولهم مثلك لا يفعل كذا اي انت لا تفعل ذلك لان المثلين يقوم احدهما مقام الاخر في اغلب الامور فكانا في حكم شيء واحد فان قيل من المعلوم ان الكافر لا يملك يوم القيمة شيئا وبتقدير انه يملك فلا نفع في الذهب فما فائدة هذا الكلام فالجواب انه على سبيل الفرض والتقدير والذهب كناية عن اعز الاشياء والمراد انه لو قدر على اعز الاشياء وفرض ان في بذله نفعا للاخذ فان المبذول في غاية الكثرة لعجز ان يتوسل بذلك الى تخليص نفسه من عذاب الله ثم صرح بعقابهم ونفى من يشفع لهم فقال اولئك لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين قال اهل التحقيق ماتوا اي ماتت قلوبهم اولئك لهم عذاب اليم بموت القلب وفقد المعرفة وما لهم من ناصرين على احياء القلب بنور المعرفة حسبي الله ونعم الوكيل

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتّٰى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَاِنَّ اللّٰهَ بِهٖ عَلِيْمٌ ۞ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيْٓ اِسْرَآءِيْلَ اِلَّا مَا

هرگز نرسید بنیکوی تا آنکه خرج کنید از آنچه دوست میدارید و آنچه خرج کنید از مال پس بدرستی که خدا بآن داناست همه خوردنیها بود حلال مر بنی اسرائیل مگر آنچه

حَرَّمَ اِسْرَآءِيْلُ عَلٰى نَفْسِهٖ مِنْ قَبْلِ اَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرٰىةُ ۗ قُلْ فَاْتُوْا بِالتَّوْرٰىةِ فَاتْلُوْهَآ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ ۞ فَمَنِ افْتَرٰى عَلَى اللّٰهِ الْكَذِبَ

که حرام کرده اسرائیل بر خویشتن از پیش آنکه نازل شود توریة بگو ای محمد بیارید توریة را پس بخوانید آن را اگر بوده باشید راستگویان پس هر که دروغ بندد بر خدا

مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ فَاُولٰٓئِكَ هُمُ الظّٰلِمُوْنَ ۞ قُلْ صَدَقَ اللّٰهُ ۗ فَاتَّبِعُوْا مِلَّةَ اِبْرٰهِيْمَ حَنِيْفًا ۗ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ ۞ اِنَّ اَوَّلَ بَيْتٍ وُّضِعَ

پس از این پس آن گروه ایشانند ستمکاران بگو راست گفت خدا پس پیروی کنید دین ابراهیم را که پاکیزه است و نبود از مشرکان بدرستی که نخست خانه که بنا کرده شد

لِلنَّاسِ لَلَّذِيْ بِبَكَّةَ مُبٰرَكًا وَّهُدًى لِّلْعٰلَمِيْنَ ۞ فِيْهِ اٰيٰتٌۢ بَيِّنٰتٌ مَّقَامُ اِبْرٰهِيْمَ ۚ وَمَنْ دَخَلَهٗ كَانَ اٰمِنًا ۗ وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ

از برای مردم هر آینه آنست که در مکه است با برکت و راه نماینده مر جهانیان را در آن آیات روشن است جای ابراهیم و هر که در آید در آن باشد آسوده و مر خدا راست بر مردم

حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ اِلَيْهِ سَبِيْلًا ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَاِنَّ اللّٰهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعٰلَمِيْنَ ۞ قُلْ يٰٓاَهْلَ الْكِتٰبِ لِمَ تَصُدُّوْنَ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ

قصد خانه کعبه هر که تواند بسوی او راهی و هر که کافر شود پس بدرستی که خدای بی نیاز است از جهانیان بگو ای اهل کتاب چرا باز میدارید از راه خدا

مَنْ اٰمَنَ تَبْغُوْنَهَا عِوَجًا وَّاَنْتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا اللّٰهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُوْنَ ۞ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْٓا اِنْ تُطِيْعُوْا فَرِيْقًا مِّنَ الَّذِيْنَ

آنکه گرویده میطلبید در آن کجی را و شما گواهانید و نیست خدای بی خبر از آنچه میکنید ای زمره آنها که گرویده اید اگر پیروی کنید گروهی را از آنان که

اُوْتُوا الْكِتٰبَ يَرُدُّوْكُمْ بَعْدَ اِيْمَانِكُمْ كٰفِرِيْنَ ۞ وَكَيْفَ تَكْفُرُوْنَ وَاَنْتُمْ تُتْلٰى عَلَيْكُمْ اٰيٰتُ اللّٰهِ وَفِيْكُمْ رَسُوْلُهٗ ۗ وَمَنْ يَّعْتَصِمْ

داده شده اند کتاب را برگردانند شما را پس از ایمان شما کافران و چگونه کافر شوید و حال آنکه خوانده شود بر شما آیات خدا و در شما پیغمبر اوست و هر که دست زند

بِاللّٰهِ فَقَدْ هُدِيَ اِلٰى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ ۞

بدین خدا پس بدرستی که راه نموده شد براه راست

القراءات ان تنزل خفيفا ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب والباقون بالتشديد حج البيت بكسر الحاء يزيد وحمزة وعلي وخلف وحفص عاصم غير ابي بكر وحماد والباقون بفتحها الوقوف الجزء الرابع تحبون ط عليم التورية ط صادقين ط الظالمون ط حنيفا ط المشركين للعالمين ج لان ما بعده يصلح حالا واستئنافا فمقام ابراهيم ج للابتداء مع الواو ولان الامن من الايات امنا ط سبيلا ط العالمين بايات الله قد قيل والوجه الوصل لان الواو للحال تعملون شهداء ط تعملون كافرين رسوله ط للتعجب او الاستفهام الى الشرط مستقيم التفسير انه سبحانه لما ذكر ان الانفاق لا ينفع الكافر البتة علم المؤمنين كيفية الانفاق الذي ينتفعون به في الاخرة وهو الانفاق من احب الاشياء اليهم وههنا لطيفة وهي انه سبحانه وتعالى جمع جوامع خصال الخير في قوله تعالى

وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ الآية وذكر في هذه الآية لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ فالمعنى انكم وان اتيتم بكل الخيرات لم تفوزوا بالبر
خصلة البر او لم تبلغوا حقيقته حتى تكون نفقتكم من الاموال التي تحبونها وتؤثرونها وكان السلف رحمهم الله اذا احبوا شيئا جعلوه
لله يروى انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان حائطي بالمدينة يعني به رحى وهو احب اموالي الي اصدقه فقال صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذاك مال
رابح واني ارى ان تجعلها في الاقربين فقال ابو طلحة افعل يا رسول الله فقسمها في اقاربه وروي انه جعلها بين حسان بن ثابت وابي
كعب وروي ان زيد بن حارثة جاء عند نزول الآية بفرس له كان يحبه جعله في سبيل الله فحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة فوجد زيد في نفسه وقال
انما اردت ان اتصدق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان الله قد قبلها منك وكتب عمر الى ابي موسى الاشعري ان يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم
فتحت مدائن كسرى فلما جاءت اعجبته فقال ان الله تعالى يقول لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ فاعتقها [illegible] منها ونزل بابي ذر
ضيف فقال للراعي ائتني بخير ابلي فجاء بناقة مهزولة فقال خنتني فقال وجدت خير الابل فحلها فذكرت يوم حاجتك اليه فقال ان يوم
حاجتي اليه ليوم اوضع في حفرتي وفي تفسير البر قولان احدهما ما يصير به ابرارا حتى يدخلوا في قوله إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ليكون المراد بالبر ما
يصدر منهم من الاعمال المقبولة المذكورة في قوله وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ وجعلها التقوى لقوله أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ
والثاني الجنة اي تنالوا ثواب البر وقيل المراد بر الله اولياءه واكرامه اياهم من قول الناس برني فلان بكذا وبر فلان لا ينقطع عني
قال تعالى أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا ومن في قوله مِمَّا تُحِبُّونَ للتبعيض [illegible] من المال ويؤيده قراءة عبد الله بن مسعود بعض ما تحبون وفيه
ان انفاق كل المال غير مندوب بل غير جائز لمن يحتاج اليه والمراد بما تحبون قال بعضهم هو نفس المال لقوله تعالى وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ وقيل
هو ما يكون محتاجا اليه كقوله وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وقيل هو اطيب المال وارفعها
كما روي عن ابن عباس ان المراد الزكوة اي حتى تخرجوا زكوة اموالكم ويرد عليه انه لا يجب على المزكي ان يخرج اشرف امواله واكرمها وقال الحسن هو كل
ما انفقه المسلم من ماله يطلب به وجه الله ونقل الواحدي عن مجاهد والكلبي انها منسوخة باية الزكوة وضعف بان ايجاب الزكوة لا ينافي
الترغيب في بذل المحبوب لوجه الله ومن في مِنْ شَيْءٍ للتبيين يعني من اي شيء كان طيب او خبيث فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ فيجازيكم بحسبه يعلم الوجه الذي
لاجله تنفقون من الاخلاص والرياء ثم انه سبحانه بعد تقرير الدلائل الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وبعد توجيه الالزامات الواردة على اهل
الكتاب في هذا الباب اجاب عن شبهة القوم وتقريرها ان من جملتها انهم كانوا يقولون في انكار شرع محمد صلى الله عليه وسلم بناء على انكار النسخ فاورد عليهم
ان الطعام الذي حرمه اسرائيل على نفسه كان حلالا ثم صار حراما عليه وعلى اولاده وهو النسخ ثم ان اليهود لما توجه عليهم هذا السؤال زعموا ان
ذلك كان حراما من لدن آدم ولم يحدث نسخ فامر النبي ان يطالبهم باحضار التورية الزاما لهم وتفضيحا ودلالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان اميا
فامتنع ان يعرف هذه المسئلة الغامضة من علوم التورية الا بخبر من السماء وثانيها ان اليهود قالوا له انك تدعي انك على ملة ابراهيم فكيف
تاكل لحم الابل والبانها وتفتي بحلها مع ان ذلك كان حراما في دين ابراهيم فاجيبوا بان ذلك كان حلالا لابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب الا
ان يعقوب حرمه على نفسه بسبب من الاسباب وبقيت تلك الحرمة في اولاده فانكروا ذلك فامروا بالرجوع الى التورية وثالثها انه لما نزل
قوله تعالى فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وقوله وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ الى غير ذلك من الآيات
الدالة على انه انما حرم عليهم كثير من الاشياء جزاء لهم على بغيهم وظلمهم غاظهم ذلك واشمأزوا وامتعضوا من قبل ان ذلك يقتضي وقوع النسخ
ومن قبل انه يسجل عليهم بالبغي والظلم وغير ذلك من مساويهم فقالوا لسنا باول من حرمت هي عليه وانما هو قديم فنزلت كُلُّ الطَّعَامِ اي
المطعومات كلها لان الكل على العموم وان كان لفظه مفردا سواء قلنا الاسم المفرد المحلى بالالف واللام يفيد العموم او لا والطعام اسم
لكل ما يطعم ويؤكل وعن بعض اصحاب ابي حنيفة انه اسم البر خاصة ويرد عليه ان المستثنى في الآية عن الطعام كان شيئا سوى الحنطة وما يتخذ
منها قال القفال لم يبلغنا انه كانت الميتة مباحة لهم مع انها طعام وكذا القول في الخنزير فيحتمل ان يكون المراد الاطعمة التي كان يدعي اليهود
في وقت نبينا انها كانت محرمة على ابراهيم وعلى هذا يكون اللام في الطعام للعهد لا للاستغراق والحل مصدر كالعز والذل ولذا
استوى فيه الواحد والجمع قال تعالى لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ والوصف بالمصدر يفيد المبالغة واما الذي حرم اسرائيل على نفسه فروى ابن عباس
عن النبي ان يعقوب مرض مرضا شديدا فنذر لئن عافاه الله ليحرمن احب الطعام والشراب اليه وكان احب الطعام والشراب اليه لحمان
الابل والبانها وهذا قول ابي العالية وعطاء ومقاتل وقيل كان به عرق النساء فنذر ان شفاه الله ان لا ياكل شيئا من العروق وجاء
في بعض الروايات ان الذي حرمه على نفسه زوائد الكبد والشحم الا ما على الظهر وههنا سؤال وهو ان التحريم والتحليل خطاب الله تعالى فكيف صار
تحريم يعقوب سببا للحرمة فاجاب المفسرون بان الانبياء اشاروا اليه واجتنابه وفعل ذلك باذن من الله فهو كتحريم الله ابتداء
وايضا لا يبعد ان يكون تحريم الانسان سببا لتحريم الله كالطلاق والعتاق في تحريم المرأة والجارية وايضا الاجتهاد جائز على الانبياء لعموم
فاعتبروا ولقوله في معرض المدح لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ولان الاجتهاد طاعة شاقة فيلزم ان يكون للانبياء منها نصيب وذكرها
سيما ومعارفهم اكثر وعقولهم انور وانهم اعني وتوفيق الله وتسديده معهم اوفر ثم اذا حكموا بحكم بسبب الاجتهاد يحرم على الامة مخالفته

الا تحريم

فرد الله

فى هذا الحكم كان الاجماع اذا انعقد عن الاجتهاد فانه يجرم مخالفته والاظهر ان ذلك التحريم ما كان بالنص لا لتعليل الا ما حرمه الله على
اسرائيل فلما نسب التحريم الى اسرائيل دل على انه باجتهاده كما يقال الشافعى يحلل لحم الخيل وابو حنيفة يحرمه قال الاصم لعل نفسه تتوق الى هذه الانواع
فامتنع من اكلها قهرا للنفس كما يفعله الزهاد فعبر عن ذلك الامتناع بالتحريم وزعم قوم من المتكلمين انه يجوز من الله تعالى ان يقول احكم
فانك لا تحكم الا بالصواب فلعل هذه الواقعة كانت من هذا الباب بقى قوله من قبل ان تنزل التورية ان هذا الاستثناء انما كان
قبل نزول التورية اما بعده فلم يبق كذلك بل حرم الله عليهم انواعا كثيرة بدليل قوله فبظلم من الذين هادوا وحرمنا الى آخر الآية ثم ان القوم
نازعوا رسول الله فى اخباره عن الله تعالى فامروا بالرجوع الى كتابهم كما سبق تقريره فروى انهم لم يجسروا على اخراج التورية فبهتوا فلزمت الحجة
عليهم وظهر اعجاز النبى وصدقه فلهذا قال فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك الذى ظهر من الحجة الباهرة فاولئك هم الظالمون
الواضعون الباطل فى موضع الحق والكذب فى مقام الصدق والعناد فى محل الانصاف ويحتمل ان تكذيبهم وافتراءهم ظلم منهم لانفسهم ولمن
يقتدى بهم من اشياعهم قل صدق الله فى جواب الشبه الثلث وفيه تعريض بتكذيبهم فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وهى التى عليها محمد ومن
تبعه حتى تتخلصوا من اليهودية التى بها فساد دنياكم ودينكم حيث الجأتكم الى تحريف كتاب الله لاغراضكم الفاسدة والزمتكم تحريم الطيبات
التى احلت لابراهيم ولمن يقتدى به وما كان من المشركين وفيه تنبيه على ان محمدا على دين ابراهيم فى الفروع لما ثبت ان الذى حكم بحله حكم
ابراهيم بحله وفى الاصول لان محمدا وابراهيم كليهما لا يدعوان الا الى التوحيد والبراءة عن كل معبود سوى الله تعالى بخلاف اليهود والنصارى
وبخلاف عبدة الاوثان والكواكب قوله سبحانه ان اول بيت وضع للناس قال مجاهد هو جواب عن شبهة اخرى لليهود وذلك انهم قالوا بيت
المقدس افضل من الكعبة لانها مهاجر الانبياء وارض المحشر وقبلة الانبياء فكان تحويل القبلة منه الى الكعبة كالطعن فى نبوة محمد وقيل
ان الآية المتقدمة سبقت لجواز النسخ وان اعظم الامور التى اظهر رسول الله نسخه هو القبلة فذكر عقيب تلك المسئلة ما لاجله حولت القبلة الى
وقيل لما انجر الكلام فى الآية المتقدمة الى قوله فاتبعوا ملة ابراهيم وكان الحج من اعظم شعائر ملته اردفها بفضيلة البيت ليفرع عليها
ايجاب الحج وقيل انهم كل من اليهود والنصارى كانوا على ملة ابراهيم فبين الله تعالى ما يدل على كذبهم من حيث ان حج البيت كان من ملة ابراهيم
واهل الكتاب لا يحجون قالت العلماء الاول هو الفرد السابق فلو قال اول عبد اشتريه فهو حر فلو اشترى عبدين فى المرة الاولى لم يعتق واحد
منهما لفقد قيد الفرد ولو اشترى فى المرة الثانية عبدا واحدا لم يعتق ايضا لفقدان قيد السابق ومعنى كونه موضوعا للناس انه جعل متعبدا لهم
وموضع طاعتهم يتوجهون نحوه من جميع الاقطار وليس كل اول يقتضى ان يكون له ثان فضلا ان يشاركه فى جميع خواصه فلا يلزم
من كونه اول ان يكون بيت المقدس مثلا ثانيا له ولا مشاركا فى وجوب الحج او الاستقبال وغيرهما من الخواص ثم ان كونه اول بيت وضع للناس
يحتمل ان يكون المراد انه اول فى البناء والوضع ويحتمل ان يكون المراد انه اول فى الوضع وان كان متأخرا فى البناء فلا جرم حصل فيه للمفسرين قولان الاول
انه اول فى بنائه ووضعه جميعا روى الواحدى رحمه الله فى البسيط باسناده عن مجاهد انه قال خلق الله هذا البيت قبل ان يخلق شيئا من الارضين
وفى رواية اخرى خلق الله موضع هذا البيت قبل ان يخلق شيئا من الارض وان قواعده لفى الارض السابعة السفلى وروى ايضا عن محمد بن
على بن الحسين عن على بن ابى طالب عن النبى قال ان الله تعالى بعث ملائكة فقال ابنوا لى فى الارض بيتا على مثال البيت المعمور وامر الله تعالى من فى
الارض ان يطوفوا به كما يطوف اهل السماء بالبيت المعمور وهذا كان قبل خلق آدم وقد عدوا من مآثر كعب التفسير عن عبد الله بن عمرو بن مجاهد
والسدى انه اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق الارض والسماء وقد خلقه الله قبل الارض بالفى عام وكان زبدة بيضاء على الماء ثم دحيت الارض
تحته وعن الزهرى قال بلغنى انهم وجدوا فى مقام ابراهيم ثلثة صفوح منها كان فى الصفح الاول انا الله ذو بكة وضعتها يوم وضعت الشمس
والقمر وحففتها بسبعة املاك حنفاء وباركت لاهلها فى اللحم واللبن وفى الثانى انا الله ذو بكة خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمى من وصلها وصلته و
من قطعها قطعته وفى الثالث انا الله ذو بكة خلقت الجن والانس فطوبى لمن كان الخير على يديه وويل لمن كان الشر على يديه وويل لمن كان الشر على
يديه وقد يستدل على صحة هذا القول بما روى انه صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة الا ان الله قد حرم مكة يوم خلق السموات والارض وتحريم مكة لا يمكن الا
بوجودها ولانه تعالى سماها ام القرى وهذا يقتضى سبقها على سائر البقاع ولان تكليف الصلوة كان ثابتا فى اديان جميع الانبياء وانه قال
تعالى فى سورة مريم اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم الى قوله خروا سجدا والسجدة لا بد لها من قبلة فلو كانت قبلتهم
غير الكعبة لم يكن هى اول بيت وضع للناس وهذا خلاف الآية والقول الثانى روى ان النبى سئل عن اول مسجد وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم
بيت المقدس فسئل كم بينهما قال اربعون سنة وعن على ان رجلا قال له هو اول بيت قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه اول بيت وضع للناس
مباركا فيه الهدى والرحمة والبركة واعلم ان الغرض الاصلى من ذكر هذه الاولية بيان الفضيلة وترجيحه على بيت المقدس لا تأثير للاولية فى البناء
فى هذا المقصود وان كان لا يبعد ثبوت تلك الاولية بما رويناه وفى سورة البقرة ايضا من الاخبار والآثار فمن فضائل البيت ان
الآمر ببنائه هو الرب الجليل والمهندس جبرئيل والبانى ابراهيم الخليل والمعين والتلميذ ابنه اسماعيل ومنها انه محل الخاتمة والدعوات ومهبط الخيرات والبركات
ومصعد الصلوات والطاعات ومنها مقام ابراهيم كما يجىء ومنها قلة ما يجتمع من الحصى فى الجمار فانه منذ الف سنة يرمى فى كل سنة خمسمائة

الف انسان كل واحد منهم سبعون حصاة ثم لا يرى هناك الا ما لو اجتمع في سنة واحدة لكان غير كثير وليس الموضع الذي يرمى اليه الجمرات مسيل ماء او مهب
رياح شديدة وقد جاء في الآثار ان من كانت حجته مقبولة رفعت حجارته الى السماء ومنها ان الطيور تترك المرور فوق الكعبة وتنحرف عنها البتة اذا
وصلت الى محاذاتها ومنها ان الحيوانات المتضادة في الطبائع لا يؤذي بعضها بعضا كالكلاب والظباء ومنها ان سكانها لم يخل البتة ان خلا احد
الكعبة عن مكة بالكلية واما بيت المقدس فقد هدمه بختنصر بالكلية وقصة اصحاب الفيل سوف يجيء في موضعها ان شاء الله العزيز ومنها انه
وضعها بواد غير ذي زرع لفوائد منها انه قطع بذلك رجاء اهل حرمه وسدنته عمن سواه حتى لا يتوكلوا الا على الله ومنها انه مع كونه كذلك يجبى اليه ثمرات
كل شيء بدعوة خليله ابراهيم وانه من عظم الآيات ومنها ان لا يسكنها احد من الجبابرة لانهم يميلون الى طيبات الدنيا فينبغي في تلك الموضع المنيف
والمقام الشريف مطهرا عن لوث وجود اهل الهمم الدنية ومنها ان لا يقصدها الناس للتجارة بل يأتون لمحض العبادة والزيارة ومنها انه تعالى
اظهر بذلك شرف الفقر حيث وضع اشرف البيوت في اقل المواضع نصيبا من الدنيا فكانه تعالى يقول جعلت الفقراء في الدنيا اهل البلد الامين
لاجعلهم في الآخرة اهل المقام الامين ومنها انه قيل كما لم يجعل الكعبة الا في موضع خال عن جميع نعم الدنيا فكذا لا يجعل كعبة المعرفة الا
في قلب خال عن محبة الدنيا للذي ببكة للبيت الذي ببكة قال في الكشاف هي علم للبلد الحرام ومكة وبكة لغتان كقولهم النبيط والنميط وامر راتب وراتم وضربة لازم
ولازب مما يتعاقب فيه الميم والباء لتقاربهما في المخرج وقيل مكة البلد وبكة موضع المسجد وفي الصحاح بكة اسم بطن مكة واما اشتقاق بكة فمن
قولهم بكه اذا زحمه وفي خبر عن سعيد بن جبير سميت لانهم يتباكون فيها اي يزدحمون في الطواف وهو قول محمد بن علي الباقر قال يصلي في الحرم المرأة
بين يديه فذهبت اليه فيها فقال انها انما سميت بكة لانه يبك بعضهم بعضا تمر المرأة بين يدي الرجل وهو يصلي والرجل بين يدي المرأة وهي تصلي لا بأس
بذلك في هذا المكان ويؤكده هذا قول من قال ان بكة موضع المسجد لان التطاف هناك يعني الازدحام ولا شك ان بكة غير البيت لان الاية تدل على ان
البيت حاصل في بكة والشيء لا يكون ظرفا لنفسه وقيل سميت بكة لانها تبك اعناق الجبابرة اي تدقها لم يقصدها جبار بسوء الا اندقت عنقه
واما مكة فاشتقاقها من قولك امتك الفصيل ضرع امه اذا امتص ما فيه واستقصى فسميت بذلك لانها تجذب الناس من كل جانب وقطر او لقلة
مائها كان ارضها امتصت ماءها وقيل لان مكة وسط الارض والعيون والمياه تنبع من تحتها فكان الارض كلها تمك من ماء مكة ثم انه تعالى وصف
البيت بكونه مباركا وهدى للعالمين اما انتصابه فعلى الحال من الضمير المستكن في الظرف لان التقدير للذي ببكة هو والعامل فيه معنى الاستقرار
واما معناه فالبركة اما النمو والتزايد في كثرة الخير واما البقاء والدوام وكل شيء ثبت ودام فقد برك ومنه برك البعير اذا وضع صدره على الارض والبركة
شبه الحوض لثبوت الماء فيها تبارك الله ثبت ولم يزل ولا يزال والبيت مبارك لانه يحصل لمن حجه واعتمره وعكف عنده وطاف حوله من الثواب و
تكفير الذنوب قال صلاة في مسجدي هذا افضل من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وقال الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة ولو استحضر العاقل
في نفسه ان الكعبة كالنقطة وصفوف المتوجهين اليها في الصلوات في اقطار الارض واكنافها ولعمري انها غير محصورة كالدوائر المحيطة بالمركز ولا شك
يحصل فيما بين هؤلاء المصلين اشخاص ارواحهم علوية وقلوبهم قدسية واسرارهم نورانية وضمائرهم ربانية ثم علم انه اذا توجهت تلك الارواح الصافية
الى الكعبة المعرفة واستقبلت اجسادهم هذه الكعبة الحسية اتصلت انوار اولئك الارواح بنوره وعظم لمعان الاضواء الروحانية في سره قال القفال
يجوز ان يكون بركته ما ذكر في قوله يجبى اليه ثمرات كل شيء فيكون كقوله الى الارض المقدسة التي باركنا فيها وان فسرت البركة بالدوام فلا شك
انه لا ينفك الكعبة من الطائفين والعاكفين والركع السجود واذا كانت الارض كرة وكل آن يفرض فانه صبح لقوم ظهر لآخرين وعصر لغيرهم او مغرب
او عشاء فلا يخلو الكعبة عن توجه قوم اليها البتة وايضا بقاء الكعبة على هذه الحالة الوفا من السنين دوام واما كونه هدى للعالمين فلانه قبلتهم
ومتعبدهم او لانه يدل على وجود الصانع وصدق محمد بما فيه من الآيات او لانه مجلبة لانه يهدي الى الجنة ومعنى هدى هاديا او ذا هدى قال الزجاج
ويجوز ان يكون محله رفعا اي هو هدى فيه آيات بينات يحتمل ان يراد بها ما عداه من بعض فضائله ويكون قوله مقام ابراهيم غير متعلق
بما قبله فكانه قيل فيه آيات بينات ومع ذلك فهو مقام ابراهيم وموضعه الذي اختاره وتعبد الله فيه وقال الاكثرون الآيات هي بيانه
وتفسيره قوله مقام ابراهيم اما بان يجعل وحده بمنزلة آيات كثيرة لانه معجز رسول وكل معجز ففيه دليل بين على علم الصانع وقدرته وارادته و
حيوته وتعاليه عن مشابهة المحدثات فلقوة هذا الدليل عبر عنه بلفظ الجمع كقوله ان ابراهيم كان امة واما بان يجعل المقام مشتملا على
آيات لان اثر القدم في الصخرة الصماء آية وغوصه فيها الى الكعبين آية والانة بعض الصخر دون بعض آية وابقاؤه هذه الآثار دون آثار سائر
الانبياء آية لابراهيم خاصة وحفظه مع كثرة اعدائه من المشركين واهل الكتاب والملاحدة الوفا من السنين آية قال الزجاج قوله ومن دخله
كان آمنا من تمة التفسير للآيات وهذه الجملة وان كانت من مبتدأ وخبر او من شرط وجزاء الا انه في تقدير مفرد من حيث المعنى فكانه قيل فيه
آيات بينات وامن من دخله كما لو قلت فيه آية بينة من دخله كان آمنا كان معناه فيه آية بينة امن من دخله وهذا التفسير يؤيد تصحيح
على ان الاثنين جمع كما قال الاثنان فما فوقهما جماعة وفي القرآن هذان خصمان اختصموا وقيل ذكر آيتان وطوى ذكر غيرهما دلالة على
تكاثر الآيات كانه قيل فيه آيات بينات مقام ابراهيم وامن من دخله وكثير سواهما ومنه قوله حبب الي من دنياكم ثلث الطيب والنساء
وجعلت قرة عيني في الصلوة ومنهم من تمم الثلاثة فقال مقام ابراهيم وامن من دخله ولله على الناس حج قال المبرد مقام مصدر فلم يجمع

والمراد بمقامات ابرهيم هي ما اقامه من المناسك فالمراد بالآيات شعائر الحج وقرأ ابن عباس وابي ومجاهد وابو جعفر المدني في رواية قتيبة آية
على التوحيد قال في الكشاف وفيه توكيد لكون مقام ابرهيم حدا بيانا واما حد يثبت من دخله فقد مر اختلاف العلماء وفيه في سورة
البقرة في قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا وقيل كان امنا من النار لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من مات في احد الحرمين بعث يوم القيمة
امنا وعنه الحجون والبقيع يؤخذ باطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية الحجون
وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير
حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه
جهنم مسيرة مائتي عام ولله على الناس حج البيت لما ذكر فضائل البيت اردفه بايجاب الحج وفيه لغتان الفتح لغة الحجاز والكسر لغة نجد كالحمل
مصدر كالمدح والذم والذكر والعلم وقيل المكسور اسم العمل والمفتوح مصدر ومحل من استطاع خفض على البدل من الناس والمعنى ولله
على من استطاع من الناس حج البيت قال الفراء ويجوز ان ينوي الاستئناف بمن والجزاء محذوف لدلالة ما قبله عليه والتقدير من استطاع
اليه سبيلا فلله عليه حج البيت قال ابن الانباري يحتمل ان يكون محله رفعا على البيان كانه قيل من الناس الذين عليهم لله حج البيت فقيل
هم من استطاع والضمير في اليه للبيت او للحج واستطاعة السبيل الى الشيء امكان الوصول اليه واحتج اصحاب الشافعي بالاية على ان الكفار مخاطبون
بفروع الشرايع لان الناس يعم المؤمن والكافر وعدم الايمان لا يصلح ان يكون معارضا ومخصصا لهذا العموم لان الدهري مكلف بالايمان
بمحمد مع انه غير حاصل والمحدث مكلف بالصلوة مع ان الوضوء الذي هو شرط صحة الصلوة ليس بحاصل واحتج جمهور المعتزلة بالاية على ان الاستطاعة
قبل الفعل لانها لو كانت مع الفعل لكان من لم يحج لم يكن مستطيعا للحج فلا يتناوله التكليف المذكور وذلك باطل بالاتفاق اجابه الاشاعرة
بان هذا ايضا لازم عليكم لان القادر اما ان يكون مامورا بالفعل قبل حصول الداعي الى الفعل وهو محال لانه تكليف بما لا يطاق او بعد حصوله
وح يكون الفعل واجب الحصول فلا يكون في التكليف به فائدة واذا كانت الاستطاعة منتفية في الحالين وجب ان لا يتوجه التكليف والحق ان
وجوب الفعل بالقدرة والارادة لا ينافي توجه التكليف اليه واعلم ان الحج لا يجب باصل الشرع في العمر الا مرة واحدة لما روي عن ابن عباس قال
خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس ان الله كتب عليكم الحج فقام الاقرع بن حابس فقال افي كل عام يا رسول الله فقال لو قلتها لوجبت
ولو وجبت لم تعملوا بها الحج مرة فمن زاد فتطوع وقد يجب اكثر من مرة واحدة لعارض كالنذر والقضاء ولصحة الحج على الاطلاق شرط واحد هو
الاسلام فلا يصح حج الكافر كصومه وصلوته ولا يشترط فيها التكليف بل يجوز للولي ان يحرم عن المجنون وعن الصبي الذي لا يميز ويحج بهما
لما روي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بامرأة وهي في محفتها فاخذت بعضد صبي كان معها فقالت الهذا حج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ولك اجر وعن جابر
قال حججنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ومعنا النساء والصبيان فلبينا عن الصبيان ورمينا عنهم ولصحة المباشرة شرط زائد على الاسلام وهو التمييز فلا يصح مباشرة
الحج من المجنون والصبي الذي لا يميز كسائر العبادات ويصح من الصبي المميز ان يحرم ويحج باذن الولي ولا يشترط فيها الحرية كسائر العبادات و
لوقوعه عن حجة الاسلام والمعنى فيه ان الحج عبادة عمر لا يتكرر فاعتبر وقوعها في حالة الكمال ولان التكليف تابع للتمييز فشرط هذا الحكم اذن
يعود الى ثلثة الاسلام والتكليف والحرية ولو تكلف الفقير الحج وقع حجه عن الفرض كما لو تحمل الغني خطر الطريق وحج وكما لو تحمل المريض المشقة
وحضر الجمعة ولوجوب حجة الاسلام شرط زائد على الثلثة المذكورة انفا وهو الاستطاعة بالاية والاستطاعة نوعان استطاعة
مباشرة بنفسه واستطاعة تحصيله بغيره النوع الاول يتعلق بامور اربعة احدها الراحلة والناس قسمان احدهما من بينه وبين مكة
مسافة القصر فلا يلزمه الحج الا اذا وجد راحلة سواء كان قادرا على المشي او لم يكن لما روي انه صلى الله عليه وسلم فسر استطاعة السبيل الى الحج بوجود الزاد
والراحلة نعم لو كان قادرا على المشي يستحب له ان لا يترك الحج وعند مالك القوي على المشي يلزمه الحج ويعتبر مع وجدان الراحلة وجدان المحمل
ايضا ان كان لا يستمسك على الراحلة ويلحقه مشقة شديدة ثم العادة جارية بركوب اثنين في المحمل فان وجد مؤنة محمل او شق محمل ووجد
شريكا يجلس في الجانب الاخر لزمه الحج وان لم يجد الشريك فلا القسم الثاني من ليس بينه وبين مكة مسافة القصر فان كان قويا على المشي لزمه الحج
والا فلا يجب في الاصح الراحلة او ما معها من المحمل كما في حق البعيد المراد بوجود الراحلة ان يقدر على تحصيلها ملكا او استيجارا بثمن المثل او باجرة
المثل وكذا في المحمل المتعلق الثاني الزاد وهو ما يحتاج اليه في ذهابه وايابه سواء كان له اهل وعشيرة يرجع اليهم او لا لحب
الوطن من الايمان وكذا الراحلة للذهاب والرجوع فاليد فمن كان ذلك بعد قضاء جميع الديون ورد الودائع ونفقة من يلزمه نفقتهم الى العود
وبعد مؤن النكاح ان خاف العنت وبعد مسكن ودست ثوب يليق به وخادم يحتاج اليه لزمانته او لمنصبه ولو كان له رأس مال يتجر فيه وينفق
من ربحه ولو نقص لبطلت تجارته او كان له مستغلات يرتفع منها نفقته فالاصح عند الائمة انه يكلف بيعها لانه واجد للزاد والراحلة في الحال
ولا عبرة بخوف الفقر في الاستقبال المتعلق الثالث الطريق ويشترط فيه غلبة ظن الامن على النفس من نحو سبع من عدو والامن على المال
من عدو او رصدي وان كان ... والامن على البضع للمرأة بخروج زوج او محرم او نسوة ثقات وفي ركوب البحر غلبة السلامة وفي البر وجود علف
الدابة المتعلق الرابع البدن ويشترط فيه ان يقوى على الاستمساك على الراحلة فان ضعف عن ذلك لمرض او غيره فهو غير مستطيع للمباشرة ولا بد

مع ان شرط صحة الاداء

بلا عذر من قائد وعند ابي حنيفة لا حج عليه ويروى انه يستنيب قالت الائمة لا بد مع الشرائط من امكان السير وهو ان يبقى من الزمان بعد الاستطاعة
ما يمكنه السير فيه الى الحج السير المعهود فان احتاج الى ان يقطع في يوم مرحلتين او اكثر لم يلزمه الحج ولو خرجت الرفقة قبل الوقت الذي جرت عادة
اهل بلده بالخروج فيه لم يلزمه الخروج معهم ووجوب الحج في العمر كالصلاة في وقتها يجوز التراخي فيه اذا دامت الاستطاعة وتحقق الامكان
ولم يحج حتى مات عصى على الاظهر وان كان شابا وقال احمد ومالك وابو حنيفة في رواية انه على الفور حجة الشافعي ان فريضة الحج نزلت سنة
خمس من الهجرة واخره النبي صلى الله عليه وسلم من غير مانع فانه خرج الى مكة سنة سبع لقضاء العمرة ولم يحج وفتح مكة سنة ثمان وبعث ابا بكر اميرا على الحاج سنة
تسع وحج هو سنة عشر وعاش بعدها ثمانين يوما واما النوع الثاني فهو الاستطاعة بالاستنابة فانها جائزة في الحج وان كانت العبادات بعيدة
عن الاستنابة لان المحجوج عنه قد يكون عاجزا عن المباشرة بسبب الموت والكبر او زمانة او مرض لا يرجى زواله عن ابن عباس ان رجلا جاء الى النبي
فقال يا رسول الله ان اختي نذرت ان تحج وماتت قبل ان تحج افاحج عنها فقال لو كان على اختك دين اكنت قاضيه قال نعم قال فاقضوا حق الله
فهو احق بالقضاء وعنه ان امرأة من خثعم قالت يا رسول الله ان فريضة الله على عباده في الحج ادركت ابي شيخا كبيرا لا يستطيع ان يستمسك
على الراحلة افاحج عنه قال نعم وقد يكون الاستنابة بطريق الاستئجار لانه عمل يدخله النيابة فيجري فيه الاستئجار كتفريق الزكوة وعند ابي حنيفة
واحمد لا يجوز ولكن يرزق عليه فلو استأجر كان ثواب النفقة للامر وسقط عنه الخطاب بالحج ويقع الحج عن الحاج والحج بالرزق ان يقول حج عني
واعطيك نفقتك فهذا ايضا جائز عند الشافعي كالاجارة ولكن لا يجوز ان يقول استأجرتك بالنفقة لانها مجهولة والاجرة لا بد ان تكون
معلومة فهذه جملة الكلام في الاستطاعة عند الجمهور وعن الضحاك اذا قدر ان يوجر نفسه فهو مستطيع قيل له في ذلك فقال ان كان لبعضهم
ميراث بمكة اكان يتركه بل كان ينطلق اليه ولو حبوا فكذلك يجب عليه الحج وفي الاية انواع من التوكيد والتغليظ منها قوله ولله على الناس اي حق واجب
لله عليهم لكونه الها فيجب عليهم الانقياد سواء عرفوا وجه الحكمة فيها ام لم يعرفوا فان كثيرا من اعمال الحج تعبد محض ومنها بناء الكلام على الابدال
ليكون تثنية للمراد وتفصيلا بعد الاجمال وايرادا للغرض في صورتين [illegible] الاذهان ومنها ذكر من كفر مكان من لم يحج وفيه من التغليظ
ما فيه ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا ونظيره قوله صلى الله عليه وسلم من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر ومنها الاهتمام
الغني وهو [illegible] الخطب بذكر اسم الله [illegible] ان يقول فانه [illegible] على غاية السخط والخذلان ومنها وضع المظهر مقام المضمر حيث قال
عن العالمين ولم يقل عنه لانه اذا كان غنيا عن كل العالمين فلان يكون غنيا عن ذلك الواحد اولى ومن العلماء من زعم ان هذا الوعيد
عام في كل من كفر ولا تعلق له بما قبله ومنهم من حمله على اعتقاد عدم وجوب الحج ويؤكده ما روي عن سعيد بن المسيب انها نزلت في اليهود فانهم قالوا
الحج الى مكة غير واجب وعن الضحاك لما نزلت اية الحج جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الاديان الستة المسلمين واليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين
فخطبهم وقال ان الله تعالى كتب عليكم الحج فحجوا فامن به المسلمون وكفرت به الملل الخمس قالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزلت ومن كفر ومن الاحاديث
الواردة في تأكيد امر الحج قوله صلى الله عليه وسلم حجوا قبل ان لا تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع في الثالثة وروي حجوا قبل ان لا تحجوا قبل ان يمنع البر جانبه
اي يتعذر عليكم الذهاب الى مكة من جانب البر لعدم الامن او غيره وعن ابن مسعود حجوا هذا البيت قبل ان تنبت في البادية شجرة لا تأكل منها دابة
الا نفقت اي هلكت وعن عمر لو ترك الناس الحج عاما واحدا ما نوظروا اي ما امهلوا [illegible] ثم انه سبحانه لما بين [illegible] اهل الكتاب في الخطاب
فقال قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله التي دلتكم على صدق محمد صلى الله عليه وسلم بعد ظهور البينات و[illegible] الشبهات [illegible] فضيلة الكعبة
ووجوب الحج والله شهيد على ما تعملون فيجازيكم عليه وهذه الحال توجب ان لا يجترءوا على الكفر بآياته لانها على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثم انه تعالى لما
نكر عليهم في ضلالهم وبخهم على اضلالهم فقال لم تصدون عن سبيل الله من امن قال المفسرون وكان صدهم عن سبيل الله القاء الشكوك
والشبهات في قلوب ضعفة المسلمين وانكار ان نعت محمد صلى الله عليه وسلم في كتابهم ومنع من اراد الدخول في الاسلام بجهدهم وكدهم او بتذكير ما كان بينهم
في الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا الى مثله ومحل تبغونها عوجا نصب على الحال او بدل وهو بكسر العين الميل عن الاستواء في كل ما لا
يرى كالدين والقول واما الشيء الذي يرى فيقال فيه عوج بالفتح كالحائط والقناة ولهذا قال الزجاج العوج بالكسر في المعاني وبالفتح في الاعيان
وتبغون بمعنى تطلبون ويقتصر على مفعول واحد اذا لم يكن معها اللام مثل بغيت المال والاجر فان اريد تعديته الى مفعولين زيدت اللام فالتقدير
تبغون لها عوجا كما تقول صدتك ظبيا اي صدت لك ظبيا والضمير في لها للسبيل فانها تذكر وتؤنث والمعنى انكم تلبسون على الناس حتى توهموهم
ان فيها ميلا عن الحق بقولكم ان النسخ يدل على البداء وان شريعة موسى باقية الى الابد وان محمدا ليس بذلك المنعوت في كتابنا او المراد انكم تتعبون انفسكم
في اخفاء الحق وابتغاء ما لا يتأتى لكم من وجود العوج فيما هو اقوم من كل مستقيم ويحتمل ان يكون عوجا حالا بمعنى ذا عوج وذلك انهم كانوا يدعون
انهم على دين الله وسبيله فقيل لهم انكم تبغون سبيل الله ضالين وانتم شهداء انها سبيل الله التي لا يصد عنها الا ضال مضل قال ابن عباس
اي وانتم تشهدون ظهور المعجزات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم او وانتم شهداء بين اهل دينكم عدول يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في عظائم الامور يعني الاحبار
ومن كان كذلك لا يليق بحاله الاصرار على الباطل والكذب والضلال والاضلال ثم وعدهم بقوله وما الله بغافل عما تعملون كقول السيد لعبده وقد
انكر طريقته لا يخفى علي سيرتك لست بغافل عنك وانما ختم الاية الاولى بقوله والله شهيد وهذه بقوله وما الله بغافل لان ذلك فيما

والاضلال

لطهره من الكفر بنبوة محمد ﷺ وهذا ابلغ في نصرته وهو انسب بالاحتمال وان كان الاشهر في تكرير الخطاب الاثنين بقوله يا اهل الكتاب توبيخ
لهم توبيخ لهم على توبيخ بالطف الوجوه واللين لهما لعلهم يتفكرون فينصرفون عن سلوك سبيل الضلال والاضلال عن عكرمة و
زيد بن اسلم وجابر انها نزلت في شاس بن قيس اليهودي كان عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين مر على نفر من الانصار من الاوس و
الخزرج في مجلس لهم يتحدثون فغاظه ذلك حيث تألفوا واجتمعوا بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة وقال ما لنا معهم اذا اجتمعوا
من قرار فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وهو يوم اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس على الخزرج ففعل
وانشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الاشعار فتكلم القوم عند ذلك فتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين اوس بن قيظي
احد بني حارثة من الاوس وجبار بن صخر احد بني سلمة من الخزرج فتقاولا ثم قال احدهما لصاحبه ان شئت والله رددتها الآن جذعة وغضب
الفريقان جميعا وقالوا قد فعلنا السلاح موعدكم الظاهرة وهي حرة فخرجوا اليها وانضمت الاوس والخزرج بعضها الى بعض على دعواهم التي كانوا
عليها في الجاهلية واصطفوا للقتال فنزلت يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين
الى الآيات فجاء النبي ﷺ حتى قام بين الصفين فقرأها ورفع صوته فلما سمعوا صوته ﷺ انصتوا اليه وجعلوا يستمعون فلما فرغ القوا السلاح
وعانق بعضهم بعضا وجثوا يبكون وفي خبر زيد بن اسلم خرج اليهم رسول الله ﷺ فيمن معه من المهاجرين فقال يا معشر المسلمين الله الله ابدعوى الجاهلية
وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم ترجعون الى ما كنتم عليه كفارا الله الله فعرف القوم انها
نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين فانزل الله
عز وجل الآيات قال جابر بن عبد الله ما كان من طالع اكره الينا من رسول الله ﷺ فاومى الينا بيده فكففنا واصلح الله ما بيننا
فما كان شخص احب الينا من رسول الله ﷺ فما رأيت يوما اقبح ولا اوحش اولا واحسن آخرا من ذلك اليوم وكيف تكفرون استفهام
بطريق الانكار والتعجب والتعظيم من ان يتطرق اليكم الكفر والحال ان آيات الله تتلى عليكم على لسان الرسول ﷺ في كل واقعة وبين اظهركم رسوله
يبين لكم كل شبهة ويزيح عنكم كل علة ومع هذين النورين لا يبقى لظلمة الضلال عين ولا اثر فعليكم ان لا تلتفتوا الى قول المخالفين وترجعوا في
ما يعن لكم الى الكتاب والنبي ﷺ قلت اما الكتاب فانه باق على وجه الدهر واما النبي ﷺ فان كان قد مضى الى رحمة الله في الظاهر ولكن نوره باق
بين المؤمنين فكانه باق على ان عترته وورثته يقومون مقامه بحسب الظاهر ولهذا قال اني تارك فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا
كتاب الله وعترتي وقال ان العلماء ورثة الانبياء اللهم اجعلنا ممن نشرتهم بعصمتك وهدايتك وفي هذا بشارة لهذه الامة انهم لا يضلون ابدا الى
يوم القيمة ثم بين ان الكل بعصمة الله وتوفيقه فقال ومن يعتصم بالله يتمسك به ويلتجئ اليه في دفع شرور الكفار فقد هدي الى صراط مستقيم
والاعتصام الاستمساك بالشئ في منع نفسه من الوقوع في آفة ما المعتزلة تشبثوا بجعل الاعتصام بخلق الله هدايته بل قالوا انه بفعل
العبد اولوا الآية بان المراد بالهداية الزيادة في الطاعة المترتبة على اداء الطاعات او المراد الهداية الى الجنة قال في الكشاف فقد هدى اي
فقد حصل له الهدى لا محالة كما تقول اذا جئت فلانا فقد افلحت كان الهدى قد حصل له فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع في قد ظاهر لان المعتصم
بالله متوقع للهدى كما ان قاصد الكريم متوقع للفلاح عنده انتهى وبل لن تنالوا البر وهو صفة الله حتى تنفقوا مما تحبون الآية لا تشابه الكلم وهو انفسكم
ان العرش لا ينال من البر شيئا هو شعلة حتى تنفقوا ما الحبه وهو نفسه كل الطعام كان حلا خلق ثلثة اصناف الملك النوراني العلوي
وغذاؤه الذكر خلق للعبادة والحيوان الظلماني السفلي وغذاؤه الطعام وخلق للخدمة والانسان المركب من القبيلين وغذاؤه روحانية
الذكر وجسمانية الطعام وخلق للمعرفة والخلافة وهذا الصنف على ثلثة اقسام منهم ظالم لنفسه وهو الذي بالغ في غذاء جسمانيته وقصر
عن غذاء روحانيته حتى مات روحه واستولت نفسه اولئك كالانعام بل هم اضل ومنهم مقتصد وهو الذي ساوى طرفاه خلطوا
عملا صالحا وآخر سيئا ومنهم سابق بالخيرات وهو الذي بالغ في غذاء روحانيته وهو الذكر وفرط في غذاء جسمانيته حتى ماتت نفسه
وقويت وحيت روحه اولئك هم خير البرية فكان كل الطعام حلا الا للانسان كالنبيين والائمة الا للانسان السابق بالخيرات على نفسه يموت النفس
وحيوة القلب الا ما حرم اسرائيل الروح من قبل ان ينزل الوحي والالهام كما قبل المجاهدات وورود المشاهدات والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا فمن افترى على الله الكذب بان يدعي انه يهتدي الى الحق من غير جهاد النفس قل صدق الله في قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا فاتبعوا
ملة ابرهيم وكان من ملته انفاق المال على الضيفان وبذل الروح عند الامتحان وتسليم الولد للقربان وما كان من المشركين الذين يعبدون
مع الله خليلا الخلة ان اول بيت وضع للناس بمكة عن العالمين ان انموذج بيت الله في الانسان وهو العالم الصغير القلب
الذي وضع ببكة صدر الانسان مباركا وهدى يهتدي جميع اجزاء وجوده الى الله بيمن وجوده فان النور الالهي اذا وقع في القلب انفسح له وانشرح فبه
يسمع وبه يبصر وبه يعقل وبه ينطق وبه يبطش وبه يمشي وبه يتحرك وبه يسكن فيه آيات بينات يصل بها الطالب الى مطلوبه والقاصد الى مقصوده
منها مقام ابرهيم وهو الخلة التي توصل الخليل الى خليله ومن دخله يعني مقام ابرهيم في البذل للمال والنفس والولد لرضا خليله كان آمنا
من نار القطيعة ومن عذاب الحجاب ثم اخبر عن وجوب زيارة بيت الخليل على الطالب ان استطاع اليه سبيلا وذلك بان وجد شرائط السلوك وامكانه

وآداب الحرم وكان منها الاحرام بالخروج عن الرسوم والعادات والتجرد عن الثياب والمالوفات والتطهر عن الاخلاق المذمومات والتوجه الى الامر والتموات بخلوص النيات وصفاء الطويات ومنها الوقوف بعرفات المعرفة والعكوف على عتبة جبل الرحمة بصدق الالتجاء وحسن العهد والوفاء ومنها الطواف بالخروج عن الاطوار البشرية السبعة بالاطواف السبعة حول الكعبة الربوبية ومنها السعي بين صفاء الصفات ومروة الذات ومنها الحلق بمحو آثار العبودية بموسى الانوار الالهية وقس على هذا سائر المناسك على هذا ومن كفر بعد ان الحق ولا يتعرض لنفحات الالطاف ولا يترقب لجذبات الاعطاف التي توازي عمل الثقلين هي الاستطاعة في الحقيقة فان الله غني عن العالمين لا يستكمل بهم وانما يستكملون منه قل يا اهل الكتاب خطاب معهم بالمنع مع علماء السوء الذين يبيعون دينهم بدنياهم ولا يعملون بما يعلمون فيضلون ويضلون بما العصمة عن الامة يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون ۝ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ۝ ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون ۝ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم ۝ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ۝ واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون ۝ تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين ۝ ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور ۝ كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون ۝ لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون ۝

القراءة حق تقاته بالامالة علي ولا تفرقوا بتشديد التاء البزي وابن فليح الوقوف مسلمون ولا تفرقوا لعطف المتفقين اخوانا ج لاحتمال الواو للحال والاستيناف منها ط تهتدون المنكر ط المفلحون البينات ط عظيم لا لتعلق الظرف بلهم على الاصح وقيل منصوب باضمار اذكر وتسود وجوه ج اسودت وجوههم لان التقدير فيقال لهم اكفرتم تكفرون ففي رحمة الله ط خالدون بالحق ط للعالمين ما في الارض ط الامور وتؤمنون بالله ط خيرا لهم ط الفاسقون قيل لا وقف عليه وفقه كان المعرف لا يتصف بالجملة الا اذى ط والادبار وقفة لان ثم لترتيب الاخبار اي ثم هم لا ينصرون ولو كان عطفا لكان لا ينصرون التفسير انه سبحانه لما حذر المؤمنين اضلال الكفار امرهم في هذه الآيات بمجامع الطاعات ومعاقد الخيرات فاولها لزوم سيرة التقوى عن ابن عباس لما نزلت يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته وهو ان يطاع فلا يعصى طرفة عين وان يشكر فلا يكفر وان يذكر فلا ينسى اوهو القيام بالمواجب كلها والاجتناب عن المحارم باسرها وان لا يأخذه في الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه او الوالدين والاقربين شق ذلك على المسلمين فنزلت فاتقوا الله ما استطعتم والجمهور على انها غير منسوخة لان معنى حق تقاته واجب تقواه كما يحق ان يتقى وهو ان يجتنب جميع معاصيه ومثل هذا لا يجوز ان ينسخ والا كان اباحة لبعض المعاصي لا يجوز ان يراد بقوله حق تقاته ما لا يستطاع من التكاليف كالصادر على سبيل الخطاء والسهو لانه ينافي قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها فعلى هذا لا فرق بين الآيتين ولناصر القول الاول ان يقول ان كنه الالهية غير معلوم للخلق فلا يكون كمال قهره وقدرته وعزته معلوما فلا يحصل الخوف اللائق بذلك فلا يحصل حق الاتقاء واذا كان كذلك فيجوز ان يؤمر بالاتقاء الاغلظ والاخشن ثم ينسخ الاغلظ ويبقى الاخشن ثم نزول هذه بعد قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها ممنوع ولا تموتن الا وانتم مسلمون ليس نهيا عن الموت وانما نهى عن ان يدركهم الموت على خلاف حال الاسلام وقد مر في البقرة مثله ثم انه تعالى عاد وكالاصل لجميع الخيرات وصلاح المعاش والمعاد وهو الاجتماع على التمسك بدين الله والاتفاق على اعلاء كلمته فقال واعتصموا

بحبل الله جميعا حال كونهم مجتمعين بقولهم اعتصمت بحبله يجوز ان يكون تمثيلا لاستظهاره به ووثوقه بحمايته بامتساك المتدلي من مكان مرتفع
بحبل وثيق يأمن انقطاعه لان وجه الشبه صفة غير حقيقية ومنتزع من عدة امور ويجوز ان يكون الحبل استعارة للعهد والاعتصام للوثوق
بالعهد بناء على ان في الكلام تشبيهين ويجوز ان يعرض الاستعارة في الحبل فقط ويكون الاعتصام ترشيحا لها والحاصل ان طريق الحق
دقيق وان الناس عليه كما امروا ان يزل قدمهم عن الجادة فمراده بالحبل ههنا ما يتوسل به الى الثبات على الحق وان كانت عبارات المفسرين مختلفة فعن
ابن عباس هو العهد كما يجيء الا بحبل من الله وحبل من الناس وقيل انه القرآن كما روي عن علي بن ابي طالب عن النبي صلعم انه قال اما انها ستكون
فتنة قيل فما المخرج منها قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو حبل الله المتين وروى ابن مسعود عن النبي صلعم هذا
القرآن حبل الله وعن ابي سعيد الخدري عن النبي صلعم اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتي اهل بيتي
وقيل انه دين الله وقيل طاعة الله وقيل اخلاص التوبة وقيل الجماعة لقوله تعالى عقيب ذلك ولا تفرقوا لان الحق لا يكون الا واحدا وما بعد الحق
الا الضلال ويد الله مع الجماعة وقال ستفترق امتي على نيف وسبعين فرقة الناجي منهم واحد فقيل ومن هم يا رسول الله قال الجماعة
وروي السواد الاعظم وروي ما انا عليه واصحابي وقال لا تجتمع امتي على الضلالة وقد يتمسك بالآية نفاة القياس قالوا الاحكام الشرعية
ان احتيج فيها الى الدلائل اليقينية امتنع الاكتفاء فيها بالقياس وان اقتصر فيها على الدلائل الظنية فالقول بجواز القياس لكل احد يوجب
التفرق والاختلاف وهو ممنوع عنه واجيب بان الدلائل الدالة على وجوب العمل بالقياس مخصصة لعموم قوله ولا تفرقوا ثم انه تعالى ذكرهم نعمته
عليهم وذلك انهم كانوا في الجاهلية بينهم الاحن والبغضاء والحروب المتطاولة فالف بين قلوبهم ببركة الاسلام فصاروا اخوانا في الله متراحمين
متناصحين وذلك ان من كان وجهه الى الدنيا فقلما يخلو من معاداة ومنافسة بسبب الاغراض الدنيوية اما العارف الناظر من الحق الى الخلق
فانه يرى الكل اسيرا في قبضة القضاء فلا يعادي احدا البتة لانه مستبصر بسر الله في القدر فاذا امرهم بوفق ما يصلحه لا بعنف ومعجزة كان حبه لهم
ونظره في الدين وشفقته في طلب اليقين اشد من حب الوالد لولده فكانوا كالاقربين الاخوان بل كجسد واحد كنفس واحدة وقيل ان هذه
الاخوة في النسب وذلك ان الاوس والخزرج كانا اخوين لاب وام وكان بينهما العداوة والحروب بقيا على ذلك مائة وعشرين سنة الى ان اطفأ
الله ذلك بالاسلام والف بينهم برسول الله فذكرهم تعالى تلك النعمة ونبه بالفاء على ان المعاملات الحسنة الجارية فيما بينهم بعد الاسلام انما
حصلت من الله تعالى حيث خلق فيهم تلك الداعية المستلزمة لحصول الفعل قال الكعبي ذلك بالهداية والبيان والتحذير والمعونة والالطاف
لا بخلق الفعل واجيب بان كل هذا كان حاصلا قبل ذلك فاختصاص احد الزمانين بحصول الالفة والمحبة لا بد ان يكون لامر زائد على ما ذكرتم
هذا شرح النعم الدنيوية عليهم ثم ذكرهم النعم الاخروية بقوله وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها وشفا الحفرة وشفتها حرفها
بالتذكير والتانيث وهو من اشفى على الشيء اذا اشرف عليه كانه بلغ شفاه اي حده وطرفه وانقذه واستنقذه خلصه ونجاه والضمير في
منها للحفرة او للنار او للشفا اما لانه في معنى الشفة واما لانه مضاف الى الحفرة وهو بعضها كقوله كما شرقت صدر القناة من الدم قال بعضهم
الشفا اصغر من الشفا وكذلك الضلالة والضلال الذي قال نوح عم ليس بي ضلالة لما قال له قومه انا لنراك في ضلال مبين اي لنراك مستغرقا
من الضلال فكيف الكبير منه ومعنى الآية انكم كنتم مشرفين بكفركم على جهنم تشبيها لها بالحفرة التي فيها النار وتمثيلا لحيوتهم التي يتوقع بعدها
الوقوع في النار بالقعود على حرفها وفيه تنبيه على تحقير مدة الحيوة وانها كانها ليس بين الحيوة وبين الموت المستلزم للوقوع في الحفرة الا
ما بين طرف الشيء وبين ذلك الشيء قالت المعتزلة معنى الانقاذ انه تعالى لطف بهم بالرسول وسائر الالطاف حتى امنوا وقال اهل السنة
جميع الالطاف مشتركة بين المؤمن والكافر فلو كان فاعل الايمان هو العبد لكان العبد هو الذي انقذ نفسه من النار لكن الآية دلت على
ان الله تعالى هو المنقذ فعلم ان افعال العباد بخلق الله تعالى كذلك مثل ذلك البيان البليغ يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ارادة
ان تزدادوا هدى وتكونوا على رجاء هداية والاول قول المعتزلة والثاني لاهل السنة وقد عرفت ما قيل في سورة البقرة ثم رغب المؤمنين الكاملين
في تكميل غيرهم فقال ولتكن منكم امة يدعون الى الخير وهو جنس تحته نوعان الترغيب في فعل ما ينبغي والكف عما لا ينبغي من محرماته ومكروهاته
ثم اتبعه النوعين زيادة في البيان فقال ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واختلفوا في ان كلمة من في قوله منكم للتبيين او للتبعيض
فذهب طائفة الى انها للتبيين لانه ما من مكلف الا ويجب عليه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اما بيده او بلسانه او بقلبه كيف لا وقد وصفهم الله
تعالى بذلك في قوله كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فهذا كقولك لفلان من اولاده جند وللامير من
غلمانه عسكر تريد جميع الاولاد والغلمان لا بعضهم ثم قالوا ان ذلك وان كان واجبا على الكل الا انه متى قام به بعض سقط عن الباقين كسائر
فروض الكفايات وقال الاخرون انها للتبعيض اما لان في القوم من لا يقدر على الدعوة وعلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كالنساء والمرضى
والعاجزين واما لان هذا التكليف مختص بالعلماء الذين يعرفون الخير ما هو والمعروف والمنكر ما هما ويعلمون كيف يرتب الامر في اقامتها
وكيف يباشر فان الجاهل ربما نهى عن معروف وامر بمنكر وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر وقد يغلظ في موضع
اللين ويلين في موضع الغلظة وينكر على من لا يزيده انكاره الا تماديا وايضا فقد اجمعنا على ان ذلك واجب على الكفاية فكان هذا ايجابا

اجابا على البعض الذى يقوم به ثم ان نصب لذلك رجل تعين عليه بحكم الولاية وهو المحتسب واعلم ان الامر بالمعروف على ثلثة اضرب احدها ما يتعلق
بحقوق الله تعالى وهو نوعان احدهما ما يؤمر به الجمع دون الافراد كاقامة الجمعة حيث يجتمع شرائطها فانه ان كانوا عددا يرون انعقاد الجمعة بهم والمحتسب
لا يراه فلا يأمرهم بما لا يجوزه ولا ينهاهم عما يرونه فرضا عليهم ويأمرهم بصلوة العيد الثانى ما يؤمر به الافراد كما اذا اخر بعض الناس الصلوة
عن الوقت فان قال نسيتها حثه على المراقبة ولا يعترض على من اخرها والوقت باق ثانيها ما يتعلق بحقوق الآدميين وينقسم الى عام كالبلد اذا
تعطل الشرب او انهدم سوره او طرقه ابناء السبيل المحتاجون وتركوا معونتهم فان كان فى بيت المال مال لم يؤمر الناس بذلك وان لم يكن
امر ذووا المكنة برعايتها والخاص كمطل المديون الموسر بالدين فالمحتسب يأمره بالخروج عنه اذا استعداه رب الدين وليس له الحبس ثالثها
الحقوق المشتركة كامر الاولياء بانكاح الاكفاء والزام النساء احكام العدد واخذ السادة بحقوق الارقاء وارباب البهائم بتعهدها وان لا
يستعملوها فيما لا تطيق ومن يغير هيئات العبادات كالجهر فى الصلوة السرية وبالعكس او تزيد فى الاذان يمنعه وينكر عليه ومن تصدى
للتدريس والوعظ وهو ليس من اهله ولم يؤمن اغترار الناس به فى تأويل وتحريف فينكر المحتسب عليه ويظهر امره لئلا يغتر به واذا راى رجلا
واقفا مع امرأة فى شارع يطرقه الناس لم ينكر عليه وان كان فى طريق خال فهو موضع ريبة فينكر ويقول ان كانت ذات محرم فصنها عن
مواضع الريب وان كانت اجنبية فخف الله معها فى الخلوة ولا ينكر فى حقوق الآدميين كتعدى الجار فى جدار الجار الا باستعداء صاحب الحق
وينكر على من يطيل الصلوة من ائمة المساجد المطروقة وعلى القضاة اذا حجبوا الخصوم وقصروا فى النظر فى الخصومات والسوقى المختص
بمعاملة النساء يختبر امانته فان ظهرت منه خيانة منع من معاملتهن وبالجملة الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها قول لا اله الا الله
وادناها اماطة الاذى عن الطريق فلينظر الداعى الى الخير فى حال كل مكلف وغير مكلف حتى الصبيان ليتمرنوا والمجانين كيلا يفسدوا وليدعهم
الى ما يليق به متدرجا من الاسهل الى الاصعب فى الامر والانكار كل ذلك ايمانا واحتسابا لا سمعة ورياء ولا لغرض من الاغراض النفسانية
والجسمانية وذلك ان هذه الدعوة منصب النبى وخلفائه الراشدين بعده ومن ههنا ذهب الضحاك الى ان المراد من المذكورين فى هذه الآية
اصحاب رسول الله الذين يتعلمون من الرسول ويعلمون الناس وروى عن النبى من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله فى ارضه
وخليفة رسول الله وخليفة كتابه وعن على افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ومن شنأ الفاسقين وغضب لله
وكفى بقوله تعالى واولئك هم المفلحون اى الاختصاص بالفلاح مدحا لهم وقد يتمسك بهذا فى ان الفاسق ليس له ان يأمر بالمعروف وينهى
عن المنكر لانه ليس من اهل الفلاح واجيب بان هذا ورد على سبيل الغالب فان الظاهر ان الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر لا يشرع فيه الا بعد
اصلاح احوال نفسه لان العاقل يقدم مهم نفسه على مهم الغير فقلما يتفق من يزنى بامرأة ان يأمرها بالمعروف وعنفها لما كشفت عن وجهها قال
بعض العلماء ان ترك ارتكاب المنهى عنه والنهى عن ارتكاب المنهى واجبان على الفاسق فبتركه احد الواجبين لا يسقط عنه الواجب الآخر وعن
بعض السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا وعن الحسن انه سمع مطرف بن عبد الله يقول لا اقول ما لا افعل فقال وايّنا يفعل ما يقول ود
الشيطان لو ظفر بهذه منكم فلا يأمر احد بمعروف ولا ينهى عن منكر والحق فى هذا التقسيم ما قيل : وغير تقى يأمر الناس بالتقى طبيب
يداوى الناس وهو مريض : والقرآن ينعى عليهم لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون أتأمرون الناس
بالبر وتنسون انفسكم : وقد سلف تقريره فى البقرة وعن ابى الدرداء انه سمع صوتا من قبر الم ازل الرسل الم اسمع ابا فلان كذا احب
ما عند الله لكن اتيك اذا خلوت بارزت ربك بالمعاصى ولم تراقبه قوله سبحانه ولا تكونوا كالذين تفرقوا فى النظم وجهان احدهما انه تعالى ذكر فى الآيات
المتقدمة انه بين فى التوراة والانجيل ما يدل على صحة دين الاسلام ثم ان اهل الكتاب حسدا منهم احتالوا لالقاء الشكوك فى تلك النصوص
ثم انجر الكلام الى انه امر المؤمنين بالدعاء الى الخير فختم الكلام بتحذير المؤمنين من مثل فعل اهل الكتاب من القاء الشبهات فى النصوص واستخراج
التأويلات الفاسدة فعلى هذا يكون الآية من تتمة الآيات المتقدمة وثانيهما انه لما امر الامة بالمعروف ونهى عن ضده وكان ذلك مما لا يتم
الا بقدرة على تنفيذه كيف وفى الناس ظلمة ومتغلبون فلا جرم حذر اهل الحق ان يتفرقوا ويختلفوا كيلا يصير ذلك سببا لعجزهم عن القيام
بهذا التكليف فعلى هذا يكون الآية من تتمة الآية السابقة فقط قال بعضهم تفرقوا واختلفوا معناهما واحد وذكرهما للتأكيد وقيل
معناهما مختلف تفرقوا بالعداوة واختلفوا فى الدين او تفرقوا بسبب التأويلات الفاسدة للنصوص واختلفوا بان حاول كل منهم نصرة
قوله او تفرقوا بابدانهم بان صار كل من الاحبار رئيسا فى بلد ثم اختلفوا بان صار كل منهم يدعى انه على الحق وصاحبه على الباطل ولعل الانصاف
ان اكثر علماء الزمان بهذه الصفة فنسأل الله العصمة والسداد واولئك اليهود والنصارى الذين اختلفوا من بعد ما جاءهم الدلالات
الواضحة والنصوص الظاهرة او اولئك الذين اقتفوا آثارهم من مبتدعة هذه الامة لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وفى
تعلق الظرف بقوله لهم فائدتان احدهما ان ذلك العذاب فى هذا اليوم والآخر ان من حكم هذا اليوم ان يبيض بعض الوجوه ويسود بعضها
ونظيره فى القرآن وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه عليها غبرة ترهقها قترة وفى امثال هذه الالوان قولان احدهما
واليه ميل المحصلين ان البياض مجاز عن الفرح والسواد عن الغم وهذا مجاز مستعمل قال تعالى واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو

الحسن بن علي الاسود موجه فقال له رجل يا مسوّد وجوه المؤمنين وتمام الخبر سوف يجيء ان شاء الله في تفسير سورة القدر وبعض الشعراء في الشيب يا باصر القرون سوّدت ويجيء عند بيض الوجوه وسود القرون وثانيهما ان السواد والبياض محمولان على ظاهرهما وهما النور والظلمة اذ الاصل في الالفاظ الحقيقة فمن كان من اهل نور الحق وسم ببياض اللون واسفاره واشراقه وابيضت صحيفته وسعى النور بين يديه وبيمينه ومن كان من اهل ظلمة الباطل وسم بسواد اللون وكمده واسودت صحيفته واحاطت به الظلمة من كل جانب قالوا والحكمة في ذلك ان يعرفهم اهل الموقف فكل صنف فيعظمونهم او يصغرونهم بحسب ذلك ويحصل لهم بسببه مزيد بهجة وسرور او ويل وثبور وايضاً اذا عرف المكلف في الدنيا انه يحصل له في الآخرة احد الحالين ان ادى الطاعات وترك المحرمات تلك في التحقيق فيه ان الهيئات والاخلاق الحميدة انوار والملكات والعادات الذميمة ظلمات وكل منها لا يظهر آثارها كما هي الا بعد المفارقة الى الآخرة انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً واحتج اهل السنة بالآية على ان المكلف اما مؤمن واما كافر وانه ليس ههنا منزلة بين المنزلتين لانه قسم اهل القيامة الى قسمين مبيض الوجوه وهم المؤمنون ومسودها وهم الكافرون لقوله تعالى في آخر الآية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون واعترض القاضي عليه بان عدم ذكر القسم الثالث لا يدل على عدمه وايضاً لفظ وجوه منكرة فيفيد ظن العموم وايضاً المذكور في الآية هم المؤمنون والذين كفروا بعد الايمان ولا شبهة ان الكافر الاصلي من اهل النار مع انه غير داخل تحت هذين القسمين فكذا القول في الفساق والجواب لا يجوز ان يكون المراد ان كل احد اسلم وقت استخراج الذرية من صلب آدم فيكون الخطاب لجميع الكفار وانه جعل موجب العذاب في آخر الآية هو الكفر من حيث انه كفر لا الكفر من حيث انه بعد الايمان فان قيل لم قدم البياض على السواد اولاً وعكس في آخر الجواب بعد تسليم افادة الواو الترتيب انه بدأ بذكر اهل الثواب وختم بهم ايضاً تنبيهاً على ان ارادة الرحمة اكثر من ارادة الغضب كما قال سبقت رحمتي غضبي ولنا في ذلك من رعاية حسن المطلع والمقطع انه فن بديع في الفصاحة وعن المراد هو الذين كفروا بعد ايمانهم قال ابي بن كعب هم جميع الكفار لانهم آمنوا وقت الميثاق ورواه الواحدي في البسيط باسناده عن النبي ﷺ وقيل المراد اكفرتم بعد ما ظهر لكم ما يوجب الايمان وهو ما نصبه الله من الدلائل على التوحيد والنبوة وقال عكرمة والاصم والزجاج انهم اهل الكتاب آمنوا قبل مبعث النبي وكفروا به بعد بعثته قال قتادة انهم المرتدون وقال الحسن هم المنافقون وقيل هم الخوارج الذين قال فيهم رسول الله ﷺ يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية وعن ابي امامة انه رأى رؤوساً منصوبة على درج مسجد دمشق فدمعت عيناه ثم قال كلاب النار هؤلاء شر قتلى تحت اديم السماء وخير قتلى تحت اديم السماء الذين قتلهم هؤلاء فقال له ابو غالب اشيء تقوله برأيك ام شيء سمعته من رسول الله ﷺ قال بل سمعته من رسول الله ولو لم اسمعه الا مرة او مرتين او ثلاثاً حتى عد سبعاً ما حدثتكم قال فما شأنك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من اهل الاسلام فكفروا ثم قرأ هذه الآية ثم اخذ بيده فقال ان بأرضك منهم كثيراً فاعاذك الله منهم هذا ما اخرجه الامام ابو عيسى الترمذي في جامعه ولكن المشهور من مذهب اهل السنة ان الخروج على الامام لا يوجب الكفر البتة والاستفهام في قوله اكفرتم بمعنى الانكار قال القاضي وفيه كذا في قوله بما كنتم تكفرون دليل على ان الكفر منهم لا من الله فالمرجئة فيه دلالة على ان العذاب لا يكون الا للكافر اما قوله ففي رحمة الله فالمراد بها الجنة التي هي محل الرحمة وموقع قوله هم فيها خالدون موقع الاستئناف كأنه قيل كيف يكونون فيها فاجيب بذلك اي لا يظعنون عنها ولا يموتون وفي اقامة الرحمة مقام الجنة دليل على ان العبد وان كثرت طاعته فانه لا يدخل الجنة الا بفضل الله ورحمته وفي اضافة الرحمة الى نفسه وتعليل العذاب بكفرهم والنص على خلود اهل الثواب دون اهل النار وان كانوا مخلدين بآية اخرى اشارات الى ان جانب العفو والمغفرة والرحمة مغلب كيف لا وقد اردفه بقوله تلك الاحكام المذكورة من تحقيق الوعيد والوعد ونقضي ذكرها آيات الله نتلوها عليك متلبسة بالحق والعدل من جزاء المحسن باحسانه وجزاء المسيء باساءته او متلبسة بالمعنى الحق لان معنى المتلو حق وما الله يريد ظلماً للعالمين ولكن مصالح الخلق لا تنتظم الا بتهديد المذنبين واذا حصل التهديد فلا بد من التحقيق دفعاً للكذب عمن هو اصدق القائلين قال الجبائي قوله ظلماً نكرة في سياق النفي فوجب ان لا يريد شيئاً مما يكون ظلماً سواء فرض منه او من العبد على نفسه او على غيره واذا لم يرد لم يفعل اذ لو كان فاعلاً لشيء من الاقسام الثلاثة كان مريداً له هذا خلف فثبت بهذه الآية انه تعالى غير فاعل للظلم وغير فاعل لاعمال العباد اذ من جملتها القبائح وقد بينا انه لا يريدها ثم انه تعالى تمدح بانه لا يريد ذلك والتمدح انما يصح لو صح منه فعل ذلك الشيء وصح منه كونه مريداً له فدلت الآية على انه قادر على الظلم وعلى انه يمتنع من الظلم على سبيل الاختيار والقهر ولهذا قال تعالى ولله ما في السموات وما في الارض وانما لما ذكر انه لا يريد الظلم والقبائح اسند الى نفسه عليه بان فاعل القبيح انما يفعل القبيح للجهل او للعجز او للحاجة وكل ذلك على الله محال لانه مالك لكل ما في السموات وما في الارض بل لكل ما في الوجود وثانيها ان معنى الآية اما ان يكون انه لا يريد ان يظلمهم او انه لا يريد ان يظلم بعضهم بعضاً والاول لا يستقيم على مذهبكم لان من مذهبكم انه تعالى لو عذب البريء من الذنب اشد العذاب لم يكن ظالماً بل كان عادلاً لان الظلم تصرف في ملك الغير وهو تعالى انما يتصرف في ملك نفسه فصدور الظلم منه محال عندكم فلا يلزم منه مدح والثاني ايضاً محال على قولكم لان كل ما يفعله بارادة الله وتكوينه عندكم فثبت انه لا يمكن حمل الآية على وجه صحيح في مذهبكم اجاب اهل السنة من وجهين الاول انه لا يتوقف التمدح بنفي صفة على امكان تصور ذلك الشيء منه بدليل قوله لا تأخذه سنة ولا نوم وهو يطعم ولا يطعم لا يتوقف التمدح بذلك على صحة النوم

ولا كل عليه الثاني انه تعالى لو عذب من ليس بمستحق الظلم لم يكن ظالما لكنه في صورة الظالم وقد يطلق اسم احد المتشابهين على الآخر كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها والحق في هذا المقام ان الظلم وضع الشيء في غير موضعه اذا كان اللطف والقهر من ضروريات صفات الكمال فوضع كل منهما في مظهره يكون وضع الشيء في موضعه فلا يكون ظلما احتجت الاشاعرة بقوله ولله ما في السموات وما في الارض على ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى لانها من جملة ما في السموات وما في الارض اجابت المعتزلة بان قوله لله اضافة فعل كما يقال هذا البناء لفلان يراد انه مملوكه لا انه مفعول له وايضا الآية مسوقة في معرض المدح ولا مدح في نسبة الفواحش والقبائح الى نفسه تعالى فيقال قوله ما في السموات وما في الارض يتناول ما كان ظرفا لهما وذلك من صفات الاجسام لا من صفات الافعال التي هي اعراض وعورض بان الاضافة اضافة فعل لان المؤثر في حصول فعل العبد هو مجموع القدرة والداعية المنتهية الى تخليق الله دفعا للتسلسل والترجيح من غير مرجح قالت الحكماء تقديم السموات في الذكر على الارض دليل على ان جميع الاحوال الارضية مستندة الى الاسباب السماوية ولا شك ان الاحوال السماوية مستندة الى خلقه تعالى وتكوينه فيكون الجبر لازما من هذا الوجه والى الله اي الى حكمه حيث لا مالك سواه ترجع الامور فالاول اشارة الى انه تعالى مبدأ المخلوقات كلها وهذا اشارة الى ان معاد الكل اليه قوله عز من قائل كنتم خير امة في النظم وجهان احدهما انه لما امر المؤمنين بما امرهم ونهاهم عما نهاهم عدل الى طريق آخر يقتضي حملهم على الانقياد والطاعة لان كونهم خير الامم مما يقوي دواعيهم في ان لا تبطلوا على انفسهم هذه المزية وذلك مما يكون بالتزام التكاليف الشرعية وثانيهما انه لما ذكر حال الاشقياء وحال السعداء نبه اولا على ما هو السبب لوعيد الاشقياء بقوله وما الله يريد ظلما للعالمين بمعنى انهم استحقوا ذلك بافعالهم القبيحة ثم نبه على سبب وعد السعداء بقوله كنتم خير امة اي تلك الكرامات والسعادات انما فازوا بها في الآخرة لانهم كانوا في الدنيا خير امة واقول لما انجر الكلام في مخاطبة المؤمنين الى بيان ان كل ما في الوجود ملكه وملكه ابداعا واختراعا وان منتهى الكل اليه تبع ذلك مرتبة هذه الامة ليعلم انها بسابقة العناية الازلية انجعلهم مظهر الالطاف ثم ذكر بعدها رذيلة اهل الكتاب ليعرف انها لوقوعهم في طريق القهر ولا اعتراض لاحد على ما يفعله المالك في ملكه عن عكرمة ومقاتل ان مالك بن الصيف ووهب بن يهودا اليهوديين قالا لابن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى حذيفة ان ديننا خير مما تدعوننا اليه ونحن خير وافضل منكم فانزل الله هذه الآية قال بعض المفسرين كان ههنا تامة وانتصاب خير امة على الحال اي وجدتم والاكثرون على انها ناقصة فقيل لابهام انهم كانوا موصوفين بالخيرية في الزمان الماضي دون ما يستقبل فاجيب بان كان لا يدل على عدم سابق ولا انقطاع طارئ بدليل قوله وكان الله غفورا رحيما وقيل المراد كنتم في علم الله وفي اللوح المحفوظ خير امة او كنتم في الامم قبلكم مذكورين بانكم خير امة كقوله ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل وقال ابو مسلم هذا تابع لقوله فاما الذين ابيضت وجوههم وما بينهما اعتراض والتقدير انه يقال لهم عند الخلود في الجنة كنتم في دنياكم خير امة فلهذا نلتم من الرحمة وبياض الوجه ما نلتم وقال بعضهم لو شاء الله لقال انتم فكان هذا التشريف حاصلا لكلنا ولكنه مخصوص بقوم معينين من اصحاب رسول الله وهم السابقون الاولون ومن صنع مثل صنيعهم وقيل انها زائدة والمعنى انتم خير امة وزيفه ابن الانباري بان الزائد لا يقع في اول الكلام ولا تعمل كقول العرب عبد الله كان قائم وعبد الله قائم كان ولا يقولون كان عبد الله قائم على ان كان زائدة لان البداية بها دليل شدة العناية والملغى لا يكون في محل العناية وقيل انها بمعنى صار اي صرتم خير امة واصل الامة الطائفة المجتمعة على الشيء الواحد فامة محمد هي الطائفة الموصوفة بالايمان به والاقرار بنبوته واذا اطلقت الامة فهي نحو قول العلماء اجمعت الامة في نحو قول العلماء اجمعت الامة وقعت عليهم وقد يقال لكل من جمعتهم دعوته انهم امته الدعوة ولا يطلق عليهم لفظ الامة الا بهذا القيد قال الزجاج ظاهر الخطاب في كنتم مع اصحاب النبي ولكنه عام في حق كل الامة ونظيره كتب عليكم القصاص كتب عليكم الصيام وقوله للناس اما ان يتعلق باخرجت والمعنى كنتم خير الامم المخرجة للناس في جميع الاعصار ومعنى اخراجها انها اظهرت للناس حتى تميزت وعرفت وفصل بينها وبين غيرها واما ان يتعلق بكنتم اي كنتم للناس خير امة ثم بين سبب الخيرية على سبيل الاستئناف بقوله تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم وقد يستدل بالآية على ان اجماع هذه الامة حجة لانها لو لم يحكم بالحق لم تكن خيرا من المبطل ولان اللام في المعروف وفي المنكر للاستغراق فيقتضي كونهم آمرين بكل معروف وناهين عن كل منكر فيكون اجماعهم حقا واما انه من اي وجه يقتضي ذلك كون هذه الامة خير الامم مع ان الصفات الثلاث كانت حاصلة لسائر الامم فذلك ان الامر بالمعروف قد يكون بالقلب وباللسان وباليد واقواها ما يكون بالقتال لانه القاء النفس في خطر القتل واعرف المعروفات الدين الحق والايمان بالتوحيد والنبوة وانكر المنكرات الكفر بالله فكان الجهاد في الدين تحملا لاعظم المضار لغرض ايصال الغير الى اعظم المنافع وتخليصه من اعظم المضار فكان من اعظم العبادات ولما كان امر الجهاد في شرعنا اقوى منه في سائر الشرائع كما قال النبي انا نبي السيف امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فلا جرم صار ذلك موجبا لفضل هذه الامة على سائر الامم وهذا معنى ما روي عن ابن عباس في قوله كنتم خير امة تأمرونهم ان يشهدوا ان لا اله الا الله ويقروا بما انزل الله تقاتلونهم عليه ولا اله الا الله اعظم المعروف والتكذيب انكر المنكر وفائدة القتل على الدين لا ينكره منصف فان اكثرهم يحبون ما الفوه من الاديان الباطلة ولا يتأملون في الدلائل التي تورد عليهم فاذا خوفوا بالقتل دخلوا في دين الحق وكرها الى ان تابعهم مسدحا واما الايمان بالله فلا شك انه في هذه الامة اكمل لانهم امنوا بكل ما يجب

ملك لا اصلع

وجعلهم خير امم

الايمان به من رسول وكتاب وبعث وحساب وثواب وعقاب وغير ذلك ولا يقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض وانما اقتصر في وصف الامة على
الايمان بالله لانه يستلزم الايمان بالنبوة ونحوها لان ما عداه في حكم العدم لا يعتد به في الحقيقة ايمانا ولهذا نوع من اهل الكتاب في قوله ولو آمن اهل الكتاب وانما
قدم الامر بالمعروف على الايمان بالله في الذكر مع ان الايمان مقدم على كل الطاعات لان الاية سيقت لبيان فضل الامر بالمعروف و
تاكد القيام به ولهذا اكد بعد قوله ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف فكانت العناية به اشد فكان تقديمه اهم ولتعلم
ان التكميل افضل من الكمال بنفسه ولهذا استلزم الاول الثاني دون العكس ولان التكميل يتضمن الكمال فكان في تاخير الايمان بالله تكرير
له مرة بالتضمن واخرى بالمطابقة على ان الواو لا يفيد الترتيب فلا تيما وان بني عليه قوله ولو آمن اهل الكتاب اي الايمان مشترك فيه بين الاديان
فلا تتبين فيه الخيرية لكن الاية سيقت لبيان الخيرية وليس ذلك الا لان هذه الامة اقوى في باب الامر بالمعروف فلهذا قدم ثم اتبع ذكر الايمان
بالله ليعلم ان شرط تاثير الامر بالمعروف في الخيرية حاصل ولا يخفى ان هذا الجواب مبني على ان الايمان لا يزيد ولا ينقص وان ايمان اهل
الكتاب معتد به وليس كذلك ولهذا قال تعالى ولو آمن اهل الكتاب يعني ايمانا معتبرا وهو الايمان بالله وبما اثره مما لا بد منه من الامور المعدودة
لكان خيرا لهم لحصلت لهم صفة الخيرية ايضا لانضمامهم في زمرة هذه الامة او لحصل لهم من الرياسة وحظوظ الدنيا ما هو خير مما تركوا
هذا الدين لاجله لان الحاصل على هذا التقدير عزة الاسلام مع العز الذي هم عليه من ابناء الاخرة والاجر ممن بالنظر الى ما هم فيه الا استيفا
بعض الجهلة مع العوام وشيء نذر من الرشي ويعد ذلك الخلود في النار ثم فصل اهل الكتاب على سبيل الاستيناف فقال منهم المؤمنون
كعبد الله بن سلام ورهطه كالنجاشي واصحابه واللام للعهد والسابق واكثرهم الفاسقون الخارجون عن طاعة الله تعالى وعن دينه فيما ذكر
الكفر او مرادفه والمراد انهم ليسوا بعدول في دينهم اي فهم مردودون باتفاق الطوائف كلهم فلا ينبغي ان يقتدى بهم البتة ثم اخبر عن حالهم
وكان كما قال وهو من باب الاعجاز بجملة مستانفة هي لن يضروكم الا اذى اي لن يضروكم ضررا الا ايذاء زائدا اي بقول كطعن في الدين وتهديد وتحريف
نص او القاء شبهة واظهار كلمة الكفر باشراك عزير والمسيح والاذى مصدر كالاسى بمعنى الذاء يؤذيه اذى واذاة واذية والاذى نوع من الضرر
صح استثناؤه منه والتقدير لن يضروكم شيئا من انواع الضرر الا ضررا يسيرا ولهذا تبين ان الاستثناء ليس بمنقطع على ما ظن وان يقاتلوكم
يولوكم الادبار منهزمين ثم لا ينصرون واتما لم يجزم بالعطف على يولوكم لئلا يصير نفي النصر مقيدا بمقاتلتهم بل رفع ليكون نفي النصر
وعدا مطلقا وتكون هذه الجملة معطوفة على جملة الشرط والجزاء كانه قيل اخبركم انهم ان يقاتلوكم ينهزموا ثم اخبركم بان النصر والقوة منتفية
عنهم راسا فلن يستقيم لهم امر البتة ومعنى ثم افادة التراخي في الرتبة لان الاخبار بتسليط الخذلان عليهم ايضا كانوا اعظم من الاخبار بانهزامهم
عند القتال وقد قيل ذهاب اليهود كذلك لكن النصارى لم يوجد لهم قوة وشوكة في ديارهم قلنا هذه الاية مخصوصة باليهود واسباب
النزول تدل على ذلك فكان كالخبر من حال بني قريظة والنضير وبني قينقاع واهل خيبر ولعل المراد نفي النصرة عنهم بعد القتال ولم يوجد
نصراني بهذه الحالة وفي الاية تشجيع للمؤمنين وتثبيت لمن آمن من اهل الكتاب كيلا يلتفتوا الى تضليلاتهم وتحريفاتهم التاويل
اتقوا الله حق تقاته لاهل النهاية وقوله فاتقوا الله ما استطعتم لاهل البداية اي اتقوا عن وجودكم بالله وبوجوده ولا تموتن الا
وانتم مسلمون لا بنفس وجودكم المجازي لان قد سلمتم لتصرفات الاحكام الالهية والجذبات الربانية واستفدتم الوجود الحقيقي وهو البقاء
بالله واعتصموا اهل الاعتصام طائفتان اهل الصورة وهم المتعلقون بالاسباب لان مشربهم الاعمال البر واهل المعنى وهم المنقطعون
عن الاسباب لان مشربهم الاحوال فقيل لهم واعتصموا بالله هو مولاكم مقصودكم او ناصركم ولا تفرقوا في الظاهر وهو مفارقة الجماعة وفي
الباطن وهو الميل الى البدع والاهواء وكنتم على شفا حفرة وهي عداوة بعضكم لبعض وحسدا وتكبرا وهوى لانفسكم فانقذكم منها بالجذبة
والايمان وتاليف القلوب وكذلك مثل ما بين امانة الله من الحرج حتى صاروا اخوانا يبين لكم ايها الطلاب آياته وهي الجذبة الالهية
وتجلى صفات الربوبية ولتكن منكم امة يدعون الى الخير بالافعال دون الاقوال واولئك هم المفلحون من وعيد من يامر بالمعروف ولا
ياتيه يوم تبيض وجوه وتسود وجوه لان الوجوه تحشر على لون القلوب كقوله يوم تبلى السرائر اي يجعل ما في الضمائر على الظواهر اكفرتم بعد
ايمانكم لهم ارباب الطلب السائرين الى الله انقطعوا في بادية النفس واتبعوا على الهوى وارتدوا على اعقابهم القهقرى فذوقوا العذاب في
لان الناس نيام لا يذوقون الم الحرمان والانقطاع والاعراض عن الله فاذا ماتوا انتبهوا وذاقوا وفي رحمة الله في الدنيا بالجمعية والوفا
مع اهل الله هم فيها خالدون في الاخرة ولانه يموت على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه تلك الاحوال آيات الله معجزة نتلوها عليك
بالحق بتطهيرها عن التخييل بالتحقيق وما الله يريد ظلما للعالمين بان يضع السواد والبياض في غير موضعهما كنتم خير امة اخرجت من العدم
الى الوجود مستعدة لقبول كمالية الانسان من جملة الخيرية تخفيف التكليف وضمان التضعيف ومنها عاقبة مطيعهم لشؤم عصيانهم وعفو
عصاة هذه الامة ببركة مطيعهم ومنها انهم لا يعذبون لانتهاز حسنة ومنها شكا منهم الينا وشكرهم لنا اليهم قبل وجودنا ولو آمن اهل
الكتاب يعني علماء السوء لن يضروكم ايها المحققون الا اذى من طريق الانكار والحسد وان يقاتلوكم مناظرة ومخاصمة يولوكم
الادبار من صدق بيانكم ثم لا ينصرون لانكم اهل الحق وحزب الله وان حزب الله هم الغالبون ضرب

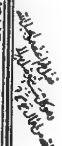

آل عمران

عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّٰهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا

بر ایشان بینوائی این بآنجهت که بودند که کافر شدند بآیات خدا و میکشتند پیغمبران را بدون حقی این بآنجهت که نافرمانی کردند و

يَعْتَدُونَ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّٰهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ

در گذشتند از حد نیستند یکسان از اهل کتاب طائفه که برپا ایستاده بخوانند آیات خدا را در ساعتهای شب و ایشان سجود کنند میگروند

بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ

بخدا و روز واپسین و میفرمایند بنیکوئی و نهی میکنند از بدی و پیشی گیرند در خوبی و آنگروه از نیکانند

وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللّٰهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللّٰهِ

و آنچه میکنند از خوبی پس کافر نشوید آنرا و خدا داناست باحوال پرهیزکاران بدرستی که آنانکه کافر شدند بی نیاز نشوند از مال و نه از اولاد از خدا

شَيْئًا وَأُولٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا

چیزی را و آنگروه یاران آتش اند ایشان در آن جاویدانند مانند آنچه خرج کنند در این زندگانی دنیا چون مانند بادی که در آن

صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّٰهُ وَلٰكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

سرما باشد که برسد بکشت گروهی که ستمکردند بنفسهای خود پس هلاک کرد آنرا و ستم نکرد ایشانرا خدا و لیکن خود را ستم کردند ای آنانکه

آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي

گرویدید فرا مگیرید دوستی یعنی آشنائی که از غیر شماست که تقصیر نکنند در تباهی شما و دوست دارند مشقت شما را بدرستی که آشکار شد عداوت از کلام ایشان و آنچه پنهان است

صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ

در سینهای ایشان بزرگتر است ظاهر کردیم از برای شما آیات را اگر باشید دانشمندان آگاه باشید شما ای گروه دوست دارید ایشانرا و دوست ندارند شما را و ایمان آورید بکتاب

كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللّٰهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ

همه آن و چون ملاقات کنند شما را گویند گرویدیم و چون با هم تنها شوند بگزند بر شما سر انگشتان را از خشم بگو بمیرید بخشم خود بدرستی که خدا داناست بآنچه در

الصُّدُورِ إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ

سینهاست اگر برسد شما را خوبی بد آید ایشان را و اگر برسد شما را بدی شاد شوند بآن و اگر صبر کنید و پرهیز کنید ضرر نرساند شما را کید ایشان

شَيْئًا إِنَّ اللّٰهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ القراءة ويسارعون وبابه بكسر الراء عن ابن عبدوس عن أبي عمرو وطريق الدعبية وأبو عمرو ما

چیزی بدرستی که خدا بآنچه میکنند محیط است يفعلوا فلن يكفروه بياء الغيبة حمزة وعلي وخلف وحفص بوعمرو مخير الباقون بتاء الخطاب تسؤهم

وبابه من كل همزة مجزومة بغير همزة الاعشى واوقية والاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف لا يضركم من الضير ابو عمرو وسهل ويعقوب

ابن كثير ونافع وقرأ المفضل لا يضركم بالفتح الباقون لا يضركم بالضم كلاهما من الضر مجزوم تم حرك للساكنين فالفتح للخفة والضم للاتباع تعملون

محيط بتاء الخطاب سهل الباقون بياء الغيبة الوقوف المسكنة ط بغير حق ط يعتدون قبلا وقف عليه من ضمير ليسوا ليعود اليه ضمير منهم

المؤمنون لبيان الفصل بين الفريقين الذين عصوا واعتدوا العدل الفريقين سواء ط يسجدون قبل لا وقف على جعل يؤمنون حالا

لضمير يسجدون ولا يصح بل الايمان والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ما عنتم ج لاحتمال كون قد بدت حالا اكبر ط تعقلون كله ج للعطف مع

الحذف اي وهم لا يؤمنون بكتابكم آمنا قد قيل والوصل اولى لان المقصود بيان تناقض حاليهم في النفاق من الغيظ ط بغيظكم ط الصدور

تسؤهم للابتداء بشرط آخر والوصل اجوز اذ الغرض تقرير تضاد الحالين منهم يفرحوا بها ط لتناهي وصف الزام لهم وابتداء شرط على المؤمنين

شيئا ط محيط التفسير هذا اخبار عن مستقبلات احوال اليهود المعلومة بالوحي والمعنى ضربت عليهم الذلة والهوان في عامة الاحوال بالقتل

والسبي والنهب اينما وجدوا الا معتصمين او متلبسين اي الا في حال اعتصامهم بحبل من الله وحبل من الناس يعني ذمة الله وذمة المسلمين

فهما في حكم واحد اي لا عز لهم قط الا هذه الواحدة وهي التجاؤهم الى الذمة بقبول الجزية فح يكون دمهم محقونا وماله مصونا وهو نوع من

العزة وقيل حبل الله الاسلام وحبل الناس الذمة فعلى هذا يكون الواو بمعنى او وقيل ذمة الله الجزية المنصوص عليها وذمة الناس

ما يزيد الامام عليها او ينقص بالاجتهاد والناصح ان الاستثناء مفرغ من الموجب نظرا الى المعنى لان ضرب الذلة عليهم معناه لا

تنفك عنهم وباؤ بغضب من الله قيل انه من قولك تبوأ فلان منزله كذا والمعنى مكثوا في غضب الله وسواء قولك حل بهم الغضب وحلوا

بالغضب وضربت عليهم المسكنة عن الحسن ان المراد بها الجزية وانما افردت بالذكر بعد الاستثناء ليعلم انها باقية غير زائلة بعد اعتصامهم بالذمة

وقال الخرون المراد انك لا ترى منهم ملكا قاهرا ولا رئيسا مطاعا لكنهم مستضعفون في جميع البلاد والاكناف يظهرون من انفسهم الفقر

والمدقعة البتة وباقي الاية قد مر تفسيره في البقرة الا انه سبحانه قال في هذا الموضع من هذه السورة وفي النساء الانبياء بغير حق لان جمع

التكسير يفيد التكثير فذكر في الموضعين اعني في البقرة وفي اول السورة ما يبقى من القلة مع ان ذلك موافق لما بعده من جموع السلامة

النفس

كالذين هم اصحاب اليمين وغيرهما ثم تدرج الى ما هو نص في الكثرة في الموضعين الاخيرين نعيا عليهم تقطيعا لشأنهم ولمثل هذا عرف الحق في البقرة
اشارة الى الحق الذي اذن الله ان يقتل النفس به وهو قوله ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ثم نكر في المواضع الباقية اي بغير ما حق اصلا
في نفس الامر ولا بحسب معتقدهم وتدينهم ليسوا سواء كلام تام وما بعده كلام مستأنف للبيان قال الفراء وابن الانباري تقديره من اهل
الكتاب امة قائمة ومنهم امة مذمومة الا انه اضمر ذكر هذا القسم على مذهب العرب من الاكتفاء باحد الضدين لخطورهما بالبال معا غالبا
قال ابو ذؤيب عصاني اليها القلب اني لامرها مطيع فما ادري ارشد طلابها اراد ام غي فاكتفى بذكر الرشد عن ضده وتقول زيد وعبد الله
لا يستويان زيد عاقل ومن ذكي فيغني هذا عن ان يقال وعبد الله ليس كذلك قيل وهو اختيار ابي عبيدة انه مرفوع على لغة
من قال اكلوني البراغيث وهو بدل من الضمير على نحو واسروا النجوى الذين ظلموا والتقدير ليسوا سواء امة قائمة وامة مذمومة وفي
تفسير اهل الكتاب قولان الاول وعليه الجمهور انهم اليهود والنصارى قال ابن عباس ومقاتل لما اسلم عبد الله بن سلام واضرابه قال احبار
اليهود ما امن بمحمد الا شرارنا ولو كانوا من خيارنا لما تركوا دين آبائهم وقالوا لهم لقد خسرتم حين استبدلتم بدينكم دينا غيره فنزلت و
عن عطاء انها نزلت في اربعين من اهل نجران واثنين وثلثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى وصدقوا بمحمد الثاني انهم كل
من اوتي الكتاب من اهل الاديان فعلى هذا يكون المسلمون منهم عن ابن مسعود قال اخر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة صلوة العشاء ثم خرج الى المسجد
فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله في هذه الساعة غيركم وفي رواية فبشر انه لا يصلي هذه
الصلوة احد من اهل الكتاب فانزل الله هذه الايات ليسوا سواء الى قوله والله عليم بالمتقين قال القفال رحمه الله لا يبعد ان يقال اولئك الحاضرون
كانوا نفرا من مؤمني اهل الكتاب فقيل ليس يستوي من اهل الكتاب هؤلاء الذين امنوا بمحمد فاقاموا صلوة العشاء في الساعة التي ينام
فيها غيرهم من اهل الكتاب الذين لم يؤمنوا ولا يبعد ايضا ان يقال المراد كل من امن بمحمد فسماهم الله اهل الكتاب كأنه قيل اولئك الذين سموا
انفسهم باهل الكتاب حالهم وصفتهم تلك الخصال الذميمة والمسلمون الذين سماهم الله تعالى اهل الكتاب حالهم وصفتهم كذا فكيف يستويان
فيكون الغرض من هذه الاية تقرير فضيلة اهل الاسلام تاكيدا لما تقدم من قوله كنتم خير امة كقوله افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا
لا يستوون ثم انه تعالى مدح الامة المذكورة بصفات ثمان الاولى انها قائمة قيل اي في الصلوة وقيل ثابتة على التمسك بالدين الحق ملازمة له
غير مضطربة وقيل اي مستقيمة عادلة من قولك اقمت العود فقام بمعنى استقام وههنا نكتة وهي ان الانسان يدل على ان المسلم قائم بحق العبودية
وقوله قائما بالقسط دل على ان المولى قائم بحق الربوبية وهذه حقيقة قوله اوفوا بعهدي اوف بعهدكم الصفة الثانية يتلون اي امة
قائمة يتلون آيات الله آناء الليل فالتلاوة القراءة واصل الكلمة الاتباع فكان التلاوة هي اتباع اللفظ آيات الله القرآن وقد يراد
بها اصناف مخلوقاته الدالة على صانعها وآناء الليل ساعاته واحدها انى مثل معى وامعاء واني مثل نحي وانحاء الصفة الثالثة وهم يسجدون
يحتمل ان يكون حالا من يتلون كأنهم يقرؤن القرآن في السجدة تخشعا الا ان ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم الا اني نهيت ان اقرأ راكعا وساجدا يأباه
وان يكون كلاما مستقلا اي يقومون تارة ويسجدون اخرى ويبتغون الفضل والرحمة بكل ما يمكن كقوله يبيتون لربهم
سجدا وقياما قال الحسن يريح راسه بقدميه وقدميه براسه وذلك لاحداث النشاط والراحة وان يكون المراد وهم يصلون ويتهجدون والصلوة
تسمى سجدة وركعة وسجودا وركوعا او يراد وهم يخضعون لله كقوله ولله يسجد من في السموات والارض وعلى هذين الاحتمالين لا منع من كونه
حالا الصفة الرابعة يؤمنون بالله واليوم الاخر فالصفات المتقدمة اشارة الى كمال حالهم في القوة العملية وهذه اشارة الى كمالهم
بحسب القوة النظرية فان حاصل المعارف معرفة المبدأ والمعاد ولا يخفى ان غير مؤمني اهل الكتاب ليسوا من القبيلين في شيء
لتحريفهم واعتقاداتهم الفاسدة الخامسة السادسة ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر هما تانك الصفتان اشارة الى انهم فوق
التمام وذلك لسعيهم في تكميل الناقصين بارشادهم الى ما ينبغي ومنعهم عما لا ينبغي وفيه تعريض بعرج الامة المذمومة انهم كانوا مداهنين
وعن سفيان الثوري اذا كان الرجل محببا في جيرانه محمودا عند اخوانه فاعلم انه مداهن الصفة السابعة ويسارعون في الخيرات اي المذكورات
كلها وهي من صفات المدح لان المسارعة في الخير دليل على فرط الرغبة فيه ولانه يعرف فوت التاخير عما دخل وقته قال العجلة من الشيطان
مخصوص بهذه الاية على انها تقيد كلية الحكم لان القضية اهملت لما اكتنفها الامور متفاوتة منها ما يحمد فيه التاخير لكونه مما يحصل على
مهل وتدريج كطلب العلم بخلاف قضاء الفرض ومن اخص انه كان بالسبق ولكونه غير معلوم العاقبة فيقتضي مزيد تدبر وتامل ومنها ما
يحمد فيه التعجيل الصدقة مما ملكنا فلنغتنم هذه الفرصة ولنغتنم فان الفرص تمر مر السحاب قال اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك
وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحيوتك قبل موتك الصفة الثامنة واولئك من الصالحين وذلك
ان الامور مجهول احوالها والعاقبة غير معلومة الا في علم الله فحكم الله عنهم بانهم في سلك الصالحين منذ لك للقصور وتصارى
الجهود ثم شرف الامة الموصوفة بل جميع المكلفين بايصال الجزاء اليهم المنبئ تاكيدا للاخبار عنهم بقوله واولئك من الصالحين فقال وما
تفعلوا من خير فلن تكفروه اي لن تحرموا ثوابه بل يعتدو وضمن الكفر معنى الحرمان لهذا ... الى مفعولين مع ان الاصل فيه التعدية
الى واحد نحو شكر النعمة وكفرها وسمى منع الجزاء كفرا كما سمي ايصال الثواب شكرا في قوله فان الله شاكر عليم ثم ختم الكلام بقوله والله
عليم بالمتقين مع انه عالم بالاشياء بشارة لهم بجزيل الثواب ودلالة على انه لا يفوز عنده بالكرامة الا اهل التقوى وتنبيها على ان التقوى

وعدم

او عدمهم هو معبودهم الحق القادر الغنى الخبير الذى لا غاية لكرمه ولا نهاية لعلمه فما ظنك بمثيب جل شانه ثم بين احوال اهل الشقاء بقوله ان
الذين كفروا الاية وقد سبق تفسير مثله فى اول السورة ثم انه لما بين ان اموال الكفار لا يغنى عنهم شيئا امكن ان يخطر ببال احد ان الذى
ينفقون منه فى وجوه الخيرات لعلهم ينتفعون بذلك فازال ذلك الوهم بقوله مثل ما ينفقون الاية قال اكثر المفسرين واهل اللغة الصر البرد
الشديد وهو منقول عن ابن عباس وقتادة والسدى وابن زيد وفى الصحاح الصر بالكسر برد يضرب النبات والحرث وعلى هذا فمعنى الاية كمثل
ريح فيها برد وذلك ظاهر مجوز فى الكشاف ان يكون الصر صفة ومعناه البارد فيكون موصوفه محذوفا بمعنى صرة فيها صر كما تقول برد بارد
على المبالغة او يكون فى تجريده كما يقال ان لقيت فلانا لقيت به اسدا اى انه اسد وان ضيعنى فلان ففى الله كاف وقيل الصر السموم الحارة وذكر ابن
الانبارى باسناده عن ابن عباس فيها صر قال فيها نار وعلى جميع الاقوال الغرض من التشبيه حاصل سواء كان بردا مهلكا او حرا محرقا فانه
مبطل للحرث فيصح التشبيه وهذا من التشبيه المركب الذى مر ذكره فى اول سورة البقرة ويجوز ان يراد مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك الريح
او مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث والمراد ما كانوا ينفقون من اموالهم فى المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر بين
الناس لا يبتغون بها وجه الله ولهذا قيده بقوله فى هذه الحيوة الدنيا فشبه ذلك بالزرع الذى حسه البرد فصار حطاما وقيل مثل ما
ينفقون يعنى ابا سفيان واصحابه من سفلة اليهود المنفقين على احبارهم فى ايذاء رسول الله وفى جمع العساكر عليه فى كونه مبطلا
لما تواتر قبل ذلك من اعمال البر كمثل ريح فيها صر فى كونه مبطلا للحرث والظاهر ان الضمير فى ينفقون عائد الى جميع الكفار وذلك ان انفاقهم
اما ان يكون لمنافع الدنيا فلا يبقى له اثر فى الاخرة فى حق المسلم فضلا عن الكافر واما ان يكون لمنافع الاخرة فالكفر مانع عن الانتفاع و
لعلهم كانوا ينفقون فى الخيرات نحو بناء الرباطات والقناطر والاحسان الى الضعفاء والارامل يرجون خيرا كثيرا فى المال لكنهم اذا قدموا
الاخرة راوا كفرهم مبطلا لاثار تلك الخيرات فكان كمن زرع وتوقع منه نفعا كثيرا فاصابته جائحة فلا يبقى معه الا الحزن والاسف وقيل
كانوا ينفقون فيما ظنوه خيرا وهو معصية كانفاق الاموال فى ايذاء الرسول وفى تخريب ديار المسلمين ولا يبعد فيه تقييد الاية بحياتهم
فى الدنيا فانهم انفقوا اموالا كثيرة فى تجهيز الجيوش والاغراء على المسلمين وتحملوا المتاعب ثم انقلب الامر عليهم اظهر الله الاسلام واعز اهله
فلم يبق مع الكفار من ذلك الانفاق الا الحيرة والحسرة وقيل المراد بالانفاق ههنا هو جميع اعمالهم التى يرجون الانتفاع بها فى الاخرة كقوله
لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل والمراد جميع الانتفاعات ما فائدة قوله ظلموا انفسهم وعد الاقتصار على قوله اصابت حرث قوم ففى
الغرض تشبيه ما ينفقون بشىء يذهب بالكلية حتى لا يبقى منه اثر ولا عثر وحرث المسلم المطيع ليس كذلك لانه اذا اصابته جائحة فى الدنيا ابدله
خيرا منه فى الدنيا او فى الاخرة فان المسلم مثاب على كل الم يصيبه حتى الشوكة يشاكها اما الذين عصوا الله فاستحقوا الاهلاك ثم عقوبة
لهم فحرثهم هو الذى لا يتصور منه بعد الاهلاك فائدة اصلا ويحتمل ان يراد بالظلم ههنا وضع الزرع فى غير موضعه فان من زرع لا فى
موضعه او فى غير اوانه ثم اصابته الافة كان اولى بان يصير ضائعا والضمير فى وما ظلمهم للمنفقين اى ما ظلمهم بان لم يقبل نفقاتهم ولكنهم
ظلموا انفسهم حيث لم ياتوا بها مستحقة للقبول او لاصحاب الحرث اى ما ظلمهم باهلاك حرثهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا
به العقوبة ثم انه تعالى لما بالغ فى شرح احوال المؤمنين والكافرين شرع فى تحذير المؤمنين من مخالطة الكافرين قال ابن عباس ومجاهد نزلت
فى قوم من المؤمنين كانوا يصافون المنافقين ويواصلون رجالا من اليهود لما كان بينهم من القرابة والصداقة والحلف والجوار والرضاع
فنهاهم الله عن مباطنتهم خوف الفتنة منهم عليهم وبطانة الرجل خاصته وصفيه الذى يفضى اليه بشقوره اى اموره التى لا يطلع عليها الا الخاصة بالقلب
المهملة الواحدة شقر واصله من البطن خلاف الظهر ومنه بطانة الثوب الذى يلى منه الجسد خلاف الظهارة نهاهم عن موادة كل كافر
لان قوله بطانة نكرة فى سياق النفى وقوله من دونكم يتكرر ذلك فهو اما ان يتعلق بلا تتخذوا او يكون صفة لبطانة اى بطانة كائنة من
دونكم مجاوزة لكم والاول اولى لان الغرض ليس هو النهى عن اتخاذ البطانة وانما المقصود النهى عن الاتخاذ من غير ابناء جنسهم واهل
ملتهم بطانة وانهم يقدمون الام والذى ثبتت الاعق من التبيين بقوله ثم ذكر علة النهى فقال لا يالونكم خبالا يقال الا فى الامر
بالوا اذا قصر فيه ثم استعمل معدى الى مفعولين فى قولهم لا آلوك نصحا وجهدا على التضمين اى لا امنعك نصحا والخبال الفساد والنقصان ومنه
رجل مخبول ومخبل ناقص العقل فاسده وقيل خبالا انتصب على التمييز وقيل مصدر فى موضع الحال اى مخبلين لا يتركون جهدهم فى مضرتكم وفسادكم
ودوا ما عنتم اى عنتكم على ان ما مصدرية والعنت الوقوع فى امر شاق ومنه يقال للعظم المجبور اذا اصابه شىء فهاضه قد اعنته والمراد ودوا
وتمنوا ان يضروكم فى دينكم ودنياكم اشد الضرر والحاصل من الجملتين انهم لا يقصرون فى افساد اموركم فان لم يمكنهم ذلك لمانع من خارج فحب ذلك
غير زائل عن قلوبهم قد بدت البغضاء هى شدة البغض كالضراء شدة الضر والافواه جمع الفم واصله فوه بدليل تكسيره كسوط واسواط فحذفت
الهاء تخفيفا واقيمت الميم مقام الواو ولانهما حرفان شفويان وظهور البغضاء من اليهود واضح لفشوهم العداوة وكسرهم عن الانبياء بعد
النعمة فى تكذيبهم النبى والكتاب واما من المنافقين فلانه لا بد لمداهنه من ان ينفلت من لسانه ما يكشف عن نفاقه وخبث طويته
وعن قتادة قد بدت البغضاء لاوليائهم من المنافقين والكفار لاطلاع بعضهم بعضا على ذلك وما تخفى صدورهم اكبر لان فلتات

الملك متناهية وكوا من الصدد ان تكون متناهية ثم بين ان اظهار هذه الاسرار للمؤمنين من غاية العناية وحثهم على اعمال العقل فيه ولولا هذه
النصائح فقال قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون من اهل العقول قبل اذ كنتم تعقلون الفصل بين ما يستحق العدو والولي ثم ان سياق
هذه الجمل يحتمل ان يكون على سبيل تنسيق الصفات للبطانة فكانه قيل لا تتخذوا بطانة غير آلين لكم خبالا وادين عنتكم بادية بغضاؤهم واما قد بينا
فكلام مبتدأ واحسن من ذلك وابلغ ان يكون الجمل مستأنفات كلها على جهة التعليل للنهي كانها فكانه قيل لا تتخذوهم بطانة فقيل لانهم
لا يقصرون فقيل لم يفعلون ذلك فقيل لانهم يودون عنتكم ثم قيل بما اي بم ودادة العنت فقيل قد بدت والله اعلم اما كون هذا التفريق
احسن فلان الجمل المتعاقبة على سبيل التنسيق يتوسط بينها العاطف ولا عاطف ههنا واما كونه ابلغ فلبناء الكلام على السؤال والجواب و
لتقليل اللفظ وتكثير المعنى ولاثبات الدعاوي بالبراهين ولا يخفى جلالة هذه الفوائد ثم استأنف للمخاطبين نوعا آخر من البيان مشتملا
على التوبيخ فقال ها انتم اولاء والخاطئون في موالاة منافقي اهل الكتاب ثم ذيله ببيان الخطأ وهو قوله تحبونهم ولا يحبونكم لانكم تريدون
لهم الاسلام وهو خير الاشياء ويريدون لكم الكفر وهو اقبح الاشياء او تحبونهم لما بينكم وبينهم من الرضاعة والقرابة ولا يحبونكم لاختلاف
الدين او تحبونهم لانهم اظهروا لكم الايمان ولا يحبونكم لتمكن الكفر في باطنهم او تحبونهم لانهم يظهرون لكم محبة الرسول ومحب المحبوب محبوب ولا
يحبونكم لانكم تحبون الرسول وهم يبغضونه ومحب المبغوض مبغوض او تحبونهم فتفشون اليهم اسراركم في امور دينكم ولا يحبونكم لانهم لا يفعلون
مثل ذلك بكم او تحبونهم لانكم لا تريدون وقوعهم في المحن ولا يحبونكم لانهم يتربصون بكم الدوائر والحق ان هذه الاعتبارات وامثالها
لا تكاد تنحصر داخلة في الآية ثم ذكر سببا آخر مما يأبى ان يكون بينهما جامع فقال وتؤمنون بالكتاب كله واضمر قرينه وهو وهم لا يؤمنون
به لان ذكر احد الضدين يغني عن الآخر غالبا والمراد بالكتاب الجنس كقولهم كثر الدرهم في ايدي الناس وفي الكشاف ان الواو في وتؤمنون
للحال واللام في الكتاب للعهد اي لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم كله وفيه توبيخ شديد لانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم ثم ذكر
مضادة اخرى فقال واذا لقوكم قالوا آمنا احدثنا الدخول في الايمان واذا خلوا عضوا او يوصف المغتاظ والنادم بعض الانامل و
البنان والابهام لان هذا الغيظ وهو شدة الغضب لما رأوا من ائتلاف المؤمنين وعلو دينهم وارتفاع شانهم قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم
بان يزداد ما يوجب غيظهم من قوة الاسلام وعز اهله فان ذلك يتضمن ذلهم وخزيهم والحاصل انه امر النبي ان يخبرهم بان الله تعالى ناصر
ان يظهر دين الاسلام على الاديان كلها والمقصود ان كان هذا سبب الغيظ فلا محالة تكونون موتكم على هذا الغيظ ثم ان قوله ان الله
عليم بذات الصدور اي بصواحباتها وهي الخواطر القائمة بالقلب الدواعي والصوارف الموجودة فيه ان كان داخلا في جملة المقولة فمعناه
اخبرهم بما يسرونه من الغيظ وقل لهم ان غيظكم سيزداد الى ان يهلككم او تموتوا عليه وقل لهم ان الله يعلم ما هو اخفى مما تسرونه وهو مضمرات
القلوب فيخفيها وان كان خارجا فالمعنى قل لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من اطلاعي اياك على اسرارهم فاني اعلم ما اضمره الخلائق ولم يظهروه
على السنتهم اصلا ويجوز ان لا يكون ثم امر بالقول لفظا بل امر بان يحدث نفسك بانهم سيهلكون غيظا وحسدا فيكون امرا بطيب النفس وقوة
الرجاء والاستبشار بوعد الله نصره ثم ذكر نوعا آخر من مضادتهم ومعاداتهم فقال ان تمسسكم حسنة اي حسنة كانت من منافع الدنيا
كالصحة والخصب والغنيمة والظفر على الاعداء والايتلاف بين الاحباء تسؤهم ساءه يسوءه نقيض سره يسره وان تصبكم سيئة ضد من
اضداد ما عددنا يفرحوا بها ولم يفرق صاحب الكشاف ههنا بين المس والاصابة بل جعل المعنى واحدا واقول لعله ان يكون المس اقل من الاصابة
وانه دخل في بيان شدة العداوة وذلك ان الحسد لا ينهض لقليل من الخير الا ان يكون هناك كمال البغض والشماتة فلما توجد اذا اصاب
العدو بلية عظيمة كما قيل عند الشدائد تذهب الاحقاد الا ان يكون ثم نهاية الحقد اذا كان حال القوم مع المسلمين في القسمين بالخلاف ذلك
دلك على شدة بغضهم ونهاية حقدهم وعلى هذا فلا يبعد ان يقال التنوين في حسنة للتقليل وفي سيئة للتعظيم وان تصبروا على عداوتهم
وتتقوا ما نهيتم عنه من موالاتهم او وان تصبروا على اوامر الله تعالى وتتقوا محارمه لا يضركم كيدهم وهو احتيال الانسان لايقاع غيره في مكروه
وقال ابن عباس هو العداوة شيئا من الضرر بل كنتم في كنف الله وحفظه وفيه بشارة من الله تعالى للنبي انه سيعان على دفع مكائد الاعداء
بالصبر والتقوى فمن كان لله كان الله له وفي كلام الحكماء اذا اردت ان تكبت من يحسدك فازدد فضلا في نفسك قال بعضهم اذا ما شئت
ارغام الاعادي بلا سيف يسل ولا سنان فزد في مكرماتك فهي اعدى على الاعداء من نوب الزمان ان الله بما تعملون في عداوتكم او بما
تعملون انتم من الصبر والتقوى محيط فيجازي كل احد بما هو اهله التأويل ضربت عليهم ذلة الطمع ومسكنة الحرص الا ان تعصموا بحبل الله
وحبل من الناس يعني متابعة النبي وسيرته ويقتلون الانبياء يميتون سنتهم وسيرهم ليسوا اي العلماء الربانيون والمدعون
فلن تكفروه لانه من تقرب اليه شبرا تقرب اليه ذراعا ثم اخبر عن نفقات اهل الشهوات في استيفاء اللذات الجسمانية بقوله مثل ما ينفقون
في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح هي هواء الهوى فيها صر الشهوة اصابت حرث قوم هو الحرث الروحاني ظلموا انفسهم بابطال الاستعداد
الانساني ثم نهى اهل المحبة عن مباطنة اهل السلو من اهل الحديث فقال لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا لا يقصرون في نكالكم
والاعتراض عليكم والطعن فيكم ودوا من نعيم الدنيا وشبهاتها ما عنتم ما اعتقدوه وتركتموه لدناءة همتهم وعلو همتكم او فرحوا بما قاسيتم

من الجهاد

من الجاهلات التزام الفقر والصبر على المكاره قد بدت البغضاء من أفواههم اعتراضاتهم الفاسدة وما تخفي صدورهم الحاسدة من الغل
والحقد أكبر ها أنتم أولاء تحبونهم محبة الرحمة والشفقة ولا يحبونكم لتناكر الأرواح واختلاف الأشباح وتؤمنون بالكتاب كله بجميع ما في
القرآن من ترك الدنيا وجهاد النفس عليم بذات الصدور بالقلوب التي في الصدور ان تمسسكم حسنة كرامة
من الله وقبول من الخلق سيئة انكار من الجهال وطعن وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

و چون صبح کردی از اهل خود که جای دادی مؤمنان را در جای خود از برای جهاد و خدا شنونده داناست

إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ

چون قصد کردند دو طائفه از شما که سستی کنند و خدا دوست ایشانست و بر خدای پس توکل کنند گروندگان و هر آینه یاری کرد شما را خدا در بدر و شما

أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ

و خوار بودید پس بترسید خدا را شاید که شکر گزارید چون گفتی مؤمنان را که آیا بس نیست شما را که مدد کند شما را پروردگار شما بسه هزار از فرشتگان

مُنْزَلِينَ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ

فرود آمدگان آری اگر صبر کنید و بپرهیزید و بیایند شما را ... مدد کند شما را پروردگار شما به پنج هزار از فرشتگان نشان دار

وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ

و نگردانید آن را خدا مگر مژده برای شما و تا محکم شود دلهای شما بدان و نیست یاری مگر از نزد خدای غالب استوار تا ببرد جانبی از آنها

كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ وَلِلَّهِ

که کافر شدند یا اندوهگین سازد ایشان را پس برگردند نا امید نیست ترا از کار ایشان چیزی تا توبه پذیرد بر ایشان یا عذاب کند ایشان را پس ایشان ستمکارانند و مر خدا راست

مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ القراءة تبوي المؤمنين بغير همز

آنچه در آسمانها و آنچه در زمین است می آمرزد برای آنکه خواهد و عذاب کند آنرا که خواهد و خدا آمرزنده مهربانست

ابو عمرو وغير شجاع ويزيد والأعشى
وحمزة في الوقف منزلين بالتشديد وفتح الزاي ابن عامر الباقون بالتخفيف والفتح مسومين بكسر الواو أبو عمرو وابن كثير وعاصم
وسهل ويعقوب الباقون بفتحها الوقوف للقتال ط عليم لا لأن إذ بدل من إذ غدوت ويتعلق بالوصفين أو بقوله تبوئ أن تفشلا لا لأن الواو للحال وليهما ط
المؤمنون أذلة ج للفاء تشكرون منزلين ط لتمام القول بلى لا لاتحاده مع ما بعده مسومين قلوبكم به ط الحكيم لا لتعلق اللام بمعنى
الفعل في النصر خائبين ج لابتداء الجزء ظالمون وما في الأرض ط من يشاء ط رحيم التفسير إنه سبحانه لما وعدهم النصر على الأعداء إن هم صبروا
واتقوا الخلاف في ذلك أنهم لم يصبروا أتبعه قوله وإذ غدوت من أهلك ثم قوله ولقد نصركم الله ببدر يعني أنهم يوم أحد كانوا كثيرين مستعدين
للقتال فلما خالفوا أمر الرسول انهزموا ويوم بدر كانوا قليلين غير مستعدين لكنهم أطاعوا أمر الرسول فغلبوا واستولوا على
خصومهم ووجه آخر في النظم وهو أن الانكسار يوم أحد إنما حصل بسبب تخلف عبد الله بن أبي بن سلول المنافق وذلك يدل على أنه
لا يجوز اتخاذ المنافقين بطانة قال أبو مسلم هذا كلام معطوف بالواو على قوله قد كان لكم آية في فئتين التقتا أي قد كان لكم مثل تلك
الآية إذ غدا الرسول يبوئ المؤمنين والجمهور على أنه منصوب بإضمار اذكر عن الحسن أن هذا الغدو كان يوم بدر وعن مجاهد أنه يوم الأحزاب
وأكثر العلماء بالمغازي على أن هذه الآية نزلت في واقعة أحد وهو قول ابن عباس والسدي وابن إسحق والربيع والأصم وأبي مسلم روي أن المشركين
نزلوا بأحد يوم الأربعاء فاستشار رسول الله ص أصحابه ودعا عبد الله بن أبي ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبد الله وأكثر الأنصار
يا رسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج إليهم فوالله ما خرجنا منها إلى عدو قط إلا أصاب منا ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه فكيف وأنت
فينا فدعهم فإن أقاموا أقاموا بشر محبس وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وإن رجعوا رجعوا خائبين
وقال بعضهم يا رسول الله اخرج بنا إلى هؤلاء الأكلب لا يرون أنا جبنا عنهم فقال ص إني رأيت في منامي بقرا مذبوحة حولي فأولتها خيرا
ورأيت في ذباب سيفي ثلما فأولته هزيمة ورأيت كأني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة فتدعوهم
فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر وأكرمهم الله بالشهادة يوم أحد اخرج بنا إلى أعدائنا فلم يزالوا به ص حتى دخل فلبس لأمته فلما رأوه
قد لبس لأمته ندموا وقالوا بئسما صنعنا نشير على رسول الله ص والوحي يأتيه فقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال لا ينبغي لنبي أن
يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلوة الجمعة من المدينة وقالوا من منزل عائشة وهو المراد بقوله من أهلك عن مجاهد
والواقدي أنه مشى على رجليه إلى أحد وأصبح بالشعب منها يوم السبت للنصف من شوال فجعل يصف أصحابه للقتال كأنما يقوم بهم القدح إن
رأى صدرا خارجا قال تأخر وكان نزوله في جانب الوادي وجعل ظهره وعسكره إلى أحد وأمر عبد الله بن جبير على الرماة وقال
لهم انضحوا عنا بالنبل حتى لا يأتونا من ورائنا وقال ص لأصحابه اثبتوا في هذا المقام فإذا عاينوكم وولوكم الأدبار فلا تطلبوا المدبرين
ولا تخرجوا من هذا المقام ثم إن رسول الله ص لما خالف رأي عبد الله بن أبي شق عليه ذلك فقال أطاع الصبيان وعصاني ثم قال لأصحابه

ان

ان محمدا انما يظفر بعددكم وقد وعد اصحابه ان اعداءهم اذا عاينوهم انهزموا فاذا رايتم عدوكم فانهزموا فيتبعونكم فيصير الامر على خلاف ما ذكر
محمد صلى الله عليه وسلم فلما التقى الفريقان انخزل عبد الله بن ابي بثلث الناس وقال يا قوم علام نقتل انفسنا واولادنا وكان جملة عسكر الاسلام الفا
وقيل تسعمائة وخمسين فبقي نحو من سبعمائة وكان المشركون ثلثة الاف وقواهم الله مع ذلك حتى هزموا المشركين لكنهم لما رأى الرماة انهزام
القوم وكان الله تعالى بشرهم بذلك طمعوا ان يكون هذه الواقعة كواقعة بدر فطلبوا المدبرين فتركوا ذلك الموضع وخالفوا امر الرسول
ولم يعلموا ان ظفرهم الله يوم بدر ببركة طاعتهم الله ولرسوله فحين تركهم الله مع عدوهم لم يقوموا لهم فنزع الله الرعب من قلوب المشركين فكروا
على المسلمين وتفرق العسكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال اذ تصعدون ولا تلوون على احد والرسول يدعوكم في اخراكم وشج وجه رسول الله
وكسرت رباعيته وشلت يد طلحة دونه ولم يبق معه الا ابو بكر وعلي والعباس وطلحة وسعد ووقعت الصيحة في العسكر ان محمدا قد قتل فاشرف
ابو سفيان وقال افي القوم محمد صلى الله عليه وسلم فقال النبي لا تجيبوه فقال افي القوم ابن ابي قحافة فقال لا تجيبوه فقال افي القوم ابن الخطاب فقال ان
هؤلاء قتلوا فلو كانوا احياء لاجابوا فلم يملك عمر نفسه فقال كذبت يا عدو الله ابقى الله لك ما يخزيك فقال ابو سفيان مر يخز اعل هبل
فقال النبي اجيبوه فقالوا ما نقول قال قولوا الله اعلى واجل قال ابو سفيان لنا العزى ولا عزى لكم فقال اجيبوه قالوا ما نقول قال
قولوا الله مولانا ولا مولى لكم قال ابو سفيان يوم بيوم بدر والحرب سجال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجيبوه قالوا ما نقول قال قولوا لا سواء قتلانا
في الجنة وقتلاكم في النار ولنرجع الى التفسير تبوئ تنزل من قولهم بوأته منزلا اذا اسكنته مقاعد اي مواطن ومواقف وقد اتسع في قعد وقام حتى
استعمل المقعد والمقام في المكان ومنه قوله تعالى في مقعد صدق وقوله قبل ان تقوم من مقامك اي من موضع حكمك ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم امرهم
ان يثبتوا في تلك الامكنة ولا ينتقلوا عنها شبهت بالمقاعد لذلك ويحتمل ان المقاتلين قد يقعدون في الامكنة المعينة الى ان يلاقيهم العدو
فيقوموا فلهذا سميت تلك المواضع مقاعد والله سميع لاقوالكم عليم بضمائركم ونياتكم فانا بينا انه كان في القوم موافق ومنافق اذ همت
طائفتان منكم هما حيان من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وهما الجناحان ان تفشلا والفشل الجبن والخور والظاهر
انهما ما كانت عزيمة وامضاء ولكنها كانت حديث نفس وقلما تخلو النفس عند الشدة من بعض الهلع فان ساعدها صاحبها ذم وان ردها
الى الثبات والصبر فلا باس بل افضل وعن معوية انه قال عليكم بحفظ الشعر فقد كدت اضع رجلي في الركاب يوم صفين فما ثبتني الا قول عمرو بن
الاطنابة اقول لها اذا جشأت وجاشت مكانك تحمدي او تستريحي ومما يدل على ان ذلك الهم لم يفض الى حد العصيان قوله تعالى والله وليهما
ولو كانت عزيمة لما ثبت معها الولاية ويجوز ان يراد والله ناصرهما ومتولي امرهما فما لهما تفشلان ولا يتوكلان على الله وعلى الله فليتوكل
المؤمنون والتوكل تفعل من وكل امره الى فلان اذا اعتمد في كفايته عليه ولم يتوله بنفسه وفيها اشارة الى ان الانسان يجب ان يدفع ما يعرض له من
مكروه وآفة بالتوكل على الله وان يصرف الجزع عن نفسه بذلك عن جابر فينا نزلت اذ همت طائفتان نحن الطائفتان بنو حارثة
وبنو سلمة وما يسرنا انها لم تنزل لقول الله والله وليهما اخرجاه في الصحيحين ومع ذلك قال بعض العلماء ان الله ابهم ذكرهما وستر عليهما فلا
يجوز لنا ان نهتك ذلك الستر ولقد نصركم الله ببدر وهو ماء بين مكة والمدينة عن الواقدي انه اسم البئر وبعينه وعن الشعبي انه سمي
باسم رجل كان ذلك الماء له وانتم اذلة انما جاء بجمع القلة دون الذلائل الذي للكثرة ليدل على انهم مع قلة العدد وهو المراد بذلتهم
كانوا قليلي العدة ايضا كما مر في تفسير قوله قد كان لكم آية ولم يبين بالذلة ههنا نقيض العزة لقوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين بل لعل
المراد انهم كانوا اذلة في زعم المشركين في اعتقادهم لقلة عددهم وسلاحهم كما حكى عنهم ليخرجن الاعز منها الاذل ولعل الصحابة كانوا قد شاهدوا
الكفار في مكة في غاية القوة والشوكة والى هذا الوقت ما اتفق لهم استيلاء على اولئك الكفار فكانت هيبتهم باقية في نفوسهم فاتقوا الله
في الثبات مع رسوله لعلكم تشكرون بسبب تقويكم ما انعم به عليكم من نصرته او لعل الله ينعم عليكم نعمة اخرى تشكرونها فوضع الشكر
موضع الانعام لانه سببه اذ تقول للمؤمنين اختلف المفسرون في ان هذا الوعد حصل يوم بدر فيكون العامل في قوله اذ نصركم او حصل
يوم احد فيكون بدلا ثانيا من اذ غدوت والاول قول اكثر المفسرين لان الكلام متصل بقصة بدر ولان العدد والعدة يوم بدر اقل
وكان الاحتياج الى المدد اكثر والثاني مروي عن ابن عباس والكلبي والواقدي ومقاتل ومحمد بن اسحق لان المدد يوم بدر كان بالف
من الملائكة لقوله تعالى في سورة الانفال فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة دون ثلثة الاف وخمسة فصار خمسة الاف واجيب
بانهم امدوا بالف ثم زيد الفان فصار ثلثة الاف ثم زيد الفان اخران فصار خمسة الاف فكانه قيل لهم الن يكفيكم ان يمدكم ربكم
بالف من الملائكة فقالوا بلى ثم قيل الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة الاف فقالوا بلى ثم قيل لهم ان تصبروا وتتقوا يمددكم ربكم بخمسة الاف
وهو كما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ايسركم ان تكونوا ربع اهل الجنة قالوا نعم قال ايسركم ان تكونوا ثلث اهل الجنة قالوا نعم قال فاني ارجو
ان تكونوا ثلثي اهل الجنة وانما جعل اهل بدر امدوا بالفين ثم بلغهم ان بعض المشركين يريد امداد قريش بعدد كثير فخافوا وشق ذلك عليهم لقلة
عددهم فوعدهم الله بان الكفار ان جاءهم مدد فانا امدكم بخمسة الاف من الملائكة ثم انه لم يأت قريشا ذلك المدد بل انصرفوا حين
بلغهم هزيمة قريش فاستغنى عن امداد المسلمين بالزيادة على الالف قالوا ان الكفار كانوا يوم بدر الفا والمسلمون على الثلث منهم

فانزل الله القاء من الملائكة بعض الكفار انهم وعدهم ان يحصل الثلاثة الالاف خمسة الالاف ان تصبروا وتتقوا واجيب بان هذا التقريب حسن
لكنه لا يفيد الا غلبة الظن ان يكون الامر كذلك قالوا ثالثا قوله ويأتوكم من فورهم يوم احد هو الذي كان يأتيهم الاعداء فيه اما يوم بدر فانهم صاروا
الى الاعداء واجيب بان المشركين لما سمعوا يوم بدر ان الرسول واصحابه قد تعرضوا للعير ثار الغضب في قلوبهم واجتمعوا وقصدوا النبي
ثم ان الصحابة لما سمعوا ذلك خافوا فاخبرهم الله تعالى انهم ان اتوكم من فورهم يمددكم ربكم بخمسة الاف ثم قالوا في وجه النظم انه تعالى ذكر قصة احد ثم
قال وعلى الله فليتوكل المؤمنون اي يجب ان يكون توكلكم على الله لا على كثرة عددكم وعددكم ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة ثم عاد الى قصة
احد ثم انزال خمسة الاف كان مشروطا بشرط ان يصبروا ويتقوا ثم انهم لم يصبروا عن الغنائم ولم يتقوا بل خالفوا امر الرسول فلما فات الشرط لا
جرم فات المشروط واما انزال ثلاثة الاف فانه وعدهم ذلك بشرط ان يثبتوا في تلك المقاعد فلما اهملوا الشرط لم يحصل المشروط روى الواقدي
عن مجاهد انه قال حضرت الملائكة يوم احد لكنهم لم يقاتلوا وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اعطى اللواء مصعب بن عمير فقتل مصعب فاخذه ملك في
صورة مصعب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقدم يا مصعب فقال الملك لست بمصعب فعرف الرسول صلى الله عليه وسلم انه ملك امد به وعن سعد بن ابي وقاص انه
قال كنت ارمي السهم يومئذ فيرده علي رجل ابيض حسن الوجه ما كنت اعرفه فظننت انه ملك هذا حاصل تقرير القولين واختلفوا ايضا في عدد
الملائكة فمنهم من ضم العدد الناقص الى العدد الزائد لان الوعد بامداد الثلاثة الالاف لا شرط فيه والوعد بامداد الخمسة الالاف مشروط بالصبر
والتقوى ومجيء الكفار من فورهم فهما متغايران وعلى هذا ان حملنا الاية على قصة بدر فقد ورد فيها ذكر الالف في موضع اخر فيكون المجموع
تسعة الاف وان حملناها على قصة احد كان الجميع ثمانية الاف ومنهم من ادخل الناقص في الزائد فقال العدد الف ثم زيد الفان فصح
ان يقال امددنا بثلاثة الاف ثم زيد الفان اخران فصار العدد خمسة الاف اجتمع اهل التفسير وارباب السير انه تعالى انزل الملائكة يوم بدر وانهم
قاتلوا الكفار وعن ابن عباس انه لم يقاتل الملائكة سوى يوم بدر وفيما سواه كانوا عددا ومددا لا يقاتلون ولا يضربون ومنهم من قال ان
نصر الملائكة بالقاء الرعب في قلوب الكفار واشعار المؤمنين بان النصر لهم واما ابو بكر الاصم فقد انكر امداد الملائكة وقال ان الملك
الواحد يكفي في اهلاك اهل الارض فما فائدة الملائكة وايضا فان اكابر الكفار كانوا مشهورين وقاتل كل منهم من الصحابة معلوم وايضا لو قاتلوا فاما ان يكون
بحيث يراهم الناس او لا وعلى الاول كان المشاهد من عسكر الرسول ثلاثة الاف او اكثر ولم يقل احد بذلك لانه خلاف قوله ويقللكم في اعينهم
ولو كانوا في غير صورة الناس لزم وقوع الرعب الشديد في قلوب الخلق ولم ينقل ذلك البتة وعلى الثاني كان يلزم جز الرؤوس وتمزق البطون
واسقاط الكفار من غير مشاهدة فاعل لهذه الافعال ومثل هذا يكون من اعظم المعجزات فكان يجب ان يتواتر ويتبين بين الكافر والمسلم و
الموافق والمخالف وايضا انهم لو كانوا اجساما كثيفة وجب ان يراهم الكل وان كانوا اجساما لطيفة هوائية فكيف ثبتوا على الخيول واعلم ان هذه
الشبه لا يليق ايرادها بقوانين الشريعة وبمن يدعي التمسك بها ويعترف بانه تعالى قادر على ما يشاء فاعل لما يريد فما كان يليق بالاصم ايرادها
مع ان نص القرآن ناطق بها وورودها في الاخبار قريب من التواتر روي عن عبد الله بن عمير الماذني لما رجعت قريش من احد جعلوا يتحدثون في انديتهم
بما ظفروا ويقولون لم نر الخيل البلق ولا الرجال البيض الذين كنا نراهم يوم بدر والتحقيق في هذا المقام ان التكليف ينافي الالجاء وانه
تعالى قادر على اهلاك جميع الكفار في لحظة واحدة بملك واحد بل بادنى من ذلك وبلا سبب وكذا على ان يجبرهم على الاسلام ويقسرهم لكنه اراد
اشارة هذا الدين على مهل وتدريج وبواسطة الدعوة وبطريق الابتلاء والتكليف فلاجرم اجرى الامور على ما اجرى فله الحمد على ما له و
له الحكم في الاخرة والاولى والحاصل ان اهلاك قوم لوط كان بعد انقضاء تكليفهم وهو حين نزول الباس فلاجرم ظهر القدرة
جملة في اهلاكها واما في حرب احد كان الزمان زمان تكليف فلاجرم اظهر الحكمة ليتميز الموافق عن المنافق والثابت من المضطرب فانه
لو جرى الامر على حد ما جرى في مدائن لوط اشتبه ان يفضي الامر الى حد الالجاء وينافي التكليف وسقوط الثواب والعقاب ولمثل ذلك مد الملائكة جعل
امدادا على عادة الامداد بالعساكر والالف وان كان يكفي في اهلاك كثير من الناس على ونحوه تعطيل الفائدة قال صاحب الكشاف انما قدم
لهم الوعد بنزول الملائكة ليقوى قلوبهم ويعزموا على الثبات ويثقوا بنصر الله ومعنى الن يكفيكم انكار ان لا يكفيهم الامداد بثلاثة الاف من الملائكة
وانما جيء بلن الذي هو تاكيد النفي للاشعار بانهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم كالآيسين من النصر ومعنى الكفاية سد الخلة
والقيام بما يجب ومعنى الامداد اعطاء الشيء حالا بعد حال قال بعضهم ما كان على جهة القوة والاعانة قيل امده يمده وما كان على جهة
الزيادة قيل مده يمده وقرئ منزلين بكسر الزاي بمعنى منزلين النصر بلى ايجاب لما بعد لن اي بلى يكفيكم الامداد بهم فاوجب الكفاية ثم
قال ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم يعني المشركين من فورهم هذا اي من ساعتهم هذه والفور مصدر من فارت القدر اذا غلت
ثم استعير في معنى السرعة يقال جاء فلان ورجع من فوره ومنه قول الاصوليين الامر للفور او للتراخي ثم سميت به الحالة التي لا ريث
فيها على صاحبها فقيل خرج من فوره كما يقال من ساعته لم يلبث جعل مجيء خمسة الاف مشروطا بثلاثة اشياء الصبر والتقوى ومجيء الكفار
على الفور فلما لم يوجد هذه الشرائط كلها او بعضها فلاجرم لم يوجد المشروط ويحتمل ان يتعلق قوله من فورهم هذا بما بعده اي يمددكم
ربكم بالملائكة في حال اتيانهم لا يتاخر النزول عن الاتيان وفيه بشارة بتعجيل النصر والفتح ان صبروا عن الغنائم واتقوا مخالفة الرسول

وقوله مُسَوِّمِينَ من السومة العلامة وقد يعلم الفارس يوم اللقاء ليعرف فمن قرأ بكسر الواو فمعناه معلمين انفسهم او خيلهم بعلامات مخصوصة
ومن قرأ بالفتح فالمعنى ان الله سومهم قال الكلبي معلمين بعمائم صفر مرخاة على اكتافهم وعن الضحاك معلمين بالصوف الابيض في نواصي الخيل
واذنابها وعن مجاهد مجزوزة اذناب خيلهم وعن قتادة كانوا على خيل بلق وعن عروة بن الزبير كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة
كذلك وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لاصحابه يوم بدر تسوموا فان الملائكة قد تسومت وقيل مسومين مرسلين من اسمت الابل وسومتها ارسلتها
للرعي فالمعنى ان الملائكة ارسلت خيولهم على الكفار لقتلهم واسرهم او ان الله تعالى ارسلهم على المشركين ليهلكوهم كما تهلك الماشية النبات في المرعى
وما جعله الله الضمير عائد الى المدد او الامداد الدال عليه الفعل وقال الزجاج وما جعل الله ذكر المدد الا بشرى وهي اسم من البشارة اي الا لتبشروا
بانكم منصورون وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ كما كانت السكينة لبني اسرائيل طمأنينة لقلوبهم وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لا من المقاتلة اذا تكاثروا ولا
من عند الملائكة والسكينة ولكن ذلك مما يقوي به الله رجاء النصرة ويربط به على قلوب المجاهدين وفيه تنبيه على ان ايمان العبد لا يكمل الا عند
الاعراض عن الاسباب والاقبال بالكلية على مسببها وقوله العزيز اشارة الى كمال قدرته والحكيم اشارة الى كمال علمه فلا يخفى عليه حاجات العباد ولا
يعجز عن انجاحها لِيَقْطَعَ طَرَفًا اي طائفة وقطعة مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وانما حسن في هذا الموضع ذكر الطرف دون الوسط لانه لا وصول الى الوسط
الا بعد الاخذ من الطرف كما قال أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ أَوْ يَكْبِتَهُمْ والكبت في اللغة صرع
الشيء على وجهه وفسره الائمة ههنا بالاخزاء والاهلاك واللعن والهزيمة والغيظ والاذلال والكل متقارب فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ غير
ظافرين بمبتغاهم قيل الخيبة لا يكون الا بعد التوقع لانه نقيض الظفر واما اليأس فقد يكون قبل التوقع وبعده ونقيضه الرجاء واللام في ليقطع
يحتمل ان يتعلق بقوله وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ او بقوله وَمَا النَّصْرُ ويحتمل ان يكون من تمام قوله وَلِتَطْمَئِنَّ ولكنه ذكر بغير العاطف لانه اذا كان البعض قريبا
من البعض جاز حذف العاطف كما يقول السيد لعبده اشتر اللحم اشتر الخبز مما يغنيني للقوم بحد حق قوله عز من قائل لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ فيه
قولان احدهما وهو الاشهر انه نزل في قصة احد عن انس بن مالك قال كسرت رباعية رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد وشج في وجهه فجعل يسيل الدم على وجهه
ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم وفي رواية شج راسه عتبة بن ابي وقاص يوم احد وكسر رباعيته
فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول الحديث فنزلت وفي رواية عن ابن عمر ان النبي لعن اقواما فقال اللهم العن ابا سفيان اللهم العن الحرث بن
هشام اللهم العن صفوان بن امية فنزلت هذه الاية وفيه أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ فتاب الله عليهم وحسن اسلامهم وقيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب
وذلك انهم لما رأوه ورأى ما فعلوا به من المثلة قال لامثلن منهم بثلاثين فنزلت وقيل اراد ان يلعن المسلمين الذين خالفوا امره والذين
انهزموا فمنعه الله عن ذلك وروي عن ابن عباس وقيل اراد ان يستغفر للمسلمين الذين عصوا امره فنزلت قال القفال كل هذه الامور وقعت
يوم احد فلا يمتنع حمل نزول الاية على الكل القول الثاني واليه ذهب مقاتل انها نزلت في قصة اهل بئر معونة ان النبي بعث جمعا من خيار الصحابة
زهاء سبعين الى ... ليعلموهم القرآن علما وصلوا الى الموضع يقال له بئر معونة ذهب اليهم عامر بن الطفيل مع عسكره واخذهم وقتلهم فجزع
من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم جزعا شديدا ودعا على الكفار في القنوت اربعين يوما يقول بعد ما يرفع راسه من الركعة الثانية في الصبح اللهم العن
لحيان ورعلا وذكوان اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ابي ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها
عليهم سنين كسني يوسف حتى نزل لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ولا يخفى ان ظاهر الاية يدل على انه كان يفعل فعلا فمنع منه وحينئذ يتوجه
الاشكال بان ذلك الفعل ان كان بامر الله تعالى فكيف منعه منه والا فهو قدح في عصمته ومناف لقوله وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى والجواب ان المنع
من الفعل لا يدل على ان الممنوع منه كان مشتغلا به كقوله وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ مع انه ما اطاعهم وقوله لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ مع انه ما اشرك قط
لعله صلى الله عليه وسلم شاهد من قتل حمزة وغيره غما او غيظا او حزنا شديدا وكان من الممكن ان يحمله ذلك على ما لا ينبغي من الفعل والقول فنص الله تعالى على المنع
تقوية لعصمته وتأكيدا لطهارته وان سلمنا انه كان مشغولا بذلك الفعل والقول فانه محمول على ترك الاولى والنهي ارشاد الى اختيار الافضل
وايضا فدعاء النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون بمجرد التشهي وانما هو بطلب الاصلح فالذي يظن به انه خلاف مسؤوله وقد وقع فهو بالحقيقة سؤاله وقد يقال
سنة الله تعالى ان يجعل لعنه على من لا يستحق طهارة وزكوة ورحمة والله اعلم وقوله لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ معناه ليس لك من قصة هؤلاء او
ومن شان هذه الحادثة شيء فان الله اعلم بمصالح عباده او المراد الامر الذي هو خلاف النهي اي ليس لك امر خلقي شيء الا ما يكون امري
وحكمي او يتوب منصوب باضمار ان ويتوب في حكم اسم معطوف بأو على الامر اي ليس لك من امرهم شيء او من التوبة عليهم او من تعذيبهم
ويجوز ان يكون معطوفا على شيء والحاصل منع رسول الله صلى الله عليه وسلم من كل فعل وقول الا ما كان باذنه وامره وفيه ارشاد الى كمال درجات العبودية وان لا يعوز
العبد شيئا اسرار ملكه تعالى وملكوته وعن الفراء والزجاج ان قوله أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ عطف على ليقطع وما بعده وقوله لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ كالكلام
الاجنبي الواقع بين المعطوف والمعطوف عليه كما تقول ضربت زيدا فاعلم ذلك وعمرا فيكون المعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او
يهزمهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا على الكفر وقيل او بمعنى الا ان كقولك لالزمنك او تعطيني حقي والمعنى لَيْسَ لَكَ مِنْ أَمْرِهِمْ شَيْءٌ
الا ان يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم او يعذبهم فتشفى منهم ثم ان التوبة عليهم مفسرة عند اهل السنة بخلق الندم فيهم على ما مضى وبخلق
العزم فيهم على ان لا يفعلوا مثل ذلك في المستقبل واكدوا هذا التفسير بان عقلي وهو ان الندم كراهة تحصل في القلب عما سلف منه والعزم

اذنابها

بشارة بالنصر

ارادة يتعلق بترك خلق الفعل فيما يستقبل فلو كانت هذه الارادة فعل العبد لافتقر في فعله الى ارادة اخرى وتسلسل فهو اذن بخلق الله ثم
واما المعتزلة فقد فسروا التوبة عليهم بما يفعل من الالطاف وبقبول التوبة منهم وقوله فانهم ظالمون تعليل حسن التعذيب بسبب شركهم او
عصيانهم ثم اكد ما ذكر من قوله ليس لك من الامر شيء بقوله ولله ما في السموات وما في الارض اي هو الخالق للماهيات التي بها الله
فليس الحكم عنه فيها الا اليه ثم ذكر لانه المالك والحكم فقال يغفر لمن يشاء بمحض فضله وان كان من اهل الكبائر ويعذب من يشاء بحكم الالهية
والقدرة وان كان من الملائكة المقربين والصديقين كل ذلك يحسن منه شرعا وعقلا ولا اعتراض لاحد على المالك والحكم الا ان جانب الرحمة
والمغفرة غالب لهذا ختم الكلام بقوله والله غفور رحيم هذا قول الاشاعرة ويؤكده ما روي عن ابن عباس في تفسير الاية يهب الذنب
الكبير لمن يشاء ارادة الطاعة اطاع وان خلق ارادة المعصية عصى فطاعة العبد ومعصيته ينتهي الى الله فعل الله لا يوجب على الله شيئا اما المعتزلة
فناقشوا في ذلك ورووا عن الحسن يغفر لمن يشاء بالتوبة ولا يشاء ان يغفر الا للتائبين ويعذب من يشاء ولا يشاء ان يعذب الا المستوجبين
للعذاب والحق ان العذاب لازم ملكة العصيان وكذا الغفران لازم ملكة الطاعة فان اريد بالوجوب هذا فلا نزاع وان اريد غير ذلك ممنوع
والله اعلم التاويل الخبر عن النصر بعد الصبر بقوله واذ غدوت وهو اشارة الى جوهر انسان الصادق وانسان العاشق وذلك ان يغدو في
طلب الحق والرجوع الى المبدء من اهله اي صفات نفسه الحيوانية والبهيمية تبوئ المؤمنين اي صفاته الروحانية مقاعد للقتال النفس الشيطان
والدنيا والله سميع لدعائكم بالاخلاص للخلاص عن ورطة متابعة الهوى عليم بصدق نياتكم في طلب الحق اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا
يعني القلب وصفاته والروح واخلاقه والله وليهما يخرجهما من ظلمات البشرية الى نور الربوبية ولقد نصركم الله ببدر الدنيا وانتم
اذلة من غلبات شهوات النفس اذ تقول للمؤمنين فيه اشارة الى ان نور النبوة يلهم ارواح المؤمنين على الدوام عند معاملة الاشياء
ومجاهدة النفس مكايد الهوى في الركون الى زخارف الدنيا وثلثة الاف من الملائكة اشارة الى الجنود الروحانية الملكوتية لا يدركها الحواس
كقوله وانزل جنودا لم تروها بلى ان تصبروا على مخالفة النفس وتتقوا بالله عما سواه يمددكم في الامداد بالجنود ليقطع طرفا اي بالقهر بعضا من
الصفات النفسانية التي منشأ الكفر بنصر الروح وصفاته او يكبتهم او يغلبهم ويظهرهم وما النصر الا من عند الله يعز بحكمه من يشاء
على ما يشاء والله المستعان على ما تصفون

يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوا النار
ای زمرهٔ ایمانی که گرویده اید مخورید سود را افزوده تو بر تو و پرهیز کنید خدارا شاید که رستگار شوید و بترسید از آتش

التي اعدت للكافرين واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها
که آماده شده برای کافران و پیروی کنید خدا و پیغمبر را شاید که رحم کرده شوید و بشتابید بسوی آمرزشی از جانب پروردگار و بهشتی که عرض آن

السموات والارض اعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن
وسعت آسمانها و زمین است آماده شده از برای پرهیزندگان آنان که خرج کنند در خوشی و تنگدستی و فرو برندگان خشم و درگذرندگان از

الناس والله يحب المحسنين والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر
مردمان و خدا دوست دارد نیکوکاران را و آنان که چون کنند کرده ناشایسته یا ستم کنند بنفسهای خود یاد کنند خدا را پس طلب آمرزش کنند مر گناهان خود را و کیست

الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها
که بیامرزد گناهان را بجز خدا و اصرار نکردند بر آنچه کردند و ایشان میدانستند آن گروه مزدشان آمرزشیست از پروردگارشان و بهشتها که میرود از زیر آن

الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان
جویها جاویدان در آن و خوبست مزد کارکنان بدرستی که گذشت از پیش شما طریقها پس بگردید در زمین پس بنگرید که چگونه بوده

عاقبة المكذبين هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون
عاقبت تکذیب کنندگان این بیان است برای مردم و راستی و پند است مر پرهیزکاران را و سست مشوید و محزون مگردید و شما باشید بلند مرتبها

ان كنتم مؤمنين ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين
اگر باشید گروندگان اگر برسد شما را زخمی پس بدرستی که رسید کفار را زخمی مثل آن و این روزها است که بگردانیم در میان مردمان و تا بداند خدا آنانی که

امنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين امنوا ويمحق الكافرين القراءة سارعوا
گرویدند و فرا گیرد از شما گواهان و خدا دوست ندارد ستمکاران را و تا پاک کند خدا آنهارا که گرویدند و برطرف کند کافران را

بغير واو العطف ابو جعفر ونافع وابن عامر قرح بالضم حيث كان حمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص وحيلة الباقون بالفتح الوقوف مضاعفة ص لعطف المتقين
تفلحون ج للعطف للكافرين ه ترحمون ه ومن قرا سارعوا بغير واو فوقفه مطلق والارض لا لان ما بعده صفة جنة اي جنة واسعة
معدة للمتقين لا لان الذين صفتهم عن الناس ط المحسنين ج لان والذين يصلح مبتدأ وخبره اولئك جزاؤهم فلا وقف الى يعلمون ويصلح
معطوفا لان التائب من الذنب كمن لا ذنب له فوقفه على يعلمون ليتميز قوم او ينسب الى المتقين السابقين منهم بعصمة الله الارحم

بهم رحمة الله والوقف لطول الكلام على ذنوبهم لان ابتداء بالاستفهام وعلى الا الله لاعتراض الاستفهام ولزوم الجواب بان يقول الروح
لا احد يغفر الذنوب الا انت خالدين فيها ط العاملين سنن لا لتعقيب الامر بالاعتبار بعد الاخبار بالنبا المكذبين للمتقين مؤمنين متلاط
بين الناس ج لان الواو مقحمة او عاطفة على محذوف اي ليعتبروا وليعلم شهداء ط الظالمين لا للعطف على ليعلم الكافرين التفسير قال القفال
يحتمل ان يكون هذا الكلام متصلا بما قبله من جهة ان اكثر اموال المشركين كانت قد اجتمعت من الربوا وكانوا ينفقون تلك الاموال
على العساكر وكان من الممكن ان يصير ذلك داعيا للمسلمين الى الاقدام على الربوا لكي يجمعوا الاموال فينفقوها على العساكر ويتمكنوا من الانتقام
منهم فورد النهي عن ذلك نظرا لهم ورحمة عليهم وقيل ان هذه الآيات ابتداء امر ونهي وترغيب وترهيب تتميما لما سلف من الارشاد الى
الاصلح في امر الدين وفي باب الجهاد وليس المراد النهي عن الربوا في حال كونه اضعافا فان ما علم انه ممنوع عنه مطلقا وانما هو نهي مع توبيخ بما كانوا عليه
في الغالب المعتاد من تضعيفه كان الرجل منهم اذا بلغ الدين محله زاد في الاجل هكذا مرة بعد اخرى حتى يستغرق بالشيء الطفيف مال المديون
واتقوا الله لعلكم تفلحون فيه ان اتقاء الله في هذا النهي واجب وان الفلاح يتوقف عليه فلو اكل ولم يتق زال الفلاح ويعلم منه ان الربوا من الكبائر
لا من الصغائر ويؤكده قوله واتقوا النار التي اعدت للكافرين كان ابو حنيفة يقول هي اخوف آية في القرآن حيث اوعد الله المؤمنين بالنار
المعدة للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه وكون النار معدة للكافرين لا يمنع دخول الفساق وهم مسلمون فيها لكن اكثر اهل النار الكفار
فغلب جانبهم كما لو قلت اعدت هذه الدابة للقاء المشركين لم يمتنع من ركوبها لبعض حوائجك مثله قوله في صفة الجنة اعدت للمتقين فانه
لا يدل على انه لا يدخلها سواهم من الصبيان والمجانين وغيرهم كالملائكة والحور واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون فيه ان رجاء الرحمة
موقوف على طاعة الله وطاعة الرسول فلهذا يتمسك به اصحاب الوعيد في ان من عصى الله ورسوله في شيء من الاشياء فهو ليس اهلا للرحمة ومنهم
من يحمل الامر على الزجر والتخويف وسارعوا معطوف على ما قبله ومن قرا بغير الواو فلانه جعل قوله سارعوا وقوله اطيعوا الله كالشيء الواحد
لانهما متلازمان وتمسك كثير من الاصوليين به في ان ظاهر الامر يوجب الفور وفي الكلام حذف تقديره سارعوا الى ما يوجب
مغفرة من ربكم ونكر المغفرة ليفيد المغفرة العظيمة المتناهية في العظم وليس ذلك الا المغفرة الحاصلة بسبب الاسلام والاتيان بجميع
الطاعات والاجتناب عن كل المنهيات هذا قول عكرمة وعن علي بن ابي طالب هو اداء الفرائض وعن عثمان هو الاخلاص لانه المقصود
من جميع العبادات وعن ابي العالية انه الهجرة وقال الضحاك ومحمد بن اسحق الجهاد لانه من تمام قصة احد وقال الاصم بادروا الى التوبة من
الربوا لانه ورد عقيب النهي عن الربوا ثم عطف عليه المسارعة الى الجنة لان الغفران معناه ازالة العقاب والجنة معناها حصول الثواب ولا بد
للمكلف من تحصيل الامرين ثم وصف الجنة بان عرضها السموات والارض ومن البين ان نفس السموات لا يكون عرضا للجنة فالمراد كعرض السموات
لقوله في موضع آخر كعرض السماء والمراد المبالغة في وصف سعة الجنة فشبهت باوسع ما علمه الناس من خلقه وابسطه ونظيره خالدين فيها
ما دامت السموات والارض لانها اطول الاشياء بقاء عندنا وقيل المراد لو جعلت السموات والارضون طبقا طبقا بحيث يكون
كل واحد من تلك الطبقات سطحا مؤلفا من اجزاء لا تتجزى ثم وصل البعض بالبعض طبقا واحدا لكان ذلك مثل عرض الجنة وهذه غاية من
السعة لا يعلمها الا الله تعالى وقيل ان الجنة التي عرضها عرض السموات والارض انما يكون للرجل الواحد لان الانسان انما يرغب فيما يصير ملكا له
فلا بد ان يكون الجنة المملوكة لكل احد مقدارها هكذا وقال ابو مسلم معناه العرض القيمة ومنه عارضت الثوب بكذا معناه لو عرضت السموات
والارض على سبيل البيع لكانتا ثمنا للجنة والاكثرون على ان المراد بالعرض ههنا خلاف الطول وخص بالذكر لانه في العادة ادنى من الطول
فاذا كان العرض هكذا فما ظنك بالطول ونظيره بطائنها من استبرق لان البطائن في العادة يكون ادون حالا من الظهائر فاذا كانت البطانة
كذلك فكيف الظهارة وقال القفال العرض عبارة عن السعة تقول العرب بلاد عريضة اي واسعة والاصل فيه ان ما اتسع عرضه لم يضق
ولم يدق وما ضاق عرضه دق فجعل العرض كناية عن السعة وسئل ههنا انكم تقولون الجنة في السماء فكيف يكون عرضها كعرض السماء واجيب بعد
تسليم كونها الآن مخلوقة انها فوق السموات وتحت العرش قال عليه السلام في صفة الفردوس سقفها عرش الرحمن وروي ان رسول هرقل سأل
النبي صلى الله عليه وسلم وقال انك تدعو الى جنة عرضها السموات والارض فاين النار فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبحان الله فاين الليل اذا جاء النهار والمعنى والله و
رسوله اعلم انه اذا دار الفلك حصل النهار في جانب من العالم والليل في ضد ذلك الجانب فكذا الجنة في جهة العلو والنار في جهة السفل
وسئل انس بن مالك عن الجنة افي الارض ام في السماء فقال واي ارض وسماء تسع الجنة قيل فاين هي قال فوق السموات السبع تحت العرش
ثم ذكر صفات المتقين حتى يتمكن الانسان من الجنة بواسطة اكتساب تلك الصفات منها قوله الذين ينفقون في السراء والضراء
في حال الغنى والفقر لا يخلون بان ينفقوا ما قدروا عليه عن بعض السلف انه ربما تصدق ببصلة وعن عائشة انها تصدقت بحبة عنب فكان
القوم انكروا عليها فقالت احسبكم هي من مثقال ذرة ويحتمل ان يراد في جميع الاحوال لانها لا تخلو من حال مسرة ومضرة فهم لا
يدعون الاحسان الى الناس في حال فرح وحزن وقيل ان ذلك الاحسان الانفاق سواء سرهم بان كان على وفق طبعهم او ساءهم بان
كان على خلاف طبعهم لا يتركونه وفي افتتاحه بذكر الانفاق دليل على عظم موقعه عند الله لانه طاعة شاقة ولانه كان اهم في ذلك الوقت لاجل

المطمئنة الى الجهاد ومواساة فقراء المسلمين ومنها قوله والكاظمين الغيظ كظم القربة اذا ملأها وشد فاها ويقال كظم غيظه اذا سكت عليه
ولم يظهره لا بقول ولا بفعل كأنه كتمه على امتلائه وورد عنه تجرعه وكف غضبه عن الامضاء وهو من اقسام الصبر والحلم قال ﷺ من كظم
غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا وقال ﷺ ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب
ومنها قوله والعافين عن الناس قيل يحتمل ان يراد العفو عن المعسرين لانه ورد عقيب قصة الربوا كما قال في البقرة وان كان ذو عسرة
فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ويحتمل انه ﷺ غضب على المشركين حين مثلوا بحمزة فقال لأمثلن بهم فندب الى كظم هذا الغيظ و
الصبر عليه والعفو عنهم والظاهر انه عام لجميع المكلفين في الاحوال التي لا يجني عليهم احد لم تؤاخذه قال ﷺ لا يكون العبد ذا فضل حتى يصل
من قطعه ويعفو عمن ظلمه ويعطي من حرمه وعن عيسى بن مريم عليه السلام ليس الاحسان ان تحسن الى من احسن اليك ذلك مكافاة انما الاحسان ان تحسن الى من
اساء اليك والله يحب المحسنين يجوز ان يكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل فيه هؤلاء المذكورون وان يكون للعهد فيكون اشارة
الى هؤلاء وذلك انه من انواع الاحسان ايصال النفع الى الغير وهو المعني بالانفاق في السراء والضراء في وجوه الخيرات ويدخل فيه الانفاق بالعلم
وبالنفس قيل والجود بالنفس اقصى غاية الجود ومنها دفع الضرر عن الغير اما في الدنيا بان لا يشتغل بمقابلة الاساءة باساءة اخرى وهو
المعبر عنه بكظم الغيظ واما في الاخرة بان يبرئ ذمته عن التبعات والمطالبات الاخروية وهو المعني بالعفو فاذن الاية دالة على جميع جهات
الاحسان الى الغير فذكر ثواب المجموع بقوله والله يحب المحسنين فان محبة الله للعبد اعظم درجات الثواب قال ابن عباس في رواية عطاء ان
نبهان التمار اتته امرأة حسناء تبتاع منه تمرا فضمها الى نفسه وقبلها ثم ندم على ذلك فاتى النبي ﷺ وذكر ذلك له فنزلت والذين اذا فعلوا فاحشة الاية
وقال في رواية الكلبي ان رجلين انصاريا وثقفيا آخى رسول الله ﷺ بينهما فكانا لا يفترقان في احوالهما فخرج الثقفي مع رسول الله ﷺ بالقرعة في
السفر وخلف الانصاري في اهله وحاجته فاقبل ذات يوم فابصر امرأة صاحبه قد اغتسلت وهي ناشرة شعرها فوقعت في نفسه فدخل ولم يستأذن
حتى انتهى اليها فذهب ليلثمها فوضعت كفها على وجهها فقبل ظاهر كفها ثم ندم واستحيى فادبر راجعا فقالت سبحان الله خنت امانتك وعصيت
ربك ولم تصب حاجتك قال فندم على صنيعه فخرج يسيح في الجبال ويتوب الى الله من ذنبه حتى وافى الثقفي فاخبرته امرأته بفعله فخرج يطلبه حتى دل
عليه فوافقه ساجدا وهو يقول رب ذنبي قد خنت اخي فقال له يا فلان قم فانطلق الى رسول الله ﷺ فاسأله عن ذنبك لعل الله ان يجعل
لك فرجا وتوبة فاقبل معه حتى رجع الى المدينة وكان ذات يوم عند صلوة العصر نزل جبرئيل ﷺ بتوبته فتلا على رسول الله ﷺ والذين اذا
فعلوا فاحشة الى قوله ونعم اجر العاملين فقال عمر يا رسول الله أخاص هذا لهذا ام للناس عامة فقال بل للناس عامة في التوبة
وعن ابن مسعود ان المسلمين قالوا للنبي ﷺ ابنو اسرائيل كانوا اكرم على الله منا كانوا اذا اذنب احدهم اصبحت كفارة ذنبه مكتوبة في عتبة
بابه اجدع اذنك اجدع انفك افعل كذا فسكت النبي ﷺ فنزلت فقال النبي ﷺ الا اخبركم بخير من ذلك فقرأها عليهم فبين انهم اكرم على الله
منهم حيث جعل كفارة ذنبهم الاستغفار والفاحشة مصدر بمعنى الفعل الفاحش متزايد القبح ظلموا انفسهم اذنبوا اي ذنب
كان مما يؤاخذ الانسان به قيل الفاحشة هي الزنا لقوله تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وظلم النفس ما دونه من القبلة واللمسة
وهذا القول انسب بسبب النزول الذي رويناه وقيل الفاحشة هي الكبيرة وظلم النفس هي الصغيرة والصغيرة يجب الاستغفار منها لان النبي ﷺ
كان مامورا بالاستغفار واستغفر لذنبك وما كان استغفاره الا عن الصغائر بل ترك الاولى ذكروا الله اي وعيده او عقابه او انه
سائلهم او نهيه وجلاله الموجب للخشية والحياء ومنهم ذكروا العرض الاكبر على الله وعلى جميع التقادير فلا بد من مضاف محذوف و
يكون الذكر بمعنى ضد النسيان واليه ذهب الضحاك ومقاتل والواحدي فنظيره ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا
هم مبصرون وقيل المراد ذكر الله بالثناء والتعظيم والاجلال فان من اراد المسئلة والدعاء قدم التعظيم والثناء فاستغفروا لذنوبهم
يقال استغفر الله لذنبه ومن ذنبه بمعنى والمراد بالاستغفار الاتيان بالتوبة على الوجه الصحيح وهو الندم على فعل ما مضى مع العزم على ترك مثله
في المستقبل فاما الاستغفار بمجرد اللسان فذاك لا اثر له في ازالة الذنب وانما يجب اظهار هذا الاستغفار لازالة التهمة ولاظهار كونه منقطعا
الى الله تعالى ومن يغفر الذنوب الا الله لان كمال قدرته وعلمه كما يقتضي ايصال العقاب فكمال رحمته وعفوه يقتضي ازالة ذلك
العقاب عنه لكن صفة الرحمة منشأها الذات سبقت صفة الغضب فجانب العفو والمغفرة راجح ولا سيما اذا اقترن الذنب بالتوبة والاعتذار
والتنصل باقصى ما يمكن للعبد في صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون
فيغفر لهم وعن انس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول قال الله يا ابن آدم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا ابالي يا ابن آدم
لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا ابالي يا ابن آدم انك لو اتيتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا
لاتيتك بقرابها مغفرة وعن علي عليه السلام قال حدثني ابو بكر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ما من رجل يذنب ذنبا ثم يقوم فيتطهر فيصلي ثم يستغفر
الا غفر له ثم قرأ والذين اذا فعلوا فاحشة الى قوله ومن يغفر الذنوب الا الله وهذه الجملة معترضة والتقدير فاستغفروا لذنوبهم ولم
يصروا لم يقيموا على قبيح فعلهم غير مستغفرين والتركيب يدل على الشدة ومنه صرة [illegible] شددتها وصر الفرس اذنيه ضمهما الى راسه اصر

انه عن النبي ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وروي لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار وهم يعلمون حال من فاعل
اصروا وحرف النفي منصب عليهما معا كما لو قلت ما جاءني زيد وهو راكب اردت نفي المجيء والركوب معا وذلك ان المقام مقام مدح لهم
بعدم الاصرار والمعنى ليسوا ممن يصرون على الذنوب وهم عالمون بقبحها وبالنهي عنها والوعيد عليها لانه قد يعذر الجاهل ولا يعذر
العالم ويحتمل ان يراد بالعلم العقل والتمييز والتمكن من الاحتراز عن الفواحش فيجري مجرى قوله رفع القلم عن ثلث وعلى هذا يجوز ان يراد نفي
الاصرار في حالة العلم لا نفيهما معا كالوارد في المثال المذكور بنفي المجيء في حال الركوب لا نفي المجيء على الاطلاق اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم
وفيه اشارة الى ايصال الثواب نعم اجر العاملين ذلك الجزاء قال القاضي وهذا يبطل قول من قال ان الثواب تفضل من الله وليس جزاء على
عملهم وذلك انه سمى الجزاء اجرا والاجر واجب مستحق فكذلك الجزاء وللقائل ان يقول انه على وجه التشبيه لا التحقيق واستدلوا ايضا بالاية على ان
اهل الجنة هم المتقون والتائبون دون المصرين لقوله ولم يصروا والجواب ظاهر ان كون الجنة معدة للمتقين الموصوفين لا يوجب ان لا
يدخلها غيرهم بفضل الله وبرحمته ثم ذكر ما يحمل المكلفين على فعل الطاعة وعلى التوبة من المعصية وهو تأمل احوال القرون الخالية فقال
قد خلت من قبلكم سنن واصل الخلو الانفراد والمكان الخالي هو المنفرد عمن يسكن فيه كل ما انقرض فهو منفرد لانقراضه عن الوجود والسنة
الطريقة المستقيمة والمثال المتبع وهي فعلة بمعنى مفعول من سن الماء يسنه اذا والى صبه كأنه اجراه على نهج واحد ومن سننت النصل احددته
او من سن الابل اذا احسن الرعي والمراد قد مضت من قبلكم سنن الله تعالى في الامم السالفة بعضها سنن الهلاك والاستيصال بدليل قوله فانظروا
كيف كان عاقبة المكذبين فانهم خالفوا رسلهم للحرص على الدنيا وطلب لذاتها ثم انقرضوا ولم يبق من دنياهم اثر وبقي عليهم اللعن في الدنيا والعقاب
في الاخرة هذا قول اكثر المفسرين قال مجاهد المراد سنن الله في الكافرين والمؤمنين فان الدنيا ما بقيت لا مع المؤمن ولا مع الكافر
ولكن المؤمن يبقى له الثناء الجميل والثواب الجزيل والكافر له اللعن والعقاب ثم قال فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين لان التأمل في حال احد
القسمين يكفي في معرفة حال القسم الاخر ولان الغرض زجر الكفار عن كفرهم وذلك انما يحصل بتأمل احوال امثالهم وليس المراد بقوله فسيروا
في الارض الامر بالسير بل المقصود تعرف احوالهم فان حصلت هذه المعرفة بغير السير في الارض كان المقصود حاصلا ولا يبعد ان يقال ندب الى
السير لمشاهدة آثار الاقدمين اثرا اقوى من اثر السماع كما قيل ان آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار هذا بيان المشار اليه
اما ان يكون جميع ما تقدم من الامر والنهي والوعد والوعيد للمتقين والتائبين والمصرين ويكون قوله قد خلت جملة معترضة للبعث
على الايمان وما يستحق به من الاجر واما ان يكون ما حثهم عليه من النظر في سوء عواقب المكذبين ومن الاعتبار بما يعاينون من آثار هلاكهم
اما البيان والهدى والموعظة فلا بد من الفرق بينها لان العطف يقتضي المغايرة فقيل البيان كالجنس وهو ازالة الشبهات وتحته نوعان
احدهما الكلام الذي يهدي المكلف الى ما ينبغي في الدين وهو الهدى وثانيهما الكلام الزاجر عما لا ينبغي في طريق الدين وهو الموعظة وخص
الهدى والموعظة بالمتقين لانهم هم المنتفعون به وقيل البيان عام للناس والهدى والموعظة خاصان بالمتقين لان الهدى اسم للدلالة بشرط
كونها موصلة الى البغية واقول ليثبت يكون البيان عاما لجميع المكلفين باي طريق كان من طرق الدلالة والهدى يراد به الكلام البرهاني
والجدلي والموعظة يراد بها الكلام الاقناعي الخطابي كقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن وخص
المتقون بالذكر لان البيان في حق غيرهم غير مثمر ثم لما بين هذه المقدمات ومهدها ذكر المقصود وهو قوله ولا تهنوا اي اذا بحثتم عن احوال القرون
الخالية علمتم ان صولة الباطل تضمحل وان العاقبة والغلبة لارباب الحق والوهن الضعف اي لا تضعفوا عن الجهاد ولا يورثنكم ما اصابكم يوم احد
وهنا وجبنا ولا تحزنوا على من قتل منكم وجرح وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم واغلب لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم
يوم احد او انتم الاعلون شأنا لان قتالكم لله وقتالهم للشيطان وقتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار او انتم الاعلون بالحجة والعاقبة
الحميدة كقوله والعاقبة للمتقين وفي هذا تسلية لهم وبشارة وقوله ان كنتم مؤمنين اما ان يكون قيدا لقوله وانتم الاعلون اي ان
كنتم مصدقين بما يعدكم الله ويبشركم به من الغلبة واما ان يكون قيدا لقوله ولا تهنوا اي ان صح ايمانكم بالله بحقية هذا الدين فلا
تضعفوا لثقتكم بان الله سيتم هذا الامر قال ابن عباس انهزم اصحاب رسول الله يوم احد فبينا هم كذلك اذ اقبل خالد بن الوليد بخيل المشركين
يريد ان يعلو عليهم الجبل فقال النبي ص اللهم لا يعلن علينا اللهم لا قوة لنا الا بك اللهم ليس يعبدك بهذه البلدة غير هؤلاء النفر فانزل
الله تعالى هذه الاية وثاب نفر من المسلمين رماة فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى هزموهم فذلك قوله وانتم الاعلون وقال
راشد بن سعد لما انصرف رسول الله ص يوم احد كئيبا حزينا جعلت المرأة تجيء بزوجها وابيها وابنها مقتولين فقال رسول الله ص أهكذا
تفعل برسولك فنزلت ان يمسسكم قرح بفتح القاف وبضمها وهما لغتان كالضعف والضعف والجهد والجهد وقيل بالفتح لغة تهامة والحجاز و
قيل بالفتح مصدر وبالضم اسم وقال الفراء انه بالفتح الجراحة بعينها وبالضم الم الجراحة وقال ابن مقسم هما لغتان الا ان المفتوحة توهم انها جمع
قرحة ومعنى الاية ان نالوا منكم يوم احد فقد نلتم منهم قبل ذلك يوم بدر ثم لم يثبطهم ذلك عن معاودة القتال فانتم اولى بان لا تفتروا ولا
تجبنوا ونظيره فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وقيل القرحان في يوم احد وذلك انه قتل يومئذ خلق من الكفار

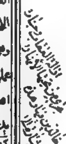

وبعشرون رجلا اوقتل صاحب لوائهم وكثرت الجراحات فيهم وعقرت عامة خيلهم بالنبل وقد كانت الهزيمة عليهم اول النهار كما يحكى من قوله تعالى
ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم والمماثلة في عدد القتلى والجرحى غير لازمة وانما تكفي المشابهة في نفس
القتل والجراحة وتلك الايام موصوف وصفة مبتدأ خبره نداولها او تلك مبتدأ والايام خبر كقولك هي الايام تبلي كل جديد والضمير
لا يوصف فيكون تلك اشارة الى الوقائع والاحوال العجيبة التي يعرفها اهل التجارب من ابناء الزمان والمراد بالايام ما في تلك الاوقات
من الظفر والغلبة والحالات الغريبة وقوله نداولها كالتفسير لما تقدم والمداولة نقل الشيء من واحد الى آخر ويقال تداولته الايدي اي تناقلته
والدنيا دول اي تنتقل كما تقدم تصير من قوم الى آخرين لا يدوم مسارها ومضارها فيوم يحصل فيه السرور وللغم لعدوه ويوم آخر بالعكس
فلا يبقى شيء من احوالها ولا يستقر اثر من آثارها ونظيره قولهم الحرب سجال شبهت بالدلاء لكونها تارة مملوءة واخرى فارغة وليس المراد
من هذه المداولة انه تعالى تارة ينصر المؤمنين واخرى ينصر الكافرين فان نصرة الله منصب شريف لا يليق بالكافرين بل المراد انه تارة يشدد
المحنة على المؤمنين وذلك انه لو شدد المحنة على الكفار في جميع الاوقات وازالها عن المؤمنين في جميعها لحصل العلم الاضطراري بان الايمان
حق وما سواه باطل ولو كان كذلك لبطل التكليف والثواب والعقاب فالحكمة في المداولة ان يكون الشبهات باقية والمكلف يدفعها بواسطة
النظر في الدلائل على صحة الاسلام فيعظم ثوابه عند الله تعالى والى هذا اشير في قوله سبحانه وليعلم الله الذين آمنوا وهذا معطوف على سبب محذوف وكل
مذهب تقرير العوائد في التقدير نداولها بين الناس ليكون كيت وكيت وليعلم وفيه ايذان بان المصلحة في هذه المداولة ليست بواحدة
ولكن في ضمنها مصالح جمة لو عرفوها انقلبت مساءتهم مسرة ومنها ان يعلم الله وقد احتج هشام بن الحكم بظاهر هذه الآية ونحوها
كقوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم على انه تعالى لا يعلم الحوادث الا عند وقوعها وقد سبق الاجوبة عنها في تفسير قوله واذ ابتلى ابراهيم
ربه ومن التاويل ان الاشتراك حاصل في اطلاق لفظ العلم على المعلوم والقدرة على المقدور مجازا مشهورا يقال هذا علم فلان اي معلومه والمراد معلومه
او مقدوره فكل آية يشعر ظاهرها بتجدد العلم فالمراد تجدد المعلوم لان التغير في علم الله تعالى محال فمعنى الآية ليظهر معلومنا وهو الخالص
من المنافق والمؤمن من الكافر وقيل معناه ليحكم بالامتياز فوضع العلم مقام الحكم وقيل ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو ان
يعلمهم موجودا منهم الثبات لان المجازاة يقع على الواقع دون المعلوم الذي لم يوجد وقيل ليعلم اولياء الله فاضاف الى نفسه تفخيما لهم
على الاول العلم بمعنى العرفان ولهذا تعدى الى مفعول واحد وقيل انه بمعنى فعل القلب الذي يتعدى الى مفعولين والتقدير ليعلمهم مميزين
من غيرهم ويحتمل على جميع التقادير ان يضمر متعلق ليعلم بعده ومعناه وليعلم الله الثابتين على الايمان من المضطربين فعلنا ما فعلنا
ومن حكم المداولة قوله ويتخذ منكم شهداء من يصلح للشهادة على الامم يوم القيمة كقوله لتكونوا شهداء على الناس فان كونهم كذلك
منصب شريف لا ينال الا بهذه الامة ولن يكونوا من الامة الا بالصبر على ما ابتلوا به من الشدائد والمراد ليكرم ناسا منكم بالشهادة
والشهداء جمع شهيد كالكرماء والظرفاء والمقتول من المسلمين بسيف الكفار يسمى شهيدا قال النضر بن شميل لانهم احياء حضروا
دار الاسلام كما قال بل احياء عند ربهم وقال ابن الانباري لان الله وملائكته شهدوا له بالجنة والله لا يحب الظالمين اي المشركين ان الشرك
لظلم عظيم قال ابن عباس وقيل لا يحب من ليس من هؤلاء الثابتين على الايمان الصابرين على البلوى وهو اعتراض بين بعض التعليلات
وبعض وفيه ان دولة الكافرين على المؤمنين للفوائد المذكورة لا لانه يحبهم ومن الحكم قوله وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين
والتمحيص في اللغة التنقية والمحق النقصان وقال المفضل هو ان يذهب الشيء كله حتى لا يرى منه شيء قال الزجاج معنى الآية ان حصلت
الغلبة للكافرين على المؤمنين كان المراد تمحيص ذنوب المؤمنين اي تطهيرهم وتصفيتهم وان كان بالعكس فالمراد محو آثار الكفار وهذه
مقابلة لطيفة لان تمحيص هؤلاء باهلاك ذنوبهم نظير محو اولئك باهلاك انفسهم لا بالكلية فان ذلك غير واقع بل بالتدريج ولعل
ليقطع طرفا بعضها من اطرافها النار وبل لا تأكلوا الربوا ما يؤدي الى الحرص على طلب الدنيا اضعافا مضاعفة الى غير الايتام هي فلا
يلائم جوهر الآدمي الا التراب فاتقوا الله خطاب للخواص اي اتقوا بالله عن غير الله في طلب الله لعلكم تفلحون عن حجب ما سوى الله وتظفرون
بالوصول الى الله ثم خاطب العوام الذين هم ارباب الوسائط بقوله واتقوا النار اي نار الحرص التي تتولد منها نار القطيعة وجحيم
البعد واطيعوا الله والرسول ثم اخبر عن المسارعة الى الجنان بمسارعة النفس الى الجنان عرضها السموات اي المسافة بين العبد وبينها هذه الاكوان
الوصول اليها بعد العبور عما في السموات والارض وهو عالم المحسوسات كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عن عيسى عليه السلام لن يلج ملكوت السموات والارض
من لم يولد مرتين فالولادة الثانية هي الخروج عن الصفات الحيوانية بتزكية النفس عنها والولوج الملكوت هو التحلية بالصفات الروحانية
ينفقون اموالهم في السراء والضراء واحم في الضراء بل من سوى الله في طلب الله فعلوا فاحشة هي رؤية غير الله او ظلموا انفسهم بالتعلق
بما سوى الله ذكروا الله بالنظر اليه ورؤيته ومن يغفر ومن يستر بكشف عواطفه ذنوب وجود الاغيار الا الله ولم يصروا على ما فعلوا من
الوسائط والتعلق بها وهم يعلمون ان كل شيء ما خلا الله باطل اولئك جزاؤهم مغفرة اي هم مستحقون للمقامات القرب من ربهم وجنات
من اصناف الطاعة تجري من تحتها الانهار العناية ونعم اجر العاملين لان نيل المقصود في بذل المجهود قد خلت من قبلكم سنن ايام لهم

على الكافرين واخرى

بالقناعة

فسيروا في الارض بقوى الحيوانية بالعبور على اوصافها الذميمة لتبلغوا سماء قلوبكم الروحانية فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين بهذه المقامات الروحانية والمكاشفات الربانية ولا تهنوا ايها السائرون في السير الى الله ولا تحزنوا على ما فاتكم من اللذات الفانية انتم الاعلون من اهل الله ان يمسسكم في اثناء المجاهدات قرح ابتلاء وامتحان فقد مس القوم من الانبياء والاولياء قرح من مثله وتلك الايام نداولها بين الناس السائرين يوما نعمة ويوما نقمة ويوما محنة ويوما منحة ويتخذ منكم شهداء ارباب المشاهدات والمكاشفات وليمحص الله فيه اشارة الى ان كل الم ونصب يصيب المؤمن فهو تطهير لقلبه وتكفير له وما يصيب الكافر من نعمة ودولة وغنى ومنى فهو سبب لكفرانه ومزيد لطغيانه ويوجب البلاء لاهل الولاء تمحيصا وبرء عن ظلمات العيوب تنويرها بانوار الغيوب ومحو صفات نفوسهم الكافرة ومحوتها اخلاقهم الفاجرة ليتخلصوا عن قفص الاشباح الى حظائر الارواح أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا

الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّٰهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ۝ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْ

بهشت را و هنوز جدا معلوم نکرده است خدا آنها را که جهاد کردند از شما و معلوم نکرده صابران را و هر آینه بودید که آرزو میکردید مرگ را از پیش آنکه ببینیدش

ع

هُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ۝ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ

پس هر آینه دیدید او را و حال آنکه شما میدیدید و نیست محمد مگر پیغمبری که گذشت از پیش او پیغمبران آیا پس اگر بمیرد یا کشته شود برگردید

عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللّٰهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللّٰهُ الشَّاكِرِينَ ۝ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ

بر پاشنهای خود و هر که برگردد بر پاشنهای خود پس ضرر نرساند خدا را چیزی و زود باشد که جزا دهد خدا شاکران را و نباشد مر نفسی را که بمیرد

إِلَّا بِإِذْنِ اللّٰهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ

مگر بفرمان خدا نوشته شده با مدت و هر که بخواهد ثواب دنیا را بدهیم او را از آن و هر که بخواهد ثواب آخرت را بدهیم او را از آن و زود باشد که جزا دهیم شاکران را

وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللّٰهُ

و چه بسیار از پیغمبری که کارزار کردند با او طائفه بسیاری پس سست نشدند بآنچه رسید ایشان را در راه خدا و ناتوان نشدند و مستأصل نشدند و خدا

يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ۝ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا

دوست دارد صابران را و نبود گفتار ایشان مگر آنکه گفتند ای پروردگار ما بیامرز ما را گناهان ما را و زیاده روی ما را در کار ما و استوار کن قدمهای ما را

ع

وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۝ فَآتَاهُمُ اللّٰهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللّٰهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

و یاری ده ما را بر گروه کافران پس داد ایشان را خدا ثواب دنیا و خوبی ثواب آخرت و خدا دوست دارد نیکوکاران را ای گروه آنان که

آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ۝ بَلِ اللّٰهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ

گرویدید اگر پیروی کنید آنها را که کافر شدند برگردانند شما را بر پاشنهای شما پس برگردید زیانکاران بلکه خدا صاحب اختیار شما است و اوست بهترین یاری دهندگان

القراءة رايتموه بغير همزة يعني بالتاء بين وبحوه راولكورا وه وروي هبة الله بن جعفر عن الاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف بردثواب وبابه مدغما ابو عمرو وهشام ابن عامر وسهل وحمزة وعلي وخلف نؤته مثل يؤده وكائن بالمد والهمز مثل كاعن حيث كان ابن كثير وقرأ يزيد كاين بالمد بغير همزة وقرأ ابو عمرو وسهل ويعقوب على بغير نون في الوقف كاي الباقون وكاين 12 مجاهدين قتل ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير ونافع وقتيبة المفضل الباقون قاتل الوقوف الصابرين تلقوه ص لطول الكلام الرسول ج لان ما بعده يصلح صفة واستينافا الرسل ط اعقابكم ط لتناهي الاستفهام شيئا ط الشاكرين مؤجلا ج لابتداء الشرط منهاج للعطف منها الشاكرين قتل ط ليكون قتل النبي الزاما للحجة على من اعتذر في الانهزام بما سمع من نداء ابليس الا ان محمدا قد قتل و التقدير ومعه ربيون كثير فلو وصل كان الربيون مقتولين ومن قرأ قاتل فله ان لا يقف كثير لابتداء النفي مع فاء التعقيب استكانوا الصابرين الكافرين الاخرة المحسنين خاسرين مولاكم ج الناصرين التفسير انه سبحانه لما ذكر فوائد مداولة الايام وحكمها اتبعها ما هو السبب الاصلي في ذلك فقال ام حسبتم ان تدخلوا الجنة بمعنى بل احسبتم على الشاق وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار ولما بمعنى لم مع زيادة التوقع وليس المراد نفي العلم بالمجاهدين ولكن المراد نفي المعلوم وانما حسن اقامة ذلك مقام هذا لان العلم متعلق بالمعلوم كما هو عليه فلما حصلت بينهما هذه المطابقة حسن اقامة احدهما مقام الاخر تقول ما علم الله في فلان خيرا اي ما فيه خير حتى يعلمه فحاصل الكلام لا تحسبوا ان تدخلوا الجنة ولم تجاهدوا وانما انكر هذا الحسبان لانه تعالى اوجب الجهاد قبل هذه الواقعة واوجب الصبر على تحمل مشاقها وبين وجوه المصالح المنوطة بها في الدين والدنيا واذا كان كذلك فمن البعيد ان يصل الانسان الى السعادة والجنة مع اهمال مثل هذه الطاعة والواو في قوله ويعلم الصابرين واو الجمع في قولهم لا تأكل السمك وتشرب اللبن كانه قيل ان دخول الجنة وترك المصابرة على الجهاد مما لا يجتمعان فليس كل من اقر بدين الله كان صادقا ولكن الفيصل فيه تسليط المكروهات ومخالفات النفس فان الحب هو الذي لا ينقص بالجفاء ولا يزداد بالوفاء وقيل التقدير اظننتم ان تدخلوا الجنة قبل ان نعلم الصابرين ووجه اخر وهو ان يكون مجزوما

ايضاً لكن الميم لما حركت لالتقاء الساكنين حركت بالفتحة اتباعاً للفتحة قبلها وهذا كما قرئ ولما يعلم الله بفتح الميم الا ان يراد ولما يعلم الله بفتح
الميم الا ان يراد ولما يعلمن بالنون الخفيفة ثم حذفت النون وقرأ الحسن يعلم بالجزم على العطف وروي عن ابي عمرو ويعلم بالرفع على الحال كأنه
قيل ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت الخطاب فيه للذين الحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى المشركين وكان رأيه في الاقامة
بالمدينة ويراد بالموت سببه وهو الجهاد والقتال قال المحققون انه لم يكن تمنيهم الموت تمنياً لان يقتلوا لان قتل المشركين لهم كفر ولا
يجوز للمؤمن ان يتمنى الكفر او يريده او يرضى به بل انما تمنوا الفوز بدرجات الشهداء والوصول الى كراماتهم وشبه ذلك بمن شرب دواء
الطبيب النصراني فان غرضه حصول الشفاء ولا يخطر بباله جر منفعة واحسان الى عدو الله وتنفيق صناعته قالت الاشاعرة ههنا
من اراد شيئاً اراد ما هو من لوازمه وثواب الشهداء لا يحصل الا بالشهادة ولا ريب انه تعالى اراد ايصال ثواب الشهداء الى المؤمنين
ولهذا ورد من الترغيبات ما ورد فاراد صيرورتهم شهداء الا اذا قتلهم الكفار فلا بد ان يريد ان يقتلهم الكفار وذلك القتل كفر
ومعصية فثبت انه تعالى مريد للكفر والايمان والطاعة والعصيان من قبل ان تلقوه من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته وصعوبة
مقاساته فقد رأيتموه وانتم تنظرون قال الزجاج اي وانتم بصراء كقولهم رأيته بعيني اي رأيتموه معاينين حين قتل بين ايديكم من قتل
من اخوانكم وشارفتم ان تقتلوا ويحتمل ان يراد رأيتم اقدام القوم وشدة حرصهم على قتلكم وعلى قتل الرسول ثم بقيتم انتم تنظرون اليهم
مع عجزكم عن دفعهم ولا الجهاد في مقاتلتهم وفيه توبيخ على تمنيهم الجهاد وعلى الحاحهم في الخروج اليه ثم انهزامهم وقلة ثباتهم عنده قال ابن
عباس ومجاهد والضحاك لما نزل النبي صلى الله عليه وسلم بالشعب امر الرماة ان يلزموا اصل الجبل ولا ينتقلوا سواء كان الامر لهم او عليهم فلما وقفوا وحملوا
على الكفار هزموهم وقتل علي طلحة بن ابي طلحة صاحب لوائهم والزبير والمقداد شدا على المشركين ثم حمل الرسول صلى الله عليه وسلم مع اصحابه فهزموا
ابا سفيان ثم ان بعض القوم لما رأوا انهزام الكفار بادر قوم من الرماة الى الغنيمة وكان خالد بن الوليد صاحب ميمنة الكفار فلما رأى تفرق
الرماة حمل على المسلمين فهزمهم وفرق جمعهم وكثر القتل في المسلمين ورمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر وكسر رباعيته وشج
وجهه واقبل يريد قتله فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب الراية يوم بدر ويوم احد حتى قتله ابن قمئة واحتمل طلحة بن عبيد الله رسول
الله صلى الله عليه وسلم ودافع عنه ابو بكر وعلي وظن ابن قمئة انه قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد قتلت محمداً وصرخ صارخ الا ان محمداً قد قتل قيل كان الصارخ
الشيطان ففشا في الناس خبر قتله فانكفأوا وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى عباد الله حتى انحازت اليه طائفة من اصحابه فلامهم على
هربهم فقالوا يا رسول الله فديناك بآبائنا وامهاتنا اتانا الخبر بقتلك فرعبت قلوبنا فانزلت وما محمد الا رسول اي مرسل قال
ابو علي وقد يكون بمعنى الرسالة وغير هذا الموضع يعني الرسالة اي حاله مقصور على الرسالة لا يتخطاها الى البقاء والدوام قد خلت من قبله الرسل
فيخلو كما خلوا وكان اتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم فكونوا انتم كذلك لان الغرض من ارسال الرسل التبليغ والزام الحجة
لا وجودهم بين اممهم ابداً افإن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم الفاء لتسبيب الجملة الشرطية عن الجملة التي قبلها والهمزة لانكار الجزاء لانه
في الحقيقة كأنه دخل عليه والمعنى افتنقلبون على اعقابكم ان مات محمد او قتل وسبب الانكار ما تقدم من الدليلين احدهما ان الحاجة الى
الرسول هي التبليغ وبعد ذلك لا حاجة اليه فيلزم من قتله او موته الارتداد عما كان هو عليه من الدين وما يلزمه كالجهاد وثانيهما القياس
على موت سائر الانبياء وقتلهم فان موسى عليه السلام مات ولم يرجع متبعوه عن ذلك الدين والنصارى زعموا ان عيسى عليه السلام قتل وهم لم يرجعوا عن
دينه وانما ذكر القتل وقد علم انه لا يقتل لكونه مجوزاً عند المخاطبين وقوله والله يعصمك من الناس لو سلم انه متقدم في النزول
فانه مما كان يختص بمعرفته العلماء منهم على انه ليس نصاً في العصمة عن القتل بل يحمل العصمة من فتنة الناس واضلالهم وقوله انك ميت
يراد به المفارقة الى الآخرة باي طريق كان بدليل قوله انهم ميتون وكثير منهم قد قتلوا ويمكن ان يقال صدق القضية الشرطية لا يتوقف
على صدق جزئيها لصدق قولنا ان كانت الخمسة زوجاً فهي لا تنقسم بمتساويين مع كذب جزئيها ومعنى او هو الترديد في التشكيك اي سواء فرض
وقوع الموت والقتل فلا تأثير له في ضعف الدين ووجوب الارتداد ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً بل لا يضر الا
نفسه وهذا كما يقول الوالد لولده عند العتاب هذا الذي تأتي به من الافعال لا يضر السماء والارض يريد انه يعود ضرره عليه وما ارتد
احد من المسلمين ذلك اليوم الا ما كان من قول المنافقين ويجوز ان يكون على وجه التغليظ عليهم فيما كان منهم من الفرار والانكشاف
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم روي انه لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمين ليت عبد الله بن ابي يأخذ لنا اماناً من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين
لو كان نبياً لما قتل ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم فقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون
بالحياة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقول هؤلاء وابرأ اليك
مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وعن بعض المهاجرين انه مر بانصاري يتشحط في دمه فقال يا فلان اشعرت ان محمداً قد قتل
فقال ان كان قتل فقد بلغ فقاتلوا على دينكم ففي امثالهم قال الله وسيجزي الله الشاكرين لانهم شكروا نعمة الاسلام فيما فعلوا من الصبر و
الثبات ثم قال وما كان لنفس ان تموت ووجه النظم ان المنافقين ارجعوا ان محمداً قد قتل فارجعوا الى ما كنتم عليه من الاديان فابطل قولهم

بان القتل مثل الموت في انه لا يحصل الا في الوقت المقدر وكما انه لو مات في بلده لم يدل ذلك على فساد دينه فكذا لو قتل وفيه تحريض المؤمنين
على الجهاد باعلامهم ان الحذر لا يغني عن القدر وان احدا لا يموت قبل الاجل وان خوض المهالك واقتحم المعارك او الغرض بيان حفظه
وكلائته للنبي ص فانه ما بقي في تلك الواقعة سبب من اسباب الهلاك والشر الا وقد حصل له ولكن لما كان حافظ النبي ولم يقدر في ذلك
الوقت اجله لم يضره ذلك وفيه تقريع لاصحابه انهم قد قصروا في الذب عنه وجواب عما قال المنافقون للصحابة لما رجعوا لو كانوا
عندنا ما ماتوا وما قتلوا قال الاخفش والزجاج تقدير الكلام وما كانت نفس لتموت الا باذن الله وقال ابن عباس الاذن هو قضاء
الله وقدره فانه لا يحدث شيء الا بمشية الله وارادته فاورد الكلام على سبيل التمثيل كانه فعل لا ينبغي لاحد ان يقدم عليه الا ان ياذن الله
فيه وذلك ان اسناد الموت الى النفس نسبة الفعل الى القابل لا الى الفاعل وقال ابو مسلم الاذن هو الامر والمعنى ان الله تعالى يامر ملك الموت
بقبض الارواح فلا يموت احد الا بهذا الامر وقيل المراد التكوين والتخليق لانه لا يقدر على خلق الموت والحيوة احد الا الله وقيل التخلية
والاطلاق وترك المنع بالقهر والاجبار والمعنى ما كان لنفس ان تموت بالقتل الا باذن يخلي الله بين القاتل والمقتول وفيه انه تعالى لا يخلي
بين نبيه وبين احد ليقتله ولكنه جعله من بين بريته ومن خلفه رصدا ليتم على يديه بلاغ ما ارسل به فلا تهنوا في غزواتكم بعد ذلك
بارجاف مرجف قيل الاذن العلم اي لن يموت نفس الا في الوقت الذي علم الله موتها فيه وفي الاية دليل على ان المقتول ميت باجله
وان تغير الآجال ممتنع ولذا اكد هذا المعنى بقوله كتابا مؤجلا وهو مصدر مؤكد لنفسه لدلالة ما قبله عليه لان كاتب اي كتب الموت كتابا
مؤجلا موقتا له اجل معلوم لا يتقدم ولا يتاخر وقيل الكتاب المؤجل هو المشتمل على الآجال وقيل هو اللوح المحفوظ الذي كتب فيه جميع الحوادث
من الخلق والخلق والرزق والاجل والسعادة والشقاوة قال القاضي الاجل والرزق مضافان الى الله تعالى واما الكفر والفسق والايمان
والطاعة فكل ذلك مضاف الى العبد فاذا كتبه تعالى فانما يكتب ما يعلمه من اختيار العبد فذلك لا يخرج العبد من ان يكون مذموما او ممدوحا
والجواب ان هذا تكثير للقضية فان الله تعالى اذا علم من العبد الكفر استحال ان ياتي هو بالايمان والا انقلب علم الله جهلا واذا كان موجبا قادرا
على الايمان حتما صار مجبورا ثم انه كان في الذين حضروا يوم احد من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة كما اخبر الله تعالى في هذه السورة فقوله
ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها اي من ثوابها تعريض بالفريق الدنيوي وهم الذين شغلتهم الغنائم وباقي الاية مدح للفريق الاخروي
وان فضله تعالى وعطيته شامل لكلا الفريقين لكن ثواب الفريق الثاني هو المعتد به في الحقيقة ولهذا ختم الكلام بقوله وسنجزي الشاكرين
فابهم الجزاء واضافه الى نفسه تنبيها على ان جزاء الذين شكروا نعمة الاسلام فلم يشغلهم عنه شيء لا يكتنه كنهه ويقصر عنه العبارة وانما كان
يعمهم فضله وجسيم طوله وهذه الاية وان وردت في الجهاد لكنها عامة في جميع الاعمال بالنيات ذلك لان المؤثر في جانب الثواب والعقاب
القصود والدواعي فمن وضع الجبهة على الارض في الوقت المعلوم لامر فان قصد بذلك السجود عبادة الله تعالى كان من الايمان وان قصد
تعظيم الشمس كان من الكفر وكاين الاكثرون على انها في الاصل مركبة من كاف التشبيه واي التي هي في غاية الابهام اذا قطعت عن الاضافة كما
ان كذا مركبة من الكاف وذا المقصود بها الاشارة فكاين مثل كذا في كون المجرور مبهما عند السامع الا ان في ذا اشارة في الاصل الى
ما في نفس المتكلم بخلاف اي فانه للعدد المبهم وتميزها منصوب ومفرد على الاصل والاكثر ادخال من في تميز كاين وبه جاء القرآن والتمييز بعد كذا
كاين في الاصل عبارة عن الكاف ومن واي كما في مثال الاجمال لا ما تبين فيه كذا رجلا وكاين رجلا ان مثل العدد المبهم من اي جنس هو ولم يتبين العدد
المبهم في الاصل كان معرفة لكنه محي عن الجزئين معناهما الافرادي وصار المجموع كاسم مفرد بمعنى كم الخبرية فصار كانه اسم مبني على السكون
آخره نون ساكنة كما في من لا تنوين تمكن فلهذا يكتب بعد الياء نون مع ان التنوين لا صورة له خطا ولاجل التركيب تصرفوا فيه فقيل
كائن مثل كاعن وبه ظن بعضهم انه اسم فاعل من كان ولكنه بني لكثرة الاستعمال هاتان اللغتان فيه مشهورتان وهما القراءتان
وفيه لغات اخر غير مشهورة تركنا ذكرها لانها لم يقرأ بها لعلك تجدها في كتب الادبية ومحل كاين ههنا رفع على الابتداء وقوله قتل
او قاتل خبره والضمير يعود الى لفظ كاين فانه مفرد اللفظ وان كان مجموع المعنى والربيون معناه الالوف والجماعات الكثيرة الواحد ربي عن
الفراء والزجاج قال ابن قتيبة اصله من الربة وهي الجماعة فحذفت التاء في النسبة ويقال تربيوا اي تجمعوا وقال ابن زيد الربانيون الائمة و
الولاة والربيون الرعية والكسر فيه من تغييرات النسب كالضم في دهري والقياس الفتح ثم من قرأ قتل فمعنى الاية ان كثيرا من الانبياء قتلوا
والذين بقوا بعدهم ما وهنوا في دينهم بل استمروا على جهاد عدوهم ونصرة دينهم وكان ينبغي ان يكون لكم بهم اسوة حسنة فيكون المقصود
من الاية حكاية ما جرى لسائر الانبياء ليقتدي بهم هذه الامة ومن قرأ قاتل فالمعنى وكم من نبي قاتل معه العدد الكثير من اصحابه فاصابهم من عدوهم
قرح فما وهنوا ولعل هذا يكون الغرض من الاية ترغيب الذين كانوا مع النبي ص في القتال ويؤيد هذه القراءة ما روي عن سعيد بن
جبير انه قال ما سمعنا بنبي قتل في القتال ويحتمل ان ينزل القراءة الاولى على هذه الاية ايضا بان يقال المعنى وكاين من نبي قاتل من
كان معه وعلى دينه ربيون كثير فما ضعف الباقون وما استكانوا لقتل من قتل من اخوانهم بل مضوا على جهاد عدوهم ثم انه تعالى
مدح هؤلاء الربيين بصفات وذلك قوله فما وهنوا ولا بد من تغايرها فقيل فما وهنوا عند قتل النبي وما ضعفوا عن الجهاد بعد

قائم القابل مقام الفاعل ع

كما قال انما الاعمال ع

وما استكانوا للعدو اي لم يخضعوا للعدو وفيه تعريض بما اصاب المسلمين من الوهن والانكسار عند الارجاف بقتل رسول الله وبضعفهم عند ذلك
عن جهاد الكفار واستكانتهم لهم حين ارادوا ان يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن ابي في طلب الامان من ابي سفيان وقيل الوهن استيلاء
الخوف عليهم والضعف ضعف الايمان واختلاج الشبهات في صدورهم والاستكانة الانتقال من دينهم الى دين عدوهم وقيل الوهن ضعف
يلحق القلب والضعف مطلقا الاختلال في القوة الجسمية والاستكانة اظهار ذلك العجز والضعف واستكان قيل افتعل من السكون كانه سكن
لصاحبه ليفعل به ما يريد وعلى هذا فالمد شاذ كقولهم هو منه بمنتزاح اي ببعيد بمنتزح والاصح انه استفعل من كان والمد قياسي كان صاحبه
تغير من كون الى كون اي من حال الى حال والله يحب الصابرين فانه يريد اكرامهم والحكم بالثواب والجنة لهم ثم اخبر انهم كانوا مستعينين عند
التصبر والتجلد بالدعاء والتضرع وطلب الامداد والنصر من الله والغرض ان يقتدي هذه الامة بهم فان من عول في تحصيل مهماته على نفسه و
على عدده وعدده ذل ومن اعتصم بالله ملتجئا اليه فاز بالظفر وفي اضافتهم الذنوب والاسراف الى انفسهم وهم ربانيون هضم للنفس واستصغار
لها قال المحققون انما قدموا الاستغفار لعلمهم بانه تعالى ضمن نصر المؤمنين فاذا لم يحصل النصرة وظهر امارات استيلاء الاعداء دل ذلك على
صدور ذنب وتقصير من المؤمنين فيلزم تقديم التوبة والاستغفار على طلب النصرة ليكون طلبهم الى ربهم عن زكاء وطهارة واقرب
الى الاستجابة ثم انهم عموا الذنوب لا الصغائر والكبائر بقولهم ربنا اغفر لنا ذنوبنا ثم خصصوا الذنوب الكبائر بقولهم واسرافنا في امرنا
لان الاسراف في كل شيء هو الافراط فيه المراد بتثبيت الاقدام ازالة الخوف عن قلوبهم واماطة الخواطر الفاسدة عن صدورهم والمراد
بالنصر الامور الزائدة على القوة والعدة والشدة كالقاء الرعب في قلوب الاعداء وكاحداث احوال سماوية او ارضية توجب انهزامهم كهبوب
ريح تثير الغبار في وجوههم واجراء سيل في مواضع وقوفهم وفي الاية تاديب وارشاد من الله تعالى في كيفية الطلب عند النوائب جهادا كان
او غيره فآتاهم الله ثواب الدنيا من النصرة والغنيمة والعز وطيب الذكر وانشراح الصدر وثواب الآخرة هو الجنة وما فيها من المنافع و
اللذات وذلك غير حاصل في الحال فالمراد انه حكم لهم بحصولها في الآخرة وحكم الله بالحصول كنفس الحصول او المراد انه سيؤتيهم مثل اتى امر الله
سيأتي قال القاضي ولا يمتنع ان يكون الاية مختصة بالشهداء وانهم في الجنة عند ربهم كما قال بل احياء وثواب الآخرة كله حسن فلذلك خص
بحسن ثوابها وانما لم يصف ثواب الدنيا بالحسن لقلتها وامتزاجها بالمضار وكدورة صفوها بالانقطاع والزوال قال القفال يحتمل ان
يكون الحسن هو الحسن كقوله وقولوا للناس حسنا والغرض منه المبالغة كما يقال فلان جود وعدل اذا كان غاية في الجود ونهاية في العدل
وههنا نكتة وهي انه ادخل من التبعيضية في الاية المتقدمة في قوله نؤته منها في الموضعين ولم يذكر في هذه الاية لان اولئك اشتغلوا بالثواب عن
العبودية فلم ينالوا الا البعض بخلاف هؤلاء فانهم لم يذكروا انفسهم الا بالعيب والتقصير ولم يسألوا ربهم الا بما يوجب اجلال كلمته فلا جرم فازوا
بالكل وفيه تنبيه على ان من اقبل على خدمة الله اقبل على خدمته كل ما سوى الله ثم قال والله يحب المحسنين والاحسان ان تعبد الله كانك تراه
وههنا سر وهو انه تعالى وفقهم للطاعة ثم اثابهم عليها ثم مدحهم على ذلك فسماهم محسنين ليعلم العبد ان الكل بعنايته وفضله يا ايها الذين امنوا
ان تطيعوا الذين كفروا عن السدي المراد بالذين كفروا هو ابو سفيان واصحابه فانه كان كبير القوم في ذلك اليوم والمعنى ان تستكينوا لهم
وتستأمنوهم وعن علي هم المنافقون عبد الله بن ابي واشياعه قالوا للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم وعن
الحسن هم اليهود والنصارى يستغوونهم ويوقعون لهم الشبهة في الدين ولا سيما عند هذه الواقعة كانوا يقولون لو كان نبيا حقا
لما غلب ولما اصابه واصحابه ما اصابهم انما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوم له ويوم عليه والاقرب انه عام في جميع الكفار فان خصوص
السبب لا ينافي ارادة العموم فعلى المؤمنين ان لا يطيعوهم في شيء ولا ينزلوا على حكمهم وعلى مشورتهم حتى لا يستجروهم الى موافقتهم
وهو المراد بقوله يردوكم على اعقابكم اي الى الكفر بعد الايمان فتنقلبوا خاسرين في الدنيا وهو استبدال ذلة الكفر بعزة الاسلام
والانقياد للاعداء الذي هو اشق الاشياء لدى العقلاء وفي الآخرة بالحرمان عن الثواب المؤبد والوقوع في العقاب المخلد بل الله
مولاكم ناصركم وهو اضراب عما كانوا بصدده من طاعة الكفار والمعنى انكم انما تطيعون الكفار لينصروكم ويعينوكم على مطالبكم وهذا
خطأ وجهالة لانهم عاجزون مثلكم متحيرون وبغير اذن الله لا ينفعون ولا يضرون وهو خير الناصرين لو فرض ان لاحد سواه قدرة
على النصر لانه خبير بمواقع الحاجات قدير على انجاح الطلبات فيعطي في الدنيا والآخرة بلا شائبة علة من العلل ونصرة غيره لو فرض
فانه مخصوص بالدنيا وببعض الامور وفي بعض الاوقات ولغرض من الاغراض الفاسدة كيف ولا ناصر بالحقيقة سواه التاويل
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ان تلجوا عالم الملكوت ولما تظهر منكم مجاهدات توجب لكم مشاهدات وللصبر على تزكية النفوس وتصفية القلوب
على وفق الشريعة وقانون الطريقة ليحيل الارواح بانوار الحقيقة ولقد كنتم يا ارباب الصدق واصحاب الطلب تمنون موت النفوس
عن صفاتها لدى كينونتها من قبل ان تلقوا المجاهدات والرياضات ومخالفات النفس فقد رايتموها عند لقاء العدو في الجهاد الاصغر ظاهرا
وفي الجهاد الاكبر باطنا فقد رايتم هذه الاسباب التي كنتم تمنونها عيانا وانتم تنظرون لا تقعدون نار واحكم ولا تجاهدون حق الجهاد
في الله ما رواحكم واشباحكم افإن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم فيه ان الايمان التقليدي لا اعتبار له فينقلب المقلد عن ايمانه عند

اعدام المقلد من ان الدين او الاستاذ وكذا صدمه موت المقلد يتحير عند سؤال الملكين في قبره لما من ربك فيقول هاه هاه لا ادري فيقول

ربما تقول في هذا الرجل فيقول هاه هاه لا ادري كنت اقول فيه ما قال الناس فيقولان له لا دريت ولا تليت وسيجزي الله بالايمان بالايمان الحقيقي

الشاكرين الذين شكروا نعمة الايمان التقليدي باداء حقوقه وهو الايتمار باوامر الشرع والانتهاء عن نواهيه ما كان لنفس ان تموت عن

اوصافها الدنية واخلاقها الردية وتتخلص عن طبيعتها الا بتوفيق الله وجذبة اشراق نوره كما ان ظلمة الليل لا ينمحي الا باشراق طلوع الشمس

ثم اثبت للعبد كسبا في طلب الهداية واستجلاب العناية بقوله ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومنه رتبة الخواص اي من عمل شوقا الى الحق

فقد آتى نعمة وجود المنعم فثوابه نقد في الدنيا لانه حاضر لا غيبة له وهو معنى قولهم الصوفي ابن الوقت فيما انشد خليلي هل ابصرتما او

سمعتما باكرم من مولى تمشي الى عبد اتى زائرا من غير وعد وقال لي لانه اصونك عن تعذيب قلبك بالوعد ومن عمل شوقا الى الجنة فنظره

على النعمة فثوابه في الاخرة وسيجزي الله الشاكرين اي كلا الفريقين على قدر شكرهما وكاين من نبي قاتل اعداء العدو الذي بين جنبيه

ومعه ربيون متخلقون باخلاق الرب فما وهنوا لما اصابهم من تعب المجاهدات وما ضعفوا في طلب الحق وما استكانوا باحتمال الاذية

والالتفات الى ان تطيعوا الذين كفروا اي النفوس الكافرة سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ

وصفاتها يردوكم الى اسفل سافلين بشريتكم وهيمنتكم [illegible]

مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ

[illegible]

حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ

[illegible]

الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى

[illegible]

أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ثُمَّ أَنْزَلَ

[illegible]

عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ

[illegible]

الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ

[illegible]

لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ

[illegible]

وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى

[illegible]

الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

[illegible]

لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا

[illegible]

فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ فَبِمَا رَحْمَةٍ

[illegible]

مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا

[illegible]

عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ

[illegible]

مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ القراءة الرعب بضمتين حيث كان ابن عامر وعلي ويزيد وسهل ويعقوب الباقون بسكون

[illegible] العين حماد [illegible] وابو بكر [illegible] الاعشى [illegible]

عز اسمه

قلنا بكذا

في الوقف لقد صدقكم وبابه بادغام الدال في الصاد حمزة وعلي وخلف وابو عمرو وهشام وسهل تغشى بتاء فوقانية وبالامالة حمزة وعلي وخلف
الباقون بياء الغيبة كله بالرفع ابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون بالنصب بصير بياء الغيبة ابن كثير وعباس وعلي وخلف وحمزة
الباقون بالخطاب متم ومتنا بكسر الميم من مات يمات حيث كان نافع وعلي وحمزة وخلف وافق حفص الا ههنا للجوار فقتلهم الباقون
بضم الميم من مات يموت يجمعون بياء الغيبة حفص والمفضل وسائر القراء بتاء الخطاب الوقوف سلطانا ج لعطف المختلفين النار ط
الظالمين ه باذنه ج لان حتى يحتمل انتهاء الحس ووجه الابتداء اظهر لاقترانها باذا مع حذف الجواب اي اذا فشلتم وفعلتم انقلب الامر عليكم
نصره والوقف على تحبون كاف في الوجهين الاخرة ج لان ثم لترتيب الاخبار وقيل للعطف صرفكم على الجواب المحذوف ليبتليكم ج عنكم ط
المؤمنين اصابكم ط تعملون طائفة منكم لا لان الواو للحال الجاهلية ط من شيء ط لله ط يبدون لك ط ههنا ط مضاجعهم ج لان الواو
مقحمة او عاطفة على محذوف معناه لينفذ الحكم فيكم وليبتلي ما في قلوبكم الصدور الجمعان لا لان خبر ان كسبوا ج لاحتمال الواو وحالا واستيناف
عنهم ط حليم ه وما قتلوا ج لان لام ليجعل قد يتعلق بقوله وقالوا لاخوانهم او بمحذوف اي ذلك ليجعل في قلوبهم ط ويميت ط بصير ه يجمعون
تحشرون ه لنت لهم ج لان الواو للعطف ولو للشرط من حولك ص في الوصل وقف لعطف الامر بالرحمة على النهي عن الغلظة تعريضا الامر ج
لفاء التعقيب مع اذا الشرطية على الله ط المتوكلين ه لكم ج لابتداء شرط آخر مع لو او من بعده ط المؤمنون ه التفسير انه تعالى ذكر في هذه الآيات
وجوها كثيرة في باب الترغيب في الجهاد وعدم المبالاة بالكفار من جملتها الوعد بالقاء الرعب في قلوب الكفرة ولا شك ان هذا من معاظم اسباب
الاستيلاء ثم ان هذا الوعد مخصوص بيوم احد او هو عام في جميع الاوقات الاظهر الثاني كانه قيل انه وان وقعت لكم هذه الواقعة في يوم
احد الا انا سنلقي الرعب في قلوب الكفار بعد ذلك حتى يظهر هذا الدين على سائر الاديان ويؤيده قوله نصرت بالرعب مسيرة شهر وذهب
كثير من المفسرين الى انه مخصوص بيوم احد ووروده في سياق تلك القصة قال السدي لما ارتحل ابو سفيان والمشركون يوم احد متوجهين الى
مكة انطلقوا حتى بلغوا بعض الطريق ثم انهم ندموا وقالوا بئس ما صنعنا قتلناهم حتى اذا لم يبق منهم الا الشريد تركناهم ارجعوا فاستأصلوهم
فلما عزموا على ذلك القى الله الرعب في قلوبهم فتركوهم ورجعوا منهزمين من غير سبب روي ان ابا سفيان صعد الجبل من الخوف وقال اين ابن
ابي كبشة يعني رسول الله اين ابن ابي قحافة اين ابن الخطاب فاجابه عمر وجرى بينهم من الكلمات ما جرى والرعب الخوف الذي يملأ القلب
فزعا ومنه سيل راعب اذا ملأ الاودية والانهار والقاء الرعب في قلوبهم لا يقتضي القاء جميع انواعه فيها وانما يقتضي وقوع هذه
الحقيقة منها من بعض الوجوه ولكن ظاهر قوله في قلوب الذين كفروا يقتضي وقوع الرعب في قلوب جميع الكفرة وهكذا هو في الواقع لانه
لا احد يخالف دين الاسلام الا وفي قلبه خوف المسلمين وهيبتهم اما في الحرب واما في المخاصمة وقيل انه مخصوص باولئك الكفار بما اشركوا
اي بسبب اشراكهم بالله وفيه وجه معقول وهو ان الدعاء انما يصير محل الاجابة عند الاضطرار كما قال أمن يجيب المضطر اذا دعاه و
اعتقد ان لله شريكا لم يحصل له الاضطرار لانه يقول ان كان هذا المعبود لا ينفع فذلك الآخر ينصرني فلا يحصل في قلبه الاجابة فيلزمهم الرعب
والخوف هذا على تقدير ان معبوديهم يصح منهم الاجابة فكيف شأنهم لا يملكون نفعا ولا ضرا ما لم ينزل به سلطانا فالمعنى لم ينزل الله باشراكها
حجة والتركيب يدل على الغلبة والشدة والحدة ومنه يقال للوالي سلطان ومنه سلاطة اللسان والسليط الزيت كانه يستخرج بالعصر
قال الجوهري السلطان يعني الحجة والبرهان لا يجمع لان مجراه مجرى المصدر وليس المراد ان هناك حجة الا انها لم تنزل لان الشرك لن يقوم عليه حجة
ولكن المراد نفي الحجة ونزولها جميعا كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر قال المتكلمون التقليد باطل لان كل ما لا دليل عليه لم يجز اثباته ومنهم
من بالغ فيقول لا دليل عليه فيجب نفيه ومنهم من احتج بهذا الحرف على وحدانية الصانع فقال لا سبيل الى اثبات الصانع الا باحتياج المحدث
اليه ويكفي في دفع هذه الحاجة اثبات الصانع الواحد فما زاد لا سبيل الى اثباته فلم يجز اثباته اقول هذا اذا لم يكن اسند الينا بعد الدليل
على وجود الشريك على نفيه اما اذا استند الينا وجود الدليل على نفيه فلا شريك لاجل الدليل ولا دليل على الاشتراك لوجود الدليل على نفي
الشريك فلما ذكر حال الكفرة في الدنيا وهو استيلاء الرعب عليهم اتبعه حالهم في الاخرة فقال ومأواهم اي المكان الذي يأوون اليه
النار وبئس مثوى الظالمين مقام المشركين من ثوى بالمكان يثوي اذا اقام به ثم اكد وعد القاء الرعب بقوله ولقد صدقكم الله
وعده اذ تحسونهم تستأصلونهم قتلا قال اصحاب الاشتقاق حسه اي قتله لانه ابطل حسه بالقتل كما يقال بطنه اذا اصاب بطنه ورأسه
اذا اصاب رأسه باذنه بعلمه قيل المراد بهذا الوعد انه رأى في المنام انه يذبح كبشا فصدق الله رؤياه بقتل طلحة صاحب لواء المشركين
يوم احد وقتل تسعة نفر بعده على اللواء وقيل هو ما ذكر من قوله ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم الا ان
الموعد كان مشروطا بالصبر والتقوى وقيل المراد هو ان الرسول قال للرماة لا تبرحوا هذا المكان فانا لا نزال غالبين ما دمتم فيه فلما
اقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يقتلونهم وقيل لما رجع الى
المدينة قال ناس من المؤمنين من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزلت حتى اذا فشلتم وتنازعتم وعصيتم قال بعض العلماء
هذا الوعد بشرط فلهذا لم يقتض الجواب المعونة بنصركم الله الى حين كان منكم الفشل لانه وعدهم بالنصر وكان مشروطا بالصبر فلما اخل

انه لجبانة ثم اختلفوا في الجزاء على وجوه احدها قال البصريون انه محذوف كما مر في الوقوف تقديره امتحنكم لدلالة سياق الكلام عليه وثانيها قال
الكوفيون جوابه عصيتم والواو زائدة والمراد بالعصيان خروجهم من ذلك المكان فان الفشل والتنازع اخرجهم من المكان الذي امرهم
فيه رسول الله وثالثها قال ابو مسلم جوابه ثم صرفكم وثم هاهنا كالساقطة والمراد بالفشل الجبن عن الجهاد وبالتنازع ان الرماة لما انهزم
المشركين ورأوا نساءهم يصعدن الجبل وكشفن عن سوقهن بحيث بدت خلاخلهن قالوا الغنيمة فقال عبد الله بن جبير امير الرماة عهد الينا
ان لا نبرح هذا المكان فابوا عليه وذهبوا الى طلب الغنيمة وبقي عبد الله مع طائفة دون العشرة الى ان قتلهم المشركون وقوله في الامر ان يكون
بمعنى الشان والقصة اي تنازعتم فيما كنتم فيه من الشان او بمعنى الامر الذي يضاده النهي اي تنازعتم فيما امركم الرسول به وعصيتم تركتم
ملازمة ذلك المكان وانما قدم ذكر الفشل على التنازع والمعصية لانهم فشلوا اي ضعفهم عن الثبات طمعا في الغنيمة ثم تنازعوا من طريق القول في
انا نذهب في طلب الغنيمة ام لا ثم اشتغل بعضهم بطلب الغنيمة وانما ورد اللفظ عاما وان كانت المعصية بعضا منهم لان ذلك الموضع خاصة بالبعض
اعتمادا على المخصص بعده وهو قوله ومنكم من يريد الاخرة وفائدة قوله من بعد ما اراكم ما تحبون التنبيه على عظم شان المعصية لانهم
لما شاهدوا ان الله اكرمهم بانجاز الوعد كان من حقهم ان يمتنعوا عن المعصية فلما اقدموا عليها سلبهم ذلك الاكرام واذاقهم وبال
امرهم قوله ثم صرفكم عنهم قالت الاشاعرة معنى هذا الصرف انه تعالى رد المسلمين عن الكفار وخلق الرعب فيهم حتى ادبروا وكانت الهزيمة
على المسلمين وقتل منهم من قتل واستولى الكفرة ولا يتوجه عليهم اشكال لان مذهبهم ان الخير والشر بارادة الله وتخليقه واما المعتزلة فلم
يرضوا بهذا التفسير قالوا كيف يضيف الصرف بهذا المعنى الى نفسه والصرف عن الكفار معصية وقد اضافها الى الشيطان في قوله انما
استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا وايضا انه تعالى عاتبهم على ذلك الانصراف ولو كان بفعل الله لم يجز معاتبة القوم عليه كما لا يجوز المعاتبة
على طولهم وقصرهم وصحتهم ومرضهم فعند ذلك ذكروا في تاويل الاية وجوها قال الجبائي ان الرماة كانوا فريقين بعضهم فارقوا المكان اولا
لطلب الغنائم وبعضهم بقوا هناك الى ان احاط بهم العدو وعلموا انهم لو استمروا على المكث هناك لقتلهم العدو من غير فائدة اصلا فلهذا السبب
جاز لهم ان يتحولوا عن ذلك الموضع متحرزين فيه عن العدو الا ترى ان النبي ذهب الى الجبل مع جماعة من اصحابه فتحصنوا به فلما كان ذلك الانصراف
جائزا اضافه الله الى نفسه بمعنى انه كان بامره واذنه ثم قال ليبتليكم والمراد انه تعالى لما صرفهم الى ذلك المكان وتحصنوا فيه امرهم هناك بالجهاد
والذب عن بقية المسلمين ولا شك ان الاقدام على الجهاد بعد الانهزام وبعد ان شاهدوا في تلك المعركة قتل اقاربهم واحبائهم من اعظم
انواع الابتلاء فان قيل الاية مشتملة على المعذورين في الانصراف وعلى غير المعذورين فقوله ثم صرفكم عنهم يرجع الى المعذورين وسبب
العفو ما علم من ندمهم على ما فرط منهم من عصيان امر رسول الله وقال الكعبي ثم صرفكم عنهم بان لم يامركم بمعاودتهم من فورهم ليبتليكم
بكثرة الانعام عليكم والتخفيف عنكم وقال ابو مسلم الاصفهاني المعنى من الصرف انه تعالى ازال ما كان في قلوب الكفار من الرعب من المسلمين
عقوبة لهم على عصيانهم وفشلهم ثم معنى الابتلاء انه جعل ذلك الصرف محنة عليهم ليتوبوا الى الله فيما خالفوا فيه امره ثم اعلمهم انه قد عفى عنهم قال
القاضي ظاهر قوله ولقد عفا عنكم يقتضي تقدم ذنب منهم فان كان ذلك الذنب من الصغائر صح ان يصف نفسه بالعفو عنهم من
غير توبة وان كان من باب الكبائر فلا بد من اضمار توبتهم لقيام الدلالة على ان صاحب الكبيرة اذا لم يتب لم يكن اهلا للعفو وقالت الاشاعرة
لا شك ان ذلك الذنب كان من الكبائر لانهم خالفوا صريح نص الرسول وصارت تلك المخالفة سببا لانهزام عسكر الاسلام ولقتل
جمع من الصحابة ثم ان ظاهر الاية يدل على انه تعالى قد عفا عنهم من غير توبة لانها غير مذكورة فصارت الاية دليلا على انه قد يعفو عن
اصحاب الكبائر والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو وهو متفضل عليهم في جميع الاحوال سواء كانت الدولة لهم او عليهم

لان الابتلاء رحمة كما ان النصرة رحمة وقد يستدل بالاية على ان صاحب الكبيرة مؤمن لانه سماهم مؤمنين خلاف ما يقوله المعتزلة
من انه لا مؤمن ولا كافر قوله سبحانه اذ تصعدون منصوب باضمار واذكروا او بما يتعلق بما قبله اي عفا عنكم اذ تصعدون
ما صدر عنهم من مفارقة ذلك المكان والاخذ في الوادي كالمنهزمين من غير تعرج او المعنى ليبتليكم اذ تصعدون او ثم صرفكم اذ تصعدون والاصعاد
الذهاب في الارض والابعاد فيها قال الفراء الصعود في كل شيء له اسفل واعلى كالوادي والنهر والازقة فيقال فيه اصعد اذا اخذ
من اسفله الى اعلاه واما ما ارتفع كالسلم والجبل فانه يقال صعد ولا تلوون على احد لا تلتفتون اليه واصله ان المعرج على الشيء يلوي
اليه عنقه وعنان دابته والرسول يدعوكم كان يقول الى عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة ويحتمل انه كان يدعوهم الى نفسه حتى
يجتمعوا عنده ولا يتفرقوا ويحتمل انه كان يدعوهم الى المحاربة مع العدو في اخراكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى لان القوم بسبب الهزيمة قد
تقدموه وبقي هو في الجماعة المتاخرة يقال جئت في اخر الناس واخرتهم كما تقول في اولهم واولاهم بتاويل مقدمتهم وجماعتهم الاولى
فاثابكم قال في الكشاف انه عطف على صرفكم واقول لا يبعد ان يعطف على تصعدون لانه بمعنى اصعدتم بدليل اذ يقال ثاب اليه اي
رجع والمراة الثيب سميت ثيبا لان واليها عائدا اليها فاصل الثواب كل ما يعود الى الفاعل من جزاء فعله خيرا كان او شرا الا ان العرف خصه
بالخير فان حملنا لفظ الاية على اصل اللغة استقام بلا تاويل وان حملناه على مقتضى العرف كان واردا على سبيل التهكم كقولهم عتابك

السيف تخييلات الضرب بجعل مكان ما يرجون من الثواب الغم وهو في الاصل التغطية ومنه الغمام فكان الغم يستر وجه اللذة والسرور والباء
في بغم يحتمل ان يكون بمعنى المعاوضة نحو بعت هذا بذاك ويحتمل ان يكون بمعنى المصاحبة اما الاحتمال الاول ففيه وجوه قال الزجاج انكم
لما اذقتم الرسول غما بسبب عصيانكم امره اذاقكم الله غم الانهزام وقيل الاصحاب والمعنى جازاكم من اجل الغم بهذا الغم وقال الحسن يريد
غم يوم احد للمسلمين بغم يوم بدر للمشركين وفي الكشاف يجوز ان يكون الضمير في فاثابكم للرسول اي فآساكم في الاغتمام فكما غمكم ما نزل به من
كسر رباعيته وشجه وجهه وقتل عمه وغيره غمه ما نزل بكم من قتل الاعزة ومن الانهزام في سلك العصاة لطلب الغنيمة ثم الحرمان عنها واما
الاحتمال الثاني ففيه وجوه احدها ان يكون هناك غمان الاول ما اصابهم عند الفشل والتنازع والثاني ما حصل عند الهزيمة او
الاول غم فوت الغنائم والثاني ان اباسفيان وخالد بن الوليد اطلعا على المسلمين فحملوا عليهم فقتلوا منهم جمعا عظيما او الاول هذا والثاني
خوفهم من رجوع المشركين لاستيصال المسلمين او الاول ما اصابهم في انفسهم واموالهم والثاني غم الارجاف بقتل الرسول صلعم او الاول
خوف عقاب على ما عملوا والثاني غم التوبة فانها لا تتم الا بالعزم على المحاربة واذا امر بها معاودة بعد الفشل والذلة فان فعل غلب على ظنه القتل وان تركه
خاف الكفر وعقوبة الآخرة وثانيها ان يراد بغم مع غم مواصلة الغموم وتتابعها وكثرتها فيشمل جميع الغموم المعدودة وما ينخرط في سلكها
ثم اللام في قوله لكيلا تحزنوا يحتمل ان يتعلق بقوله ولقد عفى عنكم لان في عفوه عنهم ما يزيل كل هم وحزن واما ان يتعلق بقوله فاثابكم فيكون
المعنى على قول الزجاج ان اذاقتهم غم الهزيمة ليتمرنوا على تجرع الغموم واحتمال الشدائد فلا يحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع ولا على مصيب
من المضار وليصير ذلك زاجرا لهم عن الاقدام على المعصية والاشتغال بما يخالف امر الله وعلى قول الحسن جعلكم مغمومين يوم احد في مقابلة
ما جعلهم مغمومين يوم بدر لكيلا تحزنوا بادبار الدنيا ومصائبها ولا تفرحوا باقبالها وعوائدها قالت الاشاعرة معنى اثابة الغم
من الله تعالى خلق الغم فيهم ولا يقبح منه شيء اما المعتزلة فانهم يقولون الغم فعل العبد لكنه اسند اليه تعالى لانه طبع العباد طبعا يغتمون بالمضار
وهم لا يحملون على ذلك ولا يذمون وان سلم انه بخلق الله فلغاية المصالح وليس الغرض تسليط الكفار على المسلمين فان ذلك كفر ومعصية
ولكن الغرض ان لا يبقى في قلوب المؤمنين اشتغال بغير الله ولا يحزنوا بالادبار ولا يفرحوا بالاقبال وان جعل الاثابة مسندا الى الرسول
فانما فعل ذلك ليسليهم وينفس عنهم لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نصر الله ولا على ما اصابهم من غلبة العدو وان جعلت الباء بمعنى مع فالمعنى
كما في قول الزجاج او المراد انكم قلتم لو بقينا في هذا المكان وامتثلنا وقعنا في غم فوت الغنيمة فاعلموا انكم لما خالفتم امر الرسول طلبا للغنيمة
وقعتم في غموم اخر كل واحد منها اعظم مرة ليصير هذا ما نالهم من ان يحزنوا على فوات الغنيمة في وقعة اخرى ثم كما زجرهم على تلك المعصية
زاجرا دنيويا زجرهم زاجرا اخرويا فقال والله خبير بما تعملون عالم بجميع اعمالكم وقصودكم ودواعيكم فيجازيكم بحسب ذلك ثم اخبر ان
الذين كانوا مع النبي صلعم يوم احد فريقان احدهما الجازمون بحقيقة هذا الدين وان هذه الواقعة لا تؤدي الى الاستيصال لاخبار
الصادق ان هذا الدين سيظهر على سائر الاديان فخاطبتهم بقوله ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا وزادهم بقوله
يغشى طائفة منكم والامنة مصدر كالامن ومثله من المصادر العظمة والغلبة والنعاس فتور في اوائل النوم وانتصاب امنة على انها
حال متقدمة من نعاسا مثل رأيت راكبا رجلا او مفعول له بمعنى نعستم امنة او على انه حال من المخاطبين بمعنى ذوي امنة او على انه جمع آمن
كبار وبررة او على انه مفعول انزل ونعاسا بدل منه قال ابو طلحة غشينا النعاس ونحن في مصافنا فكان السيف يسقط من يد احدنا فيأخذه
ثم يسقط فيأخذه وما احد الا ويميل تحت حجفته وعن الزبير كنت مع الرسول صلعم حين اشتد الخوف فارسل الله علينا
النوم والله اني لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني يقول لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا وعن ابن مسعود النعاس في القتال
امنة والنعاس في الصلوة من الشيطان وذلك انه في القتال لا يكون الا من غاية الوثوق بالله والفراغ عن الدنيا ولا يكون في الصلوة
الا من غاية البعد عن الله وكان في ذلك النعاس فوائد منها انه شمول المؤمنين كلهم لا في الوقت المعتاد معجزة ظاهرة جديدة لهم موجبة
لزيادة وثوقهم بان الله ينجز وعده وينصرهم فيزداد جدهم واجتهادهم في الجهاد ومنها ان الارق والسهر يوجبان الفتور والكلال والنعاس
يجدد القوة والنشاط ومنها شغلهم عن مشاهدة قتل الاعزة والاحبة ومنها ان الاعداء كانوا لو اصابوهم كذلك لم يقتلوهم فبقاؤهم
سالمين في تلك المعركة وهم في النوم من ادل الدلائل على حفظ الله وكلاءته ومن الناس من زعم ان ذكر النعاس ههنا كناية عن غاية
الامن وهذا صرف اللفظ عن ظاهره من غير ضرورة مع ان فيه ابطال الفوائد والحكم المذكورة والطائفة من قرأ يغشى بالياء فللعود الى
النعاس بنفسه وكونه اقرب وكون المبدل في حكم المنحى وموافقته لقوله في قصة بدر اذ يغشيكم النعاس ولان العرب يقول غشيه النعاس
وقلما يقولون غشيه الامن ولان النعاس هو الامنة لما كانا شيئا واحدا كان التذكير اولى واما الفريق الثاني فهم المنافقون
الذين كانوا في شك من نبوته صلعم وما حضروا الا لطلب الغنيمة كعبد الله بن ابي ومعتب بن قشير ونظرائهم فاخبر عنهم بقوله
وطائفة قد اهمتهم انفسهم ما بهم الا هم انفسهم لا هم الدين ولا هم النبي ولا المسلمين في اهم الامر الشديد يقال اهمه ذلك الامر اي اقلقه و
احزنه والمعنى اوقعتهم انفسهم في الهموم والاشجان فهم في التشاكي والبث والتحقيق فيه ان الانسان اذا اشتد اشتغاله بالشيء و

واستغرقهم فيه ما شغلهم عما سواه فلما كان اجلّ الاشياء عندهم هو النفس كانت اسباب الخوف على النفس هناك موجودة والدافع لذلك وهو
الوثوق بنصر الله ووعده غير حاصل لهم فلم يكن همهم الا امر انفسهم يظنون بالله غير الحق وهو في حكم المصدر اي غير الظن الحق الذي يجب ان
يظن به ظن الجاهلية بدل منه وفائدته في هذا الترتيب غير الحق لدلالة كثرة وارد وانما مقالات اهل الجاهلية فذكروا انهم يظنون بالله
ظنا ما جاء لانهم بين انهم اختاروا من الاديان اردئها كما يقال فلان دين الملاحدة او ظن الجاهلية مصدر غير الحق كما يظنون ان
كقولك هذا القول غير ما تقول كقوله ظن الجاهلية كقولك حاتم الجود ورجل صدق فهما اضيف للابتداء اي الظن المختص بالملة الجاهلية
وهي زمان الفترة قبل الاسلام او هو ظن اهل الجاهلية وهم اهل الشرك الجاهلون بالله والجاهلية مصدر كالعالمية والقادرية قيل ان ذلك
الظن انهم كانوا ينكرون الاله العالم بكل المعلومات القادر على كل المقدورات وينكرون النبوة والمعاد فلا جرم ما وثقوا بقول
النبي ان الله يقويهم وينصرهم وقيل الظن هو انهم كانوا يقولون لو كان محمد محقا لم يسلط الله الكفار عليه هذا ظن فاسد اما عند اهل
السنة فلانه تعالى فاعل ما يشاء ولا اعتراض لاحد عليه فاذا شرف الولي بعبوديته فلعله لم يجب ان يشرفه من بعد الصالح في افعاله واحكامه فلا
يبعد ان يكون في التخلية بين الكافر والمسلم وغير ذلك من المصالح حكم خفية ولو كان لكون المؤمن محقا يوجب زوال المصائب عنه لاضطر
الناس الى معرفة الحق وكان منافيا للتكاليف استحقاق الثواب والعقاب فانما يعرف كون الانسان محقا بالدلائل والبينات ولا يجوز
الاستدلال بالدولة والشوكة ووفور القوة ولهذا قال الحاج على حقيقة صاحبها والله اعلم يقولون هل لنا من الامر من شيء حكاية شبهة تمسك
بها اهل النفاق فاستفهموا عنها على سبيل الانكار وانما يحتمل وجوها احدها هل لنا من التدبير من شيء يعنون راي عبد الله بن ابي
وان النبي لم يقبل قوله حين امرهم ان يتمكن في المدينة ولا يخرج منها ونظيره ما حكى عنه لو اطاعونا ما قتلوا وثانيها من عادة العرب
انه اذا كانت الدولة لاحد قالوا له الامر واذا كانت لعدوه قالوا عليه الامر اي هل لنا من الشيء الذي كان يعدنا به محمد وهو النصر والقدرة
شيء وثالثها الطمع ان يكون لنا الغلبة على هؤلاء والغرض منه تقرير المسلمين على التشديد في الجهاد فامر الله تعالى ان يجيب عنها بقوله قل ان الامر
والحوادث باسرها مستندة الى قضاء الله وقدره فان كان قدر الخروج الى الكفار واختصاص جمع من الصحابة بالشهادة فلا مفر من ذلك
واذا اراد اعلاء كلمة الاسلام واظهار الدين على الاديان دفع لا محالة يخفون في انفسهم في ضمائرهم او فيما بينهم ما لا يبدون لك وذلك
الخفي قولهم لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا لو كان هذا الدين حقا لما سلط الله الكفار على من به بعض ما قتل من المسلمين من قتل
في هذه المعركة فامر الله تعالى نبيه ان يجيبهم بقوله قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وهي مصارعهم التي قتلوا
فيها الان وفي ما كتبه في اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم في بيوتكم لخرج منكم من كتب عليهم قتال الكفار الى مصارعهم ولم
تتخلفوا عن هذه الطاعة بسبب تخلفكم على ان البروز الى هذه المصارع لا يخلو من الفوائد من ذلك قوله وليبتلي الله ما في صدوركم
وليمحص ما في قلوبكم حصول الابتلاء بما في الصدور والتمحيص بما في القلوب لاختلاف العبارة واما لان الابتلاء محله القلب الذي
في الصدر والتمحيص مورده الشبهات والعقائد التي في القلب واعلم ان نظم هذه الآية انيق ونظمه عجيب اما نسقه فقوله وطائفة مبتدأ واهمتهم
صفته ويظنون خبره ويحتمل ان يكون خبره محذوفا اي ثمة او ومنهم طائفة اهمتهم ويظنون صفة اخرى او حال بمعنى اهمتهم انفسهم
ظانين او استئناف على وجه البيان للجملة قبلها ويقولون بدل من يظنون او بيان وصح وقوع القول الذي مقوله انشاء بدلا من الاخبار
بالظن لان سؤالهم كان صادرا عن الظن ويخفون حال من يقولون وقل ان الامر كله لله اعتراض بين الحال وذي الحال فمن قرأ كله بالرفع
فلانه مبتدأ ولله خبره والجملة خبر ان ومن قرأ بالنصب فلكونه تأكيدا للامر ولله خبر ان كما لو قلت ان الامر جميعه لله وقوله يقولون استئناف
وقوله وليبتلي تقدم ذكره في الوقوف واما نظمه فانه لما اخبر عن هذه الطائفة بانهم يظنون ظن الجاهلية فسر ذلك الظن بانهم يقولون
هل لنا من الامر من شيء لان هذا القول لا يصدر الا عمن كان ظانا بل شاكا في حقية هذا الدين وفي المبدأ والمعاد وفي القضاء و
القدر فازال ذلك الظن بقوله قل ان الامر كله لله بيده الاماتة والاحياء والفقر والاغناء والسراء والضراء ثم لما كان سؤالهم ذلك
مظنة ان يكون سؤال المؤمنين المسترشدين لا المعاندين المنكرين اراد ان يكشف عن حالهم ويبين مقالهم كيلا يغتر به المؤمنون فقال
يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك اي ذلك القول انما صدر عنهم في هذه الحالة فكان لسائل ان يسأل ما الذي يخفونه في انفسهم فقال
يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا وقد مر تفسيره ويحتمل ان يراد لو كان لنا راي مطاع لم نخرج من المدينة فلم نقتل
ههنا فيكون كالطعن في قوله قل ان الامر كله لله قال في التفسير الكبير هذه الآية هي المناظرة الدائرة بين السني والمعتزلي فذلك يقول
والعصيان والكفر والايمان من الله وهذا يقول الانسان مختار مستقل ان شاء امن وان شاء كفر فامر النبي ان يجيب عن هذه الاعتقادات
بان ما قضى الله فهو كائن والحذر لا يرد القدر والتدبير لا يبطل التقدير فان شئتم المصالح ففائدته الابتلاء وهو ان يتميز الموافق كما
المثل لا تكرهوا الفتن فانها حصاد المنافقين وتطهير القلوب عن وساوس الشبهات وتبعات المعاصي والسيئات ثم قال والله عليم
بذات الصدور صاحبتها وهي الاسرار والضمائر ليعلم ان ابتلاءه ليس لانه يخفى عليه شيء وانما ذلك لمحض الالهية او للاستصلاح

باخوه واما عنده

قوله عز من قائل إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ يوم احد ذكر محمد بن اسحق ان ثلث الناس كانوا مجروحين وثلثهم انهزموا وثلثهم ثبتوا ومن المنهزمين من ورد المدينة وكان اولهم سعد بن عثمان اخبر ان رسول الله قد قتل ثم بعده رجال دخلوا على نسائهم فجعل النساء يقلن عن رسول الله تفرون وكن يحثين التراب في وجوههم ويقلن هات المغزل غزل قال بعض الرواة ان المسلمين لم يعدوا الجبل قال القفال الذي يدل عليه الاخبار في الجملة ان نفرا قليلا تولوا وابعدوا فمنهم من دخل المدينة ومنهم من ذهب الى سائر الجوانب واما الاكثرون فانهم نزلوا عند الجبل واجتمعوا هناك ومن المنهزمين عمر الا انه لم يكن في اوائل المنهزمين ولم يبعد بل ثبت على الجبل الى ان صعد النبي ومنهم ايضا عثمان انهزم هو مع رجلين من الانصار يقال لهما سعد وعقبة انهزموا حتى بلغوا موضعا بعيدا ثم رجعوا بعد ثلثة ايام فقال لهم النبي لقد ذهبتم فيها عريضة واما الذين ثبتوا مع الرسول فكانوا اربعة عشر رجلا سبعة من المهاجرين ابو بكر وعلي وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وطلحة بن عبيد الله وابو عبيدة بن الجراح والزبير بن العوام وسبعة من الانصار الحباب بن المنذر وابو دجانة وعاصم بن ثابت والحرث بن الصمة وسهل بن حنيف واسيد بن حضير وسعد بن معاذ وذكر ان ثمانية من هؤلاء كانوا بايعوه يومئذ على الموت ثلثة من المهاجرين علي وطلحة والزبير وخمسة من الانصار ابو دجانة والحرث بن الصمة والحباب بن المنذر وعاصم بن ثابت وسهل بن حنيف ثم لم يقتل منهم احد وروي ان ابن عتيبة انه اصيب بين يدي رسول الله نحو من ثلثين كلهم يجي ويجثو بين يديه ويقول وجهي لوجهك الفداء وعليك السلام غير مودع إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ تقول له تلك فاملا ان نزلته فزلّ وازل غيره ومطاوع الاسم الزلة واستزله غيره كانه طلب منه الزلة ودعاه اليها والباء في بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا للاستعانة مثلها في كتبت بالقلم والمعنى انه كان قد صدرت عنهم جنايات فبواسطة تلك الجنايات قدر الشيطان على استزلالهم في التولي وعلى هذا التقدير وجوه قال الزجاج انهم لم يتولوا على جهة المعاندة ولا على جهة الفرار من الزحف رغبة منهم في الدنيا وانما ذكرهم الشيطان ذنوبا كانت لهم فكرهوا لقاء الله الا على حال يرضونها والا بعد الاخلاص في التوبة فهذا خاطر خطر ببالهم وكانوا مخطئين فيه وقيل انهم لما اذنبوا بسبب مفارقة المركز اوقعهم الشيطان بشوم تلك المعصية في الهزيمة وقيل كانت لهم ذنوب قد تقدمت فبشومها قدر الشيطان على دعائهم الى التولي لان الذنب يجر الى الذنب كما ان الطاعة تجر الى الطاعة ويكون لطفا فيها وانما قال بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا لان الكسب قد يكون جزاء كقوله لها ما كسبت او لان جميع الذنوب لا يؤاخذ بها الله تعالى كقوله وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قال الحسن استزلهم بقبول ما زين لهم من الهزيمة ويحتمل ان يكون الباء بمعنى في اي السبب في توليهم انهم كانوا اطاعوا الشيطان في بعض الاعمال اما قبل هذه الغزوة واما فيها كالفشل والتنازع والتحول عن المركز وطلب الغنيمة فاقترفوا ذنوبا فلذلك منعتهم التائيد وتقوية القلوب حتى تولوا وعلى هذا التقدير لا يكون الفعل المسند الى استزلال الشيطان فيه هو التولي وانما يكون ما لا اخوانا في هذه الغزوة او قبلها وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ فيه بيان انهم ما كفروا وما تركوا دينهم لان العفو عن الكفر لا يجوز بقي البحث انه اي ذنب هو والاظهر انه التولي لان التوبيخ وقع عليه والاية سيقت لاجله ثم انه من الصغائر او من الكبائر قالت المعتزلة كلاهما محتمل لكنه ان كان من الصغائر فلا حاجة الى اضمار التوبة وان كان من الكبائر فلا بد من اضمار توبتهم وان كانت غير مذكورة في الاية قال القاضي الاقرب انه من الصغائر لانه لا يكاد يقال في الكبائر انها زلة ولانهم ظنوا ان الهزيمة لما وقعت على المشركين لم يبق في ثباتهم حاجة فلا جرم تحولوا لطلب الغنيمة والخطأ في الاجتهاد ليس من الكبائر وقالت الاشاعرة انه من الكبائر لانهم خالفوا النص حيث عفى عنهم من غير ذكر التوبة والاصل عدم الاضمار فلبت على الظن ان العفو عن الكبائر واقع من غير شرط ثم ندب المؤمنين الى ما يزيد عنهم في الجهاد فقال يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا قيل انه عام وقيل يعني المنافقين وقيل منافق يوم احد كعبد الله بن ابي واصحابه فيه دليل على ان الايمان ليس عبارة عن مجرد الاقرار باللسان كما يقوله الكرامية والا لم يسم المنافق كافرا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ مثل قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وذلك انهم قالوا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليس المقول له بحكم وعلى تقدير وقوع التكلم كان المناسب ان لو قيل لو كنتم عندنا ما متم وما قتلتم ومعنى الاخوة اشتراك النسب فلعل المقتولين كانوا اقارب المنافقين وكانوا مسلمين او اتفاق الجنس فلعل بعض المنافقين صار مقتولا في بعض الغزوات والضرب في الارض الابعاد فيها للتجارة وغيرها والغزو قصد محاربة العدو قريبا كان او بعيدا والفاعل غاز والجمع غزى مثل سابق وسبق وراكع وركع وانما قال اذا ضربوا دون ان ضربوا او اذ ضربوا ليشاكل في المعنى قوله وقالوا لانه اراد حكاية الحال الماضية والمعنى ان اخوانهم اذا ضربوا في الارض فالكافرون يقولون لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فمن حيث انهم بعد ذلك لا بد ان يقولوا قالوا ويجوز ان يكون قالوا في تقدير يقولون لكنه وقع التعبير بلفظ الماضي لانه لازم الحصول في المستقبل مثل اتى امر الله فيه دلالة على انهم جدهم واجتهادهم في تقرير هذه الشبهة وقال قطرب كلمة اذ واذا يجوز اقامة كل منهما مقام الاخرى وهذا وان لم يوجد له في كلام العرب نظير لكن القرآن اولى ما يستشهد به وهو حجة على غيره وليس غيره حجة عليه قال الواحدي في الكلام محذوف والتقدير اذا ضربوا في الارض فماتوا او كانوا غزى فقتلوا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا واما التلا

في قوله ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم فهي متعلقة بجهالات الاول لانه قالوا اي قالوا ذلك الكلام واعتقدوه ليجعل الله ذلك الكلام حسرة فيكون
لام العاقبة كقوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وكيف يستعقب ذلك القول حصول الحسرة فيه وجوه فقيل لان اقارب
ذلك المقتول اذا سمعوا هذا الكلام تخيلوا انهم لو بالغوا في منعه عن ذلك السفر والغزو لم يمت ولم يقتل فازدادت حسرتهم وتلهفهم
بسبب انهم قصروا في منعه بخلاف المسلم المعتقد ان الحيوة والموت لا يكونان الا بتقدير الله فانه لا يحصل له شيء من هذا النوع من الاسف
وقيل لانهم اذا القوا هذه الشبهة الى اخوانهم تثبطوا عن الجهاد فاذا نال المسلمون في الجهاد غنيمة او عزا بقي اولئك المتخلفون في الخيبة والندامة
وقيل المراد حسرتهم يوم القيمة اذا راوا ثواب المجاهدين وقيل المقصود خيبتهم عن ترويج شبهتهم بعدما اعلم الله المؤمنين بطلانها
وقيل الغرض ان جدهم واجتهادهم في تكثير الشبهات يعمي قلوبهم ويضيق صدورهم فيقعون لذلك في الحيرة والحسرة والوجه الثاني ان تتعلق
اللام بقوله لا تكونوا وذلك اشارة الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله ذلك الانتفاء انتفاء كونكم مثلهم حسرة لان مخالفتهم
فيما يقولون ويعتقدون مما يغمهم ويغيظهم والله يحيي ويميت رد لقولهم وجواب عن مقالتهم اي لا مرية في ان الخلق له فقد يحيي المسافر
والغازي ويميت المقيم والقاعد فعلى المكلف ان يتلقى اوامره بالامتثال فان الله اعلم بحقيقة الاحوال ولا يجري الامور الا على وفق قضاياه
واحكامه ومقتضيات ارادته كل ميسر لما خلق له عن خالد بن الوليد انه قال عند موته ما في موضع شبر الا وفيه ضربة او طعنة وها انا ذا اموت
كما يموت العير فلا نامت اعين الجبناء وفي امثالهم الشجاع موقى والجبان ملقى وكان علي يقول ان لم تقتلوا تموتوا والذي نفسي بيده لالف
ضربة بالسيف اهون من موتة على فراش ويجوز ان يكون المراد والله يحيي قلوب اوليائه بنور اليقين والعرفان ويميت قلوب اعدائه
بظلمة الشك والخذلان والله بما تعملون بصير فلا تكونوا مثلهم من قرا على الغيبة فالظاهر الذين كفروا ويكون وعيدا لهم ثم انه لما كذب
الكافرين في قولهم لاخوانهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ونهى المؤمنين عن كونهم مثلهم لانه سبب التقاعد عن الجهاد وتنفر الطبع
عنه رغبهم فيه بقوله ولئن قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله شيء من مغفرته ورحمته خير مما يجمعون فاللام الاولى هي الموطئة
والثانية لام جواب القسم المقدر وكذا في الاية الاخرى والمعنى ان القتل والموت في السفر وغيره لازم الحصول لان ذلك منوط بالقدر لا
بالسفر ولئن سلم انه لازم فانه يستعقب المغفرة ويستجلب الرحمة من الله وان لذلك خير مما تجمعون من الدنيا وما فيها لو لم تموتوا
وعن ابن عباس خير من طلاع الارض ذهبة حمراء ومن قرا بالياء فالضمير للكفار لان الذي يجمعونه في الدنيا قد يكون من باب الحلال
الذي يعد خيرا وورد على حسب معتقدهم ان اموالهم خير لهم وانما كانت المغفرة والرحمة خيرا من المال لان المال الذي يجمع لاجل الغد
قد يموت صاحبه قبل الغد فان لم يمت فلعل المال لا يبقى الى الغد فكم من مصبح امسى على فقر وان بقي المال وبقاء صاحبه الى الغد فلعله
مانع من مرض او خوف يمنعه عن الانتفاع به وبتقدير عدم المانع فلذات الدنيا مشوبة بالالام ومنافعها مخلوطة بالمضار وتبعاتها
صفاتها عن الشوائب فلا بد لها من الزوال او الانقطاع ومنافع الاخرة اصفى واضفى وابقى وانقى ولا سيما منافعها العقلية واي نسبة
لانتفاع الحمار بلذة قبقبه وذبذبه الى ابتهاج الملائكة المقربين بشروق انوار العزة عليهم ثم رغبهم بنوع اخر فقال ولئن متم او قتلتم
لالى الله تحشرون كانه قيل ان تركتم الجهاد وتمكنكم الاحتراز عن الموت والقتل بقيتم اياما قلائل في الدنيا مع اللذات الخسيسة الحسية
الحيوانية فتركتموها لا محالة فيكون لذاتها لغيركم وتبعاتها عليكم ولو اعرضتم عن اللذات الفانية وبذلتم النفس والمال في دين الله وصلتم
الى اعلى الدرجات في مقام العندية وانما قدم القتل على الموت في الاية الاولى وعكس في الثانية ليقع الابتداء والختم على ما هو افضل
او لان الاية الاولى سيقت لبيان فضل الجهاد والقتل في سبيله فقدم ما هو الاغلب من حال المجاهدين الذين يفارقون الدنيا
وهو القتل والثانية سيقت لبيان ان حشر الخلائق كلهم اليه باي وجه يفارقون الدنيا ولا شك ان الغالب على احوال الخلق كلهم
الموت فلهذا السر اطلق القتل اطلاقا ليعم انواع القتل كلها وفي قوله لالى الله تحشرون لطائف منها تقديم الجار على الفعل لافادة الحصر
وانهم لا يحشرون الى غيره وانه لا حكم لاحد في ذلك اليوم الا له ومنها تخصيص اسم الله بالذكر ليدل على كمال اللطف والقهر فهو لدلالته على
اللطف اعظم انواع الوعد ولدلالته على كمال القهر اشد انواع الوعيد ومنها ادخال لام التوكيد القسمي في الحرف المتصل باسم الله تنبيها على
ان الالهية تقتضي هذا الحشر لحكمة الجزاء ومنها بناء تحشرون على المفعول تعويلا على ما هو مركوز في العقول من انه هو الذي يبدئ
ويعيد لا قدرة على الاعادة لاحد غيره ومنها انه اضاف حشرهم الى غيرهم ليعلم انهم احياء كانوا او امواتا لا يخرجون عن قبضته ومنها انه
خاطب الكل ليعلم ان القاتل والمقتول والظالم والمظلوم والقاعد والمجاهد كلهم في بساط العدل وقضاء القضاء موقوفون واعلم انه
تعالى ذكر في الايتين المغفرة والرحمة والحشر فالاول اشارة الى من يعبده خوفا من عقابه والثاني اشارة الى من يعبده طمعا في ثوابه و
الثالث اشارة الى من يعبده لانه يستحق العبادة فهم اهل الحشر الى الله لا الى ثوابه ولا الى ازالة عقابه وفي هذا المعنى روي ان
عيسى مر باقوام نحفت ابدانهم واصفرت وجوههم ورأى عليهم سيماء الطاعة فقال ماذا تطلبون فقالوا نخشى عذاب الله فقال
هو اكرم من ان لا يخلصكم من عذابه ثم مر باخرين فرأى عليهم تلك الاثار فسألهم فقالوا نطلب الجنة والرحمة فقال هو اكرم من ان

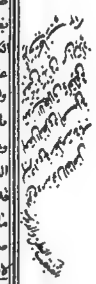

يمنعكم

ان يمنعكم رحمته ثم ترجعوا ثالث ورأى عليهم سيماء العبودية اكثر فقالوا نعبده لا رهبة ولا رغبة فقال انتم
المخلصون والمتعبدون المحقون. قال القاضي في الآية دليل على ان المقتول ليس بميت الا كان قوله ولئن متم او قتلتم عطفا للشيء على
نفسه قلت لا ولكنه عطف الاخص على الاعم ثم انه سبحانه لما ارشدهم في الآيات المتقدمة الى ما ينفعهم في معاشهم ومعادهم وكان من
جملة ذلك ان عفى عنهم زاد في الفضل والاحسان بان مدح الرسول في عفوه عنهم وترك التغليظ عليهم في انهزامهم وكان امرأة عثمان
دخلت على النبي وكان النبي وعلي يغسلان السلاح فقالت ما فعل ابن عفان اما والله لا تجدونه امام القوم فقال لها علي ان عثمان
فضح الذمار اليوم فقال رسول الله مه وروي انه قال لي اعياني ازواج الاخوان ان يتحابوا لما دخل عثمان مع صاحبيه زاد علي ان قال
لقد ذهبتم فيها عريضة وعن ابنه قال انما الامثل الولي لا يعوله فاذا ذهب حكم الى الغليظ فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها وقالت
لا حكم احب الى الله من حكم امام ويغضبه ولا جهل ابغض الى الله من جهل امام وخرقه فلما كانت امام العالمين وجب ان يكون اكثرهم حلما و
احسنهم خلقا لان الغرض من البعثة هو التزام التكاليف لا يتم الا اذا مالت القلوب اليه وسكنت نفوسهم لديه واوليناه ثمار الشفقة
وامارات النصيحة عن بعض الصحابة انه قال لقد احسن الله الينا كل الاحسان كنا مشركين فلو جاءنا رسول الله بهذا الدين جملة وبالقرآن
دفعة لثقلت هذه التكاليف علينا فما كنا ندخل في الاسلام ولكنه دعانا الى كلمة واحدة فلما قبلناها وعرفنا حلاوة الايمان قبلنا ما
وراءها كلمة بعد كلمة على سبيل الرفق الى ان تم هذا الدين وكملت هذه الشريعة واعلم ان من عرف سر الله في القضاء والقدر هانت عليه المصائب فانه
يعلم ان الحوادث الارضية كلها مستندة الى الاسباب الالهية فيعلم ان الحذر لا يدفع القدر فلا جرم اذا فاته مطلوب لم يغضب واذا حصل له
مطلوب لم يأنس به لانه مطلع على الروحانيات التي هي اشرف من هذه الجسمانيات فلا ينازع احدا في هذا العالم في طلب شيء من لذاتها وطيباتها
ولا يغضب على شيء بسبب فوات شيء من مطالبها فيكون حسن الخلق طيب العشرة مع الخلق ولما كان ص اكمل البشر في القوتين النظرية و
العملية وقد بعث ليتمم مكارم الاخلاق وجب ان يكون اكمل الناس خلقا وذلك من فضل الله ورحمته على الناس كما قال فبما رحمة من الله لنت
لهم وما مزيدة للتوكيد اما الحكم بزيادتها فالنظر الى اصل المعنى وعمل حرف الجر فيما بعدها فكانه قال فبرحمة واما افادتها التوكيد فلان حال
زيادة الحرف لا فائدة فيه اصلا وجوز بعضهم ان يكون استفهامية للتعجب لتقدير فبأي رحمة واذا كان لينه ورفقه رحمة من الله لان
الدواعي والقصود والارادات كلها بفعل الله تعالى فلا رحمة بالحقيقة الا لله ولا رحيم الا هو لان كل رحيم سواه فانه يستفيد برحمته عوضا
كالخوف من العقاب والطمع في الثواب او الثناء او يحمله على ذلك رقة طبع او حمية او عصبية الى غير ذلك من الاغراض وايضا رحمة المخلوق على غيره
لو تم ولن ينتفع بها المرحوم الا بعد حصول سائر الاسباب المساوية من سلامة الاعضاء وغيرها فلا رحمة الا باعانة الله وتوفيقه وربطه
على جاش الراحم وضبط حال المرحوم ثم بين ان الحكمة في لين جانبه ما هي فقال ولو كنت فظا سيء الخلق واصل فظ فظظ كحذر خلطت بالكسر
فظاظة غليظ القلب قاسيه بحيث لا يتأثر عن شيء يوجب الرحمة والعطف لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك حتى لا يبقى حولك
احد فالتركيب يدل على التفريق ومنه فض الختام ويقال لا يفضض الله فاك اي اسنانك ثم منهم من حمل الآية على واقعة احد فقال
فبما رحمة لنت لهم يوم احد حين عادوا اليك بعد الانهزام ولو كنت فظا غليظ القلب وشافهتهم بالملامة على ذلك لانفضوا
هيبة منك وحياء بسبب ما كان منهم فكان ذلك مما يطمع العدو فيك وفيهم ومنهم من قال يفيد جنس اللين والرفق انما يجوز اذا لم يفض الى اهمال
حق من حقوق الله ولهذا امر بالغلظة في قوله يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقال في حد الزنى ولا تأخذكم
بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ومثله اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين اشداء على الكفار رحماء بينهم
فيعلم من المدح على اللين في موضع ومن الامر بالغلظة في موضع آخر ان الفضيلة هي الوسط وهو استعمال الكل في شيء في موضعه وان طرفي
الافراط والتفريط مذمومان ومنه مثل لا تكن حلوا فتسترط ولا مرا فتعقى واحتج الاشاعرة بالآية في مسألة القضاء والقدر فقالوا ان
حسن خلقه مع الخلق انما كان بسبب رحمة الله وهي عند المعتزلة عامة في جميع المكلفين فكل ما فعله مع محمد ص من الهداية والدعوة والبيان
والارشاد فقد فعل مثل ذلك مع فرعون وهامان وابي جهل وابي لهب فلطف الله ورحمته مشترك بين خط الاصفياء وبين الاشقياء
فلا يكون اختصاص بعضهم بحسن الخلق وكمال الطريقة مستفادا من رحمة الله وهذا خلاف النص لان الآية تفيد جميع افعال العباد بقضاء
الله وقدره والمعتزلة يحملون هذا على زيادة الالطاف واستبعده الاشاعرة لان كل ما كان ممكنا من الالطاف فقد فعله في حق كل
المكلفين والذي يستحقه المكلف بناء على طاعته من مزيد الالطاف فهو بالحقيقة مكتسب بفعل نفسه عندهم ايضا وايضا فلا يكون برحمة من الله
ثم قال فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحق الله اتماما للشفقة عليهم قيل في هذا الامر دليل على انه اوجب عليه ان
عنهم في الحال لانه تعالى قد عفى عنهم كانه قيل اعف عنهم فاني قد عفوت عنهم قبل عفوك عنهم واستغفر لهم فاني غفرت لهم قبل ان
تستغفر لهم وهذا من كمال رحمة الله بهذه الامة ثم قال وشاورهم في الامر والتشاور مأخوذ من قولهم شرت العسل اي جنيته واخذته
استخرجتها من موضعها وقيل من شرت الدابة شورا عرضتها على البيع اقبلت بها وادبرت والمكان الذي يعرض فيه الدواب يسمى مشوارا

من الله

يقال ان الخطب اذا تشوور فيه كثر المتشاور والتركيب يدل على الامر بها والكشف عن المشاور ويظهر خير الامور وحسن الاراء وقد ذكر العلماء لامر
الرسول بالمشاورة مع انه اعلم الناس واعقلهم فوائد منها انها توجب علو شانهم ورفعة قدرهم وزيادة اخلاصهم ومحبتهم وفي ترك
ذلك نوع من الاهانة والفظاظة وكانت سادات العرب اذا لم يشاوروا في الامر شق ذلك عليهم ومنها ان علوم الانسان متناهية فلا يبعد
ان يخطر ببال احد ما لم يخطر بباله ولا سيما فيما يتعلق بامور الدنيا ومنها قال الحسن وسفيان بن عيينة قد علم الله انه ما به اليهم حاجة
لكنه اراد ان يستن به من بعده ومنها انه شاورهم في واقعة احد فاخطأوا فلو ترك مشاورتهم بعد ذلك لكان يظن انه قد بقي في قلبه اثر
من تلك الواقعة ومنها ان يظهر له مقادير عقولهم وفهمهم ومقدار حبهم له ومنها ان تعب النفوس الطاهرة ومطابقتها على تحصيل اصلح
الوجوه فيكون اعون على الظفر بالمقصود ولهذا قالت ما تشاور قوم قط الا هدوا لارشد امرهم وهذا هو السر في الجماعات ومنها انه
امر رسوله بالمشاورة وقبل تلك الواقعة وامره بها بعدها مع صدور المعصية عنهم ليعلمهم انهم الان اعظم حالا مما كانوا وان عفوه اعظم
من كل ذنب وان الاعتماد على فضله وكرمه لا على العمل والطاعة ثم ان العلماء اتفقوا على ان كل ما نزل فيه وحي لم يجز للرسول ان يشاور الامة
فيه لانه اذا جاء النص بطل الراي والقياس كما قيل اذا جاء نهر الله بطل نهر معقل فاما وراء ذلك فهل يجوز المشاورة في كلها ام لا قال الكلبي
وكثير من العلماء ان الامر فيها مخصوص بالحرب لان اللام في لفظ الامر ليس للاستغراق لخروج ما نزل فيه الوحي بالاتفاق فهو اذن للمعهود
السابق وليس ذلك الا ما جرى من امر الحرب في قصة احد ولذا اشار الحباب بن المنذر يوم بدر على النبي ﷺ بالنزول على الماء فقبل منه واشار
عليه السعدان سعد بن معاذ وسعد بن عبادة يوم الخندق بترك مصالحة غطفان على بعض ثمار المدينة لينصرفوا فقبل منهما وخرق
الصحيفة ومنهم من قال اللفظ عام خص عنه ما نزل فيه وحي فيبقى حجة في الباقي ويحكى انه كان مامورا بالاجتهاد فيما لم ينزل فيه وحي
لعموم فاعتبروا يا اولي الابصار والاجتهاد يتقوى بالمناظرة والمباحثة وقد شاورهم يوم بدر في الاسارى وكان من امور الدين قيل
المشاورة من جملة ما خص النبي ﷺ بالوجوب عليه لان ظاهر الامر للوجوب وقد يروى عن الشافعي انه حمله على الندب قال وهذا كقوله
البكر تستامر في نفسها ولو اكرهها الاب على النكاح جاز لكن الاولى ذلك تطييبا لنفسها فكذا ههنا فاذا عزمت اي قطعت الراي
على شيء بعد الشورى فتوكل على الله لا على المشورة في جميع الامور عليك بالاعتماد على الله لا على التفكر والتدبير والراي الحسن وعن جابر بن زيد انه قرأ فاذا عزمت بالضم اي اذا
ارشدتك الى شيء والزمتك اياه فتوكل علي ولا تشاور بعد ذلك احدا ان ينصركم الله عن ابن عباس ان ينصركم كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم
احد وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم من بعده اي من بعد خذلانه لانه لا يقدر الفعل عليه وهو من قولك ليس لك من
يحسن اليك من بعد فلان تريد اذا جاوزته وقيل ان ينصركم بجذبات العناية فلا غالب لكم من الصفات البشرية وان يخذلكم بترك الجذبات
فمن ينصركم بعده من الانبياء والاولياء فانه القادر على الاخراج عن هذا الوجود كما انه القادر على الادخال فيه وعلى الله فليتوكل المؤمنون
اياه بالتوكل لما علم ان الامر كله له ولا راد لقضائه ولا دافع لبلائه ولان الايمان يوجب ذلك ويقتضيه ليس المراد بالتوكل ان يهمل الانسان
حال نفسه بالكلية ويرفض الوسائط والاسباب كما يتصور الجهال والا كان الامر بالمشاورة منافيا للامر بالتوكل وانما التوكل هو ان يراعي
الاسباب الظاهرة ولكن لا يعول بقلبه عليها بل يعول على عصمة الحق وتاييده وتوفيقه وتسديده التاويل ولقد صدقكم الله ايها
الطلاب وعده الامن الطبيعي حين تقتلون جنود الصفات البشرية بامره لا على وفق الطبع حتى اذا ركم قتال النفس عنا نفسكم فاتم في امر
الطلب وعصيتم الدليل المربي من بعد ما اريكم الدليل بالتربية ما تحبون من دلالة الطريق انما عصيتم الدليل لان منكم
من كان همته زخارف الدنيا ومنكم من كان همته طلب نعيم الاخرة قرئ هذه الاية عند الشبلي فصاح صيحة وقال اما كان من احد يريد
الله منكم من يريد الله ثم صرفكم عن جهاد النفس وقتل صفاتها باستيلائها عليكم ليبتليكم بالستر بعد ما تجلى لكم انوار المشاهدات
وبالصحو بعد ما اسكركم باقداح الواردات ثم الفطام بعد ما ارضعكم بالبان الالطاف ولقد عفا عنكم يعني بعد ابتلائكم صفى عن
التفاتاتكم الى الدنيا والاخرة بالعناية الازلية والله ذو فضل على المؤمنين في الازل اذ تصعدون في طريق الحق طالبين بعد ما كنتم [illegible]
ولا تلتفتون الى احد من الامرين الدنيا والاخرة والرسول الوارد من الحق يدعوكم الى الحضرة الى عباد الله فاثابكم غما بغم الدنيا والاخرة غم طلب
الحق لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من زخارف الدنيا ولا ما اصابكم من نعيم الاخرة والله خبير بما تعملون من ترك نعيم الدنيا والاخرة في طلب
فلا يخيب مساعيكم ويعطي جزاءكم ثم اخبر عن انزال الحقايق اصناف الطافه على عباده في صور مختلفة فانزل الامن بصورة النعاس على الصفا
والنيح جواهر الوقايع السنية لارباب القلوب الكاشفات من معدن النعاس فان اكثر ما يقع بين النوم واليقظة وطائفة من ارباب
النفوس ممن يدعي الاسلام لا هم لهم الا هم انفسهم من استيفاء حظوظها واستبقائها اذ انها ظن الجاهلية وهو ان الامور الى الخلق لا الى
الله ولا بقضائه وقدره هل لنا من امر النصرة والظفر من شيء ما قتلنا ههنا بالباطل على يدي حزب الشيطان وليبتلي الله
ما في صدوركم ايها المنافقون لان الصدر معدن النفاق والغل ووسوسة الشيطان ولا تمحيص ما في صدورهم من غل يوسوس في صدور
الناس وليمحص ما في قلوبكم ايها المؤمنون لان القلوب محل الايمان والاطمينان كتب في قلوبهم الايمان الا بذكر الله تطمئن القلوب لسبق

الاسلام

آل عمران

الاسلام باللسان الى الايمان بالجنان كنسبة الصدر الى القلب إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا الشيطان خلق من نار فلهذا استزل من معدن الانسان حديده ما كسبوا من التولى ليجعل مرآة ظهور صفاته العفو والمغفرة والحلم وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ليعلم ان الله تعالى في كل شىء من الخير والشر اسرارا لا يعلمها الا هو ومن هنا قال لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيستغفرون ان الله فيغفر لهم اذا ضربوا في الارض سافروا في البلاد مستفيدين من العباد وسلكوا في ارض نفوسهم سبيل الرشاد او كانوا غزى مجاهدين مع كفار النفس والهوى والشيطان لو كانوا عندنا ما ماتوا افتقروا بمعنا ما ماتوا بعقاساة الرياضة وما قتلوا بسيف المجاهدة ليجعل الله ذلك القول حسرة في قلوب الصديقين والله يحيي قلوب اهل المجاهدة بانوار المشاهدة فلا يحزنون على ما يقاسون ويميت قلوب المنكرين بظلمة الانكار وغلبة صفات النفس ويحسبون انهم يحسنون وبقي الحقائق قد مر في النفسير قد سنح عند تحرير هذا الموضع ان قوله فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ يمكن ان يفهم منه الخطاب مع الروح الانساني انه لان برحمة الله لصفات النفس وقواها الشهوية والغضبية حتى تبقى كل منها على حالها ويرتبط بذلك بقاء النسل وصلاح المعاش ولولا ذلك لاضمحلت تلك القوى ولانقضت من الجوانب تلك الشئون التي تلتئم بها حكمة التمدن وتحصيل الكمالات التي خلق الانسان لاجلها ثم الكلام في ان هذا اللين لا بد له من الغلظة حتى لا يتجاوز عن الوسط ولا يخرج عن قانون الشرع والعقل كما نعد الله حبيبه

وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا

و سزاوار نیست مر پیغمبری را که خیانت کند و هر که خیانت کند بیاید بجزای خیانت در روز قیامت پس تمام داده شود هر نفسی آنچه را کسب کرد و ایشان

يُظْلَمُونَ ‎﴿﴾‎ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ‎﴿﴾‎ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ

ستم کرده نشوند — آیا پس کسی که پیروی کرد خوشنودی خدا را چون کسی است که باز آمد با زیانی از خدا و قرارگاه او دوزخ است و بد جایگاهی است — ایشان صاحبان پایه‌اند نزد خدا

بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ‎﴿﴾‎ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ

بیناست بآنچه میکنند — هر آینه منت نهاد خدا بر مومنان وقتی که برانگیخت در ایشان پیغمبری از ایشان که میخواند بر ایشان آیات او را و پاک میکرد ایشان را و میاموزد ایشان را

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ‎﴿﴾‎ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَٰذَا

کتاب و حکمت را و اگرچه بودند پیش از آن هر آینه در گمراهی ظاهر — آیا هرگاه که رسید شما را رسیده که رسیده شما را دو مانند آن گفتید از کجاست این

قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ‎﴿﴾‎ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ

بگو آن از نزد خود شماست — بدرستی که خدا بر هر چیزی تواناست — و آنچه رسید شما را روز برخوردن دو طائفه پس بفرمان خدا بود و تا بداند گروندگان

وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ

و تا بداند آنان که نفاق ورزیدند و گفته شد بایشان که بیائید جهاد کنید در راه خدا یا دفع کنید گفتند که اگر میدانستیم کارزاری هر آینه پیروی کردیم شما را ایشان برای کفر آن روز

أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ‎﴿﴾‎ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا

نزدیکترند از ایشان از برای ایمان میگویند بدهنهای خود آنچه نیست در دلهای ایشان و خدا داناتر است بآنچه پنهان دارند — آنان که گفتند مر برادران خود را و نشستند

لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ‎﴿﴾‎ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا

که اگر پیروی کردندی ما را کشته نشدندی بگو پس دفع کنید از خودتان مرگ را اگر باشید راستگویان — و مپندار آنها را که کشته شدند در راه خدا مردگان

بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ‎﴿﴾‎ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ

بلکه زنده‌اند نزد پروردگار ایشان روزی داده میشوند شادمانند بآنچه داد ایشان را خدا از فضل خود و شادی میکنند بآنانکه نرسیده‌اند بایشان از عقب ایشان که نیست ترسی

عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ‎﴿﴾‎ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ‎﴿﴾‎ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ

بر ایشان و نه ایشان اندوهناک باشند — شادی میکنند بنعمت از خدا و زیادتی و بدرستی که خدا ضایع نگرداند مزد گروندگان را — آنانکه اطاعت کردند مر خدا را

وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ‎﴿﴾‎ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا

و پیغمبر را پس از آنکه رسید بایشان جراحت مر آنها را که نیکوئی کردند از ایشان و پرهیز نمودند مزدی بزرگ است — آنان که گفتند مر ایشان را مردم که مردم جمعیت کردند

لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ‎﴿﴾‎ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا

از برای شما پس بترسید از ایشان پس افزود ایشان را ایمان و گفتند بس است ما را خدا و خوب کارگذاری است — پس برگشتند بنعمت از خدا و زیادتی که نرسید ایشان را بدی و پیروی کردند

رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ‎﴿﴾‎ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ

خوشنودی خدا را و خدا خداوند زیادتی بزرگ است — جز این نیست که این شیطان است که میترساند دوستان خود را پس مترسید از ایشان و بترسید از من اگر باشید گروندگان

القراءة يغل بفتح الياء وضم الغين ابن كثير وابو عمرو وعاصم غير المفضل ويعقوب غيرهم وقرأ الباقون بالضم والفتح على البناء للمفعول ولا يحسبن بياء الغيبة الحلواني عن هشام الباقون بتاء الخطاب قتلوا بالتشديد ابن عامر الباقون بالتخفيف وان الله بالكسر

على الباقون بالفتح وخافون بالياء في الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو عمرو ويزيد واسمعيل في الوصل الباقون بالحذف
الوقوف ان يغل ط لابتداء الشرط يوم القيمة ج لانها وجزاء الشرط مع العطف لا يظلمون نصف الجزء وجهنم ط المصير عند الله بما تعملون
والحكم ج لمكان العطف مبين ه مثليها ج لان استفهام الانكار دخل على قلتم هذا ط انفسكم ط قدير ه ليعلم المؤمنين لا نافقوا ج لاحتمال
العطف والاستيناف والوصل على تقدير وقد قيل لهم او ادفعوا ط لاتبعناكم ط للايمان ج لاحتمال الحال والاستيناف في قلوبهم ط يكتمون ج
لاحتمال كون الذين بدلا من ضمير يكتمون او خبر مبتدأ محذوف ما قتلوا ط صادقين امواتا ط عند ربهم ص يرزقون لا لان فرحين
حال لهم من فضله لا للعطف من خلفهم لا للتعلق ان يحزنون م للآية واستيناف الفعل اذ لو اتصل ان يكون الاستبشار لهم الا الذين يحزنون
وفضل لان التقدير وبان ومن كسر فمن الجملة ح اعتراضية المؤمنين ج لان الذين يصلح صفة المؤمنين ومبتدأ خبره للذين احسنوا
او نصبا على المدح الاول اوجه لاتحاد الصفة القرح ط لمن لم يقف على المؤمنين عظيم ج لاحتمال البدل وكونه خبر مبتدأ محذوف ايمانا ق و
الوصل اولى للعطف واتصال الوكيل للسابقين الغلب الوكيل سوء لا للعطف رضوان الله ط عظيم اولياءه ص لوصل النهي عن الخوف بعد
ذكر التخويف مؤمنين التفسير هذا حكم من احكام الجهاد واصل الغلول اخذ الشيء في خفية يقال غل الجازر والسالخ اذا ابقى في الجلد شيئا من
اللحم ليسرق والغل الحقد الكامن في الصدر والغلالة الثوب الذي يلبس تحت الدرع والثياب والغلل الماء الذي يجري في اصول الشجر لانه مستتر
بالاشجار وفي الحديث من بعثناه على عمل فغل شيئا جاء يوم القيمة يحمله على عنقه وقال ايضا هدايا الولاة غلول وقال الجمهور غل يغل غلولا اذا خان
واغل مثله الا ان العرف جعله في الغالب مخصوصا بالخيانة في الغنيمة حتى قال ابو عبيدة الغلول في المغنم خاصة وقد جعل النبي من الكبائر عن
ثوبان عن رسول الله من فارق روحه جسده وهو بريء من ثلاث دخل الجنة الكبر والغلول والدين وفي الصحيحين عن ابي هريرة قال
قام فينا رسول الله ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم امره حتى قال لا الفين احدكم يجيء يوم القيمة على رقبته بعير له رغاء يقول يا رسول الله
اغثني فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجيء يوم القيمة على رقبته فرس له حمحمة فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك
لك شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجيء يوم القيمة على رقبته شاة لها ثغاء يقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك
لا الفين احدكم يجيء يوم القيمة على رقبته نفس لها صياح فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم
يجيء يوم القيمة على رقبته رقاع تخفق فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجيء يوم القيمة على
رقبته صامت فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك ومعنى الآية فيمن قرأ بفتح الياء وضم الغين ما كان
لنبي ان يخون اي ما صح وما ينبغي له ذلك لان النبوة تنافي الغلول لانها اعلى المراتب الانسانية فلا يليق بصاحبها ما هو عار في الدنيا و نار
في الآخرة كيف وانه امين على الوحي النازل عليه من فوق سبع سموات فلا يكون امينا في الارض وهذه اللام منقولة والتقدير
وما كان نبي ليغل كقوله ما كان لله ان يتخذ من ولد اي ما كان الله ليتخذ ومن قرأ بضم الياء وفتح الغين ففيه وجهان احدهما
يخان اي يؤخذ من غنيمته وفي تخصيصه بهذه الحرمة والخيانة محرمة على الاطلاق فوائد منها ان النبي عليه كلما كان اجل منصبا كانت
الخيانة في حقه افحش ومنها انه لا يكاد يخفى عليه من قبل الوحي فكان فيه مع عذاب الآخرة فضيحة الدنيا ومنها ان المسلمين في ذلك الوقت
كانوا في غاية الفقر فكانت تلك الخيانة فيه اقبح وثانيهما يخون اي ينسب الى الخيانة فيكون من الاغلال قال المبرد يقول العرب اكفرت
الرجل جعلته كافرا ونسبته الى الكفر قال القتيبي لو كان هذا هو المراد لقيل يغلل كما يقال يفسق ويكفر والاولى ان يقال هو من اغللته اي
وجدته غالا كقولهم ابخلته اي وجدته بخيلا فلا يوجد غالا الا اذا كان غالا وكان ابن عباس ينكر على هذه القراءة ويقول كيف لا ينسب الى الخيانة وقد كان يقتل
وقال خصيف قلت لسعيد بن جبير ما كان لنبي ان يغل فقال بل يغل ويقتل ولا يخفى ان الانكار لا يتوجه اذا كان اغل بمعنى وجده غالا وانما
يتوجه اذا كان الاغلال بمعنى النسبة الى الخيانة كما روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله اخذها
وقد طعن بعضهم في هذه القراءة وقال ان اكثر ما جاء من هذا القبيل في التنزيل اسند الفعل فيه الى الفاعل ما كان لنا ان نشرك ما
كان لنا ان نتخذ ما كان لنفس ان تموت ما كان الله ليضل قوما وما كان الله ليطلعكم وحكى ابو عبيدة عن يونس انه كان يختار
في الكلام ما كان لك ان تضرب بضم التاء والجواب ان القراءة حجة على غيره لا بالعكس ويوافق هذه القراءة ما روي انه لما وقعت غنائم
هوازن في يده غله رجل بمخيط فنزلت وعلى هذا ايضا فيه وجهان وان جعل يغل بمعنى يوجد غالا فالقراءتان متعاضدتان ويوافقهما
اسباب النزول اكثر ما يروى منها انه اخر قسمة الغنيمة في بعض الغزوات حتى تلحق جماعة قوم وقالوا الا تقسم غنائمنا فقال لو كان لكم مثل احد
ذهبا ما حبست منكم درهما اترون اني اغلكم مغنمكم فنزلت وعن ابن عباس ان اشراف الناس طمعوا ان يخصهم النبي من الغنائم
بشيء زائد فنزلت وقال الكلبي ومقاتل نزلت في غنائم احد حين ترك الرماة المركز طلبا للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله من
اخذ شيئا فهو له وان لا يقسم الغنائم كما لم يقسمها يوم بدر فقال لهم الم اعهد اليكم الا تتركوا المركز حتى يأتيكم امري فقالوا تركنا بقية
اخواننا وقوفا فقال بل ظننتم انا نغل ولا نقسم لكم وروي انه بعث طلائع فغنم بعدهم غنائم فقسمها ولم يقسم للطلائع فنزلت

مبالغة في النفي لرسول يعني ما كان للنبي ان يعطي قوما ويمنع آخرين بل عليه ان يقسم بالسوية وسمي حرمان بعض الغزاة غلولا تغليظا
وتقبيحا لصورة الامر وقيل نزلت في اداء الوحي كان يقرأ القرآن وفيه عيب دينهم وسب آلهتهم فسألوه ان يترك ذلك فقيل ما كان لنبي
ان يكتم الناس ما بعثه الله به اليهم رغبة في الناس او رهبة عنهم ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة اكثر المفسرين اجروه على ظاهره
نظيره في مانع الزكوة يوم يحمى عليها في نار جهنم ويدل عليه الحديث الذي رويناه وعن ابن عباس انه قال يمثل له ذلك الشيء في قعر جهنم
ثم يقال له انزل اليه فخذه فيهبط اليه فاذا انتهى اليه حمله على ظهره فلا يقبل منه وعن بعض جفاة الاعراب انه سرق نافجة مسك فتليت عليه هذه
الاية فقال اذا احملها طيبة الريح خفيفة الحمل قلت فلك الشقي قاس الامور الاخروية على الامور الدنيوية ولم يعلم ان تلك المسك حينئذ يكون
انتن من الجيفة واثقل من الجبل وذلك ليبتغي بالكره ويكثر فيعظم مقصوده قال المحققون والفائدة فيه انه اذا جاء يوم القيمة وعلى
رقبته ذلك الغلول ازدادت فضيحته ومثله قوله لكل غادر لواء يوم القيمة وقال ابو مسلم هذا على سبيل التمثيل والتصوير اي بالغ
وتبعته والمراد انه تعالى يحفظ عليه هذا الغلول ويقرره عليه يوم القيمة ويجازيه لانه لا يخفى عليه خافية وقيل المراد انه يشتهر بذلك مثل
اشتهار من يحمل ذلك الشيء وفيه صرف اللفظ عن ظاهره من غير دليل لا ضرورة ثم توفى كل نفس ما كسبت اثبات الجزاء لكل كاسب على
سبيل العموم ليعلم صاحب الغلول انه غير متخلص من بينهم مع عظم ما اكتسب هذا ابلغ مما لو خص الغال بتوفية الجزاء فقيل ثم يوفى ما كسب ثم فصل
ما اجمل فقال افمن اتبع والهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أمن اتقى فاتبع قال الكلبي والضحاك افمن اتبع رضوان الله
في ترك الغلول كمن باء بسخط من الله رجع منه بشيء اراده ما استقام لاجل الغلول وقال الزجاج افمن اتبع رضوان الله بامتثال امر
النبي حين غام الى دفع المشركين يوم احد كمن باء بسخط من الله وهم الذين لم يمتثلوا وقيل الاولون المهاجرون والاخرون المنافقون
وقيل افمن اتبع رضوان الله بالايمان والعمل بطاعته كمن باء بسخط من الله بالكفر به والاشتغال بمعصيته وهذا القول اقرب لتكون
الاية مجراة على العموم وان كان سبب النزول خاصا وقوله ومأويه جهنم من تمام صلة من باء وقوله وبئس المصير اعتراض قال القفال لا
يجوز في الحكمة ان يسوى بين المسيء والمحسن لان فيه اغراء بالقبائح والمفاسد واهمالا للطاعات ثم فسر اعتبارهم هم درجات قيل اي لهم درجات
وحسن هذا الحذف لان اختلاف اعمالهم كانه صيرهم بمنزلة الاشياء المختلفة في ذواتها وقالت الحكماء النفوس الانسانية مختلفة بالماهية
يدل عليها اختلاف صفاتها بالاشراقة والاظلام ومن هنا قال الناس معادن كمعادن الذهب والفضة فهم في انفسهم درجات لا ان لهم
درجات وقيل المراد ذوو درجات ثم الضمير لاي شيء يعود قيل الى من اتبع رضوان الله لان الغالب في العرف استعمال الدرجات في اهل الثواب
والدركات في اهل العقاب لانه لما ذكر وصف من باء بسخط من الله وهو ان مأويهم جهنم فيكون وصفا لمن اتبع الرضوان انهم درجات عند الله و
يؤيده قوله عند الله وهذا وان كان معناه في علمه وحكمه كما يقال هذه المسئلة عند الشافعي كذا ولا يراد به العندية المكانية لكن فيه من
ذلك لانه يفيد الجلالة والتشريف وانه يليق باهل الثواب قال الحسن يعود الى من باء بسخط لانه اقرب ولانهم متفاوتون في العذاب روى ان رسول الله
(ص) قال ان اهون اهل النار عذابا رجل يحذى له نعلان من نار يغلي من حرهما دماغه ينادي يا رب هل يعذب احد
عذابي هذا لا يجب ان يكون عائدا الى الكل لان درجات اهل الثواب متفاوتة وكذا دركات اهل العقاب بحسب تفاوت اعمال الخلق وقد
يستعمل الدرجات في مراتب اهل النار كقوله ولكل درجات مما عملوا والله بصير بما يعملون فيجازيهم بحسبه قوله عز من قائل لقد من الله
على المؤمنين في النظم وجوه منها ان الرسول لما نشأ فيما بينهم لم يظهر منه طول عمره الا الصدق والامانة فكيف يليق بمن هذا حاله الخيانة
ومنها كانه قال لا تنسبوه الى الخيانة وصفه بانه ارفع عن الخيانة ولكن اقول ان وجوده فيكم من اعظم نعم الله عليكم ومنها انكم كنتم ضالين جاهلين
وانما حصل لكم الشرف والعلم بسبب هذا الرسول فالطعن فيه الطعن فيكم ومنها ان مثل هذا الرجل يجب على كل عاقل ان يعينه بما قدر
عليه بكونه باليد واللسان والسيف والسنان فيكون العود الى ترغيب المسلمين في الجهاد ومعنى المن ههنا الانعام على
من لا يطلب الجزاء منه وفي وجه المنة اما ان يعود الى اصل البعثة واما ان يعود الى بعثة هذا الرسول اما الاول فان الخلق مجبولون على
النقصان والجهالة والنبي يورد عليهم وجوه الكمال ويزيح عللهم في كل حال بايقاظهم وان شهدت فطرتهم بوجوب خدمة مولاهم
لكن لا يعرفون كيفية تلك الخدمة الى ان يشرحها النبي لهم وايضا انهم جبلوا على الكسل والملل فهو يورد عليهم انواع الترغيبات والترهيبات
فيزيل فتورهم ويجدد نشاطهم وبالجملة فعقول البشر بمنزلة انوار البصر وعقل النبي بمنزلة نور الشمس فكما لا يتم الانتفاع بنور البصر الا عند
طلوع نور الشمس فكذلك لا يحصل الاهتداء بمجرد العقل ما لم يضم اليه ارشاد النبي ومن الثاني ان هذا الرسول بعث من انفسهم اي
من جنسهم عربيا مثلهم او من ولد اسمعيل كما انهم من ولده فعلى هذا يكون المراد بالمؤمنين من آمن مع الرسول من قومه وخص المؤمنين
منهم لانهم هم المنتفعون به ووجه المنة انه اذا كان اللسان واحدا سهل عليهم اخذ ما يجب اخذه منه واذا كانوا واقفين على احواله في الصدق
والامانة كان ذلك اقرب لهم الى تصديقه والوثوق به وفيه ايضا شرف لهم وفخر كما قال وانه لذكر لك ولقومك وذلك ان الافتخار بابراهيم
كان مشتركا فيه بين اليهود والنصارى والعرب ثم اليهود والنصارى كانوا يفتخرون بموسى وعيسى بالتورية والانجيل وما كان للعرب ما

يقابل ذلك فلما بعث الله محمدا وانزل القرآن صار شرف العرب بمنزلة زائدا على شرف جميع الامم وقيل من انفسهم اي من جنس الانس لا من جنس الملك
لان الجنس الى الجنس اميل ويروى عن النبي ص وعن فاطمة رضي الله عنها انهما قرءا من انفسهم بفتح الفاء اي اشرفهم وعلى هذا يكون المؤمنون
عاما ويحتمل ان يراد بهم العرب ويصح لان عدنان ذروة ولد اسمعيل ومضر ذروة نزار بن معد بن عدنان وخندف ذروة مضر ومدركة
ذروة خندف وقريش ذروة مدركة وذروة قريش محمد ص واما سائر اوصافه من قوله يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة
فقد مر تفسيرها في البقرة عند قوله ربنا وابعث فيهم رسولا واعراب قوله وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين كما سلف في قوله وان كانت
لكبيرة ومعنى المنة فيه ان النعمة اذا وردت بعد المحنة كان موقعها اعظم فبعثة هذا الرسول عقيب الجهل والذهاب عن الدين يكون انعم نفعا
واتم وقعا ثم انه لما اجاب عن نسبة النبي ص الى الغلول حكى عنهم شبهة اخرى هي قولهم لو كان رسولا من عند الله ما انهزم عسكره وهو المراد بقوله انى
انى هذا واجاب عنها بقوله قل هو من عند انفسكم والواو في قوله اولما اصابتكم لعطف هذه الجملة الاستفهامية على ما قبلها من قصة
احد الا ان حرف الاستفهام قدم على واو العطف لان له صدر الكلام ولما ظرف قلتم ومقول القول انى هذا واصابتكم في محل الجر باضافة لما
اليها التقدير اقلتم حين اصابتكم ويجوز ان يكون الجملة معطوفا على محذوف كانه قيل افعلتم كذا وقلتم حينئذ من اين اصابنا هذا وكيف نصروا علينا
ونحن على الحق ومعنا الرسول وهم على الباطل ولا نبي معهم والمراد بالمصيبة واقعة احد بمثليها واقعة بدر وذلك ان المشركين قتلوا من المسلمين
يوم احد سبعين وقتل المسلمون منهم يوم بدر سبعين واسروا سبعين وقيل اراد نسبة الضعف في الهزيمة لا في عدد القتلى والاسرى فالمسلمون
هزموا الكفار يوم بدر وهزموهم ايضا في الاول يوم احد ثم لما عصوا الله هزمهم المشركون فانهزام المشركين حصل مرتين وانهزام المسلمين حصل
مرة واحدة فخرج عن قوله قد اصبتم مثليها جواب عن تعجبهم ان احوال الدنيا لا تدوم على حالة واحدة فاذا اصبتم منهم مثلي ما نالوا منكم فما
وجه الاستبعاد لكنه صرح بجواب اخر فقال قل هو من عند انفسكم وفي تقريره وجهان الاول ان هذه المصيبة بشؤم معصيتكم وذلك انهم
عصوا الرسول في امور في الخروج عن المدينة وكان رايه الاقامة ثم في الفشل وفي التنازع وفي مفارقة المركز وفي الاشتغال بطلب الغنيمة
الثاني ما روي عن علي رضي الله عنه قال جاء جبرئيل الى النبي ص يوم بدر فقال يا محمد ان الله قد كره ما صنع قومك في اخذهم الفداء من الاسارى
وامرك ان تخيرهم بين ان يقدموا الاسارى فيضربوا اعناقهم وبين ان ياخذوا الفداء على ان يقتل منهم عدتهم فذكر رسول الله ص ذلك
لقومه فقالوا يا رسول الله عشائرنا واخواننا ناخذ الفداء منهم فنتقوى به على قتال العدو ونرضى ان يستشهد منا بعدتهم فقتل يوم
احد سبعون رجلا بعدد اسارى بدر فمعنى هو من عند انفسكم هو باخذكم الفداء واختياركم القتل وتمسك المعتزلة بالاية على ان للعبد
اختيارا في الفعل والترك لانه من عند نفسه وعارضهم الاشاعرة بقوله ان الله على كل شيء قدير فان فعل العبد من جملة الاشياء فيكون
الله قادرا عليه فلو وجد بايجاد العبد لامتنع من الله ان يقدر عليه لانه لا قدرة على ايجاد الموجود والجواب ان وجود الواسطة لا ينافي انتهاء
الكل الى مسبب الاسباب ويؤيده قوله وما اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله قال ابن عباس اي وقع بقضائه وحكمه وفيه تسلية
للمؤمنين لان الرضاء بالقضاء لازم وقيل بتخليته لان الاذن يخلي بين المأذون ومراده فاستعير الاذن للتخلية وان اعترض المصائب
فذلك قد يقع ليعلم المؤمنين اي ليتميزوا من اهل النفاق ولهم الميل وليعلم المنافقين ليناسب المؤمنين لفظا لان الغرض تصوير
انهم شرعوا في الاعمال اللائقة بالنفاق في ذلك الوقت واحدثوها ولانه عطف على الصلة وقيل لهم قال الاصم هذا القائل رسول الله ص
كان يدعوهم الى القتال وقيل هو جابر عبد الله بن عمرو بن حرام الانصاري لما انخزل عبد الله بن ابي بثلث الناس تبعهم فقال انشدكم الله
في نبيكم وانفسكم تعالوا قاتلوا في سبيل الله ان كان في قلبكم حب هذا الدين او ادفعوا عن انفسكم واهليكم واموالكم ان لم يكن بكم غم الاخرة
وطلب مرضات الله اي كونوا من رجال الدين او من رجال الدنيا وقال السدي وابن جريج ادفعوا العدو بتكثير سوادنا ان لم تقاتلوا
معنا لان الكثرة احد اسباب الهيبة والرعب ثم انه كان سائل سئل فماذا اجاب المنافقون عند دعاء المؤمنين اياهم الى القتال فقيل
قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم كانهم جحدوا ان يكون بين الفريقين قتال البتة او المراد لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لوافقناكم عليه
لكنكم تلقون بايديكم الى التهلكة وذلك ان راي عبد الله كان في الاقامة وما كان يستصوب الخروج من المدينة وكلا المعنيين منهم في
الجواب فاسد اما الاول فلان ظهور امارات الحرب كاف في وجوب القتال والدفع عن النفس والمال والظن في امور الدنيا قائم مقام العلم
والامارة اقوى من قرب الاعداء من المدينة عند جبل احد واما الثاني فلانه تعالى لما وعدهم النصر والغلبة ان صبروا واتقوا لم يكن الخروج
الى تلك القتال القاء النفس في التهلكة ولو كان كذلك لما جوزوه هم قال هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان لانهم تباعدوا بهذا الجواب المبني عن الدغل
والنفاق عن الايمان المظنون بهم قبل اليوم او المراد انهم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليلهم سواد المسلمين بالانخزال
تقوية لجانب المشركين وعلى الاول قال اكثر العلماء انه تنصيص من الله تعالى على انهم كفار لان القريب من الكفر حصل الكفر قال الحسن اذا قال
الله اقرب فهو اليقين بانهم مشركون كقوله مائة الف او يزيدون فهذه الزيادة لا شك فيها وقال الواحدي فيه دليل على ان الاتي بكلمة
التوحيد لا يكفر لانه تعالى لم يطلق القول بتكفيرهم يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم اي لا يتجاوز الايمان حناجرهم ومخارج الحروف منهم

خلاف صفة المؤمنين في مواطاة قلوبهم ما نطقوا به من التوحيد والله اعلم بما يكتمون من بغض الاسلام والمسلمين وسائر مجاري احوالهم
فيما بينهم وذلك ان المؤمنين قد علموا بعض ذلك بالقرائن والامارات وهو تعالى عالم بتفاصيل ذلك لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض
ولا في السماء والذين قالوا منصوب على الذم او على البدل من الذين نافقوا ومرفوع على الذم اي هم الذين او على البدل من ضمير يكتمون
وقيل يجوز ان يكون مجرورا بدلا من الضمير في افواههم او قلوبهم لاخوانهم لاجل اخوانهم المقتولين يوم احد اخوة في النسب او في سكنى الدار
او في الجنسية في النفاق والقائلون عند جمهور المفسرين عبد الله بن ابي واصحابه وعن الاصم بانه قد خرج يوم احد فكيف يصف
بالقعود في قوله وقعدوا اي والحال انهم قد قعدوا عن القتال والجواب ان القعود عن القتال وهو الجبن عنه وتركه لا ينافي الخروج لو اطاعونا
في امر الاياب بالقعود ما قتلوا كانهم قعدوا ولم يقتلوا بذلك بل ارادوا تثبيط غيرهم وذلك لحفظ الطباع من محبة الحيوة وكراهة الموت فمن
يسمع يخيل فلعل بعض ضعفة المسلمين اذا سمع ذلك رغب في القعود ونفر طبعه من الجهاد فاجابهم الله تعالى بقوله قل فادرؤا عن انفسكم الموت
ان كنتم صادقين يعني ان الحذر يغني عن القدر وان سلامتكم كانت بسبب قعودكم لا بغيره من اسباب النجاة وفيه استهزاء بهم اي كنتم رجالا
دفاعين لاسباب الموت فادفعوا جميع اسبابه حتى لا تموتوا وذلك انه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا فلجميع ذلك بناء على ان
القتل امر مكروه ويجب على العاقل ان يحترز عنه لو امكنه الا ان الاسلام ذلك هو المراد بقوله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا الخطاب
للرسول او لكل احد ومن قرأ على الغيبة فالضمير للرسول او المراد لا يحسبن حاسب اي لا يحسبنهم امواتا وضمير المفعول للذين قتلوا اي لا تحسبن
الذين قتلوا انفسهم امواتا فحذف المفعول الاول لدلالة الكلام عليه مذكورا كلاهما كما حذف المبتدأ في قوله بل احياء اي هم احياء للدلالة
عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى
قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا عنا انا في الجنة نرزق لئلا يزهدوا
في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله عز وجل انا ابلغكم عنهم فانزل هذه الاية وعن جابر بن عبد الله قال نظر الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ما لي اراك مهتما قلت يا رسول الله قتل ابي وترك عيالا ودينا فقال الا اخبرك ما كلم الله احدا قط الا من وراء حجاب وانه كلم اباك كفاحا
فقال يا عبدي سلني اعطك فقال اسألك ان تردني الى الدنيا فاقتل فيك ثانية فقال انه قد سبق مني انهم اليها لا يرجعون فقال يا
رب فابلغ من ورائي فنزلت وقال جماعة من اهل التفسير نزلت الاية في شهداء بئر معونة وقال بعضهم ان اولياء الشهداء كانوا اذا اصابتهم
نعمة او سرور تحسروا وقالوا نحن في النعمة والسرور واباؤنا واخواننا في القبور فنزلت الاية تنفيسا عنهم واخبارا عن حال قتلاهم انهم احياء
منعمون واختلف العلماء في معنى هذه الحيوة فمن طائفة انها على سبيل المجاز فقال الاصم والبلخي اراد به الذكر الجميل في الدنيا والثواب
الجزيل في العقبى وقد كان عبد الملك بن مروان لما راى الزهري علمه وفقهه وتحقيقه قال ما مات من خلف مثلك ومن هذه الطائفة
من قال مجاز هذه الحيوة ان اجسادهم باقية في قبورهم وانها لا تبلى تحت الارض البتة روي انه لما اراد معوية ان يجري العين الى قبور الشهداء
امر بان ينادي من كان له قتيل فليخرجه من هذا الموضع قال جابر فخرجنا اليهم فاخرجناهم رطاب الابدان فاصابت المسحاة اصبع رجل منهم
فانفطرت دما ومن هؤلاء من قال المراد انهم لا يغسلون كما يغسل الاحياء وذهبت طائفة من متكلمي المعتزلة الى ان المراد انهم سيحيون ولعل

الغرض تكذيب منكري البعث ويضعف بانه عدول عن الظاهر وبان عذاب القبر ثابت فالثواب اولى وبانه نهى عن حسبانهم امواتا والذي يزيل
هذا الحسبان هو اعتقاد انهم احياء في الحال لا اعتقاد انهم احياء في القيمة فان ذلك مما لا يشك النبي والمؤمنون فيه ومما روينا من
ابن عباس ان ارواحهم في اجواف طير وبقوله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا والاستبشار بمن يكون في الدنيا لا بد ان يكون قبل
يوم القيمة وذهب كثير من المحققين الى انهم احياء في الحال لكن بحيوة روحانية وان ارواحهم تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش الى
يوم القيمة وذلك ان الانسان ليس عبارة عن مجموع هذه البنية لان اجزاء البدن في الذوبان والانحلال ويعرض لها السمن والهزال
والقوة والكلال وكلنا يعلم من نفسه انه شيء واحد من اول عمره الى اخره والباقي مغاير للمتبدل ولان الانسان يكون عالما بنفسه
حال ما يكون غافلا عن جميع اعضائه واجزائه والمعلوم مغاير لما ليس بمعلوم ثم ذلك الشيء اما مغاير لهذا البدن المحسوس سواء كان
جسما مخصوصا ساريا او جوهرا مجردا لا يبعد ان ينفصل بعد موت البدن حيا اما سعيدا او شقيا وبهذا يثبت عذاب القبر و
ثوابه ويزول الشبهات عمن تامل في الامور الواردة عليه فيجد احوال النفس مضادة لاحوال البدن فيجد قوة احدهما مقتضية لضعف الاخر
كما ان البدن يضعف وقت النوم ويقوى النفس على مشاهدة المغيبات ونقوش عالم الارواح واذا اعرضت النفس عن الطعام
والشراب واقبلت على مطالعة العالم العلوي ازدادت سرورا وابتهاجا وفرحا وارتياحا وانطبعت فيها الجلايا القدسية وانكشفت لها
المعارف الالهية واكثر ارباب الشرع على انهم احياء في الحال بحيوة جسمانية ثم منهم من قال انه تعالى يصعد اجسادهم الى السموات والى قناديل
تحت العرش ويوصل انواع السعادات والكرامات اليها ومنهم من قال يتركها في الارض ويحييها ويوصل هذه السعادات اليها ومن
من الناس من طعن في هذا القول قال ان تجويز كون البدن الميت الملقى في التراب حيا متنعما قطعا نوع من السفسطة

في هذه المسئلة عكس هذا وهذا يقوله اهل التناسخ من ان النفس بعد موت بدنها تنتقل الى بدن آخر وتعرض عن الاول بالكلية وخلاف ما يقوله
الفلاسفة من ان النفس ينقطع علاقتها عن البدن مطلقا وانما تلتذ او تتألم بما اكتسبت من المعارف الحقة والاخلاق الفاضلة او بالعقائد
الباطلة والملكات الذميمة والذي نقوله ان النفس يبقى لها علاقة مع بدنها لا بالتحريك واكتساب الاعمال بل بالتلذذ والتألم والتنعم ونحوهما

وليس ببدع ان يتغير التعلق بحسب تبدل الاطوار كما كان يتغير بحسب العمر من الصبا الى سن الشيخوخة والامزجة والتحقيق ان النفس في هذا العالم جعلت متعلقة
في البدن لاجل اكتساب الاعمال والملكات فانه يفتقر الى تحريك الاعضاء واعمال الجوارح والآلات وبعد الموت يحصل متصرف فيه من جهة الجزاء
والحساب فكيف ينبغي ان يقال احدهما على الآخر فلعله يكفي بعد الموت ان يكون له علاقة التلذذ والتألم والادراك فقط الى ان يقوم القيمة
الكبرى وهذا القدر لا ينافي كون البدن مشاهدا في القبر من غير تحرك ولا احساس ونطق ويؤيده ما روي انه صلى الله عليه وسلم وقف على قليب بدر وقال
يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا فاني وجدت ما وعدني الله حقا فقال عمر يا رسول الله كيف تكلم
اجسادا لا ارواح فيها فقال ما انتم باسمع لما اقول منهم غير انهم لا يستطيعون ان يردوا علي شيئا وفي حديث عذاب القبر انه يسمع
قرع نعالهم لعل السر فيه انه لكي يعلم هذا القدر من التصرف فانه ان كان اكثر من ذلك كما سيكون في القيمة الكبرى نافى تكليف سائر الاحياء وانجر
الامر الى الالجاء وهو انخرام حديث عذاب القبر فهو صحيح صحيح ليسمعها من يليه غير الثقلين واما الشهداء فلا يبعد ان يجازيهم الله تعالى

ببدل التلذذ بنعيم الآخرة كما قتلوا تعجيلا للثواب كما عجلوا الى الانقطاع عن طيبات الدنيا ومشتهياتها فان جزاء كل طائفة ينبغي ان يناسب
عملهم فانهم هذه الاسرار فانها انوار مستترة بسبب جميع ما ورد في الشريعة الحقة واساطين موقن عند ربهم انهم مقربون ذوو الكرامة
لقوله فالذين عند ربك والمراد بحيث لا يملك احد سوى ربهم او المراد في علمه وفي حكمه كما يقال هذه المسئلة عند الشافعي كذا يرزقون كما
يرزق سائر الاحياء يأكلون ويشربون وهو تأكيد لكونهم احياء ووصف لحالهم التي هم عليها من التنعم برزق الله كما ورد في الحديث فرحين
بما آتيهم الله من فضله وهو توفيق الشهادة وما خصهم به من التفضيل على غيرهم من تعجيل رزق الجنة ونعيمها وقال المتكلمون
الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم فقوله يرزقون اشارة الى المنفعة وقوله فرحين اشارة الى الابتهاج الحاصل بسبب
التعظيم وقالت الحكماء يرزقون اشارة الى كون ذواتهم مشرقة بالمعارف الالهية فرحين رمز الى ابتهاجها بالنظر الى ينبوع النور
مصدر الكمال ويستبشرون بالذين باخوانهم من المجاهدين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم والاستبشار السرور الحاصل بالبشارة ومعنى من خلفهم
انهم بقوا بعدهم وقيل لم يلحقوا بهم اي لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل الاشتمال من الذين وذلك ان الله
يبشرهم بان من ترك خلفهم من المؤمنين يبعثون آمنين يوم القيمة فهم مستبشرون بانه لا خوف عليهم انما بشرهم الله بذلك لانهم لما فارقوا
الدنيا بقيت كان ذلك مظنة ان يكون لهم نوع تعلق باحوال اخوانهم وهو شبيه تألم فاكرمهم الله تعالى بازالة ذلك التعلق عنهم وامنهم من خوفهم
من عذاب الله فحصل لهم سروران من قبل حال انفسهم وذلك قوله فرحين بما آتيهم الله من فضله ومن قبل حال اخوانهم ولعزتهم وذلك
قوله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم كرر هذا المعنى لزيادة التأكيد فقال يستبشرون بنعمة من الله وهو الثواب وفضل والتفضل الزائد
وهذا هو سرورهم بسعادة انفسهم وان الله اي وبان الله لا يضيع اجر المؤمنين وهذا سرورهم بسعادة اخوانهم المؤمنين ثم انه
مدح المؤمنين بغزوتين متصلتين بغزوة احد بعدها وكلتاهما بغزوة حمراء الاسد الثانية بغزوة بدر الصغرى اما الاولى فما روي
ان ابا سفيان واصحابه انصرفوا من احد فبلغوا الروحاء ندموا وقالوا انا قتلنا اكثرهم ولم يبق منهم الا القليل فلم تركناهم فهموا
بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله فاراد ان يرهب الكفار ويريهم من نفسه ومن اصحابه قوة فندب اصحابه الى الخروج في طلب ابي سفيان وقال
لا اريد الا ان يخرج معي الا من حضر يومنا بالامس فخرج في سبعين من الصحابة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية اميال
فالقى الله الرعب في قلوب المشركين وانهزموا فنزلت الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا منهم اي
جميع المأمورات واتقوا بالانتهاء عن المحظورات احسنوا في طاعة الرسول واتقوا مخالفته وان بلغ الامر بهم الى الجراحات روي انه

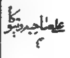

كان فيهم من يحمل صاحبه على عنقه ساعة ثم كان المحمول يحمل الحامل ساعة اخرى وكان فيهم من يتوكأ على صاحبه ساعة ومن في قوله للذين
احسنوا منهم للتبيين لان الذين استجابوا لله والرسول قد احسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم وقال ابو بكر الاصم نزلت في يوم احد لما رجع
الناس بعد الهزيمة فشد بهم على المشركين حتى كشفهم وكانوا قد هموا بالمثلة فدفعهم عنهم بعد ان مثلوا بحمزة فصلى عليهم النبي و
دفنهم بدمائهم وذكروا ان صفية جاءت لتنظر الى اخيها حمزة فقال النبي للزبير ردها لئلا تجزع من مثلة اخيها فقالت قد بلغني ما فعل
به وذلك يسير في جنب طاعة الله تعالى فقال للزبير دعها تنظر اليه فقالت خيرا واستغفرت له وجاءت امرأة قد قتل زوجها وابوها واخوها
وابنها فلما رأت الرسول وهو حي قالت ان كل مصيبة بعدك جلل واما الثانية فروى ابن عباس ان ابا سفيان لما عزم ان ينصرف
من المدينة الى مكة نادى يا محمد موعدنا موسم بدر الصغرى لقابل نقتتل بها ان شئت فقال النبي لعمر قل بيننا وبينك ذلك ان شاء الله فلما حضر
الاجل خرج ابو سفيان مع قومه حتى نزل بالظهران فالقى الله الرعب في قلبه فبدا له الرجوع فلقي نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا

فقال لنعيم اني واعدت محمدا ان نلتقي بموسم بدر وان هذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لي ولكن ان
خرج محمد ولم اخرج زاده ذلك جرأة فالحق بالمدينة وثبطهم ولكن عندي عشر من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم ما
بالرأي اتوكم في دياركم وقراركم فقتلوا اكثركم فان ذهبتم اليهم لم يرجع منكم احد فوقع هذا الكلام في قلوب قوم منهم فقال ﷺ والذي
نفسي بيده لاخرجن اليهم وحدي فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل الى ان وصلوا الى بدر الصغرى وهي ماء
لبني كنانة وكانت موضع سوق لهم يجتمعون فيها كل عام ثمانية ايام ولم يلق رسول الله ﷺ احدا من المشركين وكانت معهم تجارات ونفقات
فوافوا السوق وباعوا ما معهم واشتروا بها ادما وزبيبا وربحوا واصابوا بالدرهم درهمين وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين و
رجع ابو سفيان الى مكة فسمى اهل مكة جيشه جيش السويق قالوا انما خرجتم لتشربوا السويق فانزل الله في المؤمنين الذين قال لهم الناس يعني
نعيم بن مسعود كما ذكرناه وانما عبر عن الانسان الواحد بالناس لانه من جنس الناس كما يقال فلان يركب الخيل وماله الا فرس واحد ولان
الواحد اذا قال قولا وله اتباع يقولون مثل قوله ويرضون به حسن اضافة ذلك الفعل الى الكل كقوله تعالى واذ قتلتم نفسا وحين قال
نعيم ذلك القول لجمع من ناس من اهل المدينة يضامونه ويصلون جناح كلامه وقال ابن عباس ومحمد بن اسحق هو ركب من عبد القيس
مروا بابي سفيان فدسهم الى المسلمين ليجبنوهم وضمن لهم عليه جعلا حمل بعير من زبيب قال السدي هم منافقو المدينة كانوا يثبطون المسلمين
عند الخروج يقولون ان الناس قد جمعوا لكم يعني ابا سفيان واصحابه والمفعول محذوف اي جمعوا لكم الجموع والعرب تسمي الجيش جمعا فاخشوهم
فزادهم نعيم او قول المثبطين ايمانا لانهم لم يسمعوا قولهم واخلصوا عنده النية والعزم على الجهاد واظهروا حمية الاسلام فكان ذلك اثبت
ليقينهم واقوى لاعتقادهم واستدل بالآية من قال ان الطاعات داخلة في مسمى الايمان وانه يزيد وينقص بحسب تجددها ونقصانها
واما من قال الايمان عبارة عن نفس التصديق فقط فلان الزيادة وقعت في ثمرات الايمان ولكنها جعلت في الايمان مجازا وقد مر تحقيق
الكلام لنا في هذا المعنى في اول الكتاب فكأنهم اضمروا ذلك بحسب الاعتقاد واعتقدوا التخلي بتحسين الثقة في الثناء فاظهروه باللسان و
قالوا حسبنا الله وقد مر اعرابه مثله في قوله فحسبه جهنم ونعم الوكيل والكافي والكافل والموكول اليه ثم عملوا بما اعتقدوه وقالوا وخرجوا
فانقلبوا بنعمة من الله وهي العافية وفضل هو الربح بالتجارة والنعمة منافع الدنيا والفضل ثواب الآخرة لم يمسسهم سوء لم يصبهم قتل
ولا جراح وصفهم بما يحصل لهم الملائم ولم يحصل لهم المنافي وهذه غاية المطالب ونهاية الاماني وكل ذلك ثمرة الاخلاص والتوكل على الله
سبحانه وتعالى ثم روي انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله واتبعوا رضوان الله وليعلموا ان لهم ثواب المجاهدين حيث مضوا
ما عليهم ثم قال والله ذو فضل عظيم تنبيها على ان السبب الكلي في ثواب المطيعين هو فضل الله ورحمته عليهم لم يرض لهم بجملة الا
ان يتفضل الله برحمته فعلى المؤمن ان لا يثق الا بالله ولا يخاف احدا الا اياه وذلك قوله انما ذلكم الشيطان المثبط هو الشيطان نفسه او
اعوانه ثم بين شيطنته بقوله يخوف اولياءه فالشيطان صفة اسم الاشارة وهذه الجملة خبر والمفعول الاول محذوف اي يخوفكم اولياءه فلا
تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ان تؤثر خوف الله على خوف الناس الذين هم اطباء المثبطين والاولياء هم ابو سفيان
واصحابه وقيل الشيطان هو ابليس وقيل المضاف محذوف والتقدير انما ذلكم قول الشيطان وقيل يخوف اولياءه القاعدين عن
الخروج مع رسول الله ﷺ وعلى هذا فالضمير في فلا تخافوهم للناس في قوله ان الناس قد جمعوا لكم وقيل التقدير يخوفكم باوليائه كقوله يخوف
الذين من دونه فحذف حرف الجر قاله الفراء والزجاج وابو علي وذهب ابن الانباري الى ان التخويف قد يتعدى بنفسه الى مفعولين فلا حذف
الى اضمار حرف الجر التأويل قد ذكرنا ان النفس يحصل لها نوع تعلق ببدنها فالآن نقول ان روح الشهيد مخصوص بمزيد تعلق
ببدنه جزاء له على تحمل اذى الافتراق عن الدنيا وهذا الابتلاء اجتباء اكثرهم منهم تبقى عنده طريقة وكانهم هم الشهداء في الحقيقة وهكذا
الكاملين من النبيين والصديقين الذين قتلوا انفسهم بسيوف الرياضات ومطارق الاذكار واسنة السنة الطاعنين وتجرعوا غصص
مخالفات النفس ومكايدة الشيطان حتى ماتوا بالارادة وحيوا بالطبيعة فهم كالطبيعة وليس كل تعلق بهذا العالم سيما السالم بل بعضه
سبب اللذة والابتهاج يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين وكان في حديث الشهداء من مبلغ اخواننا عنا انا
احياء في الجنة والذي جاء فيه ان ارواحهم في اجواف طير خضر فلعل ذلك جزاء لهم على خروج الدم والابخرة اللطيفة منهم فلما امكن ان يتعلق
بدل جسمها اللطيف اشبه طائر يكون لروح الشهيد مزيد تعلق حتى يحركه حيث شاء من السماء والارض والى الجنة باذن الله تعالى واما
كون الطير خضراء فاما لان بين الميل الى الخضرة واما ان يكون عبارة عن النضرة تعرف في وجوههم نضرة النعيم واما لان حالهم بالنسبة الى ما
سيؤول اليه اهل الجنة والنار يوم القيمة كالمتوسط بين الحالين الذين عبر عنهما بالبياض والسواد في قوله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه
وهذه النكت لما وجدتها في كتب التفسير اثبتها ورجوت ان اكون مصيبا فيها والغرض ان الله تعالى ورسوله اعلم بمراده منا ولا يحزنك
الذين يسارعون في الكفر انهم لن يضروا الله شيئا يريد الله الا يجعل لهم حظا في الآخرة ولهم عذاب عظيم آ ت

الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ

إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝ مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا

فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا

بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ

وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ۝ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ

وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ۝ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ

قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ

رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ۝ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ۝ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ

وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ

مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ۝ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ

وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ۝ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا

فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ القراءة ولا

يحزنك حيث كان قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر نافع ومثله يحزنني وليحزن الذين آمنوا ويزيد على ضده الباقون بفتح الياء وضم الزاء

خلاف في مثل يحزنون ولا تحزن مما هو لازم ولا يحسبن وثلثة بعدها بالياء الغائبة مع ضم الباء فلا يحسبنهم ابو عمرو وابن كثير وقرا حمزة كلها

بتاء الخطاب وقرا ابو جعفر ونافع وابن عامر ويعقوب كلها بالغائبة الا قوله فلا تحسبنهم فانها بالتاء وفتح الباء الباقون الاوليان على

الغيبة والاخريان بالخطاب يميز بالتشديد حيث كان حمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب عباس يميز الباقون خفيف بفتح الياء وكسر

الميم يعملون خبير بياء الغيبة ابن كثير ويعقوب وابو عمرو لقد سمع وبابه مدغما ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف وهشام سيكتب بضم الياء

وفتح التاء وقتلهم برفع اللام ويقول على الغيبة حمزة الباقون بالنون فيهما على التكلم ونصب اللام في قتلهم وبالزبر ابن عامر وبالكتاب

الحلواني عن هشام الباقون بغير اعادة الخافض فيهما زحزح من مدغما شجاع وابو شعيب من طريق العطار وابن مهران ليبيننه ولا يكتمونه

بالياء فيهما لانهم غيب ابن كثير وابو عمرو ويعقوب غير روح وابو بكر وحماد الباقون بتاء الخطاب فيهما على حكاية مخاطبتهم الوقوف الكفر ج

للابتداء بان مع احتمال اضمار اللام او الفاء شيئا ط في الاخرج لعطف المختلفتين مع اتحاد مقصود الكلام عظيم شيئا ج لما ذكر في الاخرة

اليم لانفسهم ط اثما ج لما ذكر فيه مهين من الطيب ط ورسله ط عظيم خير الهم ط شر لهم ط القيمة ط والارض ط خبير اغنياء م لئلا يصير ما

بعده من مقولهم ومن قرا بضم الياء فوقفه مطلق بغير حق ج لمن قرا ويقول بالياء لان التقدير ويقول الله او يقول الزبانية فلا يعطف

على قوله سيكتب مع اتساق المعنى الحريق للعيبة لاحتمال الصغر وان يكون المراد بهم الذين والوقف ولكنه لا يظلم العبيد فكم العبيد الموء
نعم لو كان بدلا من الذين قالوا ان الله فقير صح تأكله النار وطهارة قربين المميز لو بت طيوم القيمة لا ابتداء شرط في امر معظم فقد فاز
الفوز الكبير الا امور ولا تكتمونه لان الجملتين وان اتفقا لم يكن النبذ متصلا ما اخذ الميثاق فلم يضف الى ظرفانه قليلا لا يشترون
من العذاب جملة ذكرنا والارض فقد تم التفسير نزلت في كفار قريش وانه جعل رسوله امنا من شرهم واتاح العاقبة له وان جمعوا
الجموع وجهزوا الجيوش حتى يظهره هذا الدين على الاديان كلها وقيل في المنافقين ومسارعتهم هي انهم كانوا يخوفون المؤمنين بسبب واقعة
احد ويؤيسونهم التمسيم والظفر وربما يقولون ان محمدا طالب ملك فتارة يكون الامر له وتارة يكون عليه ولو كان رسولا ما غلب حد و
قيل ان قوما من الكفار اسلموا ثم ارتدوا خوفا من قريش فاغتم النبي لذلك فبين الله تعالى ان ردتهم لا تؤثر في لحوق ضرر به قال بعضهم
هذا القول بان المسارعة في الكفر انما يناسب من كفر بعد الايمان المستمر على الكفر وبان ارادته ان لا يجعل لهم حظا في الاخرة
انما يليق بمن امن فاستوجب الحظ ثم احبطه وبان الحزن انما يكون على فوات امر مقصود وذلك هو ما قدر للنبي من الانتفاع بايمانهم و
انتفاعهم بالايمان فبين الله تعالى انه لا يحزن بسبب فوات ذلك لضرر بالدين وان وبال ذلك يعود عليهم كلا دل عليه بقية الاية فان قيل الحزن
على كفر الكافر وعلى معصية العاصي طاعة فكيف نهى نبيه الله عن ذلك فالجواب انه نهى عن الاسراف في الحزن بحيث يؤدي اليه نظيره لعلك باخع
نفسك الا يكونوا مؤمنين او المراد لا يحزنوك بخوف ان يضروك ويعينوا عليك انهم لن يضروا الله اي نبيه شيئا من الضرر يريد الله
الا يجعل لهم حظا في الاخرة فيه دليل على ان ارادة الله يتعلق بالعدم وتنصيص على ان الخير والشر والنفع والضر بارادة الله ومعنى قوله ولهم
عذاب عظيم انه كما لا حظ لهم من منافع الاخرة فلهم حظ عظيم من مضارها وفي الاخبار عن ارادة عدم الجعل دون الاخبار عن عدم الجعل
اشعار بان استحقاقهم للحرمان بلغ الى حد اراد ارحم الراحمين ان لا يرحمهم وان الداعي الى تعذيبهم خلص خلوصا لم يبق معه صارف
البتة ثم انزل في اليهود خاصة وهو الاشبه او في الكفار عامة ان الذين اشتروا الاية والغرض تاكيد تقوية قلب الرسول كانه قيل ان الكرم
ينازعونك في الدين لاجل شبهة بل بناء على الحسد المنازعة في منصب الدنيا ومن كان عقله هذا القدر وهو ان يبيع بالقليل
من الدنيا السعادة الكثيرة في الاخرة كان في غاية الحماقة ومثله لا يقدر على الحاق الضرر بالغير وقيل ان الاية في المرتدين فالمعنى
ان اختيار الدين بعد الدين ثم الارتداد على العقبين يدل على الاضطراب ضعف الراي وقلة الثبات والانسان المضطرب بحال لا يقدر على ايصال
الضرر الى الغير ثم بين ان بقاء المنافقين المتخلفين عن الجهاد والكفار الذين بقوا بعد شهداء احد لا خير فيه وقال ولا يحسبن من قرأ
بالياء فقوله الذين كفروا فاعل وان مع ما في حيزه ساد مسد مفعوليه ومن قرأ بتاء الخطاب فالذين كفروا المفعول الاول وان مع ما في
حيزه بدل منه وصح الابدال وان لم يغن عن احد المفعولين لان المبدل في حكم المنحى الا ترى انك تقول جعلت متاعك بعضه فوق بعض مع امتناع
السكوت على متاعك التقدير لا تحسبن الذين كفروا ان ما نملي خير لهم على ان ما مصدرية ويجوز ان يقدر مضاف محذوف اي لا يحسبنهم
الاصحاب ان الاملاء خير لهم او لا يحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم قال الاصمعي يقال املى عليه الزمان اي طال واطاله

اي طوله

واصله قال ابو عبيدة ومنه الملاء الارض الواسعة الطويلة والملوان الليل والنهار ويقال الحق عنده ملاوة من الدهر اي حينا و
برهة وانما نصب على التمييز وفي وصف العذاب اولا بالعظيم ثم بالاليم ثم بالمهين تدريج من الاهون الى الاشق وفيه من الوعيد السخط ما لا
يخفى قالت الاشاعرة ههنا ان اطالة المدة من فضل الله لا محالة والاية دلت على انها ليست بخير ففيه دلالة على انه سبحانه فاعل الخير والشر
وانه نص على ان الغرض من هذا الاملاء ان يزدادوا اثما فاذن الكفر والمعاصي بارادة الله وايضا اخبرهم انه لا خير لهم فيه وانهم لا يحصلون
منه الا على ازدياد الاثم والاتيان بخلاف خبر الله تعالى محال فعلمنا انه مجبول ونحو على ذلك تصور مختار واجابت المعتزلة بان المراد ان هذا
الاملاء ليس خيرا من موتهم شهداء اذ الاية من تتمة قصة احد لانه ليس بخير منكم وزيف بان بناء المبالغة لا يجوز ذكر الامر المفضل عليه لكنه
لم يذكر فعلمنا انه لنفي الخيرية لا لنفي كونه خيرا من شيء اخر وعن الثاني ان ازدياد الاثم علة للاملاء وليس كل علة بغرض كقولك قعدت
عن الغزو للعجز والفاقة ومثله وجعلوا لله اندادا ليضلوا وهم ما ضلوا لذلك الاضلال بل يقال ما كانت موعظتي لك الا للزيادة في
تماديك في الغي اذا كانت عاقبة الوعظ ذلك ورد بان حمل اللام على لام العاقبة عدول عن الظاهر على انا نعلم بالبرهان ان عالم بانهم
يزدادون اثما على تقدير الامهال فالامهال عليه فاعلية لان يزدادوا ومريد له قالوا في الكلام تقديم وتأخير وترتيبه
لا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم ليزدادوا اثما انما نملي لهم خير لانفسهم ويعضده قراءة يحيى بن وثاب بكسر الاولى وفتح الثانية و
رد بان التقديم والتأخير خلاف الاصل والقراءة شاذة لا اعتداد بها مع ان الواحدي انكرها ثم انه تعالى اخبر انه لا يجوز في حكمته
ان يترك المؤمنين على ما هم عليه من اختلاط المخلصين بالمنافقين ولكنه يميز احد الجنسين من الاخر بالقاء الحوادث وابداء الوقايع كما في قصة
احد متميزة الثابت فانها صيد اللئام وصيقل الاحرار فقال ما كان الله ليذر اللام لتاكيد النفي والخطاب في انتم للمصدقين جميعا من
اهل الاخلاص والنفاق خوطبوا انه ما كان في حكمة الله ان يترك المخلصين على الحال التي انتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض وهو انه لا

التي جعلهم من بعض لهم وميز اهم به تمييزا وفي الحديث من ماز اذى عن الطريق فهو له صدقة وجمع لفظ الطيب والخبيث وان كان مفردا
لانه للجنس والمراد جميع المنافقين والمؤمنين وانما قدم الخبيث على الطيب ليقع فعل الميز عليه ليعلم انه المطرح من الشيئين الملقى لرداءته فاذا
الميز يقع على الادون والاهون ثم بم يحصل هذا الميز قيل بالمحن والمصايب كالقتل والهزيمة وكادغام النبي صلى الله عليه وسلم الى الخروج مع ما بهم من القروح
فميز بذلك بظهور الثابت من المتزلزل والساكن من المتقلقل وقيل باعلاء كلمة الدين وقلة شوكة المخالفين ليظهره على الدين كله وقيل
بالوحي الى نبيه ولهذا اردفه بقوله وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي اي يصطفي ويختار من رسله من يشاء وبناء الكلام
على ثلث مراتب الاولى ان هذا المنصب الذي استأثر الله تعالى به لا يليق بكل احد منكم وانما هو مخصوص بالمصطفين من عبيده الثانية ان الرسول
ايضا لا يعلم المغيبات بان يطلع عليه من تلقاء نفسه بخاصية فيه لكنه انما يعلم ذلك من طريق الوحي واطلاع الله تعالى اياه ان فلانا مؤمن
وذلك منافق الثالثة ان هذه الآية تختص ببعض الرسل في بعض الاوقات بحسب مشيئته وارادته فآمنوا بالله ورسله ومن جملة الايمان بالله
ان تعتقدوه وحده عالما بالغيوب ومن جملة الايمان بالرسل ان تنزلوهم منازلهم بان تعلموهم عبيدا مصطفين لا يعلمون من الغيب
الا ما علمهم الله تعالى ووجه النظم على القول الاول لا تظنوا ان هذا التمييز يحصل بان يطلعكم الله على غيبه ويقول ان فلانا مؤمن وفلان
منافق فان سنة الله جارية بانه لا يطلع العوام على غيبه لا يكون لهم سبيل الى معرفة الامور الا بالامتحان والقرائن المفيدة للظن الغالب
ولكنه يصطفي من رسله من يشاء فيعلمهم ان هذا مؤمن وذاك منافق ويختارهم للرسالة ووضع التكاليف الشاقة التي بها يتميز المرتاب
ويخلص اهل الوفاء من اهل الجفاء او المراد ما كان الله ليطلعكم كلكم عالمين بالغيب من حيث يعلم الرسول حتى تصيروا مستغنين عن الرسول
ولكنه يخص من يشاء بالرسالة ثم يكلف الباقين طاعة هؤلاء الرسل فآمنوا بالله ورسله كلهم لان طريق ثبوت نبوتهم واحد فمن اقر
بنبوة واحد منهم لزمه الاقرار بنبوة كلهم ثم اتبعه الوعد بالثواب فقال وان تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم قال السدي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عرضت علي امتي في صورها كما عرضت على آدم واعلمت من يؤمن بي ومن يكفر فبلغ ذلك المنافقين فاستهزءوا فقالوا زعم محمد انه يعلم من يؤمن
به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فانزل الله ما كان الله ليذر المؤمنين وقال الكلبي قالت قريش تزعم يا محمد ان من خالفك فهو في النار
والله عليه غضبان وان من اتبعك على دينك فهو من اهل الجنة والله عنه راض فاخبرنا بمن يؤمن بك وبمن لا يؤمن بك فنزلت وقال
ابو العالية نزلت حين سأل المؤمنون ان يعطوا العلامة يفرقون بها بين المؤمن والمنافق ثم انه عز من قائل لما بالغ في التحريض على بذل
النفس في الجهاد شرع في التحريض على بذل المال في سبيل الله فقال ولا يحسبن الذين يبخلون من قرأ بتاء الخطاب قدر مضافا اي لا تحسبن بخل
الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من قرأ بالياء وجعل فاعله ضمير النبي او احد ومن جعل الموصول فاعلا فالمفعول الاول يحذف لدلالة
التقدير ولا يحسبن هؤلاء بخلهم هو خيرا لهم وهو صيغة الفصل قال الواحدي جمهور المفسرين على ان هذه الآية نزلت في مانعي الزكوة وبنية
الوعيد عليه بسوق الكلام في معرض الذم ولان تارك التفضل لا يعد بخيلا ثم لا يتخلص الانسان من البخل الا باخراج جميع المال وفي
حكم الزكوة سائر المصارف الواجبة كالانفاق على النفس وعلى الاقربين الذين يلزمه مؤنتهم وعلى المضطر وفي الذب عن المسلمين اذا قصدهم
عدو وتعين دفعهم بالمال وروى عطية عن ابن عباس انها نزلت في احبار اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته واراد بالبخل كتمان العلم
الذي آتاهم الله وعلى هذا يكون عودا الى ما انجر منه الكلام الى قصة احد وذلك هو شرح احوال اهل الكتاب بعضا ان كثيرا من آيات
بقية السورة فيهم ثم على هذا التفسير فمعنى سيطوقون ان الله تعالى يجعل في اعناقهم طوقا من النار كقوله من سئل عن علم يعلمه فكتمه الجم
بلجام من نار والمراد انهم لم ينطقوا بافواههم والسنتهم بما يدل على الحق وعلى التفسير الاول فاما ان يكون محمولا على ظاهره وهو ان يجعل
ما بخل به من الزكوة حية يطوقها في عنقه تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر راسه وتقول انا مالك عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من رجل
له مال لا يؤدي حق ماله الا جعل طوقا في عنقه شجاع اقرع وهو يفر منه وهو يتبعه ثم قرأ مصداقه من كتاب الله عز وجل ولا يحسبن الذين
يبخلون الآية وعن ابن عمر قال ان الذي لا يؤدي زكوة ماله يخيل اليه ماله يوم القيمة شجاعا اقرع له زبيبتان فيلزمه او يطوقه يقول
انا كنزك واما ان يكون على طريق التمثيل لا على ان ثمة اطواقا اي سيلزمون اثمه في الآخرة الزام الطوق ومنه في امثالهم تقلدها طوق
الحمامة اذا جاء بهنة يسب بها ويذم وقال مجاهد معناه سيكلفون ان يأتوا بما بخلوا به يوم القيمة ونظيره ما روي عن ابن عباس
انه كان يقرأ وعلى الذين يطوقونه فدية قال المفسرون يكلفونه ولا يطيقونه اي يؤمرون باداء ما منعوه حين لا يمكنهم الاتيان
به فيكون ذلك توبيخا على معنى هلا فعلتم ذلك حين كان ممكنا ولله ميراث السموات والارض وله ما فيهما مما يتوارثه اهلهما
من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله ونظيره قوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وقال كثير من
المفسرين المقصود انه يبطل ملك جميع المالكين الا ملك الله فيصير كالميراث قال ابن الانباري يقال ورث فلان علم فلان
اذا تفرد به بعد ان كان مشاركا له فيه وورث سليمن داود اي تفرد بملكه بعد ما كان مشاركا له فيه والله بما
تعملون خبير من قرأ على الغيبة فظاهر اي يجازيهم على منعهم الحقوق ومن قرأ على الخطاب فللالتفات فهي ابلغ في الوعيد لان الغضب

كانه تمنى لهم الجد والعمل على الخطاب بشافه بالعتاب ثم شرع في حكاية شبه الطاعنين في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم اما لانهم لما امروا بالانفاق في سبيل الله قالوا لو كان
محمد صادقا في ان الله تعالى يطلب منا المال فهو اذن فقير ونحن اغنياء لكن الفقر على الله محال فمحمد غير صادق واما لانهم لو كان نبيا لكان انما
يطلب المال لاجل ان يجيء نار من السماء فتحرقه كما كان في زمن سائر الانبياء فلما لم يفعل ذلك عرفنا انه ليس بنبي فهذا بيان النظم وليس
في الاية تعيين القائلين الا ان العلماء نسبوا هذا القول الى اليهود لعنهم الله لقولهم في موضع آخر يد الله مغلولة وعنوا انه بخيل
وذلك الجهل يناسب هذا الجهل ولان التشبيه غالب عليهم والقائل بالتشبيه لا يمكنه اثبات كونه تعالى قادرا على كل المقدورات فاذا عجز
عن اثبات هذا الاصل عجز عن بيان انه غني ولما روى عكرمة ومحمد بن اسحق والسدي ومقاتل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب مع ابي بكر الى يهود
بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلوة وايتاء الزكوة وان تقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازوراء وهو
من علمائهم اتزعم ان ربنا يستقرضنا اموالنا فهو اذن فقير ونحن اغنياء فغضب ابو بكر ولطم في وجهه وقال لولا الذي بيننا
وبينكم من العهد لضربت عنقك فذهب فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد انظر الى ما صنع بي صاحبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر
ما الذي حملك على ما صنعت فقال يا رسول الله ان عدو الله قال كذا فجحد ذلك فنحاص فنزلت هذه الاية تصديقا لابي بكر
واما ان موسى لما طلب منهم الجهاد ببذل النفوس قالوا له اذهب انت وربك فقاتلا فلا يبعد ان محمدا لما طلب منهم الجهاد
ببذل النفوس والاموال كانوا لعنهم قالوا لما كان لا للاغنياء اي حاجة الى اموال الناس ثم ان القائل لو كان فنحاص وحده فانما استقام قوله
لقد سمع الله قول الذين قالوا لان اتباع الرجل المقتدين به حكمهم حكمه ثم انه تعالى لم يجبهم عن شبهتهم اما على قواعد اهل السنة فبان
يقول ما يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد فلا يبعد ان يامر عبيده ببذل الاموال مع كونه اغنى الاغنياء واما على قوانين المعتزلة
فبان في هذا التكليف فوائد منها ازالة حب المال عن القلب ومنها التوسل الى الثواب الخالد ومنها تحريك البعض للبعض بذلك ليرتبط اهل
التمدن وينتظم احوال صلاح المعاش والمعاد وانما لم يجب لكثرة ورودها في القرآن لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون من ذا الذي
يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة وما تنفقوا من خير فلانفسكم ولان وجوب الوجود عبارة عن الغنى المطلق حتى
لا يحتاج في ذاته ولا في شيء من صفاته ولا بجهة من جهاته الى ما سوى ذاته فمن اعترف بوجوب وجوده ثم شك في كمال غناه في وجوده فقد عاد
بالنقض على موضوعه فلا يستحق الجواب عند اولي الالباب انما يستاهل صنوفا من العتاب وضروبا من العذاب فلهذا قال على جهة
الوعيد سنكتب ما قالوا في صحايف الحفظة ثم عطف عليه قتلهم الانبياء ليدل على انهم كما لم يعرفوا الله حق قدره حتى نسبوا اليه
نبوة فكذلك لم يقضوا حقوق الانبياء فقتلوهم ونقول ذوقوا عذاب الحريق وهو من اسماء جهنم فعيل بمعنى مفعول
كالاليم بمعنى المولم او سميت باسم صاحبها اي ذات حرقة والمعنى ننتقم منهم فنقول لهم ذوقوا عذاب النار كما اذقتم المسلمين جرع الغصص وهذا
القول يحتمل ان يقال عند الموت او عند الحشر او عند قراءة الكتب ويحتمل ان يكون كناية عن الوعيد وان لم يكن ثمة قول ذلك العذاب لهم
او الوعيد بما قدمت ايديكم من السب والقتل وذكر الايدي لان اكثر الاعمال يباشر باليد فجعل كل عمل كالواقع بالايدي على سبيل التغليب
وان كان بعضه باللسان او بسائر الجوارح والالات وانما جمع لان المخاطب جمع ولو كان مفردا قيل بما قدمت يداك كما في سورة الحج
قال الجبائي في قوله وان الله ليس بظلام للعبيد دلالة على ان فعل العقاب بهم كان يكون ظلما بتقدير ان لا يقع منهم الذنب
وفيه بطلان قول المجبرة ان الله يعذب الاطفال بغير جرم ويجوز ان يعذب البالغين بغير ذنب ويدل على كون العبد فاعلا والا لكان
الظلم حاصلا والجواب انه لم ينف الظلم عن نفسه بمعنى ان الجزاء انما كان مرتبا على الذنب الصادر بكسب العبد وفعله فلا ظلم بل بمعنى انه مالك
الملك والمالك اذا تصرف في ملكه كيف شاء لم يكن ذلك ظلما فخلق ذلك الفعل فيهم ثم ترتيب العذاب عليه لا يكون ظلما قيل انه نفى الظلم الكثير
عن نفسه فذلك يوهم ثبوت اصل الظلم له اجاب القاضي بان العذاب الذي توعد بان يفعله بهم لو كان ظلما لكان عظيما فنفاه على
حد عظمه لو كان ثابتا وهذا يؤكد ما ذكرنا ان ايصال العقاب اليهم كان يكون ظلما عظيما لو لم يكونوا مذنبين اقول انه تعالى نفى حقيقة الظلم
عنه في قوله وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون وتحقيقه ما ذكرنا انه مالك الكل له ان يتصرف في ملكه كيف يشاء ولكنه نفى ههنا كثرة الشر والظلم
ان يصدر عنه كانه قال لا تخيل اليكم ان في الوجود شرا بناء على ما في ظنكم من ان الحكيم قد يصدر عنه الشر القليل لتبعيته الخير الكثير فاعلموا انه
منزه عن صدور الشر الكثير مني وان هذا من القليل الذي يتضمن خيرا كثيرا ونقول ان نفى الشر القليل واصل الظلم عنه ولكنه القليل
من الظلم بالنسبة الى رحمته الذاتية كثير فلهذا النفي عبر بلفظ الكثرة والمبالغة ثم قرر الشبهة الاخرى لهم فقال الذين قالوا ان الله عهد الينا
قال الكلبي نزلت في كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهودا وزيد بن التابوه وفنحاص بن عازوراء وحيي بن اخطب اتوا رسول الله
فقالوا اتزعم ان الله بعثك الينا رسولا وانزل عليك الكتاب وان الله قد عهد الينا في التورية ان لا نؤمن لرسول يزعم انه جاء من عند
الله حتى يأتينا بقربان تأكله النار فان جئتنا به صدقناك فنزلت قال عطاء كانت بنو اسرائيل يذبحون لله فيأخذون
الثروب واطايب اللحم فيضعونها في وسط بيت والسقف مكشوف فيقوم النبي في البيت ويناجي ربه وبنو اسرائيل خارجون واقفون

حول البيت فينزل نار بيضاء لها دوي حفيف لا دخان لها فيأكل ذلك القربان وهو البر الذي يتقرب به الى الله واصله مصدر كالكفران و
الرجحان ثم سمي به نفس المتقرب به الى الله ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لكعب بن عجرة يا كعب الصوم جنة والصلوة قربان اي بها يتقرب الى الله ويستشفع في الحاجة لديه
للعلماء فيما ادعاه اليهود قولان قال السدي ان هذا الشرط جاء في التورية مع الاستثناء قال من جاءكم يزعم انه رسول الله فلا تصدقوه حتى يأتيكم
بقربان تأكله النار الا المسيح ومحمدا فكانت هذه العادة جارية الى مبعث المسيح ثم زالت وقيل انه افتراء لان المعجزات كلها في كونها خارقة للعادة
واية لصحة النبوة سواء فاي فائدة في تخصيصها ولانه اما ان يكون في التورية ان مدعي النبوة وان جاء بجميع الآيات لا تقبلوا قوله الا
ان يجيء بهذه الآية المعينة وح لا يكون سائر المعجزات دالة على الصدق واذا جاز الطعن فيها جاز في هذه واما ان يكون فيها ان مدعي النبوة
يطالب بالمعجزة اية كانت وح يكون طلب هذا المعجز المعين عبثا فلهذا نسبهم الله تعالى الى الجحود والعناد فقال قل قد جاءكم رسل من
قبلي بالبينات وبالذي قلتم اي بما اولهم وموداه فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين انما الايمان يجب عند الاتيان بالقربان وانما ذكر
مجيء الرسل بالبينات فلم يقتصر على مجيء القربان ليتم الالزام وذلك ان القوم يحتمل ان يقولوا ان الاتيان بهذا القربان شرط للنبوة
لا موجب لها والشرط يلزم من عدمه عدم المشروط لكن لا يلزم من وجوده وجود المشروط فلو اكتفى بذكر القربان لم يتم الالزام وحيث انضم
اليه البينات ثبت انهم اتوا بالموجب وبالشرط جميعا فكان الاقرار بالنبوة واجبا ثم سلى رسوله بقوله فان كذبوك في اصل الشريعة
والنبوة او في قولك ان الانبياء الاقدمين جاؤهم بالبينات وبالقربان فقتلوهم فقد كذب رسل من قبلك اي رسل في المصيبة
ذات مطالب جاؤا بالبينات وهي الحجج الواضحات والمعجزات الباهرات والزبر هي الصحف جمع زبور بمعنى مزبور اي مكتوب قال الزجاج
الزبور كل كتاب ذي حكمة فيشبه ان يكون من الزبر بمعنى الزجر عن خلاف الحق وبه سمي زبور داود لما فيه من الزواجر والمواعظ والكتاب المنير هو
الشيء ويعلم من عطف الزبر والكتاب على البينات ان معجزاتهم كانت مغايرة لكتبهم انها لم تكن معجزة لهم والاعجاز من خواص القرآن وعطف
الكتاب المنير على الزبر لان الكتاب بوصفه بالانارة او بالاستنارة اشرف من مطلق الزبر فخص بعد العموم تشريفا فهو مثل وملائكته وجبريل وميكال
وقيل المراد بالزبر الصحف وبالكتاب المنير التورية والانجيل والزبور ثم اكد التسلية بقوله كل نفس ذائقة الموت لان تذكر الموت واستحضاره مما
يزيل الغموم والاشجان الدنيوية وكذا العلم بان وراء هذه الدار دارا يتميز فيها المحسن والمسيء ويرى كل منهما جزاء عمله والمراد بكل نفس ذائقة الموت
في القضية لا يمكن اجراؤها على عمومها لاستثناء الله تعالى منها تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك كذا الجمادات لان لها ذوات ولقوله
فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ولانه لا موت لاهل الجنة ولا لاهل النار فالمراد المكلفون الحاضرون في دار
التكليف والملائكة عند من يجوز الموت عليهم روي عن ابن عباس لما نزل قوله تعالى كل من عليها فان قالت الملائكة مات اهل الارض فلما
نزل كل نفس ذائقة الموت قالت الملائكة متنا وفي الآية دليل على ان المقتول ميت وعلى ان النفس باقية بعد البدن لان الذائق لا بد ان يكون
باقيا حال حصول المذوق قالت الحكماء الموت واجب الحصول عند هذه الحيوة الجسمانية لانها لا تحصل الا بالرطوبة الغريزية والحرارة الغريزية
ثم الحرارة الغريزية تؤثر في تقليل الرطوبة الغريزية واذا قلت الرطوبة الغريزية ضعفت الحرارة الغريزية ولا يزال يستمر هذه الحالة الى
ان تفنى الرطوبة الاصلية فح ينطفي الحرارة الغريزية ويحصل الموت فبهذا الطريق كان الموت ضروريا في هذه الحيوة قالوا والارواح
المجردة لا موت لها وفاتهم المسلمون فيه وانما توفون اجوركم يوم القيمة في ذكر التوفية اشارة الى ان بعض الاجور يعطى قبل ذلك اليوم
كما قال القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران فمن زحزح عن النار الزح التنحية والابعاد والزحزحة تكريره فقد فاز لم يقيد
الفوز بشيء لانه لا فوز وراء هذين الامرين الخلاص من العذاب والوصول الى الثواب فمن حصل له هذا فقد فاز الفوز المطلق المتناول
لكل ما يغاير به قال من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي الى الناس ما يحب ان
يؤتى اليه فالاول غاية حقوق الله والثاني محافظة حقوق العباد ثم شبه الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم
يتبين له فساده ورداءته وذلك ان لذاتها تفنى وتبعاتها تبقى والغرور بالضم مصدر والغار المدلس هو الشيطان عن علي بن ابي طالب
لين مسها قاتل سمها وعن بعضهم الدنيا ظاهرها مظنة السرور وباطنها مطية الشرور وعن سعيد بن جبير انما هذا لمن آثرها
على الآخرة فاما من طلب الآخرة بها فانها متاع بلاغ لتبلون في اموالكم اللام جواب القسم المقدر والنون دخلت مؤكدة وضمت
الواو للساكنين لم يجب قبلها من الضم المراد ما نالهم من الفقر والضر والقتل والجرح والتكاليف الشاقة البدنية والمالية من
الصلوة والزكوة والصوم والجهاد والذي كانوا يلقونه من الكفرة كالطعن في الدين الحنيفي واهليه واغراء المخالفين ونحو
عليهم والمناصبين وتنفيرهم عنهم وان تصبروا على ما ابتلاكم الله به وتتقوا المخالفة وتصبروا على اداء الواجبات وتتقوا ارتكاب المحظورات
فان ذلك الصبر والتقوى من عزم الامور من معزوماتها التي يتحتم على العاقل تركه لكونه حميد العاقبة بين الثواب وهو من عزم
الله عليه والزمكم الاخذ به قال الواحدي كان هذا قبل نزول آية القتال قال القفال الظاهر انها نزلت بعد قصة احد فلا يكون منسوخا
باية السيف فالمراد الصبر على ما يؤذون به الرسول على طريق الاقوال الجارية فيما بينهم واستعمال مداراتهم في كثير الاحوال والامر بالقتال

الدنيا في الامر بالصابر على هذا الوجه عن كعب بن مالك ان كعب بن الاشرف اليهودي كان شاعرا وكان يهجو النبي ويحرض عليه كفار قريش في شعره
وكان النبي قدم المدينة واهلها اخلاط المسلمون والمشركون واليهود فاراد النبي ان يستصلحهم كلهم فكان المشركون واليهود يؤذونه
ويؤذون اصحابه اشد الاذى فامر الله نبيه بالصبر على ذلك فنزلت الاية وروي ان رسول الله ركب على حمار واردف اسامة بن زيد
وراءه يعود سعد بن عبادة في بني الحرث بن خزرج قبل وقعة بدر حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن ابي وذلك قبل ان يسلم عبد الله فاذا في المجلس
اخلاط من المسلمين والمشركين واليهود وفي المجلس عبد الله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن ابي انفه بردائه وقال لا
تغبروا علينا فسلم رسول الله ثم وقف فنزل فدعاهم الى الله وقرا عليهم القران فقال عبد الله بن ابي ايها المرء انه لا احسن مما تقول ان كان حقا
ان لا تؤذينا به في مجالسنا ارجع الى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة بلى يا رسول الله فاغشنا به في مجالسنا فانا
نحب ذلك فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون فلم يزل النبي يخفضهم حتى سكتوا ثم ركب النبي دابته فسار حتى دخل
على سعد بن عبادة فقال له يا سعد الم تسمع ما قال ابو حباب يريد عبد الله بن ابي قال كذا وكذا فقال سعد بن عبادة يا رسول الله
اعف عنه واصفح فوالذي انزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي نزل عليك ولقد اصطلح اهل هذه البحيرة على ان يتوجوه فيعصبوه بالعصابة
فلما رد الله ذلك بالحق الذي اعطاكه شرق بذلك فعفى عنه رسول الله ثم انزل الله هذه الاية ثم انه تعالى حكى عن اليهود انهم مع علمهم
بحالهم ارادوا الطعن في نبوته مع ان كتبهم ناطقة بها فبين من جملة اياتهم ان الرسول انهم يكتمون نعته وصفته فقال واذ اخذ الله ميثاق
اذكروا الضمير في لتبيننه قيل للكتاب لانه معلوم وان كان غير مذكور وقيل للنبي وهذا قول سعيد بن جبير والسدي وقال الحسن وقتادة يعود
الى الكتاب كانه اكد عليهم ايجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه كما يؤكد على الرجل اذا عزم عليه فقيل له الله لتفعلن ولا تكتمونه قيل الواو
للحال اي غير كاتمين ويحتمل ان يكون للعطف وان لم يكن مؤكدا بالنون لان الامر بالبيان يتضمن النهي عن الكتمان لكنه صرح به للتاكيد
فنبذوه وراء ظهورهم جعلوه كالشيء المطروح المنبوذ لكن على ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا
قال قتادة مثل علم لا يقال به كمثل كنز لا ينفق منه ومثل حكمة لا تخرج كمثل صنم قائم لا ياكل ولا يشرب طوبى لعالم ناطق ولمستمع واع هذا
علم علما فبذله وهذا سمع خيرا فوعاه ومعنى قوله واشتروا به ثمنا قليلا انهم كتموا الحق ليتوسلوا بذلك الى وجدان حظ يسير من الدنيا
فبئس ما يشترون هو وان كان في اليهود كل من كتم شيئا من امر الدين لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم واستجلاب
لمسارهم واستجذاب لمبارهم او لتقية من غير ضرورة او لبخل بالعلم وغيره ان ينسب الى غيره ثم ذكر نوعا اخر من ايذاء اليهود وعدهم عليه فسلى
رسوله بذلك فقال لا تحسبن الذين يفرحون من قرا بتاء الخطاب وفتح الباء فالخطاب للرسول ولكل احد والمفعولين الذين يفرحون
والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم اعادة للعامل لطول الكلام وافادة التاكيد ومن ضم الباء في الثاني مع تاء الخطاب فالخطاب للمؤمنين
ومن ضمها مع ياء الغيبة فالضمير لله يفرحون والمفعول الاول محذوف اي لا يحسبن انفسهم الذين يفرحون فائزين والثاني للتاكيد ومعنى
بما اتوا بما فعلوا واتى وجاء يستعملان بمعنى فعل قال تعالى انه كان وعده ماتيا لقد جئت شيئا فريا ومعنى بمفازة من العذاب بمنجاة منه اي بمكان
الفوز وقال الفراء اي ببعد منه لان الفوز التباعد عن المكروه في الصحيحين ان مروان قال لرافع بوابه اذهب الى ابن عباس فقل له لئن كان
كل امرئ منا فرح بما اتى واحب ان يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن اجمعون فقال ابن عباس ما لكم ولهذا انما دعا النبي يهود فسالهم
عن شيء فكتموه اياه واخبروه بغيره فاروه ان قد استحمدوا اليه بما اخبروه عنه وفرحوا بما اتوا من كتمانهم اياه ثم قرا ابن عباس واذ اخذ الله
ميثاق الذين اوتوا الكتاب الايتين وقال الضحاك كتب يهود المدينة الى يهود العراق واليمن ومن بلغهم كتابهم من اليهود في الارض كلها
ان محمدا ليس نبي الله فاثبتوا على دينكم واجمعوا كلمتكم على ذلك فاجتمعت كلمتهم على الكفر بمحمد والقران ففرحوا بذلك قالوا الحمد لله الذي
جمع كلمتنا ولم نتفرق ولم نترك ديننا ونحن اهل الصوم والصلوة نحن اولياء الله فذلك قوله يفرحون بما اتوا بما فعلوا ويحبون ان
يحمدوا بما لم يفعلوا فانزل الله هذه الاية يعني بما ذكروا من الصوم والصلوة والعبادة وعن ابي سعيد الخدري ان رجالا من المنافقين
كانوا اذا خرج رسول الله الى الغزو تخلفوا عنه فاذا قدم اعتذروا اليه وحلفوا واحبوا ان يحمدوا بما لم يفعلوا فانزل الله هذه الاية
وهذه الوجوه كلها مشتركة في الاتيان بما لا ينبغي ومحبة الحمد عليه وصفهم بالسداد وحسن السيرة ونحن ان ضعفا من انفسنا وجدنا
اكثر مجاري امورنا على هذه الحالة فنسال العصمة والهداية ثم ختم الكلام بقوله ولله ملك السموات والارض والغرض انه كيف يرجو
النجاة من كان معذبه هذا القادر والغالب التاويل هو خيرا لهم بل هو شر لهم كل واحد من صفتي البخل والسخاء بمنزلة الاكسير حتى يجعل
الخير شرا او بالعكس سيطوقون شبه بالطوق لانه يحيط بالقلب منه ينشا معظم الصفات الذميمة كالحرص والحسد والحقد والعداوة والكبر
والغضب والبخل حب الدنيا راس كل خطيئة ولله ميراث السموات والارض الانسان وارث الدنيا والاخرة اولئك هم الوارثون وما
من غير وارث فميراثه لبيت المال فالاشارة فيه ان من غلب عليه هذه الصفات وما ت قلبه فقد بطل استعداده وانه فميراثه لله ان الله

نفير ونحن اغنياء فبان ان الانسان ليطغى ان راه استغنى لينعكس القضايا فيصف الرب بصفات العبد والعبد بصفات الرب وذلك لغلبة الصفات الذميمة واستيلاء سلطان الهوى والشيطان فيقول تارة انا ربكم الاعلى وتارة ان الله فقير ونحن اغنياء بقربان تاكله النار فالنار يهود صفات النفس البهيمية السبعية والشيطانية لا نقياد لرسول اى لخاطر رحمانى والهام ربانى حتى يأتينا بقربان هو الدنيا وما فيها يجعلها نسيكة لله عز وجل تاكله نار الله الموقدة التى تقدح من زناد محبته فان كثيرا من الطالبين الصادقين يجعلون الدنيا وما فيها قربانا لله فلا تاكل نار الله قل قد جاءكم رسل من قبلى اى واردات الحق بالبينات بالحجج الباهرة وبالذى قلتم اى يجعل الدنيا قربانا فلم قتلتموهم فلبتموهم ومحوتموهم حتى لم يبق اثر الوارد ان كل نفس ذائقة الموت كلهم مستعدون للفناء ولابد لهما من موت فمن كان موته بالاسباب يكون حيوته بالاسباب ومن كان فناؤه فى الله يكون بقاؤه بالله لتبلون بالجهاد الاكبر ولتسمعن من اهل العلم الظاهر ومن اهل الرياء اذى كثيرا بالغيبة والملامة والانكار والاعتراض وان تصبروا على جهاد النفس وتتقوا بالله عما سواه فان ذلك من عزم الامور اى من امور اولى العزم فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل والله اعلم ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَ

بدرستى كه در آفرينش آسمانها و زمين و گردش شب و

النَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۝ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

و روز هر آينه نشانهاست مر صاحبان خرد را آنانكه ياد آورند خدا را در ايستادن و نشستن و بر پهلوهاى ايشان و انديشه نمايند در آفرينش آسمانها و زمين

رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۝ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ

پروردگارا نيافريدى اين را باطل منزهى تو پس نگاه دار ما را از عذاب آتش پروردگارا بدرستى كه تو هر كه را در آرى در آتش پس رسوا كردى او را و نيست مر ستمكاران را

مِنْ أَنْصَارٍ ۝ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ۚ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا

يارى پروردگارا ما شنيديم ندا كننده را كه ندا ميكرد براى گرويدن كه بگرويد به پروردگار تان پس گرويديم پروردگارا پس بيامرز مر ما را گناهان ما را و بپوش از ما بديهاى ما را

وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ۝ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ۝ فَاسْتَجَابَ

و بميران ما را با نيكان پروردگارا و بده ما را آنچه وعده كردى ما را بر زبان رسولان خود و رسوا مكن ما را روز قيامت بدرستى كه تو خلاف نميكنى وعده را پس اجابت كرد

لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ ۖ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ۖ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي

مر ايشانرا پروردگار ايشان كه من ضايع نميكنم كردار عمل كننده را از شما از مرد و زن برخى از شما از برخى پس آنانكه هجرت كردند و بيرون كرده شدند از خانهاى خود و رنجانيده شدند در

سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۗ

راه من و كشتند و كشته شدند هر آينه بپوشم از ايشان بديهاى ايشان را و هر آينه در آرم ايشان را به بهشتها كه روان است از زير آنها جويها ثوابى از نزد خدا

وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ۝ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ۝ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ

و خدا و نزد اوست نيكو ثواب فريب ندهد ترا گردش آنانكه كافر شدند در شهرها برخوردارى كم پس جاى ايشان دوزخ است و بد جايگاه است

لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۗ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ

لكن آنانكه پرهيز كردند پروردگار خود را مر ايشانراست بهشتها كه روان است از زير آنها جويها جاويدان در آن مهمانى از نزد خدا و آنچه در نزد خداست بهتر است مر نيكان را

وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا

و بدرستى كه از اهل كتاب هر آينه كسى است كه ميگرود بخدا و بآنچه فرستاده شد بسوى شما و آنچه فرستاده شد بسوى ايشان فروتنان مر خدا را نميخرند بآيات خدا بهاى

قَلِيلًا ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ

كم آن گروه مر ايشانراست مزد ايشان نزد پروردگار ايشان بدرستى كه خدا زود حساب كننده است اى گروه آنانكه گرويديد صبر كنيد و صابر باشيد و مرابطه كنيد و بترسيد از خدا

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝﴾ القراءات الابرار بالامالة ابو عمرو وحمزة غير خلاد وبين بين الكسائى والبخارى عن ورش وخلف وابن مجاهد النقاش

شايد كه رستگار شويد

عن ابن ذكوان وكذلك كل ما تكرر فيه الراء غير ابن مجاهد النقاش فى جميع القرآن وقتلوا وقاتلوا حمزة وعلى وخلف وقرا ابن كثير وابن عامر وقتلوا مشددا الباقون قاتلوا وقتلوا مخففا لا يغرنك بالنون الخفيفة رويس الباقون بالتشديد

نزلا حيث كان ما يختلس عباس الوقوف الالباب ج لاحتمال الذين صفة صغرا ومنه نعتا نصبا ورفعا على المدح بتقدير اعنى الذين او هم الذين والوصل اشهر الارض ج لحق المحذوف اى يقولون ربنا باطلا ج للابتداء سبحانك تعظيما والا فالقول متحد

التعقيب متعقب النار اخزيته ط انصار فامنا قيل والوصل اولى لان كلمة ربنا تكرار للمزيد الابتهال قوله فاغفر لنا معطوف على امنا اى انا امنا فاغفر الابرار ج للاية والعطف يوم القيمة ط الميعاد انى لاتحاد الكلام والا فبعضكم مبتداء من بعض ج و

الانهار ز لان ثوابا مفعول له او مصدر من عند الله ط الثواب البلاد ط لان التقدير لهم متاع او ذلك متاع جهنم المهاد من عند الله ط للابرار لا لان ما بعده حال الحر قليلا ط عند ربهم ط الحساب تفلحون التفسير لما طال الكلام فى تقرير القصص والاحكام

عاد الى ما هو الغرض الاصلي من هذا الكتاب الكريم وهو جذب القلوب والاسرار بذكر ما يدل على التوحيد والكبرياء عن ابن عمر قلت لعائشة
اخبريني باعجب ما رأيت من رسول الله فبكت واطالت ثم قالت كل امره عجب اتاني في ليلتي فدخل في لحافي حتى الصق جلده بجلدي ثم قال يا عائشة
هل لك ان تاذني لي الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول الله اني لاحب قربك واحب هواك قد اذنت لك فقام الى قربة من ماء في البيت
فتوضأ ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلي فقرأ من القرآن وجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله واثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع
يديه فجعل يبكي حتى رأيت دموعه قد بلت الارض فاتاه بلال يؤذنه بصلوة الغداة فرآه يبكي فقال له يا رسول الله اتبكي وقد غفر الله لك
ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال يا بلال افلا اكون عبدا شكورا ثم قال ومالي لا ابكي وقد انزل الله علي في هذه الليلة ﴿ان في خلق
السموات والارض﴾ ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وعن علي ان النبي كان اذا قام من الليل تسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ﴿ان في خلق
السموات والارض﴾ الى ان عد ثمانية دلائل ههنا اقتصر منها على الثلاثة الاول تنبيها على ان العارف بعد استكمال المعرفة لا بد له من
من تقليل الدلائل ليكمل له الاستغراق في معرفة المدلول فان البصيرة اذا التفتت الى معقول عسر عليها الالتفات الى اخر كالبصر اذا حدق الى مرئي امتنع
تحديقه نحو اخر والى هذه الاشارة بقوله اخلع نعليك يعني المقدمتين اللتين وصلت بهما الى النتيجة وهو وادي قدس الوحدانية وانما
وقع الاقتصار على ادلة السموات لانها اقهر واعجب والعجائب فيها اكثر وانتقال النفس منها الى عظمة الله اسرع وايضا قال في تلك السورة
لآيات لقوم يعقلون وفي هذه السورة ﴿لآيات لأولي الالباب﴾ لان العقل له ظاهر ولب ففي اول الامر يكون عقلا وفي كمال الحال
يكون لبا وباقي التفسير قد مر هنالك ثم بعد الدلائل الالهية ذكر وظائف العبودية وهي ان يكون باللسان وسائر الاركان والجنان
مع الوجدان فقوله ﴿الذين يذكرون﴾ اشارة الى عبودية اللسان وقوله ﴿قياما وقعودا وعلى جنوبهم﴾ وهو في موضع حال اخرى معطوف
على الجنب اشارة الى عبودية سائر الجوارح والاركان والمراد انهم ذاكرون في اغلب احوالهم كما قالت من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر
ذكر الله وقيل المراد بالذكر ههنا الصلوة اي يصلون في حال القيام فان عجزوا ففي حال القعود فان عجزوا ففي حال الاضطجاع وهذا موافق
لمذهب الشافعي في ترتيب صلوة المريض العاجز ويوافق بحثا طبيا وهو ان الاستلقاء يمنع من استعمال الفكر والتدبر بخلاف الاضطجاع
على الجنب والصلوة اذا كانت عن فكر وتدبر كانت اولى ولان الاستغراق في النوم يكون في هيئة الاستلقاء اكثر فذلك وضع الغافلين
وقال ابو حنيفة بل يصلي مستلقيا ان عجز عن القعود حتى لو وجد خفة قعد قوله ﴿ويتفكرون في خلق السموات والارض﴾ اشارة الى عمل
الجنان وقد عرفت معنى الفكر في البحث الخامس من تفسير قوله ﴿وعلم آدم الاسماء﴾ وانما لم يقل ويتفكرون في الله كما قال ﴿يذكرون الله﴾
لقوله تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق والسبب فيه ان الاستدلال بالخلق على الخالق لا يمكن وقوعه على نعت المماثلة فانا نستدل
بحدوث هذه المحسوسات على قدم خالقها وبامكانها على وجوبه وبافتقارها على غناه فالفكر في المخلوقات ممكن وفي الخالق غير ممكن كيف وان
الفكر ترتيب المقدمات على وجه منتج والمقدمة لها موضوع ومحمول لا بد من تصورهما وتصوره سبحانه محال لان تصور الشيء عبارة عن
حصول صورة الشيء في النفس فيكون الصورة مطابقة والنفس محيطة بها ولا يحيط بالواجب شيء الا انه بكل محيط لكنه اذا تفكر في مخلوقاته
سيما السموات مع ما فيها من الشمس والقمر والنجوم والى الارض مع ما عليها من البحار والجبال والمعادن والنبات والحيوان عرف
اولا ان لها ربا وصانعا فيقول ﴿ربنا﴾ ثم يعرف ان في كل منها حكما ومصالح وفوائد لا يحيط بتفاصيلها الا موجدها فيقول ﴿ما
خلقت هذا باطلا﴾ ثم اذا قاس احوال هذه المصنوعات الى صانعها علم ان ذاته تعالى منزه عن مشابهة شيء من هذه المصنوعات فيعلم انه
ليس بجوهر ولا عرض ولا مركب ولا مؤلف ولا في حيز وجهة فيقول ﴿سبحانك﴾ اي نزهتك عما لا يليق بك من مناسبة الجواهر والاعراض ثم اذا بلغ
من الاستغراق في بحار العظمة وجهة الجلال هذا المبلغ وجد نفسه متنزهة من ذرات الكائنات واقعة في حضيض عالم البشرية مخالطة بالطبايع
والاركان فيتضرع الى خالق السموات والارض ان يخلصه من قيد العناصر ويعرج به من الارض ويقيه عذاب كرة النار ويوصله الى سعة
السموات وذلك قوله ﴿فقنا عذاب النار﴾ ثم ذكر سبب الاستعاذة من النار بقوله ﴿ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته﴾ اي ابلغت
في اخزائه نظيره قوله ﴿فقد فاز﴾ وفي كلامهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك ثم توسل الى ما سأل بالايمان بجهده وذلك قوله ﴿ربنا
اننا سمعنا مناديا﴾ الاية فهذا بيان وجه النظم في هذه الكلمات والآيات على وجه التقريب والله اعلم باسرار كلامه عن النبي
بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع رأسه فنظر الى النجوم والى السماء فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وعنه
لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له في كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله الذي هو عمل القلب
لان احدا لا يقدر على ان يعمل بجوارحه في اليوم مثل عمل اهل الارض وعنه لا عبادة كالتفكر وهذا اشارة الى لفظ الخلق على انه بمعنى المخلوق
او الى السموات والارض بتأويل المخلوق وفي كلمة هذا ضرب من التعظيم كانه لعظم شأنه معقول بالمرحتى صار حاضرا في خزانة الخيال و
باطلا نصب على المصدر اي خلقا باطلا او على الحال وقيل بنزع الخافض اي بالباطل او للباطل قالت المعتزلة فيه دليل على ان كل ما يفعله
تعالى فهو انما يفعله لغرض الاحسان الى العبد لاجل حكمة وغاية وقوله ﴿سبحانك﴾ جملة معترضة نزه بها الرب تعالى عن ان يخلق شيئا بغير حكمة

وجه النظم في قوله فقنا عذاب النار ان الحكمة في خلق الارض والسموات ان يجعلها مساكن المكلفين وادلة لهم على معرفته ووجوب
طاعته واجتناب معصيته والنار جزاء من عصى ولم يطع وقالت الاشاعرة الدليل الدال على ان احد طرفي الممكن لا يترجح الا بمرجح
عام وذلك المرجح لا بد ان ينتهي الى الله تعالى فاذن الخير والشر والافعال كلها بقضاء الله وقدره فلا يمكن ان يعلل افعال الله بمصالح
العباد بل له ان يتصرف في ملكه كيف يشاء والباطل في اللغة الذاهب الزائل الذي لا يكون له قوة ولا صلابة فيكون بصدد التلاشي
والاضمحلال والمراد انك خلقتهما خلقا محكما متقنا كقوله وبنينا فوقكم سبعا شدادا هل ترى من فطور ومعنى سبحانك انك جل ان خلقتهما
في غاية شدة التركيب وصلابة البقاء الا انك غني عن الاحتياج اليهما منزه عن الانتفاع بهما ثم لما وصف ذاته بالغنى اقر لنفسه بالعجز و
الحاجة اليه في الدنيا والآخرة فقال فقنا عذاب النار واحتج حكماء الاسلام بالآية على انه سبحانه خلق الافلاك والكواكب واودع
في كل واحد منها قوى مخصوصة وجعلها بحيث يحصل من حركاتها واتصال بعضها ببعض مصالح هذا العالم ومنافع قطان العالم السفلي
قالوا لانها لو لم تكن كذلك لكانت باطلة ولا يمكن ان يقصر منافعها على الاستدلال بها على الصانع لان كل ذرة من ذرات الهوا
والماء يشاركها في ذلك فلا يبقى لخصوصياتها فائدة وهو خلاف النص وناقشهم المتكلمون في ذلك وقالوا ان الفلكيات اسباب
للارضيات على مجرى العادة لا على سبيل الحقيقة والانصاف في هذا المقام ان وجود الوسائط لا ينافي استناد الكل الى مسبب
الاسباب فكون افعال الله تعالى مستتبعة لمصالح العباد لا ينافي جريان الامور كلها بقضائه وقدره ثم انهم لما سألوا ربهم ان يقيهم
عذاب النار اتبعوا ذلك ما يدل على عظم ذلك العقاب وهو الاخزاء ليدل على شدة اخلاصهم وجدهم في الهرب من ذلك فيكون اقرب الى
الاستجابة كما انهم قدموا الثناء على الله بقولهم سبحانك على الطلب ليكون اقرب الى الادب واحرى بالاجابة وكل ذلك تعليم من الله تعالى
عباده في حسن الطلب قال الواحدي الاخزاء جاء لمعان متقاربة عن الزجاج اخزى الله العدو اي ابعده وقيل اهانه وقيل فضحه وقيل اهلكه
وقال ابن الانباري الخزي في اللغة الهلاك بتلف او انقطاع حجة او بوقوع في بلاء قالت المعتزلة في الآية دلالة على ان صاحب الكبيرة من
اهل الصلوة ليس بمؤمن لانه اذا دخل النار فقد اخزاه الله والمؤمن لا يخزى لقوله يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه واجيب
بانه لا يلزم من ان لا يكون من آمن مع النبي مخزيا ان لا يكون غيره وهو مؤمن مخزيا وبان الآية ليست على عمومها لقوله وان منكم
الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا فثبت ان كل من دخل النار فانه ليس بمخزي وعن سعيد بن المسيب والثوري
ان هذا في خزي الكفار الذين ادخلوا النار للخلود وايضا انه مخزي حال دخوله وان كانت عاقبته الخروج وقوله لا يخزي نفي
على الاطلاق والمطلق يكفي في صدقه صورة واحدة وهي نفي الخزي المخلد ويحتمل ان يقال الاخزاء مشترك بين التخجيل وبين الاهلاك
واذا كان المثبت هو الاول والمنفي هو الثاني لم يلزم التنافي واحتجت المرجئة بالآية على ان صاحب الكبيرة لا يدخل النار لانه مؤمن
لقوله يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص وقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمؤمن لا يخزى لقوله يوم لا يخزي
الله النبي والمدخل في النار مخزي بهذه الآية والمقدمات بأسرها ممنوعة اما الاولى فلاحتمال ان لا يبقى بعد القتل مؤمنا وان
كان قبله مؤمنا واما الاخريان فبخصوص المحمول لجزئية الموضوع كما تقرر آنفا وقد يتمسك حكماء الاسلام بهذا في ان العذاب الروحاني
اشد لانه رتب سبب الاستعاذة بالاخزاء الذي هو التخجيل وهو امر نفساني وقد يتمسك المعتزلة بقوله وما للظالمين اي الداخلين في
النار من انصار في نفي الشفاعة للفساق لانها نوع نصرة ونفي الجنس يقتضي نفي النوع والجواب ان الظالم على الاطلاق هو الكافر لقوله والكافرون
هم الظالمون وايضا لا تأثير للشفاعة الا باذن الله فيؤول معنى الآية الى ان الامر يومئذ لله وعلى هذا ففائدة تخصيص الظالمين
بهذا الحكم انه وعد المتقين الفوز فلهم هذا الجزاء بخلاف الفساق وايضا دلائل الشفاعة مخصصة لعموم الآية قالوا الفاسق لا يخرج من
النار والا كان مخرجه ناصرا له وعورض بالآيات الدالة على العفو ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي تقول سمعت رجلا يتكلم بكذا اوقع
الفعل على الرجل وحذف المسموع اكتفاء بما وصفته به او جعلته حالا عنه والمنادي عند الاكثرين هو رسول الله لقوله ادع
الى سبيل ربك ادعوا الى الله وداعيا الى الله وقيل القرآن كانه ليس الهداية في قوله ان هذا القرآن يهدي كانه يدعو الى نفسه
وينادي بما فيه من الدلائل كما قيل في جهنم تدعوا من ادبر وتولى والفصحاء يصفون الدهر بانه ينادي بعظاته
قل يا واضح الشيب في تربه خاطبك الدهر فلم تسمع يقال ينادي الى كذا ولكذا ودعاه اليه وله وهداه للطريق واليه فيقام كل من
اللام والى مقام الاخرى نظرا الى وقوع معنى الانتهاء والاختصاص معا وقال ابو عبيدة هذا على التقديم والتأخير اي سمعنا
مناديا للايمان ينادي كما يقال جاء منادي الامير فنادى بكذا وقيل معناه لاجل الايمان ولهذا الغرض ولهذا فسر
بقوله ان آمنوا وان مفسرة او مخففة ومعناه اي آمنوا او بان آمنوا والفائدة في الجمع بين المنادي وينادي للايمان هو فائدة الاطلاق
ثم التقييد والاجمال ثم التفصيل من تفخيم شأن المطلق والمجمل وكونه اوقع في النفس فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا الآية
الغفر والتكفير كلاهما الستر والتغطية واما الذنوب والسيئات فقيل هما واحد والتكرار للتأكيد والالحاح ان الله يحب الملحين في الدعاء

وقيل الاول الكبائر والثاني الصغائر وقيل الاول ما تقدم منهم والثاني المستانف وقيل الاول ما اتى به الانسان مع العلم بكونه معصية و
ذنبا والثاني ما اتى به مع الجهل بكونه ذنبا وتوفنا مع الابرار اي معدودين منهم وفي اتباعهم او مشاركين لهم في الثواب على مثل اعمالهم
ودرجاتهم كقول الرجل انا مع الشافعي في هذه المسئلة اي مساو له في ذلك الاعتقاد احتجت الاشاعرة بالاية على ان العفو غير مشروط
بالتوبة لانهم طلبوا المغفرة بدون ذكر التوبة بل بدون التوبة لان التعقيب في فاغفر بعد قولهم امنا ثم انه تعالى
اجابهم الى ذلك بقوله فاستجاب لهم ويعلم منه ثبوت شفاعة النبي لاصحاب الكبائر بالطريق الاولى ربنا واتنا ما وعدتنا على
رسلك لانها مذكورة عقيب ذكر المنادي للايمان وهو الرسول عقيب قوله امنا وهو التصديق فيكون على صلة للوعد كقولك
وعد الله الجنة على الطاعة ويحتمل ان يتعلق بمحذوف اي ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا على رسلك لان الرسل يحملون ذلك فانما
عليهم ما حملوا وقيل على السنة رسلك والمتعلق كما ذكر والموعود هو الثواب وقيل النصر على الاعداء وانما دعوا الله بانجاز ما وعد مع علمهم
بانه لا يخلف الميعاد كما صرحوا به في اخر الادعية لان معظم الغرض في الدعاء اظهار سيماء العبودية والمراد وفقنا للاعمال التي بها نصير اهلا
لوعدك واعصمنا عما به نكون اهلا للاخزاء وطلبوا تعجيل النصر على الاعداء والمراد احفظ علينا اسباب نجاتك لنا قبل
علمهم طلبوا منافع الاخرة بحكم الوعد لا بحكم الاستحقاق ثم ان الثواب منفعة مقرونة بالتعظيم فلهذا ختموا الادعية بقولهم ولا تخزنا يوم
القيمة لان التخجيل والتفضيح يكدر صفو كل من وعطاء الحاصل من هذه الايات انهم نظروا في المصنوع فعرفوا منه الصانع فقالوا
ربنا ثم تفكروا في عجيب خلقه وبديع شكله فعرفوا ان صانعه حكيم والحكيم لا يخلو افعاله من الفوائد والغايات وان لم يكن مستكملا
بها فقالوا ما خلقت هذا باطلا ثم تاملوا في غاية الغايات ونهاية الحركات فوجدوها الانسان المكلف على السنة الرسل ووجدوا عاقبة
التكليف الجنة والنار ففزعوا الى معبودهم في توفيق الوصول الى الجنة والاخلاص من النار ولان دفع الضرر اهم من جلب المنفعة جعلوا
اوائل دعائهم واخرهم الاستعاذة من العذاب ولان العذاب الروحاني عند العقلاء اشد من العذاب الجسماني فلا جرم وقع الختم على الامن
من الاخزاء اللهم شاركنا في هذا الدعاء واجعلنا من السعداء المتفكرين في ملكوت الارض والسماء انك واهب العطايا وكاشف
الغطاء عن جعفر الصادق من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد لان الله تعالى حكى عنهم في هذه الايات
انهم قالوا خمس مرات ربنا ثم قال فاستجاب لهم ربهم اي اجابهم اني اي باني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى من منكم للتبعيض
لان كل عامل فرد من افراد المخاطبين ومن في من ذكر للتبيين لان العامل اما ذكر واما انثى واضاعة العمل عبارة عن اضاعة ثوابه بعضكم من
بعض اي يجمع ذكوركم واناثكم اصل واحد فكل واحد منكم من الاخر اي من اصله او المراد بعضكم كانه من البعض الاخر لفرط اتصالكم واتحادكم
كما يقال فلان مني على خلقي وسيرتي قال من غشنا فليس منا وقيل المراد وصلة الاسلام وهذه جملة معترضة بينت شركة النساء
مع الرجال فيما يرجع الى استحقاق الثواب على العمل روي ان ام سلمة قالت يا رسول الله اني اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء
فنزلت ثم فصل عمل العامل منهم تفخيما لشان العمل وتنويها بذكره فقال فالذين هاجروا اوطانهم مع رسوله او بعده باختيارهم واخرجوا
من ديارهم الجاء الكفار الى الخروج واوذوا في سبيلي بسبب الدين وقاتلوا وقتلوا من قرأ بالتشديد فللتكثير وتكرر القتل فيهم وقيل اي قطعوا
ومن قرأ قتلوا وقاتلوا فاما لان الواو لا يفيد الترتيب الطبيعي فالمعنى قاتلوا وقتلوا واما من قولهم قتلنا ورب الكعبة اذا ظهرت امارات
القتل واذا قتل قوم منهم عشيرتهم ما ضعفوا لاكفرن جواب للقسم المقدر عنهم سيئاتهم وهو الذي طلبوه بقولهم ربنا
فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار وهو الذي طلبوه بقولهم ربنا واتنا
ما وعدتنا على رسلك ثوابا من عند الله وهو الذي طلبوه من الثواب المقرون بالتعظيم بقولهم ولا تخزنا يوم القيمة اي ثوابا
يختص به وبقدرته وبفضله لا يثيبه غيره ولا يقدر عليه كقول الرجل عندي ما تريد اي هو مختص بملكي وان لم يكن بحضرتي وثوابا
منصوب على المصدر المؤكد اي اثابة او تثويبا من عنده لان قوله لاكفرن ولادخلنهم في معنى لاثيبنهم قال الكسائي هو منصوب على الحال
وقال الفراء نصب على التفسير كقولك هو لك هبة او بيعا او صدقة ثم ختم بقوله والله عنده حسن الثواب لانه القادر على كل المقدورات
العالم بكل المعلومات الغني عن جميع الحاجات وفي تعليقه حسن الثواب على احتمال المشاق في دينه والصبر على صعوبة تكاليفه دليل على ان حكمته
تقتضي نوط الثواب بالجنة بالعمل حتى لا يتكل الناس على فضله بالكلية ولا يهملوا جانب العمل واسعوا عن حمل خبر الله تعالى انه استجاب لهم لا
انه اتبع ذلك رافع الدعاء وما يستجاب له فلا بد من تقديمه بين يدي الدعاء يعني قوله والعمل الصالح يرفعه ثم انه تعالى لما وعد المؤمنين
الثواب العظيم وكانوا في الدنيا في غاية الفقر والشدة والكفار كانوا في النعم اراد ان يسليهم ويصبرهم فقال لا يغرنك والخطاب لكل مكلف
بمعنى لا يغرنك ايها السامع او للرسول والمراد الامة قال قتادة والله ما غروا نبي الله حتى قبضه الله او المراد هو فلعل السبب في
عدم اغتراره هو تواتر امثال هذه الايات عليه قيل ان مشركي مكة كانوا يتجرون ويتنعمون فقال بعض المؤمنين ان اعداء الله فيما نرى
من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت وقيل كانت اليهود تضرب في الارض فتصيب الاموال فنزلت والمراد تقلبهم وتبسطهم وتصرفهم

في المكاسب والمزارع والمتاجر لا يغرنك تقلب الكسب والربح متاع قليل في جنب ما فاتهم من نعيم الآخرة او في جنب ما وعد الله للمؤمنين من الثواب
او هو قليل في نفسه لانه بالنسبة الى ما بين الازل والابد مع قلته سبب للوقوع في نار جهنم ابد الآبدين والنعمة القليلة اذا كانت
سببا للضرة العظيمة لم يكن في الحقيقة نعمة ولهذا استدرك وقال لكن الذين اتقوا الآية ويدخل في التقوى الاوامر والنواهي والنزل ما
يعد للضيف ويعجل ومن هنا تمسك به بعض الاصحاب في الرؤية لانه لما كانت الجنة بكليتها نزلا فلا بد من شيء آخر يكون اصلا بالنسبة
اليها قلت ويحتمل ان يكون قوله وما عند الله خير للابرار اشارة اليه وهو مقام العندية والقرب الذي لا يوازيه شيء من نعيم الجنة وقيل المعنى
وما عند الله من الكثير الدائم خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل وانتصاب نزلا على الحال من جنات لتخصيصها بالوصف و
العامل معنى لاستقرار في لهم او هو مصدر مؤكد كانه قيل رزقا او عطاء او نصب على التفسير قلنا في ثوابا ثم انه تعالى لما ذكر حال المؤمنين
وكان قد ذكر حال الكفار بين حال مؤمني اهل الكتاب كلهم فقال وان من اهل الكتاب في هذا قول مجاهد وابن جريج وابن زيد وقيل
نزلت في عبد الله بن سلام واصحابه وقيل في اربعين من اهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى فاسلموا
وعن جابر بن عبد الله وانس وابن عباس وقتادة نزلت في النجاشي لما مات نعاه جبرئيل الى رسول الله في اليوم الذي مات فيه فقال
رسول الله لاصحابه اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم قالوا ومن قال النجاشي فخرج رسول الله الى البقيع وكشف له من المدينة الى ارض
الحبشة فابصر سرير النجاشي وصلى عليه وكبر اربع تكبيرات واستغفر له وقال لاصحابه استغفروا له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج
حبشي نصراني لم يره قط وليس على دينه فانزل الله هذه الآية واللام في لمن يؤمن لام الابتداء الذي يدخل على خبر ان او على اسمه عند الفصل
كما في الآية والمراد بما انزل اليكم القرآن وما انزل اليهم الكتابان وخاشعين لله حال من فاعل يؤمن لان من في معنى الجمع فحمل على اللفظ
تارة وعلى المعنى اخرى لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعل من لم يسلم من احبارهم ورؤسائهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم ولا يخفى تمام شأن
هذا الوعد حسبما اشار اليه بقوله ان الله سريع الحساب لانه عالم بجميع المعلومات قادر على كل المقدورات فيعلم ويعطي لكل احد من جزاء
الحسنات والسيئات والمراد سرعة وقوع الحساب فيكون فيه بشارة بقرب الاجر ثم ختم السورة بآية جامعة لاسباب سعادة
الدارين وذلك ان احوال الانسان قسمان الاول ما يتعلق به وحده فامره بالصبر ويندرج فيه الصبر على مشقة النظر والاستدلال في معرفة
التوحيد والعدل والنبوة والمعاد والصبر على اداء الواجبات والمندوبات والاحتراز عن المنهيات والصبر على شدائد الدنيا وآفاتها و
مخاوفها الثاني ما يتعلق بالمشاركة مع اهل المنزل او المدينة فامر فيه بالمصابرة ويدخل فيه تحمل الاخلاق الردية من الاقارب والاجانب
وترك الانتقام منهم والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد مع اعداء الدين بالحجة وبالسيف وباللسان وبالسنان ثم انه لا بد
للانسان في تكلف اقسام الصبر والمصابرة من قهر القوى النفسانية البهيمية والسبعية الباعثة على اضداد ذلك فامر بالمرابطة من الربط
الشد فكل من صبر على امر فقد ربط قلبه عليه لوم نفسه ثم لا بد في جميع الاعمال والاقوال من ملاحظة جانب الحق حتى يكون معتدا بها
فلهذا امر بتقوى الله ثم لما تمت وظائف العبودية ختم الكلام على وظيفة الربوبية وهو رجاء الفلاح منه فظهر ان هذه الآية مشتملة
على كنوز الحكم والمعارف جامعة لآداب الدين والدنيا ثم انها على اختصارها كالاعادة لما تقدم في هذه السورة من الاصول وهي
تقرير التوحيد والعدل والنبوة والمعاد ومن الفروع كاحكام الحج والزكوة والجهاد وعن الحسن اصبروا على دينكم فلا تتركوه بسبب الفقر والجوع
وصابروا عدوكم فلا تفشلوا بسبب ما اصابكم يوم احد قال الفراء اصبروا مع نبيكم وصابروا عدوكم فلا ينبغي ان يكونوا اصبر منكم وقال
الاصم لما كثرت تكاليف الله في هذه السورة امرهم بالصبر عليها ولما اكثر ترغيبه في الجهاد فيها امرهم بالمصابرة مع الاعداء واما المرابطة
ففيها قولان احدهما ان يربط هؤلاء خيولهم في الثغور ويربط اولئك خيولهم بحيث يكون كل واحد من الخصمين مستعدا للقتال لا
قال تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبي من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر وقيامه لا
يفطر ولا ينفتل عن صلوته الا لحاجة وثانيهما انتظار الصلوة بعد الصلوة لما روي عن ابي سلمة بن عبد الرحمن انه قال لم يكن في زمن
رسول الله غزو يرابط فيه ولكن انتظار الصلوة خلف الصلوة وفي حديث ابي هريرة ذكر انتظار الصلوة بعد الصلوة ثم قال فذلكم
الرباط ثلث مرات والله اعلم التأويل ان في خلق سموات القلوب واطوارها وخلق ارض النفوس وقرارها واختلاف ليل البشرية
وصفاتها ونهار الروحانية وانوارها لآيات لاولي الالباب الذين عبروا عن قشر الذكر والفكر من قشر الوجود الجسماني ووصلوا الى
لب الوجود الروحاني فشاهدوا بعيون البصائر ونواظر الضمائر ان لهم وللعالم الها قادرا حيا عليما سميعا بصيرا منكلما مريدا باقيا وانما نالوا
هذه المراتب لانهم يذكرون الله في جميع الاحوال بالظاهر والباطن ويتفكرون في خلق المصنوعات من البسائط والمركبات ويقولون ربنا ما
خلقت هذا باطلا اي خلقته لاظهار الصنع على الخلق ووسيلة للخلق الى الحق سبحانك ننزهك عن الشبه بالخلق فقنا بالعدل عنا
عذاب نار قهرك والبعد عنك ففيها كل الخزي والندامة والغواية والضلال الا انا نعترف بشرط العبودية في استجلاب فضل الربوبية ربنا
اننا سمعنا من هاتف الحق في الغيب بسمع الحقيقة مناديا فاغفر لنا ذنوبنا اي كما اسمعتنا النداء بالارادة القديمة لا بسعي منا فقبل

ان تخلفنا فاغفر لنا بفضلك وبرحمتك لا اضيع عمل عامل منكم بالظاهر والباطن من ذكر او انثى في تحمّلكم وتحويلكم فالذين هاجروا
عن الاخلان والاوطان والاعمال السيئة والاخلاق الذميمة واخرجوا من ديارهم من مقامات الطبيعة وديارها الى عالم الحقيقة
بسطوات تجلى صفات الربوبية واوذوا في طلبي بانواع البلاء وقاتلوا مع النبيين وقتلوا بسيف الصدق لاكفرن عنهم سيئات
وجودهم ولادخلنهم جنات الوصول فيها اشجار التوكل واليقين والزهد والورع والتقوى والصدق والاخلاص
والهدى والقناعة والعفة والمروة والفتوة والمجاهدة والشوق والذوق والرغبة والرهبة والوفاء والطلب
والحب والحياء والكرم والشجاعة والعلم والحلم والعزة والقدرة والهمة وغيرها من المقامات والاخلاق
تجري من تحتها الانهار العناية ثوابا من مقام العندية والله عنده حسن الثواب لا يكون عند
الجنة وغيرها وان من اهل الكتاب من علماء الظاهر لما متقين بكونها بما انه من نتيجة نور الله
الذي دخل قلبه ويؤمن بما انزل اليكم من الواردات والالهامات والكشوف وما انزل
اليهم من الخواطر الرحمانية خاشعين لله كما قال اذا تجلى الشيء خضع له لا يشترون بما اوتوا
من العلم والحكمة عرض الدنيا ان الله سريع الحساب يوصلهم الى مقام العندية قبل قيامهم
اصبروا على جهاد النفوس الرحمانية وصابروا في مراقبة القلب عند الابتلاءات و
رابطوا الارواح للوصول بالله واتقوا الله في الالتفات الى ما سواه لعلكم
تفلحون تفوزوا بالبقاء بالله واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين

مدنية
سورة النساء
حروفها ١٦٠٣٠ وكلمها
٣٧٤٥ آياتها مائة وست
وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون
ای گروه مردمان بپرهیزید پروردگار خود را که آفرید شما را از یک نفس و آفرید از آن جفت او را و پراگنده کرد از آن دو مردان بسیار و زنان و بپرهیزید از خدای که سوال میکنید

به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان
[illegible]

حوبا كبيرا وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما
[illegible]

ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا
[illegible]

ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا
[illegible]

النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا
[illegible]

فليأكل بالمعروف فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما
[illegible]

قل منه أو كثر نصيبا مفروضا وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا وليخش الذين
[illegible]

لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون
[illegible]

في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا القراءة تساءلون خفيفا كوفي ... الباقون بالتشديد ...
[illegible]
... الأرحام بالجر حمزة الباقون بالنصب ...
بالنصب ... الوقف ... ابن عامر ونافع الباقون
قياما ضعافا بالإمالة خلف عن حمزة ... وسيصلون بضم الياء ابن عامر وأبو بكر ...
الباقون بفتحها الوقوف ... الأرحام ... رقيبا ... بالطيب ... إلى أموالكم ... كبيرا ... ورباع
أيمانكم ... ألا تعولوا ... لا ... النكاح ... أموالهم ... أن يكبروا ... لابتداء
... بالمعروف ... حسيبا ... والأقربون ... كثر ... مفروضا ...
معروفا ... عليهم ... سديدا ... نارا ... سعيرا ... هذه السورة مشتملة على ... من التعطف على الأولاد والنساء والأيتام

واليتامى حقوقهم اليهم وحفظ اموالهم عليهم ومن الامر بالطهارة والصلوة والجهاد والدية ومن تحريم المحارم وتحليل غيرها الى غير ذلك من المناسبات
ومكارم الاخلاق التي بها صلاح المعاش والمعاد فتح السورة ببعث المكلفين على التقوى ومن غرائب القرآن ان فيه سورتين صدرهما يا ايها الناس احديهما
في النصف الاول وهي الرابعة من سوره والاخرى في النصف الثاني وهي ايضا الرابعة من سوره ثم الاولى في النصف الاول مصدرة بذكر المبدا اتقوا ربكم
الذي خلقكم والتي في النصف الثاني مصدرة بذكر المعاد اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم ثم انه تعالى علل الامر بالتقوى بانه خلقنا من نفس واحدة
اما القيد الاول وهو انه خلقنا فلا شك انه علة لوجوب الانقياد للتكاليف والخشوع لاوامره ونواهيه لان المخلوق عبد للمعبود ومن شان العبد امتثال
امر مولاه في كل ما يامره وينهاه وايضا لا نعم اعظم من الايجاد والاحسان فيجب مقابلتها بغاية الاذعان على ان مقابلة نعمته بالخدمة محال لان توفيق تلك الخدمة نعمة
اخرى منه واما القيد الثاني وهو خصوص انه خلقنا من نفس واحدة فانما يوجب علينا الطاعة لان خلق اشخاص غير محصورة من انسان واحد مع تغاير
اشكالهم وتباين امزجتهم واختلاف اخلاقهم دليل ظاهر وبرهان باهر على وجود مدبر مختار حكيم قدير ولو كان ذلك بالطبيعة والعلة الموجبة
كان الكل على حد واحد ونسبة واحدة ثم في هذا القيد فوائد اخر منها انه تعالى عقبه بالامر بالاحسان الى اليتامى والنسوان وكونهم متفرعين من اصل واحد
ادعى بمزيد لعونه على هذا المعنى ولهذا قال ع فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها ومنها انهم اذا عرفوا ذلك تركوا المفاخرة واظهروا التواضع
وحسن الخلق ومنها ان تصور ذلك يذكرهم المعاد فان القادر على الاعادة باصعب من الابداء ومنها انه اخبار عن الغيب فيكون معجزا للنبي لانه لم يقرأ الكتب واجمع المفسرين
على ان المراد بالنفس الواحدة ههنا آدم ع والتانيث في الوصف نظرا الى لفظ النفس وخلق منها زوجها حواء من ضلع من اضلاعه وقال ابو مسلم وخلق
من جنسها زوجها وهو كقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا ولانه تعالى قادر على خلق حوا من التراب فاي فائدة في خلقها من ضلع من اضلاع ادم والجواب ان الامر لو كان
كما ذكره ابو مسلم لكان الناس مخلوقين من نفسين لا من نفس واحدة وهو خلاف النص وروي عن النبي ص ان المراة خلقت من ضلع فان ذهبت تقيمها كسرتها والتحقيق
من العلماء يعني بالاية على ان الحادث لا يحدث الا عن مادة سابقة وان خلق الشيء عن العدم المحض ممتنع لتعذر عالم الجواز لانه يلزم من احداث شيء من
واحدة من المادة لحكمة ان يتوقف الاحداث على المادة في جميع الصور قال في الكشاف قوله وخلق منها معطوف على محذوف اي من نفس واحدة انشاها وخلق منها
او معطوف على خلقكم والخطاب للذين بعث اليهم رسول الله اي خلقكم من نفس ادم لانهم من جنس المفرع منه وخلق منها امكم حوا وبث منهما رجالا
كثيرا ونساء غيركم من الامم الفائتة للحصر اقول وانما التزم الاضمار في الاول والتخصيص في الثاني دفعا للتكرار ولا تكرار بالحقيقة لان المعنى
خلق بني ادم من نفس على التي خلق منها حوا وخلق الرجال والنساء من الاصلين جميعا نعم لو كان المراد بقوله وخلق منها الى آخره بيان الخلق الاول وتفصيله لكان
الاولى عدم دخول الواو الا ان المراد وصفه تعالى بالاوصاف الثلثة جميعا من غير ترتيب بين تقاصيل المعنى والا كان الانسب بها الاتيان بالفاء
العطف بالواو وفي الجميع على ان المراد هو ما ذكرنا وان التفصيل والترتيب موكول الى فهم العقل فافهم والله تعالى اعلم ومعنى بث فرق ونشر وانما خص
وصف الكثرة بالرجال اعتمادا على الفهم ولان شهرة الرجال اتم فكانت كثرتهم اظهر وفيه تنبيه على ان اللائق بحال الرجال الاشتهار والخروج والبروز واللائق
بحال النسوان الاختفاء والخمول وانما لم يقل الرجال والنساء معرفين لئلا يلزم كونهما مبثوثين من نفسهما ثم ان هذا البث معناه محمول على ما
عند من يجوز ان جميع الاشخاص البشرية كانوا كالذر مجتمعين في صلب ادم واما عند من ينكر ذلك فالمراد انه بث منهما اولادهما ومن اولادهما اولادهم
وهلم جرا فصنف الكل اليهما على سبيل المجاز واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام من قرء بالنصب فللعطف على اسم الله اي واتقوا الارحام ان
تقطعوها وهو اختيار اكثر الائمة كمجاهد وقتادة والسدي والضحاك وابن زيد والفراء والزجاج واما للعطف على محل الجار والمجرور كقوله فلسنا
بالجبال ولا الحديدا وهو اختيار ابي علي الفارسي وعلي بن عيسى وقيل منصوب بالاغراء اي والارحام فاحفظوها وصلوها ومن قرأ بالجر فلاجل العطف على
الضمير المجرور في به وهذا وان كان مستنكرا عند النحاة بدون اعادة الخافض لان الضمير المتصل من تتمة ما قبله ولاسيما المجرور فاشبه العطف على بعض
الكلمة الا ان قراءة حمزة مما ثبت بالتواتر عن رسول الله ص فلا يجوز الطعن فيها لمباحث نحوية واهية كبيت العنكبوت وقد طعن الزجاج فيها
من جهة اخرى وهي انها تقتضي جواز الحلف بالارحام وقد قال النبي ص لا تحلفوا بابائكم والجواب ان المنهي هو الحلف بالاباء وههنا حلف بالله
ثم قرن به الرحم فاين احدهما من الاخر ولئن سلمنا ان الحلف بالرحم ايضا منهي عنها لكن لا نسلم انه نهي عنها مطلقا وانما المنهي عنها ما يقع على سبيل
التعظيم واما الحلف بطريق التاكيد فلا باس به ولهذا جاء في الحديث افلح وابيه ان صدق سلمنا انها منهي عنها مطلقا لكن المراد منها حكاية
ما كانوا يفعلونه في الجاهلية من قولهم في الاستعطاف والتشفع وهو سؤال البعض للبعض نسألك بالله وبالرحم وانشدك الله والرحم وقرئ
والارحام بالرفع على انه مبتدأ خبره محذوف اي والارحام كذلك اي انها مما يتقى او يتساءل به فان قيل لم قال اولا اتقوا ربكم ثم قال بعده واتقوا الله
قلنا اما تكرار الامر فللتاكيد كقولك للرجل عجل عجل واما تخصيص الرب بالاول والله بالثاني فلان الفرض في الاول الترغيب بذكر النعمة والاحسان والا
والتربية وفي الثاني الترهيب فلفظ الله يدل على كمال القدرة والقهر فكانه قيل انه رباك واحسن اليك فاتق مخالفته والا شديد العقاب لو سخط
قال العلماء في الاية دلالة على جواز المسئلة بالله تعالى روى مجاهد عن عمر قال قال رسول الله ص من سالكم بالله فاعطوه وعن البراء بن عازب قال امرنا رسول الله ص
بسبع منها ابرار القسم ولا يخفى ما في الاية من تعظيم حق الرحم وتاكيد النهي عن قطعها حيث قرن بالارحام اسمه وقال في سورة البقرة لا تعبدون الا الله
وبالوالدين احسانا وذي القربى وعن عبد الرحمن بن عوف سمعت رسول الله ص يقول قال الله عز وجل انا الله وانا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما

من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته وفي الصحيحين عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله
وعن عبد الله بن عمرو بن العاص سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل من اذا قطعت رحمه وصلها وعن سلمان بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان صدقة وصلة فثبت بدلالة الكتاب والسنة وجوب صلة الرحم واستحقاق الثواب بها فلهذا بنى ابو حنيفة رضي الله عنه
على هذا الاصل مسائل احدها ان الرجل اذا ملك ذا رحم محرم عتق عليه مثل الاخ والاخت والعم والخال لانه لو بقي الملك حل الاستخدام بالاجماع لكن
الاستخدام ايحاش يورث قطيعة الرحم وثانيها ان الهبة لذي الرحم المحرم لا يجوز الرجوع فيها لان ذلك ايحاش والقطيعة ثم انه ختم الآية بما يتضمن
الوعد والوعيد فقال ان الله كان عليكم رقيبا اي حفيظا يحفظ عليكم جميع احوالكم فيجازيكم بحسبها ثم انه سبحانه بعد تقديم موجبات الشفقة على الضعفاء
ومن له رحم ماسة قال وآتوا اليتامى اموالهم واصل اليتم الانفراد ومنه الرملة اليتيمة والدرة اليتيمة فاليتامى هم الذين مات آباؤهم فانفردوا عنهم
فاليتم لغة يتناول الصغير والكبير الا انه في عرف الشرع اختص بالذي لم يبلغ الحلم قال صلى الله عليه وسلم لا يتم بعد الحلم والمراد انه اذا احتلم لا يجري عليه احكام
الصغار لانه في تحصيل مصالحه يستغني بنفسه عن كافل يكفله وقيم يقوم بامره فان قيل اذا كان اسم اليتيم في الشرع مختصا بالصغير فما دام يكون
يتيما لا يجوز دفع امواله اليه واذا صار كبيرا بحيث يجوز دفع ماله اليه لم يبق يتيما فكيف قال وآتوا اليتامى اموالهم ففي الجواب طريقان احدهما
ان المراد باليتامى الكبار البالغون سماهم بذلك على مقتضى اللغة او لقرب عهدهم باليتم كقوله فالقي السحرة ساجدين اي الذين كانوا سحرة قبيل
السجود ويؤكد هذا الطريق قوله فيما بعد فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم والاشهاد لا يصح قبل البلوغ بل انما يصح بعد البلوغ
وقال صلى الله عليه وسلم تستأمر اليتيمة في نفسها ولا تستأمر الا وهي بالغة وعلى هذا يكون في الآية اشارة الى ان لا يؤخر دفع اموالهم اليهم عن حد البلوغ ولا يمطلوا
ان اونس منهم الرشد وان يؤتوها قبل ان يزول عنهم اسم اليتامى والصغار ويؤيده ما روى مقاتل والكلبي انها نزلت في رجل من غطفان كان معه مال كثير
لابن اخ له يتيم فلما بلغ اليتيم طلب المال فمنعه عمه فترافعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية فلما سمعها العم قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله
من الحوب الكبير فدفع اليه ماله فقال النبي صلى الله عليه وسلم من يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره يعني جنته فلما قبض الفتى ماله انفقه في سبيل الله
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ثبت الاجر وبقي الوزر فقالوا يا رسول الله قد عرفنا انه ثبت الاجر فكيف بقي الوزر وهو ينفق في سبيل الله فقال ثبت الاجر للغلام وبقي
الوزر على والده قيل لانه كان مشركا الطريق الثاني ان المراد بهم الصغار اي الذين هم يتامى في الحال آتوهم بعد زوال صفة اليتم اموالهم او آتوهم
من اموالهم ما يحتاجون اليه لنفقتهم وكسوتهم والخطاب للاولياء والاوصياء ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب قال الفراء والزجاج اي لا تستبدلوا
الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم وما ابيح لكم من المكاسب ورزق الله المبثوث في الارض فتأكلوه مكانه والتفعل بمعنى الاستفعال
غير عزيز كالتعجل بمعنى الاستعجال والتأخر بمعنى الاستئخار او لا تستبدلوا الامر الخبيث وهو الاختزال لاموال اليتامى بالاعتزال عنها حتى تسلم
بالامر الطيب وهو حفظها والتورع منها وقال كثير من المفسرين هذا التبدل هو ان ياخذ الجيد من مال اليتيم ويجعل مكانه الردي قال صاحب الكشاف
هذا ليس بتبدل انما هو تبديل بل يوهن ان التبدل تدخل على المأخوذ وفي تبديل على المعطى وما كان المأخوذ الطيب تبدلا ثم وجهه
لعله يكارم صديقا له فياخذ منه عجفاء مكان سمينة من مال الصبي فيكون ايضا وضعا وقيل معنى الآية ان اكل مال اليتيم سلفا مع التزام بدله
يكون تبدلا للخبيث بالطيب ولا تأكلوا اموالهم مضمومة الى اموالكم في الانفاق تسوية بينهما النهي عن الحل الذي هو الاكل انه كان حوبا كبيرا
ذنبا عظيما والحاب مثله والتركيب يدور على الضعف والمراد بالاكل مطلق التصرف الا انه خص بالذكر لانه معظم ما يقع لاجله التصرف وقيل لما
نهاهم عنها بحضهم والفائدة في زيادة قوله الى اموالكم واكل اموال اليتامى محرم على الاطلاق زيادة التقبيح والتوبيخ لانهم اذا كانوا مستغنين
عنها بما لهم من المال الحلال ومع ذلك طمعوا في مال اليتيم كانوا بالذم احرى ولانهم كانوا يفعلون ذلك فنعى عليهم فعلهم وشنع بهم ليكون ازجر لهم
وان خفتم الا تقسطوا اقسط الرجل عدل وقسط جار قال الزجاج اصلهما جميعا من القسط وهو النصيب فاذا قالوا قسط فمعناه ظلم صاحبه في قسطه من
قولهم قاسطه فقسطه اي غلبه على قسطه واذا قالوا اقسط بالهمزة فمعناه صار ذا قسط مثل اضعف اذا اتى بالنصف ولزمه العدل والتسوية واعلم
ان قوله فان خفتم شرط وقوله فانكحوا جوابه ولابد من بيان ان هذا الجزاء كيف يتعلق بهذا الشرط وللمفسرين فيه وجوه الاول ما روى عروة انه
قال قلت لعائشة ما معنى قول الله تعالى وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فقالت يا ابن اختي هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب الرجل في مالها و
جمالها الا انه يريد ان ينكحها بادنى من صداقها ثم اذا تزوج بها عاملها معاملة رديئة لعلمه بانه ليس لها من يذب عنها ويدفع شر ذلك الزوج
عنها فقال تعالى وان خفتم ان تظلموا اليتامى عند نكاحهن فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم من النساء قالت عائشة ثم ان الناس استفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد
هذه الآية فيهن فانزل الله تعالى ويستفتونك في النساء الآية فقوله وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء المراد هذه الآية وهي قوله
وان خفتم الا تقسطوا وعبر في الكشاف عن هذه الرواية بعبارة اخرى وهي كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال او يكون وليها فيتزوجها ضنا بها
عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن فيخاف لضعفهن وفقد من يغضب لهن ان يظلمهن حقوقهن ويفرط فيما يجب لهن فقيل لهم ان خفتم ان لا تقسطوا
في يتامى النساء فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم من النساء وهو قول سعيد بن جبير وقتادة والربيع والضحاك والسدي منقولا عن ابن عباس لما نزلت الآية
المتقدمة في اكل اموال اليتامى تحرجوا من الحوب الكبير فخافوا من ولاية اليتامى وكان الرجل منهم ربما كان تحته العشر من الازواج

واكثر فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل بينهن فقيل لهم ان خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فكونوا خائفين من ترك العدل بين النساء الا عن كما ابتا
في الجور والضعف فقللوا عدد المنكوحات لان من تحرج من ذنب وتاب عنه وهو مرتكب مثله فكانه غير متحرج الثالث كانوا لا يتحرجون من الزنى ويتحرجون
من ولاية اليتامى فقيل ان خفتم ذلك فكونوا من الحرج خائفين من الزنى ايضا وانكحوا ما حل لكم من النساء الرابع روي عن عكرمة كان الرجل عنده
النسوة ويكون عنده الايتام فاذا انفق ماله على النسوة اخذ في نفقاتهن اموال اليتامى فقيل لهم ان خفتم ان تظلموا اليتامى باكل اموالهم عند
كثرة الزوجات فقد حظرت لكم ان تنكحوا اكثر من اربع ليزول هذا الخوف فان خفتم في الاربع ايضا فواحدة فذكر الطرفين الزائد وهو الاربع والناقص
وهو الواحدة ونبه بذلك على ما بينهما فكانه قيل ان خفتم الاربع فثلاثا وان خفتم فاثنتين وان خفتم فواحدة قال الظاهرية النكاح واجب لقوله
فانكحوا وظاهر الامر للوجوب وعورض بقوله ثم ذلك لمن خشي العنت منكم وان تصبروا خير لكم ولو سلم فالوجوب مشروط بحالة الخوف فلا يلزم منه
الوجوب على الاطلاق وايضا الاية سيقت لبيان وجوب تقليل الازواج لا لاصل الوجوب وانما قال ما طاب ولم يقل من طاب لانه اراد به الجنس تقول ما عندك
فتقول رجل او امرأة تريد ما ذلك الشيء الذي عندك او ما تلك الحقيقة ولان الاناث من العقلاء تنزل منزلة غير العقلاء ومنه قوله او ما ملكت ايمانكم
ولان ما ومن يتعاقبان قال والسماء وما بناها ومنهم من يمشي على بطنه قال المفسرون معنى ما طاب لكم اي ما حل لكم من النساء لان منهن من يحرم
نكاحها كما يجيء واعترض عليه الامام بان قوله فانكحوا امر اباحة فيصير المعنى الى قوله ابيحت لكم نكاح من هي مباحة لكم وهذا كلام مستدل بمثله
لكن الآية تصير مجملة لان اسباب الحل والاباحة غير مذكورة في هذه الآية واذا حملنا الطيب على استطابة النفس وميل القلب كانت الآية عامة دخلها التخصيص
وانه اولى من الاجمال عند التعارض لان العام المخصوص حجة في غير محل التخصيص والمجمل لا يكون حجة اصلا والجواب عن الاول ان تذكر الشيء مبهما ثم تبينه الابهام
تكرارا بدليل قوله كلوا من طيبات ما رزقناكم وعن الثاني ان قوله ما طاب لكم بمعنى ما حل لكم اذا كان اشارة الى ما بقي بعد ما التحريمات المعروفة لا
اجمال واما قوله مثنى وثلاث ورباع لم يوجد في كلام الفصحاء الا منكرا واحاد او موحد جوزه والاكثر او معشر سماعا من قول الكميت فلم يستريثوك حتى
رميت فوق الرجال خصالا عشارا اتفق النحويون على ان فيها عدلا وصفة ولذلك ان فيها سببين لاجل ذي عدلين ولفظ المعدول عنه غير العدد
مكرر على الاطراد في كلام العرب نحو قرأت الكتاب جزءا جزءا وجاءني القوم رجلا رجلا وجماعة جماعة وكان القياس في باب العدل ان يكون معدولا
بالاستقراء والحاقا للفرد المتنازع فيه بالاعم الاغلب فلما وجد ثلاث مثلا غير مكرر ولفظ الحكم بان اصله لفظ مكرر وليس الا ثلاثة ثلاثة فقد سيبويه
منع الصرف مثل هذا العدل والوصف لانه فات بهذا التركيب حتى جعل الا وصفا بخلاف المعدول عنه وقيل العدة فيه عدل مكرر من حيث اللفظ
لان اصله كان ثلاثة ثلاثة مرتين فعدل الى واحد ثم الى لفظ ثلاث ومثلث وقيل ان فيه العدل والتعريف اذ لا يدخله اللام خلافا لما في الكشاف
ولذا جرى على النكرة نحو اولي اجنحة مثنى وضعف بعد جرى بانه على المعنى ولو قوله صريحا الا ان معنى الآية فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد
ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا فان خفتم الا تعدلوا بين هذه الاعداد فواحدة من قرأ بالنصب فعلى فاختاروا او انكحوا او الزموا واحدة ومن
قرأ بالرفع اراد فكفت واحدة وذروا الجمع فان الامر كله يدور مع العدل فاينما وجدتموه فعليكم به ثم قال او ما ملكت ايمانكم في التسوية
في السهولة بين الحرة الواحدة وبين ما شئتم من الاماء لانهن اقل تبعة واخف مؤنة من المهائر لا على الرجل اكثر منهن او اقل عدل بينهن في القسم ام
لم يعدل عزل عنهن ام لم يعزل لكن التسوية بينها وبينهن تحتج بها الشافعي في بيان ان نوافل العبادات افضل من النكاح وذلك للاجماع على ان
الاشتغال بالنوافل افضل من التسري فوجب ان يكون افضل من النكاح لان الزائد على احد المتساويين زائد على الآخر ولقائل ان يمنع التسوية فان قول الطبيب
مثلا للمريض كل التفاح والرمان يحتمل ان يكون التسوية بينهما وقد يكون المقادير اي ان لم تجد التفاح فكل الرمان فانه قريب منه في دفع الحاجة
للضرورة ومع وجود هذا الاحتمال لا يتم الاستدلال على ان فضل الحرة على الامة معلوم شرعا وعقلا ومما تمسك الاوزاعي ان اكثر الفقهاء على
ان نكاح الاربع مشروع للاحرار دون العبيد لان هذا الخطاب انما يتناول انسانا متى طابت له امرأة قدر على نكاحها والعبد ليس كذلك لانه لا يتمكن من النكاح
الا باذن مولاه وايضا انه قال بعد ذلك فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم وهذا لا يكون الا للاحرار فكذا الخطاب الاول لان
لان هذه الخطابات وردت متتابعة على نسق واحد فيبعد ان يدخل العبد في اللاحق دون السابق وكذا قوله فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه
هنيئا مريئا والعبد لا يأكل فيكون لسيده وقال مالك يحل للعبد ان يتزوج بالاربع تمسكا بظاهر الآية ومن الفقهاء من سلم ان ظاهر الآية يتناول
العبيد الا انهم خصصوا هذا العموم بالقياس قالوا اجمعنا على ان الرق له تاثير في نقصان حقوق النكاح كالطلاق والعدة ولما كان العدد
من حقوق النكاح وجب ان يحصل للعبد نصف ما للحر الثانية ذهب جماعة الى انه يجوز التزوج باي عدد اريد لان قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء
اطلاق في جميع الاعداد بدليل انه لا عدد الا ويصح استثناؤه منه وقوله مثنى وثلاث ورباع لا يصلح مخصصا لذلك العموم لان تخصيص بعض الاعداد بالذكر لا
ينافي ثبوت الحكم في الباقي بل نقول ان ذكرها يدل على نفي الحرج والحجر مطلقا فان من قال للولد افعل ما شئت اذهب الى السوق والى المدرسة والى البستان
كان تنصيصا في ان زمام الاختيار بيده ولا يكون تخصيصا وايضا ذكر جميع الاعداد متعذر فذكر بعضها تنبيها على حصول الاذن في جميعها ولو
سلمنا ان الواو للجمع المطلق فيفيد الاذن في جمع تسعة بل ثمانية عشر لتضعيف كل منها ولنا السنة فلما ثبت بالتواتر انه مات عن تسع ثم انه امرنا
باتباعه في قوله فاتبعوه واقل مراتب الامر الاباحة وقال من رغب عن سنتي فليس مني والمعتمد عند الجمهور في جوابهم امران احدهما الخبر

ان نوفل بن معاوية اسلم وتحته خمس نسوة فقال له امسك اربعا وفارق واحدة وتعقب بان القران دل على عدم الحصر غاية انه لم يدل على الحصر فيكون
مجملا ولنسخ القران بخبر الواحد حجة غير وبان الامر بمفارقة الزائدة قد يكون لمانع النسب او الرضاع واقول القران لم يدل على عدم الحصر غايته انه لم يدل
على الحصر فيكون مجملا ويبينا المجمل بخبر الواحد جائز ورواية قوله امسك اربعا على الاطلاق وكذا فارق واحدة دليل على ان المانع هو الزيادة
على الاربع لا غيرها وكذا في نظائر هذا الحديث ثانيهما اجماع فقهاء الامصار وضعف بان الاجماع مع وجود المخالف لا ينعقد وبتقدير التسليم
فان الاجماع لا ينسخ ولا ينسخ به والجواب ان المخالف اذا كان شاذا فلا يعتبر به والقران لم يدل على عدم الحصر حتى يلزم نسخ الاجماع اياه ولكن
الاجماع دل على وجود مبيح زمان الرسول ولئن سلم ان القران دل على عدم الحصر فالاجماع يكشف عن وجود ناسخ في عهده وذلك جائز بالاتفاق
لا يقال فعلى تقدير الحصر كان ينبغي ان يقال مثنى او ثلاث او رباع باو الفاصلة لانا نقول يلزم ح ان لا يجوز النكاح الا على احد هذه الاقسام
فلا يجوز لبعضهم ان ياتي بالتثنية ولغيره ان ياتي بالتثليث ولاخرين بالتربيع فيذهب معنى تجويز الجمع بين انواع القسمة الذي دلت عليه الواو ذلك
ادنى الا تعولوا اي اختيار الواحدة او التسري اقرب من ان لا تميلوا ولا تجوروا وكلا اللفظين مروي عن عائشة عن النبي من قولهم عال الميزان
هو اذا مال وعال الحاكم في حكمه اذا جار ومنه عالت الفريضة اذا زادت سهامها وفيه الميل عن الاعتدال وقيل معناه ان لا تفتقروا ورجل عائل اي
فقير وذلك لان من قل عياله خفت نفقاته فلم يفتقر ونقل عن الشافعي انه قال معناه ان لا يكثر عيالكم وطعن فيه بعض الفاضلين ان هذا في اللغة
معنى تميلوا لا معنى تعولوا يقال عال الرجل اذا كثر عياله ومنه قراءة طاووس الا تعيلوا وايضا انه لا يناسب قوله الا بعد وان خفتم الا تقسطوا
وايضا اصحابنا نقل العيال في اختيار الحرة الواحدة فكيف يقال عند اختيار التسري ولا حصر لهن والجواب عن الاول ان الشافعي امام يذهب الى
اللغة وتمام الكلام انه تعالى اشار الى الشيء بذكر لازمه اي جعل الميل والجور كناية عن كثرة العيال لان كثرة العيال لا تنفك عن الميل والجور فان الكناية
في الكشاف على وجه اخر هو انه جعل قوله تعالى الا تعولوا من عال الرجل عياله يعولهم كقولك مانهم يمونهم اذا انفق عليهم ولا شك ان من
كثر عياله لزمه ان يعولهم وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال فالحاصل انه ذكر اللازم وهو الانفاق واراد الملزوم
وهو كثرة العيال والحاصل على ما قلنا انه ذكر اللازم وهو الميل والجور واراد الملزوم وهو كثرة العيال والجواب عن الثاني ان تحمل الكلام على ما لا
يلزم منه تكرار اولى وبتقدير التسليم فتفسير الشافعي ايضا يؤول الى تفسير الجمهور لكن بطريق الكناية كما قررنا وعن الثالث الجواري ذكر في قله
ان يكلفهن الكسب فينفقن على انفسهن وعلى مولاهن ايضا فكانه لا عيال له ايضا اذا عجز المولى باعهن وتخلص منهن بخلاف المهائر فان الخلاص عنهن
يفتقر الى تسليم المهر اليهن وقال في الكشاف العزل عن السراري جائز بغير اذنهن فكن مظان قلة الولد بالاضافة الى التزوج واتوا النساء صدقاتهن
اي مهورهن والخطاب للازواج وهو قول علقمة وقتادة والنخعي واختيار الزجاج لانه ما قبله خطاب للناكحين وقيل خطاب للاولياء لان العرب
كانت في الجاهلية لا تعطي البنات من مهورهن شيئا ولذلك كانوا يقولون لمن ولدت له ابنة هنيئا لك النافجة يعنون انك تاخذ مهرها ابلا
فتضمها الى ابلك فتنفج مالك اي تعظمه وقال ابن الاعرابي النافجة ما ياخذه الرجل من الحلوان اذا زوج ابنته فنهى الله عن ذلك وامر بدفع الحق الى
اهله وهذا قول الكلبي وابي صالح واختيار الفراء وابن قتيبة قال القفال يحتمل ان يكون المراد من الايتاء المناولة فيكونوا قد امروا بدفع المهور التي

سموها لهن ويحتمل ان يراد الالتزام كقوله تعالى حتى يعطوا الجزية عن يد اي حتى يضمنوها فيكون المعنى ان الفروج لا تستباح الا بعوض يلتزم سواء سمى
ذلك ولم يسم الا ما خص به الرسول من الموهوبة قال ويجوز ان يراد الوجهان جميعا اما قوله نحلة فقد قال ابن عباس وقتادة وابن جريج فريضة اي فريضة
محدودة فيكون مفعولا لها او حالا من الصدقات اي دينا من الله شرعه وفرضه وقال الكلبي اي عطية وهبة فيكون نصبا على المصدر لان النحلة
بمعنى الاعطاء او على الحال من المخاطبين اي اتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالاعطاء من غير مطالبة منهن لان ما يؤخذ بالمطالبة لا يسمى
نحلة او من الصدقات اي منحولة معطاة عن طيب نفس وانما سميت عطية من الزوج لان الزوج لا يملك بدله شيئا لان البضع في ملك المرأة بعد
النكاح كهو قبله وانما الذي استحقه الزوج هو الاستباحة لا الملك والنحلة العطية من غير بدل قال قوم ان الله تعالى جعل منافع النكاح من قضاء
الشهوة والتوالد مشتركا بين الزوجين ثم امر الزوج بان يؤتي الزوجة المهر فكان ذلك عطية من الله تعالى ابتداء ثم لما امرهم بايتاء الصدقات
اباح لهم جواز قبول برها وهبتها وانتصب نفسا على التمييز وانما وحد لانه لا يلتبس ان النفس لهن ولا احتمال لغيره ولو جمعت لجاز والضمير في منه
للصداق او للمذكور وفي قوله فان طبن مبناه الكلام على الابهام ثم التمييز دون ان يقول سمحن او وهبن وفي قوله عن شيء منه دون ان يقول عنه تنبيه
على ان تعتبر في ذلك انما يحل اذا طابت نفوسهن بالهبة من غير اضطرار وسوء معاشرة من الزوج يحملهن على ذلك وبعثا لهن على تقليل الموهوب ولهذا
ذكر الضمير في منه ليصرف الى الصداق الواحد فيكون متناولا بعضه لو انث لتناول ظاهره هبة الصداق كله لان بعض الصدقات واحدة
منها او اكثر من هذا التقرير يظهر ان من في قوله منه للتبعيض اخرجا للكلام مخرج الغالب مع فائدة البعث المذكور ولانه يجوز هبة كل الصداق اذا
طابت نفسها عن المهر بالكلية ومن غفل عن هذه الدقيقة زعم ان من للتبيين والمعنى عن شيء هو هذا الجنس يعني الصداق فكلوه هنيئا مريئا صفتا
من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان سائغا لا تنغيص فيه وقيل الهنيء ما يستلذه الاكل والمريء ما يحمد عاقبته وقيل هو ما ينساغ في مجراه ومنه يقال
المريء لمجرى الطعام من الحلقوم الى فم المعدة وقيل اصله من الهناء وهو معالجة الجرب بالقطران فالهنيء شفاء من الجرب بالجملة فهو عبارة عن التحلل

او المبالغة في ازالة التبعة في الدنيا والآخرة وقد اضيفت الصفة الى المصدر اي اكلا هنيئا مريئا او حال من الضمير اي كلوه وهو هنيء مريء وقد يوقف على
قوله فكلوه ويبتدأ هنيئا مريئا على الدعاء وعلى انهما قاما مقام مصدريهما اي هنأ مرأ والمراد بالاكل التصرف الشامل للمعين قال الذين قال بعض
العلماء ان وهبت ثم طلبت علم انها لم تطب عنه نفسا وعن عمر انه كتب الى قضاته ان النساء يعطين رغبة ورهبة فايما امرأة اعطت ثم ارادت ان ترجع فذلك
لها وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية فقال اذا جادت لزوجها بالعطية طائعة غير مكرهة لا يقضي به عليكم سلطان ولا يؤاخذكم
الله به في الآخرة ثم انه تعالى لما امر بايتاء اليتامى اموالهم وبدفع صدقات النساء اليهن استثنى منهم ضعاف الاحلام وان بلغوا اوان التكليف فقال
ولا تؤتوا السفهاء اموالكم اكثر العلماء على ان هذا الخطاب للاولياء وانه لو قيل اموالهم واجيب بانه انما حسنت اضافة الاموال
الى المخاطبين اجراء للوحدة النوعية مجرى الواحدة الشخصية كقوله ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم ومعلوم ان الرجل منهم ما كان يقتل نفسه
لكن كان بعضهم يقتل بعضا فقيل انفسكم لان الكل من نوع واحد فكذا هنا المال شيء ينتفع به الانسان ويحتاج اليه فلهذه الوحدة النوعية
حسنت اضافة اموال السفهاء الى اوليائهم ويحتمل ان يضاف المال اليهم لا لانهم ملكوه بل لانهم ملكوا التصرف فيه ويكفي في حسن الاضافة
ادنى سبب وقيل خطاب للآباء فنهاهم الله تعالى اذا كان اولادهم سفهاء ان يدفعوا اموالهم او بعضها اليهم فعلى هذا يكون اضافة الاموال اليهم حقيقة
والغرض الحث على حفظ المال وانه اذا قرب اجله يجب عليه ان يوصي بماله الى امين يحفظه على ورثته وقد يرجح القول الاول بان ظاهر النهي للتحريم وقد
اجمعت الامة على انه لا يحرم عليه ان يهب اولاده الصغار ومن النسوان ما شاء من ماله واجمعوا على انه يحرم للولي ان يدفع الى السفهاء اموالهم وانه
قوله وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا فهذه الاوامر مناسبة للاولياء لا للآباء واقول لا يبعد حمل الآية على كلا القولين لان الاضافة
في اموالكم لا يبعد ان للاختصاص سواء كان اختصاص الملكية او اختصاص التصرف واختلفوا في السفهاء فعن مجاهد والضحاك انها النساء ازواجا
كن او امهات او بنات وهو مذهب ابن عمر ويدل عليه ما روى ابو امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم الا انما خلقت النار للسفهاء يقولها ثلاثا وان السفهاء النساء الا امرأة
اطاعت قيمها وقد يجمع فعيلة على فعلاء كفقيرة وفقراء وقال الزهري وابن زيد هم الاولاد الضعاف العقول وعن ابن عباس والحسن وقتادة وسعيد بن جبير
اذا علم الرجل ان امرأته سفيهة مفسدة وان ولده سفيه مفسد فلا ينبغي له ان يسلط واحدا منهما على ماله والمختار ان المراد بالسفهاء كل من ليس
له عقل يفي بحفظ المال ولا يهتدي لاصلاحه وتثميره والتصرف فيه فيدخل فيه النساء والصبيان والايتام والفساق وغيرهم ممن لا وزن لهم عند اهل
الدين والعلم بمصالح الدارين ممن يضيع المال فيما لا ينبغي وبغير موضعه ومعنى جعل الله لكم قياما انه لا يحصل قيامكم وانتعاشكم الا به سماه بالقيام
اطلاقا لاسم المسبب على السبب من فرط حاجته فكأنه في نفسه قيام او هو مصدر قام واصله قوام فقلبت الواو ياء لاعلال فعله فان لم يكن مثله
لم تعل كقوام لما يقام به وكان السلف يقولون المال سلاح المؤمن ولان اترك مالا يحاسبني الله عليه خير من ان احتاج الى الناس وقال عبد الله بن عباس
الدراهم والدنانير خواتيم الله في الارض لا تؤكل ولا تشرب حيث قصدت بها قضيت وقال قيس بن سعد اللهم ارزقني حمدا ومجدا فانه لا حمد الا بفعال
ولا مجد الا بمال وقيل لابي الزناد لم تحب الدراهم وهي تدنيك من الدنيا فقال هي وان ادنتني منها فقد صانتني عنها وقال بعض الحكماء من اصلح ماله فقد
صان الاكرمين الدين والعرض وفي منثور الحكم من استغنى كرم على اهله وفيه الفقر مخذلة والبؤس مرذلة والسؤال مبذلة وكان يقال الدراهم مراهم
تداوي كل جرح ويطيب بها كل صلح وقال ابو العتاهية اجلك قوم حين صرت الى الغنى وكل غني في العيون جليل اذا مالت الدنيا على المرء رغبت اليه ومال
الناس حيث يميل ليس الغني الا غني زين الفتى عشية يقري او غداة ينيل وقد اختلف اقوال الناس في تفضيل الغنى والفقر مع اتفاقهم ان ما احوج
من الفقر مكروه وما ابطر من الغنى مذموم فذهب قوم الى تفضيل الغنى على الفقر لان الغني مقتدر والفقير عاجز والقدرة افضل من العجز وهذا مذهب
من غلب عليه حب النباهة وذهب آخرون الى تفضيل الفقر على الغنى لان الفقير تارك والغني ملابس وترك الدنيا افضل من ملابستها وهذا قول من غلب
عليه حب السلامة وقال آخرون خير الامور اوساطها والفضل في الاعتدال بين الفقر والغنى ليصل الى فضيلة الامرين ويسلم من مذمة الحالين شعر
ومن كلفته النفس فوق كفافها فما ينقضي حتى الممات عناؤه والحاصل ان الانسان ما لم يكن فارغ البال لا يمكنه القيام بمصالح الدارين ولا
يكون فارغ البال الا بواسطة المال لانه بذلك يتمكن من جلب المنافع ودفع المضار ولهذا رغب الله تعالى في حفظه في آية المداينة حيث امر بالكتابة
والشهادة والرهان المقبوضة فمن اراد الدنيا بهذا الغرض فنعمت المعونة هي ومن ارادها لعينها فبالها من جنة وبذا امر ثم انه سبحانه امر بهذا قد
بثلاثة اشياء مع ذلك قوله وارزقوهم فيها واكسوهم وانما لم يقل منها كيلا يكون امرا بجعل بعض اموالهم رزقا لهم فيأكلها الانفاق بل امرهم ان يجعلوها
مكانا لرزقهم بان يتجروا فيها ويثمروها حتى يكون نفقتهم من الارباح لا من صلب الاموال وصلبها واكسوهم كل من الرزق والكسوة بحسب المصلحة
وكما يليق بحال امثالهم وقولوا لهم قولا معروفا قال ابن جريج ومجاهد موعدة جميلة من البر والصلة وقال ابن عباس هو مثل ان يقولوا اذا ربحت
في سفري هذا فعلت بك ما انت اهله وان غنمت في غزاتي جعلت لك حظا وقال ابن زيد ان لم يكن ممن وجبت نفقته عليك فقل عافانا الله واياك
وبارك الله فيك وقال الزجاج علموهم مع اطعامكم وكسوتكم اياهم امر دينهم مما يتعلق بالعلم والعمل وقال القفال ان كان صبيا فالولي يعرفه
ان المال ماله وانه اذا زال صباه فانه يرد المال اليه كقوله فاما اليتيم فلا تقهر اي لا تعاشره بالتسلط عليه كما تعاشر العبيد وان كان سفيها
وعظه ونصحه وحثه على الصلوة وعرفه ان عاقبة الاسراف فقر واحتياج وبالجملة فكل ما سكنت اليه النفس لحسنه الحسن عقلا او شرعا من قول

او عمل فهو معروف وما فيه منه لغيره فمنكر ثم بيّن ان السفهاء متى يؤتون اموالهم فشرط في ذلك شرطين احدهما بلوغ النكاح والثاني ايناس الرشد
منهم فبلوغ النكاح ان يحتلم لانه يصلح للنكاح عنده ولطلب ما هو مقصود به وهو التوالد ومناط الاحتلام خروج المني بدفق وقت مكانه ربما
ستكمال خمس سنين فيه اذ يبلغ خمس عشرة سنة قامة قرية عند الشافعي وثماني عشرة عند ابي حنيفة وهذان مشترك بين الغلام والجارية
وفيها امارات اخر نبات الحيض والحبل وللطفل الكفار امارة زائدة هي انبات الشعر الخشن على العانة واما الايناس ففي اللغة الابصار والمراد
في الاية التبيّن والعرفان والرشد خلاف الغي مفسر قوله وابتلوا اليتامى اختبروا عقولهم وتعرفوا احوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ
ومن هنا قال ابو حنيفة تصرفات الصبي العاقل المميز باذن الولي صحيحة لان الابتلاء المامور به قبل بلوغهم انما يحصل اذا اذن له في البيع والشرى
وقال الشافعي الابتلاء قبل البلوغ لا يقتضي الاذن في التصرف كما انه لا يتوقف على دفع المال اليهم ولكن لا يتجه دفع المال اليهم لانه يتوقف
على الشرطين بل المراد بالابتلاء اختبار عقله واستبراء احوال الصبي بما يليق بحاله فان كان ولد التاجر يحضر في البيع والشرى بحضوره ثم باستكشاف
ذلك البيع والشرى منه وما فيهما من المصالح والمفاسد وقد يدفع اليه شيئا ليبيع او يشتري فيعرف بذلك مقدار فهمه وعقله ثم الولي بعد ذلك
يتم العقد لو اراد وولد الزارع يختبر في امر المزارعة والانفاق على القوام بها وولد المحترف فيما يتعلق بحرفته والمرأة في امر القطن والغزل وحفظ
الاقمشة وصون الاطعمة عن الهرة والفارة وما اشبهها ولا يكفي المرة الواحدة في الاختبار بل لا بد من مرتين او اكثر على ما يليق بالحال بحيث يفيد علمه الظن
انه رشيد قوله رشدا من الرشد بمعنى بحاله الا الرشد من جميع الوجوه على الكمال ما يمكن هذا او منكر وقد ظهر بما ذكرنا انه لا بد بعد البلوغ من
الرشد فيما يتعلق بصلاح ماله حيث لا يفك الحجر عنه حتى ثم ان ابا حنيفة قال اذا بلغ مهتديا الى وجوه مصالح الدنيا فهو رشيد يدفع اليه ماله
وقال الشافعي لا بد مع ذلك من الاهتداء الى مصالح الدين فان الفاسق لا يحفظون اموالهم في الوجوه الفاسدة المحرمة وقد نفى الله تعالى الرشد عن
فرعون في قوله وما امر فرعون برشيد مع انه كان يراعي مصالح الدنيا ويتفرع على القولين ان الشافعي يرى الحجر على الفاسق وابو حنيفة لا يراه ثم انه
اذا بلغ غير رشيد استمر على ذلك لم يدفع اليه ماله بالاتفاق الى خمس وعشرين سنة وبعدها ايضا وذلك خلافا عند صاحبي ابي حنيفة وعند الشافعي
لا يدفع اليه ابدا الا بايناس الرشد كما هو مقتضى الاية وعند ابي حنيفة يدفع لان مدة بلوغ الذكر عنده بالسن ثماني عشرة سنة فاذا زيد عليها
سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير احوال الانسان لقوله مروهم بالصلوة لسبع دفع اليه ماله اونس منه رشد او لم يونس ثم قال ولا تاكلوها اسرافا
وبدارا ان يكبروا مصدران في موضع الحال اي مسرفين ومبادرين كبرهم او مفعول لهما اي لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم والاسراف التبذير وضد القصد
والاسراف والكبر في السن وقد كبر الرجل بالكسر يكبر بالفتح كبرا اي اسن وكبر بالضم يكبر كبارة اي عظم نهاهم عن الافراط في الانفاق كما يشتهون
قبل ان يكبر اليتامى فينتزعوها من ايديهم ومن كان غنيا فليستعفف فليمتنع منه ولتترك وفي الاستعفاف زيادة مبالغة كانه طلب زيادة العفة
ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف والعلماء اختلفوا في ان الوصي هل له ان ينتفع بمال اليتيم قال الشافعي له ان ياخذ قدر ما يحتاج اليه بقدر اجرة
عمله لان النهي في الاية عن الاسراف مشعر بان له ان ياكل بقدر الحاجة ولا سيما اذا كان فقيرا وفيما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال له ان في حجري يتيما
افاكل من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله قال افاضربه قال مما كنت ضاربا منه ولدك وذكر ان عمر بن الخطاب كتب الى
عمار وابن مسعود وعثمان بن حنيف سلام عليكم اما بعد فاني قد رزقتكم كل يوم شاة شطرها لعمار وربعها لعبد الله بن مسعود وربعها لعثمان الا
واني قد انزلت نفسي واياكم من مال الله منزلة والي مال اليتيم من كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف وايضا قياسا
على الساعي في اخذ الصدقات وجمعها فانه يصيب له في تلك الصدقات سهم فكذا هنا وعن سعيد بن جبير ومجاهد وابي العالية ان له ان ياخذ
بقدر ما يحتاج اليه قرضا ثم اذا ايسر قضاه وان مات ولم يقدر على القضاء فلا شيء عليه اكثر العلماء على ان هذا الاقراض انما يقع في اصول الاموال
من الذهب والفضة وغيرهما واما التناول من البان المواشي واستخدام العبيد وركوب الدواب فمباح له اذا كان غير مضر بالمال قال ابو بكر الرازي
الذي نعرف من مذهب اصحابنا انه لا ياخذ لا على سبيل القرض ولا على سبيل الابتداء سواء كان غنيا او فقيرا واحتج بقوله تعالى وآتوا اليتامى اموالهم واجيب
بانها عامة وقوله فلياكل بالمعروف خاص والخاص مقدم على العام قال ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما واجيب بان محل النزاع هو ان اكل
الوصي مال اليتيم ظلم او لا قال وان تقوموا لليتامى بالقسط وهو ايضا عين النزاع ثم اعلم ان الائمة اتفقوا على ان الوصي اذا دفع المال الى اليتيم
بعد بلوغه رشيدا فالاولى والاحوط ان يشهد عليه اظهارا للامانة ويبرأ من التهمة ولكن اختلفوا في ان الوصي اذا ادعى بعد بلوغ اليتيم انه
قد دفع المال اليه فهل هو مصدق فقال ابو حنيفة واصحابه يصدق بيمينه كسائر الامناء وقال مالك والشافعي لا يصدق الا بالبينة لان الله نص على
الاشهاد فقال فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم فهذا الامر للوجوب لانه امر من جهة الشرع لا من جهة اليتيم وليس لهم تهمة عامة كالقضاة
ولا كحال النفقة كالام فانه يصدق في قدر النفقة وفي عدم التقصير والاسراف لعسر اقامة البينة على ذلك ولتنفير الناس عن قبول الوصاية وكفى
بالله حسيبا اي كافيا في الشهادة عليكم بالدفع والقبض او محاسبا كالنذير بمعنى المنذر فيه تهديد للولي واليتيم ان يتصادقوا ولا يتكاذبوا
والباء في بالله زائدة نظرا الى اصل المعنى وهو كفى الله وحسيبا منصوب على التمييز ويحتمل الحال ثم من هاهنا شرع في بيان المواريث في الفرائض قال ابن عباس
ان اوس بن ثابت الانصاري توفي وترك امرأة يقال لها ام كجة وثلاث بنات له منها فقام رجلان هما ابنا عم الميت ووصياه سويد وعرفجة فاخذا

ماله ولم يعطيا امرأته ولا بناته شيئا وكانوا في الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغير وان كان ذكرا انما يورثون الرجال الكبار وكانوا يقولون
لا نعطي الا من قاتل على ظهور الخيل وذاد عن الحوزة وحاز الغنيمة قال فجاءت ام كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان اوس بن ثابت مات
وترك علي بنات وانا امرأته وليس عندي ما انفق عليهن وقد ترك ابوهن مالا حسنا وهو عند سويد وعرفجة ولم يعطياني ولا بناته من المال شيئا
فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله ولدها لا يركب فرسا ولا يحمل كلا ولا ينكأ عدوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرفوا حتى انظر ما يحدث الله
لي فيهن فانصرفوا فانزل الله للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون الآية فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا
ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فاعطى ام كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي لبني العم وسبب الاجمال في الآية ثم التفصيل فيما بعد هو النقل
من المألوف شيئا فشيئا والتدريج في الامور دأب الحكيم وهكذا قد نزلت الاحكام والتكاليف شيئا بعد شيء الى ان كملت الشريعة الحقة وفي قوله مما
قل منه او كثر بدل مما ترك بتكرير العامل ونصيبا مفروضا نصب على الاختصاص بتقدير اعني نصيبا مقطوعا مفروضا لا بد لهم ان يحوزوه
او على المصدر المؤكد كانه قيل قسمة مفروضة احتج بعض اصحاب ابي حنيفة بهذه الآية على توريث ذوي الارحام كالعمات والخالات والاخوال واولاد
البنات لان الكل من الاقربين فاثبت ما في الباب ان مقدار نصيبهم غير مذكور ههنا الا انا نثبت بالآية استحقاقهم لاصل النصيب وبعد ذلك
المقادير من سائر الدلائل واجيب بانه تعالى قال نصيبا مفروضا والاجماع على ان ذوي الارحام ليس لهم نصيب مقدر فعلمنا انهم ليسوا داخلين تحت الآية فان المفروض ما ثبت
بدليل مظنون والمفروض ما علم بدليل قاطع وتوريث ذوي الارحام ليس من هذا القبيل بالاتفاق فعرفنا انه غير مراد من الآية وايضا ليس المراد
بالاقربين من له قرابة ما وان كانت بعيدة والا دخل جميع اولاد آدم فيه فالمراد اقرب الناس الى المورث وهما ذاتا الوالدين والاولاد ودخول
الوالدين في الاقربين يكون كدخول النوع في الجنس فلا يلزم تكرار سلمنا لكن المقصود انه تعالى ذكر في الآية ان للنساء اسوة بالرجال في ان
لهن حظا من الميراث وعلمان في الاقارب من يرث ومنهم من لا يرث وربما حضروا القسمة فلا يجوز حرمانهم فقال واذا حضر القسمة اولوا القربى الآية
ثم منهم من قال بوجوبه ومنهم من قال باستحبابه والقائلون بالوجوب منهم من قال انه منسوخ بآية المواريث وعن ابي موسى الاشعري وابراهيم
النخعي والشعبي والزهري ومجاهد والحسن وسعيد بن جبير انها محكمة ولكنها مما تهاون به الناس قال الحسن وكان الناس وهم يقسمون على القرابات واليتامى
والمساكين من الورق والذهب فاذا آل الامر الى قسمة الارضين والرقيق وما اشبه ذلك قالوا لهم قولا معروفا كانوا يقولون لهم ارجعوا بورك
فيكم والقائلون بالاستحباب هو مذهب فقهاء الامصار اليوم قالوا ان هذا الرضخ مستحب اذا كانت الورثة كبارا اما اذا كانوا صغارا فليس الا القول المعروف
كان يقول الولي اني لا املك هذا المال انما هو لهؤلاء الضعفاء الذين لا يعرفون ما عليهم من الحق وان يكبروا فسيعرفون حقكم والضمير في منه اما
ان يعود الى ما ترك واما الى الميراث بدليل ذكر القسمة وقيل المراد فيه الوصية واذا حضرها من لا يرث من الاقرباء واليتامى والمساكين امر الله
الموصي ان يجعل لهم نصيبا من تلك الوصية ويقول لهم مع ذلك قولا معروفا وقيل اولوا القربى الوارثون واليتامى والمساكين الذين لا يرثون
وقوله فارزقوهم راجع الى هؤلاء الذين لا يرثون وحكى هذا القول عن سعيد بن جبير وليخش الذين لو تركوا الجملة الشرطية وهي لو مع ما في حيزها صلة
الذين والمعنى وليخش الذين من صفتهم وحالهم انهم لو تركوا ذرية ضعافا خافوا عليهم واما المخشي فغير منصوص عليه قال بعض المفسرين هم الاوصياء
امروا بان يخشوا الله فيخافوا على من في حجورهم من اليتامى خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا وامروا بان يخشوا على اليتامى من الضياع كما يخشون
على اولادهم لو تركوهم وعلى هذا فيكون القول السديد اي الصواب هو ان لا يؤذوا اليتامى ويكلموهم كما يكلمون اولادهم بالقول الجميل ويدعوهم
بيا بني ويا ولدي وهذا القول اليق بما تقدم وما تأخر من الآيات الواردة في باب الايتام جعل الله آخر ما يخشون على ذريتهم اذا تصوروها بعد
ذلك باعثا لهم على حفظ مال اليتيم كما قال القائل لقد زاد الحياة الي حبا بناتي انهن من الضعاف احاذر ان يرين البؤس بعدي وان يشربن رنقا
بعد صاف وقيل هم الذين يجلسون الى المريض فيقولون ان ذريتك لا يغنون عنك من الله شيئا فقدم مالك فلا يزالون يأمرونه بالوصية الى الاجانب
الى ان يستغرق المال بالوصايا فامروا بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد المريض خوفهم على اولاد انفسهم لو كانوا وعلى هذا يكون الآية نهيا لهم
عن الترغيب في الوصية والقول السديد ان يقولوا للمريض لا تسرف في الوصية فتجحف باولادك مثل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد الثلث والثلث كثير وكان الصحابة
يستحبون ان لا يبلغ الوصية الثلث وان الخمس افضل من الربع والربع من الثلث وقيل يجوز ان يتصل الآية بما قبلها فيكون امرا للورثة بالشفقة
على الذين يحضرون القسمة من الضعفاء وان يتصوروا انهم لو كانوا اولادهم خافوا عليهم الحرمان وعن حبيب بن ابي ثابت سألت مقسما عن الآية فقال
هو الرجل الذي يحضره الموت ويريد الوصية للاجانب فيقول له من كان عنده اتق الله وامسك على ولدك مالك مع ان ذلك الانسان يحب ان يوصي
له وعلى هذا يكون نهيا عن الوصية ولا يناسبه قوله لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا ثم اكد الوعيد في باب اكل مال اليتيم فقال ان الذين يأكلون
اموال اليتامى ظلما اي ظالمين او على وجه الظلم من اولياء السوء وقضاته لا بالمعروف انما يأكلون في بطونهم اي ملء بطونهم نارا اي ما يجر الى النار
وكانه نار في الحقيقة وقال السدي يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وانفه واذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان
يأكل مال اليتيم في الدنيا وعن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت ليلة اسري بي قوما لهم مشافر كمشافر الابل وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم
ثم يجعل في افواههم صخرا من النار يخرج من اسافلهم فقلت يا جبريل من هؤلاء قال الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما وسيصلون من قرأ بفتح الياء فهو من

صلى فلان النار بالكسر يصلى صليا احترق ومن قرأ بالضم فمعناه الالقاء في النار لاجل الاحراق ومن الاصلاء وقد شدد من التصلية والمعنى واحد
السعير النار وسعرت النار والحرب هيجتهما والهبتهما فهو سعير بمعنى مسعور والتنكير للتعظيم اى نارا مبهمة الوصف لا يعلم شدتها الا خالقها فالمعتزلة
لا يجوزون ان يدخل تحت هذا الوعيد اكل اليسير من ماله بل لا بد ان يكون مقدارا يحصل به الكبيرة لانه لا يعذب الله الا بذلك ووقع عليه الوعيد في ابن الكثير منع كونه
ولا بد مع ذلك من عدم التوبة فقيل لهم انكم خالفتم هذا العموم من جهتين من جهة شرط عدم التوبة ومن جهة شرط عدم كونه صغيرة فلم لا يجوز لنا ان نزيد
فيه شرط عدم العفو وههنا نكتة وهي انه اوعد مانع الزكوة بالكي واكل مال اليتيم بامتلاء البطن من النار ولا شك ان هذا الوعيد اشد والسبب
فيه ان الفقير غير عاجز بالكلية عن الاكتساب حتى يملك المال واليتيم مالك لماله فكان منع اليتيم اشنع واما الفقير فقادر على الاكتساب من وجه او على
السؤال واليتيم عاجز عنهما فكان ضعيف الحال وهذا من كمال عنايته تعالى بالضعفاء فنرجو ان يرحم ذلتنا وضعفنا بعزته وقوته التأويل يذكر الناس بين
بعد خلقهم بالاشباح والارواح فخلقوا بالاشباح من آدم وبالارواح من روح محمد قال اول ما خلق الله روحي فخلقوا بالارواح وخلق من روح
آدم جسم النفس خلقها من ادنى شعاع من اشعة انوار روح محمد وبث منهما رجالا كثيرا ارواحا كاملين ونساء ارواحا ناقصات واتقوا
الله الذي تساءلون به اى اتقوه ان تسألوا بعزته والارحام ولا تقطعوا رحم روحي بصلة غيري وآتوا اليتامى اموالهم تزكية عن آفة الحرص
والحسد والدناءة والخسة والطمع وتحلية بالقناعة والمروة وعلو الهمة والعاقبة ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب تزكية عن آفة الخيانة وتحلية
بالامانة وسلامة الصدر ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم تزكية عن الجور وتحلية بالعدل فان اجتماع الرذائل كان حوبا كبيرا حجابا عظيما
فانكحوا ما طاب لكم تزكية عن الفاحشة وتحلية بالعفة ذلك ادنى ان لا تعولوا تزكية عن الحدة والغضب وتحلية بالسكون والحلم وآتوا النساء
صدقاتهن تزكية عن البخل والغدر وتحلية بالوفاء والكرم فكلوه هنيئا تزكية عن الكبر والانفة وتحلية بالتواضع والشفقة فهذه كلها اشارة
الى تربية يتامى القلوب والنفوس بايتاء حقوق تربيتهم على ما فيه صلاحهم وتحليتهم بهذه الاخلاق ثم نهى عن ايتاء النفوس الامارة حظوظها فقال
ولا تؤتوا السفهاء وانما قال اموالكم لان الخطاب مع العقلاء والصلحاء وقد خلق الله الدنيا لاجلهم ان الارض يرثها عبادي الصالحون
وارزقوهم فيها اى فيما لا بد منه ما يسد الجوعة ويكسوهم ما يستر العورة وما زاد فاسراف في حق النفس وقولوا لهم قولا معروفا كلوا من رزق الله واذكروا
شكر نعمه بامتثال اوامره ونواهيه الادبي طعامك بذكر الله كما قال اذيبوا طعامكم بذكر الله وابتلوا اليتامى اى قلوب اليتامى بانهم
توسع في المعيشة بعد ان كانوا محجورين عن التصرف حتى اذا بلغوا مبلغ الرجال البالغين فان آنستم منهم رشدا بان يتمكنوا بعد ذلك التوسع
على الشرع زادوا في اجتهادهم وجدهم كما قال الجنيد اشبع الزنجي وكده فادفعوا اليهم اموالهم فالعبد في هذا المقام يكون جائز التصرف في ماله
سيدا كالعبد المأذون وههنا قال ههنا اموالهم ولا تأكلوها اسرافا اى فان آنستم بادناء الطريقة من المريدين البالغين شد التصرف في احتمال
الارادة فادفعوا اليهم عنان التصرف باجازة الشيخوخة ولا تعجلوا الشيخوخة ما كان لكم غيرة وغبطة عليهم ان يكبروا بالشيخوخة ومن كان
غنيا بالله من قوة الولاية مستظهرا بالعناية فليستعفف عن الانتفاع بصحبتهم ومن كان فقيرا مفتقرا الى دولة المريدين فليأكل بالمعروف
فلينتفع باعانته وليجزله بالشيخوخة مع الامداد في الظاهر والباطن فاذا دفعتم اليهم اموالهم سلمتم اليهم مقام الشيخوخة فاشهدوا عليهم
الله ورسوله وارواح المشايخ واوصوهم برعاية حقوقها مع الله والخلق ثم اخبر عن نصيب كل نسب فقال للرجال وهم الاقوياء من الطلبة
وللنساء وهم الضعفاء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وهم المشايخ والاخوان في الله من بركاتهم وانوارهم نصيبا مفروضا
على قدر استعدادهم واذا حضر القسمة اى في محافل صحبتهم ومجالس ذكرهم اولوا القربى المنتمون اليهم والمقتبسون من انوارهم والمشتاقون الى
فارزقوهم من مواهبهم كاسهم وقولوا لهم قولا معروفا في التشويق وارشاد الطريق وتشهير هوان الدنيا عنده وعزة اهل الله في الدارين
وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا من متوسطي المريدين او المبتدئين خافوا عليهم آفات الفساد فيفسدوا وهو فليتقوا الله
اى يوصيهم بالتقوى وان يقولوا قولا سديدا هو لا اله الا الله فان التقوى هداه ثم الذكر خطوتان يوصلان العبد الى الله ان
الذين يأكلون يضيعون اطفال الطريقة بعدم التربية ورعاية وظائف النصيحة انما يأكلون في بطونهم نار الحسرة وتوالي الغرامة الابدية

يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن

سفارش میکند شما را خدا در بارهٔ فرزندان شما مر پسر راست مانند بهرهٔ دو دختر پس اگر بوده باشند دختران زیاده از دو پس مر ایشانراست دو ثلث آنچه گذاشته است و اگر

كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن

باشد یکی پس مر اوراست نصف ترکه و مر پدر و مادر او راست از برای هر یک از آن دو ششم از آنچه نهاده است اگر بوده باشد مر او را فرزندی پس اگر نباشد

لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا

مر او را فرزندی و وارث او بود پدر و مادر او پس مادر او راست ثلث پس اگر باشد مر او را برادران پس مر مادر او راست ششم پس از وصیتی که فرماید بدان

أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا

وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ

وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ

مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ

فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ

غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي

مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ

نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً

مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا

مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ

يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا

وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ

وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا

وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ

فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ

وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ

وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ

وحال آنکه رسید بعضی از شما بسوی بعضی و فرا گرفتند از شما عهدی استوار و نکاح مکنید با آنچه نکاح کردند پدران شما از زنان

إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا القراءة واحدة بالرفع ابو جعفر ونافع البناء فيهن بالنصب

مگر آنچه در پیش گذشته بدرستیکه آن هست ناشایسته و خشم خدا و بد راهی است فلامه وما بعده بكسر الهمزة لاجل كسرة ما قبلها حمزة ووقفا

البناء فيهن بالفتح يوصى وما بعده مبنيا للمفعول ابن كثير وابن عامر ويحيى وحماد والمفضل ووافق الاعمش في الاولى وحفص في الثانية البناء فيهن مبنيا

للفاعل ندخله بالنون في الحرفين نافع وابن عامر وابو جعفر البناء فيهن بالياء وكذلك في سورة الفتح والتغابن والطلاق واللذان بتشديد النون

ابن كثير وكذلك قوله هذان وهاتين وارنا اللذين واشباه ذلك واما قوله فذانك فابن كثير وابو عمرو ويعقوب وعباس عن البناء فيهن بالتخفيف

كي فأما الفتح وكذلك النون حمزة وعلي وخلف البناء فيهن بالفتح مبينة مبينات بفتح الياء ابن كثير وابو بكر وحماد وقرأ ابو جعفر ونافع وابو عمرو

وسهل ويعقوب مبينة بالكسر ومبينات بالفتح البناء فيهن كلها بالكسر الوقوف الانثيين ما ترك فلها النصف لانتهاء حكم الاولاد وان كان له ولد

فلامه الثلث او دين آباؤكم وابناؤكم لتعبديهم ابناؤكم ولاحتمال كون ابناؤكم مبتدأ وخبره لا تدرون نفعا من الله حكيما لم يكن لهن ولد لذين منهما السدس برفع
لان غير حال عامله يوصى مضار لاحتمال نصب وصية كما يجي من الله عليم لان تلك مبتدأ حدود الله خالدين فيها الا ان ما بعده اعتراض مقرر
للجزاء العظيم خالدا فيها الا ان ما بعده من تتمة الجزاء مهين اربعة منكم لابتداء الشرط مع الفاء سبيلا فاذوهما عنهما رحيما عليهم حكيما السيئات الآن
حتى اذا يصلح للابتداء وجواب فقال اني تبت يصلح استئناف لعمل السيئات وهم كفار اليما كرها للعلة لعرفا لاختلاف النهي منبثة للعارض من المتقين
بالمعروف كثيرا شيئا مبينا غليظا سلف مقتا سبيلا التفسير انه تعالى بين حكم مال الايتام وما على الاولياء فيه بين ان اليتيم كيف يملك المال ارثا
ولم يكن ذلك الا ببيان جملة احكام الميراث ونقول اجمل حكم الميراث في قوله للرجال نصيب وللنساء نصيب ثم فصل ذلك بقوله يوصيكم الله اي
يعهد اليكم ويامركم في اولادكم في شان ميراثهم واعلم ان اهل الجاهلية كان يتوارثون بشيئين النسب والعهد اما النسب فكانوا يورثون الكبار
ولا يورثون الصغار والاناث كما مر واما العهد فالحلف والتبني كما سيجيء في تفسير قوله والذين عاقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم وكان التوريث
بالعهد مقررا في اول الاسلام مع زيادة سببين آخرين احدهما الهجرة فكان المهاجر يرث من المهاجر وان كان اجنبيا عنه اذا كان بينهما مزيد مخالطة
ومخالصة ولا يرثه غيره وان كان من اقاربه والثاني المواخاة فكان رسول الله يواخي بين اثنين منهم فيكون سببا للتوارث والذي تقرر عليه الامر
في الاسلام ان اسباب التوريث ثلثة قرابة ونكاح وولاء والمراد من الولاء ان المعتق يرث بالعصوبة من المعتق روي ان رسول الله ورث بنت
حمزة من مولى لها وورد هذا الاستثناء استعظام وهو الاسلام فمن مات ولم يخلف من يرثه بالاسباب الثلثة فماله لبيت المال يرثه المسلمون بالعصوبة
كما يحملون عنه الدية قال انا وارث من لا وارث له اعقل عنه وارثه وعن ابي حنيفة واحمد انه يوضع ماله في بيت المال على سبيل المصلحة ارثا
لانه لا يخلو عن ابن عم وان بعد فالحق بالمال الضايع الذي لا يرجى ظهور مالكه وانما بدأ سبحانه بذكر ميراث الاولاد لان تعلق الانسان بولده
اشد التعلقات ثم للاولاد حال انفراد وحال اجتماع مع ابوي الميت اما حال الانفراد فثلثة ذكور واناث معا او اناث فقط او ذكور فقط اما
الحالة الاولى فبينها بقوله للذكر مثل حظ الانثيين اي للذكر منهم فحذف الراجع للعلم به وفيه احكام ثلثة احدها خلف ذكرا واحدا وانثى واحدة
فله سهمان ولها واحد ثانيها خلف ذكورا واناثا فلكل ذكر سهمان ولكل انثى سهم وثالثها خلف مع الاولاد جمعا آخرين كالزوجين فهم يأخذون
سهامهم والباقي بين الاولاد لكل ذكر مثل نصيب ابنتين وانما لم يقل للانثيين مثل حظ الذكر او للانثى نصف حظ الذكر اشعارا بفضيلته كما هو
حظه لذلك لان الابتداء بما ينبئ عن فضل احد احرى في الادب من الابتداء بما ينبئ عن النقص ولانهم كانوا يورثون الذكور دون الاناث فكانه قيل
لهم كفى للذكور تضعيف من النصيب فلا يقطعوا الطمع عن الزيادة واما الحكمة في انه تعالى جعل نصيب النساء من المال اقل من نصيب الرجال فلنقصان
عقلهن ودينهن كما جاء في الحديث لان احتياجهن الى المال اقل لان ازواجهن ينفقون عليهن او لكثرة الشهوة فيهن فقد يصرفن المال في سبيل الزيادة
فجورهن كما قيل ان الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء اي مفسدة فكيف حال المرأة ومن حيث اللطافة ان حواء اخذت حفنة من الحنطة واكلت واخذت
حفنة اخرى وخبأتها ثم اخذت حفنة اخرى ودفعتها الى آدم فلما جعلت نصيب نفسها ضعف نصيب الرجل قلب الله الامر عليها فجعل نصيب المرأة نصف
نصيب الرجل واما الحالة الثانية فهن اكثر من اثنتان او واحدة وحكم القسم الاول مبين في قوله فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وحكم
القسم الثالث في قوله وان كانت واحدة فلها النصف من قرأ بالرفع على كان التامة فظاهر ومن قرأ بالنصب فالضمير في كانت اما ان يعود
الى النساء وجاز لعدم الالتباس مع ابدال واحدة واما ان يعود الى غايب حكمي اي كانت البنت او المولودة وقراءة النصب وفق لقوله فان كن نساء
وقراءة الرفع ايضا حسنة لئلا يحتاج الى التكلف في امر الضمير وجوز صاحب الكشاف ان يكون الضمير في كن وكانت مبهما وتكون نساء وواحدة
تفسيرا لهما على ان كان تامة واما القسم الثاني وهو حكم البنتين فغير مذكور في الآية صريحا فلهذا اختلف العلماء فيه فعن ابن عباس ان لهما
النصف كما في الواحدة لان الثلثين فرض البنات بشرط كونهن فوق اثنتين فاذا لم يوجد الشرط لم يوجد المشروط وعورض بان النصف ايضا مشروط
بالوحدة واقول لعله نظر الى ان الواحد من الاعداد والعدد المخصوص الذي فوق الاثنين سوى الثلثة والحمل على الاقرب اولى وقال الاكثرون من الصحابة
وغيرهم ان فرضهما الثلثان لان من مات وخلف ابنا وبنتا فللبنت الثلث بالآية فعلم ان يكون للبنتين الثلثان وايضا نصيب البنت مع الولد الذكر
الثلث فلان يكون نصيبها مع ولد انثى هو الثلث اولى لان الذكر اقوى من الانثى وعلى هذا فكان قوله للذكر مثل حظ الانثيين دالا على
الاثنتين فذكر بعده ذلك انهن وان بلغن ما بلغن من العدد لم يجاوز الثلثين وقيل ان البنتين امس رحما بالميت من الاختين لكنه تعالى يقول في آخر السورة
فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان فالبنتان اولى وهذا قياس جلي ومما يؤيده انه تعالى لم يذكر ميراث الاخوات الكثيرة فقاس ميراثهن على ميراث
البنات الكثيرة كما قاس ميراث البنتين على الاختين وقيل لفظ فوق وهو صفة لنساء او خبر بعد خبر للتاكيد او لنخرج اقل الجمع وهو اثنان زايد
كقوله فاضربوا فوق الاعناق وقيل فيه تقديم وتأخير والمراد فان كن نساء اثنتين فما فوقهما وعن جابر بن عبد الله قال جاءت امرأة بابنتين لها
فقالت يا رسول الله هاتان بنتا ثابت بن قيس او قال سعد بن الربيع قتل معك يوم احد وقد استفاء عمهما مالهما وميراثهما فقال يقضي
الله في ذلك فنزلت هذه الآية فقال رسول الله ادع لي المرأة وصاحبها فقال لعمهما اعطهما الثلثين واعط امهما الثمن وما بقي فلك اما الحالة الثالثة
وهو ما اذا كان الاولاد ذكورا فقط فلم يذكره في الآية الا انه لما علم ان للذكر مثل حظ الانثيين وقد تبين ان للبنت الواحدة النصف علم منه ان

الثلثين واعط

للابن

للابن الواحد الكل واذا كان للواحد الكل فاذا كانوا اكثر من واحد لم يحسن حرمان بعضهم فيكون المال مشتركا بينهم بالسوية وانه قال ومما
ابقت السهام فلاولى عصبة ذكر ولا نزاع في ان الابن عصبة ذكر فاذا لم يكن معه صاحب فرض فله كل المال الا ما خالف النص سئلت عن ان الولد
اسم الولد يقع على ولد الابن ايضا لقوله تعالى يا بني آدم يا بني اسرائيل وقيل يقع اسم الولد على ولد الابن لانه كولد الصلب في الارث والتعصيب لكنه لا يحجب
شيئا مع اولاد الصلب على وجه الشركة وانما يستحق اذا لم يوجد ولد الصلب اصلا او لا يأخذ كما في مسئلة بنت واحدة وبنت ابن فانها تأخذ تكملة
الثلثين ولد الصلب كل الميراث في ايام التابعين واعلم ان عموم قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم مخصوص بصور منها ان العبد والحر لا يتوارثان
ومنها ان القاتل لا يرث ومنها انه لا يتوارث اهل ملتين والمرتد ماله لبيت المال سواء اكتسب في الاسلام او في الردة وعند ابي حنيفة ما
اكتسب في الاسلام يرثه اقاربه المسلمون ومنها ان الانبياء لا يورثون خلافا للشيعة روي ان فاطمة لما طلبت الميراث احتجوا بقوله نحن معاشر
الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة واحتجت بقوله تعالى حكاية عن زكريا يرثني ويرث من آل يعقوب وبقوله وورث سليمان داود وقالوا الاصل التوريث
للمال ووراثة العلم والدين مجاز وبعموم قوله يوصيكم الله في اولادكم ولان المحتاج الى هذه المسئلة ما كان الا علي وفاطمة والعباس وهؤلاء
كانوا من اكابر الزهاد والعلماء في الدين واما ابو بكر فانه ما كان محتاجا الى معرفة هذه المسئلة البتة لانه ما كان يخطر بباله انه يرث من النبي
عليه الصلوة والسلام فكيف يليق بالرسول ان يبلغ هذه المسئلة الى من لا حاجة به اليها ولا يبلغها الى من له الى معرفتها اشد الحاجة ثم
يحتمل ان يكون قوله ما تركناه صدقة صلة لقوله لا نورث والمراد ان الشيء الذي تركناه صدقة فذلك الشيء لا يورث ولعل فائدة تخصيص
الانبياء بذلك انهم اذا عزموا على التصدق بشيء فمجرد العزم يخرج ذلك عن ملكهم فلا يرثه وارثهم عنهم اجابوا بان فاطمة رضيت بقول ابي بكر
بعد هذه المناظرة وانعقد الاجماع على ما ذهب اليه ابو بكر واعلم ان جميع ما ذكرنا انما هو في حالة انفراد الاولاد واما حالة اجتماعهم بالابوين
فذلك قوله ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد والمراد بالابوين الاب والام فغلب جانب الاب لشرفه ومثله من التغليب
في التثنية القمران والعمران والخافقان والضمير في ابويه يعود الى الميت المعلوم من سياق الكلام في الميراث ولكل واحد منهما بدل من لابويه بتكرير
العامل وفائدة هذا البدل انه لو قيل لابويه السدس لاوهم اشتراكهما فيه ولو قيل ولابويه السدسان لاوهم قسمة السدسين عليهما على التساوي
او على التفاوت ولو قيل لكل واحد من ابويه السدس لفاتت فائدة الاجمال والتفصيل او الابهام والتفسير وقوله السدس مبتدأ وخبره لابويه
وتوسط البدل بينهما للبيان واعلم ان للابوين ثلث احوال الاولى ان يحصل معهما ولد ولا نزاع ان اسم الولد يقع على الذكر والانثى
فههنا ثلثة اوجه احدها ان يحصل معهما ولد ذكر واحد او اكثر فللابوين لكل واحد منهما السدس والباقي للاولاد بالسوية وثانيها ان يحصل معهما
بنتان او اكثر فالحكم كما ذكرنا وثالثها ان يكون معهما بنت واحدة فههنا للبنت النصف وللام السدس وللاب السدس بحكم الآية والباقي للاب بحكم
التعصيب فان قيل ان حق الوالدين على الولد اعظم لا يخفى فما الحكمة في انه تعالى جعل نصيب الاولاد اكثر ونصيب الوالدين اقل فالجواب ان الله علم ان الوالدين
ما بقي من عمرهما الا القليل غالبا واما الاولاد فهم في زمان الصبى فاحتياجهم الى المال اكثر وايضا كانهما قالا لا مبالاة لنا بالمال انما نطعمكم
لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا وايضا ولد الولد يعد لذو بر فيه حال الولد اهم عند الوالدين من نفسهما الحالة الثانية ان لا يكون
معهما احد من الاولاد ولا وارث سواهما وهو المراد بقوله وان لم يكن له ولد وورثه ابواه اي فقط فلامه الثلث ويعلم منه ان الباقي يكون للاب
فيكون المال بينهما للذكر مثل حظ الانثيين فيحصل للاب السدس بالفرضية والنصف بالعصوبة ولا نزاع في فرضية الثلث للام بان يكون
الوارث منحصرا في الابوين اختلف العلماء في انه اذا ورثه ابواه مع احد الزوجين فكيف يكون فرض الام فقال ابن عباس يدفع الى الزوج نصيبه والى
الزوجة نصيبها وللام الثلث بحاله والباقي للاب وذهب الاكثرون الى ان الزوج او الزوجة لهما نصيبهما ثم يدفع ثلث ما بقي الى الام والباقي للاب
ليكون للذكر مثل حظ الانثيين كما هو قاعدة الميراث عند اجتماع الذكور والاناث فيكون الابوان كشريكين بينهما مال فاذا صار بعضه مستحقا بقي
الباقي بينهما على قدر الاستحقاق الاول ايضا الزوج انما يأخذ سهمه بحكم عقد النكاح لا بحكم القرابة فاشبه الوصية في قسمتها وعن ابن سيرين انه
وافق ابن عباس في الزوجة والابوين فانا اذا دفعنا الربع الى الزوجة والثلث الى الام بقي للاب الثلث وهو ضعف السدس اكثر مما للام وخالفه في الزوج
والابوين لانه اذا دفع الى الزوج النصف والى الام الثلث يبقى للاب السدس فيكون للانثى مثل حظ الذكرين هذا عكس قوله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين
الحالة الثالثة ان يوجد معهما الاخوة والاخوات وذلك قوله فان كان له اخوة فلامه السدس واتفقوا على ان الواحد من الاخوة او الاخوات
لا يحجب الام من الثلث الى السدس واتفقوا على ان الثلثة منهم يحجبون لكن الاثنين مختلف فيهما فالاكثرون من الصحابة ذهبوا الى ان الاثنين يحجبان كما تحجب
الثلثة مطلقا لان الاثنين جمع لوجود التعدد في التثنية وقد صح ان يتناول الاخوة للاخوين واستقراء باب الميراث يؤيد ذلك فانه جعل نصيب
البنتين الثلثين مثل نصيب البنات وكذلك للاختين من الاخوات وذكر الشيخ الكامل محيي الدين الامام في الفتوحات انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في المنام فسأله عن خلاف الائمة في ان اقل الجمع اثنان او ثلثة فقال اقل الجمع في الشفع اثنان وفي الوتر ثلثة وقال الاثنان فما فوقهما جماعة
وقد احتج ابن عباس بذلك على عثمان فقال كيف تردها الى السدس بالاخوين وليسا باخوة فقال عثمان لا استطيع رد شيء كان قبلي ومضى
في البلدان فاشار الى اجماعهم قبل ان اظهر ابن عباس الخلاف ثم ان الاثنين او الثلثة اذا حجبوا الام عن السدس فذلك السدس يكون لهم عند

للاب الثلثان فان لا يكون لهم شيء من الميراث ويكون خمسة الاسداس للاب وهذا مذهب ابن عباس الى الاول ذهب الجمهور والى الثاني اذ لا يلزم من كون المحجوب
حاجبا كونه وارثا ولم يرث لهم ذكر الا بالحجب فوجب ان يبقى المال لمعد حصول هذا الحجب على ملك الابوين ثم ذكر ان قسمة الانصباء انما تقع الى
هؤلاء من بعد وصية يوصي بها او دين حتى لو استغرق الدين كل مال الميت لم يكن للورثة فيه حق واذا لم يكن او كان لكنه قضي وفضل بعده شيء فان
اوصى الميت بوصية اخرجت من ثلث ما فضل ثم قسم الباقي ميراثا على فرائض الله تعالى وعن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه انكم لتقرؤن الوصية قبل
الدين وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بالدين قبل الوصية والمراد انه لا عبرة بالتقديم في الذكر لان كلمة او لا تفيد الترتيب البتة وانما استفيد الترتيب من
السنة عكس الترتيب في اللفظ وفائدة هذا العكس ان الوصية تشبه الميراث في كونها ماخوذة من غير عوض فكان اداؤها مظنة التفريط بخلاف الدين
فان نفوس الورثة مطمئنة الى ادائه فكان في تقديمها بعث على المسارعة الى اخراجها وهذا اجري بكلمة او لدلالة على التسوية بينهما في الوجوب لان كلا منهما
البين يحصل منه الامران يجيء باو الفاصلة ليدل على انه ان كان احدهما فالميراث بعده وكذا ان كان كلاهما فالوصية تشبه الدين من جهة ان سهام
اهل المواريث معتبرة بعد كل منهما ولكنها تفارق الدين من جهة انه متى هلك من المال شيء دخل النقصان في انصباء اصحاب الوصية كما في الارث
بخلاف الدين فانه يبقى بحاله ثم قال آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا قال ابو البقاء ايهم مبتدأ واقرب خبره والجملة في موضع
نصب بتدرون وهي معلقة عن العمل لفظا لانها من افعال القلوب اقول من الجائز ان لا يكون من افعال القلوب بل يكون بمعنى المعرفة وكان
ايهم مفعوله مبنيا لحذف صدر الصلة نحو ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد قال المفسرون هذا كلام معترض بين ذكر الوارثين وانصبائهم وبين
قوله فريضة من الله ومن حق الاعتراض ان يناسب ما اعترض بينه ويؤكده فقيل هذا من تمام الوصية اي لا تدرون من انفع لكم من آبائكم
وابنائكم الذين يموتون امن اوصى منهم ام من لم يوص يعني ان من اوصى ببعض ماله عرضكم لثواب الآخرة بامضاء وصيته فهو اقرب لكم نفعا
واحضر جدوى ممن ترك الوصية فوفر عليكم عرض الدنيا وجعل ثواب الآخرة اقرب واحضر من عرض الدنيا ذهابا الى حقيقة الامر لان عرض الدنيا
وان كان عاجلا قريبا في الصورة الا انه فان فهو في الحقيقة الابعد الاقصى وثواب الآخرة وان كان آجلا الا انه باق فهو في الحقيقة الاقرب
الادنى وقيل عن ابن عباس ان الابن ان كان ارفع درجة من ابيه في الجنة سأل ان يرفع ابوه اليه فيرفع وكذلك الاب ان كان ارفع درجة من ابنه سأل
ان يرفع ابنه اليه فانتم لا تدرون في الدنيا ايهم اقرب لكم نفعا لان احدهما لا يعرف انتفاعه في الجنة بهذا الاكرام بذلك وقيل فريضة من الله
الفرائض على ما هو عنده حكمة والعقول لا تهتدي الى كيفية تلك التقديرات فلو وكل ذلك اليكم لم تعلموا ايهم لكم انفع فوضعتم الاموال في
غير موضعها وقيل المراد كيفية انتفاع بعضهم ببعض في الدنيا من جهة الانفاق والتربية فلا بد ان الابن محتاج الى ان ينفق الاب
عليه والاب يفتقر الى الابن وقيل المقصود جواز ان يموت هذا قبل ذلك فيرثه وبالضد والقول هو الاول قوله فريضة من الله نصب على انها صفة
تقوم مقام المصدر المؤكد اي فرض الله ذلك فرضا ان الله كان عليما بكل المعلومات فيكون عالما بما في قسمة المواريث من المصالح والمفاسد
حكيما لا يأمر الا بما هو الاحسن الاصلح قال الخليل كان فيهما ينخلع عن اعتبار الاقتران بالزمان لانه تعالى منزه عن الدخول تحت الزمان
لكنه من الازل الى الابد عليم حكيم وقال سيبويه ان القوم لما شاهدوا علما وحكمة قيل لهم ان الله كان كذلك لم يزل موصوفا بهذه
الصفات هذا واعلم ان الوارث اما ان يكون متصلا بالميت بغير واسطة او بواسطة وعلى الاول فسبب الاتصال اما ان يكون هو النسب او الزوجية
فهذه ثلثة اقسام الاول قرابة الولاد الفروع والاصول وهو اشرف الاتصال لان لعدم الواسطة ولكثرة المخالطة ولغاية الالفة
الشفقة ولهذا قدم في الذكر ويتلوه في الشرف القسم الثاني لمثل ما قلنا ولهذا اردفه بالقسم الاول وذلك قوله ولكم نصف ما ترك ازواجكم
الى قوله يوصون بها او دين ثم بين احوال القسم الثالث وهو الكلالة في قوله وان كان رجل يورث كلالة فما احسن هذا الترتيب ولما
جعل في الموجب النسبي حظ الرجل مثل حظ الانثيين فكذلك جعل في الموجب السببي وهو الزوجية حظ الزوج ضعف حظ الزوجة وفيه تنبيه
على فضل الرجال حيث ذكرهم على سبيل المخاطبة ثماني مرات وذكرهن على الغيبة اقل من ذلك ثم الواحدة والجماعة سواء في الربع والثمن والولد
في الولد بين الذكر والانثى ولا بين الابن وبين ابن الابن ولا بين البنت وبين بنت الابن ويخرج منه ولد البنت لانه لا يرث ههنا مسئلة قال الشافعي
يجوز للزوج غسل زوجته لانها بعد الموت زوجته بدليل قوله تعالى ولكم نصف ما ترك ازواجكم وقال ابو حنيفة لا يجوز لانها ليست زوجته
ولو كانت زوجته لحل وطؤها لقوله الا على ازواجهم واجيب بانه لو لم يكن زوجة له لكان قوله ما ترك ازواجكم مجازا ولو كانت زوجة مع انه
لا يحل له وطؤها لزم التخصيص واذا تعارض المجاز والتخصيص فالتخصيص اولى كما بين في اصول الفقه وكيف لا وقد علم في صور كثيرة حصول
الزوجية مع حرمة الوطء كزمان الحيض والنفاس وزمان العدة وعند اشتغالها بالصلاة المفروضة والحج المفروض وعند كونها في العدة عن
الوطء بالشبهة وابو حنيفة قاس حل الوطء على حل العقد لا الاصل انه فيه من المصالح وعند الموت لم يبق شيء من تلك المصالح فعاد الى اصل الحرمة واما
حل الغسل ففيه مصالح موجبة للقول ببقائه واختلفوا في تفسير الكلالة فعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه سئل عن الكلالة فقال
اقول فيها برأيي فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمني ومن الشيطان والله بريء منه الكلالة ما خلا الولد والوالد وعن عمر رضي الله عنه
الكلالة من لا ولد له فقط وعنه في رواية اخرى التوقف وكان يقول ثلثة لان يكون بينهن الرسول لنا احب الي من الدنيا وما فيها الكلالة

والخلاف

والكلالة قد وال الرتبة او قيل الكلالة القرابة من غير جهة الولد والوالد وعن بعضهم قولهم ما ورث المجد عن كلالة كما تقول ما صمت عن عي قال الفرزدق
ورثتم قناة الملك لا عن كلالة عن ابني مناف عبد شمس وهاشم والمختار البيهقي من الاقوال قول ابي بكر ان الكلالة في الاصل مصدر بمعنى الكلال
وهو ذهاب القوة من الاعياء قال الاعشى فآليت لا ارثي لها من كلالة ولا من حفى حتى تلاقي محمدا فاستعير للقرابة من غير جهة الوالد والولد لانها
بالاضافة الى قرابة الاصول والفروع كالة ضعيفة ويحتمل ان يقال هي من الاكليل لانهم يحيطون بالانسان احاطة الاكليل بالراس من جانب غير
الولادة فانها منبعثة على الاستقامة كما قال الحسن تناسخ كابرا عن كابر كالرمح انبوبا على انبوب ثم انه تعالى ذكر في آخر السورة قل الله يفتيكم في الكلالة
ان امرؤ هلك ليس له ولد فاحتج عمر بذلك الجواب انه تعالى حكم في تلك الآية بتوريث الاخوة والاخوات حال كون الميت كلالة ولا شك ان الاخوة
والاخوات حال وجود الابوين لا يرثون فعلم انه لا يكون الميت كلالة الا عند عدم الابوين ايضا ثم انه تعالى ذكر حكم الولد والوالدين في الآيات المتقدمة ثم اتبعها ذكر
الكلالة وهذا الترتيب يقتضي ان يكون الكلالة من عدا الوالدين والولد ثم الكلالة قد يجعل صفة للموروث والمراد الذي يرثه من سوى الوالدين والاولاد
ويمكن ان يحمل عليه بيت الفرزدق اي ما ورثتم الملك عن الاعمام بل عن الآباء فسمى العم كلالة وهو ههنا موروث لا وارث وقد يجعل صفة للوارث
ومنه قول جابر مرضت مرضا اشفيت منه على الموت فاتيت النبي صلعم فقلت يا رسول الله اني رجل لا يرثني الا كلالة اراد انه ليس له والد ولا
ولد ويقال رجل كلالة وامرأة كلالة لا يثنى ولا يجمع لانه مصدر كالدلالة والوكالة فاذا جعلت صفة للوارث والموروث كانت بمعنى ذي كلالة
كما يقال فلان من قرابتي اي من ذوي قرابتي ويجوز ان يكون صفة كالهجاجة والفقاقة يقال رجل هجاجة وفقاقة كلاهما بالفتح اي احمق وقوله تعالى
وان كان رجل يورث كلالة يحتمل الامرين الاول هو قول عطاء والضحاك ان يكون ماخوذا من ورث الرجل يرث فيكون الرجل هو الموروث منه وينتصب
كلالة على الحال وعلى انه خبر كان ويورث صفة رجل ويجوز ان يكون مفعولا له اي يورث لاجل كونه كلالة والثاني هو قول سعيد بن جبير ان يكون مبنيا
للمفعول من اورث فالرجل هو الوارث وينتصب كلالة على الوجوه المذكورة مثل ما سبق ثم انه قال ان كان رجل يورث كلالة او امرأة ثم قال وله
اخ فكنى عن الرجل ولم يكن عن المرأة والجواب انه اذا جاء حرفان في معنى واحد جاز اسناد التفسير الى ايهما اريد وجاز اسناده اليهما ايضا تقول من كان له
اخ او اخت فليصله او فليصلها والترجيح بالتذكير للشرف معارض بالتانيث للقرب وان قلت فليصلهما جاز ايضا ولعل التوحيد والتذكير في الابتداء
اما لان الرجال في الاحكام اصل والنساء تبع لهم واما بناء على احد المذكورين ثم ان المفسرين اجمعوا على ان المراد من الاخ والاخت ههنا الاخ والاخت
من الام ويدل عليه ما نسب الى ابي وسعد بن ابي وقاص وله اخ او اخت من الام او من الام فلكل واحد منهما السدس اي من الاخ والاخت السدس من غير تفضيل الذكر
على الانثى هذا على الاحتمال الاول وهو ان الرجل موروث منه واما على الاحتمال الثاني وهو ان الرجل وارث فالضمير راجع الى الرجل والى واحد
من اخيه او اخته والمعنى مثل الاول لانك اذا قلت السدس له او لواحد من الاخ او الاخت على التخيير فقد سويت بين الذكر والانثى ثم قال فان كانوا
اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث يعني ان نصيبهم كيف ما كانوا لا يزاد على الثلث وقد يستند الاجماع الى هذا بيانه انه تعالى في آخر السورة قال الله
يفتيكم في الكلالة وانه اثبت للاختين الثلثين وللاخوة كل المال وههنا اثبت للاخوة والاخوات السدس عند الانفراد والثلث عند الاجتماع
فعلم ان المراد من الاخوة والاخوات ههنا غير المراد من الاخوة والاخوات في تلك الآية فالمراد ههنا الاخوة والاخوات من الام وهم اخياف وهناك
الاخوة والاخوات من الاب والام وهم الاعيان او من الاب وهم اولاد العلات فالكلالة وان كانت عامة لمن عدا الوالد والولد الا انها في الآيتين مخصصة
كما بينا غير مضار حال اي يوصي بها وهو غير مضار لورثته ومن قرأ يوصى مبنيا للمفعول فعامل الحال محذوف يدل عليه المذكور اي يوصي بها غير
انه موصيا والضمير فيه وهو ذو الحال يعود الى رجل على تقدير انه الموروث والى الميت الذي يدل عليه سياق الكلام اي ان كان الرجل وارثا وغير مضار
الورثة بان يوصي بازيد من الثلث او بالثلث فما دونه ونيته مضارة الورثة ومغاضبتهم وقطع الميراث عنهم لا وجه الله تعالى او يقر بان الدين
الذي كان له على غيره قد استوفاه او يبيع شيئا بثمن بخس او يشتري شيئا بثمن غال كل ذلك لئلا يصل المال الى الورثة قال العلماء الاولى با
لانسان ان ينظر في قدر ما يخلف ومن يخلف ثم يجعل وصيته بحسب ذلك فان كان في المال قلة وفي الورثة كثرة لم يوص وان كان بالعكس اوصى على
قانون العدل وقد روى عكرمة عن ابن عباس ان الاضرار في الوصية من الكبائر وعن شهر بن حوشب عن ابي هريرة عن النبي صلعم ان الرجل
ليعمل بعمل اهل الجنة سبعين سنة فاذا اوصى حاف في وصيته فيختم له بشر عمله فيدخل النار وان الرجل ليعمل بعمل اهل النار سبعين سنة فيعدل في
وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة وعنه من قطع ميراثا فرضه الله قطع الله ميراثه من الجنة وصية من الله مصدر مؤكد او على انه مفعول
مضار اي لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بزيادته على الثلث او وصية من الله بالاولاد ان لا يدعهم عالة بالاسراف في الوصية والله
عليم بمن جار في وصيته او عدل حليم عن الجائر لا يعاجله بالعقوبة وهذا وعيد ما لا يخفى ثم اكد الوعيد بالترغيب والترهيب فقال تلك حدود
الله وهو اشارة الى جميع ما ذكر في السورة من احكام اليتامى والوصايا والمواريث وغيرها وهي الشرائع التي لا يجوز للمكلف ان يتجاوزها
ويتخطاها الى ما ليس له بحق وقوله ومن يطع الله ومن يعص الله عام في جميع التكاليف وغيرها كما ان الوالد يجعل على الولد يوبخه في امر مخصوص
ثم يقول المقدم فلا تفعل ويكون مقصوده منعه من معصيته في جميع الامور وانما قيل يدخله وخالدين حملا على لفظ من ومعناه وانتصب خالدين
خالدا على الحال ولا يجوز ان يكون صفة لجنات ونارا لانهما جريا على غير من هما له فكان يلزم ان يقال خالدين هم فيها وخالدا هو فيها فالنار

المنزلة الآية تدل على القطع بوعيد الفساق وخلودهم وذلك ان التعدي في جميع حدود الله محال لان من حدوده ترك اليهودية والنصرانية والمجوسية
والتعدي فيها هو الاتيان بجميعها وذلك محال فالمراد تعدى اى حد كان ولان الآية مذكورة عقيب قسمة المواريث فيكون المراد التعدي
في هذه الحدود واجيب عنه بان ذلك مشروط عندكم بعدم التوبة فاى مانع لنا من ان نزيد فيه شرطا آخر وهو عدم العفو وبان الآية لعلها
مخصوصة بالكافر لان جميع الفساق يتبع استثناؤه من هذا اللفظ اى ومن يعص الله في كذا وفي كذا ولكن لا يتحقق الا في حق الكافر ونعم يخرج
منهما بخصصة بل عقلي كما ذكر من استحالة الجمع بين اليهودية والنصرانية ومما يؤكد كون الآية مخصوصة بالكافر ان قوله ومن يعص الله ورسوله
يفيد كونه فاعلا للمعاصي فلو كان المراد من قوله ويتعد حدوده ايضا ذلك لزم التكرار فوجب حمله على الكفر وان سلم ان المراد هو التعدي في حدود
المواريث فلعل المراد من التعدي هو اعتقاد كون هذا لا على وجه الحكمة والصواب فيلزم منه الكفر والله اعلم بمراده قوله عز من قائل واللاتي يأتين الفاحشة
الآية وجه النظم فيه ان التغليظ عليهن في باب الزنى من جملة الاحسان اليهن المأمور به في الآيات المتقدمة ومنه ان مدار الشرع على العدل
والانصاف والاحتراز في كل باب عن طرفي التفريط والافراط فلا ينبغي ان يصير الاحسان اليهن سببا لترك اقامة الحدود عليهن واللاتي جمع التي وقد يقال
اللائي بالهمزة واللواتي واللوائي فكأنهما جمعا الجمع وقد تحذف الياء من الاربعة وقد تسهل همزة اللاء بين الهمزة والياء لكونها مكسورة
لقراءة ورش واللاء بلا ياء المجيء وقد يقال اللائي بياء ساكنة بعد الالف من غير همز وقد يقال اللواء بحذف التاء والياء معا وقد يقال
اللات كاللاغات قال ابن الانباري العرب يقولون في الجمع من غير الحيوان التي كقوله اموالكم التي جعل الله لكم قياما وفي هذه الآية
اللاتي لان الجمع من غير الحيوان سبيله سبيل الشيء الواحد بخلاف جمع الحيوان فان كل واحد منها يتميز عن غيره بخواص وصفات ومن العرب من
يلحق هذا الفرق والفاحشة الفعلة المتزايدة في القبح مصدر كالعافية واجمعوا على انها الزنى ههنا قال المحققون حصر هذا العمل بالفاحشة
لان القوى البدنية نطقية وغضبية وشهوية ومفسدة الاولى الكفر والبدعة واشباههما ومفسدة الثانية القتل بغير حق ونحوه ومفسدة الثالثة
الزنى واللواط والسحق وما اشبهها وهذه اخس الجميع ومعنى من نسائكم من زوجاتكم او من الحرائر من نسائكم المؤمنات والثيبات اقوال فا
ستشهدوا عليهن اربعة منكم احتياطا لامر الزنى والمراد بقوله منكم اى من رجالكم قال الزهري مضت السنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والخليفتين
بعده ان لا يقبل شهادة النساء في الحدود وان شهدوا وافصحوا معتبرا كقولهم رأيناه ادخل ذكره في فرجها كالمرود في المكحلة او كالرشاء في البئر
ولا يقع ذلك من الوصف بالتعريض لا يقتضي عرضه كالحبس ولا مع تحليل عالم كالمتعة ولا بشبهة فامسكوهن في البيوت فخلدوهن محبوسات في بيوتكم
حتى يتوفاهن الموت اى ملائكة الموت او حتى يأخذهن الموت ويستوفي ارواحهن او يجعل الله لهن سبيلا بالنكاح او بالحد واللذان يأتيانها
منكم يعني الزاني والزانية او اللائط والملوط فآذوهما فوبخوهما او قولوا لهما اما استحييتما اما خفتما الله اما كفاكما في النكاح متعة عن
فان تابا واصلحا وغيرا الحال فاعرضوا عنهما فاقطعوا التوبيخ والذم او خوطب الشهود الذين عثروا على سرهما ان يهددوهما بالرفع الى الامام والحد
فان تابا قبل الرفع الى الامام فاعرضوا عن التعرض على الامام واعلم ان للعلماء خلافا في الآيتين فعن الحسن ان الثانية مقدمة في النزول فامر باذى
الزانيين اولا ثم امر بامساك النساء في البيوت الى ان يتبين امر الحد قال السدي المراد بهذه الآية البكر من الرجال والنساء وبالآية الاولى
الثيب وعن ابي مسلم ان الآية الاولى في السحاقات وحدها الحبس الى الموت الا ان يجعل الله لهن سبيلا والثانية في اللائطين وحدهما الاذى بالقول
والفعل والدليل على ذلك تذكير اللذان ولفظ منكم اى من رجالكم كما في قوله اربعة منكم واما الزنى من الرجل والمرأة فدليله سورة النور
وحده في البكر الجلد وفي المحصن الرجم وعلى هذا لا يلزم نسخ شيء من الآيات ولا تكرار الشيء الواحد في الموضع الواحد مرتين وزيف قول ابي مسلم
بانه قول لم يقل به احد وبان الصحابة اختلفوا في احكام اللواطة ولم يتمسك احد منهم بهذه الآية وعدم تمسكهم بها مع شدة احتياجهم الى
نص يدل على هذا الحكم دليل على ان الآية ليست في اللواطة اجاب ابو مسلم بانه قول مجاهد وهو من اكابر المفسرين على انه تقرر في الاصول ان استنباط
تأويل جديد جائز وبانه كان مطلوب الصحابة معرفة حد اللوطي وليس ذلك في الآية ولا دلالة عليه بالنفي والاثبات فمطلق الاذى لا يصلح حدا
وجمهور المفسرين على ان الآيتين في الزنى وانهما منسوختان ثم ذكر مسلم في كتابه عن عبادة بن الصامت كان نبي الله صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه كرب لذلك
وتربد له وجهه فانزل عليه ذات يوم فلقي كذلك فلما سري عنه قال خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة والثيب
بالثيب جلد مائة والرجم ثم استقر الامر على ان البكر يجلد وينفى والثيب يرجم فقط فقيل ان هذه الآية صارت منسوخة بآية الجلد
وعن ابي حنيفة ان آية الحبس نسخت بالحديث والحديث منسوخ بآية الجلد وآية الجلد نسخت بدلالة الرجم وقال في الكشاف من الجائز ان لا
يكون الآية منسوخة بان يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصى بامساكهن بعد ان يحددن صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن
بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال وقال الشيخ ابو سليمان الخطابي في معالم السنن انه لم يحصل النسخ في الآية ولا في الحديث وذلك ان
الآية تدل على ان امساكهن في البيوت ممدود الى غاية ان يجعل الله لهن سبيلا ثم ان ذلك السبيل كان مجملا فلما قال خذوا عني الثيب بالثيب الرجم
والبكر بالبكر الجلد والنفي صار هذا الحديث بيانا لتلك الآية لا ناسخا لها وصار ايضا مخصصا لعموم آية الجلد والله اعلم ثم علم من الجزء المتصفين لعدم
فقال انما التوبة على الله واجبة وجوب لو عدم لكم لا اوجبا بمقتضى كرمه للذين يعملون السوء بجهالة قال اكثر المفسرين كل من عصى الله

فهو جاهل وفعله جهالة ولهذا قال موسى أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين لأنه حينئذ لم يستعمل ما معه من العلم بالعقاب والثواب كما أنه لا علم
له وبهذا التفسير يكون المعصية مع العلم بأنها معصية جهالة وقيل المراد أنه جاهل بعقاب المعصية وقيل المراد أنه يكون جاهلاً بكونها
معصية لكنه يكون متمكناً من تحصيل العلم بكونها معصية ولهذا أجمعنا على أن اليهودي يستحق على يهوديته العقاب وإن كان لا يعلم كون اليهودية
معصية لأنه متمكن من تحصيل العلم بكون اليهودية ذنباً ومعصية وأن النائم والساهي لا يستحق العقاب لأنه لا يصح عنه متمكن من العلم
بكونه قبيحاً أما المتعمد فإنه لا يكون داخلاً تحت الآية وإنما يعرف حاله بطريق القياس وهو أنه لما كانت التوبة على الجاهل واجبة فلأن يكون
واجباً على العامد أولى لأنه عالم بقبح تلك المعصية أما قوله ثم يتوبون من قريب فقد أجمعوا على أن المراد من هذا القريب قبل حضور زمان الموت
ونزول سلطانه ومعاينة أهواله وإنما كان ذلك الزمان قريباً لأن الأجل آت وكل ما هو آت قريب ولأن مدة عمر الإنسان وإن طالت فإنها بالنسبة
إلى طرفي الأزل والأبد كالعدم ولأن الإنسان يتوقع في كل لحظة نزول الموت به وما هذا حاله فإنه يوصف بالقرب ومن في من قريب لابتداء
الغاية أي يجعل مبتدأ توبته من زمان قريب من المعصية أو للتبعيض أي يتوبون بعض زمان قريب كأنه سمى ما بين وقوع المعصية وبين حضرة الموت
زماناً قريباً لما قلنا أن من تاب من أجزاء هذا الزمان فهو تائب من قريب وإلا فهو تائب بعيد الآية الأخرى وهي قوله حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني
تبت الآن مبينة أن وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة فبقي ما وراء ذلك في حكم القريب وفي مثله قوله ﷺ إن الله يقبل توبة العبد ما لم
يغرغر والفائدة في قوله فأولئك يتوب الله عليهم بعد قوله إنما التوبة على الله أن الأول إعلام بأنه يجب على الله قبولها لزوم الكرم والفضل
والإحسان والثاني إخبار بأنه سيفعل ذلك أو المراد بالأول التوفيق للتوبة والإعانة عليها وبالثاني قبولها وكان الله عليماً بأنه إنما أتى بتلك
المعصية لاستيلاء الشهوة والغضب والجهالة عليه حكيماً يجب في كرمه قبول توبة العبد إذا تاب من قريب قال المحققون قرب الموت هو وقوعه في الشدة
بحيث يغلب على ظنه نزول الموت كما في الغرق وفي حالة الطلق وعند تلاطم الأمواج مع انكسار السفينة لا يمنع من قبول التوبة بل التوبة حينئذ أولى بالقبول
لقوله أمن يجيب المضطر إذا دعاه وإنما المانع من قبولها معاينة سلطان الموت ومشاهدة أحواله وأهواله بحيث يصير معرفته بالله ضرورية
كما لأهل الآخرة وحينئذ يسقط التكليف عنه ولم ينفع توبته لتمام الاحتياط وإفضاء الأمر إلى حد الإلجاء والاضطرار وههنا بحث للأشاعرة وهو أن
أهل القيامة لا يشاهدون إلا أنهم صاروا أحياء بعد أن كانوا أمواتاً ويشاهدون أهوال القيامة فيستدلون بها على وجود الفاعل فكيف
يكون ذلك العلم ضرورياً وبتقدير كونه ضرورياً فلم يمنع ذلك صحة التكليف وذلك أن العبد مع علمه الضروري بوجود الإله المثيب المعاقب قد يقدم
على المعصية لعلمه بأنه كريم وأنه لا تنفعه طاعة العبد ولا تضره ذنوبه وأيضاً العلم النظري هو الذي لا يكون معه تجويز نقيضه وعلى هذا فلا فرق
بينه وبين الضروري لقوته وعلى هذا فكيف يصير النظري موجباً للتكليف والضروري مانعاً من التكليف فثبت ضعف هذا الفرق وأنه تعالى
يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فهو يفضله وعد بقبول التوبة في بعض الأوقات ثم بعدله أخبر عن عدم قبول التوبة في وقت آخر وله أن يقلب الأمر
فيجعل المقبول مردوداً والمردود مقبولاً ولا يسئل عما يفعل وأقول التحقيق فيه أنه مالك الملك يتصرف في ملكه كيف يشاء وقوله صدق والأمر
حق وقد عين للتوبة وقتاً معيناً وقد أخبر أنه جعل الدنيا دار العمل والعقبى دار الجزاء وليس لأحد عليه اعتراض أنه لم يعكس الأمر
أن لليقين مراتب علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فليس ببعيد أن لا يكون علم اليقين منافياً للتكليف ويكون عين اليقين منافياً
له ثم عطف قوله ولا الذين يموتون على الذين يعملون السيئات تسوية بين الذين سوفوا توبتهم إلى حضرة الموت وبين الذين ماتوا على
الكفر في أنه لا توبة لهم لأن حضرة الموت أول أحوال الآخرة فكما أن المائت على الكفر قد فاتته التوبة على اليقين فكذلك المسوف إلى حضرة الموت
لمجاوزة كل منهما الحد المضروب للتوبة أو المعنى أنه كما أن التوبة عن المعاصي لا تقبل عند القرب من الموت كذلك الإيمان لا يقبل عند القرب من الموت
أو المراد أن الكفار إذا ماتوا على الكفر فلو تابوا في الآخرة لا يقبل توبتهم أولئك أعتدنا أي أعددنا في الوعيد نظير قوله فأولئك يتوب الله
عليهم في الوعد ليتبين أن الأمرين كليهما بيان لأحكامه فإن قلت الوعيد المعطوف مغاير للمعطوف عليه لكن الطائفة الثانية كفار فالأولون
فساق لكنهما مشتركان في العذاب لأنهم مثبتان حكمهما واحد الجمع بين أولئك إشارة إلى أقرب المذكورين وبعضهم أن الكفار أشنع
من الفساق أو الطائفة الأولى هم الذين ماتوا على الكفر ثم تابوا في حضرة الموت كفرعون والثانية هم الذين ماتوا على الكفر فهما نوعا
كفر ونحوه قوله سبحانه يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً من ههنا شرع في النهي عما كانوا عليه في الجاهلية من إيذاء
النساء بصنوف من العذاب وضروب من البلاء وذلك أنواع الأول قوله لا يحل لكم أن ترثوا النساء فيه قولان أحدهما أن الوراثة تعود إلى المال أي لا يحل
لكم أن تمسكوهن حتى يمتن فترثوا أموالهن وممن كان منهم كارهاً لإمساكهن وثانيهما أنها ترجع إلى أعيانهن وكانوا إذا مات الرجل وله امرأة جاء ابنه
من غيرها أو بعض أقاربه فألقى ثوبه عليها وقال أنا أحق بها من نفسها ومن غيرها فإن شاء تزوجها بغير صداق إلا الصداق
الأول الذي أصدقها الميت وإن شاء زوجها من إنسان آخر وأخذ صداقها ولم يعطها منه شيئاً قرأت النوع الثاني ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض
ما آتيتموهن قال أكثر المفسرين كان الرجل منهم يكره زوجته ويريد مفارقتها فيسيء العشرة معها ويضيق الأمر عليها حتى تفتدي منه نفسها
وتختلع فنهوا عن ذلك وقيل إنه خطاب للوارث وأن يمنعها من التزويج لمن شاءت من الأزواج لتبذل المهر الميت ما أخذت من الميراث كما كان

يفعله اهل الجاهلية وقيل انه نهي للاوتياء عن عضل المرأة او للازواج كما في سورة البقرة قال في الكشاف اعراب ولا تعضلوهن النصب عطفا على ان ترثوا
ولا لتأكيد النفي قلت الظاهر انه النهي عطفا لامر وهو قوله وعاشروهن ومن عطفه صاحب الكشاف نظر الى ما قبله وقد ما بعده الا ان يأتين بفاحشة
مبينة من قرأ بالفتح فلان الفاحشة لا عمل لها في الحقيقة وانما الله تعالى هو الذي بينها او الشهود الاربعة هم يبينونها ومن قرأ بالكسر فلانها اذا تبينت فكأنها
صارت تبين بالبينات كقوله انهن اضللن كثيرا من الناس لما صرن اسبابا للضلال ثم انه استثناء متصل من اعم الاحوال اي لا تحل لكم ان تحبسوهن
ضرارا لتذهبوا الا اذا نشزن فحل لزوجها ان يسألها الخلع كان الرجل اذا اصاب امرأته فاحشة اخذ منها ما ساق اليها واخرجها وقيل استثناء
من العضل فهو اعم من حبسهن في بيوت الاولياء والازواج الا ان يأتين بالفاحشة ومن هؤلاء القائلين من زعم ان هذا الحكم منسوخ بآية الجلد وقيل الفاحشة
هي النشوز وشكاسة الخلق اي الا ان يكون سوء العشرة من جهتهن فانهم معذورون في طلب الخلع النوع الثالث من التكاليف المتعلقة باحوال النساء
وعاشروهن بالمعروف وهو الاجمال في القول والانصاف في المبيت والنفقة فان كرهتموهن ورغبتم في فراقهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله
فيه خيرا كثيرا فههنا فقد يميل طبعكم الى المفارقة ويكون الخير في الاستمرار على المواصلة منه الثناء في الدنيا بحسن الوفاء وكرم الخلق ومنه الثواب
في العقبى بالصبر على خلاف الهوى ومنه حصول ولد نجيب مثل الكثير المرجح في صحبتها قال عليه السلام الشوم في المرأة والفرس والدار وقيل المعنى ان عنيتم مفارقتهن
فربما جعل الله في تلك المفارقة لهن خيرا كثيرا بان تتخلص من زوج سيء العشرة وتجد زوجا خيرا منه النوع الرابع من التكاليف وان اردتم استبدال
زوج مكان زوج وذلك انه لما اذن في مضارتهن اذا اتين بفاحشة بين تحريم المضارة في غير حالة الفاحشة روي ان الرجل منهم كان اذا مال الى التزوج
بامرأة اخرى رمى زوجته الاولى بالفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج المرأة التي يريدها فنهوا عنه والقنطار المال العظيم
وفيه دليل على جواز المغالاة في المهر روي ان عمر قال على المنبر الا لا تغالوا في مهور نسائكم فقامت امرأة وقالت يا ابن الخطاب الله يعطينا وانت تمنع و
تلت هذه الاية فقال عمر كل الناس افقه من عمر ورجع عن ذلك ويحتمل ان يقال ان اتيا القنطار وارد على سبيل المبالغة والفرض لا الوقوع وهو
موضع الحال اي قد اتيتم ومعنى الايتاء الالتزام ووقوع العقد عليه سواء ادى المال اليها ام لا واعلم ان النشوز ان كان من قبل الزوجة حل اخذ
مال الخلع وان كان من قبل الزوج لم يحل الا انه يفيد الملك لو خالع كالبيع وقت النداء منهي عنه ثم انه يفيد الملك أتأخذونه استفهام
بطريق الانكار بهتانا وهو ان يستقبل الرجل بامر قبيح يقذفه به وهو بريء منه لانه يبهت عنده اي يتحير وفي الحديث اذا واجهت اخاك بما
ليس فيه فقد بهته وهو مصدر في موضع الحال اي باهتين وآثمين او على انه مفعول له مثل قعدت جبنا وقيل بنزع الخافض اي ببهتان وقيل بمعنى اي
تصيبون بهتانا وسبب تسمية هذا الاخذ بهتانا انه تقدم منه اعطاء ذلك المهر لها بسبب رضاه فكانه يقول لها بعد ذلك القرض فيكون بهتانا او انه عند
العقد تكفل بتسليم ذلك المهر اليها وان لا ياخذه منها فاذا اخذه منها كان القول الاول بهتانا اي باطلا وكان من عادتهم انهم اذا ارادوا تطليق زوجة
رموها بفاحشة حتى تخاف وتفتدي فلما كان هذا الامر واقعا على هذا الوجه في الاغلب سيق الكلام على ذلك وبالحقيقة ان اخذ هذا المال طعن في ذاتها
من حيث انه مشعر بانها قد اتت بفاحشة وقبض على مالها فهو بهتان من جهة ظلم من جهة وعضل المرأة عقاب فهو بهتان والاثم كقوله انما ياكلون
في بطونهم نارا ثم عجب من الاخذ منهم فقال وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض عن ابن عباس ومجاهد والسدي واختاره الزجاج وابن
قتيبة والمذهب الشافعي ان المراد بالافضاء الجماع اذ الفضاء الساحة ويقال افضيت اذا خرجت الى الفضاء وهذا المعنى انما يحصل في الحقيقة
عند الجماع وقيل الافضاء ان يخلو بها وان لم يجامعها وهو قول الكلبي واختاره الفراء وهو اختيار مذهب ابي حنيفة ان الخلوة الصحيحة تقرر المهر ورجح
مذهب الشافعي بان الكلام وقع في معرض التعجب فلابد ان يكون هذا الافضاء سببا قويا في حصول الالفة والمودة وذلك هو الجماع لا مجرد الخلوة
وايضا الافضاء الابدان يكون مفعولا بفعل ينتهي منه اليها لان كلمة الى لانتهاء الغاية ومجرد الخلوة ليس كذلك اذا لم يحصل فعل من احدهما الى الآخر
فان قيل على هذا يجب ان يكون التلامس والاضطجاع في لحاف واحد كافيا في تحقق الافضاء وانتم لا تقولون به فالجواب انه باطل بالاجماع اذ الكل
قائلان قائل بتقرير الافضاء بالاجماع وقائل بتقريره بمجرد الخلوة وايضا الشرع قد علق تقرر المهر بتحقق الافضاء وقد اشتبه معناه انه الخلوة او
الجماع فوجب الرجوع الى ما قبل زمان الخلوة ومقتضى ذلك عدم تقرر المهر ثم اكد المنع من استرداد المهر بقوله وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال
السدي وعكرمة والفراء هو قولكم تزوجتك هذا المهر على ما اخذ الله للنساء على الرجال من امساك بمعروف او تسريح باحسان ومعلوم انه اذا الجأها الى
ان تبذل المهر فقد سرحها بالاساءة وقال ابن عباس ومجاهد الميثاق الغليظ كلمة النكاح المعقود على الصداق واليها اشار في الحديث واستحللتم
فروجهن بكلمة الله وقال آخرون واخذن منكم بسبب افضاء بعضكم الى بعض ميثاقا غليظا ووصفه بالغلظ لقوته فقد قالوا صحبة عشرين يوما قرابة
فكيف بما يجري بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج النوع الخامس من التكاليف المتعلقة باحوال النساء قوله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم قال ابن عباس
وجمهور المفسرين كان اهل الجاهلية يتزوجون بازواج ابائهم فنهوا عن ذلك وههنا مسألة خلافية قال ابو حنيفة يحرم على الرجل ان يتزوج بمزنية
ابيه وقال الشافعي لا يحرم حجة ابي حنيفة ان النكاح عبارة عن الوطء لقوله حتى تنكح زوجا غيره وبالاتفاق لا يحصل التحليل بمجرد العقد
ولقوله وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح اي الوطء لان اهلية العقد حاصلة ابدا ولقوله الزاني لا ينكح الا زانية ولقوله عليه السلام ناكح اليد
ملعون فيدخل في الاية المزنية لانها منكوحة اي موطوءة وعورض بالآيات الدالة على ان النكاح هو العقد كقوله وانكحوا الايامى منكم ما طاب

فانكحوا

لكم من النساء وبقوله النكاح سنتي ولا شك ان الوطي من حيث انه وطي ليس سنة له وبقوله ولدت من نكاح لا من سفاح وبانه من ملعون ولا ذكر
انهم لعبوا من اولاد النكاح لم يبحث سلمنا ان الوطي سمي بالنكاح لكن العقد ايضا مسمى به فلم كان حمل الآية على ما ذكر اولى من حملها على ما ذكرتم مع
اجماع المفسرين على ان سبب نزول الآية هو العقد لا الوطي فالواجب هو في الوطي مجاز في العقد كما نص في اللغة المتم وهذا المعنى حاصل في الوطي لا في العقد
وانما اطلق النكاح على العقد اطلاقا لاسم المسبب على السبب فالحمل على الحقيقة اولى او مشترك بينهما ولا يجوز استعماله في مفهوميه معا فيكون الآية
نهيا عن الوطي وعن العقد معا او لا يجوز استعماله في المفهومين فيكون نهيا عن القدر المشترك بينهما وهو الضم والنهي عن المشترك يكون
نهيا عن المفهومين فان النهي عن التلوين يكون نهيا عن التسويد والتبييض لا محالة واجيب بانه مخالف لاجماع المفسرين وبان استعمال اللفظ المشترك في كلا
مفهوميه غير جائز وبان معنى الضم لا يتصور في العقد سلمنا ان النكاح بمعنى الوطي ولكن لم قلتم ان قوله ما نكح لا تم انها موصولة لانها حقيقة في غير العقلاء
وانما هي مصدرية التقدير ولا تنكحوا نكاح ابائكم فان نكاحهم كان بغير ولي وشهود وكان مرة ومهر فنهوا عن مثل هذا الانكحة قاله محمد بن جرير الطبري
سلمنا ان المراد لا تنكحوا من نكح اباؤكم ونكاحا لا تم ان من يفيد العموم واذا لم تفد العموم لم تتناول محل النزاع لكن لم قلتم ان النهي للتحريم لا للتنزيه سلمنا ان
النهي للتحريم لكن لا تم انه غير صحيح لان النهي عندكم لا يدل على الفساد كما في البيع الفاسد في صوم يوم النحر واذا كان منعقدا كان صحيحا ثم انا
نستدل على جواز نكاح مزنية الاب بقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن فهي في نكاحهن الى غاية نفي بما هو في هذا بمقتضى جواز نكاحهن بعد
ذلك الغاية على الاطلاق مزنية كانت او غيرها الا ما اخرجه الدليل وكذا سائر العمومات كقوله واحل لكم ما وراء ذلكم وكقوله اذا جاءكم
من ترضون دينه فزوجوه وقوله زوجوا بناتكم الاكفاء وبقوله الحرام لا يحرم الحلال فيحصل التخصيص منهما او نوع خطرة من الحرج في انا من الماء
محرمة لا يمنع من لا شدة لا يصح غيره وقد ناظر الشافعي محمد بن الحسن في هذه المسألة فوضح خيم الكلام على قول الشافعي بوطي حدثه وعلى حدث به وكيف
يشبهها ان اما قوله تعالى الا ما قد سلف فللمفسرين فيه وجوه احسنها ما ذكره السيد صاحب حل العقد انه على المعنى فان النهي يدل على المؤاخذة بارتكاب
المنهي عنه فكانه قيل انتم مؤاخذون بنكاح ما نكح اباؤكم الا ما قد سلف قبل نزول آية التحريم فانه معفو عنه وقال في الكشاف هذا كما استثني غير ان
سيوفهم من قوله ولا عيب فيهم يعني ان امكنكم ان تنكحوا ما قد سلف فانكحوه فانه لا يحل لكم غيره وذلك غير ممكن والغرض المبالغة في تحريمه كقوله حتى
يلج الجمل في سم الخياط وقولهم حتى يبيض القار وقيل استثناء منقطع لانه لا يجوز استثناء الماضي من المستقبل والمعنى لكن ما قد سلف فان الله
يتجاوز عنه وقيل الا بمعنى بعد كقوله لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى اي بعد موتتهم الاولى وقيل الا ما قد سلف فانكم مقرون عليه قالوا انه
اقرهم عليهن مدة ثم امر بمفارقتهن وانما فعل ذلك ليكون صرفهم عن هذه العادة على سبيل التدريج وضعف بعضهم هذا القول قال ما اقر احدا على نكاح
امرأة ابيه وان كان في الجاهلية وروي انه بعث ابا بردة الى رجل عرس بامرأة ابيه ليقتله ويأخذ ماله انه اي ان هذا النكاح كان قبل النهي فاحشة عند
الله ثم ان هذا الفعل كان ابدا ممقوتا عند العرب وهذا النكاح بعد النهي فاحشة في الاسلام لانه كان في علم الله وحكمه موصوفا بهذا الوصف
والمقت عبارة عن بغض مقرون باستحقار حصل ذلك بسبب امر قبيح ارتكبه صاحبه وهو من الله تعالى في حق العبد يدل على غاية الخزي والخسار قال ثم
مراتب القبح ثلث في العقول وفي الشرع وفي العادة فالفاحشة اشارة الى القبح العقلي لان زوجة الاب تشبه الام والمقت اشارة الى القبح العادي وسا
فعل ذم وفاعله ضمير مبهم يفسره المنصوب بعده والله تعالى اعلم التأويل الوراثة الدينية ايضا سبب نسب لسبب هو الارادة بطريق خرقة المشايخ والنسب
بهم والنسب هو الصحبة معهم بالتسليم لتصرفاتهم لانهم ظاهرا وباطنا مستسلما لاحكام التسليك والتربية ليتولد السالك بالنشأة الثانية
من صلب ولايتهم ومن هنا قال الانبياء اخوة من علات امهاتهم شتى ودينهم واحد انا بنو وارث اهل الدين على ذلك فلقائهم السببية النسبية
والذكورة والانوثة في الجد والاجتهاد وحسن الاستعداد وبتوارثهم العلوم الدينية واللدنية كقوله العلماء ورثة الانبياء وقول موسى للخضر هل
اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم اي النفوس الامارة بالسوء فاستشهدوا عليهن اربعة منكم اي من
خواص العناصر الاربعة التي انتم منها مركبون وهي التراب ومن خواصها الخسة والذلة والمائة ومن خواصه اللين والانوثة والشره والهواء ومن خواصه
الحرص والحسد والبخل والشهوة والنار ومن خواصها الكبر والغضب وحب الرياسة فان شهدوا بان تظهر بعض هذه الصفات من النفوس فامسكوهن
في البيوت في سجن الدنيا واغلقوا عليهن ابواب الحواس الخمس حتى يتوفاهن الموت بالانقطاع عن حظوظها دون حقوقها او يجعل الله لهن سبيلا
بانفتاح روزنة القلوب الى عالم الغيب واللذان يأتيانها منكم اي النفس والقالب يأتيان من الفواحش ظاهرا في الاعمال وباطنا في الاحوال
والاخلاق فآذوهما ظاهرا بالحدود وباطنا بالرياضات وترك الحظوظ فاعرضوا عنهما باللطف بعد العنف وبالبر بعد الضر بجهالة اي بصفة
الجهولية وهي من اخلاق الظلومية لان الظلومية تقتضي المعصية والاصرار عليها والجهولية تقتضي المعصية بحسب فعل السوء اذا كان صدر
الجهولية بحسب يكون على عقبه التوبة كما قال ثم يتوبون من قريب اي عقيب المعصية قال اتبع السيئة الحسنة تمحها والحسنة التوبة ويحملان
بفعال من قريب اي قبل ان يموت القلب بالاصرار فان الله لا يقبل التوبة من قلب ميت لا فانكم واضطربتم بالكسالا اخبارية بالجنان ولا
تنكحوا ما نكح اباؤكم هذا اشارة الى النهي عن التصرف في السفليات التي هي الامهات المتصرف فيها ابائكم العلوية الا
ما قد سلف من التدبير الالهي في ازدواج الارواح لضرورة اكتساب الكمالات فاذا تركون الى العالم السفلي يوجب مقتا لكم والله اعلم

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ

اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ

اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ

تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ۞ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ

أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ

فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۞ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ

أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَ

آتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ

فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۞ وَاللَّهُ يُرِيدُ

أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ۞ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ

وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ

تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۞ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا

فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۞ القراءة والمحصنات كل القرآن بكسر الصاد الا الاول والمحصنات من النساء

علي الباقون بالفتح واحل مبنيا للمفعول يزيد وحمزة وعلي وخلف

وعاصم غير ابي بكر وحفص الباقون مبنيا للفاعل احصن بفتح الهمزة والصاد حمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص الباقون احصن بضم الهمزة وكسر

الصاد تجارة بالنصب حمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص الباقون بالرفع الوقوف نطلبهن الاولى لابتداء الشرط مع اتحاد المقصود فلا جناح عليكم

لذلك فان جملة الشرط معترضة اصلابكم للعطف سلف رحيما للعطف لجزء الخامس ايمانكم لان كتاب الله يحتمل ان يكون مصدرا لنهي محذوف في معنى الكتابة ويحتمل

مصدرا محذوفا اي كتب الله كتابا والاحسن ان يكون مفعولا لعامل محذوف اي الزموا كتاب الله من قرأ واحل بالفتح لم يحسن الوقف لان على عليكم للعطف على كتب ومن قرأ

واحل بالضم عطفا على حرمت جاز له الوقف لطول الكلام مسافحين لابتداء حكم المستمتع فريضة العزيمة حكيما فتياتكم المؤمنات بايمانكم من بعض للعطف

المختلفين اخدان لذلك من العذاب لعنت منكم خير لكم رحيم ويتوب عليكم حكيم عظيما عنكم لانقطاع النظم مع اتحاد المعنى اي يخفف لضعفكم

ضعيفا انفسكم رحيما نارا يسيرا التفسير انه سبحانه نص على تحريم اربع عشرة صنفا من النسوة سبعة من جهة النسب وهي الامهات والبنات والاخوات

والعمات والخالات وبنات الاخ وبنات الاخت وسبعة اخرى لا من جهة النسب الامهات من الرضاعة والاخوات من الرضاعة وامهات النساء والربائب

النساء بشرط الدخول بالنساء وازواج الابناء والاباء وهذه في الاية المتقدمة والجمع بين الاختين والمحصنات من النساء وذهب الكرخي الى ان هذه الاية

بجملة لانه اضيف التحريم فيها الى الامهات والبنات والتحريم لا يمكن اضافته الى الاعيان وانما يمكن اضافته الى الافعال وذلك غير مذكور في الآية فلابد من اضافة
هذا التحريم الى بعض الافعال التي يمكن ايقاعها في ذوات الامهات والبنات وليس بعض منها اولى من بعض فهذا معنى الاجمال والجواب من المعلوم بالضرورة من عرف العربية ان المراد منه تحريم
نكاحهن والاستمتاع بهن لتقدم قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم وعنه قوله لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث فانه لا شبهة ان المراد لا يحل اراقة دمه ثم ان قوله حرمت
انشاء للتحريم كقول القائل بعت وطلقت لا اخبار عن التحريم في الزمان الماضي ولا شبهة ان المحرم هو الله تعالى كقوله بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور وكما
ان تلك الحرمة ثابتة بالذات لمن هذا من الامر بالتبعيد والاصل في كل حكم هو الاستمرار والثابت ما لم يظهر ناسخ والقرينة تدل على ان المراد انه تعالى حرم على كل امة
امه وبنته خاصة واعلم ان حرمة الامهات والبنات كانت ثابتة من زمان آدم الى هذا الزمان ولم يثبت حل نكاحهن في شيء من الاديان الا ان زردشت نبي المجوس بزعمهم
قال بحله الا ان اكثر المسلمين اتفقوا على انه كان كذابا اما نكاح الاخوات فقد نقل ان ذلك كان مباحا في زمان آدم عليه السلام وانه ذلك للضرورة وبعض المسلمين ينكره ويقول
انه تعالى بعث الحور من الجنة حتى زوج بهن ابناء آدم وهو بعيد عليه لان النسل حينئذ لا يكون محض اولاد آدم وذلك بالاجماع باطل قال العلماء السبب في تحريم الامهات والبنات
ان الوطء اذلال واهانة فانه فلا يليق بالاصل والحرمة والامهات جمع الام والهاء زائدة وقد تزاد في مثل وامهة وقد يجمع على امات وقد يقال الامهات للاناسي
والامات للبهائم وكل امرأة رجع نسبك اليها بالولادة من جهة ابيك او من جهة امك بدرجة او درجات باناث رجعت اليها او بذكور فهي امك ثم لا اشكال ان لفظ الام حقيقة
في التي ولدتك اما في الجدة فيحتمل ان يكون حقيقة ويصح ان يكون اللفظ متواطئا فيهما ان كان موضوعا بازاء معنى مشترك بينهما ويكون الآية نصا في تحريمهما او يكون
مشتركا بينهما وجوز استعمال اللفظ المشترك في كلا مفهوميه فالآية نص في تحريمهما ايضا والاظهر ان تحريم الجدات مستفاد من الاجماع والثاني
انه تكلم الجدة الا انه ... لكل من المفهومين كذا الكلام ان قلنا ان الام حقيقة في الوالدة مجاز في الجدات قال الشافعي اذا تزوج الرجل بامرأة ودخل بها او لم
الجد وقال ابو حنيفة لا يلزم حجة الشافعي ان هذا النكاح مثمر عشيا بامرأة واحدة لكونه محرما قطعا في حكم الشرع فيكون اطلاقها نصا الصنف الثاني
المحرمات البنات ويراد بهن كل انثى رجع نسبها اليك بالولادة بدرجة او درجات باناث او بذكور والكلام في ان اطلاق لفظ البنت على بنت الابن وبنت البنت حقيقة
او مجاز كما مر في الامهات قال ابو حنيفة البنت المخلوقة من ماء الزنا تحرم على الزاني وقال الشافعي لا تحرم لانها ليست بنتا له شرعا لقوله الولد للفراش
وهذا يقتضي حصر النسب في الفراش ولانها لو كانت بنتا له لاخذت الميراث ولثبتت له ولاية الاجبار عليها ولوجبت عليه نفقتها وحضانتها ولحل الخلوة بها لكن
التوالي باطلة بالاتفاق فكذا المقدم واحتج ابو حنيفة بان ... كونها بنتا له بناء على الحقيقة وهي كونها مخلوقة من مائه او بناء على حكم الشرع والاول
باطل على مذهبكم طردا وعكسا اما الطرد فهو انه اذا اشترى جارية بكرا وافتضها وحبسها في داره الى ان ولدت فهذا الولد معلوم انه مخلوق من مائه قطعا مع انه لا يثبت
نسبه الا عند الاستلحاق واما العكس فهو ان المشرقي اذا تزوج بالمغربية وحصل هناك ولد فانه يثبت النسب مع القطع بانه غير مخلوق من مائه والثاني ايضا باطل
باجماع المسلمين على انه لا نسب لولد الزاني من الزاني ولو انتسب اليه وجب على القاضي منعه الصنف الثالث الاخوات ويشمل الاخوات من الاب والام ومن الاب فقط
ومن الام فقط الصنف الرابع والخامس العمات والخالات قال الواحدي كل ذكر رجع نسبك اليه فاخته عمتك وقد يكون العمة من جهة الام وهي اخت اب امك وكل
انثى رجع نسبها اليك بالولادة فاختها خالتك وقد يكون الخالة من جهة الاب وهي اخت ام ابيك لا تحرم اولاد العمات والخالات الصنف السادس والسابع
بنات الاخ وبنات الاخت والقول فيهما كالقول في بنت الصلب الثامن والتاسع قوله وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة سمى المرضعات
امهات تشبيها كما سمي ازواج النبي امهات المؤمنين في قوله وازواجه امهاتهم ولو قال امهاتكم اللاتي ارضعنكم كقول القائل امهاتكم اللاتي كسونكم او اطعمنكم لا
كان نكرا او لقوله حرمت عليكم امهاتكم بل المراد ان الرضاع هو الذي بسببه تصير هي لا امومة ويعلم من تسمية المرضعة اما والمرضعة اختا انه تعالى
اجرى الرضاع مجرى النسب فالحرمة بسبب النسب سبع اثنتان بالولادة وهما الامهات والبنات وخمس بطريق الاخوة وهي الاخوات والعمات والخالات
وبنات الاخ وبنات الاخت فذكر من كل واحد من القسمين صورة واحدة تنبيها بها على الباقي ثم انه ذكر من قسم الولادة الامهات ومن قسم الاخوة الاخوات
الا انه اكد هذا البيان بصريح قوله يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب فظاهر الحديث مطابق للمفهوم من الآية وهذا بيان الصنف فامك من الرضاع كل انثى ارضعتك
او ارضعت من ارضعتك او ارضعت من ولدك من الآباء والامهات وولدت المرضعة او الفحل الذي منه اللبن بواسطة او بغير واسطة وبنتك من الرضاع
كل انثى ارضعت بلبنك او ارضعت بلبن من ولدته من الابناء والبنات واختك من الرضاع كل انثى ارضعتها امك او ارضعت بلبن ابيك او ولدتها المرضعة او الفحل
او الفحل الذي در لبنه على المرضعة وعمتك كل انثى من الرضاع من جهة الاب كل انثى ارضعت بلبن واحد من اجدادك او كانت اختا للفحل الذي ارضعت بلبنه
ومن جهة الام كل انثى هي اخت ارضعت بلبنه بواسطة او بغير واسطة وخالتك من الرضاع من جهة الام كل انثى هي اخت امك من الرضاع او اخت
ارضعتك من النسب او الرضاع ومن جهة الاب كل انثى هي اخت ام ابيك من الرضاع او النسب وبنات الاخوة والاخوات من الرضاع كل انثى ارضعتها
مرضعتك او بنتها او ولدها ابن الفحل الذي منه اللبن او بنته من الرضاع او النسب او ارضعتها اختك او ارضعت بلبن اخيك كان حكم بنات اولاد من
ارضعته امك او ارضعت بلبن ابيك بنات اولاد من الرضاع او النسب فالرضاع المحرم قد يبيح النكاح ممتنع اجتماعه وقد يطرأ عليه فيقطعه لو
كان احدهما الموضع وجب ان يكون امه فلبن البهيمة لا يثبت تحريما بين الذكر والانثى اللذين شربا منه وكذا لبن الرجل لانه لم يكون جنسه وهذا عند ابي حنيفة
وما الاصل انه يتعلق بلبن الميتة التحريم وان يكون محتملا للولادة بان بلغت تسع سنين ثم انها اللبن يتعلق به التحريم ولو تغير بحموضة او انعقاد
او اغلاء او اتخذ منه جبن او مخيض او اقط او ثرد به طعام او عجن به دقيق او خبز او خلط بمائع يحصل الاول او ... ان اللبن المحل وهو معنى الصبق

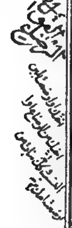

الحرمة اثر للعقد ولا بعد الحول بين الصلابين لا للوصول الى محله الصلب المباح لا يدرك ذلك من جهة شيئًا قوله لا يحرم المصّة والمصّتان ولا الرضعة والرضعتان
ولما روت عائشة عشر رضعات يحرمن وعند ابي حنيفة الرضعة الواحدة كافية الصنف العاشر قوله وامهات نسائكم ويدخل فيه الجدات من قبل الاب والام
الصنف الحادي عشر قوله وربائبكم اللاتي في حجوركم والربائب جمع ربيبة وهي بنت امرأة الرجل من غيره وسماها ربيبة لان الرجل يربها والحجور جمع حجر بالفتح والكسر وكونها
في حجره عبارة عن تربيته وهو مبني على الكلام على الغالب في مثل هو في حضانة فلان واصله من الحضن لكنه هو الابط وقال ابو عبيدة في حجوركم اي في بيوتكم
انه يجعل كونها في بيته وكونها في حجره شرطًا وهو ليس كلام حسن لان اسم الربيبة يطلق على الكلام اخرج مخرج الاعم الاغلب ثم اذا دخل بامها حرمت عليه
سواء كانت في تربيته او لم يكن انما اشتراط الدخول بامها فقوله من نسائكم اللاتي دخلتم بهن هو متعلق بربائبكم كما يقول بنات رسول الله من خديجة وفائدة
عدم اشتراط التربية فقوله فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم علق رفع الجناح بمجرد عدم الدخول وهذا يقتضي ان السبب لحصول الجناح هو مجرد الدخول
وذهب جمع من الصحابة الى ان ام المرأة انما تحرم بالدخول بامها وهو قول علي وزيد وابن عمر وابن الزبير وجابر واظهر الروايات عن ابن عباس وحجتهم انما يحرم انه تعالى ذكر جملتين
وهو قوله وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم ثم ذكر شرطًا وهو قوله من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فوجب ان يكون ذلك الشرط معتبرًا في الجملتين معًا
واما الاكثرون من الصحابة والتابعين فعلى ان قوله وامهات نسائكم جملة مستقلة بنفسها ولم يدل دليل على عود ذلك الشرط اليه لان تعلق الشرط بالثانية
وانما تعلق بالجملتين فلا حاجة الى تعليقه بالاولى لانه يعود الشرط الى الجملة الاولى وحدها باطل بالاجماع وكذا عوده اليهما معًا لان معنى من مع الاولى ابيا
وبعضيًا مع الثانية ابتدائية واستعمال اللفظ المشترك في مفهوميه معًا غير جائز نعم لو جعل من للاتصال كقوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم من بعض
امكن اعتبار الاتصال في النساء والربائب معًا فامهات النساء متصلات بالنساء لانهن امهاتهن كما ان الربائب متصلات بامهاتهن لانهن بناتهن الا ان فيه تعسف
فيه خلل من جهة اللفظ ومن جهة المعنى اما اللفظ فلان قوله وامهات نسائكم وكذا وربائبكم يكون في محل الرفع وقوله من نسائكم خبر او يقع بين المعطوف عليه فاصلة
لان قوله وحلائل ابنائكم وما بعده معطوف على فاعل حرمت واما من جهة المعنى فلان الحكم بالاتصال والاتحاد يقتضي التعليل لا الذي هو ظاهر ومما يدل على ان
الجملة الاولى مرسلة ما روي عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا نكح الرجل امرأة فلا يحل له ان يتزوج امها دخل بالبنت او لم يدخل واذا تزوج بالام
فلم يدخل بها ثم طلقها فان شاء تزوج البنت وكان عبد الله بن مسعود يفتي بنكاح ام المرأة اذا طلق بنتها قبل المسيس وهو يومئذ بالكوفة فاتفق ان ذهب الى المدينة
فصادفهم مجمعين على خلاف فتواه فلما رجع الى الكوفة لم يدخل داره حتى ذهب الى ذلك الرجل وقرع عليه الباب فامره بالنزول عن تلك المرأة وعن سعيد بن المسيب
ان زيد بن ثابت قال ان الرجل اذا طلق امرأته قبل الدخول فله ان يتزوج امها فان ذلك ان ماتت عنده لم يتزوج امها اقام الموت مقام الدخول في التحريم
كما قام مقامه في باب المهر والدخول بهن كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب يعني ادخلتموهن الستر والباء للتعدية وقد تقدم ان الخلوة الصحيحة
عند ابي حنيفة تقوم مقام الدخول وقد تمسك ابو بكر الرازي بالاية في اثبات ان الزنا يوجب حرمة المصاهرة قال لان الدخول بها اسم لمطلق الوطء من نكاح
كان او من سفاح ورد بان تقديم قوله من نسائكم يوجب تخصيص الوطء بالحلال الصنف الثاني عشر قوله وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم فيخرج المتبنى
كان في صدر الاسلام بمنزلة الابن الى ان نزل وما جعل ادعياءكم ابناءكم لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم ويعلم ان الابن من الرضاع
حكم الابن من النسب في تحريم حليلته على ابيه لقوله يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وان كان مقتضى قوله وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم وقوله
واحل لكم ما وراء ذلكم يقتضي الحل فيهما فقد خصص عموم القرآن بخبر الواحد اتفقوا على ان حرمة التزوج بحليلة الابن تحصل بنفس العقد ولا يتوقف الحرمة
على الدخول لما روي عن ابن عباس انه قال ابهموا ما ابهم الله والمراد به التابعية لا الترتيب انه تعالى في السبع المحرمات من جهة النسب اطلق الامهات اي من اللواتي تثبت
حرمتهن على سبيل التأبيد اتفقوا انهم على ابيه حليلة ولده الولد على الجد اما جارية الابن فقد قال ابو حنيفة يجوز للاب ان يتزوج بها وقال الشافعي لا يجوز لان
الحليلة مشتقة اما بمعنى المفعول من الحل اي المحللة او من الحلول بمعنى ان السبب يحل فيها واما بمعنى الفاعل لانهما يحلان في محل واحد او يحل كل واحد منهما في قلب صاحبه
لما بينهما من الالفة والمودة وحصول الانقياد ويصدق على جارية الابن انها حليلته كما يصدق على زوجته انها حليلته ولهذا الحرمة بالابن الصنف الثالث عشر
وان تجمعوا بين الاختين اي وحرم عليكم الجمع بينهما والثابت المتقلب فيه لا كتسابها وقيل الحصلة ويمكن ان يقال الواو واثبت لتعقل المطلق من غير اعتبار
تذكيره وتانيثه والجمع يكون اما بالنكاح او بالملك اما النكاح فلو عقد عليهما معًا فنكاحهما باطل وعلى الترتيب يبطل الثاني لان الدفع اسهل من الرفع
واما الجمع بينهما بملك اليمين او بان ينكح احديهما ويشتري الاخرى فقد اختلف الصحابة فيه فقال علي وعمر وابن مسعود وزيد بن ثابت وابن عمر لا يجوز الجمع بينهما
الا الملك لا الاتيان لانه لو جاز الجمع بينهما في الملك لجاز في جمعهما وطيهما معًا لقوله تعالى الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم ولانه لا اصل في الاشياء الحرمة فلو
سلم ان الاية تدل على الجواز فالاحوط جانب الترك واما سائر الصحابة والفقهاء فقد قالوا النهي عن نكاحهما فلو جمع بينهما في الملك جاز الا انه اذا وطئ
احديهما حرم وطء الثانية عليه الا ان يزيل هذه الحرمة ما لم يزل ملكه عن الاولى ببيع او هبة او عتق او كتابة او تزويج قال ابو حنيفة ههنا لا يجوز نكاح الاخت في
عدة الاخت البائن لان النكاح الاول كانه باق بدليل وجوب العدة ولزوم النفقة وقال الشافعي يجوز لان نكاح المطلقة زائل بدليل لزوم الحد بوطيهما
واما وجوب العدة ولزوم النفقة فنقول متى حصل النكاح حصل العقد فوجب الحبس فيها ولا يلزم من حصول العدة وحق الحبس حصول النكاح لا ان استثنا
بعض الاشياء واذا اسلم الكافر وتحته اختان فقال الشافعي يختار ايتهما شاء ويفارق الاخرى سواء تزوج بهما معًا او على الترتيب لان الكفار لما سوا مخاطبين
في فروع الشرائع باحكام الدنيا اذ لا يتصور تكليفهم بالفروع ما داموا كفارًا فيما يرجع الى الفروع في الاخرة كما يعاقب على ترك الاسلام ومما يؤيد قول الشافعي

بان ابن عباس رضي الله عنهما الى قوله
المحصن والمحرم

ما روي ان فيروز الديلمي اسلم على ثمان نسوة فقال له اختر منهن اربعا وفارق سائرهن ولو لم يتخصص النبي وقال ابو حنيفة ان تزوج بهما معا فكما وعلى
الترتيب فيزوج الثانية لان الخطاب بالفروع في قوله وان تجمعوا عام يتناول المؤمن والكافر فيما اتفقا عليه حيث حمل النهي الا على الفساد والكافر مخاطبا
بالفروع ومما يدل على ان الخطاب بالفروع لا يظهر اثره في حق الكافر في الاحكام الدنيوية الاجماع على انه لو تزوج بعضهن في شهود او على سبيل القهر وتقضيه
بعد الاسلام تقرر ذلك النكاح اما قوله تعالى الا ما قد سلف فمعناه ان ما مضى مغفور بدليل قوله ان الله كان غفورا رحيما وقد مر نظيره واعلم ان رسول
الله الحق بالاختين في تحريم الجمع حيث قال لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها وضبط العلماء ذلك بان كل شخصين بينهما قرابة او رضاع لو كان احدهما ذكرا
والاخرى انثى حرم النكاح بينهما فلا يجوز الجمع بينهما فيحرم الجمع بين المرأة وبنت بنتها وبنات الاولاد منها وكذا بين المرأة وبنت اختها وبنات اولاد اختها
سواء كانت العمومة والخؤولة من النسب او الرضاع ولا يحرم نكاح المرأة وام زوجها ولا نكاح المرأة وبنت زوجها لانه لا يوجد الحرمة على تقدير ذكورة كل واحد
منهما وانما توجد على تقدير ذكورة ام الزوج او بنته فقط لكان المصاهرة بخلاف ما لو فرضت المرأة ذكرا فانه لا يكون بينهما قرابة ولا رضاع وقد ضبط
تحريم الجمع بعبارة اخرى بين احدهما ما يحرم الجمع بين كل امرأتين بينهما قرابة او رضاع يقتضي المحرمية والثانية يحرم الجمع بين كل امرأتين بينهما وصلة قرابة او رضاع لو كانت
تلك الوصلة بينك وبين امرأة لحرمت عليك الصنف الرابع عشر والمحصنات من النساء وقد ورد الاحصان في القرآن بمعان احدها الحرية والذين يرمون
المحصنات فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب وثانيها العفة محصنات غير مسافحات احصنت فرجها وثالثها الاسلام فاذا احصن قيل في تفسيره
اذا اسلمن ورابعها كونها ذات زوج والمحصنات من النساء اي ذوات الازواج منهن والوجوه كلها مشتركة في اصل المعنى اللغوي وهو المنع مدينة حصينة ودرع حصينة
مانعة صاحبها من الافات والجراحات والحرية سبب لمنع الانسان من نفاذ حكم الغير فيه والعفة مانعة من ارتكاب المناهي وكذا الاسلام والزوج مانع لزوجته
من كثير من الامور والزوجة مانعة من الوقوع في الزنا وقرئ بكسر الصاد لانهن احصن فروجهن بالزوج ومعنى قوله الا ما ملكت ايمانكم ان اللاتي سبين ولهن
ازواج في دار الكفر فهن حلال لغزاة المسلمين وهكذا اذا سبي الزوجان معا خلافا لابي حنيفة وقياسا على شراء الامة وانها بهما وارثا فان كل منهما لا يوجب
الفرقة واجيب بان الحاصل عند السبي احداث الملك فيها وعند البيع نقل الملك من شخص الى شخص والاول اقوى فظهر الفرق وقيل المعنى ان ذوات الازواج
حرام عليكم الا اذا ملكتموهن بنكاح جديد بعد وقوع الفراق بينهن وبين ازواجهن وقيل المحصنات الحرائر والمعنى حرمت عليكم الحرائر الا العدد الذي جعل الله
ملكا لكم وهو الاربع او الا ما اثبت الله لكم ملكا عليهن بحصول الشرائط المعتبرة ومن حضور الولي والشهود وغير ذلك والقول هو الاول لما روي عن ابي
سعيد الخدري قال اصبنا سبايا يوم اوطاس ولهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسألنا النبي فنزلت والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم
فاستحللناهن قوله كتاب الله عليكم قال الزجاج يحتمل ان يكون منصوبا باسم فعل ويكون عليكم مفسرا له اي الزموا كتاب الله واحل
لكم ما وراء ذلكم ما وراء هذه المذكورات سواء كن مذكورات بالقول الصريح او بدلالة جلية او خفية او بسنة النبي كما قلنا في تحريم الجمع بين العمة
وغيرها وقد دخل تحت هذه العمومات في الآية تخصيصات اخر منها ان المطلقة ثلاثا لا تحل بدليل قوله فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا
غيره ومن المحرمات والمرتدة بدليل قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ومنها المعتدة بدليل قوله والمطلقات يتربصن ومنها ان من في نكاحه حرة لم يجز له ان
ينكح امة بالاتفاق وعند الشافعي القادر على طول الحرة لا يجوز له نكاح الامة بدليل ومن لم يستطع منكم طولا ومنها الخامسة بدليل مثنى وثلاث ورباع
ومنها الملاعنة لقوله المتلاعنان لا يجتمعان ابدا وقوله ان تبتغوا مفعول له اي بين لكم ما يحل مما يحرم ارادة ان يكون ابتغاؤكم باموالكم في حال
كونكم محصنين لا في حال كونكم مسافحين لئلا تضيعوا اموالكم التي جعل الله لكم قياما فيما لا يحل لكم فتخسروا دنياكم ودينكم ويجوز ان يكون ان تبتغوا
بدلا من وراء ذلكم ومفعول تبتغوا مقدر وهو النساء والاجود ان لا يقدر لانه مفهوم من سوق الكلام وكانه قيل ان تخرجوا اموالكم ومعنى محصنين
متعففين عن الزنى وسمى الزنا سفاحا لانه لا غرض للزاني الا سفح النطفة اي صبها قال ابو حنيفة لا يجوز المهر اقل من عشرة دراهم لانه تعالى قيد التحليل
بالابتغاء بالاموال والدرهم والدرهمان لا يسمى اموالا وقال الشافعي يجوز بالقليل والكثير لان قوله باموالكم مقابلة الجمع بالجمع فيقتضي توزيع الفرد على
الفرد فيتمكن كل واحد من ابتغاء النكاح بما يسمى مالا والقليل والكثير في هذه الحقيقة سواء وعن جابر عن النبي انه قال من اعطى امرأة في نكاح كف دقيق
او سويق فقد استحل وقال ابو حنيفة لو تزوج بها على تعليم سورة من القرآن لم يكن ذلك مهرا ولها مهر مثلها لان لا ابتغاء بالمال الا اسم للاعيان لا للمنافع
وكذا قوله وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه والايتاء والاكل من صفة الاعيان ولو تزوج امرأة على خدمة سنة فان
كان حرا فلها مهر مثلها وان كان عبدا فلها خدمة سنة وقال الشافعي الآية تدل على ان الابتغاء بالمال جائز وليس فيه ان الابتغاء بغيره جائز ام لا ولو دل فقد
خرج الخطاب مخرج الاغلب الاعم فلا تدل على نفي ما سواه ومما يدل على جواز جعل المنفعة صداقا قوله تعالى في قصة شعيب على ان تأجرني ثماني حجج والاصل
في شرع من قبلنا البقاء الى ان يظهر الناسخ وايضا التي وهبت نفسها لما لم يجد الرجل الذي اراد التزوج بها شيئا قال له هل معك شيء من القرآن قال نعم سورة
كذا وكذا فقال زوجتكها بما معك من القرآن ومنه يعلم جواز اعتاق الامة صداقا فاتها الاستمتاع وقد روي عن النبي انه اعتق صفية وجعل عتقها صداقها وكونه
من خواصه ممنوع فما استمتعتم به من المنكوحات من جماع او عقد عليهن او خلوة صحيحة عند ابي حنيفة فآتوهن اجورهن اي عليه فحذف الراجع للعلم به ويجوز
ان يراد بما النساء ومن للتبعيض او البيان لا للابتداء الاستمتاع ويكون رجوع الضمير اليه به على اللفظ وفي فآتوهن على المعنى والاجور المهور لان المهر
ثواب على البضع كما يسمى بدل منافع الدار والدابة اجرا وفريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة واقيمت مقام ايتاء لان الايتاء مفروض ومصدر مؤكد اي فرض

فعلت فريضة ولا شيء لي إن استمتع بها لدخول بها يستحق تمام المهر وإن استمتع بعقد النكاح فقط فالأجر نصف المهر قال الأكثرون المراد بالآية في النكاح المؤبد
قيل المراد بها حكم المتعة وهو أن يستأجر الرجل المرأة بمال معلوم إلى أجل معلوم فيجامعها سميت متعة لاستمتاعه بها أو لتمتيعه لها بما يعطيها واتفقوا على
أنها كانت مباحة في أول الإسلام ثم السواد الأعظم من الأمة على أنها صارت منسوخة وذهب الباقون منهم الشيعة إلى أنها ثابتة كما كانت ويروى هذا عن ابن
عباس وعمران بن الحصين قال عمارة سألت ابن عباس عن المتعة أسفاح هي أم نكاح قال لا سفاح ولا نكاح قلت فما هي قال هي متعة كما قال الله تعالى قلت هل لها
عدة قال نعم حيضة قلت هل يتوارثان قال لا وفي رواية أخرى عنه أن الناس لما ذكروا الأشعار في فتيا ابن عباس في المتعة قال قاتلهم الله إني ما أفتيت بإباحتها على الإطلاق
لكني قلت إنها تحل للمضطر كما تحل الميتة والدم ولحم الخنزير له ويروى أنه رجع عن ذلك عند موته وقال اللهم إني أتوب إليك من قولي في الصرف والمتعة وأما عمران بن
الحصين فإنه قال نزلت آية المتعة في كتاب الله لم ينزل بعدها آية تنسخها وأمرنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتمتعنا معه ومات ولم ينهنا عنها ثم قال رجل برأيه ما شاء يريد
أن عمر نهى عنها وروى محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن علي أنه قال لولا أن عمر نهى عن المتعة ما زنى إلا شقي حجة الجمهور على حرمة المتعة أن الوطء لا يحل إلا في الزوجة
أو المملوكة لقوله تعالى إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم وهذه المرأة ليست بمملوكة ولا بزوجة وإلا لحصل التوارث ولثبت النسب ولوجبت العدة
عليها بالأشهر والتوالي باطلة بالاتفاق وأيضا روي عن عمر أنه نهى عن المتعة على المنبر بمحضر من الصحابة ثم لم ينكر عليه أحد منهم فلو سكتوا للعلم بحرمتها
فذاك ولو سكتوا للجهل بحلها دون حرمتها فمحال عادة لشدة احتياجهم إلى البحث عن أمور النكاح ولو سكتوا مع علمهم بحلها فإخفاء الحق مداهنة وكفر وبدعة
وذلك محال منهم ومما روي عن عمر أنه قال لا أوتى برجل نكح امرأة إلى أجل إلا رجمته ثم إن الصحابة لم ينكروا عليه مع أن الرجم لا يجوز في المتعة فلعله ذكر ذلك على
سبيل التهديد والسياسة ومثل ذلك جائز للإمام عند المصلحة ألا ترى أنه قال من منع منا الزكوة فإنا آخذوها منه وشطر ماله مع أن أخذ شطر المال
من مانع الزكوة غير جائز إلا للسياسة وذكر الواحدي في البسيط عن مالك عن الزهري عن عبد الله والحسن ابني محمد بن علي عن أبيهما عن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
نهى عن متعة النساء وعن أكل لحوم الحمر الإنسية قال وذكر الربيع بن سبرة الجهني عن أبيه قال غدوت على رسول الله فإذا هو قائم بين الركن والمقام مسند ظهره إلى
الكعبة يقول يا أيها الناس إني أمرتكم بالاستمتاع من هذه النساء ألا وإن الله قد حرم عليكم إلى يوم القيامة فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيلها ولا تأخذوا
مما آتيتموهن شيئا القائلون بإباحة المتعة قالوا الابتغاء بالأموال يتناول الاستمتاع بالمهر على سبيل التأبيد وعلى سبيل التوقيت بل الآية مقصورة
على نكاح المتعة لما روي أن أبي بن كعب كان يقرأ فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى فآتوهن أجورهن وبه قرأ ابن عباس أيضا والصحابة ما أنكروا عليهما فكان
إجماعا وأيضا أمر بإيتاء الأجور بمجرد الاستمتاع أي التلذذ وهذا في المتعة وأما في النكاح المطلق فيلزم الأجر بالعقد لأنه قال في أول السورة فانكحوا ما طاب
أن يحمل هذه الآية على نكاح المتعة لئلا يلزم التكرار في سورة واحدة والحمل على حكم جديد أولى ومما يدل على ثبوت المتعة ما جاء في الروايات أن النبي نهى
عن المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية يوم خيبر وأكثر الروايات أنه أباح المتعة في حجة الوداع وفي يوم الفتح وذلك أن أصحابه شكوا العزوبة فقال
استمتعوا من هذه النساء وقول من قال إنه حصل التحليل مرارا والنسخ مرارا ضعيف لم يقل به أحد من المعتبرين إلا الذين أرادوا إزالة التناقض عن هذه
الروايات ونهي عمر يدل على أنه كان ثابتا في عهد الرسول وما كان ثابتا في عهده لم يكن نسخه بقول عمر كما أشار إليه عمران بن الحصين وأجيب بأن المراد من قوله
وأنا أنهى عنها أنه قد ثبت عندي نسخها في زمان الرسول وقد سكتوا عن ذلك فكان إجماعا ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة الذين حملوا
الآية على بيان حكم النكاح قالوا المراد أنه إذا كان المهر مقدرا أو معينا فلا حرج أن تحط عنه شيئا أو تبرئه عنه بالكلية كقوله فإن طبن لكم عن شيء
وقال الزجاج لا إثم عليكم في أن تهب المرأة للزوج مهرها أو يهب الزوج للمرأة تمام المهر إذا طلقها قبل الدخول قال أبو حنيفة إلحاق الزيادة بالصداق جائز لأن
التراضي قد يقع على الزيادة كما قد يقع على النقصان وهي ثابتة إن دخل بها أو مات عنها أما إذا طلقها قبل الدخول بطلت الزيادة وكان لها نصف المسمى في
العقد وقال الشافعي الزيادة بمنزلة الهبة فإن قبضتها ملكته بالقبض وإن لم تقبضها بطلت الدليل على بطلان هذه الزيادة أنها لو لحقت بالأصل
فإما أن يرتفع العقد الأول ويحدث عقد ثان وهو باطل بالإجماع وإما أن يحصل عقد مع بقاء العقد الأول وهو تحصيل الحاصل والذين حملوا
الآية على حكم المتعة قالوا المراد أنه ليس للرجل سبيل على المرأة بعد انقضاء الأجل فإن قال لها زيديني في الأيام و
أزيدك في الأجر فهي بالخيار إن الله كان عليما حكيما لا يشرع الأحكام إلا على وفق الحكمة والصواب ثم وسع الأمر على عباده فقال ومن لم يستطع منكم طولا
فضلا في المال وسعة ومنه الطول في الجسم لأنه زيادة فيه كما أن القصر قصور فيه ونقصان وأن ينكح متعلق بطولا يقال طال على الأمر إذا قدر فتمكن من عمله
والمحصنات هنا الحرائر والمعنى ومن لم يقدر على نكاح الحرة فلينكح من إماء المسلمين فمما ملكت أيمانكم قال ابن عباس يريد جارية أخيك فإن الإنسان لا يجوز له أن يتزوج
بجاريته نفسه الفتيات المملوكات يقال للعبد والأمة فتى وفتاة وللعبيد فتية عن النبي لا يقولن أحدكم عبدي ولكن ليقل فتاي وفتاتي قال الشافعي إن الله تعالى
شرط في نكاح الإماء ثلاث شرائط اثنتان في الناكح الأولى فقد طول الحرة وهو عبارة عن عدم ما ينكح به الحرة كما يقول الرجل لا أستطيع أن أحج إذا كان لا يجد
ما يحج به فإذا كان كذلك جاز له التزوج بالأمة لأن الإماء في العادة تخف مؤنتهن وتقل نفقتهن لاشتغالهن بخدمة ساداتهن والثانية خشية العنت كما يجيء في آخر
الآية والثالثة في المنكوحة وهو أن تكون الأمة مسلمة ومع ذلك تكون مؤمنة لا كافرة لقوله من فتياتكم المؤمنات فالقيد الأول مستفاد من قوله من
فتياتكم أي من فتيات المسلمين لا من فتيات غيركم وهم المخالفون في الدين والقيد الثاني وهو وصف الفتيات بالمؤمنات لما قلنا في القيد الأول فهو أن الولد
تابع للأم في الحرية والرق فيعلق الولد رقيقا على ملك الكافر لأن هذا القيد لغا أكثر الإثم لأن الولد إذا رق للكافر فيقع عليه الإذلال وأما في

العبد الثاني فالحرة هي اجتماع النقصانين من الكفر والرق وهذا قول مجاهد وسعيد بن جبير والحسن ومذهب مالك والشافعي اما ابو حنيفة فانه يقول الغني والفقير سواء في جواز نكاح الامة وذلك لانه يحمل النكاح في الآية على الوطي ويقول المراد فمن لم يملك فراش الحرة فله ان ينكح الامة ولو كانت تحته حرة لم يجز له نكاحها ولكن نكاح الامة المؤمنة افضل ويحمل التقييد في الآية على الفضل لا على الوجوب فيما اشار على جواز نكاح الحرة الكتابية بالاجماع مع وصف الحرائر بالمؤمنات واجيب بالفرق وهو اجتماع النقصانين وعن الناس من قال لا يجوز التزوج بالكتابيات البتة ولا شك ان الآية دالة على النهي عن نكاح الاماء وان كان عليه لا يجوز الا عند الضرورة وذلك لتبعية الولد للام في الرق ولانها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة وكل ذلك ذل ونقصان يعود الى الزوج وقد تجرّ بسبب ذلك الى الفجور ولان المولى حقها من حق الاستخدام فلا يخلص للزوج ولان السيد قد يبيعها فيصير طلاقها عند من يقول بذلك لانهم هامش لولاها فلا يخلص عليه منها من وجها ولا على ابنه والله اعلم بايمانكم قال الزجاج اي اعملوا على الظاهر في الايمان فانكم مكلفون بظواهر الامور والله اعلم بما في الصدور بعضكم من بعض كلكم اولاد آدم فلا تستنكفوا من التزوج بالاماء عند الضرورة او كلكم مشتركون في الايمان وهو اعظم الفضائل فاذا حصل الاشتراك فيه فلا يعتبر التفاوت فيما سواه بين ما كانوا عليه في الجاهلية من الفخر بالانساب والاحساب وتعيير نكاح الاماء اذا كن مؤمنات ثم شرح كيفية هذا النكاح فقال فانكحوهن باذن اهلهن فلذلك اتفقوا على ان نكاح الامة بغير اذن سيدها باطل لان نكاحهن حق لا يجب فيه وجه الامر اشتراط الاذن ولان التزوج بها يبطل حق اكثر منافعها فوجب ان لا يجوز الا باذنه ولفظ القرآن مقتصر على الامة واما العبد فقد ثبت ذلك في حقه بالحديث روى جابر عن النبي اذا تزوج العبد بغير اذن سيده فهو عاهر واستدل الشافعي بالآية على ان المرأة البالغة العاقلة لا يجوز نكاحها الا باذن الولي لان قوله فانكحوهن ضمير يعود الى الاماء والامة ذات موصوفة بصفة الرق وصفة الرق زائلة لان الاشارة الى ذات موصوفة بصفة عرضية زائلة يبقى بعد زوال تلك الصفة بدليل انه لو حلف لا يتكلم مع هذا الشاب فصار شيخا ثم تكلم معه حنث فثبت في تمسه صفة الرق عنها وهي حرة عاقلة فالضمير فيقع جواز نكاحها على اذن اهلها واذا ثبت الحكم في هذه الصورة ثبت فيما عداها من الصور ضرورة انه لا قائل بالفرق واعترض على قول الشافعي بان ظاهر الآية يدل على الاكتفاء بحصول اذن اهلها وعنده لا يجوز للمرأة ان تزوج امتها واجيب بان المراد بالاذن الرضا وعندنا ان رضا المولى لا بد منه فاما انه كاف فليس في الآية دليل عليه لان اهلهن عبارة عمن يقدر على انكاحهن وهو المولى ان كان رجلا او ولي المولى ان كان امرأة سلمنا ان الاهل هو المولى لكنه عام يخصصه قوله العاهر هي التي تنكح نفسها والقطع بانه لا يكون لها عبارة في نكاح مملوكها ضرورة انه لا قائل بالفرق قلت لا انفصال عما استدل الشافعي لانهم يقولون ما نقول لا نسلم ان صفة الرق للامة عرضية من حيث انها امة وان سلمنا فلا نسلم ان الاشارة الى ذات الامة في الآية يبقى بعد زوال صفة الرق فيكون هذا مثل قول القائل لا اتكلم هذا الشاب ممنوع من الحكم فان المراد به ذاتها من حيث هي لكنه كقول الحالف لا اتكلم شابا فكلم شيخا او تكلم شابا حنث فاذا صار شيخا ثم كلمه لم يحنث وآتوهن اجورهن اي مهورهن وفيه دلالة على وجوب مهرها مما سمي لها المهر ولم يسم في قوله بالمعروف دلالة على انه مبني على الاجتهاد وغالب الظن في العادات المتعارفة وهو مهر المثل والمراد بغير مطل وضرار واحوجاج الى الاقتضاء وقيل الاجور النفقة عليهن لان المهر مقدر فلا معنى لاشتراط المعروف فيه فكانه تعالى بين ان كون الامة لا يجب ايجاب نفقتها وكسوتها كما في حق الحرة اذا حصلت التخلية من المولى بينه وبينها على العادة وعن بعض اصحاب مالك ان الامة هي المستحقة لقبض مهرها وان المولى اذا اجر امته كان هو مستحق الاجرة دونها واحتج في المهر بقوله وآتوهن اجورهن واما الجمهور فقالوا انه هو المولى لانها كما قوله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء وهذا ينفي كون المملوك مالكا لشيء اصلا ولان منافعها كانت مملوكة للسيد فهو الذي اباحها للزوج بعقد النكاح فوجب ان يستحق بدلها انما ظاهر الآية فلو حملنا لفظ الاجور على النفقة فلا اشكال ولو حملناه على المهر فالجواب انها تمنى بعملهن فلذلك اضيفت الاجور اليهن او يحتمل في قوله وآتوهن ما يوجب على المالك من ان يؤتي المهر ملكا لهن ثم هبة المهر ملك لهن في تكثرة قال العيني ماملكه المولى لها والمراد وآتوا مواليهن محصنات قال ابن عباس اي عفائف وهو حال من قوله فانكحوهن وظاهره يقتضي حرمة نكاح الزواني لكن الاكثرين على انه يجوز فالآية محمولة على الندب والاستحباب غير مسافحات قال الكلبي المسافحة هي التي تؤاجر نفسها اي جهارا ولا متخذات اخدان اي يتخذن اخدانا ولا معين كان اهل الجاهلية يحرمون ما ظهر من الزنا ويستحلون ما خفي منه ويقولون اما ما ظهر منه فهو لوم واما ما خفي فلا بأس به فلما كان هذا العرف معتبرا عندهم فلا جرم افرد الله تعالى كل واحد من هذين القسمين بالذكر تنصيصا على حرمتهما معا والاخدان جمع خدن كالاتراب جمع ترب والخدن الصديق المخادن اي يكون معك في كل امر ظاهر وباطن ويقع على الذكر والانثى فاذا احصن بالتزوج وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد او بالاسلام وهو قول ابن عمر وابن مسعود والشعبي والنخعي والسدي وكانه تعالى ذكر حال ايمانهن في النكاح في قوله من فتياتكم المؤمنات ثم كرر ذلك في حكم ما يجب عليهن عند اقدامهن على الفاحشة وههنا اشكال وهو ان المحصنات في قوله فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ان كان المراد بهن الحرائر المتزوجات والحرائر الابكار فعلى الاول يجب عليهن نصف الرجم ويمتنع تنصيف الرجم وعلى الثاني يجب خمسون جلدة وهذا القدر واجب في زنا الامة محصنة كانت او لم تكن فجعله معلقا بالاحصان لا يكون له فائدة لا احصان في الرق والجواب انا نختار القسم الثاني ولا يسقط الرجم عنهن بالدليل العقلي لان الرجم لا يتنصف والثاني ان المراد تخفيف عذابهن في ذلك لان مدة الرق بعد الطلاق عند التزوج فهذا اذا زنت فلا يجب حدا خمسين جلدة لانه لا يعلمها فلا يكون قبل التزوج هذا الحد ولا علم ان الخوارج اتفقوا على انكار الرجم واحتجوا بالآية فدلت على ان عذاب الامة نصف عذاب الحرة المحصنة فلو كان حد الحرة الرجم لزم تنصيف الرجم في حق الامة وهو محال والجواب ما مر ان المنصوص في حق الامة دليل عقلي على نفيها ثم جعلوا الآية اصلا في تنصيف حكم العبد عن حكم الحرة في غير الحد وان كان من الامور ما لا يجب في ذلك فيه كالصلوة والصوم عنهما ذلك اشارة الى نكاح الاماء بالاتفاق لمن خشي العنت منكم وقد عرفت فيما مر ان معنى التركيب

في مهناة وللعقرب فيهما نوعان احدهما ان الشبق الشديد في الظهر العظيم وبما يدعو الى الزنى فيقع في الحد في الدنيا وفي العذاب الاليم في الآخرة والثاني ان
الشبق قد يفضي الى الامراض الشديدة كالرجاع الورك وفي الظهر والوسواس كما حققنا في الرحم للنساء والاول الذي يليق ببيان القرآن وعليه اكثر العلماء وان
تصبروا اي صبركم عن نكاح الاماء بعد شرط المتقدم متعففين خير لكم لما فيه من المفاسد المذكورة وعن النبي صلى الله عليه وسلم الحرائر صلاح البيت والاماء هلاك البيت
والله غفور رحيم تأكيد لما ذكره من ان الاولى ترك النكاح الامة اباحه لاحتياج المكلفين فهو من باب المغفرة والرحمة يريد الله ليبين لكم قيل ان اللام
مقام ان في قولك اريد ان تقوم وقيل يريد التبيين لكم وزيدت اللام مع ان تاكيدا لارادة التبيين كما زيدت في لا ابا لك لتاكيد اضافة الاب وقيل في الاية اضمار
والاصل يريد الله انزال هذه الاحكام ليبين لكم دينكم وشرعكم وما هو خفي عنكم من مصالحكم وافاضل اعمالكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم مناهج من كان قبلكم من الانبياء
ان كل ما بين لنا من التحريم والتحليل في شأن النساء فقد كان الحكم كذلك في جميع الشرائع والملل وقيل بل المراد ان الشرائع والتكاليف وان كانت مختلفة في
نفسها الا انها متفقة في باب المصالح وقيل المقتبس سنن من كان قبلكم من اهل الحق لتقتدوا بهم ويتوب عليكم قال القاضي معناه كما اراد منا نفس الطاعة
فلا جرم بينها وازاح الشبه عنها كذلك يريد ان يتوب علينا ان وقع تقصير وتفريط في الامر فيشعر بانه تعالى هو الذي يخلق التوبة فينا فيرد عليه انه اراد التوبة
منا وجب ان يحصل التوبة لكلنا وليس كذلك واجيب بان المراد بالتوبة في باب نكاح الامهات والبنات وسائر المنهيات المذكورة في هذه الآيات فقد حصلت هذه التوبة وكذا
الكلام في قوله والله يريد ان يتوب عليكم وقالت المعتزلة يريد ان تفعلوا ما تستوجبون به ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا
عن الحق والقصد ميلا عظيما وهم اليهود وقيل المجوس كانوا يحلون نكاح الاخوات من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرم الله تعالى قالوا فانكم
تحلون بنت الخالة والعمة والخالة والعمة حرام عليكم فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت يقول يريدون ان تكونوا زناة مثلهم يريد الله ان يخفف عنكم باحلال
نكاح الامة وغيره من الرخص وخلق الانسان ضعيفا فلضعفه خفف تكليفه فهو لا يتحمل الا ما يستخف خلقته بالطبع كثير من المخلوقات كالجن فالانسان ضعيف فطرة وهذا
اشد احتياجا الى النساء في التمكن والاغذية والادوية والمساكن والملابس والمناكح والمعاملات الى غير ذلك للمصالح وانما ضعف عن الصبر وقد واقعه فاطمة
ولهذا لا يصبر على مشاق الطاعات ويصبر عن الشهوات لاتباع النساء قال سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من بني آدم قط الا اتاهم من قبل النساء فقد اتى علي ثمانون سنة
وذهبت احدى عيني وانا اعشو بالاخرى وان اخوف ما اخاف علي النساء عن ابن عباس ثماني آيات في سورة النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت
يريد الله ان يتوب عليكم يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا
او يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم اللهم [illegible] انك لا تخلف الميعاد ثم انه تعالى لما ذكر كيفية النكاح بالاموال وامر بايفاء المهر والنفقات
بين عقيب ذلك انه كيف يتصرف في الاموال فقال يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل بما لا يبيحه الشرع بوجه قد مر تفسيره في البقرة
في قوله ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم وقد سبق مثله في اخر البقرة وخص التجارة بالذكر لان كان غيره من اسباب الاموال
المستفادة كالهبة والارث واخذ الصدقات والمهر وارش الجنايات حلالا لان اكثر اسباب الرزق متعلق بالتجارة ويحتمل ان يكون هذا النهي اكل مال الغير
بالباطل واكل مال نفسه بالباطل كما ان قوله ولا تقتلوا انفسكم يدل على النهي عن قتل غيره وعن قتل نفسه قال ابو حنيفة النهي في المعاملات لا يدل
على البطلان وقال الشافعي يدل لان الوكيل اذا تصرف على خلاف قول الموكل فذلك غير منعقد بالاجماع فالتصرف الواقع على خلاف قول المالك الحقيقي
وهو الله سبحانه اولى ان يكون باطلا واي فرق بين قوله لا تبيعوا الدرهم بالدرهمين وبين قوله لا تبيعوا الحر واذا كان الثاني غير منعقد بالاتفاق فكذا
الاول وقال ابو حنيفة خيار المجلس غير ثابت في عقود المعاوضات المحضة لان التراضي المذكور في الاية قد حصل وقال الشافعي ان هذا التراضي مقتضى الحل
الا انا نثبت بعد ذلك للمتبايعين الخيار لقوله صلى الله عليه وسلم المتبايعان كل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا ولا تقتلوا انفسكم من كان من جنسكم من المؤمنين
كنفس واحدة او لا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة بما يصيبه غم او خوف او مرض شديد يرى قتل نفسه سهلا عليه عن الحسن البصري قال حدثنا جندب
عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان رجل به جراح فقتل نفسه فقال الله بدرني عبدي بنفسه فحرمت عليه الجنة وعن ابي هريرة قال شهدنا مع رسول الله خيبر فقال لرجل
ممن يدعي الاسلام هذا من اهل النار فلما حضر القتال قاتل الرجل قتالا شديدا فاصابته جراحة فقيل يا رسول الله الذي قلت له انفا انه من اهل النار
فانه قاتل اليوم قتالا شديدا وقد مات فقال النبي الى النار فكاد بعض المسلمين ان يرتاب فبيناهم على ذلك اذ قيل انه لم يمت ولكن به جراح شديد فلما كان
من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه فاخبر النبي فقال الله اكبر اشهد اني عبد الله ورسوله وعن ابي هريرة قال قال رسول الله من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار
جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا فيها ابدا ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ
بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا وعن عمرو بن العاص قال احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل فاشفقت ان اغتسلت ان اهلك فتيممت ثم صليت
باصحابي الصبح فذكروا ذلك للنبي فقال يا عمرو صليت باصحابك وانت جنب فاخبرته بالذي منعني من الاغتسال وقلت اني سمعت الله تعالى يقول ولا تقتلوا انفسكم
فضحك رسول الله ولم يقل شيئا وقيل معنى الاية لا تفعلوا ما تستحقون به القتل من القتل والردة والزنى بعد الاحصان ان الله كان بكم رحيما ولاجل رحمته
نهاكم عما يضركم عاجلا واجلا وقيل من رحمته انه لم يامركم بقتل انفسكم كما امر بني اسرائيل بذلك توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم ومن يفعل ذلك القتل عدوانا
وظلما لا خطأ ولا قصاصا هذا قول عطاء وقال الزجاج ذلك اشارة الى القتل والاكل بالباطل وعن ابن عباس انه عائد الى كل ما نهى الله عنه من اول
السورة فسوف نصليه نارا ندخله ونحرقه وكان ذلك على الله يسيرا سهلا على وفق المتعارف كقوله وهو اهون عليه والا فلا مانع له عن حكمه ولا منازع له في ملكه

التأويل حرمت عليكم امهاتكم الآية كلها اشارات الى نهى التعلق ومنع التصرف فى الامهات السفليات والمتولدات من وفضا الانسان وصفا الحيوان الآية
كان غفورا رحيما بانواع غفره لهم ظلمات الصفات الانسانية تتولد من تصرفات الحواس فى المحسوسات عند الضرورة لا بالارادة بالطبع رحيما بالمؤمنين بما رخص لهم
فيه من التصرفات بقدر الحاجة الضرورية والمحصنات من النساء هى الدنيا التى تصرف فيها العلويات الا ما ملكت ايمانكم باذن الله تعالى حيث قال كلوا واشربوا
ولا تسرفوا محصنين غير مسافحين من الدنيا وما فيها غير مسرفين فى الطلب منها فما استمتعتم به منهن من الضرورة فآتوهن اجورهن فريضة فاعطوا حقوق تلك الحظوظ
بالطاعة والشكر والذكر ان الله كان عليما حكيما فى طلب المؤمن عن شر حب الدنيا كما اخبر فقال ومن لم يستطع اى من لم يقدر ان ينجو عن الدنيا
الصالحة باسرها ويجعلها منكوحة له ويحصنها بشرائع الاسلام بحيث لا يكون لها تصرف فى قلبه بوجه ما فليتصرف فى القدر الذى ملكت ايمانكم من فتياتكم من
الدنيا ولم يملك قلبه لانها امة تخدمه وهى مؤمنة له بالخدمة كما قال الله تعالى يا دنيا اخدمى من خدمنى واستخدمى من خدمك محصنات بالصدق والزكاة
غير مسافحات بالتبذير والاسراف ولا متخذات اخدان من النفس والهوى محصنات بالاخلاص فى العطاء والمنع والاخذ والدفع فان اتين بفاحشة
غلبات شهواتها على القلب فليتدارك بنصف ما ملكت يمينه من الدنيا لا تعجبنه وعزامة وهى مدتها كما ان عجوز الدنيا اذا احصنها ذو الطول
فان اتت بفاحشة اهلكها بالكلية بالبذل فى الله كما كان حال سليمان عليه السلام اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد لما اشغلته عن الصلاة وان بفاحشة حب
فطفق مسحا بالسوق والاعناق ذلك التصرف فى قدر من الدنيا لمن خشى ضعف النفس وقلة صبرها على ترك الدنيا وامتناعها عن قبول الاوامر والنواهى
وان تصبروا عن التصرف فى الدنيا بالكلية خير لكم كما قال يا طالب الدنيا ليبر بها تركها ابر يريد الله ان يخفف عنكم ثقل المؤنة ولغيركم المؤنة قال ابراهيم
انى ذاهب الى ربى واخبر عن حال موسى بقوله ولما جاء موسى لميقاتنا وعن حال نبينا بقوله سبحان الذى اسرى بعبده وعن حال هذه الامة بقوله سنريهم
آياتنا والمعونة هى الجذبة التى توازى عمل الثقلين فلاجرم كان لغير نبينا الوصول الى السموات فقط وكان لنبينا الوصول الى مقام قاب قوسين او ادنى
ولامته التقرب لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه والفرق بين النبى والولى ان النبى مستقل بنفسه والولى لا يمكنه السير الا فى متابعة النبى وسلكه
وخلق الانسان ضعيفا وهذا اعين بالجذبة حتى يتصل بقوة ذلك المقام لا يصل اليه الثقلان لسعيهم الى الابد ضعفه بالنسبة الى جذبة الله وكماله
والا فهو اقوى فى حمل الامانة من سائر المخلوقات وايضا من ضعفه انه لا يصبر عن الله لحظة فانه يحبهم ويحبونه شعر الصبر يحمد فى المواطن كلها الا عليك فانه
لا يحمد وكان ابو الحسن الخرقانى يقول لولا ضعف الانسان ابو عمر الانسان لا يصبر عن الله لعله الحبة ومن ضعفه انه لا يصبر مع الله سلطان الحقيقة
كما انه كان يغار على قلبه كان يقول كلفتنى ما احمل وكان الشبلى يقول لا ... ولا ... المستغاث بل ... ضعف الانسان
سبب كماله ... صفات ... الملك ... هذا الاستعداد ... الحديث الربانى انا ملك حى
لا اموت ابدا فاطعنى عبدى اجعلك ملكا حيا لا تموت ابدا الا ان تكون تجارة تنجيكم من عذاب اليم ولا تقتلوا انفسكم ... فى شهواتها فان
سمها القاتل انه كان بكم رحيما اذ بين لكم هذه الآفات ودلكم على هذه النجاة ومن يفعل صرف المال الى الهوى عدوانا عن امر الله وظلما على

إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ۝ وَلَا تَتَمَنَّوْا
اگر پرهیز کنید گناهان کبیره را که نهی کرده شده اید از ان برداریم از شما گناهان خرد شما را و درآوریم شما را در جایی بلند پایه و آرزو مکنید
مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ
آنچه افزونی داده است خدا بدان بعض شما را بر بعضی از برای مردان بهره است از آنچه کسب نموده اند و از برای زنان بهره است از آنچه کسب کردند و بخواهید خدا را
مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ
از فضل او بدرستی که خدا هست بهر چیزی دانا و از برای هر یک قرار داده ایم ورثه از آنچه گذاشته اند پدر و مادر و خویشان و آنان که بست شده
أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ۝ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ
سوگندهای شما پس بدهید ایشان را قسمت ایشان را بدرستی که خدا هست بر همه چیزی گواه مردان مدبران امورند بر زنان بآنچه که زیادتی داد خدا بعضی را
عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ
بر بعضی و بآنچه که خرج کردند از مالهای خود پس زنان شایسته عبادت کننده اند نگاه دارنده اند حقوق شوهر را در غیبت بآنچه حفظ کرد خدا و آنان که میترسید
نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ
نافرمانی ایشان را پس پند دهید ایشان را و ترک کنید ایشان را در خوابگاه و بزنید ایشان را پس اگر اطاعت کنند شما را پس مجوئید بر ایشان راهی را بدرستی که خدا
عَلِيًّا كَبِيرًا ۝ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ
بلند مرتبه بزرگ و اگر ترسید نزاع را در میان ایشان پس برانگیزید داوری از جانب مرد و داوری از جانب زن اگر خواهند اصلاح را موافقت دهد خدا
بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ۝ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي
در میان ایشان بدرستی که خدا هست دانا آگاه و بپرستید خدا را و انباز قرار مدهید باو چیزی را و نیکوئی کنید بپدر و مادر و بخویشان
الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ

ع

أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا ۝ الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم

دستهای شما بدرستی که خدا دوست ندارد آنرا که باشد متکبر خودستاینده ۝ آنانکه بخل کنند و امر کنند مردم را بخل کردن و میپوشانند آنچه داده است ایشانرا

الله من فضله وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا ۝ والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله

خدا از فضل او و آماده گردانیدیم برای کافران عذابی خوارکننده ۝ و آنانکه خرج کنند مالهای خود را بجهت نمودن بمردم و نگروند بخدا

ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا ۝ وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر

و نه بروز واپسین و هر که بوده باشد شیطان مر او را همنشین پس بد همنشینی است ۝ و چه میشد بر ایشان اگر گرویدندی بخدا و روز واپسین

وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما ۝ إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت

و خرج کردندی از آنچه روزی کرد ایشانرا خدا و هست خدا بایشان دانا ۝ بدرستی که خدا ستم نمیکند مقدار ذره و اگر باشد حسنه دو چند میسازد آنرا و میدهد

من لدنه أجرا عظيما ۝ القراءات بكفر ويبخلكم بيا النسبة المفضل البأمون بالنون مدخلا بفتح الميم كما في الحج ابو جعفر ونافع البأمون بالضم

از نزد او مزدی بزرگ ۝ وسئلوا الله وما بعدها ما دخل عليه او العطف او فاؤه بغير همزة ابن كثير وعلي وخلف وسهل وحمزة في الوقف عقدت من العقد

وحمزة وعلي وخلف البأمون عاقدت من المعاقدة حفظ الله النصب بدا البأمون بالرفع والجار بالامالة ابو عمرو حماد ومنهم مضمر ابو عمرو وحمزة في نحو

ابن سعدان في ابي عمرو والنجاري عن ورش والجار الجنب بفتح الميم وسكون النون المفضل البأمون بفتحتين بالبخل بفتحتين حمزة وعلي وخلف

المفضل عباس بخلاف البأمون بضم الباء وسكون الخاء حسنة بالرفع ابن كثير وابو جعفر ونافع البأمون بالنصب يضعفها بالتشديد ابن كثير وابن عامر

ويزيد ويعقوب البأمون يضاعفه بالالف الوقوف كريما على بعض ما اكتسبن من فضله عليما والاقربون نشوزهن على ابن ما بعده مبتدأ نصيبهم شهيدا امن

اموالهم لان ما بعده مبتدأ بما حفظ الله واضربوهن لابتداء الشرط مع فاء التعقيب سبيلا كبيرا من اهلها لان مع الشرط اتحاد الكلام بينهما خبيرا

وابن السبيل للعطف ايمانكم فخورا بناء على ان الذين بدل من فضله مهينا لاحتمال ما بعده الاستيناف والعطف اليوم الآخر وان جعل الذين مبتدأ

لان خبره محذوف اي فاولئك قرينهم الشيطان قرينا رزقهم الله عليما ذرة لانقطاع النظم مع اتفاق المعنى اي لا يظلم بنقص الثواب ومع ذلك يضاعف

عظيما التفسير هذا كالتفصيل للوعيد المتقدم ومن الناس من قال جميع الذنوب والمعاصي كبائر روى سعيد بن جبير عن ابن عباس كل شيء عصي الله فيه فهو

كبيرة فمن عمل شيئا منها فليستغفر الله فان الله لا يخلد في النار من هذه الامة الا راجعا عن الاسلام او جاحدا فريضة او مكذبا بالقدر وضعف بان الذنوب

كانت كلها كبائر لم يبق فرق بين ما يكفر باجتناب الكبائر وبين الكبائر وقولهم وكل صغير مستطر لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وبانه نعى

على ذنوب باعيانها انها كبائر وبقوله وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان ولا بد من فرق بين الفسوق والعصيان فالكبائر هي الفسوق والصغائر

العصيان احتجاجا بما روي عن ابن عباس ان الذنب انما يكبر لوجهين لكثرة نعم من عصي به وجلالة الله ولا شك ان نعمه غير متناهية وانه اجل الموجودات فيكون

عصيانه كبيرا وعورض بانه ارحم الراحمين واغنى الاغنياء عن طاعات المطيعين فكل ذلك يوجب خفة الذنب والاصح ان الذنوب كلها كبائر من حيث انها ذنوب

ولكن بعضها اكبر من بعض وذلك يوجب التفاوت واذا عرفت ان الذنوب بعضها صغائر وبعضها كبائر فالكبيرة تتميز عن الصغيرة بذاتها او باعتبار

فاعلها وفيه كلام واختلفوا في ذلك على الاول من قال ما روي عن ابن عباس كل ما جاء في القرآن مقرونا بذكر الوعيد فهو كبيرة كالقتل المحرم والزنى واكل

مال اليتيم ونحوها وزيف بانه لا ذنب الا وهو متعلق الذم عاجلا والعقاب آجلا فيكون كل ذنب كبيرا وهو خلاف المفروض وعن ابن مسعود

ان الكبائر هي ما نهى الله عنه في الآيات المتقدمة وضعف بانه تعالى ذكر الكبائر في سائر السور ايضا فلا وجه للتخصيص ومنهم من قال كل عمد فهو كبيرة وزيف بانه ان اراد

بالعمد انه ليس بساه فما هذا حاله فهو الذي نهى الله عنه فيكون كل ذنب كبيرا وقد ابطلناه وان اراد بالعمد ان يفعل المعصية مع العلم بانها معصية

فلا يكون كفر اليهود والنصارى كبيرة وهو باطل بالاتفاق واما الذين يقولون الكبائر تتميز عن الصغائر باعتبار فاعلها فهم المعتزلة لكل طاعة قدر من الثواب

ولكل معصية قدر من العقاب فاذا وجد للانسان طاعة ومعصية فالتعادل بين الاستحقاقين وان كان ممكنا بحسب العقل الا انه غير ممكن بحسب السمع والا

لم يكن مثل ذلك المكلف في الجنة ولا في النار وقد قال فريق في الجنة وفريق في السعير فلا بد من ترجيح احدهما ويلزم من الاحباط والتكفير

والخوض في هذه المسألة وعليه الاكثرون بعد ما مر من اثبات انقسام الذنب الى الكبيرة والصغيرة انه تعالى لم يميز جملة الكبائر عن جملة الصغائر لما بين في هذه

الآية ان الاجتناب عن الكبائر يوجب تكفير الصغائر فلو عرف المكلف جميع الكبائر اجتنبها فقط واجترأ على الاقدام على الصغائر اما اذا عرف انه لا ذنب

الا ويجوز كونه كبيرة صار هذا المعنى زاجرا له عن الذنوب كلها ونظير هذا في الشرع اخفاء ليلة القدر في ليالي رمضان وساعة الاجابة في ساعات

يوم الجمعة ووقت الموت في جملة الاوقات هذا ولا مانع من ان يبين الشارع في بعض الذنوب انه كبيرة كما روي انه قال اجتنبوا السبع الموبقات الشرك بالله

والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق واكل الربا واكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات وذكر عند ابن

عباس انها سبعة فقال هي الى السبعين اقرب وفي رواية الى السبعمائة وعن ابن عمر انه عد منها استحلال البيت الحرام وشرب الخمر وعن ابن مسعود

القنوط من رحمة الله والامن من مكر الله وفي بعض الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم تعاد معونة القعود وعقوق الوالدين في التزهد واما قول العلماء في الكبيرة فمنهم من قال

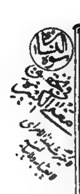

هي التي توجب الحد وقيل هي التي يلحق صاحبها الوعيد الشديد بنص كتاب او سنة وقيل كل جريمة تؤذن بقلة اكتراث مرتكبها بالدين وقيل لا كبيرة مع الاستغفار
ولا صغيرة مع الاصرار ويراد بالاصرار المداومة على نوع واحد من الصغائر او الاكثار منها وان لم يكن من نوع واحد احتج ابو القاسم الكعبي بالاية على
وعيد اهل الكبائر لانها تدل على انه اذا لم يجتنب الكبائر فلا يكفر عنه والجواب ان استثناء نقيض المقدم لا ينتج ويؤيده قوله فان امن بعضكم بعضا
فليؤد الذي اؤتمن امانته واداء الامانة واجب اجماعا ولم يلزم منه سلمنا ان الاية تدل على ان من لم يجتنب الكبائر لم يكفر عنه سيئاته انه يكون عاملا في يا
الوعيد فالجواب عنه هو الجواب عن سائر العمومات وهو انه مشروط بعدم العفو عندنا كما انه مشروط عندكم بعدم التوبة ثم قالت المعتزلة ان عند اجتناب
الكبائر يجب غفران الصغائر وعندنا لا يجب على الله شيء بل كل ما يفعله فهو فضل واحسان ويدخل في الاجتناب عن الكبائر الاتيان بالطاعات لان ترك الواجب
ايضا كبيرة وندخلكم مدخلا من فتح الميم اراد مكانا للدخول او مصدرا اي دخولا ومن ضمها اراد الادخال ووصفه بالكريم اشعارا بانه على وجه التعظيم خلاف ادخال اهل النار الذين يحشرون
على وجوههم الى جهنم او هو وصف باعتبار صاحبه ثم انه سبحانه لما امرهم بتهذيب اعمال الجوارح وهو ان لا يقدموا على اكل الاموال بالباطل وعلى قتل الانفس
حثهم على تهذيب الاخلاق في الباطن او نقول لما نهاهم عن الاكل والقتل ولن يتم ذلك الا بالرضاء بالقضاء وتطييب القلب بالمقسوم المقدر فلا جرم قال
ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض قالت المعتزلة التمني قول القائل ليت لي كذا وقال اهل السنة هو عبارة عن ارادة ما يعلم او يظن انه لا يكون ولهذا
قالوا انه تعالى لو اراد من الكافر ان يؤمن مع علمه بانه لا يؤمن كان متمنيا ثم اسباب السعادات اما نفسانية نظرية كالذكاء والحدس وحصول المعارف الحقيقية
او عملية كالاخلاق الفاضلة واما بدنية كالصحة والجمال والعمر واما خارجية كحصول الاولاد النجباء وكثرة العشائر والاصدقاء والرياسة التامة ونفاذ
القول وكونه محبوبا للخلق حسن الذكر مطاع الامر فهذه مجامع السعادات وبعضها محض عطاء الله تعالى وبعضها ما يظن انها كسبية وبالحقيقة كلها عطاء
منه تعالى فانه لولا ترجيح الدواعي وازالة العوائق وتحصيل الموجبات وتوفيق الاسباب فلاي سبب يكون السعي والجد مشتركا فيه والفوز بالبغية والظفر بالمطلوب
فيه متفاوت جدا واذا كان كذلك فما الفائدة في الحسد غير الاعتراض على مدبر الامور وكافل مصالح الجمهور فعلى كل احد ان يرضى بما قسم له علما بان ما قسم له هو
خير له ولو كان خلافه لكان وبالا عليه كما قال ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض وفي الكلمات القدسية من لم يسلم لقضائي ويصبر على بلائي
ويشكر نعمائي كتبته صديقا وبعثته يوم القيامة مع الصديقين ومن لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي فليطلب ربا سوائي قال
المحققون لا يجوز للانسان ان يقول اللهم اعطني دارا مثل دار فلان وزوجة مثل زوجة فلان وان كان هذا غبطة لا حسدا بل ينبغي ان يقول اللهم اعطني
ما يكون صلاحا لي في ديني ودنياي ومعادي ومعاشي ولا يتمنى مال احد فلعل هلاكه في ذلك المال اما سبب النزول فعن مجاهد قالت ام سلمة
يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو ولهم من الميراث ضعف ما لنا فنزلت وعن قتادة والسدي لما نزل قوله للذكر مثل حظ الانثيين قال الرجال نرجو
ان نفضل على النساء في الاخرة كما فضلنا في الميراث وقالت النساء نرجو ان يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال في الاخرة فلهن نحن احوج لانا ضعفاء
وانتم على طلب المعاش اقدر فنزلت وقيل اتت وافدة النساء الى الرسول فقالت رب الرجال والنساء واحد وانت الرسول الينا واليهم وابونا ادم وامنا حواء فما
السبب في ان الله يذكر الرجال ولا يذكرنا فنزلت الاية فقالت وقد سبقنا الرجال بالجهاد فما لنا فقال ان للحامل منكم اجر الصائم القائم واذا ضربها
الطلق لم يدر احد ما لها من الاجر فاذا ارضعت كان لها بكل مصة اجر احياء نفس للرجال نصيب مما اكتسبوا من نعيم الدنيا وثواب الاخرة فينبغي ان يرضى
بما قسم لهم وكذا النساء او لكل منهم جزاء مما اكتسب من الطاعات فلا ينبغي ان يضيعه بسبب الحسد المذموم وتخصيصه لا تضيع ما لك بتمني ما لغيرك
او للرجال نصيب مما اكتسبوا بسبب قيامهم بالنفقة على النساء وللنساء نصيب مما اكتسبن بحفظ فروجهن وطاعة ازواجهن بالقيام بمصالح البيت
واسألوا الله من فضله فضله من خزائن الانعام ما لا ينفد مطالب الانام ومن للتبعيض اي شيئا من خزائن كرمه وطوله ان الله كان بكل شيء عليما
فهو العالم بما يكون صلاحا للسائلين فليقتصر السائل على المجمل وليفوض التفصيل اليه فان ذلك اقرب الى الادب واوفق للطلب قوله سبحانه وتعالى
ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون يحتمل تفسيره بحيث يكون الوالدان والاقربون وارثين وبحيث يكونان موروثا منهما والمعنى على الاول
لكل احد جعلنا ورثة في تركته ثم انه كانه قيل ومن هؤلاء الورثة فقيل هم الوالدان والاقربون فيحسن الوقف على قوله مما ترك ويعني ضمير كل واما على الثاني
فاما ان يكون في الكلام تقديم وتاخير اي لكل شيء مما ترك الوالدان والاقربون جعلنا موالي اي ورثة واما ان يكون جعلنا موالي صفة لكل والمحذوف
والعائد محذوف كذا المبتدأ والتقدير ولكل قوم جعلناهم موالي نصيب مما ترك الوالدان والاقربون كما يقول لكل من خلقه الله انسانا من رزق الله اي حظ
من رزق الله والمولى لفظ مشترك بين معان منها المعتق لانه ولي نعمته في عتقه ومنها العبد المعتق لاتصال ولاية مولاه في انعامه عليه وهذا كما يسمى الطالب غريما
لان له اللزوم والمطالبة بحقه ويسمى المطلوب غريما لكون الدين لازما له ومنها الحليف لان المحالف يلي امره بعقد اليمين ومنها ابن العم لانه يليه بالنصرة ومنها المولى
الناصر قال تعالى ذلك بان الله مولى الذين امنوا ومنها العصبة وهو المراد في الاية لانه لا يليق بها الا هذا كقوله انا اولى بالمؤمنين من مات وترك مالا فماله للموالي العصبة
ومن ترك كلا فانا وليه اما قوله والذين عقدت ايمانكم فاما ان يكون مبتدأ ضمن معنى الشرط فوقع قوله فاتوهم خبره واما ان يكون منصوبا على قولك زيدا
فامرر به وما بواسطة الفاء بين الفعل ومفعوله مفسر ايضا فانه لا يعمل فيما قبلها واما ان يكون معطوفا على الوالدان والايمان جمع يمين اليد والحلف فمن الناس
من قال الاية منسوخة وذلك ان الرجل كان يعاقد الرجل فيقول دمي دمك وهدمي هدمك وثاري ثارك وحربي حربك وسلمي سلمك وترثني وارثك
وتطلب بي واطلب بك وتعقل عني واعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف فنسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وبقوله يوصيكم الله

ايضا ان الواحد منهم كان يتخذ انسانا اجنبيا ابنا لهم وهم الادعياء وكان النبي صلى الله عليه وسلم يواخي بين كل رجلين منهم فكانوا يرثون بالتبني والمواخاة فنسخ وعند من
من زعم انها غير منسوخة وقوله والذين معطوف على ما قبله والمعنى ان ما ترك الذين عقدت ايمانكم فلهم وارث هو اولى بهم فلا تدفعوا المال الى الحليف بل الى الوارث
فيكون الضمير في فاتوهم للموالي قاله ابو علي الجبائي او المراد بالذين عاقدت الزوج والزوجة عقد بينهما الولد والوالدان كما في قوله يوصيكم الله قاله ابو مسلم
وقيل المراد الميراث الحاصل بسبب الولاء وقيل هم الحلفاء والمراد باتيان نصيبهم النصرة والنصيحة والمصافاة وقال الاصم المراد التحفة بالشيء القليل كقوله
واذا حضر القسمة وذهب جمهور الفقهاء الى انه لا يرث المولى الاسفل من الاعلى وحكى الطحاوي عن الحسن بن زياد انه قال يرث لما روى ابن عباس ان رجلا اعتق
عبدا له فمات المعتق ولم يترك الا المعتق فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ميراثه للغلام والحديث عند الجمهور محمول على ان المال صار لبيت المال ثم دفعه النبي الى الغلام لفقره
وقال ابو حنيفة لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح وورث بحق الولاء وخالفه الشافعي فيه وحكى الاقطع ان هذه الموالاة لا تصح عند
ابي حنيفة ايضا الا بين العرب ونالهم لحاجة عقدهم في امورهم ان الله كان على كل شيء شهيدا لانه عالم بجميع الجزئيات والكليات فيشهد على الخلق يوم القيمة بكل
ما عملوه وفيه وعيد للعاصين ووعد للمطيعين هذا وقد مر ان النساء تكلمن في تفضيل الله الرجال عليهن في الميراث ونحوه فذكر في هذه الاية ما يشتمل على بعض
اسباب التفضيل فقال الرجال قوامون على النساء قيم المرأة وقوامها هو مبالغة للذي يقوم بامرها ويهتم بحفظها كما يقوم الوالي على الرعية ومنه سمي الرجال
قواما والضمير في بعضهم للرجال والنساء جميعا اي انما كانوا مسيطرين عليهن بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال على بعض وهم النساء وفيه دليل على ان الولاية
انما تستحق بالفضل لا بالتغلب والاستطالة والقهر وذكروا في فضل الرجال العقل والحزم والعزم والقوة والكتابة في الغالب والفروسية والرمي وان منهم الانبياء
والعلماء والحكماء وفيهم الامامة الكبرى وهي الخلافة والصغرى وهي الاقتداء بهم في الصلوة وانهم اهل الجهاد والاذان والخطبة والاعتكاف والشهادة في الحدود والقصاص
بالاتفاق وفي الانكحة عند الشافعي وزيادة السهم في الميراث والتعصيب وتحمل الدية في القتل الخطأ والقسامة والولاية في النكاح والطلاق والرجعة
وعدد الازواج واليهم الانتساب كل ذلك يدل على فضلهم وحاصلها يرجع الى العلم والقدرة ومنها سبب خارجي وذلك انهم فضلوا عليهن بما انفقوا اي اخرجوا في نكاحهن
من اموالهم مهرا او نفقة عن مقاتل ان سعد بن الربيع وكان من نقباء الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله وقال
افرشته كريمتي فلطمها فقال رسول الله لتقتص منه وكانت نزلت اية القصاص فانصرفت مع ابيها لتقتص منه فقال النبي ارجعوا هذا جبريل اتاني وانزل الله
هذه الاية فقال النبي اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير ورفع القصاص قيل نزل قول العلماء لا قصاص بين الرجل وامرأته فيما دون النفس ولو شجها
ولكن يجب العقل وقيل لا قصاص الا في الجرح والقتل اما في اللطمة ونحوها فلا ثم قسم النساء قسمين ووصف الصالحات منهن بانهن قانتات مطيعات لله ولازواجهن
حافظات للغيب بما يجب حفظه من حقوق الزوج في غيبته والغيب خلاف الشهادة ومن الواجب حفظه عند غيبة الزوج ان تحفظ نفسها عن الزنى لئلا يلحق الزوج العار بسبب زناها
ولئلا يلحق به الولد الحاصل من نطفة غيره وان تحفظ اسراره عن الافشاء وماله عن الضياع ومنزله عما لا ينبغي شرعا وعرفا عن النبي خير النساء امرأة ان نظرت
اليها سرتك وان امرتها اطاعتك وان غبت عنها حفظتك في مالك ونفسها وتلا الاية وما في قوله بما حفظ الله موصولة والعائد محذوف اي بالذي حفظه الله
لهن اي عليهن ان يحفظن حقوق الزوج في مقابلة ما حفظ الله حقوقهن على ازواجهن حيث امرهم بالعدل عليهن في قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان
وقوله بما حفظ الله يجري مجرى قولهم هذا بذاك اي هذا في مقابلة ذاك او مصدرية والمعنى انهن حافظات للغيب بحفظ الله اياهن فانهن لا يتيسر لهن حفظ الغيب الا
بتوفيق الله او بما حفظهن حين وعدهن الثواب العظيم على الامانة واوعدهن العذاب الشديد على الخيانة ومن قرأ بما حفظ الله بالنصب فما اما موصولة اي
بالامر الذي يحفظ حق الله وامانته وهو التعفف والتحصن والشفقة على الرجال والنصيحة لهم او مصدرية اي بسبب حفظهن حدود الله واوامره فان المرأة لولا انها تحاول
رعاية تكاليف الله وتجتهد في حفظ اوامره لما اطاعت زوجها ثم ذكر غير الصالحات منهن فقال واللاتي تخافون تعرفون بالقرائن والامارات نشوزهن وعصيانهن
والترفع عليكم بالخلاف من نشز الشيء ارتفع ومنه نشز للارض المرتفعة فعظوهن هو ان يقول اتقي الله فان لي عليك حقا وارجعي عما انت عليه واعلمي ان طاعتي
عليك فرض ونحو ذلك واهجروهن في المضاجع اي في المراقد اي لا تدخلوهن تحت اللحف قيل هو ان يوليها ظهره في المضجع وقيل في المضاجع اي بيوتهن التي
يبتن فيها اي لا تبايتوهن وفي ضمن الهجران الامتناع من كلامها ولكن ينبغي ان لا يزيد هجر الكلام على ثلث فاذا هجرها في المضجع فان كانت تحب الزوج شق ذلك
عليها فتترك النشوز وان كانت تبغضه وافقها ذلك الهجران فكان ذلك دليلا على كمال نشوزها فيباح الضرب وذلك قوله واضربوهن والاولى ترك الضرب
لما روي انه قال لا تضربوا اماء الله فجاء عمر الى رسول الله فقال ذئرن النساء على ازواجهن اي اجترأن فرخص في ضربهن فاطاف بال رسول الله نساء كثير
يشكون ازواجهن فقال رسول الله لقد طاف بال محمد نساء كثير يشكون ازواجهن ليس اولئك خياركم ومعناه ان الذين ضربوا ازواجهم ليسوا خيرا ممن لم يضربوا
واذا ضربها وجب ان لا يكون مفضيا الى الهلاك البتة وان يكون مفرقا على بدنها ولا يوالي به في موضع واحد ويتقي الوجه لانه مجمع المحاسن وان يكون دون الاربعين
وقيل دون عشرين لانه حد كامل في شرب العبد ومنهم من قال يكون الضرب بالسواك او بالعصى وبالجملة فالتخفيف مرعي في هذا الباب قال علي بن ابي طالب يعظها
بلسانه فان انتهت فلا سبيل له عليها فان ابت هجر مضجعها فان ابت ضربها فان لم تتعظ بالضرب بعث الحكمين وقال اخرون هذا الترتيب مرعي عند خوف النشوز
فاما عند تحقق النشوز فلا باس بالجمع بين الكل وروي عن النبي علق سوطك حيث يراه اهلك فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا بالاذى والتوبيخ واجعلوا
ما كان منهن كان لم يكن ان الله كان عليا لا بالجهة كبيرا لا بالجثة فاحذروه واعلموا ان قدرته عليكم اعظم من قدرتكم على ازواجكم وانه يكن روى ان ابا مسعود
الانصاري رفع سوطه ليضرب غلاما له فبصر به رسول الله فصاح به ابا مسعود لله اقدر عليك منك عليه فرمى بالسوط واعتق الغلام ومن ترفع علو وكبر بالسلطان

نعد

نصوصه منسوب عليكم فانتم احق بالعفو اذ رجع الجاني عليكم او انه مع علوه وكبريائه لا يكلفكم الا ما تطيقون فكذلك لا تكلفوهن محبتكم فلعلهن لا يقدرن على ذلك او انه مع علو شأنه وكبريائه يكتفي من العبيد بالظواهر ولا يهتك السرائر فانتم احق بان لا تفتشوا عما في قلبها من الحب والبغض اذا صلح حالها في الظاهر او انهن ان ضعفن عن دفع ظلمكم وعجزن عن الانتصاف منكم فالله سبحانه قادر قاهر ينتصف لهن منكم ثم بين انه ليس بعد الضرب الا التحكيم فقال وان خفتم قال ابن عباس اي علمتم وذلك لا يمكن الا بعد النشوز وحينئذ يناسب معنى الوعظ والهجران والضرب اعترض عليه الزجاج بانه اذا علم الشقاق قطعا فلا حاجة الى الحكمين واجيب بان الشقاق معلوم الا انا لا نعلم ان سبب الشقاق منه ومنها فالحاجة الى الحكمين لهذا المعنى ويقول المراد ازالة الشقاق في الاستقبال ومعنى شقاق بينهما شقاقا بينهما فاضيف الشقاق الى الظرف على سبيل الاتساع وهو اجراء الظرف مجرى المفعول به او على جعل البين مشاقا فاعلا مثل نهاره صائم والضمير للزوجين يدل عليهما ما سبق الكلام او ذكر الرجال والنساء فابعثوا حكما من اهله رجلا مقنعا رضيا يصلح لحكومة الاصلاح بينهما ويهتدي الى المقصود من البعث ولا بد فيه من العقل والبلوغ والحرية والاسلام ويستحب ان يكون الحكمان من اهلهما لان الاقارب اعرف ببواطن احوالهما واسكن اليهما نفوس الزوجين فيبرزان لهما ما في ضمائرهما من الحب والبغض وارادة الصحبة والفرقة وموجبا كل من الامرين وينبغي ان يخلو حكم الرجل بالرجل وحكم المرأة بالمرأة فيعرف ما عندهما وما فيه رغبتهما واذا اجتمعا لم يخف احدهما على الاخر ما علم ثم المبعوثان وكيلان من جهة الزوجين او موليان من جهة الحكام المخاطبين بقوله فابعثوا فيه قولان قول لا نسخ فيهما وبه قال ابو حنيفة واحمد انهما وكيلان لان البضع حق الزوج والمال حق الزوجة وهما رشيدان والخطاب في قوله فان خفتم شقاق للحكام لانه لا يجري مجرى دفع الضرر فلكل احد ان يقوم به والثاني وبه قال مالك انهما موليان لانه سبحانه سماهما الحكمين ولما روي ان عليا بعث حكمين من الزوجين فقال اتدريان ما عليكما ان عليكما ان رأيتما ان تجمعا ان تجمعا وان رأيتما ان تفرقا ان تفرقا وعلى الاول يوكل الرجل الذي هو من اهله بالطلاق وبقبول العوض في الخلع والمرأة الاخر ببذل العوض وقبول الطلاق ولا يجوز بعثهما الا برضاهما فان لم يرضيا ولم يتفقا على شيء ادب القاضي الظالم واستوفى حق المظلوم وعلى الثاني لا يشترط رضى الزوجين ثم يبعث الحكمين ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فيه اربعة اوجه الاول ان يريد الحكمان خيرا يوفق الله بين الحكمين حتى يتفقا على ما هو خير الثاني ان يريد الزوجان اصلاحا ابدل الله الزوجين بالشقاق الفة الثالث ان يريد الحكمان صلاحا يؤلف الله بين الزوجين الرابع ان يريد الزوجان خيرا يوفق الله بين الحكمين حتى يتفقا على ما هو الصلاح واصل التوفيق جعل الاسباب موافقة للغرض ولا يستعمل الا في الخير والطاعة وفيه ان لا يتم شيء من الاغراض الا بتوفيق الله تعالى وفيه اشارة ان الله كان عليما خبيرا يعلم كيف يوفق بين المختلفين ويجمع بين المفترقين بمقتضى علمه وارادته وفيه وعيد للزوجين والحكمين في سلوك ما يخالف طريق الحق وعدم الجد في حسم مادة الخصومة والخشونة ثم ارشد الى مجامع الاخلاق الحسنة بقوله واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا فان من عبد الله واشرك به شيئا اخر فقد حبط عمله وضل سعيه وبالوالدين احسانا فاتقوه واحسنوا بهما احسانا يقال احسن به والى فلان وبذي القربى واليتامى والمساكين وقد مر تفاسيرها في البقرة قال ابو بكر الرازي ان اضطر الى قتل ابيه بان يخاف ان يقتله ان ترك قتله جاز له ان يقتله والجار ذي القربى الذي قرب جواره والجار الجنب الذي بعد جواره عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه الا وان الجوار اربعون دارا وعن الزهري اربعين دارا من كل جانب وقيل الجار ذي القربى الجار القريب النسب والجار الجنب الاجنبي والتركيب يدل على البعد ومنه الجانبان للناحيتين والجنبان لبعد كل منهما عن الاخر ومنه الجنابة لبعده عن الطهارة وعن حضور الجامع والمسجد ما لم يغتسل ومن قرأ الجنب فمعناه المجنوب مثل خلق بمعنى مخلوق والمراد ذي الجنب فحذف المضاف والصاحب بالجنب هو الذي حصل بجنبك اما رفيقا في سفر واما جارا ملاصقا واما شريكا في تعلم او حرفة واما قاعدا الى جنبك في مجلس او في مسجد او غير ذلك من ادنى صحبة اتفقت بينك وبينه فعليك ان ترعى ذلك الحق ولا تنساه وتجعله ذريعة الى الاحسان وقيل الصاحب بالجنب المرأة فانها تكون معك وتضطجع الى جنبك وابن السبيل المسافر لانه انقطع عن بلده او الضيف وما ملكت ايمانكم عن علي بن ابي طالب انه كان اخر كلام رسول الله الصلاة وما ملكت ايمانكم وذكر اليمين تاكيد كما يقال مشى برجله والاحسان اليهم ان لا يكلفهم فوق طاقتهم ولا يؤذيهم بالكلام الخشن بل يعاشرهم معاشرة جميلة ويعطيهم من الطعام والكسوة ما يليق بهم في كل فترة كانوا في الجاهلية يسيئون الى المملوك ويكلفون الاماء البغاء ومن الكسب يضربون ويضعون على العبيد الخراج الثقيل وقيل كل حيوان فهو مملوك والاحسان الى كل نوع بما يليق به طاعة عظيمة ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا تياها جهولا يتكبر عن اكرام اقاربه واصحابه مما لبكم عن الالتفات اليهم والتفقد لهم والتحفي بهم ويانف من اقاربه اذا كانوا فقراء ومن جيرانه اذا كانوا ضعفاء واصلح من الجناة الكبر والفخور المتطاول الذي يعدد مناقبه وعن ابن عباس هو الذي يفخر على عباد الله تعالى بما اعطاه من انواع نعمه ولعل هذا يجوز على سبيل التحدث بالنعم فقط الذين يبخلون البخل في اللغة منع الاحسان وفي الشرع منع الواجب وفيه اربع لغات البخل مثل الفقر والبخل بضم الباء وسكون الخاء وبضمهما وبفتحهما وسبب النظم ان الاحسان الى المذكورين انما يكون في الاغلب بالمال فذم المعرضين عن ذلك الاحسان بحب المال ويحتمل ان يشمل البخل بالعلم ايضا اي يبخلون بذات ايديهم وبما في ايدي غيرهم ومنه هذا البخل في امثالهم اشح من الضنين بنائل غيره ويكتمون ما اتاهم الله من فضله لغنى حالهم او هو الفقر مع الغنى والاعسار مع اليسار والعجز مع الامكان قال الفواسي رضي الله عنه خبث عامله ان الله تعالى يحب ان يرى اثر نعمته على عبده وبنى عامل للرشيد قصرا حذاء قصره فنم به عنده فقال الرجل يا امير المؤمنين ان الكريم يسره ان يرى اثر نعمته فاحببت ان اسرك بالنظر الى اثار نعمتك فاعجبه كلامه ثم ان هذا الكتمان قد يقع على وجه يوجب الكفر مثل ان يظهر الشكاية من الله تعالى ولا يرضى بقضائه ولذلك قال واعتدنا للكافرين عذابا مهينا ويحتمل ان يراد كافر النعمة لا كافر الايمان وقال ابن عباس ان الاية في اليهود كانوا يأتون

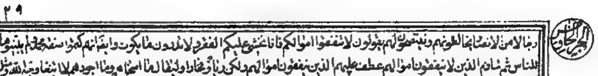

رئاء الناس لانهما يحبان الطونهم ويبتغون لهم يقولون لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون وانهم كتموا صفة محمد ﷺ ليلبسوا
على الناس ثم شاء الذين لا ينفقون اموالهم عطف عليهم الذين ينفقون اموالهم ولكن رئاء وفخارا وليقال ما اسخاه وما اجوده لا ابتغاء وجه الله وقيل
هذا الانفاق دليل على انه لا يؤمن بالله واليوم الآخر ولا يتقي الله وللآخرة ومن يكن الشيطان له قرينا في الدنيا امر بالبخل والانفاق رياء فساء قرينا في الآخرة
يقرن به في النار ثم استفهم على سبيل الانكار بقوله وماذا عليهم وما الذي عليهم في باب الايمان والانفاق في سبيل الله المراد التوبيخ فكل منفعة في ذلك
كما يقال للمنتقم ما ضرك لو عفوت وللعاق ما كان يضرك لو كنت بارا وكان الله بهم عليما وعيد لهم بعث على اصلاح افعال القلوب التي يطلع عليها علام الغيوب
وردع عن دواعي النفاق والرياء والسمعة قد احتج القائلون بان الايمان يصح على سبيل التقليد بان قوله وماذا عليهم لو آمنوا اشعر بان الايمان
بالايمان في غاية السهولة والاستدلال في غاية الصعوبة واجيب بان الصعوبة في الايمان بالاستدلال التفصيلي لا الاجمالي وقال جمهور المعتزلة لو كانوا
غير قادرين لم يقل وماذا عليهم كما لا يقال للمرأة ماذا عليها لو كانت رجلا وللقبيح ماذا عليه لو كان جميلا واجيب بعدم الحسن والقبح العقليين وانه لا يسئل
عما يفعل ثم رغب في الايمان والطاعة قائلا ان الله لا يظلم مثقال ذرة والمثقال مفعال من الثقل كالميزان من الوزن والذرة النملة الصغيرة وعن ابن
عباس انه ادخل يده في التراب ثم نفخ فيها ثم قال كل واحد من هذه الاشياء ذرة وقيل كل جزء من اجزاء الهباء في الكوة ذرة وانتصاب مثقال على انه مفعول
ثان اي لا ينقص الناس مثقال ذرة او على المصدر اي ظلما قدره مقدار ذرة وفي نفي الظلم راسا الا انه اخرج الكلام على المتعارف وفي هذه الآية ما يبطل
مذهب المعتزلة في انه تعالى غير خالق لاعمال العباد والا كان ظالما وتمسكوا بها في ان العبد يستحق الثواب على طاعته والا كان منعه عنه ظلما واجيب بانه اذا
كان متصرفا في ملكه كيف شاء فلا يتصور منه ظلم اصلا وقد احتج الاصحاب بها على صحة مذهبهم في عدم الاحباط بان عقاب شرب قطرة من الخمر لو كان مزيلا
لطاعات سبعين سنة كان ظلما وفي عدم تخليد الفساق بان عقاب شرب جرعة من الخمر لو كان دائما لحصل لزوم ابطال ثواب ايمان سبعين سنة وهو ظلم
ثم قال وان تك حسنة حذفت النون من هذه الكلمة بعد سقوط الواو بالتقاء الساكنين لاجل التخفيف لكثرة الاستعمال ومن قرأ حسنة بالرفع فعلى كان التامة
ومن نصب الحسنة فالتانيث في ضمير المثقال لكونه مضافا الى مؤنث والمراد بالمضاعفة ليس هو المضاعفة في المدة لان مدة الثواب غير متناهية وتضعيف غير
المتناهي محال بل المراد المضاعفة بحسب المقدار كان يستحق عشرة اجزاء من الثواب فيجعله عشرين او ثلثين عن ابن مسعود انه قال يؤتى بالعبد يوم القيامة
وينادي مناد على رؤس الاولين والآخرين هذا فلان ابن فلان من كان له عليه حق فليأت الى حقه ثم يقال آت هؤلاء حقوقهم فيقول يا رب من اين وقد
ذهبت الدنيا فيقول الله للملائكة انظروا في اعماله الصالحة فاعطوهم منها فان بقي مثقال ذرة من حسنة ضعفها الله لعبده وادخله الجنة بفضل رحمته
ومصداق ذلك في كتاب الله وان تك حسنة يضاعفها قال الحسن قوله يضاعفها احب الى العلماء مما لو قال في الحسنة الواحدة مائة الف حسنة لان
هذا يكون مقداره معلوما اما على هذه العبارة فلا يعلم كنهه الا الله وعن انس ان رسول الله ﷺ قال ان الله لا يظلم مؤمنا حسنة يعطى بها في الدنيا
ويجزى بها في الآخرة واما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا حتى اذا افضى الى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها ويؤت من لدنه اجرا
عظيما فان الله يضاعف الا ان لدنا اكثر كما يقول الرجل عندي مال ان كان المال ببلد آخر ولا يقول لدي مال الا اذا كان بحضرته والمعتزلة حملوا
المضاعفة على الفضل المستحق وهذا الثاني على الفضل التابع للاجر ويمكن ان يقال الاول اشارة الى السعادات الجسمانية والثاني اشارة الى اللذات
الروحانية والله اعلم التأويل جملة الكبائر مندرجة تحت ثلث احدها اتباع الهوى بنشأ منه البدع والضلالات وطلب الشهوات وحظوظ النفس
بترك الطاعات وثانيها حب الدنيا وينشعب منه القتل والظلم واكل الحرام وثالثها الشرك ويتبعه الشرك والرياء والنفاق وغيرها ثم الخسران
الدين ليس بالتمني فقال ولا تتمنوا فانه لا يحصل بالتمني ولكن للرجال الجبلة فيه نصيب مما اكتسبوا في طلبه وللنساء هم الذين يطلبون من الله غير الله نصيب
على قدر هممهم في الطلب واسئلوا الله من فضله فهو معطيه لسائله من فضله الخاص وهو العلم اللدني وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وسلوه
منه لا تسئلوا منه غيره ولكل جعلنا موالي لكل طالب صادق جعلنا استعدادا في الازل فلو لا ثمرة ذلك الاستعداد وهو طلب لعدم الاستعداد والمشيئة
والذين عقدت ايمانكم وبينهم عقد الاخوة في الله فاتوهم بالنصح وحسن التربية والتسليك نصيبهم الذي فاتهم الرجال قوامون على النساء مصالح دينهن ودنياهن
بما فضل الله بعضهم على بعض وهو استعداد الخلافة والوراثة وبما انفقوا من اموالهم اي يجرهم عن الدنيا ويفردهم للمولى فالصالحات اللاتي يصلحن للكمال قانتات مطيعات
لله لمن تولى حافظات لو امر الغيب بما حفظ الله عليهن حقائق الغيب اسرارها واللاتي تخافون نشوزهن اذا اردتم تعليمهن كوقوف الوارثات كما قيل شعر
فاشكر القوم ... اذ كان مسكرا من المبتدئ فعظوهن باللسان واهجروهن بالهجران التام في المكان واضربوهن بسطوة الانفصال عن فراق الاخوان
كما كان حال الخضر مع موسى حيث قال هذا فراق بيني وبينك هذا قانون ارباب الكمال ان اراد امرا بالارادة بادات البلا او عرية من غلبات الاحوال
وان خفتم شقاق بينهما ابعثوا حكما من الواصل المريد المتكامل فابعثوا متوسطين من المشايخ الكاملين من السالكين المعتبرين ان يريدا اصلاحا فانهما يعلمهما
صلاحهما يوفق الله بينهما بالارادة وحسن التربية واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا من الدنيا ولا من الآخرة ليحصل لكم ثمرة مواصلة العبودية ... وبالوالدين
احسانا ... **فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا يومئذ**
وجلالا والله ولي التوفيق

يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا ۝ يا ايها الذين

امنوا

آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا

وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا

صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا

مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ ۝ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ

نَصِيرًا ۝ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ

وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ

خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ

آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا

أَصْحَابَ السَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ۝ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ

وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ ۚ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ

فَتِيلًا ۝ انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُبِينًا ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ

يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ۝ أُولَٰئِكَ

الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ۝ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا

أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۖ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا

عَظِيمًا ۝ فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ

نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝ وَالَّذِينَ آمَنُوا

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ

و کردند شایسته زود است که داخل کنیم ایشان را در بهشت‌ها که روان است از زیر ایشان جوی‌ها جاویدان در آن همیشه مر ایشان راست در آن زنان پاکیزه

وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ۝ القراءة تسوی بادغام تاء التفعل فی السین ابو جعفر و نافع و ابن عامر تسوی بالامالة و حذف التاء الاولی حمزة و علی

و در آوریم ایشان در سایهٔ انبوه ۝ و خلف الباقون تسوی مبنیا للمفعول من التسویة مسکم من اللمس و کذلک فی المائدة حمزة و علی و خلف المفصل الباقون

المسلم من الملامسة فتیلا انظر بکسر التنوین ابو عمرو و سهل و یعقوب و حمزة و عاصم و ابن ذکوان الباقون بالضم و فرق بعضهم بین موضع الفصل فلم یجوز

الضم کراهة الاستثقال من الکسرة الی الضمة بقوله مثله انظر و لو برحمة ادخلوا و خبیثة اجتثت و عذاب ارکض و اشباه ذلک نضجت جلودهم و بابه مدغما حمزة

وعلى وخلف وهشام وابو عمرو الوقف تسوى بهم الارض حديثا تغتسلوا او لامستم عفورا السبيل لا تعدا لكم معتبرة في الدين او قوم لا ينال الكلمة السبب مقوله
لمن يشاء عظيما بان يكون انعمهم فتيلا الكذب مبينا سبيلا وبالجبت لعنهم الله مصيرا لام بمعنى همزة الاستفهام للانكار والتعجب والمقصود منه ان الاستفهام مع
صفتها لقاء عظيما صدعته سعيرا ناره العذاب حكيما ابدا مطهرة لا يستهان بالفضل على من تمام المقصود ظليلا التفسير سبحانه لنا وعد الظالمين بقوله
ان الله لا يظلم مثقال ذرة ووعد المطيعين بقوله وان تك حسنة يضاعفها اراد ان يبين ان ذلك يجري بشهادة الرسل الذين جعلهم الله حجة على الخلق فيكون
الالزام تم والتبكيت اعظم روي ان النبي ﷺ قال لابن مسعود اقرأ القرآن علي قال فقلت يا رسول الله اقرأ عليك وعليك انزل فقال احب ان اسمعه من غيري قال ابن
مسعود فقرأت سورة النساء فلما انتهيت الى هذه الاية قال حسبك الآن فالتفت اليه فاذا عيناه تذرفان قال العلماء انه بكاء فرح لما شهد الله تعالى
بكرامة وقبول الشهادة على الخلائق والمعنى كيف يصنع هؤلاء الذين شاهدتهم وعرفت احوالهم من مردة الكفر كاليهود وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد يشهد عليهم
بما فعلوا وهو نبيهم وجئنا بك على هؤلاء المكذبين شهيدا ثم وصف ذلك اليوم فقال يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول قيل هذه الجملة معترضة والمراد وقد
عصوا والظاهر ان الواو للعطف ويقتضي كون عصيان الرسول مغايرا للكفر لان عطف الشيء على نفسه غير جائز فاما ان يحمل الكفر بنوع منه وهو الكفر بالله
او يقال انه عام وافرد ذكر منه اظهارا لشرف الرسول وتعظيما لشأنه المحبوب او يحمل عصيان الرسول على المعاصي المغايرة للكفر فيكون في الاية دلالة على ان
الكفار مخاطبون بفروع الشرائع ومعنى لو تسوى لو يدفنون فتسوى بهم الارض كما تسوى بالموتى او يودون انهم لم يبعثوا وانهم كانوا والارض
سواء او يصيرون الى البهائم ترابا فيودون حالها كقوله ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا اما قوله ولا يكتمون الله حديثا فاما ان يتصل بما قبله اي الصفة
اي يودون لو انطبقت عليهم الارض لم يكونوا كتموا امر محمد ولا كفروا به ولا نافقوا والحاصل ان المراد ان المشركين لما رأوا يوم القيامة ان الله يغفر لاهل الاسلام
دون اهل الشرك قالوا تعالوا فلنجحد ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين رجاء ان يغفر الله لهم فيختم على افواههم وتتكلم ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يعملون فتمنوا
يودون انهم كانوا ترابا ولم يكتموا الله حديثا واما ان يكون كلاما مستانفا فان ما عملوه ظاهر عند الله فكيف يقدرون على كتمانه ودان نفس حديثا وقوله
ثم انه وصف اليوم كيفية الصلوة التي هي سنام الطاعات واعظم العبادات فقال يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى قد مر سببه في
البقرة وفي لفظ الصلوة ههنا قولان احدهما ان المراد المسجد وهو قول ابن عباس وابن مسعود والحسن واليه ذهب الشافعي والتقدير الا حذف المضاف اي لا تقربوا
موضع الصلوة وثانيهما وعليه الاكثرون ان المراد نفس الصلوة اي لا تصلوا اذا كنتم سكارى ومعنى الاية على القول الاول لا تقربوا المسجد حالة اتيانكما
حالة السكر وذلك ان جمعا من اكابر الصحابة قبل تحريم الخمر كانوا يشربونها ثم ياتون المسجد للصلوة مع الرسول فنهوا عن ذلك لان الظاهر ان الانسان اذا اتى
المسجد فانما يأتيه للصلوة ولا شك ان الصلوة فيها اقوال مخصوصة يمنع السكر منها وثانيهما حالة الجنابة واستثنى من هذه الحالة حالة العبور في الجنابة
في المسجد بان كان الطريق الى الماء فيه او وقع الاحتلام فيه والمعنى على القول الثاني النهي عن الصلوة في حالتين الاولى حالة السكر ابدا الا اذا علموا ما يقولون
ومعلوم ان الصلوة مشتملة على القيام فيها والثانية حالة الجنابة ويستثنى منها حالة عبور السبيل والمراد به في هذا القول المسافر اي لا تقربوا الصلوة
في حالة الجنابة الا ومعكم حال اخرى تعذرون فيها وهي حال السفر ويجوز ان يكون لا عابري سبيل صفة لقوله جنبا اي لا تقربوها جنبا غير عابري سبيل
اي جنبا مقيمين وانما استثنى حالة المسافر لما يجيء من تفصيل منها وهو ان المسافر اذا اجنب ثم لم يجد الماء تيمم وصلى مع الجنابة وبرد عليه بعد ان الجنب
المقيم ايضا اذا عجز عن استعمال الماء لمرض او برد يجوز له التيمم والصلوة مع الجنابة اللهم الا ان يقال العذر في السفر اعم واغلب فلهذا خصص بالذكر ولا سكارى
جمع سكران وقوله وانتم سكارى في محل النصب على الحال ولهذا عطف عليه قوله ولا جنبا والجنب يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه اسم جرى
مجرى المصدر الذي هو الاجتناب وعن الضحاك وجمهور الصحابة والتابعين قال ان السكر ههنا سكر النوم وغلبة النوم وهو مأخوذ من الاشتقاق فان السكر
عبارة عن سد الطريق ومنه سكر البثق سده وطريقه والسكر في الشراب هو ان ينقطع ما عليه من المضاف في حال الصحو وفي النوم يمتلئ مجاري الروح من الابخرة
الغليظة فينسد تلك المجاري بها ولا ينفذ الروح الباصر والسامع الى ظاهر البدن والجواب ان لفظ السكر حقيقة في السكر من الخمر والاصل في الاطلاق الحقيقة
ومتى استعمل مجازا فانما استعمل مقيدا كقوله وجاءت سكرة الموت وترى الناس سكارى وايضا جميع المفسرين على انها نزلت في شرب الخمر وسببه النزول
يمنع ان لا يكون مرادا من الاية ثم على قول الجمهور يمكن ابقاء النهي في الاية بان المنهي عنه قرب الصلوة حال السكر ممدود الى غاية ان يصير بحيث يعلم ما يقول
والحكم الممدود الى غاية يقتضي انتهاء ذلك الحكم عند تلك الغاية فهذا يقتضي جواز الصلوة مع السكر اذا كان بحيث يعلم ما يقول والجواز الصلوة مع هذا السكر
يوهم جواز هذا السكر لكنه تحريم الخمر في ابراز المائدة على الاطلاق فيكون ناسخا لبعض مدلول هذه الاية ومنهم من قال ان مدلول الكلام يرجع الى النهي عن شرب
الخمر بانهم عند القرب من الصلوة مخصص الشيء بالذكر لا يدل على نفي ما عداه فلا يكون منسوخا بل كذا ان الصحابة لم يفهموا منها التحريم المطلق وكانوا لا
يشربون في اوقات الصلوة فاذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون الى ان نزلت آية المائدة فقالوا انتهينا
يا رب والتحقيق فيه ان النهي عن مباح الاصل يشعر بتحريمه مادام ذلك الوصف كان لا يدل على تحريمه ولا على اباحته في غير ذلك الوقت وغير ذلك الوجه الا ان جانب الاباحة
في غير ذلك الوقت وغير ذلك الوجه الا ان جانب الاباحة راجح بحكم الاصل فتعلق الظن بذلك فهم الصحابة ثم انه تعالى ذكر حكم المعذورين في حال الحدث فخص
اولا من بينهم مرضاهم وسفرهم لانهم المتقدمون في استحقاق بيان الرخصة لهم لكثرة المرض والسفر وغلبتهما على سائر الاسباب الموجبة للرخصة والمعنى
ان المرضى اذا عدموا الماء لضعفهم عن الحركة وعجزهم عن الوصول اليه فلهم ان يتيمموا وكذا الذين هم على حالة السفر اعدموه لبعده ويحتمل ان يقال قوله فلم تجدوا ماء

للبرد فانه في حكم المرض لانه في الحضر وان وجد الماء ثم عمم كل من يجب عليه التطهر واعوزه الماء لخوف سبع او عدو او عدم آلة استقاء او لحصار في مكان لا ماء
فيه او غير ذلك من الاسباب التي لا يكثر كثرة المرض والسفر ويراد بالمرض ما يخاف معه محذورا كبطوء برء وشين فاحش ظاهر بقول طبيب مقبول الرواية او بالتجربة
ولا يخاف مدى ... وعن بعض الصحابة انه اصابته جنابة وكان به جراحة عظيمة فسأل بعضهم فلم يفتوه بالتيمم فاغتسل فمات فسمع النبي صلى الله عليه وسلم فقال قتلوه قتلهم الله وقال مالك
وداود يجوز له التيمم بجميع انواع المرض التي لا تؤدي الى المرض لو استعمل الماء كما مر من حديث عمرو بن العاص في تفسير قوله ولا تقتلوا انفسكم والسفر يعم
الطويل والقصير من مسافة القصر وما دونها لاطلاق قوله او على سفر والغائط المكان المطمئن من الارض وجمعه الغيطان كان الرجل اذا اراد قضاء الحاجة
طلب غائطا من الارض يحجبه عن اعين الناس فكنى به عن ذلك واكثر العلماء جعلوا الغائط كل ما يخرج من السبيلين من معتاد او نادر واما اللمس والملامسة
ففيه قولان احدهما ان المراد التقاء البشرتين بجماع او بغيره كما هو مقتضى اللغة وهو قول ابن مسعود وابن عمر والشعبي والنخعي واليه ذهب الشافعي وثانيهما ان المراد
به الجماع وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وهو مذهب ابي حنيفة والشيعة قالوا ورد في القرآن بطريق الكناية وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فتحرير
رقبة من قبل ان يتماسا وعن ابن عباس ان الله حيي كريم يعف ويكني فعبر عن المباشرة بالملامسة وايضا ليشتمل الآية الحدث الاصغر والاكبر ثم على مذهب الشافعي
قال بعض اهل النظر انما ينتقض وضوء اللامس دون الملموس لقوله او لامستم والصحيح انه ينتقض وضوؤهما معا لاشتراك اللامس والملموس في ابتغاء اللذة قوله فلم تجدوا ماء
قال الشافعي اذا دخل وقت الصلاة طلب الماء ولم يجد تيمم وصلى ثم دخل وقت الصلاة الثانية وجب عليه الطلب مرة اخرى لان عدم الوجدان مشعر بسبق الطلب
فلا بد في كل مرة من سبق الطلب قال ابو حنيفة لا يجب الطلب لقوله ولم تجدوا كرعاية سبق الطلب حقيقة ... يحمل الكلام على المجاز لكانه
طلب شيئا ثم لم يجده واجمعوا على انه لو وجد الماء لكنه احتاج اليه لعطشه او لعطش حيوان محترم معه جاز له التيمم ولو وجد من الماء ما لا يكفيه فالاصح عندنا انه
انه يستعمله ويتيمم ليكون عاملا بظاهر الآية والتيمم في اللغة القصد والصعيد التراب فعيل بمعنى فاعل وقال ثعلب والزجاج انه وجه الارض ترابا كان
او غيره ومن هنا قال ابو حنيفة اذا كان حجرا لا تراب عليه فضرب المتيمم يده عليه ومسح كان ذلك كافيا وقال الشافعي لا بد من تراب ليتحقق مفهوم ... منه
وليلتصق باليد فيمكن المسح ببعضه كما جاء في المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه ولا يفهم من قول القائل مسحت براسي من الدهن الا معنى التبعيض
ولان الصعيد موصوف بالطيب والطيب هو المنبت والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه ولانه صلى الله عليه وسلم خص التراب بالطهارة في
قوله جعلت لي الارض مسجدا وترابها طهورا اما مسح الوجه واليدين فعن علي وابن عباس اختصاص المسح بالجبهة وظاهر الكفين وقريب منه مذهب مالك
لان المسح يكتفى فيه باقل ما يطلق عليه اسم المسح وقال الشافعي وابو حنيفة يمسح الوجه واليدين الى المرفقين كما في الوضوء وعن الزهري الى الآباط لان
اليد حقيقة في هذا العضو الى الابط ثم ختم الآية بقوله ان الله كان عفوا غفورا وهو كناية عن الترخيص والتيسير لان من كان من عادته العفو عن المذنبين
كان اولى بالترخيص للعاجزين عن عائشة قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره حتى اذا كنا بالبيداء او بذات الجيش انقطع عقد لي فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
على التماسه واقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فجاء ابو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع راسه على فخذي قد نام فقال احبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس
معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء قالت فعاتبني ابو بكر وقال ما شاء الله ان يقول وجعل يطعن بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك الا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على
فخذي فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اصبح على غير ماء فانزل الله آية التيمم فتيمموا فقال اسيد بن الحضير وهو احد النقباء ما هي باول بركتكم يا آل ابي بكر قالت عائشة
فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته ثم انه سبحانه لما ذكر من اول السورة الى ههنا احكاما كثيرة عدل الى ذكر طرف من آثار المتقدمين واحوالهم
لان الانتقال من اسلوب الى اسلوب مما يزيد السامع هزة ونشاطا فقال الم تر الى الذين اي الم ينته علمك او الم تنظر الى من اوتوا حظا من علم التوراة وهم احبار
اليهود وانما ادخل من التبعيضية لانهم عرفوا من التوراة نبوة موسى ولم يعرفوا منها نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فاما الذين اسلموا منهم كعبد الله بن سلام واضرابه فقد
آمنوا بما معهم من علم الكتاب في قوله قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب لانهم عرفوا الامرين جميعا يشترون الضلالة يختارونها ومعنى الاشتراء ان
من اشترى شيئا فقد آثره واختاره قال الزجاج والمراد تكذيبهم الرسول لاغراضهم الفاسدة من اخذ الرشوة وحب الرياسة وقيل المراد يستبدلون الضلالة
وهي البقاء على اليهودية بالهدى وهو الاسلام بعد وضوح الآيات على صحته ويريدون ان تضلوا انتم ايها المؤمنون سبيل الحق كما ضلوا والاصح من جمع بين
هذين الامرين الضلال والاضلال عن ابن عباس ان الآية نزلت في حبرين من احبار اليهود كانا يأتيان رأس المنافقين عبد الله بن ابي ورهطه فيثبطونهم عن الاسلام
وقيل المراد عوام اليهود كانوا يعطون احبارهم بعض اموالهم لينصروا اليهودية فكانهم اشتروا بها الشبهة والضلالة والله اعلم منكم باعدائكم لانه عالم
بكنه ما في صدورهم من الحنق والغيظ فاذا اطلعكم على احوالهم فلا تستنصحوهم في اموركم واحذروهم وكفى بالله وليا ... وكفى بالله نصيرا
فثقوا بولايته ونصرته دونهم وكرر كفى ليكون اشد تاثيرا في القلب واكثر مبالغة ودخلت الباء في الفاعل ايذانا بان الكفاية من الله ليست كالكفاية
من غيره فكانت الباء للتبيين وقال ابن السراج التقدير كفى اكتفاؤك بالله وقيل ... الباء ... ان هذه الكفاية منه صلة ... بعيد
واستطرد قوله من الذين هادوا بيانا للذين اوتوا نصيبا من الكتاب وقوله والله اعلم الى آخر الآية معترضات بين البيان والمبين او باعدائكم والجملتان بينهما
معترضتان واما صلة لنصيرا كقوله ونصرناه من القوم الذين كذبوا واما كلام مستأنف على ان يحرفون صفة مبتدأ محذوف تقديره من الذين هادوا
قوم يحرفون الكلم عن مواضعه قال الواحدي الكلم جمع حروفه اقل من حروف واحده وكل جمع يكون كذلك فانه يجوز تذكيره ومعنى هذا التحريف اما ابدال
لفظ مكان لفظ لوضعهم آدم طوال مكان اسم ربعة وجعلهم الحد بدل الرجم ... الا ... واما في المائدة فقيل من بعد مواضعه

آدم اسم ربعة

نظرنا الى ما لكم كانت الجهود اسمع هو بمعنى ان يكون دعاء عليه وقوله كالغريب لانه كلام موضع لم يرد قبل المراد بالغريب هنا ما يشتمل البلاغة والتأدب الا انه كما
كان يفعله في زماننا اهل البدعة وجعل بعض العلماء هذا القول صح لا سيما وقد عرف المشهور المتواتر لكن دعوى التواتر فيه نظر وطرق التوزيع ممنوع وقيل
كانوا يدخلون على النبي صلى الله عليه وسلم فيسألونه عن امر فيخبرهم به فاذا خرجوا من عنده حرفوا كلامه ومن جملته انهم اذا امرهم بشيء قالوا في الظاهر سمعنا
وفي الباطن عصينا او كانوا يقولون كلا اللفظين ظاهرا اظهارا للمخالفة لم يدعوا الكفر والجحود ومنها قولهم للنبي اسمع غير مسمع وهو كلام ذو وجهين
اما احتمال المدح فلقول العرب اسمع فلان فلانا اذا سبه واذا كان المراد اسمع غير مسمع مكروها كان مدحا وتوقيرا وتعظيما واما احتمال الذم فبان يكون معناه
اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت لانه لو كان اصم فانه لا يسمع فلا يسمع او بان يراد اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه اي غير مسمع جوابا يوافقك او بان يراد
اسمع غير مسمع كلاما ترضيه وعلى هذا يجوز ان يكون غير مسمع مفعول اسمع لا حالا اي اسمع كلاما غير مسمع اياك لنبو سمعك عنه وقولهم
قوله لم يرد راعنا وقد عرفت احتمالاته في البقرة واما ما جاء بقول الجمل ادنى لو حين بعد عنهم بالعصبية على وجه ان المواجهة بالعصبية اقوى خطابا في الحرم
من المواجهة بالسب غاية السوء لما كانت الكفرة يواجهونه بالاول وهو الثاني كنا بالسنتهم مفعول لاجله ومصدر لهذا وقيل وقوله لانه في معنى اللي
بقوله وصفه واو بدل الوجه فقلبت فادغمت والمعنى يفتلون بالسنتهم الحق الى الباطل حيث يضعون راعنا موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت
مكروها او يفتلون بالسنتهم ما يضمرونه من الشتم الى ما يظهرونه من التوقير نفاقا او لعلهم كانوا يفتلون السنتهم بالسنتهم عند ذكر هذا الكلام سخرية
وطعنا على عادة المستهزئين يعني انهم انما يقدمون على هذه الاشياء طعنا في الدين يعني بذلك على ما كانوا يقولون فيما بينهم انا نشتمه ولا يعرف
ولو كان نبيا لعرف باطنهم ذلك عليه فقلب فجعلوا طعنا في الدين لا انه طعن فيه لان الاجتباء على الغيب معجز ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا ولو انهم
سمعنا واطعنا بدل قولهم سمعنا وعصينا اذ ولو ثبت قولهم لاثبات وثبت لهم الهيبة لكان بعد ثبت انه اسمع فقط بدل قولهم غير مسمع وانظرنا مكان راعنا لكان قولهم ذلك خيرا لهم
واقوم اعدل واشد من قولهم وفيه مع وفرط اي وصفهم ولكن لعنهم الله بكفرهم اي بسببه فلا يؤمنون الا ايمانا قليلا وهو ايمانهم بالله والتوراة وبعض
الانبياء دون سائر رسله او الا قليلا منهم آمنوا لان عبد الله وبرا دبرا لحج كقوله وحسن او لئك رفيقا او اراد بالقلة العدم ثم رجعهم عن كفر الجحود ولمنا
فعلهم يا ايها الذين اوتوا الكتاب الاية والطمس المحو والطمس الطريق نوع ظاهر في مطموس معناه ظاهر الاعلام وطمست الكتاب محوته وقيل الاية جعلها
او مجاز قولان والمحمول على الاول هو تخطيط صورها واشكالها من عين وحاجب وانف وفم والفاء في فنردها على ادبارها للتسبب لفعل الغاية
بسبب هذا الطمس على هيئتها قفاء فالمطموس منها الاول الوجه لما ينتج عن زوال الاعضاء بها من الحواس والخطوط فان الوجه محسوس بها وذلك
فرق بينها وبين القفا واما للتعقيب على ان العقوبة شيئان احدهما عقيب الآخر الطمس ثم نكس الوجوه الى خلف الاقفاء الى قدام وانما يكون
هذا عقوبة لما فيه من تشويه الخلقة والمثلة والفضيحة ما لا يخفى على اهل النار وذاما من اوتي كتابه وراء ظهره على ان وجوههم مردودة الى القفا
فيدل على الكتابة وننظر من هنا ان الما الحمل على القول الثاني عن الحسن بطمسها بالهدى وردها بالخذلان على ادبارها اي على ضلالها وشبهاتها
وذلك ان الموجه الى عالم الحس معرض عن عالم العقل وبعد الاقبال على الحق يحصل الادبار عن هذا وقال عبد الرحمن بن زيد بن هم الجمع جابرا
منه وهي ان فيها من الشام يرجع الى اذرعات واريحا ويحتمل ان اريد الطمس عن هذا الى تغيير الوجوه واما ازالة آثارهم عن ديار العرب قبل الطمس للقلب
الشبه او المراد بالوجوه رؤساؤهم ووجهاؤهم اي من قبل ان نغير احوال وجهائهم فنسلبهم اقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارهم وادبارهم والتعبير في قوله
اما الوجوه ان اريد بها الوجهاء واما الاصحاب لوجوه الاعلام المذمومين من قبل ان نطمس وجوها راجع الى الذين اوتوا الكتاب على طريق الالتفات فان قيل
فان وقوع الوعيد الجواب ان مشروط بعدم ايمان جميعهم ولكنه قد امن ناس من علمائهم كعبد الله بن سلام واصحابه حكي انه لما نزلت هذه الاية اتى عبد الله بن
سلام رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يأتي اهله واسلم وقال يا رسول الله ما كنت ارى ان اصل اليك حتى يحول وجهي في قفاي قيل انه ما حصل الوعيد هو الطمس
بعينه بل بآية او اللعن فان كان الطمس بتبديل احوال رؤسائهم او اجلائهم الى الشام فقد كان احد الامرين وان كان غيره فقد حصل اللعن فانهم ملعونون
بكل لسان والمراد اللعن الموعود ظاهر اللعن المتعارف لا المسخ وقيل هو منتظر وهذا قيل يجوز ان يكون دون نحو جوهكم لبشمل وجوه اصحاب المخاطبين من ابنا
جنسهم ولابد من مسخ وطمس لليهود قبل يوم القيامة وقيل ان قوله آمنوا تكليف متوجه عليهم في جميع مدة حياتهم فلزم ان يكون قوله من قبل ان نطمس وجوها
متعلقا بالاخرة فالتقدير آمنوا من قبل ان يجيء الوقت الذي نطمس فيه وجوهكم وهو ما بعد الموت وكان امر الله مفعولا لا ان امره لا يكون ذلك يتخلف عليه
شيء بل ان يفعل وهذا كما يقال في الشيء الذي لا يتخلف حتى هذا الامر مفعول وان لم يفعل بعد فانه حكم امر الله نافذ ما في قوم مثل ذلك الشروط الى
بالامر الشأن والفعل الذي يتعلق او انه بمعنى الامر الذي هو احد اقسام الكلام فلا يصح استناد الايجاد بالايجاد لا ان كلامه ليس مفعولا اي مخلوقا ثم بين ان
مثل هذا الوعيد من خواص الشرك فقال ان الله لا يغفر ان يشرك به الاية ولا نزاع ان اليهودي يسمى مشركا في عرف الشرع لا اشتراكهما بنفسهم ولا نهاية
على ان ما سوى الشرك مغفور والتهديد بعضه مغفور بالاجماع ومن هنا قال الشافعي المسلم لا يقتل بالذمي لان الذمي مشرك والمشرك مباح الدم ما دام
لا يجب القصاص على قاتله ولا يتوجه النهي عن قتله لانه لعمل بهذا الدليل في النهي فيبقى معمولا به في سقوط القصاص عن قاتله واستدل به الاشاعرة الا
على غفران صاحب الكبيرة قبل التوبة لانه ما دون الشرك يشمله والمعتزلة خصصوا الثاني بمن تاب كما ان الاول مخصوص بالاجماع على من لم يتب او قطعها
قولها انا لا نعرف لا يبدل اللفظ وبتبديل اللفظ لم يثبت والمعنى لا يبدل الدين ما دام لا تبدلا هله ويبدل اللفظ على بعضنا هله والمشترك يكون مصداق

للعقلين المنفى والمثبت جميعا لانه أشد الاثم ثم لما بين أن الشرك لا يغفر بين انه عظيم المغفرة وان شاء تاب بصاحب الكبيرة فيستوجب الغفران قال الواحدي في البسيط باسناده
عن ابن عمر قال كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات الرجل منا على كبيرة شهدنا انه من اهل النار حتى نزلت هذه الآية فامسكنا عن الشهادة وقال ابن عباس
لعمر انى كما لا ينفع مع الشرك عمل كذلك لا يضر مع التوحيد ذنب فسكت عمر وروي عن ابن عباس لما قتل وحشي حمزة يوم احد وكانوا قد وعدوه بالعتق
ان هو فعل ذلك ثم انهم ما وفوا بذلك ندم هو واصحابه فكتبوا الى النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وانه لا يمنعهم من الدخول في الاسلام الا قوله والذين لا يدعون مع الله
الها آخر فقالوا قد فعلنا وارتكبنا كل ما في الآية فنزل قوله الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فقالوا هذا شرط شديد نخاف ان لا نقوم به فنزل ان الله لا يغفر ان يشرك به
فقالوا نخاف ان لا نكون من اهل مشيئته فنزل قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم فدخلوا عند ذلك في الاسلام ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما اختلق
وافتعل اثما عظيما لانه ادعى ما لا يصح كونه روي عن ابن عباس في رواية الكلبي ان قوما من اليهود اتوا باطفالهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد هل على هؤلاء ذنب فقال
لا فقالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالليل يكفر عنا بالنهار وما عملنا بالنهار يكفر عنا بالليل وكانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه لن
يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فنزل فيهم ألم تر الى الذين يزكون انفسهم ويدخل فيه كل من زكى نفسه ووصفها بزكاء العمل او بزيادة الطاعة والزلفى
عند الله بل الله يزكي من يشاء وان تزكيته هي المعتد بها لا تزكية غيره كما اخبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله والله انى لأمين في السماء امين في الارض وكفى باظهار المعجز
على يده تزكية له وتصديقا لقوله ولا يظلمون فتيلا هو ما فتلت بين اصابعك من الوسخ عن ابن عباس وقيل بمعنى مفعول عن ابن السكيت هو ما كان في شق النواة والنقير
للذين يزكون اي يعاقبون على تزكيتهم انفسهم حق جزائهم او لمن يشاء اي يثابون ولا ينقص من ثوابهم شيء من ثواب ثم عجب النبي صلى الله عليه وسلم من فريتهم وادعائهم
زكاءهم ومكانتهم عند الله فقال انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اي بزعمهم هذا اثما مبينا من بين سائر آثامهم قال المفسرون خرج كعب
بن الاشرف وحيي بن اخطب في سبعين راكبا من اليهود الى مكة بعد وقعة احد ليحالفوا قريشا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول
الله فنزل كعب على ابي سفيان والاخوة في دور قريش فقال لهم اهل مكة انكم اهل كتاب ومحمد صاحب كتاب فلا نأمن ان يكون هذا مكرا منكم فان اردتم
ان نخرج معكم فاسجدوا لهذين الصنمين وآمنوا بهما فذلك قوله يؤمنون بالجبت والطاغوت ثم قال كعب لاهل مكة ليجيء منكم ثلثون ومنا ثلثون فلنلزق
اكبادنا بالكعبة فنعاهد رب البيت لنجهدن على قتال محمد ففعلوا ذلك فلما فرغوا قال ابو سفيان لكعب انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن اميون لا نعلم فاينا
اهدى طريقا واقرب الى الحق نحن ام محمد فقال كعب اعرضوا على دينكم فقال ابو سفيان نحن ننحر للحجيج الكوماء ونسقيهم الماء ونقري الضيف ونفك العاني
ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن اهل الحرم ومحمد فارق دين آبائه وقطع الرحم وفارق الحرم وديننا القديم ودين محمد الحديث فقال كعب انتم
والله اهدى سبيلا مما هو عليه فانزل الله تعالى ألم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يعني كعبا واصحابه فلما رجع الى قومه قال ان محمدا يزعم انه نزل فيه كذا
كذا فالا تصدقوا فقد اخبرنا ان محمدا لا يعرف ذلك الا حسدا وبغيا ومعنى الطاغوت تقدم تفسيره في البقرة واما الجبت ففي الصحاح انه كلمة تقع على الصنم والكاهن
والساحر ونحو ذلك وليس من محض العربية لاجتماع الجيم والتاء في كلمة واحدة من غير حرف ذولقي وحكى القفال عن بعضهم ان اصله جبس فابدلت السين
تاء والجبس هو الخبيث الردي وقال الكلبي الجبت في هذه الآية هو حيي بن اخطب والطاغوت كعب بن الاشرف وكانت اليهود يرجعون اليهما فسميا بهذين الاسمين لسعيهما
في اغواء الناس واضلالهم فلا جرم جازاهم الله بقوله اولئك الذين لعنهم الله وبالحري ان جعلوا من هو اضل من الانعام وادنى من الانعام حيث سووا
معبودهم بالاصنام اهدى سبيلا وافضل ما لامور الذين اشرف الانام لاختيارهم دين الاسلام الذي هو عبادة ذي الجلال والاكرام ومن
يلعن الله فلن تجد له نصيرا يعصمه ويدفع عنه لوم الاتباع والطرد والصغار وعد النبي والمؤمنين بالاستيلاء والاستعلاء عليهم
الى يوم القيمة والخطاب في فلن تجد للنبي او لكل ما يصلح ثم لما وصفهم بالضلال والاضلال وصفهم بالبخل والحسد اللذين هما شر الخصال لان البخيل
يمنع ما اوتي من النعمة والحاسد يتمنى ان تزول عن غيره ما اوتي من الفضيلة وام قيل انها متصلة وقد سبقها استفهام في المعنى كانه لما حكى عنهم
انهم اهدى سبيلا من المؤمنين قال امن ذلك يتعجب من قولهم ام لهم نصيب من الملك مع انهم لو كان لهم ملك لبخلوا باقل القليل وبخل البخيل ابدا والمتفق عليه
والاصح انها منقطعة كانه لما تم الكلام الاول قال بل الهم نصيب من الملك ومعنى الآية انهم كانوا يقولون نحن اولى بالملك والنبوة فكيف نتبع العرب فابطل الله عليهم
قولهم وقيل كانوا يزعمون ان الملك يعود اليهم في آخر الزمان وانه يخرج من اليهود من يجدد ملكهم ودينهم فكذبهم الله وقيل المراد بالملك التمليك يعني انهم انما يقدرون
على دفع نبوتك لو كان التمليك اليهم ولو كان التمليك اليهم لبخلوا بالنقير والقطمير فكيف يقدرون على النفي والاثبات قال ابو بكر الاصم كانوا اصحاب بساتين
واموال وكانوا في عزة ومنعة كما يكون احوال الملوك ثم كانوا يبخلون على الفقراء باقل القليل فنزلت الآية فيهم وعلى هذا فلا حاجة الى الانكار على انهم لا يؤتون الناس
مما يملكون شيئا وعلى الاقوال المتقدمة يتوجه الانكار على ان لهم نصيبا من الملك فكانه جعل بخلهم كالمانع من حصول الملك لهم فان البخل والملك لا يجتمعان
كما قيل بالبخل والحزم والاناة يعني الاحسان والجود والبخيل ينفر الطباع عن الانقياد له فلا يتيسر له اسباب المملكة ولذا اجتمعت الانذار في صنوف شتى والحاصل
ان تعلق الفاء عليه ذلك ان ما بعد الفاء متعلق بما قبلها ومرتب عليه وان الفاء فيه للجزاء فكانه قيل فاذن وليس فيه الغاء وارتفاع
العمل بعد ومجازي في قراءة ابن مسعود فاذا لا يؤتوا بالاعمال والنقير نقرة في ظهر النواة فعيل بمعنى مفعول وهو مثل في القلة كالقطمير
فان قيل كيف يجعل انهم لا يؤتون نقيرا وكثير ما شاهدنا منهم بذل الاموال قلنا المدعي هو ان ما يبذله النقير على تقدير حصول الملك لهم اويرجع الملك الى الملوك
الدنيا او الباطن كالعلماء والولاية والانبياء وحصول شيء من هذه الاقسام لهم ممنوع لما علم بتحليهم الذلة والمسكنة ولئن فرض حصول شيء

منها فما نقلب لعل النبي صلى الله عليه وسلم حين لا يبقى احد منهم يبذل نقيرا كما اخبر عنه علام الغيوب في الملك فحسب الامم فلعل المراد لانهم لا يبذلون شيئا ينسب الى ما يملكونه كنسبة النقير الى النواة او انهم لا يعطون بذلك نفعا لتعلقه النبي عليهم والله تعالى اعلم بمراده فهذا بيان بخلهم اما بيان حسدهم فذلك قوله أم يحسدون وهو منقطعة والتقدير بل أيحسدون الناس يعني النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فان كان اللام للعهد فظ وان كان للجنس فلانهم هم الناس والباقون هم النسناس ومعنى الهمزة انكار الحسد واستقباحه المراد بالفضل ما اتاهم الله من اشرف المناصب هو النبوة والخاتمية وما كان ينضم اليها كل يوم من النصر والعزة والاستيلاء والاستعلاء والفضل محسود بكل اوان والحاسد مذموم بكل لسان ثم بين ما يزيل التعجب من شان محمد صلى الله عليه وسلم فقال فقد آتينا آل ابرهيم الذين هم اسلاف محمد الكتاب كالتورية والزبور والانجيل والحكمة التي هي الوقوف على الاسرار والحقائق والعمل بها بتقوى صلاح الدارين وآتيناهم ملكا عظيما عن ابن عباس الملك في آل ابرهيم ملك يوسف وداود وسليمان فليس ببدع ان يؤتي الله تعالى ما اوتي اسلافه وقيل من جملة حسدهم انهم استكثروا نساءه صلى الله عليه وسلم فقيل لهم كيف استكثرتم له التسع وكان لداود مائة و لسليمان ثلثمائة مهيرة وسبعمائة سرية فمنهم اي من اليهود من آمن به اي بما ذكر من حديث آل ابرهيم ومنهم من صد عنه وانكر مع علمه بصحته او من اليهود من امن برسول الله ومنهم من انكر نبوته او من آل ابرهيم من امن بابرهيم ومنهم من كفر والمقصود ان اولئك الانبياء جرت عادة اممهم ان بعضهم آمن بهم وبعضهم بقوا على كفرهم فلذلك يا محمد لا تتعجب مما عليه هؤلاء والغرض تنبيه النبي صلى الله عليه وسلم وتسليته وكفى بجهنم سعيرا لعذاب هؤلاء الكفار المتقدمين والمتأخرين سعيرا ثم اكد وعيد الكفار بقوله إن الذين كفروا بآياتنا ويدخل فيها كل ما يدل على ذات الله تعالى وصفاته وافعاله واسمائه وملائكته والكتب والرسل وكفرهم بها ان ينكروا كونها آيات او يغفلوا عنها ولا ينظروا فيها او يلقوا الشكوك والشبهات فيها او ينكروها مع العلم بها عنادا وحسدا او بغيا او لددا … وهو انه تعالى قادر على ابقائهم في النار احياء مخلدا من غير ان يحترق جلودهم فما الحكمة في انضاج جلودهم والجواب لا يسئل عما يفعل كما انه قادر على ايصال الالم اليهم من غير ادخالهم النار مع انه لا يمكن ان يقال لم عذبهم بادخالهم النار وسؤال اخر وهو انه كيف يعذب مكان الجلود العاصية جلودا لم تعص والجواب يحمل التبديل على تغيير الصفة دون الذات وان المبدل هو الصفة قول اهل اللغة بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وسويتها خاتما … فالتبديل تغيير الصفة او الذات والابدال تغيير الذات وصاحب الكشاف جزم بان المراد ههنا التبديل هو تغيير الذات فلهذا فسر التبديل بالابدال ولعل … على ذلك وصف الجلود بقوله غيرها … ان يقول المغايرة اعم من ان يكون في الذات او في الصفات فما ادريك ما في الآية مغايرة الذات لا الصفات اللهم الا ان يقال … فيكون الجواب عن السؤال ان المعذب هو الانسان والجلد ليس جزءا من ماهيته انما هو سبب لوصول العذاب اليه … المراد الدوام وعدم الانقطاع ولا احتراق اي كلما ظنوا انه احترقوا واشرفوا على الهلاك اعطيناهم قوة جديدة بحيث ظنوا انهم لا يحترقوا … وقيل المراد بالجلود السرابيل سرابيلهم من قطران وضعف بانه ترك الظاهر وان السرابيل لا يوصف بالنضج ليذوقوا العذاب ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز اعزك الله اي ادامك على عزك وزادك فيه او ليذوقوا بهذه الجلود الجديدة العذاب المراد بالذوق احساسهم بذلك العذاب في كل حال يكون كاحساس الذائق بالمذوق إن الله كان عزيزا لا يمتنع عليه شيء مما يريده بالمجرمين حكيما لا يفعل الا الصواب ثم قرن بالوعيد الوعد على عادته فقال والذين آمنوا الى قوله ظلا ظليلا … مشتق من لفظ الظل للتاكيد كقولهم ليل اليل … اذا لم يكن في الجنة شمس … فما فائدة وصفها بالظل وايضا المواضع التي لا يصل نور الشمس اليها في الدنيا يكون هواؤها عفنا فاسدا فما معنى وصف هواء الجنة بذلك الجواب المنع من انه لا شمس هنالك حتى يحصل ضوء ان هو الظل فالمراد بالظل الظليل ما كان فينانا اي منبسطا لا جوب فيه اي لا فرج ولا انفتاق … لا يصيبه الشمس … لا حر فيه ولا برد وعند الحكماء المراد بالظل الراحة لانه من اسبابها ولا سيما في البلاد الحارة كبلاد العرب فلما كان هذا مطلوبا مشاهدا موعودا لهم … لو تسوى بهم الارض اي … الطبيعة … لم ينكشف لهم عالم الحقيقة … ما يرون من عذاب القطيعة كما ان المسكرات ممنوع من الصلوة فسكرات الغفلة والهوى محجوب عن المواصلة لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى من غلبات الاحوال … ولا جنبا بالالتفات الى غير الله فان الصلوة ازدلاف … من العالم الادنى … الشعور ومن التائبة … الدنيا … من الحظوظ التي اباحها الشرع … وان كنتم مرضى بحب الدنيا او على سفر في متابعة الهوى او جاء احد منكم من الغائط قضاء شهوة من الشهوات او لامستم عجوزة الدنيا في تحصيل لذة من اللذات فلم تجدوا ماء التوبة والاستغفار فتيمموا … فانه طهور الذنوب … الم تر الى الذين اوتوا نصيبا … علماء السوء نصيب من دأب الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه باولوها على حسب ارائهم ويقولون سمعنا ما في القرآن بالمقال وعصينا بالفعال … على ارباب المقامات والاحوال يقولون اسمع غير مسمع وراعنا … ليا بالسنتهم وطعنا في اهل الدين يا ايها الذين اوتوا علم الكتاب ظاهره … علم باطن الكتاب آمنوا بما نزلنا على الاولياء من علم باطن القرآن مصدقا لما معكم من العلم الظاهر لان اهل العلم اللدني يصدقون اهل العلم الظاهر ولكن اهل العلم الظاهر … يصدقون علوم الانبياء … علوم الاولياء لانه لا يناسب عقولهم من قبل ان نطمس وجوه القلوب بالعمى والصمم فنردها على ادبارها ناظرة الى الدنيا وزخارفها بعد ان كانوا ناظرين في الميثاق الى … او نلعنهم بمسخ صفاتهم الانسانية بالسبعية والشيطانية كما لعنا اصحاب السبت بالصورة ومسخ المعنى اصعب من مسخ الصورة لان فضوح الدنيا اهون من فضوح الاخرة إن الله لا يغفر ان يشرك به … الشرك ثلث مراتب وكذا المغفرة … جلي بالاعتبار وهو للعوام في عبادة الاصنام فلا يغفر الا بالتوحيد وهو اظهار العبودية في اثبات الربوبية مصدقا بالسر والعلانية ومنها خفي بالاضافة للخواص وهو شوب العبودية بالالتفات الى غير الربوبية فلا يغفر الا بالوحدانية وهي افراد الواحد للواحد … اخفى للاخص وهو رؤية الاغيار والانانية فلا يغفر الا بالوحدة وهي فناء الناسوتية

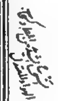

فی بقاء الله المؤمنین الم تر الی الذین یزکون انفسهم من اهل العلوم الظاهرة الذین تعلموا العلم لیباهوا به العلماء او لیماروا به السفهاء فخصلهم صفات ذمیمة من الهوی و حب المال و المال ذات من الکبر و العجب و الحسد و الریاء و حب الجاه و الریاسة و غلبة الاخلاق و الامراء بل الله یزکی من یشاء بتسلیم نفوسهم الی ارباب الترکیة من اهل الله الراسخین
و المشایخ المحققین کما سلم الجلال الی الدباغ لیجعله ادیما فاذا سلموا انفسهم الیهم و صبروا علی تصرفاتهم ذلوا الی الترکیة منهم و لن یضیع سعیهم یؤمنون بالجبت
النفس الامارة و طاغوت الهوی و یقولون للذین کفروا من اهل الاهواء و المبتدعة و المتفلسفة هؤلاء اهدی من الذین آمنوا بکل ما امر الله به و رسوله
ثم وصفهم بالبخل و الحسد ثم قال فقد آتینا آل ابراهیم یعنی اهل الخلة و المحبة الکتاب و الحکمة العلم الظاهر و العلم الباطن و آتیناهم ملکا عظیما هو معرفة الله
فمنهم من آمن به و منهم من صد عنه لا یعرف العلماء مقبلین و منهم مدبرین و کفی بجهنم نفسهم الحاسدة سعیرا فی حسدهم فان الحسد یاکل الحسنات کما تاکل النار
الحطب ان الذین کفروا بآیاتنا ما و بایاتنا الذین هم مظاهر آیات الحق تجلی الله علی الخلق سوف نصلیهم نار الحسد و الغضب و الکبر و العجب کلما نضجت جلودهم ای انقطع
بعض اماراتی نفوسهم الامارة و تشبثا مواها و لا یقبح حس استقامة الجلود و الاثار الحجة من حیث القلوب و الاشتغال بدلناهم جلودا غیرها لیذوقوا العذاب
فان دواعی الحرص و الغضب و الشهوة لا ینتهی البتة فاذا اشتغل النفس علی مقتضی الامر فلن تزال اسبابه تجدد الشهوات فتعذبه العذاب بالمتعلقات و الذین آمنوا
و عملوا الصالحات سندخلهم ای یدخلهم بجذبات العنایة الی جنات الوصلة تجری من تحتها الانهار من ماء الحکمة و لبن الفطرة و خمر الشهود و عسل الکشوف
لهم فیها ازواج من تجلی صفات الجمال و الجلال مطهرة من لوث الوهم و الخیال و ندخلهم ظلا ظلیلا هو ظل شمس عالم الوجود یوم لا ظل الا ظله

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ

بدرستی که خدا میفرماید شما را که واپس دهید امانتها را بسوی کسان آن و چون داوری کنید در میان مردمان که داوری کنید بعدالت بدرستی خدا

نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ

خوبست آنچه پند میدهد شما را بآن بدرستی که خدا باشد شنونده بینا ای گروه آنان که گرویده اید فرمان برید خدا را و پیروی کنید پیغمبر را

وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ۖ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

و صاحبان فرمان را از شما پس اگر نزاع کنید در چیزی پس بازگردانید بسوی خدا و پیغمبر اگر بوده باشید که ایمان آرید بخدا و روز

الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ

واپسین این بهترست و نیکوترست عاقبت آیا ندیدی بسوی آنان که گمان میکنند که ایشان ایمان آورده اند بآنچه فرستاده شد بسوی تو و آنچه فرستاده شد

يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا

میخواهند که داوری جویند بسوی طاغوت و حال آنکه مامور شدند که کافر شوند بآن و میخواهد شیطان که گمراه کند ایشان را گمراهی دور

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ۝ فَكَيْفَ

و چون گفته شد بایشان که رو آرید بسوی آنچه فرو فرستاده خدا و بسوی پیغمبر دیدی اهل نفاق را که اعراض میکنند از تو اعراض کردنی پس چگونه است

إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا

چون رسید بایشان مصیبتی بجهة آنچه پیش فرستاده دستهای ایشان پس آمدند نزد تو سوگند خوران بخدا که اراده نکرده ایم مگر نیکوئی و موافقت کردن را

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ۝ وَمَا أَرْسَلْنَا

ایشان آنانند که میداند خدا آنچه در دلهای ایشانست پس رو گردان از ایشان و پند ده ایشان را و بگو ایشان را در نفسهای ایشان گفتاری رسا و نفرستادیم

مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ

هیچ پیغمبری مگر برای آنکه اطاعت کرده شود بفرمان خدا و اگر که ایشان چون ستم کردند نفسهای خود را آمدندی پس طلب آمرزش کردندی خدا را و طلب آمرزش کردی برای ایشان

الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ۝ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا

پیغمبر هر آینه یافتندی خدا را توبه پذیر مهربان پس نه قسم بپروردگارت که نگروند تا که حاکم سازند ترا در آنچه نزاع واقع شد در میان ایشان پس نیابند

فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۝ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا

در نفسهای خویش تنگی را از آنچه حکم کرده و گردن نهند گردن نهادنی و اگر چنانچه نوشته بودیم بر ایشان اینکه بکشید نفسهای خود را یا که بیرون روید

مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا

از خانهای خود نمیکردند آنرا مگر کمی از ایشان و اگر که ایشان کردندی آنچه را که پند داده شوند بآن هر آینه بهترست ایشان را و سخت تر است بابودن

وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ۝ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ

و آنگاه هر آینه دادیم ایشان را از نزد خود مزدی بزرگ و هر آینه هدایت کردیم ایشان را براهی راست و هر که پیروی کند خدا را

وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ

و پیغمبر را پس آن گروه با آنانند که انعام فرموده خدا بر ایشان از پیغمبران و راستگویان و شهیدان

وَالصّٰلِحِيْنَ وَحَسُنَ اُولٰٓئِكَ رَفِيْقًا ۝ ذٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللّٰهِ وَكَفٰى بِاللّٰهِ عَلِيْمًا

ونیکوکاران وخوب‌اند ایشان از جهت رفاقت این زیادتی است از خدا وبس است خدا دانا

القراءة ان اقتلوا بكسر النون لالتقاء الساكنين ابو عمرو وعاصم وحمزة وسهل ويعقوب الباقون بالضم نقلا لحركة همزة الوصل الى ما قبلها او اخرجوا
بكسر الواو للساكنين عاصم وسهل وحمزة الباقون بالضم الا قليلا بالنصب شامي على اصل الاستثناء او على الا فعلا الا قليلا الباقون
بالرفع على البدل من الواو في فعلوه الى اهلها الا ان النعليل بامركم ان تؤدوا وان تحكموا بالعدل اذا حكمتم بين الناس بالعدل نعما يعظكم به [illegible] منكم لابتداء
الشرط مع فاما النصب في اليوم الآخر ما ولا ان يكفروا ... بعيدا اصله ... الا ان مع فاما النصب الجمع الثاني يحلفون ... على ان بعد ابتداء القسم الا
تعلق ... يحلفون ونوفقا بليغا باذن الله ثم جاءوك ... عنقا الان ... جواب لو ... والصالحين انقطاع التطمع
انما المعنى ومن قام من الله عليهم التفسير ... بعض احوال الكفار عاد الى ذكر ... ما حكي عن اهل الكتاب انهم كتموا الحق وقالوا للذين كفروا
هؤلاء اهدى من الذين آمنوا امر المؤمنين في هذه الآية باداء الامانات في جميع الامور سواء كانت من باب المذاهب والديانات او من باب الدنيا والمعاملات
وقد وعد في الآية السابقة بالثواب العظيم على الاعمال الصالحات وكان من جملتها الامانة فقال ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها نزلت في عثمان بن طلحة
الحجبي من بني عبد الدار وكان سادن الكعبة فلما دخل النبي مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب البيت وصعد السطح فطلب رسول الله المفتاح فقيل انه مع عثمان فطلب
منه فأبى فقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى علي بن ابي طالب يده واخذ منه المفتاح وفتح الباب فدخل رسول الله البيت وصلى ركعتين فلما خرج سأله
العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له بين السقاية والسدانة فاراد النبي ان يعطيه العباس ثم قال يا عثمان خذ المفتاح على ان للعباس معك نصيبا فانزل الله
هذه الآية فامر رسول الله عليا ان يرد المفتاح الى عثمان ويعتذر اليه ففعل ذلك علي فقال له عثمان يا علي اكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال لقد انزل الله
في شأنك قرآنا وقرأ عليه هذه الآية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله واسلم فجاء جبريل وقال ما دام هذا البيت كان المفتاح والسدانة
في اولاد عثمان وقال خذوها يا بني طلحة بامانة الله لا ينزعها منكم الا ظالم ثم ان عثمان هاجر ودفع المفتاح الى اخيه شيبة وهو اليوم في ايديهم ثم نزول
الآية عند هذه القصة لا يوجب خصوصها بها ولكنها تعم جميع انواع الامانات فاعلم ان الامانة مع الرب في كل ما امر به ونهى عنه قال ابن مسعود الامانة في الكل
لازمة في الوضوء والجنابة والصلاة والزكوة والصوم وعن ابن عمر انه تعالى خلق فرج الانسان وقال هذا امانة خبأتها عندك فاحفظها الا بحقها وهذا باب واسع
فامانة اللسان ان لا يستعمله في الكذب والغيبة والنميمة والكفر والبدعة والفحش وغيرها وامانة العين ان لا يستعملها في النظر الى الحرام وامانة السمع
ان لا يستعملها في سماع الملاهي والمناهي وسماع الفحش والاكاذيب وكذا القول في سائر الاعضاء ثم الامانة مع سائر الخلق فيدخل فيه رد الودائع وترك التطفيف
ونشر عيوب الناس وانشاء اسرارهم ويدخل فيه عدل الامراء مع الرعية والعلماء مع العوام بان يرشدوهم الى ما ينفعهم في دنياهم ودينهم ويمنعوهم عن
العقائد الباطلة والاخلاق وعلى الفاصلة وتشمل امانة الزوجة للزوج في حفظ ماله وفي نفسها وامانة الزوج للزوجة في ايفاء حقوقها وحفظها وامانة العبد
للمولى وبالعكس وامانة الجار للجار والصاحب للصاحب ويدخل فيه نهي اليهود عن كتمان امر محمد والامانة مع نفسه بان لا يختار لها الا ما هو انفع واصلح
في الدين والدنيا ولا يقدم بسبب اللذات العاجلة على التبعات الاخروية وقد عظم الله امر الامانة في مواضع من كتابه انا عرضنا الامانة والذين
هم لاماناتهم وعهدهم راعون وقال لا ايمان لمن لا امانة له والامانة مصدر سمي به المفعول ولذلك جمع ثم لما امر باداء الامانات وحبس الغير عليك امر
باستيفاء حقوق الناس بعضهم من بعض اذا كنت بصدد الحكم فقال واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل في قوله اذا حكمتم تصريح بانه ليس
لجميع الناس ان يشرعوا في الحكم والقضاء وعند العلماء من شرط القضاء العامة الاسلام والعقل والبلوغ والذكورة والحرية والعدالة وكذا
واهلية الاجتهاد بان يعرف ما يتعلق بالاحكام من كتاب الله وسنة رسوله ويعرف منها العام والخاص والمطلق والمقيد والمجمل والمبين والناسخ
والمنسوخ ومن السنة المتواتر والآحاد والمسند والمرسل وحال الرواة ويعرف اقاويل الصحابة ومن بعدهم اجماعا وخلافا وجلي القياس وخفيه
صحيحه وفاسده ويعرف لسان العرب لغة واعرابا خصوصا وعموما الى غير ذلك مما يحتاج في استنباط الاحكام الشرعية من ادلتها وكفى بانه
المنصب الخطير انه منصب رسول الله والخلفاء الراشدين من بعده فعلى المتمسك لذلك ان يتأدب بآدابهم ويتخلق باخلاقهم والا فويل له وعن النبي
انه قال يجاء بالقاضي العادل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يتمنى انه لم يقض بين اثنين قط واذا كان حال العادل هكذا فما ظنك بالجائر وعنه
ينادي مناد يوم القيامة اين الظلمة واين اعوان الظلمة فيجمعون كلهم حتى من برى لهم قلما او لاق لهم دواة فيجمعون ويلقون في النار ان الله نعما يعظكم به نعم
بالمدح مخففة ما موصولة او مبهمة موصوفة والتقدير نعم الذي او نعم شيئا يعظكم به ذلك المأمور من اداء الامانات والحكم بالعدل ان الله كان سميعا
بصيرا يسمع كيف تحكمون ويبصر كيف تؤدون وفيه اعظم اسباب الوعد للمطيع واشد اسباب الوعيد للعاصي ثم امر سبحانه امر الرعاة بطاعة الولاة كما
امر الولاة في الآية المتقدمة بالشفقة على الرعاة فقال يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله الآية عن علي بن ابي طالب حق على الامام ان يحكم بما انزل الله وان
يؤدي الامانة فاذا فعل ذلك فحق على الرعية ان يسمعوا ويطيعوا قالت المعتزلة الطاعة موافقة الارادة وقلنا لا بل هي الطاعة موافقة الامر
ظاهر ولا نزاع ان موافقة الامر طاعة انما النزاع في ان المأمور به هل يكون مرادا ام لا فعندنا الاشاعرة الامر قد ينفك عن الارادة فلا
يلزم الجمع بين الضدين في تكليف ابي جهل بالايمان وعند المعتزلة الامر لا ينفك عن الارادة والخلاف بين الفريقين مشهور في التفسير الكبير هذه الآية مشتملة

في اكثر علم اصول الفقه لان اصول الشريعة اربعة الكتاب والسنة وانما اشار اليهما بقوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وانما اعاد الفعل للمغايرة الكلية وكون الكتاب
يدل على امر الله ثم يعلم منه امر الرسول لا محالة والسنة تدل على امر الرسول ثم يعلم منه امر الله لا محالة وقد اشار الى الاجماع والقياس واشار الى الاجماع بقوله وأولي الامر
منكم لانه امر بطاعتهم على سبيل الجزم فوجب ان يكون معصوما لانه لو احتمل اقدامه على الخطا والخطا منهي عنه لزم اعتبار اجتماع الامر والنهي في الفعل
الواحد وانه محال ثم ذلك المعصوم اما مجموع الامة او بعضها لا جائز ان يكون بعضها على ما يقوله الشيعة من ان المراد بهم الائمة المعصومون او على ما زعم بعضهم انهم الخلفاء
الراشدون او على ما روي عن ميمون بن مهران انهم امراء السرايا كعبد الله بن حذافة السهمي وكخالد بن الوليد اذ بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية
وكان معه عمار بن ياسر فوقع بينهما خلاف فنزلت الآية او على ما روي عن ابن عباس والحسن ومجاهد والضحاك انهم العلماء الذين يفتون بالاحكام الشرعية
ويعلمون الناس دينهم لكنه لا سبيل الى الثاني لانا نعلم بالضرورة انا في زماننا هذا عاجزون عن معرفة الامام المعصوم والاستفادة
منه فلو وجب علينا طاعته على الاطلاق لزم تكليف ما لا يطاق ولو وجب علينا طاعته اذا صرنا عارفين به وبمذهبه صار هذا الايجاب مشروطا
وظاهر الآية يقتضي الاطلاق على ان طاعة الله وطاعة رسوله مطلقة فلو كانت هذه الطاعة مشروطة لزم ان يكون للفظ الواحد مطلقا ومشروطا
معا وهو باطل وايضا الامام المعصوم عندهم في كل زمان واحد لفظ اولي الامر جمع وايضا انه قال فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول وعلى
هذا ينبغي ان يقال فردوه الى الامام واما سائر الاقوال فلا نزاع في وجوب طاعتهم لكنه اذا علم بالدليل ان طاعتهم حق وصواب وذلك الدليل ليس الا
الكتاب والسنة فلا يكون هذا قسما منفصلا كما ان وجوب طاعة الزوجة للزوج والتلميذ للاستاذ داخل في طاعة الله وطاعة الرسول اما اذا حملناه
على اجماع اهل الحل والعقد لم يكن هذا داخلا فيما تقدم اذ الاجماع قد يدل على حكم لا يوجد في الكتاب والسنة وايضا قوله فان تنازعتم في شيء مشعر بانه
تقدم ما يفصل حكم التنازع وايضا طاعة الامراء والخلفاء مشروطة بما اذا كانوا على الحق وظاهر الآية يقتضي الاطلاق واذا بطل ان يحمل الآية على
هذه الوجوه تعين ان يكون ذلك المعصوم كل الامة اي اهل الحل والعقد اصحاب الاعتبار والآراء فالمراد بقوله اولي الامر ما اجتمعت الامة
عليه وهو المدعى واما القياس فيدل عليه قوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول اذ ليس المراد ردوه الى الكتاب والسنة والاجماع
والا كان تكرارا لما تقدم ولا تفويض علمه الى الله ورسوله والسكوت عنه لان الواقعة ربما كانت لا تحتمل الامهال بل لا بد فيها من القطع بالنفي
نفيا واثباتا ولا الامر بالرجوع الى البراءة الاصلية فانها معلومة بحكم العقل فالرد اليها لا يكون ردا الى الله والرسول فاذا المراد رد تلك
الاحكام المنصوصة في الوقائع المتشابهة لها وهذا هو القياس فحاصل الآية الخطاب لجميع المكلفين بطاعة الله ثم من بعدها الرسول بطاعة الرسول
ثم لما سكتوا اهل الحل والعقد بطاعتهم ثم امر اهل الاستنباط للاحكام من مداركها ان وقع اختلاف واشتباه بين الناس في حكم واقعة ان يرجعوا
فيها الى نظائرها واشباهها فما احسن هذا الترتيب في اطلاق الآية ودلالة الآية على ان الكتاب والسنة مقدمان على القياس سواء كان القياس جليا او خفيا
وانه لا يجوز ترك العمل بهما ولا تخصيصهما بالقياس وقد اعتبر هذا الترتيب في قصة معاذ واستحسنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف لا والقرآن مقطوع في متنه
والقياس مظنون والقرآن كلام لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والقياس نتيجة عقل الانسان الذي هو محل الخطأ والنسيان وقد اجمع
العلماء على ان ابليس خصص عموم الخطاب في قوله اذ قلنا للملائكة اسجدوا بالقياس وهو قوله خلقتني من نار وخلقته من طين فاستحق اللعن الى يوم الدين
والاشبه ان تخصيص النص بالقياس تقديم القياس على النص وهو باطل ثم ان كان الامر للوجوب فقوله اطيعوا يدل على وجوب الطاعة وان كان للندب
فهاهنا يدل على الوجوب ظاهرا لانه ختم الآية بقوله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وهو وعيد لانه امر بطاعته في جميع الاوامر ... قوله
وحده وايضا عموم التكليف ... الفعل معلوم من ذلك الامر فلا بد للآية من فائدة زائدة المنع من الترك ليحصل من المجموع معنى الوجوب
ثم هذا الوجوب يكون دائما ان كان الامر للدوام والتكرار وكذا ان لم يكن كذلك لان الوقت المخصوص والكيفية المخصوصة غير مذكورة فلو حملنا
على العموم كانت الآية مبينة والا كانت مجملة والمبين اولى من المجمل وايضا تخصيص اسم الله بالذكر يدل على ان وجوب الطاعة انما هو لكونه الها والالهية
دائمة فالوجوب دائم ثم ولما كرر لفظ اطيعوا للفصل بين اسم الله وبين المخلوقين علم من اطلاق وجوب طاعة اولي الامر ان الاجماع الحاصل عقيب الخلاف
حجة وانه لا يشترط انقراض العصر من اطلاق قوله فان تنازعتم في شيء ... القياس يجوز اجراؤه في الحدود والكفارات ايضا والمراد بالتنازع في
التنازع هو الاختلاف ... وكل فريق ... القول قوله كان كل واحد منهما ينزع الحجة لجانبه ذلك الرد او المأمور به في الآية خير لكم واحسن تأويلا اي عاقبة
من آل الشيء اذا رجع وقيل ان الرد الى الكتاب والسنة خير مما تتأولون انتم ثم انه لما اوجب على المكلفين طاعة الله وطاعة رسوله ذكر ان المنافقين الذين لا يطيعونهم
مرضى ولا يطيعون ولا يرضون بحكمه فقال ألم تر الى الذين يزعمون الآية قال الليث اهل العربية قولهم زعم فلان معناه لا يعرف انه صدق او كذب وقيل ... مظنة
الكذب قال ابن الاعرابي الزعم قد يستعمل في القول المحقق لكن المنافق الآية الكذب بالاتفاق ... الآية يدل على ان الزاعم كان منافقا من اهل
الكتاب مثل ان يكون يهوديا اظهر الاسلام على سبيل النفاق لانه قال يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك انما يليق بهذا المنافق
اما سبب النزول ففيه وجوه والذي عليه اكثر المفسرين ما رواه الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس ان رجلا من المنافقين يسمى بشرا خاصم يهوديا فدعاه
اليهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف لان اليهودي كان محقا وكان النبي لا يقضي الا بالحق والمنافق كان مبطلا لانه يرغب عن قبول الرشوة وكان
كعب يقبل الحكومة بالرشوة فانتهيا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقضى لليهودي فلما خرجا من عنده لزمه المنافق وقال انطلق الى عمر بن الخطاب فانطلقا

عمر فقال اليهودي اختصمت أنا وهذا إلى محمد فقضى لي عليه فلم يرض بقضائه وزعم أنه مخاصم إليك وتعلق بي فجئت معه فقال عمر للمنافق أكذلك قال نعم فقال لهما مكانكما حتى أخرج إليكما فدخل عمر فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا أقضي لمن لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله وهرب اليهودي فنزلت الآية وقال جبريل إن عمر فرق بين الحق والباطل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت الفاروق وعلى هذا الطاغوت كعب بن الأشرف وقال السدي كان ناس من اليهود أسلموا ونافق بعضهم وكانت قريظة والنضير في الجاهلية إذا قتل قرظي نضيريا قتل به وأخذ منه دية مائة وسق من تمر وإذا كان بالعكس لم يقتل به وأعطي ديته ستين وسقا من تمر وكانت النضير حلفاء الأوس وكانوا أكثر وأشرف من قريظة وهم حلفاء الخزرج فقتل نضيري قرظيا واختصموا في ذلك فقالت بنو النضير إنا وأنتم [illegible] علينا ستين وسقا من تمر على ما اصطلحنا عليه فقالت الخزرج هذا حكم الجاهلية ونحن وأنتم اليوم إخوة وديننا واحد لا فضل بيننا فقال المنافقون انطلقوا إلى أبي بردة الكاهن الأسلمي وقال المسلمون لا بل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأبى المنافقون فانطلقوا إلى أبي بردة ليحكم بينهم فقال أعظموا اللقمة يعني الرشوة فقالوا لك عشرة أوسق فقال لا بل مائة وسق ديتي فإني أخاف إن نفرت النضيري قتلتني قريظة وإن نفرت القرظي قتلتني النضير فأبوا أن يعطوه فوق عشرة أوسق وأبى أن يحكم بينهم فأنزل الله الآية فدعا النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] فأسلم [illegible] هذا القول الطاغوت هو الكاهن وقال الحسن إن رجلا من المسلمين كان له على رجل من المنافقين حق فدعاه المنافق إلى وثن كان أهل الجاهلية يتحاكمون إليه ورجل قائم يترجم الأباطيل عن الوثن فالطاغوت ذلك الرجل وقيل كانوا يتحاكمون إلى الوثن يضربون بالقداح بحضرته فما خرج على القداح عملوا به فالطاغوت هو الوثن ثم إن الطاغوت أي شيء كان من الأشياء المذكورة فإنه تعالى جعل التحاكم إليه مقابلا للكفر به لكن الكفر به إيمان بالله وبرسوله فيكون نصا في تكفير من لم يرض بقضاء رسول الله [illegible] ويؤكده قوله بعد ذلك فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك الآية ومن هنا ذهب كثير من الصحابة إلى الحكم بارتداد مانعي الزكاة وقتلهم وسبي ذراريهم ثم قال ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا فاحتج الجبائي به على أن كفر الكافر ليس بخلق الله وإلا لم يتوجه الذم على الشيطان ولم يحصل التعجب [illegible] فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم [illegible] وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا [illegible] إلى الطاغوت [illegible] فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاؤك يحلفون بالله [illegible] إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا [illegible] أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا [illegible]

[illegible] وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا [illegible] إن الله يعلم ما في قلوبكم [illegible] وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله [illegible] ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول

انتصب شفيعا لهم الى الله تعالى اعتذارا عما تقدم من جناياتهم لوجدوا الله توابا رحيما ولم يقل واستغفرت لهم لما في الالتفات من الخطاب الى ذكر
الرسول تنبيه على ان شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان فلا ابعد هذا التفخيم مقام ما قبلها وقال ابو بكر الاصم ان قوما من المنافقين اصطلحوا
على كيد في حق رسول الله ثم دخلوا عليه لذلك الغرض فاتاه جبرئيل فاخبره به فقال ان قوما دخلوا يريدون امرا لا ينالونه فليقوموا فليستغفروا الله حتى
استغفر لهم فلم يقوموا فقال الا تقومون فلم يفعلوا فقال قم يا فلان حتى عد اثني عشر رجلا منهم فقاموا وقالوا كنا عزمنا على ما قلت ونحن نتوب الى الله
من ظلمنا انفسنا فاستغفر لنا فقال الآن اخرجوا انا كنت في بدء الامر اقرب الى الاستغفار وكان الله اقرب الى الاجابة اخرجوا عني فلا وربك لا يؤمنون عن عطا
ومجاهد والشعبي ان الآية نزلت في قصة اليهودي والمنافق وعن الزهري عن عروة بن الزبير ان الآية نزلت في الزبير وحاطب بن ابي بلتعة وذلك انهما اختصما الى رسول الله
في شراج من الحرة والشراج مسيل الماء كانا يسقيان بها النخل فقال اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فغضب حاطب وقال لان كان ابن عمتك وذلك ان ام الزبير
صفية بنت عبد المطلب فتغير وجه رسول الله ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر يعني الجدار التي تحجز بها الماء فهو هو صغير عن الجدار واستوف
حقك ثم ارسله الى جارك واعلم ان الحكم في هذا انه من كان ارضه اقرب الى فم الوادي فهو اولى باول الماء وحقه تمام السقي والرسول اذن للزبير في السقي على وجه
المسامحة فلما اساء خصمه الادب لم يعرف حق ما امر به الرسول من المسامحة لاجل امره باستيفاء حقه على سبيل التمام وحمل خصمه على مر الحق وفي قوله فلا وربك قولان احدهما
ان لا صلة لتأكيد معنى القسم والتقدير فوربك والثاني انها مفيدة وعلى هذا ففيه وجهان الاول انه رد لما تقدم والتقدير ليس الامر كما يزعمون انهم آمنوا
وهم يخالفون حكمك ثم استأنف القسم بقوله وربك لا يؤمنون والثاني انها لتوكيد النفي الذي جاء في الجواب فعلى هذا الوجه لا ينفى بها اذا كان الجواب مثبتا
ومعنى شجر اختلف واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه والتشاجر التنازع لاختلاط كلام بعضهم ببعض والحرج الضيق او الشك لان الشاك في ضيق من امره
حتى يلوح له اليقين ويسلموا ينقادوا ويسلموا لامر الله اي ستسلم عند امره وحكمه تسليما تنصيص لحكمه ومن المتعلمين من تمسك بالآية في انه لا يحصل الايمان الا بالاخبار
النبي وهدايته والنزول على حكمه وقضائه في كل امر وفيه منع بان معرفة النبوة موقوفة على معرفة الاله فلو توقفت معرفة الاله على معرفة النبوة لزم الدور
ثم ان الحكم غير كلي والتعليم في جميع الاحكام عنه مرفوض واعلم ان من يتحاكم الى الرسول قد يكون راضيا في الظاهر دون القلب فلهذا قال ثم لا يجدوا في انفسهم
حرجا مما قضيت وهو الجزم بان ما حكم به الرسول هو الحق والصدق ثم من حق الطالب كون ذلك الحكم حقا وصدقا فقد يتمرد عن قبوله على سبيل العناد
او يتوقف في ذلك القبول بعدم الحرج اشارة الى الانقياد في الباطن والتسليم اشارة الى الانقياد في الظاهر وفي الآية دليل على عصمة الانبياء عن الخطأ في الفتاوى
والاحكام ودل على انه لا يجوز تخصيص النص بالقياس وان الاكان في النص حرج ثم ان المعتزلة منها لو كانت المعاصي بقضاء الله لزم التناقض لان الرضا بقضائه
واجب والرضا بالمعاصي واجب لكن الرسول قد نهى عنها واجيب بان يحصل الرضا في زعمهم بلزوم الرضا بالفعل لترك معا وهو محال واجيب بان المراد
قضاء الله التكويني الايجاد فالرضا بقضاء بعضها دون بعض بالكل بايجاده والمراد من الرضا بقضاء الرسول ما يقضي ما حكم به وينزل بالبشر والقول
ذلك من هذا قوله ولو انا كتبنا عليهم روي ان ثابت بن قيس بن شماس قال رسول الله فاستوجب لزمهم حفظ وضع الحكم حيث اقرارا على المعذرة فقال ان كان
القضاء فقال الخاطب يحق لابن عمته ولوى شدقه ففطن يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي
بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة في حياة موسى فدعانا الى التوبة منه وقال اقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا
فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله ان الله ليعلم مني الصدق لو امرني محمد ان اقتل نفسي لقتلتها وكذا قال ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر فقال رسول الله
والذي نفسي بيده ان من امتي رجالا الايمان اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي وعن عمر بن الخطاب انه قال والله لو امرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذي لم يفعل
بنا ذلك فنزلت الآية والضمير في قوله عليهم يعود الى الناس والمراد بالقليل المؤمنون منهم وعن ابن عباس ومجاهد انه يعود الى المنافقين اي لو كتبنا القتل
والخروج عن الوطن على هؤلاء المنافقين ما فعله الا قليل منهم رياء وسمعة وحينئذ يصعب الامر عليهم وينكشف كفرهم فاذا لم نفعل بهم ذلك بل كلفناهم الاشياء
السهلة فليتركوا النفاق وليلزموا الاخلاص ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من الانقياد لما امرهم الله ورسوله وسمى التكاليف وعظا لانها مقرونة بالوعد
والوعيد والترغيب والترهيب لكان خيرا لهم اي انفع وافضل من غيره وخيرا لهم في الدنيا والآخرة لان خيرا يستعمل بالوجهين جميعا واشد تثبيتا لهم في الثبات
على الايمان والطاعة لان الطاعة تدعو الى امثالها وتجر الى المواظبة عليها ولانه حق والحق ثابت والباطل زائل وايضا الانسان يطلب الخير اولا فاذا
حصل طلب ثباته ودوامه ثم بين انهم لو فعلوا ما يوعظون به كما هو خير في نفسه فهو ايضا مستعقب للخير فقال واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما واذا جواب
لسؤال مقدر كانه قيل فماذا يكون لهم بعد الخير والتثبيت فقيل هو ان نؤتيهم من لدنا اجرا عظيما وفي اردافه بصيغة التعظيم في آتيناهم ولدنا وفي وصف الاجر
وقع صفة الاجر بالعظم وفي تنكير الاجر من المبالغة ما لا يخفى والصراط المستقيم الدين الحق او الطريق من عرصة القيامة الى الجنة وهذا اولى لانه مذكور بعد
استحقاق الاجر ثم اكد الامر بالطاعة بقوله ومن يطع الله والرسول ولا شك ان الآية عامة في جميع المكلفين الا ان المفسرين ذكروا في سبب نزولها وجوها قال الكلبي
نزلت في ثوبان مولى رسول الله وكان شديد الحب له قليل الصبر عنه فاتاه يوما وقد تغير لونه ونحل جسمه يعرف في وجهه الحزن فقال له يا ثوبان ما غير لونك
فقال يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع غير اني اذا لم ارك استوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت الآخرة فاخاف ان لا اراك هناك
لاني عرفت انك ترفع مع النبيين واني ان دخلت الجنة كنت في منزلة ادنى من منزلتك وان لم ادخل الجنة فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت وعن رجل من الانصار
قال للنبي انك لاحب الي من نفسي ... فاتيك فانظر اليك فاذا ذكرت الموت ... ثم ذكرت درجتك في الجنة فكيف لنا برؤيتك ان دخلنا الجنة فنزلت

الصفة الآية قيل ان ثوبان مولى النبي ﷺ كان شديد الحب له قليل الصبر عنه فاتاه يوماً وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله ﷺ عن حاله فقال يا رسول الله ما بي من وجع غير اني اذا لم ارك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت الآخرة فخفت ان لا اراك هناك لانك ترفع مع النبيين واني ان ادخلت الجنة كنت في منزلة ادنى من منزلتك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابداً فنزلت الآية وقيل ان اصحاب رسول الله ﷺ قالوا ينبغي لنا ان نفارقك في الدنيا فاذا متنا رفعت فوقنا فلا نراك فنزلت الآية وهذا معنى المعية والمراد من كون المطيعين مع المذكورين في الآية ان كلهم في درجة واحدة فان ذلك يقتضي التسوية بين الفاضل والمفضول انه محال لكن المراد كونهم في الجنة بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر وان بعد المكان لان الحجاب اذا زال شاهد بعضهم بعضاً واذا ارادوا الزيارة والتلاقي قدروا على ذلك والتحقيق ان عالم الانوار لا تزاحم فيه ولا تدافع بل ينعكس بعضها على بعض ويتقوى بعضها ببعض كالمرايا المجلوة المتقابلة واخواناً على سرر متقابلين ثم انه تعالى ذكر اصنافاً اربعة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين والاشارة الى تغايرها فان عطف بعضها على بعض ظاهر في التغاير وان كان يحتمل كونها متداخلة كان المراد بالتداخل ان لا يمتنع كون كل منها موصوفاً بما يتلوه فان يكون النبي صديقاً وشهيداً وصالحاً ولا ينعكس فان كل شهيد وصالح ليس بنبي اما النبيون فلا خفاء فيهم واما الصديق فمبالغة الصدق وهو من غلب عليه اقواله وافعاله فهو بكمال صدقه يصدق في جميع الاديان لان حقيقة المنطق الذي هو من مقومات الانسان وكمال مقتضيات الايمان ليس الا التصديق ومنه سمي الصديق ومنه قول من قال ان الصديق ضد التكذيب ذكر المفسرون ان الصديقين في الآية كل من صدق بكل الدين لا يتخالجه فيه شك لقوله تعالى والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون وقيل هم افاضل اصحاب النبي ﷺ وخصص بعضهم بمن سبق الى تصديق الرسول فصار في ذلك قدوة الناس كابي بكر وعلي واضرابهما ولا واسطة بين الصديق والنبي ولذلك قال في هذه الآية مع النبيين والصديقين وفي مدح ابراهيم انه كان صديقاً نبياً يعني انك ان ترقيت من الصديقية وصلت الى النبوة وان نزلت من النبوة وصلت اليهم واما الشهداء فالمراد بهم هنا اعم من المقتولين بسيف الكفار من المسلمين عن ابي هريرة قال قال رسول الله ﷺ ما تعدون الشهيد فيكم قالوا يا رسول الله من قتل في سبيل الله فقال ان شهداء امتي اذا لقليل من قتل في سبيل الله فهو شهيد ومن مات في الطاعون فهو شهيد ومن مات في البطن فهو شهيد والغريق شهيد ومن مات بجمع فهو شهيد فمن لم يكن مقتولاً يشهد بصحة دين الله تارة بالحجة والبيان واخرى بالسيف والسنان فاولى بان يدخل كل هذه الامة في الشهداء لقوله وكذلك جعلناكم امة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس واما الصالحون فالصالح هو الذي صلح في اعتقاده وفي عمله وهذه مرتبة ينبغي ان يطمع فيها كل مؤمن ثم قال في معرض التعجب وحسن اولئك رفيقاً كأنه قيل وما احسن اولئك والرفيق كالصديق والخليط في استواء الواحد والجمع فيه وانتصابه على الحال ويجوز ان يكون مفرداً بين به الجنس في باب التمييز وقيل معناه حسن كل واحد منهم رفيقاً كما قال يخرجكم طفلاً والرفق في اللغة لين الجانب ولطافة الفعل ومنه سمي الصاحب رفيقاً لارتفاقه به وتصحيحه ومنه الرفقة في السفر لارتفاق بعضهم ببعض وقد يكون الانسان مع غيره ولا يكون رفيقاً فبين تعالى ان الانبياء والصديقين والشهداء والصالحين يكونون كالرفقاء للمطيع من شدة محبتهم له وسرورهم برؤيته ذلك اشارة الى الفضل وصفة ومن الله خبره او ذلك مبتدأ والفضل من الله خبره ويكفى المعنى ان ذلك اشارة الى الاجر العظيم من مرافقة المنعم عليهم من الانبياء وغيرهم تفضل الله به عليهم تبعاً لثوابهم الواجب على الله وايراد ان فضل المنعم عليهم ومزيتهم من الله لانهم اكتسبوه بتمكينه وتوفيقه ولولا انه اعطى العقل والقدرة وازاح الاعذار ولم يمكن المكلف من فعل الطاعة فكيف يقال ان ذلك من غيره ثم فيه تنبيه على ان ما اعطيه من الانعام في الآخرة بجميعه فانه ان يوصف ذلك الفوز بانه فضل من الواجب قال اهل السنة ان المعتزلة فضلهم وان يجب على الله شيء لان الثواب كله فضل من الله وكيف يجب عليه شيء وانه هو الذي خلق القدرة والداعية والمحن الوجوب عبارة عن استحقاق الذم عند الترك واستحالة ذلك في حق الله بين واثبت كل ما صدر من الطاعات فانه في مقابلة النعم السابقة التي لا يبعد لا يحصى فيمتنع كونها موجبة للثواب في المستقبل معنى الايراد فالمراد الثواب بكماله ومبلغه كانه هو الفضل وما عداه غير معتد به وذلك الثواب المذكور وهو من الله لا من غيره وكفى بالله عليماً بالطاعة وكيفية الثواب عليها وفيه ترغيب للمكلف على اكمال الطاعة والاحتراز عن التقصير فيها التأويل الوجود المجازي فانه من نفسه كان وجود الظل فانه من الشمس فلا جرم اذا طلعت شمس الوجود الحقيقي الجلالي احرق المخلوق بالتجلي الروحي معقول باللسان العزة ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها فلا شيء الظلال الواضحة الا الاعتبار وانما الامانات فحق الواحد القهار وهذا احد اسرار قوله ولله يسجد من في السموات والارض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدو والآصال اي اذا حكم بعد فناء الوجود المجازي بنفاء الوجود الحقيقي بين الروح والقلب والنفس حكموا بالعدل بان اعطوا القلب غذاء البقاء وبالعدم الروح حظهم الفناء والسر ابقاء وسلطان البقاء يا ايها الذين آمنوا الخطاب مع القلب والروح والسر فانهم آمنوا اهل الحقيقة وطاعة القلب ان يجاهد في الله وطاعة الروح ان لا يلتفت الى غيره وطاعة السر ان لا يرى غيره في الوجود واما الرسول فهو الوارد من الحق الى الباطن كما قال يلقي الروح من امره ثم قال فليبادروا لمطاوعته واولي الامر منكم يعني مشايخكم ومن بيده امر تربيتكم فان تنازعتم في شيء يعني منازعة النفس للقلب والروح والسر فردوه الى الكتاب والسنة او بينهما تنازع القلب فيما يحكم به الكتاب والسنة من رجا من فهو لهم والاسلام والنفس تعيده الى الله المراد من رعاية القلوب بتواصل الغيوب الى الرسول فانه والحق يصدقون والمنتهى وصفاء الظاهر ذلك الاعيان الإيقاني بعينه النور اليقين خير مع علم الكتاب والسنة بالتقليد عن التحقيق ثم اخبر عن حال اهل الضلال المائلين الى طاغوت الهوى والشيطان من اهل البدع والضلال بقوله الم تر الى الذين يزعمون الآية اصابتهم مصيبة ملامة من الخلق او سياسة من السلطان فلا وربك لا يؤمنون فبين ان الايمان الحقيقي ليس مجرد التصديق والاقرار ولكنه يتحصل على محك الاعتبار وهو تحكيم الشرع لا الطبع النبوة لا النبوة فالمولى كالعكس وداره في الامور الخلوقية الخلاف فيما شجر بينهم ومع ذلك حكموا ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً من كراهة من القضاء الازلية والاحكام الالهية والتسليم الذين لهم قدم صدق عند ربهم والشهداء اهل الجهاد الاكبر والصالحين لهم صلوح الولاية وحسن اولئك رفيقاً في سلوك طريق الحق بالله المستعان

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا ۝ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ

ای گروه آنانکه گرویده اید فرا گیرید سلاح خود را پس متفرق شوید فوجها یا متفرق شوید همگی و بدرستی از شما هر آینه کسی است که باز میدارد مردم را پس اگر رسید

مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ۝ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ

بلیه گوید که انعام فرمود بتحقیق خدا بر من چون نبودم من با ایشان حاضر جنگ و هر آینه اگر رسید شما را بخششی از جانب پروردگار هر آینه گوید چنانکه گویا نبود

بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ

میان شما و میان او دوستی ای کاش بودم من با ایشان پس بهره میبردم بهره بزرگ پس جهاد کنند در راه خدا آنانکه میخرند زندگانی

الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۚ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝ وَمَا لَكُمْ

دنیا را عوض از آخرت و هر که جهاد کند در راه خدا پس کشته شود یا مغلوب شود پس زود دهیم او را مزدی بزرگ و چه شده شما را

لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا

که جهاد نکنید در راه خدا و ناتوانان از مردان و زنان و طفلان آنانکه میگویند پروردگارا

أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ۝ الَّذِينَ

بیرون آر ما را ازین ده که ستمکارند اهل آن و بگردان برای ما از نزد خود کارگزاری و قرار ده برای ما از نزد خود یاوری آنانکه

آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ

گرویدند جهاد کنند در راه خدا و آنانکه کافر شدند جهاد کنند در راه بت پس جهاد کنید دوستان شیطان را

إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ

بدرستی که کید شیطان هست ضعیف آیا نمیدیدی آنان را که گفته شد ایشان را باز دارید دستهای خود را و برپای دارید نماز را و بدهید زکوة را

فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ

پس چون نوشته شد بر ایشان جهاد ناگاه طایفه از ایشان میترسند از مردم چون ترسیدن از خدا یا سخت تر ترسی و گویند که پروردگارا چرا نوشتی

عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا

بر ما جنگ کردن را کاش پس انداختی ما را تا مدتی نزدیک بگو بهره دنیا کم است و آخرت بهتر است مر آنرا که پرهیزگار و ستم کرده نشوید

أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ ۗ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ

هر جا که باشید دریابد شما را مرگ و اگرچه باشید در قصرهای مستحکم و میرسید ایشان را خوبی گفتندی که این از نزد خداست

وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِنْدِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ

و اگر رسید ایشان را بدی گفتندی که این از نزد توست بگو که همه از نزد خداست پس چه بوده است مر اینگروه را که نزدیک نیستند

يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ۝ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَاكَ

درک کنند حکایتی را هر چه رسید ترا از نیکوئی پس از خداست و هر چه رسید ترا از بدی پس از خودت و فرستادیم ترا

لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ۝ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۖ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ

از برای مردم پیغمبر و بس است بخدا گواهی هر که پیروی کند رسول را پس بتحقیق که اطاعت کرده خدا را و هر که برگشت پس نفرستاده ایم ترا بر ایشان

حَفِيظًا ۝ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ ۖ وَاللَّهُ

نگهبان و میگویند کار ما طاعت است پس چون بیرون آیند از نزد تو باشند گروهی از ایشان بجز آنرا که میگفت و خدا

يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا

مینویسد آنچه شب سازش میکنند پس رو گردان از ایشان و توکل کن بر خدا و بس است بخدا کارگذاری

القراءة ليبطئن نحوه مثل فليقتل ولنبوئنهم بالياء الخالص يزيد والتموين حمزة في الوقف كان لم تكن بالتاء العوفا ابن كثير وحفص والمفضل ويعقوب الباقون بالياء الجبر يغلب فسوف نؤتيه بالنون سجب ... ابو بكر وحمزة غير خلف وعلي هشام ولا يظلمون بالياء العشانية ابن كثير وحمزة وخلف هشام ويزيد وابن مجاهد عن ابن ذكوان الباقون بالتاء الخطاب بيت طائفة مدغما ابو بكر وحمزة الوقوف جميعا ليبطئن لابتداء الشرط مع النعقيب شهيدا عظيما بالآخرة عظيما اهلها نصيرا لكمال المعقب ... في سبيل الله للفصل بين الفريقين بالمضادة في سبيل الشيطان للابتداء وتعقيب الفاء والكلام ضعيفا لكونه ...لان جواب فلما منتظر لكن النعجب في قوله الم تر واقع على قوله اذا فريق منهم يخشون خشية لانقطاع النظم مع اتحاد القتال لان لولا اي هلا استفهام ... قليل الوصف للفصل بين وصف الدنيا ... مشيدة للعدول لفظا ومعنى من عند الله للعدول من عندك من عند الله حديثا من الله فصلا بينهما ... من نفسك رسولا شهيدا اطاع الله ... مع ابتداء الشرط حفيظا ...

الفعل بعدها كاعنه لابتداء الشرط مع ان المقصود من بيان نفاقهم لانهم بعد يقولون ليتنا لاختلاف الجملتين مع الاتصال اى ياليتني كنت معهم فافوز
ولانهم على القعود كلا التفسير انه سبحانه عاد بعدها الى الترغيب في طاعة الله وطاعة رسوله الى ذكر الجهاد الذي هو اشق الطاعات ولانه اعظم الامور التي بها تقوية
الدين فقال يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم والحذر والحذر بمعنى كالاثر والاثر والمثل والمثل يقال اخذ حذره اذا تيقظ واحترز من المخوف كانه جعل الحذر
الة التي يقي بها نفسه ويعصم بها روحه والمعنى احذروا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من انفسكم وقيل المراد بالحذر السلاح لانه به يتقى ويحذر فان قيل
اى فائدة في هذا الامر والحذر لا يغني عن القدر والمقدر كائن لا محالة قلنا هذا من علم الاسباب والوسائط الم يتيقن وكان ترتيب الكل يقع على نحو ما قدر من
اشتغل وترتب عليه الاثر كان مقدرا ومن اهمل حتى هلك عند السلامة كان مقدرا وهكذا الحال في جميع الاسباب اذا اعتبرنا فانفروا الى قتال عدوكم
قال ولذا استنفرتم فانفروا ثبات جماعات متفرقة سرية بعد سرية واحدها ثبة محذوفة اللام واصلها ثبو عن الباء المحذوفة والتركيب يدل على
الاجتماع ومنه الثبة لوسط الحوض الذي يجتمع عنده الماء وقيل الثبة جماعة او انفروا جميعا مجتمعين كوكبة واحدة وهذا قريب مما قال الشاعر
والغرض النهي عن التخاذل والقاء النفس الى التهلكة وان منكم لمن ليبطئن اللام الاولى هي الداخلة في خبر ان والثانية هي الداخلة في جواب القسم
وتقدير الكلام لمن حلف بالله ليبطئن وهو اما متعد بسبب التشديد فيكون المفعول محذوفا اى ليبطئن غيره عن الغزو كما هو دأب المنافق عبد الله بن ابي
ثبط الناس يوم احد او لازم فقد جاء بطأ بالتشديد بمعنى ابطأ كعتم بمعنى اعتم اى ليتثاقلن عن الجهاد وهذا المعنى اوفق لقوله فان اصابتكم مصيبة
من قتل او هزيمة قال قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا ولئن اصابكم فضل من الله فتح او غنيمة ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل
الذي هو ليقولن وبين مفعوله وهو ياليتني للتنبيه على ضعف عقيدتهم يا ليتني كنت معهم فافوز
فوزا عظيما والخطاب في قوله وان منكم للمذكورين في قوله يا ايها الذين آمنوا والاظهر ان هذا المبطئ سواء جعل لازما او متعديا كان منافقا
فلعله جعل من المؤمنين من حيث الجنس والنسب والاختلاط او لانه كان حكمهم حكم المؤمنين لظاهر الايمان والمراد بايها الذين آمنوا المؤمنون في زعمكم كقوله يا ايها الذي نزل عليه الذكر ومعنى الاعتراض في المنافقين كانوا يوادون المؤمنين ويصادقونهم في الظاهر وان كانوا يبغون لهم الغوائل
في الباطن وقال بعض المفسرين ان هؤلاء المبطئين كانوا ضعفة المسلمين وعلى هذا فالتبطئة بمعنى الابطاء لان المؤمن لا يبطئ غيره
فما لكم يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم ثم لام المبطئين وحث على الجهاد بقوله فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون ومعناه يشترون
يبيعون وعلى الاول فهم المنافقون المبطئون وعظوا بان يغيروا ما بهم من النفاق ويخلصوا ويجاهدوا ولا يجبنوا وعلى الثاني فهم المؤمنون الذين تركوا
الدنيا للآخرة والمراد ابطاء اهل النفاق وضعفة الايمان عن القتال قال الثابتون المخلصون وقيل يحمل على المؤمنين التقدير ان لان
الاشارة الى المراد بيان هذه الحيوة الدنيا في سبيل الله بذل نفسه فاشترى من نفسه سعادة الآخرة ليقدر على بذلها في سبيل الله او الصابر بالاشتغال
بالقتال او ترجيح الفاني على الباقي والمراد انهم كانوا يرجحون الحياة على الموت لا ينبغي ان السعادة الابدية فقيل لهم فقاتلوا انكم تشترون على الاعداء وتفوزون
بالاموال ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب وعدا الاجر العظيم على تقديري المغلوبية والغالبية ليعلم انه لا عمل اشرف من الجهاد وما يكون المجاهد على
حال الا في خير كان فيقتل ولا يحجم ثم زاد في تحريضهم فقال وما لكم لا تقاتلون ومعناه انه لا عذر لكم في ترك القتال وقد بلغ الحال الى ما بلغ وقوله والمستضعفين اما مجرور اى في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين واما منصوب على الاختصاص اى واخص من سبيل الله هو عام في كل خير خلاص المستضعفين
وهم الذين اسلموا بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة وضعفوا عن الهجرة فبقوا بين اظهرهم اذلاء يلقون منهم اذى شديدا فكانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه
فيسر الله لبعضهم الخروج الى المدينة وبقي بعضهم الى الفتح والولدان جمع الوليد كالجيران في جار وقيل الولدان العبيد والاماء الان
الابن العبد والامة يقال لهما الوليد والوليدة وجمعهما الولدان والولائد الا انه خص الولدان بالذكر تغليبا كالاباء والاخوة مع ارادة الامهات والاخوات
ابن عباس كنت انا وامي من المستضعفين من الولدان والنساء الظالم صفة للقرية الا انه مسند الى اهلها فاتبع القرية الاعراب في ذكر الاسناد الى الاهل
والاهل يذكر ويؤنث ولو انث لانه ثبت للموصوف بل الجواز فانه لا اهل عائد وانما اشرك الولدان في الدعاء وان كانوا غير مكلفين لان المشركين كانوا يؤذونهم
ايضا الا انهم لان المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم في دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس وقد ثبت السنة باخراجهم
في الاستسقاء واجعل لنا من لدنك وليا اى كن انت لنا وليا وناصرا وول علينا رجلا يوالينا ويقوم بمصالحنا فاستجاب الله دعاءهم لان النبي لما فتح مكة
جعل عتاب بن اسيد اميرا لهم فكان الولي هو الرسول وكان النصير عتاب بن اسيد كما اراد قال ابن عباس كان ينصر الضعيف من القوي حتى كانوا اعز بها من
الظلمة ثم شجع المؤمنين ترغيبا بان اخبرهم انهم يقاتلون في سبيل الله فهو وليهم وناصرهم واعداؤهم يقاتلون في سبيل الطاغوت وهو الشيطان فلا ولي
لهم الا الشيطان وان كيد الشيطان وهي وضعفه الكيد السعي في فساد الحال على جهة الاحتيال فان قيل كان ان يعلم انه قد كان موصوفا بالضعف فلماذا
ذكرنا من الجر والذين يتبعونه كوم الجبل على وجه الدهر فان كانوا في حياتهم في غاية الخوف والمقهورة الملوك والجبابرة فاذا ماتوا انقرض اثرهم ولا يبقى ذكرهم
ثم يهم ولا ظلمهم قوله سبحانه الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم نزلت في المؤمنين نفر من اصحاب رسول الله منهم عبد الرحمن بن عوف والمقداد بن الاسود
وقدامة بن مظعون وسعد بن ابي وقاص كانوا يلقون من المشركين اذى كثيرا فيقولون لرسول الله ائذن لنا في قتال هؤلاء فيقول لهم كفوا ايديكم عنهم
فاني لم اؤمر بقتالهم فلما هاجروا الى المدينة وامرهم الله بقتال المشركين كره بعضهم وشق عليهم الثاني قال ابن عباس نزلت في ابي صالح لما استشهد الله من

المسلمين من استشهد يوم أحد قال المنافقون الذين تخلفوا عن الجهاد لو كان إخواننا الذين قتلوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فنزلت وقد يحتج للقول الأول بأن
رغبتهم في القتال وكان دليل الإيمان ويمكن أن يجاب بأن المنافقين أيضاً كانوا يظهرون الرغبة في الجهاد إلى أن أمروا بالقتال فجبنوا واحتج أصحاب القول الثاني بأنهم
كانوا يخشون الناس كخشية الله أو أشد وكانوا يعترضون على الله ثم يقولون لم كتبت علينا القتال وكانوا يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة فلهذا قيل لهم قل متاع
الدنيا قليل وكل هذه الأمور من نعوت المنافقين وأجيب بأن حب الحيوة والنفرة عن القتل من لوازم الطباع وهو المعني بالخشية والاعتراض محمول على تمني تخفيف
التكليف لا على الإنكار ويؤيده قوله قل متاع الدنيا قليل إنما ذكر ليهون على قلبهم أمر هذه الحيوة والأولى حمل الآية على المنافقين لأن ما بعدها وهو قوله وإن
تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله في شأنهم بلا خلاف فكذا الأولى ولأن الآية دلت على أن إيجاب الصلوة والزكوة كان متقدماً على الجهاد وهو أيضاً ترتيب مطابق
لما في المعقول لأن التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله مقدمان على التعرض للقتل في سبيل الله وإذا في إذا فريق للمفاجأة وهو جواب عن الظرفية والعامل
فيها معنى المفاجأة أي فاجأ وقت خشية فريق منهم زمان كتب القتال عليهم وقوله كخشية الله من إضافة المصدر إلى المفعول ومحل الكاف النصب على الحال لما عطف
عليه من قوله أو أشد خشية نصب خشية على التمييز والتقدير يخشون الناس مشبهين لأهل خشية الله أو أشد خشية من أهل خشية الله ثم لو قيل أشد خشية بالإضافة
انتصب خشية الله المصدر ولا يمكن أن يقول أشد خشية بالنصب على أنه المصدر اللهم إلا أن يجعل الخشية خاشية فيقال خشية مثل جد جده فيكون المعنى خشية مثل
خشية الله أو خشية أشد خشية من خشية الله وعلى هذا يجوز أن يكون محل أشد مجروراً عطفاً على خشية الله أي كخشية الله أو كخشية أشد خشية منها وكلمة أو
للشك ههنا فإن ذلك على علام الغيوب محال لكنها بمعنى الواو أو المراد أن كل خوفين فإن أحدهما بالنسبة إلى الآخر إما أن يكون أنقص أو مساوياً أو أزيد فبين
في الآية أن خوفهم من الناس ليس بأنقص من خوفهم من الله فيبقى إما أن يكون مساوياً أو أزيد فهذا لا يوجب كونه شاكاً فيه ولكنه يوجب بقاء الإبهام في
هذين القسمين على المخاطبين وهذا نظير قوله وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون يعني أن من يراهم يقول هذا الكلام وقالوا ربنا لم كتبت علينا
القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب إن كانت الآية في المؤمنين فهم إنما قالوا ذلك لا اعتراضاً على الله ولكن جزعاً من الموت وحباً للحيوة واستزادة في مدة الكف
واستمهالاً إلى وقت آخر كقوله لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وإن كانت من كلام المنافقين فلا شك أنهم كانوا منكرين لكتبة القتال عليهم فيقولون
ذلك بناء على زعم الرسول ودعواه ومعنى لولا أخرتنا هلا تركتنا حتى نموت بآجالنا ثم أزال الشبهة وأزاح العلة بقوله قل متاع الدنيا قليل والآخرة
خير لمن اتقى لا لكل الناس بل لمن اتقى لأن الكافر والفاسق هنالك بمنزلة ما هو إلا ومن هنا قال الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وإنما رجح الآخرة فلأن نعم الدنيا قليلة
ونعم الآخرة كثيرة ونعم الدنيا منقطعة ونعم الآخرة مؤبدة ونعم الدنيا مشوبة بالأكدار ونعم الآخرة صافية عن الأكدار ونعم الدنيا مشكوكة التمتع بها ونعم
الآخرة يقينية الانتفاع منها ثم بكت الحريصين على الحياة الخائفين بأنهم يدركهم الموت أينما كانوا ولو كانوا في حصون محصنة والبروج في كلام العرب القصور والحصون
أصلها من التبرج ومنه تبرجت المرأة إذا أظهرت محاسنها والغرض أنه لا خلاص لهم من الموت والجهاد موت مستعقب للسعادة الأبدية وإذا كان لا بد من الموت
فوقوعه على هذا الوجه أولى قال المفسرون كانت المدينة مملوءة من النعم وقت مقدم الرسول فلما ظهر عناد اليهود ونفاق المنافقين أمسك الله عنهم
بعض الإمساك كما جرت عادته في جميع الأمم قال وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء فعند هذا قال اليهود والمنافقون
ما رأينا أعظم شؤماً من هذا الرجل نقصت ثمارنا وغلت أسعارنا منذ قدم فقوله وإن تصبهم حسنة يعني الخصب والرخص وتتابع الأمطار وإن تصبهم
سيئة يعني الجدب وانقطاع الأمطار قالوا هذا من شؤم محمد وهذا كقوله فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن
معه وقيل المراد بالحسنة النصر على الأعداء والغنيمة والسيئة القتل والهزيمة وقال أهل التحقيق خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ فكل ما ينتفع به فهو حسنة
فإن كان منتفعاً به في الدنيا فهو الخصب والصحة وأمثالها وإن كان منتفعاً به في الآخرة فهو الطاعة فالحسنة تعم الحسنات والسيئة تعم السيئات فلا جرم
أجابهم الله تعالى بقوله قل كل من عند الله وكيف لا وجميع الممكنات من الأفعال والذوات والصفات لا بد من إسنادها إلى الواجب بالذات ثم إنه تعجب
من حالهم وقال فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً فنفى عنهم مقاربة الفقه والفهم فضلاً عن الفقه والفهم قالت المعتزلة هذه الآية
حجة لنا لأنه لو كان حصول الفهم والمعرفة بخلق الله تعالى لم يبق لهذا التعجب معنى البتة لأنه تعالى ما خلقها والجواب أنه تعالى لا يسأل عما يفعل وإنه المعارضة بالعلم
والداعي ثم إن المعتزلة قالوا الحديث فعيل بمعنى مفعول والمراد به الآيات المذكورة في هذه المواضع فيلزم منه كون القرآن محدثاً والجواب بعد تسليم ما
ذكروا أنه لا نزاع في حدوث العبارات إنما النزاع في الكلام النفسي قوله عز من قائل ما أصابك من حسنة فمن الله قال أبو علي الجبائي السيئة تارة تقع
على البلية والمحنة وتارة تقع على الذنب والمعصية ثم إنه تعالى أضاف السيئة إلى نفسه في الآية الأولى بقوله قل كل من عند الله وأضافها في هذه الآية إلى العبد بقوله
وما أصابك أي يا إنسان خطاباً عاماً من سيئة فمن نفسك فلا بد من التوفيق وإذا لزم التناقض فذلك لأنه أراد هناك بمعنى البلية وههنا بمعنى
المعصية قال وإنما فصل بين الحسنة والسيئة في هذه الآية فأضاف الحسنة التي هي الطاعة إلى نفسه دون السيئة مع أن كليهما من فعل العبد لأن الحسنة
إنما تصل إلى العبد بتسهيل الله وألطافه فصحت إضافتها إليه أما السيئة فلا يجوز إضافتها إلى الله تعالى لا بأنه فعلها ولا بأنه أرادها ولا بأنه أمر بها ولا بأنه
رغب فيها وقال في الكشاف ما أصابك من حسنة أي من نعمة وإحسان فمن الله تفضلاً منه وإحساناً وامتناناً وامتحاناً وما أصابك من سيئة أي من بلية ومصيبة
فمن نفسك لأنك السبب فيها بما اكتسبت يداك كما روي عن عائشة ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله إلا بذنب وما
يعفو الله أكثر منه وقالت الأشاعرة كل من الحسنة والسيئة بأي معنى فرض فإنهما من الله تعالى لوجوب انتهاء جميع الحوادث إليه لكنه قد يظن بعض الظاهريين أن

اصابة السيئة الى الله تعالى خروج عن قانون الادب وفى الآية ان كل ما يصيب الانسان من سيئة فمن الكبر الذى هو ابغض القبائح فان ذلك يجلب المقت ثم والوجه فيه ان يقال الكلام استفهام على سبيل الانكار والمقصود نفى السيئات لنسبة مضافة الى الانسان بل كلها بقضائه ومشيئته ويؤيده ما يروى انه قرئ فمن نفسك بصيغة الاستفهام وما يدل على ان الظاهر خطأ ان المراد من هذه الآيات اسناد جميع الامور الى الله تعالى قوله بعد ذلك ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ اى ليس لك الا الرسالة والتبليغ وقد فعلت ذلك وما قصرت ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ على جدك وعدم تقصيرك فى اداء الرسالة وتبليغ الوحى فاما حصول الهداية فليس اليك بل الى الله قال علماء المعانى قوله رسولا حال مؤكدة اى حال كونك ذا رسالة وللناس متعلق برسولا لا متعلق بارسلناك لان الاصل الى الناس فاصل النظم وارسلناك رسولا للناس فلا بد للتقديم من فائدة هو التخصيص اعنى ثبوت الحكم المتقدم ونفيه على ما سواه حقيقة او عرفا لاغاية وبعد تقديم قيد المفعول فاللام فى قوله للناس اما ان تكون للعهد الخارجى او للجنس او للاستغراق والاول باطل لان المعهود الخارجى حصة معينة من الافراد فيلزم اختصاص رسالته ببعض الانس لوقوع بعض الناس فى مقابلة كلهم وهو ما يكون منافيا لما فى الآيات الاخر كقوله ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ وقوله بعثت الى الخلق كافة والثانى وهو حمل اللام على تعريف الجنس ايضا باطل لانه يلزم اختصاص رسالته بالانس دون الجن لان ثبوت الحكم لحقيقة الانس بواسطة التقديم ينفى الحكم عما يقابلها وما هو حقيقة الجن ونفى الحكم عما عداها من الحقائق يشتمل حقيقة الجن ضرورة وعلى التقديرين يلزم الخلف لانه ﷺ مبعوث الى الثقلين لقوله ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ﴾ الآية فتعين حمل اللام على الاستغراق ليثبت الحكم لكل فرد من افراد الانسان ويحصل موجبه كليته وينفى نقيض هذا الحكم وهو ما كان يزعمه اهل الكتاب من اليهود من انه ليس مبعوثا الى بعض الناس كالعجم وانه رسول العرب خاصة فعلى هذا يكون الجن مسكوتا عنهم بالنسبة الى هذه الآية فلا يلزم دليل الخلف على كونه مبعوثا الى الثقلين لا يكون منافيا لدلالة هذه الآية لان التقديم قد استوفى حظه من الخاصة من غير تعرض الى الجن ثم لما بين انه لكل فرد من افراد الناس رسول اوجب طاعته بقوله ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ لان الطاعة للرسول لكونه رسولا ومأمورا ومبلغا لا يكون الا طاعة لله قال مقاتل فى هذه الآية ان النبى ﷺ كان يقول من احبنى فقد احب الله ومن اطاعنى فقد اطاع الله فقال المنافقون لقد قارف هذا الرجل الشرك وهو ينهى ان يعبد غير الله ويريد ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله هذه الآية وهى من اقوى الدلائل على انه معصوم فى جميع الاوامر والنواهى وفى تبليغه وفى افعاله اذ لو لم يكن طاعته فيها اخطأ طاعة الله ﴿وَمَنْ تَوَلَّى﴾ عنه او عن المتولى بالقلب اى حملك يا محمد على الظواهر واما البواطن فلا تتعرض لها وقيل هو التولى بالقلب ومعناه فلا ينبغى ان تغتم بسبب ذلك التولى ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ لتحفظ الناس عن المعاصى فان من اضله الله لم يهده احد على الرشاد والمعنى فما ارسلناك لتشتغل بزجرهم عند ذلك التولى كقوله ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ ثم نسخ بآية الجهاد ثم حكى عن المنافقين بقوله ﴿وَيَقُولُونَ﴾ اى حين ما امرهم بشئ ﴿طَاعَةٌ﴾ اى امرنا وشأننا طاعة والنصب مثل هذا جائز لحمد طاعتك طاعة ولكن الرفع يدل على ثبات الطاعة واستقرارها ﴿فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾ اى دبرت خلاف ما امرت به او ما ضمنته من الطاعة قال الزجاج كل امر تفكر فيه وتأملوا كثيرا وتأملوا فى مصالحه ومفاسده كثيرا قيل هذا امر مبيت وفى اشتقاقه وجهان الاول ان اصلح الاوقات للفكر ان يجلس فى بيت فى الليل فهناك يكون الخاطر اصفى والشواغل اقل فلا جرم سمى الفكر المنقضى تبييتا الثانى قال الاخفش اذا ارادوا العرب قرض الشعر بالغوا فى التفكر فيه فسمى الفكر البليغ تبييتا اشتقاقا من بيات الشعر ثم انه تعالى خص طائفة من المنافقين بالتبييت ذكر وفى التخصيص وجهان احدهما انه ذكر من علم انه يبقى على كفره ونفاقه فاما من علم انه يرجع عن ذلك فلم يذكرهم وثانيهما ان هذه الطائفة كانوا قد اسهروا ليلهم فى التبييت وغيرهم سمعوا وسكتوا ولم يبيتوا فلا جرم لم يذكروا قلت وفيه وجه ثالث وهو ان هذا النوع من الكلام اجلب للقلوب وادخل فى الزجر ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾ يثبته فى صحائف اعمالهم ويجازيهم عليه او يكتبه فى جملة ما يوحى اليك فيطلعك على اسرارهم ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ شأنا فان الله ينتقم لك منهم اذا قوى امر الاسلام وعز انصاره قال بعضهم الامر بالاعراض منسوخ بآية الجهاد والاكثرون على ان النسخ مطلق فلا حاجة الى التزام النسخ والله تعالى اعلم ... بل ﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ وهو ذكر الله ﴿فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ﴾ جماعة بالرياضات عن عالم النفس وهو عالم الحيوانية ﴿أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا﴾ من عالم الجسم وهو عالم الروحانية الى عالم الوحدة ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ﴾ ايها الصديقون ﴿لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ﴾ من المدعين المتكاسلين فى السير ﴿فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ﴾ الناكبين على الرسم مصيبة شدة ومجاهدة ﴿فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ﴾ مواهب غيبية وعلوم لدنية ومرتبة عند الخواص وقبول عند العوام ﴿يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ يشرون حظوظ النفس ويموتون عن الوقت ﴿فَيُقْتَلْ﴾ نفسه بسيف الصدق ﴿أَوْ يَغْلِبْ﴾ عليها بالظفر فيسلم على يده ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ﴾ اى الارواح الضعيفة المستضعفة النفوس باستيلائها عليها ﴿وَالنِّسَاءِ﴾ اى القلوب فان القلب للروح كالزوجة للزوج لتصرفها الروح فى القلب كتصرف الزوج فى الزوجة ﴿وَالْوِلْدَانِ﴾ الصفات الحميدة المتولدة بين الروح والقلب ﴿هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ قرية البدن ﴿الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ وهو النفس الامارة بالسوء نصيرا ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ﴾ من اهل السلامة ﴿كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ الا عن التمسك بحبل اهل الملامة ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ فانكم لستم اهل الغرام فانهم مباد السلامة والسلام لارباب الغرام من اهل الملام ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ﴾ يخافون لومة الناس وكان من شرطهم ان لا يخافوا لومة لائم ولا يبالوا بلومة لائم فانهم ينفقوا عن همتهم كالمهائم وضلوا عن طريقهم كالبهائم ﴿لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ يعنون بالآجال فان لنا كل الحظ مونة نترك حظه فيا ايها الطالب فى سبيل الذين غلب عليكم حب الدنيا فاشغلكم عن طلب المولى ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ﴾ اضطرارا فانا مونوا قبل ان تموتوا اختيارا ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ اجسادكم موبرة محجبتهم ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ﴾ يعنى لاهل البطالة ... ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ الى

المستقصى
بالقوام

للشيخ فما عليهم حفاظك نصيبهم [illegible] يقولوا للشيخ منا من عندك اى يبيّنك [illegible] قل كل من عند الله [illegible] والبسط والقبض والفرج

ما اصابك من حسنة [illegible] من الله تفضلا وكرما وما اصابك من سيئة [illegible] نفسك الامارة [illegible]

[illegible] والكسب [illegible] كان العبد [illegible]

[illegible] النبوة عليهم [illegible]

[illegible] الحكم والمواعظ [illegible] الطبع المختوم [illegible]

[illegible] والله يكتب ما يبيتون [illegible]

وتوكل على الله [illegible] أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا

وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ

لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا

فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا

وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا ۖ وَمَنْ يَشْفَعْ

شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا

بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ

الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا

كَسَبُوا ۚ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ۖ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا

كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ

حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ

مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ

فَلَقَاتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا

سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّمَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا ۚ فَإِنْ

لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُولَٰئِكُمْ

جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا [illegible]

[illegible] ابو عمرو وحمزة وعلى وخلف [illegible] يعقوب المفضل

[illegible] القرآن [illegible] الاستفهام [illegible] اذاعوا به منهم قليلا فى سبيل الله [illegible] لا تكلف

الشيطان والحال اي فقاتل غير مكلف الا نفسك وليعطف قوله وحرض على قوله فقاتل المؤمنين لان حسبي مستانف لفظا ومتصل معنى لانه ان جنح
ما امر به كفروا انتجا و نصيب منها الابتداء شرط الخبر مع واو العطف كفل منها مقيتا نصف الجزء ودوما احسن الاهوال ويبيتهم حديثا بما كسبوا من اضل الله
لتناهي الاستفهام الى الشرط فسبيلا في سبيل الله وجد بموهم تصيرا او يقاتلوكم طا لوكم السلم لان ما بعده جواب ان فما جعل الله سبيلا قوما انهم اركسوا فيها فخذوهم
مبتدأ التفسير لما حكى عن المنافقين فاحكي وكان السبب فيه اعتقادهم انه عز وجل في ادعاء الرسالة امرهم بالتفكر والتدبر وهو النظر في عواقب الامور
وادبارها ومنه قوله كثم لا يدبروا اعجاز امور قد ولت صدورها وفي قبائح الكلام لو استقبلت من امري ما استدبرت اي لو عرفت في صدره ما عرفت
من عاقبته وظاهر الآية يدل على انه احتج بالقرآن على صحة نبوة محمد والا لانقطع النظم ولا لزم القرآن على صدق النبي من ثلاثة اوجه الفصاحة والاشتمال
على الغيوب والسلامة من الاختلاف وهو المقصود من الآية واختلف المفسرون في المراد من سلامته من الاختلاف فقال ابو بكر الاصم معناه ان المنافقين
كانوا ينوا طاوون في السر على انواع كثيرة من المكائد والرسول كان يخبرهم عنها حالا فحالا فقيل لهم انه لو لم يحصل باخبار الله تعالى لم يطرد صدقه ولظهر انواع
الاختلاف والتفاوت وقال الاكثر المتكلمين المراد تجاوب معانيه وتلاؤم مقاصده مع انه مشتمل على علوم كثيرة وفنون عزيزة ولو كان من عند غير الله لم يخل
من تناقض واضطراب الذي نظيره التناقض كقوله لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان مع قوله لنسئلنهم اجمعين وكقوله فاذا هي ثعبان مبين مع قوله كانها جان
ليس هناك عند التدبر وما اخطر نبوطا التناقض من اتحاد الزمان والمكان وغيرهما وقال ابو مسلم المراد منه تحري نظمه وكون كله بحيث كل جزء من اجزائه وما يناسب بالغا
حد الاعجاز ومن المعلوم ان الانسان وان كان في غاية البلاغة ونهاية الفصاحة اذا كتب كتابا طويلا مشتملا على المعاني الكثيرة فلا بد ان يظهر التفاوت في كلامه بحيث
يكون بعضه قويا متينا وبعضه سخيفا نازلا ولما لم يكن القرآن كذلك علمنا انه معجز من عند الله تعالى ورد في الآية دلالة على وجوب النظر والاستدلال على المنع من التقليد
وقال الجبائي فيها دلالة ان افعال العباد غير مخلوقة لله لان فعل العبد لا ينفك عن التفاوت والاختلاف والجواب انه لا يلزم من كون كلام غيره متفاوتا ومختلفا
ان لا يكون افعاله مختلفة بحسب اختلاف المظاهر والقوابل سلمنا لكن الاختلاف هو كونه غير مطابق للاغراض والمقاصد الانسانية وقد يكون بحسب نظائر الاجانب
ثم حكى عن المنافقين فعلا من مفعولات المسلمين انه اذا جاءهم الخبر بامر من الامور سواء كان ذلك الامر من باب الامن او من باب الخوف اذاعوا به افشوه يقال اذاع السر
واذاع به لغتان ويجوز ان يكون معنى اذاع به فعل به الاذاعة وهو ابلغ ولا يخفى ما في ذلك الافشاء من الضرر من جهات الارجاف لا ينفك عن الكذب ومن جهة ان ذلك
الخبر اذا كان في جانب الامن ولم يقع اورث شبهة تضعف المسلمين في صدق الرسول لان المنافقين كانوا يروونها عن الرسول وان كان في جانب الخوف فحصل مطلق
في الضعف ومعوا في الحرب ويقع البحث عن الارجاف ووجب الظهور الاسرار فغلبك لا يوافق مصلحة المدينة فقلما يصل الخبر الى الكفار فاستعدوا للقتال او تحصنوا
وفي معنى الآية قولان الاول ولو ردوا ذلك الخبر الى رسول الله والى اولي الامر وهم كبار الصحابة البصراء بالامور او الذين كانوا يؤمرون منهم لعلمه لعلم تدبير ما
اخبروا به الذين يستنبطونه الذين يستخرجون تدبيره بفطنهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها واصل الاستنباط اخراج النبط وهو الماء يخرج من البئر
اول ما تحفر فاستعير لاستخراج المعاني والتدبير الثاني كانوا يقفون من رسول الله واولي الامر على امن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء او على خوف
واستشعار فيذيعونه فتنتشر واذا عتهم مفسدة فقيل لهم لو فوضوا الى الرسول والى اولي الامر وكانوا كان لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطونه تدبيره كيف
يدبرونه وما يأتون ويذرون فيه الثالث كانوا يسمعون من افواه بعض المنافقين شيئا من خبر السرايا غير معلوم الصحة فيذيعونه فقيل لهم لو سكتوا حتى
يسمعوه من الرسول واولي الامر لعلموا صحته وهل هو مما يذاع او لا يذاع فالمستنبطون هم المنبئون ومعنى يستنبطونه منهم يتلقونه من الرسول واولي الامر
ويستخرجون علمه من جهتهم قالت العلماء في الآية دلالة على ان القياس حجة لانه امروا ان يرجعوا في معرفة الوقائع الى اولي الامر من المستنبطين فدلالة النص
لا يكون باستنباط فهو اذن ردوا امثالها الى نظائرها وهو القياس وما اعترض به ان المستنبطين هم العلماء واولوا الآراء بل هم المنتهون كما في القول الثاني
سلمنا لكن الآية نزلت في الحروب فلا يلزم من جواز الاستنباط في الوقائع المتعلقة بها جواز الاستنباط في الوقائع الشرعية فان عمم احد البابين على
كان اثباتا للقياس الشرعي بالقياس الشرعي سلمنا لكن لا يجوز ان يكون المراد استخراج الاحكام الشرعية من النصوص الخفية ومن تركيبات النصوص
او بالبراءة الاصلية او بحكم العقل كما يقول الاكثرون ان الاصل في المنافع الاباحة وفي المضار الحرمة وكل هذا الامور ليس من القياس الشرعي في شيء سلمنا ان القياس
الشرعي داخل في الآية لكن بشرط كونه مفيدا للعلم بدليل قوله لعلمه الذين يستنبطونه ولا نزاع في مثله انما النزاع في ان القياس المفيد للظن هل هو حجة
ام لا واجيب بان صرفه المستنبطين الى المنتهين ليس بقوي اذ لو كان المراد ذلك لكان الاليق بنظم الكلام ان يقال لعلموه لو ردوه الى الرسول والى اولي الامر لعلمه
من غير اظهار المظهر مقام المضمر وعن الثاني بان الامن او الخوف عام في كل ما يتعلق بباب التكليف ولئن سلم انه مخصوص بامور الحرب فاذا عرف احكام الحروب بالقياس
الشرعي لزم جواز التمسك به في سائر الوقائع اذ لا قائل بالفرق في الآية ان من قال القياس حجة في باب البيع لا في باب النكاح لم يلتفت اليه وعن الثالث ان
من تلك الامور لا يسمى استنباطا وعن الرابع ان العلم قد يراد به الظن الغالب سلمنا لكن القياس الشرعي عندنا يفيد العلم لانه مهما غلب على الظن ان حكم الله
في الاصل معلل بكذا ثم غلب على الظن ان ذلك المعنى قائم في الفرع حصل ظن ان حكم الله في الفرع مثل الحكم في الاصل وعند هذا الظن يقطع بانه مكلف
بان يعمل على وفق هذا الظن وهذا معنى قولهم الظن واقع في طريق الحكم والحكم مقطوع به كانه تعالى قال مهما غلب على ظنك كذا فاعلم قطعا ان
حكمي فيها كذا اما قوله لاتبعتم الشيطان الا قليلا فظاهره يقتضي اشكالا وهو ان قليلا من الناس لا يحتاج في عدم اتباع الشيطان الى فضل الله ورحمته
لكن الاحتياج بالنسبة الى كل واحد من الناس ثابت بالاتفاق فهذا تناقض يذكر المفسرون في ازالة التناقض وجوها الاول ان الاستثناء راجع الى قوله

اذاعوا به كما نرهم كما اخرج بعض المنافقين من هذه الاذاعة كما اخرجهم في قوله بيت طائفة الثاني انه عائد الى قوله لعلمه الذين يستنبطونه منهم الا قليلا
قال الفراء والمبرد القول الاول اولى لان ما يعلم بالاستنباط فالاقل يعلمه والاكثر يجهله وصرف الاستثناء الى ما ذكروه يقتضي ضد ذلك قال الزجاج
هذا غلط لانه لا يراد بهذا الاستنباط ما يستخرج بنظر دقيق وفكر غامض انما هو استنباط خبر واذا كان كذلك فالاكثر يعرفونه الا البالغ في البلادة
ولا نسلم ان الاستنباط يحصل على مجرد تعرف الاخبار والاراجيف فكلام الزجاج الصحيح وان كان محمولا على استخراج الاحكام الشرعية كان الحق ما
ذكره الفراء والمبرد الثالث ان الاستثناء مصروف الى ما يليه كما هو حق اللفظ لان الفضل والرحمة مفسران بشيء خاص يعني وجها صحيحا ومنها قول جماعة
من المفسرين ان المراد انزال القرآن وبعثة محمد والتقدير لولا بعثة محمد وانزال القرآن لاتبعتم الشيطان ولكفرتم بالله الا القليل منكم فان ذلك القليل بتقدير عدم
بعثة محمد ما كان يكفر بالله وهم مثل قس بن ساعدة وورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل كانوا مؤمنين بالله قبل بعثة محمد وثانيها قول ابي مسلم ان المراد بالفضل
والرحمة ههنا نصرته ومعونته اللذان تمناهما المنافقون بقولهم فافوز فوزا عظيما والتقدير لولا حصول النصر والظفر على سبيل التتابع لاتبعتم الشيطان
الا القليل منكم وهم اهل البصائر والعزائم من افاضل المؤمنين الذين يعلمون انه ليس من شرط كونه حقا حصول الدولة في الدنيا فلاجل تواتر الفتح والظفر يدل على كونه
حقا ولاجل انقطاع النصر والغلبة يدل على كونه باطلا بل الامر في كونه حقا وباطلا على الدليل وهذا احسن الوجوه واقربها. قوله فقاتل قيل انه جواب لقوله ومن
يقاتل في سبيل الله فيقتل كانه قال ان اردت الفوز فقاتل وقيل انه متصل بقوله يعني ما ذكر من قصص المنافقين كذا وكذا فلا تعتد بهم ولا تلتفت اليهم بل قاتل فانك
لا تؤاخذ الا بفعلك فاذا اديت فرضك لم تكلف فرض غيرك ويعلم من قوله وحرض المؤمنين ان الواجب على الرسول انما هو الجهاد وتحريض الناس على الجهاد اي الحث
والاحماء عليه فاذا اتى بالامرين فقد خرج عن عهدة التكليف وليس عليه من كون غيره تاركا شيء واطراف الجهاد في حق غير الرسول من فروض الكفايات فما لم يغلب
على الظن انه يفيد لم يجب بخلاف رسول الله فانه على ثقة من النصر والظفر بدليل قوله والله يعصمك من الناس وبدليل قوله ههنا عسى الله ان يكف بأس الذين
كفروا وعسى من الله جزم لان الرجاء عليه محال لعنوا اطماع واطماع الكريم ايجاب فلزم الجهاد وان كان وحده فلاجرم انه قال في بدر الصغرى لاخرجن ولو وحدي فخرج ومعه
سبعون راكبا ولو لم يتبعه احد لخرج وحده ثم انه تعالى كف بأس المشركين والقى الرعب في قلوب ابي سفيان واصحابه حتى ندموا وتركوا الحرب في تلك السنة وفي الآية
دليل على انه كان اشجع الخلق لانه لم يأمره بالقتال وحده الا انه كذلك وقيل اقتدى به ابو بكر حيث حاول الخروج وحده الى قتال مانعي الزكاة ومن عرف ان الامر
كله بيد الله وانه لا يحدث شيء الا بقضاء الله سهل عليه الفوت وكان مهونا عليه نسبة الموت والله اشد بأسا من قريش واشد تنكيلا تعذيبا لان عذاب
الله دائم وعذاب غيره غير دائم وعذاب غير الله يخلصه الله عنه وعذاب الله لا يقدر احد على تخليصه منه وعذاب غير الله يكون من وجه واحد وعذاب الله يصل الى جميع
الابعاض والاجزاء ويشمل الروح والجسم فيه طرف من العرف والله اعلم بكنه عذابه ونعوذ بالله من عقابه قوله سبحانه من يشفع شفاعة حسنة وجه النظم
تبرهن نفسه وذلك انه قيل المراد منه تحريض النبي اياهم على الجهاد لانه اذا كان يأمرهم بالغزو فقد جعل نفسه شفعا لهم في تحصيل الاغراض المتعلقة بالجهاد
وايضا التحريض هو الحث على سبيل الرفق والتلطف النهاية بما يجري مجرى الشفاعة وقيل كان بعض المنافقين يشفع لمنافق آخر في ان يأذن له الرسول
في التخلف عن الجهاد وكان بعض المؤمنين يشفع لمؤمن لم يوجد عنده ما يتأهب به فيحصل له عدة الجهاد ونقل الواحدي عن ابن عباس ان الشفاعة الحسنة
ههنا ان يشفع ايمانه بالله بقتال الكفار والشفاعة السيئة ان يشفع كفره بالله بمحبة الكفار وترك ايذائهم وقال مقاتل الشفاعة الى الله انما هي الدعوة
لله للمسلم لما روي عن النبي من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك فذلك النصيب والدعوة على المسلم بضد ذلك وقال الحسن
ومجاهد والكلبي وابن زيد هي مطلق الشفاعة والحسنة منها ما هي في حق مسلم ودفع بها عنه شرا وجلب اليه خيرا وابتغى بها وجه الله ولم يؤخذ عليها رشوة
وكانت في مباح لا في حد من حدود الله ولا في ابطال حق من الحقوق والسيئة ما كان بخلاف ذلك وعلى هذا الوجه لا ينتظم ان التحريض على الجهاد بعث على الفعل
الحسن فانه نوع شفاعة كما مر في القول الاول حين مر انه شفع شفاعة فاهلك الباطل المشفوع له رجاء بعض نصيب منها وقال الواحدي ما في قوله لها تكلم
وفيما بعده في الكلام فيما بقي منها قال اهل اللغة الكفل اسم النصيب هل لاختلاف اللفظين فائدة فالنصيب يراد به الكفل اسم للنصيب الذي يكون عليه اعتماد الانسان
ومنه يقال الكفل للبعير والكفل ... ولا ... الكفيل الضامن ... لانه ... عليه التقدير من يشفع شفاعة سيئة يكن له منها نصيب يعتمد
عليه يكون له ... في معاشه ومعاده والغرض التهكم وحصول ضد ذلك مثل فبشرهم بعذاب اليم وكان الله على كل شيء مقيتا اي مقتدرا وحفيظا والمقيت
من القوت لانه يمسك النفس ويحفظها والغرض انه قادر على كل المقدورات حفيظ لجميع المعلومات فيجازي كل شافع بما يليق به ثم انه امر المؤمنين بالجهاد
امرهم ايضا بان الاعداء لو رضوا بالمسالمة او بلغوا في المبادرة بالتسليم فاقبلوهم بالاكرام وابتداء السلام بخلافه بالسلام والدعاء نوع من الشفاعة والتحية تفعلة
من الحياة وحيّ الناس من باب التفعيل على تفعلة مثل تسلية وتزكية لكنه ادغم ههنا لاجتماع المثلين وكانت العرب يقول عند الملاقاة حياك الله دعاء له
بالحياة فابدل الله ذلك بالسلام ولعمري ان هذا احسن لان الحياة ان لم تكن مقرونة بالسلامة لم يعتد بها بل لعل الموت خير منها ولان السلام اسم من اسماء الله
فالابتداء به اولى ولانه تدفع المضار اهم من جلب النفع وقد سلم الله على المؤمنين في اثني عشر موضعا في الازل هذا سمى نفسه بالسلام وعلى لسان نوح يا نوح اهبط
بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك والمراد امة محمد وعلى لسان جبريل تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر سلام قال
المفسرون انه خاف على امته ان يصيبوا مثل امة موسى وعيسى فقال الله تعالى لا تهتم بذلك فاني وان اخرجتك من الدنيا الا اني جعلت جبريل خليفتك ينزل الى
امتك كل ليلة قدر ويبلغهم السلام مني سلم عليك على لسان موسى والسلام على من اتبع الهدى وسلم عليك على لسان عيسى وقل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

ان اليهود يقول للمسلمين السام عليكم وعن الحسن يجوز ان يقول للكافر وعليك السلام ولا يقل ورحمة الله فانها استغفار وعن الشعبي انه قال
لنصراني سلم عليك السلام ورحمة الله فقيل له في ذلك فقال اليس في رحمة الله يعيش واعلم ان من مذهب ابي حنيفة ان من وهب لغير ذي رحم محرم فله الرجوع فيها
ما لم يثب منها فاذا اثابه فيها فلا رجوع له فيها وقال الشافعي له الرجوع في حق الولد وليس له الرجوع في حق الاجنبي واحتج لابي حنيفة بالاية وذلك
ان التحية تشتمل جميع انواع الاكرام فتشمل الهبة ومقتضاها وجوب الرد اذا لم يرد مقابلا بالاحسن لا اقل من الجواز وقال الشافعي هذا الاحتجاج
على الملك ثم لو اثيب بما هو اقل منه سقط مكنة الرد بالاجماع مع ان ظاهر الاية يقتضي ايجاب بالاحسن ثم احتج الشافعي على قوله بما روي عن ابن
عباس وابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لرجل ان يعطي عطية او يهب هبة فيرجع فيها الا الوالد فيما يعطي ولده ان الله كان على كل شيء حسيبا محاسبا على كل
شيء فاحفظوا حقوق التحية وغيرها لا تكونوا على حذر من هذا القسم ثم اكد الوعيد بقوله الله لا اله الا هو ليجمعنكم فالاول توحيد والثاني عدل كانه
يقول من سلم عليكم وحياكم فاقبلوا اسلامه واكرموه وعاملوا معه بناء على الظاهر فان البواطن انما يعرفها الله الذي لا اله الا هو وانما
ينكشف بواطن الخلق للخلق في يوم القيامة الذي يجمع فيه الاولون والاخرون للجزاء والحساب وقوله لا اله الا هو اما خبر المبتدأ واما اعتراض والخبر ليجمعنكم
الى يوم القيامة اي ليضمنكم اليه ويجمعن بينكم وبينه بان يبعثكم فيه والقيامة والقيام كالطلابة والطلاب هي قيامهم من القبور او قيامهم للحساب قال تعالى
يوم يقوم الناس لرب العالمين ومن اصدق من الله حديثا استفهام على سبيل الانكار وذلك ان الصدق من صفات الكمال والكمال للواجب
اولى واحق واقدم واتم من غيره والمعتزلة نفوا عنه الكذب بناء على انه قبيح ومن كذب انما يكذب لانه محتاج الى ان يكذب ليجر منفعة او يدفع مضرة او
يغني عنه الا انه يجهل غناه او هو جاهل بقبحه او هو سفيه لا يفرق بين الصدق والكذب في اخباره ولا يبالي بايهما نطق وربما كان الكذب احلى على
حنكه من الصدق وكل هذه الامور من الحكيم قبيح فيجب تنزيهه عنها واعلم ان المسائل الاصولية قسمان منها ما العلم بصحة النبوة يحتاج الى العلم بصحته كعلمنا
بان للعالم صانعا عالما بكل المعلومات قادرا على كل الممكنات فهذا القسم يمتنع اثباته بالقران والخبر والا وقع الدور ومنها ما ليس كذلك كاثبات
الحشر والنشر فانه يمكن اثباته بالقران على الجانب والله اعلم ثم عاد الى احوال المنافقين فقال فما لكم في المنافقين فئتين وهو منصوب على الحال والعامل
معنوي مثل ما لك قائما اي ما تصنع وقيل نصب على انه خبر كان اي ما لكم كنتم في شان المنافقين فئتين استفهام على سبيل الانكار اي لا تختلفوا في كفرهم
ولكن اقطعوا بنفاقهم فقد ظهرت دلائل ذلك وانكشفت حقيقة الحال وذلك انها نزلت في قوم من العرب قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فاسلموا واصابهم وباء
المدينة وحماها فقالوا يا رسول الله ائذن لنا ان نخرج الى الصحراء فاذن لهم فلما خرجوا لم يزالوا يرحلون مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين
فتكلم المؤمنون فيهم فقال بعضهم هم مسلمون فبين الله نفاقهم وقال مجاهد نزلت في قوم هاجروا من مكة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا انا على دينك ما
اخرجنا الا اجتواء المدينة والاشتياق الى بلدنا وعن زيد بن ثابت انهم الذين تخلفوا يوم احد وقالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم وطعن بعضهم في هذا القول بان
نسق الكلام وهو قوله حتى يهاجروا في سبيل الله يأباه اذ الهجرة تكون من مكة لا من المدينة وعن عكرمة هم قوم اخذوا اموال المشركين وانطلقوا بها الى
اليمامة وقيل هم العرنيون الذين اغاروا على السرح وقتلوا يسارا مولى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن زيد نزلت في اهل الافك قال الحسن سماهم المنافقين لانهم اظهروا
الكفر باعتبار ما هم عليه كانوا عليها والله اركسهم الركس والاركاس رد الشيء مقلوبا ويقال للروث الركس لانه رد الى حالة خبيثة وهي حالة النجاسة
ويسمى رجيعا ايضا لذلك والمراد ردهم الى احكام الكفار من الذلة والصغار والسبي والقتل بما كسبوا اي بما اظهروا من الارتداد بعد ما كانوا على
النفاق ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا لان المخلوق لا يغير ما خلقه الخالق بل خلق الخالق على خلاف مقتضى ارادته ومشيئته وهذا ظاهر في المقصود
والمعتزلة يقولون قوله اركسهم بما كسبوا اي بسبب كسبهم وفعلهم ينفي القول بان ضلالهم حصل بخلق الله فالمراد من اضلال الله حكمه بضلالهم
كما يقال فلان يكفر فلانا اي ينسبه الى الكفر ويحكم عليه بذلك او المراد اضلالهم عن طريق الجنة وهو منع الالطاف ثم ذكر انهم بالغوا في الكفر
الى ان تمنوا ان يصير كفارا فكيف تطمعون في ايمانهم وهو قوله ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء اي في الكفر والمراد فتكونون انتم وهم
سواء الا انه اكتفى بذكر المخاطبين عن ذكر غيبهم لتقدم ذكرهم وقوله فتكونون عطف على تكفرون فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا اي حتى
يضموا الى ايمانهم المهاجرة الصحيحة المعتمدة وهي الهجرة في سبيل الله لا لغرض من الاغراض الفاسدة ومن فوائدها انا بريء من كل مسلم قام بين اظهر المشركين
وانا بريء من كل مسلم مع مشرك وكانت الهجرة فريضة الى ان فتحت مكة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة لا هجرة بعد ذلك لكن جهاد
ونية وعن الحسن ان حكم الاية ثابت في كل من اقام في دار الحرب فراى فرض الهجرة الى دار الاسلام قائما قال المحققون الهجرة في سبيل الله تحتمل الانتقال
من دار الكفر الى دار الايمان والانتقال عن اعمال الكفار الى اعمال المسلمين بل هذا اتم واهم لقوله المهاجر من هجر ما نهى الله عنه فان تولوا عن
الايمان المظاهر بالهجرة الصحيحة فحكمهم حكم سائر المشركين فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم في الحل والحرم ولا تتخذوا منهم في هذه الحالة وليا يتولى
شيئا من مهماتكم ولا نصيرا ينصركم على اعدائكم بل جانبوهم مجانبة كلية ثم لما امر بقتل هؤلاء الكفار استثنى عنه موضعين الاول الا الذين يصلون
اي ينتهون ويتصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق والمعاهدون من حلفاء محمد من كان داخلا في عهدكم فهم ايضا داخلون في عهدكم قال القفال وقد
يدخل في الاية ان يقصد قوم حضرة الرسول فيتعذر عليهم ذلك المطلوب فيلجؤوا الى قوم بينهم وبين المسلمين عهد الى ان يجدوا السبيل اليه القوم
هم الاسلميون وذلك انه وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من وصل الى هلال ولجأ اليه فله من

الجوار ومثل الذي هلال قال ابن عباس هم بنو بكر بن زيد مناة كانوا في الصلح وقيل هم خزاعة وخزيمة وههنا نكتة وهي انه تم دفع السيف عمن التجأ الى
الكفار المتصلين فلان يدفع النار عمن التجأ الى جنب الله وجنب رسوله كان اولى وعن ابي عبيدة المراد بالوصلة الانتساب يقال وصلة فلان وانتسب
براء انتسبت اليه واعترض عليه بان اهل مكة اكثرهم كانوا متصلين بالرسول من جهة النسب مع انه كان قد ابيح دم الكفار منهم الاستثناء الثاني قوله
او جاءكم وفي العطف وجهان احدهما ان يكون معطوفا على صفة قوم والمعنى الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او الى قوم جاءوكم ممسكين عن القتال
لا لكم ولا عليكم وثانيهما العطف على صلة الذين كانه قيل الا الذين يتصلون بالمعاهدين او الذين لا يقاتلونكم وهذا انسب بقوله فان اعتزلوكم
فلم يقاتلوكم الى آخر الآية ثم بين ان كفهم عن القتال سبب استحقاقهم لنفي التعرض لهم بالاستقلال لا بواسطة الاتصال ومعنى حصرت صدورهم ضاقت و
الحصر الضيق والانقباض وهو في موضع الحال باضمار قد بدليل انه قراءة من قرا حصرة وجعله المبرد صفة لموصوف محذوف منصوب على الحال اي جاءوكم
قوما حصرت وقيل هو بيان لجاءوكم وقوله ان يقاتلوكم اي عن ان يقاتلوكم ثم هؤلاء الجاءون من الكفار او من المؤمنين قال الجمهور هم من الكفار بنو مدلج
جاءوا رسول الله صلعم غير مقاتلين وعلى هذا يلزم النسخ لان الكافر وان ترك القتال جاز قتله وقال ابو مسلم انه تعالى لما اوجب الهجرة على كل من اسلم استثنى من له
عذر فقال الا الذين يصلون الى قوم فهما طائفتان احديهما الذين قصدوا الرسول للهجرة والنصرة الا انه كان في طريقهم كفار يقاتلونهم فقصدوا الى قوم بينهم وبين المسلمين عهد
واقاموا عندهم الى ان يمكنهم الخلاص والثانية من صار الى الرسول لا ليقاتل الرسول ولا اصحابه لانه يخاف الله فيه ولا يقاتل الكفار ايضا لانهم
اقاربه او لانه بقي اولاده وازواجه بينهم فيخاف لو قاتلهم ان يقتلوا اولاده واصحابه فهذان الفريقان من المسلمين لا يحل قتالهم وان كان لم يوجد
منهم الهجرة ومقاتلة الكفار وعلى هذا فمعنى قوله ولو شاء الله لسلطهم عليكم اي لو شاء لقوى قلوبهم ليدفعوا عن انفسهم ان اقدمتم على مقاتلتهم
على سبيل الظلم وعلى الاول معناه عن ضيق صدورهم عن قتالكم لانه قذف الله الرعب في قلوبهم ولو قوى قلوبهم لسلطهم عليكم فلقاتلوكم وهو جواب لو على التكرير
او البدل قال الكعبي انه تعالى اخبر انه لو شاء لفعل وهذا ينبئ عن القدرة على الظلم وهو صحيح عندنا ولا يدل على انه يفعل الظلم والقاء عنهم فان اعتزلوكم
فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم اي الانقياد والاستسلام فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم في اخذهم وقتلهم ستجدون آخرين هم
قوم من اسد وغطفان كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين فاذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم كلما ردوا الى الفتنة كلما
دعاهم قومهم الى قتال المسلمين اركسوا فيها اي عادوا مغلوبين منكوسين فيها وهذه استعارة لشدة اصرارهم على الكفر وعداوة المسلمين لان من وقع في شيء
منكوسا يتعذر خروجه فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا اي ولم يكفوا ايديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم قال الاكثرون وهذا يدل على
انهم اذا اعتزلوا قتالنا وطلبوا الصلح منا وكفوا ايديهم عن ايذائنا لم يجز لنا قتالهم ولا قتلهم وهذا مبني على ان المعلق بكلمة ان على الشرط عدم عند عدم
الشرط واما قوله سلطانا فالمعنى حجة واضحة لانكشاف حالهم **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً**
في الكفر او الغدر او تسلطا ظاهرا حيث اذنا لكم في قتلهم — و سزاوار نيست مر مومنی را که بکشد مومنی را مگر از روی خطا و هر که بکشد مومنی را از روی خطا

فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ
پس بر او است آزاد کردن بنده مومنه و خونبهای تسلیم داده شده بسوی کسان او مگر آنکه ببخشند پس اگر باشد از گروهی در میان شما و میان ایشان پیمان

فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ
پس خونبهای تسلیم داده بسوی کسان او و آزاد کردن بنده مومن پس کسی که نیابد پس روزه گرفتن دو ماه پی در پی از توبه است از جانب خدا و هست

اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ
خدا دانای درستکار و هر که بکشد مومنی را عمدا پس پاداش او دوزخ است جاوید در آن و خشم گرفت خدا بر او و دور کرد او را و مهیا کرد

لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ
برای او عذابی بزرگ ای گروه آنانکه ایمان آورده اید چون قدم زنید در راه خدا پس تفحص کنید و مگوئید مر آنرا که افکند بسوی شما

السَّلَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ
سلام را که نیستی تو مومن که خواسته باشید خواسته زندگانی دنیا را پس نزد خداست غنیمت بسیار همچنین بودید شما از پیش

فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ
پس منت نهاد خدا بر شما پس تمیز کنید بدرستیکه خدا هست بآنچه میکنید خبیر یکسان نیستند نشستگان از مومنان غیر

أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ
صاحبان ناخوشی و جهادکنندگان در راه خدا بمالهاشان و نفسهاشان زیادتی داد خدا جهادکنندگان را بمالهاشان و نفسهاشان

عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا
بر نشستگان پایه و هر یک را وعده کرده است خدا نیکوئی و زیادتی داد خدا جهادکنندگان را بر نشستگان مزدی بزرگ

دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي
پایهای چند ازو و آمرزش و مهربانی و هست خدا آمرزنده مهربان بدرستیکه آنانکه میرانند ایشانرا فرشتگان ستمکنندگان

النساء

أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا
نفسهای خود را گویند که در چه حال بودید گویند که بودیم ما ناتوانان در زمین گویند فرشتگان آیا نبود زمین خدا با وسعت پس سفر کنید

فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ
در آن پس آن گروه جایگاه ایشان دوزخ است و بد جای بازگشتی است بجز ناتوانان از مردان و زنان و اطفال

لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۝ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا
که راه نبرند حیله را و راه نبرند طریقی پس آن گروه امید است که خدا درگذرد از ایشان و هست خدا درگذرنده

غَفُورًا ۝ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا
آمرزنده و هر که سفر کند در راه خدا بیابد در زمین زمینهای بسیاری و فراخی و هر که بیرون رود از خانه خویش سفر کرده

إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ
بسوی خدا و پیغمبرش پس دریابد مرگ او را پس بحقیقت واقع است مزدش بر خدا و هست خدا آمرزنده مهربان و چون قدم زنید

ع

فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ
در زمین پس نیست بر شما باکی که کم گردانید از نماز اگر بترسید که رنج اندازند شما را آنها که کافر شدند بدرستی که

الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا ۝
کافران میباشند از برای شما دشمن هویدا

القراءة فتثبتوا من التثبت كذلك في الحجرات حمزة وعلي وخلف الباقون فتبينوا من التبيين السلم منصوبا ابو جعفر ونافع وابن عامر وحمزة وخلف وللفضل وسهل الباقون السلام غير المؤمنين ابو جعفر ونافع وابن عامر وعلي وخلف الباقون بالرفع الذين توفاهم مشددة التاء البزي بخلفه الوقوف الاخطاء سبيل الله لا ابتداء بحكم اخر مؤمنا لانتهاء الخبر لا لان ما بعده تعليل كونه مفعولا له الاتصال كثيرة يتبينوا خيرا وانفسهم الا لان رحمة الحسنى عظيما لان ما بعده بدل رحيما ثم كنتم في الارض فتهاجروا فيها لانتهاء الاستفهام جهنم مصيرا الا استثناء سبيلا لا عنهم عفوا وسعة على الله رحيما من الصلاة كفروا لا مبينا التفسير لما لم يكن ذلك ... الكفار ... ذكر الله تعالى حكم هذا النوع ... الاية ... سبب ... عروة بن الزبير ... حذيفة بن اليمان ... يوم احد ... ابا اليمان ... فقال حذيفة يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين فلما سمع الرسول ذلك ... وقيل نزلت في ابي الدرداء ... في سرية فعدل الى شعب ... فوجد رجلا في غنم له ... فقال لا اله الا الله فقتله وساق غنمه ... ثم وجد في نفسه شيئا فذكر الواقعة للرسول فقال هلا شققت عن قلبه ... عن الكلبي ان عياش بن ابي ربيعة المخزومي اسلم وخاف ان يظهر اسلامه فخرج هاربا الى المدينة وذلك قبل الهجرة ... فقدمها ثم اتى اطما من اطامها فتحصن فيه فجزعت امه جزعا شديدا وقالت ... لا تأكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج ابو جهل ومعه الحارث بن زيد بن ابي انيسة وكان ابو جهل اخا عياش لامه فاتياه وهو في الاطم فقال له ابو جهل ... ان امك لم يؤوها سقف بيت بعدك وحلفت لا تأكل طعاما ولا تشرب شرابا حتى ترجع اليها ولم يزل به ابو جهل والحارث يقولان ليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر امك وانت على دينك حتى نزل فذهب معهما فلما خرجا من المدينة اوثقاه ... وجلده كل منهما مائة جلدة ثم قدما به على امه فقالت ... لا احلك من وثاقك حتى تكفر بالذي امنت به ثم تركوه موثقا في الشمس ... فاعطاهم بعض الذي ارادوا فاتاه الحارث بن زيد فقال يا عياش والله لئن كان الذي كنت عليه هدى لقد تركت الهدى وان كان ضلالة لقد دخلت الان فيه فغضب عياش من مقالته ... لا القاك خاليا الا قتلتك ثم ان عياشا اسلم بعد ذلك وهاجر الى المدينة واسلم الحارث بعده وهاجر وليس عياش يومئذ حاضرا ولم يشعر باسلامه فبينا هو يسير بظهر قباء اذ لقي الحارث فلما رآه حمل عليه فقتله فقال الناس اي شيء صنعت انه قد اسلم فرجع عياش الى رسول الله فقال كان من امري وامر الحارث ما قد علمت واني لم اشعر باسلامه حتى قتلته فنزلت وما كان لمؤمن اي ما صح له ولا استقام او ما كان له فيما اتاه من ربه وعهد اليه او ما كان له في شيء من الازمنة ... والغرض بيان ان حرمة القتل كانت ثابتة ... التكليف الا خطأ الا لهذا العذر ... ويكون مفعولا له ... او الا في حال الخطأ او الا قتلا خطأ قال ابو هاشم وهو من رؤساء المعتزلة التقدير وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا فيبقى مؤمنا الا ان يقتله خطأ فيبقى مؤمنا ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة ... لانه مؤمنة ... لان اللوم في الاحرار ... الرقبة ... الوجه ... موضع منه ... عن الشيء ... بالراس ... الدية من الودي ...

الثناء فى القضاء والتصدق الاعطاء والمراد ههنا العفو وحمله للتنبيه على التعطف والحث على العافى مسلما او عليكم انه قيل يجب عليه الدية او يسلمها الا ان يتصدقوا او لا مستحقين وههنا مسائل الاولى القتل على ثلثة اقسام عمد وخطا وشبه عمد اما العمد فهو ان يقصد قتله بالسبب الذى يحكم القصاص الموت سواء كان قتل جارحا او لم يكن واما الخطأ فضربان احدهما ان يقصد رمى مشرك او طائر فاصاب مسلما والثانى ان يظنه مشركا بان كان عليه شعار الكفار فالاول خطأ فى الفعل والثانى خطأ فى القصد واما شبه العمد فهو ان يضربه مثلا بعصا خفيفة لا يقتل غالبا فيموت منه فهذا خطأ فى القتل وان كان عمدا فى الضرب الثانية قال ابو حنيفة القتل بالمثقل الذى يعلم قطعا انه يقتل خطأ او شبه عمد فيكون فاعلا لا يجب فيه الدية والكفارة ولا يجب فيه القصاص وقال الشافعى انه عمد محض يجب فيه القصاص وحجة الشافعى انه قتل عمد عدوان اما انه قتل فلقوله تعالى فوكزه موسى فقضى عليه وقتلت نفسا فنجيناك من الغم يعنى القبطى اذ وكزه موسى فقضى عليه واما انه عمد عدوان فظاهر فلان من ضرب راس الانسان بحجر الرحى وصلبه او غرقه او خنقه ثم قال انما قصدت قتله فقد ما جنا واذا ثبت انه قتل عمد عدوان فهو يوجب القصاص لقوله كتب عليكم القصاص فى القتلى وان المقصود من شرع القصاص صون الارواح عن الاهدار والاهدار فى القتل بالمثقل كهو فى المحدد والعلم الضرورى حاصل بان التفاوت فى الة الاهدار غير معتبر وحجة ابى حنيفة قوله الا ان قتيل العمد الخطأ قتيل السوط والعصا فيه مائة من الابل وهذا عام سواء كان السوط والعصا صغيرا او كبيرا واجيب بان العصا والسوط يجب حملهما على الخفيف ليتحقق معنى الخطا فانه من ضرب انسانا بقطعة جبل ثم قال ما كنت اقصد قتله لم يعبأ بقوله الثالثة قال ابو حنيفة القتل العمد لا يوجب الكفارة لانه شرط فى الايجاب يكون القتل خطأ فعند انتفاء الشرط لا يحصل المشروط وقال الشافعى يوجب لما روى عن واثلة بن الاسقع قال اتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صاحب لنا اوجب النار بالقتل فقال اعتقوا عنه يعتق الله بكل عضو منه عضوا من النار وايضا نص الله تعالى على الكفارة فى قتل الصيد عمدا فى الحرم وفى الاحرام فاوجبها على الخاطى بالاولى فههنا نص على الخاطى فان يوجب على العامد كان اولى لانه لما اخرج نفسا مؤمنة عن جملة الاحياء عمدا لزمه ان يدخل نفسا مثلها فى جملة الاحرار لان اطلاقها من قيد الرق كاحيائها من قبل ان الرقيق ممنوع من تصرف الاحرار كان الميت ممنوع من التصرف مطلقا ولهذا المعنى اعتبر ان يكون الرقبة كاملة الرق وان يكون سليمة عن عيب يخل بالعمل لكونه عميا ومجنونا الرابعة قال ابن عباس والحسن والشعبى والنخعى لا يجزى الرقبة الا اذا صام وصلى لانه تعالى اوجب تحرير الرقبة المؤمنة والايمان اما التصديق واما العمل واما المجموع وعلى التقديرات فالكل فات عن الصبى وقال الشافعى ومالك وابو حنيفة والاوزاعى يجزى الصبى اذا كان احد ابويه مسلما لان حكمه حكم المؤمن الخامسة انه تعالى اوجب الدية فى القران ولم يبين كيفيتها وانما عرفت من السنة عن عمرو بن حزم ان النبى صلى الله عليه وسلم كتب الى اهل اليمن ان فى النفس مائة من الابل وهذه المائة اذا كان القتل خطأ مخمسة عشرون منها بنت مخاض وعشرون بنت لبون وعشرون ابن لبون وعشرون حقة وعشرون جذعة وبه قال مالك لما روى عن ابن مسعود ان النبى صلى الله عليه وسلم قضى فى دية الخطا بمائة من الابل وفصلها كما ذكرنا وابدل ابو حنيفة واحمد ابناء اللبون بابناء المخاض لان هذا الاقل متفق عليه والزائد منفى بالبراءة الاصلية وقيل عبر عنها ابناء المخاض عنه بعينه فى باب الزكوة فيجب ان لا يصح فى الدية التى سببها اقوى من السبب الموجب للزكوة واتفقوا على ان الدية فى العمد المحض مغلظة من ذلك التثليث فى الابل وهو ان يكون ثلثون حقة وثلثون جذعة واربعون خلفة فى بطونها اولادها ومنه الحلول على مال القاتل ابدال سائر المتلفات خلاف دية الخطاء فانها مؤجلة الثلث فى السنة الاولى والثلث الاخر فى السنة الثانية والباقى فى السنة الثالثة استفاض ذلك من الخلفاء الراشدين ولم ينكر عليهم احد فكان اجماعا ومنه ثبوتها فى ذمة الجانى لا تحملها العاقلة وان دية الخطا فانما يكون على العاقلة لما روى ان امرأتين من هذيل اقتتلتا فرمت احديهما الاخرى بحجر فطرحت جنينها ميتا فقتلتها فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدية على عاقلتها القاتلة وهذه صورة شبه العمد ولا تحمل فى الخطا اولى وتحمل الحمل ثلث العاقلة والولاء وبيت المال والقرابة يعنى بها العصبة الذين هم على حاشية النسب من الاخوة وبنيهم وقال ابو حنيفة ومالك يتحمل الاباء والبنون كغيرهم ويراعى الترتيب فى العصبات فيقدم الاقرب فالاقرب فان كان فيهم وفاء والا وزع عليهم لكثرتهم او لقلتهم المال اخذ الاسنان كهم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وقال ابو بكر الاصم وجمهور الخوارج الدية فى الخطاء ايضا تجب على القاتل كما ان تحرير الرقبة ايضا عليه ويؤيده عطف الدية على الرقبة وحمل الجناية صادر عنه فلا معنى لتعلقه بغيره كما فى سائر الاتلافات وتخصيص عموم القران بخبر الواحد غير جائز ولعله الاجماع الصحابة على ذلك السادسة مذهب اكثر الفقهاء ان دية المرأة نصف دية الرجل باجماع الجمهور من الصحابة ولان المرأة فى الميراث وفى الشهادة نصف الرجل فكذلك فى الدية وقال الاصم وابن علية انهما مثل دية الرجل لعموم قوله ومن قتل مؤمنا السابعة اذا لم يوجد الابل فالواجب عند الشافعى فى الجديد الرجوع الى قيمة الابل بالغا ما بلغت لانها تقوم بغالب نقد البلد لما روى ان النبى كان يقوم الابل على اهل القرى فاذا غلت رفع قيمتها واذا هانت نقص من قيمتها وقال ابو حنيفة الواجب الف دينار او عشرة الاف درهم وعمل الائمة العدول بما قضى به الخلفاء الثامنة لا فرق بين دية الذمى وبين سائر الاموال فى انه يقضى منها الدين وينفذ منها الوصية ويقسم الباقى بين الورثة على فرائض الله تعالى وروى ان امرأة جاءت فى ايام عمر تطلب نصيبها من دية الزوج فقال عمر لا اعلم لك شيئا انما الدية للعصبة الذين يعقلون عنه فشهد بعض الصحابة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امرنى ان يورث الزوجة من دية زوجها فقضى عمر بذلك وعن ابن مسعود يرث كل وارث من الدية غير القاتل وعن شريك لا يقضى من الدية دين ولا ينفذ وصية وعن ربيعة الغرة لام الجنين وحدها وهذا خلاف الجماعة وكلام الله تعالى ذكر فى هذه الايات من قتل مؤمنا خطأ فعليه تحرير الرقبة وتسليم الدية ثم قال فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وسكت عن الدية فالسكوت على ايجاب الدية فى هذه الصورة مع ذكرها فيما قبلها وفيما بعدها وهو قوله وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة يدل على عدم وجوب الدية ههنا ثم الصحيح قوله

من قوم عدو لكم اما ان يكون المقتول من سكان دار الحرب وانه ذا نسب منهم مع انه في دار الاسلام والثاني باطل بالاجماع لان قتل هذا المسلم يوجب
الدية فتعين الاول انما سقطت الدية لان ايجاب الدية في قتل المسلم الساكن في دار الحرب يحوج الى ان يبحث الغازي عن كل شخص من سكان
دار الحرب هل هو من المسلمين ام لا وذلك يوجب المشقة والنفرة عن الجهاد على انه هو الذي اهدر دم نفسه بسبب اختيار السكنى فيهم واما
الكفارة فانها حق الله تعالى لانه اهلك انسانا ماموا طيبا على طاعته مطيعا اياه اخو مقام بحكمه المواظبة عليها اما قوله وان كان من قوم بينكم
وبينهم ميثاق ففيه قولان احدهما ان المراد منه الذمي فعن ابن عباس هم اهل الذمة من اهل الكتاب وعن الحسن هم المعاهدون من الكفار والتقدير وان
كان المقتول من قوم بينكم وبينهم ميثاق اي عهد بينهم وبينكم وثانيهما ان المراد المسلم عطف على قوله فان كان من قوم عدو لكم والضمير فيه
عائد الى ما تقدم وهو المؤمن فكذا ههنا واعترض عليه بانه لم عطف الشيء على نفسه لان المؤمن المقتول خطأ سواء كان من اهل الحرب او من
اهل الذمة داخل تحت قوله ومن يقتل مؤمنا خطأ الا انه افرد المؤمن الساكن في دار الحرب لما بين من حكمه سقوط ديته وههنا لا غرض الا اعادة
تكرار ايضا وايضا لو كان المراد ذلك لما كانت الدية مسلمة الى اهله لان اهله كفار لا يرثونه ولكان كونه منهم مبهما مجملا لانه لا يبين انه منهم
في اي امر من الامور بخلاف ما لو حمل كونه منهم على الوصف الذي وقع التنصيص عليه وهو حصول الميثاق بينهما وليس بينهما الا ان حكم المؤمن
المقتول في دار الحرب للغرض الذي ذكرناه انما ذكر المؤمن المقتول فيما بين المعاهدين منصوصا على الفرق بينه وبين ما قبله وما بعدها على التسوية
بينه وبين المسلم المقتول في دار الاسلام واما اهله فهم المسلمون الذين يصرف دية اليهم واما الابهام فيزيله ان جعل من بمعنى في كما في الاية
المتقدمة عليه وههنا مسئلة خلافية شرعية هي ان ابا حنيفة قال دية الذمي مثل دية المسلم لقوله تعالى وان كان اي المقتول من قوم بينكم وبينهم
ميثاق فدية وقال الشافعي دية اليهود والنصارى ثلث دية المسلم ودية المجوسي ثلثا عشرها هكذا ادى من قضاء الصحابة ولا يخفى ان استدلال ابي حنيفة
لا يتم على القول الثاني من قولي المفسرين في الاية وعلى القول الاول فيه لا يجوز ان يكون المراد بالدية الثانية مقدار ما اعتبر في الاول وههنا سؤال
وهو انه لم قدم تحرير الرقبة على الدية في الاولى ثم في الاخيرة عكس الترتيب ويمكن ان يقال الفائدة فيه ان يعلم انه لا ترتيب بين التحرير والدية ثم
الاختتام بحق الله تعالى وبين ما على المحرر بقوله فمن لم يجد اي رقبة بمعنى لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها فعليه صيام شهرين متتابعين
لا يفطر لعذر اذ العدول الى الصوم الاصح عند الشافعي وقت الاداء وعند بعضهم وقت الوجوب اما الشهران فهما هلاليان الا ان يتم الهلال
فهلالان الشهر ثم المنكسر ثلاثين المراد بالتتابع ان لا يفطر يوما منهما فلو افطر ولو بالمرض وجب الاستئناف الا ان يكون الفطر بحيض او نفاس
ان الصوم بدل عن مجموع الرقبة والدية توبة من الله اي شرع ذلك ما شرع قبولا من الله ورحمة منه من تاب الله عليه اذا قبل توبته ومعنى التوبة عن الخطأ انه
لا يخلو من ترك احتياط ومن يعلم واسف على ما فرط فيه ويجوز ان يكون المعنى فليأت بما ذكر من الرقبة الى الصوم توبة منه اي تخفيفا منه لان التخفيف من لوازم
التوبة وكان الله عليما بانه لم يقصد ولم يتعمد حكيما في حكم القتل الخطأ اصلا الا انه بالاختيار ولا يبعد عند المعتزلة معنى الحكيم ان فعل المرء
على قانون الحكمة ونصب العدالة ثم لما ذكر حكم القتل الخطأ اردفه ببيان حكم القتل العمد له احكام وجوب الدية والكفارة عند غير ابي حنيفة
ومالك والقصاص كما مر في البقرة ولا جرم اقتصر ههنا على بيان ما فيه من الاثم والوعيد ولا يخفى ما في الاية من التهويل والتشديد فلا جرم تمسك المعتزلة
بها في القطع بخلود الفاسق في النار واجيب بوجهين الاول اجماع المفسرين على انها نزلت في كافر قتل مؤمنا روى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس
ان مقيس بن صبابة وجد اخاه هشاما قتيلا في بني النجار وكان مسلما فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم معه رسولا من بني فهر وقال ائت
بني النجار فاقرئهم السلام وقل لهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم ان علمتم قاتل هشام بن صبابة ان تدفعوه الى اخيه فيقتص منه وان لم تعلموا له قاتلا
ان تدفعوا اليه ديته فابلغهم الفهري ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا سمعا وطاعة لله ولرسوله والله ما نعلم له قاتلا ولكنا نؤدي اليه ديته فاعطوه مائة
من الابل ثم انصرفا راجعين الى المدينة وبينها وبين المدينة قريب فاتى الشيطان مقيسا فوسوس اليه فقال اي شيء صنعت تقبل دية اخيك فيكون عليك
سبة اقتل الذي معك فتكون نفس مكان نفس وفضل الدية فرمى الفهري بصخرة فشدخ راسه ثم ركب بعيرا منها وساق بقيتها راجعا الى مكة كافرا وجعل
يقول في شعره قتلت به فهرا وحملت عقله سراة بني النجار ارباب فارع وادركت ثاري واضطجعت موسدا وكنت الى الاوثان اول راجع فنزلت الاية فيه
ومن يقتل مؤمنا متعمدا ثم اهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمه يوم فتح مكة فادركه الناس بالسوق فقتلوه الوجه الثاني انه يجوز عندنا ان يخلف الله وعيد المؤمنين فان
خلف الوعيد كرم وضعف الوجه الاول بان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وبان ما قبل الاية وما بعدها في نهي المؤمن عن قتل المؤمن فكذا هذه
الاية وبان ترتيب الحكم على الوصف المناسب مشعر بالعلية فيجب ان يكون الموجب لهذا الوعيد هو مجرد القتل العمد لا الكفر او الاستحلال
لهذا الوعيد فاي فائدة في ضم القتل اليه اذ اكثر القتل في هذه الصورة فيكون الكلام جاريا مجرى قول القائل ان من ينقص الجزاء فجزاؤه جهنم وضعف
الوجه الثاني بان الوعيد قسم من اقسام الخبر واذا جاز الكذب فيه لغرض ... لم لا يجوز في القصص والاخبار وغير ذلك لغرض المصلحة وينفتح هذا
الباب فيفضي الى الطعن في الشرائع قال العلماء الاية تدل على ان جزاء القتل العمد هو ما ذكر وقد يقول الرجل لعبده جزاؤك ان افعل بك كذا الا اني
لا افعل ولا يخفى ضعف هذا الجواب ايضا لان الاية لا تنافي الجزاء كقوله من يعمل سوءا يجز به ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره على انه وصل الجزاء الى المجرم
البتة لان قوله وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما صريح فانه تعالى يفعل به ذلك لا محالة وما اخبر عنه بلفظ الماضي ليعلم انه كالواقع

ولما كدر هذه المعاني نقل عمر عن ابن عباس ان توبة من قدم على القتل العمد لا تقبل اذ عنه بمثوله وعن سفيان كان اهل العلم اذا سئلوا قالوا لا توبة له ومحمله

الجمهور على التغليظ والتشديد في الاذكار فانه يمحوا بالتوبة حتى الشرك هذا عند المعتزلة وعند الاشاعرة كل الذنوب يحتمل العفو لا الشرك لقوله تعالى

ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ثم بالغ في تحريم قتل المومن فقال يايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا التفعل ههنا بمعنى الاستفعال

اى اطلبوا بيان الامر وثباته ولا تهجموا من غير تبين ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام وهو السلم بمعنى الاستسلام وقيل الاسلام وقيل التحية

يعني سلام اهل الاسلام فلما السلام بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد على سرية فلقى مرداس بن نهيك رجلا من اهل فدك اسلم ولم يسلم من قومه غيره وكان يقول

لا اله الا الله محمد رسول الله ولم يهرب ثقة باسلامه فقتله اسامة واستاق ما كان معه فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبره فقال قتلت رجلا يقول لا اله الا الله

فقال يا رسول الله انما تعوذ من القتل فقال كيف انت اذا خاصمك يوم القيامة بلا اله الا الله قال فما زال يرددها على اقتلت رجلا وهو يقول لا اله الا الله

حتى تمنيت لو ان اسلامي كان يومئذ فنزلت الاية وقد روى الكلبي وقتادة مثل ذلك وقال الحسن ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا يطوفون فلقوا المشركين فهزموهم

فشذ منهم رجل فتبعه رجل من المسلمين واراد متاعه فلما غشيه بالسنان قال اني مسلم فكذبه ثم اوجره السنان فقتله واخذ متاعه وكان قليلا فرفع ذلك

الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال قتلته بعد ما زعم انه مسلم قال يا رسول الله انما قالها متعوذا قال فهلا شققت عن قلبه قال لم قال لتنظر اصادق هو ام كاذب قال وكنت

اعلم ذلك يا رسول الله قال [illegible] انك لم تكن لتعلم ذلك انما يبين عنه لسانه قال فما لبث القاتل ان مات فدفن فاصبح وقد وضع الى جنب قبره قال ثم

عادوا فحفروا له فامكنوا ودفنوه فاصبح وقد وضع الى جنب قبره مرتين او ثلثا فلما راوا ان الارض لا تقبله القوه في بعض تلك الشعاب قال الحسن ان الارض تجن

من هو شر منه ولكن وعظ القوم ان لا يعودوا وعن سعيد بن جبير قال خرج المقداد بن الاسود في سرية فمروا برجل في غنيمة له فارادوا قتله فقال لا اله الا الله

فقتله المقداد فقيل له اقتلته وقد قال لا اله الا الله فقال ود لو فر باهله وماله فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكروا ذلك له فنزلت قال البغوي ولا منافاة

بين هذه الروايات فلعلها نزلت بعد تلك الوقائع باسرها فانه كان كل منهم يظن انها نزلت في قصته وعن ابي عبيدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اشرع احدكم الرمح

الى الرجل فان كان سنانه عند ثغرة نحره فقال لا اله الا الله فليرفع عنه الرمح قال الفقهاء [illegible] مطلقا وهذه الاية وقال ابو حنيفة

اسلام الصبي صحيح لاطلاق الاية وقال الشافعي لا يصح والا لوجب عليه لانه لو لم يجب كان ذلك اذنا في الكفر وهو غير جائز لكنه غير واجب عليه لقوله صلى الله عليه وسلم

رفع القلم عن ثلثة عن الصبي حتى يبلغ وقال اكثر الفقهاء لو قال اليهودي والنصراني انا مومن او مسلم لا يحكم باسلامه لانه يعتقد ان الايمان والاسلام

هو دينه ولو قال لا اله الا الله محمد رسول الله فلا يحصل الجزم باسلامه لان منهم من يقول انه رسول العرب خاصة ومنهم من يقول ان محمدا الذي هو

الرسول الحق المنتظر بعد فلا بد ان يعترف بان النبي الذي كان عليه باطل وان الدين الذي هو موجود فيما بين المسلمين

حق تبتغون عرض الحيوة الدنيا قال ابو عبيدة جميع متاع الدنيا عرض بفتح الراء يقال ان الدنيا عرض حاضر ياخذ منها البر والفاجر سمى عرضا لانه عارض

زائل غير باق ومنه العرض المقابل للجوهر لقلة ثباته كما قيل العرض لا يبقى زمانين فعند الله مغانم كثيرة تغنيكم عن قتل رجل يظهر الاسلام

فتتعرضوا لماله يعني ما اعد لعباده من حسن ثواب الاخرة كذلك كنتم من قبل اى اول ما دخلتم في الاسلام فقال الاكثرون يعني كانوا لكم اول ما دخلتم

في الاسلام سمعت منكم كلمة الشهادة فحقنت دماءكم واموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطاة قلوبكم لالسنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار

بالايمان وان صرتم اعلاما فيه فعليكم ان تفعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل بكم واعترض بان لهم ان يقولوا ما كان ايماننا مثل ايمان هؤلاء لانا

امنا بالاختيار وهؤلاء اظهروا الايمان تحت ظلال السيوف فكيف يمكن تشبيه احدهما بالاخر وعن سعيد بن جبير انكم كنتم تخفون ايمانكم عن قومكم

كما اخفى ايمانه هذا الراعي عن قومه فمن الله عليكم باعزازكم حتى اظهرتم دينكم [illegible] الايمان ما كان غانما فيهم وفي التفسير الكبير انكم

في اول الامر انما حدث فيكم ميل ضعيف باسباب ضعيفة الى الاسلام فمن الله عليكم بتقويته دليل الميل وتزايد نور الايمان فكذا هؤلاء [illegible]

ميلهم الى الاسلام بسبب هذا الخوف فاقبلوا منهم ايمانهم الى ان يتكامل رغبتهم فيه قبل ان [illegible] عليكم منقطع على [illegible] وذلك ان القوم لما [illegible] عن

من تكلم بلا اله الا الله ذكر ان الله من عليكم بان [illegible] عن قتل القتل المنكر ثم اعاد الامر بالتبيين فقال فتبينوا [illegible] وخلاف الاظهار

فقال ان الله كان بما تعملون خبيرا [illegible] ان يقع في قلبهم ان الاولى الاحتراز عن الجهاد

[illegible] ذكر من فضل الجهاد ما يرجح علمهم ويزيد رغبتهم [illegible] لا يسامحوا في الاحتراز عما يوجب خلافه [illegible] فقال

لا يستوي القاعدون عن زيد بن ثابت قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم حين نزلت عليه لا يستوي القاعدون من المومنين والمجاهدون في سبيل الله [illegible] اذكر

اولى الضرر فقال ابن ام مكتوم فكيف وانا اعمى [illegible] فغشى النبي صلى الله عليه وسلم في مجلسه الوحي فاتكأ على فخذي والذي نفسي بيده لقد ثقل على حتى خشيت

ان ترضها ثم سرى عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المومنين غير اولى الضرر والمجاهدون فكتبتها رواه البخاري والمراد بالضرر النقصان سواء كان

في البنية كعمى وعرج ومرض او بسبب عدم الاهبة من قرأ غير بالنصب فعلى الاستثناء من القاعدين او على الحال عنهم ومن قرأ بالرفع فعلى انه صفة للقاعدين

ويجوز ان يكون غير صفة للمعرفة كما سبق في تفسير غير المغضوب عليهم وقرئ بالجر على انه صفة المومنين قال الزجاج ويجوز ان يكون رفعا على جهة الاستثناء

والمعنى لا يستوي القاعدون والمجاهدون الا اولى الضرر فانهم يساوون المجاهدين بدليل قوله عندما رجع من بعض غزواته لقد خلفتم بالمدينة اقواما

ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم اولئك اقوام حبسهم العذر وفي رواية [illegible] فضل الله المجاهدين [illegible] فكان يعلم من التفضيل [illegible]

ويعلم منه

ويعلم منزلته تحصل التبشير وخلوص الطوية فما مدخل عظيم في قبول الاعمال الى ذكروا في معنى قوله نية المؤمن ابلغ من عمله ان ما ينويه المؤمن ابلغ من عمله لانه ينوي الخير المؤمن
منه وامر على الايمان به الاعمال الصالحة لو بقي ابدا اخرجه عليه البنى اوذكره في قوله جبوثه قبل انه قدم ذكر النفس على المال في قوله ان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم واموالهم وههنا اخر لان النفس اشرف من المال فالمشتري قدم ذكر النفس تنبيها على ان الرغبة فيها اشد والبائع اخر تنبيها على انه انما يكون بها
اشد فلا يرضى ببذلها الا في اخر الامر وفائدة نفي الاستواء ومعلوم ان القاعد بغير عذر والمجاهد لا يستويان فيفي ذكرهما تنبيها من التفاوت ما بين القعاد
والجهاد ليرتفع بنفسه عن انحطاط مرتبته الجاهد كقوله هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون تحريكا للجاهل لينهض بنفسه عن حضيض الجهل الى شرف العلم ثم ان
عدم الاستواء يحتمل الزيادة والنقصان فاوضح الحال بقوله فضل الله المجاهدين كانه قيل ما لهم لا يستوون فاجيب بذلك وانتصب درجة على المصدر لان الدرجة
بمعنى التفضيل وقيل حال اي ذوي درجة وقيل بنزع الخافض اي بدرجة وقيل على الظرف اي في درجة وكلا وكل فريق من القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى
اي المثوبة الحسنى وهي الجنة وقال الفقهاء فيه دليل على ان فرض الجهاد على الكفاية اذ لو كان واجبا على التعيين لم يكن للقاعدين الا الوعيد وانتصب اجرا بفضل
لان التفضيل بمعنى الاجر وههنا سؤال وهو انه لم نكر اولا درجة وجمع ثانيا درجات واجيب بان اللام في قوله اولا على القاعدين للعهد والمراد بهم اولوا
الضرر وثانيا على القاعدين الا صحاء الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم لان الغزو فرض كفاية وقيل المراد بالدرجة حينئذ الا انه بمثل الكثير بالنوع
ومن النعماء لو صغر والمنازل التي بعضها فوق بعض والمغفرة والرحمة وقيل المراد بالدرجة الغنيمة في الدنيا وبالدرجات مراتب الجنة وقيل المراد بالمجاهد الاول مجاهد
الجهاد الاصغر وهو الجهاد بالنفس والمال والمراد بالمجاهد الثاني صاحب الجهاد الاكبر وهو المجاهد بالرياضة والاعمال واستدل الشيعة ههنا بان عليا
افضل من غيره من الصحابة لان اكثرهم اليهم مجاهدة بالاضافة الى غيره فاجاب بما اشتهر من ان ابا بكر انما هو مجاهد وجاهد ايضا اهل السنة بان جهاد
ابي بكر بالدعوة الى الدين وهو الجهاد الاكبر حين كان الاسلام ضعيفا والاحتياج الى المدد شديدا واما جهاد علي فانما ظهر بالمدينة في الغزوات وكان
الوقت قويا والحق انه لا يبعد ان الآية لا تدل على تفضيل المجاهدين على القاعدين انما تدل على تفضيل المجاهدين بعضهم على بعض فلا فائدة فيها وانما فيها
من الايراد التفاوت في الفضل بحسب التفاوت في العمل فعلم ان الثواب هو العمل ولهذا سمي اجرا واجيب بان العمل علة الثواب لكن لما انه لم يحصل للشارع ذلك
الفضل وجب له فالت الشافعية الاشتغال بالنوافل افضل من الاشتغال بالنكاح لان قوله فضل الله المجاهدين عام يشمل الجهاد الواجب والمندوب
والمراد على قدر الكفاية وعلى المشتغل بالنكاح ثم لما ذكر ثواب المجاهدين اتبعه عقاب القاعدين الراضين بالسكون في دار الكفر فقال ان الذين توفاهم
ويحتمل ان يكون ماضيا فيكون اخبارا عن حال القوم انهم هلكوا ومضوا على هذا عن ابن عباس من قال كانوا قوما من المسلمين بمكة فخرجوا في قوم من كفار
في قتال فقتلوا معهم فنزلت الآية ويحتمل ان يكون مستقبلا بحذف احدى التاءين فيكون الوعيد عاما في كل من كان بهذه الصفة قال الجمهور معنى توفاهم
تقبض ارواحهم عند الموت الا انه ذاته بتوفيهم يتوفاهم كقوله الله يتوفى الانفس وقوله يتوفاكم ملك الموت لانه هو المتوفي والفاعل بكل الاشياء بالحقيقة
الا انه لا يعلى التفويض المبهم فهذا العمل ملك الموت وسائر الملائكة اعوانه وعن الحسن توفيهم الملائكة اي يحشرونهم الى النار وانما قوله ظالمي انفسهم
حال من ضمير مفعول يتوفى والاضافة فيه لفظية ولذا لم يتعرف بها والمراد بالظلم هنا الاخلال بالواجب او الشرك ان الشرك لظلم عظيم فانهم ظلموا انفسهم
بكفرهم وتركهم الهجرة وقد ذهبوا الى الحبشة فيهم ظلم انفسهم المراد الذين اسلموا في دار الكفر وبقوا هناك غير مهاجرين الى دار الاسلام حين كانت الهجرة فريضة وفي خبر ان
قالوا فيم كنتم والعامل محذوف قالوا لهم اي قالوا لهم الثاني خاصة بالملائكة قالوا كلا من الملائكة بعضهم ذلك اخذ منه وهو الم تكن ارض الله
بقوله فيما كنتم اي في اي شيء كنتم من امر دينكم والمراد التوبيخ على ترك الجهاد والرضا بالسكنى في دار الكفر فهو الحقيقة التي عليهم بانهم لم يسووا امر الدين ولم يتحقق هذا
الجواب عنهم كان كذا او لم تكن في شيء بل الجاهلية بقولهم كنا مستضعفين اعتذارا بما وجدوا من اعتلال لانهم ما كانوا قادرين على المهاجرة من ارض مكة حين تكون
فيهم من الملائكة لم يقبلوا منهم هذا العذر وبكتوهم فاقال الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها ارادوا انكم كنتم قادرين على الخروج من مكة الى بعض البلاد التي
لا تمنعون فيها من اظهار دينكم كما فعل المهاجرون الى ارض الحبشة استثنى من اهل الوعيد المستضعفين من الرجال والنساء والولدان فسئل عن الولدان في جملة المستضعفين من اهل الوعيد
ومن حق الاستثناء ان يدخل فيه المستثنى لو لم يخرج والصبي الولدان من ان يكون من اهل الوعيد لانهم لم يكونوا من اهل التكليف فاجيب بان المراد بالولدان العبيد والاماء البالغون او
المراد المراهقون الذين عقلوا ما يعقل الرجال والنساء حتى يتوجه التكليف عليهم فيما بينهم وبين الله وسلمنا ان المراد بهم الاطفال لكن السبب في سقوط الوعيد هو
العجز وانه حاصل في الولدان فحسن استثناؤهم من هذا الوعيد وقوله لا يستطيعون حيلة في موضع الحال اي حال كونهم لا يستطيعون او صفة للمستضعفين وانما جاز ذلك والجملة نكرة لان
المعرف بلام الجنس قريب من المنكر والمعنى ان العاجزين عن الهجرة لا يقدرون على حيلة ولا نفقة او يكون بهم مرض او كانوا تحت قهر قاهر يمنعهم عن المهاجرة ومعنى
لا يهتدون سبيلا لا يعرفون الطريق ولا يجدون من يدلهم على الطريق وانما قال سبحانه فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم بكلمة الاطماع تنبيها على ان ترك الهجرة
امر مضيق لا توسعة فيه حتى ان المضطر من حقه ان يقول عسى الله ان يعفو عني بل يكون من العفو على ظن وحسبان لا على جزم وايقان فهكذا حال الانسان فيما ان شاء فاجاه ولا يكون
في الواقع كذلك الا انه فضل على المال والوطن والفراق عن الاوطان شاق فلعل حب الوطن يحمل على انه لو قدر عذر سلبه مع انه هذا الاحتمال الى يحصل الجزم
بالعفو فلا من خايف العقد انه ان امكن الطمع واطماع الكريم ايجاب للجزم بالعفو فاصل الا انه انما عقب الطمع بالعفو انه لا يبعد ان الاصل الذنب لا ينبغي
العجز بما مبهج فيما قلنا وكان الله عفوا غفورا قال الزجاج اي كان في الازل موصوفا بهذه الصفة او انه مع جميع العباد بهذه الصفة اي انه عاد في
نحو عبده ما يعلم لو قال انه عفو غفور كان اخبارا عن كونه كذلك حيث قال كان دل على انه اخبار عن حيثية علي وقع ذلك او دل على كونه حقا وصدقا فالله

لاشاعرة لخبر عن العفو والمغفرة ولم يعبر بمقيد بحال التوبة فدل على ان العفو مرجو من غير التوبة قال ابن عباس في رواية عطاء كان عبد الرحمن بن عوف يخبر اهل مكة
بما ينزل فيهم من القرآن فكتب اليهم ان الذين توفيهم الملائكة الآية فلما قرأها المسلمون قال جندب بن ضمرة الليثي لبنيه وكان شيخا كبيرا احملوني فاني لست من المستضعفين
واني لاهتدي الى الطريق فحملوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك
على ما بايعك به رسولك صلى الله عليه وسلم فمات حميدا فبلغ خبره اصحاب النبي فقالوا لو وافى المدينة لكان اتم اجرا فانزل الله فيه ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما
اي مذهبا ومهربا ومضطربا قاله الفراء وفي الكشاف راغمت الرجل اذا فارقته وهو يكره مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك واصله من الرغام وهو التراب فانهم يقولون
رغم انفه يريدون انه وصل اليه شيء يكرهه وذلك لان الانف عضو في غاية العزة والتراب في غاية الذلة ويمكن ان يقال ان من فارق اهل بلده فاذا استقام امره في بلدة
اخرى رغمت انوف اهل بلده بسبب سوء معاملتهم معه اعلم انه سبحانه لما رغب في الهجرة ذكر بعده ما لاجله يمنع الانسان عن هجرة الوطن وهو بين الجواذب والموانع
امران الاول ان يكون له في وطنه نوع راحة وراحته فيخاف فوات ذلك فاجاب الله عنه بقوله ومن يهاجر كانه قيل للمكلف ان كنت تكره الهجرة عن وطنك
خوفا من ان تقع في المشقة والمحنة في السفر فلا تخف فان الله تعالى سيعطيك من النعم الجليلة والمراتب السنية في مهاجرتك ما يكون سببا لرغم انوف اعدائك
ويكون سببا لسعة عيشك انما قدم في الآية ذكر رغم الاعداء على ذكر سعة العيش لان ابتهاج المهاجر من حيث انه سبب لرغم انوف الاعداء اشد من
ابتهاجه بها من حيث انها سبب لسعة رزقه والمانع الثاني ان الانسان يقول ان خرجت من بيتي في طلب العمل او الجهاد مهاجرا الى الله ورسوله فلعلي
كالقصير يعوق من طلب علم الحج لو وصل الى البلدة او حضر الطاعة او ناصره وزهد في الدنيا وابتغاء رزق طلب فرجا وصلت البيوت قالوا سبيل البيوت الاولى
ان لا يضيع الواقعة الحاصلة لطلب شيء مظنون فاجاب الله سبحانه عنه بقوله ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله
قال بعضهم بين المراد وقضى واجب العمل له الى ان يدرك ذلك العمل فاما الاجر بتمام العمل فيحال المراد من قصد فعلا ثم عجز عن اتمامه فانه له ثواب تمام تلك
الطاعة كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المريض اذا عجز عما كان يعمله من الطاعة في حال الصحة كتب له ثواب مثل ذلك الى ان يبرأ وايضا من المعلوم ان كل من اتى
بعمل فانه يحصل الثواب المرتب على ذلك القدر فلا يبقى في الآية فائدة الترغيب ان لم يكن الاجر اجر تمام العمل كما عن قول الصحابة في جندب لو وافى المدينة لكان اتم اجرا قالت
المعتزلة في الآية دليل على ان العمل يوجب الثواب على الله لان الوقوع والوجوب السقوط قال الله فاذا وجبت جنوبها اي وقعت وسقطت ولفظ الاجر كالدال على
ما قلنا والجواب انا لا ننازع في ان الثواب يقع البتة لكن بحكم الوعد والعلم والتفضل والكرم واستدل بعض الفقهاء بالآية على ان الغازي اذا مات في الطريق وجب
سهمه في الغنيمة كما وجب اجره ورد بان مدار الغنيمة يتوقف على حيازتها بخلاف الاجر وكان الله غفورا رحيما يغفر ما كان منه من القعود الى ان خرج ويرحم باكمال
اجر المجاهدين ومما يتصل بالمجاهد انه يعرف كيفية اداء الصلوة في زمان الخوف والاشتغال بمحاربة العدو فلا جرم قال واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح
ان تقصروا من الصلوة يقال قصر صلوته واقصرها وقصرها بمعنى ولفظ القصر يشعر بتخفيف الا انه ليس بصريح في ان التخفيف في كمية الركعات او كيفية
ادائها والجمهور على ان المراد القصر في العدد وهو ان كل صلوة تكون في الحضر اربع ركعات وهي الظهر والعصر والعشاء فانها تصير في السفر ركعتين ويبقى المغرب
والصبح بحالهما وعن ابن عباس فرض الله صلوة الحضر اربعا وصلوة السفر ركعتين وصلوة الخوف ركعة على لسان نبيكم وعن بعضهم ان المراد التخفيف في كيفية
الاداء كما يؤتى به في شدة الخوف من التخفيف للقتال عن الصلوة مع تلطخ الثوب بالدم ومن الايماء مقام الركوع والسجود ويؤكد هذا الرأي قوله ان خفتم ان يفتنكم
الذين كفروا فان خوف فتنة العدو لا يزول فيما يؤتى به ركعتين على تمام اوصافهما وانما ذلك بالتخفيف حجة الجمهور ما روي عن يعلى بن امية انه قال قلت لعمر بن
الخطاب كيف نقصر وقد امنا وقال الله تعالى ليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم فقال عمر عجبت مما عجبت منه فسألت النبي فقال صدقة
تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته فهذا الخبر يدل على انهم فهموا من القصر التخفيف في اعداد الركعات ويزيده حديث ذي اليدين اقصرت الصلوة
ام نسيت وايضا القصر بمعنى تغيير هيئة الصلوة بعيد لانه يحمل الكلام على ما لا يلزم منه التكرار اولى واما القصر في حال الخوف فلان الآية نزلت على عادة
اسفار النبي واكثرها لم يخل عن خوف قتال الكفار فلا يمكن الاستدلال بمفهومها على عدم جواز القصر في حال الامن ولا في حال الخوف بسبب اخر على ان كل
عنصر ويليه وشذ ما فهو فيه ثم ان الشافعي قال القصر رخصة كسائر رخص السفر فان شاء اتم وان شاء قصر لان قوله لا جناح عليكم مشعر بعدم الوجوب
ولما روي عن عائشة قالت اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة فلما قدمت مكة قلت يا رسول الله بابي انت وامي قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال
احسنت يا عائشة وما عاب علي وكان عثمان يتم ويقصر وما ظهر انكار من الصحابة عليه قال ابو حنيفة القصر واجب فان صلى المسافر اربعا ولم يقعد في المثنى
فسدت صلوته لما روي عن ابن عباس قال كان النبي اذا خرج مسافرا صلى ركعتين وقوله فاقبلوا صدقته وظاهر الامر للوجوب وعن عائشة اول ما فرض
الصلوة فرضت ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر قال صاحب الكشاف فان قلت فما تصنع بقوله فليس عليكم جناح ان تقصروا قلت كانهم الفوا
الاتمام فكان مظنة لان يخطر ببالهم ان عليهم نقصانا في القصر فنفى عنهم الجناح لتطيب نفوسهم بالقصر ويطمئنوا اليه اجيب بان هذا الاحتمال انما
يخطر ببالهم اذا قال الشارع لهم رخصتكم في هذا القصر فاما اذا قال اوجبت عليكم هذا القصر وحرمت عليكم الاتمام وجعلته مفسدا للصلوة فلم يخطر هذا
الاحتمال ببال عاقل وحديث ابن عباس انما يدل على كون القصر مشروعا لا على ان الاتمام غير جائز وخبر عائشة لا يعارضه الآية لان تغيير الصلوة
عن ركعتين لا يطلق عليه لفظ القصر ثم ان بعض الظاهرية زعموا ان قليل السفر وكثيره سواء في القصر لاطلاق قوله واذا ضربتم في الارض وجمهور الفقهاء على
ان السفر المرخص مقيد بمقدار مخصوص فعن الاوزاعي والزهري ويروى عن عمر ان القصر في يوم تام وعن ابن عباس اذا زاد على يوم وليلة قصر وقال

انس بن مالك المعتبر خمسة فراسخ وقال الحسن مسيرة ليلتين وقال الشعبي والنخعي وسفيان من الكوفة الى المدائن وهو ثلثة ايام وهو قول ابي حنيفة فيشترط
مدة جواز المسح للمسافر واما اصحاب الشافعي فانهم عولوا على ما روى مجاهد وعطاء بن ابي رباح عن ابن عباس ان النبي عليه السلام قال يا اهل مكة لا تقصروا في ادنى من اربعة
برد من مكة الى عسفان والطائف والبرد اربعة فراسخ كل فرسخ ثلثة اميال بأميال هاشم جد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي قدر اميال البادية كل ميل اثنا عشر
الف قدم وهي اربعة آلاف خطوة فان كل ثلثة اقدام خطوة قال الفقهاء واختلاف الناس في هذه الاقوال يدل على انعقاد الاجماع على ان الحكم غير منوط
بمطلق السفر وقال اهل الظاهر اضطراب الشافعي في هذه الآثار يدل على انهم لم يجدوا في المسئلة دليلا قويا فوجب الرجوع الى ظاهر القرآن ان الكافرين كانوا لكم
عدوا مبينا بيان العداوة الحاصلة بينكم وبينهم قديما فكونوا على حذر منهم التأويل لما من الروح ان يقصد قتل مؤمن القلب الا ان يكون قتل خطأ وذلك
ان الروح اذا خلص عن حجب ظلمات الصفات البشرية يتجلى الروح للقلب فيتنور بانوار الروحانية ثم ينعكس انوار الروح عن مرآة القلب الى النفس الامارة
فتموت عن صفاتها الذميمة الظلمانية وتحيا بالصفات الحميدة الروحانية وتطمئن الى ذكر الله كما اطمأن القلب فيه في بعض الاحوال بما يرد الروح بوارد
روح قدسي رباني فيتجلى في تلك الحالة الروح للقلب فيخر موسى القلب صعقا مغشيا بسطوة تجلي الروح القدسي الرباني ويحصل بسبب النفس كما كان قتل
خطأ لانه ما كان مقصودا بالقتل هذا التجلي وكان القصد تنويره وتصفيته وقتل النفس الكافرة من قتل موسى اي قلبا مؤمنا فتحرير رقبة مؤمنة وهي
السر المحرر عن رق المخلوقات ودية مسلمة الى اهله يعني يسلم العاقلة هو الله تعالى بين القلب اهل القلب هم الاوصاف الحميدة الروحانية من جمال الخلائق
بمصيرة الاوصاف بها اخلاقا ربانية الا ان يصدقوا الاوصاف هذه الدية على مساكين اوصاف النفس الحيوانية والشيطانية فان كان القتيل الذي تجلى
من قوم عدو لكم اي من صفات النفس وهو مؤمن اي هذه الصفة قد امنت بانوار الروح القدسي ودخلت في الصفات فتحرير رقبة مؤمنة وهي
رقبة القلب محررة عن رق حب الدنيا ولا دية لاهل القتيل وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق وهم صفات النفس ومثابها قبول احكام الشرع
ظاهرا وقبول المجاهدة مع القلب اوصافه فدية مسلمة على عاقلة الروح الى اهل القتيل المقبول وهم بقية صفات النفس كما قال الا ما رحم ربي وتحرير
رقبة الروح بصيرها محررة عن رق الكونين فمن لم يجد فيه مؤمنة من الروح والقلب والسر للتحرير بان يكون نائما متعلقا بشيء من ما سوى الله فصيام
شهرين متتابعين اي غلبة الامساك عن مشارب العالمين على التتابع في الدوام لا يدخله شيء من الدنيا والآخرة مراعيا وقته فلو افطر بأدنى شيء
من المشارب كلها استأنف الصوم ولا يفطر بشيء دون لقاء الله ثم قال توبة من الله لمن طرح عن شهود سواكم وحتى لما اعرض تولاكم بعيد اخوته حين
قلوبهم وتبدوا اعمالكم التصحيح بزكم توبة من الله جذبة منه ومن يقتل مؤمنا متعمدا اي النفس الكافرة اذا قتلت قلبا مؤمنا للعداوة الاصلية
بينهما في حيوة احدهما موت الآخر فجزاؤه جهنم وهي سفل عالم الطبيعة اذا ضربتم في سبيل الله بقدم السلوك حتى صار الايمان ايقانا والايقان
احسانا والاحسان عيانا والعيان عينا والعين شهودا والشهود شاهدا والشاهد مشهودا وهذا مقام الشهود فتبينوا عن حال المريد الى ولا تقولوا
ولا تقولوا المرسلين وسنا مسنا ولا تغتروه بالكشف بذات والنظر في النفس المثال تبتغون عرض الحيوة الدنيا اي تهمون لاجل ذلك فان الضعيف
اذا زجر نفر كذلك كنتم ضعفاء في الصدق والطلب محجوبين الى الحضرة في بدو الارادة فمن الله عليكم بصحبة المشايخ وبتولهم اياكم ان الذين توفاهم الملائكة
هم العوام الذين ظلموا انفسهم بتدنسها فيم كنتم اي في غفلة كنتم تضيعون اعماركم وتبطلون استعدادكم الفطري في اي واد من اودية الهوى تهيمون قالوا
اي بعضهم من ابناء الدنيا تتهون اكنتم تؤثرون الفاني على الباقي وتشترون التراب بالطهور وانا مستضعفين عاجزين لاستيلاء النفس الامارة وغلبة
الهوى الم تكن ارض الله اي ارض القلب واسعة فتهاجروا عن مضيق سجن البشرية الى فضاء هواء الهوية لا يستطيعون حيلة في الخروج عن الدنيا لكثرة
العيال وضعف الحال ولا يهتدون سبيلا الى مناصب الابرار وهؤلاء مستضعفون هم الخواص المفضلون واما خواص الخواص فهم السابقون فهم
المجاهدون الجهاد الاكبر ومن يهاجر عن بلد البشرية في طلب حضرة الربوبية يجد في ارض الانسانية مراغما كثيرا ومنازل مثل القلب والروح والسر
في تلك العوالم من رحمة الله وسعة كل شيء لا يسعني ارضي ولا سمائي ويسعني قلب عبدي المؤمن فافهم ما بصر النظر كتبه الفكر قبل العبر والله اجل ما كتب

وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلٰوةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا
وچون باشی تو با ایشان پس بپای داری از برای ایشان نماز را پس بایستد گروهی از ایشان با تو و باید که فرا گیرند سلاح خود را پس چون سجده کنند باید که باشند
مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرٰى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
از عقب شما و بیاید گروهی دیگر که نماز نگذارده اند پس نماز کنند با تو و فرا گیرند آلات حرب و سلاح خود را دوست دارند کافران
لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ
که بی خبر باشید شما از اسلحهٔ خودتان و امتعهٔ خود پس بر دوانند بر شما زوادروند یکمرتبه و نیست باکی بر شما اگر بوده باشد بشما رنجی از باران
أَوْ كُنْتُمْ مَرْضٰى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللّٰهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلٰوةَ
یا بوده باشید بیماران که بگذارید سلاحهای خود را و برگیرید اسلحهٔ خود را بدرستیکه خدا مهیا کرده از برای کافران عذابی خوار کننده پس چون تمام کردید نماز را
فَاذْكُرُوا اللّٰهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلٰى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلٰوةَ إِنَّ الصَّلٰوةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا

مَوْقُوتًا ۝ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا

در زمان ... وست مشوید در جستن قوم اگر رنجیده ور رسیدگان پس ایشان هم درد دارند چنانچه شما درد دارید و امید دارید از خدا آنچه

يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا

که امید ندارند و هست خدا دانای محکم کار بدرستی که ما فرستادیم بسوی تو کتاب را براستی تا داوری کنی در میان مردمان بآنچه که نمود ترا خدا و مباش

تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ۝ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ

مر خیانت کنندگان را دشمن و طلب آمرزش کن از خدا بدرستی که خدا هست آمرزنده مهربان و خصومت مکن از آنان که خیانت کنند نفسهای خود را

إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ۝ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا

بدرستی که خدا دوست ندارد آنرا که خیانتکار گناهکار است پنهان دارند از مردمان و پنهان ندارند از خدا و حال آنکه او با ایشان است آنگاه که تدبیر میکنند آنرا که

لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ۝ هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ

خوش نیاید بیت از گفت و هست خدا بآنچه میکنند محیط هان شما آنگروه اید که خصومت کردید از ایشان در زندگانی دنیا پس هر که خصومت کند با خدا

عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ۝ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا

از ایشان در روز قیامت یا کیست بر ایشان کارگذار و هر که بکند بدی را یا ستم کند نفس خود را پس طلب مغفرت کند از خدا یابد خدا را آمرزنده

رَّحِيمًا ۝ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا

مهربان و هر که کسب کند گناهی را پس جز این نیست که کرده بر نفس خود و هست خدا دانای داور و هر که کسب کند گناهی را یا صغیره را

ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ

پس نسبت دهد بآن بیگناه را پس تحقیق متحمل شده بهتان را و گناه آشکارا را و اگر نبودی فضل خدا بر تو و رحمت او هر آینه قصد کردی گروهی

مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ

از ایشان که گمراه کنند ترا و از راه نبرند بجز نفسهای خود را و ضرر نرسانند ترا از هیچ چیز و فرو فرستاد خدا بر تو کتاب

وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ۝ القراءة علىٰ سلمكم ولمستم عباس بخلاف

و پیغمبری را و آموخت ترا آنچه را که نبودی دانای آن و هست فضل خدا بر تو بزرگ بالخلاس اظهار منهم وباهر بغير همزه ابو عمرو ويزيد

والاعشى والاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف ... بالتشديد يزيد والشموني وحمزة في الوقف الوقف موقوتا ... لمستم لانقطاع النظم مع اتصال

المعنى واحدة اسلحتكم حذركم مهينا وعلى جنوبكم للابتداء باذا الشرطية مع اتحاد الصلوة لاحتمال فان وللات موقوتا القوم كما تألمون لاحتمال الحال

الاستئناف او الحال لما لا يرجون حكيما اراك الله لان ما بعده استئناف خصيما للعطف واستغفر الله رحيما للابتداء مع العطف انفسهم اثيما لاحتمال

الوصف القول محيطا وكيلا رحيما على نفسه حكيما مبينا يضلوك من شيء تعلم عظيما التفسير قال ابو يوسف والحسن بن زياد صلوة الخوف كانت

خاصة للرسول ولا يجوز لغيره لقوله تعالى واذا كنت فيهم ولان تغيير هيئة الصلوة امر على خلاف القياس لجواز ذلك في زمن النبي لفضيلة الصلوة

خلفه فينبغي لغيره على المنع وجمهور الفقهاء على انها عامة لان الائمة نواب عنه في كل عصر ... قوله خذ من اموالهم صدقة فانه لم يوجب كون

الرسول مخصوصا به دون ائمة امته وذهب المزني الى نسخ صلوة الخوف محتجا بانه لم يصلها في حرب الخندق واجيب بان ذلك قبل نزول الآية عن ابن

عباس ... خرج رسول الله في غزاة فلقي المشركين بعسفان فلما صلى رسول الله الظهر فرأوه يركع ويسجد هو واصحابه قال بعضهم لبعض كان هذا

فرصة لكم لو اغرتم عليهم ما علموا بكم حتى تواقعوهم فقال قائل منهم ان لهم صلوة اخرى هي احب اليهم من اهليهم واموالهم فاستعدوا حتى تغيروا

عليهم فيها فانزل الله عز وجل على نبيه واذا كنت فيهم الى آخر الآية اما شرح صلوة الخوف فهو ان الامام يجعل القوم طائفتين فيصلي بهم الا مام

ركعة اخرى ويسلم وهذا مذهب من يرى صلوة الخوف ركعة فللامام ركعتان وللقوم ركعة وهذا مروي عن ابن عباس وجابر بن عبد الله ومجاهد وقال

الحسن البصري ان الامام يصلي بتلك الطائفة ركعتين ويسلم ثم تذهب تلك الطائفة الى وجه العدو وتأتي الطائفة الاخرى فيصلي الامام بهم

مرة اخرى ركعتين كما فعل النبي ببطن النخل وليس في هذه الصلوة الا اقتداء مفترض بمتنفل لان الصلوة الثانية نافلة للامام ... وفي جواز

ذلك اختلاف بيننا وبين الشافعي وقال الشافعي ان كان العدو في جهة القبلة صلى الامام بجميع العسكر الى الاعتدال من ركوع الركعة الاولى فاذا اخذ في

السجود حرس فريق اما صف وفريق من صف الى ان يفرغ الامام وغير الحارسة من السجدتين فاذا فرغ الامام منهما سجد الفريق الحارسة

ولحقت به حينئذ مكانها واذا سجد الامام للركعة الثانية حرست الفرقة التي ما حرست في الركعة الاولى او الفرقة الاخرى ... فاذا فرغ

الامام من السجود سجد الحارسة ولحقت بالامام في التشهد ليسلم بهم وليس في هذه الصلوة الا التخلف عن الامام بركنين ...

بينهما واحتمل لحاجة الخوف وظهور العدو ... بمثله صلوة رسول الله بعسفان واما ان لم يكن العدو في جهة القبلة او كانوا بحيث يمنعهم شيء من ابصار

المسلمين صلى الامام ... كالتي ... المعصومة ... ركعة ... الامام بفرقة الحرب لا يبلغهم سهام العدو

فيصلي

فيصلي بهم ركعة فاذا قام الى الثانية انفردوا بها وسلموا واخذوا مكان اخوانهم في الصف الى ان يأتي الامام وهو ينتظرهم ولحقوا به
في الثانية فاذا جلس للتشهد قاموا واتموا الثانية ولحقوا به قبل السلام وسلم بهم وهذه صلوة ذات الرقاع رواه ابو داود والنسائي عن صالح عن سهل بن
حثمة عن النبي ﷺ وقال ابو حنيفة ويروى عن ابن عمر وابن مسعود ان الطائفة الاولى يصلي بهم الامام ركعة ويعودون الى وجه العدو وتأتي الطائفة الثانية
فيصلي بهم بقية الصلوة وينصرفون الى وجه العدو ثم تعود الطائفة الاولى فيقضون بقية صلوتهم بغير قراءة وينصرفون الى وجه العدو ثم تعود الطائفة الثانية
فيقضون بقية صلوتهم بقراءة والفرق ان الطائفة الاولى ادركت اول الصلوة فهم في حكم من خلف الامام واما الثانية فلم تدرك اول الصلوة والمسبوق
فيما يقضي كالمنفرد في صلوته ولا خلاف في ان رسول الله ﷺ صلى بهذه الصلوات وانما تختلف بحسب المصالح وانما وقع الاختلاف بين الفقهاء في ان ايها افضل
والاشد موافقة لظاهر الاية اي هذه الاقسام فقال الواحدي ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا يدل على ان الطائفة الاولى قد صلت عند اتيان الثانية
كما هو مذهب الشافعي واما عند ابي حنيفة فالطائفة الثانية تأتي والاولى بعد في الصلوة وما فرغوا منها وايضا قوله فليصلوا معك ظاهره يدل
على ان جميع صلوة الطائفة الثانية مع الامام قال اصحاب ابي حنيفة فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم يدل على ان الطائفة الاولى لم يفرغوا من
الصلوة ولكنهم يصلون ركعة ثم يكونون من وراء الطائفة الثانية للحراسة اجاب الواحدي بان هذا انما يلزم اذا جعلنا السجود والكون من ورائكم
لطائفة واحدة لكن السجود للاولى والكون من الوراء الذي بمعنى الحراسة للطائفة الثانية ومعنى سجدوا صلوا ومع هذا لا يبقى اشكال والاية التي
اختاره الشافعي احوط لامر الحرب فان فيها التخفيف على الطائفتين جميعا والحراسة خارج الصلوة اهون وليس فيها منافاة في غيرها من زيادة الذهاب والرجوع
وكثرة الافعال والاستدبار ونحوها الا الانفراد عن الامام في الركعة الثانية وذلك جائز على الاصح في الامرين والانتظار للامام بالطائفة الثانية
ثم بين ان كانت الصلوة مغربا فيصلي بالاولى ركعتين وبالثانية ركعة ويجوز العكس وان كانت رباعية فيصلي بكل طائفة ركعتين وهل يجوز ان يفرقهم اربع
فرق ان مست الحاجة اليه بان لا يكفي نصف المسلمين لمقاومة العدو واعلم ان الصلوة على الوجه المشروع لمن تتبع غير الوحيد الامام بطائفة وامر غيره فيصلي
بالاخرين او صلى بعضهم او كلهم منفردين جاز لكن كان اصحاب النبي ﷺ لا يسمحون بترك فضيلة الجماعة ويتنافسون امرهم في الاقتداء به فامره الله تعالى بتقسيمهم
هكذا ليحوزوا معا فضل الطائفتين فضيلة التكبير معه والاخرى فضيلة التسليم معه والخطاب في قوله واذا كنت للنبي اي اذا كنت ايها النبي مع المؤمنين في غزواتهم وخوفهم
واقمت لهم الصلوة فاجعلهم طائفتين فلتقم طائفة منهم معك فصل بهم وليأخذوا اسلحتهم فان كان الضمير لغير المصلين فلا كلام وان كان للمصلين فالمراد ما لا يشغلهم
من السلاح فان لا يشغلهم عن الصلوة كالسيف والخنجر ويحتمل ان يكون امرا للفريقين بحمل السلاح لانه اقرب الى الاحتياط ثم قال للطائفة الثانية وليأخذوا
حذرهم وكانه جعل الحذر آلة يستعملها الغازي فيه جمع بين الحذر في الصلوة بان يجعل بعض فكره في غير الصلوة وانما امر هذه الطائفة باخذ
الحذر والاسلحة جميعا لان العدو قلما يتنبه في اول الصلوة لكون المسلمين في الصلوة بل يظنونهم قياما للحرب واما في الركعة الثانية فيظهر لهم كونهم
في سجودهم الاولين فربما ينتهزون الفرصة في الهجوم عليهم كما ذكرنا في سبب النزول فلا جرم خص الله تعالى هذا الموضع بزيادة تحذير حيث ذكر ذلك ثم رخص لهم
وضع السلاح اذا اصابهم بلل المطر فيسوء ويفسد حدته وجدته او ثقل على المراد اذا كانوا مرضى فكان الوجوب فيما يشق عليهم حمل السلاح ولكن امر
الامر باخذ الحذر لئلا يغفلوا عن كيد العدو لا يجوز بكل حال ثم العلماء اختلفوا في ان حمل السلاح في صلوة الخوف سنة مؤكدة والاصح انه واجب ثم الامر للوجوب ولان
رفع الجناح عند العذر ينبئ عن وجود الجناح في غير ذلك الوقت لكن الشرط ان لا يحمل سلاحا نجسا ان امكنه ولا يحمل الرمح الا في طرف الصف وبالجملة لا يتأذى
به احد وفي هذا دليل على انه كان يجوز للنبي ﷺ ان يأتي بصلوة الخوف على جهة يكون بها حاذرا غير غافل عن كيد العدو فلا يكون شيء من الروايات الواردة
فيها على خلاف نص القرآن وكما ان الاية دلت على وجوب الحذر عن العدو كذلك يدل على وجوب الحذر عن جميع المضار المظنونة وبهذا الطريق كان الاقدام على
العلاج بالدواء والاحتراز عن الوباء وعن الجلوس تحت الجدار المائل واجبا قالت المعتزلة لو لم يكن العبد قادرا على الفعل والترك وعلى جميع وجوه الحذر
لم يكن للامر بالحذر فائدة والجواب انا لا ننكر الاسباب لكنا ندعي انتهاء الكل الى مسببها ولهذا ختم الاية بقوله ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا ليعلم ان الامر
ثم بعث على هذا الحزم يكون الكفار مقهورين وكان كالخبر ثم قوله فاذا قضيتم الصلوة فيه قولان الاول فاذا قضيتم صلوة الخوف فواظبوا على ذكر الله
في جميع الاحوال فان ما انتم عليه من الخوف والحرب جدير بذكر الله والتهاب الخشوع والالتجاء اليه الثاني ان المراد بالذكر الصلوة اي صلوا قياما حال
المسايفة والمقارعة وقعودا جاثين على الركب حال الترامي وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح واحتج على هذا القول بان الذكر بمعنى الصلوة مجاز
وان المعنى يصير فاذا قضيتم الصلوة فصلوا وفيه بعد الا ان يقال المراد فاذا اردتم قضاء الصلوة او صلوا في شدة الخوف حال القتال واعلم ان الاية مسوقة
يحكي بعضها بيان القصر في صلوة المسافر والثاني بيان صلوة الخوف فقوله فاذا اطمأننتم يحتمل انهم اذا صاروا مقيمين فاتموا الصلوة تامة
من غير قصر البتة ويحتمل ان يراد فاذا زال الخوف وحصل سكون القلب فاتموا الصلوة التي كنتم تقصرونها مع عدم تعديل شيء من هيئاتها الاركان ان الصلوة كانت
على المؤمنين كتابا موقوتا اي مكتوبة موقتة محدودة بازمنة لا يجوز اخراجها عنها ولو في شدة الخوف وبه دليل للشافعي في ايجاب الصلوة على
المحارب في حال المسايفة والاضطراب في المعركة اذا حضر وقتها وعند ابي حنيفة هو معذور في تركها الى ان يطمئن وان هذه الصلوات الخمس مشهورة وقد
يستدل عليها بقوله حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى فان الوسطى يجب ان تكون مغايرة للصلوات لئلا يلزم التكرار ثم هي دالة على الثلث ولو كان
الواجب اربعا لم يوجد لها وسطى فاذا اقلها خمس وستون ويكون ابانا اخرة لتعيين الاوقات الخمس كقوله اقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل اقم الصلوة

الليلة الثالثة عشر وسنشرحها ان شاء الله تعالى شرحا واضحا قال المحققون ان للانسان اربع مراتب حتى الموت الى تمام ستين سنة سن الشباب ثم سن الوقوف وهو ان يبقى مثل القمر
على صفة كماله من غير زيادة ولا نقصان وسن الكهولة وتظهر فيها نقصانات خفية في الانسان وسن الشيخوخة ويظهر فيها نقصانات جلية فيه الى ان يموت ويهلك
واما المرتبة الخامسة فهي انه الان قد ثبت على ان بدن العالم بمنزلة بدن واحد كان لم يكن وكذا الشمس اذا ظهر سلطانها من المشرق فلا يزال يزداد ضياؤها في الطلوع وما
يزداد ارتفاعها شيئا بعد شيء الى ان يبلغ وسط السماء ثم يظهر فيها نقصانات خفية من الانحطاط وضعف النور والحرارة ثم العصر حين يصير ظل كل شيء
مثليه ثم يظهر النقصانات الجلية الى ان يصير زمان اصفرارها ظل كل شيء مثليه ثم تزول الى ان تغرب ثم يبقى اثارها في افق المغرب وهو الشفق ثم تنمحي حتى كان الشمس
لم توجد فقطع فهذه الاحوال الخمس امور عجيبة لا يهتدي اليها الا الحكماء الفهماء فالوجع الاشياء وموافقة الاسنان للانسان فلهذا تعينت اوقاتها للعبادة والاعتبار
على المعبود الحق جل وعلا ثم عاد الى الحث على الجهاد فقال ولا تهنوا في ابتغاء القوم لا تضعفوا في طلب الكفار بالقتال ان لا تعرض لهم فانه يفعل بهم ثم الزمه
الحجة بقوله ان تكونوا تالمون والمعنى ان حصول الالم قدر مشترك بينكم وبينهم ولكم مع ذلك رجاء الثواب على الجهاد دونهم لانهم ينكرون البعث فانتم اولى
اولى بالصبر على القتال والمكابدة منهم ويحتمل ان يراد بهذا الرجاء ما وعدهم الله من النصر والغلبة على سائر الاديان او يراد انكم تعبدون الاله العالم القادر
السميع البصير الذي يصح ان يرجى منه وانهم يعبدون الاصنام التي لا خير فيها يرجى … ويروى ان هذا في بدر الصغرى كان بهم جراح فتواكلوا
وكان الله عليما حكيما لا يكلفهم الا ما فيه صلاح لكم في دينكم ودنياكم ثم رجع الى ما انجر منه الكلام وهو حديث المنافقين بين ان الاحكام المذكورة كلها انما نزلت
الله تعالى وليس للرسول ان يحيد عن شيء منها لطلب المخلوق وفيه ان كفر الكافر لا يبيح المسامحة في النظر له وان كان يجوز الجهاد معه في الواجبات بحكم ما نزل عليه
بما انزل الله على رسوله قال اكثر المفسرين ان رجلا من الانصار يقال له طعمة بن ابيرق احد بني ظفر بن الحارث سرق درعا من جار له يقال له قتادة بن النعمان في جراب
فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب حتى انتهى الى الدار وفيها اثر الدقيق ثم خبأها عند رجل من اليهود يقال له زيد بن السمين فالتمست الدرع عند
طعمة فلم توجد عنده وحلف لهم والله ما اخذها وما له بها من علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهوا الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس
من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلموه في ذلك وسألوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا انك ان لم تفعل هلك صاحبنا وافتضح وبرئ اليهودي
فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل وكان هواه معهم وان يعاقب اليهودي وقيل هم ان يقطع يده فانزل الله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق الايات الى قوله ومن يشرك بالله
فقد ضل ضلالا بعيدا في الاية دليل على ان طعمة وقومه كانوا منافقين لان ما طلبوا من الرسول نصرة الباطل والحاق التهمة باليهودي قال ابو علي قوله بما اراك الله
ليس منقولا بالهمزة من رأيت بالبصر لان حكم الحادثة لا يرى بالبصر ولا من رؤية القلب لانه يقتضي ثلثة مفاعيل ليس في الاية الا اثنان احدهما الكاف والاخر العائد
المحذوف فهو ان يقتضي الاعتقاد معناه بما علمك الله وسمي ذلك العلم بالرؤية لان العلم اليقيني المبرأ عن جهات الريب يكون جاريا مجرى الرؤية في القوة والظهور
وكان عمر يقول لا يقولن احدكم قضيت بما اراني الله فان الله تعالى لم يجعل ذلك الا لنبيه واما الراي منا فهو الظن والتكلف فللبعض العلماء في الاية دلالة على انه ما كان يحكم الا
بالوحي والنص واما الاجتهاد فما كان جائزا له … يجب ان يكون حال الامر كذلك لقوله … العمل بالقياس عمل بالنص … [illegible]
الظن ان حكم الصورة المسكوت عنها مثل حكم الصورة المنصوص عليها بسبب امر جامع بين الصورتين فاعلم ان تكليفه في حقك ان تعمل بموجب ذلك الظن ولا
تكن للخائنين اي لاجلهم … خصيما مخاصما والمراد من الخصم بالفتح والسكون … وكان كل واحد من الخصمين في ناحية من الحجة والدعوى
قال بعض الطاعنين في عصمة الانبياء لولا ان الرسول اراد ان يخاصم لاجل الخائن ويذب عنه لما ورد النهي عنه ولما امر بالاستغفار والجواب ان النهي عن الشيء
لا يقتضي كون المنهي مرتكبا للمنهي عنه بل في الرواية ان قوم طعمة لما التمسوا منه ان يذب عن طعمة ويلحق السرقة باليهودي توقف في ذلك انتظارا للوحي فعلم الله
بالاستغفار لانه مال طبعه الى نصرة طعمة بسبب انه كان في الظاهر من المسلمين وحسنات الابرار سيئات المقربين ولعل القوم شهدوا ببراءة اليهودي وبراءة
طعمة ولم يظهر للرسول ما يوجب القدح في شهادتهم فهم بالقضاء على اليهودي فاطلعه الله على مكيدتهم فالحاصل لعل المراد واستغفر لاولئك الذين يذبون
عن طعمة ثم قال ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم يعني طعمة ومن عاونه من قومه ممن علموا كونه سارقا والاختيان كالخيانة يقال خانه واختانه وانما
خيانة نفسه لان ضرره عائد اليها يفوت نفس الثواب ويوصلها الى العقاب ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما قال المفسرون ان طعمة خان في الدرع واثم في نسبته اليهودي
الى تلك السرقة … ليتناول طعمة وكل من خان خيانة فلا تخاصم لخائن قط ولا تجادل عنه لان الله لا يحب … كان الله
عالما من طعمة بالافراط في الخيانة وركوب المآثم … ثم انه هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله ومن كانت تلك خاتمة امره
لا يشك في حاله … قالت العلماء اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها اخوات … عن عمر انه اراد ان يقطع يد سارق فجاءت امه تبكي وتقول هذه اول سرقة سرقها
فاعف عنه فقال كذبت ان الله لا يؤاخذ عبده في اول مرة وفي الاية دليل على ان من كان فعله الخيانة والاثم لم يكن في معرض السخط من الله يستخفون
يستترون من الناس حياء منهم وخوفا من ضررهم ولا يستخفون من الله اي لا يستحيون منه … الاستخفاء الاستحياء وهو معهم بالعلم والقدرة والرؤية
وكفى بهذا زاجرا للانسان عن المعاصي اذ يبيتون يدبرون ما لا يرضى من القول وهو تدبير طعمة ان يرمي بالدرع في دار زيد اليهودي … ويحلف ببراءته وتسمية
التدبير وهو معنى في النفس قولا لانه لا يخلو عن … الكلام النفسي واما عند غيرهم مجازا ولعلهم اجتمعوا في الليل … المكر
… كلامهم ذلك ما يقول المبيت للنبي … والمراد بالقول الحلف الكاذب … ها انتم هؤلاء ها للتنبيه في انتم واولاء
وهما مبتدأ وخبر وقوله جادلتم جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا … انتم الذين جادلتم والخطاب لقوم مؤمنين كانوا

يذبون

يذبون عن طعمة ويوهمون انه بريء في الظاهر مسلوك المعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة وقومه في الدنيا فمن الذي يخاصم عنهم في الآخرة اذا اخذهم الله بعذابه
ام من يكون عليهم وكيلا حافظا ومحاميا من عذاب الله وام هذه للاستفهام معطوف على الاول وكلاهما للانكار والتقريع ثم ردف الوعيد بذكر التوبة فقال
ومن يعمل سوءا قبيحا متعديا يسوء به غيره كما فعل طعمة بقتادة واليهودي او يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب وقيل ما يتعدى الى الغير باسم السوء لانه
ايصال الضرر الى الغير سوء حاضر بخلاف الذي يختص به فاعله فان ذلك في الاكثر لا يكون ضررا عاجلا لان الانسان لا يوصل الضرر الى نفسه ثم يستغفر الله
بطلب المغفرة بالتوبة وبعمل صالح بعد جميع الذنوب ان كان كفرا او قتلا عمدا او غصبا للاموال بل على ان مجرد الاستغفار كاف ومن ظن ان الاستغفار
لا ينفع مع الاصرار فلا بد من اقترانه بالتوبة يجد الله غفورا رحيما اي لم يخلف في هذا الوعد لانه الكلام عليه لانه لا معنى للتعقيب بالاستغفار الا اذا
كان المراد ذلك وقيل ومن يعمل سوءا اي ذنبا دون الشرك او يظلم نفسه بالشرك وهذا بعث لطعمة على الاستغفار والتوبة لتلزمه الحجة مع العلم بما يكون
منه وبعث لقومه لما فرط منهم من نصرته والذب عنه ومن يكسب اثما الكسب هو ما يفيد جر منفعة او دفع مضرة ولذلك لم يجز وصف الباري تعالى بذلك
فالمقصود منه ترغيب العاصي في الاستغفار وكانه قال الذنب الذي اتيت به انما يعود وباله عليك فان الله تعالى منزه عن النفع والضر ولا تيأس من قبول
التوبة وكان الله عليما حكيما فيقتضي حكمته ان يتجاوز عن التائب ما علم منه ومن يكسب خطيئة صغيرة او اثما كبيرة وقيل الخطيئة الذنب القاصر على فاعله
والاثم هو الذنب المتعدي الى الغير كالظلم والقتل وقيل الخطيئة ما لا ينبغي فعله سواء كان بالعمد او الخطأ والاثم ما حصل بسبب العمد ثم يرم به بريئا الضمير للمذكور
او بالاثم او بذلك الذنب لان الخطيئة في معنى الذنب او بذلك الكسب بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا لانه بكسب الاثم اثم وبرمي البريء باهت فهو جامع
بين الامرين فلا جرم يجعل الذم في الغاية ولولا فضل الله عليك ورحمته ولولا ما خصك الله به من الفضل وهو النبوة وبالرحمة وهي العصمة لهمت طائفة منهم من بني
ظفر او طائفة من الناس ان يضلوك عن القضاء بالحق والحكم العدل وما يضلون الا انفسهم بسبب تعاونهم على الاثم والعدوان و
شهادتهم بالزور والبهتان لان وباله عليهم وما يضرونك من شيء لانك انما عملت بظاهر الحال وما امرت الانبياء الا بالاحكام على الظواهر وهو وعد بانه يعصمه
لم ما يريدون في الاستقبال من نصرة الباطل ثم اكد الوعد بقوله وانزل الله عليك الكتاب والحكمة اي لما امرك بتبليغ الشرع الى الخلق فكيف
يليق بحكمته ان لا يعصمك عن الوقوع في الشبهات والضلال لانه على الاول يكون المراد بالحكمة ما في الكتاب والحكمة بناء احكام الشرع على الظاهر فكيف يضرك
بناء الاحكام عليه فكيف يضرك من بعد شيء وعلمك ما لم تكن تعلم من اخبار الاولين فيه معنيان احدهما
ان يكون كما قال ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان اي انزل الله عليك الكتاب والحكمة واطلعك على اسرارهما ووقفك على حقائقهما مع انك ما كنت قبل ذلك
عالما بشيء منهما الثاني ان يكون المراد منها خفيات الامور وضمائر القلوب اي علمك ما لم تعلم من اخبار الاولين فكذلك يعلمك من حيل المنافقين ووجوه كيدهم
ما تقدر على الاحتراز منهم وكان فضل الله عليك عظيما فيه دليل ظاهر على شرف العلم حيث سماه عظيما وسمى متاع الدنيا باسره قليلا التأويل الصلوة
صورة جذبة الحق ومعراج العبد فلهذا امرهم في الخوف والامن وشدة القتال والسفر والحضر والصحة والمرض ليكون العبد مجذوبا بالعناية على الدوام واذا
كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة اي امهم لان النظر اليك عبادة كما ان الصلوة عبادة وكما ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فانت تنهاهم عن الفحشاء
والمنكر فلتقم طائفة هم الخواص منهم اي من عوامهم معك اي مع الله لانك مع الله كقوله لا تحزن ان الله معنا وليأخذوا اي بقية طائفة من بقية القوم اسلحتهم
من الطاعات والعبادات دفعا لعدو النفس والشيطان فاذا سجدوا بعني معك وتولوا مقامات القربة فليكونوا اي هؤلاء القوم من ورائكم في المرتبة
والمقام والمتابعة يحفظونكم باشتغالهم بالامور الدنيا ويصلحوا لكم امر المعيشة للانتاء ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا معك في الحقيقة
فليصلوا معك في الوصلة وليأخذوا حذرهم وهو آداب الطريقة واسلحتهم وهي احكام الشريعة ود الذين كفروا هم عدو النفس وصفاتها لو تغفلون
يكم اذى من مطر يعني بشغل الدنيا وضرورات حوائج الانسان يمطر عليكم في بعض الاوقات ان تضعوا اسلحة الطاعة من الاركان والادعية
وخذوا حذركم من التوجه الى الحق ومراعاة الاحوال وحفظ القلب في حضوره مع الله وخلو السر عن الالتفات بغير الله وحدوا غاية التسليم والتفويض
الى الله والاستمداد من همم اعاظم المتقين ولا انقطاع عن الاسلام النبوة ان الله قد هيأ الاسباب للكافرين من كفار النفس والشيطان عذابا مهينا
فاذا قضيتم الصلوة المكتوبة فاذكروا الله في جميع حالات ان الصلوة كانت في الازل على المؤمنين كتابا موقوتا موقتا الى الابد كما اشار اليه
بقوله انا فتحنا لك اي بابا من التقدم الى الحدوث ليغفر لك الله ما تقدم في الازل من ذنبك ان لم تكن مصليا فيما تأخر من ذنبك بان لا تكون
مصليا ويتم نعمته عليك بان يجعل صلوتك دائمة في الازل والابد متصلة بالمشاهدة في الصلوة المقبولة من الازل الى الابد ويهديك صراطا
مستقيما من الازل الى الابد ومن الابد الى الازل ولا تهنوا في ابتغاء القوم النفس وصفاتها ان تكونوا تألمون في الجهاد بالرياضات والعبادات
فانهم يألمون في طلب اللذات والشهوات كما تألمون وترجون من الله من الطاف العواطف الازلية والعواطف الابدية ما لا يرجون لانهم النفس الذين لا يجاوز
حضورها النفسية المجازية الغائبة عن ارباب السجن لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح
اوحي اليك بلا واسطة اوحي ما ... الكبرى نو نیست در بسیاری از رازهای ایشان مگر کسی که فرمود بصدقه یا نیکوئی کردن یا اصلاح کردن
بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما ومن يشاقق الرسول من بعد
در میان مردم و هر که بکند ... [illegible]

مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ

پس ظاهر شد مر او را راستی و پیروی کند بجز راه مومنان راه باز کردانیم او را آنچه اختیار کرده است و در آریم او را در دوزخ و بد جایگاهست بدرستی که خدا نیامرزد

أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ

که شریک قرار داده شود و میآمرزد آنچه که غیر از این است مر آنرا که خواهد و هر که شریک آورد بخدا پس بتحقیق گمراه شد گمراهی دور نمی‌خوانند غیر از خدا

إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا لَّعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا وَلَأُضِلَّنَّهُمْ

مگر ماده‌ها و نمیخوانند مگر شیطان سرکش را دور کرد او را خدا و گفت که هر آینه فرا گیرم از بندگان تو بهره معین و هر آینه از راه ببرم ایشان را

وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ

و در آرزو دارم ایشان را و بفرمایم ایشان را تا ببرند گوشهای چارپایان را و بفرمایم ایشان را که تغییر دهند آفریدهٔ خدا را و هر که فرا گیرد دیو را دوست خود از غیر

اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ

خدا پس بتحقیق زیان کرد زیانی هویدا وعده میدهد ایشان را و بآرزو دارد ایشان را و وعده نمیدهد ایشان را دیو بجز آرزوی فریب آن گروه جای ایشان

جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا

دوزخست و نمییابند از جهنم گریز گاهی و آنان که گرویدند و کردند کردار شایسته زود است که در آریم ایشان را در بهشتها که روان است از زیر آن

الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ

جویها جاویدان در آن همیشه وعده کرده است خدا براستی و کیست راستگوتر از خدا در گفتار نیست کار بآرزوی شما و نه بآرزوی اهل کتاب

مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ

هر که بکند بدی جزا داده شود بآن و نیابد برای خود از غیر خدا دوستی و نه یاوری و هر که بکند از کردار شایسته از مرد

أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ

یا زن و حال آنکه او مومن است پس آن گروه در آیند در بهشت و ستم کرده نشوند بمقدار نقیر و کیست نیکوتر در کیش از آنکه تسلیم کرد روی خود را

لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ

برای خدا و او نیکوکار است و پیروی کرد دین ابراهیم را که پاک است و فرا گرفت خدا ابراهیم را دوست و مر خدا راست آنچه در آسمانها و آنچه در زمین است

وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا القراءات: يؤتيهم بالياء أبو عمرو وحمزة وخلف وقتيبة وسهل الباقون بالنون نوله ونصله مثل يؤده

و هست خدا بهر چیزی احاطه کننده

يدخلون بضم الياء وفتح الخاء وكذلك في مريم وحم المؤمن أبو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير ويزيد وأبو بكر وحماد الآخرون بالعكس. إبراهام وما بعده في هذه السورة هشام وكذلك روى الموصلي عن الأخفش عن ابن ذكوان. الوقوف: بين الناس ط عظيما ج مصيرا ط لمن يشاء ط بعيدا ط إناثا ج لأن الابتداء بالنفي مع واو العطف مريدا لا لأن ما بعده وصف له لعنه الله لأن قوله وقال غير معطوف على لعنه مفروضا لا للعطف خلق الله ط مبينا ط لأنه لا يجبر بعدهم ويمنيهم ط غرورا ط محيصا ط أبدا ط حقا ط قيلا ط الكتاب ط يجز به لا للعطف نصيرا ط نقيرا حنيفا ط خليلا ط وما في الأرض ط محيطا ط. التفسير: ثم أشار إلى ما كانوا يتناجون حيث يبيتون ما لا يرضى من القول. النجوى سر بين اثنين كذا النجوى يقال نجوته نجوى أي ساررته وكذلك ناجيته قال الفراء قد يكون النجوى اسما ومصدرا والآية نزلت في مناجاة بعض قوم ذلك السارق بعضا إلا أنها في المعنى عامة والمراد لا خير فيما يتناجى به الناس ويخوضون فيه من الحديث إلا من أمر. ففي محل من وجوه مبنية على معنى النجوى فإن كان النجوى السر جاز أن يكون من في موضع النصب لأنه استثناء الشيء من خلاف جنسه كقوله إلا ابتغاء وجه ربه لكن من أمر بصدقة ففي نجواه الخير أو في موضع الرفع كقوله إلا اليعافير وإلا العيس. وأبو عبيدة جعل هذا من باب حذف المضاف معناه إلا نجوى من أمر على أنه مجرور بدل من كثير كما يقول لا خير في قيامهم إلا قيام زيد وعلى هذا يكون الاستثناء من جنسه. إن كان النجوى بمعنى ذوي نجوى كقوله وإذ هم نجوى كان من في محل الجر بدلا من كثير أو من نجوى كما تقول لا خير في جماعة من القوم إلا زيد إن شئت أتبعت زيدا الجماعة وإن شئت أتبعته القوم. واعلم أنه قال لا خير في كثير مع أنه يصدق الحكم كليا بدليل قوله كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا ما كان من أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو ذكر الله سبحانه. بالقلوب ليكون أدعى إلى الاعتراف به وأنجح عند لحظ ذوي الشبه وأما استنكره وأعليه. اعلم أن نوع الخير إما أن يتعلق بإيصال المنفعة أو بدفع المضرة والأول إن كان من الخيرات الجسمانية فهو الأمر بالصدقة وإن كان من الخيرات الروحانية فهو تكميل القوة النظرية أو العملية فهو الأمر بالمعروف والثاني هو الإصلاح بين الناس فثبت أن الآية مشتملة على جوامع الخيرات ومكارم الأخلاق وهذه الأوامر وإن كانت مستحسنة في الظاهر إلا أنها لا تنفع في حضرة القبول إلا إذا عمل صاحبها بما أمر لئلا يكون من زمرة أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم لم تقولون ما لا تفعلون وإلا إذا طلب بها وجه الله تعالى فلهذا قال ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما ويمكن أن يقال إن معنى ومن يفعل الأمر والمراد ومن يأمر فعبر عن الأمر بالفعل لأن الأمر فعل من الأفعال والمراد بقوله من أمر من فعل لأن الأمر يلزمه الفعل غالبا ثم قال ومن يشاقق الرسول. قال الزجاج إن طعمة كان قد تبين له بما أظهر الله من أمره فارتد على صحة نبوة

مخالفة فعلى الرسول اظهر الخلاف وارتد على عقبيه واتبع غير دين عبادة الاوثان وهو غير دين الموحدين سبيلهم ومعنى نوله ما تولى نجعله واليا لما اختار لنفسه
ونكله الى ما توكل عليه قال بعض الائمة هذا منسوخ باية السيف لا سيما في حق المرتد الظاهر ان المراد به الطبع والخذلان ونصله جهنم نلزمه اياها
وساءت مصيرا وانتصب مصيرا على التمييز من الضمير المبهم في ساءت لا انه مسوّى الى ما في الذهن لا الى المذكور يحكى ان الشافعي سئل عن اية في كتاب الله دالة
على ان الاجماع حجة فقرأ القرآن ثلثمائة مرة حتى وقف على هذه الاية وتقرير الاستدلال ان اتباع غير سبيل المؤمنين حرام لانه تعالى جمع بين اتباع غير سبيلهم وبين
مشاقة الرسول وترتب الوعيد عليهما واتباع غير سبيل المؤمنين حرمه عدم اتباع سبيل المؤمنين لاستحالة الجمع بين الضدين او النقيضين فعدم اتباع
سبيل المؤمنين حرام فاتباع سبيلهم واجب واحتجوا الا ان الرسول في الاية دلالة على وجوب عصمة النبي وحمل وجوب ما نقله ما بلغه الرواة فالرد الاوجه
المشاقة في بعض من الامور وهي منتهية فيها في الكل فيلزم في الاية دلالة على انه لا يمكن تصحيح الدين الا بالنظر والاستدلال لان الهدى اسم للدليل لا للعلم اذ لا
معنى لتبين العلم لكنه رتب الوعيد على المخالفة بعد تبين الدليل فيكون تبين الدليل معتبرا في صحة الدين والقول الموقوف على النظر هو معرفته وجود الواجب
لذاته وصحة نبوة النبي والبواقي يكفي في اعتقادها ما اخبر الصادق على ان الخبر الصادق لا بد فيه من الدليل ثم انه كرر في السورة قوله ان الله لا يغفر
ان يشرك به للتأكيد وقيل نقيضه ... واشراكه بالله ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا لانه لا اعظم من جحود الصانع ووحدته والمطلوب كلما كان ابعد
كان نقيضه ابعد ثم اوضح هذا المعنى بقوله سبحانه ان يدعون اي ما يعبدون من دونه الا اناثا اي اوثانا مكانوا يسمونها باسماء الاناث كاللات والعزى
فاللات تانيث الله والعزى تانيث الاعز قال الحسن لم يكن حي من احياء العرب الا ولهم صنم يعبدونه يسمونه انثى بني فلان ويؤيده قراءة عائشة الا اوثانا
وقراءة ابن عباس الا انثا جمع وثن مثل اسد واسد الا ان الواو ابدلت همزة كاجوه وقيل المراد الاموات لان الاخبار عن الاموات يكون كالاخبار عن الاناث
تقول هذه الاحجار اعجبتني كما تقول هذه المرأة اعجبتني ولان الانثى اخس من الذكر والميت اخس من الحي وقيل كانوا يقولون في اصنامهم هن بنات الله وقيل
ان بعضهم كان يعبد الملائكة ويقولون الملائكة بنات الله وان يدعون ما يعبدون بعبادة الاصنام الا شيطانا مريدا بالغا في العصيان مجردا عن الطاعة
يقال شجرة مرداء اذا تناثر ورقها والامرد الذي لم تنبت لحيته قال المفسرون كان في كل واحد من تلك الاوثان شيطان يتراءى للسدنة يكلمهم وقالت المعتزلة جعل
طاعتهم للشيطان عبادة له لانه هو الذي اغراهم على عبادتها فاطاعوه والظاهر ان المراد بالشيطان ههنا هو ابليس لانه وصفه بقوله لعنه الله
وقال لاتخذن وهو جواب قسم محذوف اي شيطانا جامعا بين لعنة الله اياه وبين هذا القول الشنيع وهو الاخبار عن الاتخاذ مؤكدا بالقسم ويمكن ان يقال
المراد بلعنه الله ما استحق به اللعن من استكباره عن السجود كقولهم انت اللعين اي فعلت ما تستحق به ومعنى نصيبا مفروضا حظا مقطوعا واجبا فرضه لنفسي
واصل الفرض القطع ومنه الفريضة لانه قاطع الاعذار وفرضة السهم الحز الذي فيه الوتر وفرضة الجند ... المقطوع المعين قال الحسن من كل الف
تسعمائة وتسعة وتسعين ويؤيد ذلك ما روى عن ابي سعيد الخدري عن النبي قال يقول الله يا آدم فيقول لبيك وسعديك والخير بيديك فيقول اخرج بعث النار قال
وما بعث النار قال من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين الحديث وههنا سؤال وهو ان حزب الشيطان وهم الذين يتبعون خطواته من الكفار والفساق
لما كانوا اكثر من حزب الله فلم اطلق عليهم لفظ النصيب مع انه لا يقال الا للاقل والجواب ان هذا التفاوت انما يحصل في نوع البشر اما اذا ضم الملائكة
اليهم فالغلبة للمحقين لا محالة وايضا الغلبة لاهل الحق وان قلوا وغيرهم كالعدم وان كثروا ولاضلنهم يعني عن الحق وان قلوا وغيرهم كالعدم قالت المعتزلة
منه دلالة على اصلين من اصولنا الاول ان المضل هو الشيطان دون الله والثاني ان الاضلال ليس عبارة عن خلق الكفر والضلال لان الشيطان ليس بالاتفاق
لا يقدر على ذلك واجيب بان هذا كلام ابليس فلا يكون حجة على ان كلامه في هذه المسألة مضطرب فتارة يميل الى القدر المحض وهو قوله ولاضلنهم ولاغوينهم
واخرى الى الجبر المحض كقوله رب بما اغويتني ولامنينهم الاماني الباطلة من طول الاعمار وبلوغ الامال والنجاة من الاهوال وانتظام الاحوال فلا يكاد يعدهم على
التوبة والاقبال على طاعة زاد الاخرة حتى يصير قلبه كالحجارة او اشد قسوة ولامرنهم فليبتكن آذان الانعام البتك القطع وسيف باتك اي صارم
والتبتيك التقطيع شدد للكثرة وجمهور المفسرين على ان المراد به ههنا قطع آذان البحائر كانوا يشقون اذن الناقة اذا ولدت خمسة ابطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا
على انفسهم الانتفاع بها ويسمونها بحيرة وقال بعضهم كانوا يقطعون اذان الانعام نسكا في عبادة الاوثان فهم يظنون ان ذلك عبادة مع انه في نفسه
كفر وفسق قوله فليبتكن صيغة غائب للفاء بين في اللام لجواب القسم اي والله ليبتكن واصله ليبتكون فلما دخلت النون الثقيلة سقطت نون الجمع
لالتقاء الساكنين واكتفاء بالضمة والفاء للتسبيب لان التبتيك يلازم ما قبلها وما بعدها والجملة كالتفسير لقوله ولامرنهم وكذا الاعراب في قوله ولامرنهم
فليغيرن خلق الله والمراد من التغيير اما المعنوي واما الحسي من الاول قول سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والحسن والضحاك ومجاهد والنخعي وقتادة والسدى انه تغيير
دين الله بتبديل الحرام حلالا او بالعكس او بابطال الاستعداد الفطري فطرة الله التي فطر الناس عليها كل مولود يولد على الفطرة ومن الثاني قال الحسن
المراد ما روى ابن مسعود عن النبي لعن الله الواشمات والواشرات والمتنمصات وذلك ان المرأة تتوصل بهذه الافعال الى الزنا اما الوشم فهو ان تغرزها
بالابرة ثم تحشو بها النيل والوشر تحديد الاسنان والتنمص نتف شعر الحاجب وغيرهما وقال انس وشهر بن حوشب وعكرمة وابو صالح تغيير خلق الله هو الخصاء
وقطع الاذان وفقء العيون وكانت العرب اذا بلغت ابل احدهم الفا عوروا عين فحلها وخصاء البهائم مباح عند عامة العلماء واما في بني ادم فمحظور
وعند ابي حنيفة يكره شراء الخصيان وامساكهم واستخدامهم لان الرغبة فيهم تدعو الى خصائهم وقال ابن زيد هو التخنث وتشبه الذكر بالانثى وعلى هذا فالسحق
ايضا داخل في الاية لانه تشبه الانثى بالذكر وحكى الزجاج عن بعضهم ان الله تعالى خلق الانعام ليركبوها فحرموها على انفسهم كالبحائر والسوائب وخلق

الشمس والقمر والحجر للناس ينتفعون بها فعبدوها فقد غيروا خلق الله واعلم ان دخول الضرر في الانسان انما يكون على ثلاثة اوجه التشويش ثم النقصان ثم البطلان
فادعى الشيطان لعنه الله القاء اكثر الخلق في مضرة الدين هو قوله لاضلنهم ثم فصل ذلك بقوله ولأمنينهم وهو القسم من جنس التشويش لان صاحب الاماني
يتشوش فكره في استخراج الحيل الدقيقة والوسائل اللطيفة في تحصيل مطالبه الشهوية والغضبية والشيطانية وقوله ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام اشارة
الى القسم بالنقصان لان الانسان اذا صار مستغرق العقل في طلب الدنيا صار فاتر الرأي ضعيف العزم في طلب الآخرة وقوله ولآمرنهم فليغيرن خلق الله
اشارة الى البطلان لان من بقي مواظبا على طلب اللذات العاجلة معرضا عن السعادات الباقية فلا يزال يتزايد ميله وركونه الى الدنيا حتى يتغير طبعه
بالكلية ولا يخطر بباله ذكر الآخرة ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله بان يفعل ما امره الشيطان به ويترك ما امره الرحمن به فقد خسر خسرانا مبينا
لانه ترك المطالب بسبب اشتغاله بالخسيسة والسبب فيه ان الشيطان يعدهم ويمنيهم مفعول التحقير لتطويل عمره ونيل الدنيا مقصوده وبثه
على اعدائه ويوقع في قلبه ان الدنيا دول فربما تيسرت لي كما تيسرت لغيري وما يعدهم الشيطان الا غرورا لانه ربما لم يطل عمره وان طال فربما لم يجد مطلوبه
وان طال عمره ونال المأمول على احسن الوجوه فلا بد ان يكون عند الموت في اشد حسرة واعظم حيرة لان المطلوب كلما كان الذ واشهى كان الالف معه اتم
والبقاء كانت مفارقته اتم والمه ابقى وانما سمي فعل الشيطان يعدهم لانه لا ايمان ولا احسان ولا جزاء ولا عقاب فجهدوا في استيفاء اللذات العاجلة واغتنموا
فرصة الحياة الزائلة قبل الفوت اولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا مفرا ومعدلا ومضى بيان اصل الابلاس من ردودها والثناء
الخالد بمعنى الدوام للكفار او طول المكث للفساق ثم اردف الوعيد بالوعد على سنته المعهودة فقال والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قال اهل السنة لو كان الخلود للدوام لزم التكرار فاذن هو طول المكث المطلق وقوله ابدا يفيد
التأبيد وعد الله حقا مصدران الاول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره لان قوله سندخلهم وعد منه ثم فمضمونه هو مضمون وعد الله واما حقا
فمضمونه اخص من مضمون الوعد لان الوعد من حيث هو وعد يحتمل ان يكون حقا وان لا يكون فمضمونهما متغايران تغاير الجنس والنوع ومن اصدق
من الله قيلا توكيد ثالث بليغ من قبيل الاستفهام المتضمن للانكار وفائدة هذه التوكيدات مقابلة مواعيد الشيطان الكاذبة والقاء الاماني
الفارغة والتنبيه على ان قول اصدق القائلين اولى بالقبول من قول من لا احد اكذب منه والقيل مصدر قال قولا وعن ابن السكيت ان القيل والقال اسما
لا مصدران عن ابي صالح قال جلس اهل الكتب اهل التوراة والانجيل واهل القرآن كل صنف يقول لصاحبه نحن خير منكم فنزلت ليس بامانيكم ولا اماني
اهل الكتاب وقال مسروق وقتادة احتج المسلمون واهل الكتاب فقال اهل الكتاب نحن اهدى منكم نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم
وقال المسلمون نحن اهدى منكم واولى بالله نبينا خاتم الانبياء وكتابنا يقضي على الكتب التي قبله فنزلت ثم افلج الله حجة المسلمين على من ناوأهم من اهل الاديان
بقوله ومن يعمل من الصالحات وبقوله ومن احسن دينا الآية وقيل الخطاب في امانيكم لعبدة الاوثان واما نيهم ان لا يكون حشر ولا نشر ولا معاد
ولا عقاب وان عذبوا لكنهم يشفعون باصنامهم فانها شفعاؤهم عند الله وقيل الخطاب للمسلمين واما نيهم ان يغفر لهم وان ارتكبوا الكبائر واماني
اهل الكتاب قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى نحن ابناء الله واحباؤه لن تمسنا النار الا اياما معدودات واسم ليس مضمر قيل
اي ليس وضع الدين على امانيكم وقيل ليس الثواب الذي تقدم الوعد به في قوله سندخلهم وعن الحسن ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب
منه وصدقه العمل ان قوما الهتهم اماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحن نحسن الظن بالله وكذبوا لو احسنوا الظن به لاحسنوا العمل
ويؤكد هذا المعنى قوله بعد ذلك ومن يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ومن هنا استدلت المعتزلة بالآية على القطع بوعيد
الفساق ونفي الشفاعة واجيب بانه مخصوص بالكفار لانهم مخاطبون بالفروع عندنا سلمنا انه يعم المؤمن والكافر الا انه مخصوص في حق المؤمن
بقوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء سلمنا لكن لم لا يجوز ان يكون جزاؤه الآلام والاسقام والهموم والغموم الدنيوية روي انه لما نزلت الآية قال
ابو بكر كيف الصلاح بعد هذه الآية فقال عليه السلام غفر الله لك يا ابا بكر الست تمرض اليس يصيبك اللأواء فهو ما يجزون به وعن عائشة ان رجلا قرأ هذه الآية فقال
انجزى بكل ما نعمل لقد هلكنا فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم كلامه فقال نعم يجزى المؤمن في الدنيا بمصيبة في جسده وبما يؤذيه وعن ابي هريرة لما نزلت الآية بكينا وحزنا
وقلنا يا رسول الله ما ابقت هذه الآية لنا شيئا فقال ابشروا فانه لا يصيب احدا منكم مصيبة في الدنيا الا جعلها الله له كفارة حتى الشوكة التي تقع
في قدمه سلمنا ان الجزاء انما يصل في الآخرة لكنه وعن ابن عباس انه لما نزلت الآية شقت على المسلمين وقالوا يا رسول الله وأينا لم يعمل سوءا فكيف الجزاء
فقال انه تعالى وعد على الطاعة عشر حسنات وعلى المعصية الواحدة عقوبة واحدة فمن جوزي بالسيئة نقصت واحدة من عشرة وبقيت له تسع حسنات
فويل لمن غلب آحاده اعشاره واما المؤمن الذي اطاع الله سبعين سنة ثم شرب قطرة من الخمر فهو مؤمن ومن يعمل من الصالحات فوجب القطع بانه يدخل
الجنة قالوا ان صاحب الكبيرة غير مؤمن فلم يجب تحقق قوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وما بعد بنفي الشفاعة فاذا كانت شفاعة الملائكة
والانبياء باذن الله صدق انه لا ولي لاحد ولا نصير الا الله قال في الكشاف من في قوله من الصالحات للتبعيض اي ومن يعمل بعض الصالحات لان
كلا لا يتمكن من كل الصالحات لاختلاف الاحوال وانما يعمل منها ما هو في وسعه وكم من مكلف لا حج عليه ولا جهاد ولا زكوة ولا صلوة في بعض الاحوال
ومن في قوله من ذكر لتبيين الابهام في من يعمل والضمير في لا يظلمون عائد الى عمال السوء وعمال الصالحات جميعا او عمال الصالحين فقط وذكر عند احد الفريقين
يغني عن ذكره عند الآخر والمبيء مستغن عن هذه الغيلة من المعلومات ارحم الراحمين لا يزيد في عقابه واما نقصان الفضل في الثواب كاد محصلا ان يزل في لله

اليوم ثم بين فضل الايمان المشروط به الفوز بالجنة فقال ومن احسن دينا وبين الفضل من وجهين الاول ان الدين المشتمل على اظهار كمال العبودية والانقياد للمعبود
الاشارة بقوله اسلم وجهه لله وهو راجع الى الاعتقاد الحق وعلى اظهار كمال الطاعة وحسن العمل والاخلاص من الاشارة بقوله وهو محسن وهو راجع
الى عمل الجوارح عن المنكرات بصفاء النيات وخلوص الطويات وفيه تنبيه على ان كمال الايمان لا يحصل الا عند تفويض جميع الامور الى الخالق والتبري
من الحول والقوة ومن الاستعانة بغير المعبود الحق من الافلاك والكواكب والطبائع وغيرها كما ان من كان كذلك الوجه الثاني ان محمدا دعا الخلق الى
دين ابيه ابراهيم ومن المشهور فيما بين اهل الاديان انه ما كان يدعو الى عبادة فلك ولا طاعة كوكب ولا سجدة صنم ولا استعانة بطبيعة بل كان مائلا عن
الملل الباطلة بعيدا عنها بعدا لم يكن غيره جميع اجزاء الدارين وهذا شرف بقوله واتخذ الله ابراهيم خليلا وهذه جملة معترضة والسبب في ابراهيم فان يعلم
من كان في علو الدرجة بهذه الحيثية كان جديرا بان يتبع طريقته قال العلماء ان خليل الانسان هو الذي يدخل في خلال اموره واسراره وقد دخل حبه
في خلال قلبه ولما اطلع الله ابراهيم على ملكوت الاعلى والاسفل ودعا القوم مرة بعد اخرى الى توحيد الله ومنعهم عن عبادة النجوم والقمر والشمس
وعن عبادة الاوثان ثم سلم نفسه للنيران وعلده للقربان وماله للضيفان ثم جعله الله اماما للناس ورسولا اليهم وبشره بان الملك والنبوة في ذريته
الى يوم الدين كان خليلا لله لان خلة عبادة عن ارادة ايصال الخيرات والمنافع وقيل الخليل هو الذي يوافقك في خلالك وقد قال تخلقوا باخلاق الله
فلما بلغ ابراهيم في مكارم الاخلاق مبلغا لم يبلغه من تقدمه فلا جرم استحق اسم الخليل وقيل الخليل الذي يسايرك في طريقك من الخل وهو الطريق في الرمل
فلما كان ابراهيم منقادا لكل ما امر به ونهي عنه فكانه سايره ووافق اوامر الله ونواهيه فاستحق اسم الخليل لذلك هذا من جهة الاشتقاق واما من قبل
اسباب النزول فعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبرئيل بم اتخذ الله ابراهيم خليلا قال لاطعامه الطعام يا محمد وقال عبد الله بن عبد الرحمن بن
ابزى دخل ابراهيم منزله فراى ملك الموت في صورة شاب لا يعرفه فقال ابراهيم باذن من دخلت فقال باذن رب المنزل فعرفه ابراهيم فقال له ملك الموت
ان ربك اتخذ من عباده خليلا قال ابراهيم ومن ذلك قال وما تصنع به قال اكون خادما له حتى اموت قال فانه انت وقال الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس اصاب
الناس سنة جهدوا فيها فحشروا الى باب ابراهيم يطلبون الطعام وكانت الميرة له كل سنة من صديق له بمصر فبعث غلمانه بالابل الى الخليل بمصر يسأله الميرة
فقال الخليل لو كان ابراهيم انما يريد لنفسه احتملنا ذلك له ولكنه يريد للاضياف وقد دخل علينا ما دخل على الناس من الشدة فرجع رسل ابراهيم فمروا ببطحاء
فقالوا لو انا احتملنا من هذه البطحاء ليرى الناس انا قد جئنا بميرة انا نستحي ان نمر بهم وابلنا فارغة فملأوا تلك الغرائر ثم انهم اتوا ابراهيم وسارة نائمة
فاعلموه ذلك فاهتم ابراهيم لمكان الناس فغلبته عيناه فنام واستيقظت سارة فقامت الى تلك الغرائر ففتحتها فاذا هو اجود حوارى تكون فامرت الخبازين
فخبزوا واطعموا الناس واستيقظ ابراهيم فوجد ريح الطعام فقال يا سارة من اين هذا الطعام فقالت من عند خليلك المصري فقال هذا من عند خليلي الله
فيومئذ اتخذ الله خليلا وقال شهر بن حوشب هبط ملك في صورة رجل وذكر اسم الله بصوت رخيم شجي فقال ابراهيم اذكره مرة اخرى فقال لا اذكره مجانا فقال لك
مالي كله فذكره الملك بصوت اشجى من الاول فقال اذكره مرة ثالثة ولك اولادي فقال الملك ابشر فاني ملك لا احتاج الى مالك وولدك وانما كان المقصود
امتحانك فلما بذل المال والاولاد على سماع ذكر الله لا جرم اتخذه الله خليلا وروى طاوس عن ابن عباس ان جبرئيل وميكائيل لما دخلوا على ابراهيم
في صورة غلمان حسان الوجوه فظن الخليل انهم اضيافه فذبح لهم عجلا سمينا وقربه اليهم وقال كلوا على شرط ان تسموا الله في اوله وتحمدوه في آخره فقال
جبرئيل انت خليل الله وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ الله ابراهيم خليلا وموسى نجيا واتخذني حبيبا ثم قال وعزتي لاوثرن حبيبي على خليلي
ونجيي وقد مر ذكر الفرق بين الخليل والحبيب في سورة البقرة في تفسير قوله اذ قال له ربه اسلم وقد ذكر في التفسير الكبير انا اسندنا رحمه الله وروح القدس
العقلية والجلايا الالهية صار الانسان متوغلا في عالم القدس فلا يرى الا الله ولا يسمع الا الله ولا يجد الا الله ولا يسكن الا الى الله فهذا الشخص
يستحق ان يسمى خليل الله لما ان محبة الله سرت في جميع قواه وتخللت فيها قال بعض النصارى اذا جاز اطلاق الخليل على انسان تشريفا فلم لا يجوز اطلاق الابن على انسان لمثل
ذلك والجواب ان الخلة لا تقتضي الجنسية بخلاف البنوة وانه سبحانه منزه عن مجانسة المحدثات ولهذا قال بعد ذلك ولله ما في السموات وما في الارض وكان الله
بكل شيء محيطا بالعلم انه لم يتخذ ابراهيم خليلا لاحتياج اليه ولا لاحتياج لكنه اصطفاه لمجرد الفضل والامتنان منه ومع خلته لا يستنكف ان يكون عبدا له داخلا
تحت ملكه وملكه ومنها ان من كان في القهر والتسخير بهذه الحيثية وجب على كل عاقل ان يخضع لتكاليفه وينقاد لاوامره ونواهيه كما قال ابراهيم اسلمت لرب العالمين
واعلم انه لما ذكر الوعد والوعيد وانه لا يمكن الوفاء بهما الا بالقدرة التامة على جميع الممكنات والعلم الكامل الشامل بجميع الكليات والجزئيات اشار الى الاول
بقوله ولله ما في السموات وما في الارض والى الثاني بقوله وكان الله بكل شيء محيطا وانما قدم القدرة على العلم لان الفعل بوجوده يدل على القدرة وبما فيه من الاحكام
والاتقان يدل على العلم ولا ريب ان الاعتبار الاول مقدم على الثاني قال بعضهم الاحاطة ههنا بمعنى القدرة كقوله واخرى لم تقدروا عليها قد احاط الله
بها ولا يلزم تكرار لان الاول لا يدل الا على ان لله ما في السموات وما في الارض ملكا والثاني يفيد القدرة المطلقة على جميع الاشياء وان فرض خارج السموات
والارض وعلى ان سلسلة القضاء والقدر في جميع الممكنات انما ينقطع بايجاده وتكوينه وابداعه التاويل الانسان في كثير من حاله يهوى النفس والهوى الشيطان الا من امن
بالجنان وهو الله الوجود بالخواطر الرحمانية ثم خواص عباده ومن يشاقق الرسول اي يخالف الالهام الرباني ويتبع غير سبيل المؤمنين يتبع الهوى
سبيل النفس والشيطان نوله ما تولى نكله الى ما تولى ونصله نسلمه الى جهنم الصفات البهيمية والسبعية والشيطانية ان الله لا يغفر ان يشرك
به ولو كان معتوقا ولم يشرك بالله لانه فقد ضل ضلالا بعيدا وهو الضلال الاصلي الازلي انهم ان يدعون من دونه الا اناثا صفات بهيمية لانها

الشهوات يدعون الا شيطانا مريدا في الدنيا كما قال الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه والنصيب المفروض ما تعرض لهم الله
للنار ولا ضلنهم كذب عدو الله فانه زين ولبس الهم من الضلال وقد رفع كما قال بشت مبلغا ولبس الحمد لهذا مزيني وعد الله حقا وموثوقه الى الجنة
اباني لبس بامانيكم نعني عوام الخلق الذين يتمنون ولا يتوبون ويطمعون ان يغفر الله لهم وقد قال واني لغفار لمن تاب ومن يعمل صالحا ولا اماني اهل الكتاب
علماء السوء الذين يفرقون العوام بالرخص والطمع ويغلطون عليهم طريق الطلب والاجتهاد وقد ترى معنى بعضهم من بقرات نفسه في مذهبه من غير ان ينهى عنه
من يعمل سوء يجزيه في الحال باظهار الذين على مرآة قلبه كما قال اذا اذنب عبده ذنبا نكتت في قلبه نكتة سوداء فان تاب نجع منه صقلت الا يجد له من دون الله وليا
يخرجه من ظلمات المعصية الى نور الطاعة والتوبة ولا نصيرا ينصره بالظفر على النفس الامارة من ذكر او انثى اي من طالب حضرة من الحق ويريد بقية من عنده سعى اسلم من
معصية وقلبه خشية شيطانا كما قال اسلم شيطاني على يدي ومن اسلم نفسه يقول يوم القيمة امتي امتي حين يقول الانبياء نفسي نفسي وهو محسن بمحافظة من اهل
المشاهدة يعبد الله كانه يراه بل يراه ولا تراه احسن الذين خلقه العظيم الى ما ينبغي من الكمال الخلة واتبع ملة ابرهيم واتخذ الله ابرهيم خليلا كما اتخذ ابرهيم خليلا
مثل المجنون بن عامر ما اسمك قال ليلى وقيل لمحمد ما اسمك قال الحبيب كان محمد حبيبا اي مخلصا من الخلة الخليل لا نه انصرف بالكلية الى الله في كل احواله
والفرق بين مقام الخليل ومقام الحبيب الخليل اتخذ الاحمد عدوا في الله فانهم عدو لي الا رب العالمين واتخذ نفسه عدوا لله فقال الحب بيه يحلم يحلى محمد
وهو مقام الفناء في الفناء بل البقاء بعد ولله ما في السموات وما في الارض وكان الله بكل شيء محيطا ويستفتونك
الفناء ظاهر يقول بالحب عن الرب

در فتوی میخواهند

ع

فِي النِّسَاءِ قُلِ اللّٰهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ
در بارهٔ زنان بگو که خدا فتوی میدهد شما را در ایشان و آنچه خوانده میشود بر شما در قرآن در بارهٔ یتیمان از زنان آن زنانی که نمیدهید ایشانرا آنچه واجب شده
لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ
برای ایشان و رغبت میکنید که نکاح کنید ایشانرا و ناتوانان از اطفال و آنکه بپا کنید برای یتیمان بعدالت و آنچه بکار برید از خیر
فَإِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ۝ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا
پس بدرستی که خدا هست بآن دانا و اگر زنی بترسد از شوهرش بلند پروازی یا روگردانیدن پس نیست باکی بر ایشان که اصلاح کنند در میان ایشان اصلاح
وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا
و صلح بهتر است و حاضر کرده شده نفسها را بخل کردن و اگر نیکوئی کنید و پرهیز کنید پس بدرستی که خدا هست بآنچه میکنید با خبر و هرگز نتوانید
أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا
که عدالت کنید در میان زنان و هر چند حریص باشید پس میل مکنید تمام میل پس بگذارید آنرا چون آویخته و اگر اصلاح کنید و پرهیز کنید
فَإِنَّ اللّٰهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللّٰهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللّٰهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ۝
پس بدرستی که خدا هست آمرزنده مهربان و اگر از هم جدا شوند بی نیاز گرداند خدا هر یک را از وسعت خود و میباشد خدا وسعت دهنده استوار کار
وَلِلّٰهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ
و مر خدا راست هر چه در آسمانها و آنچه در زمین است و بتحقیق وصیت کردیم آنها را که داده شدند کتاب از پیش شما و شما را که
اتَّقُوا اللّٰهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللّٰهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ۝ وَلِلّٰهِ
بپرهیزید خدا را و اگر کافر شوید پس بدرستیکه مر خدا راست آنچه در آسمانها و آنچه در زمین است و میباشد خدا بی نیاز ستوده و مر خدا راست
مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللّٰهِ وَكِيلًا ۝ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ
آنچه در آسمانها و آنچه در زمین است و بس است خدا کارگذار اگر بخواهد ببرد شما را ای گروه مردمان و بیاورد
بِآخَرِينَ وَكَانَ اللّٰهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ۝ مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللّٰهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
دیگرانرا و میباشد خدا بر این توانا هر که باشد که بخواهد بهره دنیا پس نزد خداست بهره دنیا و آخرت

ع

وَكَانَ اللّٰهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلّٰهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ
و میباشد خدا شنونده بینا ای آنهائی که ایمان آورده اید باشید بپا دارندگان عدالت گواهان از برای خدا اگر چه بر نفس خودتان
أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللّٰهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ
یا پدر و مادر و خویشان اگر باشد توانگر یا فقیر پس خدا سزاوارتر است بایشان پس متابعت مکنید خواهش که عدالت کنید
تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ
و اگر بپیچید یا اعراض کنید پس بدرستیکه خدا هست بآنچه میکنید با خبر ای گروه آنانکه ایمان آورده اید ایمان آورید بخدا و رسول او و قرآن
الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللّٰهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ
که فرستاده بر پیغمبرش و کتابی که فرستاده پیش از این و کسی که کافر شود بخدا و فرشتگان او و کتابهای او و پیغمبران او

وكتبه

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ۝ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا

و روز واپسين پس بتحقيق گمراه شد گمراهی دور ۝ بدرستیکه آنانکه ایمان آوردند پس کافر شدند پس ایمان آوردند پس کافر شدند پس افزودند در کفر

لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ۝ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ

نیست خدا که بیامرزد ایشانرا و نه آنکه بنماید ایشانرا راهی را ۝ مژده ده منافقانرا با آنکه مر ایشانراست عذابی دردناک ۝ آنان که فرا گیرند

الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۝ وَقَدْ نَزَّلَ

کافرانرا دوستان از غیر مومنان آیا خواهش میکنند نزد ایشان عزت را پس بدرستیکه عزت مر خدایراست همه ۝ و بتحقیق فرستاد

عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا

بر شما در کتاب که اگر شنیدید که آیات خدا کافر شوند بآن و استهزا کنند بآن پس منشینید با ایشان تا آنکه فرو روند

فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ۝ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ

در حدیثی غیر آن بدرستیکه شما آنگاه مانند ایشانید بدرستیکه خدا گرد آرنده منافقان و کافران در جهنم همه ۝ آنان که انتظار کشند

بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ

بشما پس اگر باشد مر شما را گشایشی از خدا گویند آیا نبودیم با شما و اگر باشد مر کافرانرا بهره گویند آیا غالب نشدیم بر شما

وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۚ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا

و منع میکردیم شما را از مومنان پس خدا حکم کند در میان شما در روز قیامت و قرار ندهد خدا از برای کافران بر مومنان سلطنتی را

القراءة يصلحا من الاصلاح عاصم وعلي وحمزة وخلف الباقون يصالحا من التصالح وادغام التاء في الضاد ان تضلّ حيث كان جعفر من الاعشى واوجه [illegible] من طريق الاصفهاني وحمزة في الوقف وان تلووا بواو واحدة ابن عامر وحمزة الباقون كلاهما على ما لم يسم فاعله من التنزيل والذي انزل قد نزل مشددا مبنيا عاصم ويعقوب الباقون مبنيا للمفعول الوقوف النساء يفتيكم لعطف اى الله والمتلو يفتيكم الولدان للعطف اى في يتامى النساء وفي المستضعفين وفي تقوموا بالقسط عليما صلحا خير الشح كالمعلقة رحيما سعته حكيما وما في الارض ان اتقوا الله وما في الارض حميدا وكيلا باخرين قديرا والآخرة بصيرا والاقربين لابتداء الشرط مع اتفاق المعنى ان تعدلوا لذلك خبيرا من قبل بعيدا سبيلا اليما لا لأن الذين صفة المنافقين وان كان يحتمل النصب والرفع على الذم المؤمنين جميعا عزة لان ما بعده كالتعليل مثلهم جميعا لان ما بعده صفة المنافقين لكم لابتداء الشرط مع اتصال المعنى معكم لتبيح جانب العطف مع انه تمام بيان النفاق نصيب لأن قالوا جواب المؤمنين بينهم سبيلا التفسير احسن الظن بنيات الآية بالدعوة الى الدين الحق والبعث على التكاليف هو ما عليه القرآن من قرانه الوعد بالوعيد وخلط الترغيب بالترهيب ضم الآيات الدالة على التعظيم والكبرياء الى بيان الاحكام والاستفتاء طلب الفتوى يقال استفتيت الرجل في مسألة فافتاني افتاء وفتيا وفتوى وهما اسمان يوضعان موضع الافتاء وهو اظهار المشكل من الحكم واصله من الفتى وهو الشاب الذي قوي وكمل كأنه يقوي ببيانه ما اشكل فيشب ويصير فتيا قويا والاستفتاء لا يقع في ذوات النساء وانما يقع في حالة من احوالهن فلذلك اختلفوا فعن بعضهم انهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان شيئا من الميراث كما مر في اول السورة فنزلت في توريثهم وقيل انه في الاوصياء وبيانه توفية الصداق لمن كانت اليتيمة تكون عند الرجل فان كانت جميلة ومال اليها تزوج بها واكل مالها وان كانت دميمة منعها من الازواج حتى تموت فيرثها فانزل الله وما يتلى عليكم مرفوع احدها انه رفع بالابتداء معطوفا على اسم الله تعالى الله يفتيكم والمتلو في الكتاب يفتيكم ايضا ويجوز ان يكون رفعا على الفاعلية لكونه عطفا على المستتر في يفتيكم وجاز بلا تأكيد للفصل اي يفتيكم الله والمتلو في الكتاب في معنى اليتامى كقولك اعجبني زيد وكرمه وذلك المتلو هو قوله وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى كما سلف في اول السورة جعل دلالة الكتاب على هذا الحكم افتاء من الكتاب فاتبعها وما يتلى عليكم مبتدأ في الكتاب خبره وهي جملة معترضة ويكون المراد من الكتاب اللوح المحفوظ والغرض تعظيم حال هذه الآية فان العدل والانصاف في حقوق اليتامى والظلم منها من عظائم الله ونظيره في تعظيم القرآن قوله وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم والثاني انه مجرور على القسم لغرض التعظيم كأنه قيل قل الله يفتيكم فيهن وحق المتلو ورابعها ان يكون مجرورا على انه معطوف على الضمير في فيهن قال الزجاج انه ليس بسديد لفظا لعدم اعادة الخافض ومعنى لانه لا معنى لقول القائل يفتيكم الله فيما يتلى من الكتاب لان الافتاء انما يكون في المسائل وقوله في يتامى النساء على الاول صلة يتلى اي يتلى عليكم في معناهن او بدل من فيهن وعلى سائر الوجوه بدل من فيهن لا غير والاضافة في يتامى النساء قال الكوفيون هذا من اضافة الصفة الى الموصوف واصله في النساء اليتامى قال البصريون انها على ناويل حرف من تطبيقه وسمى صاحبه وجوز بعضهم ان يكون المراد باليتامى امهات اليتامى كما في قصة ام كجة ومعنى لا تؤتونهن ما كتب لهن قال ابن عباس يريد ما فرض لهن من الميراث بناء على انها نزلت في ميراث اليتامى والصغار وقال غيره يعني ما كتب لهن من الصداق وترغبون ان تنكحوهن قال ابو عبيدة هذا يحتمل الترغيب والنفرة اي ترغبون في ان تنكحوهن لجمالهن وترغبون عن ان تنكحوهن لدمامتهن احتج اصحاب ابي حنيفة بالآية على انه يجوز لغير الاب والجد تزويج الصغيرة وقد يحتمل ان يكون المراد وترغبون ان تنكحوهن اذا بلغن فلان قدامة بن مظعون زوج بنت اخيه عثمان بن مظعون من عبد الله بن عمر فخطبها المغيرة بن شعبة ورغب امها في المال فجاءت الى الرسول فقال انها

يصلحا من الاصلاح عاصم وعلي وحمزة وخلف الباقون يصالحا [illegible]

انا عنها ووصوا بها فقال الفتحة: الفاصبعيرة وقضا الا انزوج الاباذنها وفرق بينها وبين ابن عمرو لانه لبني في الابن اكثر من كونه عصبة الاولياء في نكاح البنية ودلت
لا يدل على الجواز والمستضعفين من الولدان نزلت في ميراث الصغار والخطاب في ان تقوموا للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم بل يجوز
ان يكون وان تقوموا منصوبا اي ويامركم ان تقوموا ومن جملة ما امر الله تعالى به قيعتهم ميرفا القسط الكن لم يتقدم ذكره قوله وان امرأة خافت نعلم امرأة
بفعل يفسره خافت اي خافت ولم يثبت والنظم امر على معناه الاصلي الا ان الخوف لا يحصل الا عند ظهور العلامات الدالة على وقوع المخوف كان يقول
الرجل لامرأته انك دميمة او مسنة واني اريد ان اتزوج شابة جميلة والبعل الزوج والنشوز يكون من الزوجين وهو كراهة كل منهما صاحبه نشوز الرجل
ان يعرض عنها بان يمنع وجهها او بعض منافعها ونحو ذلك ونحو ذلك من غاية الزوجة الا ان المرأة تكون عند الرجل ويريد ان يستبدل غيرها فيقول امسكني
وتزوج غيري وانت في حل من النفقة والقسم كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت ان يفارقها رسول الله ﷺ وعرفت مكان عائشة من قلبه فوهبت لها يومها
ومعنى صلحا وهو مصدر من غير لفظ الفعل مثل والله انبتكم من الارض نباتا ان يتصالحا على ان تطيب المرأة له نفسا عن القسمة او عن بعضها او عن المهر
فان هذه الامور هي التي تقدر المرأة على طلبها من الزوج شاء ام ابى اما الوطء فليس كذلك لان الزوج لا يجبر على الوطء والصلح خير من الفرقة او من النشوز
او الاعراض فاللام للعهد او هو خير من الخصومة في كل شيء فاللام للاستغراق وبه تمسك اصحاب ابي حنيفة في جواز الصلح على الانكار او الصلح خير من الخيرات كما
ان الخصومة شر من الشرور والجملة معترضة وكذا قوله واحضرت الانفس الشح الا انها اعتراض مؤكد للمطلوب فحصل الصلح والشح البخل مع حرص فارض شحاح
الا من حيث كثرة جعل الشح كالامر الحاضر للنفوس كانها جبلت على ذلك ثم يحتمل ان يكون هذا تعريضا بالمرأة انها تشح ببذل نصيبها او حقها او بالزوج انه يشح بانه
يتقضى عمره معها مع دمامتها وكبر سنها وعدم الالتذاذ بصحبتها واعلم انه رخص اولا في الصلح بقوله فلا جناح عليهما وغايته دفع الاثم ثم بين انه كالاحسن
منه فكذلك انه خير كثير ثم حث على الاحسان والتقوى ختم مادة الخصومة واسا فقال وان تحسنوا اي بالاقامة على نسائكم وان كرهتموهن واحببتم غيرهن
تتقوا النشوز والاعراض وما يؤدي الى الاذى والخصومة الموجبة الى الصلح فان الله كان بما تعملون من الاحسان والتقوى خبيرا فيثيبكم على ذلك وعلى هذا فالخطاب
للازواج وقيل الخطاب للزوجين اي يحسن كل منهما الى صاحبه ويحترز عن الظلم وقيل لغيرهما ان يحسنوا في المصالحة بينهما وتقوا الميل الى واحد منهما يحكى ان عمران بن
حطان الخارجي كان من ادم بني ادم وامرأته من اجملهم فاجالت يوما نظرها في وجهه ثم قالت الحمد لله فقال مالك فقالت حمدت الله على اني واياك من اهل الجنة لانك
رزقت مثلي فشكرت ورزقت مثلك فصبرت ولن تستطيعوا ان تعدلوا الى تعدلوا على التسوية بين النساء في ميل الطباع ولو حرصتم واذا لم تقدروا عليها
بحيث لا يقع ميل البتة ولا زيادة ولا نقصان لم تكونوا مكلفين به وهذا تفسيرنا يناسب مذهب المعتزلة من ان تكليف ما لا يطاق غير واقع ولا جائز فلا تميلوا
كل الميل اي يقع عنكم تمام العدل وغايته لكن اسوا ما استطعتم بشرط ان تبذلوا فيه وسعكم وطاقتكم ويحتمل ان لن تستطيعوا التسوية في الميل القلبي ولو حرصتم
ولا التسوية الكلية في نتائج الحب من الاقوال والافعال لان التفاوت في الدواعي ومع قيام الصادر محال فلا تميلوا كل الميل فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور
فتمنعوها قسمها ونفقتها وسائر حقوقها وحظوظها من غير رضا منها فتذروها كالمعلقة بين السماء والارض لا على قرار اي غير ذات بعل ولا مطلقة
والغرض النهي عن الميل الكلي مع جواز التفريط في العدل الكلي في نتائج الميل القلبي واما الميل القلبي فمعفو بالكل وبالبعض لان القلب بين اصبعين من اصابع الرحمن
هو بين اصبعين من اصابع الرحمن عن النبي ﷺ انه كان يقسم بين نسائه فيعدل فيقول اللهم هذا قسمي فيما املك فلا تاخذني فيما تملك ولا املك يعني المحبة لان عائشة
كانت احب اليه وعنه من كانت له امرأتان يميل مع احدهما جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل وان تصلحوا ما مضى من ميلكم وتداركوه بالتوبة وتتقوا فيما يستقبل
فان الله كان غفورا رحيما وان يتفرقا يغن الله كلا من كل واحد منهما زوجا خيرا من زوجه وعيشا اهنأ من عيشه وسعته الغنى والمقدرة وكان الله واسعا
من الرزق والفضل والرحمة والعلم واي كان يعرض هذا الاطلاق حكيما قال ابن عباس فيما حكم ووعظ قال الكلبي فيما حكم على الزوج من امساكها بمعروف
او تسريحها باحسان ثم قال ولله ما في السموات وما في الارض هو كالتفسير لسعة ملكه وملكه وبيان انه الذي امرهم بالعدل والاحسان الى اليتامى والنساء
لا لعجز او انتفاع واحتياج فانه لما ذكر انه الى المكلف لانه الاحسن لهم في دنياهم وعقباهم ثم بين ان الامر بتقوى الله شريعة قديمة لم يطعها نسخ بدل وان استغنائه
تعالى بالنسبة الى الامم السالفة كهو بالنسبة الى الامم الآتية فقال ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب اي جنسه ليشمل التوراة والانجيل والزبور وغيرها من
الصحف قوله من قبلكم اما ان يتعلق بوصينا او باوتوا وقوله واياكم عطف على الذين ومعنى ان اتقوا اي بان تكون ان المفسرة لان التوصية في معنى القول وان تكفروا
عطف على اتقوا اي امرناهم وامرناكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض هو خالقهم ومالكهم والمنعم عليهم باصناف النعم
كلها فحقه ان يكون مطاعا في خلقه غير معصي يخشون عقابه ويرجون ثوابه او قلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله ما في سمواته وارضه من الملائكة وغيرهم
من يوحده ويعبده ويتقيه وكان الله مع ذلك غنيا عن خلقه وعن عبادتهم حميدا في ذاته وان لم يحمده واحد منهم ثم كرر قوله ولله ما في السموات وما في الارض وكفى
بالله وكيلا تقريرا لانه اهل ان يتقى وتوكيدا للاستغناء عن طاعات المطيعين سيما المذنبين ثم بالغ في هذا المعنى بقوله ان يشأ يذهبكم ايها الناس
ايها الناس ويأت باخرين اي يوجد خلقا اخرين غير الانس او من جنس الانس وكان الله على ذلك الاعدام ثم الايجاد قديرا بليغ القدرة لم يزل موصوفا بذلك
بدل كل وفي الاية من التخويف والغضب لاهل الخطاب لا يخفى وقيل الخطاب للعرب والمراد باخرين فارس والروم يروى انها لما نزلت ضرب رسول الله ﷺ بيده
على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا يعني ابناء فارس ثم رغب الانسان فيما عند الله فقال من كان يريد ثواب الدنيا ولاخرة فما له يطلب الاخس والادنى
معا انه اذا طلب الاشرف حصل الاخس فالنفعم عند الله ثواب الدنيا والاخرة لمن اراده فيحصل ببعض الجزاء بالشرط وكان الله سميعا للاقوال المجاهدين العالمين

بان اتقوا

كالمعلقة ان الله هو الغني او انه ما يتقوا الله ثم قولوا

يبصر بمطامح عيونهم ومطارح ظنونهم بخيارهم على غيرهم لكنه تبيان لكمال سعادة الانسان في ان يكون قوله لله وفعله لله وحركته لله وسكونه لله فقال
يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط مجتهدين في اختيار العدل محترزين عن الجور بكمال الميل شهداء لله لوجهه ولأجل مرضاته كما امرتم باقامتها ولو كانت
تلك الشهادة وبالاعلى انفسكم او الوالدين والاقربين لانه يتوقع منهم من سلطان خلاف الوعيد وفي كلام الحكماء اذا كان الكذب ينجي فالصدق انجى
الاقرار على نفسه لانه في معنى الشهادة عليها بالزام الحق لها وانه يقول اشهد ان لفلان علي او على والدي كذا او على اقاربي كذا وانما قدم الامر بالقيام بالقسط على
الامر بالشهادة لله عكس قوله شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لان شهادة الله عبارة عن كونه خالقا للمخلوقات
وقيامه بالقسط عبارة عن رعاية قوانين العدل في تلك المخلوقات فالاول مقدم على الثاني واما في حق العباد فالعدل الزم مقدم على الشهادة تقدم الشرط
على المشروط ان يكن المشهود عليه غنيا او فقيرا فلا تكتموا الشهادة طلبا لرضى الغني او ترحما على الفقير فالله اولى بامورهما ومصالحهما وكان حق التسوية
ان لو قيل فالله اولى به لان المذكور احد هذين الا انه ثنى الضمير ليعود الى الجنسين كانه قيل فالله اولى بجنسي الغني والفقير اي بالاغنياء والفقراء بالنظر لهما
وارادة مصلحتهما ولولا ان الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها قال السدي اختصم الى النبي صلى الله عليه وسلم غني وفقير فكان ميله الى الفقير يرى ان الفقير لا يظلم
الغني فأبى الله الا ان يقوم بالقسط في الغني والفقير ونزلت الآية وقوله ان تعدلوا يحتمل ان يكون من العدل ومن العدول كانه قيل فلا تتبعوا الهوى كراهة
ان تعدلوا بين الناس او ارادة ان تعدلوا عن الحق واتباع الهوى فعلى هذا يراد ترك الهوى لاجل ان تعدلوا اي حتى تتصفوا بصفة العدالة لان العدل
عبارة عن ترك متابعة الهوى ومن ترك احد النقيضين فقد حصل له الآخر وان تلووا بواوين من لوى يلوي اذا فتل وبواو واحدة من الولاية والمعنى
وان تلووا السنتكم عن شهادة الحق وحكومة العدالة او تعرضوا عن الشهادة بما عندكم اصلا وليتم اقامة الشهادة او تركتموها واعلم انه لا انسان
لا يكون قائما بالقسط الا اذا كان راسخ القدم في الايمان فلهذا اردف ما ذكر بقوله يا ايها الذين آمنوا آمنوا وظاهره مشعر بالامر بتحصيل الحاصل
فالمفسرون ذكروا فيه وجوها الاول يا ايها الذين آمنوا في الماضي والحاضر آمنوا في المستقبل اي دوموا على الايمان واثبتوا الثاني يا ايها الذين آمنوا
تقليدا آمنوا استدلالا الثالث يا ايها الذين آمنوا استدلالا اجمالا آمنوا استدلالا تفصيلا الرابع يا ايها الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله
آمنوا بان كنه الله وعظمته وكذلك احوال الملائكة واسرار الكتب وصفات الرسل لا تنتهي اليها عقولكم الخامس قال الكلبي ان عبد الله بن سلام واسدا
واسيدا ابني كعب وثعلبة بن قيس وجماعة من مؤمني اهل الكتاب قالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه
من الكتب والرسل فانزل الله هذه الآية فآمنوا بكل ذلك وقيل ان المخاطبين هم المسلمون والتقدير يا ايها الذين آمنوا بموسى والتوراة وبعيسى والانجيل
آمنوا بمحمد والقرآن وبجميع الكتب المنزلة من قبل لا ببعضها فقط لان طريق العلم بصدق النبي هو المعجز وانه حاصل في الكل وقيل الخطاب لليهود والنصارى
او يا ايها الذين آمنوا باللسان آمنوا بالقلب وهم المنافقون او يا ايها الذين آمنوا باللات والعزى آمنوا بالله وهم المشركون والمراد بالكتاب الذي انزل من قبل
جنسه فان قيل لم ذكر في مراتب الايمان امورا ثلاثة الايمان بالله وبالرسول وبالكتب وذكر في مراتب الكفر امورا خمسة اجيب بان الايمان بالثلاثة يلزم الايمان
بالملائكة وباليوم الآخر لكنه ربما ادعى الانسان انه يؤمن بالثلاثة ثم انه ينكر الملائكة واليوم الآخر لتأويل فاسد فلما كان هذا الاحتمال قائما
نص على ان منكر الملائكة والقيامة كافر بالله فان قيل لم قدم في مراتب الايمان ذكر الرسول على ذكر الكتاب وفي مراتب الكفر عكس الامر اجيب بان الكتاب
مقدم على الرسول في مرتبة النزول من الخالق الى الخلق واما في العروج فالرسول مقدم على الكتاب [illegible] الرسول الاول هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والرسل عام لم يعم
فلم خص ذكره او لا للتشريف [illegible] ثم بين حال [illegible] الايمان والثبات عليه بين حال طريق من يكفر بعد
الايمان فقال ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا والمراد الذين يتكرر منهم الكفر بعد الايمان مرات واطوارا فان القائل
[illegible] المراد بيان العدد بل المراد ترددهم وتحيرهم على ذلك وقيل اليهود آمنوا بالتوراة وبموسى ثم كفروا بعزير ثم آمنوا بداود ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا
كفرا عند مقدم محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم المنافقون اظهروا الاسلام ثم كفروا بنفاقهم وكون باطنهم على خلاف ظاهرهم ثم اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا
الى شياطينهم قالوا انا معكم ثم ازدادوا كفرا بجدهم واجتهادهم في استخراج وجوه المكايد في حق المسلمين وقيل هم طائفة من اهل الكتاب قصدوا تشكيك
المسلمين فكانوا يظهرون الايمان تارة والكفر اخرى على ما اخبر الله تعالى عنهم انهم قالوا آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم
يرجعون ثم انهم بالغوا في ذلك حتى ازدادوا الى حد الاستهزاء والسخرية بالاسلام وفي الآية دلالة على انه قد يحصل الكفر بعد الايمان وذلك يبطل مذهب القائلين
بالموافاة وهو ان شرط صحة الاسلام [illegible] على الاسلام وهم يجيبون عن ذلك بانا نحمل الايمان على اظهار الايمان وفيها ان الكفر يقبل الزيادة
والنقصان فيجب ان يكون الايمان كذلك لانهما ضدان متنافيان فاذا قبل احدهما التفاوت فكذا الآخر وكيف يزاد كفرهم مع [illegible] انهم ما تابوا عن كفرهم
[illegible] بسبب [illegible] كفرهم وعلى هذا فاستيلاء الطاغوت [illegible] الايمان يكون [illegible] الايمان [illegible] استهزاؤهم بالدين [illegible]
لم يكن الله ليغفر لهم [illegible] اللام [illegible] النفي [illegible] على [illegible]
النفي ثم [illegible] الكفر قبل التوبة [illegible] على الاطلاق [illegible] الشرائط المذكورة في الآية [illegible] بعد التوبة مغفور ولو بعد الف مرة فكيف [illegible]
النفي واجيب بان اللام في الذين [illegible] انهم يموتون على الكفر ولا يتوبون عنه قطعا [illegible] لم يكن الله ليغفر لهم اخبار عن موتهم
على الكفر او اللام للاستغراق [illegible] الكلام على الغالب المعتاد وهو ان من كان مضطربا [illegible] كثير الانتقال من الاسلام الى الكفر لم يكن الايمان في قلبه

دفع وتحشيشهم فالظاهر من حال مثله انه يموت على الكفر فليس المراد انهم لو آمنوا بالايمان الصحيح لم يكن معتبرا بل المراد منه الاستبعاد والاستغراب كالفاسق
يتوب ثم يرجع ثم يتوب ثم يرجع فانه لا يرجى منه الثبات والغالب انه يموت على الفسق ولا ليهديهم سبيلا اى الى الايمان عند الاشاعرة وعند المعتزلة
الى الجنة او محمول على المنع من زيادة الالطاف بشر المنافقين بان لهم كقولهم عذابك السيف وتحية الضرب ايبتغون عندهم العزة كان المنافقون يوادّون
اليهود اعتقادا منهم ان محمدا لا يتم وكانوا يتمنون بودهم ويحصل لهم بهم قوة وغلبة فخيب الله املهم بقوله فان العزة لله جميعا وعز الله يستتبع عز الرسول
والمؤمنين كقوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين جميعا حال من العزة اى مجموعة قال المفسرون ان المشركين كانوا بمكة يخوضون فى ذكر القران فى مجالسهم
فيستهزؤن به ويعيبون لديهم المسلمون ولا يبالون بهم بالانكار عليهم فامر الله تعالى واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث
غيره وكان احبار اليهود بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين يجالسهم بعض المنافقين فانزل الله تعالى فى هؤلاء المنافقين وقد نزل عليكم فى الكتاب يعنى اية
الانعام ان اذا سمعتم آيات الله هى المفعول من النسبة وضمير الشان مقدر والمعنى اذا سمعتم آيات الله حال كونها يكفر بها ويستهزء بها وقال الكسائى المعنى
اذا سمعتم الكفر بآيات الله ويستهزء بها والاستهزاء بها ولكن اوقع فعل السماع على الآيات كما يقال سمعت عبد الله يلام وفيه نظر لان ايقاع فعل السماع
على الآيات يمكن بخلاف ايقاعه على عبد الله انكم اذا مثلهم مثل الاحبار فى الكفر وان هيهنا ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك
لم يذكر بعدها الفعل اى انكم تكونون مثلهم واذا مثلهم لا اهانة ومعنى المقصد نحو من ليس بقرن متلثا ومجمع قوله تعالى لا يكونوا امثالكم وانما لم يحكم بكفر
المسلمين بمكة لمجالسة المشركين الخائضين وحكم بنفاق هؤلاء بالمدينة لمجالسة احبار اليهود الخائضين لان مجالسة اولئك المسلمين كانت للضرورة فى وقت
ضعف الاسلام ولم يعهد فيه مجالسة هؤلاء المنافقين كانت تخوفا للاحبار وقوة الاسلام وبعد فقعدنا النهى قال اهل العلم فى الاية دليل على ان من رضى
بالكفر فهو كافر ومن رضى بمنكر يراه وخالط اهله وان لم يباشر كان شريكهم فى الاثم ثم حقق كون المنافقين مثل الكافرين بقوله ان الله جامع المنافقين
والكافرين فى جهنم جميعا يعنى القاعدين المقعود معهم والضمير فى معهم يعود الى الكافرين المستهزئين بدلالة لفظ يكفر بها ويستهزء بها واذا جامع بالتنوين
لانه بعد ما جعلهم ولكن حذف التنوين تخفيفا فى اللفظ والمعنى انهم كما اجتمعوا على الاستهزاء بآيات الله فى الدنيا فكذلك يجتمعون فى عذاب جهنم يوم
القيمة ومثله قوله المرء مع من احب الذين يتربصون بكم منتظرون بكم ما يحدث لكم من نصر او اخفاق فان كان لكم فتح من الله ظفر على اليهود قالوا الم نكن معكم
مظاهرين فاسهموا لنا فى الغنيمة وان كان للكافرين اى اليهود نصيب سيئا ما فى الظاهر قالوا الم نستحوذ عليكم الحوذ السوق السريع والاستحواذ
الغلبة وهذا جاء بالواو على اصله كما جاء استروح واستصوب فى الاية وجمعا الا نغلبكم ونتمكن من قتلكم واسركم ثم لم نفعل شيئا من ذلك و
نمنعكم من المؤمنين بان بثطنا هم عنكم وما توا ضيبا لنا مما اصبتم التابعين اولئك الكفار كانوا هموا بالتحول الى الاسلام ثم ان المنافقين تزرهم
واطمعوهم انه سيضعف امر محمد ويموتى امركم فالمراد انا غلبنا كم على رايكم فى التحول الى الاسلام ومنعناكم منه وارشدناكم الى مصلحتكم فادفعوا
الينا نصيبا مما وجدتم وفى تسمية ظفر المؤمنين فتحا وظفر الكافرين نصيبا تثبيت للمؤمنين وتعظيم لما هم عليه من الدين وتحقير لشان الكافرين وتوهين
لامرهم فكان ظفر المسلمين امرا عظيما يفتح لهم ابواب السماء حين ينزل على اولياء الله وظفر الكافرين حظ دنى ينقضى ولا يبقى منه الا الذم فى الدنيا والعقاب
فى الاخرة فالله يحكم بينكم يوم القيمة اى بين المؤمن والمنافق والغرض انه تعالى ما وضع السيف على المنافقين فى الدنيا ولكن اخر عقابهم الى يوم القيمة
ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا قال على وابن عباس المراد فى الدنيا ولكن بالحجة اى حجة المسلمين غالبة على حجة الكل وقيل فى الاخرة وقيل
عام فى الكل والشافعى بنى عليه مسائل منها ان الكافر اذا استولى على مال المسلم واحرزه الى دار الحرب لم يملكه بدليل هذه الاية ومنها ان الكافر ليس له
ان يشترى عبدا مسلما ومنها ان المسلم لا يقتل بالذمى والله تعالى اعلم التاويل النفس للروح كالمرأة للزوج وبناء على النساء صفات النفوس وما كتبهن مما
وجب الله للمنفوس من الحقوق وحاصل المعنى ان نفسك مطيتك فارفق بها والى الاشارة بقوله والصلح خير واحضرت الانفس الشح فالروح
يشح بذلك حقوق الله والنفس تشح بحظوظها فلا تميلوا كل الميل بقرض حظوظ النفس فتذروها كالمعلقة بين العالم العلوى والعالم السفلى وان
يتفرقا اى الروح والنفس فالروح يجذبه بجذبة تعسك تعالى يغن الله كلا من سعته عن الله عالم هو بنية يستغنى عن مركب النفس بالوصول الى المقصود والنفس
يبعد بها عن الروح بجذبة ارجعى الى ربك الى مقر هو الله فى عالم فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى يا ايها الذين آمنوا آمنوا للايمان ثلث مراتب اما العوام
ان يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالبعث والجنة والنار والقدر وهذا ايمان غيبى واما ايمان الخواص وهو انه اذا تجلى للعبد بصفة من صفاته
خضع لجميع اعضائه وجوهه فآمن بالكلية وهذا ايمان عيانى واما ايمان الاخص فهو بعد رفع الحجب بانه حين افناه بصفة الجلال وابقاه بصفة الجمال فلم
تزل الاينية وتبقى فى العين فهذا ايمان عيانى الذين آمنوا اى بالتقليد ثم كفروا اذ لم يكن للتقليد اصل ثم آمنوا بالاستدلال العقلى ثم كفروا اذ لم يكن عقولهم
منورة بالنور الالهى ثم ازدادوا كفرا بالشبهات والاعتراضات لم يكن الله ليغفر لهم اذ لم يكن عندهم بنور عند الرش لا لهديهم سبيلا اليوم لان الله
لا يخطى بشر المنافقين اى بشرهم بانا نسلم من جوهر الكفار وهذا الذين يتخذون الكافرين اولياء قال ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم
ابتلاهم فيهنا بنعمة فشار فانزلهم وكما يعيشون يموتون وكما يموتون يحشرون فى بدرستيكه منافقان فريب ميدهند خدارا وحال آنكه او فريب دهنده ايشانست
وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلٰوةِ قَامُوا كُسَالٰى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللّٰهَ إِلَّا قَلِيلًا مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذٰلِكَ لَا إِلٰى

ع

مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ

نه بسوی اینان ونه بسوی آن گروه وهر که را گمراه کند خدا پس نیابی از برای او راهی ای گروه آنان که گرویده‌اید فرا مگیرید کافران را دوستان از غیر

الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ۝ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ

مؤمنان آیا میخواهید که قرار دهید از برای خدا بر شما تسلطی هویدا بدرستی که منافقان در طبقه پایین از آتش اند ونیابی

لَهُمْ نَصِيرًا ۝ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ

از برای آنها یاوری بجز آنها که توبه کردند ونیکو کردند وچنگ زدند بخدا وپاک کردند دین خودشان را از برای خدا پس آنها با مومنانند وزود است

يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۝ مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ۝ لَّا يُحِبُّ

بدهد خدا گروندگان را مزدی بزرگ چه میکند خدا بعذاب شما اگر سپاس کنید وگرویده باشید وهست خدا شکر پذیرنده دانا دوست ندارد

اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ۝ إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ

خدا آشکار کردن بدی را از گفتار مگر آنکه ستم کرده شد وهست خدا شنونده دانا اگر ظاهر کنید نیکی را یا پنهان کنید آنرا یا درگذرید از بدی

فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ۝ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ

پس بدرستی که خدا هست درگذرنده توانا بدرستی آنها که کافر شوند بخدا وپیغمبرانش ومیخواهند که جدائی اندازند در میان خدا وپیغمبرانش ومیگویند

نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا

میگرویم بپاره وکافر شویم بپاره ومیخواهند که در پیش گیرند در این میانه راهی را آن گروه ایشانند کافران براستی ومهیا کردیم

لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ۝ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ

از برای کافران عذابی خوار کننده وآنان که گرویدند بخدا وپیغمبرانش وجدائی نینداختند در میان یکی از آنها آن گروه زود است که بدهد ایشان را

أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝ القراءة في الدرك بسكون الراء حمزة وعلي وخلف وعاصم غير الاعشى البرجمي يؤتيهم بالياء سهل

مزدهاشان را وهست خدا آمرزنده مهربان وعباس الباقون بالنون لو قوعنا دعهم لعطف المختلفين كسائي لانه اراد معنى قبلها

بناء على ان مذبذبين نصب على الذم والاتباع حالا اي يرادون مذبذبين بين ذلك وقف حلي نقلبر لا ابتداء اي لا هم الي هولاء ولا الي هولاء والاوجه انه بيان الذبذبة

اي لا منسوبين الي هولاء ولا هولاء الثانية سبيلا من دون المؤمنين مبينا من النار لا ابتداء النفي مع العطف بغير الاستثناء مع المؤمنين عظيما وآمنتم

عليما الجزء السادس ظلم عليما قديرا بعض للعطف سبيلا لان ما بعد خبران وقيل ان الخبر محذوف اي هلكوا او وما بلوه مستأنف حقا لاحتمال ان ما بعده

لعطف الاستئناف ههنا اجورهم رحيما التفسير قال الزجاج اي يخادعون رسول الله اي يظهرون له الايمان ويبطنون الكفر كقوله ان الذين يبايعونك

انما يبايعون الله وهو خادعهم اسم فاعل من خادعته فخدعته اذا غلبته وكنت اخدع منه قال ابن عباس يعطيهم نورا كما يعطي المؤمنين فاذا وصلوا

الى الصراط انطفى نورهم وبقي نور المؤمنين فينادون انظرونا نقتبس من نوركم وباقي تفسير الخداع تقدم في اول البقرة كسالى جمع كسلان كسكارى

في سكارى اي يقومون متثاقلين متباطئين متقاعسين كما ترى من يفعل شيئا على كره لا عن طيب نفس ورغبة وهو معنى الكسل والسبب في ذلك

انهم يتبعون بها في الحال لا يرجون من فعلها ثوابا ولا يخافون من تركها عقابا يراءون الناس اي لا يقومون الى الصلوة الا لاجل الرياء والسمعة

ومعنى المفاعلة في الرياء ان المرائي يري الناس عمله وهم يرونه استحسان ذلك العمل او فاعل ههنا بمعنى فعل بالتشديد كقولك نعمه وناعمه ولا يذكرون الله

اي لا يصلون الا قليلا لانه يمتنع لم يكن معهم احد من الاجانب لا يصلون واذا كانوا مع الناس عند وقت الصلوة يتكلفون حتى يصيبوا غائبين عن

اعين الناس فان لم يجدوا منه مخرجا يصلون وقيل انهم في صلوتهم لا يذكرون الله الا قليلا وهو الذي يظهر مثل التكبير انما الذي يخفى وهو القراءة

والتسبيحات فهم لا يذكرونها وقيل انهم لا يذكرون الله في جميع الاوقات الا ذكرا قليلا في النادرة كما ترى من بعض المتهاونين بامور الدين لو صحبته ايام وليالي

لم تسمع منه تهليلة ولا تسبيحة ولا تحميدة ولكن حديث الدنيا يستغرق اوقاته ويجوز ان يراد بالقلة العدم قال قتادة وانما قل لان الله لا يقبل صلوتهم لكنه

ما رده الله فكثير وقليل ما قبله الله فقليله كثير ومعنى مذبذبين مرددين بين ذلك بينهم الشيطان والهوى وحقيقة المذبذب الذي يذب عن كلا الجانبين اي يذاد ويدفع

فلا يقر في جانب واحد الا ان الذبذبة فيها تكرير ليس في الذب كان المعنى كلما مال الى جانب ذب عنه وقرأ ابن عباس مذبذبين بالكسر اي يذبذبون قلوبهم او دينهم او ذاتهم

وعن ابي جعفر متذبذبين بمعنى التجرد والمعنى اضطربوا ثم بين ذلك ثانية في تذبذب الطريقة ومعنى بين ذلك اي بين الكفر والايمان لان ذكر الكافرين والمؤمنين

يدل على الكفر والايمان وذلك قد يشار به الى اثنين كقوله عوان بين ذلك واعلم ان السبب في التذبذب هو ان الفعل يتوقف على الداعي فاذا كان الداعي

الى الفعل هو الاغراض المتعلقة باحوال هذا العالم والمتناسبة انه متغير لزم وقوع التغير في الميل والرغبة واذا تعارضت الدواعي والصوارف بقي الانسان

في الحيرة والتردد اما من كان مطلوبه في فعله امتثال الخبر الصادر عن الباقي والكمالات الباقية الثابتة ثم ان تلك المطالب موافقة لحياته عن التغير والزوال

لا جرم كان هذا الانسان ثابتا في ايمانه راسخا في شانه وهذا المعنى وصف اهل الايمان بالثبات يثبت الله الذين امنوا الا بذكر الله تطمئن القلوب

يا ايتها النفس المطمئنة ثم انه تعالى نهاهم عن ان يتخذوا طريقة المؤمنين وطريقة الكفار مع الذم على ان طريقة الكفار غير جائزة اما فمحصل الذم لانهم على الوا

عن الكفر الى ما هو اخبث وهو طريقة النفاق ولهذا اورد منهم على لفظ الفاعل وورد من قوله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا
الكافرين اولياء اي لا تتشبهوا بالمنافقين في اتخاذهم اليهود وغيرهم من اعداء الاسلام اولياء وهو نهي للمؤمنين عن موالاة المنافقين والكفار اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا
ومعنى سلطانا حجة بينة على النفاق لان موالاة المنافق منافق لا محالة ومن قوله ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار الدرك بالفتح والسكون لغتان والدرك والدرك
ومع ذلك وصف بالاسفل ودركات النار منازلها وبهذا تبين ان المنافق في غاية البعد وعن ابن مسعود رضي الله عنه انها توابيت من نار تطبق عليهم وانما كان
الاسفل اشد العذاب لقوله تعالى ادخلوا آل فرعون اشد العذاب قيل ان النار سبع دركات سميت بذلك لانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض
قال ابو حاتم جمع الدرك ادراك كفرس وافراس وجمع الدرك ادرك كفلس وافلس ثم قال ولن تجد لهم نصيرا يخلصهم مما هم فيه ثم استثنى فقال الا الذين تابوا من
الجملة لانه ذكر في معرض الزجر عن النفاق فلو حصل فيه التشفع من علم النفاق لم يبق هذا زجرا عن النفاق ثم استثنى منهم
التائبين وشرط امورا اربعة اولها التوبة وثانيها اصلاح ما افسدوا من اسرارهم وثالثها الاعتصام بدين الله ورابعها الاخلاص لانه اذا كان مطلوبه جلب
المنافع ودفع المضار تغير عن التوبة واصلاح العمل بها اما اذا كان مطلوبه مرضاة الله وسعادة الآخرة والاعتصام بحبل الله بقي على هذه الطريقة ولم ينقطع عنها
وعند حصول الشرائط قال فاولئك مع المؤمنين ولم يقل فهم مؤمنون تشريفا للمؤمنين انهم متبوعون فالمنافقون بعد الشرائط تبع لهم ثم بين وعد المؤمنين
بقوله وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما ليشمل المنافقين التائبين بالتبعية ثم برهن على ان فائدة الايمان والعمل الصالح انما ترجع على المكلفين
فقال ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم لان تعذيبه الملوك بعض الرعية انما يكون للتشفي من الغيظ او للادراك الثار او لطلب المنافع ودفع
المضار وامثال هذه الامور في حقه تعالى محال انما المقصود حمل المكلفين على فعل الحسن وترك القبيح لينالوا السعادة العظمى من امتثل واطاع فكيف يليق
بكرمه تعذيبه قالت المعتزلة هذا صريح في انه تعالى لم يخلق احدا لغرض التعذيب وفي ان فاعل الشكر والايمان هو العبد والا لصار التقدير ما يفعل الله بعذابكم
ان خلق الشكر والايمان فيكم ومعلوم ان هذا غير منتظم والجواب مسلم انه تعالى غير مستحق بالتعذيب لذاته لا لذاته لكن وضع البعض في مظاهر اللطف
والبعض في مظاهر القهر ضروري كالسعي وانتهاء الكل الى الله تعالى من خلقه تكوينه ضروري بواسطة او بغير واسطة ومن اللطيفة الى انه لا يعذبكم ان كنتم
مثلا للطف هذا كلام في غاية الحسن قال في الكشاف وانما قدم الشكر على الايمان لان العاقل ينظر اولا الى النعمة فيشكر شكرا مبهما ثم اذا انتهى به النظر
الى معرفة المنعم آمن به ثم شكر شكرا مفصلا ولو قلت ان الواو لا تقتضي الترتيب فالسؤال ان كانت للترتيب فلعل انما قدم الشكر في هذه الآية خلافا لاكثر الآيات التي قدم الايمان
فيها على العمل الصالح لان الآية مسوقة في تعريض المنافقين لم يقع نزاع في ايمانهم ظاهرا وانما وقع النزاع في بواطنهم وانما لم يصدر منهم صدقا
للقول والسلوك وكان تقديم الشكر ههنا اهم لانه عبارة عن صرف جميع ما اعطاه الله تعالى فيما خلق لاجله حتى يكون افعاله واقواله على نهج السداد وسنن
الاستقامة وكان الله شاكرا اثبت له الشكر مع تنزهه عن الشكر شكرا وفيه انه يجزي على العمل القليل ثوابا كبيرا عليما بالكليات والجزئيات من غير غلط
ونسيان فيوصل جزاء الشاكرين اليهم كما يليق بجلاله كما يليق بكرمه وسعة فضله وعظمته ثم انه سبحانه لما هتك ستر المنافقين وفضحهم وكان هتك الستر غير
الكرم والحكمة امر بكف ما يجري مجرى العذر عن ذلك فقال لا يحب الله الجهر بالسوء الا من ظلم انه لا يحب اظهار الفضائح الا في حق من ظلم وهم المنافقون الذين ظلموا
المنافقين بكيدهم ومن عادة ان المنافق اذا تاب واصلح لم يكن لحد من تعيير المسلمين اياه على ما صدر في السالف منه ثم ان تعيير بعد التوبة امر غير
وانه تعالى لا يرضى به الا من ظلم بعيد عن ذلك عاد الى نفاقه قالت المعتزلة في الآية دلالة انه تعالى لا يريد من عباده فعل القبائح لان محبة الله عبارة عن ارادته
وقالت الاشاعرة المحبة عبارة عن ايصال الثواب على الفعل وعلى هذا يصح ان يقال انه تعالى يريده ومما يحتج قال اهل العلم انه لا يحب الجهر بالسوء ولا غير الجهر ولكنه ذكر
هذا الوصف لان كيفية الواقعة اوجبت ذلك كقوله اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا والتبين واجب في الظعن والاقامة اما قوله الا من ظلم فالاستثناء منه متصل
او منقطع وعلى الاول قال ابو عبيدة تقديره الا جهر من ظلم فحذف المضاف وقال الزجاج الجهر بمعنى الجاهر اي لا يحب الله الجاهر بالسوء الا من ظلم وعلى الثاني فالمعنى
لكن المظلوم له ان يجهر بظلامته وماذا يفعل المظلوم قال ابن عباس له ان يجهر بالدعاء على من ظلمه قال مجاهد له ان يخبر بظلم ظالمه قال الاصم
لا يجوز اظهار الاحوال المستورة المكتومة لان ذلك صار سببا لوقوع الناس في الغيبة والريبة لكن ظلمه ان يظهر ظلمه بان يذكر انه سرق او غصب قال الحسن له ان ينتصر من ظالمه وعن مجاهد
ان ضيفا تضيف قوما فاساؤوا قراه فاشتكاهم فنزلت الآية وعن الضحاك ان رجلا شتم ابا بكر والنبي صلى الله عليه وسلم حاضر فسكت ابو بكر مرارا ثم رد عليه فقام النبي فقال ابو بكر شتمني وانت جالس فلما رددت عليه قمت قال ان ملكا كان يجيب عنك فلما رددت عليه ذهب الملك وجاء الشيطان فلم
منقطع في ما قبله اي لكن من ظلم فدعوه وخلوه وقال الفراء والزجاج معناه لكن من ظلم فله ان يجهر بالسوء من القول وكان الله سميعا عليما فلا يتقي الله فلا
يقل الا الحق ولا يقذف مستورا ثم حث على العفو بقوله ان تبدوا خيرا او تخفوه وهو اشارة الى ايصال النفع او تعفوا عن سوء وهو اشارة الى دفع الضرر
وعلى هذين يدور المعاشرة مع الخلق فان الله كان عفوا قديرا قال الحسن يعفو عن الجاني مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنة الله وقيل عفوا
لمن عفا قديرا على ايصال الثواب اليه وقال الكلبي معناه ان الله اقدر على عفو ذنوبك منك على عفو صاحبك وفي الخبر ان ابا بكر شتمه رجل فسكت مرارا
ثم رد عليه فقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر شتمني وانت جالس فلما رددت عليه قمت قال ان ملكا كان يجيب عنك فلما رددت عليه ذهب الملك وجاء الشيطان فلم
اجلس عند مجيء الشيطان ثم انه سبحانه تكلم بعد ذكر احوال المنافقين في مذاهب اليهود والنصارى وما بالغيهم فمن ذلك انواع الاول ايمانهم ببعض الانبياء
دون بعض فقال ان الذين يكفرون بالله ورسله يعني سلك من يفرقون بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض يعني النبوات فهم
الذين يريدون ان يفرقوا بين الله ورسله في الايمان بهم والكفر بالرسل لان ذلك ان اليهود آمنوا بموسى والتوراة وكفروا بعيسى والانجيل ومحمد

وهو الاصل

والقرآن والنصارى آمنوا بعيسى والإنجيل وكفروا بمحمد والقرآن فآمنوا ببعض الأنبياء وكفروا بالبعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك أي بين الإيمان بالكل وبين الكفر بالكل سبيلا أي واسطة أولئك أي الطوائف الثلث هم الكافرون أما الطائفة الأولى فكفرهم ظاهر وأما الثانية فلأن تكذيب الأنبياء وإنكارهم يستلزم تكذيب الله إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله وأما الطائفة الثالثة فلأن الدليل الدال على نبوة بعض الأنبياء هو المعجز ويلزم منه حصول النبوة حيث حصل المعجز فالقدح في بعض من ظهر على يده المعجز مع القدح في كل نبي فقيل هب أنه يلزمهم الكفر بكل الأنبياء ولكن ليس إذا توجه الإلزام على إنسان لزم أن يكون ذلك الإنسان قائلا به فإلزام الكفر غير التزام الكفر فالجواب أن الإلزام إذا كان خفيا بحيث يحتاج فيه إلى تفكر وتأمل فالأمر كما ذكرتم أما إذا كان جليا فإنه لم يبق بين الإلزام والالتزام فرق وانتصاب حقا على أنه صفة مؤكدة لغيره كقولك هذا عبد الله حقا أي أخبرنا بهذا المعنى إخبارا حقا وقيل المراد هم الكافرون كفرا حقا وطعن الواحدي فيه بأن الكفر لا يكون حقا بوجه من الوجوه وأجيب بأن الحق هنا هو الكامل الثابت ثم ختم النوع بوعد المؤمنين ومعنى لم يفرقوا بين أحد بين اثنين منهم أو جماعة لأن أحدا في سياق النفي يعم المتعدد ومعنى سوف توكيد الوعد لا التأخير ولهذا قال سيبويه لن أفعل نفي سوف أفعل فالمعنى أن إيتاء الأجور كائن لا محالة وإن تأخر وبالتأويل المنافقين يخادعون الله في الدنيا إذا الله خادعهم في الآخرة حين ... ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم نعم الله عليكم وآمنتم أنفسكم من عذابه لا يحب الله الجهر بالسوء من القول من العوام ولا من المحدث بالنفس من الخواص ولا من الخواطر من الأخص إلا من ظلم إلا ما يتغلب دواعي البشرية من غير اختيار ولو بابتلاء من مضطر أو دائم لا يحب الله الجهر بالسوء من القول بإفشاء سر الربوبية وإظهار مواهب الألوهية أو بكشف القناع من مكنونات الغيب مضنونات غيب الغيب إلا من ظلم بغلبات الأحوال وتواتر كؤوس الجلال والجمال فاضطر إلى المقال فقال بالتلبث الباقي لا بالتلبث الفاني أنا الحق وسبحاني إن تبدوا خيرا ما كوشفتم من أنا الحق بتبيينها للخلق أو أمره بالحق أو تخفوه صيانة لنفوسكم عن آفات الشوائب بنظائرها على المشارب أو تعفوا عن سوء فابدعوا البشرية النفس لا تأذه أو تركوا إعلان فاحمل الله إظهاره سوا فإن الله كان عفوا منكون عفوا متخلقا بأخلاقه إن الذين يكفرون فيه إشارة إلى أن الإيمان لا يتبعض وإن كان يزيد وينقص مثاله شعاع الشمس إذا دخل كوة البيت يزيد وينقص بحسب سعة الكوة وضيقها ولكن لا يمكن تجزيتها بحيث يؤخذ جزء منه ويجعل في شيء آخر عن هذا ذي الشمس والله تعالى أعلم

يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ

میخواهند از تو اهل کتاب که فرود آوری برایشان کتابی را از آسمان پس بتحقیق خواستند از موسی بزرگتر

مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ

از این پس گفتند که بنمای بما خدا را آشکارا پس گرفت ایشان را صاعقه بستم ایشان پس گرفتند گوساله را از پس آن که آمد بایشان معجزات

فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ۝ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ

پس درگذشتیم از این و دادیم ما موسی را پادشاهی هویدا و بالا بردیم در فوق ایشان کوه طور را بجهت پیمان ایشان و گفتیم بایشان که در آیید

سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ۝ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم

سجده کنان و گفتیم مر ایشان را که تعدی مکنید در روز شنبه و گرفتیم از ایشان پیمانی درشت پس بجهت شکستن ایشان پیمان خود را و کافر شدن

بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ

بآیات خدا و کشتن ایشان پیغمبران را بدون سزاواری و گفتن ایشان که دلهای ما در پرده است بلکه مهر نهاد خدا بر آنها بواسطه کفرشان پس ایمان نیارند

إِلَّا قَلِيلًا ۝ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ۝ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ

مگر کمی و بجهت کفرشان و گفتارشان بر مریم بهتانی بزرگ را و گفتارشان که ما کشتیم مسیح را پسر مریم پیغمبر

اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ

خدا و نکشتند او را و بدار نکشیدند او را و لکن مشتبه شد بایشان و بدرستی که آنها که اختلاف کردند در او هر آینه در شکند از آن نیست ایشان را بآن دانشی

إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۝ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ

بجز پیروی کردن گمان و نکشتند او را در واقع بلکه بالا برد او را خدا بسوی خود و هست خدا غالب درستکردار و نیست از اهل کتاب

إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ۝ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ

مگر ایمان آورد بآن پیش از مرگش و در روز قیامت میباشد برایشان گواه پس بجهت ظلم از آنها که یهود شدند حرام کردیم برایشان

طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ۝ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ

پاکیزه‌هایی که حلال بود برایشان و بجهت بازداشتن ایشان از راه خدا بسیار را و گرفتن ایشان ربا را و حال آنکه بازداشته شدند از آن و خوردن ایشان مالهای مردم

بِالْبَاطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ لَّٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا

بباطل و مهیا کردیم از جهت کافران از ایشان عذابی دردناک لیکن استواران در علم از ایشان و مؤمنان که ایمان دارند بآنچه

أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ۚ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

فرود آورده شد بسوی تو و آنچه فرود آورده شد پیش از تو و برپا دارندگان نماز و دهندگان زکوة و ایمان آورندگان بخدا و روز آخر

ع

أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ۞ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ

آنگروه زود دهیم ایشانرا مزدی بزرگ بدرستی که وحی فرستادیم بتو چنانکه وحی فرستادیم بسوی نوح و پیغمبران که بعد از او بودند و وحی فرستادیم بسوی ابراهیم

وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا

و اسمعیل و اسحق و یعقوب و نبیرگان و عیسی و ایوب و یونس و هرون و سلیمان و دادیم داود زبور را

وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا رُسُلًا

و پیغمبرانرا که حکایت کردیم ایشانرا بر تو از پیش و پیغمبرانرا که حکایت نکردیم ایشانرا بر تو و گفتگو کرد خدا موسی را گفتگو کردنی پیغمبرانرا

مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا لَٰكِنِ اللَّهُ

مژده دهندگان و ترسانندگان تا آنکه نبوده باشد مردم را بر خدا حجتی پس از پیغمبران و میباشد خدا غالب استوار لکن خدا

يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا

گواهی دهد بآنچه فرستاد بسوی تو فرستاد او را بدانش خود و فرشتگان گواهی دهند و بس است خدا گواه بدرستی که آنانکه کافر شدند و باز داشتند

عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ

از راه خدا بدرستی که گمراه شدند گمراهی دوری بدرستی که آنانکه کافر شدند و ستم کردند نیست خدا که بیامرزد مر ایشانرا و نه راه نماید ایشانرا

طَرِيقًا إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا القراءة لا تعدوا بتشديد الدال مع سكون

راهیرا مگر راه دوزخ جاویدان در آن همیشه و میباشد این بر خدا آسان العين ابو جعفر و نافع غير ورش و قرأ ورش

مفتوحة العين مشددة الدال بل طبع بالادغام علي و هشام و ابو عمرو عن حمزة بل طبع مظهرا و بابه الحلوانی عن قالون سيؤتيهم حمزة و خلف و قتيبة الباقون بالنون زبورا بضم الزاي حيث كان حمزة و خلف الباقون بالفتح الوقوف عظيما ج لان ثم لم يتبع الاختيار مع ان مراد الكلام مقصور على ذلك لانا لو قدرنا انبياء عليهم لا يطلق قليلا للعطف عظيما لان التقدير في قولهم رسول الله لان ما بعدها يحتمل ابتداء النفي والحال شبه لهم منه الظن لاحتمال الا تبعن والحال بقينا التقدير نفي القتل باثبات الرفع اليه حكيما مثل موته لان الواو للاستيناف مع اتحاد المقصود شهيدا للابتداء لان قوله فبظلم راجع الى قوله فبما نقضهم و قولهم منقلة الكل جرمنا كثيرا بالباطل اليما و اليوم الآخر عظيما من بعده للعطف مع تكرار الفعل و سليمان لان التقدير و قد آتينا لتخصيص داود بانباء الزبور زبورا لان التقدير و قصصنا رسلا عليك تكليما لاحتمال البدل الى النصب على المدح الرسل حكيما بعلمه لاحتمال ما بعده الاستيناف والحال يشهدون شهيدا بعيدا طريقا ابدا يسيرا التفسير هذا نوع ثالث من جهالات اليهود فانهم قالوا ان كنت رسولا من عند الله فائتنا بكتاب من السماء جملة كما جاء موسى بالالواح و قيل اقترحوا ان ينزل عليهم كتاب الى فلان و كتاب الى فلان بانه رسول الله و قيل كتابا معاينة حين نزل فانما استكبرته فقد سألوا بمعنى مثل آبائهم و من هؤلاء على مذهبهم موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة و انما كان سؤال الرؤية اكبر من سؤال تنزيل الكتاب لان التنزيل امر ممكن فانه يجوز ان يؤتيهم الله كتابا فاما هذا ممتنع لذاته عند المعتزلة او ممتنع في الدنيا عند غيرهم و في قوله من بعد ما جاءتهم البينات دليل على ان البينات المتقدمة لا تدل على قدرة الله تعالى و على علمه و على قدمه و على كونه مخالفا للاجسام و الاعراض و على صدق موسى في دعوى النبوة و ان اثبتها انزال الصاعقة اجابة و هم عبدوا مانهم فتلها ثم انها الاثبات المنع من تقصد المبدع و علو المبدع و غيرها فحوى الكلام ان هؤلاء يطلبون منك يا محمد ان تنزل عليهم كتابا من السماء فاعلم انهم لا يطلبونه منك للاسترشاد و لا جاءهم موسى فلم يعلمهم هذا الكتاب لم يعلمه سائر المعجزات القاهرة ثم انهم طلبوا الرؤية على سبيل العناد و اقبلوا على عبادة العجل و كل ذلك يدل على انهم مجبولون على اللجاج و البعد عن طريق الحق فعفونا عن ذلك حيث لم نستأصل عبدة العجل و آتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا ظاهرا عليهم حين امرهم بقتل انفسهم ظلما بعزة امره و كمال الخالص و انكسار خصومه فيه بشارة للنبي صلى الله عليه و سلم ان هؤلاء الكفار و الذين يتابعونه فانه بالآخرة يستولي عليهم و يقهرهم ثم حكى عنهم سائر جهالاتهم و اصرارهم على اباطيلهم منها انه تعالى رفع الطور فوقهم بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوه و منها انهم امروا بدخول الباب بسبب المقدس و منها انهم نقضوا اعتداءهم في السبت باصطياد السمك فلا تعدوا في السبت و هذه القصص في سورة البقرة و قيل اعلاء العهد ههنا الذي ينهى عن الاعتداء و انما هو في معنى الحضر و المعنى النهي عن العمل و الكسب يوم السبت كانه قيل لهم اسكنوا عن العمل في هذا اليوم و اعقدوا في منازلكم فاما الواو نقضهم قال احذنا منهم ميثاقا غليظا اي العهد المؤكد فاما التوكيد هو على انه تمسكوا بالتورية و عملوا بما فيها نقضهم ما مزيدة للتوكيد اي فبنقضهم و بسبب كذا و كذا ثم قال بل طبع الله عليها اي ردا لقولهم قلوبنا غلف او عين العلم و ثنيها على انه ختم عليها فلا يقبل اثر الدعوة و البيان اليها او تكذيبا لادعائهم ان قلوبنا في اكنة و ذلك بحسب تفسير الغلف كما مر في سورة البقرة فلا يؤمنون الا ايمانا قليلا و هو ايمانهم بموسى و التورية على زعمهم و الا فالكافر بنبي واحد كافر بجميع الانبياء فالقليل في الحقيقة يعني العدم و بكفرهم و قولهم على مريم بهتانا عظيما فان انكارهم قدرة الله تعالى على خلق الولد من غير اب كذا انكار هم نبوة عيسى كفر ثم بالغ في مريم بهتان عظيم لانه ظهر لهم عند ولادة عيسى من الكرامات و المعجزات ما دلهم على براءتها من كل سوء و قولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله قالوه على وجه الاستهزاء كقوله فرعون ان رسولكم

الثالث رسل

الهدى او رسل الله بكم يحبون لوا انه ثقة جعل الذكر الحسن مكان القبيح الذي كانوا يطلقونه عليه من الساحر ابن الساحرة الفاعل ابن الفاعلة وما قتلوه
وما صلبوه ولكن شبه لهم والمقتول اسم لهم لانه ذكر ذلك القاتل المقتول ويكون شبه مسندا الى الجار والمجرور وهو لهم اي وقع لهم التشبيه لا يجوز ان يكون
في شبه ضمير المسيح لانه المشبه به وليس بمشبه قال اكثر المتكلمين ان اليهود لما قصدوا قتله رفعه الله الى السماء فخاف رؤساء اليهود وقوع الفتنة فيما بين
عوامهم فاخذوا انسانا فقتلوه وصلبوه ولبسوا على الناس انه هو المسيح والناس ما كانوا يعرفون المسيح الا بالاسم لانه كان قليل المخالطة مع الناس
وقيل ان اليهود لما علموا انه في البيت الذي مع حواريه دخل رأس اليهود رجلا من اصحابه يقال له طيطيانوس ان يدخل على عيسى ويخرجه ليقتله
فلما دخل عليه اخرج الله عيسى من سقف البيت والقى على ذلك الرجل شبه عيسى فخرج فظنوا انه هو المسيح فصلبوه وقتلوه وقيل وكلوا بعيسى رجلا
يحرسه وصعد عيسى في الجبل ورفع الى السماء والقى الله الشبه على الرقيب فقتلوه وهو يقول لست عيسى وقيل ان رهطا من اليهود سبوه
وسبوا امه فدعا عليهم اللهم انت ربي وبكلمتك خلقتني اللهم العن من سبني وسب والدتي فمسخ الله من سبهما قردة وخنازير فاجمعت اليهود
على قتله فلما هموا باخذه وكان معه عشرة من اصحابه قال لهم من يشتري الجنة بان يلقى عليه شبهي فقال احد منهم انا فالقى الله شبه عيسى عليه فخرج
وقتل ورفع الله عيسى وقيل كان رجل يدعي انه من اصحاب عيسى وكان منافقا فذهب الى اليهود ودلهم عليه فلما دخل مع اليهود لاخذه القى الله شبهه عليه
فقتل وصلب وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه قيل ان المختلفين هم اليهود لما قتلوا الشخص المشبه نظروا الى بدنه فقالوا ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا
وان كان هذا صاحبنا فاين عيسى وقيل ان المختلفين هم النصارى وذلك انهم باسرهم متفقون على ان اليهود قتلوه الا ان كبار فرق النصارى ثلاثة النسطورية
والملكانية واليعقوبية فالنسطورية يزعمون ان المسيح صلب من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته وهو قريب من قول الحكماء ان القتل ورد على
الهيكل لا على النفس المجردة وعلى هذا فالفرق بين عيسى وبين سائر المصلوبين ان نفسه كانت قدسية علوية مشرقة قريبة من عالم الارواح فلم يعظم
تألمها بسبب القتل وتخريب البدن واما الملكانية فقالوا القتل والصلب وصلا الى اللاهوت بالاحساس والشعور لا بالمباشرة وقالت اليعقوبية
وقع القتل والصلب على المسيح الذي هو جوهر متولد من جوهرين والمسألة في الاحكام استواء طرفي نقيضه عند الذاكر وقد يطلق على الظن ايضا ذم في قوله
ما لهم به من علم الا اتباع الظن لان العمل بالقياس فليس من اتباع الظن في شيء لانه عمل بالطرف الراجح ولكن العلم بوجوب العمل قطعي ثم قال وما
قتلوه يقينا وانه يحتمل ان يعود الى القتل اي قتلا يقينا اي متيقنين بل يقين عقد خارج مطابق ثابت للدليل ويحتمل ان يعود الى العلم اي نفي العلم على ان يقينا
تأكيد لقوله وما قتلوه اي حقا انتفاء قتله حقا وهذا اولى لقوله بل رفعه الله اليه وقيل هو من قولهم قتلت الشيء علما اذا بالغ فيه علمه فيكون تهكما بهم
نفى عنهم العلم اولا نفيا كليا ثم نبه بقوله وكان الله عزيزا حكيما على ان رفع عيسى الى السماء بالنسبة الى قدرته سهل وان فيه من الحكم والفوائد ما لا يحيط بها
الا هو ثم قال وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته فقوله الا ليؤمنن به جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف ان هي النافية والمعنى
وما من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به كقوله وما منا الا له مقام معلوم والضمير في به عائد الى عيسى وفي موته الى احد عن شهر بن حوشب قال لي الحجاج آية
ما قرأتها الا تخالج في نفسي شيء منها يعني هذه الآية قال اني اوتى بالاسير من اليهود والنصارى فاضرب عنقه فلا اسمع منه ذلك فقلت ان اليهودي اذا حضره
الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله اتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول آمنت انه عبد نبي ويقول للنصراني اتاك عيسى نبيا فزعمت انه الله او ابن
الله فيؤمن بانه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه ايمانه قال وكان متكئا فاستوى جالسا فنظر الي وقال ممن قلت قلت حدثني محمد بن علي بن الحنفية فاخذ ينكت
الارض بقضيبه ثم قال لقد اخذتها من عين صافية او من معدنها وعن ابن عباس انه فسره كذلك فقال له عكرمة فان اتاه رجل فضرب عنقه قال لا يخرج نفسه
حتى يحرك بها شفتيه قال وان خر من فوق بيت او احترق او اكله سبع قال يتكلم بها في الهواء ولا يخرج روحه حتى يؤمن به وفائدة هذا الاخبار الوعيد والزام
الحجة والبعث على معاجلة الايمان به في اوان الانتفاع لانه اذا لم يكن بد من الايمان به فلان يؤمنوا به حال التكليف لينفع معتدا به اولى وقيل الضميران
في به وفي موته لعيسى فالمراد باهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله روي انه ينزل من السماء في آخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن
به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم
ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه قال بعض المتكلمين ينبغي ان يكون هذا عند ارتفاع التكاليف
او بحيث لا يعرف اذ لو نزل مع بقاء التكليف على وجه يعرف انه عيسى فاما ان يكون نبيا ولا نبي بعد محمد او غير نبي وعزل الانبياء لا يجوز واجيب بانه كان
نبيا الى مبعث محمد وبعد ذلك انتهت مدة نبوته فلا يلزم عزله فلا يبعد ان يصير بعد نزوله تبعا لمحمد قال في الكشاف ويجوز ان يراد انه لا يبقى احد من جميع اهل
الكتاب الا ليؤمنن به على ان الله يحييهم في قبورهم في ذلك الزمان ويعلمهم نزوله وما انزل له ويؤمنون به حين لا ينفعهم ايمانهم وقيل الضمير في به يرجع الى
الله تعالى وقيل الى محمد ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا يشهد على اليهود بانهم كذبوه وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله وكل نبي شاهد على امته
فبظلم من الذين هادوا التنوين للتعظيم يعني بظلم اي ظلم من الذين هادوا الذنوب يوجب التطليع على الخلق وهو قوله فبظلم والاعراض عن دين الحق وهو قوله وبصدهم
عن سبيل الله كثيرا اي ناسا كثيرا او صدا كثيرا ومن هذا القبيل اخذهم الربا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل اي بالرشى على الحكم فهذه
الذنوب هي الموجبة للتشديد عليهم في الدنيا والآخرة اما في الدنيا فتحريم بعض المطاعم الطيبة كما يجيء في سورة الانعام وعلى الذين هادوا حرمنا
كل ذي ظفر الآية واما في الآخرة فقوله واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما واعلم انه تعالى لما وصف طريقتهم وما عاقبهم به قال لكن الراسخون

محذوف والتقدير فبنقضهم وبكذا وكذا لعناهم او سخطنا عليهم او نحو ذلك ثم استأنف قوله فبظلم ومتعلقه حرمنا وكذا متعلق المعطوفات بعد الثاني ان متعلق الكل حرمنا وقوله فبظلم بدل من قوله فبما نقضهم قاله الزجاج ورجح الاول بان حذف المتعلق افخم لذهاب الوهم كل مذهب لان تحريم الطيبات عقوبة خفيفة فلا يحسن تعليقها بتلك الجنايات العظائم فلذا جعل قوله فبظلم معطوفا على حرمنا يزال هذا الاشكال فان الكفر في الايات ثلث مرات ولم من عطف الثالث على الاول او على الثاني عطف الشيء على نفسه فقد اجاب عنه في الكشاف بانه تكرر منهم الكفر لانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد ﷺ فعطف بعض كفرهم على بعض او عطف مجموع المعطوف عليه كانه قيل فجمعهم بين نقض الميثاق والكفر بآيات الله وقتل الانبياء وقولهم قلوبنا غلف وجمعهم بين كفرهم وبهتهم مريم وافتخارهم بقتل عيسى عاقبناهم او بل طبع الله عليها بكفرهم فجمعهم بين كفرهم كذا وكذا ثم وصف طائفة المؤمنين المحقين منهم فقال لكن الراسخون في العلم منهم يعني عبد الله بن سلام واضرابه ممن ثبت في العلم وتبت واتقن واستبحر جعلهم مقابلين لاولئك المقلدين بالاستدلال الى اليقين لا التقليد والتخمين لان المقلد يكون بحيث اذا شكك تشكك اما المستدل فانه لا يتشكك البتة والمؤمنون يعني المؤمنين منهم او المؤمنين من المهاجرين والانصار والراسخون مبتدا ويؤمنون خبره اما قوله والمقيمين الصلوة فنقل عن الاول نقل عن عثمان وعائشة انهما قالا ان في المصحف لحنا وستقيمه العرب بالسنتها ولا يخفى ركاكة هذا القول لان هذا المصحف منقول بالتواتر عن رسول الله ﷺ فكيف يمكن ثبوت اللحن فيه الثاني قول البصريين انه نصب على المدح لبيان فضل الصلوة والمؤتون الزكوة رفع على المدح لبيان فضل الزكوة كقولهم جائني قومك المطعمين في المحل والمغيثون في الشدائد بتقدير الابراء اعني المقيمين الصلوة وهم المؤتون الزكوة والمؤمنون بالله واليوم الآخر وطعن الكسائي في هذا القول بان النصب على المدح انما يكون بعد تمام الكلام وههنا الخبر وهو قوله اولئك الى آخره منتظر والجواب ان الخبر يؤمنون ولو سلم فلا دليل على انه لا يجوز الاعتراض بالمدح بين المبتدا وخبره الثالث وهو اختيار الكسائي انه مجرور خفض بالعطف على ما في قوله بما انزل اليك والمراد بهم الانبياء لانه لم يخل شرع في احد منهم من الصلوة وقال تعالى واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلوة او الملائكة لقوله وانا لنحن الصافون واعلم ان العلماء ثلثة اقسام العلماء بأحكام الله فقط كالفقهاء وشرائعه والعلماء بذات الله وصفاته الواجبة والممتنعة ولواحقه المبدأ والمعاد والعلماء الجامعون بين العلمين مع العمل ايضا وهم الراسخون في العلم وانهم اكابر العلماء والى الاقسام الثلثة اشار بقوله جالس العلماء وخالط الحكماء ورافق الكبراء اللهم اجعلنا من زمرتهم بفضلك بامتنان ثم انه سبحانه عاد الى الجواب عن سؤال اليهود وهو اقتراح نزول الكتاب جملة فقال انا اوحينا اليك الآية مبتدا بذكر نوح لانه اول من شرع الله على لسانه الاحكام والحلال والحرام ثم قال والنبيين من بعده ثم خص بعض النبيين بالذكر لكونهم افضل من غيرهم ولم يذكر فيهم موسى لان المقصود من تعديد هؤلاء الانبياء انهم كانوا رسلا مع ان واحدا منهم ما اوتي كتابا مثل التورية دفعة واحدة ثم ذكر الانبياء بقوله وآتينا داود زبورا يعني انكم اعترفتم ان الزبور من عند الله ثم انه ما نزل على داود جملة واحدة وهذا الزام حسن قوي والزبور كتاب داود وكل كتاب زبور بمعنى مزبور واحد ومن قرأ بضم الزاي فعلى انه جمع زبر وهو الكتاب كفلس وفلوس ثم قال ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك والمعنى انه تعالى انما ذكر احوال بعض الانبياء في القرآن والاكثرون غير مذكورين على سبيل التفصيل وكلم الله موسى تكليما هذا ايضا من تتمة الجواب لم اراد انه بعث كل هؤلاء الانبياء والرسل وخص موسى عليه السلام بشرف التكليم ولم يلزم من هذا الطعن في سائر الانبياء فكيف يلزم الطعن بانزال التورية عليه دفعة وانزال غيرها على غيره منجما رسلا مبشرين ومنذرين يحتمل ان يكون من صفة الانبياء والزام السكانية بعث الانذار والتبشير ويتوقف هذا المطلوب على انزال الكتب قد يكون انزال الكتاب منجما اقرب الى المصلحة لان انزاله جملة كثرت التكاليف فيثقل العمل كما ثقل على قوم موسى فعصوا ثم ختم الآية بقوله وكان الله عزيزا حكيما والمعنى ان عزته تقتضي ان لا يجاب المتعنت الى مطلوبه المتعنتين في القدرة وكل حكمته تقتضي هذا الامتناع لانه لو فعل ذلك لاصروا على اللجاج في كل قضية واحتج الاشاعرة بالآية على ان معرفة الله لا تثبت الا بالسمع لقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فيكون قبل البعثة لهم حجة في ترك الطاعات والمعارف واجاب المعتزلة بان الرسل منبهون عن الغفلة وباعثون على النظر كما انهم ارسل الرسل للتنبيه وتعليم الاحكام الجزئية مع افادة تفصيل امور الدين وبيان احوال التكليف وتعليم الشرائع المعتزلة قالوا في الآية دلالة على امتناع تكليف ما لا يطاق لان عدم ارسال الرسل اذا كان يصلح عذرا فبان يكون عدم القدرة والمكنة صالحا للعذر اولى وعورض بانهم قالوا الآية تدل على ان العبد قد يحتج على الرب فيبطل قول اهل السنة انه لا اعتراض عليه لاحد واجيب بانه بشبه الحجة وليس بحجة في الحقيقة قوله لكن الله يشهد لا بد له من مستدرك لان لكن للاستدراك يعرف ذلك المستدرك وجهان احدهما ان هذه الآيات باسرها جواب عن قول اليهود كانت نبيا انزل عليه الكتاب جملة وهذا الكلام يتضمن ان هذا القرآن ليس كتابا نازلا عليه من السماء فلا جرم قيل لكن الله يشهد بانه نازل عليه من السماء الثاني انه تعالى لما قال انا اوحينا اليك قال القوم نحن لا نشهد لك بذلك فنزل لكن الله يشهد ومعنى شهادة الله انزال القرآن بحيث عجز عن معارضته الاولون والآخرون ليشهد لك بالنبوة بواسطة هذا القرآن الذي انزل عليك ثم بين تلك الشهادة بقوله انزله بعلمه اي ملتبسا بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره او بسبب علمه الكامل مثل كتبت بالقلم وهذا كما يقال في الرجل المشهور بكمال الفضل اذا صنف كتابا واستقصى في تجويده انما صنف هذا بكمال علمه يعني انه اتخذ جملة علومه آلة ووسيلة الى تصنيف ذلك الكتاب وانزله وهو عالم بانك اهل لانزاله اليك وانك مبلغه او انزله بما علم من مصالح العباد فيه وانزله وهو عالم بوجوه ما عليهم منه فيطلع من يشاء من الجن والانس والملائكة يشهدون ان لا يشهدون يستمعون الى القول فيشهدون بشهادتهم ومن صدقه فهو رب العالمين ملائكة السموات والارضين لم يلتفت الى تكذيب اخس الناس اياه وكفى بالله شهيدا وان لم يشهد غيره ان الذين كفروا بمحمد ﷺ والقرآن وصدوا غيرهم عن سبيل الله بالقاء الشبهات كقولهم لو كان رسولا لانزل عليه القرآن دفعة كما انزلت التورية على موسى وكقولهم ان شريعة موسى لا تنسخ وان الانبياء لا يكونون الا من اولاد هرون وداود قد ضلوا ضلالا بعيدا لان غاية

الضلال ان نضم معه الاضلال ان الذين كفروا وظلموا محمدا بكتمان نعته وعوامهم بالقاء الشبهات فى قلوبهم وصنعوا ولم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم الا انه لطريق الموصل الى جهنم او لا يهديهم يوم القيامة الا طريقها والعامل فى الذين معنى لا يهديهم احبطنا بهم لو يعلمهم الشارع الذين كان ذلك على الله يسيرا لانه لا صارف عنه ولا يتعذر عليه شيئا الا انه شيئا بعد شئ الى غير النهاية واللام فى الذين اما للعهد فهم من علم الله منهم انهم يموتون على الكفر واما للاستغراق فيجب بعضهم بشرط عدم التوبة وحمل المعتزلة قوله ظلموا على اصحاب الكبائر بناء على انه لا امر بينهم بين الكافر وصاحب الكبيرة فانه لا يغفر لهما الا بالتوبة التاويل ادنى الله جهرة لعلمه ان فيه مؤمنين لن تراني كانت بشوم القوم وما كان فى انفسهم من سواد ويعد السؤال الثالث مطلوب لم يعط نبيهم منا انتظر الى الربينهم لانهم كانوا اشقياء والسعيد من وعظ بغيره معكا زادهم زادهم طلا وبهم وابتلاهم كوقع الطود فوقهم عقوبة لك قال اهل الاشارة ارتكاب المحظورات توجب تحريم المباحات والطيبات التي احلت لانه اجتهم الطيبة جبل التلوث بعلة المخالفات والاسراف فى المباحات يستتبع حرمان المناجاة والقرآن لكن الراسخون فى العلم الذين رسخوا بقدمى الصدق والعمل فى العلم الى ان بلغوا معادن العلوم فانفتح على قلوبهم الكنيسة بالعلوم العطائية واللدنية انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده اى كلما اوحينا اليك من سرة فكما لا حبيب ما اوحى ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل اى ليلة المعراج ورسلا لم نقصصهم عليك الآن فى القرآن مفصلا انزله بعلمه بتجلى صفة العالمية حتى علم بعلمه ما كان وما سيكون والملائكة يشهدون على تلك الخلوة وان لم يكونوا معك فى الخلوة وكفى

يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ

بالله شهيدا على ما جرى قد كان ما كان سرا لا يبوح به فطن خيرا او لا تسئل عن الخبر

ای گروه مردمان بدرستی که آمد شما را

الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا

پیغمبر براستی از پروردگار شما پس بگروید که بهتر است برای شما و اگر کافر شوید پس بدرستی که مر خدا راست آنچه در آسمانها و زمین است و هست خدا دانا

حَكِيمًا يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ

حکم کننده ای اهل کتاب غلو مکنید در دین خود و مگوئید بر خدا مگر راستی را جز این نیست که مسیح عیسی پسر

مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ

مریم فرستاده خدا و کلمه اوست که افکند او را بسوی مریم و روحیست از وی پس بگروید بخدا و رسول او و مگوئید که خدا سه است باز ایستید بهتر است شما را

إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا

جز این نیست که خدا خدائیست یگانه منزه است او از اینکه بوده باشد مر او را فرزندی مر او راست آنچه در آسمانها و آنچه در زمین است و بس است بخدا کارگذاری

لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ

سر نپیچد هرگز مسیح از اینکه بوده باشد بنده از برای خدا و نه فرشتگان مقرب و هر که سر پیچد از بندگی او و تکبر کند و عبادت

فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ

پس زود باشد که گرد آورد ایشان را بسوی خود همه پس اما آنانکه گرویدند و کردند کارهای شایسته پس تمام دهد ایشان را مزدهای ایشان و بیفزاید ایشان را از فضل خود

وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا

واما آنانکه سر پیچیدند از عبادت و برتری کردند پس عذاب کند ایشان را عذابی دردناک و نیابند از برای خود از غیر خدا دوستی و نه یاوری

يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا

ای گروه مردمان بدرستی که آمد شما را دلیلی از پروردگار شما و فرستادیم بسوی شما نوری روشن پس اما آنانکه گرویدند بخدا و چنگ زدند

بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ

باو پس زود باشد که در آورد ایشان را در رحمت خود و زیادتی و راه نماید ایشان را بسوی خود راهی راست فتوی می پرسند از تو بگو خدا فتوی میدهد شما را

فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ

در باب کلاله اگر مردی مرد و نباشد مر او را فرزندی و مر او را خواهری باشد پس مر او راست نصف آنچه گذاشته و او وارث برد از آن خواهر اگر نباشد

لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ

مر او را فرزندی پس اگر بوده باشند خواهران دو تا پس مر ایشان راست دو ثلث از آنچه گذاشته و اگر بوده باشند برادران مردان و زنان پس از برای مرد است مانند

حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

نصیب دو زن ظاهر میسازد خدا از برای شما که گمراه نشوید و خدا بهر چیزی داناست

القراءة فسندخلهم بالنون المفضل الباقون بالياء الوقوف خيرا لكم والارض حكيما الا الحق وكلمته ثلاثة مع الحذف المقصود وقوع منه لعطف المختلفين ولكن فاتفع بعضه تجليل الايمان مع تمام البيان وسلم ثلاثة خبر الكم اله واحد ولد لان المنفي معه الولد لو لم يوصف اوهم ان المنفي ولد موصوف بان له ما فى السموات وما فى الارض وكيلا المقربون جميعا من فضله اليماء ولا نصيرا مبينا وفضل للعطف مستقيما يستفتونك الكلالة تركه لان ما بعده مبتدأ ولكن الكلام متحد البيان لها ولد لان جملة الشرط بعد الى جوابه فلهما نصف ما تركه منهما غاية

نزل لابتداء حكم جامع للصنفين بالانتهاء عن ان تضلوا وعليهم التنبيه لما بين فساد طريقة اليهود وأجاب عن شبهتهم عمم الخطاب فقال يا أيها الناس قد جاءكم
الرسول بالحق اي بالقرآن والقرآن معجز فيكون حقا او بالدعوة الى عبادة الله والاعراض عن غيره وهو الحق الذي يشهد له العقول السليمة فآمنوا خيرا
لكم انتصابه بمضمر وكذا في انتهوا خيرا لكم لانه لما بعثهم على الايمان والانتهاء عن التثليث علم انه يحملهم على امر فالمعنى اقصدوا وأتوا خيرا لكم مما انتم فيه
من الكفر والتثليث وهو الايمان والتوحيد فان الايمان لا شك انه احدها بل هو من الكفر بل العاقبة كلها والوجه انه منصوب على خبر يكن كان اي يكن
الايمان خيرا لكم والاول اصح لئلا يلزم الحذف من غير قرينة وان تكفروا فان الله غني عنكم لانه مالك الكل وهو قادر على انزال العذاب لان الكل خلقه
وملكه ولم يبعثكم اولم يخلقكم ليستعين بكم على امره وكان الله عليما باحوال العباد حكيما لا يضيع اجر المحسن ولا يهمل جزاء المسيء ثم لما اجاب عن شبه اليهود خاطب
النصارى ومنعهم عن الغلو في الدين وهو الافراط في شأن المسيح الى ان اعتقدوه الها لا نبيا وحثهم على ان لا يقولوا على الله الا الحق الذي يجوز ان
يتصف به وهو تنزيهه عن الحلول والاتحاد بالانسان والاتخاذ زوجة والاتخاذ صاحبة وولد انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته وجد بامره من غير
واسطة اب ونطفة القاها اي الكلمة الى مريم اي اوصلها اليه وحصلها فيه وروح منه اي انه ظاهر لطيف بمنزلة الروح كما يقال هذه نعمة من الله
بذلك لانه سبب حياة الارواح او كما انها كالحياة الثانية في قوله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقيل اي رحمة منه كقوله وايدهم بروح
منه ولا شك انه وجود النبي نعمة للامة قال الله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقال انما انا رحمة مهداة وقيل الروح هو النفخ بعبارة النفخ من جبريل
كان بامر الله فهو منه والتنكير للتعظيم اي روح من الارواح الشريفة القدسية العالية ومنه اضافة ذلك الروح الى نفسه لاجل التشريف فآمنوا بالله ورسله
اي آمنوا به كايمانكم بسائر الرسل ولا تجعلوه الها ولا تقولوا ثلاثة خبر مبتدأ محذوف اي الآلهة ثلاثة ان كان معتقدهم ان الذات جوهر واحد له ثلاثة اقانيم
ويعنون بالاقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس وربما يقولون اقنوم الذات واقنوم العلم واقنوم الحياة او الآلهة ثلاثة ان كان في اعتقادهم
انها ذوات قائمة بانفسها الاب والام والابن لعل القولين مرجعهما الى شيء واحد ثم اذا جوزوا على الصفات الانتقال والحلول في عيسى وفي مريم فقد جعلوها مستقلة
بانفسها وهذا لزم الكفر والشرك ولا يجوز اثبات الصفات لله تعالى لا يوجب الشرك فالاشاعرة اثبتوا لله تعالى صفات ثمانية قديمة انتهوا عن التثليث واقصدوا
خيرا لكم انما الله اله واحد لا تركيب فيه بوجه من الوجوه سبحانه ان يكون له ولد اي سبحه تسبيحا وانزهه تنزيها من ان يكون له ولد فلا يتصل به شيء
اتصال الابناء بالآباء ولكن من حيث انه عبده ورسوله موجود بامره بلا احتياج الى غيره له ما في السموات وما في الارض فكيف يكون بعض ملكه جزءا منه
على ان الجزء انما يصح في المنقسم عقلا او حسا وانه لا ينقسم بجهة من الجهات لا العقلية ولا الحسية وكفى بالله وكيلا واذا كان كافيا في تدبير المخلوقات وحفظ
المحدثات فلا حاجة تعالى الى الولد ابدا فان الولد مشغل ومشارك قال الكلبي ان وفد نجران قالوا يا محمد لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى
قال واي شيء اقول قالوا تقول انه عبد الله ورسوله فقال لهم انه ليس بعار لعيسى ان يكون عبد الله قالوا بلى فنزلت لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله
والتحقيق ان الشبهة التي عليها يعولون في دعوى انه ابن الله هي انه كان يخبر عن المغيبات ويأتي بخوارق العادات كاحياء الاموات فقيل لهم لن يستنكف
المسيح بسبب هذا القدر من العلم والقدرة عن عبودية الله تعالى فان الملائكة المقربين اعلى حالا منه لانهم مطلعون على اللوح المحفوظ وقد حمل العرش
مع عظمته ثمانية منهم ثم انهم لم يستنكفوا عن كونهم عبادا لله تعالى فكيف يستنكف المسيح عن ذلك اي يمتنع ويأنف والتركيب يدل على التنحية والازالة
من قولك نكفت الدمع انكفه اذا نحيته عن خدك باصبعك ونكفت من الشيء اي عدلت والقائلون بافضلية الملائكة استدلوا بهذه الآية وقد تقدم الاستدلال
بها والجواب عنها والبحث عليها في سورة البقرة في تفسير قوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا اما قوله ولا الملائكة فانه معطوف على المسيح وهو الاظهر وجوز
بعضهم عطفه على الضمير في يكون او في عبدا بمعنى الوصفية فيكون المعنى ان المسيح لا يأنف ان يكون هو ولا الملائكة موصوفين بالعبودية او لا يأنف
ان يعبد الله هو والملائكة في المعنيين لحرافة عن الغرض فالاولى ان المراد بالملائكة كل واحد منهم حتى يكون خبره عبدا او يكون الخبر عبادا وحذف
لدلالة عبدا عليه ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا اي يجمعهم يوم القيامة الى حيث لا يملكون لانفسهم شيئا ثم انه تعالى لم يذكر ما يفعل بهم
بل ذكر ثواب المؤمنين المطيعين فسئل ان التفصيل غير مطابق للمفصل لانه اشتمل على الفريقين والمفصل على فريق واحد وجاء في الكشاف بان هذا كقولك
جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل به فحذف ذكر احد الفريقين لدلالة التفصيل عليه لان ذكر احدهما يدل على ذكر الثاني كما
حذف احدهما في التفصيل في قوله فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به او قدم ثواب المؤمنين توطئة كانه قيل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيعذبه
بالحسرة اذا رأى اجور العاملين وسيعذبه مع ذلك بما يصيبهم من العذاب الاليم او جعل الفتح في قوله فسيحشرهم راجعا الى الناس جميعا لم يحتج الى هذه التكلفات
ويحصل الربط بسبب العموم ومثله غير عزيز في القرآن كقوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا ثم انه تعالى عمم الخطاب بقوله يا أيها
الناس قد جاءكم برهان من ربكم يحتمل ان يراد بالبرهان محمد صلى الله عليه وسلم لانه يقيم البرهان على تحقيق الحق وابطال
الباطل وبالنور المبين القرآن لانه سبب لوقوع نور الايمان في القلب فاما الذين آمنوا بالله في ذاته وصفاته وافعاله واحكامه واسمائه واعتصموا
به تمسكوا بدينه او بحبل القرآن يثبتهم على الايمان ويصونهم عن نزغ الشيطان فسيدخلهم في رحمة منه وفضل قال ابن عباس الرحمة الجنة والفضل
ما يتفضل عليهم مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ويهديهم اليه اي الى عبادته صراطا مستقيما هو الدين الحنيفي والتقدير صراطا مستقيما اليه ويحتمل ان يراد
بالرحمة والفضل اللذات الحسية لما ثبت بالصفات اللذات الروحانية الدائمة ثم انه سبحانه ختم السورة بنحو ما بدأ فيها وهو احكام المواريث قال يستفتونك

الآية قال اهل العلم ان الله تعالى انزل في الكلالة آيتين احديهما في الشتاء وهي التي في اول هذه السورة والاخرى في الصيف وهي هذه ولهذا تسمى آية الصيف
عن جابر انه قال اشتكيت فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي سبع اخوات فنفخ في وجهي فافقت فقلت يا رسول الله اوصي لاخواتي بالثلثين قال احسن فقلت
الشطر قال احسن ثم خرج وتركني قال ثم دخل فقال يا جابر اني لا اراك ميتا من وجعك هذا وان الله قد انزل فبين الذي لاخواتك وجعل لاخواتك الثلثين
وكان جابر يقول انزلت هذه الآية فيّ وقيل انها آخر ما نزل من الاحكام كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق مكة عام حجة الوداع فاتاه جابر بن عبد الله فقال ان لي اختا فكم آخذ من ميراثها ان ماتت
فنزلت هذه وقد تقدم ان الكلالة اسم يقع على الوارث وهو من عدا الوالد والولد وعلى المورث وهو الذي لا ولد له ولا والد ان امرؤ هلك
ارتفع امرؤ بفعل يفسره هذا الظاهر ومحل ليس له ولد الرفع على الصفة اي ان هلك امرؤ غير ذي ولد اعلم ان ظاهر الآية مطلق ولا بد من تقييده
ثلاثة الاول ان الولد مطلق والمراد به الابن لانه هو الذي يسقط الاخت اما البنت فلا تسقطها ولكنها تعصبها لما روي عن ابن مسعود ان النبي
قضى في بنت وبنت ابن واخت بان للبنت النصف لبنت الابن السدس والباقي للاخت فعلى هذا لو خلف بنتا واختا فللبنت النصف والباقي للاخت
بالعصوبة الثاني ان ظاهر الآية يقتضي انه اذا لم يكن للميت ولد فان للاخت تأخذ النصف وليس كذلك على الاطلاق بل الشرط ان لا يكون للميت والد ولا
والد لان الاخت لا ترث مع الوالد بالاجماع الثالث قوله وله اخت المراد الاخت من الاب والام او من الاب لان الاخت من الام والاخ من الام ذكر
حكمها في اول السورة بالاجماع ثم قال وهو يرثها اي واخوها يرثها ويستغرق ميراثها ان قدر الامر على العكس من موتها وبقائه بعدها ان لم يكن
لها ولد اي ابن كما قلنا لان الابن يسقط الاخ دون البنت وايضا ان هذا في الاخ من الابوين او من الاب اما الاخ من الام فانه لا يستغرق الميراث وانه
المراد ان لم يكن لها ولد ولا والد لان الاب ايضا مسقط للاخ لقوله الحقوا الفرائض باهلها فما بقي فلاولى عصبة ذكر والاب اولى من الاخ ثم قال
فان كانتا اثنتين يعني من يرث بالاخوة اثنتين فانث ضمير باعتبار الخبر كقولهم من كانت امك كذا الكلام في قوله وان كانوا اخوة والمراد بالاخوة والاخوات
لكنه غلب جانب الذكورة وروي ان الصديق قال في خطبته الا ان الآية التي انزل الله في سورة النساء في الفرائض اولها في الولد والوالد ثانيتها في الربع والزوجة
والاخوة من الام والتي ختم بها السورة في الاخوة والاخوات من الاب والام والتي ختم بها الانفال في اولي الارحام يبين الله لكم ان تضلوا قال البصريون
المضاف محذوف اي كراهة ان تضلوا وقال الكوفيون لئلا تضلوا وقال الجرجاني صاحب النظم يبين لكم الضلالة لتعلموا انها ضلالة فتجتنبوها
والله بكل شيء عليم فيكون بيانه حقا وتعريفه صدقا ختم السورة ببيان كمال العلم كما انه ابتدأها بكمال القدرة فيهما تم الالهية وحصل التوحيد
والترغيب للعابد والمطيع الله المستغني [illegible] ان تكفروا فان لله ما في السموات والارض يعني ان تؤمنوا يكون خيرا لكم وان تكفروا فالكل له
لا تغلوا في دينكم لا تميلوا الى طرفي التفريط والافراط فاليهود فرطوا في شانه فلم يقبلوه نبيا وهموا بقتله والنصارى افرطوا في حبه فجعلوه ابن الله
او كان لله سبحانه [illegible] وقوم [illegible] وقوم بالزيادة في اعظامه حتى يعتقد فيه ما ليس فيه كالخوارج والغلاة من الشيعة وهذا
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى [illegible] وروح منه لانه يكون بامر كن من غير واسطة اب كما ان البعض يكون [illegible] الروح من امر ربي
ولغلبة جانب [illegible] وغاية حليته كان يحيي الاجساد الميتة [illegible] فيها [illegible] الاستعداد [illegible] هو من كلمة الله مركوز في جبلة الانسان [illegible]
جوهره [illegible] الله [illegible] وعيونا عميا ويكون في قومه كالنوح
امنة ولا تقولوا ثلاثة يعني [illegible] الرسول والله بل انتهوا [illegible] الوحدة [illegible] انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد
فانه [illegible] له الوجود الحقيقي القائم [illegible] ظاهرا او باطنا كل شيء ما له [illegible] وكفى بالله وكيلا [illegible] لن يستنكف المسيح ان يكون
عبدا لله لان العبد [illegible] الامكان الذاتي [illegible] ولهذا نطق في المهد بقوله اني عبد الله ولا الملائكة المقربون [illegible]
كانوا يقولون الملائكة بنات الله كما قالت النصارى المسيح ابن الله [illegible] برهان جعل نفس النبي برهانا لانه [illegible] بالكلية وبرهان [illegible] كان
غير انفسهم مثل ما كان برهان موسى في عصاه [illegible] برهان بصره ما زاغ البصر وما طغى [illegible] الرحمن من جانب اليمن ومنه
برهان لسانه وما ينطق عن الهوى وبرهان يده [illegible] في البئر [illegible] والبئر تفور [illegible] برهانا
[illegible] علي كرم الله وجهه [illegible] باذن الله [illegible] وما رميت اذ رميت [illegible] وبرهان اصبعه [illegible]
القمر [illegible] اصابعه حتى شرب [illegible] وبرهان [illegible] الم نشرح لك صدرك
وبرهان قلبه [illegible]

[illegible] اللهم [illegible]

نزل به الروح الامين على قلبك وبرهان كله سبحان
[illegible] القرآن [illegible]

قد تم الجلد الاول المشتمل على ربع القرآن
من التفسير [illegible] القرآن
[illegible] القرآن

الحمد لله [illegible] السلام على [illegible] كتب المصنف [illegible]
[illegible] آباد في اوائل صفر سنة [illegible]